٦١٤

٨٥٧ = ٤٢٩ = ٢٢

MURAD MOLLA KÜTÜPHANESİ

فهرسة كتاب مواهب اللدنية بالمنح المحمدية

المقصد الأول في تشريف الله تعالى له عليه الصلاة والسلام بسبق
٢
نبوته في سابق أزليته ۔ ونشر منشور رسالته في مجلس مؤانسته ۔
وكتبه توقيع عنايته في حظاير قدس كرامته ۔ وطهارة نسبه ۔
وبراهين اعلام آيات حمله وولادته ۔ ورضاعه وحضانته ۔ وحقايق بعثته ۔
وهجرته ۔ ولطايف معارف مغازيه وسراياه ۔ وبعوثه وسيرته مرتبا
على السنين من حين نشأته الى وقت وفاته ۔ ونقلته لرياض روضته ۔
المقصد الثاني في ذكر أسمايه الشريفة المنبئة عن كمال أخلاقه المنيفة
٨٦
وأولاده الكرام الطاهرين ۔ وأزواجه الطاهرات امهات المؤمنين ۔
وأعمامه وعماته ۔ وأخواته من الرضاعة ۔ ومؤذنيه ۔ وخطبايه ۔ وشعرايه ۔
وحدانه ۔ وخدمه ۔ ومواليه ۔ وحرسه ۔ وكتابه ۔ وكتبه الى أهل الاسلام
في الشرايع والأحكام ۔ ومكاتباته الى الملوك ۔ وغيرهم من الأنام ۔
وآلات حروبه ۔ ودوابه ۔ والوافدين اليه صلى الله وسلم عليه ۔
وفيه عشرة فصول المقصد الثالث فيما منحه الله تعالى به من كمال
١١٨
خلقته ۔ وجمال صورته ۔ وكرمه سبحانه من الأخلاق الزكية ۔
وشرفه به من الأوصاف المرضية ۔ وما تدعو ضرورة حياته اليه ۔
صلى الله وسلم عليه ۔ وفيه ثلثة فصول المقصد الرابع في معجزاته ۔

٦١٤
Murat Molla Halk Kütüphanesi
Eski Kayıt No.: 627
Yeni Kayıt No.: 4309
Tasnif No.: 297.2
١٥٥

الدالة على ثبوت نبوته، وصدق رسالته، وما اختص به من خصائص
آياته، وبدايع كراماته، وفيه فصلان المقصد الخامس في تخصيصه
٢٠٩
عليه الصلاة والسلام، بخصايص المعراج والاسراء، وتعميمها بعموم
لطايف التكريم، في حضرة التقريب، بالمكالمة والمشاهدة، والآيات الكبرى
المقصد السادس فيما ورد في آي التنزيل، من تعظيم قدره، ورفعة
٢٢٨
ذكره، وشهادته تعالى له، بصدق نبوته، وثبوت بعثته، وقسمه تعالى
على تحقيق رسالته، وعلو منصبه الجليل ومكانته، ووجوب طاعته
واتباع سنته، والادب معه صلى الله عليه وسلم، وذكر آيات تتضمن
رده تعالى بنفسه المقدسة، وأخذه تعالى له الميثاق على ساير النبيين
فضلا ومنة، ان ادركوه ليؤمنن به، ولينصرنه، والتنويه به
في الكتب السالفة، كالتورية، والانجيل، بأنه صاحب الرسالة،
والتبجيل، وفيه عشرة انواع المقصد السابع في وجوب
٢٥٣
محبته، واتباع سنته، والاهتداء بهديه، وطريقته، وفرض محبته
ومحبة آله وأصحابه، وقرابته، وعترته، وحكم الصلوة والتسليم
عليه، زاده الله فضلا وشرفا لديه، وفيه ثلاثة فصول المقصد الثامن
٢٧٦
في طبه صلى الله عليه وسلم لذوي الأمراض، والعاهات، وتعبيره
الرؤيا، وانبائه بانباء المغيبات، وفيه ثلاثة فصول المقصد التاسع
٣٠٩

في الطب

في الطيبة من طاعة عباداته، ويشتمل على نبذة انواع الطهارة
الصلوة، الزكوة، الصوم، الاعتكاف، الحج، المقصد العاشر
٣٣٣
في إتمامه تعالى نعمته عليه بوفاته، ونقلته اليه، وزيارة قبره
الشريف، ومسجده المنيف، وتفضيله في الآخرة، بفضايل
الاوليات الجامعة لمزايا التكريم، والدرجات العليات
وتشريفه بخصايص الزلفى في مشهد مشاهد الانبياء
والمرسلين، وتحميده بالشفاعة والمقام المحمود،
وانفراده بالسودد في مجمع جامع الاولين
والآخرين، وترقيه في جنة عدن
ارقا مدارج السعادة، وتعاليه
في يوم المزيد اعلا معالي الحسنى،
وزيادة، وفيه
٣٧٢
ثلاثة فصول

وصلى الله على سيدنا ومولانا وملاذنا وذخرنا محمد صلى الله عليه وسلم

صحيفة سطر
٢٢ = ٤٢٩ = ٨٥٧

عدد اوراقه ٤٣٢

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي اطلع في سماء الازل شمس انوار مشارق النبوة المحمدية واشرق من افق اسرار الرسالة مظاهر تجلي الصفات الاحمدية احمده على ان وضع اساس نبوته على سوابق ازليته ورفع دعائم رسالته على لواحق ابديته واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الفرد المتفرد في فردانيته بالعظمة والجلال الواحد المتوحد في وحدانيته باستحقاق الكمال واشهد ان سيدنا وحبيبنا محمدا عبده ورسوله اشرف نوع الانسان وانسان عيون الاعيان المستخلص من خالص خلاصة ولد عدنان الممنوح ببدايع الآيات المخصوص بعموم الرسالة وغرايب المعجزات البرزخ الجامع الفرقاني والمختص بمواهب القرب من النوع الانساني مورد الحقايق الازلية ومصدر رقايقها وجامع جوامع مفرداتها ومنبرها وخطيبها اذ احضر في خطاب قد سها ومحضرها بيت الله المعمور الذي اتخذه لنفسه وجعله ناظما لحقايق انسه مركز مدار نقطة الاكوان ومنبع ينابيع الحكم والعرفان المفيض من بحر مدد الوفا على القابل من اهل المعارف والاصطفا حيث خاطب ذاته الاقدسية بالمنح الانسية

فقال

فانت رسول الله اعظم كائن
عليك مدار الخلق اذ انت قطبه
نوا ذكيت الله دار علومه
ينابيع علم الله منه تفجرت

وانت لكل الخلق بالحق مرسل
وانت منار الحق تعلو وتعدل
وباب عليه منه بالحق يدخل
ففي كل حي منه لله منهل

وبنام

منحت

منحت بسيف الفضل كل مفضل
نظمت نثار الانبيآء فتاجهم
فيا مدة الامداد نقطة خطه
جمال يحول القلب عنك واني
علي علا الله منه تواصلت

فكل له فضل به متسلسل
لديك بانواع الكمال مكمل
ويا دورة الاطلاق اذ يتسلسل
وخوفك لا اسلو ولا اتحول
صلاة اتصال عنه لا تتحول

تخمت ابصار بصاير سكان سدرة المنتهى لجلال جماله وحنت ارواح رؤساء الانبياء الى مشاهدة كماله وتلفتت لفتات انفس الملا الاعلى الى نفائس نفحاته وتطاولت اعناق العقول الى اعين لمحاته ولحظاته فعروج بطائر المستوى الاقدس والطلعة على السر الانفس في احاطته الجامعة وحضرات حظيرة قدسه الواسعة توقفت اشخاص الانبياء في حرم الحرمة على اقدام الخدمة وقامت اشباح الملائكة في معارج الجلال على رجل الاجلال وهامت ارواح العشاق في مقامات الاشواق

كل اليك بكله مشتاق
يهواك ما ناح الحمام بايكه
شوق اليه لا يزال بذكره

وعليه من زفراته احداق
اولاح برق في الدجا خفاق
فجميعه لجميعه عشاق

اشتاق القمر لمشاهدته فانشق فشق مرائر اشقيا المنافقين وحن لمفارقته الجذع فتصدع فانصدعت قلوب الاغبياء المنافقين وبرقت من مشكاة بعثته بوارق طلايع الحقايق وانقادت لدعوته العامة خاصة خلاصة الخلايق ولم يزل يجاهد في الله بصادق عزماته ونظم شتات الاسلام بعد افتراق جماعاته حتى كملت كلمات دينه وحجته البالغة وتمت على سائر امته الامية نعمة السابغة وخير فاختار الرفيق الاعلى وآثر الآخرة على الاولى فنقله الله تعالى قائما على قدم السلامة الى دار السلام وفردوس الكرامة وبوأه اسنى مراقي التكريم في دار المقامة ومنحه اعلى مواهب الشرف في اليوم المشهود فهو الشاهد المشهود والمحمود بالمحامد التي يلهمها للحامد المحمود ذو المنزلة العلية والدرجة السنية في حظاير قدس الاقدسية والمشاهد الانفسية واصل الله عليه نفايس الصلوات وشرايف التسليم ونوامي البركات وعلى آله الاطهار واصحابه الابرار صلاة وسلاما لا ينقطع عنهما امد المدد ولا يحصرهما العدد ابد الابد وبعد

فهذه لطيفة من لطايف نفحات العواطف الرحمانية ومنحة من منح مواهب العطايا الربانية تنبئ عن نبذة من كمال شرف نبينا محمد عليه افضل الصلوات وانمى التسليم واسنى الصلاة وسبق نبوته في الازمان الازلية وثبوت رسالته في الغيابات الاحدية والتبشير باحمديته في الاعصر الخالية والتذكير لمحمديته في الامم الماضية واشراق بوارق لوامع انوار آياته ولادته التي سار ضوء فجرها في سائر بريته وازدهار نجومها في اقطار ملته وعواطف لطائف رضاعه وحضانته وينابيع اسرار سر مسراه وبعثته وهجرته وعوارف معارف عبوديته الشارع عرف

شيدها في افاق قلوب اهل ولايته، ونفايس انفاس احواله الزكيه، ورقايق حقايق سيرته العليه، الى حين نقلته لروضة قدسه الاحديه، ونشر نعته بشرايف الايات، وتكريمه بكباير المعجزات، وترفيعه في اي التنزيل برفعة ذكره وعلو خطره، وتعظيم محاسن شمايله وخلايقه، وتخصيصه بعموم رسالته، ووجوب محبته واتباع طرايقه وسيادته الجامعه لجوامع السودد في مشهد مشاهد المرسلين، وتفضيله بالشفاعة العظمى العامة لعموم الاولين والاخرين، الى غير ذلك من عجايب آياته ومنحه وغرايب اعلام نبوته وحججه، اوردتها حججا قاهرة على الملحدين، وذكرى نافعة للموحدين وتنبيها لعزايم المهتدين، ولم اكن والله اهلا لذلك، ولم ار نفسي فيما هنالك لصعوبة درك المسالك، ومشقة السير في طريق لم يكن لمثلي بسالك، وانما هو نكتة سر قرا في كتاب الشفا بحضرة التخصيص والاصطفا في مكتب التاديب والتعليم في مشهد مشاهد المؤانسة والتكريم، مستجليا في مجالي تجليات الانوار الاحمديه، محاسن صفات خلقته وعظيم اخلاقه الزكيه، ساريا بسر سيرته في منهاج ملته الى سماء هديه الاسنى راتعا في رياض روضة سنته النزيهة الحسنى، مستمدا من فتح الباري، وفيض فضله الساري، فمنحني صاحب هذه المنح من مصون خزاينه، وابرز لي مما اكنه من مكنون دقايقه، فانفتحت بالفتح المحمدي عين بصيرة الاستبصار، وتنزه الناظر في رياض ارتياض دقايق الاسرار، فاستجليت من ابكار مخدرات السنة النبويه من كل صورة معناها، واقتبست من تلالؤ مشكاة مصباح المعارف من كل بارقة اضواها، وانتشقت من كل عبقة صوفية شذاها، واجتنيت من افنان انواع لطايف تاويل اي الكتاب العزيز من كل ثمرة منتهاها، ولا زلت في جنات لطايف هذه المنح اغدو واروح في غبوق وصبوح، حتى انهلت غمايم المعاني على ارض رياض المباني، فانبعثت ازهارها وتكللت بنفايس جواهر العلوم اوراقها، وطابت لمجتني دقايق الحقايق ثمارها، وتدفقت حياض بدايع الفاظها بزلال جوامع كلماتها، وخطب خطيب قلوب ابناء الهوى على منبر الغرام الاقدس يدعو لكمال محاسن الحبيب الانفس، فترنحت بسلاف راح الارتياح نفايس الارواح، وتمايلت بمطربات الحان الحنين الى جمال المحبوب كرايم الاشباح، وزمزم مزمر الصفا بحضرة خلاصة اولي الوفا فانشد امرؤ دا

حضر الحبيب وغاب كل رقيبه عنه ... حسبي نعيم زال عنه حسيبه
داوى فؤاد الوصل عز دوايه ... طوبى لقلبي والحبيب طبيبه
صدق المحب حبيبه في حبه ... فحباه صدق الحب منه حبيبه
لباه لب فؤاده فاجابه ... لما دعاه الى الغرام وجيبه
وبجامع الاهوا جمال حبه ... ولحسنه خطب القلوب خطيبه

فلما سمعت هذه المواهب آذان قلوب اولي الالباب، تلفتت عيون اعيانهم لتلخيص خلاصة جوهر هذا الخطاب في سفر يسفر عن وجه المنح النبويه منيع النقاب، فاطلقت عنان القلم لتحصيل مآربهم وتسطير مطالبهم، جانحا صوب الصواب، مودعا ما كان مستودعا في غيابات الغيب في هذا الكتاب مستعينا في ذلك بالقوي الوهاب حتى اباح الله لي ذلك وتم ما هنالك فاوضحت ما خفي من الدليل ومهدت ما توعر من السبيل **وسميته المواهب اللدنية بالمنح المحمديه** ورتبته على عشرة مقاصد تسهيلا للسالك والقاصد

المقصد الاول في تشريف الله تعالى له عليه الصلاة والسلام بسبق نبوته في سابق ازليته، ولنشره منشور رسالته في مجلس مؤانسته، وكتبه توقيع عنايته في حظاير قدس كرامته، وطهارة نسبه، وبراهين اعلام آيات حمله وولادته، ورضاعه وحضانته، ودقايق حقايق بعثته وهجرته، ولطايف معارف مغازيه وسراياه، وبعوثه وسيرته، مرتبا على السنين من حين نشاته الى وقت وفاته ونقلته لرياض روضته

المقصد الثاني في ذكر اسمايه الشريفة المنبيه عن كمال اخلاقه المنيفه، واولاده الكرام الطاهرين، وازواجه الطاهرات امهات المؤمنين، واعمامه وعماته، واخوته من الرضاعة وجداته، وخدمه ومواليه وحرسه وكتابه وكتبه الى اهل الاسلام بالشرايع والاحكام، ومكاتباته الى الملوك وغيرهم من الانام والاته حروبه ودوابه، والوافدين اليه صلى الله وسلم عليه، وفيه عشرة فصول

المقصد الثالث فيما فضله الله تعالى به من كمال خلقته وجمال صورته وكرمه سبحانه به من الاخلاق الزكيه، وشرفه به من الاوصاف المرضيه، وما تدعو ضرورة حياته اليه صلى الله وسلم عليه، وفيه ثلاثة فصول

المقصد الرابع في معجزاته الدالة على ثبوت نبوته، وصدق رسالته وما اختص به من خصايص اياته، وبدايع كراماته، وفيه فصلان

المقصد الخامس في تخصيصه عليه الصلاة والسلام بخصايص المعراج والاسرا وتعميمه بعموم لطايف التكريم في حضرة التقريب بالمكالمة والمشاهدة والايات الكبرى

المقصد السادس فيما ورد في اي التنزيل من تعظيم قدره ورفعة ذكره وشهادته تعالى له بصدق نبوته وثبوت بعثته، وقسمه تعالى على تحقيق رسالته وعلو منصبه الجليل ومكانته، ووجوب طاعته، واتباع سنته، واخذه تعالى له الميثاق على ساير النبيين فضلا ومنته ان ادركوه ليؤمنن به ولينصرنه، والتنويه به في الكتب السالفة كالتوراة والانجيل بانه صاحب الرسالة والتبجيل، وفيه عشرة انواع

المقصد السابع في وجوب محبته واتباع سنته والاهتدا بهديه وطريقته، وفرض محبة آله واصحابه وقرابته وعترته، وحكم الصلاة والتسليم عليه زاده الله فضلا وشرفا لديه، وفيه ثلاثة فصول

المقصد الثامن في طبه صلى الله عليه وسلم لذوي الامراض والعاهات وتعبيره الرؤيا وانبايه بالانبا المغيبات، وفيه ثلاثة فصول

المقصد التاسع في لطيفة من حقايق عباداته، وتشتمل على سبعة انواع

المقصد العاشر في اتمامه تعالى نعمته عليه بوفاته ونقلته اليه وزيارة قبره الشريف ومسجده

المنيف وتفضيله في الآخرة بفضايل الاوليات الجامعة لمزايا التكريم والدرجات العليات
وتشريفه بخصايص الزلفى في مشهد مشاهد الانبياء والمرسلين وتخصيصه بالشفاعة
والمقام المحمود وانفراده بالسودد في مجمع جامع الاولين والآخرين وترقيه في جنة عدن
ارقى مدارج السعادة وتعاليه في يوم المزيد اعلى معالي الحسنى وزيادة وفيه ثلاثة
فصول والله تعالى جلت عظمته اسال بوجاهة وجهه الوجيه وبنبيه
النبيه ان يمدني في هذا الكتاب العزيز بمدد الاقبال والقبول ويبلغني ومن كتبه
او قراه او سمعه والمسلمين من العواطف النبوية لطايف السول ونهاية المامول
وعلى الله قصد السبيل وهو حسبنا ونعم الوكيل **المقصد الاول**
في تشريف الله تعالى له عليه الصلاة والسلام بسبق نبوته في سوابق ازليته
ونشره منشور رسالته في مجلس موانسته وكتبه توقيع عنايته في خطاير قدس
كرامته وطهارة نسبه وبراهين اعلام آيات حمله وولادته ورضاعته وحضانته
ومقابق خصايص بعثته وهجرته ولطايف معارف مغازيه وسراياه وبعوثه وسيرته
مرتبا على السنين من حين نشاته الى وقت وفاته ونقلته الى رياض روضته **اعلم**
يا ذا العقل السليم والمتصف باوصاف الكمال والتتميم وفقني الله واياك بالهداية
الى الصراط المستقيم انه لما تعلقت ارادة الحق تعالى بايجاد خلقه وتقدير رزقه
ابرز الحقيقة المحمدية من الانوار الصمدية في الحضرة الاحدية ثم سلخ منها العوالم
كلها علوها وسفلها على صورة حكمه كما سبق في سابق ارادته وعلمه ثم اعلمه تعالى
بنبوته وبشره برسالته **هذا** وآدم لم يكن الا كما قال بين الروح والجسد
ثم انبجست منه صلى الله عليه وسلم عيون الارواح فظهر بالملا الاعلى وهو بالمنظر
الاجلى فكان لهم المورد الاحلى فهو **صلى الله عليه وسلم** الجنس العالي على جميع
الاجناس والاب الاكبر لجميع الموجودات والناس **ولما** انتهى الزمان بالاسم الباطن
في حقه صلى الله عليه وسلم الى وجود جسمه وارتباط الروح به انتقل حكم الزمان الى الاسم
الظاهر فظهر محمد صلى الله عليه وسلم بكليته جسما وروحا وهو صلى الله عليه وسلم
وان تاخرت طينته فقد عرفت قيمته وهو خزانة السر وموضع نفوذ الامر
فلا ينفذ امر الا منه ولا ينقل خير الا عنه **وقال**

> الا بابي من كان ملكا وسيدا ۞ وآدم بين الماء والطين واقف
> فذاك الرسول الابطحي محمد ۞ له في العلا مجد تليد وطارف
> اتى لزمان السعد في آخر المدى ۞ وكان له في كل عصر مواقف
> اتى لانكسار الدهر يجبر صدعه ۞ واثنت عليه السن وعوارف
> اذا رام امرا لا يكون خلافه ۞ وليس لذاك الامر في الكون صارف

خرج مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال ان الله عز وجل كتب مقادير الخلق قبل ان يخلق السموات والارض
بخمسين الف سنة وكان عرشه على الماء ومن جملة ما كتب في الذكر وهو ام الكتاب
ان محمدا خاتم النبيين **وعن** العرباض بن سارية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
اني عند الله لخاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته رواه احمد والبيهقي
والحاكم وقال صحيح الاسناد **وقوله** لمنجدل يعني طريحا ملقى على الارض قبل نفخ الروح
فيه **وعن** ميسرة الضبي قال قلت يا رسول الله متى كنت نبيا قال وآدم بين الروح
والجسد **هذا** لفظ رواية الامام احمد ورواه البخاري في تاريخه وابو نعيم في الحلية
وصححه الحاكم **واما** ما اشتهر على الالسنة بلفظ كنت نبيا وآدم بين الماء والطين فقال
شيخنا الحافظ ابو الخير السخاوي في كتابه المقاصد الحسنة لم نقف عليه بهذا اللفظ انتهى
وقال الحافظ ابن رجب في اللطايف وبعضهم يرويه متى كتبت نبيا من الكتابة انتهى
قلت كذا رويناه في جزء من حديث ابي عمرو اسماعيل بن نجيد ولفظه متى كتبت
نبيا قال كتبت نبيا وآدم بين الروح والجسد فتحمل هذه الرواية مع رواية العرباض
ابن سارية على وجوب نبوته وثبوتها وظهورها في الخارج فان الكتابة تستعمل فيما هو واجب
قال تعالى كتب عليكم الصيام وكتب الله لاغلبن **وقوله** في رواية احمد اني عند الله
في ام الكتاب فيه اشارة الى ان نبوته صلى الله عليه وسلم كانت مذكورة معروفة
من قبل خلقه صلى الله عليه وسلم وانه كان مكتوبا في ام الكتاب من قبل نفخ الروح في آدم
عليه السلام وقد فسر ام الكتاب باللوح المحفوظ وبالذكر في قوله تعالى يمحو الله ما يشاء
ويثبت وعنده ام الكتاب ولا ريب ان علم الله تعالى قديم ازلي ثم انه تعالى كتب ذلك في كتاب
عنده قبل ان يخلق السموات والارض كما دل عليه حديث عبد الله بن عمرو السابق ثم حينئذ
انتقلت المخلوقات من مرتبة العلم الى مرتبة الكتابة وهو نوع من انواع الوجود الخارجي
وقوله اني عند الله في ام الكتاب لخاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته المراد منه
الاخبار عن كون ذلك مكتوبا في ام الكتاب قبل نفخ الروح في آدم وهو اول ما خلق من النوع
الانساني **وفي حديث** الاخر انه في تلك الحالة وجبت له النبوة وهذه مرتبة ثالثة
وهو انتقاله من مرتبة العلم والكتابة الى مرتبة الوجود العيني الخارجي فانه صلى الله عليه
وسلم كما سياتي استخرج حينئذ من ظهر آدم ونبي فصارت نبوته موجودة في الخارج
بعد ان كانت مكتوبة مقدرة في ام الكتاب **وعن** ابي هريرة انهم قالوا يا رسول الله متى وجبت
لك النبوة قال وآدم بين الروح والجسد رواه الترمذي وقال حديث حسن **وروينا**
في جزء من امالي ابي سهل القطان عن سهل بن صالح الهمداني قال سالت ابا جعفر محمد بن علي
كيف صار محمد صلى الله عليه وسلم مقدم الانبياء وهو آخر من بعث قال ان الله تعالى لما اخذ
من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم كان محمد صلى الله عليه
وسلم اول من قال بلى ولذلك صار مقدم الانبياء وهو آخر من بعث **فان قلت**
ان النبوة وصف لا بد ان يكون الموصوف به موجودا وانما يكون بعد بلوغ اربعين سنة ايضا
فكيف يوصف به قبل وجوده وارساله **اجاب** الغزالي في كتابه النفخ والتسوية عن هذا
وعن قوله عليه الصلاة والسلام انا اول الانبياء خلقا وآخرهم بعثا بان المراد بالخلق هنا
التقدير دون الايجاد فانه قبل ان ولدته امه لم يكن موجودا مخلوقا ولكن الغايات والكمالات

سابقة في التقدير لاحقة في الوجود قال وهو معنى قولهم اول الفكر آخر العمل وآخر العمل
اول الفكرة **وبيانه** ان المهندس المقدر للدار اول ما يتمثل في نفسه صورة الدار فيحصل
في تقديره دارا كاملة وآخر ما يوجد من اعماله هي الدار الكاملة فالدار الكاملة هي اول
الاشياء في حقه تقديرا وآخرها وجودا لان ما قبلها من ضرب اللبنات وبناء الحيطان وتركيب
الجذوع وسيلة الى غاية وكمال وهي الدار فالغاية هي الدار ولاجلها تقوم الآلات والاعمال
ثم قال واما قوله عليه الصلاة والسلام كنت نبيا فاشارة الى ما ذكرناه وانه كان
نبيا في التقدير قبل تمام خلقة آدم عليه السلام لانه لم ينشأ خلق آدم الا لينتزع من ذريته
محمد صلى الله عليه وسلم ويستصفى تدريجا الى ان بلغ كمال الصفا قال ولا تفهم هذه
الحقيقة الا بان تعلم ان للدار وجودين وجودا في ذهن المهندس ودماغه وانه ينظر الى صورة
الدار خارج الذهن في الاعيان والوجود الذهني سبب الوجود الخارج العيني فهو سابق لا محالة
وكذلك ان الله تعالى يقدر ثم يوجد على وفق التقدير ثانيا انتهى **وهو** منتقض بقول الشيخ
تقي الدين السبكي انه قد جاء ان الله خلق الارواح قبل الاجساد فقد تكون الاشارة بقوله كنت نبيا
الى روحه الشريفة او الى حقيقة من الحقائق والحقائق تقصر عقولنا عن معرفتها وانما يعلمها
خالقها ومن امده الله بنور الهي ثم ان تلك الحقائق يؤتي الله كل حقيقة منها ما يشاء في الوقت
الذي يشاء فحقيقة النبي صلى الله عليه وسلم قد تكون من قبل خلق آدم آتاها الله ذلك الوصف
بان يكون خلقها متهيئة لذلك وافاضه عليها من ذلك الوقت فصار نبيا وكتب اسمه على العرش
واخبر عنه بالرسالة ليعلم ملائكته وغيرهم كرامته عنده فحقيقته موجودة من ذلك
الوقت وان تأخر جسده الشريف المتصف بها واتصاف حقيقته بالاوصاف الشريفة
المفاضة عليه من الحضرة الالهية وانما يتأخر البعث والتبليغ وكل ما له من جهة الله ومن جهة
تأهل ذاته الشريفة وحقيقته معجل لا تأخر فيه وكذلك استنباؤه وايتاؤه الكتاب والحكم
والنبوة وانما المتأخر تكونه وتنقله الى ان ظهر صلى الله عليه وسلم وقد علم من هذا ان من فسره
بعلم الله تعالى بانه سيصير نبيا لم يصل الى هذا المعنى لان علم الله تعالى محيط بجميع الاشيا
ووصف النبي صلى الله عليه وسلم بالنبوة في ذلك الوقت ينبغي ان نفهم منه انه امر ثابت له
في ذلك الوقت ولو كان المراد بذلك مجرد العلم بما سيصير في المستقبل لم يكن له خصوصية
بانه نبي وآدم بين الروح والجسد لان جميع الانبياء يعلم الله نبوتهم في ذلك الوقت وقبله فلا بد
من خصوصية للنبي صلى الله عليه وسلم لاجلها اخبر بهذا الخبر اعلاما لامته ليعرفوا قدره
عند الله تعالى **وعن** الشعبي قال رجل يا رسول الله متى استنبئت قال وآدم بين الروح
والجسد حين اخذ مني الميثاق رواه ابن سعد من رواية جابر الجعفي فيما ذكره ابن رجب
فهذا يدل على انه من حين صور آدم طينا استخرج منه محمد صلى الله عليه وسلم
ونبئ واخذ منه الميثاق ثم اعيد الى ظهر آدم حتى يخرج وقت خروجه الذي قدر الله
خروجه فيه فهو اولهم خلقا لا يقال آدم خلق قبله لان آدم حينئذ كان مواتا لا روح فيه
ومحمد صلى الله عليه وسلم كان حيا حين استخرج ونبئ واخذ منه ميثاقه فهو اول
النبيين خلقا وآخرهم بعثا **فان قلت** ان استخراج ذرية آدم منه كان بعد نفخ الروح

فيه ودل عليه اكثر الاحاديث والذي تقرر عندنا انه استخرج ونبئ قبل نفخ الروح في آدم عليه السلام
اجاب بعضهم بانه صلى الله عليه وسلم خص باستخراجه من ظهر آدم قبل نفخ الروح فان محمدا
صلى الله عليه وسلم هو المقصود من خلق النوع الانساني وهو عينه وخلاصته وواسطة
عقده والاحاديث السابقة صريحة في ذلك والله اعلم **وروى** عن علي بن ابي طالب انه قال
لم يبعث الله تعالى نبيا من آدم فمن بعده الا اخذ عليه العهد في محمد صلى الله عليه وسلم
لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ويأخذ العهد بذلك على قومه وهو مروي عن ابن
عباس ايضا ذكره العماد بن كثير في تفسيره **وقيل** ان الله تعالى لما خلق نور نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم امره ان ينظر الى انوار الانبياء عليهم السلام فغشيهم من نوره
ما انطقهم الله به وقالوا يا ربنا من غشينا نوره فقال الله تعالى هذا نور محمد بن عبد الله
ان آمنتم به جعلتكم انبياء قالوا آمنا به وبنبوته فقال الله تعالى اشهد عليكم قالوا نعم
فذلك قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول
مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه الى قوله وانا معكم من الشاهدين **قال** الشيخ
تقي الدين السبكي في هذه الآية الشريفة من التنويه بالنبي صلى الله عليه وسلم وتعظيم قدره
العلي ما لا يخفى وفيه مع ذلك انه على تقدير مجيئه في زمانهم يكون مرسلا اليهم فتكون
نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق من زمن آدم الى يوم القيمة وتكون الانبيا واممهم
كلهم من امته ويكون قوله وبعثت الى الناس كافة لا يختص به الناس من زمانه الى يوم
القيمة بل يتناول من قبلهم ايضا ويتبين بذلك معنى قوله صلى الله عليه وسلم كنت
نبيا وآدم بين الروح والجسد **ثم قال** فاذا عرف هذا فالنبي صلى الله عليه وسلم
نبي الانبياء ولهذا اظهر ذلك في الآخرة جميع الانبياء تحت لوائه وفي الدنيا كذلك ليلة
الاسرا صلى بهم ولو اتفق مجيئه في زمن آدم ونوح وابرهيم وموسى وعيسى صلوات الله
وسلامه عليهم وجب عليهم وعلى اممهم الايمان به ونصرته وبذلك اخذ الله عليهم الميثاق انتهى
وسيأتي ان شاء الله تعالى مزيد لذلك في المقصد السادس **وذكر** العارف
الرباني عبد الله بن ابي جمرة في كتابه بهجة النفوس ومن قبله ابن سبع في شفاء الصدور
عن كعب الاحبار قال لما اراد الله تعالى ان يخلق محمدا امر جبريل ان يأتيه بالطينة
التي هي قلب الارض وبهاؤها ونورها قال فهبط جبريل في ملائكة الفردوس وملائكة
الرفيق الاعلى فقبض قبضة رسول الله صلى الله عليه وسلم من موضع قبره الشريف
وهي بيضاء منيرة فعجنت بماء التسنيم في معين انهار الجنة حتى صارت كالدرة البيضاء
لها شعاع عظيم ثم طافت بها الملائكة حول العرش والكرسي وفي السموات والارض والجبال
والبحار فعرفت الملائكة وجميع الخلق سيدنا محمدا وفضله قبل ان يعرف آدم عليه السلام
وقيل لما خاطب الله السماء والارض بقوله ائتيا طائعين اجاب موضع الكعبة الشريفة
ومن السماء ما حاذاها **وقد** قال ابن عباس اصل طينة رسول الله صلى الله عليه وسلم
من سرة الارض بمكة وقال بعض العلماء هذا يشعر بان ما اجاب من الارض الا ذرة
المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم ومن موضع الكعبة دحيت الارض فصار رسول الله صلى الله

عليه وسلم هو الاصل في التكوين والكائنات تبع له وقيل لذلك سمي اميا لان مكة ام القرى
وذرته ام الخليقة **فان قلت** تربة الشخص مدفنه فكان مقتضى هذا ان يكون مدفنه
عليه الصلاة والسلام بمكة حيث كانت تربته منها **فقد** اجاب عنه صاحب عوارف
المعارف افاض الله علينا من عوارفه وتعطف علينا بعواطفه بانه قيل ان الماء لما تموج
رمى الزبد الى النواحي فوقعت جوهرة النبي صلى الله عليه وسلم الى ما يحاذي تربته
بالمدينة فكان صلى الله عليه وسلم مكيا مدنيا حنينه الى مكة وتربته بالمدينة انتهى
وفي المولد الشريف لابن طغربك ويروى انه لما خلق الله ادم الهمه ان قال يا رب
لم كنيتني ابا محمد قال الله تعالى يا ادم ارفع راسك فرفع راسه فراى نور محمد
في سرادق العرش فقال يا رب ما هذا النور قال هذا نور نبي من ذريتك اسمه في السماء
احمد وفي الارض محمد لولاه ما خلقتك ولا خلقت سماء ولا ارضا **ويشهد** لهذا ما رواه
الحاكم في صحيحه ان ادم عليه السلام راى اسم محمد مكتوبا على العرش وان الله تعالى قال
لادم لولا محمد ما خلقتك ولله در من قال

وكان لدى الفردوس في زمن الرضى ۞ واثواب شمل الانس محكمة السدا
يشاهد في عدن ضياء مشعشعا ۞ يزيد على الانوار في الضوء والهدا
فقال الهي ما الضياء الذي ارى ۞ جنود السما تغشو اليه ترددا
فقال نبي خير من وطئ الثرى ۞ وافضل من في الخير راح او اغتدا
تخيرته من قبل خلقك سيدا ۞ والبسته قبل النبيين سوددا

فان قلت ان مذهب الاشاعرة ان افعال الله تعالى ليست معللة بالاغراض فكيف
تكون خلقة محمد علة في خلق ادم صلى الله عليهما وسلم **اجيب** بان الظاهر من الادلة
تعليل بعض الافعال بالحكم والمصالح التي هي غايات ومنافع لافعاله تعالى لا بواعث
على اقدامه ولا علل مقتضية لفاعليته لان ذلك محال في حقه تعالى لما فيه من استكماله
بغيره والنصوص شاهدة بذلك كقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي
قرنت الخلق بالعبادة اي خلقتهم وفرضت عليهم العبادة فالتعليل لفظي لا حقيقي لان الله
تعالى مستغن عن المنافع فلا يكون فعله لمنفعة راجعة اليه ولا الى غيره لان الله تعالى
قادر على ايصال المنفعة الى الغير من غير واسطة العمل **وروى** عبد الرزاق بسنده
عن جابر بن عبد الله الانصاري قال قلت يا رسول الله بابي انت وامي اخبرني عن اول شيء
خلقه الله تعالى قبل الاشياء قال يا جابر ان الله تعالى خلق قبل الاشياء نور نبيك من نوره
فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة
ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا ارض ولا شمس ولا قمر ولا جني ولا انسي فلما اراد الله تعالى ان يخلق
الخلق قسم ذلك النور اربعة اجزاء فخلق من الجزء الاول القلم ومن الثاني اللوح ومن الثالث
العرش **ثم** قسم الجزء الرابع اربعة اجزاء فخلق من الاول حملة العرش ومن الثاني الكرسي
ومن الثالث باقي الملائكة ثم قسم الرابع اربعة اجزاء فخلق من الاول السموات ومن الثاني
الارضين ومن الثالث الجنة والنار ثم قسم الرابع اربعة اجزاء فخلق من الاول نور ابصار

المؤمنين

المؤمنين ومن الثاني نور قلوبهم وهي المعرفة بالله ومن الثالث نور انسهم وهو التوحيد لا اله
الا الله محمد رسول الله الحديث وقد اختلف هل القلم اول المخلوقات بعد النور المحمدي
فقال الحافظ ابو يعلى الهمداني الاصح ان العرش قبل القلم لما ثبت في الصحيح عن عبد الله
ابن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قدر الله مقادير الخلق قبل ان يخلق
السموات والارض بخمسين الف سنة وكان عرشه على الماء فهذا صريح ان التقدير
وقع بعد خلق العرش والتقدير وقع عند اول خلق القلم لحديث عبادة بن الصامت مرفوعا
اول ما خلق الله القلم قال له اكتب قال يا رب وما اكتب قال اكتب مقادير كل شيء رواه احمد
والترمذي وصححه وروى احمد والترمذي وصححه ايضا من حديث ابي رزين العقيلي
مرفوعا ان الماء خلق قبل العرش وروى السدي باسانيد متعددة ان الله لم يخلق شيئا
مما خلق قبل الماء فيجمع بينه وبين ما قبله بان اولية القلم بالنسبة الى ما عدا النور النبوي
المحمدي والماء والعرش انتهى **وقيل** الاولية في كل شيء بالاضافة الى جنسه اي اول
ما خلق الله من الانوار نوري وكذا في باقيها وفي احكام ابن القطان مما ذكره ابن مرزوق
عن علي بن الحسين عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت نورا بين
يدي ربي قبل خلق آدم باربعة عشر الف عام وفي الخبر لما خلق الله تعالى آدم جعل ذلك
النور النبوي المحمدي في ظهره فكان يلمع في جبينه فيغلب على سائر نوره ثم رفعه الله
تعالى على سرير مملكته وحمله على اكتاف ملائكته وامرهم فطافوا به في السموات
ليرى عجائب ملكوته قال جعفر بن محمد مكثت الروح في راس آدم مائة عام وفي صدره
مائة عام وفي ساقيه وقدميه مائة عام ثم علمه الله تعالى اسماء جميع المخلوقات ثم امر
الملائكة بالسجود له فسجدوا الا ابليس فطرده الله تعالى وابعده واخزاه وكان السجود
لادم سجود تعظيم وتحية لا سجود عبادة كسجود اخوة يوسف له فالمسجود له في الحقيقة
هو الله تعالى وادم كالقبلة وروي عن جعفر الصادق انه قال كان اول من سجد لادم
جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم عزرائيل ثم الملائكة المقربون وعن ابي الحسن النقاش
اول من سجد اسرافيل قال ولذا جوزي بتولية اللوح المحفوظ وعن ابن عباس كان يوم
الجمعة من وقت الزوال الى العصر ثم خلق الله تعالى له حواء زوجته من ضلع من اضلاعه
اليسرى وهو نائم وسميت حواء لانها خلقت من حي فلما استيقظ وراها سكن اليها ومد يده
اليها فقالت الملائكة مه يا آدم قال ولم وقد خلقها الله لي فقالوا حتى تؤدي مهرها
قال وما مهرها قالوا ان تصلي على محمد صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات وذكر ابن الجوزي
في كتاب سلوة الاحزان انه لما رام القرب منها طلبت منه المهر قال يا رب وماذا اعطيها
قال يا آدم صلي على حبيبي محمد بن عبد الله عشرين مرة ففعل ثم ان الله تعالى اباح لهما
نعيم الجنة ونهاهما عن شجرة الحنطة وقيل شجرة العنب وقيل شجرة التين فحسدهما
ابليس فهو اول من حسد وتكبر فاتى الى باب الجنة فاحتال حتى دخل الجنة واتى الى آدم
وحواء فوقف وناح نياحة احزنتهما فهو اول من ناح فقالا ما يبكيك قال عليكما تموتان
وتفقدان النعيم الا ادلكما على شجرة الخلد فكلا منها وحلف لهما انه ناصح فهو اول من حلف

كاذبا واول من غش فاكلت حوا منها ثم زينت لادم حتى اكل وظنا ان احدا لا يتجاسر ان
يحلف بالله كاذبا فقال الله تعالى يا آدم الم يكن فيما ابحتك من الجنة مندوحة عن الشجرة قال بلى
يا رب ولكن ظننت ان احدا لا يحلف بك كاذبا فقال الله تعالى وعزتي وجلالي لاهبطنك الى الارض
لاتنال العيش الا كدا فاهبط من الجنة وعن ابن عباس قال الله تعالى يا آدم ما حملك على
ما صنعت قال زينته لي حوا قال فاني اعقبها ان لا تحمل الا كرها ولا تضع الا كرها ولادميتها
في الشهر مرتين وقال وهب بن منبه لما اهبط ادم الى الارض مكث يبكي ثلثماية سنة
لا يرقا له دمع وقال المسعودي لو ان دموع اهل الارض جمعت لكانت دموع آدم اكثر
حيث اخرجه الله من الجنة وقال مجاهد بكى ادم ماية عام لا يرفع راسه الى السما وانبت الله
من دموعه العود الرطب والزنجبيل والصندل وانواع الطيب وبكت حوا حتى انبت الله
من دموعها القرنفل والافاوي يا بني آدم انظر كيف بكى ابوكم على فعلة واحدة ثلثماية سنة
فكيف بكم يا ارباب الكباير العظيمة فاعتبروا يا اولي الابصار كان كلما راى الملايكة تصعد وتهبط
ازداد شوقا الى الاوطان وتذكر العهد والجيران يا اصحاب الذنوب احذروا زلة يقول فيها
الحبيب هذا فراق بيني وبينك فيا ذا العقل السليم انظر كيف حط ابوك آدم على سرير الملك
ثم مد يده الى لقمة نهي عنها فاخرج من الجنة فاحذروا يا بنيه عواقب المعاصي فانها من نزلته
نزلت به وحطته عن مرتبته فان قلت هذه الفعلة التي اهبط بها آدم من الجنة
ان كانت كبيرة فالكبيرة لا تجوز على الانبيا وان كانت صغيرة فلم جرى عليه ما جرى بسببها
من نزع اللباس والاخراج من الجنة وغير ذلك اجاب الزمخشري بانها ما كانت الا صغيرة
مغمورة باعمال قلبه من الاخلاص والافكار الصالحة التي هي اجل الطاعات واعظم الاعمال
وانما جرى عليه ما جرى تعظيما للخطية وتفظيعا لشانها وتهويلا ليكون ذلك لطفا له ولذريته
في اجتناب الخطايا واتقاء المآثم يا هذا انظر كم لله من لطف وحكمة في اهباط آدم
من الجنة الى الارض لولا نزوله لما ظهر جهاد المجاهدين واجتهاد العابدين المجتهدين
ولا صعدت زفرات انفاس التائبين ولا نزلت قطرات دموع المذنبين يا آدم ان كنت
اهبط من دار القرب فاني قريب اجيب دعوة الداعي اذا دعاني ان كان تحصل لك بالاخراج
من الجنة كسر فانا عند المنكسرة قلوبهم من اجلي ان كان فاتك في السما زجل التسبيح فقد نعوضك
في الارض انين المذنبين انين المذنبين احب الينا من تسبيحهم زجل التسبيح ربما
يشوبه الافتخار وانين المذنبين يزينه الانكسار فلو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجا
بقوم يذنبون ثم يستغفرون فيغفر لهم سبحان من اذاق عبده في الجنة
قلبها محنا واذا اخذل عبدا لم ينفعه كثرة اجتهاده وكان عليه وبالا لعن ادم محنه
والقى عليه ما يقبل به توبته وطرد ابليس اللعين بعد طول خدمته فصار عمله هباء منثورا
قال اخرج منها فانك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين اذا وضع عدله على عبد لم تبق
له حسنة واذا بسط فضله على عبد لم تبق له سيئة انظر لما ظهرت فضايل آدم عليه
السلام على الخلايق بالعلم وكان العلم لا يكمل الا بالعمل بمقتضاه والجنة ليست دار عمل
ومجاهدة انما هي دار نعيم ومشاهدة قيل له يا آدم اهبط الى الارض للجهاد وصار جنود الغ

بالجهد والاجتهاد وكانك بالعيش الماضي وقد عاد على اكمل من ذلك المعتاد لما ظهر ابليس عليه
اللعنة الحسد سعى في الاذى حتى كان السبب في اخراج السيد آدم من الجنة وما زاد الا بلة
ان آدم اذا اخرج من الجنة كملت فضايله ثم عاد الى الجنة على اكمل من الحال الاول قالوا وفيه
اشارة كان الله تعالى يقول لو تعودون في الجنة لما تبين كرمي بان اغفر لنفس واحدة بل اخرجتم
الى الدنيا وآتي بالوف من العصاة حتى اغفر لهم وظهر ليتبين جودي وكرمي وايضا علم الله تعالى
ان في صلبه الاولاد والجنة ليست دار توالد وايضا ليخرج من ظهره من لا نصيب له في الجنة
يا هذا الجنة ان شا الله تعالى اقطاعنا وقد وصل منشور الاقطاع مع جبريل عليه السلام
الى نبينا صلى الله عليه وسلم وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجري من تحتها
الانهار انما يخرج الاقطاع عمن خرج عن الطاعة نسال الله التوفيق وقد اختلف
في الجنة التي سكنها آدم فقيل هي جنة الخلد وقيل غيرها جعلها الله دار ابتلا لان جنة
الخلد انما يدخل اليها يوم القيمة وبانها دار جزاء وثواب لا دار تكليف وامر ونهي ودار سلامة
لا دار ابتلا وامتحان ودار قرار لا دار انتقال واحتج القايلون بانها جنة الخلد بان الدخول
العارض قد يقع قبل يوم القيمة وقد دخلها نبينا صلى الله عليه وسلم ليلة الاسرا وبان
ما ذكروه من ان الجنة لا يوجد فيها ما وجد آدم من الحزن والتعب فانما هو اذا دخلها المومنون
يوم القيمة كما يدل عليه سياق الآيات كلها فان نفي ذلك مقرون بدخول المومنين اياها
والله اعلم انتهى وروى انه لما اخرج آدم من الجنة راى مكتوبا على ساق العرش وعلى
كل موضع في الجنة اسم محمد صلى الله عليه وسلم مقرونا باسم الله تعالى فقال يا رب هذا محمد
من هو فقال الله تعالى هذا ولدك الذي لولاه ما خلقتك فقال يا رب بحرمة هذا الولد ارحم
هذا الوالد فنودي يا آدم لو تشفعت الينا بمحمد في اهل السموات والارض لشفعناك وعن
عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اقترف آدم الخطيئة قال يا رب
اسالك بحق محمد الا ما غفرت لي فقال الله تعالى يا آدم وكيف عرفت محمدا ولم اخلقه قال
لانك يا رب لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت راسي فرايت على قوايم العرش
مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انك لم تضف الى اسمك الا احب الخلق اليك
فقال الله تعالى صدقت يا آدم انه لاحب الخلق الي واذ سالتني بحقه فقد غفرت لك
ولولا محمد لما خلقتك رواه البيهقي في دلايله من حديث عبد الرحمن بن زيد بن اسلم وقال
تفرد به عبد الرحمن ورواه الحاكم وصححه وذكره الطبراني وزاد فيه وهو آخر الانبياء
من ذريتك وفي حديث سلمان عند ابن عساكر قال هبط جبريل على النبي صلى الله عليه
وسلم فقال ان ربك يقول ان كنت اتخذت ابرهيم خليلا فقد اتخذتك حبيبا وما خلقت خلقا
اكرم علي منك ولقد خلقت الدنيا واهلها لاعرفهم كرامتك ومنزلتك عندي ولولاك ما خلقت الدنيا
ولله در العارف سيدي علي وفا حيث قال في قصيدة مدح النبي اولها

سكن الفواد فعش هنيا يا جسد ... هذا النعيم هو المقيم الى الابد
روح الوجود حياة من هو واجد ... لولاه ما تم الوجود لمن وجد
عيسى وآدم والصدور جميعهم ... هم اعين هو نورها لما ورد

لو ابصر الشيطان طلعة نوره ... في وجه آدم كان اول من سجد
او لو رأى النمرود نور جماله ... عبد الجليل مع الخليل ولا عند
لكن جمال الله جل فلا يُرى ... الا بتخصيص من الله الصمد

ولما خلق الله تعالى حوا لتسكن الى آدم وليسكن اليها حين صار لديها فاضت بركاته عليها
فولدت له في تلك الاعوام الحسنا اربعين ولدا في عشرين بطنا ووضعت شيثا وحده
كرامة لمن اطلع الله بالنبوة سعده ولما توفي آدم وكان شيث عليه السلام وصيا
على ولده ثم اوصى شيث ولده بوصية آدم ان لا يضع هذا النور الا في المطهرات من النساء
ولم تزل هذه الوصية جارية تنتقل من قرن الى قرن الى ان ادى الله النور الى عبد المطلب
وولده عبد الله وطهر الله تعالى هذا النسب الشريف من سفاح الجاهلية كما ورد عنه
صلى الله عليه وسلم في الاحاديث المرضية قال ابن عباس فيما رواه البيهقي في سننه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ولدني من سفاح الجاهلية شيء ما ولدني الا نكاح
الاسلام والسفاح بكسر السين المهملة الزنا المراد به ههنا ان المرأة تسافح رجلا مدة
ثم يتزوجها بعد ذلك وروى ابن سعد وابن عساكر عن هشام بن محمد بن السايب الكلبي
عن ابيه قال كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمسماية ام فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا
مما كان في امر الجاهلية وعن علي بن ابي طالب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خرجت
من نكاح ولم اخرج من سفاح من لدن آدم الى ان ولدني ابي وامي لم يصبني من سفاح اهل
الجاهلية شيء رواه الطبراني في الاوسط وابو نعيم وابن عساكر وروى ابو نعيم عن ابن عباس
مرفوعا لم يلتق ابواي قط على سفاح لم يزل الله ينقلني من الاصلاب الطيبة الى الارحام
الطاهرة مصفا مهذبا لا تتشعب شعبتان الا كنت في خيرهما وعنه في قوله تعالى وتقلبك
في الساجدين قال من نبي الى نبي حتى اخرجتك نبيا رواه البزار وعنه ايضا في الاية
قال ما زال النبي صلى الله عليه وسلم يتقلب في اصلاب الانبياء حتى ولدته امه رواه ابو نعيم
وروى جعفر بن محمد عن ابيه في قوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم قال
لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية قال وقال النبي صلى الله عليه وسلم خرجت من نكاح غير
سفاح وعن انس قال قرا صلى الله عليه وسلم لقد جاءكم رسول من انفسكم بفتح الفاء
وقال انا انفسكم نسبا وصهرا وحسبا ليس في آبائي من لدن آدم سفاح كلنا نكاح رواه
ابن مردوية وفي الدلايل لابي نعيم عن عايشة عنه صلى الله عليه وسلم عن جبريل
قال قلبت مشارق الارض ومغاربها فلم ار رجلا افضل من محمد عليه افضل الصلاة
والسلام ولم ار بني اب افضل من بني هاشم كذا اخرجه الطبراني في الاوسط وقال الحافظ
شيخ الاسلام ابن حجر لوايح الصحة ظاهرة على صفحات هذا المتن وفي البخاري عن ابي هريرة
عنه صلى الله عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن
الذي كنت منه وفي مسلم عن واثلة بن الاسقع قال صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى
كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني
من بني هاشم رواه الترمذي وعن العباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان الله خلق الخلق فجعلني في خير فرقهم وخير الفريقين ثم تخير القبايل فجعلني في خير القبيلة
ثم تخير البيوت فجعلني في خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا رواه الترمذي هكذا
منفردا به وقال حديث حسن اي خيرهم روحا وذاتا وخيرهم بيتا اي اصلا وفي حديث رواه
الطبراني عن ابن عمر قال ان الله اختار خلقه فاختار منهم بني آدم ثم اختار بني آدم فاختار
منهم العرب ثم اختارني من العرب فلم ازل خيارا من خيار الا من احب العرب فبحبي احبهم
ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم ثم اعلم انه عليه السلام لم يشركه في ولادته من ابويه
اخ ولا اخت لانتهاء صفوتهما اليه وقصور نسبهما عليه ليكون مختصا بنسب جعله الله للنبوة
غاية وتمام الشرف نهاية وانت اذا اختبرت حال نسبه الشريف وعلمت طهارة مولده
تيقنت انه سلالة آباء كرام فهو صلى الله عليه وسلم النبي العربي الابطحي الحرمي الهاشمي
القرشي نخبة بني هاشم المختار المنتخب من خير بطون العرب واعرقها في النسب واشرفها
في الحسب وانضرها عودا واطولها عمودا واطيبها ارومة واعزها جرثومة وافصحها
لسانا واوضحها بيانا وارجحها ميزانا واصحها ايمانا واعزها نفرا واكرمها معشرا من قبل
ابيه وامه ومن اكرم بلاد الله على الله وعلى عباده فهو محمد بن عبد الله الذبيح بن عبد
المطلب واسمه شيبة الحمد في قول ابن اسحق وهو الصحيح وقيل سمي به لانه ولد
وفي رأسه شيبة وقيل اسمه عامر وهو قول ابن قتيبة وتابعه عليه المجد الشيرازي
وكنيته ابو الحارث بابن له اكبر ولده قيل وانما قيل له عبد المطلب لان اباه هاشما قال لاخيه
المطلب وهو بمكة حين حضرته الوفاة ادرك عبدك بيثرب فمن ثم سمي عبد المطلب وقيل
ان عمه المطلب جاء به الى مكة رديفه وهو بهيئة بذة فكان يسأل عنه فيقول هو عبدي
حيا ان يقول ابن اخي فلما ادخله واحسن من حاله اظهر انه ابن اخيه فلذلك قيل له عبد
المطلب وهو اول من خضب بالسواد من العرب وعاش مائة واربعين سنة ابن هاشم
واسمه عمرو وانما قيل له هاشم لانه كان يهشم الثريد لقومه في الجدب ابن عبد مناف
واسمه المغيرة ابن قصي تصغير قصي اي بعيد لانه بعد عن عشيرته في بلاد قضاعة
حين احتملته امه فاطمة واسمه مجمع قال الشاعر

ابوكم قصي كان يدعى مجمعا ... به جمع الله القبايل من فهر

وقيل زيد وقال الشافعي كما حكاه عنه الحاكم ابو احمد يزيد بن كلاب وهو اما منقول
من المصدر الذي هو في معنى المكالبة نحو كالبت العدو مكالبة واما من الكلاب جمع كلب
لانهم يريدون الكثرة كما تسموا بسباع وسيل اعرابي لم تسمون ابناءكم بشر الاسماء نحو كلب
وذيب وعبيدكم باحسن الاسماء نحو مرزوق ورباح قال انما نسمي ابناءنا للاعداء وعبيدنا
لانفسنا يريدون ان الابناء عدة للاعداء وسهام في نحورهم واختاروا لهم هذه الاسماء
واسم كلاب حكيم وقيل عروة بن مرة بن كعب وهو اول من جمع يوم العروبة وكانت تجتمع
اليه قريش في هذا اليوم فيخطبهم ويذكرهم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم ويعلمهم بانه من ولده
ويأمرهم باتباعه والايمان به وينشد في ذلك ابياتا منها قوله

يا ليتني شاهد فحوا دعوته ... اذا قريش تبغي الحق خذلانا

ابن لؤي تصغير اللأى ابن غالب ابن فهر واسمه قريش واليه تنسب قريش فما كان
فوقه فكناني لا قرشي على الصحيح ابن مالك بن النضر واسمه قيس بن كنانة
وقيل هو جماع قريش ابن خزيمة تصغير خزمة ابن مدركة بن الياس بكسر الهمزة
في قول ابن الانباري وبفتحها في قول قاسم ابن ثابت ضد الرجاء واللام فيه للتعريف
والهمزة فيه للوصل قال السهيلي وهذا اصح وهو اول من اهدى البدن الى البيت الحرام
ويذكر انه كان يسمع في صلبه تلبية النبي صلى الله عليه وسلم بالحج ابن مضر وهو اول
من سن الحداء للابل وكان من احسن الناس صوتا ابن نزار بكسر النون من النزر وهو القليل
قيل لانه لما ولد ونظر ابوه الى نور محمد صلى الله عليه وسلم بين عينيه فرح فرحا شديدا
واطعم وقال ان هذا كله نزر اي قليل لحق هذا المولود فسمي نزارا لذلك ابن معد ابن عدنان
قال ابن دحية اجمع العلماء والاجماع حجة على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انتسب
الى عدنان ولم يتجاوزه انتهى ولله در القائل حيث قال

ولنسبة عز هاشم من اصولها ☆ ومحتدها المرضي اكرم محتد
سمت رتبة عليا تعاظم بعدها ☆ ولم تسم الا بالنبي محمد

ويرحم الله القائل حيث قال

وكم اب قد علا بابن ذرى شرف ☆ كما علت برسول الله عدنان

وعن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم كان اذا انتسب لم يجاوز معد بن عدنان ثم يمسك
ويقول كذب النسابون مرتين او ثلاثا رواه في مسند الفردوس لكن قال السهيلي
ان الاصح في هذا الحديث انه من قول ابن مسعود وقال غيره كان ابن مسعود اذا قرأ
قوله تعالى الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله
قال كذب النسابون يعني انهم يدعون علم الانساب ونفى الله تعالى علمها عن العباد وروى
عن عمر انه قال انما ننتسب الى عدنان وما فوق ذلك لا ندري ما هو وعن ابن عباس بين عدنان
واسمعيل ثلاثون ابا لا يعرفون قال عروة ابن الزبير ما وجدنا احدا يعرف بعد معد
ابن عدنان وسئل مالك عن الرجل يرفع نسبه الى آدم فكره ذلك وقال من اخبره
بذلك وكذا روي عنه في رفع نسب الانبياء عليهم السلام والذي ينبغي لنا الاعراض عما
فوق عدنان لما فيه من التخليط والتغيير للالفاظ وعواصة تلك الاسماء مع قلة الفائدة في
وقد ذكر الحافظ ابو سعيد النيسابوري عن ابي بكر بن ابي مريم عن سعيد بن عمرو الانصاري
عن ابيه عن كعب الاحبار ان نور النبي صلى الله عليه وسلم لما صار الى عبد المطلب وادرك
نام يوما في الحجر فانتبه مكحلا مدهونا قد كسي حلة البهاء والجمال فبقي متحيرا لا يدري
من فعل به ذلك فاخذه ابوه بيده ثم انطلق به الى كهنة قريش فاخبرهم بذلك فقالوا له
اعلم ان اله السموات قد اذن لهذا الغلام ان يتزوج فزوجه قيلة فولدت له الحارث ثم ماتت
فزوجه بعدها هند بنت عمرو وكان عبد المطلب يفوح منه رائحة المسك الاذفر ونور
رسول الله صلى الله عليه وسلم يضيء في غرته وكانت قريش اذا اصابها قحط تأخذ بيد
عبد المطلب فتخرج به الى جبل ثبير فيتقربون به الى الله ويسألونه ان يسقيهم الغيث فكان الله

يغيثهم ويسقيهم ببركة نور محمد صلى الله عليه وسلم غيثا عظيما ولما قصد ابرهة ملك اليمن
من قبل اصحمة النجاشي لهدم بيت الله الحرام وبلغ عبد المطلب ذلك قال يا معشر قريش
لا يصل الى هدم البيت لان لهذا البيت ربا يحميه ويحفظه ثم جاء ابرهة فاستاق ابل قريش
وغنمها وكان لعبد المطلب فيها اربعمائة ناقة فركب عبد المطلب في قريش حتى طلع جبل ثبير
فاستدارت دائرة غرة رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبينه كالهلال واشتد
شعاعها على البيت الحرام مثل السراج فلما نظر عبد المطلب الى ذلك قال يا معشر قريش
ارجعوا فقد كفيتم هذا الامر فوالله ما استدار هذا النور مني الا ان يكون الظفر لنا فرجعوا
متفرقين ثم ان ابرهة ارسل رجلا من قومه ليهزم الجيش فلما دخل مكة ونظر الى وجه
عبد المطلب خضع وتلجلج لسانه وخر مغشيا عليه فكان يخور كما يخور الثور عند ذبحه
فلما افاق خر ساجدا لعبد المطلب وقال اشهد انك سيد قريش حقا وروى انه لما حضر
عبد المطلب عند ابرهة امر بسياس فيله الابيض العظيم الذي كان لا يسجد للملك ابرهة
كما تسجد سائر الفيلة ان يحضره بين يديه فلما نظر الفيل الى وجه عبد المطلب برك
كما يبرك البعير وخر ساجدا وانطق الله تعالى الفيل فقال السلام على النور الذي في ظهرك
يا عبد المطلب ولما دخل جيش ابرهة ومعهم الفيل لهدم الكعبة الشريفة برك الفيل
فضربوه في راسه ضربا شديدا ليقوم فابى فوجهوه راجعا الى اليمن فقام ثم ارسل الله عليهم
طيرا ابابيل من البحر مع كل طائر منها ثلاثة احجار حجر في منقاره وحجران في رجليه كامثال
العدس لا تصيب احدا منهم الا اهلكته فخرجوا هاربين يتساقطون بكل طريق واصيب ابرهة
في جسده بداء فتساقطت انامله انملة انملة وسال منه الصديد والقيح والدم وما مات
حتى انصدع قلبه والى هذه القصة اشار سبحانه وتعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام
بقوله الم تر الى ربك كيف فعل ربك باصحاب الفيل السورة الى آخرها فان قلت لم قال
تعالى له عليه الصلاة والسلام الم تر مع ان هذه القصة كانت قبل المبعث بزمان طويل
فالجواب ان المراد من الرؤية هنا العلم والتذكر وهو اشارة الى ان الخبر به متواتر
فكان العلم الحاصل به ضروري مساو في القوة للرؤية وقد كانت هذه القصة دالة
على شرف سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وتاسيسا لنبوته وارهاصا لها واعزازا لقومه
بما ظهر عليهم من الاعتناء حتى دانت لهم العرب واعتقدت شرفهم وفضلهم على سائر
الناس بحماية الله تعالى لهم ودفعه عنهم مكر ابرهة الذي لم يكن لسائر العرب بقتاله قدرة
وكان ذلك كله ارهاصا لنبوته عليه الصلاة والسلام قال الرازي مذهبنا انه
يجوز تقديم المعجزات على زمان البعثة تاسيسا قال ولذلك قالوا كانت الغمامة تظلله
عليه الصلاة والسلام يعني قبل بعثته وخالفه العلامة السيد في شرح المواقف
تبعا لغيره فاشترط في المعجزة ان لا تتقدم على الدعوى بل تكون مقارنة لها كما سياتي ان شاء الله
تعالى في المقصد الرابع فان قلت ان الحجاج خرب الكعبة ولم يحدث شيء من ذلك فالجواب
ان ذلك وقع ارهاصا لامر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والارهاص انما يحتاج اليه قبل
قدومه فلما ظهر عليه الصلاة والسلام وتاكدت نبوته بالدلائل القطعية فلا حاجة الى شيء

الشأن ولا طائر ولا سبع ولهذا روي كما عند الزمخشري في الكشاف انه صلى الله عليه وسلم قال انا ابن الذبيحين وعند الحاكم في المستدرك عن معوية بن ابي سفين كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه اعرابي فقال يا رسول الله خلفت البلاد يابسة والماء يابسا هلك المال وضاع العيال فعد علي مما افاء الله عليك يا ابن الذبيحين قال فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه الحديث وسيأتي تتمته قريبا ان شاء الله تعالى ويعني بالذبيحين عبد الله واسمعيل بن ابرهيم وان كان قد ذهب بعض العلماء الى ان الذبيح اسحق فان صح هذا فالعرب تجعل العم ابا قال الله تعالى اخبارا عن بني يعقوب عليهم السلام ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله آبائك ابرهيم واسمعيل واسحق فجعل اسمعيل ابا وهو عم وفي حديث معوية الموعود بتتمته قريبا قال معوية ان عبد المطلب لما امر بحفر زمزم نذر لله ان سهل الامر بها ان ينحر بعض ولده فاخرجهم واسهم بينهم فخرج السهم لعبد الله فاراد ذبحه فمنعه اخواله من بني مخزوم وقالوا ارض ربك وافد ابنك ففداه بمائة ناقة فهو الذبيح واسمعيل الذبيح الثاني **قال** ابن القيم ومما يدل على ان الذبيح اسمعيل انه لا ريب ان الذبح كان بمكة ولذلك جعلت القرابين يوم النحر بها كما جعل السعي بين الصفا والمروة ورمي الجمرات تذكيرا لشأن اسمعيل وامه واقامة لذكر الله تعالى ومعلوم ان اسمعيل وامه هما اللذان كانا بمكة دون اسحق وامه ثم قال ولو كان الذبح بالشام كما يزعم اهل الكتاب ومن تلقى عنهم لكانت القرابين والنحر بالشام لا بمكة وايضا فان الله سمى الذبيح حليما لانه لا احلم ممن سلم نفسه للذبح طاعة لربه ولما ذكر اسحق سماه عليما وايضا فان الله اجرى العادة البشرية ان بكر الاولاد احب الى الوالدين ممن بعده وابرهيم لما سأل ربه الولد ووهبه له تعلقت شعبة من قلبه بمحبته والله تعالى قد اتخذه خليلا والخلة منصب يقتضي توحيد المحبوب بالمحبة وان لا يشارك فيها فلما اخذ الولد شعبة من قلب الوالد جاءت غيرة الخلة تنزعها من قلب الخليل فامر بذبح المحبوب ولما قدم على ذبحه وكانت محبة الله عنده اعظم من محبة الولد خلصت الخلة حينئذ من شوائب المشاركة فلم يبق في الذبح مصلحة اذ كانت المصلحة انما هي في العزم وتوطين النفس وقد حصل المقصود فنسخ الامر وفدي الذبيح وصدق الخليل الرؤيا انتهى وقد انشد بعضهم

ان الذبيح هديت اسمعيل ... نطق الكتاب بذاك والتنزيل
شرف به خص الاله نبينا ... وابانه التفسير والتأويل

وروى كما ذكره المعافا بن زكريا ان عمر بن عبد العزيز سأل رجلا اسلم من علماء اليهود اي ابني ابرهيم امر بذبحه فقال والله يا امير المؤمنين ان اليهود ليعلمون انه اسمعيل ولكنهم يحسدونكم معشر العرب ان يكون اباكم للفضل الذي ذكره الله عنه فهم يجحدون ذلك ويزعمون انه اسحق لان اسحق ابوهم انتهى فانظر ايها الخليل لما في هذه القصة من السر الجليل وهو ان الله تعالى يري عباده الجبر بعد الكسر واللطف بعد الشدة فانه كان عاقبة صبر هاجر وابنها على البعد والوحدة والغربة والتسليم لذبح الولد آلت الى ما آلت

من ذلك والله اعلم **ولما** فرج الله تعالى عن عبد المطلب ورجع ابرهة خائبا فبينما هو نائم في الحجر اذ رأى مناما عظيما فانتبه فزعا مرعوبا واتى كهنة قريش وقص عليهم رؤياه فقالت له الكهنة ان صدقت رؤياك ليخرجن من ظهرك من يؤمن به اهل السموات والارض وليكونن في الناس علما مبينا فتزوج فاطمة وحملت في ذلك الوقت بعبد الله الذبيح وقصته في ذبحه مشهورة مخرجة عند الرواة مسطورة **وكان** سببها حفر ابيه عبد المطلب زمزم لان الجرهمي عمرو بن الحارث لما احدث قومه بحرم الله الحوادث وقيض الله لهم من اخرجهم من مكة فعمد عمرو الى نفائس فجعلها في زمزم وبالغ في طمها وفر الى اليمن بقومه فلم تزل زمزم من ذلك العهد مجهولة الى ان رفعت عنها الحجب برؤيا منام رآها عبد المطلب دلته على حفرها بامارات عليها فمنعته قريش من ذلك ثم آذاه من السفهاء من آذاه واشتد على ذلك بلواه ومحنه ولده الحارث ولم يكن له ولد سواه فنذر لئن جاءه عشر بنين وصاروا له اعوانا ليذبحن احدهم لله قربانا ثم احتفر عبد المطلب زمزم فكانت له فخرا وعزا فلما تكامل بنوه عشرة وقد غفل عنهم نام ليلة عند الكعبة المطهرة فرأى في المنام قائلا يقول يا عبد المطلب اوف بنذرك لرب هذا البيت فاستيقظ فزعا مرعوبا وامر بذبح كبش واطعمه للفقراء والمساكين ثم نام فرأى ان قرب ما هو اكبر من ذلك فاستيقظ من نومه فقرب ثورا ثم نام فرأى ان قرب ما هو اكبر من ذلك فانتبه فقرب جملا فاطعمه للمساكين ثم نام فنودي ان قرب ما هو اكبر من ذلك فقال وما اكبر من ذلك قال قرب احد اولادك الذي نذرته فاغتم غما شديدا وجمع اولاده فاخبرهم بنذره ودعاهم الى الوفاء فقالوا انا نطيعك فمن تذبح منا فقال ليأخذ كل واحد منكم قدحا والقدح سهم بغير نصل ثم ليكتب فيه اسمه ثم ائتوا به ففعلوا واخذ قداحهم ودخل على هبل وكان في جوف الكعبة وكانوا يعظمونه ويضربون بالقداح عنده فيستقسمون بها اي يرتضون بما يقسم لهم ثم يضرب بها القيم الذي لها فدفع عبد المطلب الى ذلك القيم القداح وقام يدعو الله تعالى فخرج على عبد الله وكان احب ولده اليه فقبض عبد المطلب على يد ولده عبد الله واخذ الشفرة ثم اقبل الى اساف ونائلة صنمين عند الكعبة ينحر ويذبح عندهما النسائك فقام اليه سادة قريش فقالوا ما تريد ان تصنع فقال اوفي بنذري فقالوا لا ندعك تذبحه حتى تعذر فيه الى ربك ولئن فعلت هذا لا يزال الرجل يأتي بابنه فيذبحه وتكون سنة وقالوا انطلق الى فلانة الكاهنة **قلت** قيل اسمها قطبة كما ذكر الحافظ عبد الغني في كتاب المبهمات وذكر ابن اسحق ان اسمها سجاح فلعلها ان تامرك بامر فيه فرج لك فانطلقوا حتى اتوها بخيبر فقص عليها عبد المطلب القصة فقالت كم الدية فيكم قالوا عشرة من الابل فقالت ارجعوا الى بلادكم ثم قربوا صاحبكم ثم قربوا عشرة من الابل ثم اضربوا عليه وعليها بالقداح فان خرجت القداح على صاحبكم فزيدوا في الابل ثم اضربوا ايضا هكذا حتى يرضى ربكم فاذا خرجت على الابل فانحروها فقد رضي ربكم وتخلص صاحبكم فرجع القوم الى مكة وقربوا عبد الله وقربوا عشرة من الابل فقام عبد المطلب يدعو فخرجت القداح على ولده ولم يزل يزيد عشرة عشرة حتى بلغت الابل مائة فخرجت القداح على الابل فنحرت وتركت لا يمنع عنها

من جعل آثارهما ومواطئ اقدامهما مناسك لعباده المؤمنين ومتعبدات لهم الى يوم الدين وهذه سنة الله تعالى فيمن يريد رفعته من خلقه بعد استضعافه وذله وانكساره وصبره وتلقيه القضا بالرضا قال الله تعالى ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وقد استشكل بعض الناس ان عبد المطلب نذر نحر احد بنيه اذا بلغوا عشرة وقد كان تزوج هالة ام حمزة بعد وفائه بنذره فحمزة والعباس انما ولدا بعد الوفاء بنذره وانما كان اولاده عشرة قال السهيلي ولا اشكال في هذا فان جماعة من العلماء قالوا كان اعمامه عليه الصلاة والسلام اثني عشر فان صح هذا فلا اشكال في الخبر وان صح قول من قال كانوا عشرة لا يزيدون فالولد يقع على البنين وبنيهم حقيقة لا مجازا فكان عبد المطلب قد اجتمع له من ولده وولد ولده عشرة رجال حين وفا بنذره ويقع ايضا في بعض السير ان عبد الله كان اصغر بني ابيه عبد المطلب وهو غير معروف ولعل الرواية اصغر بني امه والا فحمزة كان اصغر من عبد الله والعباس اصغر من حمزة وروي عن العباس انه قال اذكر مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا ابن ثلاثة اعوام او نحوها فجي به حتى نظرت اليه وجعل النسوة يقلن لي قبل اخاك فقبلته فكيف يصح ان يكون عبد الله هو الاصغر ولكن رواة البكائي ولروايته وجه وهو ان يكون اصغر ولد ابيه حين اراد نحره ثم ولد له بعد ذلك حمزة والعباس ولما انصرف عبد الله مع ابيه من نحر الابل مر على امراة من بني اسد بن عبد العزى وهي عند الكعبة واسمها قتيلة بضم القاف وفتح المثناة الفوقية ويقال رقيقة بنت نوفل فقالت له حين نظرت الى وجهه وكان احسن رجل راى في قريش لك مثل الابل التي نحرت عنك وقع علي الآن لما رات في وجهه من نور النبوة ورجت ان تحمل بهذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وقال لها انا مع ابي ولا استطيع خلافه ولا فراقه وقيل اجابها بقوله

اما الحرام فالممات دونه ... والحل لا حل فاستبينه

فكيف بالامر الذي تبغينه ... يحمي الكريم عرضه ودينه

وعند ابي نعيم والخرائطي وابن عساكر من طريق عطا عن ابن عباس لما خرج عبد المطلب بابنه عبد الله ليزوجه مر به على كاهنة من تبالة متهودة قد قرات الكتب يقال لها فاطمة بنت مر الخثعمية فرات نور النبوة في وجه عبد الله فقالت له وذكر نحوه ثم خرج به عبد المطلب حتى اتى به وهب بن عبد مناف بن زهرة وهو يومئذ سيد بني زهرة نسبا وشرفا فزوجه ابنته آمنة وهي يومئذ افضل امراة في قريش نسبا وموضعا فزعموا انه دخل عليها حين ملكها مكانه فوقع عليها يوم الاثنين ايام منى في شعب ابي طالب عند الجمرة فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج من عندها فاتى المراة التي عرضت عليه ما عرضت فقال لها ما لك لا تعرضين علي اليوم ما عرضت بالامس قالت فارقك النور الذي كان معك بالامس فليس لي بك اليوم حاجة انما اردت ان يكون النور في فابى الله الا ان يجعله حيث شاء ولما حملت آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم

ظهر لحمله عجائب ووجد لايجاده غرائب فذكروا انه لما استقرت نطفته الزكية ودرته المحمدية في صدفة آمنة القرشية نودي في الملكوت ومعالم الجبروت ان عطروا جوامع القدس الاسنى وبخروا جهات الشرف الاعلى وافرشوا سجادات العبادات في صفف الصفا لصوفية الملائكة المقربين اهل الصدق والوفا فقد انتقل النور المكنون الى بطن آمنة ذات العقل الباهر والفخر المصون قد خصها الله تعالى القريب المجيب بهذا المصطفى السيد الحبيب لانها افضل قومها حسبا وانجب وازكاهم اصلا وفرعا واطيب وقال سهل بن عبد الله التستري فيما رواه الخطيب البغدادي الحافظ لما اراد الله تعالى خلق محمد صلى الله عليه وسلم في بطن امه آمنة ليلة رجب وكانت ليلة الجمعة امر الله تعالى في تلك الليلة رضوان خازن الجنان ان يفتح الفردوس وينادي مناد في السموات والارض الا ان النور المخزون المكنون الذي يكون منه النبي الهادي في هذه الليلة يستقر في بطن امه الذي فيه يتم خلقه ويخرج الى الناس بشيرا ونذيرا وفي رواية كعب الاحبار انه نودي في تلك الليلة في السما وصفاحها والارض وبقاعها ان النور المكنون الذي منه رسول الله صلى الله عليه وسلم يستقر الليلة في بطن امه آمنة فيا طوبى لها ثم يا طوبى واصبحت يومئذ اصنام الدنيا منكوسة وكانت قريش في جدب شديد وضيق عظيم فاخضرت الارض وحملت الاشجار واتاهم الرفد من كل جانب فسميت تلك السنة التي حمل فيها برسول الله صلى الله عليه وسلم سنة الفتح والابتهاج وطوبى الطيب والحسنى والخير والخيرة قاله في القاموس وقال غيره فرح وقرة عين وقال الضحاك غبطة وقال عكرمة نعم وفي الحديث طوبى للشام فان الملائكة باسطة اجنحتها عليها فالمراد بها هنا فعلى من الطيب وغيره مما ذكر لا الجنة ولا الشجرة ويحتمل ان تفسر بالجنة وفي حديث ابن اسحق ان آمنة كانت تحدث انها اتيت حين حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها انك حملت بسيد هذه الامة وقالت ما شعرت باني حملت ولا وجدت له ثقلا ولا وحما كما تجد النساء الا اني انكرت رفع حيضتي واتاني آت وانا بين النائمة واليقظانة فقال هل شعرت بانك حملت بسيد الانام ثم امهلني حتى اذا دنت ولادتي اتاني فقال قولي اعيذه بالواحد من شر كل حاسد ثم سميه محمدا وفي رواية عن ابن اسحق وعلقي عليه هذه التميمة قالت فانتبهت وعند راسي صحيفة من ذهب مكتوب فيها هذه النسخة اعيذه بالواحد من شر كل حاسد وكل خلق رايد من قائم وقاعد عن السبيل حايد على الفساد جاهد من نافث او عاقد وكل خلق مارد ياخذ بالمراصد في طرق الموارد قال الحافظ عبد الرحيم العراقي هكذا ذكر هذه الابيات بعض اهل السير وجعلها من حديث ابن عباس ولا اصل لها انتهى وعن شداد بن اوس ان رجلا من بني عامر سال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حقيقة امرك فقال بدو شاني اني دعوة ابراهيم وبشرى اخي عيسى واني كنت بكر امي وانها حملت بي كاثقل ما تحمل النساء وجعلت تشتكي الى صواحبها ثقل ما تجد ثم ان امي رات في منامها ان الذي في بطنها نور الحديث ففيه ان امه عليه السلام وجدت الثقل في حمله وفي سائر الاحاديث انها لم تجد

تلا وأخرج أبو نعيم الحافظ بلفظها أن الثقل به كان في ابتداء علوقها به والخفة عند استمرار الحمل
فيكون على الحالين خارجا عن المعتاد المعروف انتهى وأخرج أبو نعيم عن ابن عباس رضي الله
عنهما قال كان من دلالة حمل آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم أن كل دابة كانت لقريش
نطقت تلك الليلة وقالت حمل برسول الله ورب الكعبة وهو أمان الدنيا وسراج أهلها ولم يبق
سرير ملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوسا ومرت وحوش المشرق إلى وحوش المغرب بالبشارات
وكذلك أهل البحار يبشر بعضهم بعضا وله في كل شهر من شهور حمله نداء في الأرض ونداء
في السماء أن أبشروا فقد آن أن يظهر أبو القاسم صلى الله عليه وسلم ميمونا مباركا الحديث
وهو شديد الضعف وعن غيره لم يبق في تلك الليلة دار إلا أشرقت ولا مكان إلا دخله
النور ولا دابة إلا نطقت وعن أبي زكريا يحيى بن عائذ بقي صلى الله عليه وسلم في بطن أمه
صلى الله عليه وسلم تسعة أشهر كملا لا تشكو وجعا ولا مغصا ولا ريحا ولا ما يعرض لذوات
الحمل من النساء وكانت تقول والله ما رأيت من حمل هو أخف منه ولا أعظم بركة منه ولما تم
لها من حملها شهران توفي عبد الله وقيل توفي وهو في المهد قاله الدولابي وعن ابن أبي
خيثمة وهو ابن شهرين وقيل وهو ابن سبعة وقيل وهو ابن ثمانية وعشرين شهرا والراجح
المشهور الأول وكان عبد الله قد رجع ضعيفا مع قريش لما رجعوا من تجارتهم ومروا بالمدينة
يثرب فتخلف عند أخواله بني عدي بن النجار فأقام عندهم مريضا شهرا فلما قدم أصحابه مكة
سألهم عبد المطلب عنه فقالوا خلفناه مريضا فبعث إليه الحارث فوجده قد توفي ودفن
في دار النابغة وقيل دفن بالأبواء وقالت زوجته آمنة ترثيه

عفا جانب البطحاء من آل هاشم ... وجاور لحدا خارجا في الغماغم
دعته المنايا دعوة فأجابها ... وما تركت في الناس مثل ابن هاشم
عشية راحوا يحملون سريره ... تعاوره أصحابه في التزاحم
فإن تك غالته المنايا وريبها ... فقد كان معطاء كثير التراحم

ويذكر عن ابن عباس أنه لما توفي عبد الله قالت الملائكة إلهنا وسيدنا ومولانا
بقي نبيك يتيما فقال الله تعالى أنا له حافظ ونصير وقيل لجعفر الصادق لم يتم النبي
صلى الله عليه وسلم من أبويه قال لئلا يكون عليه حق المخلوق نقله عنه أبو حيان في البحر
وروى أبو نعيم عن عمرو بن قتيبة قال سمعت أبي وكان من أوعية العلم قال لما حضرت
ولادة آمنة قال الله تعالى لملائكته افتحوا أبواب السماء كلها وأبواب الجنان وألبست الشمس
يومئذ نورا عظيما وكان قد أذن الله تعالى تلك السنة لنساء الدنيا أن يحملن ذكورا كرامة
لمحمد صلى الله عليه وسلم الحديث وهو مطعون فيه وذكر أبو سعيد عبد الملك النيسابوري
في كتابه الكبير كما نقله عنه صاحب كتاب السعادة والبشرى عن كعب في حديثه الطويل
ورواه أبو نعيم من حديث ابن عباس قال كانت آمنة تحدث وتقول أتاني آت حين مر
من حملي ستة أشهر في المنام وقال لي يا آمنة إنك حملت بخير العالمين فإذا ولدته فسميه
محمدا واكتمي شأنك قالت ثم لما أخذني ما يأخذ النساء ولم يعلم بي أحد لا ذكر ولا أنثى وإني
لوحيدة في المنزل وعبد المطلب في طوافه فسمعت وجبة عظيمة وأمرا عظيما هالني ثم رأيت

كأن

كأن جناح طائر أبيض قد مسح على فؤادي فذهب عني الرعب وكل وجع أجده ثم التفت فإذا أنا
بشربة بيضاء فتناولتها فأصابني نور عال ثم رأيت نسوة كالنخل طولا كأنهن من بنات عبد مناف
يحدقن بي فبينا أنا أتعجب وأنا أقول واغوثاه من أين علمن بي قال وفي غير هذه الرواية فقلن لي
نحن آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وهؤلاء من الحور العين واشتد بي الأمر وأنا
أسمع الوجبة في كل ساعة أعظم وأهول مما تقدم فبينا أنا كذلك إذا بديباج أبيض قد مد بين السماء
والأرض وإذا قائل يقول خذاه عن أعين الناس قالت ورأيت رجالا قد وقفوا في الهواء بأيديهم
أباريق من فضة ثم نظرت فإذا أنا بقطعة من الطير قد أقبلت حتى غطت حجري مناقيرها من الزمرد
وأجنحتها من الياقوت فكشف الله عن بصري فرأيت مشارق الأرض ومغاربها ورأيت
ثلاثة أعلام مضروبات علما بالمشرق وعلما بالمغرب وعلما على ظهر الكعبة فأخذني المخاض
فوضعت محمدا صلى الله عليه وسلم فنظرت إليه فإذا هو ساجد
قد رفع إصبعيه إلى السماء كالمتضرع المبتهل ثم رأيت سحابة بيضاء قد أقبلت من السماء
حتى غشيته فغيبته عني فسمعت مناديا ينادي طوفوا به مشارق الأرض ومغاربها
وأدخلوه البحار ليعرفوه باسمه ونعته وصورته ويعلمون أنه سمي فيها الماحي لا يبقى
من الشرك إلا محي في زمنه ثم تجلت عنه في أسرع وقت الحديث وهو مما تكلم فيه وروى
الخطيب البغدادي بسنده كما ذكر صاحب السعادة والبشرى أيضا أن آمنة قالت لما
وضعته عليه الصلاة والسلام رأيت سحابة عظيمة لها نور أسمع فيها صهيل الخيل
وخفقان الأجنحة وكلام الرجال حتى غشيته وغيب عني فسمعت مناديا ينادي طوفوا
بمحمد صلى الله عليه وسلم جميع الأرض واعرضوه على كل روحاني من الجن والإنس والملائكة
والطيور والوحوش وأعطوه خلق آدم ومعرفة شيث وشجاعة نوح وخلة إبراهيم
ولسان إسمعيل ورضى إسحق وفصاحة صالح وحكمة لوط وبشرى يعقوب وشدة موسى
وصبر أيوب وطاعة يونس وجهاد يوشع وصوت داود وحب دانيال ووقار إلياس
وعصمة يحيى وزهد عيسى واغمسوه في أخلاق النبيين قالت ثم انجلت عني فإذا به
قد قبض على حريرة خضراء مطوية طيا شديدا ينبع من تلك الحريرة ماء فإذا قائل يقول بخ بخ
قبض محمد صلى الله عليه وسلم على الدنيا كلها لم يبق خلق من أهلها إلا دخل طائعا في قبضته
قالت ثم نظرت إليه فإذا به كالقمر ليلة البدر وريحه يسطع كالمسك الأذفر وإذا بثلاثة نفر
في يد أحدهم إبريق من فضة وفي يد الثاني طست من زمرد أخضر وفي يد الثالث حريرة
بيضاء فنشرها فأخرج منها خاتما تحار أبصار الناظرين دونه فغسله من ذلك الإبريق سبع مرات
ثم ختم بين كتفيه بالخاتم ولفه في الحريرة ثم احتمله فأدخله بين أجنحته ساعة ثم رده إلي
ورواه أبو نعيم عن ابن عباس وفيه نكارة وروى الحافظ أبو بكر بن عائذ في كتابه المولد كما نقله
عنه الشيخ بدر الدين الزركشي في شرح بردة المديح عن ابن عباس لما ولد صلى الله عليه وسلم
قال في أذنه رضوان خازن الجنان أبشر يا محمد فما بقي لنبي علم إلا وقد أعطيته فأنت أكثرهم
علما وأشجعهم قلبا وروى محمد بن سعد من حديث جماعة منهم عطاء وابن عباس أن آمنة بنت
وهب قالت لما فصل مني تعني رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج معه نور أضاء له ما بين

المشرق والمغرب ثم وقع الى الارض معتمدا على يديه ثم اخذ قبضة من تراب فقبضها ورفع راسه الى السماء **وروى** الطبراني انه لما وقع الى الارض وقع مقبوضة اصابع يديه مشيرا بالسبابة كالمسبح بها **وروى** عن عثمان بن ابي العاص عن امه ام عثمان الثقفية واسمها فاطمة بنت عبد الله قالت لما حضرت ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت البيت حين وقع قد امتلأ نورا ورايت النجوم تدنو حتى ظننت انها ستقع علي رواه البيهقي **واخرج** احمد والبزار والطبراني والحاكم والبيهقي عن العرباض بن سارية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني عبد الله وخاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته وساخبركم عن ذلك دعوة ابي ابراهيم وبشارة عيسى ورؤيا امي التي رأت وكذلك امهات الانبياء يرين وان ام رسول الله صلى الله عليه وسلم رأت حين وضعته نورا اضاءت له قصور الشام **قال** الحافظ ابن حجر صححه ابن حبان والحاكم **واخرج** ابو نعيم عن عطاء بن يسار عن ام سلمة عن آمنة قالت لقد رايت ليلة وضعه نورا اضاءت له قصور الشام حتى رايتها **واخرج** ايضا عن بريدة عن مرضعته في بني سعد ان آمنة قالت رايت كانه خرج من فرجي شهاب اضاءت له الارض حتى رايت قصور الشام **وعن** هامر بن يحيى عن اسحق ابن عبد الله ان ام رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لما ولدته خرج من فرجي نور اضاء له قصور الشام فولدته نظيفا ما به قذر رواه ابن سعد والى هذا اشار العباس بن عبد المطلب في شعره حيث قال

وانت لما ولدت اشرقت الارض ... وضاءت بنورك الافق
فنحن في ذلك الضياء وفي النور ... وسبل الرشاد نخترق

قال في اللطائف وخروج هذا النور عند وضعه اشارة الى ما يجيء به من النور الذي اهتدى به اهل الارض وزال به ظلمة الشرك كما قال تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه الآية **واما** اضاءة قصور بصرى بالنور الذي خرج معه فهو اشارة الى ما خص الشام من نور نبوته فانها دار ملكه كما ذكر كعب ان في الكتب السالفة محمد رسول الله مولده بمكة ومهاجره يثرب وملكه بالشام فمن مكة بدأت نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام والى الشام انتهى ملكه ولهذا اسري به صلى الله عليه وسلم الى الشام الى بيت المقدس كما هاجر قبله ابراهيم عليه السلام الى الشام وبها ينزل عيسى بن مريم عليه السلام وهي ارض المحشر والمنشر **وخرج** احمد وابو داود وابن حبان والحاكم في صحيحيهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عليكم بالشام فانها خيرة الله من ارضه يجتبي اليها خيرته من عباده انتهى ملخصا **واخرج** ابو نعيم عن عبد الرحمن بن عوف عن امه الشفاء قالت لما ولدت آمنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع على يدي فاستهل فسمعت قائلا يقول رحمك الله قالت الشفاء واضاء لي ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت الى بعض قصور الروم قالت ثم البسته واضجعته فلم انشب ان غشيتني ظلمة ورعب وقشعريرة ثم غيب عني فسمعت قائلا يقول اين ذهبت به قال الى المشرق قالت فلم يزل الحديث مني على بال

حتى

حتى ابتعثه الله فكنت في اول الناس اسلاما ومن عجايب ولادته عليه الصلاة والسلام ما اخرجه البيهقي وابو نعيم عن حسان بن ثابت قال اني لغلام ابن سبع سنين او ثمان اعقل ما رايت وسمعت اذا يهودي يصرخ ذات غداة يا معشر اليهود فاجتمعوا اليه وانا اسمع قالوا ويلك ما لك قال طلع نجم محمد الذي ولد به في هذه الليلة **وعن** عايشة قالت كان يهودي قد سكن مكة فلما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا معشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود قالوا لا نعلم قال انظروا فانه ولد في هذه الليلة نبي هذه الامة بين كتفيه علامة فانصرفوا فسألوا فقيل لهم قد ولد لعبد الله بن عبد المطلب غلام فذهب اليهودي معهم الى امه فاخرجته لهم فلما رأى اليهودي العلامة خر مغشيا عليه وقال ذهبت النبوة من بني اسرائيل يا معشر قريش اما والله ليسطون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق والمغرب رواه يعقوب بن سفيان باسناد حسن كما قاله في فتح الباري **ومن** عجايب ولادته ايضا ما روي من ارتجاج ايوان كسرى وسقوط اربعة عشر شرافة من شرافاته وغيض بحيرة طبرية وخمود نار فارس وكان لها الف عام لم تخمد كما رواه البيهقي وابو نعيم والخرائطي في الهواتف وابن عساكر وفي سقوط الاربعة عشر شرافة اشارة الى انه يملكهم ويملك منهم ملوك وملكات بعدد الشرافات وقد ملك منهم في اربع سنين عشرة ذكره ابن ظفر وزاد ابن سيد الناس وملك الباقون الى خلافة عثمن رضي الله عنه **ومن ذلك** ايضا ما وقع من حراسة السماء بالشهب وقطع رصد الشياطين ومنعهم من استراق السمع ولقد احسن الشقراطسي حيث قال

ضاءت لمولده الآفاق واتصلت ... بشرى الهواتف في الاشراق والطفل
وصرح كسرى تداعى من قواعده ... وانقض منكسر الارجاء ذا ميل
ونار فارس لم توقد وما خمدت ... مذ الف عام ونهر القوم لم يسل
خرت لمبعثه الاوثان وانبعثت ... ثواقب الشهب ترمي الجن بالشعل

وولد صلى الله عليه وسلم معذورا مسرورا اي مختونا مقطوع السرة كما روي من حديث ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم عند ابن عساكر وروى الطبراني في الاوسط وابو نعيم والخطيب وابن عساكر من طرق عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من كرامتي على ربي اني ولدت مختونا ولم ير احد سوأتي وصححه الضياء في المختارة **وعن** ابن عمر قال ولد النبي صلى الله عليه وسلم مسرورا مختونا رواه ابن عساكر قال الحاكم في المستدرك تواترت الاخبار انه عليه الصلاة والسلام ولد مختونا انتهى وتعقبه الحافظ الذهبي فقال ما اعلم صحة ذلك فكيف يكون متواترا **واجيب** باحتمال ان يكون اراد بتواتر الاخبار اشتهارها وكثرتها في السير لا من طريق السند المصطلح عليه عند ائمة الحديث لكن قد حكى الحافظ زين الدين العراقي ان الكمال بن العديم ضعف احاديث كونه عليه الصلاة والسلام ولد مختونا وقال انه لا يثبت في هذا شيء من ذلك واقره عليه وبه صرح ابن القيم ثم قال ليس هذا من خصائصه صلى الله عليه وسلم فان كثيرا من الناس ولد مختونا وحكى الحافظ ابن حجر ان العرب تزعم ان الغلام اذا ولد في القمر

فنحت قلفته اي انسحت فيصير كالمختون وفي الوشاح لابن دريد قال ابن الكلبي بلغنا
ان آدم خلق مختونا واثني عشر نبيا من بعده خلقوا مختونين آخرهم محمد صلى الله عليه وسلم
شيث وادريس ونوح وسام ولوط ويوسف وموسى وسليمان وشعيب ويحيى
وهود صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين **وقال** ابو الفرج بن الجوزي عن كعب
الاحبار خلق من الانبياء ثلاثة عشر نفرا مختونين آدم وشيث وادريس ونوح وسام
ولوط ويوسف وموسى وشعيب وسليمان ويحيى وعيسى والنبي صلى الله عليه وسلم
وقال محمد بن حبيب الهاشمي اربعة عشر آدم وشيث ونوح وهود وصالح ولوط وشعيب
ويوسف وموسى وسليمان وزكريا وعيسى وحنظلة بن صفوان نبي اصحاب الرس
ومحمد صلى الله عليه وسلم وفي هذه العبارة تجوز لان الختان هو القطع وهو غير ظاهر
لان الله تعالى يوجد ذلك على هذه الهيئة من غير قطع فيحمل الكلام باعتبار انه على صفة
المقطوع **وقد** حصل من الاختلاف في ختانه ثلاثة اقوال احدها انه ولد مختونا كما تقدم
الثاني انه ختنه جده عبد المطلب يوم سابعه وصنع له مأدبة وسماه محمدا رواه
الوليد بن مسلم بسنده الى ابن عباس وحكاه ابن عبد البر في التمهيد الثالث انه ختن عند
حليمة كما ذكره ابن القيم والدمياطي وقالا ان جبريل عليه السلام ختنه حين طهر قلبه
وكذا اخرجه الطبراني في الاوسط وابو نعيم من حديث ابي بكرة قال الذهبي وهذا منكر
واعلم ان الختان قطع القلفة التي تغطي الحشفة من الرجل وقطع بعض الجلدة التي في اعلى
الفرج من المراة ويسمى ختان الرجل اعذارا بالعين المهملة والذال المعجمة والراء وختان المراة
خفضا بالخاء المعجمة والفاء والضاد المعجمة ايضا واختلف العلماء هل هو واجب فذهب اكثرهم
الى انه سنة وليس بواجب وهو قول مالك وابي حنيفة وبعض اصحاب الشافعي وذهب
الشافعي الى وجوبه وهو مقتضى قول سحنون من المالكية وذهب بعض اصحاب الشافعي
الى انه واجب في حق الرجال سنة في حق النساء واحتج من قال انه سنة بحديث الحجاج
ابن اسامة عن ابيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الختان سنة للرجال مكرمة للنساء
رواه احمد في مسنده والبيهقي واجاب من اوجبه بانه ليس المراد هنا بالسنة خلاف
الواجب بل المراد به الطريقة واحتجوا على وجوبه بقوله تعالى ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا
وثبت في الصحيحين من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اختتن ابراهيم النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم وبما روى
ابو داود من قوله عليه الصلاة والسلام للرجل الذي اسلم ألق عنك شعار
الكفر واختتن واحتج القفال لوجوبه بان بقاء القلفة يحبس النجاسة وتمنع صحة الصلاة
فتجب ازالتها وقال الفخر الرازي الحكمة في الختان ان الحشفة قوية الحس فما دامت
مستورة بالقلفة تقوى اللذة عند المباشرة فاذا قطعت القلفة تصلبت الحشفة فضعفت
اللذة وهو اللائق بشريعتنا تقليلا للذة لا قطعها بالكلية كما تفعل المانوية وذلك افراط وابقاء
القلفة تفريط فالعدل الختان انتهى واذا قلنا بوجوب الختان فمحل الوجوب بعد البلوغ
على الصحيح من مذهبنا لما روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس انه سئل مثل من انت حين

قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وانا يومئذ مختون وكانوا لا يختنون الرجل حتى يدرك
وقال بعض اصحابنا يجب على الولي ان يختن الصبي قبل البلوغ والله اعلم انتهى **وقد**
اختلف في عام ولادته صلى الله عليه وسلم فالاكثرون على انه عام الفيل وبه قال ابن عباس
ومن العلماء من حكى الاتفاق عليه وقال كل قول يخالفه وهم والمشهور انه ولد بعد الفيل
بخمسين يوما واليه ذهب السهيلي في جماعة وقيل بعده بخمسة وخمسين يوما وحكاه الدمياطي
في آخرين وقيل بشهر وقيل باربعين يوما وقيل بعد الفيل بعشر سنين وقيل قبل الفيل
بخمس عشرة سنة وقيل غير ذلك والمشهور انه بعد الفيل لان قصة الفيل كانت توطئة
لنبوته ومقدمة لظهوره وبعثته والا فاصحاب الفيل كما قاله ابن القيم كانوا نصارى اهل
كتاب وكان دينهم خيرا من دين اهل مكة اذ ذاك لانهم كانوا عباد اوثان فنصرهم الله تعالى على
اهل الكتاب نصرا لا صنع للبشر فيه ارهاصا وتقدمة للنبي الذي خرج من مكة وتعظيما
للبلد الحرام **واختلف** ايضا في الشهر الذي ولد فيه والمشهور انه ولد في شهر ربيع الاول
وهو قول جمهور العلماء ونقل ابن الجوزي الاتفاق عليه وفيه نظر فقد قيل في صفر وقيل
في ربيع الآخر وقيل في رجب ولا يصح وقيل في شهر رمضان **وروي** عن ابن عمر باسناد
لا يصح وهو موافق لمن قال ان امه حملت به في ايام التشريق واغرب من قال ولد
في عاشوراء **وكذا اختلف** ايضا في اي يوم من الشهر فقيل انه غير معين وانما ولد
يوم الاثنين من ربيع الاول من غير تعيين والجمهور على انه يوم معين منه فقيل لليلتين
خلتا منه وقيل لثمان خلت منه قال الشيخ قطب الدين القسطلاني وهو اختيار اكثر اهل
الحديث ونقل عن ابن عباس وجبير بن مطعم وهو اختيار اكثر من له معرفة بهذا الشان
واختاره الحميدي وشيخه ابن حزم وحكى القضاعي في عيون المعارف اجماع اهل التواريخ عليه
ورواه الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم وكان عارفا بالنسب وايام العرب اخذ ذلك
عن ابيه جبير وقيل لعشر وقيل لاثني عشرة وقيل لثماني عشرة وقيل لثمان بقين
منه وقيل ان هذين القولين غير صحيحين عمن حكيا عنه بالكلية والمشهور انه ولد
يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الاول وهو قول ابن اسحق وغيره وانما كان في شهر ربيع
على الصحيح ولم يكن في المحرم ولا في رجب ولا في رمضان ولا غيرها من الاشهر ذوات
الشرف لانه عليه الصلاة والسلام لا يتشرف بالزمان وانما الزمان يتشرف به كالاماكن
فلو ولد في شهر من الشهور المذكورة لتوهم انه تشرف بها فجعل الله تعالى مولده عليه
الصلاة والسلام في غيرها ليظهر عنايته به وكرامته عليه فاذا كان يوم الجمعة الذي
خلق فيه آدم عليه الصلاة والسلام خص بساعة لا يصادفها عبد مسلم يسأل الله فيها
خيرا الا اعطاه اياه فما بالك بالساعة التي ولد فيها سيد المرسلين ولم يجعل تعالى في يوم
الاثنين يوم مولده عليه الصلاة والسلام من التكليف بالعبادات ما جعل في يوم الجمعة
المخلوق فيه آدم من الجمعة والخطبة وغير ذلك اكراما لنبيه عليه الصلاة والسلام بالتخفيف
عن امته بسبب عنايته بوجوده قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ومن جملة ذلك
عدم التكليف **واختلف** ايضا في الوقت الذي ولد فيه والمشهور انه يوم الاثنين [illegible]

اكثر أهل الحديث على انه صلى الله عليه وسلم ولد لثمان خلت من شهر ربيع الاول
وعليه عمل اهل مكة في زيارتهم موضع مولده في هذا الوقت وقيل لسبع عشرة

فعن قتادة الانصاري انه صلى الله عليه وسلم سئل عن صيام يوم الاثنين قال ذلك يوم ولدت فيه وانزل علي فيه النبوة رواه مسلم وهذا يدل على انه صلى الله عليه وسلم ولد نهارا وفي المسند عن ابن عباس قال ولد صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين واستنبئ يوم الاثنين وخرج مهاجرا من مكة الى المدينة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين ورفع الحجر يوم الاثنين انتهى وكذا فتح مكة ونزول سورة المائدة يوم الاثنين وقد روي انه ولد عند طلوع الفجر فعن عبد الله بن عمرو بن العاصي قال كان بمر الظهران راهب يسمى عيصا من اهل الشام وكان يقول يوشك ان يولد فيكم يا اهل مكة مولود تدين له العرب ويملك العجم هذا زمانه فكان لا يولد بمكة مولود الا سال عنه فلما كان صبيحة اليوم الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عبد المطلب حتى اتى عيصا فناداه فاشرف عليه فقال له عيص كن اباه فقد ولد ذلك المولود الذي كنت احدثكم عنه يوم الاثنين ويبعث يوم الاثنين ويموت يوم الاثنين قال ولد لي الليلة مع الصبح مولود قال فما سميته قال محمدا قال والله لقد كنت اشتهي ان يكون هذا المولود فيكم يا اهل هذا البيت لثلاث خصال نعرفه فقد اتى عليهن منها انه طلع نجمه البارحة وانه ولد اليوم وان اسمه محمد رواه ابو جعفر ابن ابي شيبة وخرجه ابو نعيم في الدلائل بسند فيه ضعف وقيل كان مولده عليه الصلاة والسلام عند طلوع الغفر وهي ثلاثة انجم صغار ينزلها القمر وهو مولد النبيين فوافق ذلك في الشهور الشمسية نيسان وهو برج الحمل وكان لعشرين خلت منه وقيل ولد ليلا فعن عائشة رضي الله عنها قالت كان بمكة يهودي يتجر فيها فلما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا معشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود قالوا لا نعلمه قال ولد الليلة نبي هذه الامة الاخيرة بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات كانهن عرف فرس فخرجوا باليهودي حتى ادخلوه على امه فقالوا اخرجي لنا ابنك فاخرجته وكشفوا عن ظهره فراى تلك الشامة فوقع اليهودي مغشيا عليه فلما افاق قالوا ما لك ويلك قال ذهبت والله النبوة من بني اسرائيل رواه الحاكم قال الشيخ بدر الدين الزركشي والصحيح ان ولادته عليه الصلاة والسلام كانت نهارا قال واما ما روي من تدلي النجوم فضعفه ابن دحية لاقتضائه ان الولادة ليلا قال وهذا لا يصلح ان يكون تعليلا فان زمان النبوة صالح للخوارق ويجوز ان تسقط النجوم نهارا انتهى فان قلت اذا قلنا انه عليه الصلاة والسلام ولد ليلا فايما افضل ليلة القدر او ليلة مولده صلى الله عليه وسلم **اجيب** بان ليلة مولده عليه الصلاة والسلام افضل من ليلة القدر من وجوه ثلاث احدها ان ليلة المولد ليلة ظهوره صلى الله عليه وسلم وليلة القدر معطاة له وما شرف بظهور ذات المشرف من اجله اشرف مما شرف بسبب ما اعطيه ولا نزاع في ذلك فكانت ليلة المولد بهذا الاعتبار افضل الثاني ان ليلة القدر شرفت بنزول الملائكة فيها وليلة المولد شرفت بظهوره صلى الله عليه وسلم فيها ومن شرفت به ليلة المولد افضل ممن شرفت بهم ليلة القدر على الاصح المرتضى فيكون ليلة المولد افضل الثالث ان ليلة القدر وقع التفضل فيها على امة محمد صلى الله عليه وسلم وليلة

كانت م

المولد

المولد الشريف وقع التفضل فيها على سائر الموجودات فهو الذي بعثه الله تعالى رحمة للعالمين فعمت به النعمة على جميع الخلائق فكانت ليلة المولد اعم نفعا فكانت افضل **فيا شهرا** ما اشرفه واو فرحرمة لياليه كانها لآلي في العقود وبا وجها ما اشرقه من مولود فسبحان من جعل مولده للقلوب ربيعا وحسنه بديعا **وقال**

يقول لنا لسان الحال منه ... وقول الحق يعذب للسميع

فوجهي والزمان وشهر وضعي ... ربيع في ربيع في ربيع

واختلف ايضا في مدة الحمل به فقيل تسعة اشهر وقيل عشرة وقيل ثمانية وقيل سبعة وقيل ستة وولد عليه الصلاة والسلام في الدار التي كانت لمحمد بن يوسف اخي الحجاج ويقال بالشعب ويقال بالردم ويقال بعسفان **وارضعته** صلى الله عليه وسلم ثويبة عتيقة ابي لهب اعتقها حين بشرته بولادته عليه الصلاة والسلام **وقد** رؤي ابو لهب بعد موته في النوم فقيل له ما حالك فقال في النار الا انه يخفف عني كل ليلة اثنين وامص من بين اصبعي ماء بقدر هذا واشار براس اصبعه وان ذلك باعتاقي لثويبة عندما بشرتني بولادة النبي صلى الله عليه وسلم وبارضاعها له قال ابن الجوزي فاذا كان هذا ابو لهب الكافر الذي نزل القرآن بذمه جوزي في النار بفرحه ليلة مولد النبي صلى الله عليه وسلم به فما حال المسلم الموحد من امته عليه الصلاة والسلام يسر بمولده ويبذل ما تصل اليه قدرته في محبته صلى الله عليه وسلم لعمري انما يكون جزاؤه من الله الكريم ان يدخله بفضله العميم جنات النعيم ولا زال اهل الاسلام يحتفلون بشهر مولده عليه الصلاة والسلام ويعملون الولائم ويتصدقون في لياليه بانواع الصدقات ويظهرون السرور ويزيدون في المبرات ويعتنون بقراءة مولده الكريم ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم **ومما** جرب من خواصه انه امان في ذلك العام وبشرى عاجلة بنيل البغية والمرام فرحم الله امرءا اتخذ ليالي شهر مولده المبارك اعيادا ليكون اشد علة على من في قلبه مرض واعيا **ولقد** اطنب ابن الحاج في المدخل في الانكار على ما احدثه الناس من البدع والاهواء والتغني بالآلات المحرمة عند عمل المولد الشريف فالله تعالى يثيبه على قصده الجميل ويسلك بنا سبيل السنة فانه حسبنا ونعم الوكيل **وقد ذكر** انه لما ولد صلى الله عليه وسلم قيل من يكفل هذه الدرة اليتيمة التي لا يوجد لها مثلها قيمة قالت الطيور نحن نكفله ونغتنم خدمته العظيمة وقالت الوحوش نحن اولى بذلك ننال شرفه وتعظيمه فنادى لسان القدرة ان يا جميع المخلوقات ان الله تعالى قد كتب في سابق حكمته القديمة ان نبيه الكريم يكون رضيعا لحليمة الحليمة قالت حليمة فيما رواه ابن اسحق وابن راهويه وابو يعلى والطبراني والبيهقي وابو نعيم قدمت مكة في نسوة من بني سعد بن بكر نلتمس الرضعاء في سنة شهباء فقدمت على اتان لي ومعي صبي لنا وشارف لنا والله ما تبض بقطرة وما ننام ليلنا ذلك اجمع مع صبينا ذلك لا يجد في ثديي ما يغنيه ولا في شارفنا ما يغذيه فقدمنا مكة فوالله ما علمت منا امراة الا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتاباه اذا قيل يتيم فوالله ما بقي من صواحبي امراة الا اخذت رضيعا غيري فلما لم اجد غيره قلت لزوجي والله

اخبار رضاعه صلى الله عليه وسلم

قراءة المولد الشريف في ليالي مولده الشريف

اني اكره أن ارجع من بين صواحباتي ليس معي رضيع لانطلقن الى ذلك اليتيم فلآخذنه فذهبت فاذا به مدرج في ثوب صوف ابيض من اللبن يفوح منه المسك وتحته حريرة خضراء راقد على قفاه يغط فاشفقت أن اوقظه من نومه لحسنه وجماله فدنوت منه رويدا فوضعت يدي على صدره فتبسم ضاحكا وفتح عينيه ينظر الي فخرج من عينيه نور حتى دخل خلال السماء وانا انظر فقبلته بين عينيه واعطيته ثديي الايمن فاقبل عليه بما شاء من لبن فحولته الى الايسر فابى وكانت تلك حاله بعد قال اهل العلم اعلمه الله تعالى ان له شريكا فالهمه العدل قالت فروي وروي اخوه ثم اخذته فما هو الا ان جئت به رحلي فقام صاحبي تعني زوجها الى شارفنا تلك فاذا انها لحافل فحلب ما شرب وشربت حتى روينا وبتنا بخير ليلة فقال صاحبي والله يا حليمة اني لاراك قد اخذت نسمة مباركة الم تري ما بتنا به الليلة من الخير والبركة حين اخذناه فلم يزل الله يزيدنا خيرا قال في رواية ذكرها ابن ظغربل في النطق المفهوم فلما نظر صاحبي الى هذا قال لي اسكتي واكتمي امرك فمن ليلة ولد هذا الغلام اصبحت الاحبار قياما على اقدامها لا يهنأها عيش النهار ولا نوم الليل قالت حليمة فودع الناس بعضهم بعضا وودعت انا ام النبي صلى الله عليه وسلم ثم ركبت اتاني واخذت محمدا صلى الله عليه وسلم بين يدي قالت فنظرت الى الاتان وقد سجدت نحو الكعبة ثلاث سجدات ورفعت راسها الى السماء ثم مشت حتى سبقت دواب الناس الذين كانوا معي وصار الناس يتعجبون مني ويقلن النساء لي وهن ورائي يا ابنة ابي ذويب أهذه اتانك التي كنت عليها وانت جائية معنا تخفضك طورا وترفعك اخرى فاقول بالله انها هي فيتعجبن منها ويقلن ان لها لشأنا عظيما قالت فكنت اسمع اتاني تنطق وتقول والله ان لي لشأنا بعثني الله بعد موتي ورد لي سمني بعد هزلي ويحكن يا نساء بني سعد انكن لفي غفلة وهل تدرين من على ظهري على ظهري خير النبيين وسيد المرسلين وخير الاولين والآخرين وحبيب رب العالمين قالت حليمة فيما ذكره ابن اسحق وغيره ثم قدمنا منازل بني سعد ولا اعلم ارضا من ارض الله اجدب منها فكانت غنمي تروح علي حين قدمنا به شباعا لبنا فنحلب ونشرب وما يحلب انسان قطرة لبن ولا يجدها في ضرع حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم اسرحوا حيث يسرح راعي غنم بنت ابي ذويب فتروح اغنامهم جياعا ما تبض بقطرة لبن وتروح اغنامي شباعا لبنا فلله در زمان بركة كثرت بها مواشي حليمة ونمت وارتفع قدر رحابه وسمت ولم تزل حليمة تتعرف الخير والسعادة وتفوز منه بالحسنى وزيادة وقال

لقد بلغت بالهاشمي حليمة ... مقاما علا في ذروة العز والمجد

وزادت مواشيها واخصب ربعها ... وقد عم هذا السعد كل بني سعد

وقال رأيت في كتاب الترقيص لابي عبد الله محمد بن المعلى الازدي ان من شعر حليمة ما كانت ترقص به النبي صلى الله عليه وسلم

يا رب اذا اعطيته فابقه ... واعله الى العلى وارقه

وادحض اباطيل العدى بحقه

وعند غيره وكانت الشيماء اخته من الرضاع تحضنه وترقصه وتقول

هذا اخ لي لم تلده امي ... وليس من نسل ابي وعمي

فديته من مخول معم ... فانمه اللهم فيما تنمي

واخرج البيهقي والصابوني في المائتين له والخطيب وابن عساكر في تاريخيهما وابن ظغربل السياف في النطق المفهوم عن العباس بن عبد المطلب قال قلت يا رسول الله دعاني الى الدخول في دينك امارة لنبوتك رايتك في المهد تناغي القمر وتشير اليه باصبعك فحيث اشرت اليه مال قال اني كنت احدثه ويحدثني ويلهيني عن البكاء واسمع وجبته حين يسجد تحت العرش قال البيهقي تفرد به احمد بن ابرهيم الحلبي وهو مجهول وقال الصابوني هذا حديث غريب الاسناد والمتن وفي المعجزات حسن والمناغاة المحادثة وقد ناغت الام صبيها لاطفته وشاغلته بالمحادثة والملاعبة وفي فتح الباري عن سيرة الواقدي انه صلى الله عليه وسلم تكلم في اوائل ما ولد وذكر ابن سبع في الخصائص ان مهده كان يتحرك بتحريك الملائكة واخرج البيهقي وابن عساكر عن ابن عباس قال كانت حليمة تحدث انها اول ما فطمت رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم وقال الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا فلما ترعرع كان يخرج فينظر الى الصبيان يلعبون فيجتنبهم الحديث وقد روى ابن سعد وابو نعيم وابن عساكر عن ابن عباس قال كانت حليمة لا تدعه يذهب مكانا بعيدا فغفلت عنه فخرج مع اخته الشيماء الى البهم في الظهيرة فخرجت حليمة تطلبه حتى تجده فوجدته مع اخته فقالت في هذا الحر فقالت اخته يا امه ما وجد اخي حرا رايت غمامة تظل عليه اذا وقف وقفت واذا سار سارت معه حتى انتهى الى هذا الموضع الحديث وكان صلى الله عليه وسلم يشب شبابا لا يشبهه الغلمان قالت حليمة فلما فصلته قدمنا به على امه ونحن احرص شيء على مكثه عندنا لما نرى من بركته فكلمنا امه وقلنا لو تركتيه عندنا حتى يغلظ فانا نخشى عليه وباء مكة ولم نزل بها حتى ردته معنا فرجعنا به فوالله انه لبعد مقدمنا بشهرين او ثلاثة مع اخيه من الرضاعة لفي بهم لنا خلف بيوتنا جاء اخوه يشتد فقال ذاك اخي القرشي قد جاءه رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعاه وشقا بطنه فخرجت انا وابوه نشتد نحوه فنجده قائما منتقعا لونه فاعتنقه ابوه وقال اي بني ما شأنك قال جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعاني فشقا بطني ثم استخرجا منه شيئا فطرحاه ثم رداه كما كان فرجعنا به معنا فقال ابوه يا حليمة لقد خشيت ان يكون ابني قد اصيب فانطلقي نرده الى اهله قبل ان يظهر به ما نتخوف قالت حليمة فاحتملناه حتى قدمنا به الى امه فقالت ما ردكما به وقد كنتما حريصين عليه قلنا نخشى عليه الاتلاف والاحداث فقالت ما ذاك بكما فاصدقاني شأنكما فلم تدعنا حتى اخبرناها خبره قالت اخشيتما عليه الشيطان كلا والله ما للشيطان عليه سبيل وانه لكائن لابني هذا شأن فدعاه عنكما وفي حديث شداد بن اوس عن رجل من بني عامر عند ابي يعلى وابي نعيم وابن عساكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت مسترضعا في بني ليث بن بكر فبينا انا ذات يوم في بطن واد مع اتراب لي من الصبيان اذا انا برهط ثلاثة معهم طست

البهم اولاد الغنم الصغار

شق صدره الشريف

من ذهب مُلِيٌّ ثلجا فاخذ وبي من بين اصحابي فانطلق الصبيان هربا مسرعين الى الحي فعمد
احدهم فاضجعني على الارض اضجاعا لطيفا ثم شق ما بين مفرق صدري الى منتهى عانتي
وانا انظر اليه لم اجد لذلك مسا ثم اخرج احشا بطني ثم غسلها بذلك الثلج فانعم غسلها
ثم اعادها مكانها ثم قام الثاني فقال لصاحبه تنح ثم ادخل يده في جوفي واخرج قلبي وانا
انظر اليه فصدعه ثم اخرج منه مضغة سودا فرمى بها ثم قال بيده يمنة ويسرة
كانه يتناول شيا فاذا انا بخاتم في يده من نور يحار الناظر دونه فختم به قلبي فامتلا نورا
وذلك نور النبوة والحكمة ثم اعاده مكانه فوجدت برد ذلك الخاتم في قلبي دهرا ثم قال
الثالث لصاحبه تنح فامر يده بين مفرق صدري الى منتهى عانتي فالتام ذلك الشق
باذن الله تعالى ثم اخذ بيدي فانهضني من مكاني انهاضا لطيفا ثم قال للاول زنه بعشرة
من امته فوزنوني بهم فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من امته فرجحتهم ثم قال زنه بالف من امته
فرجحتهم فقال دعوه فلو وزنتموه بامته كلها لرجحهم ثم ضموني الى صدورهم وقبلوا راسي
وما بين عيني ثم قالوا يا حبيب لم ترع انك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت عيناك
الحديث وفي رواية ابن عباس عند البيهقي قالت حليمة اذ انا بابني ضمرة يعدو فزعا
وجبينه يرشح باكيا ينادي يا ابة يا اماه الحقا محمدا فما تلحقاه الا ميتا اتاه رجل فاختطفه
من اوساطنا وعلى به ذروة الجبل حتى شق صدره الى عانته وفيه انه عليه الصلاة والسلام
قال اتاني رهط ثلاثة بيد احدهم ابريق من فضة وفي يد الثاني طست من زمرد خضرا الحديث
فان قلت هل غسل قلبه الشريف في الطست خاص به او فعل بغيره من الانبيا عليهم
السلام **اجيب** بانه ورد في خبر التابوت والسكينة انه كان في الطست الذي غسلت فيه
قلوب الانبيا ذكره الطبري وعزاه العماد بن كثير في تفسيره لرواية السدي عن ابي مالك
عن ابن عباس **فان قلت** ما الحكمة في ختم قلبه المقدس **اجيب** بانه اشارة الى ختم الرسالة
به وهذا مسلم ان كان الخاتم خاصا به اما اذا ورد انه ليس خاصا به بل بكل نبي وسياتي ان
شا الله قريبا ما في الخاتم الشريف من المباحث فتكون الحكمة انه علامة يمتاز بها عن غيره
ممن ليس بنبي والمراد بالوزن في قوله زنه بعشرة الى اخره الوزن الاعتباري فيكون
المراد بالرجحان في الفضل وهو كذلك وفايدة فعل الملكين ذلك ليعلم الرسول عليه
الصلاة والسلام ذلك حتى يخبر به غيره ويعتقد اذ هو من الامور الاعتقادية وقد وقع
شق صدره الشريف مرة اخرى عند مجي جبريل له بالوحي في غار حرا ومرة اخرى عند
الاسرا به وسياتي كل في موضعه ان شا الله تعالى وروي الشق ايضا وهو ابن عشر
او نحوها مع فتية له مع عبد المطلب ابو نعيم في الدلايل وفي فتح الباري في كتاب التوحيد
عزو ذلك لحديث ابي هريرة عند عبد الله بن احمد في زوايد المسند وقال الهيثمي في
رجاله ثقات وثقهم ابن حبان وروي خامسة ولا تثبت والحكمة في شق صدره الشريف
في حال صباه واستخراج العلقة منه تطهيره على حالات الصبي حتى يتصف في سن الصبي
باوصاف الرجولية ولذلك نشا عليه الصلاة والسلام على اكمل الاحوال من العصمة
وقد روي انه ختم بخاتم النبوة بين كتفيه وكان ينم مسكا وانه مثل زر الحجلة ذكره

البخاري

البخاري وفي مسلم جمع عليه خيلان كانها الثاليل السود عند نغض كتفه وروي عظم
كتف اليسرى وفي كتاب ابي نعيم الايمن وفي مسلم ايضا كبيضة الحمامة وفي صحيح الحاكم
شعر مجتمع وفي البيهقي مثل السلعة وفي الشمايل بضعة ناشزة وفي حديث عمرو بن اخطب
كشي يختم به وفي تاريخ ابن عساكر مثل البندقة وفي الترمذي ودلايل البيهقي كالتفاحة
وفي الروضة كاثر المحجم القابضة على اللحم وفي تاريخ ابن ابي خيثمة شامة خضرا محتفرة
في اللحم وفيه ايضا شامة سودا تضرب الى الصفرة حولها شعرات متراكبات كانها عرف
الفرس وفي تاريخ القضاعي ثلاث شعرات مجتمعات وفي كتاب الترمذي الحكيم كبيضة
حمام مكتوب في باطنها الله وحده لا شريك له وفي ظاهرها توجه حيث شئت فانك منصور
وفي كتاب المولد لابن عايذ كان نورا يتلالا وفي سيرة ابن ابي عاصم عذرة كعذرة الحمام
قال ابو ايوب يعني قرطمة الحمام وفي تاريخ نيسابور مثل البندقة من لحم مكتوب فيه
باللحم محمد رسول الله **وعن** عايشة كتينة صغيرة تضرب الى الدهمة وكان مما يلي الفقار
قالت فلمسته حين توفي فوجدته قد رفع حكى هذا كله الحافظ مغلطاي لكن قال في فتح الباري
ما ورد من ان الخاتم كان كاثر محجم او كالشامة السودا او الخضرا مكتوب عليها محمد رسول الله
او سر فانك المنصور لم يثبت منها شي قال ولا يغتر بما وقع في صحيح ابن حبان فانه غفل حيث
صحح ذلك وقال الهيثمي في موارد الظمان بعد ان اورد الحديث ولفظه مثل البندقة من اللحم
مكتوب عليه محمد رسول الله قلت اختلط على بعض الرواة خاتم النبوة بالخاتم الذي كان
يختم به وتعقبه الحافظ بن حجر على الهامش البعض المذكور هو اسحق بن ابرهيم قاضي سمرقند
وهو ضعيف وقوله زر الحجلة بالزاي والرا والحجلة بالحا المهملة والجيم قال النووي
هي واحد الحجال وهي بيت كالقبة لها ازرار كبار وعرى هذا هو الصواب وقال بعضهم المراد
بالحجلة الطاير المعروف وزرها بيضها واشار اليه الترمذي وانكره عليه العلما وقوله
جمع بضم الجيم واسكان الميم اي كجمع الكف وهو صورته بعد ان تجمع الاصابع وتضمها وقوله
خيلان بكسر الخا المعجمة واسكان التحتية جمع خال وهو الشامة على الجسد وقوله
نغض بالنون والغين والضاد المعجمتين قال النووي النغض والنغض والناغض اعلا الكتف
وقيل هو العظم الرقيق الذي على طرفه وقيل ما يظهر منه عند التحرك سمي ناغضا لتحركه
وقوله بضعة ناشزة بالمعجمة والزاي اي قطعة لحم مرتفعة على الجسد وبيضة الحمام
معروفة انتهى الثاليل بالمثلثة جمع ثولول وهو حب يعلو ظاهر الجسد واحدته كالحمصة
فما دونها وفي القاموس وقرطمة الحمام اي بكسر القاف نقطتان على اصل منقاره وقال بعض
العلما اختلفت اقوال الرواة في خاتم النبوة وليس ذلك باختلاف بل كل شبهه بما سنح له
وكلها الفاظ مؤداها واحد وهو قطعة لحم ومن قال شعر فلان الشعر حوله متراكب عليه
كما في الرواية الاخرى وقال القرطبي الاحاديث الثابتة تدل على ان خاتم النبوة كان شيا
بارزا احمر عند كتفه الايسر اذا قلل قدر بيضة الحمام واذا كبر جمع اليد وقال القاضي عياض
وهذه الروايات متقاربة متفقة على انه شاخص في جسده قطعة لحم قدر بيضة الحمام وزر
الحجلة واما رواية جمع الكف فظاهرها المخالفة فيتاول على وفق الروايات الكثيرة ويكون معنا

الروض

وان لم يكن خاصا به

مجمع الزوائد

على هيئة جمع الكف لكنه اصغر منه في قدر بيضة الحمامة قال وهذا الخاتم هو اثر شق الملكين بين كتفيه قال النووي هذا الذي قاله ضعيف بل باطل لان شق الملكين انما كان في صدره وبطنه انتهى ويشهد له قول انس في حديث عند مسلم يا بني في ذكر قلبه الشريف من المقصد الثالث ان شاء الله تعالى فلقد كنت اري اثر المخيط في صدره لكن أجيب بان في حديث عتبة ابن عبد السلمي عند احمد والطبراني ان الملكين لما شقا صدره قال احدهما للآخر خطه فخاطه وختم عليه بخاتم النبوة فلما ثبت ان خاتم النبوة كان بين كتفيه حمل القاضي عياض ذلك على ان الشق لما وقع في صدره ثم خيط حتى التأم كما كان ووقع الختم بين كتفيه كان ذلك اثر الختم وفهم النووي وغيره منه ان قوله بين كتفيه متعلق بالشق وليس كذلك بل هو متعلق باثر الختم وحينئذ فليس ما قاله القاضي عياض باطلا انتهى **وقال** السهيلي والصحيح انه يعني خاتم النبوة كان عند نغض كتفه الايسر **واختلف** هل ولد وهو به او وضع بعد ولادته على قولين وقد وقع التصريح بوقت وضع الخاتم وكيف وضع ومن وضعه في حديث ابي ذر عند وغيره قال قلت يا رسول الله كيف علمت انك نبي وبما علمت حتى استيقنت قال اتاني آتيان وفي رواية ملكان وانا ببطحاء مكة فوقع احدهما بالارض وكان الآخر بين السماء والارض فقال احدهما لصاحبه اهو هو قال هو هو قال فزنه برجل الحديث وفيه ثم قال احدهما لصاحبه شق بطنه فشق بطني فاخرج قلبي فاخرج منه مغمز الشيطان وعلق الدم فطرحهما فقال احدهما لصاحبه اغسل بطنه غسل الاناء واغسل قلبه غسل الملاء ثم قال احدهما لصاحبه خط بطنه فخاط بطني وجعل الخاتم بين كتفي كما هو الآن وولبا عني وكاني ارى الامر معاينة وعند ابي نعيم في الدلائل انه صلى الله عليه وسلم لما ولد ذكرت امه ان الملك غمسه في الماء الذي انبعه ثلاث غمسات ثم اخرج صرة من حرير ابيض فاذا فيها خاتم فضرب على كتفه كالبيضة المكنونة تضيء كالزهرة وقيل ولد به والله اعلم **واخرج** الحاكم في المستدرك عن وهب بن منبه قال لم يبعث الله نبيا الا وقد كان عليه شامات النبوة في يده اليمنى الا ان يكون نبينا صلى الله عليه وسلم فان شامة النبوة كانت بين كتفيه وعلى هذا فيكون وضع الخاتم بين كتفيه بازاء قلبه مما اختص به على سائر الانبياء والله اعلم **ولما بلغ** صلى الله عليه وسلم اربع سنين وقيل ست وقيل خمس وقيل سبع وقيل تسع وقيل اثنى عشر سنة وشهرا وعشرة ايام ماتت امه بالابواء وقيل بشعب ابي ذب بالحجون وفي القاموس ودار النابغة بمكة فيه مدفن آمنة ام النبي صلى الله عليه وسلم **واخرج** ابن سعد عن ابن عباس عن الزهري وعن عاصم بن عمر بن قتادة دخل حديث بعضهم في بعض قالوا لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ست سنين خرجت به امه الى اخواله بني عدي بن النجار بالمدينة تزورهم ومعه ام ايمن فنزلت به دار النابغة فاقامت به عندهم شهرا فكان صلى الله عليه وسلم يذكر امورا كانت في مقامه ذلك ونظر الى الدار فقال ها هنا نزلت بي امي واحسنت العوم في بئر بني عدي بن النجار وكان قوم من اليهود يختلفون ينظرون الي قالت ام ايمن فسمعت احدهم يقول هو نبي هذه الامة وهذه دار هجرته فوعيت ذلك كله من كلامهم ثم رجعت به امه الى مكة فلما كانت بالابواء

توفيت

نسخه
عن اسما بنت رهم

توفيت **وروى** ابو نعيم من طريق الزهري عن ام سماعة بنت ابي رهم عن امها قالت شهدت آمنة ام النبي صلى الله عليه وسلم في علتها التي ماتت بها ومحمد عليه الصلاة والسلام غلام يفع له خمس سنين عند راسها فنظرت الى وجهه ثم قالت

بارك الله فيك من غلام ۞ يا ابن الذي من حومة الحمام ۞
نجا بعون الملك المنعام ۞ فودي غداة الضرب بالسهام ۞
بمائة من ابل سوام ۞ ان صح ما ابصرت في المنام ۞
فانت مبعوث الى الانام ۞ من عند ذي الجلال والاكرام ۞
تبعث في الحل وفي الحرام ۞ تبعث بالتحقيق والاسلام ۞
دين ابيك البر ابراهام ۞ فالله ينهاك عن الاصنام ۞
ان لا تواليها مع الاقوام ۞

ثم قالت كل حي ميت وكل جديد بال وكل كبير يفنى وانا ميتة وذكري باق وقد تركت خيرا وولدت طهرا ثم ماتت فكنا نسمع نوح الجن عليها فحفظنا من ذلك

نبكي الفتاة البرة الامينه ۞ ذات الجمال العفة الرزينه ۞
زوجة عبد الله والقرينه ۞ ام نبي الله ذي السكينه ۞
وصاحب المنبر بالمدينه ۞ صارت لدى حفرتها رهينه ۞

وقد روي ان آمنة آمنت به صلى الله عليه وسلم بعد موتها فروى الطبري بسنده عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم نزل الحجون كئيبا حزينا فاقام به ما شاء الله عز وجل ثم رجع مسرورا قال سألت ربي عز وجل فاحيى لي امي فآمنت بي ثم ردها ورواه ابو حفص ابن شاهين في كتاب الناسخ والمنسوخ له بلفظ قالت عائشة حج بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فمر بي على عقبة الحجون وهو باك حزين مغتم فبكيت لبكائه ثم انه نزل فقال يا حميرا استمسكي فاستندت الى جنب البعير فمكث مليا ثم عاد الي وهو فرح متبسم فقال ذهبت لقبر امي فسألت ربي ان يحييها فاحياها فآمنت بي وكذا روي من حديث عائشة ايضا احيا ابويه صلى الله عليه وسلم حتى آمنا به اورده السهيلي وكذا الخطيب في السابق واللاحق وقال السهيلي ان في اسناده مجاهيل وقال ابن كثير انه حديث منكر جدا وسنده مجهول وقال ابن دحية هذا الحديث الموضوع يرده القرآن والاجماع انتهى **وقد** جزم بعض العلماء بان ابويه صلى الله عليه وسلم ناجيان وليسا في النار متمسكا بهذا الحديث وغيره **وتعقبه** عالم آخر بانه لم ير احدا صرح بان الايمان بعد انقطاع العمل بالموت ينفع صاحبه فان ادعى احد الخصوصية فعليه الدليل انتهى **وقد** سبقه لذلك ابو الخطاب بن دحية وعبارته من مات كافرا لم ينفعه الايمان بعد الرجعة بل لو آمن عند المعاينة لم ينفعه ذلك فكيف بعد الاعادة انتهى **وتعقبه** القرطبي في التذكرة بان فضائله صلى الله عليه وسلم وخصائصه لم تزل تتوالى وتتابع الى حين مماته فيكون هذا مما فضله الله به واكرمه قال وليس احياؤهما وايمانهما ممتنعا عقلا ولا شرعا فقد ورد في الكتاب العزيز احياء قتيل بني اسرائيل واخباره بقاتله وكان عيسى عليه السلام يحيي الموتى وكذلك

ايمان الابوين
والآباء الشريفة

صلى الله عليه وسلم احيا الله على يديه جماعة من الموتى واذا ثبت هذا فما يمتنع ايمانهما بعد احيائهما ويكون ذلك زيادة في كرامته وفضيلته ثم قال وقوله من مات كافرا الى آخر كلامه مردود بما روي في الخبر ان الله تعالى رد الشمس على نبيه صلى الله عليه وسلم بعد مغيبها ذكره الطحاوي وقال انه حديث ثابت فلو لم يكن رجوع الشمس نافعا لايمانهما وانه لا يتجدد به الوقت لما ردها عليه فكذلك يكون احياء ابوي النبي صلى الله عليه وسلم نافعا لايمانهما وتصديقهما بالنبي صلى الله عليه وسلم انتهى وقد طعن بعضهم في حديث رد الشمس كما سيأتي ان شاء الله تعالى في مقصد المعجزات وقد تمسك القائل بنجاتهما ايضا بانهما ماتا قبل البعثة في زمن الفترة ولا تعذيب قبلها لقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا قال وقد اطبقت الائمة الاشاعرة من اهل الكلام والاصول والشافعيين من الفقهاء على ان من مات ولم تبلغه الدعوة يموت ناجيا قال وقال الامام فخر الدين الرازي في كتابه اسرار التنزيل ما نصه قيل ان آزر لم يكن والد ابرهيم بل كان عمه واحتجوا عليه بوجوه منها ان آباء الانبياء ما كانوا كفارا ويدل عليه وجوه منها قوله تعالى الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين قيل معناه انه كان ينتقل نوره من ساجد الى ساجد قال ففيه دلالة على ان جميع آباء محمد كانوا مسلمين ثم قال ومما يدل على ان آباء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ما كانوا مشركين قوله عليه الصلاة والسلام لم ازل انقل من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات وقال تعالى انما المشركون نجس فوجب ان لا يكون احد من اجداده مشركا كذا قال **وتعقب** بانه لا دلالة في قوله وتقلبك في الساجدين على ما ادعاه فقد ذكر البيضاوي في تفسيره وغيره ان معنى الآية وترددك في احوال المتهجدين كما روي انه لما نسخ فرض قيام الليل طاف عليه الصلاة والسلام تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على كثرة طاعاتهم فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع لهم من دندنتهم بذكر الله تعالى وقد ورد النص بان ابا ابرهيم عليه السلام مات على الكفر كما صرح به البيضاوي وغيره قال تعالى فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه واما قوله انه كان عمه فمعدول عن الظاهر من غير دليل انتهى ونقل الامام ابو حيان في البحر عند تفسير قوله تعالى وتقلبك في الساجدين ان الرافضة هم القائلون ان آباء النبي صلى الله عليه وسلم كانوا مؤمنين مستدلين بقوله تعالى وتقلبك في الساجدين وبقوله عليه الصلاة والسلام لم ازل انقل من اصلاب الطاهرين الحديث انتهى **وروى** ابن جرير عن علقمة بن مرثد عن سليمن بن بريدة عن ابيه ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة اتى رسم قبر فجلس اليه فجعل يخاطب ثم قام مستعبرا فقلنا يا رسول الله انا رأينا ما صنعت قال اني استأذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي فما رؤي باكيا اكثر من يومئذ **وروى** ابن ابي حاتم في تفسيره عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى المقابر فاتبعناه فجاء حتى جلس الى قبر منها فناجاه طويلا ثم بكى فبكينا لبكائه ثم قام فقام اليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فدعاه ثم دعانا فقال ما ابكاكم قلنا بكينا لبكائك فقال ان القبر الذي جلست عنده قبر آمنة واني استأذنت ربي

بع

الكلام على من مات في الفترة

في زيارتها فاذن لي واني استأذنته في الدعاء لها فلم يأذن لي وانزل علي ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى فاخذني ما ياخذ الولد للوالد من الرقة اخرجه الطبراني من حديث ابن عباس وفي مسلم استأذنت ربي ان استغفر لامي فلم يأذن لي واستأذنته في ان ازور قبرها فاذن لي فزوروا القبور فانها تذكر الآخرة قال القاضي عياض بكاؤه عليه الصلاة والسلام على ما فاتها من ادراك ايامه والايمان به وفي مسلم ايضا ان رجلا قال يا رسول الله اين ابي قال في النار فلما قفى دعاه فقال ان ابي واباك في النار **قال** النووي فيه من مات على الكفر فهو في النار ولا تنفعه قرابة المقربين وفيه ان من مات في الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الاوثان فهو في النار وليس في هذا مؤاخذة قبل بلوغ الدعوة فان هؤلاء كانت قد بلغتهم دعوة ابرهيم وغيره من الانبياء وقال الامام فخر الدين من مات مشركا فهو في النار وان مات قبل البعثة لان المشركين كانوا قد غيروا الحنيفية دين ابرهيم واستبدلوا بها الشرك وارتكبوه وليس معهم من الله حجة به ولم يزل معلوما من دين الرسل كلهم من اولهم الى آخرهم قبح الشرك والوعيد عليه في النار واخبار عقوبات الله لاهله متداولة بين الامم قرنا بعد قرن فلله الحجة البالغة على المشركين في كل وقت وحين ولو لم يكن الا ما فطر الله تعالى عباده عليه من توحيد ربوبيته وانه يستحيل في كل فطرة وعقل ان يكون معه اله آخر وان كان سبحانه لا يعذب بمقتضى هذه الفطرة وحدها فلم تزل دعوة الرسل الى التوحيد في الارض معلومة لاهلها فالمشرك مستحق للعذاب في النار لمخالفته دعوة الرسل وهو مخلد فيها دائما كخلود اهل الجنة في الجنة **وقد تعقب** العلامة ابو عبد الله الابي من المالكية فيما وضعه على صحيح مسلم قول النووي الماضي وفيه ان من مات في الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الاوثان في النار الى آخره بما معناه تامل ما في كلامه من التنافي فان من بلغتهم الدعوة ليسوا باهل فترة لان اهل الفترة هم الامم الكائنة بين ازمنة الرسل الذين لم يرسل اليهم الاول ولا ادركوا الثاني كالاعراب الذين لم يرسل اليهم عيسى عليه السلام ولا لحقوا النبي صلى الله عليه وسلم والفترة بهذا التفسير تشمل ما بين كل رسولين كالفترة بين نوح وهود لكن الفقهاء اذا تكلموا في الفترة فانما يعنون التي بين عيسى ونبينا عليهما الصلاة والسلام وذكر البخاري عن سلمان انها كانت ستمائة سنة ولما دلت القواطع على انه لا تعذيب حتى تقوم الحجة علمنا انهم غير معذبين فان قلت قد صحت احاديث بتعذيب اهل الفترة كحديث رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار ورأيت صاحب المحجن في النار وهو الذي يسرق الحاج بمحجنه فاذا بصر به قال انما تعلق بمحجني اجيب باجوبة احدها انها اخبار آحاد فلا تعارض القطع الثاني قصر التعذيب على هؤلاء والله اعلم بالسبب الثالث قصر التعذيب المذكور في هذه الاحاديث على من بدل وغير من اهل الفترة بما لا يعذر به من الضلال كعبادة الاوثان وتغيير الشرائع فان اهل الفترة ثلثة اقسام الاول من ادرك التوحيد ببصيرته ثم من هؤلاء من لم يدخل في شريعة كقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل ومنهم من دخل في شريعة

حتى قايمة الرسم كتبع وقومه من حمير واهل نجران وورقة بن نوفل وعمه عثمان بن الحويرث القسم الثاني من اهل الفترة وهم من بدل وغير واشرك ولم يوحد فشرع لنفسه وحلل وحرم وهم الاكثر كعمرو بن لحي اول من سن للعرب عبادة الاصنام وشرع الاحكام فبحر البحيرة وسيب السايبة ووصل الوصيلة وحمى الحامي وتبعته العرب في ذلك وغيره مما يطول ذكره القسم الثالث من اهل الفترة الذين لم يشرك ولم يوحد ولا دخل في شريعة نبي ولا ابتكر لنفسه شريعة ولا اخترع دينا بل بقي عمره على حال غفلة عن هذا كله وفي الجاهلية من كان على ذلك واذا انقسم اهل الفترة الى ثلاثة اقسام فيحمل من صح تعذيبه على اهل القسم الثاني لكفرهم بما تعبدوا به من الخبايث والله سبحانه قد سمى جميع هذا القسم كفارا ومشركين فانا نجد القرآن كلما حكى حال احد سجل عليهم بالكفر والشرك كقوله تعالى ما جعل الله من بحيرة ثم قال تعالى ولكن الذين كفروا الآية والقسم الثالث هم اهل الفترة حقيقة وهم غير معذبين واما اهل القسم الاول كقس وزيد بن عمرو فقد قال عليه الصلاة والسلام في كل منهما انه يبعث امة واحدة واما عثمن بن الحويرث وتبع وقومه واهل نجران فحكمهم حكم اهل الدين الذين دخلوا فيه ما لم يلحق احد منهم الاسلام الناسخ لكل دين انتهى ملخصا وسياتي ما قيل في ورقة في حديث المبعث ان شا الله تعالى فهذا ما تيسر من البحث في مسئلة والديه صلى الله عليه وسلم وقد كان الاولى تركه ذلك وانما جرنا اليه ما وقع من المباحثة فيه بين علماء العصر ولقد احسن الحافظ شمس الدين ابن ناصر الدين الدمشقي حيث قال حبى الله

حبى الله النبي مزيد فضل   على فضل وكان به رؤوفا
فاحيى امه وكذا اباه   لايمان به فضلا لطيفا
فسلم فالقديم بذا قدير   وان كان الحديث به ضعيفا

فالحذر الحذر من ذكرهما بما فيه نقص فان ذلك قد يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم لان العرف جار بانه اذا ذكر ابو الشخص بما ينقصه او وصف بوصف به وذلك الوصف فيه نقص تاذى ولده بذكر ذلك له عند المخاطبة وقد قال عليه الصلاة والسلام لا تؤذوا الاحياء بسب الاموات رواه الطبراني في الصغير ولا ريب ان اذاه عليه الصلاة والسلام كفر يقتل فاعله ان لم يتب عندنا وسياتي في مباحث ذلك ان شا الله تعالى في الخصايص من مقصد المعجزات ولقد احسن بعض العلما في الاستدلال لايمانهما فالله تعالى يثيبه على قصده الجميل قال الحافظ بن حجر في بعض كتبه والظن بانه يعني الذين ماتوا قبل البعثة انهم يطيعون عند الامتحان اكراما له صلى الله عليه وسلم لتقر عينه وقال في الاصابة ونحن نرجو ان يدخل عبد المطلب في جملة من يدخلها طايعا فينجو الا ابا طالب فانه ادرك البعثة ولم يؤمن وقد كانت ام ايمن بركة دايته وحاضنته بعد موت امه وكان عليه الصلاة والسلام يقول لها انت امي بعد امي ومات جده عبد المطلب كافله وله ثمان سنين وقيل ثمان سنين وشهر وعشرة ايام وقيل تسع وقيل عشر وقيل ست وقيل ثلاث وفيه نظر وله عشر وماية سنة وقيل ماية واربعون سنه وكفله ابو طالب

واسمه

واسمه عبد مناف وكان عبد المطلب قد اوصاه بذلك لكونه شقيق عبد الله وقد اخرج ابن عساكر عن جلهمة عن عرفطة قال قدمت مكة وهم في قحط فقالت قريش يا ابا طالب اقحط الوادي واجدب العيال فهلم فاستسق فخرج ابو طالب ومعه غلام كانه شمس دجن تجلت عنه سحابة قتما وحوله اغيلمة فاخذه ابو طالب فالصق ظهره بالكعبة ولاذ باصبعه الغلام وما في السماء قزعة فاقبل السحاب من هاهنا ومن هاهنا واغدق واغدودق وانفجر له الوادي واخصب البادي والنادي وفي ذلك يقول ابو طالب

وابيض يستسقى الغمام بوجهه   ثمال اليتامى عصمة للارامل

والثمال بكسر المثلثة الملجا والغياث وقيل المطعم في الشدة وعصمة للارامل اي يمنعهم من الضياع والحاجة والارامل المساكين من الرجال والنساء ويقال لكل واحد من الفريقين على انفراده ارامل وهو بالنساء اخص واكثر استعمالا والواحد ارمل وارملة وهذا البيت من ابيات في قصيدة لابي طالب ذكرها ابن اسحق بطولها وهي اكثر من ثمانين بيتا قالها لما تمالات قريش على النبي صلى الله عليه وسلم ونفروا عنه من يريد الاسلام واولها

ولما رايت القوم لا ود عندهم   وقد قطعوا كل العرى والوسايل
وقد جاهرونا بالعداوة والاذى   وقد طاوعوا امر العدو المزايل

ومنها

اعبد مناف انتم خير قومكم   فلا تشركوا في امركم كل واغل
فقد خفت ان لم يصلح الله امركم   تكونوا كما كانت احاديث وايل

ومنها

اعوذ برب الناس من كل طاعن   علينا بسوء او ملحق بباطل
وثور ومن ارسى ثبيرا مكانه   وراق ليرقى في حراء ونازل
وبالبيت حق البيت في بطن مكة   وبالله ان الله ليس بغافل

ومنها

كذبتم وبيت الله نبزى محمدا   ولما نطاعن دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله   ونذهل عن ابنائنا والحلايل

ومعنى نناضل نجادل ونخاصم وندافع ونبزى بضم النون وسكون الموحدة آخره زاي اي نقهر ونغلب عليه قال ابن التين ان في شعر ابي طالب هذا دليلا على انه كان يعرف نبوة النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث لما اخبره به بحيرا وغيره من شانه وتعقبه الحافظ ابو الفضل بن حجر بان ابن اسحق ذكر ان انشاء ابي طالب لهذا الشعر كان بعد البعث ومعرفة ابي طالب بنبوته عليه الصلاة والسلام جاءت في كثير من الاخبار وتمسك بها الشيعة في انه كان مسلما قال ورايت لعلي بن ابي طالب حمزة البصري جزءا جمع فيه شعر ابي طالب وزعم انه كان مسلما وانه مات على الاسلام وان الحشوية تزعم انه مات كافرا واستدل لدعواه بما لا دلالة فيه انتهى ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اثني عشرة سنة خرج مع عمه ابي طالب الى الشام حتى بلغ بصرى فراه بحيرا الراهب واسمه جرجيس فعرفه بصفته وقال وهو آخذ بيده هذا سيد العالمين هذا يبعثه الله رحمة للعالمين فقيل له وما علمك بذلك فقال انكم حين اشرفتم من العقبة لم يبق حجر ولا شجر الا خر ساجدا ولا يسجد الا لنبي واني اعرفه بخاتم النبوة

في اسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة وانا نجده في كتبنا وسأل اباطالب ان برده خوفا عليه
من اليهود الحديث رواه ابن ابي شيبة وفيه انه صلى الله عليه وسلم اقبل وعليه غمامة
تظله وبحيرا بفتح الموحدة وكسر المهملة وسكون المثناة التحتية آخره راء مقصورا
قال الذهبي في تجريد الصحابة راى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعث وآمن به
وذكره ابن منده وابو نعيم في الصحابة وهذا ينبني على تعريفهم الصحابي بمن راه صلى الله
عليه وسلم هل المراد حال النبوة او اعم من ذلك حتى يدخل من راه قبل النبوة ومات
قبلها على دين الحنيفية وهو محل نظر وسيأتي البحث فيه ان شاء الله تعالى في المقصد
السابع وخرج الترمذي وحسنه والحاكم وصححه ان في هذه السفرة اقبل سبعة
من الروم يقصدون قتله عليه الصلاة والسلام فاستقبلهم بحيرا وقال لهم ما جاء بكم قالوا
ان هذا النبي خارج في هذا الشهر فلم يبق طريق الا بعث اليها باناس فقال فرايتم امرا اراده الله
ان يقضيه هل يستطيع احد من الناس رده فقالوا لا قال فبايعوه فاقاموا معه ورده
ابو طالب وبعث معه ابو بكر بلالا قال السهيلي هذه القصة مشهورة عند اهل المغازي
انتهى وضعف الذهبي الحديث لقوله في آخره وبعث معه ابو بكر بلالا فان ابا بكر اذ ذاك
لم يكن متأهلا ولا اشترى بلالا وقال الحافظ ابن حجر في الاصابة الحديث رجاله ثقات وليس فيه
منكر سوى هذه اللفظة فيحمل على انها مدرجة فيه مقتطعة من حديث آخر وهما من احد
رواته وفي حديث عند البيهقي وابي نعيم ان بحيرا راى وهو في صومعته في الركب حين
اقبلوا وغمامة بيضاء تظله من بين القوم ثم اقبلوا حتى نزلوا بظل شجرة قريبا منه
فنظر الى الغمامة حين اظلت الشجرة وتهصرت اغصان الشجرة على رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى استظل تحتها الحديث وفيه ان بحيرا قام فاحتضنه وانه جعل يسأله
عن اشياء من حاله من نومه وهيئته واموره ويخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيوافق ذلك ما عنده بحيرا من صفته وراى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته
التي عنده وتقدم ان اخته الشيماء بنت حليمة راته في الظهيرة وغمامة تظله اذا وقف
وقفت واذا سار سارت رواه ابو نعيم وابن عساكر ولله در القائل حيث ماك

ان قال يوما ظللته غمامة هي في الحقيقة تحت ظل القائل

ونقل الشيخ بدر الدين الزركشي عن بعض اهل المعرفة انه صلى الله عليه وسلم كان معتدل
الحرارة والبرودة فلا يحس بالحر ولا بالبرد وانه كان في ظل غمامة من اعتدله كذا نقل
رحمه الله واخرج ابن منده بسند ضعيف عن ابن عباس ان ابا بكر الصديق صحب النبي
صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان عشرة والنبي صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة
وهم يريدون الشام في تجارة حتى نزلا منزلا فيه سدرة فقعد في ظلها ومضى ابو بكر الى
راهب يقال له بحيرا يسأله عن شيء فقال له من الرجل الذي في ظل الشجرة قال محمد
ابن عبد الله بن عبد المطلب قال هذا والله نبي ما استظل تحتها بعد عيسى عليه السلام
الا محمد ووقع في قلب ابي بكر الصديق فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم اتبعه قال
الحافظ ابو الفضل بن حجر في الاصابة ان صحت هذه القصة فهو سفرة اخرى بعد سفرة

ابي طالب

ابي طالب انتهى ثم خرج صلى الله عليه وسلم ايضا ومعه ميسرة غلام خديجة ابنة خويلد
ابن اسد في تجارة لها حتى بلغ سوق بصرى وقيل سوق حباشة بتهامة وله اذ ذاك خمس
وعشرون سنة لاربع عشرة ليلة خلت من ذي الحجة فنزل تحت ظل شجرة فقال نسطور
الراهب ما نزل تحت هذه الشجرة الا نبي وفي رواية بعد عيسى وكان ميسرة يرى في الهاجرة
ملكين يظلانه من الشمس ولما رجعوا الى مكة في ساعة الظهيرة وخديجة في علية لها رأت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بعيره وملكان يظلان عليه رواه ابو نعيم وتزوج
صلى الله عليه وسلم خديجة بعد ذلك بشهرين وخمسة وعشرين يوما وقيل كان سنه احدى
وعشرين سنة وقيل ثلاثين وكانت تدعى في الجاهلية بالطاهرة وكانت تحت ابي هالة بن زرارة
التميمي فولدت له هندا وهالة ثم اذكر انه تزوجها عتيق بن عابد المخزومي فولدت
له هندا وكان عمرها حين تزوجها بالنبي صلى الله عليه وسلم من العمر اربعين سنة وبعض
اخرى وكانت عرضت نفسها عليه فذكر ذلك لاعمامه فخرج معه منهم حمزة حتى دخل على
خويلد بن اسد فخطبها اليه فتزوجها عليه الصلاة والسلام واصدقها عشرين بكرة وحضر
ابو بكر ورؤساء مضر فخطب ابو طالب فقال الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل
وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا
وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن اخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن برجل الا رجح
فان كان في المال قل فان المال ظل زائل وامر حائل ومحمد من قد عرفتم قرابته وقد خطب
خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما عاجله وآجله من مالي كذا وهو والله بعد هذا
له نبأ عظيم وخطر جليل فزوجها والضئضئ الاصل وحضنة بيته اي الكافلين له والقائمين
بخدمته وسواس حرمه اي متولوا امره قال ابن اسحق وزوجه اباها خويلد وقد ذكر
الدولابي وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم اصدق خديجة اثنتي عشرة اوقية ذهبا
ونشا قالوا وكل اوقية اربعون درهما والنش نصف اوقية ولما بلغ صلى الله عليه وسلم
خمسا وثلثين سنة خافت قريش ان تنهدم الكعبة من السيول فامروا باقوم بموحدة والف
فاف مضمومة فواو ساكنة فميم النجار القبطي مولى سعيد بن العاص وصانع المنبر الشريف
بان يبني الكعبة المعظمة وحضر صلى الله عليه وسلم وكان ينقل معهم الحجارة وكانوا يضعون
ازرهم على عواتقهم ويحملون الحجارة ففعل ذلك صلى الله عليه وسلم فلبط به بالموحدة
كعني اي سقط من قيام كما في القاموس ونودي عورتك فكان ذلك اول ما نودي فقال له
ابو طالب والعباس يا ابن اخي اجعل ازارك على راسك فقال ما اصابني ما اصابني الا من التعري
ولما بلغ صلى الله عليه وسلم اربعين سنة وقيل واربعين يوما وقيل وعشرة ايام
وقيل وشهرين يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من شهر رمضان وقيل لسبع وقيل
لاربع وعشرين ليلة وقال ابن عبد البر يوم الاثنين لثمان من ربيع الاول سنة احدى
واربعين من الفيل وقيل من اول ربيع بعثه الله تعالى رحمة للعالمين ورسولا
الى كافة الثقلين اجمعين ويشهد لبعثته يوم الاثنين ما رواه مسلم عن ابي قتادة
انه صلى الله عليه وسلم سئل عن يوم الاثنين فقال فيه ولدت وفيه انزل علي وقال

بعثة النبي صلى الله عليه وسلم

ابن القيم في الهدي النبوي واحتج القايلون بانه كان في رمضان بقوله تعالى شهر رمضان الذي
انزل فيه القرآن قالوا اول ما اكرمه الله تعالى بنبوته انزل عليه القرآن وقال الآخرون
انما انزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر الى بيت العزة ثم نزل نجوما بحسب الوقايع
في ثلاث وعشرين سنة وقيل كان ابتدآء المبعث في رجب **وروى** البخاري في التعبير
من حديث عايشة اول ما بدي به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة
في النوم فكان لا يرى رويا الا جاءت مثل فلق الصبح وكان يأتي حرا فيتحنث فيه وهو التعبد
الليالي ذوات العدد ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فتزوده لمثلها حتى فجأه الحق وهو
في غار حرا فجاءه الملك فيه فقال اقرا فقلت ما انا بقاري فاخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد
ثم ارسلني فقال اقرا فقلت ما انا بقاري فاخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم
ارسلني فقال اقرا فقلت ما انا بقاري فاخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم قال
اقرا باسم ربك الذي خلق حتى بلغ ما لم يعلم فرجع بها ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال
زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال يا خديجة ما لي واخبرها الخبر ثم قال
قد خشيت على فقالت كلا ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتصدق الحديث
وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوايب الحق ثم انطلقت به خديجة حتى اتت به ورقة
ابن نوفل بن اسد بن عبد العزى بن قصي وهو ابن عم خديجة اخي ابيها وكان امرا تنصر
في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربي فيكتب بالعربية من الانجيل ما شاء الله ان يكتب
وكان شيخا كبيرا قد عمي فقالت له خديجة اي ابن عم اسمع من ابن اخيك فقال له ورقة
يا ابن اخي ماذا ترى فاخبره النبي صلى الله عليه وسلم ما راى فقال ورقة هذا الناموس
الذي انزل على موسى يا ليتني فيها جذعا اكون حيا حين يخرجك قومك فقال رسول الله
او مخرجي هم فقال ورقة نعم لم يات رجل قط بما جيت به الا عودي وان يدركني يومك انصرك
نصرا موزرا ثم لم ينشب ورقة ان توفي وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي صلى الله عليه
وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤس شواهق الجبال كلما اوفى بذروة
جبل لكي يلقي نفسه منه تبدا له جبريل فقال يا محمد انك رسول الله حقا فيسكن لذلك جاشه
وتقر نفسه فيرجع فاذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فاذا اوفى بذروة جبل تبدا له
جبريل فقال له مثل ذلك **وقد تكلم العلما** في معنى قوله عليه الصلاة والسلام لخديجة
قد خشيت علي فذهب الاسماعيلي الى ان هذه الخشية كانت منه قبل ان يحصل له العلم
الضروري بان الذي جاءه ملك من عند الله وكان اشق شي عليه ان يقال عليه مجنون وقيل
ان خشيته كانت من قومه ان يقتلوه ولا عروفانه بشر يخشى من القتل والاذى كما يخشى البشر
وقوله ما انا بقاري اي اني فلا اقرا الكتب وقال القاضي عياض وغيره انما ابتدا عليه
الصلاة والسلام بالرؤيا الصالحة لئلا يفجاه الملك ويأتيه صريح النبوة بغتة فلا يحتملها
قوى البشرية فبدي باول خصال النبوة وتباشير الكرامة انتهى **فان قلت** لم كرر
قوله ما انا بقاري ثلاثا **اجاب** ابو شامة كما في فتح الباري بان يحمل قوله اولا ما انا بقاري
على الامتناع وثانيا على الاخبار بالنفي المحض وثالثا على الاستفهام وللحكمة في الغط ثلاثا

شغله

شغله عن الالتفات لشيء آخر واظهار الشدة والجد في الامر تنبيها على ثقل القول الذي
سيلقى اليه وقيل ابعاد الظن التخيل والوسوسة لانهما ليسا من صفات الجسم فلما وقع
ذلك بجسمه علم انه من امر الله **فان قلت** من اين عرف صلى الله عليه وسلم ان جبريل ملك
من عند الله وليس من الجن **فالجواب** من وجهين احدهما ان الله تعالى اظهر على يدي
جبريل عليه السلام معجزات عرفه بها كما اظهر الله تعالى على يدي محمد صلى الله عليه وسلم
معجزات عرفناه بها وثانيهما ان الله تعالى خلق في محمد صلى الله عليه وسلم علما ضروريا بان جبريل
من عند الله ملك لا جني ولا شيطان كما ان الله تعالى خلق في جبريل علما ضروريا بان المتكلم معه
هو الله تعالى وان المرسل له ربه تعالى لا غيره وقول ورقة يا ليتني فيها جذعا الضمير للنبوة
اي ليتني كنت شابا عند ظهورها حتى ابالغ في نصرتها وحمايتها واصل الجذع من الشباب الدواب
وهو ما كان منها شابا فتيا **واخرج** البيهقي من طريق العلا ابن حارثة الثقفي عن بعض اهل العلم
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اراد الله كرامته وابتداه بالنبوة كان لا يمر بحجر
ولا شجر الا سلم عليه وسمع منه فيلتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه وعن يمينه
وعن شماله ولا يرى الا الشجر وما حوله من الحجارة وهي تحييه بتحية النبوة السلام عليك
يا رسول الله الحديث **وعن** جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحرا شهرا
فلما قضيت جواري هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم ار شيا ونظرت عن شمالي فلم ار
شيا ونظرت خلفي فلم ار شيا فرفعت راسي فرايت شيا فلم اثبت له فاتيت خديجة فقلت
دثروني دثروني وصبوا علي ماء باردا فنزلت يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر الاية وذلك
قبل ان تفرض الصلاة رواه البخاري ومسلم والترمذي ولم يكن جواره عليه الصلاة
والسلام لطلب النبوة لانها اجل من ان تنال بالطلب والاكتساب وانما هي موهبة
من الله وخصوصية يختص بها من يشاء من عباده والله اعلم حيث يجعل رسالاته ولم تكن
الرجفة المذكورة خوفا من جبريل عليه السلام فانه صلى الله عليه وسلم اجل من ذلك
واثبت جنانا وانما رجف غبطة بحاله واقباله على الله عز وجل فخشي ان يشتغل بغير الله عز
وجل وقيل خاف من ثقل اعباء النبوة **وفي رواية** البيهقي في الدلايل ان خديجة قالت
لابي بكر يا عتيق اذهب به الى ورقة فاخذه ابو بكر فقص عليه ما راى فقال عليه
الصلاة والسلام اذا خلوت وحدي سمعت ندا يا محمد فانطلق هاربا فقال لا تفعل اذا قال
فاثبت حتى تسمع ثم ايتني فاخبرني فلما خلا ناداه يا محمد فثبت فقال بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين الى آخرها ثم قال قل لا اله الا الله الحديث واحتج به من قال
باولية نزول الفاتحة والصحيح ان اول ما نزل عليه صلى الله عليه وسلم من القرآن
اقرا كما صح ذلك عن عايشة وروي عن ابي موسى الاشعري وعبيد بن عمير قال النووي
وهو الصواب الذي عليه الجماهير من السلف والخلف واما ما روي عن جابر وغيره ان اول
ما نزل يا ايها المدثر فقال النووي بل ضعيف بل باطل وانما نزلت بعد فترة الوحي واما حديث
البيهقي انه الفاتحة كقول بعض المفسرين فقال البيهقي هذا منقطع وان كان محفوظا
فيحتمل ان يكون خبرا عن نزولها بعد ما نزل عليه اقرا باسم ربك ويا ايها المدثر وقال النووي

بعد ذكر هذا القول بطلانه اظهر من ان يذكر انتهى **وقد روى** ان جبريل عليه السلام اول ما نزل بالقرآن على النبي صلى الله عليه وسلم امره بالاستعاذة كما رواه الامام ابو جعفر ابن جرير عن ابن عباس قال اول ما نزل جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم قال يا محمد استعذ قال استعيذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قال قل بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال اقرا باسم ربك الذي خلق قال عبد الله وهي اول سورة انزلها على محمد صلى الله عليه وسلم قال الحافظ عماد الدين بن كثير بعد ان ذكره وهذا الاثر غريب وانما ذكرناه ليعرف فان في اسناده ضعفا وانقطاعا والله اعلم **وقد** اورد ابن ابي جمرة سوالا وهو انه لم اختص صلى الله عليه وسلم بغار حرا فكان يخلو فيه ويتحنث دون غيره من المواضع **واجاب** بان هذا الغار له فضل زائد على غيره من جهة انه منزو مجموع لتحنثه وهو يبصر بيت ربه والنظر الى البيت عبادة فكان له فيه اجتماع ثلاث عبادات الخلوة والتحنث والنظر الى البيت وغيره ليس فيه هذه الثلاث ولله در المرجاني حيث قال في فضائل حرا وما اختص به

تامل حرا في جمال محياه ۞ فكم من اناس من جلاصنه تاهوا
وعلوي من جا لعلياه زائرا ۞ يفرج عنه الهم في حال مرقاه
به خلوة الهادي الشفيع محمد ۞ وفيه له غار له كان يرقاه
وقبلته للقدس كانت بغاره ۞ وفيه اتاه الوحي في حال مبداه
وفيه تجلى الروح بالموقف الذي ۞ به الله في وقت البداة سواه
وتحت تخوم الارض في السبع اسله ۞ ومن بعد هذا اهتز بالسفل اعلاه
ولما تجلى الله قدس ذكره ۞ لطور تشظى فهو احدى شظاياه
ومنها ثبير ثم ثور بمكة ۞ كذا قد اتى في نقل تاريخ مبداه
وفي طيبة ايضا ثلاثا احدها ۞ فعيرا وورقانا واحد اروينا
ويقبل فيه سلعة الطهر مرتضا ۞ به وينادي من دعانا اجبناه
وفي احد الاوتاد في تبدحرا ۞ اتانا قابيل طابيل غشاه
وحاوى سرا لوته صخوره ۞ من السر السير بقام سمعناه
سمعنا به تسبيحا غير مرة ۞ واسمعنه جمعا فقالوا سمعناه
به مركز النور الالهي ثبتا ۞ فلسنا الى منقاتما بلغناه

وروى ابو نعيم ان جبريل وميكائيل شقا صدره وغسلاه ثم قالا اقرا باسم ربك الايات الحديث وفيه فقال ورقة ابشر فانا نشهد انك الذي بشر به عيسى بن مريم وانك على مثل ناموس موسى وانك نبي مرسل وكذا روى شق صدره الشريف هنا ايضا الطيالسي والحارث في مسنديهما والحكمة فيه ليتلقى النبي صلى الله عليه وسلم ما يوحى اليه بقلب قوي في اكمل الحالات من التطهير **قال** ابن القيم وغيره وكمل الله تعالى له عليه الصلاة والسلام من الوحي مراتب عديدة احدها الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح الثانية ما كان يلقيه الملك في روعه وقلبه من غير ان يراه كما قال صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا

في الطلب الحديث رواه ابن ابي الدنيا في القناعة وصححه الحاكم والروع بضم الراء اي نفسي وروح القدس جبريل عليه السلام **الثالثة** كان يتمثل له الملك رجلا فيخاطبه حتى يعي عليه ما يقول له فقد كان ياتيه في صورة دحية فاين تكون روحه فان كان في الجسد الذي له ستمائة جناح فالذي اتى لا روح جبريل ولا جسده وان كان في هذا الذي هو في صورة دحية فهل يموت الجسد العظيم ام يبقى خاليا من الروح المنتقلة عنه الى الجسد المشبه بجسد دحية **اجيب** كما ذكره العيني بانه لا يبعد ان لا يكون انتقالها موجب موته فيبقى الجسد حيا لا ينقص من معارفه شيء ويكون انتقال روحه الى الجسد الثاني كانتقال ارواح الشهداء الى اجواف طيور خضر وموت الاجساد بمفارقة الارواح ليس بواجب عقلا بل بعادة اجراها الله تعالى في بني آدم فلا يلزم من غيره انتهى **الرابعة** كان ياتيه في مثل صلصلة الجرس وكان اشده عليه حتى ان جبينه ليتفصد عرقا في اليوم الشديد البرد حتى ان راحلته لتبرك به في الارض ولقد جاءه الوحي مرة كذلك وفخذه على فخذ زيد بن ثابت فثقلت عليه حتى كادت ترضها قلت وروى الطبراني عن زيد بن ثابت قال كنت اكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اذا نزل عليه اخذته برحاء شديدة وعرق عرقا شديدا مثل الجمان ثم سري عنه وكنت اكتب وهو يملي علي فما افرغ حتى تكاد رجلي تنكسر من ثقل القران حتى اقول لا امشي على رجلي ابدا ولما نزلت عليه سورة المائدة كادت ان تنكسر عضد ناقته من ثقل السورة رواه احمد والبيهقي في الشعب **الخامسة** ان يرى الملك في صورته التي خلق عليها له ستمائة جناح فيوحي اليه ما شاء الله ان يوحيه وهذا وقع له مرتين كما في سورة النجم **السادسة** ما اوحاه الله اليه وهو فوق السموات من فرض الصلوات وغيرها **السابعة** كلام الله له منه اليه بلا واسطة ملك كما كلم موسى قال وقد زاد بعضهم مرتبة ثامنة وهي تكليم الله تعالى له كفاحا بغير حجاب انتهى قال شيخ الاسلام الولي بن العراقي وكان ابن القيم اخذ ذلك من روض السهيلي لكنه لم يذكر نزول اسرافيل اليه بكلمات من الوحي قبل جبريل فقد ثبت في الطرق الصحاح عن عامر الشعبي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل به اسرافيل فكان يتراءى له ثلاث سنين وياتيه بالكلمة من الوحي والشيء ثم وكل به جبريل فجاءه بالقران واما قوله اعني ابن القيم السادسة ما اوحاه الله اليه فوق السموات يعني ليلة المعراج السابعة كلام الله بلا واسطة فان اراد ما اوحاه اليه جبريل فهو داخل فيما تقدم لانه اما ان يكون جبريل في تلك الحالة على صورته الاصلية او على صورة الآدمي وكلاهما قد تقدم ذكره وان اراد وحي الله بلا واسطة وهو الظاهر في الصورة التي بعدها **واما** قوله وقد زاد بعضهم مرتبة ثامنة وهي تكليم الله له كفاحا من غير حجاب فهذا على مذهب من يقول انه عليه الصلاة والسلام رأى ربه تعالى وهي مسألة خلاف يأتي الكلام عليها ان شاء الله تعالى ويحتمل ان ابن القيم رحمه الله تعالى اراد بالمرتبة السادسة وحي جبريل وغاير بينه وبين ما قبله باعتبار محل الايحاء اي كونه فوق السموات بخلاف ما تقدم فانه كان في الارض ولا يقال يلزم عليه ان يتعدد اقسام الوحي باعتبار البقعة التي جاء فيها جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو غير ممكن لانا نقول الوحي الحاصل في السماء باعتبار ما في تلك المشاهد من الغيب نوع غير

الارض علي اختلاف بقاعها انتهي قلت ويزاد ايضا كلامه تعالي في المنام كما في حديث الزهري اتاني ربي في احسن صورة فقال يا محمد اتدري فيم يختصم الملا الاعلي الحديث ثم مرتبة اخري وهي العلم الذي يلقيه الله تعالي في قلبه وعلي لسانه عند الاجتهاد في الاحكام لانه اتفق علي انه عليه الصلاة والسلام اذا اجتهد اصاب قطعا وكان معصوما من الخطا وهذا اخرق للعادة في حقه دون الامة وهو يغاير النفث في الروع من حيث حصوله بالاجتهاد والنفث بدونه ومرتبة اخري وهي مجي جبريل في صورة رجل غير دحية لان دحية كان معروفا عندهم ذكره ابن المنير وان كانت داخلة في المرتبة الثالثة التي ذكرها ابن القيم وذكر الحليمي ان الوحي كان ياتيه علي ستة واربعين نوعا فذكرها وغالبها كما قال في فتح الباري من صفات حامل الوحي ومجموعها يدخل فيما ذكر والله اعلم وذكر ابن المنير انه كان يختلف في الوحي باختلاف مقتضاه فان نزل بوعد وبشارة نزل الملك بصورة الادمي وخاطبه من غير كد وان نزل بغير وعيد ونذارة كان حينئذ كصلصلة الجرس وقد ذكر ابن عادل في تفسيره ان جبريل عليه السلام نزل علي النبي صلي الله عليه وسلم اربعة وعشرين الف مرة ونزل علي ادم اثني عشرة مرة وعلي ادريس اربع مرات وعلي نوح خمسين مرة وعلي ابرهيم اثنين واربعين مرة وعلي موسي اربعماية مرة وعلي عيسي عشر مرات كذا قاله رحمه الله وقد روي ان جبريل بدا له صلي الله عليه وسلم في احسن صورة واطيب رايحة فقال يا محمد ان الله يقريك السلام ويقول لك انت رسولي الي الجن والانس فادعهم الي قول لا اله الا الله ثم ضرب برجله الارض فنبعت عين ماء فتوضا منها جبريل ثم امره ان يتوضا وقام جبريل يصلي وامره ان يصلي معه فعلمه الوضوء والصلاة ثم عرج الي السماء ورجع رسول الله صلي الله عليه وسلم لا يمر بحجر ولا مدر ولا شجر الا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله حتي اتي خديجة فاخبرها فغشي عليها من الفرح ثم امرها فتوضات وصلي بها كما صلي به جبريل فكان ذلك اول فرضها ركعتين ثم ان الله اقرها في السفر كذلك واتمها في الحضر وقال مقاتل كانت الصلاة اول فرضها ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي لقوله تعالي فسبح بحمد ربك بالعشي والابكار قال في فتح الباري كان صلي الله عليه وسلم قبل الاسراء يصلي قطعا وكذلك اصحابه ولكن اختلف هل افترض قبل الخمس شي من الصلاة ام لا فقيل ان الفرض كان صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها والحجة فيه قوله تعالي وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها انتهي وقال النووي اول ما وجب الانذار والدعا الي التوحيد ثم فرض الله من قيام الليل ما ذكره الله في اول سورة المزمل ثم نسخه بما في اخرها ثم نسخه بايجاب الصلوات الخمس ليلة الاسرا بمكة واما ما ذكره في هذه الرواية من ان جبريل علمه الوضوء وامره به فيدل علي ان فريضة الوضوء كانت قبل الاسراء ثم فتر الوحي فترة حتي شق عليه صلي الله عليه وسلم واحزنه وفترة الوحي عبارة عن تاخره مدة من الزمان وكان ذلك ليذهب عنه ما كان يجده عليه الصلاة والسلام من الروع وليحصل له التشوق الي العود وكانت مدة فترة الوحي ثلاث سنين كما جزم به ابن اسحق وفي تاريخ الامام احمد ويعقوب بن سفيان عن الشعبي انزل عليه النبوة وهو ابن اربعين سنة فقرن بنبوته اسرافيل ثلاث سنين

فلان

فكان يعلمه الكلمة والشي ولم ينزل عليه القران علي لسانه فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل فنزل عليه القران علي لسانه عشرين سنة وكذا رواه ابن سعد والبيهقي فقد تبين ان نبوته عليه الصلاة والسلام كانت متقدمة علي ارساله كما قاله ابو عمر وغيره كما حكاه ابو امامة ابن النقاش فكان في نزول سورة اقرا نبوته وفي نزول سورة المدثر رسالته بالنذارة والبشارة والتشريع وهذا قطعا متاخر عن الاول لانه لما كانت سورة اقرا متضمنة لذكر اطوار الادمي من الخلق والتعليم والافهام ناسب ان تكون اول سورة انزلت وهذا هو الترتيب الطبيعي وهو ان يصدر سبحانه وتعالي ما اسداه الي نبيه عليه الصلاة والسلام من العلم والفهم والحكمة والنبوة ويمن عليه بذلك في معرض تعريف عباده ما اسداه اليهم من نعمة البيان الفهم والنطق والخط ثم امره سبحانه وتعالي بان يقوم فينذر عباده وقد كان اول من امن بالله وصدق صديقة النساء خديجة فقامت باعباء الصديقية قال لها عليه الصلاة والسلام خشيت علي نفسي فقالت ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا ثم استدلت بما فيه من الصفات والاخلاق والشيم علي ان من كان كذلك لا يخزي ابدا وكان اول ذكر امن بعدها صديق الامة واسبقها الي الاسلام ابو بكر فازره في الله وعن ابن عباس انه اول الناس اسلاما واستشهد بقول حسان بن ثابت

اذا تذكرت شجوا من اخي ثقة ۔ فاذكر اخاك ابا بكر بما فعلا

خير البرية اتقاها واعدلها ۔ بعد النبي واوفاها بما حملا

والثاني التالي المحمود مشهده ۔ واول الناس منهم صدق الرسلا

روي ابو عمرو ممن وافق ابن عباس وحسانا علي ان الصديق اول الناس اسلاما اسما بنت ابي بكر والنخعي وابن الماجشون ومحمد بن المنكدر والاخنسي وقيل علي بن ابي طالب اسلم بعد خديجة وكان في حجر النبي صلي الله عليه وسلم فعلي هذا يكون اول من اسلم من الرجال ابو بكر ويكون علي اول صبي اسلم لانه كان صبيا لم يدرك وكذا قال

سبقتكم الي الاسلام طرا ۔ صغيرا ما بلغت اوان حلمي

وكان سن علي اذ ذاك عشر سنين فيما حكاه الطبري وقال ابو عمر وممن ذهب الي ان عليا اول من اسلم من الرجال سلمان وابو ذر والمقداد وخباب وجابر وابو سعيد الخدري وزيد بن الارقم وهو قول ابن شهاب وقتادة وغيرهم قال واتفقوا علي ان خديجة اول من اسلم مطلقا وقيل اول رجل اسلم ورقة بن نوفل ومن يمنع يدعي انه ادرك نبوته عليه الصلاة والسلام لا رسالته لكن جاء في السير وهو في رواية ابي نعيم المتقدمة ابشر فانا اشهد انك الذي بشر به ابن مريم وانك علي مثل ناموس موسي وانك نبي مرسل وانك ستومر بالجهاد وان ادركه ولكن لاجاهدن معك فهذا تصريح منه بتصديقه برسالة محمد صلي الله عليه وسلم قال البلقيني بل يكون بذلك اول من اسلم من الرجال وبه قال العراقي في نكته علي ابن الصلاح وذكره ابن منده في الصحابة وحكي القراني كون علي اول من اسلم عن اكثر الصحابة وحكي ابن عبد البر الاتفاق عليه وادعي الثعلبي اتفاق العلما علي ان اول من اسلم خديجة وان اختلافهم انما هو في اول من اسلم بعدها قال ابن الصلاح والاورع

اسلام سيدة النساء خديجة رضي الله عنها

اسلام ابي بكر الصديق رضي الله عنه

اسلام علي بن ابي طالب رضي الله عنه

ان يقال اول من اسلم من الرجال الاحرار ابو بكر ومن الصبيان او الاحداث علي ومن النساء خديجة ومن الموالي زيد ومن العبيد بلال والله اعلم انتهى وقال الطبري الاولى التوفيق بين الروايات كلها وتصديقها فيقال اول من اسلم مطلقا خديجة واول ذكر اسلم علي بن ابي طالب وهو صبي لم يبلغ وكان مستخفيا باسلامه واول رجل عربي بالغ اسلم واظهر اسلامه ابو بكر بن ابي قحافة واول من اسلم من الموالي زيد قال وهذا متفق عليه لا خلاف فيه وعليه يحمل قول من قال اول من اسلم من الرجال ابو بكر اي الرجال البالغين الاحرار ويؤيد هذا ما روي عن الحسن عن علي بن ابي طالب قال ان ابا بكر سبقني الى اربع لم اوتهن سبقني الى افشاء السلام وقدم الهجرة ومصاحبته في الغار واقام الصلاة وانا يومئذ بالشعب يظهر اسلامه واخفيه الحديث خرجه صاحب فضائل ابي بكر وخيثمة بمعناه واما ما روي من صحبة الصديق للنبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان عشرة سنة وهم يريدون الشام في تجارة وحديث بحيرا وانه وقع في قلب ابي بكر اليقين وقول ميمون بن مهران والله لقد آمن ابو بكر بالنبي صلى الله عليه وسلم زمن بحيرا وانه وقع في قلب ابي بكر اليقين وقول ميمون بن مهران والله لقد آمن ابو بكر بالنبي صلى الله عليه وسلم زمن بحيرا فالمراد بهذا الايمان اليقين بصدقه وهو ما وقر في قلبه والا فالنبي صلى الله عليه وسلم تزوج خديجة وسافر الى الشام قبل المبعث ثم اسلم بعد زيد بن حارثة عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وطلحة بن عبيد الله بدعاء ابي بكر الصديق فجاء بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استجابوا له فاسلموا وصلوا ثم اسلم ابو عبيدة عامر ابن عبد الله بن الجراح وابو سلمة عبد الله بن عبد الاسد بعد تسعة انفس والارقم بن ابي الارقم المخزومي وعثمان بن مظعون الجمحي واخواه قدامة وعبد الله وعبيدة بن الحارث بن المطلب ابن عبد مناف وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وامراته فاطمة ابنة الخطاب وقال ابن سعد اول امراة اسلمت بعد خديجة ام الفضل زوج العباس واسما بنت ابي بكر وعائشة اختها كذا قاله ابن اسحق وغيره وهو وهم لم تكن عائشة ولدت بعد فكيف اسلمت وكان مولدها سنة اربع من النبوة قاله مغلطاي وغيره ودخل الناس في الاسلام ارسالا من الرجال والنساء ثم ان الله تعالى امر رسوله صلى الله عليه وسلم بان يصدع بما جاء به اي يواجه المشركين وقال مجاهد هو الجهر بالقران في الصلاة وقال ابو عبيدة بن عبد الله بن مسعود ما زال النبي صلى الله عليه وسلم مستخفيا حتى نزلت فاصدع بما تؤمر فخرج هو واصحابه وقال البيضاوي فاصدع بما تؤمر من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهرا او افرق به بين الحق والباطل واصله الابانة والتمييز وما مصدرية او موصولة والراجع محذوف اي بما تؤمر به من الشرائع انتهى قالوا وكان ذلك بعد ثلاث سنين من النبوة وهي المدة التي اخفى رسول الله صلى الله عليه وسلم امره الى ان امره الله تعالى باظهاره فنادى قومه بالاسلام وصدع به كما امره الله تعالى ولم يبعد منه قومه ولم يردوا عليه حتى ذكر الهتهم وعابها وكان ذلك في سنة اربع كما قاله النبي فاجمعوا على خلافه وعداوته الا من عصمه الله منهم بالاسلام وحدب عليه عمه ابو طالب ومنعه وقام دونه فاشتد الامر وتضارب القوم واظهر بعضهم لبعض العداوة وتظاهرت

قريش على من اسلم منهم يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم ومنع الله رسوله منهم بعمه ابي طالب وبني هاشم غير ابي لهب وبني المطلب وقال مقاتل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ابي طالب يدعوه الى الاسلام فاجتمعت قريش الى ابي طالب يريدون بالنبي سوءا فقال ابو طالب حين تروح الابل فان حنت ناقة الى غير فصيلها دفعته اليكم وقال

والله لن يصلوا اليك بجمعهم ❁ حتى اوسد في التراب دفينا
فاصدع بامرك ما عليك غضاضة ❁ وابشر وقر بذاك منك عيونا
ودعوتني وزعمت انك ناصحي ❁ ولقد صدقت وكنت ثم امينا
وعرضت دينا لا محالة انه ❁ من خير اديان البرية دينا
لولا الملامة او حذاري سبة ❁ لوجدتني سمحا بذاك مبينا

وكان صلى الله عليه وسلم يطوف على الناس في منازلهم يقول يا ايها الناس ان الله يامركم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وابو لهب وراءه يقول يا ايها الناس ان هذا يامركم ان تتركوا دين آبائكم ورماه الوليد بن المغيرة بالسحر وتبعه قومه على ذلك واذته قريش ورموه بالشعر والكهانة والجنون ومنهم من كان يحثو التراب على راسه ويجعل الدم على بابه ووطئ عقبة بن ابي معيط على رقبته الشريفة وهو ساجد عند الكعبة حتى كادت عيناه تبرزان وخنقوه خنقا شديدا فقام ابو بكر دونه فجذبوا راسه ولحيته حتى سقط اكثر شعره فقام ابو بكر دونه وهو يقول اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقال ابن عمرو كما في البخاري بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة اذ اقبل عقبة بن ابي معيط فاخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلف ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا فجاء ابو بكر فاخذ منكبه ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية ثم قال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد ذكر العلماء ان ابا بكر رضي الله عنه افضل من مؤمن آل فرعون لان ذلك اقتصر حيث انتصر على اللسان واما ابو بكر رضي الله عنه فاتبع اللسان يدا ونصر بالقول والفعل محمدا صلى الله عليه وسلم وفي رواية البخاري ايضا كان عليه الصلاة والسلام يصلي عند الكعبة وجمع من قريش في مجالسهم اذ قال قائل منهم الا تنظرون الى هذا المرائي ايكم يقوم الى جزور آل فلان فيعمد الى فرثها ودمها وسلاها فيجيء به ثم يمهله حتى اذا سجد وضعه بين كتفيه فانبعث اشقاهم فلما سجد عليه الصلاة والسلام وضعه بين كتفيه وثبت النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا فضحكوا حتى مال بعضهم على بعض من الضحك فانطلق منطلق الى فاطمة وهي جويرية فاقبلت تسعى وثبت النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا حتى القته عنه واقبلت عليهم تسبهم فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة قال اللهم عليك بقريش ثم سمى اللهم عليك بعمرو بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وامية ابن خلف وعقبة بن ابي معيط وعمارة بن الوليد قال عبد الله فوالله لقد رايتهم صرعى يوم بدر ثم سحبوا الى القليب قليب بدر ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبع اصحاب القليب لعنة واستدل بهذا الحديث على ان من عرض له في صلاته ما يمنع انعقادها ابتداء لا تبطل صلاته فلو كانت نجاسة فازالها في الحال ولا اثر لها صحت صلاته اتفاقا واستدل به

ايضا على طهارة فرث ما يوكل لحمه وعلى ان ازالة النجاسة ليست بفرض وهو ضعيف واجاب
النووي بانه عليه الصلاة والسلام لم يعلم بما وضع على ظهره فاستمر في سجوده استصحابا
لاصل الطهارة **وتعقب** بانه مشكل على قولنا بوجوب الاعادة في مثل هذه الصورة
واجيب عنه بان الاعادة انما تجب في الفريضة فان ثبت انها فريضة فالوقت موسع
فلعله اعاد **وتعقب** بانه لو اعاد لنقل ولم ينقل وبان الله لا يقره على صلاة فاسدة
وقد استشكل عد عمارة بن الوليد في المذكورين لانه لم يقتل ببدر بل ذكر اصحاب المغازي
انه مات بارض الحبشة وله قصة مع النجاشي اذ تعرض لامرأته فامر النجاشي ساحرا
فنفخ في احليل عمارة من سحره عقوبة له فتوحش وصار مع البهائم الى ان مات في خلافة
عمر **واجيب** بان كلام ابن مسعود انه رآهم صرعى في القليب محمول على الاكثر ويدل
عليه ان عقبة بن ابي معيط لم يطرح في القليب وانما قتل صبرا بعد ان رحلوا عن بدر
مرحلة وامية بن خلف لم يطرح في القليب كما سياتي ان شاء الله تعالى **وقوله**
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبع اهل القليب لعنة يحتمل ان يكون من تمام
الدعاء الماضي فيكون فيه علم عظيم من اعلام النبوة ويحتمل ان يكون قاله صلى الله عليه
وسلم بعد ان القوا في القليب **ثم اسلم حمزة** بن عبد المطلب وكان اعز فتى في قريش
واشده شكيمة وكان اسلامه فيما قاله البيهقي سنة ست فعز به رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكفت عنه قريش قليلا وقال حين اسلم

حمدت الله حين هدى فؤادي ۞ الى الاسلام والدين الحنيفي ۞
لدين جاء من رب عزيز ۞ خبير بالعباد بهم لطيف ۞
اذا تليت رسائله علينا ۞ تحدر دمع ذي اللب الحصيف ۞
رسائل جاء احمد من هداها ۞ بآيات مبينة الحروف ۞
واحمد مصطفى فينا مطاع ۞ فلا تغشوه بالقول العنيف ۞
فلا والله نسلمه لقوم ۞ ولما نقض فيهم بالسيوف ۞

وعند مغلطاي وسألوه يعني النبي صلى الله عليه وسلم ان كنت تطلب الشرف فينا
فنحن نسودك علينا وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الذي ياتيك رئيا
قد غلب عليك بذلنا اموالنا في طلب الطب لك حتى نبريك منه او نعذر فيك فقال لهم
عليه الصلاة والسلام ما بي ما تقولون ولكن الله بعثني رسولا وانزل علي كتابا وامرني
ان اكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فان تقبلوا مني ما جئتكم به
فهو حظكم في الدنيا والآخرة وان تردوه علي اصبر حتى يحكم الله بيني وبينكم والرئي بفتح الرا
وقد تكسر ثم همزة فيا مشددة جني يرى فيحب او المكسور للمحبوب منها قاله في القاموس
ثم ان النضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط ذهبا الى احبار اليهود فسألاهم عنه عليه الصلاة
والسلام فقالوا لهما سلاه عن ثلاثة فان اخبركم بهن فهو نبي مرسل وان لم يفعل فهو متقول
سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الاول وعن رجل طواف وعن الروح ما هو فقال لهم
عليه الصلاة والسلام اخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله وانزل الله ذكر الفتية الذين ذهبوا

اسلام حمزة رضي الله عنه

وهم اصحاب الكهف وذكر الرجل الطواف وهو ذو القرنين وقال فيما سألوه عن الروح ويسألونك
عن الروح قل الروح من امر ربي الآية وفي البخاري من حديث عبد الله بن مسعود قال بينا
انا مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرث وهو متكئ على عسيب اذ مر اليهود فقال بعضهم لبعض
سلوه عن الروح قالوا ما رابكم اليه فقال بعضهم لا يستقبلكم بشيء تكرهونه فقالوا سلوه
فسألوه عن الروح فامسك النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرد شيئا فعلمت انه يوحى اليه فقمت
مقامي فلما نزل الوحي قال ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي قال الحافظ ابن كثير
وهذا يقتضي فيما يظهر من بادي الراي ان هذه آية مدنية وانها انما نزلت حين سأله اليهود
عن ذلك بالمدينة مع ان السورة كلها مكية وقد يجاب عن هذا بانه قد يكون نزلت عليه مرة
ثانية بالمدينة كما نزلت عليه بمكة قبل ذلك ومما يدل على نزولها بمكة ما روى الامام احمد
من حديث ابن عباس قال قالت قريش لليهود اعطونا شيئا نسأل عنه هذا الرجل فقالوا سلوه
عن الروح فسألوه فنزلت الحديث انتهى وهذا الحديث رواه الترمذي ايضا باسناد رجاله
رجال مسلم فيحمل على تعدد النزول كما اشار اليه ابن كثير ويحمل سكوته على المرة الثانية على توقع
مزيد بيان في ذلك **وقد** اختلف في المراد بالروح المسؤول عنه في هذا الخبر فقيل روح الانسان
وقيل جبريل وقيل عيسى وقيل ملك يقوم وحده صفا يوم القيامة وقيل غير ذلك قال
القرطبي والراجح انهم سألوه عن روح الانسان لان اليهود لا تعرف بان عيسى روح الله ولا تجهل
ان جبريل ملك وان الملائكة ارواح وقال الامام فخر الدين المختار انهم سألوه عن الروح الذي
هو سبب الحياة وان الجواب وقع على احسن الوجوه وبيانه ان السؤال عن الروح يحتمل عن ماهيته
وهل هي متحيزة ام لا وهل هي حالة في متحيز ام لا وهل هي قديمة او حادثة وهل تبقى بعد انفصالها
من الجسد او تفنى وما حقيقة تعذيبها وتنعيمها وغير ذلك من متعلقاتها قال وليس في السؤال
ما يخصص احد هذه المعاني الا ان الاظهر انهم سألوه عن الماهية وهل الروح قديمة او حادثة
والجواب يدل على انها شيء موجود مغاير للطبائع والاخلاط وتركيبها فهي جوهر بسيط مجرد
لا يحدث الا بمحدث وهو قوله تعالى كن فكانه قال هي موجودة محدثة بامر الله وتكوينه
ولها تاثير في افادة الحياة للجسد ولا يلزم من عدم العلم بكيفيتها المخصوصة نفيه قال
ويحتمل ان يكون المراد بالامر في قوله تعالى من امر ربي الفعل لقوله وما امر فرعون برشيد
اي فعله فيكون الجواب انها حادثة ثم قال وقد سكت السلف عن البحث في هذه الاشياء والتعمق
فيها انتهى وقال في فتح الباري وقد تنطع قوم فتباينت اقوالهم فقيل هي النفس الداخل الخارج
وقيل جسم لطيف يحل في جميع البدن وقيل هي الدم وقيل ان الاقوال فيها بلغت المائة ونقل
ابن منده عن بعض المتكلمين ان لكل نبي خمسة ارواح ولكل مؤمن ثلاثة وقال ابن العربي اختلفوا
في الروح والنفس فقيل متغايران وهو الحق وقيل هما شيء واحد قال وقد يعبر بالروح عن النفس
وبالعكس وقال ابن بطال معرفة حقيقة الروح مما استأثر الله بعلمه بدليل الخبر قال
والحكمة في ابهامه اختبار الخلق ليعرفهم عجزهم عن علم ما لا يدركونه حتى يضطرهم الى رد
العلم اليه وقال القرطبي الحكمة في ذلك اظهار عجز المرء لانه اذا لم يعلم حقيقة نفسه مع القطع
بوجوده كان عجزه عن ادراك حقيقة الحق من باب اولى وقال بعضهم ليس في الآية دلالة

وانها

على ان الله تعالى لم يطلع نبيه على حقيقة الروح بل يحتمل ان يكون اطلعه ولم يأمره ان يطلعهم
وقد قالوا في علم الساعة نحو هذا والله اعلم انتهى ملخصا ولما كثر المسلمون وظهر الايمان اقبل
كفار قريش على من آمن يعذبونهم ويؤذونهم ليردوهم عن دينهم حتى انه مر عدو الله ابو جهل
بسمية ام عمار بن ياسر وهي تعذب فطعنها بحربة في فرجها فقتلها وكان الصديق اذا مر باحد
من العبيد يعذب اشتراه منهم واعتقه منهم بلال وعامر بن فهيرة وعن ابي ذر كان
اول من اظهر الاسلام سبعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمار وامه
سمية وصهيب وبلال والمقداد فاما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله بعمه
ابي طالب واما ابو بكر فمنعه الله بقومه واما سائرهم فاخذهم المشركون فالبسوهم ادراع
الحديد وصهروهم في الشمس وان بلالا هانت عليه نفسه في الله عز وجل وهان على قومه
فاخذوه فاعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول احد احد رواه احمد
في مسنده وعن مجاهد مثله وزاد في قصة بلال وجعلوا في عنقه حبلا ودفعوه الى الصبيان
يلعبون به حتى اثر الحبل في عنقه فانظر كيف فعل بلال ما فعل من الاكراه على الكفر وهو
يقول احد احد فمزج مرارة العذاب بحلاوة الايمان وهذا كما وقع له ايضا عند موته
كانت امرأته تقول واحرباه وهو يقول واطرباه غدا القى الاحبه محمدا وحزبه فمزج مرارة
الموت بحلاوة اللقا ولله در ابي محمد السنترالمني حيث قال

لاقى بلال بلاء من امية قد ۞ احله الصبر فيه اكرم النزل
اذ اجهدوه بضنك الاسر وهو على ۞ شدائد الازل ثبت الازر لم يزل
الفوه بطحا برمضا البطاح وقد ۞ عالوا عليه صخورا جمة الثقل
فوحد الله اخلاصا وقد ظهرت ۞ بظهره كندوب الطل في الطلل
ان قد ظهر ولي الله من دبر ۞ فقد قد قلب عدو الله من قبل

يعني ان كان ظهر ولي الله بلال قد ظهر فيه التعذيب بقده فقد جوزي عدو الله امية وقد
قلبه ببدر لانه قتل يومئذ وكان عبد الرحمن بن عوف قد اسره يومئذ واراد استبقاءه
لاخوة كانت بينهما في الجاهلية فرآه بلال معه فصاح باعلى صوته يا انصار الله رأس الكفر امية
ابن خلف لا نجوت ان نجا فحبسوه باسيافهم حتى قتلوه واخرج البيهقي في عروة ان ابا بكر
اعتق ممن كان يعذب في الله منهم سبعة منهم الزنيرة فذهب بصرها وكانت ممن تعذب في الله
فتأبى الا الاسلام فقال المشركون ما اصاب بصرها الا اللات والعزى فقالت كلا والله ما هو كذلك
فرد الله عليها بصرها والزنيرة بكسر الزاي وتشديد النون المكسورة كما في القاموس ثم
اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه في الهجرة الى الحبشة وذلك في رجب سنة خمس
من النبوة فهاجر اليها ناس ذوو عدد منهم من هاجر باهله ومنهم من هاجر بنفسه وكانوا احد
عشر رجلا واربع نسوة وقيل خمس نسوة وقيل وامرأتان واميرهم عثمان بن مظعون وانكره
الزهري وقال لم يكن لهم امير وخرجوا مشاة الى البحر فاستأجروا سفينة بنصف دينار وكان
اول من خرج عثمان بن عفان مع امرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم واخرج
يعقوب بن سفيان بسنده موصولا الى انس قال ابطأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم

خبرهما

خبرهما فقدمت امرأة فقالت قد رأيتهما وقد حمل عثمان امرأته على حمار فقال ان عثمان لاول
من هاجر باهله بعد لوط فلما رأت قريش استقرارهم في الحبشة وامنهم ارسلوا عمرو بن العاص
وعبد الله بن ابي ربيعة بهدايا وتحف من بلادهم الى النجاشي واسمه اصحمة وكان معهما عمارة
ابن الوليد ليردهم الى قومهم فابى ذلك وردهما خائبين بهديتهما واسلم عمر بن الخطاب
بعد حمزة بثلاثة ايام فيما قاله ابو نعيم بدعوته صلى الله عليه وسلم اللهم اعز الاسلام بابي جهل
او بعمر بن الخطاب وكان المسلمون اذ ذاك بضعة واربعين رجلا واحدى عشرة امرأة وكان
سبب اسلامه فيما ذكر اسامة بن زيد عن ابيه عن جده عن عمر انه قال بلغني اسلام اختي
فدخلت عليها فقلت يا عدوة نفسها قد بلغني عنك انك قد صبوت ثم ضربتها فسال الدم
فلما رأت الدم بكت وقالت يا ابن الخطاب ما كنت فاعلا فافعل فقد اسلمت قال فدخلت وانا
مغضب فاذا كتاب في ناحية البيت فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم فلما مررت
بالرحمن الرحيم ذعرت ورميت بالصحيفة من يدي قال ثم رجعت اليها فاذا فيها سبح لله
ما في السموات والارض حتى بلغت آمنوا بالله ورسوله فقلت اشهد ان لا اله الا الله
واشهد ان محمدا رسول الله فخرج القوم يتبادرون بالتكبير استبشارا بما سمعوا مني فجئت
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت في اسفل الصفا فدخلت واخذ رجلان بعضدي
حتى دنوت من النبي صلى الله عليه وسلم فقال ارسلوه فارسلوني فجلست بين يديه فاخذ
بمجمع ثيابي فجذبني اليه ثم قال اسلم يا ابن الخطاب اللهم اهد قلبه قلت اشهد ان لا اله
الا الله وانك رسول الله فكبر المسلمون تكبيرة سمعت بطرق مكة وكان الرجل اذا اسلم
استخفى ثم خرجت فذهبت الى رجل لم يكن يكتم السر فقلت له اني صبوت قال فرفع صوته
باعلاه الا ان ابن الخطاب قد صبا قال فما زال الناس يضربوني واضربهم فقال خالي ما هذا
قالوا ابن الخطاب فقام على الحجر واشار بكمه فقال الا اني قد اجرت ابن اختي قال فانكشف
الناس عني قال فما زلت اضرب واضرب حتى اعز الله الاسلام قال ابن عباس لما اسلم
عمر قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم يا محمد لقد استبشر اهل السماء باسلام عمر رواه
ابن ماجه ولما رأت قريش عزة النبي صلى الله عليه وسلم بمن معه واسلام عمر وعزة
اصحابه بالحبشة وفشو الاسلام في القبائل اجمعوا ان يقتلوا النبي صلى الله عليه وسلم
فبلغ ذلك ابا طالب فجمع بني هاشم وبني المطلب فادخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
شعبهم ومنعوه ممن اراد قتله فاجابوه لذلك حتى كافرهم فعلوا ذلك حمية على عادة الجاهلية
فلما رأت قريش ذلك اجتمعوا وائتمروا ان يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب
ان لا ينكحوا اليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوا منهم شيئا ولا يبتاعوا منهم ولا يقبلوا منهم صلحا ابدا
حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل وكتبوه في صحيفة بخط منصور بن عكرمة
وقيل بغيض بن عامر فشلت يده وعلقوا الصحيفة في الكعبة هلال المحرم سنة سبع من النبوة
وانحاز بنو هاشم وبنو المطلب الى ابي طالب فدخلوا معه في شعبه الا ابا لهب فكان مع قريش
فاقاموا على ذلك سنتين او ثلاثا وقال ابن سعد سنين حتى جهدوا وكان لا يصل اليهم شيء
الا سرا وقدم نفر من مهاجرة الحبشة حين قرأ عليه الصلاة والسلام والنجم اذا هوى

حتى بلغ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألقى الشيطان في أمنيته أي في قراءته
تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى فلما ختم السورة سجد صلى الله عليه وسلم
وسجد معه المشركون لتوهمهم أنه ذكر آلهتهم بخير وفشا ذلك في الناس وأظهره الشيطان
حتى بلغ أرض الحبشة ومن بها من المسلمين عثمان بن مظعون وأصحابه وتحدثوا أن أهل مكة
قد أسلموا كلهم وصلوا معه صلى الله عليه وسلم وقد آمن المسلمون بمكة فأقبلوا سراعا
من الحبشة والغرانيق في الأصل الذكور من طير الماء واحدها غرنوق وغرنيق سمي به لبياضه
وقيل هو الكركي والغرنوق أيضا الشاب الأبيض الناعم وكانوا يزعمون أن الأصنام تقربهم
من الله وتشفع لهم فشبهت بالطيور التي تعلو في السماء وترتفع ولما تبين للمشركين
عدم ذلك رجعوا إلى أشد مما كانوا عليه وقد تكلم القاضي عياض في الشفا على هذه القصة
وتوهين أصلها بما يشفي ويكفي لكن تعقب في بعضه كما سيأتي إن شاء الله تعالى وقال الإمام
فخر الدين الرازي مما ملخصه من تفسيره هذه القصة باطلة موضوعة لا يجوز القول بها قال الله
تعالى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى وقال تعالى سنقرئك فلا تنسى وقال
البيهقي هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل ثم أخذ يتكلم في أن رواة هذه القصة
مطعون فيهم وأيضا فقد روى البخاري في صحيحه أنه عليه الصلاة والسلام قرأ سورة النجم
وسجد معه المسلمون والمشركون والإنس والجن وليس فيه حديث الغرانيق بل روي
هذا الحديث من طرق كثيرة وليس فيها البتة حديث الغرانيق ولا شك أن من جوز على
الرسول تعظيم الأوثان فقد كفر لأن من المعلوم بالضرورة أن أعظم سعيه كان في نفي الأوثان
ولو جوزنا ذلك لارتفع الأمان عن شرعه وجوزنا في كل واحد من الأحكام والشرائع أن
يكون كذلك ويبطل قوله تعالى يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت
رسالته فإنه لا فرق في العقل بين النقصان في الوحي وبين الزيادة فيه فبهذه الوجوه عرفنا
على سبيل الإجمال أن هذه القصة موضوعة وقيل إن هذه القصة من وضع الزنادقة
لا أصل لها انتهى وليس كذلك بل لها أصل فقد خرجها ابن أبي حاتم والطبراني وابن المنذر من طرق
وكذا ابن مردويه والبزار وابن إسحاق في السيرة وموسى بن عقبة في المغازي وأبو معشر
في السيرة كما نبه عليه الحافظ عماد الدين بن كثير وغيره لكن قال إن طرقها كلها مرسلة وأنه لم
يرها مسندة من وجه صحيح وهذا متعقب بما سيأتي وكذا نبه على ثبوت أصلها شيخ
الإسلام الحافظ أبو الفضل العسقلاني فقال أخرج ابن أبي حاتم والطبري وابن المنذر
من طرق عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال قرأ رسول الله صلى الله عليه
وسلم بمكة والنجم إذا هوى فلما بلغ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألقى
الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى فقال المشركون ما ذكر
آلهتنا بخير قبل اليوم فسجد وسجدوا فنزلت هذه الآية وما أرسلنا من قبلك من رسول
ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته الآية وأخرجه البزار وابن مردويه من طريق
أمية بن خالد عن شعبة فقال في إسناده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما أحسب
ثم ساق الحديث وقال البزار لا يروى متصلا إلا بهذا الإسناد تفرد بوصله أمية بن خالد

وهو ثقة مشهور قال وإنما يروى هذا من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس انتهى
والكلبي متروك لا يعتمد عليه وكذا أخرجه النحاس بسند آخر فيه الواقدي وذكرها ابن إسحاق
في السيرة المطولة وأسندها عن محمد بن كعب وكذلك موسى بن عقبة في المغازي عن ابن
شهاب الزهري وكذا أبو معشر في السيرة له عن محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس وأورده
من طريقه الطبري وأورده ابن أبي حاتم من طريق أسباط عن السدي ورواه ابن مردويه
من طريق عباد بن صهيب عن يحيى بن أبي كثير عن الكلبي عن أبي صالح وعن أبي بكر الهذلي
وأيوب عن عكرمة وسليمان التيمي عمن حدثه ثلاثتهم عن ابن عباس وأوردها
الطبري أيضا من طريق العوفي عن ابن عباس ومعناهم كلهم في ذلك واحد وكلها سوى طريق
سعيد بن جبير إما ضعيف وإما منقطع لكن كثرة الطرق تدل على أن للقصة أصلا مع أن
لها طريقين آخرين مرسلين رجالهما على شرط الصحيح أحدهما ما أخرجه الطبري من طريق
يونس بن يزيد عن ابن شهاب حدثني أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فذكر نحوه
والثاني ما أخرجه أيضا من طريق المعتمر بن سليمان وحماد بن سلمة فرقهما عن داود بن أبي هند
عن أبي العالية قال الحافظ ابن حجر وقد تجرأ ابن العربي كعادته فقال ذكر الطبري في ذلك
روايات كثيرة لا أصل لها وهو إطلاق مردود عليه وكذا قول القاضي عياض هذا الحديث
لم يخرجه أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل مع ضعف نقلته واضطراب رواياته
وانقطاع إسناده وكذا قوله ومن حملت عنه هذه القصة من التابعين والمفسرين لم يسندها
أحد منهم ولا رفعها إلى صاحب وأكثر الطرق عنهم في ذلك ضعيفة واهية قال وقد بين البزار
أنه لا يعرف من طريق يجوز ذكره إلا طريق أبي بشر عن سعيد بن جبير مع الشك الذي وقع
في وصله وأما الكلبي فلا تجوز الرواية عنه لقوة ضعفه ثم رده من طريق النظر بأن ذلك
لو وقع لارتد كثير ممن أسلم قال ولم ينقل ذلك انتهى وجميع ذلك لا يتمشى على القواعد
فإن الطرق إذا كثرت وتباينت مخارجها دل ذلك على أن لها أصلا وقد ذكرنا أن ثلاثة أسانيد
منها على شرط الصحيح وهي مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمرسل وكذا من لا يحتج به
لاعتضاد بعضها ببعض وإذا تقرر ذلك تعين تأويل ما وقع فيها مما يستنكر وهو قوله
ألقى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى فإن ذلك لا يجوز حمله
على ظاهره لأنه يستحيل عليه صلى الله عليه وسلم أن يزيد في القرآن عمدا ما ليس فيه
وكذا سهوا إذا كان مغايرا لما جاء به من التوحيد لمكان عصمته وقد سلك العلماء في ذلك
مسالك فقيل جرى ذلك على لسانه حين أصابته سنة وهو لا يشعر فلما علم بذلك
أحكم الله آياته وهذا أخرجه الطبري عن قتادة ورده القاضي عياض بأنه لا يصح لكونه
لا يجوز على النبي ذلك ولا ولاية للشيطان عليه في النوم وقيل إن الشيطان ألجأه
إلى أن قال ذلك بغير اختياره ورده ابن العربي بقوله تعالى حكاية عن الشيطان وما كان
لي عليكم من سلطان الآية قال فلو كان للشيطان قوة على ذلك لما بقي لأحد قوة على طاعة
وقيل إن المشركين كانوا إذا ذكروا آلهتهم وصفوها بذلك فعلق ذلك بحفظه صلى الله
عليه وسلم فجرى على لسانه لما ذكرهم سهوا وقد رد ذلك القاضي عياض فأجاد وقيل

لعله قال ذلك توبيخا للكفار قال القاضي عياض وهذا جايز اذا كانت هناك قرينة
تدل على المراد ولا سيما وقد كان الكلام في ذلك الوقت في الصلاة جايزا والى هذا نحا الباقلاني
وقيل انه لما وصل الى قوله ومناة الثالثة الاخرى خشي المشركون ان ياتي بعدها بشي
بذم الهتهم به فبادروا الى ذلك الكلام فخلطوه في تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم على
عادتهم في قولهم لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه ونسب ذلك للشيطان لكونه الحامل
لهم على ذلك والمراد بالشيطان شيطان الانس **وقيل** المراد بالغرانيق العلى وكان
الكفار يقولون الملايكة بنات الله ويعبدونها فنسق ذكر الكل ليرد عليهم بقوله الكم الذكر
وله الانثى فلما سمعه المشركون حملوه على الجميع وقالوا قد عظم الهتنا ورضوا بذلك
فنسخ الله تلك الكلمتين واحكم اياته **وقيل** كان صلى الله عليه وسلم يرتل القران
فارتصده الشيطان في سكتة من السكتات ونطق بتلك الكلمات محاكيا نغمة النبي صلى الله
عليه وسلم بحيث سمعه من دنى اليه فظنها من قوله واشاعها قال وهذا احسن الوجوه
ويويده ما ورد عن ابن عباس من تفسير تمنى تلى وكذا استحسن ابن العربي هذا التاويل
وقال معنى قوله في امنيته في تلاوته فاخبر تعالى في هذه الاية ان سنة الله في رسله
اذا قالوا قولا زاد الشيطان فيه من قبل نفسه فهذا نص في ان الشيطان زاد في قول
النبي صلى الله عليه وسلم لا ان النبي صلى الله عليه وسلم قاله وقد سبق الى ذلك الطبري
لجلالة قدره وسعة علمه وشدة ساعده في النظر وصوب على هذا المعنى انتهى

ثم هاجر المسلمون الثانية الى ارض الحبشة وعدتهم ثلاثة وثمانون رجلا
ان كان عمار بن ياسر فيهم وثماني عشرة امراة وكان منهم عبيد الله بن جحش مع امراته
ام حبيبة بنت ابي سفيان فتنصر هناك ثم توفي على دين النصرانية وتزوج رسول الله
صلى الله عليه وسلم ام حبيبة بنت ابي سفيان سنة سبع من الهجرة الى المدينة
وبنى بالحبشة كما سياتي ان شا الله تعالى في المقصد الثاني عند ذكر ازواجه صلى الله
عليه وسلم **وخرج** ابو بكر الصديق مهاجرا الى الحبشة حتى بلغ برك الغماد وزجع في جوار
سيد القارة مالك بن الدغنة بفتح الدال المهملة وكسر الغين المعجمة وتخفيف النون
وفتح الدال والغين وتشديد النون يعبد ربه في داره وابتنى مسجدا بفناء داره وكان
يصلي فيه ويقرا القران فافزع ذلك اشراف قريش من المشركين فقالوا لابن الدغنة
انا قد خشينا ان يفتن نساءنا وابناءنا فانهه فان احب ان يقتصر على ان يعبد ربه في داره
فافعل وان ابى الا ان يعلن فسله ان يرد اليك ذمتك فانا قد كرهنا ان نخفرك فقال
ابو بكر لابن الدغنة فاني ارد اليك جوارك وارضى بجوار الله الحديث رواه البخاري **ثم قام
رجال في نقض الصحيفة** فاطلع الله نبيه على ان الارضة اكلت ما فيها من القطيعة
والظلم فلم تدع الا اسم الله تعالى فقط فلما انزلت ليمزق وجدت كما قال عليه الصلاة
والسلام وذلك في السنة العاشرة **ولما** اتت عليه صلى الله عليه وسلم تسع واربعون
سنة وثمانية اشهر واحدى عشر يوما مات عمه ابو طالب وله سبع وثمانون سنة
وقيل مات في النصف من شوال في السنة العاشرة وقال ابن الجزار قبل هجرته

عليه الصلاة والسلام بثلاث سنين وروي انه صلى الله عليه وسلم كان يقول له عند موته
يا عم قل لا اله الا الله كلمة استحل لك بها الشفاعة يوم القيمة فلما راى ابو طالب حرص رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال له يا ابن اخي والله لولا مخافة قريش اني انما قلتها جزعا من الموت
لقلتها لا اقولها الا لاسرك بها فلما تقارب من ابي طالب الموت نظر العباس اليه يحرك
شفتيه فاصغى اليه باذنه فقال والله يا ابن اخي والله لقد قال اخي الكلمة التي امرته بها
فقال صلى الله عليه وسلم لم اسمعه كذا في رواية ابن اسحق انه اسلم عند الموت رواه
البيهقي في الدلايل من طريق يونس بن بكير عن ابن اسحق حدثني العباس بن عبد الله
ابن معبد بن عباس عن بعض اهله عن ابن عباس فذكره وقال البيهقي انه منقطع واجيب
عنه مع شدة وهائه بان شهادة العباس لابي طالب لو اداها بعدما اسلم كانت مقبولة
ولم يرد بقوله عليه الصلاة والسلام لم اسمع لانه الشاهد العدل اذا قال سمعت وقال
من هو اعدل لم اسمع اخذ بقول من اثبت السماع ولكن العباس شهد بذلك قبل ان يسلم
مع ان الصحيح من الحديث قد اثبت لابي طالب الوفاة على الكفر والشرك كما روينا في صحيح البخاري
من حديث سعيد بن المسيب حتى قال ابو طالب اخر ما كلمهم على ملة عبد المطلب وابى
ان يقول لا اله الا الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لاستغفرن لك ما لم انه
عنك ثم انزل الله تعالى ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي
قربى وانزل الله في ابي طالب فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لا تهدي من احببت
ولكن الله يهدي من يشاء واجيب ايضا بان ابا طالب لو قال كلمة التوحيد ما نهى الله نبيه
عن الاستغفار له وفي الصحيح عن العباس انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابا طالب
كان يحوطك وينصرك ويغضب لك فهل ينفعه ذلك قال نعم وجدته في غمرات من النار
فاخرجته الى ضحضاح وفي الصحيح ايضا انه صلى الله عليه وسلم قال لعله تنفعه شفاعتي
يوم القيمة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه وفي رواية يونس
عن ابن اسحق زيادة فقال يغلي منها دماغه حتى يسيل على قدميه قال السهيلي من باب
النظر في حكمة الله تعالى ومشاكلة الجزا للعمل ان ابا طالب كان مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم بجملته متحزبا له الا انه كان مثبتا لقدمه على ملة عبد المطلب حتى قال عند الموت
انا على ملة عبد المطلب فسلط العذاب على قدميه خاصة لتثبيته اياهما على ملة ابايه
ثبتنا الله على الصراط المستقيم وفي شرح التنقيح للقرافي الكفار اربعة اقسام فذكر منها
من امن بظاهره وباطنه وكفر بعدم الاذعان للفروع كما حكي عن ابي طالب انه كان يقول
اني لا اعلم انما يقول له ابن اخي الحق ولولا اني اخاف ان يعيرني نساء قريش لاتبعته وفي شعره
يقول ❁ لقد علموا ان ابننا لا مكذب ❁ لدينا ولا يعزى لقول الاباطل ❁
قال فهذا تصريح باللسان واعتقاد بالجنان غير انه لم يذعن انتهى وحكي عن هشام بن
السايب الكلبي عن ابيه انه قال لما حضرت ابا طالب الوفاة جمع اليه وجوه قريش فاوصاهم
وقال يا معشر قريش انتم صفوة الله من خلقه الى ان قال واني اوصيكم بمحمد خيرا
فانه الامين في قريش والصديق في العرب وهو الجامع لكل ما اوصيكم به وقد جاء بامر

قبلة الجنان وانكرة اللسان مخافة السنان وايم الله كاني انظر الى صعاليك العرب واهل الوبر
والاطراف والمستضعفين من الناس قد اجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا امره
فخاض بهم غمرات الموت فصارت رؤسا قريش وصناديدها اذنابا ودورها خرابا
وضعفاؤها اربابا واذا اعظمهم عليه احوجهم اليه وابعدهم منه احظاهم عنده قد محضته
العرب ودادها واصفت له فؤادها واعطته قيادها يا معشر قريش كونوا له ولاة ولحزبه
حماة والله لا يسلك احد سبيله الا رشد ولا ياخذ احد بهديه الا سعد ولو كان لنفسي مدة ولاجلي
تاخير لكففت عنه الهزاهز ولدفعت عنه الدواهي ثم هلك **ثم** بعد ذلك بثلاثة ايام وقيل
بخمسة في رمضان بعد البعث بعشر سنين على الصحيح **ماتت** خديجة رضي الله عنها وكان عليه
الصلاة والسلام يسمي ذلك العام عام الحزن فيما ذكره صاعد وكانت اقامتها معه عليه الصلاة
والسلام خمسا وعشرين سنة على الصحيح **ثم** بعد ايام من موت خديجة تزوج عليه الصلاة
والسلام بسودة بنت زمعة **ثم** خرج عليه الصلاة والسلام الى الطايف بعد موت
خديجة بثلاثة اشهر في ليالي بقين من شوال سنة عشرة من النبوة لما نال منه قريش
بعد موت ابي طالب وكان معه زيد بن حارثة فاقام به شهرا يدعوا اشراف ثقيف الى الله تعالى
فلم يجيبوه واغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه قال موسى بن عقبة ورجموا عراقيبه
بالحجارة حتى اختضبت نعلاه بالدماء زاد غيره وكان اذا اذلقته الحجارة قعد الى الارض
فياخذونه بعضديه فيقيمونه فاذا مشى رجموه وهم يضحكون وزيد بن حارثة يقيه بنفسه
حتى لقد شج في راسه شجاجا **وفي البخاري** ومسلم من حديث عائشة انها قالت للنبي صلى الله
عليه وسلم هل اتى عليك يوم اشد من يوم احد قال لقد لقيت من قومك وكان اشد ما لقيت
منهم يوم العقبة اذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني الى ما اردت
فانطلقت وانا مهموم فلم استفق الا وانا بقرن الثعالب فرفعت راسي فاذا انا بسحابة
قد اظلتني فنظرت فاذا فيها جبريل فناداني فقال ان الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك
وقد بعث اليك ملك الجبال لتامره بما شئت فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال
يا محمد ان الله قد سمع قول قومك وانا ملك الجبال قد بعثني ربك اليك لتامرني بامرك ان شئت
اطبق عليهم الاخشبين قال النبي صلى الله عليه وسلم بل ارجوا ان يخرج الله من اصلابهم
من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا وعبد ياليل بتحتية وبعد الالف تحتية ثم لام مكسورة ثم
تحتية ساكنة ثم لام ابن عبد كلال بضم الكاف وتخفيف اللام اخره لام وكان ابن عبد ياليل
من اكابر اهل الطايف من ثقيف وقرن الثعالب هو ميقات اهل نجد ويقال له قرن المنازل
وافاد ابن سعد ان مدة اقامته عليه الصلاة والسلام بالطايف كانت عشرة ايام
ولما انصرف عليه الصلاة والسلام عن اهل الطايف مر في طريقه بعتبة وشيبة ابني
ربيعة وهما في حايط لهما فلما راياه ما لقي تحركت له رحمهما فبعثا له مع عداس النصراني غلامهما
قطف عنب فلما وضع يده صلى الله عليه وسلم في القطف قال بسم الله ثم اكل فنظر عداس
الى وجهه ثم قال والله ان هذا الكلام ما يقوله اهل هذه البلدة فقال له صلى الله عليه
وسلم من اي البلاد انت وما دينك قال نصراني من نينوا فقال عليه الصلاة والسلام

ماتت خديجة رضي الله عنها في عام الحزن وهجرته صلى الله عليه وسلم الى الطايف

من ذرية

من قرية الرجل الصالح يونس بن متى فقال وما يدريك قال ذاك اخي وهو نبي مثلي فاكب
عداس على يديه وراسه ورجليه يقبلها **ولما نزل** نخلة وهو موضع على ليلة من مكة
صرف اليه سبعة من جن نصيبين مدينة بالشام وكان عليه الصلاة والسلام قد قام
في جوف الليل يصلي فاستمعوا له وهو يقرا سورة الجن **وفي** الصحيح ان الذي آذنه صلى الله
عليه وسلم بالجن ليلة الجن شجرة وانهم سالوه الزاد فقال كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع
في يد احدكم اوفر ما يكون لحما وكل بعر علف لدوابكم وفي هذا رد على من زعم ان الجن لا تاكل
ولا تشرب وذكر صاحب الروض من اسماء السبعة الذين اتوه صلى الله عليه وسلم عن ابن
دريد منشي وناشي وشاصر وماصر والاحقب لم يزد على تسمية هولا قال الحافظ بن كثير
وقد ذكر ابن اسحق خروجه عليه الصلاة والسلام الى الطايف ودعاءه اياهم وانه لما انصرف
عنهم بات بنخلة فقرا تلك الليلة من القران فاستمعه الجن من اهل نصيبين قال وهذا
صحيح لكن قوله ان الجن كان استماعهم تلك الليلة فيه نظر فان الجن كان استماعهم في ابتداء
الايحاء ويدل له حديث ابن عباس عند احمد قال كان الجن يستمعون الوحي فيستمعون الكلمة
فيزيدون فيها عشرا فيكون ما سمعوه حقا وما زادوه باطلا وكانت النجوم لا يرمى بها
قبل ذلك فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كان احدهم لا ياتي مقعده الا رمي
بشهاب يحرق ما اصاب منه فشكوا ذلك الى ابليس فقال ما هذا الا من امر قد حدث
فبث جنوده فاذا بالنبي صلى الله عليه وسلم بين جبلي نخلة فاخبروه فقال هذا الحدث
الذي حدث في الارض ورواه النسائي وصححه البيهقي وخروجه عليه الصلاة والسلام
الى الطايف كان بعد موت عمه فروى ابن ابي شيبة عن عبد الله بن مسعود قال هبطوا
الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرا القران ببطن نخلة فلما سمعوه قالوا انصتوا
فانزل الله عز وجل واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن الاية فهذا مع رواية
ابن عباس تقتضي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يشعر بحضورهم في هذه المرة
وانما استمعوا قراءته ثم رجعوا الى قومهم ثم بعد ذلك وفدوا اليه ارسالا قوما بعد قوم
وفوجا بعد فوج انتهى وفي طريقه عليه الصلاة والسلام هذه دعا بالدعاء المشهور اللهم اليك
اشكوا ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس ارحم الراحمين ارحم الراحمين انت رب
المستضعفين الى من تكلني الى عدو بعيد يتجهمني ام الى صديق قريب ملكته امري ان لم
تكن غضبانا علي فلا ابالي غير ان عافيتك اوسع لي اعوذ بنور وجهك الذي اشرقت له
الظلمات وصلح عليه امر الدنيا والاخرة ان ينزل بي غضبك او يحل بي سخطك لك العتبى
حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك رواه ابن اسحق ورواه الطبراني في كتاب الدعاء عن عبد الله
ابن جعفر قال لما توفي ابو طالب خرج النبي صلى الله عليه وسلم ماشيا الى الطايف فدعاهم
الى الاسلام فلم يجيبوه فاتى ظل شجرة فصلى ركعتين ثم قال اللهم اشكو اليك فذكره
وقوله يتجهمني بتقديم الجيم على الهاء اي يلقاني بالغلظة والوجه الكريه ثم دخل صلى الله
عليه وسلم مكة في جوار المطعم بن عدي **ولما** كان في شهر ربيع الاول اسري بروحه
وجسمه يقظة من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ثم عرج به من المسجد الاقصى الى فوق

سبع سموات ورأى ربه بعيني رأسه واوحى اليه ما اوحى وفرض عليه الصلوات الخمس ثم انصرف
في ليلته الى مكة فاخبر بذلك فصدقه الصديق وكل من آمن بالله وكذبه الكفار واستوصفوه
مسجد بيت المقدس فمثله الله له فجعل ينظر اليه ويصفه قال الزهري وكان ذلك بعد
المبعث بخمس سنين حكاه عنه القاضي عياض ورجحه القرطبي والنووي واحتج بانه لا خلاف
ان خديجة صلت معه بعد فرض الصلاة ولا خلاف انها توفيت قبل الهجرة اما بثلاث
واما بخمس ولا خلاف ان فرض الصلاة كان ليلة الاسراء وتعقب ان موت خديجة بعد
البعث بعشر سنين على الصحيح في رمضان وذلك قبل ان تفرض الصلاة ويؤيده اطلاق
حديث عايشة ان خديجة ماتت قبل ان تفرض الصلاة الخمس ويلزم منه ان يكون موتها
قبل الاسراء وهو المعتمد واما ترددة في سنة وفاتها فيرده جزم عايشة بانها ماتت
قبل الهجرة بثلاث سنين قاله الحافظ ابن حجر وقيل قبل الهجرة بسنة قاله ابن حزم وادعى
فيه الاجماع وقيل قبل الهجرة بسنة وخمسة اشهر قاله السدي واخرجه من طريقه الطبري
والبيهقي فعلى هذا كان في شوال وقيل كان في رجب حكاه ابن عبد البر وقبله ابن قتيبة
وبه جزم النووي في الروضة وقيل كان قبل الهجرة بسنة وثلاثة اشهر فعلى هذا يكون
في ذي الحجة وبه جزم ابن فارس وقيل قبل الهجرة بثلاث سنين ذكره ابن الاثير وقال
الحربي انه كان في سابع عشري ربيع الاخر وكذا قال النووي في فتاويه لكن قال في شرح
مسلم في ربيع الاول وقيل كان ليلة السابع والعشرين من رجب واختاره الحافظ عبد الغني
ابن سرور المقدسي واما اليوم الذي يسفر عن ليلتها فقيل الجمعة وقيل السبت وعن ابي
دحية يكون ان شاء الله يوم الاثنين لتوافق المولد والمبعث والهجرة والوفاة فان هذه اطوار
الانتقالات وجودا ونبوة ومعراجا وهجرة ووفاة وسياتي ان شاء الله تعالى قصة الاسراء
والمعراج وما فيها من المباحث والله الموفق والمعين **ولما اراد الله تعالى اظهار
دينه** واعزاز نبيه وانجاز موعده له خرج صلى الله عليه وسلم في الموسم الذي لقي فيه
الانصار الاوس والخزرج فعرض نفسه صلى الله عليه وسلم على قبايل العرب كما كان
يصنع في كل موسم فبينما هو عند العقبة لقي رهطا من الخزرج اراد الله بهم خيرا فقال لهم
من انتم قالوا نفر من الخزرج قال افلا تجلسون اكلمكم قالوا بلى فجلسوا معه فدعاهم الى الله
وعرض عليهم الاسلام وتلى عليهم القرآن وكان من صنع الله ان اليهود كانوا معهم في بلادهم
وكانوا اهل كتاب وكان الاوس والخزرج اكثر منهم فكانوا اذا كان بينهم شيء قالوا ان نبيا
سيبعث الآن قد اظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه فلما كلمهم النبي صلى الله عليه وسلم عرفوا النعت
فقال بعضهم لبعض لا يسبقنا اليهود اليه فاجابوه الى ما دعاهم اليه وصدقوه وقبلوا منه
ما عرض عليهم من الاسلام فاسلم منهم ستة نفر وكلهم من الخزرج وهم ابو امامة اسعد
ابن زرارة وعوف بن الحرث بن رفاعة وهو ابن عفراء ورافع بن مالك بن العجلان وقطبة
ابن عامر بن حديدة وعقبة بن عامر بن نابي وجابر بن عبد الله بن رياب وليس بجابر بن عبد الله
ابن عمرو بن حرام ومن اهل العلم بالسير من يجعل منهم عبادة بن الصامت ويسقط جابر
ابن رياب فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم تمنعون ظهري حتى ابلغ رسالة ربي فقالوا

يا رسول الله

يا رسول الله انما كانت بعاث عام الاول يوم من ايامنا اقتتلنا به فان تقدم ونحن كذا لا يكون لنا
عليك اجتماع فدعنا حتى نرجع الى عشايرنا لعل الله يصلح ذات بيننا وندعوهم الى ما دعوتنا
فعسى الله ان يجمعهم عليك فان اجتمعت كلمتهم عليك واتبعوك فلا احد اعز منك وموعدك
الموسم العام القابل وانصرفوا الى المدينة ولم يبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر رسول الله
صلى الله عليه وسلم **فلما** كان العام المقبل لقيه اثنا عشر رجلا وفي الاكليل احد عشر وهي
العقبة الثانية فيهم خمسة من الستة المذكورين وهم ابو امامة وعوف بن عفراء ورافع
ابن مالك وقطبة بن عامر بن حديدة وعقبة بن عامر بن نابي ولم يكن فيهم جابر بن عبد الله
ابن رياب لم يحضرها والسبعة تتمة الاثني عشر هم معاذ بن الحرث بن رفاعة وهو ابن عفراء
اخو عوف المذكور وذكوان بن عبد قيس الزرقي وقيل انه رحل الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى مكة فسكنها معه فهو مهاجري انصاري قتل يوم احد وعبادة بن الصامت
ابن قيس وابو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة البلوي والعباس بن عبادة بن نضلة وهؤلاء
من الخزرج ومن الاوس رجلان ابو الهيثم بن التيهان من بني عبد الاشهل وعويم بن ساعدة
فاسلموا وبايعوا على بيعة اي وهي بيعتهم التي نزلت بعد ذلك عند فتح مكة وهي ان لا نشرك
بالله شيئا ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل اولادنا ولا ناتي ببهتان نفتريه بين ايدينا
وارجلنا ولا نعصيه في معروف والسمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره
واثرة علينا وان لا ننازع الامر اهله وان نقول الحق حيث كنا لا نخاف في الله لومة لايم قال
عليه الصلاة والسلام فان وفيتم فلكم الجنة ومن غشي من ذلك شيا كان امره الى الله ان شاء
عذبه وان شاء عفى عنه ولم تفرض يوميذ القتال **ثم انصرفوا** الى المدينة فاظهر الله
الاسلام وكان اسعد بن زرارة يجمع بالمدينة بمن اسلم وكتبت الاوس والخزرج الى النبي
صلى الله عليه وسلم ابعث الينا من يقرينا القرآن فبعث اليهم مصعب بن عمير وروى
الدارقطني عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى مصعب بن عمير ان يجمع بهم
الحديث وكانوا اربعين رجلا فاسلم على يدي مصعب بن عمير خلق كثير من الانصار واسلم
في جماعتهم اسعد بن معاذ واسيد بن حضير واسلم باسلامهم جميع بني عبد الاشهل في يوم
واحد الرجال والنساء ولم يبق منهم احد الا اسلم حاشا الاصيرم وهو عمرو بن ثابت بن وقش
فانه تاخر باسلامه الى يوم احد فاسلم واستشهد ولم يسجد لله سجدة واخبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه من اهل الجنة ولم يكن في عبد الاشهل منافق ولا منافقة وكانوا
كلهم حنفا مخلصين رضي الله عنهم **ثم قدم** على النبي صلى الله عليه وسلم في العقبة الثالثة
في العام المقبل في ذي الحجة في اوسط ايام التشريق منهم سبعون رجلا وقال ابن سعد
يزيدون رجلا او رجلين وامراتان وقال ابن اسحق ثلاثة وسبعون وامراتان وقال
الحاكم خمسة وسبعون نفسا فكان اول من ضرب على يده عليه الصلاة والسلام البراء بن معرور
ويقال ابو الهيثم ويقال اسعد بن زرارة على انهم يمنعونه مما يمنعون منه نساءهم وابناءهم
على حرب الاحمر والاسود وكانت اول آية نزلت في الاذن بالقتال اذن للذين يقاتلون الاية
وفي الاكليل ان الله اشترى من المؤمنين الاية ونقب عليهم اثني عشر نقيبا وفي حديث

بيعة الانصار في العقبة الثالثة

نحا بر عند احمد باسناد حسن وصححه الحاكم وابن حبان لبث عليه الصلاة والسلام عشر سنين
يتبع الناس في منازلهم في المواسم بمنى وغيرها يقول من يؤويني من ينصرني حتى ابلغ رسالة
ربي وله الجنة حتى بعثنا الله له من يثرب فذكر الحديث وفيه وعلى ان تنصروني اذا قدمت
عليكم يثرب فتمنعوني مما تمنعون منه انفسكم وازواجكم وابناءكم ولكم الجنة الحديث وحضر
العباس العقبة تلك الليلة متوثقا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومؤكدا على اهل يثرب
وكان يومئذ على دين قومه **قال** ابن اسحق ولما تمت بيعة هؤلاء لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ليلة العقبة وكانت سرا عن كفار قريش امر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان
معه بالهجرة الى المدينة ابو سلمة بن عبد الاسد قبل بيعة العقبة بسنة قدم من الحبشة
لمكة فاذاه اهلها وبلغه اسلام من اسلم من الانصار فخرج اليهم ثم عامر بن ربيعة وامرأته
ليلى ثم عبد الله بن جحش ثم المسلمون ارسالا ثم عمر بن الخطاب واخوه زيد وعياش بن ربيعة
في عشرين راكبا فقدموا المدينة فنزلوا في العوالي ثم خرج عثمان بن عفان حتى لم يبق معه
صلى الله عليه وسلم الا علي بن ابي طالب وابو بكر كذا قال ابن اسحق قال مغلطاي وفيه نظر
لما يأتي بعد وكان الصديق كثيرا ما يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة فيقول
لا تعجل لعل الله ان يجعل لك صاحبا فيطمع ابو بكر ان يكون هو **ثم** اجتمع قريش ومعهم ابليس
في صورة شيخ نجدي في دار الندوة دار قصي بن كلاب وكانت قريش لا تقضي امرا الا فيها
يتشاورون فيما يصنعون في امره عليه الصلاة والسلام فاجمع رأيهم على قتله وتفرقوا
على ذلك **فان قيل** لم تمثل الشيطان في صورة نجدي **فالجواب** لانهم قالوا كما ذكره
بعض اهل السير لا يدخلن معكم في المشاورة احد من اهل تهامة لان هواهم مع محمد فلذلك
تمثل في صورة نجدي انتهى ثم اتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تبت
هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه فلما كان الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه
حتى ينام فيثبوا عليه فامر عليه الصلاة والسلام عليا فنام مكانه وغطي ببرد اخضر فكان
اول من شرى نفسه في ذلك يقول

وقيت بنفسي خير من وطئ الثرى ۞ ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
رسول اله خاف ان يمكروا به ۞ فنجاه ذو الطول الاله من المكر

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اخذ الله على ابصارهم فلم يره احد منهم ونثر
عليهم على رؤوسهم كلهم ترابا كان في يده وهو يتلو قوله تعالى يس والقرآن الحكيم الى قوله فاغشيناهم
فهم لا يبصرون ثم انصرف عليه الصلاة والسلام حيث اراد فاتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال
ما تنتظرون ههنا قالوا محمدا قال قد خيبكم الله قد خرج والله محمد عليكم ثم ما ترك منكم رجلا
الا وضع على رأسه التراب فانطلق لحاجته افما ترون ما بكم فوضع كل رجل يده على رأسه
فاذا عليه تراب وفي رواية ابن ابي حاتم مما صححه الحاكم من حديث ابن عباس فما اصاب رجلا
منهم حصاة الا قتل يوم بدر كافرا وفي هذه نزل قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك
او يقتلوك او يخرجوك الاية **ثم** اذن الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم في الهجرة **قال**
ابن عباس بقوله تعالى وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك

سلطانا

سلطانا نصيرا اخرجه الترمذي وصححه الحاكم **فان قلت** ما الحكمة في هجرته عليه الصلاة
والسلام الى المدينة واقامته بها الى ان انتقل الى ربه عز وجل **اجيب** بان حكمة الله تعالى
اقتضت انه عليه الصلاة والسلام تتشرف به الاشياء لا انه يتشرف بها فلو بقي عليه الصلاة
والسلام في مكة الى انتقاله الى ربه لكان يتوهم انه قد تشرف بمكة اذ ان شرفها
قد سبق بالخليل واسمعيل فاراد الله تعالى ان يظهر شرفه عليه الصلاة والسلام فامره
بالهجرة الى المدينة فلما هاجر اليها تشرفت به حتى وقع الاجماع على ان افضل البقاع الموضع الذي
ضم اعضاءه الكريمة صلوات الله وسلامه عليه **وذكر** الحاكم ان خروجه عليه الصلاة
والسلام كان بعد بيعة العقبة بثلاثة اشهر او قريبا منها وجزم ابن اسحق بانه خرج اول يوم
من ربيع الاول فعلى هذا يكون بعد البيعة بشهرين وبضعة عشر يوما وكذا جزم الاموي
في المغازي عن ابن اسحق فقال كان مخرجه من مكة بعد العقبة بشهرين وليال قال
وخرج لهلال ربيع الاول وقدم المدينة لاثنتي عشرة خلت من ربيع قال في فتح الباري
وعلى هذا خرج يوم الخميس وقال الحاكم تواترت الاخبار ان خروجه يوم الاثنين ودخوله
المدينة كان يوم الاثنين الا ان محمد بن موسى الخوارزمي قال انه خرج من مكة يوم الخميس
ويجمع بينهما بان خروجه من مكة كان يوم الخميس وخروجه من الغار كان ليلة الاثنين لانه
اقام فيه ثلاث ليال ليلة الجمعة وليلة السبت وليلة الاحد وخرج اثناء ليلة الاثنين وكان مدة
مقامه بمكة من حين النبوة الى ذلك الوقت بضع عشرة سنة ويدل عليه قول صرمة

ثوى في قريش بضع عشرة حجة ۞ يذكر لو يلقى صديقا مواتيا

وقيل غير ذلك وامره جبريل ان يستصحب ابا بكر وامر عليه الصلاة والسلام عليا بمخرجه
وامره ان يتخلف بعده حتى يؤدي عنه الودائع التي كانت عنده للناس **قال**
ابن شهاب قال عروة قالت عائشة فبينما نحن جلوس يوما في بيت ابي بكر في نحر الظهيرة قال
قائل لابي بكر هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا في ساعة لم يكن يأتينا فيها قال
ابو بكر فدا له ابي وامي والله ما جاء به في هذه الساعة الا امر قالت فجاء رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاستأذن فاذن له فدخل فقال صلى الله عليه وسلم لابي بكر اخرج من عندك
فقال ابو بكر انما هم اهلك بابي انت وامي يا رسول الله قال السهيلي وذلك ان عائشة قد كان
ابوها قد انكحها منه عليه الصلاة والسلام قبل ذلك فقال صلى الله عليه وسلم انه قد اذن لي
في الخروج فقال ابو بكر الصحبة بابي انت يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم نعم قال ابو بكر
فخذ بابي انت يا رسول الله احدى راحلتي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثمن **فان
قلت** لم لم يقبلها الا بالثمن وقد انفق عليه ابو بكر من ماله ما هو اكثر من هذا فقيل اجيب
بانه انما فعل ذلك لتكون هجرته الى الله بنفسه وماله رغبة منه عليه الصلاة والسلام
في استكمال فضل الهجرة الى الله تعالى وان تكون على اتم الاحوال انتهى قالت عائشة فجهزنا
احث الجهاز وصنعنا لهما سفرة في جراب فقطعت اسماء بنت ابي بكر قطعة من نطاقها فربطت
بها على فم الجراب فبذلك سميت بذات النطاقين ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر
بغار جبل باسفل مكة وكان من قوله صلى الله عليه وسلم حين خرج من مكة لما وقف على الحزورة

ونظر الى البيت وقال والله انك لاحب ارض الله الي وانك لاحب ارض الله الى الله ولولا ان اهلك اخرجوني منك ما خرجت وهذا من اصح ما يحتج به في تفضيل مكة على المدينة ولو يعلم بخروجه عليه الصلاة والسلام الا علي وآل ابي بكر وروي انهما خرجا من خوخة لابي بكر في بيته ليلا الى الغار ولما فقدت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم طلبوه بمكة اعلاها واسفلها وبعثوا القافة اثره في كل وجه فوجدوا الذي ذهب قبل ثور اثره هنالك فلم يزل يتبعه حتى انقطع لما انتهى الى ثور وشق على قريش خروجه وجزعوا لذلك وجعلوا مائة ناقة لمن رده ولله در الشيخ شرف الدين الابوصيري حيث قال

وي قوم جفوا نبيا بارض   الفته ضبابها والظباء
وسلوه وحن جذع اليه   وقلوه وودة الغرباء
أخرجوه منها واواه غار   وحمته حمامة ورقاء
وكفته بنسجها عنكبوت   ما كفته الحمامة الحصداء

يقال شجرة حصداء اي كثيرة الورق فكانه استعاره للحمامة لكثرة ريشها وذكر قاسم بن ثابت في الدلائل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل الغار وابو بكر معه انبت الله على بابه الراءة قال قاسم وهي شجرة معروفة وهي ام غيلان وعن ابي حنيفة تكون مثل قامة الانسان لها خيطان وزهر ابيض يحشى به المخاد فيكون كالريش لخفته ولينه لانه كالقطن فحجبت عن الغار اعين الكفار وفي مسند البزار ان الله عز وجل امر العنكبوت فنسجت على وجه الغار وارسل حمامتين وحشيتين فوقفتا على وجه الغار وان ذلك مما صد المشركين عنه وان حمام الحرم من نسل تلك الحمامتين ثم اقبل فتيان قريش من كل بطن بعصيهم وهراويهم وسيوفهم فجعل بعضهم ينظر في الغار فلم ير الا حمامتين وحشيتين بفم الغار فرجع الى اصحابه فقالوا ما لك قال رأيت حمامتين وحشيتين فعرفت انه ليس فيه احد وقال آخر ادخلوا الغار فقال امية بن خلف وما اربكم في الغار ان فيه لعنكبوتا اقدم من ميلاد محمد وروي ان الحمامتين باضتا في اسفل النقب ونسج العنكبوت فقالوا لو دخلا لتكسر البيض وتفسخ نسج العنكبوت وهذا ابلغ في الاعجاز من مقاومة القوم بالجنود فتأمل كيف اظلت الشجرة المطلوب واضلت الطالب وجاءت عنكبوت فسدت باب الطلب وحاكت وجه المكان فحاكت ثوب نسجها فحاكت سترا حتى عمي على القائف الطلب والعنكبوت اجادت حوك حلتها فما تخال خلال النسج من خلل ولقد حصل للعنكبوت الشرف بذلك وما احسن قول ابن النقيب

ودود القز ان نسجت حريرا   يجمل لبسه في كل شي
فان العنكبوت اجل منها   بما نسجت على رأس النبي

وروي انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم اعم ابصارهم فعميت عن دخوله فجعلوا يضربون يمينا وشمالا حول الغار وهذا ما اشار اليه قول صاحب البردة

اقسمت بالقمر المنشق ان له   من قلبه نسبة مبرورة القسم
وما حوى الغار من خير ومن كرم   وكل طرف من الكفار عنه عمي
فالصدق في الغار والصديق لم يرما   وهم يقولون ما بالغار من ارم

الثابل

الثقب

ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على   خير البرية لم تنسج ولم تحم
وقاية الله اغنت عن مضاعفة   من الدروع وعن عال من الاطم

اي عموا عما في الغار مع خلق الله تعالى ذلك فيهم لانهم ظنوا ان الحمام لا تحوم حوله عليه الصلاة والسلام وان العنكبوت لا تنسج عليه لما جرت العادة ان هذين الحيوانين متوحشان لا يالفان معمورا فهما اختشا بالانسان فرا منه وما علموا ان الله تعالى يسخر ما شاء من خلقه لمن يشاء من عباده وان وقاية الله عبده بما يشاء تغني عبده عن التحصن بمضاعفة من الدروع وعن التحصن بالعالي من الاطم وهي الحصون فلله در الابوصيري من شاعر وما احسن قوله في قصيدته اللامية حيث قال

واعبر تاحين اضحى الغار وهو به   كمثل قلبي معمورا ومأهول
كانما المصطفى فيه وصاحبه   الصديق ليثان قد اواهما غيل
وجلل الغار نسج العنكبوت على   وهن فيا حبذا النسج وتجليل
عناية ضل كيد المشركين بها   وما مكايدهم الا الاضاليل
اذ ينظرون وهم لا يبصرون هما   كان ابصارهم من زيغها حول

وفي الصحيح عن انس قال ابو بكر يا رسول الله لو ان احدهم نظر الى قدميه لرآنا فقال صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما وروي ان ابا بكر قال نظرت الى قدمي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار وقد تفطرتا دما فاستبكيت وعلمت انه عليه الصلاة والسلام لم يكن تعود الحفا والجفوة وروي ان ابا بكر ايضا دخل الغار قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقيه بنفسه وانه رأى جحرا فيه فالقمه عقبه لئلا يخرج منه ما يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلت الحيات والافاعي يضربنه ويلسعنه فجعلت دموعه تتحدر وفي رواية فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع رأسه في حجر ابي بكر ونام فلدغ ابو بكر في رجله من الجحر ولم يتحرك فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما لك يا ابا بكر قال لدغت فداك ابي وامي فتفل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب ما يجده رواه رزين وروي ايضا ان ابا بكر لما رأى القافة اشتد حزنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان قتلت فانما انا رجل واحد وان قتلت انت هلكت الامة فعندها قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا يعني بالمعونة والنصر فانزل الله سكينته وهي امنة تسكن عندها القلوب على ابي بكر لانه كان منزعجا وايده يعني النبي صلى الله عليه وسلم بجنود لم تروها يعني الملائكة ليحرسوه في الغار وليصرفوا وجوه الكفار وابصارهم عن رؤيته انظر لما رأى الرسول عليه الصلاة والسلام حزن الصديق قد اشتد لكن لا على نفسه قوى قلبه ببشارة لا تحزن ان الله معنا كانت تحفة ثاني اثنين مدخرة له دون الجميع فهو الثاني في الاسلام والثاني في بذل النفس والعمر وسبب الموت لما وقى الرسول بماله ونفسه جوزي بمواراته معه في رمسه وقام مؤذن التشريف ينادي على منابر الامصار ثاني اثنين اذ هما في الغار ولقد احسن حسان حيث قال

وثاني اثنين في الغار المنيف وقد   طاف العدو به اذ صاعد الجبلا

وكان حب رسول الله قد علموا من الخلايق لم يعدل به بدلا

وتأمل قول موسى عليه السلام لبني اسرائيل كلا ان معي ربي سيهدين وقول نبينا صلى الله عليه وسلم للصديق ان الله معنا فموسى خص بشهود المعية ولم يتعد منه الى اتباعه ونبينا تعدى منه الى الصديق ولم يقل معي لان الله امد ابا بكر بنوره فشهد سر المعية ومن ثم سرى سر السكينة على ابي بكر والا لم يثبت تحت اعباء هذا التجلي والشهود واين معية الربوبية في قصة موسى عليه السلام من معية الالهية في قصة نبينا صلى الله عليه وسلم قاله العارف شمس الدين بن اللبان واخرج ابو نعيم في الحلية عن عطا بن مليسرة قال نسجت على الغار العنكبوت مرتين مرة على داود حين كان طالوت يطلبه ومرة على النبي صلى الله عليه وسلم في الغار وكذا نسجت على الغار الذي دخله عبد الله بن انيس لما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم لقتل خالد بن نبيح الهذلي بالضربة فقتله ثم احتمل راسه ودخل في غار فنسجت عليه العنكبوت وجاء الطلب فلم يجدوا شيا فانصرفوا راجعين وفي تاريخ بن عساكر ان العنكبوت نسجت ايضا على عورة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب لما صلب عريانا في سنة احدى وعشرين ومائة وكان مكثه صلى الله عليه وسلم في الغار ثلاث ليال وقيل بضعة عشر والاول هو المشهور وكان يبيت عندهما عبد الله بن ابي بكر وهو غلام شاب ثقف اي ثابت المعرفة لما يحتاج اليه لقن فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبايت فلا يسمع امرا يكادان به الا وعاه حتى ياتيهما بخبر ذلك اليوم حتى يختلط الظلام ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى ابي بكر منحة من غنم فيريحها عليهما حتى تذهب ساعة من العشا فيبيتان في رسل وهو لبن منحتهما يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي واستاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر عبد الله بن الاريقط دليلا وهو على دين كفار قريش ولم يعرف له اسلام فدفعا اليه راحلتيهما ووعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فاتاهما براحلتيهما صبح ثلاث وانطلق معهما عامر ابن فهيرة والدليل فاخذ بهم على طريق الساحل فمروا بقديد على ام معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية وكانت برزة جلدة تحتبي بفناء القبة ثم تسقي وتطعم وكان القوم مرملين مسنتين فطلبوا لبنا او لحما يشترونه منها فلم يجدوا عندها شيا فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شاة في كسر الخيمة خلفها الجهد عن الغنم فسالها رسول الله صلى الله عليه وسلم هل بها من لبن فقالت هي اجهد من ذلك فقال اتاذنين لي ان احلبها فقالت نعم بابي انت وامي ان رايت بها حلبا فاحلبها فدعا بالشاة فاعتقلها ومسح ضرعها وسمى الله تعالى فتفاجت ودرت ودعا باناء يربض الرهط اي يشبع الجماعة حتى يربضوا فحلب فيه ثجا وسقى القوم حتى رووا ثم شرب آخرهم ثم حلب فيه مرة اخرى عللا بعد نهل ثم غادره عندها وذهبوا فقل ما لبثت حتى جاء زوجها ابو معبد قال السهيلي لا يعرف اسمه وقال العسكري اسمه اكثم بن ابي الجون ويقال ابن الجون ليسوق اعنزا عجافا تساوكن هزالا فلما راى ابو معبد اللبن عجب وقال ما هذا يا ام معبد انى لك هذا والشاة عازب حيال ولا حلوب بالبيت فقالت لا والله الا انه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا قال صفيه يا ام معبد فقالت رايت رجلا ظاهر الوضاءة متبلج الوجه حسن الخلق لم تعبه ثجلة ولم تزريه صعلة وسيم في عينيه دعج وفي اشفاره وطف وفي صوته صهل احور اكحل

ازج

ازج أقرن شديد سواد الشعر في عينيه سطع وفي لحيته كثافة اذا صمت فعليه الوقار واذا تكلم سما وعلاه البها كان منطقه خرزات نظم يتحدرن حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر اجهر الناس واجمله من بعيد واحلاه واحسنه من قريب ربعة لا تشناه من طول ولا تقتحمه عين من قصر غصن بين غصنين فهو انظر الثلاثة منظرا واحسنهم قدرا له رفقاء يحفون به اذا قال استمعوا لقوله وان امر تبادروا الى امره محفود محشود لا عابس ولا معتد فقال هذا والله صاحب قريش لو رايته لاتبعته قالت اسما بنت ابي بكر ولما خفي علينا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اتانا نفر من قريش فيهم ابو جهل بن هشام فخرجت اليهم فقال اين ابوك فقلت والله لا ادري اين ابي قالت فرفع ابو جهل يده وكان فاحشا خبيثا فلطم خدي لطمة خرج منها قرطي قالت ثم انصرفوا ولما لم ندر اين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى رجل من الجن يسمعون صوته ولا يرونه وهو ينشد هذه الابيات

جزى الله رب الناس خير جزائه ... رفيقين قالا خيمتي ام معبد

هما نزلا بالبر ثم ترحلا ... فافلح من امسى رفيق محمد

فيال قصي ما زوى الله عنكم ... به من فعال لا تجازى وسودد

ليهن بني كعب مكان فتاتهم ... ومقعدها للمؤمنين بمرصد

سلوا اختكم عن شاتها وانائها ... فانكم ان تسالوا الشاة تشهد

دعاها بشاة حايل فتحلبت ... له بصريح ضرة الشاة مزبد

فغادرها رهنا لديها لحالب ... يرددها في مصدر ثم مورد

فلما سمعنا قوله عرفنا حيث توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله مرملين اي نفدت ازوادهم ومسنتين اي مجدبين ويروى مسنتين اي دخلوا في الشتا وكسر الخيمة بكسر الكاف او فتحها وسكون السين جانبها وتفاجت بتشديد الجيم فتحت ما بين رجليها ويربض الرهط بضم المثناة التحتية وكسر الموحدة اي يرويهم ويثقلهم حتى يناموا ويمتدوا على الارض من ربض في المكان يربض اذا لصق به واقام والثج السيلان وفي رواية فحلب فيها ثجا حتى علاه الثمال بضم المثلثة الرغوة واحده ثماله والبها اي بها اللبن وهو وبيص رغوته تساوكن هزالا اي تمايلن ويروى تشاركن من المشاركة اي تساوين في الهزال وغادره بالغين المعجمة ابقاه والشاء عازب اي بعيدة المرعى والابلج بالجيم المشرق الوجه المضيه والحيال بكسر الحاء المهملة جمع حايل وهي التي ليس بها حمل والوضاءة الحسن والثجلة بفتح الثاء المثلثة وسكون الجيم عظم البطن ويروى بالنون والحاء اي نحول ودقة والصعلة بفتح الصاد صغر الراس وهي ايضا الدقة والنحول في البدن والوسيم الحسن وكذلك القسيم وفي عينيه دعج اي سواد والوطف قال في القاموس محركة كثرة شعر الحاجبين والعينين وفي صوته صهل بالتحريك هو كالبحة بضم الموحدة وان لا يكون حاد الصوت والحور قال في القاموس الحور بالتحريك ان يشتد بياض بياض العين وسواد سوادها والكحل بفتحتين سواد في اجفان العين خلقة والرجل اكحل وكحيل والازج الرقيق طرف الحاجبين وفي القاموس الزجج محركة دقة الحاجبين في طول والاقرن المقرون الحاجبين وفي عنقه

سطع بعضتين اي ارتفاع وطول وفي لحيته كثاثة بمثلثتين الكثافة في اللحية ان تكون غير
دقيقة ولا طويلة وفيها كثافة يقال رجل كث اللحية بالفتح وقوم كث بالضم واذا تكلم سما وعلاه
البها اي ارتفع وعلا على جلسائه وفصل بالصاد المهملة ولا نزر بسكون الزاي ولا هذر
بفتحها اي بين ظاهر يفصل بين الحق والباطل ولا تشنأه من طول كذا جاء في رواية
اي لا يبغض لفرط طوله ويروى لا تتشكى من طول ابدل من الهمزة ياء يقال شنئته اشنأه
شنأ وشنآنا قاله ابن الاثير ولا تقتحمه عين من قصر اي لا تتجاوزه الى غيره احتقارا له
وكل شيء ازدريته فقد اقتحمته ومحفود اي مخدوم والمحشود الذي عنده حشد وهم الجماعة
ولا عابس من عبوس الوجه والمفند الذي يكثر اللوم وهو التفنيد والعره لحمة الضرع وتادرتها
اي خلف الشاة عندها مرتهنة بان تدر **واخرج** ابن سعد وابو نعيم من طريق الواقدي
حدثني حزام بن هشام عن ابيه عن ام معبد قالت بقيت الشاة التي لمس عليه الصلاة والسلام
ضرعها عندنا حتى كان زمان الرمادة زمان عمر بن الخطاب نحلبها صبوحا وغبوقا وما في الارض
قليل ولا كثير ثم نعترض لهما بتهديد سراقة بن مالك بن خثعم المدلجي فبكى ابو بكر وقال يا رسول الله
اتينا قال كلا ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعوات فساخت قوائم فرسه وطلب الامان
فقال اعلم ان قد دعوتما علي فادعوا لي ولكما ان ارد الناس عنكما ولا اضركما قال فوقفا لي
فركبت فرسي حتى جئتهما قال ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت ان سيظهر امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاخبرتهما اخبار ما يريد بهما الناس وعرضت عليهما الزاد والمتاع فلم يرزآني
واجتاز صلى الله عليه وسلم في وجهه ذلك بعبد يرعى غنما فكان من شانه ما رويناه
من طريق البيهقي بسنده عن قيس بن النعمان قال لما انطلق النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر
مستخفيين مرا بعبد يرعى غنما فاستسقياه اللبن فقال ما عندي شاة تحلب غير ان ههنا
عناقا حملت اول وما بقي لها لبن فقال ادع بها فاعتقلها صلى الله عليه وسلم ومسح ضرعها
ودعا حتى انزلت وجاء ابو بكر بمجن فحلب فسقى ابا بكر ثم حلب فسقى الراعي ثم حلب فشرب
فقال الراعي بالله من انت فوالله ما رايت مثلك قال او تراك تكتم علي حتى اخبرك قال نعم
فقال فاني محمد رسول الله فقال انت الذي تزعم قريش انه صابي قال انهم يقولون ذلك
قال فاشهد انك نبي وان ما جئت به حق وانه لا يفعل ما فعلت الا نبي وانا متبعك قال انك
لن تستطيع ذلك يومك فاذا بلغك اني قد ظهرت فاتنا قال الحافظ مغلطاي بعد ذكره
لقصة ام معبد وفي الاكليل قصة اخرى شبيهة بقصة ام معبد قال الحاكم فلا ادري اهي هي
ام غيرها **فلما** سمع المسلمون بالمدينة خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة
كانوا يغدون كل غداة الى الحرة ينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة فانقلبوا يوما بعدما
اطالوا انتظارهم فلما اووا الى بيوتهم اوفى رجل من يهود على اطم من آطامهم لامر ينظر اليه
فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه مبيضين يزول بهم السراب فلم يملك اليهودي نفسه
فنادى باعلى صوته يا بني قيلة هذا جدكم اي حظكم ومطلوبكم قد اقبل فخرجوا اليه بنى
قيلة وهم الاوس والخزرج سراعا بسلاحهم فتلقوه فنزل بقباء على بني عمرو بن عوف الحديث
رواه البخاري وفيه ان ابا بكر قام للناس وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتا

فطفق

فطفق من جاء من الانصار ممن لم ير النبي صلى الله عليه وسلم يحيي ابا بكر حتى اصابت الشمس
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل ابو بكر حتى ظلل عليه بردائه فعرف الناس رسول الله
صلى الله عليه وسلم عند ذلك وظاهر هذا انه عليه الصلاة والسلام كانت الشمس تصيبه
وما تقدم من تظليل الغمام والملك له كان قبل بعثته كما هو مصرح في موضعه قال
موسى بن عقبة عن ابن شهاب وكان قدومه عليه الصلاة والسلام لهلال ربيع الاول
اول يوم منه وفي رواية جرير بن حازم قدمها لليلتين خلتا من شهر ربيع الاول ونحوه عند
ابي معشر لكن قال ليلة الاثنين وعن ابن سعد قدمها لاثنتي عشرة من ربيع الاول
وهذا يجمع بينه وبين الذي قبله بالحمل على الاختلاف في رؤية الهلال وقيل كان حين اشتد
الضحى يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة منه وبه جزم النووي في كتاب السير من الروضة
وقال ابن الكلبي خرج من الغار يوم الاثنين اول يوم من ربيع الاول ودخل المدينة
يوم الجمعة لثنتي عشرة منه وقيل لليلتين منه وعند البيهقي اثنين وعشرين ليلة
وقال ابن حزم خرجا من مكة وقد بقي من صفر ثلاث ليال واقام علي بمكة بعد خروج النبي
صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام ثم ادركه بقبا يوم الاثنين سابع وقيل ثامن عشر ربيع
وكان مدة مقامه مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة او ليلتين وامر صلى الله عليه وسلم
بالتاريخ فكتب من حين الهجرة وقيل ان عمر اول من ارخ وجعله في المحرم **واقام** اثنين
عليه الصلاة والسلام بقبا في بني عمرو بن عوف اثنتين وعشرين ليلة وفي صحيح مسلم اقام
فيهم اربع عشرة ليلة ويقال انه اقام يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس **واسس**
مسجد قبا الذي اسس على التقوى على الصحيح وهو اول مسجد بني في الاسلام واول مسجد
صلى فيه عليه الصلاة والسلام باصحابه جماعة ظاهرا واول مسجد بني لجماعة من المسلمين
عامة وان كان قد تقدم بناء غيره من المساجد لكن لخصوص الذي بناه **ثم** خرج عليه الصلاة
والسلام من قبا يوم الجمعة حين ارتفع النهار فادركته الجمعة في بني سالم بن عوف فصلاها
بمن كان معه من المسلمين وهم مائة في بطن وادي رانوناء براء مهملة ونونين ممدود لعاشوراء
وتاسوعاء واسم المسجد العبيب والوادي صلب ولذا سمي مسجد الجمعة وهو مسجد صغير مبني
بحجارة قدر نصف القامة وهو على يمين السالك الى مسجد قبا **وركب** صلى الله عليه وسلم
على راحلته بعد الجمعة متوجها الى المدينة **وروى** انس بن مالك انه صلى الله عليه وسلم اقبل
الى المدينة وهو مردف ابا بكر وابو بكر شيخ يعرف والنبي صلى الله عليه وسلم شاب لا يعرف
قال فيلقى الرجل ابا بكر فيقول يا ابا بكر من هذا الرجل الذي بين يديك قال فيقول هذا الرجل
يهديني السبيل قال فيحسب الحاسب انه انما يعني الطريق وانما يعني سبيل الخير الحديث
رواه البخاري وقد روى ابن مسعود انه صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر الْهِ عني الناس
فكان اذا سئل من انت قال باغي حاجة فاذا قيل من هذا معك فيقول هذا يهديني السبيل
وفي حديث الطبراني من رواية اسماء فكان ابو بكر رجلا معروفا في الناس فاذا لقيه لاق
يقول لابي بكر من هذا معك فيقول هذا يهديني يريد الهداية في الدين ويحسبه الآخر
دليلا وانما كان ابو بكر معروفا لاهل المدينة لانه مر عليهم في سفره للتجارة وكان صلى الله

عليه وسلم لم يشب وكان عليه الصلاة والسلام اسن من ابي بكر وفي حديث انس لم يكن
في الذين هاجروا اشمط غير ابي بكر **وكان** عليه الصلاة والسلام كلما مر على دار
من دور الانصار يدعونه الى المقام عندهم برسول الله هلم الى القوة والمنعة فيقول
خلوا سبيلها يعني ناقته فانها مامورة وقد ارخى زمامها ولم يحركها وهي تنظر يمينا
وشمالا حتى اذا اتت دار مالك بن النجار بركت على باب المسجد وهو يومئذ مربد لسهل
وسهيل ابني رافع بن عمرو وهما يتيمان في حجر معاذ بن عفرا او يتال اسعد بن زرارة وهو
المرجح ثم ثارت وهو صلى الله عليه وسلم عليها حتى بركت على باب ابي ايوب الانصاري
ثم ثارت منه وبركت في مبركها الاول والقت جرانها بالارض يعني باطن عنقها او مقدمه
من المذبح وازرمت يعني صوتت من غير ان تفتح فاها ونزل عنها صلى الله عليه وسلم وقال
هذا المنزل ان شاء الله واحتمل ابو ايوب رحله وادخله بيته ومعه زيد بن حارثة وكانت
دار بني النجار اوسط دور الانصار وافضلها وهم اخوال عبد المطلب جده عليه الصلاة
والسلام وفي حديث ابي ايوب الانصاري عند يوسف بن يعقوب في كتاب الذكر والدعاء قال
نزل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة فكنت في العلو فلما خلوت الى ام ايوب
قلت رسول الله صلى الله عليه وسلم احق بالعلو منا تنزل عليه الملائكة وينزل عليه الوحي
فما بت تلك الليلة انا ولا ام ايوب فلما اصبحت قلت يا رسول الله ما بت الليلة انا ولا ام ايوب
قال لم يا ابا ايوب قلت كنت احق بالعلو منا تنزل عليك الملائكة وينزل عليك الوحي لا والذي
بعثك بالحق لا اعلو سقيفة انت تحتها ابدا الحديث ورواه الحاكم ايضا وقد ذكر ان هذا البيت
الذي لابي ايوب بناه له عليه الصلاة والسلام تبع الاول لما مر بالمدينة وترك فيها اربعمائة
عالم وكتب كتابا للنبي صلى الله عليه وسلم ودفعه الى كبيرهم وساله ان يدفعه الى النبي صلى
الله عليه وسلم فتداول الدار الملاك الى ان صارت لابي ايوب وهو من ولد ذلك العالم قال
واهل المدينة الذين نصروه عليه الصلاة والسلام من ولد اولئك العلماء فعلى هذا انما نزل
في منزل نفسه لا في منزل غيره كذا في تحقيق النصرة **وفرح** اهل المدينة بقدومه صلى الله
عليه وسلم واشرقت المدينة بحلوله فيها وسرى السرور الى القلوب قال انس بن مالك
لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اضاء منها كل شيء وصعدت
ذوات الخدور على الاجاجير عند قدومه يقلن **فيه صلى الله عليه وسلم**

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع ... وجب الشكر علينا ما دعى لله داعي

قلت انشاد هذا الشعر عند قدومه عليه الصلاة والسلام المدينة رواه البيهقي في الدلائل
وابو الحسن بن المقرئ في كتاب الشمائل له عن ابن عائشة وذكره الطبري في الرياض عن ابن
الفضل بن الحباب قال سمعت ابن عائشة يقول اراه عن ابيه فذكره وقال خرجه الحلواني
على شرط الشيخين انتهى وسميت ثنية الوداع لانه عليه الصلاة والسلام ودعه بها بعض
المقيمين بالمدينة في بعض اسفاره وقيل لانه عليه الصلاة والسلام شيع اليها بعض سراياه
فودعه عندها وقيل لان المسافر من المدينة كان يشيع اليها ويودع عندها قديما وصحح القاضي
عياض هذا الاخير واستدل عليه بقول نساء الانصار حين مقدمه عليه الصلاة والسلام

طلع البدر

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع فدل على انه اسم قديم وقال ابن بطال انما سميت
ثنية الوداع لانهم كانوا يشيعون الغزاة اليها ويودعونهم عندها وانها كانوا يخرجون عندها المتلقي
انتهى **قال** شيخ الاسلام الولي بن العراقي وهذا كله مردود ففي صحيح البخاري وسنن
ابي داود والترمذي عن السايب بن يزيد قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك
خرج الناس يتلقونه من ثنية الوداع قال وهذا صريح في انها من جهة الشام ولهذا لما نقل
والدي رحمه الله في شرح الترمذي كلام ابن بطال قال انه وهم قال وكلام ابن عائشة
معضل لا تقوم به حجة انتهى وسبقه الى ذلك ابن القيم في الهدي النبوي وقال هذا وهم
من بعض الرواة لان ثنية الوداع انما هي من ناحية الشام لا يراها القادم من مكة
ولا يمر بها الا اذا توجه الى الشام وانما وقع ذلك عند قدومه من تبوك انتهى لكن قال
ابن العراقي ايضا ويحتمل ان تكون الثنية من كل جهة يصل اليها المشيعون يسمونها
ثنية الوداع انتهى وفي شرف المصطفى واخرجه البيهقي عن انس لما بركت الناقة
على باب ابي ايوب خرج جوار من بني النجار بالدفوف يقلن

نحن جوار من بني النجار ... يا حبذا محمد من جار

فقال صلى الله عليه وسلم اتحببنني قلن نعم يا رسول الله وفي رواية الطبراني في الصغير
فقال عليه الصلاة والسلام الله يعلم ان قلبي يحبكم وقال الطبري وتفرق الغلمان والخدم في الطرق
ينادي جاء محمد جاء رسول الله **ووعك** ابو بكر وبلال فكان ابو بكر اذا اخذته الحمى يقول

كل امرئ مصبح في اهله ... والموت ادنى من شراك نعله

وكان بلال اذا اقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول

الا ليت شعري هل ابيتن ليلة ... بواد وحولي اذخر وجليل
وهل اردن يوما مياه مجنة ... وهل تبدون لي شامة وطفيل

اللهم العن شيبة بن ربيعة وامية بن خلف كما اخرجونا من ارضنا الى ارض الوباء ثم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة او اشد اللهم بارك لنا
في صاعنا ومدنا وصححها لنا وانقل حماها الى الجحفة قالت يعني عائشة وقدمنا المدينة
وهي اوبى ارض الله فكان بطحان يجري نجلا يعني ماء آجنا وقال عمر اللهم ارزقني شهادة في سبيلك
واجعل موتي في بلد رسولك رواه البخاري وقوله رفع عقيرته اي صوته لان العقيرة الساق
كان الذي قطعت رجله رفعها وصاح ثم قيل لكل من صاح ذلك حكاه الجوهري وشامة وطفيل
عينان بقرب مكة والمراد بالوادي وادي مكة وجليل نبت ضعيف **واقام** صلى الله
عليه وسلم عند ابي ايوب سبعة اشهر وقيل الى صفر من السنة الثانية وقال الدولابي
شهرا وكان يصلي حيث ادركته الصلاة ولما اراد عليه الصلاة والسلام بناء المسجد الشريف
قال يا بني النجار ثامنوني بحائطكم قالوا لا نطلب ثمنه الا الى الله فابى ذلك صلى الله عليه
وسلم وابتاعها بعشرة دنانير اداها من مال ابي بكر رضي الله عنه وكان قد خرج من مكة
بماله كله قال انس وكان في موضع المسجد نخل وخرب ومقابر مشركين فامر بالقبور فنبشت
وبالخرب فسويت وبالنخل فقطعت ثم امر باتخاذ اللبن فاتخذ وبني المسجد وسقف بالجريد

وجعلت عمده خشب النخل وعمل فيه المسلمون وكان عمار ينقل لبنتين لبنة عنه ولبنة عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال له عليه الصلاة والسلام للناس اجر ولك اجران واخر زادك من الدنيا شربة لبن وتقتلك الفئة الباغية وروينا انه صلى الله عليه وسلم كان ينقل معهم اللبن في ثيابه ويقول وهو ينقل

هذا الحمال لا حمال خيبر ۞ هذا ابر ربنا واطهر ۞

اللهم ان الاجر اجر الآخره ۞ فارحم الانصار والمهاجره ۞

قال ابن شهاب ولم يبلغنا انه صلى الله عليه وسلم ذكر بيت شعر تام غير هذا انتهى وقد قيل ان الممتنع عليه صلى الله عليه وسلم انشاء الشعر لا انشاده ولا دليل على منع انشاده متمثلا وقوله هذا الحمال بكسر الحاء المهملة وتخفيف الميم اي المحمول من اللبن ابر عند الله من حمال خيبر اي التي يحمل منها من التمر والزبيب ونحو ذلك وفي رواية المستملي بالجيم انتهى وفي كتاب تحقيق النصرة قيل ووضع صلى الله عليه وسلم رداءه فوضع الناس وهم يقولون

لئن قعدنا والنبي يعمل ۞ ذاك اذا للعمل المضلل ۞

وآخرون يقولون ۞

لا يستوي من يعمر المساجدا ۞ يداب فيها قائما وقاعدا ۞ ومن يرى عن التراب حائدا ۞

وجعلت قبلته المسجد للقدس وجعل له ثلاثة ابواب باب من موخره وباب يقال له باب الرحمة والباب الذي يدخل منه وجعل طوله مما يلي القبلة الى موخره مائة ذراع وفي الجانبين مثل ذلك او دونه وجعل اساسه قريبا من ثلاثة اذرع وبنى بيوتا الى جنبه باللبن وسقفها بجذوع النخل والجريد فلما فرغ من البنا بنى لعايشة في البيت الذي يليه شارعا الى المسجد وجعل سودة بنت زمعة في البيت الاخر الذي يليه الى الباب الذي يلي ال عثمان وتحول عليه الصلاة والسلام من دار ابي ايوب الى مساكنه التي بناها وكان قد ارسل زيد بن حارثة وابا رافع مولاه الى مكة فقدما بفاطمة وام كلثوم وسودة بنت زمعة واسامة بن زيد وام ايمن وخرج عبد الله بن ابي بكر معهم بعيال ابيه وكان في المسجد موضع مظلل تاوي اليه المساكين يسمى الصفة وكان اهله يسمون اهل الصفة وكان عليه الصلاة والسلام يدعوهم بالليل ليفرقهم على اصحابه وتتعشى طايفة منهم معه عليه الصلاة والسلام وفي البخاري من حديث ابي هريرة لقد رايت سبعين من اهل الصفة ما منهم رجل عليه رداء اما ازار واما كسا قد ربطوا في اعناقهم فمنها ما يبلغ نصف الساق ومنها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية ان ترى عورته وهذا يشعر بانهم كانوا اكثر من سبعين وهولاء الذين راهم ابو هريرة السبعين الذين بعثهم في غزوة بير معونة وكانوا من اهل الصفة لكنهم استشهدوا قبل اسلام ابي هريرة وقد اعتنى بجميع اصحاب اهل الصفة ابن الاعرابي والسلمي والحاكم وابو نعيم وعند كل منهما ما ليس عند الاخر وفيما ذكروه اعتراض ومناقشة قاله في فتح الباري وكان صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة الى جذع في المسجد قايما فقال ان القيام قد شق علي فصنع له المنبر وكان عمله وحنين الجذع في السنة الثامنة بالميم من الهجرة وبه جزم ابن النجار وعورض بما في حديث الافك في الصحيحين قالت عايشة فثار الحيان الاوس والخزرج حتى كادوا

ان

ان يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فنزل فخفضهم حتى سكتوا وجزم ابن سعد بان عمل المنبر كان في السنة السابعة وعورض بذكر العباس وتميم فيه وكان قدوم العباس بعد الفتح في آخر سنة ثمان ووفد تميم سنة تسع وعن بعض اهل السير انه عليه الصلاة والسلام كان يخطب على منبر من طين قبل ان يتخذ المنبر الذي من خشب وعورض بان الاحاديث الصحيحة انه كان يستند الى الجذع اذا خطب وسياتي في قصة حنين الجذع ان شاء الله تعالى في مقصد المعجزات **ولما كان** بعد قدومه بخمسة اشهر اخى عليه الصلاة والسلام بين المهاجرين والانصار وكانوا تسعين رجلا من كل طايفة خمسة واربعون على الحق والمواساة والتوارث وكانوا كذلك الى ان نزل بعد بدر واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض الآية وبنى بعايشة على راس تسعة اشهر وقيل ثمانية وقيل ثمانية عشر شهرا في شوال **وكان الناس** كما في السير وغيرها انما يجتمعون الى الصلاة لتحين مواقيتها من غير دعوة وكان ذلك فيما قيل في السنة الثانية **واخرج** ابن سعد في الطبقات من مراسيل سعيد بن المسيب ان بلالا كان ينادي للصلاة بقوله الصلاة جامعة الحديث وشاور صلى الله عليه وسلم اصحابه فيما يجمعهم به للصلاة فقال بعضهم ناقوس كناقوس النصارى وقال آخرون بوق كبوق اليهود وقال بعضهم بل نوقد نارا ونرفعها فاذا راها الناس اقبلوا الى الصلاة فراى عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه في منامه رجلا فعلمه الاذان والاقامة فلما اصبح اتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بما راى وفي رواية ابن معاذ بن جبل عند الامام احمد قال يا رسول الله اني رايت فيما يرى النايم ولو قلت اني لم اكن نايما لصدقت رايت شخصا عليه ثوبان اخضران فاستقبل القبلة وقال الله اكبر الله اكبر مثنى مثنى حتى فرغ من الاذان الحديث فقال عليه الصلاة والسلام انها لرويا حق ان شاء الله تعالى فقم مع بلال فالق عليه ما رايت فليوذن به فانه اندى صوتا منك قال فقمت مع بلال فجعلت القيه عليه ويوذن قال فسمع بذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو في بيته فخرج يجر رداءه يقول والذي بعثك بالحق يا رسول الله لقد رايت مثل ما ارى ووقع في الاوسط للطبراني ان ابا بكر ايضا راى الاذان وفي الوسيط للغزالي انه راه بضعة عشر رجلا وعبارة الجيلي في شرح التنبيه اربعة عشر وانكره ابن الصلاح ثم النووي وفي سيرة مغلطاي انه راه سبعة من الانصار قال الحافظ ابو الفضل بن حجر رحمه الله ولا يثبت شي من ذلك الا لعبد الله بن زيد وقصة عمر جاءت في بعض الطرق انتهى قال السهيلي فان قلت ما الحكمة التي خصت الاذان بان يراه رجل من المسلمين في نومه ولم يكن عن وحي من الله لنبيه كساير العبادات والاحكام الشرعية وفي قوله عليه الصلاة والسلام له انها لرويا حق ثم بنى حكم الاذان عليها وهل كان ذلك عن وحي من الله له ام لا **واجاب** بانه صلى الله عليه وسلم قد اريه ليلة الاسرا فروى البزار عن علي قال لما اراد الله تعالى ان يعلم نبيه الاذان جاءه جبريل عليه السلام بدابة يقال لها البراق فركبها حتى اتى الحجاب الذي يلي الرحمن فبينما هو كذلك اذ خرج ملك من الحجاب فقال يا جبريل من هذا قال والذي بعثك بالحق اني لاقرب الخلق مكانا وان هذا الملك ما رايته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل

من رؤيا آمر الجناب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر فذكر بقية الاذان قال السهيلي وهذا اقوى
من الوحي فلما تأخر فرض الاذان الى المدينة واراد اعلام الناس بوقت الصلاة تلبث الوحي
حتى راى عبد الله الرؤيا فوافقت ما راى صلى الله عليه وسلم فلذلك قال انها لرؤيا حق
ان شاء الله تعالى وعلم حينئذ ان مراد الله تعالى بما راه في السماء ان يكون سنة في الارض وقوي
ذلك عنده موافقة رؤيا عمر للانصاري انتهى **وتعقب** بان حديث البزار في اسناده زياد
ابن المنذر ابو الجارود وهو متروك وقال في فتح الباري وقد استشكل اثبات حكم الاذان
برؤيا عبد الله بن زيد بان رؤيا غير الانبياء لا ينبني عليها حكم شرعي **واجيب** باحتمال مقارنة
الوحي لذلك ويؤيده ما رواه عبد الرزاق وابو داود في المراسيل من طريق عبيد بن عمير
الليثي احد كبار التابعين ان عمر لما راى الاذان جاء ليخبر النبي صلى الله عليه وسلم فوجد الوحي
قد ورد بذلك فما راعه الا اذان بلال فقال له النبي صلى الله عليه وسلم سبقك بذلك
الوحي وهذا اصح مما حكى الداودي ان جبريل اتى النبي صلى الله عليه وسلم بالاذان قبل
ان يخبره عبد الله بن زيد وعمر بثمانية ايام وقد عرفت رؤيا عبد الله بن زيد برواية ابن اسحق
وغيره وذلك انه قال طاف بي وانا نائم رجل يحمل ناقوسا في يده فقلت يا عبد الله اتبيع الناقوس
قال وما تصنع به فقلت ندعو به الى الصلاة قال افلا ادلك على ما هو خير لك من ذلك
قلت بلى قال تقول الله اكبر الله اكبر وذكر بقية كلمات الاذان قال ثم استأخر عني غير بعيد
ثم قال اذا قمت الى الصلاة فقل الله اكبر الى آخر كلمات الاقامة ورواه ابو داود باسناد
صحيح وقد وردت احاديث تدل على ان الاذان شرع بمكة قبل الهجرة منها للطبراني
من طريق سالم بن عبد الله بن عمر عن ابيه قال لما اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم اوحى الله
اليه الاذان فنزل به وعلمه بلالا وفي اسناده طلحة بن زيد وهو متروك **ومنها** للدارقطني
في الافراد من حديث انس ان جبريل امر النبي صلى الله عليه وسلم بالاذان حين فرضت الصلاة
واسناده ضعيف **ومنها** حديث البزار عن علي المتقدم قال في فتح الباري والحق انه لا يصح
شيء من هذه الاحاديث وقد جزم ابن المنذر بانه عليه الصلاة والسلام كان يصلي بغير اذان
منذ فرضت الصلاة بمكة الى ان هاجر الى المدينة الى ان وقع التشاور في ذلك والله اعلم
فان قلت هل اذن عليه الصلاة والسلام بنفسه قط **اجاب** السهيلي بانه روى الترمذي
من طريق يدور على عمر بن الرماح قاضي بلخ يرفعه الى ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم اذن في سفر
وصلى وهم على رواحلهم الحديث قال فنزع بعض الناس بهذا الحديث الى انه عليه الصلاة والسلام
اذن بنفسه انتهى وليس هذا من حديث ابي هريرة انما هو من حديث يعلى بن مرة وكذا جزم
النووي بانه عليه الصلاة والسلام اذن مرة في سفره وعزاه للترمذي وقواه لكن روى الحديث
الدارقطني وقال فيه امر بالاذان ولم يقل اذن قال السهيلي والمفصل يقضي على المجمل والمحتمل
وفي مسند احمد من الوجه الذي اخرج منه الترمذي هذا الحديث فامر بلالا فاذن قال في فتح الباري
فعرف ان في رواية الترمذي اختصارا وان قوله اذن امر كما يقال اعطى الخليفة فلانا الفا وانما باشر
العطاء غيره ونسب للخليفة لكونه آمرا انتهى **فان قلت** هل صلى النبي صلى الله عليه وسلم خلف احد
من الصحابة **نعم** ثبت في صحيح مسلم وغيره انه صلى الله عليه وسلم صلى خلف عبد الرحمن بن عوف

صلى النبي صلى الله عليه وسلم خلف عبد الرحمن ابن عوف

ولفظه عن المغيرة بن شعبة انه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تبوك فتبرز رسول الله صلى الله
عليه وسلم قبل الغائط فحملت معه اداوة قبل صلاة الفجر الحديث الى ان قال فاقبلت معه حتى
نجد الناس قد قدموا عبد الرحمن بن عوف يصلي لهم فادرك رسول الله صلى الله عليه وسلم احدى الركعتين
فصلى مع الناس الركعة الاخيرة فلما سلم عبد الرحمن بن عوف قام رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتم صلاته فافزع ذلك المسلمين فاكثروا التسبيح فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم صلاته اقبل عليهم
ثم قال احسنتم او قال قد اصبتم يغبطهم ان يصلوا الصلاة لوقتها ورواه ابو داود في السنن بنحوه ولفظه
ووجدنا عبد الرحمن وقد ركع لهم ركعة من صلاة الفجر فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصف
مع المسلمين فصلى وراء عبد الرحمن بن عوف الركعة الثانية ثم سلم عبد الرحمن فقام النبي صلى الله
عليه وسلم في صلاته الحديث قال النووي فيه جواز اقتداء الفاضل بالمفضول وجواز صلاة النبي
صلى الله عليه وسلم خلف بعض امته قال واما استمرار عبد الرحمن في صلاته وتأخر ابي بكر ليتقدم
النبي صلى الله عليه وسلم فالفرق بينهما ان عبد الرحمن كان قد ركع ركعة وترك النبي صلى الله عليه
وسلم التقدم لئلا يختل ترتيب صلاة القوم بخلاف صلاة ابي بكر **نعم** في السيرة الهاشمية
ان ابا بكر كان الامام وان النبي صلى الله عليه وسلم كان يأتم به لكنه كما قال السهيلي وحديثه
مرسل في السيرة والمعروف في الصحاح ان ابا بكر كان يصلي بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
والناس يصلون بصلاة ابي بكر لكن قد روى عن انس من طريق متصل ان ابا بكر كان الامام
يومئذ واختلف فيه عن عائشة رضي الله عنها انتهى وفي الترمذي مصححا من حديث جابر
ان آخر صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثوب واحد متوشحا به خلف ابي بكر قال
ابن الملقن وقد نصر هذا القول غير واحد من الحفاظ منهم الضياء وابن ناصر وقال صح وثبت
انه صلى الله عليه وسلم صلى خلف ابي بكر مقتديا به في مرضه الذي مات فيه ثلاث مرات
ولا ينكر هذا الا جاهل لا علم له بالرواية وقيل كان مرتين جمعا بين الاحاديث وبه جزم ابن حبان
وروى الدارقطني من طريق المغيرة بن شعبة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ما من نبي حتى يؤمه رجل من امته **ولما كان** بعد شهر من مقدمه عليه الصلاة والسلام
لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر قاله الدولابي يوم الثلاثاء وقال السهيلي بعد الهجرة
بعام او نحوه زيد في صلاة الحضر ركعتان ركعتان وتركت صلاة الفجر لطول القراءة فيها وصلاة
المغرب لانها وتر النهار واقرت صلاة السفر وفي البخاري عن عائشة فرضت الصلاة ركعتين ركعتين
ثم هاجر عليه الصلاة والسلام الى المدينة ففرضت اربعا وتركت صلاة السفر على الفريضة الاولى
وقيل انما فرضت اربعا ثم خفف عن المسافر ويدل له حديث ان الله وضع عن المسافر شطر
الصلاة وقيل انما فرضت في الحضر اربعا وفي السفر ركعتين وهو قول ابن عباس قال رضي الله عنه
فرض الله الصلاة على لسان نبيكم في الحضر اربعا وفي السفر ركعتين رواه مسلم وغيره وسياتي
مزيد لذلك ان شاء الله تعالى في اول الصلاة من مقصد عباداته عليه الصلاة والسلام قال
ابن اسحق وغيره ونصبت احبار يهود العداوة للنبي صلى الله عليه وسلم بغيا وحسدا وسحره
لبيد بن الاعصم وهو من يهود بني زريق وكان يخيل اليه انه يفعل الفعل وهو لا يفعله وجعل
سحره في مشط ومشاطة ودفنه في بئر ذروان واكثر اهل الحديث يقول ذروان تحت راعوفة

البين كما ثبت في الصحيح وليس هذا بقادح في النبوة فان الانبياء يبتلون في ابدانهم بالجراحات والسموم
والقتل وغير ذلك مما تجوزه العلماء عليهم وانضاف الى اليهود جماعة من الاوس والخزرج
منافقون على دين آبائهم من المشركين والتكذيب بالبعث الا انهم قهروا بظهور الاسلام واتخذوه
جنة من القتل ونافقوا في السر منهم عبد الله بن ابي بن سلول وكان راس المنافقين وهو الذي
قال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل كما سياتي ان شاء الله تعالى في غزوة بني المصطلق
واذن الله تعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام بالقتال قال الزهري اول آية نزلت
في الاذن بالقتال اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير اخرجه النسائي باسناد
صحيح قال في البحر والماذون فيه اي في الاية محذوف اي في القتال لدلالة يقاتلون عليه وعلل
الاذن بانهم ظلموا وكانوا ياتون رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين مضروب ومشجوج فيقول لهم
اصبروا فاني لم اومر بالقتال حتى هاجر فاذن له بالقتال بعد ما نهي عنه في نيف وسبعين آية
انتهى وقال غيره وانما شرع الله تعالى الجهاد في الوقت اللائق به لانهم لما كانوا بمكة كان المشركون
اكثر عددا فلو امر المسلمون وهم قليلون بقتال الباقين لشق عليهم فلما بغى المشركون واخرجوه عليه
الصلاة والسلام من بين اظهرهم وهموا بقتله واستقر عليه الصلاة والسلام بالمدينة واجتمع
عليه اصحابه وقاموا بنصره وصارت المدينة لهم دار اسلام ومعقلا يلجاون اليه شرع الله جهاد الاعداء
فبعث عليه الصلاة والسلام البعوث والسرايا وغزا وقاتل هو واصحابه حتى دخل الناس
في دين الله افواجا افواجا **وكان** عدد مغازيه عليه الصلاة والسلام التي خرج فيها بنفسه
سبعا وعشرين قاتل في تسع منها بنفسه بدر واحد والمريسيع والخندق وقريظة وخيبر
وفتح مكة وحنين والطائف وهذا على قول من قال فتحت مكة عنوة وكانت سراياه
التي بعث فيها سبعا واربعين سرية وقيل انه قاتل في بني النضير وافاد في فتح الباري ان السرية
بفتح المهملة وكسر الراء وتشديد التحتانية هي التي تخرج بالليل والسارية التي تخرج بالنهار
قال وقيل سميت بذلك لانها تخفي ذهابها وهذا يقتضي انها اخذت من السر ولا يصح
لاختلاف المادة وهي قطعة من الجيش تخرج منه وتعود اليه وهي من مائة الى خمسمائة فما زاد على
خمسمائة يقال له منسر بالنون ثم المهملة فان زاد على الثمانمائة سمي جيشا وان زاد على اربعة
الاف سمي جحفلا والخميس الجيش العظيم وما افترق من السرية يسمى بعثا والكتيبة ما اجتمع
ولم ينتشر انتهى ملخصا وكان اول بعوثه صلى الله عليه وسلم على راس سبعة اشهر في رمضان
وقيل في ربيع الاول سنة اثنين بعث عمه حمزة وامره على ثلاثين رجلا من المهاجرين وقيل
من الانصار وفيه نظر لانه لم يبعث احدا من الانصار حتى غزا بهم بدرا لانهم شرطوا له ان يمنعوه
في دارهم فخرجوا يعترضون عيرا لقريش فيها ابو جهل اللعين فلقيه في ثلاثمائة راكب فبلغوا سيف البحر
من ناحية العيص فلما تصافوا حجز بينهم مجدي بن عمرو القرشي وكان عليه الصلاة والسلام قد عقد له
لواء ابيض واللواء هو العلم الذي يحمل في الحرب يعرف به موضع صاحب الجيش وقد يحمله امير
الجيش وقد يدفعه لمقدم العسكر وقد صرح جماعة من اهل اللغة بترادف اللواء والراية لكن
روى احمد والترمذي عن ابن عباس كانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم سوداء ولواؤه ابيض
ومثله عند الطبراني عن بريدة وعند ابن عدي عن ابي هريرة وزاد مكتوب فيه لا اله الا الله

محمد رسول الله وهو ظاهر في التغاير فلعل التفرقة بينهما عرفية وذكر ابن اسحق وكذا ابو الاسود عن
عروة ان اول ما حدثت الرايات يوم خيبر وما كانوا يعرفون قبل ذلك الا الالوية **ثم سرية**
عبيدة بن الحرث الى بطن رابغ في شوال على راس ثمانية اشهر في ستين رجلا وعقد له
لواء ابيض حمله مسطح بن اثاثة فلقي ابا سفيان بن حرب وكان على المشركين وقيل مكرز بن حفص
وقيل عكرمة بن ابي جهل في مائتين ولم يكن بينهم قتال الا ان سعد بن ابي وقاص رمى بسهم
فكان اول سهم رمي في الاسلام قال ابن اسحق فكانت راية عبيدة فيما بلغنا اول راية عقدت
في الاسلام وبعض الناس يقول راية حمزة قال وانما اشكل امرهما لانه عليه الصلاة
والسلام بعثهما معا فاشتبه ذلك على الناس انتهى وهذا يشكل بما ذكروا ان بعث حمزة كان
على راس سبعة اشهر لكن يحتمل ان يكون صلى الله عليه وسلم عقد رايتيهما معا ثم تاخر
خروج عبيدة الى راس الثامنة لامر اقتضاه والله اعلم **ثم سرية سعد**
ابن ابي وقاص الى الخرار بالحجاز ينصب في الجحفة وكان ذلك في القعدة على راس تسعة
اشهر وعقد له لواء ابيض حمله المقداد بن عمرو في عشرين رجلا يعترض عيرا لقريش فخرجوا على
اقدامهم وصبحوها صبح خامسة فوجدوا العير قد مرت بالامس **ثم غزوة ودان**
وهي الابواء وهي اول مغازيه كما ذكره ابن اسحق وفي البخاري عنه اولها الابواء خرج صلى الله عليه
وسلم في صفر على راس اثني عشر شهرا من مقدمه المدينة يريد قريشا في ستين رجلا وحمل
اللواء حمزة بن عبد المطلب فكانت الموادعة اي المصالحة على ان بني ضمرة لا يغزونه ولا يكثرون
عليه جمعا ولا يعينون عدوا واستعمل على المدينة سعد بن عبادة وليس فيما وقع في سيرة
ابن اسحق وبينما نقله عنه البخاري اختلاف لان الابواء وودان مكانان متقاربان بينهما ستة
اميال او ثمانية **ثم غزوة بواط** بفتح الموحدة وقد تضم وتخفيف الواو آخره طاء مهملة
وهي الثانية غزاها صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الاول على راس ثلاثة عشر من الهجرة
حتى بلغها من ناحية رضوى بفتح الراء وسكون المعجمة مقصور في مائتين من اصحابه يعترض
عيرا لقريش وفيهم امية بن خلف الجمحي واستعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون
فرجع ولم يلق كيدا اي حربا قال ابن الاثير والكيد الاحتيال والاجتهاد وبه سميت الحرب كيدا
ثم غزوة العشيرة بالشين المعجمة والتصغير آخره هاء لم يختلف اهل المغازي في ذلك
وفي البخاري العشير او العسيرة بالتصغير والاولى بالمعجمة بلا هاء والثانية بالمهملة وبالهاء
واما غزوة العسيرة بالمهملة بغير تصغير فهي غزوة تبوك وستاتي ان شاء الله ونسبت غزوة هذه
الى المكان الذي وصلوا اليه وهو موضع لبني مدلج بينبع وخرج اليها صلى الله عليه وسلم في جمادى
الاولى وقيل الاخرى على راس ستة عشر من الهجرة في خمسين ومائة رجل وقيل مائتين
رجلا ومعهم ثلاثون بعيرا يعتقبونها وحمل اللواء وكان ابيض حمزة يريد عير قريش التي صدرت
من مكة الى الشام بالتجارة فخرج اليها ليغنمها فوجدها قد مضت ووادع بني مدلج من كنانة
وكانت نسخة الموادعة فيما ذكر غير ابن اسحق بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله
لبني ضمرة فانهم آمنون على اموالهم وانفسهم وان لهم النصر على من رامهم الا ان يحاربوا في دين الله
ما بل بحر صوفة وان النبي اذا دعاهم لنصر اجابوه عليهم بذلك ذمة الله وذمة رسوله

سرية عبيدة بن الحرث
سرية سعد بن ابي وقاص
غزوة ودان
غزوة بواط
غزوة العشيرة

قال ابن هشام واستعمل على المدينة ابا سلمة بن عبد الاسد **غزوة بدر الاولى**
قال ابن اسحق ولما رجع عليه الصلاة والسلام من غزوة العسيرة لم يقم الا ليالي وقال
ابن حزم بعد العسيرة بعشرة ايام حتى اغار كرز بن جابر الفهري على سرح المدينة فخرج صلى الله
عليه وسلم في طلبه حتى بلغ سفوان بفتح المهملة والفاء وهو موضع من ناحية بدر ففاته كرز
ابن جابر وتسمى بدر الاولى قال ابن هشام واستعمل على المدينة زيد بن حارثة وحمل اللواء
علي بن ابي طالب رضي الله عنه **ثم سرية امير المؤمنين عبد الله بن جحش** في رجب
على راس سبعة عشر شهرا وكان معه ثمانية وقيل اثنا عشر من المهاجرين الى نخلة على ليلة
من مكة في رجب يترصد قريشا فمرت به عير لهم تحمل زبيبا وادما من الطايف فيها عمرو
ابن الحضرمي فتشاور المسلمون وقالوا نحن في آخر يوم من رجب فان قاتلناهم هتكنا حرمة
الشهر وان تركناهم الليلة دخلوا حرم مكة فاجمعوا على قتلهم فقتلوا عمرا واستاسروا عثمان
ابن عبد الله والحكم بن كيسان وهرب من هرب واستاقوا العير فكانت اول غنيمة في الاسلام
فقسمها ابن جحش وعزل الخمس في ذلك قبل ان يفرض ويقال بل قدموا بالغنيمة كلها فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ما امرتكم بالقتال في الشهر الحرام فاخر الاسيرين والغنيمة حتى رجع
من بدر فقسمها مع غنائمها وتكلمت قريش ان محمدا اسفك الدماء واخذ المال في الشهر الحرام فانزل الله
تعالى يسالونك عن الشهر الحرام قتال فيه الاية وفي ذلك يقول عبد الله بن جحش

تعدون قتلا في الحرام عظيمة ۝ واعظم منه لو يرى ذاك راشد
صدودكم عما يقول محمد ۝ وكفر به والله راء وشاهد
سقينا من ابن الحضرمي رماحنا ۝ بنخلة لما اوقد الحرب واقد

وبعثت قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في فداء الاسيرين وهما عثمان بن عبد الله
والحكم بن كيسان ففاداهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فاما الحكم فاسلم وحسن اسلامه واقام
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل يوم بير معونة شهيدا واما عثمان بن عبد الله
فلحق بمكة فمات بها كافرا **ثم حولت القبلة الى الكعبة** وكان صلى الله عليه وسلم
يصلي الى بيت المقدس بالمدينة ستة عشر وقيل سبعة عشر وقيل ثمانية عشر شهرا وقال الحربي
قدم عليه الصلاة والسلام المدينة في ربيع الاول فصلى الى بيت المقدس تمام السنة وصلى
من سنة اثنتين ستة اشهر ثم حولت القبلة وقيل كان تحويلها في جمادى وقيل كان يوم الثلثا
في نصف شعبان وقيل يوم الاثنين نصف رجب وظاهر حديث البرا في البخاري انها كانت صلاة العصر
ووقع عند النساي من رواية ابي سعيد بن المعلى الظهر واما اهل قبا فلم يبلغهم الخبر الى صلاة
الفجر من اليوم الثاني كما في الصحيحين عن ابن عمر انه قال بينا الناس بقبا في صلاة الصبح اذ جاءهم
ات فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امر ان نستقبل الكعبة فاستقبلوها وكانت
وجوههم الى الشام فاستداروا الى الكعبة وفي هذا دليل على ان الناسخ لا يلزم حكمه الا بعد
العلم به وان تقدم نزوله لانهم لم يومروا باعادة العصر والمغرب والعشا والله اعلم وروى الطبري
عن ابن عباس لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة واليهود اكثر اهلها
يستقبلون بيت المقدس امره الله ان يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود فاستقبلها سبعة

عشر شهرا وكان صلى الله عليه وسلم يحب ان يستقبل قبلة ابرهيم وكان يدعو وينظر الى السماء فنزلت
الاية قال في فتح الباري وظاهر حديث ابن عباس هذا ان استقبال بيت المقدس انما وقع بعد
الهجرة الى المدينة لكن اخرج احمد من وجه آخر عن ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم
يصلي بمكة نحو بيت المقدس والكعبة بين يديه قال والجمع بينهما ممكن بان يكون امره لما هاجر
ان يستمر على الصلاة لبيت المقدس واخرج الطبري ايضا من طريق ابن جريج قال صلى النبي صلى الله
عليه وسلم اول ما صلى الى الكعبة ثم صرف الى بيت المقدس وهو بمكة فصلى ثلاث حجج ثم هاجر
فصلى اليه بعد قدومه المدينة ستة عشر شهرا ثم وجهه الله الى الكعبة وقوله في حديث ابن
عباس الاول امره الله يرد قول من قال انه صلى الى بيت المقدس باجتهاد وعن ابي العالية
انه صلى الى بيت المقدس يتالف اهل الكتاب وهذا لا ينفي ان يكون بتوقيف **واختلفوا
في المسجد** الذي كان يصلي فيه فعند ابن سعد في الطبقات انه صلى ركعتين في مسجد
المسلمين ثم امر ان يتوجه الى المسجد الحرام فاستدار اليه ودار معه المسلمون ويقال انه
عليه الصلاة والسلام زار ام بشر بن البرا بن معرور في بني سلمة فصنعت له طعاما وكانت
الظهر فصلى عليه الصلاة والسلام باصحابه ركعتين ثم امر فاستداروا الى الكعبة واستقبل
الميزاب فسمي مسجد القبلتين قال ابن سعد قال الواقدي هذا عندنا اثبت **ولما حول الله
تعالى القبلة** حصل لبعض الناس من المنافقين والكفار واليهود ارتياب وزيغ عن الهدى وشك
وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها اي ما لهؤلاء تارة يستقبلون كذا وتارة كذا فانزل الله
جوابهم في قوله قل لله المشرق والمغرب اي الحكم والتصرف والامر كله لله فحيثما وجهنا
توجهنا فالطاعة في امتثال امره ولو وجهنا في كل يوم مرات الى جهات متعددة فنحن عبيده
وفي تصريفه وخدامه حيثما توجهنا ولله تعالى بنبينا عليه الصلاة والسلام عناية عظيمة
اذ هدانا الى قبلة خليله قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه احمد من حديث عايشة
ان اليهود لا يحسدونا على شي كما يحسدونا على يوم الجمعة التي هدانا الله لها وضلوا عنها
وعلى القبلة التي هدانا الله لها وضلوا عنها وعلى قولنا خلف الامام امين وقال بعض
المؤمنين فكيف بصلاتنا التي صليناها نحو بيت المقدس وكيف من مات من اخواننا
وهم يصلون الى بيت المقدس فانزل الله وما كان الله ليضيع ايمانكم وقيل قالت اليهود
اشتاق الى بلد ابيه وهو يريد ان يرضي قومه ولو ثبت على قبلتنا لرجونا ان يكون هو النبي
الذي ننتظر ان ياتي فانزل الله تعالى وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم يعني
ان اليهود الذين انكروا استقبالكم الكعبة وانصرافكم عن بيت المقدس يعلمون ان الله تعالى
سيوجهك اليها لما في كتبهم عن انبيائهم **ثم فرض صيام شهر رمضان**
بعد ما حولت القبلة الى الكعبة بشهر في شعبان على راس ثمانية عشر شهرا من مقدمه عليه
الصلاة والسلام **ثم زكاة الفطر** قبل العيد بيومين ان يخرج عن الصغير والكبير والحر والعبد
والذكر والانثى صاع من تمر او صاع من شعير او صاع من زبيب او صاع من بر وذلك قبل ان تفرض
زكاة الاموال وقيل ان الزكاة فرضت فيها وقيل قبل الهجرة والله اعلم **ثم غزوة بدر
الكبرى** وتسمى العظمى والثانية وبدر القتال وهي قرية مشهورة نسبت الى بدر بن مخلد

سرية أمير المؤمنين عبد الله بن جحش

ثم فرض صيام شهر رمضان

ثم غزوة بدر الكبرى

وزكاة الفطر

ابن النضر بن كنانة كان نزلها وقيل بدر بن الحارث حافر بئرها وقيل بدر اسم البئر التي بها سميت لاستدارتها او لصفاء مائها ورؤية البدر فيها وقال ابن كثير وهو يوم الفرقان الذي اعز الله فيه الاسلام واهله ودمغ فيه الشرك وخرب محله هذا مع قلة عدد المسلمين وكثرة العدو ومع ما كانوا فيه من سوابغ الحديد والعدة الكاملة والخيول المسومة والخيلاء الزائد فاعز الله رسوله واظهر وحيه وتنزيله وبيض وجه النبي عليه الصلاة والسلام وقبيله واخزى الشيطان وجيله ولهذا قال تعالى ممتنا على عباده المؤمنين وحزبه المتقين ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة اي قليل عددكم لتعلموا ان النصر انما هو من عند الله لا بكثرة العدد والعدد انتهى فقد كانت هذه الغزوة اعظم غزوات الاسلام اذ منها كان ظهوره وبعد وقوعها اشرق على الآفاق نوره ومن حين وقوعها اذل الله الكفار واعز من حضرها من المسلمين فهو عنده من الابرار وكان خروجهم يوم السبت لثنتي عشرة خلت من رمضان على رأس خمسة عشر شهرا ويقال لثمان خلون منه قاله ابن هشام واستخلف ابا لبابة الانصاري وخرج معه الانصار ولم تكن قبل ذلك خرجت معه وكان عدة من خرج معه ثلثمائة وخمسة وثمانية لم يحضروها انما ضرب لهم بسهمهم واجرهم فكانوا كمن حضرها وكان معهم ثلاثة افراس بعزجة فرس المقداد واليعسوب فرس الزبير وفرس لمرثد الغنوي لم يكن لهم يومئذ خيل غير هذه وكان معهم سبعون بعيرا وكان المشركون الفا ويقال تسعمائة وخمسين رجلا معهم مائة فرس وسبعمائة بعير وكان قتالهم يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من رمضان وقيل يوم الاثنين وقيل غير ذلك وكانت من غير قصد من المسلمين اليها ولا ميعاد كما قال تعالى ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا وانما قصد صلى الله عليه وسلم والمسلمون التعرض لعير قريش وذلك ان ابا سفيان كان بالشام في ثلاثين راكبا منهم عمرو بن العاص فاقبلوا في قافلة عظيمة فيها اموال قريش حتى اذا كانوا قريبا من بدر فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فندب اصحابه اليهم واخبرهم بكثرة المال وقلة العدو وقال هذه عير لقريش فيها اموال فاخرجوا اليها لعل الله ان ينفلكموها فلما سمع ابو سفيان بمسيره عليه الصلاة والسلام استأجر ضمضم بن عمرو الغفاري بان يأتي قريشا بمكة فيستنفرهم ويخبرهم ان محمدا قد تعرض لعيرهم في اصحابه فنهضوا في قريب من الف مقنع ولم يتخلف احد من اشراف قريش الا ابو لهب وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في اصحابه حتى بلغ الروحاء فاتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عن عيرهم فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم الناس في طلب العير وحرب النفير وقال ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريش فكانت العير احب اليهم فقام ابو بكر فقال فاحسن ثم قام عمر فقال فاحسن ثم قام المقداد بن عمرو فقال يا رسول الله امض الى ما امرك الله فنحن معك والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا برك الغماد يعني مدينة الحبشة لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه فقال له صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له بخير ثم قال عليه الصلاة والسلام ايها الناس وانما يريد الانصار لانهم حين بايعوه بالعقبة قالوا

رسول الله

يا رسول الله انا برآء من ذمامك حتى تصل الى دارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه انفسنا وابناءنا ونساءنا فكان صلى الله عليه وسلم يتخوف ان لا تكون الانصار ترى عليها نصرته الا ممن دهمه بالمدينة من عدوه وان ليس عليهم ان يسير بهم الى عدو من بلادهم فلما قال ذلك عليه الصلاة والسلام قال له سعد بن معاذ والله لكأنك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله تعالى فسر عليه الصلاة والسلام بقول سعد ونشطه ذلك ثم قال سيروا على بركة الله تعالى وابشروا فان الله قد وعدني احدى الطائفتين والله لكأني الآن انظر الى مصارع القوم قال ثابت عن انس قال عليه الصلاة والسلام غدا مصرع فلان ويضع يده على الارض ههنا وههنا قال فما ماط احدهم اي ما تنحى عن موضع يده عليه الصلاة والسلام تنبيه قال ابن سيد الناس في عيون الاثر روينا من طريق مسلم ان الذي قال ذلك سعد بن عبادة سيد الخزرج وانما يعرف ذلك من سعد بن معاذ لذلك ثم رواه ابن اسحق وغيره واختلف في شهود سعد بن عبادة بدرا ولم يذكره ابن عقبة ولا ابن اسحق في البدريين وذكره الواقدي والمدائني والكلبي منهم انتهى ثم ارتحل عليه الصلاة والسلام قريبا من بدر ونزلت قريش بالعدوة القصوى من الوادي ونزل المسلمون على كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام وحوافر الدواب وسبقهم المشركون الى ماء بدر فاحرزوه وحفروا القليب لانفسهم واصبح المسلمون بعضهم محدث وبعضهم جنب واصابهم الظمأ وهم لا يصلون الى الماء ووسوس الشيطان لبعضهم وقال تزعمون انكم على الحق وفيكم نبي الله وانكم اولياء الله وقد غلبكم المشركون على الماء وانتم عطاش وتصلون محدثين مجنبين وما ينتظر اعداؤكم الا ان يقطع العطش رقابكم ويذهب قواكم فيتحكموا فيكم كيف شاؤوا فارسل الله عليهم مطرا سال منه الوادي فشرب المسلمون واغتسلوا وتوضؤوا وسقوا الركاب وملؤوا الاسقية واطفأ الغبار ولبد الارض حتى ثبتت عليها الاقدام وزالت عنهم وسوسة الشيطان وطابت انفسهم فذلك قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به من الاحداث والجنابة ويذهب عنكم رجز الشيطان اي وسوسته وليربط على قلوبكم بالصبر ويثبت به الاقدام حتى لا تسوخ في الرمل بتلبيد الارض وبني لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريش فكان فيه ثم خرج عتبة بن ربيعة بين اخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة ودعا الى المبارزة فخرج اليه فتية من الانصار وهم عوف ومعاذ ابنا الحارث وامهما عفراء وعبد الله بن رواحة فقالوا من انتم قالوا رهط من الانصار قالوا ما لنا بكم من حاجة ثم نادى مناديهم يا محمد اخرج الينا اكفاءنا من قريش فقال صلى الله عليه وسلم قم يا عبيدة بن الحرث قم يا حمزة قم يا علي فلما قاموا ودنوا منهم قالوا من انتم فتسموا لهم فقالوا انتم اكفاء كرام فبارز عبيدة وكان اسن القوم عتبة بن ربيعة وبارز حمزة شيبة بن ربيعة وبارز علي الوليد بن عتبة فقتل علي الوليد هكذا ذكره ابن اسحق وعند موسى بن عقبة كما نقله في فتح الباري بارز حمزة

لعتبة وعبيدة لشيبة وعلي للوليد ثم اتفقا فضل علي الوليد وقتل حمزة الذي بارزه واختلف
عبيدة ومن بارزه بضربتين فوقعت الضربة في ركبة عبيدة ومال حمزة وعلي على الذي بارزه
عبيدة فاعاناه على قتله وعند الحاكم من طريق عبد خير عن علي مثل قول موسى بن عقبة
وعند ابي الاسود عن عروة مثله واورد ابن سعد من طريق عبيدة السلماني ان شيبة
لحمزة وعبيد لعتبة وعليا للوليد ثم قال الثبت ان عتبة لحمزة وشيبة لعبيدة واخرج ابو داود
عن علي قال تقدم عتبه وتبعه ابنه واخوه فنادى من يبارز فانتدب له شبان من الانصار
فقال من انتم فاخبروه فقال لا حاجة لنا فيكم انما اردنا بني عمنا فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم قم يا حمزة قم يا علي قم يا عبيدة فاقبل حمزة الى عتبة واقبلت الى شيبة واختلف بين
عبيدة والوليد ضربتان فاثخن كل واحد منهما صاحبه ثم ملنا على الوليد فقتلناه واحتملنا عبيدة
قال الحافظ ابن حجر وهذا أصح الروايات لكن الذي في السير من ان الذي بارزه علي هو المشهور
وهو اللائق بالمقام لان عبيدة وشيبة كانا شيخين كعتبة وحمزة بخلاف علي والوليد فكانا شابين
وقد روى الطبراني باسناد حسن عن علي قال اعنت انا وحمزة عبيدة بن الحرث على الوليد
ابن عتبة فلم يعب النبي صلى الله عليه وسلم علينا ذلك وهذا موافق لرواية ابي داود والله
تعالى اعلم انتهى قال ابن اسحق ثم تزاحف الناس ودنا بعضهم من بعض ورسول الله صلى الله
عليه وسلم في العريش ومعه ابو بكر ليس معه فيه غيره وهو عليه الصلاة والسلام يناشد ربه
ما وعده من النصر ويقول اللهم ان تهلك هذه العصابة من اهل الايمان اليوم فلا تعبد في الارض
ابدا وابو بكر يقول يا رسول الله خل بعض مناشدتك ربك فان الله منجز لك ما وعدك وعند سعيد
ابن منصور من طريق عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال لما كان يوم بدر نظر صلى الله عليه وسلم
الى المشركين وتكاثرهم والى المسلمين فاستقلهم فركع ركعتين وقام ابو بكر عن يمينه فقال
عليه الصلاة والسلام وهو في صلاته اللهم لا تخذلني اللهم انشدك ما وعدتني **وروى** النسائي
والحاكم عن علي قال قاتلت يوم بدر شيئا من قتال ثم جئت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول في سجوده يا حي يا قيوم فرجعت فقاتلت ثم جئت فوجدته كذلك وفي الصحيح ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما كان يوم بدر في العريش مع الصديق أخذت رسول الله صلى الله عليه وسلم
سنة من النوم ثم استيقظ متبسما فقال أبشر يا ابا بكر هذا جبريل على ثناياه النقع ثم خرج
من باب العريش وهو يتلو سيهزم الجمع ويولون الدبر **فان قلت** كيف جعل ابو بكر يأمره
عليه الصلاة والسلام بالكف عن الاجتهاد في الدعا ويقوي رجاوه ويثبته ومقام الرسول
صلى الله عليه وسلم هو المقام الاحمد ويقينه فوق يقين كل احد **اجاب** السهيلي نقلا
عن شيخه بان الصديق في تلك الساعة كان في مقام الرجا والنبي صلى الله عليه وسلم
كان في مقام الخوف لان لله تعالى ان يفعل ما يشا فخاف ان لا يعبد الله في ارضه فخوفه ذلك
عبادة انتهى **وقال** الخطابي لا يتوهم احد ان ابا بكر كان اوثق بربه من النبي صلى الله
عليه وسلم في تلك الحالة بل الحامل للنبي صلى الله عليه وسلم على ذلك شفقته على اصحابه
وتقوية قلوبهم فبالغ في التوجه والدعا والابتهال لتسكن نفوسهم عنده ذلك لانهم كانوا يعلمون
ان وسيلته مستجابة فلما قال له ابو بكر ما قال كف عن ذلك وعلم انه استجيب له لما وجد

ابو بكر في نفسه من القوة والطمانينة ولهذا اعقبه بقوله سيهزم الجمع فكان النبي صلى الله عليه
وسلم في تلك الحالة في مقام الخوف وهو اكمل حالات الصلاة وجاز عنده ان لا يقع النصر يومئذ
لان وعده بالنصر لم يكن معينا لتلك الواقعة وانما كان مجملا وهذا هو الذي يظهر وانما قال
عليه الصلاة والسلام اللهم ان تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام فلا تعبد بعد اليوم
لانه علم انه خاتم النبيين فلو هلك هو ومن معه حينئذ لا يبعث احد ممن يدعوا الى الايمان
واما شدة اجتهاده عليه الصلاة والسلام ونصبه في الدعا فانه راى الملائكة تنصب
في القتال وجبريل على ثناياه الغبار وانصار الله يخوضون غمرات الموت والجهاد على ضربين
جهاد بالسيف وجهاد بالدعا ومن سنة الامام ان يكون ورا الجند لا يقاتل معه فكان الكل في جد
واجتهاد ولم يكن ليريح نفسه من احد الجدين والجهادين وانصار الله وملائكته مجتهدون
ولا ليوثر الدعة وحزب الله مع اعدايه يجتلدون انتهى وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال عمر
ابن الخطاب لما كان يوم بدر نظر صلى الله عليه وسلم الى المشركين وهم الف واصحابه ثلاثماية
وبضع عشرة رجلا دخل العريش واستقبل القبلة ومد يده وجعل يهتف بربه اللهم انجز لي
ما وعدتني فما زال يهتف بربه مادا يديه حتى سقط رداوه عن منكبيه فاخذ ابو بكر رداه فالقاه
على منكبيه ثم التزمه من وراه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك
فانزل الله تعالى اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم مرسل اليكم ممدا لكم بالف من الملائكة
مردفين متتابعين بعضهم في اثر بعض وعلى قراة فتح الدال معناه اردف الله المسلمين وجاءهم بهم
مددا وفي الاية الاخرى بثلاثة الاف من الملائكة منزلين فقيل في معناه ان الالف اردفهم
بثلاثة الاف فكان الاكثر مددا للاقل وكان الالف مردفين لمن وراهم والالف هم الذين قاتلوا
مع المومنين وهم الذين قال لهم فثبتوا الذين آمنوا وكانوا في صور الرجال ويقولون للمومنين
اثبتوا فان عدوكم قليل وان الله معكم **وقال** الربيع بن انس امد الله المسلمين بالف
ثم صاروا ثلاثة الاف ثم صاروا خمسة الاف وقال سعيد بن ابي عروبة عن قتادة
امد الله المومنين يوم بدر بخمسة الاف وعن عامر الشعبي ان المسلمين بلغهم يوم بدر
٢ ان كرز بن جابر يمد المشركين فشق عليهم فانزل الله الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة الاف
من الملائكة منزلين الى قوله مسومين قال فبلغت كرز الهزيمة فلم يمد المشركين ولم
يمد المسلمون بالخمسة الاف وعن ابن عباس جاء ابليس يوم بدر في جند من الشيطان
معه رايته في صورة سراقة بن مالك بن جعشم فقال الشيطان للمشركين لا غالب لكم اليوم
من الناس واني جار لكم فلما اقبل جبريل والملائكة كانت يده في يد رجل من المشركين فانتزع
يده ثم نكص على عقبيه فقال الرجل يا سراقة اتزعم انك لنا جار فقال اني ارى ما لا ترون
اني اخاف الله والله شديد العقاب وروي ان جبريل نزل في خمسماية وميكايل في خمسماية
في صور الرجال على خيل بلق عليهم ثياب بيض وعلى روسهم عمايم بيض قد ارخوا اطرافها
بين اكتافهم وقال ابن عباس كانت سيما الملائكة يوم بدر عمايم بيض ويوم حنين عمايم خضر
وعن علي كان سيما الملائكة يوم بدر الصوف الابيض وكان سيماهم ايضا في نواصي خيلهم رواه
ابن ابي حاتم وروى ابن مردويه عن ابن عباس يرفعه قوله تعالى مسومين قال معلمين

وكانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم سود ويوم حنين عمائم حمر وروى ابن ابي حاتم عن الزبير
ان الملائكة نزلت وعليهم عمائم صوف صفر ولم تقاتل الملائكة سوى يوم بدر من الايام وكانوا
يكونون فيما سواه عددا ومددا وبذلك صرح العماد بن كثير في تفسيره فقال المعروف من قتال
الملائكة انما كان يوم بدر ثم روى عن ابن عباس قال لم تقاتل الملائكة الا يوم بدر وقال
ابن مرزوق ولم تكن تقاتل في غير بدر على المختار من الاقوال عند بعضهم ٥
في نهاية البيان في تفسير القرآن عند تفسير قوله تعالى ويوم حنين وهل قاتلت الملائكة يومئذ
ام لا فيه قولان احدهما وهو قول الجمهور انها لم تقاتل انتهى وهذا يرده حديث مسلم في صحيحه
عن سعد بن ابي وقاص انه رأى عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله
يوم احد رجلين عليهما ثياب بيض ما رأيتهما قبل ولا بعد يعني جبريل وميكائيل عليهما السلام
يقاتلان كأشد القتال قال النووي فيه بيان اكرامه صلى الله عليه وسلم بانزال الملائكة
تقاتل معه وبيان ان قتالهم لم يختص بيوم بدر قال وهذا هو الصواب خلافا لمن زعم اختصاصه
فهذا صريح في الرد عليه قال وفيه ان رؤية الملائكة لا تختص بالانبياء بل يراهم الصحابة
والاولياء انتهى قال ابن الانباري وكانت الملائكة لا تعلم كيف تقتل الآدميون فعلمهم الله بقوله
فاضربوا فوق الاعناق اي الرؤوس واضربوا منهم كل بنان قال عطية كل مفصل قال السهيلي
جاء في التفسير انه ما وقعت ضربة يوم بدر الا في رأس او مفصل وكانوا يعرفون قتلى الملائكة
من قتلاهم بآثار سود في الاعناق والبنان وعن ابن عباس قال حدثني رجل من بني غفار قال
اقبلت انا وابن عم لي حتى صعدنا في جبل يشرف على بدر ونحن مشركان ننظر الوقعة على من تكون
الدبرة فننتهب مع من ينتهب فبينا نحن في الجبل اذ دنت منا سحابة فيها حمحمة الخيل فسمعت
قائلا يقول اقدم حيزوم فاما ابن عمي فانكشف قناع قلبه فمات مكانه واما انا فكدت اهلك
ثم تماسكت رواه البيهقي وابو نعيم والدبرة بسكون الموحدة الهزيمة في القتال وحيزوم اسم
اسم فرس جبريل قاله في القاموس وروى ابو امامة عن سهل بن حنيف عن ابيه قال لقد
رأيتنا يوم بدر وان احدنا ليشير بسيفه الى المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل ان يصل اليه السيف
رواه الحاكم وصححه والبيهقي وابو نعيم قال الشيخ تقي الدين السبكي سئلت عن الحكمة في قتال
الملائكة مع النبي صلى الله عليه وسلم مع ان جبريل قادر على ان يدفع الكفار بريشة من جناحه
فقلت ذلك لارادة ان يكون الفعل للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وتكون الملائكة مددا على
عادة مدد الجيوش رعاية لصورة الاسباب التي اجراها الله تعالى في عباده والله فاعل الجميع
انتهى ولما التحم القتال تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم كفا من الحصباء فرمى به في وجوههم
وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا دخل في عينيه ومنخريه منها شيء فانهزموا وقتل الله
من قتل من صناديد قريش واسر من اسر من اشرافهم وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم
في قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى قال هذا يوم بدر اخذ صلى الله عليه وسلم
ثلاث حصيات فرمى بحصاة في ميمنة القوم وبحصاة في ميسرة القوم وبحصاة بين اظهرهم
وقال شاهت الوجوه فانهزموا وقد روي عن غير واحد ان هذه الآية نزلت في رميه عليه
الصلاة والسلام يوم بدر وان كان قد فعل ذلك يوم حنين ايضا كما سيأتي ان شاء الله تعالى

وقد اعتقد جماعة ان المراد بالآية سلب فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه واضافته
الى الرب تعالى وجعلوا ذلك اصلا في الجبر وابطال نسبة الافعال الى العباد وتحقيق نسبتها الى
الرب وحده وهذا اغلاط منهم في فهم القرآن فلو صح ذلك لوجب طرده فيقال ما صليت اذ صليت
ولا صمت اذ صمت ولا فعلت كل ذلك اذ فعلت ولكن الله فعل ذلك فان طردوا ذلك لزمهم
في افعال العباد طاعاتهم ومعاصيهم اذ لا فرق وان خصوه بالرسول وحده وافعاله جميعها
او رميته وحدها ناقضوا فهؤلاء لم يوفقوا لفهم ما اريد بالآية ومعلوم ان تلك الرمية من البشر
لا تبلغ هذا المبلغ فكان منه صلى الله عليه وسلم مبدأ الرمي وهو الحذف ومن الرب تعالى
نهايته وهو الايصال واضاف اليه رمي الحذف الذي هو مبدؤه ونفى عنه رمي الايصال الذي هو
نهايته ونظير هذا في الآية نفسها قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ثم قال وما رميت
اذ رميت ولكن الله رمى فاخبر انه تعالى هو الذي تفرد بايصال الحصباء الى اعينهم ولم يكن برسوله
ولكن وجه الاشارة بالآية انه سبحانه اقام اسبابا تظهر للناس فكان ما حصل من الهزيمة ٢
والقتل والهزيمة والنصرة مضافا اليه وبه وهو خير الناصرين قال ابن اسحق وقاتل عكاشة
ابن محصن الاسدي يوم بدر بسيفه حتى انقطع في يده فاتى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاعطاه جذلا من حطب فقال له قاتل به فهزه فعاد في يده سيفا طويل القامة
شديد المتن ابيض الحديدة فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين وكان ذلك السيف يسمى
العون ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل
وهو عنده وجاءه عليه الصلاة والسلام يومئذ فيما ذكره القاضي عياض عن ابن وهب
معاذ بن عمرو يحمل يده ضربه عكرمة عليها فتعلقت بجلدة فبصق عليه الصلاة والسلام
عليها فلصقت قال ابن اسحق ثم عاش بعد ذلك حتى كان زمن عثمان وعن عروة بن الزبير
عن عائشة امر صلى الله عليه وسلم بالقتلى ان يطرحوا في القليب فطرحوا فيه الا ما كان
من امية بن خلف فانه انتفخ في درعه فملأها فالقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة وانما
القوا في القليب ولم يدفنوا لانه عليه الصلاة والسلام كره ان يشق على اصحابه لكثرة جيف
الكفار ان يأمرهم بدفنهم فكان جرهم الى القليب ايسر عليهم وفي الطبراني عن انس بن مالك
قال انبأنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا عن اهل بدر يقول هذا مصرع فلان غدا
ان شاء الله تعالى فقال عمر والذي بعثه بالحق ما اخطأوا الحدود التي حدها صلى الله عليه وسلم حتى
انتهى اليهم فقال يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعدكم الله
ورسوله حقا فاني وجدت ما وعدني ربي حقا وفي رواية فنادى يا عتبة بن ربيعة ويا شيبة
ابن ربيعة ويا امية بن خلف ويا ابا جهل بن هشام وفي بعضه نظر لان امية بن خلف لم يكن ٥
في القليب لانه كان كما تقدم ضخما وانتفخ فالقوا عليه من التراب والحجارة ما غيبه لكن يجمع بينهما
بانه كان قريبا من القليب فنودي فيمن نودي لانه كان من جملة رؤسائهم وقال ابن اسحق
حدثني بعض اهل العلم انه عليه الصلاة والسلام قال يا اهل القليب بئس العشيرة كنتم
كذبتموني وصدقني الناس فقال عمر بن الخطاب يا رسول الله كيف تكلم اجسادا لا ارواح فيها
فقال ما انتم باسمع لما اقول منهم غير انهم لا يستطيعون ان يردوا شيئا وتأولت عائشة

ذلك قالت انما اراد النبي صلى الله عليه وسلم انهم الآن ليعلمون ان الذي اقول لهم الحق ثم قرأت
انك لا تسمع الموتى الآية فهو ظاهر يدل على انها كانت تنكره كذا مطلقا لقولها انهم ليعلمون وقال
قتادة احياهم الله توبيخا وتصغيرا ونقمة وحسرة وفيه رد على من انكر انهم يسمعون كما روي
عن عايشة رضي الله عنها ومن الغريب ان في المغازي لابن اسحق رواية يونس بن بكير باسناد
جيد عن عايشة حديثا وفيه ما انتم باسمع لما اقول منهم واخرجه الامام احمد باسناد حسن
فان كان محفوظا فكانها رجعت عن الانكار لما ثبت عندها في رواية هولاء الصحابة لكونها لم تشهد
القصة وقال الاسمعيلي كان عند عايشة من الفهم والذكاء وكثرة الرواية والغوص على
غوامض العلم ما لا مزيد عليه لكن لا سبيل الى رد رواية الثقة الا بنص مثله يدل على نسخه
او تخصيصه او استحالته فكيف والجمع بين الذي انكرته واثبته غيرها ممكن لان قوله
تعالى انك لا تسمع الموتى لا ينافي قوله عليه الصلاة والسلام انهم الآن يسمعون لان الاسماع
هو ابلاغ الصوت من المسمع في اذن السامع فالله تعالى هو الذي اسمعهم بان ابلغهم صوت
النبي صلى الله عليه وسلم بذلك **واما جوابها** بانه انما قال انهم ليعلمون فان كانت سمعت
ذلك فلا ينافي رواية يسمعون بل يؤيدها وقال السهيلي ما محصله ان في نفس الخبر ما يدل
على خرق العادة بذلك لنبيه صلى الله عليه وسلم لقول الصحابة له اتخاطب اقواما قد جيفوا
فاجابهم بما اجابهم **قال** واذا جاز ان يكونوا في تلك الحالة عالمين جاز ان يكونوا سامعين وذلك
اما باذان رؤسهم اذا قلنا ان الروح تعاد الى الجسد او الى بعضه عند المسئلة وهو قول
اكثر اهل السنة واما باذان القلب او الروح على مذهب من يقول بتوجه السؤال الى الروح
من غير رجوع الى الجسد او الى بعضه **قال** وقد روي عن عايشة انها احتجت بقوله
تعالى وما انت بمسمع من في القبور ان انت الا نذير هذه الآية كقوله تعالى افانت تسمع الصم
او تهدي العمي ان الله هو الذي يهدي ويوفق ويوصل الموعظة الى اذان القلوب لا انت
وجعل الكفار امواتا وصما على وجه التشبيه بالاموات وبالصم فالله هو الذي يسمعهم على الحقيقة
اذا شاء لا نبيه ولا احد فاذا لا تعلق بالآية من وجهين احدهما انها انما نزلت في دعاء الكفار
الى الايمان الثاني انه انما نفى عن نبيه ان يكون هو المسمع لهم وصدق الله فانه لا يسمعهم
اذا شاء الا هو على كل شيء قدير انتهى ولقد احسن ابن جابر حيث قال

٭ بدا يوم بدر وهو كالبدر حوله ٭ كواكب في افق المواكب تنجلي ٭
٭ وجبريل في جند الملايك دونه ٭ فلم تغن اعداد العدو والمجفل ٭
٭ رمى بالحصى في اوجه القوم رمية ٭ فشردهم مثل النعام المجفل ٭
٭ وجاد لهم بالمشرفي فسلموا ٭ فجاد له بالنفس كل مجدل ٭
٭ عبيدة سل عنهم وحمزة واستمع ٭ حديثهم في ذلك اليوم من علي ٭
٭ هموا عتبوا بالسيف عتبة اذ غدا ٭ فذاق الوليد الموت ليس له ولي ٭
٭ وشيبة لما شاب خوفا تبادرت ٭ اليه العوالي بالخضاب المعجل ٭
٭ وجاء ابو جهل فحقق جهله ٭ غداة تردى بالردى عن تذلل ٭
٭ فامسى قليبا في القليب وقومه ٭ يؤمونه فيها الى شر منهل ٭

٭ وجاءهم خير الانام موبخا ٭ ففتح من اسماعهم كل مقفل ٭
٭ واخبر ما انتم باسمع منهموا ٭ ولكنهم لا يهتدون لمقول ٭
٭ سلاهم يوم السلا اذ تضاحكوا ٭ فعاد بكاء عاجلا لم يؤجل ٭
٭ الم يعلموا علم اليقين بصدقه ٭ ولكنهم لا يرجعون لمعقل ٭
٭ فيا خير خلق الله جاهك ملجاي ٭ وحبك ذخري في الحساب وموئلي ٭
٭ عليك صلاة يشمل الآل عرفها ٭ واصحابك الاخيار اهل التفضل ٭

وحكى العلامة ابن مرزوق ان ابن عمر مر مرة ببدر فاذا رجل يعذب ويأن فلما اجتاز به
ناداه يا عبد الله قال ابن عمر رضي الله عنهما فلا ادري اعرف اسمي او كما يقول الرجل لمن يجهل
اسمه يا عبد الله فالتفت اليه فقال اسقني فاردت ان افعل فقال الاسود الموكل بتعذيبه
لا تفعل يا عبد الله فان هذا من المشركين الذين قتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر
رواه الطبراني في الاوسط **قال** ومن ابات بدر الثانية ما كنت اسمعه من غير واحد من الحجاج
انهم اذا اجتازوا بذلك الموضع يسمعون كهيئة طبل ملوك الوقت ويرون ان ذلك لنصر اهل
الايمان قال وربما انكرت ذلك وربما تاولته بان الموضع لعله صلب فتستجيب فيه حوافر الدواب
فكان يقال لي انه رمل غير صلب وغالب ما يسير هناك الابل واخفافها لا تصوت في الارض
الصلبة فكيف بالرمال **قال** ثم لما من الله علي بالوصول الى ذلك المحل المشرف نزلت
عن الراحلة امشي وبيدي عود طويل من شجر السعدان المسمى بام غيلان وقد نسيت
ذلك الخبر الذي كنت اسمع فما راعني وانا اسير في الهاجرة الا وواحد من عبيد الاعراب الجمالين
يقول اتسمعون الطبل فاخذتني لما سمعت كلامه قشعريرة بينة وتذكرت ما كنت اخبرت
به وكان في الجو بعض ريح فسمعت صوت الطبل فانا ادهشت لما اصابني من الفرح او الهيبة
او ما الله اعلم به فتشككت وقلت لعل الريح سكنت في هذا العود الذي في يدي وحدث مثل
هذا الصوت وانا حريص على طلب التحقيق لهذه الآية العظيمة فالقيت العود من يدي
وجلست الى الارض او ثبت قايما او فعلت جميع ذلك فسمعت صوت الطبل سماعا محققا او صوته
لا اشك فيه انه صوت طبل وذلك من ناحية اليمين ونحن سايرون الى مكة المشرفة ثم نزلنا ببدر
فظللت اسمع ذلك الصوت يومي اجمع المرة بعد المرة **قال** ولقد اخبرت ان ذلك الصوت لا يسمعه
جميع الناس انتهى **وروى** الطبراني من حديث ابي اليسر انه اسر العباس وقيل للعباس فكان جسيما
كيف اسرك ابو اليسر وهو دميم ولو شئت لجعلته في كفك فقال ما هو الا ان لقيته فظهر في عيني
كالخندمة وهي بالخاء المعجمة جبل من جبال مكة قاله في القاموس **ولما** ولي عمر بن الخطاب
وثاق الاسرى شد وثاق العباس فسمعه النبي صلى الله عليه وسلم وهو يئن فلم ياخذه النوم
فبلغ الانصار فاطلقوا العباس فكان الانصار فهموا رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بفك
وثاقه وسألوا ان يتركوا له الفدا اطلبا لتمام رضاه فلم يجبهم وفي حديث انس عند الامام احمد
استشار عليه الصلاة والسلام الناس في الاسارى يوم بدر فقال ان الله قد امكنكم منهم
فقام عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله اضرب اعناقهم فاعرض عنه عليه الصلاة والسلام
ثم عاد صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس ان الله قد امكنكم منهم فقال عمر يا رسول الله

الطبل الذي ببدر لنصر اهل الايمان

اضرب اعناقهم فاعرض عنه عليه الصلاة والسلام فعل ذلك ثلاثا فقام ابو بكر الصديق فقال
يا رسول الله ان تعفو عنهم وان تقبل منهم الفدا فذهب من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما كان فيه من الغم فعفى وقبل منهم الفدا قال وانزل الله تعالى لولا كتاب من الله سبق
لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا الاية ويأتي الكلام عليها في النوع العاشر
في ازالة الشبهات عن الآثار المشكلات من المقصد السادس ان شا الله تعالى **واخرج**
ابن اسحق من حديث ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قال يا عباس افد نفسك وابني
اخيك عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحارث وحليفك عتبة بن عمرو قال اني كنت مسلما ولكن
القوم استكرهوني قال الله اعلم بما تقول ان يك ما تقول حقا فان الله يجزيك ولكن ظاهر امرك
انك كنت علينا وذكر موسى بن عقبة ان فداهم كان اربعين اوقية ذهبا وعند ابي نعيم في الدلائل
باسناد حسن من حديث ابن عباس انه جعل على الناس مائة اوقية وعلى عقيل ثمانين فقال له
العباس اللقرابة صنعت هذا فانزل الله تعالى يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسارى
الاية فقال العباس وددت لو كنت اخذ مني اضعافها لقوله يؤتكم خيرا مما اخذ منكم وكان
قد استشهد من المسلمين يوم بدر اربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار
ستة من الخزرج واثنان من الاوس **تنبيه** لا يقدح في وعد الله ان استشهد من الصحابة
وانما هذا الوعد لقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الى قوله حتى يعطوا الجزية عن يد
وهم صاغرون فقد نجز الموعود وغلبوا كما وعدوا وكان وعد الله مفعولا ونصره للمؤمنين
ناجزا والحمد لله **وقتل** من المشركين سبعون واسر سبعون وكان افضلهم العباس
ابن عبد المطلب وعقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحرث بن عبد المطلب وكل اسلم وكان
العباس فيما قاله اهل العلم في التاريخ قد اسلم قديما وكان يكتم اسلامه وخرج مع المشركين
يوم بدر فقال النبي صلى الله عليه وسلم من لقي العباس فلا يقتله فانه خرج مستكرها ففادى
نفسه ورجع الى مكة وقيل انه اسلم يوم بدر فاستقبل النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح
بالابوا وكان معه حين فتح مكة وبه ختمت الهجرة وقيل اسلم قبل فتح خيبر وقيل كان
يكتم اسلامه واظهره يوم فتح مكة وكان اسلامه قبل بدر وكان يكتب باخبار المشركين
الى النبي صلى الله عليه وسلم وكان يحب القدوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب
اليه عليه السلام ان مقامك بمكة خير لك **وقيل** ان سبب اسلامه انه خرج لبدر
بعشرين اوقية من الذهب ليطعم بها المشركين فاخذت منه في الحرب فكلم النبي صلى الله
عليه وسلم ان يحسب العشرين اوقية من فدايه فابى وقال اما شي خرجت تستعين به علينا
فلا نتركه لك فقال العباس تركتني اتكفف قريشا فقال له عليه السلام فاين الذهب الذي
دفعته الى ام الفضل وقت خروجك من مكة فقال العباس وما يدريك فقال اخبرني ربي
فقال اشهد انك صادق فان هذا لم يطلع عليه الا الله وانا اشهد ان لا اله الا الله وانك عبده
ورسوله **ولما** فرغ صلى الله عليه وسلم من بدر في آخر رمضان واول يوم من شوال
بعث زيد بن حارثة بشيرا فوصل المدينة ضحى وقد نفضوا ايديهم من تراب رقية بنت
النبي صلى الله عليه وسلم وهذا هو الصحيح في وفاة رقية وقد روي انه عليه السلام

شهد

شهد دفن بنته فقعد على قبرها ودمعت عيناه وقال ايكم لم يقارف الليلة فقال ابو طلحة انا
فامره ان ينزل قبرها فانكر البخاري هذه الرواية وخرج الحديث في الصحيح فقال فيه عن انس
شهدنا دفن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الحديث ولم يسم رقية ولا غيرها
وذكر الطبراني انها ام كلثوم فحصل في حديث الطبراني البنتين ومن قال كانت رقية فقد وهم
وكان عثمن رضي الله عنه قد تخلف لاجل رقية زوجته فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم
بسهمه واجره وامر صلى الله عليه وسلم عند انصرافه عاصم بن ثابت وهو جد عاصم بن عمر
ابن الخطاب بقتل عقبة بن ابي معيط فقتله صبرا ثم اقبل عليه الصلاة والسلام قافلا
الى المدينة ومعه الاسارى من المشركين واحتمل النفل الذي اصيب منه وجعل عليه
عبد الله بن كعب من بني مازن فلما خرج من مضيق الصفرا قسم النفل بين المسلمين على السوا
وامر عليا بالصفرا فقتل النضر بن الحرث ثم مضى صلى الله عليه وسلم حتى قدم المدينة
قبل الاسارى بيوم فلما قدموا فرقهم بين اصحابه وقال استوصوا بهم خيرا وقد استقر
الحكم في الاسارى عند الجمهور من العلما ان الامام مخير فيه ان شا قتل كما فعل صلى الله
عليه وسلم ببني قريظة وان شا فادى بمال كما فعل باسارى بدر وان شا استرق
من اسر هذا من مذهب الشافعي وطايفة من العلما وفي المسئلة خلاف آخر مقرر في كتب
الفقه والله اعلم **ولما** قدم ابو سفين بن الحارث من بدر الى مكة سأله ابو لهب عن خبر قريش
فقال ما هو الا ان لقينا القوم فمنحناهم اكتافنا يقتلوننا كيف شاوا ويأسرونا كيف شاوا
وايم الله مع ذلك ما لمت الناس لقينا رجالا بيضا على خيل بلق بين السما والارض والله
لا يقوم لها شي قال ابو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان غلاما للعباس
ابن عبد المطلب قال وكان الاسلام قد دخلنا فقلت له والله تلك الملائكة فرفع ابو لهب
يده فضرب وجهي ضربة فقامت ام الفضل الى عمود فضربت به في راس ابي لهب
وقالت استضعفته ان غاب عنه سيده قال فوالله ما عاش الا سبع ليال حتى رماه الله
بالعدسة وهي قرحة كانت العرب تتشاءم بها وقيل انها تعدي اشد العدوى فتباعد عنه بنوه
حتى قتله الله وبقي بعد موته ثلاثا لا تقرب جنازته ولا يحاول دفنه فلما خافوا السبة في تركه
حفروا له ثم دفعوه بعود في حفرته وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه وقال ابن عقبة
اقامت قريش النوح على قتلى قريش شهرا **سرية عمير بن عدي الخطمي** وكانت لخمس ليال
بقين من رمضان على راس تسعة عشر شهرا من الهجرة الى العصما بنت مروان زوج يزيد بن زيد
الخطمي وكانت تعيب الاسلام وتؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءها ليلا وكان اعمى
فدخل عليها بيتها وحولها نفر من ولدها نيام منهم من ترضعه فجسها بيده ونحى الصبي عنها
فوضع سيفه على صدرها حتى انفذه من ظهرها ثم صلى الصبح معه صلى الله عليه وسلم
بالمدينة واخبره بذلك فقال لا ينتطح فيها عنزان اي لا يعارض فيها معارض ولا يسال عنها
فانها هدر وكان اول هذا من الكلام المفرد الموجز البليغ الذي لم يسبق اليه عليه الصلاة والسلام
وسيأتي لذلك نظاير ان شا الله تعالى وفي اول شوال صلى صلاة الفطر وفي اول شوال ايضا
وقيل بعد بدر بسبعة ايام وقيل في نصف المحرم سنة ثلاث خرج عليه الصلاة والسلام

يريد بني سليم فبلغ ماء يقال له الكدر وتعرف بغزوة ذي قرد وهي ارض ملسا والكدر طير في الوانها كدرة عرف بها ذلك الموضع فاقام عليه صلى الله عليه وسلم ثلثا ولم يلق احدا وكانت غيبته عليه الصلاة والسلام خمس عشرة ليلة واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة وقيل ابن ام مكتوم وحمل اللوا علي بن ابي طالب وذكرها ابن سعد بعد غزوة السويق **ثم سرية سالم بن عمير الى ابي عفك اليهودي** وكان شيخا كبيرا قد بلغ عشرين ومائة سنة وكان يحرض على النبي صلى الله عليه وسلم ويقول فيه الشعر فاقبل اليه سالم ووضع سيفه على كبده ثم اعتمد عليه حتى خش في الفراش فصاح عدو الله ابو عفك فثار اليه ناس ممن هم على قوله فادخلوه منزله فقتل وكانت هذه السرية في شوال على راس عشرين شهرا من الهجرة **ثم غزوة بني قينقاع** بتثليث النون والضم اشهر بطن من يهود المدينة لهم شجاعة وصبر وكانت يوم السبت نصف شوال على راس عشرين شهرا من الهجرة وقد كانت الكفار بعد الهجرة مع النبي صلى الله عليه وسلم على ثلاثة اقسام قسم وادعهم عليه الصلاة والسلام على ان لا يحاربوه ولا يمالوا عليه عدوه وهم طوائف اليهود الثلاثة قريظة والنضير وقينقاع وقسم حاربوه ونصبوا له العداوة كقريش وقسم تاركوه وانتظروا ما يول اليه امره كطوايف من العرب فمنهم من كان يحب ظهوره في الباطن كخزاعة وبالعكس كبني بكر ومنهم من كان معه ظاهرا ومع عدوه باطنا وهم المنافقون وكان اول من نقض العهد من اليهود بنو قينقاع فحاربهم عليه الصلاة والسلام في شوال بعد وقعة بدر واغرب الحاكم فزعم ان اجلا بني قينقاع واجلا النضير كان في زمن واحد ولم يوافق على ذلك لان اجلا بني النضير كان بعد بدر لستة اشهر على قول عروة او بعد ذلك بمدة طويلة على قول ابن اسحق وكان من امر بني قينقاع ان امراة من العرب جلست الى صايغ يهودي فراودوها على كشف وجهها فابت فعمد الى طرف ثوبها فعقده الى ظهرها فلما قامت انكشفت سوءتها فضحكوا منها فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصايغ فقتله فشدت اليهود على المسلم فقتلوه فوقع الشر بين المسلمين وبين بني قينقاع فسار اليهم النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان استخلف ابا لبابة بن عبد المنذر فحاصرهم اشد الحصار خمسة عشر ليلة الى هلال ذي القعدة وكان اللوا بيد حمزة بن عبد المطلب وكان ابيض فقذف الله الرعب في قلوبهم ونزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان له اموالهم وان لهم النسا والذرية فامر صلى الله عليه وسلم المنذر بن قدامة بتكفيتهم وكلم عبد الله بن ابي بن سلول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم والح عليه من اجلهم فامر عليه الصلاة والسلام ان يجلوا وتركهم من القتل وامر بان يجلوا من المدينة فلحقوا باذرعات فما كان اقل بقاوهم فيها واخذ من حصنهم سلاحا والة كثيرة وكانت بنو قينقاع حلفا لعبد الله بن ابي وعبادة بن الصامت فتبرا عبادة من حلفهم فقال يا رسول الله ابرا الى الله والى رسوله من حلفهم واتولى الله ورسوله والمؤمنين وابرا من حلف الكفار وولايتهم ففيه وفي عبد الله انزل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اوليا بعضهم اوليا بعض الى قوله فان حزب الله هم الغالبون **ثم غزوة السويق** في ذي الحجة يوم الاحد لخمس خلون منها على راس اثنين وعشرين شهرا من الهجرة وقال ابن اسحق في صفر وسميت غزوة السويق لانه كان اكثر زاد المشركين وغنمه المسلمون

واستخلف

واستخلف ابا لبابة وكان سبب هذه الغزوة ان ابا سفيان حين رجع بالعير من بدر الى مكة نذر ان لا يمس النسا والدهن حتى يغزو محمدا عليه الصلاة والسلام فخرج في مايتي راكب من قريش ليبر يمينه حتى اتوا العريض ناحية من المدينة على ثلاثة اميال فحرقوا النخل وقتلوا رجلا من الانصار فراى ابو سفيان ان قد انحلت يمينه فانصرف بقومه راجعين وخرج عليه الصلاة والسلام في طلبهم في مايتين من المهاجرين والانصار وجعل ابو سفيان واصحابه يلقون جرب السويق وهي عامة ازوادهم يتخففون للهرب فياخذها المسلمون ولم يلحقهم عليه الصلاة والسلام فرجع الى المدينة وكانت غيبته خمسة ايام وفي ذي الحجة صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العيد وامر بالاضحية وفيه مات عثمان بن مظعون وفي شوال ولد عبد الله بن الزبير وفي هذه تزوج **علي بفاطمة** رضي الله عنهما قاله الحافظ مغلطاي وغيره وقال الطبري في كتابه ذخاير العقبى في مناقب ذوي القربى تزوجها في صفر في السنة الثانية وبنى بها في ذي الحجة على راس اثنين وعشرين شهرا من التاريخ وقال ابو عمر بعد وقعة احد وقال غيره بعد بنايه صلى الله عليه وسلم بعايشة باربعة اشهر ونصف وبنى بها بعد تزويجها بسبعة اشهر ونصف وتزوجها وهي ابنة خمس عشرة سنة وخمسة اشهر او ستة ونصف وسنه يومئذ احدى وعشرين سنة وخمسة اشهر ولم يتزوج عليها حتى ماتت وعن انس جا ابو بكر ثم عمر يخطبان فاطمة الى النبي صلى الله عليه وسلم فسكت ولم يرجع اليهما شيا فانطلقا الى علي يامرانه بطلب ذلك قال علي فنبهاني لامر فقمت اجر ردائي حتى اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت تزوجني فاطمة قال وعندك شي قلت فرسي وبدني قال اما فرسك فلا بد لك منها واما بدنك فبعها فبعتها باربع مائة وثمانين فجيته بها فوضعها في حجره فقبض منها قبضة فقال اي بلال ابتع لنا بها طيبا وامرهم ان يجهزوها فجعل لها سرير مشرط ووسادة من ادم حشوها ليف وقال لعلي اذا اتتك فلا تحدث شيا حتى اتيك فجات مع ام ايمن حتى قعدت في جانب البيت وانا في جانب وجا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ههنا اخي قالت ام ايمن اخوك وقد زوجته ابنتك قال نعم ودخل صلى الله عليه وسلم فقال لفاطمة ايتيني بما فقامت الى قعب في البيت فاتته فيه بما فاخذه ومج فيه ثم قال لها تقدمي فتقدمت فنضح بين ثدييها وعلى راسها وقال اللهم اني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ثم قال لها ادبري فادبرت فصب بين كتفيها ثم فعل مثل ذلك بعلي ثم قال له ادخل باهلك بسم الله والبركة اخرجه ابو حاتم واحمد في المناقب بنحوه **وفي** حديث انس عند ابي الخير القزويني الحاكمي خطبها علي بعد ان خطبها ابو بكر ثم عمر فقال عليه الصلاة والسلام قد امرني ربي بذلك قال انس ثم دعاني عليه الصلاة والسلام بعد ايام فقال لي يا انس ادع ابا بكر وعمر وعثمان وعبد الرحمن وعدة من الانصار فلما اجتمعوا واخذوا مجالسهم وكان علي غايبا قال صلى الله عليه وسلم الحمد لله المحمود بنعمته المعبود بقدرته المطاع بسلطانه المرهوب من عذابه وسطوته النافذ امره في سمايه وارضه الذي خلق الخلق بقدرته وميزهم باحكامه واعزهم بدينه واكرمهم بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك اسمه وتعالت عظمته جعل المصاهرة سببا لاحقا وامرا مفترضا اوشج به الارحام والزم الانام فقال عز من قايل وهو الذي خلق من الما بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا فامر الله

زواج علي بفاطمة رضي الله عنها

نكاح فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم بعلي رضي الله عنهما

فامر الله تعالى يجري الى قضائه وقضاؤه يجري الى قدره ولكل قضاء قدر ولكل قدر اجل
ولكل اجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب ثم ان الله عز وجل امرني ان ازوج
فاطمة من علي بن ابي طالب فاشهدوا اني قد زوجته على اربعمائة مثقال فضة ان رضي بذلك
علي ثم دعا صلى الله عليه وسلم بطبق من بسر ثم قال انتهبوا فانتهبنا ودخل علي فتبسم النبي
صلى الله عليه وسلم في وجهه ثم قال ان الله عز وجل امرني ان ازوجك فاطمة على اربعمائة
مثقال فضة ارضيت بذلك فقال قد رضيت بذلك يا رسول الله فقال عليه الصلاة والسلام
جمع الله شملكما واعز جدكما وبارك عليكما واخرج منكما كثيرا طيبا قال انس فوالله لقد اخرج الله
منهما الكثير الطيب والعقد لعلي وهو غايب محمول على انه كان له وكيل كان حاضرا وعلى انه لم يرد به العقد
بل اظهار ذلك ثم عقد معه لما حضر واعلى تخصيصه بذلك جمعا بينه وبين ما ورد مما يدل
على شرط القبول على الفور **واخرج** الدولابي عن اسما قالت لقد اولم علي على فاطمة فما كان
وليمة في ذلك الزمان افضل من وليمته رهن درعه عند يهودي بشطر شعير وكانت وليمته
آصعا من شعير وتمر وحيس والحيس التمر والاقط **واخرج** احمد في المناقب عن علي كان جهاز
فاطمة خميلة وقربة ووسادة من ادم حشوها ليف **ثم سرية محمد بن مسلمة**
وار بعة معه الى كعب بن الاشرف اليهودي لاربع عشرة ليلة مضت من ربيع
الاول على راس خمس وعشرين شهرا من الهجرة **روى** ابو داود والترمذي من طريق الزهري
عن عبد الرحمن بن عبد الله بن وهب بن مالك عن ابيه ان كعب بن الاشرف كان شاعرا يهجو
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحرض عليه كفار قريش وكان النبي صلى الله عليه وسلم قدم
المدينة واهلها اخلاط فاراد استصلاحهم وكان اليهود والمشركون يؤذون المسلمين اشد
الاذى فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصبر فلما ابى كعب بن الاشرف ان ينزع عن اذاه
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ ان يبعث رهطا ليقتلوه **وفي** رواية
قال عليه الصلاة والسلام من لنا بابن الاشرف وفي اخرى من لكعب بن الاشرف ابي من ينتدب
لقتله فقد استعلن بعداوتنا وهجانا وقد خرج الى قريش فجمعهم الى قتالنا وقد اخبرني الله بذلك
ثم قرأ على المسلمين الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون
للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين امنوا سبيلا اولئك الذين لعنهم الله **وفي** الاكليل فقد
اذانا بشعره وقوى المشركين **وفي** رواية ابن اسحق فقال محمد بن مسلمة اخو بني عبد الاشهل
انا لك به يا رسول الله انا اقتله قال افعل ان قدرت على ذلك قال يا رسول الله لا بد لنا ان نقول
قال فقولوا ما بدا لكم فانتم في حل من ذلك فاجتمع في قتله محمد بن مسلمة وابو نايلة بنون وبعد الالف
تحتانية سلكان بن سلامة وكان اخا كعب من الرضاعة وعباد بن بشر والحرث بن اوس وعباد
وابو عبس بن جبر وهؤلاء الخمسة من الاوس وفي رواية ابن سعد فلما قتلوه وبلغوا بقيع
الغرقد كبروا وقد قام عليه الصلاة والسلام في تلك الليلة يصلي فلما سمع تكبيرهم كبر وعرف
ان قد قتلوه ثم انتهوا اليه فقال افلحت الوجوه قالوا ووجهك يا رسول الله ورموا برأسه بين يديه
فحمد الله على قتله وفي كتاب شرف المصطفى ان الذين قتلوا كعبا حملوا رأسه في مخلاة الى المدينة
وقيل انه اول رأس حمل في الاسلام واصاب ذباب السيف الحرث بن اوس فجرح ونزف الدم فتفل

عليه

غزوة غطفان

عليه الصلاة والسلام على جرحه فلم يؤذه بعد **غزوة غطفان** وهي غزوة ذي امر
بفتح الهمزة والميم وسماها الحاكم غزوة انمار وهي بناحية نجد وكانت لثنتي عشرة مضت
من ربيع الاول على راس خمسة وعشرين شهرا من الهجرة **وسببها** ان جمعا من بني ثعلبة
ومحارب تجمعوا يريدون الاغارة جمعهم دعثور بن الحارث المحاربي وسماه الخطيب غورث
وغيره غورك وكان شجاعا فندب صلى الله عليه وسلم المسلمين وخرج في اربعمائة وخمسين فارسا
واستخلف على المدينة عثمن بن عفان فلما سمعوا بمهبطه صلى الله عليه وسلم عليهم هربوا
في رؤس الجبال فاصابوا رجلا منهم من بني ثعلبة فادخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فدعاه الى الاسلام فاسلم وضمه الى بلال واصاب النبي صلى الله عليه وسلم مطر فنزع ثوبيه
ونشرهما على شجرة ليجفا واضطجع تحتها وهم ينظرون فقالوا لدعثور قد انفرد محمد فعليك به
فاقبل ومعه سيف حتى قام على رأسه عليه الصلاة والسلام فقال من يمنعك مني اليوم
فقال صلى الله عليه وسلم الله فدفع جبريل في صدره فوقع السيف من يده فاخذه النبي
صلى الله عليه وسلم فقال من يمنعك مني قال لا احد وانا اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله
ثم اتى قومه فدعاهم الى الاسلام فانزل الله يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم
ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم الاية ويقال كان ذلك في ذات الرقاع ثم رجع صلى الله عليه
وسلم ولم يلق كيدا وكانت غيبته احدى عشرة ليلة **غزوة بحران** وتسمى
غزوة بني سليم من ناحية الفرع بفتح الفاء والراء كما قيده السهيلي وقال في القاموس
وبحران وتضم موضع بناحية الفرع كذا رأيته بخطه بضم الفاء لا غيره **وسببها** انه بلغه
عليه الصلاة والسلام ان بها جمعا كبيرا من بني سليم فخرج في ثلثمائة رجل من اصحابه
فوجدهم قد تفرقوا في مياههم فرجع ولم يلق كيدا وكان قد استعمل على المدينة ابن ام مكتوم
كما قاله ابن هشام وكانت غيبته عشر ليال **سرية زيد بن حارثة** الى القردة بالقاف
المفتوحة وسكون الراء وقيل بالفاء وكسر الراء كما ضبطه ابن الفرات اسم ماء من مياه نجد وسببها
كما قاله ابن اسحق ان قريشا خافوا من طريقهم التي يسلكون الى الشام حين كان من وقعة بدر
ما كان فسلكوا طريق العراق فخرج منهم تجار فيهم ابو سفين بن حرب ومعه فضة كثيرة وعند ابن
سعد بعثه صلى الله عليه وسلم لهلال جمادى الاخرة على راس ثمانية وعشرين شهرا من الهجرة
في مائة راكب يتعرض عيرا لقريش فيها صفوان بن امية وحويطب بن عبد العزى ومعهم مال
كثير وآنية فضة فاصابوها وقدموا بالعير على رسول الله صلى الله عليه وسلم فخمسها فبلغ
قيمة عشرين الف درهم وعند مغلطاي خمسة وعشرين الف درهم وذكرها ابن اسحق قبل
قتل ابن الاشرف **غزوة احد** وهو جبل مشهور بالمدينة على اقل من فرسخ منها
وسمي بذلك لتوحده وانقطاعه عن جبال اخر هناك ويقال له ذو عينين قال في القاموس
بكسر العين وفتحها مسمى جبل باحد انتهى وهو الذي قال فيه عليه الصلاة والسلام احد جبل
يحبنا ونحبه قيل وفيه قبر هرون اخي موسى عليهما السلام **وكانت** عند الوقعة المشهورة
في شوال سنة ثلاث بالاتفاق يوم السبت لاحدى عشرة ليلة خلت منه وقيل لسبع ليال
خلون منه وقيل في نصفه وعن مالك بعد بدر بسنة وعنه ايضا كانت على احدى وثلاثين شهرا

ثم غزوة بحران

سرية زيد بن حارثة

غزوة احد

من الهجرة **وكان سببها** كما ذكره ابن اسحق عن شيوخه وموسى بن عقبة عن ابن شهاب
وابي الاسود عن عروة وابن سعد قالوا او من قال منهم ما حاصله ان قريشا لما رجعوا من بدر
الى مكة وقد اصيب اصحاب القليب ورجع ابو سفيان بعيره قال عبد الله بن ابي ربيعة وعكرمة
ابن ابي جهل في جماعة ممن اصيب اباؤهم واخوانهم وابناؤهم يوم بدر يا معشر قريش ان محمدا
قد وتركم وقتل خياركم فاعينونا بهذا المال على حربه يعنون عير ابي سفيان ومن كانت له
في تلك العير تجارة لعلنا ان ندرك منه ثارا فاجابوا لذلك فباعوها وكانت الف بعير والمال
خمسين الف دينار وفيهم كما قال ابن اسحق وغيره انزل الله ان الذين كفروا ينفقون اموالهم
ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون واجتمعت قريش لحرب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب العباس بن عبد المطلب كتابا يخبر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بخبرهم وسار بهم ابو سفيان حتى نزلوا ببطن الوادي من قبل احد مقابل المدينة
وكان رجال من المسلمين اسفوا على ما فاتهم من مشهد بدر فرأى صلى الله عليه وسلم ليلة
الجمعة رؤيا فلما اصبح قال اني والله قد رايت خيرا رايت بقرا تذبح ورايت في ذباب سيفي ثلما
ورايت اني ادخلت يدي في درع حصينة فاما البقر فناس من اصحابي يقتلون واما الثلم
الذي رايت في سيفي فهو رجل من اهل بيتي يقتل وقال ابن عقبة ويقول رجال كان الذي
بسيفه ما قد اصاب وجهه فان العدو اصابوا وجهه الشريف يومئذ وكسروا رباعيته وجرحوا
شفته وفي رواية قال عليه الصلاة والسلام واولت الدرع الحصينة المدينة فامكثوا فان دخل
القوم الازقة قاتلناهم ورموا من فوق البيوت فقال اولئك القوم يا رسول الله كنا نتمنى هذا ٢
اليوم اخرج بنا الى اعدائنا لا يرون انا جبنا عنهم فصلى عليه الصلاة والسلام بالناس الجمعة
ثم وعظهم وامرهم بالجد والاجتهاد واخبرهم ان لهم النصر ما صبروا وامرهم بالتهيؤ لعدوهم
ففرح الناس بذلك ثم صلى بالناس العصر وقد حشدوا وحضر اهل العوالي ثم دخل عليه
الصلاة والسلام بيته ومعه صاحباه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فعمماه والبساه وصفوا الناس
ينتظرون خروجه عليه الصلاة والسلام فقال لهم سعد بن معاذ واسيد بن حضير استكرهتم
رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخروج فردوا الامر اليه فخرج صلى الله عليه وسلم وقد لبس
لامته وهي بالهمز وقد تترك تخفيفا الدرع وتقلد سيفه فندموا جميعا على ما صنعوا فقالوا ما كان لنا
ان نخالفك فاصنع ما شئت فقال ما ينبغي لنبي اذا لبس لامته ان يضعها حتى يحكم الله بينه
وبين عدوه وفي حديث ابن عباس عند احمد والنسائي والطبراني وصححه الحاكم نحو حديث
ابن اسحق وفيه اشارة النبي صلى الله عليه وسلم ان لا يبرحوا من المدينة وايثارهم بالخروج
لطلب الشهادة ولبسه اللامة وندامتهم على ذلك وقوله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لنبي
اذا لبس لامته ان يضعها حتى يقاتل وفيه اني رايت اني في درع حصينة الحديث وعقد
عليه الصلاة والسلام ثلاثة الوية لواء بيد اسيد بن الحضير ولواء للمهاجرين بيد علي بن ابي طالب
وقيل بيد مصعب بن عمير ولواء للخزرج بيد الحباب بن المنذر وقيل بيد سعد بن عبادة
وفي المسلمين مائة دارع وخرج السعدان امامه يعدوان سعد بن معاذ وسعد بن عبادة
دارعين واستعمل على المدينة ابن ام مكتوم وعلى الحرس تلك الليلة محمد بن مسلمة وادلج

عليه

عليه الصلاة والسلام في السحر وكان قد رد جماعة من المسلمين لصغرهم منهم اسامة وابن عمر
وزيد بن ثابت وابو سعيد الخدري والنعمان بن بشير قال مغلطاي وفيه نظر وكان المسلمون
الف رجل ويقال تسعمائة والمشركون ثلاثة آلاف رجل فيهم سبعمائة دارع ومائتا فرس وثلاثة
آلاف بعير وخمس عشرة امرأة ونزل عليه الصلاة والسلام باحد ورجع عنه عبد الله
ابن ابي في ثلثمائة ممن تبعه من قومه من اهل النفاق ويقال ان النبي صلى الله عليه وسلم
امرهم بالانصراف لكفرهم بمكان يقال له الشوط ويقال باحد ثم صف المسلمون باصل احد
وصف المشركون بالسبخة قال ابن عقبة وكان على ميمنة خيل المشركين خالد بن الوليد
وعلى ميسرتها عكرمة بن ابي جهل وجعل صلى الله عليه وسلم على الرماة وهم خمسون رجلا
عبد الله بن جبير وقال ان رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى ارسل اليكم
وان رأيتمونا هزمنا القوم واوطأناهم فلا تبرحوا حتى ارسل اليكم كذا في البخاري من حديث
البراء وفي حديث ابن عباس عند احمد والطبراني والحاكم انه صلى الله عليه وسلم اقامهم في موضع
ثم قال احموا ظهورنا فان رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا وان رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا
قال ابن اسحق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ياخذ هذا السيف بحقه فقام
اليه رجال فامسكه عنهم حتى قام اليه ابو دجانة سماك فقال وما حقه يا رسول الله
قال ان تضرب به في وجه العدو حتى ينحني قال انا آخذه بحقه يا رسول الله فاعطاه اياه
وكان رجلا شجاعا يختال عند الحرب فلما رآه عليه الصلاة والسلام يتبختر قال انها لمشية
يبغضها الله الا في مثل هذا الموطن قال الزبير بن العوام فيما قاله ابن هشام فقلت والله
لانظرن ما يصنع ابو دجانة فاتبعته فاخذ عصابة له حمراء فعصب بها رأسه فقالت الانصار
اخرج عصابة الموت فخرج وهو يقول

انا الذي عاهدني خليلي ونحن بالسفح لدى النخيل
الا اقوم الدهر في الكيول اضرب بسيف الله والرسول

فجعل لا يلقى احدا من المشركين الا قتله وقوله في الكيول بفتح الكاف وتشديد المثناة
التحتية موخر الصفوف وهو فيعول من كال الزند يكيل كيلا اذا كبا ولم يخرج نارا فشبه
موخر الصفوف به لان من كان فيه لا يقاتل قال ابو عبيد ولم يسمع الا في هذا الحديث وقاتل
حمزة بن عبد المطلب حتى قتل ارطاة بن شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف والتقى حنظلة
الغسيل وابو سفيان فضربه شداد بن اوس فقتله فقال صلى الله عليه وسلم ان حنظلة
لتغسله الملائكة فسألوا امرأته جميلة اخت عبد الله بن ابي فقالت خرج وهو جنب قال
عليه الصلاة والسلام لذلك غسلته الملائكة وبه تمسك من قال من العلماء ان الشهيد يغسل
اذا كان جنبا **وقتل علي** طلحة بن ابي طلحة صاحب لواء المشركين ثم حمل لواءهم عثمان بن
ابي طلحة فحمل عليه حمزة فقطع يده وكتفه ثم انزل الله نصره على المسلمين فحسوا الكفار بالسيف
حتى كشفوهم عن العسكر وكانت الهزيمة فولى الكفار لا يلوون على شيء ونساؤهم يدعون بالويل
وتبعهم المسلمون حتى اجهضوهم ووقعوا ينهبون العسكر وياخذون ما فيه من الغنائم وفي البخاري
قال البراء فقال اصحاب عبد الله بن جبير الغنيمة اي قوم الغنيمة ظهر اصحابكم فما تنتظرون فقال عبد الله

ابن جبير انسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا والله لنأتين الناس فلنصيبن
من الغنيمة فلما اتوهم صرفت وجوههم فاقبلوا منهزمين وفي حديث عائشة عند البخاري
ايضا لما كان يوم احد هزم المشركون هزيمة بينة فصاح ابليس اي عباد الله اخراكم فرجعت
اولاهم فاختلطت مع اخراهم وعند احمد والحاكم من حديث ابن عباس انهم لما رجعوا اختلطوا
بالمشركين والتبس العسكران فلم يتميزوا فوقع القتل في المسلمين بعضهم من بعض وفي ذلك
غيرهما ونظر خالد بن الوليد الى خلا الجبل وقلة اهله فكر بالخيل وتبعه عكرمة بن ابي جهل
فحملوا على من بقي من النفر الرماة فقتلوهم واميرهم عبد الله بن جبير وفي البخاري انهم لما اصطفوا
للقتال خرج سباع فقال هل من مبارز فخرج اليه حمزة بن عبد المطلب فشد عليه فكان كامس
الذاهب وكان وحشي كامنا تحت صخرة فلما دنا منه رماه بحربته حتى خرجت من بين وركيه
فكان آخر العهد به انتهى **وكان** مصعب بن عمير قاتل دون رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى قتل وكان الذي قتله ابن قمية وهو يظنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فصاح ابن قمية
ان محمدا قتل ويقال كان ذلك ازب العقبة ويقال بل هو ابليس لعنه الله تصور في صورة
جعال وقال قايل اي عباد الله اخراكم اي احترزوا من جهة اخراكم فعطف المسلمون يقتل
بعضهم بعضا وهم لا يشعرون وانهزمت طايفة منهم الى جهة المدينة وتفرق سايرهم ووقع
فيهم القتل وقال موسى بن عقبة ولما فقد عليه الصلاة والسلام قال رجل منهم ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد قتل فارجعوا الى قومكم ليؤمنوكم قبل ان يأتوكم فيقتلوكم فانهم داخلوا
البيوت وقال رجال منهم ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل الا تقاتلون على دينكم وعلى
ما عليه كان نبيكم حتى تلقوا الله عز وجل شهداء منهم انس بن مالك بن النضر شهد له بها عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ قاله في عيون الاثر كذا وقع في هذا الخبر انس بن مالك وانما
هو انس بن النضر عم انس بن مالك بن النضر انتهى وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انكشفوا
عنه وثبت معه من اصحابه اربعة عشر رجلا سبعة من المهاجرين منهم ابو بكر الصديق وسبعة
من الانصار وفي البخاري لم يبق معه عليه الصلاة والسلام الا اثنى عشر رجلا فاصابوا منا سبعين
وكان عليه الصلاة والسلام واصحابه اصابوا من المشركين يوم بدر اربعين ومائة سبعين اسيرا
وسبعين قتيلا فقال ابو سفيان افي القوم محمد ثلاث مرات فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم
ان يجيبوه ثم قال افي القوم ابن ابي قحافة ثلاث مرات ثم قال افي القوم ابن الخطاب ثلاث مرات
ثم رجع الى اصحابه فقال اما هؤلاء فقد قتلوا فما ملك عمر نفسه فقال كذبت يا عدو الله ان الذين عددت
لاحياء كلهم وقد بقي لك ما يسوءك قال يوم بيوم بدر والحرب سجال **وتوجه** صلى الله عليه وسلم
يلتمس اصحابه فاستقبله المشركون فرموا وجهه فادموه وكسروا رباعيته والذي جرح
وجهه عبد الله بن قمية وعتبة بن ابي وقاص رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ
كسر رباعيته ومن ثم لم يولد من نسله ولد فيبلغ الحنث الا وهو ابخر او اهتم اي مكسور الثنايا
من اصلها يعرف ذلك في عقبه وقال ابن هشام في حديث ابي سعيد الخدري ان عتبة
ابن ابي وقاص رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ فكسر رباعيته اليمنى السفلى وان
عبد الله بن شهاب الزهري شجه في جبهته وان ابن قمية جرح وجنته فدخلت حلقتان من

المغفر في وجنته ووقع صلى الله عليه وسلم في حفرة من الحفر التي كان ابو عامر الفاسق كيد بها
المسلمين وفي رواية وهشموا البيضة على راسه اي كسروا الخوذة ورموه بالحجارة حتى سقط
لشقه في حفرة من الحفر التي حفرها ابو عامر فاخذ علي بيده واحتضنه طلحة بن عبيد الله
حتى استوى قايما ونشبت حلقتان من المغفر في وجهه فانتزعهما ابو عبيدة بن الجراح وعض
عليهما حتى سقطت ثنيتاه من شدة غوصهما في وجهه وامتص مالك بن سنان والد ابي سعيد
الخدري الدم من وجنته ثم ازدرده فقال عليه الصلاة والسلام من مس دمي دمه لم تصبه
النار وسيأتي ان شاء الله تعالى حكمه عليه الصلاة والسلام وفي الطبراني من حديث ابي امامة
قال رمى عبد الله بن قمية رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد فشج وجهه وكسر رباعيته
فقال خذها وانا ابن قمية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يمسح الدم عن وجهه
اقماك الله فسلط الله عليه تيس جبل فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة وروى ابن اسحق
عن حميد الطويل عن انس قال كسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم يوم احد وشج وجهه
فجعل الدم يسيل على وجهه وجعل يمسحه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم
الى ربهم فانزل الله تعالى ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون ورواه
احمد والترمذي والنسائي من طرق عن حميد به وعند ابن عايذ من طريق الاوزاعي بلغنا انه
لما جرح صلى الله عليه وسلم يوم احد اخذ شيا فجعل ينشف دمه وقال لو وقعت منه قطرة
على الارض لنزل عليهم العذاب من السماء ثم قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون **وروى**
عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال ضرب وجه النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ بالسيف
سبعين ضربة وقاه الله شرها كلها **قال** في فتح الباري وهذا امر مرسل قوي ويحتمل انه اراد
بالسبعين حقيقتها او المبالغة انتهى **وقالت** ام عمارة نسيبة بنت كعب المازنية يوم احد
فيما قاله ابن هشام فخرجت اول النهار حتى انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
فقمت اباشر القتال واذب عنه بالسيف وارمي عن القوس حتى خلصت الجراحة الي اصابني
ابن قمية اقماه الله لما ولى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبل يقول دلوني على محمد
فلا نجوت ان نجا فاعترضت له فضربني هذه الضربة ولكن ضربته ضربات على ذلك ولكن عدو الله
عليه درعان قالت ام سعد بنت الربيع فرايت على عاتقها جرحا اجوف له غور **وترس** دون رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيما قاله ابن اسحق ابو دجانة بنفسه يقع النبل في ظهره وهو منحن عليه
حتى كثر عليه النبل وهو لا يتحرك **ورمى** سعد بن ابي وقاص دون رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال سعد فلقد رايته يناولني النبل ويقول ارم فداك ابي وامي حتى انه ليناولني
السهم ما له نصل فيقول ارم به **واصيب** يومئذ عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته
فاتى بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وردها
الى موضعها وقال اللهم اكسه جمالا فكانت احسن عينيه واحدهما نظرا ورواه الدارقطني بنحوه
ويأتي ان شاء الله تعالى في مقصد المعجزات **ورمي** ابو رهم الغفاري كلثوم بن الحصين
فوقع في نحره فبصق عليه صلى الله عليه وسلم فبرا **وانقطع** سيف عبد الله بن جحش فاعطاه
صلى الله عليه وسلم عرجونا فعاد في يده سيفا فقاتل به وكان ذلك السيف يسمى العرجون ولم يزل

بتوارث حتى بيع من بني الترك اي من امرا المعتصم بالله في بغداد بمائتي دينار وهذا نحو حديث
عكاشة السابق في غزوة بدر الا ان سيف عكاشة كان يسمى العون واشتغل المشركون
بقتلى المسلمين يمثلون بهم ويقطعون الاذان والانوف والفروج ويبقرون البطون وهم يظنون
انهم اصابوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واشرف اصحابه وكان اول من عرف رسول الله
صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك قال عرفت عينيه تزهران من تحت المغفر فناديت باعلى
صوتي يا معشر المسلمين هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما عرفوه نهضوا ونهض معهم
نحو الشعب معه ابو بكر وعمر وعلي ورهط من المسلمين فلما اسند رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الشعب ادركه ابي بن خلف وهو يقول اين محمد لا نجوت ان نجا فقالوا يا رسول الله يعطف عليه
رجل منا فقال صلى الله عليه وسلم دعوه فلما دنى تناول صلى الله عليه وسلم الحربة من الحرث
ابن الصمة فلما اخذها صلى الله عليه وسلم منه انتفض بها انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعر
على ظهر البعير اذا انتفض ثم استقبله عليه الصلاة والسلام فطعنه طعنة وقع بها عن فرسه
ولم يخرج له دم فكسر ضلعا من اضلاعه فلما رجع الى قريش قال قتلني والله محمد انه كان
قد قال لي بمكة انا اقتلك فوالله لو بصق علي لقتلني فمات عدو الله بسرف وهم قافلون به
الى مكة رواه البيهقي وابو نعيم ولم يذكر فكسر ضلعا من اضلاعه قال الواقدي وكان ابو عمر
يقول مات ابي بن خلف ببطن رابغ فاني لاسير ببطن رابغ بعد هوي من الليل اذا نار تاجج لي
فهبتها فاذا رجل يخرج منها في سلسلة يجتذبها يصيح العطش واذا رجل يقول لا تسقه فان هذا
قتيل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ابي بن خلف ورواه البيهقي ولما انتهى صلى الله
عليه وسلم الى فم الشعب ملا علي بن ابي طالب درقته من المهراس وهو صخرة منقورة تسع
كثيرا من الماء وقيل هو اسم ماء باحد فجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وغسل عن وجهه
الدم وصب على رأسه وهو يقول اشتد غضب الله على من ادمى وجه نبيه صلى الله عليه وسلم
وصلى النبي صلى الله عليه وسلم الظهر يومئذ قاعدا من الجراح التي اصابته وصلى المسلمون
خلفه قعودا قال ابن اسحق ووقعت هند بنت عتبة والنسوة اللاتي معها يمثلن بالقتلى
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجدعن الاذان والانف ويبقرن عن كبد حمزة فلاكتها
فلم تستطع ان تسيغها فلفظتها ولما اراد ابو سفيان الانصراف اشرف على الجبل ثم صرخ باعلى
صوته انعمت فعال ان الحرب سجال يوم بيوم بدر اعل هبل وكان ابو سفيان حين اراد الخروج الى احد
كتب على سهم نعم وعلى الاخر لا واجالها عند هبل فخرج سهم نعم فخرج الى احد فلما قال اعل هبل اي زد
علوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر اجبه فقال الله اعلى واجل فقال ابو سفيان انعمت
فعال اي اترك ذكرها فقد صدقت في فتواها وانعمت اي اجابت بنعم فقال عمر لا سوا قتلانا في الجنة
وقتلاكم في النار فقال ان لنا العزى ولا عزى لكم فقال عليه الصلاة والسلام قولوا الله مولانا ولا مولى لكم
ولما انصرف ابو سفيان واصحابه نادى ان موعدكم بدر العام القابل فقال عليه الصلاة والسلام
لرجل من اصحابه قل نعم هو بيننا وبينكم موعد وذكر الطبراني انه لما انصرف المشركون خرج النساء
الى اصحابه يعينونهم فكانت فاطمة فيمن خرج فلما لقيت النبي صلى الله عليه وسلم اعتنقته وجعلت
تغسل جراحاته بالماء فيزداد الدم فلما رات ذلك اخذت شيئا من حصير فاحرقته بالنار وكمدته به

حتى

حتى لصق بالجرح فاستمسك الدم ثم ارسل عليه الصلاة والسلام محمد بن مسلمة كما ذكره الواقدي
فنادى في القتلى يا سعد بن الربيع مرة بعد اخرى فلم يجبه حتى قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ارسلني انظر ما صنعت فاجابه بصوت ضعيف فوجده جريحا في القتلى وبه رمق فقال ابلغ رسول الله
صلى الله عليه وسلم عني السلام وقل له يقول لك جزاك الله عنا خير ما جزى به نبيا عن امته
وابلغ قومك عني السلام وقل لهم لا عذر لكم عند الله ان يخلص الى نبيكم وفيكم عين تطرف ثم مات
وقتل ابو جابر فما عرف الا ببنانه اي اصابعه وقيل اطرافها واحدها بنانة وخرج صلى الله
عليه وسلم يلتمس حمزة فوجده ببطن الوادي قد بقر بطنه عن كبده ومثل به فجدع انفه
واذناه فنظر عليه الصلاة والسلام الى شيء لم ينظر الى شيء اوجع لقلبه منه فقال رحمة الله عليك
لقد كنت فعولا للخير وصولا للرحم اما والله لامثلن بسبعين منهم مكانك فنزلت عليه خواتيم
سورة النحل فصبر وكفر عن يمينه وامسك عما اراد ومن مثل به كما مثل بحمزة عبد الله بن جحش
ابن اخت حمزة ولذا يعرف بالمجدع في الله وكان حين قتل ابن بضع واربعين سنة ودفن مع حمزة
في قبر واحد ولما اشرف عليه الصلاة والسلام على القتلى قال انا شهيد على هؤلاء
وما من جريح يجرح في الله الا والله يبعثه يوم القيمة يدمي جرحه اللون لون الدم والريح ريح
المسك وفي رواية عبد الله بن ثعلبة قال عليه الصلاة والسلام لقتلى احد زملوهم بجراحهم
وروى ابو بكر بن مردويه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا جابر الا اخبرك ما كلم الله
احدا قط الا من وراء حجاب وانه كلم اباك كفاحا فقال سلني اعطك قال اسالك ان ارد الى الدنيا
فاقتل فيك ثانية فقال الرب عز وجل انه سبق مني انهم لا يرجعون الى الدنيا قال اي رب
فابلغ من ورائي فانزل الله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء الاية
وعن ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله
ارواحهم في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوي الى قناديل من ذهب
في ظل العرش فلما وجدوا طيب ماكلهم ومشربهم وحسن مقيلهم قالوا يا ليت اخواننا يعلمون
ما صنع الله بنا لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب قال الله تعالى انا ابلغهم عنكم
فانزل الله عز وجل على نبيه هذه الايات ولا تحسبن الذين قتلوا رواه احمد قال بعض
من تكلم على هذا الحديث قوله ثم تاوي الى قناديل قوله والشهداء عند ربهم لهم اجرهم ونورهم
وانما تاوي الى تلك القناديل ليلا وتسرح نهارا وبعد دخول الجنة في الاخرة لا تاوي الى تلك
القناديل وانما ذلك في البرزخ وقال مجاهد الشهداء ياكلون من ثمر الجنة وليسوا فيها وقد رد
هذا القول ويشهد له ما وقع في مسند ابن ابي شيبة وغيره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في قباب خضر ياتيهم رزقهم فيها بكرة
وعشيا قال الحافظ عماد الدين بن كثير كان الشهداء اقسام منهم من تسرح ارواحهم في الجنة
ومنهم من تكون على هذا النهر بباب الجنة وقد يحتمل ان يكون منتهى سيرهم الى هذا النهر
فيجتمعون هنالك ويغدى عليهم برزقهم هناك ويراح قال وقد روينا في مسند الامام احمد
حديثا فيه البشرى لكل مؤمن بان روحه تكون في الجنة ايضا وتسرح فيها وتاكل من ثمارها
وترى ما فيها من النضرة والسرور وتشاهد ما اعد الله لها من الكرامات قال وهو باسناد

غظيم صحيح عزيز اجتمع فيه ثلاثة من الايمة الاربعة اصحاب المذاهب المتبعة فان الامام
احمد روي عن الشافعي عن مالك بن انس عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك
عن ابيه يرفعه نسمة المؤمن طاير تعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله الى جسده يوم يبعثه
وقوله تعلق اي تاكل وفي هذا الحديث ان روح المومن تكون على شكل طاير في الجنة واما
ارواح الشهدا ففي حواصل طير خضر فهي كالراكب بالنسبة الى ارواح عموم المؤمنين
فانها تطير بانفسها فنسال الله الكريم المنان ان يميتنا على الايمان **وقد استشهد يوم**
احد من المسلمين سبعون فيما قاله مغلطاي وغيره وقيل خمسة وستون اربعة من المهاجرين
وروي ابن منده من حديث ابي بن كعب قال استشهد من الانصار يوم احد اربعة وستون
ومن المهاجرين ستة وصححه ابن حبان من هذا الوجه وقتل من المشركين ثلاثة وعشرون رجلا
وقتل عليه السلام بيده ابي بن خلف وحضرت الملايكة يوميذ ففي حديث سعد بن ابي وقاص
عند مسلم في صحيحه انه راي عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم احد
رجلين عليهما ثياب بيض ما رايتهما قبل ولا بعد يعني جبريل وميكاييل يقاتلان كاشد القتال
وفيه كما قدمناه في غزوة بدر ان قتال الملايكة معه صلى الله عليه وسلم لا يختص بيوم بدر
خلافا لمن زعمه كما نص عليه النووي في شرح مسلم كما قدمته والله اعلم **ولما بكي المسلمون**
على قتلاهم سر بذلك المنافقون وظهر غش اليهود **تنبيه** ذكر القاضي عياض في الشفا
عن القاضي ابي عبد الله بن المرابط من الملايكة انه قال من قال ان النبي صلى الله
عليه وسلم هزم يستتاب فان تاب والا قتل لانه تنقص اذ لا يجوز ذلك عليه في خاصته
اذ هو على بصيرة من امره ويقين من عصمته انتهي وهذا موافق لمذهبنا لكن قال
العلامة البساطي من الملايكة هذا القايل ان كان يخالف في اصل المسيلة اعني حكم الساب
فله وجه وان وافق على ان الساب لا تقبل توبته فمشكل انتهي **وقد كان** في قصة احد
وما اصيب به المسلمون من الفوايد والحكم الربانية اشيا عظيمة منها تعريف المسلمين
سو عاقبة المعصية وشوم ارتكاب النهي لما وقع من ترك الرماة موقفهم الذي امرهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان لا يبرحوا منه ومنها عادة الرسل ان تبتلي وتكون لهم العاقبة
والحكمة في ذلك ان لو انتصروا دايما لدخل في المسلمين من ليس منهم ولم يتميز الصادق
من الكاذب ولو انكسروا دايما لم يحصل المقصود من البعثة فاقتضت الحكمة الجمع بين
الامرين ليتميز الصادق من الكاذب وذلك ان نفاق المنافقين كان مخفيا عن المسلمين فلما
جرت هذه القصة واظهر اهل النفاق ما اظهروه من القول والفعل عاد التلويح تصريحا وعرف
المسلمون ان لهم عدوا في دورهم واستعدوا لهم وتحرزوا منهم ومنها ان في تاخير النصر في بعض
المواطن هضما للنفس وكسرا لشماختها فلما ابتلي المسلمون صبروا وجزع المنافقون ومنها
ان الله تعالى هيا لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته لا تبلغها اعمالهم فقيض لهم اسباب
الابتلا والمحن ليصلوا اليها ومنها ان الشهادة من اعلى مراتب الاوليا فساقهم اليها ومنها
انه اراد اهلاك اعدايه فقيض لهم الاسباب التي يستوجبون بها ذلك من كفرهم وبغيهم وطغيانهم
في اذى اوليايه فمحص ذنوب المؤمنين ومحق بذلك الكافرين **غزوة حمرا الاسد**

وهي على ثمانية اميال من المدينة عن يسار الطريق اذا اردت ذا الحليفة وكانت صبيحة
يوم احد لست عشرة خلت او لثمان خلون من شوال على راس اثنين وثلاثين شهرا
من الهجرة لطلب عدوهم بالامس ونادي موذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا يخرج
معنا احد الا من حضر يومنا بالامس اي من شهد احد وانما خرج عليه الصلاة والسلام
مرهبا للعدو وليبلغهم انه خرج في طلبهم ليظنوا به قوة وان الذي اصابهم لم يوهنهم عن
عدوهم واقام عليه الصلاة والسلام بها الاثنين والثلثا والاربعا ثم رجع الى المدينة
يوم الجمعة وقد غاب خمسا وظفر عليه الصلاة والسلام في مخرجه ذلك بمعاوية بن المغيرة
ابن ابي العاص فامر بضرب عنقه صبرا قال الحافظ مغلطاي وحرمت الخمر ثلاث مرات
قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يشربون الخمر وياكلون الميسر فسالوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهما فانزل الله يسالونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير
ومنافع للناس الى آخر الاية فقال الناس ما حرم علينا انما قال فيهما اثم كبير وكانوا يشربون
الخمر حتى كان يوم من الايام صلى رجل من المهاجرين ام اصحابه في المغرب خلط في قراته
فانزل الله آية اغلظ منها يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا
ما تقولون وكان الناس يشربون ثم نزلت اية اغلظ من ذلك يا ايها الذين امنوا انما الخمر
والميسر الى لعلكم تفلحون قال انتهينا ربنا والميسر القمار وقيل غيره انتهي **وولد الحسن**
ابن علي في هذه السنة **ثم سرية ابي سلمة** عبد الله بن عبد الاسد هلال
المحرم على راس خمس وثلاثين شهرا من الهجرة الى قطن جبل بناحية فيد ومعه ماية وخمسون
رجلا من المهاجرين والانصار لطلب طليحة وسلمة ابني خويلد فلم يجدهما ووجد ابلا وشا
فاغار عليها ولم يلق كيدا **ثم سرية عبد الله بن انيس** وحده يوم الاثنين لخمس
خلون من المحرم على راس خمسة وثلاثين شهرا من الهجرة الى سفين بن خالد الهذلي
بعرنة وادي عرفة لانه بلغه صلى الله عليه وسلم انه جمع الجموع لحربه فلما وصل اليه
قال له من الرجل قال من بني خزاعة سمعت بجمعك لمحمد فجيتك لاكون معك قال اجل
فمشي معه ساعة ثم اغتره وقتله واخذ راسه فكان يسير الليل ويتواري بالنهار حتى قدم
المدينة فقال له عليه الصلاة والسلام افلح الوجه فقال افلح وجهك يا رسول الله
ووضع راسه بين يديه وكانت غيبته ثماني عشرة ليلة وقدم يوم السبت لسبع
بقين من المحرم **ثم سرية عاصم بن ثابت** في صفر على راس ستة وثلاثين شهرا
من الهجرة **الى الرجيع** بفتح الراء وكسر الجيم اسم ما لهذيل بين مكة وعسفان بناحية
الحجاز كانت الوقعة بالقرب منه فسميت به **وحديث عضل والقاره** بفتح الضاد
المعجمة بعدها لام بطن من بني الهون بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر ينتسبون
الى عضل بن الديش **واما القاره** فبالقاف وتخفيف الراء بطن من الهون ايضا ينتسبون
الى الديش المذكور قال ابن دريد القارة اكمة سودا فيها حجارة كانهم نزلوا عندها
فسموا بها **وقصة** عضل والقارة كانت في بعث الرجيع لا في سرية بير معونة
وقد فصل بينهما ابن اسحق فذكر بعث الرجيع في اواخر سنة ثلاث وبير معونة في اوايل

وولد الحسن بن علي

سرية ابي سلمة

سرية عاصم بن ثابت

سنة اربع وذكر الواقدي ان خبر بئر معونة وخبر اصحاب الرجيع جا الي رسول الله صلى الله عليه
وسلم في ليلة واحدة وسياق ترجمة البخاري يوهم ان بعث الرجيع وبئر معونة شي واحد وليس
كذلك لان بعث الرجيع كان سرية عاصم وخبيب واصحابهما وهي مع عضل والقارة وبئر معونة كانت
سرية القرا وهي مع رعل وذكوان وكان البخاري ادمجها معها لقربها منها ويدل على قربها منها
ما في حديث انس من تشريك النبي صلى الله عليه وسلم بين بني لحيان وبني عصية وغيرهم في الدعا
ولم يرد البخاري رحمه الله انهما قصة واحدة ولم يقع ذكر عضل والقارة عنده صريحا وانما وقع
ذلك عند ابن اسحق فانه بعد ان استوفي قصة احد قال ذكر يوم الرجيع حدثني عاصم بن عمر بن قتادة
قال قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد احد رهط من عضل والقارة فقالوا يا رسول الله
ان فينا اسلاما فابعث معنا نفرا من اصحابك يفقهوننا فبعث معهم ستة من اصحابه وامر عليه
الصلاة والسلام على القوم مرثد بن ابي مرثد الغنوي كذا في السيرة له وفي الصحيح وامر عليهم
عاصم بن ثابت كما سيأتي ذكره فخرجوا مع القوم حتى اتوا على الرجيع ما لهذيل غدروا بهم واستصرخوا
عليهم هذيل فلم يرع القوم وهم في رحالهم الا الرجال بايديهم السيوف وقد غشوهم فاخذوا اسيافهم
ليقاتلوا القوم فقالوا لهم انا والله لا نريد قتلكم ولكنا نريد ان نصيب بكم شيئا من اهل مكة ولكم عهد الله
وميثاقه ان لا نقتلكم فابوا فاما مرثد وخالد وعاصم فقالوا والله لا نقبل من مشرك عهدا وقاتلوا
حتى قتلوا وفي البخاري وامر عليهم عاصم بن ثابت حتى اذا كانوا بالهداة بين عسفان ومكة ذكروا
لحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان فنفروا لهم قريبا من مائتي رجل وعند بعضهم فتبعوهم بقريب من مائة
رام والجمع بينهما واضح بان تكون المائة الاخرى غير رماة وفي رواية ابي معشر في مغازيه
فنزلوا بالرجيع سحرا فاكلوا تمر عجوة فسقط نواه بالارض وكانوا يسيرون بالليل ويكمنون بالنهار
فجاءت امراة من هذيل ترعى غنما فرات النوى فانكرت صغرهن وقالت هذا تمر يثرب فصاحت
في قومها اتيتم فجاؤوا في طلبهم فوجدوهم قد كمنوا في الجبل فاتبعوا اثارهم حتى لحقوهم وفي رواية
ابن سعد فلما احس بهم عاصم واصحابه لجؤوا الي فدفد بفائين مفتوحتين ومهملتين الاولى ساكنة
وهي الرابية المشرفة فاحاط بهم القوم فقالوا لكم العهد والميثاق ان نزلتم الينا ان لا نقتل منكم رجلا
فقال عاصم بن ثابت ايها القوم اما انا فلا انزل في ذمة كافر ثم قال اللهم اخبر عنا رسولك فاستجاب الله
لعاصم فاخبر رسوله خبرهم يوم اصيبوا فرموهم بالنبل فقتلوا عاصما ونزل اليهم على العهد والميثاق
خبيب بن عدي وزيد بن الدثنة بفتح الدال المهملة وكسر المثلثة والنون المفتوحة المشددة
وعبد الله بن طارق فانطلقوا بخبيب وزيد بن الدثنة حتى باعوهما بمكة فابتاع بنو الحرث
ابن عامر خبيبا فلبث خبيب عندهم اسيرا حتى اجمعوا قتله استعار من بعض بنات الحرث موسى
ليستحد بها يعني يحلق عانته فغفلت عن ابن لها صغير فاقبل عليه الصبي فاجلسه عنده
فخشيت المراة ان يقتله ففزعت فقال خبيب ما كنت لاغدر قالت والله ما رايت اسيرا
خيرا من خبيب والله لقد وجدته ياكل قطفا من عنب مثل راس الرجل وانه لموثق بالحديد
وما بمكة من ثمرة وما كان الا رزقا رزقه الله **وهذه كرامة** جعلها الله تعالي لخبيب
اية على الكفار وبرهانا لنبيه لتصحيح رسالته والكرامة للاوليا ثابتة مطلقا عند اهل السنة
لكن استثنى بعض المحققين منهم كالعلامة الرباني ابي القاسم القشيري ما وقع به التحدي لبعض

الانبيا

الانبيا فقال ولا يصلون الي مثل ايجاد ولد من غير اب ونحو ذلك وهذا اعدل المذاهب في ذلك
فان اجابة الدعوة في الحال وتكثير الطعام والمكاشفة بما يغيب عن العين والاخبار بما سياتي
ونحو ذلك قد كثر جدا حتى صار وقوع ذلك ممن ينسب الي الصلاح كالعادة فانحصر الخارق الان
في نحو ما قاله القشيري وتعين تقييد من اطلق بان كل معجزة وجدت لنبي يجوز ان تقع كرامة
لولي ووراء ذلك ان الذي استقر عند العامة ان خرق العادة يدل على ان من وقع له ذلك
يكون من اوليا الله وهو غلط فان الخارق قد يظهر على يد المبطل من ساحر وكاهن وراهب
فيحتاج من يستدل بذلك على ولاية اوليا الله الي فارق واولي ما ذكروه ان يختبر حال
من وقع له فان كان متمسكا بالاوامر الشرعية والنواهي كان علامة على ولايته ومن لا
فلا انتهي ملخصا من الفتح **ولما** خرجوا بخبيب من الحرم ليقتلوه قال دعوني اصلي ركعتين
وعند موسى بن عقبة انه صلاهما في موضع مسجد التنعيم وقال اللهم احصهم عددا
ولا تبق منهم احدا واقتلهم بددا يعني متفرقين فلم يحل الحول ومنهم احد حي وفي رواية
بريدة بن سفيان فقال خبيب اللهم اني لا اجد من يبلغ رسولك مني السلام فبلغه وفي رواية
ابي الاسود عن عروة فجا جبريل الي النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك ثم انشا خبيب
يقول

ولست ابالي حين اقتل مسلما * على اي شق كان لله مصرعي
وذلك في ذات الاله وان يشا * يبارك على اوصال شلو ممزع

والاوصال جمع وصل وهو العضو والشلو بكسر المعجمة الجسد ويطلق على العضو لكن المراد به
هنا الجسد والممزع بالزاي ثم المهملة المقطع ومعنى الكلام اعضا جسد مقطع وعند ابي
الاسود عن عروة زيادة في هذا الشعر قال

لقد اجمع الاحزاب حولي والبوا * قبائلهم واستجمعوا كل مجمع
الي الله اشكو غربتي بعد كربتي * وما ارصد الاحزاب لي عند مصرعي

وساق ابن اسحق هذه الابيات ثلاثة عشر بيتا قال ابن هشام ومن الناس من ينكرها لخبيب
وكان خبيب اول من سن الركعتين عند القتل لكل مسلم قتل صبرا انتهى قاله ابن اسحق
وقوله هذا يدل على انها سنة جارية وانما صار فعل خبيب سنة والسنة انما هي اقوال رسول الله
صلى الله عليه وسلم وافعاله وتقريره لانه فعله في حياته صلى الله عليه وسلم فاستحسن
ذلك من فعله واستحسنه المسلمون والصلاة خير ما ختم به عمل العبد وقد صلى هاتين
الركعتين زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك في حياته عليه الصلاة
والسلام كما روينا من طريق السهيلي بسنده الي الليث بن سعد قال بلغني ان زيد بن حارثة
اكترى بغلا من رجل بالطائف اشترط عليه المكري ان ينزله حيث شا فمال به الي خربة
فقال له انزل فنزل فاذا في الخربة قتلى كثيرة قال فلما اراد ان يقتله قال له دعني اصلي
ركعتين قال صل فقد صلى قبلك هؤلاء فلم تنفعهم صلاتهم شيئا قال فلما صليت اتاني ليقتلني
فقلت يا ارحم الراحمين قال فسمع صوتا لا تقتله فهاب ذلك فخرج يطلب فلم ير شيئا فرجع الي
فناديت يا ارحم الراحمين فعل ذلك ثلاثا فاذا بفارس على فرس في يده حربة حديد في راسها
شعلة نار فطعنه بها فانفذها من ظهره فوقع ميتا ثم قال لما دعوت المرة الاولى يا ارحم

الراحمين كنت في السماء السابعة فلما دعوت المرة الثانية يا ارحم الراحمين كنت في سماء الدنيا
فلما دعوت الثالثة أتيتك انتهى **ووقع** في رواية ابي الاسود عن عروة فلما وضعوا فيه السلاح
وهو مصلوب يعني خبيبا نادوه وناشدوه اتحب ان محمدا مكانك قال لا والله ما احب ان يفديني
بشوكة في قدمه ويقال ان الذي قال ذلك زيد بن الدثنة وان ابا سفين قال له يا زيد انشدك
بالله اتحب ان محمدا الآن عندنا مكانك تضرب عنقه وانك في اهلك فقال والله ما احب ان محمدا
الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه واني جالس في اهلي قال يقول ابو سفين
ما رأيت من الناس احدا يحب احدا كحب أصحاب محمد محمدا ثم قتله نسطاس بكسر النون **وبعثت**
قريش الى عاصم ليؤتوا بشيء من جسده يعرفونه وكان عاصم قتل عظيما من عظمائهم يوم بدر
ولعل العظيم المذكور عقبة بن ابي معيط فان عاصما قتله صبرا بامر النبي صلى الله عليه وسلم
بعد ان انصرفوا من بدر **ووقع** عند ابن اسحق وكذا في رواية بريدة بن سفين ان عاصما
لما قتل ارادت هذيل اخذ راسه ليبيعوه من سلافة بنت سعيد وهي ام مسافع وجلاس
ابني طلحة العبدي وكان عاصم قتلهما يوم احد وكانت قد نذرت حين اصاب ابنيها يوم احد لئن
قدرت على راس عاصم لتشربن الخمر في قحف راسه بكسر القاف وهو ما انفلق من الجمجمة فبان
قال الطبري وجعلت لمن جاء براسه مائة ناقة فمنعته منهم الدبر بفتح المهملة وسكون الموحدة الزنابير
فلم يقدروا منه على شيء وكان عاصم بن ثابت قد اعطى الله عهدا ان لا يمسه مشرك ولا يمس مشركا
فكان عمر لما بلغه خبره يقول يحفظ الله العبد المؤمن بعد وفاته كما حفظه في حياته وانما استجاب الله
تعالى له في حماية لحمه من المشركين ولم يمنعهم من قتله لما اراد من اكرامه بالشهادة ومن كرامته
حمايته من هتك حرمته بقطع لحمه **سرية المنذر بن عمرو** بفتح العين المهملة **الى بير**
معونة بفتح الميم وضم المهملة وسكون الواو وبعدها نون موضع ببلاد هذيل بين مكة وعسفان
في صفر على راس ستة وثلاثين شهرا من الهجرة على راس اربعة اشهر من احد وبعث معه
المطلب السلمي ليدلهم على الطريق وكانت مع رعل بكسر الراء وسكون المهملة بطن من بني سليم ينسبون
الى رعل بن عوف بن مالك وذكوان بطن من بني سليم ايضا ينسبون الى ذكوان بن ثعلبة فنسبت
الغزوة اليها وهذه الغزوة تعرف بسرية القراء وكان من امرها كما قاله ابن اسحق انه قدم
ابو براء عامر بن مالك بن جعفر المعروف بملاعب الاسنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض
عليه الاسلام فلم يسلم ولم يبعد عن الاسلام وقال يا محمد لو بعثت رجالا من اصحابك الى اهل نجد
فدعوتهم الى امرك رجوت ان يستجيبوا لك فقال عليه الصلاة والسلام اني اخشى اهل نجد عليهم
قال ابو براء انا لهم جار فابعثهم فبعث عليه الصلاة والسلام المنذر بن عمرو ومعه القراء وهم سبعون
وقيل اربعون وقيل ثلاثون وقد بين قتادة في روايته انهم كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون
بالليل وفي رواية ثابت يشترون به الطعام لاهل الصفة ويتدارسون القرآن بالليل فساروا
حتى نزلوا بير معونة بعثوا حرام بن ملحان بكتابه صلى الله عليه وسلم الى عدو الله عامر بن الطفيل
العامري ومات كافرا وليس هو عامر بن الطفيل الاسلمي الصحابي فلما اتاه لم ينظر في كتابه
حتى عدى على الرجل فقتله ثم استصرخ عليهم بني عامر فلم يجيبوه وقالوا لن نخفر ابا براء وقد
عقد لهم عقدا وجوارا فاستصرخ عليهم قبائل من سليم عصية ورعلا فاجابوه الى ذلك ثم خرجوا

سرية المنذر

حتى غشوا القوم فاحاطوا بهم في رحالهم فلما رأوهم اخذوا سيوفهم وقاتلوهم حتى قتلوا الى آخرهم الا كعب
ابن زيد فانهم تركوه وبه رمق فعاش حتى قتل يوم الخندق شهيدا واسر عمرو بن أمية الضمري
فلما اخبرهم انه من مضر اخذه عامر بن الطفيل واعتقه رقبة زعم انها كانت على امه فلما بلغ النبي
صلى الله عليه وسلم خبرهم قال هذا عمل ابي براء قد كنت لهذا كارها متخوفا فبلغ ذلك ابا براء فمات
اسفا على ما فعله عامر بن الطفيل وقتل عامر بن فهيرة يومئذ فلم يوجد جسده ودفنته الملائكة
قال قال ابن سعد عن انس بن مالك ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد على احد ما وجد
على اصحاب بير معونة وفي صحيح مسلم عن انس ايضا دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الذين
قتلوا اصحاب بير معونة ثلاثين صباحا يدعوا على رعل ولحيان وعصية عصت الله ورسوله
قال أنس انزل الله في الذين قتلوا يوم بير معونة قرآنا قرأناه ثم نسخ بعد اي نسخت تلاوته
بلغوا قومنا انا قد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه كذا وقع في هذه الرواية وهو يوهم
ان بني لحيان ممن اصاب القراء يوم بير معونة وليس كذلك وانما اصابهم رعل وذكوان
وعصية ومن صحبهم من سليم **واما بنو لحيان** فهم الذين اصابوا بعث الرجيع وانما
اتى الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم كلهم في وقت واحد فدعى على الذين اصابوا
بعث الرجيع اصحابه في الموضعين دعاء واحدا والله اعلم **ثم غزوة بني النضير**
بفتح النون وكسر الضاد المعجمة قبيلة كبيرة من اليهود في ربيع الاول سنة اربع وذكرها
ابن اسحق هنا قال السهيلي وكان ينبغي ان يذكرها بعد بدر لما روى عقيل بن خالد وغيره
عن الزهري قال كانت غزوة بني النضير على راس ستة اشهر من وقعة بدر قبل احد
ورجح الداودي ما قاله ابن اسحق من ان غزوة بني النضير بعد بير معونة مستدلا بقوله تعالى
وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم قال الحافظ ابو الفضل بن حجر وهو
استدلال واه فان الآية نزلت في شان بني قريظة فانهم هم الذين ظاهروا الاحزاب
واما بنو النضير فلم يكن لهم في الاحزاب ذكر بل كان من اعظم الاسباب في جمع الاحزاب
وما وقع من اجلائهم فانه كان من رؤسهم حيي بن اخطب وهو الذي حسن لبني قريظة
الغدر وموافقة الاحزاب حتى كان من هلاكهم ما كان فكيف يصير السابق لاحقا انتهى
وقد تقدم قريبا ان عامر بن الطفيل اعتق عمرو بن امية لما قتل اهل بير معونة عن رقبة
امه فخرج عمرو الى المدينة فصادف رجلين من بني عامر معهما عقد وعهد من رسول الله
صلى الله عليه وسلم لم يشعر به عمرو وقال لهما عمرو ممن انتما فذكرا انهما من بني عامر
فتركهما حتى ناما فقتلهما عمرو وظن انه ظفر بثار بعض اصحابه فاخبر رسول الله صلى الله عليه
وسلم بذلك فقال لقد قتلت قتيلين لأدينهما قال ابن اسحق وغيره ثم خرج عليه الصلاة
والسلام الى بني النضير ليستعين بهم في دية ذينك القتيلين الذين قتلهما عمرو بن امية
للجوار الذي كان صلى الله عليه وسلم عقده لهما وكان بين بني النضير وبين بني عامر عقد
وحلف فلما اتاهم عليه الصلاة والسلام يستعينهم في ديتهما قالوا يا ابا القاسم نعينك على
ما احببت مما استعنت بنا عليه ثم خلى بعضهم ببعض فقالوا انكم لن تجدوه على مثل هذا الحال
وكان صلى الله عليه وسلم الى جنب جدار من بيوتهم قالوا من رجل يعلو على هذا البيت

غزوة بني النضير

فيلقي هذه الصخرة عليه فيقتله ويريحنا منه فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب فقال
انا لذلك فصعد ليلقي عليه الصخرة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من اصحابه فيهم
ابو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم قال ابن سعد قال سلام بن مشكم لليهود لا تفعلوا والله ليخبرنه
بما هممتم وانه لنقض العهد الذي بيننا وبينه قال ابن اسحق واتى رسول الله صلى الله عليه
وسلم الخبر من السماء بما اراد القوم فقام عليه الصلاة والسلام مظهرا انه يقضي حاجة وترك
اصحابه في مجلسهم ورجع مسرعا الى المدينة واستبطا النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه فقاموا
في طلبه حتى انتهوا اليه فاخبرهم بما ارادت يهود من الغدر به قال ابن عقبة ونزل في ذلك
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم الاية قال ابن
اسحق فامر عليه الصلاة والسلام بالتهيي لحربهم والسير اليهم قال ابن هشام واستعمل على المدينة
ابن ام مكتوم ثم سار بالناس حتى نزل بهم فحاصرهم ست ليال قال ابن اسحق فتحصنوا منه في الحصون
فقطع النخل وحرقها وخرب فنادوه يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه
فما بال قطع النخل وتخريبها قال السهيلي قال اهل التاويل وقع في نفوس بعض المسلمين
من هذا الكلام شيء حتى انزل الله تعالى ما قطعتم من لينة او تركتموها الاية الى قوله
وليخزي الفاسقين واللينة الوان التمر ما عدا العجوة والبرني ففي هذه الاية انه صلى الله
عليه وسلم لم يحرق من نخلهم الا ما ليس بقوت للناس وكانوا يقتاتون العجوة وفي الحديث
العجوة من الجنة وتمرها يغذو احسن غذا والبرني ايضا كذلك ففي قوله تعالى ما قطعتم من لينة
ولم يقل من نخلة على العموم تنبيه على كراهة قطع ما يقتات ويغذو من شجر العدو اذا رجي
ان يصل الى المسلمين قال ابن اسحق وقد كان رهط من بني عوف بن الخزرج منهم عبد الله
ابن ابي بن سلول بعثوا الى ابناء النضير ان اثبتوا وتمنعوا فانا لن نسلمكم ان قوتلتم قاتلنا معكم
وان اخرجتم خرجنا معكم فتربصوا فقذف الله في قلوبهم الرعب فلم ينصروهم فسالوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يجليهم عن ارضهم ويكف عن دمائهم وعند ابن اسحق انهم جنحوا
بغدره صلى الله عليه وسلم واعلمه الله بذلك بعث اليهم محمد بن مسلمة ان اخرجوا من بلدي
فلا تساكنوني بها وقد هممتم بما هممتم به من الغدر وقد اجلتكم عشرا فمن رأى منكم بعد ذلك
ضربت عنقه فمكثوا على ذلك اياما يتجهزون وتكاروا من اناس من اشجع ابلا فارسل اليهم عبد الله
ابن ابي لا تخرجوا من دياركم واقيموا في حصونكم فان معي الفين من قومي من العرب يدخلون
حصنكم وتمدكم قريظة وحلفاكم من غطفان فطمع حيي فيما قاله ابن ابي فارسل الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم انا لا نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك فاظهر صلى الله عليه وسلم التكبير
وكبر المسلمون بتكبيره وسار اليهم عليه الصلاة والسلام واقاموا على حصونهم معهم النبل
والحجارة واعتزلهم ابن ابي ولم يعنهم وكذا حلفاؤهم من غطفان فيئسوا من نصرهم فحاصرهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطع نخلهم وقال لهم عليه الصلاة والسلام اخرجوا منها
ولكم دماؤكم وما حملت الابل الا الحلقة وهي باسكان اللام قال في القاموس الدرع فنزلت
يهود على ذلك وكان حاصرهم خمسة عشر يوما فكانوا يخربون بيوتهم بايديهم ثم اجلاهم عن المدينة
وولي اخراجهم محمد بن مسلمة وحملوا النساء والصبيان وتحملوا على ستمائة بعير فلحقوا بخيبر

وحزن

وحزن المنافقون عليهم حزنا شديدا وقبض صلى الله عليه وسلم الاموال ووجد من الحلقة
خمسين درعا وخمسين بيضة وثلثمائة واربعين سيفا وكانت بنو النضير صفيا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم حبسا لنوايبه ولم يخمسها لان المسلمين لم يوجفوا عليه بخيل ولا ركاب
وانما قذف في قلوبهم الرعب وجلوا عن منازلهم الى خيبر ولم يكن ذلك عن قتال من المسلمين لهم
فقسمها عليه الصلاة والسلام بين المهاجرين ليرفع بذلك مؤونتهم عن الانصار اذ كانوا قد
قاسموهم في الاموال والديار غير انه اعطا ابا دجانة وسهل بن حنيف لحاجتهما وفي الاكليل
واعطا سعد بن معاذ سيف ابن ابي الحقيق وكان سيفا له ذكر عندهم غزوة ذات
الرقاع واختلف فيها متى كانت فعند ابن اسحق بعد بني النضير سنة اربع في شهر
ربيع وبعض جمادى وعند ابن سعد وابن حبان في المحرم سنة خمس وجزم ابو معشر بانها
بعد بني قريظة في ذي القعدة سنة خمس فتكون ذات الرقاع في آخر السنة واول التي تليها
قال في فتح الباري قد جنح البخاري الى انها بعد خيبر واستدل لذلك بامور ومع ذلك
فذكرها قبل خيبر فلا ادري هل تعمد ذلك تسليما لاصحاب المغازي انها كانت قبلها او ان ذلك
من الرواة عنه او اشارة الى احتمال ان تكون ذات الرقاع اسما لغزوتين مختلفتين كما اشار
اليه البيهقي على ان اصحاب المغازي مع جزمهم بانها كانت قبل خيبر مختلفون في زمانها انتهى والذي
جزم به ابن عقبة تقدمها لكن تردد في وقتها فقال لا ندري كانت قبل بدر او بعدها او قبل
احد او بعدها قال الحافظ ابن حجر وهذا التردد لا حاصل له بل الذي ينبغي الجزم به
انها بعد غزوة بني قريظة لان صلاة الخوف في غزوة الخندق لم تكن شرعت وقد ثبت وقوع
صلاة الخوف في غزوة ذات الرقاع فدل على تاخرها بعد الخندق ثم قال عند قول البخاري
وهي بعد خيبر لان ابا موسى جاء بعد خيبر فاذا كان كذلك وثبت ان ابا موسى شهد غزوة ذات
الرقاع لزم انها كانت بعد خيبر قال وعجيب من ابن سيد الناس كيف قال جعل البخاري
حديث ابي موسى هذا حجة في ان غزوة ذات الرقاع متاخرة عن خيبر قال وليس في خبر
ابي موسى ما يدل على شيء من ذلك انتهى كلام ابن سيد الناس قال وهذا النفي مردود
والدلالة من ذلك واضحة كما قررته قال واما الدمياطي فادعى غلط الحديث الصحيح وان جميع
اهل السير على خلافه وقد تقدم انهم مختلفون في زمانها فالاولى الاعتماد على ما ثبت في الحديث
الصحيح واما قول الغزالي انها آخر الغزوات فهو غلط واضح وقد بالغ ابن الصلاح في انكاره
وقال بعض من انتصر للغزالي لعله اراد آخر غزوة صليت فيها صلاة الخوف وهو انتصار
مردود بما اخرجه ابو داود والنسائي وصححه ابن حبان من حديث ابي بكرة انه صلى مع النبي
صلى الله عليه وسلم صلوة الخوف وانما اسلم ابو بكرة بعد غزوة الطائف بالاتفاق انتهى
واما تسميتها بذات الرقاع فلانهم رقعوا فيها راياتهم قاله ابن هشام وقيل لشجرة في ذلك
الموضع يقال لها ذات الرقاع وقيل الارض التي نزلوا بها فيها بقع سود وبقع بيض كانها مرقعة
برقاع مختلفة فسميت ذات الرقاع لذلك وقيل ان خيلهم كان بها سواد وبياض قاله ابن حبان
وقال الواقدي سميت بجبل هناك فيه بقع قال الحافظ ابن حجر وهذا لعله مستند ابن حبان
ويكون قد تصحف عليه بخيل قال واغرب الداودي فقال سميت ذات الرقاع لوقوع صلاة الخوف

غزوة ذات الرقاع

فيها فسميت بذلك لترقيع الصلاة فيها انتهى قال السهيلي واصح من هذه الاقوال كلها
ما رواه البخاري عن ابي موسى الاشعري قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة
ونحن ستة نفر بيننا بعير نعتقبه فنقبت اقدامنا ونقبت قدماي وسقطت اظفاري فكنا نلف على ارجلنا
الخرق فسميت غزوة ذات الرقاع لما كنا نعصب من الخرق على ارجلنا وكان من خبر هذه الغزوة كما قاله
ابن اسحق انه صلى الله عليه وسلم غزا نجدا يريد بني محارب وبني ثعلبة بالمثلثة من غطفان بفتح الغين
المعجمة والمهملة لانه عليه الصلاة والسلام بلغه انهم جمعوا الجموع فخرج في اربعمائة من اصحابه وقيل
سبعمائة واستعمل على المدينة عثمن بن عفان وقيل ابا ذر الغفاري حتى نزل نخلا بالخاء المعجمة موضع
من نجد من اراضي غطفان قال ابن سعد فلم يجد في محالهم الا نسوة فاخذهن وقال ابن اسحق فلقي
جمعا منهم فتقارب الناس ولم يكن بينهم حرب وقد اخاف الناس بعضهم بعضا حتى صلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالناس صلاة الخوف ثم انصرف الناس قال ابن سعد وكان ذلك اول ما صلاها
وقد رويت صلاة الخوف من طرق كثيرة وسياتي ان شا الله تعالى الكلام على ما تيسر منها في مقصد
عباداته صلى الله عليه وسلم وكانت غيبته صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة خمس عشرة
ليلة وفي البخاري عن جابر قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع فاذا اتينا على شجرة
ظليلة تركناها للنبي صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من المشركين وسيف النبي صلى الله عليه وسلم
معلق بالشجرة فاخترطه يعني سله من غمده فقال تخافني فقال لا قال فمن يمنعك مني
قال الله وعند ابي عوانة فسقط السيف من يده فاخذه عليه الصلاة والسلام من بعد
فقال من يمنعك مني قال كن خير آخذ قال تشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله قال الاعرابي
اعاهدك اني لا اقاتلك ولا اكون مع قوم يقاتلونك قال فخلى سبيله فجاء الى قومه فقال جئتكم من عند
خير الناس وفي رواية عند البخاري ولم يعاقبه وانما لم يواخذه عليه الصلاة والسلام بما صنع وعفي
عنه لشدة رغبته عليه الصلاة والسلام في استيلاف الكفار ليدخلوا في الاسلام وفي رواية
ابي اليمان عند البخاري في الجهاد قال من يمنعك مني ثلاث مرات وهو استفهام انكاري اي لا
يمنعك مني احد وكان الاعرابي قائما على راسه والسيف في يده والنبي صلى الله عليه وسلم
جالس لا سيف معه ويوخذ من مراجعة الاعرابي له في الكلام ان الله سبحانه منع نبيه والا فما
احوجه الى مراجعته مع احتياجه الى الحظوة عند قومه بقتله وفي قوله صلى الله عليه وسلم
في جواب الله اي يمنعني منك اشارة الى ذلك ولذلك لما اعادها الاعرابي فلم يزده على ذلك
الجواب وفي ذلك غاية التهكم وعدم المبالاة به وذكر الواقدي في نحو هذه القصة انه اسلم ورجع
الى قومه فاهتدى به خلق كثير وقال فيه انه رمي بالزلخة حين هم بقتله صلى الله عليه وسلم
فندر السيف من يده وسقط الى الارض والزلخة بضم الزاي وتشديد اللام وجع ياخذ في الصلب
وسمى البخاري قال مسدد عن ابي عوانة عن ابي بشر اسم الرجل غورث بن الحارث اي بالحاء وزن جعفر
وحكى الخطابي فيه غويرث بالتصغير وقد تقدم في غزوة غطفان وهي غزوة ذي امر بناحية
نجد مثل هذه القصة لرجل اسمه دعثور وانه قام على راسه صلى الله عليه وسلم فقال
من يمنعك مني فقال عليه الصلاة والسلام الله ودفع جبريل في صدره فوقع السيف من يده وانه اسلم
قال في عيون الاثر والظاهر ان الخبرين واحد وقال غيره من المحققين الصواب انهما قصتان

غورث

فغزوتين

فغزوتين وفي هذه القصة فرط شجاعته وقوة يقينه وصبره على الاذى وحلمه على الجهال
صلى الله عليه وسلم وفي انصرافه صلى الله عليه وسلم من هذه الغزوة ابطأ جمل جابر
ابن عبد الله فنخسه عليه الصلاة والسلام فانطلق متقدما بين يدي الركاب ثم قال اتبيعنيه
فابتاعه منه وقال لك ظهره الى المدينة فلما وصلها اعطاه الثمن وارجح وهب له الجمل والحديث
اصله في البخاري ولا حجة فيه لجواز بيع وشرط لما وقع فيه من الاضطراب وقيل غير ذلك مما يطول
ذكره والله اعلم غزوة بدر الاخرة وهي الصغرى وتسمى بدر الموعد وكانت في شعبان
بعد ذات الرقاع اقام بها جمادي الاولى الى آخر رجب ثم خرج في شعبان الى بدر لميعاد ابي سفين
وقتال كانت في هلال ذي القعدة وميعاد ابي سفيان هو ما سبق ان ابا سفين قال يوم احد
الموعد بيننا وبينكم بدر العام القابل فقال عليه الصلاة والسلام لرجل من اصحابه قل نعم هو بيننا
وبينكم موعد فخرج عليه الصلاة والسلام ومعه الف وخمسمائة من اصحابه وعشرة افراس واستخلف
على المدينة عبد الله بن رواحة فاقاموا على بدر ينتظرون ابا سفين وخرج ابو سفين حتى نزل مجنة
من ناحية مر الظهران وقيل عسفان ثم بدا له الرجوع وقال يا معشر قريش انه لا يصلحكم الا عام
خصب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن وان عامكم هذا عام جدب واني راجع فارجعوا
فرجع الناس فسماهم اهل مكة جيش السويق يقولون انما خرجتم تشربون السويق واقام عليه
الصلاة والسلام ببدر ثمانية ايام وباعوا ما معهم من التجارة فربحوا للدرهم درهمين فانزل الله
في المؤمنين الذين استجابوا لله والرسول الى قوله فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء
الاية والصحيح ان هذه الاية نزلت في شان حمراء الاسد كما نص عليه العماد بن كثير غزوة
دومة الجندل وهي بضم الدال من دومة وهي مدينة بينها وبين دمشق خمس ليال
وبعدها من المدينة خمس عشرة او ست عشرة ليلة قال ابو عبيد البكري سميت بدومي بن اسمعيل
كان نزلها وكانت في شهر ربيع الاول على راس تسعة واربعين شهرا من الهجرة وكان سببها
انه بلغه صلى الله عليه وسلم ان بها جمعا كثيرا يظلمون من مر بهم فخرج عليه الصلاة والسلام
لخمس ليال بقين من شهر ربيع في الف من اصحابه فكان يسير الليل ويكمن النهار واستخلف
على المدينة سباع بن عرفطة فلما دنا منهم لم يجد الا النعم والشاء فهجم على ماشيتهم ورعاتهم
فاصاب من اصاب وهرب من هرب في كل وجه وجاء الخبر اهل دومة فتفرقوا ونزل عليه
الصلاة والسلام بساحتهم فلم يلق بها احدا فاقام بها اياما وبث السرايا وفرقها فرجعوا ولم يصب
منهم احد ودخل المدينة في العشرين من ربيع الآخر غزوة المريسيع المريسيع
بضم الميم وفتح الراء وسكون التحتانيتين بينهما مهملة مكسورة وآخره عين مهملة وهو ماء
لبني خزاعة بينه وبين الفرع يومان وتسمى غزوة بني المصطلق بضم الميم وسكون
المهملة وفتح الطاء المشالة المهملة وكسر اللام بعدها قاف وهو لقب واسمه خزيمة بن سعد
ابن عمرو بطن من خزاعة وكانت يوم الاثنين لليلتين خلتا من شعبان سنة خمس وفي البخاري
قال ابن اسحق سنة ست وقال موسى بن عقبة سنة اربع انتهى قالوا وكانه سبق قلم اراد
ان يكتب سنة خمس فكتب سنة اربع والذي في مغازي موسى بن عقبة من عدة طرق اخرجها الحاكم
وابو سعد النيسابوري والبيهقي في الدلايل وغيرهم سنة خمس وسببها انه بلغه عليه الصلاة والسلام

غزوة بدر الاخيرة

غزوة دومة الجندل

غزوة المريسيع

ان رئيسهم الحرث بن ابي ضرار سار في قومه ومن قدر عليه من العرب فدعاهم الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجابوه وتهيئوا للمسير معه فبعث عليه الصلاة والسلام بريدة بن الحصيب الاسلمي يعلم علم ذلك فاتاهم ولقي الحرث بن ابي ضرار وكلمه ورجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج عليه الصلاة والسلام مسرعا في بشر كثير من المنافقين لم يخرجوا في غزوة مثلها قط واستخلف على المدينة زيد بن حارثة وقادوا الخيل وكانت ثلاثين فرسا وخرجت عائشة وام سلمة وبلغ الحرث ومن معه مسيره عليه الصلاة والسلام فسيء بذلك هو ومن معه وخافوا خوفا شديدا وتفرق من كان معهم من العرب وبلغ عليه الصلاة والسلام المريسيع وضرب اصحابه ودفع راية المهاجرين الى ابي بكر وراية الانصار الى سعد بن عبادة فتراموا بالنبل ساعة ثم امر عليه الصلاة والسلام اصحابه وحملوا حملة رجل واحد وقتلوا عشرة واسروا سائرهم وسبوا النساء والرجال والذرية والنعم والشاء ولم يقتل من المسلمين الا رجل واحد كذا ذكره ابن اسحق والذي في صحيح البخاري من حديث ابن عمر يدل على انه اغار عليهم على حين غفلة منهم فاوقع بهم ولفظه اغار على بني المصطلق وهم غارون وانعامهم تستقى على الماء فقتل مقاتلهم وسبى ذراريهم وهم على الماء فيحتمل ان يكونوا حين الايقاع بهم ثبتوا قليلا فلما كثر فيهم القتل انهزموا بان يكون لما دهمهم على الماء وتصافوا ووقع القتال بين الطايفتين ثم بعد ذلك وقعت الغلبة عليهم قيل وفي هذه الغزوة نزلت آية التيمم وفي الصحيحين من حديث عائشة انها قالت خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره فذكر حديث التيمم قال في فتح الباري قوله في بعض اسفاره قال ابن عبد البر في التمهيد يقال انه كان في غزوة بني المصطلق وجزم بذلك في الاستذكار وسبقه الى ذلك ابن سعد وابن حبان وغزاة المصطلق هي غزوة المريسيع وفيها كانت قصة الافك لعائشة وكان ابتداء ذلك بسبب وقوع عقدها ايضا فان كان ما جزموا به ثابتا حمل على انه سقط منها في تلك السفرة مرتين لاختلاف القصتين كما هو بين في سياقهما قال واستبعد بعض شيوخنا ذلك لان المريسيع من ناحية مكة بين قديد والساحل وهذه القصة كانت من ناحية خيبر لقولها في الحديث حتى اذا كنا بالبيداء او بذات الجيش وهما بين مكة وخيبر كما جزم به النووي قال وما جزم به مخالف لما جزم به ابن التين فانه قال البيداء هي ذو الحليفة بالقرب من المدينة من طريق مكة وذات الجيش وراء ذي الحليفة وقال ابو عبيد البكري في معجمه ادنى الى مكة من ذي الحليفة ثم ساق حديث عائشة هنا ثم قال وذات الجيش من المدينة على بريد قال وبينها وبين العقيق سبعة اميال والعقيق من طريق مكة لا من طريق خيبر فاستقام ما قاله ابن التين وقد قال قوم بتعدد ضياع العقد ومنهم محمد بن حبيب الاخباري فقال سقط عقد عائشة في غزوة ذات الرقاع وفي غزوة بني المصطلق وقد اختلف اهل المغازي في اي هاتين الغزوتين كانت اولا وقال الداودي كانت قصة التيمم في غزاة الفتح ثم تردد في ذلك وروى ابن ابي شيبة من حديث ابي هريرة قال لما نزلت آية التيمم لم ادر كيف اصنع فهذا يدل على تاخرها عن غزوة بني المصطلق لان اسلام ابي هريرة كان في السنة السابعة وهي بعدها بلا خلاف وكان البخاري يرى ان غزوة ذات الرقاع كانت بعد قدوم ابي موسى وقدومه كان وقت اسلام ابي هريرة ومما يدل على تاخر القصة

ايضا عن قصة الافك ما رواه الطبراني من طريق يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن ابيه عن عائشة رضي الله عنها قالت لما كان من امر عقدي ما كان وقال اهل الافك ما قالوا خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة اخرى فسقط ايضا عقدي حتى حبس الناس على التماسه فقال لي ابو بكر يا بنية في كل سفرة تكونين عناء وبلاء على الناس فانزل الله الرخصة في التيمم فقال ابو بكر انك لمباركة وفي اسناده محمد بن حميد الرازي وفيه مقال وفي سياقه من الفوائد بيان عتاب ابي بكر الذي ابهم في حديث الصحيح والتصريح بان ضياع العقد كان مرتين في غزوتين اثنتين وفي هذه الغزوة قال ابن ابي لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فسمعه زيد بن ارقم ذو الاذن الواعية فحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فارسل الى ابن ابي واصحابه فحلفوا ما قالوا فانزل الله تعالى اذا جاءك المنافقون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صدقك يا زيد رواه البخاري وكانت غيبته عليه الصلاة والسلام في هذه الغزوة ثمانية وعشرين يوما

غزوة الخندق

غزوة الخندق وهي الاحزاب جمع حزب اي طايفة واما تسميتها بالخندق فلاجل الخندق الذي حفر حول المدينة بامره عليه الصلاة والسلام ولم يكن اتخاذ الخندق من شان العرب ولكنه من مكايد الفرس وكان الذي اشار بذلك سلمان فقال يا رسول الله انا كنا بفارس اذا حوصرنا خندقنا علينا فامر النبي صلى الله عليه وسلم بحفره وعمل فيه بنفسه ترغيبا للمسلمين واما تسميتها بالاحزاب فلاجتماع طوايف من المشركين على حرب المسلمين وهم قريش وغطفان واليهود ومن معهم وقد انزل الله تعالى في هذه القصة صدرا من سورة الاحزاب **واختلف** في تاريخها فقال موسى بن عقبة كانت في شوال سنة اربع وقال ابن اسحق في شوال سنة خمس وبذلك جزم غيره من اهل المغازي ومال البخاري الى قول موسى بن عقبة وقواه بقول ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضه يوم احد وهو ابن اربع عشرة ولم يجزه وعرضه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة فاجازه فيكون بينهما سنة واحدة واحد كانت سنة ثلاث فيكون الخندق سنة اربع ولا حجة لنا اذا ثبت لنا انها كانت سنة خمس لاحتمال ان يكون ابن عمر في احد كان اول ما طعن في الرابعة عشر وكان في الاحزاب استكمل الخمس عشرة وبهذا اجاب البيهقي وقال الشيخ ولي الدين بن العراقي المشهور انها في السنة الرابعة **وكان** من حديث هذه الغزوة ان نفرا من اليهود خرجوا حتى قدموا على قريش مكة فقالوا انا سنكون معكم عليه حتى نستاصله فاجتمعوا لذلك واستعدوا ثم خرج اولئك اليهود حتى جاؤوا غطفان من قيس عيلان فدعوهم الى حربه عليه الصلاة والسلام واخبروهم انهم سيكونون معهم عليه وان قريشا قد بايعوهم على ذلك واجتمعوا معهم فخرجت قريش وقايدها ابو سفيان بن حرب وخرجت غطفان وقايدها عيينة بن حصن في فزارة والحرث ابن عوف المري في مرة وكان عدتهم فيما ذكره ابن اسحق عشرة الاف والمسلمون ثلاثة الاف وقيل غير ذلك وذكر ابن سعد انه كان مع المسلمين ستة وثلاثون فرسا **فلما** رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاحزاب وبما اجمعوا عليه من الامر ضرب على المسلمين الخندق فعمل فيه عليه الصلاة والسلام ترغيبا للاجر وعمل معه المسلمون فدأب ودأبوا وابطأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين في عملهم ذلك ناس من المنافقين وجعلوا يورون بالضعيف

عن العمل وفي البخاري عن سهل بن سعد قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في الخندق وهم
يحفرون ونحن ننقل التراب على أكتادنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا عيش
الا عيش الآخره فاغفر للمهاجرين والانصار والاكتاد بالمثناة الفوقية جمع كتد بفتح اوله وكسر
المثناة وهو ما بين الكاهل الى الظهر وفي بعض نسخ البخاري اكبادنا بموحدة وهو موجه على ان
يكون المراد به ما يلي الكبد من الجنب وفي البخاري ايضا عن انس قال فاذا المهاجرون والانصار يحفرون
في غداة باردة فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم فلما راى ما بهم من النصب والجوع فقال

اللهم لا عيش الا عيش الآخره ٭ فاغفر للانصار والمهاجره

فقالوا مجيبين له

نحن الذين بايعوا محمدا ٭ على الجهاد ما بقينا ابدا

قال ابن بطال وقوله اللهم لا عيش الا عيش الآخره هو من قول ابن رواحة تمثل به عليه
الصلاة والسلام وعند الحرث بن ابي اسامة من مرسل طاوس زيادة في آخر الرجز
والعن عضلا والقاره ٭ هم كلفونا ننقل الحجاره ٭ وفي البخاري من حديث البرا قال لما كان
يوم الاحزاب وخندق صلى الله عليه وسلم رايته ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني
الغبار جلدة بطنه وكان كثير الشعر فسمعته يرتجز بكلمات ابن رواحة وهو ينقل التراب ويقول

اللهم لولا انت ما اهتدينا ٭ ولا تصدقنا ولا صلينا

فانزلن سكينة علينا ٭ وثبت الاقدام ان لاقينا

ان الاولى رغبوا علينا ٭ وان ارادوا فتنة ابينا

قال ثم يمد بها صوته وفي رواية له ايضا ان الاولى قد بغوا علينا ٭ اذا ارادوا فتنة ابينا ٭ وفي حديث
سليمن التيمي عن ابي عثمان النهدي انه صلى الله عليه وسلم حين ضرب في الخندق قال
بسم الاله وبه بدينا ٭ ولو عبدنا غيره شقينا ٭ حبذا ربا وحبذا دينا ٭ قال في النهاية يقال بديت
بالشي بكسر الدال اي بدات به فلما خفف الهمز كسر الدال فانقلبت الهمزة يا وليس هو من بنا الياء انتهى
وقد وقع في حفر الخندق ايات من اعلام نبوته عليه الصلاة والسلام منها ما في الصحيحين عن جابر
قال انا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة وهي بضم الكاف وتقديم الدال المهملة على التحتانية
وهي القطعة الصلبة فجاوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا هذه كدية عرضت في الخندق فقام وبطنه
معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة ايام لا نذوق ذواقا فاخذ صلى الله عليه وسلم المعول فضربه فعاد
كثيبا اهيل او اهيم كذا بالشك من الراوي وفي رواية الاسماعيلي باللام من غير شك والمعنى
انه صار رملا يسيل ولا يتماسك واهيم بمعنى اهيل وقد قيل في قوله تعالى فشاربون شرب الهيم
المراد الرمال التي لا تروى بالما وقد وقع عند احمد والنسائي في هذه القصة زيادة باسناد حسن
من حديث البرا قال لما كان حين امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق عرضت لنا
في بعض الخندق صخرة لا تاخذ منها المعاول فاشتكينا ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فجاء واخذ
المعول فقال بسم الله ثم ضرب ضربة فكسر ثلثها وقال الله اكبر اعطيت مفاتيح الشام والله اني لابصر
قصورها الحمر الساعة ثم ضرب الثانية فقطع ثلثا آخر فقال الله اكبر اعطيت مفاتيح فارس والله
اني لابصر قصر المداين الابيض الآن ثم ضرب الثالثة فقال بسم الله فقطع بقية الحجر فقال الله اكبر

اعطيت

اعطيت مفاتيح اليمن والله اني لابصر ابواب صنعا من مكاني الساعة ومن اعلام نبوته صلى الله عليه
وسلم ما ثبت في الصحيح من حديث جابر من تكثير الطعام القليل يوم حفر الخندق كما سياتي ان شا الله
تعالى مستوفى في مقصد المعجزات مع غيره وقد وقع عند موسى بن عقبة انهم اقاموا في عمل الخندق
قريبا من عشرين ليلة وعند الواقدي اربعا وعشرين وفي الروضة للنووي خمسة عشر يوما وفي الهدي
النبوي لابن القيم اقاموا شهرا ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق اقبلت قريش
حتى نزلت بمجتمع السيول في عشرة الاف من احابيشهم ومن تبعهم من بني كنانة وتهامة ونزل
عيينة بن حصن في غطفان ومن تبعهم من اهل نجد الى جانب احد وخرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم الى سلع وكانوا ثلاثة الاف رجل فضرب هنالك
عسكره والخندق بينه وبين القوم وكان لوا المهاجرين بيد زيد بن حارثة ولوا الانصار بيد
سعد بن عبادة وكان صلى الله عليه وسلم يبعث الحرس الى المدينة خوفا على الذراري من بني
قريظة قال ابن اسحق وخرج عدو الله حيي بن اخطب حتى اتى كعب بن اسد القرظي صاحب عقد
بني قريظة وعهدهم وكان قد وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه وعاقده فاغلق كعب دونه
باب حصنه وابى ان يفتح له وقال ويحك يا حيي انك امرو مشوم واني قد عاهدت محمدا فلست
بناقض ما بيني وبينه فاني لم ار منه الا وفا وصدقا فقال ويلك افتح ولم يزل به حتى فتح له
فقال يا كعب جيتك بعز الدهر جيتك بقريش حتى انزلتهم بمجمع الاسيال ومن دونه غطفان
وقد عاهدوني على ان لا يبرحوا حتى نستاصل محمدا ومن معه ولم يزل به حتى نقض عهده
وبري مما كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبد الله بن الزبير قال كنت
يوم الاحزاب انا وعمر بن ابي سلمة مع النسا في اطم حسان فنظرت فاذا الزبير على فرسه يختلف
الى بني قريظة مرتين او ثلاثا فلما رجعت قلت يا ابه رايتك تختلف قال رايتني يا بني قلت نعم قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ياتي بني قريظة فياتيني بخبرهم فانطلقت فلما رجعت
جمع لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ابويه فقال فداك ابي وامي اخرجه الشيخان وقال
الترمذي حديث حسن وفي رواية اصحاب المغازي فلما انتهى الخبر الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعث سعد بن معاذ وسعد بن عبادة ومعهما ابن رواحة وخوات بن جبير ليعرفوا
فوجدوهم على اخبث ما بلغهم عنهم نالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبراوا من عقده
وعهده ثم اقبل السعدان ومن معهما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا عضل والقارة
اي لغدرهما باصحاب الرجيع فعظم عند ذلك البلا واشتد الخوف واتاهم عدوهم من فوقهم ومن
اسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق من بعض المنافقين وانزل الله تعالى واذ
يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا الايات وقال رجال
ممن معه يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا وقال اوس بن قيظي يا رسول الله ان بيوتنا عورة
من العدو فاذن لنا فنرجع الى ديارنا فانها خارج المدينة قال ابن عايذ واقبل نوفل بن عبد الله
ابن المغيرة المخزومي على فرس له ليوثبه الخندق فوقع في الخندق فقتله الله وكبر ذلك
على المشركين فارسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا نعطيكم الدية على ان تدفعوه الينا
فندفنه فرد اليهم صلى الله عليه وسلم انه خبيث خبيث الدية فلعنه الله ولعن ديته

ولا تمنعكم ان تدفنوه ولا ارب لنا في ديته وقال ابن اسحق واقام عليه الصلاة والسلام والمسلمون
وعدوهم بحاصرهم ولم يكن بينهم قتال الا مراماة بالنبل لكن كان عمرو بن ود العامري اقتحم هو ونفر
معه خيولهم من ناحية ضيقة من الخندق حتى صاروا بالسبخة فبارزه علي فقتله وبرز نوفل
ابن عبد الله بن المغيرة فقتله الزبير وقيل قتله علي ورجعت بقية الخيول منهزمة **ورمي**
سعد بن معاذ بسهم فقطع منه الاكحل وهو بفتح الهمزة والمهملة بينهما كاف ساكنة عرق في وسط
الذراع قال الخليل هو عرق الحياة يقال ان في كل عضو منه شعبة فهو في اليد الاكحل وفي الظهر
الابهر وفي الفخذ النسا اذا قطع لم يرقا الدم وكان الذي رمي سعد ابن العرقة احد بني عامر
ابن لوي قال خذها مني وانا ابن العرقة فقال له سعد عرق الله وجهك في النار ثم قال سعد
اللهم ان كنت ابقيت من حرب قريش شيا فابقني لها فانه لا قوم احب الي ان اجاهد من قوم اذوا
رسولك وكذبوه **واقام** عليه الصلاة والسلام واصحابه بضع عشرة ليلة فمشى نعيم
ابن مسعود الاشجعي وهو مخف اسلامه فثبط قوما عن قوم واوقع بينهم شر القوله صلى الله عليه
وسلم الحرب خديعة فاختلفت كلمتهم **وروى** الحاكم عن حذيفة قال لقد رايتنا ليلة الاحزاب
وابو سفين ومن معه من فوقنا وقريظة اسفل منا نخافهم على ذرارينا وما اتت علينا ليلة
اشد ظلمة ولا ريحا منها فجعل المنافقون يستاذنون ويقولون بيوتنا عورة فمر بي النبي صلى الله
عليه وسلم وانا جاث على ركبتي ولم يبق معه الا ثلثمايه فقال اذهب فاتني بخبر القوم قال
ودعا لي فاذهب الله عني القر والفزع فدخلت على عسكرهم فاذا الريح فيهم لا تجاوز شبرا
فلما رجعت رايت فوارس في طريقي فقالوا اخبر صاحبك ان الله كفاه القوم وفي رواية ان حذيفة
لما ارسله عليه الصلاة والسلام لياتيه بالخبر سمع ابا سفين يقول يا معشر قريش انكم والله
ما اصبحتم بدار مقام ولقد هلك الخف والكراع واخلفتنا بنو قريظة ولقينا من هذا الريح ما ترون
فارتحلوا فاني مرتحل ووثب على جمله فما حل عقال يده الا وهو قايم ووقع في البخاري انه عليه
الصلاة والسلام قال في يوم الاحزاب من ياتينا بخبر القوم فقال الزبير انا ثم قال من ياتينا
بخبر القوم فقال الزبير انا قالها ثلثا **وقد** اشكل ذكر الزبير في هذه فقال ابن الملقن وقع هنا
ان الزبير هو الذي ذهب والمشهور انما هو حذيفة بن اليمان قال الحافظ ابن حجر وهذا الحصر
مردود فان القصة التي ذهب لكشفها غير القصة التي ذهب حذيفة لكشفها فقصة الزبير
كانت لكشف خبر بني قريظة هل نقضوا العهد بينهم وبين المسلمين ووافقوا قريشا على محاربة
المسلمين وقصة حذيفة لما اشتد الحصار على المسلمين بالخندق وتمالأت عليهم الطوايف
ثم وقع بين الاحزاب الاختلاف وحذرت كل طايفة من الاخرى وارسل الله عليهم الريح واشتد
البرد تلك الليلة فانتدب عليه الصلاة والسلام من ياتيه بخبر قريش فانتدب له حذيفة
بعد تكرار طلب ذلك وقصته في ذلك لما دخل بين قريش في الليل وعرف قصتهم وفي البخاري
من حديث عبد الله بن ابي اوفى قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاحزاب فقال
اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم **وروى** احمد عن ابي سعيد
قال قلنا يوم الخندق يا رسول الله هل من شي نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر قال نعم اللهم استر
عوراتنا وآمن روعاتنا قال فضرب الله وجوه اعدائنا بالريح وفي ينبوع الحياة لابن ظفر قيل انه

صلى الله

صلى الله عليه وسلم دعا فقال يا صريخ المكروبين يا مجيب المضطرين اكشف همي وغمي وكربي
فانك ترى ما نزل بي وباصحابي فاتاه جبريل فبشره بان الله سبحانه يرسل عليهم ريحا وجنودا فاعلم
اصحابه ورفع يديه قايلا شكرا شكرا وهبت ريح الصبا ليلا فقلعت الاوتاد والقت عليهم الابنية
وكفأت القدور وسفت عليهم التراب ورمتهم بالحصباء وسمعوا في اركان معسكرهم التكبير وقعقعة
السلاح فارتحلوا هرابا في ليلتهم وتركوا ما استثقلوه من متاعهم قال فذلك قوله تعالى ﴿
فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها﴾ وفي البخاري عن علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال يوم الخندق ملا الله بيوتهم وقبورهم نارا كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس
ومقتضى هذا انه استمر اشتغاله بقتال المشركين حتى غابت الشمس ويعارضه ما في صحيح مسلم
عن ابن مسعود انه قال حبس المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة العصر حتى احمرت
الشمس او اصفرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شغلونا عن الصلاة الوسطى الحديث
ومقتضى هذا انه لم يخرج الوقت بالكلية قال الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد الحبس انتهى الى ذلك
الوقت اي الحمرة او الصفرة ولم تقع الصلاة الا بعد الغروب انتهى وفي البخاري عن عمر بن الخطاب
انه جاء يوم الخندق بعد ما كادت الشمس تغرب فقال صلى الله عليه وسلم والله ما صليتها
فنزلنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بطحان فتوضا للصلاة وتوضانا لها فصلى العصر بعد ما غربت
الشمس ثم صلى بعدها المغرب وقد يكون للاشتغال باسباب الصلاة او غيرها ومقتضى هذه
الرواية المشهورة انه لم يفت غير العصر وفي الموطا الظهر والعصر وفي الترمذي عن ابن مسعود
ان المشركين شغلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق عن اربع صلوات وقال ليس
باسناده باس الا ان ابا عبيدة لم يسمع من عبد الله فمال ابن العربي الى الترجيح وقال الصحيح
ان التي اشتغل عنها صلى الله عليه وسلم واحدة وهي العصر وقال النووي طريق الجمع بين هذه
الروايات ان وقعة الخندق بقيت اياما فكان هذا في بعض الايام وهذا في بعضها قال واما تاخيره
عليه الصلاة والسلام صلاة العصر حتى غربت الشمس فكان قبل نزول صلاة الخوف قال العلما
يحتمل انه اخرها نسيانا لا عمدا وكان السبب في النسيان الاشتغال بامر العدو ويحتمل انه
اخرها عمدا للاشتغال بالعدو وكان هذا عذرا في تاخير الصلاة واما اليوم فلا يجوز تاخير
الصلاة عن وقتها بسبب العدو والقتال بل يصلي صلاة الخوف على حسب الحال **وقد اختلف**
في المراد بالصلاة الوسطى وجمع الحافظ الدمياطي في ذلك مولفا سماه كشف المغطى عن الصلاة
الوسطى فبلغ تسع عشرة قولا وهي الصبح والظهر والعصر والمغرب او جميع الصلوات وهو يتناول
الفرايض والنوافل واختاره ابن عبد البر او الجمعة وصححه القاضي حسين في صلاة الخوف
من تعليقه او الظهر في الايام والجمعة يوم الجمعة او العشاء لانها بين صلاتين لا يقصران
او الصبح والعشاء او الصبح والعصر بقوة الادلة وظاهر القرآن الصبح ونص السنة العصر او صلاة
الجماعة او الوتر او صلاة الخوف او صلاة عيد الاضحى او الفطر او صلاة الضحى او واحدة من الخمس
غير معينة او الصبح او العصر على الترديد وهو غير القول السابق او التوقف انتهى **وانصرف**
صلى الله عليه وسلم من غزوة الخندق يوم الاربعاء لسبع ليال بقين من ذي القعدة وكان
قد اقام بالخندق خمسة عشر يوما وقيل اربعة وعشرين يوما وقال عليه الصلاة والسلام

لم نغزوكم قريش بعد عامكم هذا وفي ذلك علم من اعلام النبوة فانه عليه الصلاة والسلام اعتمر
في السنة فصدته قريش عن البيت ووقعت الهدنة بينهم الى ان نقضوها وكان ذلك سبب فتح
مكة فوقع الامر كما قال عليه الصلاة والسلام وسيأتي ذلك ان شاء الله تعالى وقد اخرج
البزار من طريق جابر باسناد حسن شاهدًا لهذا ولفظه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال يوم الاحزاب وقد جمعوا له جموعًا كثيرة لا تغزوكم بعدها ابدًا ولكن انتم تغزونهم **ولما**
دخل صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الاربعا هو واصحابه ووضعوا السلاح جاءه
جبريل عليه السلام متعجرًا بعمامة من استبرق على بغلة عليها قطيفة ديباج وفي رواية
البخاري من حديث عايشة انه لما رجع صلى الله عليه وسلم ووضع السلاح واغتسل اتاه
جبريل فقال قد وضعت السلاح والله ما وضعناه اخرج اليهم واشار الى بني قريظة وعند ابن
عايذ فم فشد عليك سلاحك فوالله لادقنهم دق البيض على الصفا وبعث بو مينذ مناديا ينادي
يا خيل الله اركبوا وعند الحاكم والبيهقي وبعث عليا على المقدمة وخرج صلى الله عليه وسلم
في اثره وعند ابن سعد ثم سار اليهم في المسلمين وهم ثلاثة الاف والخيل ستة وثلاثون فرسا
قال وذلك يوم الاربعا لسبع بقين من ذي القعدة واستعمل على المدينة ابن ام مكتوم فيما قال
ابن هشام ونزل عليه الصلاة والسلام على بير من ابار بني قريظة وتلاحق به الناس فاتى رجال
ولم يصلوا العصر من بعد العشا الآخرة لقوله عليه الصلاة والسلام لا يصلين احد العصر الا في بني
قريظة فصلوا العصر بها بعد عشا الاخرة فما عابهم الله بذلك في كتابه ولا عنفهم به رسول الله صلى الله
عليه وسلم وفي البخاري عن ابن عمر فادرك بعضهم العصر في الطريق وقال بعضهم لا نصلي حتى
ناتيها وقال بعضهم بل نصلي لم يرد منا ذلك فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يعنف واحدا
منهم كذا وقع في جميع النسخ من البخاري انها العصر واتفق عليه جميع اهل المغازي ووقع في مسلم
انها الظهر مع اتفاق البخاري ومسلم على روايته عن شيخ واحد باسناد واحد ووافق مسلما ابو يعلى
واخرون وجمع بين الروايتين باحتمال ان يكون بعضهم قبل الامر كان صلى الظهر وبعضهم لم يصلها
فقيل لمن لم يصلها لا يصلين احد الظهر ولمن صلاها لا يصلين احد العصر وجمع بعضهم باحتمال
ان يكون طايفة منهم راحت بعد طايفة فقيل للطايفة الاولى الظهر وللطايفة التي بعدها العصر
والله اعلم قال ابن اسحق وحاصرهم عليه الصلاة والسلام خمسا وعشرين ليلة حتى اجهدهم
الحصار وعند ابن سعد خمس عشرة وعند ابن عقبة بضع عشرة ليلة وقذف الله في قلوبهم
الرعب فعرض عليهم رئيسهم كعب بن اسد ان يؤمنوا فقال لهم يا معشر يهود قد نزل بكم
من الامر ما ترون واني اعرض عليكم خلالا ثلاثا فخذوا ايها شئتم قالوا وما هي قال نتابع هذا الرجل
ونصدقه فوالله لقد تبين انه لنبي مرسل وانه الذي تجدونه في كتابكم فتامنون على دمائكم
واموالكم وابنائكم ونسائكم فابوا فقال فاذا ابيتم هذه فهلم نقتل ابناءنا ونساءنا ثم نخرج الى محمد واصحابه
رجالا مصلتين بالسيوف لم نترك وراءنا ثقلا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فان نهلك نهلك ولم
نترك وراءنا ما نخشى عليه فقالوا اي عيش لنا بعد ابنائنا ونسائنا فقال ان ابيتم على هذه فان الليلة
ليلة السبت وعسى ان يكون محمد واصحابه قد امنوا فيها فانزلوا لعلنا نصيب من محمد واصحابه
غرة فقالوا ابنفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يحدث فيه من كان قبلنا الا من علمت فاصابه ما لم يخف عليكم

من المسخ وارسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابعث الينا ابا لبابة وهو رفاعة بن عبد
المنذر نستشيره في امرنا فارسله اليهم فلما راوه قام اليه الرجال وجهش اليه النسا والصبيان
يبكون في وجهه فرق لهم وقالوا يا ابا لبابة اترى ان ننزل على حكم محمد قال نعم واشار بيده الى
حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت اني قد خنت الله
ورسوله ثم انطلق ابو لبابة على وجهه فلم يات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ارتبط
في المسجد الى عمود من عمده وقال لا ابرح من مكاني هذا حتى يتوب الله علي مما صنعت
وعاهد الله ان لا يطا بني قريظة ابدًا ولا ارى في بلد خنت الله ورسوله فيها ابدًا فلما بلغ
رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وكان قد استبطاه قال اما لو جاءني لاستغفرت له
واما اذ فعل ما فعل فما انا بالذي اطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه تعالى واقام ابو
لبابة مرتبطا بالجذع ست ليال تاتيه امراته في وقت كل صلاة فتحله للصلاة ثم تعود
فتربطه بالجذع وقال ابو عمر روى وهب عن مالك عن عبد الله بن ابي بكر ان ابا لبابة ارتبط
بسلسلة ثقيلة بضع عشرة ليلة حتى ذهب سمعه فما كاد يسمع وكاد يذهب بصره وكانت
ابنته تحله اذا حضرت الصلاة او اراد ان يذهب لحاجة فاذا فرغ اعادته **وعن**
عبد الله بن قسيط ان توبة ابي لبابة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيت
ام سلمة قالت ام سلمة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من السحر وهو يضحك
قالت قلت مم تضحك اضحك الله سنك قال تيب على ابي لبابة قالت قلت افلا ابشره
يا رسول الله قال بلى ان شيت قال فقامت على باب حجرتها وذلك قبل ان يضرب عليهن
الحجاب فقالت يا ابا لبابة ابشر فقد تاب الله عليك قالت فثار الناس اليه ليطلقوه فقال لا والله
حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقني بيده فلما مر عليه خارجا الى صلاة
الصبح اطلقه **وروى** البيهقي في دلايله بسنده عن مجاهد في قوله تعالى اعترفوا بذنوبهم
قال هو ابو لبابة اذ قال لقريظة ما قال واشار الى حلقه بان محمدا ايذ بحكم ان نزلتم على حكمه
قال البيهقي وزعم محمد بن اسحق بن يسار ان ارتباطه كان حينئذ وقد روينا عن ابن عباس
ما دل على ان ارتباطه بسارية المسجد كان بتخلفه عن غزوة تبوك كما قال ابن المسيب قال
وفي ذلك نزلت هذه الاية **ولما اشتد الحصار بني قريظة** اذعنوا ان ينزلوا على
حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم فيهم سعد بن معاذ وكان قد جعله في خيمة في المسجد
الشريف لامراة من اسلم يقال لها رفيدة وكانت تداوي الجرحا فلما حكمه اتاه قومه فحملوه
على حمار وقد وطؤا له بوسادة من ادم وكان رجلا جسيما ثم اقبلوا معه الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما انتهى سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين قال عليه الصلاة
والسلام قوموا الى سيدكم فاما المهاجرون من قريش فيقولون انما اراد رسول الله صلى الله
عليه وسلم الانصار واما الانصار فيقولون عم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين
فقالوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاك امر مواليك لتحكم فيهم فقال سعد
فاني احكم فيهم ان تقتل الرجال وتقسم الاموال وتسبى الذراري والنسا فقال عليه الصلاة
والسلام لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة ارقعة والذبيح السماسمين بذلك

ولما اشتد الحصار بني قريظة

لا نهار قعت بالنجوم ووقع في البخاري قال قضيت فيهم بحكم الله وربما قال بحكم الملك اي بكسر اللام وفي رواية محمد بن صالح لقد حكمت اليوم فيهم بحكم الله الذي حكم به من فوق سبع سموات وفي حديث جابر عند ابن عائذ فقال احكم فيهم يا سعد فقال الله ورسوله احق بالحكم قال قد امرك الله ان تحكم فيهم وفي هذه القصة جواز الاجتهاد في زمنه صلى الله عليه وسلم وهي مسئلة اختلف فيها اهل الاصول الفقه والمختار الجواز سوا كان في حضرته صلى الله عليه وسلم ام لا وانما استبعد المانع وقوع الاعتماد على الظن مع امكان القطع ولا يضر ذلك لانه بالتقرير يصير قطعيا وقد ثبت وقوع ذلك بحضرته عليه الصلاة والسلام كما في هذه القصة وغيرها انتهى **وانصرف** صلى الله عليه وسلم يوم الخميس لسبع ليال كما قاله الدمياطي او لخمس كما قاله مغلطاي خلون من ذي الحجة وامر عليه الصلاة والسلام ببني قريظة فادخلوا المدينة وحفر لهم اخدود في السوق وجلس صلى الله عليه وسلم ومعه اصحابه واخرجوا اليه فضربت اعناقهم وكانوا ما بين ستمائة الى سبعمائة وقال السهيلي المكثر يقول انهم ما بين الثمانمائة الى السبعمائة وفي حديث جابر عند الترمذي والنسائي وابن حبان باسناد صحيح انهم كانوا اربعمائة مقاتل فيحتمل في طريق الجمع ان يقال ان الباقين كانوا اتباعا واصطفى صلى الله عليه وسلم لنفسه الكريمة ريحانة فتزوجها وقيل كان يطؤها بملك اليمين وامر بالغنائم فجمعت واخرج الخمس من المتاع والسبي ثم امر بالباقي فبيع فيمن يريد وقسمه بين المسلمين فكانت على ثلاثة آلاف واثنين وسبعين سهما للفرس سهمان ولصاحبه سهم وصار الخمس الى محمية بن جزء الزبيدي فكان صلى الله عليه وسلم يعتق منه ويهب ويخدم منه من اراد وكذلك صنع بما صار اليه من الرثة وهو السقط من المتاع **وانفجر** جرح سعد بن معاذ فمات شهيدا وفي البخاري انه دعا اللهم انك تعلم انه ليس احد احب الي ان اجاهدهم فيك من قوم كذبوا رسولك اللهم فاني اظن انك قد وضعت الحرب فافجرها واجعل موتي فيها فانفجرت من لبته فلم يرعهم وفي المسجد خيمة من بني غفار الا الدم يسيل اليهم فقالوا يا اهل الخيمة ما هذا الذي ياتينا من قبلكم فاذا سعد يغذو جرحه دما فمات منها وقد كان ظن سعد مصيبا ودعاؤه في هذه القصة مجابا وذلك انه لم يقع بين المسلمين وبين قريش من بعد وقعة الخندق حرب يكون ابتداء القصد فيه من المشركين فانه عليه الصلاة والسلام تجهز الى العمرة فصدوه عن دخول مكة وكاد الحرب ان يقع بينهم فلم يقع كما قال تعالى وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم ثم وقعت الهدنة واعتمر عليه الصلاة والسلام من قابل واستمر ذلك الى ان نقضوا العهد فتوجه اليهم غازيا ففتحت مكة فعلى هذا فالمراد بقوله اظن انك قد وضعت الحرب اي ان يقصدونا محاربين وهو كقوله عليه الصلاة والسلام نغزوهم ولا يغزونا كما تقدم وقد بين سبب انفجار جرح سعد في مرسل حميد بن هلال عند ابي سعيد ولفظه انه مرت به عنز وهو مضطجع فاصاب ظلفها موضع النحر فانفجرت حتى مات وحضر جنازته سبعون الف ملك واهتز لموته عرش الرحمن رواه الشيخان قال النووي اختلف العلماء في تاويله فقالت طائفة هو على ظاهره واهتزاز العرش تحركه فرحا بقدوم روح سعد وجعل الله تعالى في العرش تمييزا حصل به هذا ولا مانع منه كما قال تعالى وان منها لما يهبط من خشية الله وهذا القول هو ظاهر الحديث وهو المختار وقال المازري قال بعضهم هو على حقيقته وان العرش تحرك لموته

قال وهذا لا ينكر من جهة العقل لان العرش جسم من الاجسام يقبل الحركة والسكون قال لكن لا تحصل فضيلة سعد بذلك الا ان يقال ان الله تعالى جعل حركته علامة للملائكة على موته وقال آخرون المراد بالاهتزاز الاستبشار والقبول ومنه قول العرب فلان يهتز للمكارم لا يريدون اضطراب جسمه وحركته وانما يريدون ارتياحه اليها واقباله عليها وقال الحربي هو عبارة عن تعظيم شان وفاته والعرب تنسب الشي المعظم الى اعظم الاشيا فيقولون اظلمت لموته فلان الارض وقامت له القيامة وقال جماعة المراد اهتزاز سرير الجنازة وهو النعش وهذا القول باطل يرده صريح الروايات التي ذكرها مسلم اهتز لموته عرش الرحمن وانما قال هولا هذا التاويل لكونهم لم تبلغهم هذه الروايات التي ذكرها مسلم والله اعلم انتهى وقيل المراد باهتزاز العرش اهتزاز حملة العرش وصحح الترمذي من حديث انس قال لما حملت جنازة سعد بن معاذ قال المنافقون ما اخف جنازته فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الملائكة كانت تحمله **وعن** البراء قال اهديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم حلة حرير فجعل الصحابة يمسونها ويعجبون من لينها فقال صلى الله عليه وسلم تعجبون من لين هذه لمناديل سعد ابن معاذ في الجنة خير منها والين هذا اللفظ رواية ابي نعيم في مستخرجه على مسلم والمناديل جمع منديل بكسر الميم في المفرد وهو معروف قال العلماء وهذا اشارة الى عظيم منزلة سعد في الجنة وان ادنى ثيابه فيها خير من هذه لان المنديل ادنى الثياب لانه معد للوسخ والامتهان فغيره افضل منه **واخرج** ابن سعد وابو نعيم من طريق محمد بن المنكدر عن محمد بن شرحبيل بن حسنة قال قبض انسان يومئذ بيده من تراب قبره قبضة فذهب بها ثم نظر اليها بعد ذلك فاذا هي مسك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله سبحان الله حتى عرف ذلك في وجهه فقال الحمد لله لو كان احد ناجيا من ضمة القبر لنجا منها ضم ضمة ثم فرج الله عنه **واخرج** ابن سعد عن ابي سعيد الخدري قال كنت ممن حفر لسعد قبره فكان يفوح علينا المسك كلما حفرنا **قال** الحافظ مغلطاي وغيره وفي هذه السنة فرض الحج وقيل سنة ست وصححه غير واحد وهو قول الجمهور وقيل سنة سبع وقيل سنة ثمان ورجحه جماعة من العلماء وسياتي البحث في ذلك ان شا الله تعالى في ذكر وفد عبد القيس من المقصد الثاني وفي ذكر حجه عليه الصلاة والسلام من مقصد عباداته **ثم سرية محمد ابن مسلمة الى القرطاء** بطن من بني ابي بكر بن كلاب وهم ينزلون بناحية ضرية بالبكرات وبين ضرية والمدينة سبع ليال لعشر ليال خلون من المحرم سنة ست على راس تسعة وخمسين شهرا من الهجرة بعثه في ثلاثين راكبا فلما اغار عليهم هرب سائرهم وعند الدمياطي فقتل نفرا منهم وهرب سائرهم واستاق نعما وشاء وقدم المدينة بليلة بقيت من المحرم ومعه ثمامة بن اثال الحنفي اسيرا فربط بامره عليه الصلاة والسلام بسارية من سواري المسجد ثم اطلق بامره عليه الصلاة والسلام ايضا فاغتسل واسلم وقال يا محمد والله ما كان على الارض وجه ابغض الي من وجهك فقد اصبح وجهك احب الوجوه الي والله ما كان من دين ابغض الي من دينك فاصبح دينك احب الاديان كلها الي والله ما كان من بلد ابغض الي من بلدك فاصبح بلدك احب البلاد الي وان خيلك اخذتني وانا اريد العمرة فماذا ترى فبشره النبي صلى الله عليه وسلم

سرية محمد بن مسلمة الى القرطاء

وامره ان يعتمر فلما قدم مكة قال له قايل صبوت قال لا ولكن دين الاسلام أسلمت مع النبي
صلى الله عليه وسلم ولا والله لا ياتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى ياذن فيها النبي صلى الله عليه
وسلم ذكر قصته البخاري **ثم غزوة بني لحيان** بكسر اللام وفتحها لغتان في ربيع الاول
سنة ست من الهجرة وذكرها ابن اسحق في جمادى الاولى على راس ستة اشهر من قريظة
قال ابن حزم الصحيح انها في الخامسة قالوا وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عاصم بن
ثابت واصحابه وجدا شديدا فاظهر انه يريد الشام وعسكر في مايتي رجل ومعهم عشرون فرسا
واستخلف على المدينة عبد الله بن ام مكتوم ثم اسرع السير حتى انتهى الى بطن غران وادي بين
امج وعسفان وبينها وبين عسفان خمسة اميال حيث كان مصاب اصحابه اهل الرجيع الذين
قتلوا ببير معونة فترحم عليهم ودعا لهم فسمعت به بنو لحيان فهربوا في روس الجبال فلم يقدر
منهم على احد فاقام يوما او يومين يبعث السرايا في كل ناحية ثم خرج حتى اتى عسفان فبعث
ابا بكر في عشرة فوارس لتسمع به قريش فيذعرهم فاتوا كراع ثم رجعوا ولم يلقوا احدا وانصرف
صلى الله عليه وسلم الى المدينة ولم يلق كيدا وهو يقول آيبون تايبون عابدون لربنا حامدون
وغاب عن المدينة اربع عشرة ليلة وقيل سبعة عشر ليلة **غزوة الغابة**
وتعرف بذي قرد بفتح القاف والراء وبالدال المهملة وهو ماء على بريد من المدينة في ربيع الاول
سنة ست قبل الحديبية وعند البخاري انها كانت قبل خيبر بثلاثة ايام وفي مسلم نحوه
قال مغلطاي وفي ذلك نظر لاجماع اهل السير على خلافهما انتهى قال القرطبي شارح مسلم
لا يختلف اهل السير ان غزوة ذي قرد كانت قبل الحديبية وقال الحافظ ابن حجر ما في الصحيح
من التاريخ لغزوة ذي قرد اصح مما ذكره اهل السير انتهى وسببها انه كان لرسول الله صلى الله
عليه وسلم عشرون لقحة وهي ذوات اللبن القريبة العهد بالولادة ترعى بالغابة وكان
ابو ذر فيها فاغار عليهم عيينة بن حصن الفزاري ليلة الاربعاء في اربعين فارسا فاستاقوها وقتلوا
ابن ابي ذر وقال ابن اسحق وكان فيهم رجل من غفار وامراة فقتلوا الرجل وسبوا المراة فركبت
ناقة للنبي صلى الله عليه وسلم ليلا على حين غفلتهم ونذرت لئن نجت لتنحرنها فلما قدمت على النبي صلى الله
عليه وسلم اخبرته بذلك فقال لا نذر في معصية ولا لاحد فيما لا يملك ونودي يا خيل الله اركبوا
وكان اول ما نودي بها وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم في خمسماية وقيل سبع ماية واستخلف
على المدينة ابن ام مكتوم وخلف سعد بن عبادة في ثلثماية يحرسون المدينة وكان قد عقد للمقداد
ابن عمرو لوا في رمحه وقال له امض حتى تلحقك الخيول وانا على اثرك فادرك اخريات العدو وقتل
ابو قتادة مسعدة فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسه وسلاحه وقتل عكاشة
ابن محصن ابان بن عمرو وقتل من المسلمين محرز بن نضلة قتله مسعدة وادرك سلمة بن الاكوع
القوم وهو على رجليه فجعل يرميهم بالنبل ويقول خذها وانا ابن الاكوع واليوم يوم الرضع
يوم هلاك اللام من قولهم لييم راضع اي رضع اللوم في بطن امه وقيل معناه اليوم يعرف
من ارضعته الحرب من صغره وتدرب بها او يعرف غيره ولحق رسول الله صلى الله عليه وسلم
الناس والخيول عشاء قال سلمة فقلت يا رسول الله ان القوم عطاش فلو بعثتني في ماية
رجل استنقذت ما في ايديهم من السرح واخذت باعناق القوم قال صلى الله عليه وسلم ملكت

فاسجح

فاسجح وهي همزة قطع ثم سين مهملة ثم جيم مكسورة ثم حاء مهملة اي فارفق واحسن والسجاحة
السهولة اي لا تاخذ بالشدة بل ارفق فقد حصلت النكاية بالعدو ولله الحمد ثم قال انهم الان ليقرون
في غطفان وذهب الصريخ الى بني عمرو بن عوف فجاءت الامداد ولم تزل الخيل تاتي والرجال على اقدامهم
وعلى الابل حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذي قرد فاستنقذوا عشر لقاح وافلت
القوم بما بقي وهي عشر فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذي قرد صلاة الخوف واقام يوما
وليلة ورجع وقد غاب خمس ليال وقسم في كل ماية من اصحابه جزورا ينحرونها **سرية عكاشة
ابن محصن الاسدي** الى غمر مرزوق بالغين المعجمة المكسورة وهو ماء لبني اسد على ليلتين
من فيد في شهر ربيع الاول سنة ست من الهجرة في اربعين رجلا فخرج سريعا فنذر به القوم
بكسر الذال المعجمة كفرح فهربوا فنزلوا عليا بلادهم فاستاقوا مايتي بعير وقدموا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولم يلقوا كيدا **ثم سرية محمد بن مسلمة** الى ذي القصة
بالقاف والصاد المهملة المشددة المفتوحتين موضع بينه وبين المدينة اربعة وعشرون
ميلا في شهر ربيع الاول سنة ست من الهجرة ومعه عشرة الى بني ثعلبة فورد عليهم ليلا
فاحدق به القوم وهم ماية رجل فتراموا ساعة من الليل ثم حملت الاعراب عليهم بالرماح
فقتلوهم الا محمد بن مسلمة فوقع جريحا وجردوهم من ثيابهم ومر رجل من المسلمين بمحمد
ابن مسلمة فحمله حتى ورد به المدينة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا عبيدة بن الجراح
في ربيع الآخر في اربعين رجلا الى مصارعهم فاغاروا عليهم فاعجزوهم هربا في الجبال واصاب رجلا
واحدا فاسلم وتركه واخذ نعما من نعمهم فاستاقه ورثة من متاعهم فقدم به المدينة فخمسه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقسم ما بقي عليهم قال في القاموس الرث السقط من متاع
كالرثة بالكسر **سرية زيد بن حارثة** الى بني سليم بالجموم وبناد الجموم ناحية ببطن
نخل من المدينة على اربعة اميال في شهر ربيع الاخرة سنة ست فاصابوا امراة من مزينة
يقال لها حليمة فدلتهم على محلة من محال بني سليم فاصابوا نعما وشاء واسرى فكان فيهم زوج
حليمة المزنية فلما قفل زيد بما اصاب وهب رسول الله صلى الله عليه وسلم للمزنية نفسها
وزوجها **سرية زيد بن حارثة ايضا** الى العيص موضع على اربعة ليال
من المدينة في جمادى الاولى سنة ست ومعه سبعون راكبا لما بلغه عليه الصلاة والسلام
ان عيرا لقريش قد اقبلت من الشام فتعرض لها فاخذوها وما فيها واخذ يوميذ فضة كثيرة
لصفوان بن امية واسر منهم ناسا منهم أبو العاص بن الربيع وقدم بهم المدينة فاجارته
زوجته زينب ابنة النبي صلى الله عليه وسلم ونادت في الناس حين صلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم الفجر اني قد اجرت ابا العاص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما علمت بشي
من هذا وقد اجرنا من اجرت ورد عليه ما اخذ وذكر ابن عقبة ان اسره كان على يد ابي بصير
بعد الحديبية وكانت هاجرت قبله وتركته على شركه وردها النبي صلى الله عليه وسلم
بالنكاح الاول قيل بعد سنتين وقيل بعد ست سنين وقيل قبل انقضاء العدة وفي حديث
عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده وردها له بنكاح جديد سنة سبع **سرية زيد
ابن حارثة ايضا** الى الطرف وهو ماء على ستة وثلاثين ميلا من المدينة في جمادى الاخرة

سرية عكاشة بن محصن الاسدي

سرية محمد بن مسلمة

سرية زيد بن حارثة

سرية زيد بن حارثة ايضا

غزوة بني لحيان

سنة ست فخرج الى بني ثعلبة في خمسة عشر رجلا فاصاب نعما وشاء وهربت الاعراب وصبح زيد
بالنعم المدينة وهي عشرون بعيرا ولم يلق كيدا وغاب اربع ليال **سرية زيد ايضا**
الى حسمى بكسر المهملة وهي وراء وادي القرى وكانت في جمادى الآخرة سنة ست وسببها انه
اقبل دحية بن خليفة الكلبي من عند قيصر وقد اجازه وكساه فلقيه الهنيد في ناس من جذام
بحسمى فقطعوا عليه الطريق فسمع بذلك نفر من بني الضبيب فنفروا اليهم فاستنقذوا
لدحية متاعه وقدم دحية على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فبعث زيد
ابن حارثة وخمسماية رجل ورد معه دحية فكان زيد يسير الليل ويكمن النهار فاقبل بهم
حتى هجموا مع الصبح على القوم فاغاروا عليهم فقتلوا فيهم فاوجعوا وقتلوا الهنيد وابنه
واغاروا على ماشيتهم ونعمهم ونسائهم فاخذوا من النعم الف شاة ومائة من النساء والصبيان
فرحل زيد بن رفاعة الجذامي في نفر من قومه فدفع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابه
الذي كان كتبه له ولقومه ليالي قدم عليه فاسلم وبعث صلى الله عليه وسلم عليا الى زيد بن حارثة
يامره ان يخلي بينهم وبين حرمهم واموالهم فرد عليهم **سرية زيد ايضا** الى وادي القرى
في رجب سنة ست فقتل من المسلمين قتلى وارتث زيد اي حمل من المعركة رثيثا اي جريحا
وبه رمق وهو مبني للمجهول قاله في القاموس **ثم سرية عبد الرحمن بن عوف**
الى دومة الجندل في شعبان سنة ست قالوا دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن
ابن عوف فاقعده بين يديه وعممه بيده وقال اغز بسم الله وفي سبيل الله فقاتل من كفر
بالله ولا تغدر ولا تقتل وليدا وبعثه الى كلب بدومة الجندل وقال ان استجابوا لك
فتزوج ابنة ملكهم فسار عبد الرحمن حتى قدم دومة الجندل فمكث ثلاثة ايام يدعوهم
الى الاسلام فاسلم الاصبغ بن عمرو الكلبي وكان نصرانيا وكان راسهم واسلم معه ناس كثير
من قومه واقام من اقام على اعطاء الجزية وتزوج عبد الرحمن تماضر بضم المثناة الفوقية
وكسر الضاد المعجمة بنت الاصبغ وقدم بها المدينة فولدت له ابا سلمة **سرية علي
ابن ابي طالب** في شعبان سنة ست من الهجرة ومعه ماية رجل الى بني سعد
ابن بكر لما بلغه صلى الله عليه وسلم ان لهم جمعا يريدون ان يمدوا اهل خيبر فاغاروا
عليهم بين فدك وخيبر فاخذوا خمسماية بعير والفي شاة وهربت بنو سعد وقدم علي
ومن معه المدينة ولم يلقوا كيدا **سرية زيد بن حارثة الى ام قرفة**
فاطمة بنت ربيعة بن زيد الفزارية بناحية وادي القرى على سبع ليال من المدينة
في رمضان سنة ست من الهجرة وكان سببها ان زيد بن حارثة خرج في تجارة الى الشام
ومعه بضائع لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان بوادي القرى لقيه ناس
من فزارة من بني بدر فضربوه وضربوا اصحابه واخذوا ما كان معهم وقدم على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاخبره فبعثه عليه الصلاة والسلام اليهم فكمن واصحابه بالنهار
وساروا بالليل ثم صبحهم زيد واصحابه فكبروا واحاطوا بالحاضر واخذوا ام قرفة
وكانت ملكة رئيسة واخذوا ابنتها بنت مالك بن حذيفة بن بدر وعمد قيس بن المحسر
الى ام قرفة وهي عجوز كبيرة فقتلها قتلا عنيفا وربط بين رجليها حبلا ثم ربطها بين

بعيرين

سرية زيد ايضا

سرية عبد الله بن عتيك

بعيرين ثم زجرهما فذهبا فقطعاها وقدم زيد بن حارثة من وجهه ذلك فقرع باب النبي
صلى الله عليه وسلم فقام اليه عريانا يجر ثوبه حتى اعتنقه وقبله وسأله فاخبره
بما ظفره الله به **سرية عبد الله بن عتيك** لقتل ابي رافع عبد الله ويقال
سلام بن ابي الحقيق اليهودي وهو الذي حزب الاحزاب يوم الخندق وكانت هذه السرية
في شهر رمضان سنة ست كذا ذكره ابن سعد هنا وذكر في ترجمة عبد الله بن عتيك انه
بعثه في ذي الحجة الى ابي رافع سنة خمس بعد وقعة بني قريظة وقيل في جمادى الآخرة
سنة ثلاث وفي البخاري قال الزهري بعد قتل كعب بن الاشرف وارسل معه الاربعة
عبد الله بن عتيك وعبد الله بن انيس وابا قتادة والاسود بن خزاعي ومسعود بن سنان
وامرهم بقتله فذهبوا الى خيبر فكمنوا فلما هدأت الرجل جاؤا الى منزله فصعدوا درجة له
وقدموا عبد الله بن عتيك لانه كان يرطن باليهودية فاستفتح وقال جئت ابا رافع بهدية
ففتحت له امرأته فلما رأت السلاح ارادت ان تصيح فاشار اليها بالسيف فسكتت فدخلوا
عليه فما عرفوه الا ببياضه فعلوه باسيافهم وفي البخاري وكان ابو رافع يؤذي رسول الله
ويعين عليه وكان في حصن له بارض الحجاز فلما دنوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس بسرحهم
قال عبد الله لاصحابه اجلسوا مكانكم فاني منطلق ومتلطف للبواب لعلي أن أدخل فاقبل
حتى دنا من الباب ثم تقنع بثوبه كأنه يقضي حاجة وقد دخل الناس فهتف به البواب يا عبد الله
ان كنت تريد ان تدخل فادخل فاني اريد ان اغلق الباب فدخلت فكمنت فلما دخل الناس اغلق
الباب ثم علق الاغاليق قال فقمت الى الاقاليد فاخذتها ففتحت الباب وكان ابو رافع يسمر عنده
وكان في علالي له فلما ذهب عنه اهل سمره صعدت اليه فجعلت كلما فتحت بابا اغلقت علي
من داخل فانتهيت اليه فاذا هو في بيت مظلم وسط عياله لا ادري اين هو من البيت
قلت ابا رافع قال من هذا فاهويت نحو الصوت فاضربه ضربة بالسيف وانا دهش فما
أغنيت وصاح فخرجت من البيت قلت ابا رافع قال من هذا فامكث غير بعيد ثم دخلت
عليه فقلت ما هذا الصوت يا ابا رافع فقال لامك الويل ان رجلا في البيت ضربني قبل
بالسيف قال فاضربه ضربة اثخنته ولم اقتله ثم وضعت ضبيب السيف في بطنه حتى
أخذ في ظهره فعرفت اني قتلته وفي رواية له ثم جئت كاني اغيثه فقلت ما لك يا ابا رافع
وغيرت الصوت فقال لامك الويل دخل علي رجل فضربني قال فعمدت له ايضا فاضربه
اخرى فلم تغن شيئا فصاح وقام اهله قال ثم جئت وغيرت صوتي كهيئة المغيث واذا هو
مستلق على ظهره فاضع السيف في بطنه ثم انكفئ عليه حتى سمعت صوت العظم فجعلت افتح
الابواب حتى انتهيت الى درجة له فوضعت رجلي وانا ارى اني قد انتهيت الى الارض
فوقعت في ليلة مقمرة فانكسرت ساقي فعصبتها بعمامة فلما صاح الديك قام الناعي على
السور فانطلقت الى اصحابي فقلت النجاء فقد قتل الله ابا رافع فانتهيت الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فحدثته فقال ابسط رجلك فمسحها فكانما لم اشتكها قط هذا لفظ
رواية البخاري وفي رواية محمد بن سعد ان الذي قتله عبد الله بن انيس والصواب
ان الذي دخل عليه وقتله عبد الله بن عتيك وحده كما في البخاري **سرية عبد الله**

سرية عبد الله بن رواحة الى اسير بن زارم بخيبر

ابن رواحة الى اسير بن زارم اليهودي بخيبر في شوال سنة ست وكان سببها
انه لما قتل ابو رافع سلام بن ابي الحقيق امرت يهود عليها اسيرا فسار في غطفان وغيرهم
يجمعهم لحربه صلى الله عليه وسلم وبلغه ذلك فوجه عبد الله بن رواحة في ثلاثة نفر
في شهر رمضان سرا فسأل عن خبره وغرته فاخبر بذلك فقدم على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاخبره فندب عليه الصلاة والسلام الناس فانتدب له ثلاثون رجلا فبعث عليهم
عبد الله بن رواحة فقدموا عليه وقالوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنا اليك
لتخرج اليه يستعملك على خيبر ويحسن اليك فطمع في ذلك فخرج وخرج معه ثلاثون رجلا
من اليهود مع كل رجل رديف من المسلمين حتى اذا كانوا بقرقرة ضربه عبد الله بن انيس
بالسيف وكان في السرية فسقط عن بعيره وما لوا على اصحابه فقتلوهم غير رجل ولم يصب
من المسلمين احد ثم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد نجاكم الله من القوم
الظالمين **سرية كرز بن جابر الفهري** بضم الكاف وسكون الراء بعدها زاي الى
العرنيين بضم العين وفتح الراء المهملتين حي من قضاعة وحي من بجيلة والمراد هنا الثاني
كذا ذكره ابن عقبة في المغازي وذكر ابن اسحق ان قدومهم كان بعد غزوة ذي قرد وكانت
في جمادى الآخرة سنة ست وذكرها البخاري بعد الحديبية وكانت في ذي القعدة منها
وعند الواقدي في شوال منها وتبعه ابن سعد وابن حبان وفي البخاري في كتاب المغازي عن
انس ان ناسا من عكل بضم العين وسكون الكاف وعرينة قدموا على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وتكلموا بالاسلام فقالوا يا نبي الله انا كنا اهل ضرع ولم نكن اهل ريف واستوخموا المدينة
فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذود وراع وامرهم ان يخرجوا فيه فليشربوا من البانها
وابوالها فانطلقوا حتى اذا كانوا ناحية الحرة كفروا بعد اسلامهم وقتلوا راعي النبي صلى الله
عليه وسلم واستاقوا الذود فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فبعث الطلب في آثارهم فامر
بهم فسمروا اعينهم وقطعوا ايديهم وتركوا في ناحية الحرة حتى ماتوا على حالهم وفي لفظ وسمر
اعينهم ثم نبذوا في الشمس حتى ماتوا وفي لفظ ولم يحسمهم اي لم يكو مواضع القطع فينحسم
الدم قال انس انما سمل رسول الله صلى الله عليه وسلم اعينهم لانهم سملوا اعين الراعي
رواه مسلم فيكون ما فعله بهم قصاصا وفي رواية انهم كانوا ثمانية وعند البخاري ايضا
في المحاربين انهم كانوا في الصفة قبل ان يطلبوا الخروج الى الابل وفي رواية قال انس
فلقد رأيت احدهم يكدم الارض حتى ماتوا وعند الدمياطي كابن سعد ان اللقاح كانت خمس عشرة
لقحة بكسر اللام وسكون القاف ويقال لها ذلك الى ثلاثة اشهر وفي صحيح مسلم ان السرية
كانت عشرين فارسا من الانصار وروى ابن مردويه عن سلمة بن الاكوع قال كان للنبي صلى الله
عليه وسلم مولى يقال له يسار فنظر اليه يحسن الصلاة فاعتقه وبعثه في لقاح له بالحرة
فكان بها قال فاظهر قوم الاسلام من عرينة وجاءوا وهم مرضى موعوكون قد عظمت بطونهم
وعدوا على يسار فذبحوه وجعلوا الشوك في عينيه ثم طردوا الابل فبعث النبي صلى الله
عليه وسلم في آثارهم خيلا من المسلمين اميرهم كرز بن جابر الفهري فلحقهم فجاء بهم اليه
فقطع ايديهم وارجلهم وسمل اعينهم قال ابن كثير غريب جدا وروى ابن جرير عن محمد بن

ابرهيم

ابرهيم عن جرير بن عبد الله البجلي قال قدم على النبي صلى الله عليه وسلم قوم من عرينة العرب
وفيه قال جرير بن عبد الله فبعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من المسلمين
حتى ادركناهم فقطع ايديهم وارجلهم من خلاف وسمل اعينهم فجعلوا يقولون الماء ورسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول النار يعني فهلكوا قال وكره الله عز وجل سمل الاعين فانزل الله
هذه الآية انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الى آخر الآية وهو حديث غريب ضعيف وفيه
ان امير السرية جرير بن عبد الله البجلي قال مغلطاي وفيه نظر لان اسلام جرير كان بعد
هذه بنحو اربع سنين وفي صحاح ابن عقبة ان امير هذه السرية سعيد بن زيد كذا عنده
بزيادة يا وعند غيره انه سعد بسكون العين بن زيد الاشهلي وهذا انصاري فيحتمل انه
كان رأس الانصار وكان كرز امير الجماعة واما قوله فكره الله سمل الاعين فانزل هذه
الآية فانه منكر فقد تقدم في صحيح مسلم انهم سملوا اعين الرعاة فكان ما فعل بهم قصاصا
والله اعلم **تنبيه** قال في فتح الباري وزعم ابن التين تبعا للداودي ان عرينة هم عكل
وهو غلط بل هما قبيلتان متغايرتان عكل من عدنان وعرينة من قحطان **ثم سرية**
عمرو بن امية الضمري الى ابي سفيان بن حرب بمكة لانه ارسل للنبي صلى الله عليه
وسلم من يقتله غدرا فاقبل الرجل ومعه خنجر ليغتاله فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان هذا ليريد غدرا فجذبه اسيد بن الحضير بداخلة ازاره فاذا بالخنجر فسقط في يده
فقال صلى الله عليه وسلم اصدقني ما انت قال وانا آمن قال نعم فاخبره بخبره فخلى عنه
صلى الله عليه وسلم وبعث عمرو بن امية ومعه سلمة بن اسلم ويقال جبار بن صخر الى ابي
سفين وقال ان اصبتما منه غرة فاقتلاه ومضى عمرو بن امية يطوف بالبيت ليلا فرآه
معاوية بن ابي سفيان فاخبر قريشا بمكانه فخافوه وطلبوه وكان فاتكا في الجاهلية فحشدوا له
اهل مكة وتجمعوا فهرب عمرو وسلمة فلقي عمرو عبيد الله بن مالك التيمي فقتله وقتل آخر
ولقي رسولين لقريش بعثتهما يتجسسان الخبر فقتل احدهما واسر الآخر فقدم به المدينة فجعل
عمرو يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وهو عليه الصلاة والسلام يضحك **بئر الحديبية**
بتخفيف الياء وتشديدها وهي بئر سمي المكان بها وقيل شجرة وقال المحب الطبري قرية
قريبة من مكة اكثرها في الحرم وهي على تسعة اميال من مكة خرج عليه الصلاة
والسلام يوم الاثنين هلال ذي القعدة سنة ست من الهجرة للعمرة واخرج معه زوجته
ام سلمة في الف واربعمائة ويقال الف وخمسمائة وقيل الف وثلثمائة والجمع بين هذا الاختلاف
انهم كانوا اكثر من الف واربعمائة فمن قال الف وخمسمائة جبر الكسر ومن قال الفا واربعمائة
الغاه ويؤيده رواية البراء الفا واربعمائة او اكثر واعتمد على هذا الجمع النووي واما رواية الف
وثلثمائة فيمكن حملها على ما اطلع هو عليه واطلع غيره على زيادة مائتين لم يطلع هو عليهم
والزيادة من الثقة مقبولة واما قول ابن اسحق الف وسبعمائة فلم يوافقه احد عليه
لانه قاله استنباطا من قول جابر نحرنا البدنة عن عشرة وكانوا نحروا سبعين بدنة وهذا
يدل على انهم كانوا نحروا غير البدن مع ان بعضهم لم يكن احرم اصلا وجزم موسى بن عقبة
بانهم كانوا الفا وستمائة وعند ابن ابي شيبة من حديث سلمة بن الاكوع الف وسبعمائة

سرية عمرو بن امية الضمري

بئر الحديبية

وحكى ابن سعد انها الفا وخمسمائة وخمسة وعشرين واستخلف على المدينة ابن ام مكتوم ولم يخرج
معه بسلاح الا سلاح المسافر السيوف في القرب وفي البخاري في المغازي عن المسور بن مخرمة
ومروان بن الحكم قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية في بضع عشرة مائة
من اصحابه فلما كان بذي الحليفة قلد الهدي واشعر واحرم منها وفي رواية احرم منها بعمرة
وبعث عينا له من خزاعة وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى كان بغدير الاشطاط اتاه
عينه فقال ان قريشا جمعوا لك جموعا وقد جمعوا لك الاحابيش وهم مقاتلوك وصادوك عن
البيت ومانعوك فقال اشيروا علي ايها الناس اترون ان اميل الى عيالهم وذراري هولاء
الذين يريدون ان يصدونا عن البيت وفيه قال ابو بكر يا رسول الله خرجت عامدا لهذا البيت
لا تريد قتل احد ولا حرب احد فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه قال امضوا على اسم الله
وزاد احمد كان ابو هريرة يقول ما رايت احدا قط كان اكثر مشاورة لاصحابه من رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفي رواية للبخاري حتى اذا كانوا ببعض الطريق قال النبي صلى الله
عليه وسلم ان خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين فوالله
ما شعر بهم خالد حتى اذا هم بقترة الجيش فانطلق يركض نذيرا لقريش وسار النبي صلى الله
عليه وسلم حتى اذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت راحلته فقال الناس حل حل
فالحت يعني تمادت على عدم القيام فقالوا خلات القصوا خلات القصوا فقال النبي تمادت
صلى الله عليه وسلم ما خلات القصوا وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل اي حبسها الله
عن دخول مكة كما حبس الفيل عن دخولها ومناسبته ذلك ان الصحابة لو دخلوا مكة على تلك
الصورة وصدتهم قريش لوقع بينهم القتال المفضي الى سفك الدما ونهب الاموال كما لو قدر
دخول الفيل لكن سبق في علم الله انه سيدخل في الاسلام منهم خلق ويستخرج من اصلابهم ناس
يسلمون ويجاهدون انتهى ثم قال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يسالوني خطة
يعظمون فيها حرمات الله الا اعطيتهم اياها ثم زجرها فوثبت قال فعدل عنهم حتى نزل
باقصى الحديبية على ثمد قليل الما يعني حفرة فيها ما قليل يتبرضه الناس تبرضا اي ياخذونه
قليلا قليلا فلم يلبثه الناس حتى نزحوه وشكي الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش
فانتزع سهما من كنانته ثم امرهم ان يجعلوه فيه فوالله ما زال يجيش بالري حتى صدروا عنه
فبينما هم كذلك اذ جا بديل بن ورقا الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة وكان عيبة نصح
رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل تهامة فقال اني تركت كعب بن لوي وعامر بن لوي نزلوا اعداد
مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت والعوذ بالذال المعجمة
جمع عائذ وهي الناقة ذات اللبن والمطافيل الامهات اللاتي معها اطفالها يريد انهم خرجوا معهم
بذوات الالبان من الابل ليتزودوا بالبانها ولا يرجعوا حتى يمنعوه او كنى بذلك عن النسا معهن
الاطفال والمراد انهم خرجوا بنسائهم واولادهم لارادة طول المقام وليكون ادعى الى عدم الفرار
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا لم نجي لقتال احد ولكنا جينا معتمرين وان قريشا
قد نهكتهم الحرب واضرت بهم فان شاوا ماددتهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس ان شاوا فان اظهر
فان شاوا ان يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا والا فقد جموا يعني استراحوا وان هم ابوا فوالذي

نفسي بيده

نفسي بيده لاقاتلنهم على امري هذا حتى تنفرد سالفتي اي صفحة العنق كنى بذلك القتل ولينفذن
الله امره فقال بديل سابلغهم ما تقول فانطلق حتى اتى قريشا فقال انا قد جيناكم من عند هذا
الرجل وسمعناه يقول قولا فان شيتم ان نعرضه عليكم فعلنا فقال سفهاوهم لا حاجة لنا ان تخبرنا
عنه بشي قال ذوو الراي منهم هات ما سمعته قال سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال
النبي صلى الله عليه وسلم فقام عروة بن مسعود فقال اي قوم الستم بالوالد قالوا بلى قال
اولستم بالولد قالوا بلى قال فهل تتهموني قالوا لا قال الستم تعلمون اني استنفرت اهل عكاظ
فلما بلحوا علي وهو بالمهملة اي امتنعوا من الاجابة جيتكم باهلي وولدي ومن اطاعني قالوا بلى
قال فان هذا قد عرض عليكم خطة رشد اي خصلة خير وصلاح اقبلوها ودعوني اته فاتاه
فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم نحوا من قوله لبديل
فقال عروة عند ذلك اي محمد ارايت ان استاصلت امر قومك هل سمعت باحد من العرب
اجتاح اصله قبلك وان تكن الاخرى فاني والله لاري وجوها واني لاري اشوابا يعني اخلاطا
من الناس خليقا ان يفروا ويدعوك فقال له ابو بكر الصديق امصص بظر اللات انحن نفر عنه
وندعه قال العلما وهذا مبالغة من ابي بكر في سب عروة فانه اقام معبود عروة وهو
صنمه مقام امه وحمله على ذلك ما اغضبه به من نسبته الى الفرار والبظر بالموحدة
المفتوحة والظا المعجمة الساكنة قطعة تبقى بعد الختان في فرج المراة واللات اسم صنم
والعرب تطلق هذا اللفظ في معرض الذم انتهى فقال اي عروة من هذا قالوا ابو بكر فقال
اما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم اجزك بها لاجبتك قال وجعل يكلم النبي صلى الله
عليه وسلم فكلما تكلم اخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة قائم على راس النبي صلى الله عليه وسلم
ومعه السيف وعليه المغفر فكلما اهوى عروة بيده الى لحية النبي صلى الله عليه وسلم ضرب
يده بنعل السيف وقال اخر يدك عن لحية النبي صلى الله عليه وسلم قال العلما وقد كانت
عادة العرب ان يتناول الرجل لحية من يكلمه لا سيما عند الملاطفة وفي الغالب انما يصنع ذلك
النظير بالنظير لكن كان صلى الله عليه وسلم يغضي لعروة استمالة له وتاليفا والمغيرة يمنعه
اجلالا للنبي صلى الله عليه وسلم وتعظيما انتهى قال فرفع عروة راسه فقال من هذا
قالوا المغيرة بن شعبة فقال اي غدر الست اسعى في غدرتك وكان المغيرة صحب قوما
في الجاهلية فقتلهم واخذ اموالهم ثم جا فاسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اما الاسلام
فاقبل واما المال فلست منه في شي ثم ان عروة جعل يرمق اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
بعينيه قال فوالله ما تنخم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة الا وقعت في كف رجل منهم
فدلك بها وجهه وجلده واذا امرهم امرا ابتدروا امره واذا توضا كادوا يقتتلون على وضوئه
واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون النظر اليه تعظيما له قال في فتح الباري فيه اشارة
الى الرد على ما خشيه من فرارهم فكانهم قالوا بلسان الحال من يحبه هذه المحبة ويعظمه
هذا التعظيم كيف يظن به انه يفر عنه ويسلمه لعدوه بل هم اشد اغتباطا به وبدينه وبنصره
من هذه القبائل التي يراعي بعضها بعضا بمجرد الرحم والله اعلم انتهى قال فرجع عروة الى اصحابه
فقال اي قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي والله ان رايت

ملكا يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدا والله ان يتنخم نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها
وجهه وجلده واذا امرهم ابتدروا أمره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا
أصواتهم عنده وما يحدون اليه النظر تعظيما له وانه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها فقال
رجل من بني كنانة دعوني آتيه فقالوا ائته فلما اشرف على النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له
واستقبله الناس يلبون فلما رأى ذلك قال سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء ان يصدوا عن البيت
فلما رجع الى اصحابه قال رأيت البدن قد قلدت واشعرت فما ارى ان يصدوا عن البيت فقام رجل
منهم يقال له مكرز بن حفص بكسر الميم وسكون الكاف وفتح الراء بعدها زاي فقال دعوني آتيه
فلما اشرف عليهم قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا مكرز وهو رجل فاجر فجعل يكلم النبي
صلى الله عليه وسلم فبينما هو يكلمه اذ جاء سهيل بن عمرو قال معمر فاخبرني ايوب عن عكرمة انه
لما جاء سهيل قال النبي صلى الله عليه وسلم قد سهل لكم من امركم وفي رواية ابن اسحق فدعت
قريش سهيل بن عمرو فقالت اذهب الى هذا الرجل فصالحه فقال صلى الله عليه وسلم قد اراد
قريش الصلح حين بعثت هذا فلما انتهى الى النبي صلى الله عليه وسلم جرى بينهم القول حتى وقع
بينهم الصلح على ان توضع الحرب بينهم عشر سنين وان يأمن بعضهم وان يرجع عنهم عامهم هذا
وقال معمر قال الزهري في حديثه فجاء سهيل بن عمرو فقال هات اكتب بيننا وبينك كتابا
فدعى النبي صلى الله عليه وسلم الكاتب فقال النبي صلى الله عليه وسلم للكاتب اكتب بسم الله
الرحمن الرحيم فقال سهيل اما الرحمن الرحيم فوالله ما ادري ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب
فقال المسلمون والله لا نكتبها الا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اكتب
باسمك اللهم ثم قال هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله وفي حديث عبد الله بن مغفل عند الحاكم
فكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله أهل مكة الحديث فقال سهيل والله لو كنا نعلم انك
رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال النبي صلى الله
عليه وسلم اني لرسول الله وان كذبتموني وفي رواية ابي البخاري ولمسلم فقال النبي صلى الله
عليه وسلم امحه فقال ما انا بالذي امحاه وهي لغة في امحوه قال العلماء وهذا الذي فعله
من باب الادب المستحب لانه لم يفهم من النبي صلى الله عليه وسلم تحتيم محوه علي نفسه ولهذا
لم ينكر عليه ولو حتم محوه لنفسه لم يجز لعلي تركه انتهى ثم قال صلى الله عليه وسلم أرني مكانها
فأراه مكانها فمحاه وكتب ابن عبد الله وفي رواية البخاري في المغازي فاخذ رسول الله صلى الله
عليه وسلم الكتاب وليس يحسن يكتب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله وكذا اخرجه النسائي
واحمد ولفظه فاخذ الكتاب وليس يحسن ان يكتب فكتب مكان رسول الله هذا ما قاضى عليه محمد
ابن عبد الله قال في فتح الباري وقد تمسك بظاهر هذه الرواية ابو الوليد الباجي فادعى ان النبي
صلى الله عليه وسلم كتب بيده بعد ان لم يحسن ان يكتب فشنع عليه علماء الاندلس في زمانه
ورموه بالزندقة وان الذي قاله يخالف القرآن حتى قال قائلهم شعرا
برئت ممن شرى دنيا باخرة * وقال ان رسول الله قد كتبا
فجمعهم الامير فاستظهر الباجي عليهم بما لديه من المعرفة وقال هذا لا ينافي القرآن بل يؤخذ من

مفهوم

مفهوم القرآن لانه قيد النفي بما قبل ورود القرآن قال تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب
ولا تخطه بيمينك وبعد ان تحققت اميته وتقررت بذلك معجزته وأمن الارتياب في ذلك لا مانع
من ان يعرف الكتابة بعد ذلك من غير تعليم فتكون معجزة اخرى وذكر ابن دحية ان جماعة من العلماء
وافقوا الباجي على ذلك منهم شيخه ابو ذر الهروي وابو الفتح النيسابوري وآخرون من علماء
افريقية واحتج بعضهم لذلك بما اخرجه ابن ابي شيبة من طريق مجالد عن عون بن عبد الله ما مات
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كتب وقرأ قال مجالد فذكرته للشعبي فقال صدق قد سمعت
من يذكر ذلك وقال القاضي عياض وردت آثار تدل على معرفته حروف الخط وحسن تصويرها
كقوله لكاتبه ضع القلم على اذنك فانه اذكر لك وقوله لمعاوية الق الدواة وحرف القلم وفرق
السين ولا تعور الميم الى غير ذلك قال وهذا وان لم يثبت انه كتب فلا يبعد ان يرزق علم وضع
الكتابة فانه اوتي علم كل شيء واجاب الجمهور بضعف هذه الاحاديث وعن قصة الحديبية
بان القصة واحدة والكاتب فيها علي بن ابي طالب وقد صرح في حديث المسور بن مخرمة بان عليا
هو الذي كتب فيحمل على ان النكتة في قوله فاخذ الكتاب وليس يحسن يكتب لبيان ان قوله أرني
اياها انه انما احتاج الى ان يريه موضع الكلمة التي امتنع علي عن محوها لا لكونه كان لا يحسن
الكتابة وعلى ان قوله بعد ذلك فكتب فيه حذف تقديره فمحاها واعادها لعلي فكتب او اطلق كتب
بمعنى أمر بالكتابة وهو كثير كقوله كتب الى كسرى وقيصر وعلى تقدير حمله على ظاهره فلا يلزم
من كتابة اسمه الشريف في ذلك اليوم وهو لا يحسن الكتابة ان يصير عالما بالكتابة ويخرج عن كونه
اميا فان كثيرا ممن لا يحسن الكتابة يعرف صور بعض الكلمات ويحسن وضعها بيده وخصوصا
الاسماء ولا يخرج بذلك عن كونه اميا ككثير من الملوك ويحتمل ان يكون جرت يده بالكتابة حينئذ
وهو لا يحسنها فخرج المكتوب على وفق المراد فيكون معجزة اخرى في ذلك الوقت خاصة ولا يخرج
بذلك عن كونه اميا وبهذا اجاب ابو جعفر السمناني احد ائمة الاصول من الاشاعرة وتبعه
ابن الجوزي وتعقب ذلك السهيلي وغيره بان هذا وان كان ممكنا ويكون آية اخرى لكنه يناقض
كونه اميا لا يكتب وهي الآية التي قامت بها الحجة وافحم الجاحد وانحسمت الشبهة فلو جاز ان
يصير يكتب بعد ذلك لعادت الشبهة وقال المعاند كان يحسن يكتب لكنه كان يكتم ذلك والمعجزات
تستحيل ان يدفع بعضها بعضا والحق ان معنى قوله فكتب أمر عليا ان يكتب انتهى قال
وفي دعوى ان كتابة اسمه الشريف فقط على هذه الصورة تستلزم مناقضة المعجزة
وتثبت كونه غير امي نظر كبير والله اعلم انتهى واما قوله اكتب بسم الله الرحمن الرحيم
وقوله اما الرحمن فوالله ما ادري ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم الى آخره وقال العلماء
وافقهم عليه الصلاة والسلام في ترك كتابة بسم الله الرحمن الرحيم وكتب باسمك اللهم وكذا
وافقهم في محمد بن عبد الله وترك كتابة رسول الله للمصلحة الحاصلة بالصلح مع انه لا مفسدة
في هذه الامور اما البسملة وباسمك اللهم فمعناهما واحد وكذا قوله محمد بن عبد الله هو ايضا
رسوله وليس في ترك وصف الله تعالى في هذا الموضع بالرحمن الرحيم ما ينفي ذلك ولا في ترك
وصفه صلى الله عليه وسلم هنا بالرسالة ما ينفيها فلا مفسدة فيما طلبوه وانما كانت المفسدة
تكون لو طلبوا ان يكتب ما لا يحل من تعظيم آلهتهم ونحو ذلك انتهى قال في رواية البخاري فكتب

هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله فقال صلى الله عليه وسلم على ان تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف
فقال سهيل والله لا تتحدث العرب انا اخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب فقال
سهيل وعلى انه لا يأتيك منا رجل وان كان على دينك الا رددته الينا قال المسلمون سبحان الله
كيف يرد الى المشركين وقد جاء مسلما والضغطة بالضم قال في القاموس الضيق والاكراه
والشدة انتهى **فان قلت** ما الحكمة في كونه عليه الصلاة والسلام وافق سهيلا على انه
لا يأتيه منهم رجل وان كان على دين الاسلام الا يرده الى المشركين **فالجواب** ان المصلحة
المترتبة على تمام هذا الصلح ما ظهر من ثمراته الباهرة وفوائده المتظاهرة التي كانت عاقبتها
فتح مكة واسلام اهلها كلهم ودخول الناس في دين الله افواجا وذلك انهم قبل الصلح لم يكونوا
يختلطون بالمسلمين ولا يتظاهر عندهم امور النبي صلى الله عليه وسلم كما هي ولا يخلون بمن
يعلمهم بها مفصلة فلما حصل صلح الحديبية اختلطوا بالمسلمين وجاؤا الى المدينة وذهب
المسلمون الى مكة وخلوا باهلها واصدقائهم وغيرهم ممن يستنصحونه وسمعوا منهم احوال النبي
صلى الله عليه وسلم ومعجزاته الظاهرة واعلام نبوته المتظاهرة وحسن سيرته وجميل
طريقته وعاينوا بانفسهم كثيرا من ذلك فمالت نفوسهم الى الايمان حتى بادر خلق منهم الى الاسلام
قبل فتح مكة فاسلموا بين صلح الحديبية وفتح مكة وازداد الآخرون ميلا الى الاسلام فلما
كان يوم الفتح اسلموا كلهم لما كان قد تمهد لهم من الميل وكانت العرب من قريش في البوادي
ينتظرون باسلامهم اسلام قريش فلما اسلمت قريش اسلمت العرب في البوادي قال الله
تعالى اذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا والله ورسوله
اعلم انتهى قال في رواية البخاري فبينما هم كذلك اذ دخل ابو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف
في قيوده وقد خرج من اسفل مكة حتى رمى بنفسه بين اظهر المسلمين فقال سهيل هذا يا محمد
اول ما اقاضيك عليه ان ترده الي فقال صلى الله عليه وسلم انا لم نقض الكتاب بعد فقال
فوالله اذا لا اصالحك على شيء ابدا قال النبي صلى الله عليه وسلم فاجزه لي قال ما انا بمجيزه لك
قال بلى فافعل قال ما انا بفاعل قال مكرز بلى قد اجزناه لك قال ابو جندل اي معشر المسلمين
ارد الى المشركين وقد جئت مسلما الا ترون ما قد لقيت وكان قد عذب في الله عذابا شديدا
زاد ابن اسحق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا جندل اصبر واحتسب فانا لا نغدر
فان الله جاعل لك فرجا ومخرجا ووثب عمر يمشي الى جنبه ويقول اصبر فانما هم المشركون وانما دم
احدهم كدم كلب قال الخطابي تاول العلماء ما وقع في قصة ابي جندل على وجهين احدهما
ان الله تعالى قد اباح التقية للمسلم اذا خاف الهلاك ورخص له ان يتكلم بالكفر مع اضمار
الايمان ان لم يمكنه التورية فلم يكن رده اليهم اسلاما لابي جندل الى الهلاك مع وجود السبيل
الى الخلاص من الموت بالتقية **والوجه الثاني** انه انما رده الى ابيه والغالب ان اباه
لا يبلغ به الى الهلاك وان عذبه او سجنه فله مندوحة بالتقية ايضا واما ما يخاف عليه
من الفتنة فان ذلك امتحان من الله يبتلي به صبر عباده المؤمنين واختلف العلماء
هل يجوز الصلح مع المشركين على ان يرد اليهم من جاء مسلما من عندهم ام لا فقيل نعم على ما دلت
عليه قصة ابي جندل وابي بصير وقيل لا وان الذي وقع في القصة منسوخ وان ناسخه

انا بري

انا بري من مسلم بين مشركين وهو قول الحنفية **وعند** الشافعية يفصل بين العاقل والمجنون
والصبي فلا يردان وقال بعض الشافعية ضابط جواز الرد ان يكون المسلم بحيث لا تجب عليه الهجرة
من دار الحرب والله اعلم كذا في فتح الباري قال في رواية البخاري فقال عمر بن الخطاب فاتيت النبي
صلى الله عليه وسلم فقلت الست نبي الله حقا قال بلى قلت السنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى
قلت فلم نعطي الدنية في ديننا اذا قال اني رسول الله ولست اعصيه وهو ناصري قلت اوليس
كنت تحدثنا انا سنأتي البيت فنطوف به قال بلى فاخبرتك انا نأتيه العام قلت لا قال فانك آتيه
ومطوف به قال فاتيت ابا بكر فقلت يا ابا بكر أليس هذا نبي الله حقا قال بلى قلت السنا على الحق وعدونا
على الباطل قال بلى قلت فلم نعطي الدنية في ديننا اذا قال انه الرجل انه رسول الله وليس يعصي ربه
وهو ناصره فاستمسك بغرزه فوالله انه على الحق قلت اوليس كان يحدثنا انا سنأتي البيت
فنطوف به قال بلى افاخبرك انا نأتيه العام قلت لا قال فانك آتيه فتطوف به قال العلماء
لم يكن سوال عمر رضي الله عنه وكلامه المذكور شكا بل طلبا لكشف ما خفي عليه وحثا على اذلال
الكفار وظهور الاسلام كما عرف في خلقه وقوته في نصرة الدين واذلال المبطلين واما جواب
ابي بكر لعمر رضي الله عنهما بمثل جواب النبي صلى الله عليه وسلم فهو من الدلائل الظاهرة
على عظيم فضله وبارع علمه وزيادة عرفانه ورسوخه وزيادته في كل ذلك على غيره وكان
الصلح بينهم عشر سنين كما في السير واخرجه ابو داود من حديث ابن عمر ولابي نعيم في مسند
عبد الله بن دينار كانت اربع سنين وكذا اخرجه الحاكم في البيوع من المستدرك والاول اشهر
وكان الصلح على وضع الحرب بحيث يامن الناس فيها ويكف بعضهم عن بعض وان لا يدخل البيت
الا العام القابل ثلاثة ايام ولا يدخلها الا بجلبان السلاح وهو القراب بما فيه والجلبان بضم
الجيم وسكون اللام شبه الجراب من الادم يوضع فيه السيف مغمودا ورواه القتيبي بضم
الجيم واللام وتشديد الباء وقال هو اوعية السلاح بما فيها وفي بعض الروايات ولا يدخلها الا بجلبان
السلاح السيف والقوس ونحوه وانما اشترطوا ذلك ليكون علما وامارة للسلم اذ كان دخولهم صلحا
قال مكي بن ابي طالب القيرواني في تفسيره وبعث عليه الصلاة والسلام بالكتاب اليهم مع
عثمن بن عفان وامسك سهيل بن عمرو عنده فامسك المشركون عثمن فغضب المسلمون
وقال مغلطاي فاحتبسته قريش عندها فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ان عثمن قد قتل
فدعا الناس الى بيعة الرضوان تحت الشجرة على الموت وقيل على ان لا تفروا انتهى ووضع النبي
صلى الله عليه وسلم شماله في يمينه وقال هذه عن عثمن وفي البخاري فقال صلى الله عليه
وسلم بيده اليمنى هذه يد عثمن فضرب بها على يده الحديث **ولما سمع** المشركون
بهذه البيعة خافوا وبعثوا بعثمن وجماعة من المسلمين وفي هذه البيعة نزل قوله تعالى
ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم وقوله تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين
وحلق الناس مع النبي صلى الله عليه وسلم ونحروا هديا بالحديبية قال مغلطاي وارسل
ريحا فحملت شعورهم والقتها في الحرم واقام عليه الصلاة والسلام بالحديبية بضعة عشر يوما
وقيل عشرين يوما ثم قفل وفي نفوس بعضهم شيء فانزل الله تعالى سورة الفتح يسليهم بها ويذكرهم
نعمة الله قال تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا قال ابن عباس وانس والبراء بن عازب الفتح هنا فتح

الحديبية ووقوع الصلح بعد ان كانوا المنافقون يظنون ان لن ينقلب الرسول والمومنون الى
اهليهم ابدا اي حسبوا انهم لا يرجعون بل يقتلون كلهم واما قوله تعالى فاثابهم فتحا قريبا
فالمراد فتح خيبر على الصحيح لانها وقعت فيها المغانم الكثيرة للمسلمين وقد روى احمد وابو داود
والحاكم من حديث مجمع بن جارية قال شهدنا الحديبية فلما انصرفنا وجدنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم واقفا عند كراع الغميم وقد جمع الناس فقرا عليهم انا فتحنا لك فتحا مبينا
الاية فقال رجل يا رسول الله او فتح هو قال اي والذي نفسي بيده انه لفتح وروى سعيد
ابن منصور باسناد صحيح عن الشعبي انا فتحنا لك فتحا مبينا الحديبية وغفر له ما تقدم من ذنبه
وما تاخر وتبايعوا بيعة الرضوان واطعموا نخل خيبر وظهرت المسلمون على فارس وفرح
المسلمون بنصر الله واما قوله اذا جاء نصر الله والفتح وقوله لا هجرة بعد الفتح ففتح مكة
بالاتفاق قال الحافظ بن حجر فبهذا يرتفع الاشكال وتجتمع الاقوال والله اعلم ثم رجع صلى الله
عليه وسلم الى المدينة وفي هذه السنة كسفت الشمس وظاهر اوس بن الصامت من امراته
خولة **وفي هذه السنة** ايضا استسقى في رمضان ومطر الناس فقال النبي صلى الله
عليه وسلم اصبح الناس مومنا بالله وكافرا بالكوكب قاله مغلطاي وجزم الدمياطي في سيرته
بان تحريم الخمر كان سنة الحديبية وذكر ابن اسحق انه كان في وقعة بني النضير وهي بعد
احد وذلك في سنة اربع على الراجح وفيه نظر بان انسا كان الساقي يوم حرمت وانه لما سمع
المنادي بتحريمها بادر فاراقها فلو كان ذلك سنة اربع لكان انس يصغر عن ذلك **واخرج**
النسائي والبيهقي بسند صحيح عن ابن عباس انما نزل تحريم الخمر في قبيلتين من الانصار
شربوا فلما ثمل القوم عبث بعضهم ببعض فلما ان صحوا جعل الرجل يرى في وجهه وراسه
الاثر فيقول صنع هذا اخي فلان وكانوا اخوة ليس في قلوبهم ضغائن فيقول والله لو كان بي
رحيما ما صنع بي هذا حتى وقعت في قلوبهم الضغائن فانزل الله هذه الاية يا ايها الذين امنوا
انما الخمر والميسر الى منتهون فقال ناس من المتكلفين هي رجس وهي في بطن فلان وفلان
وفلان وقد قتل يوم احد فانزل الله تعالى ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا
الى المحسنين واية تحريم الخمر نزلت في عام الفتح قبل الفتح والخمر في الاصل مصدر خمره اذا
ستره سمي به عصير العنب اذا اشتد وغلى كانه يخمر العقل كما سمي سكرا لانه يسكره
اي يحجزه وهي حرام مطلقا وكذا كل ما اسكر عند اكثر العلماء وقال ابو حنيفة نقيع الزبيب
والتمر اذا طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم اشتد حل شربه ما دون السكر انتهى **واما الحشيشة**
وتسمى القنب الهندي والحيدرية والقلندرية فلم يتكلم فيها الايمة الاربعة ولا غيرهم من علماء
السلف لانها لم تكن في زمنهم وانما ظهرت في اواخر المائة السادسة واول السابعة واختلف
هل هي مسكرة فيجب فيها الحد او مفسدة للعقل فيجب التعزير والذي اجمع عليه الاطبا
انها مسكرة وجزم به الفقها وصرح به الشيخ ابو اسحق الشيرازي في كتاب التذكرة في الخلاف
والنووي في شرح المهذب ولا نعرف فيه خلافا عندنا ونقل عن ابن تيمية انه قال الصحيح انها
مسكرة كالشراب فان اكلها يشتهون عنها ولذلك يتناولونها بخلاف البنج وغيره فانه لا يشتهي
ولا يشتهى قال الزركشي ولم ار من يخالف في هذا الا القرافي في قواعده فقال نص العلماء

الكلام على تحريم الخمر والحشيش

بالبنات في كتبهم انها مسكرة والذي يظهر لي انها مفسدة في كلام تعقبه الزركشي بطول ذكره
وقد تظافرت الادلة على حرمتها ففي صحيح مسلم كل مسكر حرام وقد قال تعالى ويحرم عليهم
الخبائث واي خبيث اعظم مما يفسد العقول التي اتفقت الملل والشرائع على ايجاب حفظها ولا ريب
ان متناول الحشيشة يظهر به اثر التغير في انتظام العقل والقول المستمد كل له من نور العقل
وقد روى ابو داود باسناد حسن عن ديلم الحميري قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت يا رسول الله انا بارض باردة نعالج فيها عملا شديدا وانا نتخذ شرابا من هذا القمح نتقوى
به على اعمالنا وعلى برد بلادنا قال هل يسكر قلت نعم قال فاجتنبوه قلت فان الناس غير تاركيه
قال فان لم يتركوه فقاتلوهم وهذا منه صلى الله عليه وسلم تنبيه على العلة التي لاجلها
حرم المزر فوجب ان كل شي عمل عمله يجب تحريمه ولا شك ان الحشيش يعمل ذلك وفوقه
وروى احمد في مسنده وابو داود في سننه عن ام سلمة قالت نهى رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن كل مسكر ومفتر قال العلماء المفتر كل ما يورث الفتور والخدر في الاطراف وهذا
الحديث ادل دليل على تحريم الحشيشة وغيرها من المخدرات فانها ان لم تكن مسكرة كانت
مفترة مخدرة ولذلك يكثر النوم من متعاطيها وتثقل رؤسهم بواسطة تبخيرها في الدماغ
وقد نقل الاجماع على تحريمها غير واحد منهم القرافي وابن تيمية وقال ان استحلها فقد كفر وتعقبه
الزركشي بان تحريمها ليس معلوما من الدين بالضرورة سلمنا ذلك لكن لا بد ان يكون دليل الاجماع
قطعيا على احد الوجهين وقد ذكر اصحابنا ان المسكر من غير عصير العنب كعصير العنب في وجوب
الحد لكن لا يكفر مستحله لاختلاف العلما فيه واختلف هل يحرم تعاطي اليسير الذي لا يسكر والعرق
فقال النووي في شرح المهذب انه لا يحرم اكل القليل الذي لا يسكر من الحشيش بخلاف
الخمر حيث حرم قليلها الذي لا يسكر والفرق ان الحشيش طاهر والخمر نجس فلا يجوز شرب قليله
للنجاسة وتعقبه الزركشي بانه صح في حديث ما اسكر كثيره فقليله حرام قال والمتجه انه يحوز تناول
شي من الحشيش لا قليل ولا كثير واما قول النووي انها طاهرة وليست بنجسة فقطع به ابن دقيق
العيد وحكى الاجماع عليه قال والافيون وهو لبن الخشخاش اقوى فعلا من الحشيش لان القليل
منه يسكر جدا وكذلك الشيكران وجوز الطيب مع انه طاهر بالاجماع انتهى وقد جمع بعضهم
في الحشيشة مائة وعشرين مضرة دينية وبدنية حتى قال بعضهم كل ما في الخمر من المذموما
مدخول في الحشيش وزيادة فان اكثر ضرر الخمر في الدين لا في البدن وضررها فيهما فمن ذلك
فساد العقل وعدم المروة وكشف العورة وترك الصلوات والوقوع في المحرمات وقطع النسل
والبرص والجذام والاسقام والرعشة والابنة ونتن الفم وسقوط شعر الاجفان وحفر الاسنان
ونسو بدعا وتضييق النفس وتغير الالوان وتثقيب الكبد وتحمل الاسد كالجمل وتورث
الكسل والفشل وتجعل العزيز ذليلا والصحيح عليلا والفصيح ابكما والذهن ابلها وتذهب السمع
وتنسي الشهادة فصاحبها بعيد عن السنة طريد عن الجنة موعود من الله باللعنة الا
ان يفزع من الندم سنه ويحسن بالله ظنه ولقد احسن القايل حيث قال

فقل لمن ياكل الحشيشة جهلا ... يا خسيسا قد عشت شر معيشه
دية العقل بدرة فلماذا ... يا سفيها قد بعتها بحشيشه

تناول

غزوة خيبر وهي مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع على ثمانية برد من المدينة
الى الشام قال ابن اسحق وخرج صلى الله عليه وسلم في بقية المحرم سنة سبع فاقام
يحاصرها بضع عشرة ليلة الى ان فتحها الله وقيل كانت في آخر سنة ست وهو منقول
عن مالك وبه جزم ابن حزم قال الحافظ ابن حجر رحمه الله والراجح ما ذكره ابن اسحق ويمكن
الجمع بان من اطلق سنة ست بناه على ان ابتداء السنة من شهر الهجرة الحقيقي وهي ربيع
الاول واغرب ابن سعد وابن ابي شيبة ورويا من حديث ابي سعيد الخدري خرجنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيبر لثمان عشرة من رمضان واسناده حسن لكنه
خطا ولعلها كانت الى حنين فتصحفت وتوجيهه بان غزوة حنين كانت ناشئة عن غزوة
الفتح وغزوة الفتح خرج صلى الله عليه وسلم فيها في رمضان جزما قال وذكر الشيخ ابو حامد
في التعليقة انها كانت سنة خمس وهو وهم ولعله انتقال من الخندق الى خيبر وكان معه
عليه الصلاة والسلام الف واربعمائة راجل ومائتا فارس ومعه ام سلمة زوجته
وفي البخاري من حديث سلمة بن الاكوع قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى خيبر فسرنا ليلا فقال رجل من القوم لعامر يا عامر الا تسمعنا من هنيهاتك وكان عامر
رجلا شاعرا فنزل يحدو بالقوم يقول

اللهم لولا انت ما اهتدينا ✽ ولا تصدقنا ولا صلينا
فاغفر فداء لك ما ابقينا ✽ وثبت الاقدام ان لاقينا
والقين سكينة علينا ✽ انا اذا صيح بنا اتينا
وبالصياح عولوا علينا

وفي رواية اياس بن سلمة عن ابيه عند احمد في هذا الرجز من الزيادة
ان الذين قد بغوا علينا ✽ اذا ارادوا فتنة ابينا
ونحن عن فضلك ما استغنينا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في رواية البخاري من هذا السائق قالوا عامر
ابن الاكوع قال يرحمه الله قال رجل من القوم وجبت يا نبي الله لولا امتعتنا به الحديث
وفي رواية احمد فجعل عامر يرتجز ويسوق الركاب وهذه كانت عادتهم اذا ارادوا
تنشيط الابل في السير ينزل بعضهم فيسوقها ويحدو في تلك الحال وقوله اللهم لولا انت
ما اهتدينا كذا الرواية قالوا وصوابه في الوزن لاهم او تالله كما في الحديث الآخر وقوله فداء
لك قال المازري هذه اللفظة مشكلة فانه لا يقال للباري سبحانه فديتك لان ذلك
انما يستعمل في مكروه يتوقع حلوله بالشخص فيختار شخص آخر ان يحل ذلك به ويفديه
منه قال ولعل هذا وقع من غير قصد الى حقيقة معناه كما يقال قاتله الله ولا يريد بذلك
حقيقة الدعاء عليه وكقوله عليه الصلاة والسلام تربت يداك وتربت يمينك وفيه كله
ضرب من الاستعارة فان المفادي مبالغ في طلب رضى المفدي حين بذل نفسه عن نفسه
للمكروه فكان مراد الشاعر اني ابذل نفسي في رضاك وعلى كل حال فان المعنى وان امكن
صرفه الى جهة صحيحة فاطلاق اللفظ واستعارته والتجوز فيه يفتقر الى ورود الشرع
بالاذن فيه قال وقد يكون المراد بقوله فداء لك رجلا يخاطبه وفصل بين الكلام بذلك ثم عاد

الى تمام

الى تمام الاول فقال ما اتينا قال وهذا تاويل يصح معه اللفظ والمعنى لولا ان فيه تعسفا
اضطرنا اليه تصحيح الكلام انتهى وقيل انه يخاطب بهذا الشعر النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى
لا تؤاخذنا بتقصيرنا في حقك ونصرك وعلى هذا فقوله اللهم لم يقصد بها الدعاء وانما افتتح بها
الكلام والمخاطب بقول الشاعر لولا انت النبي لكن يعكر عليه بعد ذلك فانزلن سكينة علينا
وثبت الاقدام ان لاقينا فانه دعاء الله تعالى ويحتمل ان يكون المعنى فاسال ربك ان ينزل
ويثبت والله اعلم وقوله اذا صيح بنا اتينا اي اذا صيح بنا للقتال ونحوه من المكاره
اتينا وفي رواية ابينا بالموحدة بدل المثناة اي ابينا الفرار وقوله وبالصياح عولوا علينا
اي استغاثوا بنا واستفزعونا للقتال وقيل هو من التعويل على الشيء وهو الاعتماد عليه
وقيل من العويل وهو الصوت وقوله من هذا السائق قالوا عامر قال يرحمه الله قال رجل
من القوم وجبت اي ثبتت له الشهادة وسيقع قريبا وكان معلوما عندهم ان من دعا له
النبي صلى الله عليه وسلم هذا الدعاء في هذا الموطن استشهد فقالوا هلا امتعتنا به اي
وددنا انك اخرت الدعاء له بهذا الى وقت آخر لنتمتع بمصاحبته ورؤيته مدة وفي البخاري
من حديث انس انه صلى الله عليه وسلم اتى خيبر ليلا وكان اذا اتى قوما بليل لم يغز بهم حتى
يصبح فلما اصبح خرجت اليهود بمساحيهم ومكاتلهم فلما راوه قالوا محمد والله والخميس فقال النبي
صلى الله عليه وسلم خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وفي رواية
فرفع يديه وقال الله اكبر خربت خيبر والخميس الجيش سمي به لانه مقسوم بخمسة اقسام
المقدمة والساقة والميمنة والميسرة والقلب ومحمد خبر مبتدا اي هذا محمد قال
السهيلي يؤخذ من هذا الحديث التفاؤل لانه عليه الصلاة والسلام لما راى الة الهدم
عرف ان مدينتهم ستخرب انتهى ويحتمل كما قاله في فتح الباري ان يكون قال خربت خيبر بطريق
الوحي ويؤيده قوله بعد ذلك انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وفي رواية
انه صلى الله عليه وسلم صلى الصبح قريبا من خيبر بغلس ثم قال الله اكبر خربت خيبر
انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وقال مغلطاي وغيره وفرق عليه الصلاة
والسلام الرايات ولم تكن الرايات الا بخيبر وانما كانت الالوية وقال الدمياطي وكانت
راية النبي صلى الله عليه وسلم السوداء من برد لعائشة وفي البخاري وكان علي بن ابي طالب
تخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم وكان رمدا فلحق فلما بتنا الليلة التي فتحت فيها خيبر
قال لاعطين الراية غدا او لياخذن الراية غدا رجل يحبه الله ورسوله يفتح الله عليه
فلما اصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجون ان يعطاها فقال
اين علي بن ابي طالب فقالوا هو يا رسول الله يشتكي عينيه قال فارسلوا اليه فاتي به
فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ودعا له فبرئ حتى كان لم يكن به وجع
فاعطاه الراية فقال علي يا رسول الله اقاتلهم حتى يكونوا مثلنا فقال انفذ على رسلك
حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام واخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه فوالله
لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من ان يكون لك حمر النعم الحديث ولما تصاف القوم
كان سيف عامر قصيرا فتناول به ساق يهودي ليضربه فرجع ذباب سيفه فاصاب عين

زكبته فأمر فمات منه فلما قفلوا قال سلمة قلت يا رسول الله فداك أبي وأمي زعموا أن عامرا حبط عمله قال النبي صلى الله عليه وسلم كذب من قاله وإن له أجرين وجمع بين إصبعيه إنه لجاهد مجاهد رواه البخاري أيضا وعن يزيد بن أبي عبيد قال رأيت أثر ضربة بساق سلمة فقلت ما هذه الضربة قال هذه ضربة أصابتها يوم خيبر فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فنفث فيها ثلاث نفثات فما اشتكيتها حتى الساعة أخرجه البخاري وعنده عن أبي هريرة شهدنا خيبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل ممن معه يدعي الإسلام هذا من أهل النار فلما حضر القتال قاتل الرجل أشد القتال حتى كثرت به الجراحة فكاد بعض الناس يرتاب فوجد الرجل ألم الجراحة فأهوى بيده إلى كنانته فاستخرج منها أسهما فنحر نفسه فاشتد رجال من المسلمين فقالوا يا رسول الله صدق الله حديثك انتحر فلان فقال قم يا فلان فأذن لا يدخل الجنة إلا مؤمن وإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وفي رواية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة الحديث وقاتل النبي صلى الله عليه وسلم أهل خيبر وقاتلوه أشد القتال واستشهد من المسلمين خمسة عشر وقتل من اليهود ثلاثة وتسعون وفتحها الله تعالى عليه حصنا حصنا وهي النطاة وحصن الصعب وحصن ناعم وحصن قلعة الزبير والشق وحصن أبي وحصن البرا والقموص والوطيح والسلالم وهو حصن بني أبي الحقيق وأخذ كنز آل أبي الحقيق الذي كان في مسك الحمار وكانوا قد غيبوه في خربة فدل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستخرجه وقلع علي باب خيبر ولم يحركه سبعون رجلا إلا بعد جهد وفي رواية ابن إسحاق سبعة وأخرجه من طريق البيهقي في الدلائل ورواه الحاكم عن البيهقي من جهة ليث بن أبي سليم عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين عن جابر أن عليا حمل الباب يوم خيبر وأنه جرب بعد ذلك فلم يحمله أربعون رجلا وليث ضعيف وفي رواية البيهقي أن عليا لما انتهى إلى الحصن اجتبذ أحد أبوابه فألقاه بالأرض فاجتمع عليه منا بعد سبعون رجلا فكان جهدهم أن أعادوا الباب مكانه قال شيخنا وكلها واهية وكذا أنكره بعض العلما انتهى وفي البخاري وتزوج عليه الصلاة والسلام صفية بنت حيي بن أخطب وكان قد قتل زوجها كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وكانت عروسا فذكر له جمالها فاصطفاها لنفسه فخرج بها حتى بلغت سد الصهبا حلت له يعني طهرت من الحيض فبنى بها عليه الصلاة والسلام فصنع حيسا في نطع صغير ثم قال لأنس آذن من حولك فكانت تلك وليمة على صفية قال ثم خرجنا إلى المدينة فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم يحوي لها وراءه بعباءة ثم يجلس عند بعيره فيضع ركبته وتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب وفي رواية فقال المسلمون إحدى أمهات المؤمنين أو ما ملكت يمينه قالوا إن حجبها فهي إحدى أمهات المؤمنين وإن لم يحجبها فهي مما ملكت يمينه فلما ارتحل وطأ لها ومد الحجاب وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قتل المقاتلة وسبى الذرية وكان في السبي صفية فصارت إلى دحية الكلبي ثم صارت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل عتقها صداقها وفي رواية لمسلم أنه صلى الله عليه وسلم اشتراها منه بسبعة أرؤس وإطلاق الشرا على ذلك على سبيل المجاز وليس في قوله بسبعة أرؤس ما ينافي قوله في رواية البخاري خذ جارية

ابن

من السبي

من السبي غيرها إذ ليس هنا دلالة على نفي الزيادة والله أعلم وإنما أخذ صلى الله عليه وسلم لأنها بنت ملك من ملوكهم وليست ممن يوهب لدحية لكثرة من كان من الصحابة مثل دحية وفوقه وقلة من كان في السبي مثل صفية في نفاستها فلو خصه بها لأمكن تغير خاطر بعضهم فكان من المصلحة العامة ارتجاعها منه واختصاصه عليه الصلاة والسلام بها فإن في ذلك رضى الجميع وليس ذلك من الرجوع في الهبة في شيء انتهى وقال مغلطاي وغيره وكانت صفية قبل ذلك رأت أن القمر سقط في حجرها فتؤول بذلك قاله الحاكم وكذا جرى لجويرية وفي هذه الغزوة حرم صلى الله عليه وسلم لحوم الحمر الأهلية كما في البخاري ولفظه فلما أمسى الناس مساء اليوم الذي فتحت عليهم يعني خيبر أوقدوا نيرانا كثيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم أهريقوها واكسروها فقام رجل يا رسول الله أو نهريقها ونغسلها قال أو ذاك والمشهور في الإنسية كسر الهمزة منسوبة إلى الإنس وهم بنو آدم وحكي ضم الهمزة ضد الوحشية ويجوز فتحها والنون أيضا مصدر أنست به وفي رواية نهى يوم خيبر عن أكل الثوم وعن لحوم الحمر الأهلية وفي رواية نهى يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية ورخص في الخيل قال ابن أبي أوفى فتحدثنا أنه إنما نهى عنها لأنها لم تخمس وقال بعضهم نهى عنها البتة لأنها كانت تأكل العذرة قال العلماء وإنما أمر بإراقتها لأنها نجسة محرمة وقيل إنما نهى عنها للحاجة إليها وقيل لأخذها قبل القسمة وهذان التأويلان للقائلين بإباحة لحومها والصواب ما قدمناه وأما قوله صلى الله عليه وسلم اكسروها فقال رجل أو نهريقها ونغسلها قال أو ذاك فهذا محمول على أنه صلى الله عليه وسلم اجتهد في ذلك فرأى كسرها ثم تغير اجتهاده وأوحي إليه بغسلها وأما لحوم الخيل فاختلف العلماء في إباحتها فمذهب الشافعي والجمهور من السلف والخلف أنه مباح لا كراهة فيه وبه قال عبد الله بن الزبير وأنس بن مالك وأسماء بنت أبي بكر وفي صحيح مسلم عنها قالت نحرنا فرسا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكلناه ونحن بالمدينة وفي رواية الدارقطني فأكلناه نحن وأهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم قال في فتح الباري ويستفاد من قولها ونحن بالمدينة أن ذلك بعد فرض الجهاد فيرد على من استند إلى منع أكلها لعلة أنها من آلات الجهاد ومن قولها وأهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم الرد على من زعم أنه ليس فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم اطلع على ذلك مع أن ذلك لو لم يرد لم يظن بآل أبي بكر أنهم يقدمون على فعل شيء في زمنه صلى الله عليه وسلم إلا وعندهم العلم بجوازه لشدة اختلاطهم به صلى الله عليه وسلم وعدم مفارقتهم له هذا مع توفر داعية الصحابة إلى سؤاله عليه الصلاة والسلام عن الأحكام ومن ثم كان الراجح أن الصحابي إذا قال كنا نفعل كذا على عهده عليه الصلاة والسلام كان له حكم الرفع لأن الظاهر اطلاعه صلى الله عليه وسلم على ذلك وتقريره وإذا كان ذلك في مطلق الصحابة فكيف بآل أبي بكر وقال الطحاوي ذهب أبو حنيفة إلى كراهة أكل الخيل وخالفه صاحباه وغيرهما واحتجوا بالأخبار المتواترة في حلها انتهى وقد نقل بعض التابعين الحل عن الصحابة مطلقا من غير استثناء أحد فأخرج ابن أبي شيبة بسند صحيح على شرط الشيخين عن عطاء قال لم يزل سلفك يأكلونه قال ابن جريج قلت له أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم وأما ما نقل في ذلك عن ابن عباس من كراهتها فأخرجه ابن أبي شيبة وعبد الرزاق بسندين ضعيفين

وقال ابو حنيفة في الجامع الصغير اكره لحوم الخيل فحمله ابو بكر الرازي على التنزيه وقال لم يطلق
ابو حنيفة فيه التحريم وليس هو عنده كالحمار الاهلي وصحح اصحاب المحيط والهداية والذخيرة
عنه التحريم وهو قول الاكثر وقال القرطبي في شرح مسلم مذهب مالك الكراهة وقال
الفاكهاني المشهور عند المالكية الكراهة والصحيح عند المحققين منهم التحريم وقال ابن ابي جمرة
الدليل على الجواز مطلقا واضح لكن سبب كراهة مالك لاكلها لكونها تستعمل غالبا في الجهاد فلو
انتفت الكراهة لكثر استعماله ولو كثر لافضى الى فنائها فيؤول الى النقص من ارهاب العدو الذي
وقع الامر به في قوله تعالى ومن رباط الخيل ترهبون فعلى هذا فالكراهة لسبب خارج وليس البحث
فيه فان الحيوان المتفق على اباحته لو حدث امر يقتضي ان لو ذبح لافضى الى ارتكاب محذور
لامتنع ولا يلزم من ذلك القول بتحريمه انتهى واما قول بعض المانعين لو كانت حلالا لجازت الاضحية
فمنتقض بحيوان البر فانه مأكول ولم تشرع الاضحية به واما حديث خالد بن الوليد عند ابي داود
والنسائي نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لحوم الخيل والبغال والحمير فضعيف ولو
سلم ثبوته لا ينهض معارضا لحديث جابر الدال على الجواز وقد وافقه حديث اسماء وقد ضعف
حديث خالد بن الوليد احمد والبخاري والدارقطني والخطابي وابن عبد البر وعبد الحق وآخرون
وزعم بعضهم ان حديث جابر دال على التحريم لقوله رخص لان الرخصة استباحة المحظور
مع قيام المانع فدل على انه رخص لهم بسبب المخمصة التي اصابتهم بخيبر فلا يدل ذلك
على الحل المطلق واجيب بان اكثر الروايات جاء بلفظ الاذن كما رواه مسلم وفي رواية له
اكلنا في زمن خيبر الخيل وحمر الوحش ونهانا النبي صلى الله عليه وسلم عن الحمار الاهلي
وعند الدارقطني من حديث ابن عباس نهانا صلى الله عليه وسلم عن الحمر الاهلية وامر
بلحوم الخيل فدل على ان المراد بقوله رخص اذن ونوقض ايضا بالاذن في اكل الخيل ولو
كان رخصة لاجل المخمصة لكانت الحمر الاهلية اولى بذلك لكثرتها وعزة الخيل حينئذ فدل
على ان الاذن في اكل الخيل انما كان للاباحة العامة لا لخصوص الضرورة وقد نقل عن مالك
وغيره من القائلين بالتحريم انهم احتجوا للمنع بقوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها
وزينة وقرروا ذلك باوجه احدها ان اللام للتعليل فدل على انها لم تخلق لغير ذلك لان العلة
المنصوصة تفيد الحصر فاباحة اكلها تقتضي خلاف ظاهر الاية ثانيها عطف البغال والحمير
فدل على اشتراكها معها في حكم التحريم فيحتاج من افرد حكم ما عطف عليها الى دليل ثالثها
ان الاية سيقت مساق الامتنان فلو كان ينتفع بها في الاكل لكان الامتنان به اعظم والحكيم
لا يمتن بادنى النعم ويترك اعلاها ولا سيما وقد وقع الامتنان بالاكل في المذكورات قبلها رابعها
لو ابيح اكلها لفاتت المنفعة بها فيما وقع به الامتنان من الركوب والزينة **واجيب** بان آية
النحل مكية اتفاقا والاذن في اكل الخيل كان بعد الهجرة من مكة باكثر من ست سنين فلو فهم
النبي صلى الله عليه وسلم من الاية المنع لما اذن في الاكل وايضا فاية النحل ليست نصا في منع
الاكل والحديث صريح في جوازه وايضا فلو سلمنا ان اللام للتعليل لم نسلم افادة الحصر في الركوب
والزينة فانه ينتفع بالخيل في غيرهما وفي غير الاكل اتفاقا وانما ذكر الركوب والزينة لكونهما اغلب
ما يطلب له الخيل ونظيره حديث البقرة المذكورة في الصحيحين حين خاطبت راكبها فقالت لم اخلق

لهذا وانما خلقت للحرث فانه مع كونه اصرح في الحصر لم يقصد به الا الاغلب والا فهي تؤكل
وينتفع بها في اشياء غير الحرث اتفاقا وقال البيضاوي واستدل بها باية النحل على حرمة لحومها
ولا دليل فيها اذ لا يلزم من تعليل الفعل بما يقصد منه غالبا ان لا يقصد منه غيره اصلا انتهى
وايضا فلو سلم الاستدلال للزم منع حمل الاثقال على الخيل والبغال والحمير ولا قائل به واما عطف
البغال والحمير فدلالة العطف انما هي دلالة اقتران وهي ضعيفة واما انها سيقت مساق
الامتنان فالامتنان انما قصد به غالب ما كان يقع به انتفاعهم بالخيل فخوطبوا بما الفوا وعرفوا
ولم يكونوا يعرفون اكل الخيل لعزتها في بلادهم بخلاف الانعام فان اكثر انتفاعهم بها كان لحمل
الاثقال وللاكل فاقتصر في كل من الصنفين على الامتنان بالاغلب مما ينتفع به فلو لزم من ذلك
الحصر في هذا الشق لاضر واما قولهم لو ابيح اكلها لفاتت المنفعة بها الى آخره فاجيب عنه بانه
لو لزم من الاذن في اكلها ان تفنى للزم مثله في البقر وغيرها مما ابيح اكله ووقع الامتنان وانما
اطلت في ذلك لامر اقتضاه والله اعلم وفي هذه الغزوة ايضا نهى صلى الله عليه وسلم عن
اكل كل ذي ناب من السباع وعن بيع المغانم حتى تقسم وان لا توطأ جارية حتى تستبرأ وفي هذه
الغزوة ايضا سم النبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت الحارث امراة سلام بن مشكم كما في البخاري
من حديث ابي هريرة ولفظه لما فتحت خيبر اهديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة
فيها سم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجمعوا الي من كان هنا من اليهود فجمعوا له
فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اني سائلكم عن شيء فهل انتم صادقون عنه فقالوا
نعم يا ابا القاسم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابوكم قالوا ابونا فلان فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبتم بل ابوكم فلان قالوا صدقت وبررت فقال هل انتم
صادقون عن شيء ان سالتكم عنه فقالوا نعم يا ابا القاسم وان كذبناك عرفت كذبنا كما عرفته
في ابينا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل النار فقالوا نكون فيها يسيرا ثم تخلفونا
فيها فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اخسئوا فيها والله لا نخلفكم فيها ابدا ثم قال لهم هل انتم
صادقوني عن شيء ان سالتكم عنه فقالوا نعم فقال هل جعلتم في هذه الشاة سما فقالوا نعم فقال
ما حملكم على ذلك فقالوا اردنا ان كنت كذابا ان نستريح منك وان كنت نبيا لم يضرك وفي حديث جابر
عند ابي داود ان يهودية من اهل خيبر سمت شاة مصلية ثم اهدتها الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكل منها واكل رهط من اصحابه معه فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ارفعوا ايديكم فارسل الى اليهودية فقال سممت هذه الشاة فقالت من اخبرك
قال اخبرتني هذه في يدي للذراع قالت نعم قلت ان كان نبيا لم يضره وان لم يكن نبيا استرحنا
منه فعفا عنها صلى الله عليه وسلم ولم يعاقبها وتوفي اصحابه الذين اكلوا من الشاة واحتجم
رسول الله صلى الله عليه وسلم على كاهله من اجل الذي اكل من الشاة وفي رواية غيره
جعلت زينب بنت الحرث امراة ابن مشكم تسال اي الشاة احب الى محمد فيقولون الذراع
فعمدت الى عنز لها فذبحتها وصلتها ثم عمدت الى سم لا يبطي يعني لا يلبث ان تقتل من ساعته
وقد شاورت يهود في سموم فاجتمعوا لها على هذا السم بعينه فسمت الشاة واكثرت في الذراع
والكتف فوضعت بين يديه ومن حضر من اصحابه وفيهم بشر بن البراء وتناول صلى الله عليه

عن النبي

وسلم الذراع فانهش منها وتناول بشر بن البرا عظما آخر فلما ازدرد صلى الله عليه وسلم لقمته ازدرد بشر بن البرا ما في فمه واكل القوم فقال صلى الله عليه وسلم ارفعوا ايديكم فان هذه الذراع تخبرني انها مسمومة وفيه ان بشر بن البرا مات وفيه انه دفعها صلى الله عليه وسلم الى اوليا بشر بن البرا فقتلوها رواه الدمياطي وقد اختلف هل عاقبها صلى الله عليه وسلم فعند البيهقي من حديث ابي هريرة فما عرض لها ومن طريق ابي نضرة عن جابر نحوه قال فلم يعاقبها وقال الزهري اسلمت وتركها قال البيهقي يحتمل ان يكون تركها اولا ثم لما مات بشر بن البرا من الاكلة قتلها وبذلك اجاب السهيلي وزاد انه تركها لانه كان لا ينتقم لنفسه ثم قتلها ببشر قصاصا ويحتمل ان يكون تركها لكونها اسلمت وانما اخر قتلها حتى مات بشر لان بموته يتحقق وجوب القصاص بشرطه وفي مغازي سليمان التيمي انها قالت ان كنت كاذبا ارحت الناس منك وقد استبان الآن انك صادق وانا اشهدك ومن حضر اني على دينك وان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله قال فانصرف عنها حين اسلمت وفيه موافقة الزهري على اسلامها والله اعلم وفي هذه الغزوة ايضا نام رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة الفجر لما وكل به بلالا كما في حديث ابي هريرة عند مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قفل من غزوة خيبر سار ليله حتى ادركه الكرى عرس وقال لبلال اكلا لنا الليل فصلى بلال ما قدر له ونام صلى الله عليه وسلم واصحابه فلما قارب الفجر استند بلال الى راحلته مواجه الفجر فغلبت بلالا عيناه وهو مستند الى راحلته فلم يستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بلال ولا احد من الصحابة حتى ضربتهم الشمس فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اولهم استيقاظا فقال اي بلال فقال بلال اخذ بنفسي الذي اخذ بابي انت وامي يا رسول الله بنفسك قال اقتادوا فاقتادوا رواحلهم شيئا ثم توضا صلى الله عليه وسلم وامر بلالا فاقام الصلاة فصلى بهم الصبح فلما قضى الصلاة قال من نسي الصلاة فليصلها اذا ذكرها فان الله تعالى قال اقم الصلاة لذكري وفيها قدم جعفر ومن معه من الحبشة واختلف في فتح خيبر هل كان عنوة او صلحا وفي حديث عبد العزيز ابن صهيب عن انس التصريح بانه كان عنوة وبه جزم ابن عبد البر ورد على من قال فتحت صلحا قال وانما دخلت الشبهة على من قال فتحت صلحا بالحصنين الذين اسلمهما اهلهما لحقن دمائهم وهو ضرب من الصلح لكن لم يقع ذلك الا بحصار وقتال انتهى

ثم فتح وادي القرى

في جمادى الآخرة بعد ما اقام بها اربعا حاصرهم وقاتل اكثر من ذلك واصاب مدعما مولاه سهم فقال صلى الله عليه وسلم ان الشملة التي غلها من خيبر لتشتعل عليه نارا وصالحه اهل تيما على الجزية قاله الحافظ مغلطاي

ثم سرية عمر بن الخطاب

رضي الله عنه الى تربة في شعبان سنة سبع ومعه ثلاثون رجلا وخرج معه دليل من بني هلال فكان يسير الليل ويكمن النهار فاتى الخبر الى هوازن فهربوا وجاء عمر بن الخطاب الى محالهم فلم يلق منهم احدا فانصرف راجعا الى المدينة

ثم سرية ابي بكر الصديق رضي الله عنه

الى بني كلاب ناحية ضرية في شعبان سنة سبع وقيل الى فزارة فسبى منهم جماعة وقتل آخرين وفي صحيح مسلم فزارة وهو الصواب

ثم سرية بشير بن سعد الانصاري

الى بني مرة بفدك في شعبان سنة سبع ومعه ثلاثون رجلا فقتلوا وقاتل بشير حتى ارتث وضرب كعبه وقيل قد مات وقدم علبة ابن زيد الحارثي بخبرهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قدم بعده بشير بن سعد

ثم سرية غالب بن عبد الله الليثي

الى الميفعة بناحية نجد من المدينة على ثمانية برد في شهر رمضان سنة سبع من الهجرة في مائتين وثلاثين رجلا فهجموا عليهم في وسط محالهم فقتلوا من اشرف لهم واستاقوا نعما وشاء الى المدينة قالوا وفي هذه السرية قتل اسامة ابن زيد نهيك بن مرداس بعد ان قال لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا شققت عن قلبه فتعلم اصادق هو ام كاذب فقال اسامة لا اقاتل احدا يشهد ان لا اله الا الله وفي الاكليل فعل ذلك اسامة في سرية كان هو اميرها سنة ثمان وفي البخاري عن ابي ظبيان قال سمعت اسامة بن زيد يقول بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحرقة فصبحنا القوم فهزمناهم ولحقت انا ورجل من الانصار رجلا منهم فلما غشيناه قال لا اله الا الله فكف الانصاري عنه وطعنته برمحي حتى قتلته فلما قدمنا بلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا اسامة اقتلته بعد ما قال لا اله الا الله قلت كان متعوذا فما زال يكررها حتى تمنيت اني لم اكن اسلمت قبل ذلك اليوم

ثم سرية بشير بن سعد الانصاري ايضا

الى يمن وجبار بفتح الجيم وهي ارض لغطفان ويقال لفزارة وعذرة في شوال سنة سبع من الهجرة وبعث معه ثلاثمائة رجل لجمع تجمعوا للاغارة على المدينة فساروا الليل وكمنوا النهار فلما بلغهم مسير بشير هربوا واصاب لهم نعما كثيرة فغنمها واسر رجلين وقدم بهما الى المدينة والى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلما

ثم عمرة القضية

وتسمى عمرة القضاء لانه قاضى فيها قريشا لا لانها قضاء عن العمرة التي صد عنها لانها لم تكن فسدت حتى يجب قضاؤها بل كانت عمرة تامة ولهذا اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم اربعا كما سيأتي ان شاء الله تعالى وقال آخرون بل كانت قضاء عن العمرة الاولى وعدوا عمرة الحديبية في العمر لثبوت الاجر فيها لا لانها كملت وهذا الخلاف مبني على الاختلاف في وجوب القضاء على من اعتمر فصد عن البيت فقال الجمهور يجب عليه الهدي ولا قضاء عليه وعن ابي حنيفة عكسه وعن احمد رواية انه لا يلزمه هدي ولا قضاء واخرى يلزمه القضاء والهدي فحجة الجمهور قوله تعالى فان احصرتم فما استيسر من الهدي وحجة ابي حنيفة ان العمرة تلزم بالشروع فاذا احصر جاز له تاخيرها فاذا زال الحصر اتى بها ولا يلزم من التحلل بين الاحرامين سقوط القضاء وحجة من اوجبهما ما وقع للصحابة فانهم نحروا الهدي حيث صدوا واعتمروا من قابل وساقوا الهدي وحجة من لم يوجبهما ان تحللهم بالحصر لم يتوقف على نحر الهدي بل امر من معه هدي ان ينحره ومن ليس معه هدي ان يحلق انتهى قال الحاكم في الاكليل تواترت الاخبار انه صلى الله عليه وسلم لما هل ذو القعدة يعني سنة سبع امر اصحابه ان يعتمروا قضاء لعمرتهم التي صدهم المشركون عنها بالحديبية وان لا يتخلف احد ممن شهد الحديبية فلم يتخلف منهم الا رجال استشهدوا بخيبر ورجال ماتوا وخرج معه صلى الله عليه وسلم من المسلمين الفان واستخلف على المدينة ابا رهم الغفاري وساق عليه الصلاة والسلام ستين بدنة وحمل السلاح والبيض والدرع والرماح وقاد مائة فرس فلما انتهى الى ذي الحليفة قدم الخيل امامه عليها محمد بن مسلمة وقدم السلاح واستعمل عليها بشير بن سعد واحرم

صلى الله عليه وسلم ولبى والمسلمون يلبون معه ومضى محمد بن مسلمة في الخيل الى مر الظهران
فوجدوا بها نفرا من قريش فسألوه فقال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبح هذا المنزل غدا
ان شاء الله تعالى فاتوا قريشا فاخبروهم ففزعوا ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمر الظهران
وقدم السلاح الى بطن ياجج ليسمع وينصر ويضرب موضع بمكة حيث ينظر الى انصاب الحرم
وخلف عليه اوس بن خولي الانصاري في مايتي رجل وخرجت قريش من مكة الى رؤس الجبال
وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدي امامه فحبس بذي طوى وخرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم على راحلته القصوى والمسلمون متوشحون السيوف محدقون برسول الله
صلى الله عليه وسلم يلبون فدخل من الثنية التي تطلعه على الحجون وابن رواحة اخذ بزمام
راحلته وفي رواية الترمذي في الشمايل من حديث انس انه صلى الله عليه وسلم دخل مكة
في عمرة القضاء وابن رواحة يمشي بين يديه وهو يقول

خلوا بني الكفار عن سبيله ۝ اليوم نضربكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله ۝ ويذهل الخليل عن خليله

فقال له عمر يا ابن رواحة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم تقول شعرا فقال له صلى الله
عليه وسلم خل عنه يا عمر فلهي اسرع فيهم من نضح النبل ورواه عبد الرزاق من حديث انس
ايضا من وجهين بلفظ

خلوا بني الكفار عن سبيله ۝ قد انزل الرحمن في تنزيله
بان خير القتل في سبيله ۝ نحن قتلناكم على تاويله
كما قتلناكم على تنزيله

واخرجه الطبراني والبيهقي في الدلايل وفيه

اليوم نضربكم على تنزيله ۝ ضربا يزيل الهام عن مقيله
ويذهل الخليل عن خليله ۝ يا رب اني مومن بقيله

وعند ابن عقبة في المغازي بعد قوله

قد انزل الرحمن في تنزيله ۝ في صحف تتلى على رسوله

لكنه لم يذكر انشاوزاد ابن اسحق بعد قوله

يا رب اني مومن بقيله ۝ اني رايت الحق في قبوله

وقول ابن هشام ان قوله نحن ضربناكم على تاويله الى آخر الشعر من قول عمار بن ياسر
قاله يوم حنين **قالوا** ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبي حتى استلم الركن
بمحجنه مضطبعا بثوبه وطاف على راحلته والمسلمون يطوفون معه وقد اضطبعوا
بثيابهم وفي البخاري عن ابن عباس قال المشركون انه يقدم عليكم وفد وهنتهم حمى يثرب
فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يرملوا الاشواط الثلاثة وان يمشوا ما بين الركنين
ولم يمنعهم ان يرملوا الاشواط كلها الا الابقا عليهم وفي رواية قال ارملوا ليرى المشركون
قوتكم والمشركون من قبل قعيقعان ومعنى الا الابقا عليهم اي لم يمنعهم من امرهم بالرمل
في جميع الطوفات الا الرفق بهم والاشفاق عليهم ثم طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الصفا

المشركين

والمروة

والمروة على راحلته فلما كان الطواف السابع عند فراغه وقد وقف الهدي عند المروة وقال
هذا المنحر وكل فجاج مكة منحر فنحر عند المروة وحلق هناك وكذلك فعل المسلمون وامر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسا منهم الى اصحابهم ببطن ياجج فيقيموا على السلاح ويأتي الاخرون
فيقضوا نسكهم ففعلوا واقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثا وفي البخاري من حديث
البرا فلما دخلها يعني مكة ومضى الاجل اتوا عليا فقالوا قل لصاحبك اخرج عنا فقد مضى الاجل
فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فتبعته ابنة حمزة تنادي يا عم يا عم فتناولها علي فاخذ بيدها
وقال لفاطمة دونك بنت عمك فحملتها فاختصم فيها علي وزيد وجعفر قال علي انا اخذتها وهي ابنة
عمي وقال جعفر ابنة عمي وخالتها تحتي فقال زيد بنت اخي فقضى بها النبي صلى الله عليه وسلم
لخالتها وقال الخالة بمنزلة الام الحديث وانما اقرهم النبي صلى الله عليه وسلم على اخذها مع اشتراط
المشركين ان لا يخرج باحد من اهلها اراد الخروج لانهم لم يطلبوها وقوله الخالة بمنزلة الام اي في هذا
الحكم الخاص لانها تقرب منها في الحنو والشفقة والاهتدا الى ما يصلح الولد ويوخذ منه ان الخالة
في الحضانة مقدمة على العمة لان صفية بنت عبد المطلب كانت موجودة حينيذ واذا قدمت
على العمة مع كونها اقرب العصبات من النسا فهي مقدمة على غيرها ويوخذ منه تقديم اقارب
الام على اقارب الاب انتهى قال ابن عباس وتزوج النبي صلى الله عليه وسلم ميمونة وهو
محرم وبنى بها وهو حلال وقد استدرك ذلك على ابن عباس وعد من وهمه قال سعيد
ابن المسيب وهل ابن عباس وان كانت خالته ما تزوجها صلى الله عليه وسلم الا بعد ما حل
ذكره البخاري ووهل بكسر الها اي غلط وقال يزيد بن الاصم عن ميمونة تزوجني رسول الله
صلى الله عليه وسلم ونحن حلال بسرف رواه مسلم وسياتي في الخصايص من مقصد
معجزاته ان شا الله تعالى ان له صلى الله عليه وسلم النكاح في حال الاحرام على اصح الوجهين
عند الشافعية **ثم سرية ابن ابي العوجاء السلمي** الى بني سليم في ذي الحجة
سنة سبع في خمسين رجلا فاحدق بهم الكفار من كل ناحية وقاتل القوم قتالا شديدا
حتى قتل عامتهم واصيب ابن ابي العوجاء مع القتلى ثم تحامل حتى بلغ رسول الله صلى الله
عليه وسلم في اول صفر سنة ثمان **ثم سرية غالب بن عبد الله الليثي**
الى بني الملوح بالكاف المهملة بالكديد في صفر سنة ثمان من مهاجره فغنم وفي هذا الشهر قدم خالد
ابن الوليد وعثمان بن ابي طلحة وعمرو بن العاص المدينة فاسلموا وقال ابن ابي خيثمة كان ذلك
سنة خمس وقال الحاكم سنة سبع **ثم سرية غالب ايضا** الى مصاب اصحاب بشير
ابن سعد بفدك في صفر سنة ثمان ومعه مايتا رجل واغاروا عليهم مع الصبح وقتلوا منهم
قتلى واصابوا نعما **ثم سرية شجاع بن وهب الاسدي** الى بني عامر بالسي
من ذات عرق الى وجرة على ثلاث مراحل من مكة الى البصرة وخمس من المدينة في شهر
ربيع الاول سنة ثمان ومعه اربعة وعشرون رجلا الى جمع من هوازن وامره ان يغير
عليهم فكان يسير الليل ويكمن النهار حتى صبحهم فاصابوا نعما وشا واستاقوا ذلك حتى قدموا
المدينة وكانت غيبتهم خمس عشرة ليلة واقتسموا الغنيمة وكانت سهامهم خمسة عشر بعيرا
وعدلوا البعير بعشر من الغنم **ثم سرية كعب بن عمير الغفاري** الى ذات اطلاح وراء

سرية ابن ابي العوجاء السلمي
سرية غالب بن عبد الله الليثي
سرية غالب ايضا
سرية شجاع بن وهب الاسدي
سرية كعب بن عمير الغفاري

ذات القرى في ربيع الاول سنة ثمان في خمسة عشر رجلا فساروا حتى انتهوا الى ذات الطلاح فوجدوا جمعا كثيرا فقاتلهم الصحابة اشد القتال حتى قتلوا وافلت منهم رجل جريح في القتلى قال مغلطاي قيل هو الامير فلما برد عليه الليل تحامل حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره الخبر فشق ذلك عليه وهم بالبعث اليهم فبلغه انهم ساروا الى موضع آخر فتركهم ثم سرية مؤتة بضم الميم وسكون الواو بغير همز لاكثر الرواة وبه جزم المبرد وجزم ثعلب والجوهري وابن فارس بالهمز وحكى غيرهم الوجهين وهي من عمل البلقاء بالشام دون دمشق في جمادى الاولى سنة ثمان وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ارسل الحارث بن عمير الازدي بكتاب الى ملك بصرى فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فقتله ولم يقتل لرسول الله صلى الله عليه وسلم رسول غيره فامر صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة على ثلاثة الآف وقال ان قتل فجعفر بن ابي طالب فان قتل فعبد الله بن رواحه فان قتل فليرتض المسلمون برجل من بينهم يجعلوه عليهم وفي حديث عبد الله بن جعفر عند احمد والنسائي باسناد صحيح ان قتل زيد فاميركم جعفر الحديث قالوا وعقد له صلى الله عليه وسلم لواء ابيض ودفعه الى زيد بن حارثة واوصاهم ان ياتوا مقتل الحرث بن عمير وان يدعوا من هناك الى الاسلام فان اجابوا والا استعانوا عليهم بالله وقاتلوهم وخرج مشيعا لهم حتى بلغ ثنية الوداع فوقف وودعهم فلما ساروا نادى المسلمين دفع الله عنكم وردكم صالحين غانمين فقال ابن رواحة ؎

لكنني اسال الرحمن مغفرة ؎ وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا ؎

فلما فصلوا عن المدينة سمع العدو بمسيرهم فجمعوا الجموع وقام فيهم شرحبيل بن عمرو فجمع اكثر من مائة الف وقدم الطلايع امامه وقد نزل المسلمون معان بفتح الميم موضع من ارض الشام وبلغ الناس كثرة العدو وتجمعهم وان هرقل نزل بارض البلقاء في مائة الف من المشركين فاقاموا ليلتين لينظروا في امرهم وقالوا نكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم نخبره الخبر فشجعهم عبد الله بن رواحة على المضي فمضوا الى مؤتة ووافاهم المشركون فجاء منهم ما لا قبل لاحد به من العدد والسلاح والكراع والديباج والحرير والتقى المسلمون والمشركون فقاتل الامراء يومئذ على ارجلهم فاخذ اللواء زيد بن حارثة فقاتل وقاتل المسلمون معه على صفوفهم حتى قتل طعنا بالرماح ثم اخذ اللواء جعفر بن ابي طالب فنزل عن فرس له شقرا وقاتل حتى قتل ضربه رجل من الروم فقطعه نصفين فوجد في احد نصفيه بضعة وثمانون جرحا وفيما اقبل من بدنه اثنتان وسبعون ضربة بسيف وطعنة برمح قال في رواية البخاري ووجدنا ما في جسده بضعا وتسعين من طعنة ورمية وفي رواية ان ابن عمر وقف على جعفر يومئذ وهو قتيل قال فعددت به خمسين بين طعنة وضربة ليس فيها شيء في دبره وذكر ابن اسحق باسناد حسن وهو عند ابي داود من طريقه عن رجل من مرة قال والله لكاني انظر الى جعفر بن ابي طالب حين اقتحم عن فرس له شقرا فعقرها ثم تقدم فقاتل حتى قتل قال ثم اخذ اللواء عبد الله ابن رواحة فقاتل حتى قتل فاخذ اللواء ابن اقرم العجلاني الى ان اصطلح الناس على خالد بن الوليد فاخذ اللواء وانكشف الناس فكانت الهزيمة فتبعهم المشركون فقتل من قتل من المسلمين وقال الحاكم قاتلهم خالد بن الوليد فقتل منهم مقتلة عظيمة واصاب غنيمة وقال ابن سعد

انما انهزم

انما انهزم المسلمون وقال ابن اسحق انحازت كل طائفة من غير هزيمة ورفعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نظر الى معترك القوم وعن عبد الله بن الزبير قال حدثني ابي الذي ارضعني وكان احد بني مرة قال شهدت مؤتة مع جعفر بن ابي طالب واصحابه فرايت جعفرا حين التحم القتال اقتحم عن فرس له شقرا ثم عقرها وقاتل القوم حتى قتل خرجه البغوي في معجمه وقطعت في تلك الوقعة يداه جميعا ثم قتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ابدله بيديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء خرجه ابو عمر وفي البخاري عن عائشة رضي الله عنها لما جاء قتل ابن رواحة وابن حارثة وجعفر بن ابي طالب جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف منه الحزن واخرج الطبراني باسناد حسن عن عبد الله بن جعفر قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هنيئا لك ابوك يطير مع الملائكة في السماء وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رايت جعفر بن ابي طالب يطير مع الملائكة اخرجه الترمذي والحاكم وفي اسناده ضعف لكن له شاهد من حديث علي عند ابن سعد وعن ابي هريرة ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مر بي جعفر الليلة في ملا من الملائكة وهو مخضب الجناحين بالدم اخرجه الترمذي والحاكم باسناد على شرط مسلم واخرج هو ايضا والطبراني عن ابن عباس مرفوعا دخلت البارحة الجنة فرايت فيها جعفر بن ابي طالب يطير مع الملائكة وفي طريق اخرى عنه ان جعفرا يطير مع جبريل وميكائيل له جناحان عوضه الله من يديه واسناد هذا جيد فعوضه الله تعالى عن قطع يديه في هذه الوقعة حيث اخذ اللواء بيمينه فقطعت ثم اخذه بشماله فقطعت ثم احتضنه فقتل قال السهيلي له جناحان ليسا كما يسبق الى الوهم كجناحي الطائر وريشه لان الصورة الآدمية اشرف الصور واكملها فالمراد بالجناحين صفة ملكية وقوة روحانية وقد عبر القرآن عن العضو بالجناح توسعا في قوله واضمم يدك الى جناحك وقال العلماء في اجنحة الملائكة انها صفات ملكية لا تفهم الا بالمعاينة فقد ثبت ان لجبريل ستمائة جناح ولا يعهد للطير ثلاثة اجنحة فضلا عن اكثر من ذلك واذا لم يثبت خبر في بيان كيفيتها فنؤمن بها من غير بحث عن حقيقتها انتهى قال الحافظ ابن حجر وهذا الذي جزم به في مقام المنع والذي حكاه عن العلماء ليس صريحا في الدلالة لما ادعاه ولا مانع من الحمل على الظاهر الا من جهة ما ذكره من المعهود وهو قياس الغايب على الشاهد وهو ضعيف وكون الصورة البشرية اشرف الصور لا يمنع من حمل الخبر على ظاهره لان الصورة باقية وقد روى البيهقي في الدلايل من مرسل عاصم بن عمر بن قتادة ان جناحي جعفر من ياقوت وجاء في جناحي جبريل انهما من لؤلؤ اخرجه ابن منده في ترجمة ورقة وذكر موسى بن عقبة في المغازي ان يعلى بن امية قدم بخبر اهل مؤتة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئت فاخبرني وان شئت اخبرتك قال اخبرني فاخبره خبرهم فقال والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفا لم تذكره وعند الطبراني من حديث ابي اليسر الانصاري ان ابا عامر الاشعري هو الذي اخبر النبي صلى الله عليه وسلم بمصابهم ثم سرية عمرو بن العاص الى ذات السلاسل

سرية عمرو بن العاص الى ذات السلاسل

وسميت بذلك لأن المشركين ارتبط بعضهم إلى بعض مخافة أن يفروا وقيل لأن بها ماء يقال له السلسل وراء ذات القرى من المدينة على عشرة أيام وكانت في جمادى الآخرة سنة ثمان وقيل كانت سنة سبع وبه جزم ابن أبي خالد في كتاب صحيح التاريخ ونقل ابن عساكر الاتفاق على أنها كانت بعد غزوة مؤتة إلا ابن إسحق فقال قبلها **وسببها** أنه بلغه صلى الله عليه وسلم أن جمعا من قضاعة قد تجمعوا للإغارة فعقد له لواء أبيض وجعل معه راية سوداء وبعثه في ثلثمائة من سراة المهاجرين والأنصار ومعهم ثلاثون فرسا فسار الليل وكمن النهار فلما قرب منهم بلغه أن لهم جمعا كثيرا فبعث رافع بن مكيث بفتح الميم الجهني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمده فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح وعقد له لواء وبعث معه مائتين من سراة المهاجرين والأنصار فيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهم وأمره أن يلحق بعمرو وأن يكونا جميعا ولا يختلفا فأراد أبو عبيدة أن يؤم الناس فقال عمرو إنما قدمت علي مددا وأنا الأمير فأطاع له بذلك أبو عبيدة فكان عمرو يصلي بالناس وسار حتى وطئ بلاد العدو بلي وعذرة فحمل عليهم المسلمون فهربوا في البلاد وتفرقوا

ثم سرية أبي عبيدة بن الجراح وسماها البخاري غزوة سيف البحر **وتعرف بسرية الخبط** وبعث معه صلى الله عليه وسلم ثلثمائة كما في الصحيحين وغيرهما وهو المشهور ولكن في رواية للنسائي وبضع عشرة فإن صحت هذه الرواية فلعله اقتصر في الرواية المشهورة على الثلثمائة استثناها لأمر الكسر والأخذ بالزيادة مع صحتها واجب وكان فيهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتلقى عيرا لقريش رواه مسلم وعنده أيضا إلى أرض جهينة ولا منافاة بينهما فالجهة أرض جهينة والقصد تلقي عير قريش وهي الإبل المحملة الطعام وغيره لكن في كتب السير أن البعث إلى حي من جهينة بالقبلية بفتح القاف والموحدة مما يلي ساحل البحر وبينها وبين المدينة خمس ليال ولعل البعث لمقصدين رصد عير قريش ومحاربة حي من جهينة قال ابن سعد وكانت في رجب سنة ثمان وفيه نظر فإنه غير قريش ما يتصور أن يكون في هذه المدة لأنهم حينئذ كانوا في الهدنة فالصحيح أن تكون هذه السرية سنة ست أو قبلها قبل هدنة الحديبية ثم يحتمل أن يكون تلقيهم العير ليس لمحاربتهم بل لحفظهم من جهينة ولهذا لم يقع في شيء من طرق الخبر أنهم قاتلوا أحدا بل فيه أنهم أقاموا نصف شهر أو أكثر في مكان واحد فالله أعلم قاله الحافظ ابن حجر لكن قال شيخ الإسلام ابن العراقي في شرح التقريب قالوا وكانت هذه السرية في شهر رجب سنة ثمان من الهجرة وذلك بعد نكث قريش العهد وقبل الفتح فإنه كان في رمضان من السنة المذكورة انتهى وقالوا وزودهم صلى الله عليه وسلم جرابا من التمر فلما فني أكلوا الخبط وهو بفتح المعجمة والموحدة بعدها مهملة ورق السلم وفي رواية أبي الزبير وكنا نضرب بعصينا الخبط ونبله بالماء فنأكله وهذا يدل على أنه كان أخضر رطبا وقد كان معهم تمر غير الجراب النبوي ويدل عليه حديث البخاري في الجهاد خرجنا ونحن ثلثمائة نحمل زادنا على رقابنا ففني زادنا حتى كان الرجل منا يأكل تمرة تمرة وابتاع قيس بن سعد جزورا ونحرها لهم وأخرج الله لهم من البحر دابة تسمى العنبر فأكلوا منها وتزودوا ورجعوا ولم يلقوا كيدا وفي رواية جابر عند الأئمة الستة بعثنا

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثمائة راكب أميرنا أبو عبيدة بن الجراح فأقمنا على الساحل حتى فني زادنا حتى أكلنا الخبط ثم إن البحر ألقى لنا دابة يقال لها العنبر فأكلنا منها نصف شهر حتى صلحت أجسامنا فأخذ أبو عبيدة ضلعا من أضلاعه فنصبه ونظر إلى أطول بعير فجاز تحته الحديث زاد الشيخان في رواية فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا ذلك له فقال هو رزق أخرجه الله لكم فهل معكم شيء من لحمه فتطعمونا قال فأرسلنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكل

ثم سرية أبي قتادة بن ربعي الأنصاري إلى خضرة وهي أرض محارب بنجد في شعبان سنة ثمان وبعث معه خمسة عشر رجلا إلى غطفان فقتل من أشرف منهم وسبوا سبيا كثيرا واستاقوا النعم فكانت الإبل مائتي بعير والغنم ألفي شاة وكانت غيبته خمس عشرة ليلة

ثم سرية أبي قتادة أيضا إلى بطن إضم فيما بين ذي خشب وذي المروة على ثلاثة برد من المدينة في أول شهر رمضان سنة ثمان وذلك أنه صلى الله عليه وسلم لما هم أن يغزو أهل مكة بعث أبا قتادة في ثمانية نفر سرية إلى بطن إضم ليظن أنه صلى الله عليه وسلم توجه إلى تلك الناحية ولأن تذهب بذلك الأخبار فلقوا عامر بن الأضبط فسلم عليهم بتحية الإسلام فقتله محلم ابن جثامة فأنزل الله تعالى ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا إلى آخر الآية رواه أحمد وعند ابن جرير من حديث ابن عمر نحوه وزاد فجاء محلم بن جثامة في بردين فجلس بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ليستغفر له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا غفر الله لك فقام وهو يتلقى دموعه ببرديه فما مضت له سابعة حتى مات فلفظته الأرض وعند غيره ثم عادوا به فلفظته الأرض فلما غلب قومه عمدوا إلى صدين فسطحوه ثم رضموا عليه الحجارة حتى واروه وفي رواية ابن جرير فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن الأرض تقبل من هو شر من صاحبكم ولكن يريد الله أن يعظكم ونسب ابن إسحق هذه السرية لابن أبي حدرد ومعه رجلان إلى الغابة لما بلغه صلى الله عليه وسلم أن رفاعة بن قيس يجمع لحربه فقتلوا رفاعة وهزموا عسكره وغنموا غنيمة عظيمة حكاه مغلطاي

ثم فتح مكة زادها الله شرفا وهو كما قال في زاد المعاد الفتح الأعظم الذي أعز الله به دينه ورسوله وجنده وحرمه الأمين واستنقذ به بلده وبيته الذي جعله هدى للعالمين من أيدي الكفار والمشركين وهو الفتح الذي استبشر به أهل السماء وضربت أطناب عزه على مناكب الجوزاء ودخل الناس في دين الله أفواجا وأشرق به وجه الأرض ضياء وابتهاجا **خرج** صلى الله عليه وسلم بكتائب الإسلام وجنود الرحمن لنقض قريش العهد الذي وقع بالحديبية فإنه كان قد وقع الشرط أنه من أحب أن يدخل في عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده فعل ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم فعل فدخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدهم ودخلت خزاعة في عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده وكان بين بني بكر وخزاعة حروب وقتلى في الجاهلية فتشاغلوا عن ذلك لما ظهر الإسلام فلما كانت الهدنة خرج نوفل بن معاوية الديلي من بني بكر في بني الديل حتى بيتوا خزاعة وهم على ماء لهم يقال له الوتير فأصابوا منهم رجلا

فقال له منبه واستيقظت لهم خزاعة فاقتتلوا الى ان دخلوا الحرم ولم يتركوا القتال وامدت
قريش بني بكر بالسلاح وقاتل بعضهم معهم ليلا في خفية وخرج عمرو بن سالم الخزاعي في اربعين
راكبا من خزاعة فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرونه بالذي اصابهم ويستنصرونه
فقام وهو يجر رداءه وهو يقول لا نصرت ان لم انصركم بما انصر منه نفسي وفي المعجم الصغير للطبراني
من حديث ميمونة انها سمعته صلى الله عليه وسلم يقول في متوضايه ليلا لبيك لبيك
ثلاثا نصرت نصرت ثلاثا فلما خرج قلت يا رسول الله سمعتك تقول في متوضايك لبيك لبيك
ثلاثا نصرت نصرت ثلاثا كانك تكلم انسانا فهل كان معك احد فقال صلى الله عليه وسلم
هذا راجز من بني كعب يستصرخني ويزعم ان قريشا اعانت عليهم بني بكر ثم خرج عليه الصلاة
والسلام فامر عائشة ان تجهزه ولا تعلم احدا قالت فدخل علينا ابو بكر فقال يا بنية ما هذا الجهاز
فقالت والله ما ادري فقال والله ما هذا زمان غزو بني الاصفر فاين يريد رسول الله صلى الله
عليه وسلم قالت والله لا علم لي قالت فاقمنا ثلاثا ثم صلى الصبح بالناس فسمعت الراجز ينشد

يا رب اني ناشد محمدا ... حلف ابينا وابيه الا تلدا
ان قريشا اخلفوك الموعدا ... ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وزعموا ان لست تدعو احدا ... فانصر هداك الله نصرا ابدا
وادع عباد الله ياتوا مددا ... فيهم رسول الله قد تجردا
ان سيم خسفا وجهه تربدا ... قال في القاموس تربد تغير وزاد ابن اسحق
هم بيتونا بالوتير هجدا ... وقتلونا ركعا وسجدا
وزعموا ان لست تدعو احدا ... وهم اذل واقل عددا

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت يا عمرو بن سالم فكان ذلك ما هاج فتح
مكة وقد ذكر البزار من حديث ابي هريرة بعض الابيات المذكورة وقدم
ابو سفيان بن حرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يساله ان يجدد العهد
ويزيد في المدة فابى عليه فانصرف الى مكة فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم
من غير اعلام احد بذلك فكتب حاطب كتابا وارسله الى مكة يخبر بذلك فاطلع الله نبيه
على ذلك فقال عليه الصلاة والسلام لعلي بن ابي طالب والزبير والمقداد انطلقوا حتى تاتوا
روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها قال فانطلقنا حتى اتينا الروضة فاذا نحن
بالظعينة قلنا اخرجي الكتاب قالت ما معي كتاب فقلنا لتخرجن الكتاب او لنلقين الثياب
قال فاخرجته من عقاصها فاتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حاطب
ابن ابي بلتعة الى ناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا حاطب ما هذا قال يا رسول الله لا تعجل علي اني كنت امرا ملصقا في قريش يقول
كنت حليفا ولم اكن من انفسها وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون اهليهم
واموالهم فاحببت اذ فاتني ذلك من النسب فيهم ان اتخذ عندهم يدا يحمون قرابتي
ولم افعله ارتدادا عن ديني ولا رضى بالكفر بعد الاسلام فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اما انه قد صدقكم فقال عمر يا رسول الله دعني اضرب عنق هذا المنافق فقال انه

فقد شهد بدرا

كتاب حاطب الى قريش

قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدرا فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم
فانزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة الى
قوله فقد ضل سواء السبيل رواه البخاري قال في فتح الباري وانما قال عمر رضي الله عنه
دعني يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق مع تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم له
فيما اعتذر به لما كان عند عمر من القوة في الدين وبغض المنافقين وظن ان من خالف ما امره به النبي
صلى الله عليه وسلم استحق القتل لكنه لم يجزم بذلك فلذلك استاذن في قتله واطلق عليه
منافقا لكونه ابطن خلاف ما اظهر وعذر حاطب ما ذكره فانه صنع ذلك متاولا ان لا ضرر فيه
وعند الطبري من طريق الحرث عن علي في هذه القصة فقال اليس قد شهد بدرا وما يدريك
لعل الله اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فارشد الى علة ترك قتله
وعند الطبري ايضا عن عروة فاني غافر لكم وهذا يدل على ان المراد بقوله غفرت اغفر
على طريق التعبير عن الاتي بالواقع مبالغة في تحققه قال والذي يظهر ان هذا الخطاب
خطاب اكرام وتشريف تضمن ان هولاء حصلت لهم حالة غفرت بها ذنوبهم السالفة وتاهلوا
ان يغفر لهم ما يستانف من الذنوب اللاحقة وقد اظهر الله تعالى صدق رسوله في كل من اخبر
عنه بشيء من ذلك فانهم لم يزالوا على اعمال اهل الجنة الى ان فارقوا الدنيا ولو قدر صدور
شيء من احدهم لبادر الى التوبة ولازم الطريقة المثلى ويعلم ذلك من احوالهم بالقطع
من اطلع على سيرهم قاله الطبري وذكر بعض اهل المغازي وهو في تفسير يحيى بن سلام
ان لفظ الكتاب الذي كتبه حاطب اما بعد يا معشر قريش فان رسول الله صلى الله عليه وسلم
جاءكم بجيش يسير كالسيل فوالله لو جاءكم وحده لنصره الله وانجز له فانظروا لانفسكم والسلام
كذا حكاه السهيلي وروى الواقدي بسند له مرسل ان حاطبا كتب الى سهيل بن عمرو وصفوان
ابن امية وعكرمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن في الناس بالغزو ولا اراه يريد
غيركم وقد احببت ان يكون لي عندكم يد انتهى وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى من حوله من العرب فجلبهم اسلم وغفار ومزينة وجهينة واشجع وسليم فمنهم من وافاه بالمدينة
ومنهم من لحقه بالطريق فكان المسلمون في غزوة الفتح عشرة آلاف وفي الاكليل وشرف
المصطفى اثنا عشر الفا ويجمع بينهما بان العشرة الاف خرج بها من نفس المدينة ثم تلاحق به
الالفان واستخلف على المدينة ابن ام مكتوم وقيل ابا رهم الغفاري وخرج عليه الصلاة
والسلام يوم الاربعاء لعشر ليال خلون من رمضان بعد العصر سنة ثمان من الهجرة قاله
الواقدي وعند احمد باسناد صحيح عن ابي سعيد قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم عام الفتح لليلتين خلتا من شهر رمضان فما قاله الواقدي ليس بقوي لمخالفته
ما هو اصح منه وفي تعيين هذا التاريخ اقوال اخر منها عند مسلم لست عشرة ولاحمد لثماني عشرة
وفي اخرى لثنتي عشرة والذي في المغازي دخل لتسع عشرة مضت وهو محمول على الاختلاف
في اول الشهر ووقع في اخرى لتسع عشرة او سبع عشرة على الشك ولما بلغ صلى الله عليه
وسلم الكديد بفتح الكاف الماء الذي بين قديد وعسفان افطر فلم يزل مفطرا حتى انسلخ الشهر
رواه البخاري وفي اخرى افطر وافطروا الحديث وكان العباس قد خرج قبل ذلك باهله

وعياله مسلما مهاجرا فلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجحفة وكان قبل ذلك مقيما بمكة
على سقايته ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنه راض وكان ممن لقيه في الطريق أبو سفيان
ابن الحرث بن عمه عليه الصلاة والسلام وأخوه من رضاع حليمة السعدية ومعه ولده
جعفر بن أبي سفيان وكان أبو سفيان آلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما بعث عاداه وهجاه
وكان لقاؤهما له عليه الصلاة والسلام بالأبواء وأسلما قبل دخوله مكة وقيل بل لقيه هو
وعبد الله بن أمية بن عمته عاتكة بنت عبد المطلب بين السقيا والعرج فأعرض صلى الله عليه
وسلم عنهما لما كان يلقى منهما من شدة الأذى والهجو فقالت له أم سلمة لا يكن ابن عمك وابن
عمتك أشقى الناس بك وقال علي لأبي سفيان فيما حكاه أبو عمر وصاحب ذخائر العقبى ائت رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قبل وجهه فقل له ما قال إخوة يوسف ليوسف تالله لقد آثرك الله علينا
وإن كنا لخاطئين فإنه لا يرضى أن يكون أحد أحسن منه قولا ففعل ذلك أبو سفيان فقال له
صلى الله عليه وسلم لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ويقال إنه ما رفع
رأسه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلم حياء منه قالوا ثم سار رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما كان بقديد عقد الألوية والرايات ودفعها إلى القبائل ثم نزل
مر الظهران عشاء فأمر أصحابه فأوقدوا عشرة آلاف نار ولم يبلغ قريشا مسيره وهم
مغتمون لما يخافون من غزوه إياهم فبعثوا أبا سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء
حتى أتوا مر الظهران فلما رأوا العسكر أفزعهم وفي البخاري فإذا هم بنيران كأنها نيران عرفة
فقال أبو سفيان ما هذه لكأنها نيران عرفة فقال بديل بن ورقاء نيران بني عمرو فقال أبو سفيان
عمرو أقل من ذلك فرآهم ناس من حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فأدركوهم فأخذوهم
فأتوا بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم أبو سفيان فلما سار قال للعباس احبس
أبا سفيان عند خطم الجبل حتى ينظر إلى المسلمين فحبسه العباس فجعلت القبائل تمر مع
النبي صلى الله عليه وسلم تمر كتيبة كتيبة على أبي سفيان فمرت كتيبة فقال يا عباس من هذه
قال هذه غفار قال ما لي ولغفار ثم مرت جهينة فقال مثل ذلك حتى أقبلت كتيبة
لم ير مثلها قال من هذه قال هؤلاء الأنصار عليهم سعد بن عبادة معه الراية فقال سعد
ابن عبادة يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الكعبة فقال أبو سفيان يا عباس حبذا
يوم الذمار بالمعجمة المكسورة أي الهلاك قال الخطابي تمنى أبو سفيان أن يكون له يد فيحمي قومه
ويدفع عنهم وقيل هذا يوم الغضب للحريم والأهل والانتصار لهم لمن قدر عليه وقيل هذا
يوم يلزمك فيه حفظي وحمايتي من أن ينالني مكروه وقال ابن إسحق زعم بعض أهل العلم
أن سعدا قال اليوم تستحل الحرمة فسمعها رجل من المهاجرين فقال يا رسول الله ما آمن
أن يكون لسعد في قريش صولة فقال لعلي أدركه فخذ الراية منه فكن أنت تدخل بها وقد روى
الأموي في المغازي أن أبا سفيان قال للنبي صلى الله عليه وسلم لما حاذاه أمرت بقتل قومك
قال لا فذكر له ما قال سعد بن عبادة ثم ناشده الله والرحم فقال يا أبا سفيان اليوم يوم المرحمة
اليوم يعز الله قريشا وأرسل إلى سعد فأخذ الراية منه فدفعها إلى ابنه قيس وعند
ابن عساكر من طريق أبي الزبير عن جابر قال لما قال سعد بن عبادة ذلك عارضت امرأة

من قريش

من قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت

يا نبي الهدى إليك لجائي ... حي قريش ولات حين لجاء
حين ضاقت عليهم سعة الأرض ... وعاداهم إله السماء
إن سعدا يريد قاصمة الظهر ... بأهل الحجون والبطحاء

فلما سمع هذا الشعر دخلته رأفة لهم ورحمة فأمر بالراية فأخذت من سعد ودفعت
إلى ابنه قيس وعند ابن أبي يعلى من حديث الزبير أن النبي صلى الله عليه وسلم دفعها
إليه فدخل مكة بلواءين وإسناده ضعيف جدا لكن جزم موسى بن عقبة في المغازي عن
الزهري أنه دفعها إلى الزبير بن العوام فهذه ثلاثة أقوال فيمن دفعت إليه الراية التي نزعت
من سعد والذي يظهر في الجمع أن عليا أرسل لينزعها وأن يدخل بها ثم خشي تغير خاطر سعد فأمر
بدفعها إلى ابنه قيس ثم إن سعدا خشي أن يقع من ابنه شيء ينكره النبي صلى الله عليه وسلم
فسأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يأخذها منه فحينئذ أخذها الزبير قال في رواية البخاري
ثم جاءت كتيبة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وراية النبي صلى الله عليه وسلم
مع الزبير فلما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان قال ألم تعلم ما قال سعد
ابن عبادة قال ما قال قال كذا وكذا فقال كذب سعد ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة
قال وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تركز رايته بالحجون وقال عروة وأخبرني نافع
ابن جبير بن مطعم قال سمعت العباس يقول للزبير بن العوام يا أبا عبد الله ههنا أمرك
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تركز الراية قال وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
خالد بن الوليد أن يدخل من أعلى مكة من كداء أي بالفتح والمد ودخل النبي صلى الله عليه وسلم
من كدا أي بالضم والقصر فقتل من خيل خالد يومئذ رجلان حبيش بن الأشعر وكرز بن
جابر الفهري قال الحافظ ابن حجر وهذا مخالف للأحاديث الصحيحة الآتية أن خالدا من أسفل
مكة والنبي صلى الله عليه وسلم من أعلاها يعني حديث ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم أقبل
يوم الفتح من أعلى مكة على راحلته مردفا أسامة بن زيد وفيه حديث عائشة أنه صلى الله
عليه وسلم دخل عام الفتح من كداء التي بأعلى مكة وغيرهما قال وقد ساق ذلك موسى بن عقبة
سياقا واضحا فقال وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام على المهاجرين
وخيلهم وأمره أن يدخل من كداء من أعلى مكة وأمره أن يغرز رايته عند الحجون ولا يبرح حتى يأتيه
وبعث خالد بن الوليد في قبائل قضاعة وسليم وغيرهم وأمره أن يدخل من أسفل مكة
وأن يغرز رايته عند أدنى البيوت وبعث سعد بن عبادة في كتيبة الأنصار في مقدمة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرهم أن يكفوا أيديهم ولا يقاتلوا إلا من قاتلهم واندفع
خالد بن الوليد حتى دخل من أسفل مكة وقد تجمع بها بنو بكر وبنو الحرث بن عبد مناف
وناس من هذيل ومن الأحابيش الذين استنصرت بهم قريش فقاتلوا خالدا فقاتلهم فانهزموا
وقتل من بني بكر نحو من عشرين رجلا ومن هذيل ثلاثة أو أربعة حتى انتهى بهم القتل إلى
الحزورة إلى باب المسجد حتى دخلوا الدور وفرت طائفة منهم على الجبال وصاح أبو سفيان
من أغلق بابه وكف يده فهو آمن قال ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى البارقة

فقال كنا هذا وقد نهيت عن القتل فقالوا ان خالدا قوتل وبدي بالقتال فلم يكن له بد ان يقاتلهم
قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان اطمأن لخالد بن الوليد لم قاتلت وقد نهيتك
عن القتال فقال هم بدؤنا بالقتال وقد كففت يدي ما استطعت فقال قضاء الله خير وعند ابن اسحق
فلما نزل صلى الله عليه وسلم مر الظهران رقت نفس العباس لاهل مكة فخرج ليلا راكبا بغلة
النبي صلى الله عليه وسلم لكي يجد احدا فيعلم اهل مكة بمجيء النبي صلى الله عليه وسلم ليستأمنوه
فسمع صوت ابي سفين بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء فاردف ابا سفيان خلفه
واتى به الى النبي صلى الله عليه وسلم فاسلم وانصرف الآخران ليعلما اهل مكة ويمكن الجمع
بان الحرس لما اخذوه استنقذه العباس روي ان عمر لما راى ابا سفين ردف العباس دخل
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هذا ابو سفين دعني اضرب عنقه
فقال العباس يا رسول الله اني قد اجرته فقال صلى الله عليه وسلم اذهب يا عباس الى رحلك
فاذا اصبحت فائتني به فذهب فلما اصبح غدا به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما
رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ويحك يا ابا سفيان الم يأن لك ان تعلم ان لا اله الا الله
فقال بابي انت وامي ما احلمك واكرمك واوصلك قال ويحك يا ابا سفين الم يان لك ان تعلم اني
رسول الله قال بابي انت وامي ما احلمك واكرمك واوصلك اما هذه ففي النفس منها شيء فقال له
العباس ويحك اسلم واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قبل ان تضرب عنقك فاسلم
وشهد شهادة الحق فقال العباس يا رسول الله ان ابا سفين رجل يحب الفخر فاجعل له شيئا
قال نعم وامر صلى الله عليه وسلم فنادى مناديه من دخل المسجد فهو امن ومن دخل دار
ابي سفين فهو آمن ومن اغلق عليه بابه فهو امن الا المستثنين وهم كما قاله مغلطاي وغيره
عبد الله بن سعد بن ابي سرح اسلم وابن خطل قتله ابو برزة وقينتاه وهما فرتنا بالفاء
المفتوحة والراء الساكنة والمثناة الفوقية والنون وقريبة بالقاف والموحدة مصغرا اسلمت
احداهما وقتلت الاخرى وسارة مولاة لبني عبد المطلب اسلمت وقيل كانت مولاة عمرو
ابن صيفي بن هشام وارنب ام امراة وقريبة قتلت وعكرمة بن ابي جهل اسلم والحويرث
ابن نقيد قتله علي ومقيس بن صبابة بمهملة مضمومة موحدتين الاولى مفتوحة قتله
نميلة الليثي وهبار بن الاسود اسلم وهو الذي عرض لزينب بنت رسول الله صلى الله
عليه وسلم حين هاجرت فنخس بها حتى سقطت على صخرة واسقطت جنينها وكعب بن زهير
وهند بنت عتبة اسلمت ووحشي بن حرب اسلم انتهى وابن خطل بفتح الخاء المعجمة والطاء
المهملة وابن نقيد بضم النون وفتح القاف وسكون المثناة التحتية آخره دال مهملة مصغرا
ومقيس بكسر الميم وسكون القاف وفتح المثناة التحتية آخره مهملة وقد جمع الواقدي
عن شيوخه اسماء من لم يؤمن يوم الفتح وامر بقتله عشرة انفس ستة رجال واربع نسوة
روى احمد ومسلم والنسائي عن ابي هريرة قال اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بعث
على احدى المجنبتين خالد بن الوليد وبعث الزبير على الاخرى وبعث ابا عبيدة على الحسر بضم المهملة
وتشديد السين المهملة اي الذين بغير سلاح فقال لي يا ابا هريرة اهتف لي بالانصار
فهتفت بهم فجاؤا فاطافوا به فقال لهم اترون الى اوباش قريش واتباعهم ثم قال باحدى يديه

على الاخرى احصدوهم حصدا حتى توافوني بالصفا قال ابو هريرة فانطلقنا فما نشاء ان نقتل احدا منهم
الا قتلناه فجاء ابو سفين فقال يا رسول الله ابيحت خضراء قريش لا قريش بعد اليوم فقال
صلى الله عليه وسلم من اغلق بابه فهو آمن قال في فتح الباري وقد تمسك بهذه القصة
من قال ان مكة فتحت عنوة وهو قول الاكثر وعن الشافعي وهي رواية عن احمد انها
فتحت صلحا لما وقع من هذا التأمين ولاضافة الدور الى اهلها ولانها لم تقسم ولان لم يملكوا
دورهم لا لجاز اخراج اهل الدور منها وحجة الاولين ما وقع التصريح به من الامر بالقتال
ووقوعه من خالد بن الوليد وبتصريحه عليه الصلاة والسلام بانها احلت له ساعة من نهار
ونهيه عن التأسي به في ذلك فاجابوا عن ترك القسمة بانها لا يستلزم عدم العنوة فقد تفتح
البلد عنوة ويمن على اهلها ويترك لهم دورهم قال واما قول النووي واحتج الشافعي
بالاحاديث المشهورة بان النبي صلى الله عليه وسلم صالحهم بمر الظهران قبل دخول مكة
ففيه نظر لان الذي اشار اليه ان كان مراده ما وقع من قوله صلى الله عليه وسلم من دخل
دار ابي سفين فهو آمن كما تقدم وكذا من دخل المسجد كما عند ابن اسحق فان ذلك لا يسمى
صلحا الا اذا التزم من اشير اليه وان كان مراده بالصلح وقوع عقده فهذا لم ينقل
ولا اظنه عنى الا الاحتمال الاول وفيه ما ذكرته انتهى ثم دخل رسول الله صلى الله عليه
وسلم مكة في كتيبته الخضراء وهو على ناقته القصوى بين ابي بكر واسيد بن حضير
فراى ابو سفين ما لا قبل له به فقال للعباس يا ابا الفضل لقد اصبح ملك ابن اخيك ملكا
عظيما فقال العباس ويحك انه ليس بملك ولكنها نبوة قال نعم وروى انه صلى الله عليه
وسلم وضع راسه تواضعا لله لما راى ما اكرمه الله به من الفتح حتى ان راسه ليكاد يمس
رحله او خضوعا لعظمته ان احل له بلده ولم يحله لاحد قبله ولا لاحد بعده وفي البخاري من حديث
انس ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة يوم الفتح وعلى راسه المغفر وهو بكسر الميم
وسكون الغين المعجمة وفتح الفاء زرد ينسج من الدروع على قدر الراس وفي المحكم هو ما يجعل
من فضل درع الحديد على الراس مثل القلنسوة فلما نزعه جاء رجل فقال ابن خطل متعلق
باستار الكعبة فقال اقتلوه وفي حديث سعيد بن يربوع عند الدارقطني والحاكم ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اربعة لا او منهم لا في حل ولا في حرم الحويرث بن نقيد وهلال بن
خطل ومقيس بن صبابة وعبد الله بن ابي سرح قال فاما هلال بن خطل فقتله الزبير
الحديث وفي حديث سعد بن وقاص عند البزار والحاكم والبيهقي في الدلائل نحوه لكن قال
اربعة نفر وامراتان وقال اقتلوهم وان وجدتموهم متعلقين باستار الكعبة فذكر لكن قال
عبد الله بن خطل بدل هلال وقال عكرمة بدل الحويرث ولم يسم المراتين قال واما عبد الله
ابن خطل فادرك وهو متعلق باستار الكعبة فاستبق سعيد بن حريث وعمار بن ياسر فسبق
سعيد عمارا وكان اشب الرجلين فقتله الحديث وروى ابن ابي شيبة من طريق ابي عثمان
النهدي ان ابا برزة الاسلمي قتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة وهو صحيح مع ارساله
ورواه احمد من وجه آخر وهو اصح ما ورد في تعيين قاتله وبه جزم البلاذري وغيره
من اهل الاخبار وتحمل بقية الروايات على انهم ابتدروا قتله فكان المباشر له منهم ابو برزة

ويحتمل ان يكون غيره شاركه فيه فقد جزم ابن هشام في السيرة بانه سعيد بن حريث وابا برزة الاسلمي اشتركا في قتله واما امر بقتل ابن خطل لانه كان مسلما فبعثه صلى الله عليه وسلم مصدقا وبعث معه رجلا من الانصار وكان معه مولى يخدمه وكان مسلما فنزل منزلا فامر المولى ان يذبح تيسا ويصنع له طعاما ونام فاستيقظ ولم يصنع له شيئا فعدا عليه فقتله ثم ارتد مشركا وكان له قينتان تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم واما الجمع بين ما اختلف فيه من اسمه انه كان يسمى عبد العزى فلما اسلم سمي عبد الله واما من قال هلال فالتبس عليه باخ له اسمه هلال وفي رواية ابي داود من حديث مصعب لما كان يوم الفتح امن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الا اربعة نفر فذكرهم ثم قال واما ابن ابي سرح فاختبا عند عثمان ابن عفان رضي الله عنه فلما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الى البيعة جاء به حتى اوقفه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا نبي الله بايع عبد الله فنظر اليه ثلاثا كل ذلك يابى فبايعه بعد ثلاث ثم اقبل على اصحابه فقال اما فيكم رجل رشيد يقوم الى هذا حتى كففت عن بيعته فقتله فقالوا يا رسول الله ما ندري ما في نفسك الا اومات الينا فقال انه لا ينبغي لنبي ان يكون له خائنة الاعين الحديث قال كما في رواية البخاري ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما نرى يومئذ محرما انتهى وقول مالك هذا رواية عبد الرحمن بن مهدي عن مالك جازما به اخرجه الدارقطني في الغرائب ويشهد له ما رواه مسلم من حديث جابر دخل صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وعليه عمامة سوداء بغير احرام وروى ابن ابي شيبة باسناد صحيح عن طاوس قال لم يدخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة الا محرما الا يوم الفتح وقد اختلف العلماء هل يجب على من دخل مكة الاحرام ام لا فالمشهور من مذهب الشافعي عدم الوجوب مطلقا وفي قول يستحب مطلقا وفيمن يتكرر دخوله خلاف مرتب واولى بعدم الوجوب والمشهور عن الائمة الثلاثة الوجوب وفي رواية عن كل منهم لا يجب وخرج الحنابلة باستثناء ذوي الحاجات المتكررة واستثنى الحنفية من كان داخل الميقات والله اعلم وتعقبوه باحتمال ان يكون اول دخوله على راسه المغفر ثم ازاله ولبس العمامة بعد ذلك فحكى كل منهما ما راه ويؤيده ان في حديث عمرو بن حريث انه خطب الناس وعليه عمامة سوداء اخرجه مسلم ايضا وكانت الخطبة عند باب الكعبة وذلك بعد تمام الدخول وهذا الجمع للقاضي عياض وقال غيره يجمع بان العمامة السوداء كانت ملفوفة فوق المغفر او كانت تحت المغفر وقاية لراسه الشريف من صدا الحديد فاراد انس بذكر المغفر كونه دخل متهيئا للحرب واراد جابر بذكر العمامة كونه دخل غير محرم وفي البخاري عن اسامة بن زيد انه قال زمن الفتح يا رسول الله اين تنزل غدا قال النبي صلى الله عليه وسلم وهل ترك لنا عقيل من منزل وفي رواية وهل ترك لنا عقيل من رباع او دور وكان عقيل ورث ابا طالب هو وطالب ولم يرثه جعفر ولا علي شيئا لانهما كانا مسلمين وكان عقيل وطالب كافرين فكان عمر بن الخطاب يقول لا يرث المؤمن الكافر وفي رواية اخرى له قال عليه الصلاة والسلام منزلنا ان شاء الله اذا فتح الله الخيف حيث تقاسموا على الكفر يعني به المحصب وذلك ان قريشا وكنانة تحالفت على بني هاشم وبني عبد المطلب ان لا يناكحوهم ولا يبايعوهم حتى

يسلموا

يسلموا اليهم النبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم وفي رواية اخرى له انه يوم فتح مكة اغتسل في بيت ام هانئ ثم صلى الضحى ثماني ركعات قالت لم اره صلى صلاة اخف منها غير انه يتم الركوع والسجود واجارت ام هانئ حموين لها فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد اجرنا من اجرت يا ام هانئ والرجلان الحارث ابن هشام وزهير بن امية بن المغيرة كما قاله ابن هشام وقد كان اخوها علي بن ابي طالب اراد ان يقتلهما فاغلقت عليهما باب بيتها وذهبت الى النبي صلى الله عليه وسلم ولما كان الغد من يوم الفتح قام عليه الصلاة والسلام خطيبا في الناس فحمد الله واثنى عليه ومجده بما هو اهله ثم قال ايها الناس ان الله حرم مكة يوم خلق الله السموات والارض فهي حرام بحرمة الله الى يوم القيامة فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الاخر ان يسفك بها دما او يعضد بها شجرة فان احد ترخص منها لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا ان الله اذن لرسوله ولم ياذن لكم وانما احلت لي ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس فليبلغ الشاهد الغائب ثم قال يا معشر قريش ما ترون اني فاعل فيكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم قال اذهبوا فانتم الطلقاء اي الذين اطلقوا فلم يسترقوا ولم يؤسروا والطليق الاسير اذا اطلق والمراد بالساعة التي احلت له عليه الصلاة والسلام ما بين اول النهار ودخول وقت العصر كذا قاله في فتح الباري ولقد اجاد العلامة ابو محمد الشقراطسي حيث يقول في قصيدته المشهورة

ويوم مكة اذ اشرفت في امم ۝ تضيق عنها فجاج الوعث والسهل
خوافق ضاق ذرع الخافقين بها ۝ في قاتم من عجاج الخيل والابل
وجحفل قذف الارجاء ذي لجب ۝ عرمرم كزهاء الليل منسجل
وانت صلى عليك الله تقدمهم ۝ في بهو اشراق نور منك مكتمل
ينير فوق اغر الوجه منتجب ۝ متوج بعزيز النصر مقتبل
تسمو امام جنود الله مرتديا ۝ ثوب الوقار لامر الله ممتثل
خشعت تحت بهاء العز حين سمت ۝ بك المهابة فعل الخاضع الوجل
وقد تباشر املاك السماء بما ۝ ملكت اذ نلت منه غاية الامل
والارض ترجف من زهو ومن فرق ۝ والجو يزهر اشراقا من الجذل
والخيل تختال زهوا في اعنتها ۝ والعيس تنثال رهوا في ثنى الجدل
لولا الذي خطت الاقلام من قدر ۝ وسابق من قضاء غير ذي حول
اهل ثهلان بالتهليل من طرب ۝ وذاب يذبل تهليلا من الذبل
الملك لله هذا عز من عقدت ۝ له النبوة فوق العرش في الازل
شعبت صدع قريش بعد ما قذفت ۝ بهم شعوب شعاب السهل والقلل
قالوا محمد قد زارت كتائبه ۝ كالاسد تزار في انيابها العصل
فويل مكة من آثار وطاته ۝ وويل ام قريش من جوى الهبل
فجدت عفوا بفضل العفو منك ولم ۝ تلمم ولا بالم اللوم والعذل
اضربت بالصفح صفحا عن طوائلهم ۝ طولا اطال مقيل النوم في المقل
رحمت واشج ارحام اتيح لها ۝ تحت الوشيج نشيج الروع والوجل

نادوا بطل كريم الموزي للمعتفي • مبارك الوجه بالتوفيق مشتمل •
ازكا الخليقة اخلاقا واطهرها • واكرم الناس صفحا عن ذوي الزلل •
وطفت بالبيت محبورا وطاف به • من كان عنه قبيل الفتح في شغل •

والجحفل الجيش العظيم و قذف الارجاء اي متباعدها والحد العصبة من كثرة الاخوان والعرمرم الفضاء الكبير العدد و قوله كزها آ الليل شبهه بالليل في شدة الافتة واسوداده بالسلاح و المستحيل بالحار المهملة الماضي في سيره يتبع بعضه بعضا وقوله في نحو اشراق النور الذي بعثناه عليه الصلاة والسلام يوحي بيد والبهو البنا العالي كالايوان ونحوه المنتخب المتخير من اهل نخب كريم والمقبل المستقبل الخبر وترجف تهتز الزهوا الخفة من الطرب يعني ان الارض اهتزت فرحا بهذا الجيش وفرقا من صولته اي كادت تهتز قال تعالى وبلغت القلوب الحناجر اي كادت تبلغ الجدال جمع جديل وهو الزمام المصفور و ثني الجدل ما انثني على اعناق الابل اي انعطفت وتهلان اسم جبل معروف واصل رفعه صوته وبذبل اسم جبل ايضا و الذبل الرماح الذوابل وهي التي لم تقطع من منابتها حتى ذبلت اي جفت ويبست و تهليلا اي جبنا وفرعا يعني لولا سبق من تقدير الله ان الجبال لا تنطق لرفع تهلان صوته وهلل الله من الطرب ولذاب يذبل من الجزع والفرق قوله شعبت اي جمعت واصلحت وقذفت بهم اي قذفت مخافة شعوب وشعوب اسم للمنية لانها تفرق الجماعات من شعب اي فرقت وهو من الاضداد و الشعاب الطرق في الجبال والسهل خلاف الجبل والقلل روس الجبال يعني انه صلى الله عليه وسلم عفا عنهم بعد ما تفرقوا اي تفرقوا اواهتزموا من خوفه الى كل سهل وجبل وقوله كالاسد تزاتي في ابنائها العضل المخوجة والله اعلم انتهى ولما فتح الله مكة على رسوله صلى الله عليه وسلم قال الانصار فيما بينهم اترون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فتح الله عليه ارضه وبلده تقيم وكان عليه الصلاة والسلام يدعو على الصفا رافعا يديه فلما فرغ من دعائه قال ماذا قلتم قالوا لا شئ يا رسول الله فلم يزل بهم حتى اخبروه فقال صلى الله عليه وسلم المحيا محياكم والممات مماتكم فهم فضالة بن عمير بن الملوح انه استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت فلما دنا منه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم افضالة قال نعم يا رسول الله قال ماذا كنت تحدث به نفسك قال لا شئ كنت اذكر الله فضحك صلى الله عليه وسلم ثم قال استغفر الله ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه وكان فضالة يقول والله ما رفع يده عن صدري حتى ما خلق الله شيئا احب الي منه وطاف صلى الله عليه وسلم بالبيت يوم الجمعة لعشر بقين من رمضان وكان حول البيت ثلثمائة وستون صنما فكلما مر بصنم اشار اليه بقضيبه وهو يقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا فيقع الصنم لوجهه رواه البيهقي وفي رواية عن ابي نعيم قال قد الزقها الشياطين بالرصاص والنحاس وفي تفسير العلامة ابن النقيب المقدسي ان الله تعالى لما اعلمه بانه قد انجز له وعده بالنصر على اعدائه وفتحه لمكة واعلى كلمة دينه امره اذا دخل مكة ان يقول جاء الحق وزهق الباطل فصار صلى الله عليه وسلم يطعن الاصنام التي حول الكعبة بمحجنه ويقول جاء الحق وزهق الباطل فيخر الصنم ساقطا مع انها كلها كانت مثبتة بالحديد

والرصاص وكانت ثلثمائة صنما بعدد ايام السنة قالوا وفي معنى الحق والباطل لعلماء التفسير اقوال قال قتادة جاء القرآن وذهب الشيطان وقال ابن جريج جاء الجهاد وذهب الشرك وقال مقاتل جاءت عبادة الله وذهبت عبادة الشيطان وقال ابن عباس وجد صلى الله عليه وسلم يوم الفتح حول البيت ثلثمائة وستون صنما كانت لقبائل العرب يحجون اليها وينحرون لها فشكا البيت الى الله تعالى فقال اي رب حتى متى تعبد هذه الاصنام حولي دونك فاوحى الله اليه اني ساحدث لك توبة جديدة يدفون اليك دفيف النسور ويحنون اليك حنين الطير الى بيضها لهم عجيج حولك بالتلبية قال ولما نزلت الاية يوم الفتح قال جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم خذ مخصرتك ثم القها فجعل ياتي صنما صنما ويطعن في عينه او بطنه بمخصرته ويقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب الصنم لوجهه حتى القاها جميعا وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من قوارير صفر فقال يا علي ارم به فحمله عليه الصلاة والسلام حتى صعد ورمى به وكسره فجعل اهل مكة يتعجبون انتهى وعن ابن عباس قال لما قدم صلى الله عليه وسلم ابى ان يدخل البيت وفيه الالهة فامر بها فاخرجت فاخرج صورة ابراهيم واسمعيل في ايديهما الازلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلهم الله اما والله لقد علموا انهما لم يستقسما بها قط فدخل البيت وكبر في نواحيه ولم يصل رواه الترمذي وعن ابن عمر قال اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح على ناقته القصوى مردف اسامة حتى اناخ بفناء الكعبة ثم دعا عثمان بن طلحة فقال ائتني بالمفتاح فذهب الى امه فابت ان تعطيه فقال والله لتعطينه او ليخرجن هذا السيف من صلبي فاعطته اياه فجاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم فدفعه اليه ففتح الباب رواه مسلم وروى الفاكهي من طريق ضعيفة عن ابن عمر ايضا قال كان بنو طلحة يزعمون انه لا يستطيع احد فتح الكعبة غيرهم فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم المفتاح ففتحها بيده وعثمان المذكور هو عثمان بن طلحة ابن ابي طلحة بن العزى ويقال له الحجبي بفتح المهملة والجيم ويعرفون الان بالشيبيين نسبة الى شيبة بن عثمان بن ابي طلحة وهو ابن عم عثمان وعثمان هذا لا ولد له وله صحبة ورواية واسم ام عثمان سلافة بضم السين المهملة وتخفيف الفاء وفي الطبقات لابن سعد عن عثمان بن طلحة قال كنا نفتح الكعبة يوم الاثنين والخميس فاقبل النبي صلى الله عليه وسلم يوما يريد ان يدخل الكعبة مع الناس فاغلظت له ونلت منه فحلم عني ثم قال يا عثمن لعلك سترى هذا المفتاح يوما بيدي اضعه حيث شئت فقلت لقد هلكت قريش يومئذ وذلت قال بل عمرت وعزت يومئذ ودخل الكعبة فوقعت كلمته مني موقعا ظننت يومئذ ان الامر سيصير الى ما قال فلما كان يوم الفتح قال يا عثمن ائتني بالمفتاح فاتيته به فاخذه مني ثم دفعه الي وقال خذوها خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم يا عثمان ان الله استامنكم على بيته فكلوا مما يصل اليكم من هذا البيت بالمعروف قال فلما وليت ناداني فرجعت اليه فقال الم يكن الذي قلت لك قال فذكرت قوله لي بمكة قبل الهجرة لعلك سترى هذا المفتاح يوما بيدي اضعه حيث شئت قلت بلى اشهد انك رسول الله وفي التفسير ان هذه الاية ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها نزلت في عثمان بن طلحة الحجبي امره عليه الصلاة والسلام ان ياتيه بمفتاح الكعبة فابى عليه واغلق باب البيت وصعد الى السطح وقال لو علمت انه

الحجبي

البيت

رسول الله لم أمنعه فلوى علي يده وأخذ منه المفتاح وفتح الباب فدخل صلى الله عليه وسلم
البيت فلما خرج سأله العباس أن يعطيه المفتاح ويجمع له بين السقاية والسدانة فأنزل الله
الآية وأمر صلى الله عليه وسلم عليا أن يرد المفتاح الى عثمان ويعتذر اليه ففعل ذلك علي
فقال اكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال له علي لقد انزل الله في شأنك وقرأ عليه الآية فقال عثمان
اشهد ان محمدا رسول الله فجاء جبريل عليه الصلاة والسلام فقال ما دام هذا البيت او لبنة
من لبناته قائمة فان المفتاح والسدانة في اولاد عثمان فكان المفتاح معه فلما مات دفعه الى اخيه
شيبة فالمفتاح والسدانة في اولاده الى يوم القيامة قال ابن ظفر في ينبوع الحياة قوله لو اعلم
انه رسول الله لم امنعه هذا وهم لانه كان قد اسلم فلو قال هذا كان مرتدا او عن الكلبي لما
طلب عليه الصلاة والسلام المفتاح من عثمان مد يده اليه فقال العباس يا رسول الله اجعلها
مع السقاية فقبض عثمان يده بالمفتاح فقال له صلى الله عليه وسلم يا عثمان ان كنت تؤمن بالله
واليوم الآخر فهاتها فقال هاكه بالامانة فاعطاه اياه ونزلت الآية قال ابن ظفر وهذا اولى
بالقبول وفي رواية لمسلم دخل صلى الله عليه وسلم هو واسامة بن زيد وبلال وعثمان بن
طلحة الحجبي فاغلقوا عليهم الباب قال ابن عمر فلما فتحوا كنت عني اساله كم صلى وفي رواية
جعل عمودين عن يساره وعمودا عن يمينه وثلاثة اعمدة وراءه وكان البيت يومئذ على
ستة اعمدة وقد بين موسى بن عقبة في روايته عن نافع ان بين موقفه صلى الله عليه وسلم
وبين الجدار الذي استقبله قريبا من ثلاثة اذرع وجزم برفع هذه الزيادة مالك عن نافع
اخرجه الدارقطني في الغرائب ولفظه وصلى وبينه وبين القبلة ثلاثة اذرع وفي كتاب مكة
للفاكهي والازرقي ان معاوية سأل ابن عمر اين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجعل
بينك وبين الجدار ذراعين او ثلاثة فعلى هذا ينبغي لمن اراد الاتباع في ذلك ان يجعل بينه
وبين الجدار ثلاثة اذرع فانه تقع قدماه في مكان قدميه صلى الله عليه وسلم ان كانت ثلاثا سواء
او تقع ركبتاه او يداه او وجهه ان كان اقل من ثلاثة اذرع والله اعلم وفي رواية ابن عباس
قال اخبرني اسامة انه عليه الصلاة والسلام لما دخل البيت دعا في نواحيه كلها ولم يصل فيه
حتى خرج فلما خرج ركع في قبل البيت ركعتين فقال هذه القبلة رواه مسلم والجمع بينه وبين
حديث ابن عمر ان اسامة اخبره ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى في الكعبة كما رواه احمد
والطبراني بان اسامة حيث اثبتها اعتمد في ذلك على غيره وحيث نفاها اراد ما في علمه لكونه
لم يره حين صلى ويكون ابن عمر ابتدأ بلالا بالسؤال ثم اراد زيادة الاستثبات في مكان الصلاة
فسأل اسامة ايضا قال النووي قد اجمع اهل الحديث على الاخذ برواية بلال لانه مثبت فمعه
زيادة علم فوجب ترجيحه قال واما نفي اسامة فيشبه انهم لما دخلوا الكعبة اغلقوا الباب واشتغلوا
بالدعاء فرأى اسامة النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ثم اشتغل اسامة في ناحية من نواحي
البيت والنبي صلى الله عليه وسلم في ناحية اخرى وبلال قريبا منه ثم صلى النبي صلى الله عليه
وسلم فرآه بلال لقربه منه ولم يره اسامة لبعده واشتغاله بالدعاء وجاز له نفيها عملا
بظنه واما بلال فتحققها واخبر بها انتهى وتعقبوه بما يطول ذكره واقرب ما قيل في الجمع
انه صلى الله عليه وسلم صلى في الكعبة واثبت الصلاة بلال لرؤيته لها ونفاها اسامة لعدم

ان كنت مع

اول من ولج فلقيت بلالا فسألته هل صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم بين العمودين اليمانيين وذهب عني

صلى بينهما والثالث على غير سمتها او لفظ المتقدمين في احدى روايات البخاري مشعر به وفي رواية لمسلم جعل عمودين عن

ذريته ويؤيد ما رواه ابو داود الطيالسي عن اسامة بن زيد قال دخلت على رسول الله صلى
الله عليه وسلم في الكعبة ورأى صورا فدعا بدلو من ماء فأتيته به فجعل صلى الله عليه وسلم يمحوها
ويقول قاتل الله قوما يصورون ما لا يخلقون ورجاله ثقات وافاد الازرقي في تاريخ مكة
ان خالد بن الوليد كان على الكعبة يذب عنه صلى الله عليه وسلم الناس وفي البخاري انه صلى الله
عليه وسلم اقام خمسة عشر ليلة وفي رواية تسع عشرة وفي رواية ابي داود سبع عشرة
وعند الترمذي ثمان عشرة وفي الاكليل اصحها بضع عشرة يقصر الصلاة وقال الناسي في تاريخ
مكة كان فتح مكة لعشر بقين من شهر رمضان ثم سرية خالد بن الوليد
بعثه فتح مكة الى العزى بنخلة وكان لقريش وجميع بني كنانة وكانت اعظم اصنامهم لخمس ليال
بقين من رمضان سنة ثمان ومعه ثلاثون فارسا ليهدمها فلما انتهوا اليها هدمها ثم رجع الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فاخبره فقال هل رأيت شيئا قال لا قال فانك لم تهدمها
فارجع فجرد سيفه فخرجت اليه امرأة عجوز عريانة سوداء ثائرة الراس فجعل السادن يصيح
بها فضربها خالد فجزلها باثنتين ورجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال نعم
تلك العزى يئست ان تعبد ببلادكم ابدا ثم سرية عمرو بن العاص الى سواع
صنم هذيل على ثلاثة اميال من مكة في شهر رمضان سنة ثمان حين فتح مكة قال عمرو
فانتهيت اليه وعنده السادن فقال ما تريد فقلت أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان اهدمه قال لا تقدر على ذلك قلت لم قال تمنع قلت ويحك وهل يسمع او يبصر قال
فدنوت منه فكسرته ثم قلت للسادن كيف رأيت قال اسلمت لله ثم سرية
سعيد بن زيد الاشهلي الى مناة صنم للاوس والخزرج بالمشلل في شهر رمضان
حين فتح مكة فخرج في عشرين فارسا حتى انتهى اليها فقال السادن ما تريد قال هدم
مناة قال انت وذاك فاقبل سعد يمشي اليها فخرجت امرأة عريانة سوداء ثائرة الراس
تدعو بالويل وتضرب صدرها فضربها سعد بن زيد فقتلها واقبل الى الصنم ومعه
اصحابه فهدموه وانصرف راجعا الى النبي صلى الله عليه وسلم وكان ذلك لست بقين
من رمضان ثم سرية خالد بن الوليد الى بني جذيمة قبيلة من عبد
القيس اسفل مكة على ليلة ناحية يلملم في شوال سنة ثمان وهو يوم الغميصاء
بعثه عليه السلام لما رجع من هدم العزى وهو صلى الله عليه وسلم مقيم بمكة
وبعث معه ثلاثمائة وخمسين رجلا داعيا الى الاسلام فلما انتهى اليهم قال ما انتم
قالوا مسلمون قد صلينا وصدقنا بمحمد وبنينا المساجد في ساحتنا وفي البخاري لم يحسنوا
ان يقولوا اسلمنا فقالوا صبأنا صبأنا فقال [illegible] فاستأسر القوم فامر بعضهم فكتف بعضا
وفرقهم في اصحابه فلما كان السحر نادى منادي خالد من كان معه اسير فليقتله فقتل بنو سليم
من كان بايديهم واما المهاجرون والانصار فارسلوا اسراهم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه
وسلم فقال اللهم اني ابرأ اليك مما صنع خالد وبعث عليا فودى لهم قتلاهم قال
الخطابي يحتمل ان يكون خالد نقم عليهم العدول عن لفظ الاسلام ولم ينقادوا الى الدين
فقتلهم متأولا وانكر عليه صلى الله عليه وسلم العجلة وترك التثبت في امرهم قبل ان يعلم

سرية خالد بن الوليد

سرية عمرو بن العاص

سرية سعيد بن زيد

سرية خالد بن الوليد

المراد من قوله ثم غزا صلى الله عليه وسلم حنينا بالتصغير وهو واد بقرب ذي المجاز
وقيل ما بينه وبين مكة ثلاث ليال قرب الطايف ويسمى غزوة هوازن وذلك ان النبي صلى الله
عليه وسلم لما فرغ من فتح مكة وتمهيدها واسلم عامة اهلها مشت اشراف هوازن وثقيف
بعضها الى بعض وتحشدوا لمحاربة المسلمين وكان رئيسهم مالك بن عوف النصري **فخرج** اليهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة يوم السبت لست ليال خلون من شوال في اثني عشر الفا
من المسلمين عشرة الاف من اهل المدينة والفان ممن اسلم من اهل مكة وهم الطلقاء يعني الذي
خلي عنهم يوم فتح مكة واطلقهم فلم يسترقهم واحدهم طليق فعيل بمعنى مفعول وهو الاسير اذا اطلق سبيله
واستعمل صلى الله عليه وسلم على مكة عتاب بن اسيد وخرج معه صلى الله عليه وسلم
ثمانون من المشركين منهم صفوان بن امية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعار منه
مائة درع باداتها فوصل الى حنين ليلة الثلثا لعشر ليال خلون من شوال فبعث مالك بن عوف
ثلاثة نفر يأتونه بخبر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعوا اليه وقد تفرقت
اوصالهم من الرعب ووجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن حدرد الاسلمي فدخل عسكرهم
فطاف به وجاء بخبرهم **وفي** حديث سهيل بن حنظلة عند ابي داود باسناد حسن انهم ساروا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطنبوا السير فجاء رجل فقال اني انطلقت بين ايديكم
حتى طلعت جبل كذا وكذا فاذا انا بهوازن عن بكرة ابيهم بظعنهم ونعمهم وشائهم اجتمعوا الى
حنين فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال تلك غنيمة المسلمين غدا ان شاء الله تعالى وقوله
عن بكرة ابيهم كلمة للعرب يريدون بها الكثرة وتوفر العدد وليس هناك بكرة في الحقيقة
وهي التي يستقى عليها الماء فاستعيرت هنا **وقوله** بظعنهم اي بنسائهم واحدها ظعينة
واصل الظعينة الراحلة التي يرحل ويظعن عليها اي يسار وقيل للمرأة ظعينة لانها تظعن
مع زوجها حيث ما ظعن ولانها تحمل على الراحلة اذا ظعنت وقيل الظعينة المرأة في الهودج
ثم قيل للمرأة بلا هودج وللهودج بلا امرأة ظعينة انتهى وروى يوسف بن بكير في زيادة
المغازي عن الربيع قال قال رجل يوم حنين لن نغلب اليوم من قلة فشق ذلك على النبي
صلى الله عليه وسلم وركب صلى الله عليه وسلم بغلته البيضاء دلدل ولبس درعين
والمغفر والبيضة فاستقبلهم من هوازن ما لم يروا مثله قط من السواد والكثرة وذلك
في غبش الصبح وخرجت الكتايب من مضيق الوادي فحملوا حملة واحدة فانكشفت خيل بني سليم
مولية وتبعهم اهل مكة والناس ولم يثبت معه صلى الله عليه وسلم يومئذ الا العباس
ابن عبد المطلب وعلي بن ابي طالب والفضل بن العباس وابو سفيان بن الحارث بن عبد
المطلب وابو بكر وعمر واسامة بن زيد في اناس من اهل بيته واصحابه قال العباس وانا
اخذ بلجام بغلته اكفها مخافة ان تصل الى العدو لانه كان صلى الله عليه وسلم يتقدم في نحر
العدو وابو سفيان بن الحارث اخذ بركابه وجعل عليه الصلاة والسلام يقول للعباس ناد
يا معشر الانصار يا اصحاب السمرة يعني شجرة بيعة الرضوان التي بايعوه تحتها ان لا يفروا
عنه فجعل ينادي تارة يا اصحاب السمرة يا اصحاب سورة البقرة وكان العباس رجلا صيتا
فلما سمع المسلمون نداء العباس اقبلوا كانهم الابل اذا حنت على اولادها وفي رواية مسلم

والهودج

قال العباس فوالله فكان عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على اولادها يقولون يا لبيك
فتراجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا الرجل منهم اذا لم يطاوعه بعيره
على الرجوع اخذ درعه وارسله ورجع بنفسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فامرهم
عليه الصلاة والسلام ان يصدقوا الحملة فاقتتلوا مع الكفار فاشرف رسول الله صلى الله
عليه وسلم فنظر الى قتالهم فقال الان حمي الوطيس وهو التنور يخبر فيه يضرب مثلا
لشدة الحرب الذي يشبه حرها وهذه من فصيح الكلام الذي لم يسمع من احد قبل النبي
صلى الله عليه وسلم وتناول صلى الله عليه وسلم حصيات من الارض ثم قال شاهت الوجوه
اي قبحت ورمى بها في وجوه المشركين فما خلق الله منهم انسانا الا ملأ عينيه من تلك القبضة وفي
رواية لمسلم قبضة من تراب من الارض فيحتمل انه رمى بذا مرة وبالاخرى اخرى ويحتمل
ان يكون اخذ قبضة واحدة مخلوطة من حصى وتراب واخرج احمد وابو داود والدارمي من حديث
ابي عبد الرحمن الفهري من قصة حنين قال فولى المسلمون مدبرين كما قال الله تعالى فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انا عبد الله ورسوله ثم اقتحم عن فرسه فاخذ كفا من تراب
قال فاخبرني الذي كان ادنى اليه مني انه ضرب وجوههم وقال شاهت الوجوه فهزمهم الله
قال يعلى بن عطاء راوية عن ابي همام عن ابي عبد الرحمن الفهري فحدثني ابناؤهم ان اباءهم
قالوا لم يبق منا احد الا امتلأت عيناه وفمه ترابا وسمعنا صلصلة من السماء كامرار
الحديد على الطست الجديد بالجيم قال في النهاية وصف الطست وهو مؤنث بالجديد وهو
مذكر اما لان تانيثها غير حقيقي فاوله على معنى الظرف او لان فعيلا يوصف به المؤنث بلا علامة تانيث
كما يوصف به المذكر نحو امرأة قتيل ولحية دهين انتهى واخرج احمد والحاكم من حديث ابن مسعود فحادت
به بغلته فمال السرج فقلت ارتفع رفعك الله فقال ناولني كفا من تراب فضرب به وجوههم
وامتلأت اعينهم ترابا وجاء المهاجرون والانصار سيوفهم بايمانهم كانها الشعل فولى
المشركون الادبار وروى ابو جعفر بن جرير بسنده عن عبد الرحمن بن مولى عن رجل
كان في المشركين يوم حنين قال لما التقينا نحن واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم حنين لم يقوموا لنا حلب شاة فلما لقيناهم جعلنا نسوقهم في اثارهم حتى انتهينا الى صاحب
البغلة البيضاء فاذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فتلقانا عنده رجال بيض الوجوه
حسان فقالوا لنا شاهت الوجوه ارجعوا قال فانهزمنا وركبوا اكتافنا وفي سيرة
الدمياطي قال سيما الملائكة يوم حنين عمايم حمر ارخوها بين اكتافهم وفي البخاري عن البراء
وسأله رجل من قيس افررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فقال لكن
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر كان هوازن رماة وانا لما حملنا عليهم انكشفوا
فاكببنا على الغنائم فاستقبلنا بالسهام ولقد رايت النبي صلى الله عليه وسلم على بغلته
البيضاء وان ابا سفيان بن الحارث اخذ بزمامها وهو يقول انا النبي لا كذب • انا ابن عبد
المطلب • وهذا فيه اشارة الى ان صفة النبوة يستحيل معها الكذب وكانه قال
انا النبي والنبي لا يكذب فلست بكاذب فيما اقول حتى انهزم بل انا متيقن ان الذي وعدني الله
به من النصر حق فلا يجوز علي الفرار واما في رواية مسلم عن سلمة بن الاكوع

صلى الله عليه وسلم

شاة

من قوله فارجع منهزما الى قوله مررت على رسول الله صلى الله عليه وسلم منهزما فقال لقد راى
ابن الاكوع فزعا فقال العلماء قوله منهزما حال من ابن الاكوع لما صرح اولا بانهزامه ولم يرد ان النبي
صلى الله عليه وسلم انهزم وقد قالت الصحابة كلهم انه عليه الصلاة والسلام ما انهزم ولم ينقل احد
قط انه انهزم في موطن من المواطن وقد نقلوا اجماع المسلمين على انه لا يجوز ان يعتقد
انهزامه صلى الله عليه وسلم ولا يجوز ذلك عليه بل كان العباس وابو سفيان بن الحارث
اخذين ببغلته يكفانها عن اسراع التقدم الى العدو وقد تقدم في غزوة احد ما نسب
لابن المرابط من المالكية مما حكاه القاضي عياض في الشفا ان من قال ان النبي صلى الله
عليه وسلم هزم يستتاب فان تاب والا قتل وان العلامة البساطي تعقبه بما لفظه
هذا القايل ان كان يخالف في اصل المسئلة يعني حكم الساب فله وجه وان وافق على الساب
لا تقبل توبته فمشكل انتهى قال بعضهم وقد كان ركوبه عليه الصلاة والسلام البغلة في هذا
المحل الذي هو موضع الحرب والطعن والضرب تحقيقا لنبوته لان الله تعالى خصه به من مزيد
الشجاعة وتمام القوة والا فالبغال عادة من مراكب الطمانينة ولا يصلح لمواطن الحرب في العادة
الا الخيل فبين عليه الصلوة والسلام ان الحرب عنده كالسلم قوة قلب وشجاعة نفس وثقة
وتوكلا على الله تعالى وقد ركبت الملايكة في الحرب معه عليه الصلاة والسلام على الخيل لانها
بصدد ذلك عرفا دون غيرها من المركوبات ولهذا لا يسهم في الحرب الا للخيل والسر في ذلك
انها المخلوقة للكر والفر بخلاف البغال والابل انتهى وعند ابي شيبة من مرسل الحاكم بن
عتيبة لم يبق معه صلى الله عليه وسلم الا اربعة نفر ثلاثة من بني هاشم ورجل من غيرهم
علي والعباس بين يديه وابو سفيان بن الحارث اخذ بالعنان وابن مسعود من الجانب
الايسر ولا يقبل نحوه احد الا قتل وفي الترمذي باسناد حسن من حديث ابن عمر لقد رايتنا
يوم حنين وان الناس لمولين وما مع النبي صلى الله عليه وسلم مائة رجل وفي شرح مسلم
للنووي انه ثبت معه عليه الصلوة والسلام اثنا عشر رجلا وكانه اخذه من قول ابن اسحق
في شعر العباس بن عبد المطلب ان الذين ثبتوا كانوا عشرة فقط وذلك لقوله شعر

نصرنا رسول الله في الحرب تسعة ۞ وقد فر من قد فر عنه فاقشعوا
... بنفسه ۞ لما مسه في الله لا يتوجع

قال الطبري الانهزام المنهي عنه هو ما وقع على غير نية العود واما للكثرة فهو
كالمتحيز الى فئة انتهى قوله عليه الصلاة والسلام انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب
قال العلماء انه ليس بشعر لان الشاعر انما سمي شاعرا لوجوه منها انه يشعر القول ويقصده
ويهتدي اليه ويأتي به كلاما موزونا على طريقة العرب مقفى فان خلا من هذه الاوصاف او بعضها
لم يكن شعرا ولا يكون قايله شاعرا والنبي صلى الله عليه وسلم لم يقصد بكلامه ذلك الشعر
ولا اراده فلا يعد شعرا وان كان موزونا واما قوله عليه الصلاة والسلام انا ابن
عبد المطلب ولم يقل انا ابن عبد الله فاجيب بان شهرته بجده اكثر من شهرته بابيه لان اباه
توفي في حياة ابيه عبد المطلب قبل مولده عليه الصلاة والسلام وكان عبد المطلب مشهورا
شهرة ظاهرة شايعة وكان سيد قريش وكان كثير من الناس يدعو النبي صلى الله عليه وسلم

ابن عبد المطلب

ابن عبد المطلب وقيل غير هذا وامر النبي صلى الله عليه وسلم ان يقتل من قدر عليه وافضى
المسلمون في القتل الى الذرية فنهاهم عليه الصلاة والسلام عن ذلك وقال من قتل قتيلا
فله سلبه واستلب ابو طلحة وحده ذلك اليوم عشرين رجلا وقال ابن القيم في الهدي
النبوي كان الله تعالى قد وعد رسوله انه اذا فتح مكة دخل الناس في دين الله افواجا
ودانت له العرب باسرها فلما تم الفتح المبين اقتضت حكمته ان امسك قلوب هوازن ومن
تبعها عن الاسلام وان يجتمعوا ويتالبوا لحرب النبي عليه الصلاة والسلام ليظهر امره تعالى وتمام
اعزازه ونصره لدينه ولتكون غنائمهم شكرا لاهل الفتح وليظهر الله تعالى رسوله وعباده
وقهره لهذه الشوكة العظيمة التي لم يلق المسلمون قبلها ولا يقاومهم احد من العرب فاقتضت
حكمته سبحانه اذاق المسلمين اولا مرارة الهزيمة والكسرة مع كثرة عددهم وعددهم
وقوة شوكتهم رؤوسا رفعت بالفتح ولم يدخل بلده كما دخل عليه الصلاة والسلام واضعا راسه منحنيا
على فرسه متواضعا لربه وخضوعا لعظمته ان احل له بلده ولم يحله لاحد قبله ولا لاحد
بعده وليبين سبحانه لمن قال لن نغلب اليوم من قلة انما هو ان النصر من عنده تعالى
وانه من ينصره فلا غالب له ومن يخذله فلا ناصر له وانه سبحانه هو الذي تولى
نصر رسوله ودينه لا الكثرة التي اعجبتكم فانها لم تغن عنكم شيئا فوليتم مدبرين
فلما انكسرت قلوبهم ارسلت خلع الجبر مع بريد انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين
وانزل جنودا لم تروها وقد اقتضت حكمته تعالى ان خلع النصر وجوايزه انما تفاض
على اهل الانكسار ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض قال وبهاتين الغزاتين
اعني حنينا وبدرا قاتلت الملايكة بانفسها مع المسلمين ورمى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وجوه المشركين بالحصباء انتهى وامر صلى الله عليه وسلم بطلب العدو فانتهى
بعضهم الى الطايف وبعضهم نحو نخلة وقوم منهم الى اوطاس واستشهد من المسلمين اربعة
منهم ايمن بن ام ايمن وقتل من المشركين اكثر من سبعين قتيلا ثم سرية ابي عامر
الاشعري وهو عم ابي موسى الاشعري وقال ابن اسحق ابن عمه والاول اشهر

سرية ابي عامر الاشعري

بعثه صلى الله عليه وسلم حين فرغ من حنين في طلب الفارين من هوازن يوم حنين
الى اوطاس وهو واد في ديار هوازن وكان معه سلمة بن الاكوع فانتهى اليهم فاذا هم
ممتنعون فقتل منهم ابو عامر تسعة مبارزة ثم برز له العاشر فضرب ابا عامر فقتله فخلفه
ابو موسى الاشعري فقاتلهم حتى فتح الله عليه وكان في السبي الشيما اخته عليه الصلاة
والسلام من الرضاعة وقتل قاتل ابي عامر فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر لابي عامر
واجعله من اعلى امتي في الجنة وفي رواية البخاري قال يعني ابا عامر لابي موسى رمي
بالسهم يا ابن اخي اقرا النبي صلى الله عليه وسلم السلام وقل له يستغفر لي ثم رجعت
فدخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته بخبرنا وخبر ابي عامر وقال قل له استغفر لي
فدعا بماء فتوضا ثم رفع يديه وقال اللهم اغفر لعبيد ابي عامر ورايت بياض ابطيه ثم قال
اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك فقلت ولي فقال اللهم اغفر لعبد الله بن قيس
ذنبه وادخله يوم القيامة مدخلا كريما قال ابو بردة احدهما لابي عامر والاخرى لابي موسى

ثم سرية الطفيل بن عمرو الدوسي إلى ذي الكفين صنم من خشب كانت لعمرو بن
في شوال لما أراد عليه الصلاة والسلام المسير إلى الطائف ليهدمه ويوافيه بالطائف فخرج
سريعا فهدمه وجعل يحش النار في وجهه ويحرقه ويقول

يا ذا الكفين لست من عبادكا ۞ ميلادنا أقدم من ميلادكا
إني حشوت النار في فؤادكا ۞

وانحدر معه من قومه أربعمائة سراعا فوافوا النبي صلى الله عليه وسلم بالطائف بعد مقدمه بأربعة أيام وعند مغلطاي وقدم معه أربعة مسلمون

ثم غزوة الطائف

وهي بلد كبير على ثلاث مراحل أو اثنتين من مكة من جهة المشرق كثيرة الأعناب والفواكه وقيل إن أصلها أن جبريل عليه السلام اقتلع الجنة التي كانت لأصحاب الصريم فسار بها إلى مكة فطاف بها حول البيت ثم أنزلها حيث الطائف فسمي الموضع بها وكانت أولا بنواحي صنعاء واسم الأرض وج بتشديد الجيم وسار إليها النبي صلى الله عليه وسلم في شوال سنة ثمان حين خرج من حنين وحبس الغنائم بالجعرانة قدم خالد بن الوليد على مقدمته وكانت ثقيف لما انهزموا من أوطاس دخلوا حصنهم بالطائف وأغلقوا عليهم بعد أن دخلوا فيه ما يصلحهم لسنة وتهيئوا للقتال وسار صلى الله عليه وسلم فمر في طريقه بقبر أبي رغال وهو أبو ثقيف فيما يقال ونزل قريبا من الحصن وعسكر هناك فرموا المسلمين بالنبل رميا شديدا كأنه رجل جراد حتى أصيب ناس من المسلمين بجراحة وقتل منهم اثنا عشر رجلا فيهم عبد الله بن أبي أمية ورمي عبد الله بن أبي بكر الصديق يومئذ بجرح فاندمل ثم نقض بعد ذلك فمات منه في خلافة أبيه وارتفع صلى الله عليه وسلم إلى موضع مسجد الطائف اليوم وكان معه من نسائه أم سلمة وزينب فضرب لهما قبتين وكان يصلي بين القبتين حصار الطائف كله فحاصرهم ثمانية عشر يوما ويقال خمسة عشر يوما ونصب عليهم المنجنيق وهو أول منجنيق رمي به في الإسلام وكان قدم به الطفيل الدوسي معه لما رجع من سريته ذي الكفين فرمتهم ثقيف بالنبل فقتل منهم رجال فأمر صلى الله عليه وسلم بقطع أعنابهم وتحريقها فقطع المسلمون قطعا ذريعا ثم سألوه أن يدعها لله وللرحم فقال عليه الصلاة والسلام إني أدعها لله وللرحم ثم نادى مناديه عليه الصلاة والسلام أيما عبد نزل من الحصن وخرج إلينا فهو حر قال الدمياطي فخرج منهم بضع عشر رجلا فيهم أبو بكرة وعند مغلطاي ثلاثة وعشرون عبدا وفي البخاري عن عثمان النهدي قال سمعت سعدا وأبا بكرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عاصم لقد شهد عندي رجلان أما أحدهما فأول من رمى بسهم في سبيل الله وأما الآخر فنزل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ثالث ثلاثة وعشرين من الطائف الحديث أعتق صلى الله عليه وسلم من نزل منهم ودفع كل رجل منهم إلى المسلمين يمونه فشق ذلك على أهل الطائف مشقة شديدة ولم يؤذن له صلى الله عليه وسلم في فتح الطائف وأمر عمر ابن الخطاب فأذن في الناس بالرحيل فضج الناس من ذلك وقالوا نرحل ولم يفتح علينا الطائف فقال عليه الصلاة والسلام إنا قافلون إن شاء الله تعالى فسروا بذلك وأذعنوا وجعلوا يرحلون ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك قال النووي قصده صلى الله عليه وسلم الشفقة عليهم

والرفق بالرحيل عن الطائف لصعوبة أمره وشدة الكفار الذي فيه وتقويهم بحصنهم مع أنه صلى الله عليه وسلم علم أو رجا أنه سيفتحه بعد هذا بلا مشقة فلما حرص الصحابة على المقام والجهاد أقام وجد في القتال فلما أصابتهم الجراح رجع إلى ما كان قصده أولا من الرفق بهم ففرحوا بذلك لما رأوا من المشقة الظاهرة ووافقوا على الرحيل فضحك صلى الله عليه وسلم تعجبا من تغير رأيهم وفقئت عين أبي سفيان صخر بن حرب يومئذ ابن سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له وهي في يده أيما أحب إليك عين في الجنة أو أدعو الله أن يردها عليك قال بل عين في الجنة ورمى بها وشهد اليرموك فقاتل وفقئت عينه الأخرى يومئذ ذكره الحافظ زين الدين العراقي في شرح التقريب وقال صلى الله عليه وسلم لأصحابه قولوا لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده فلما ارتحلوا قال قولوا آيبون عابدون لربنا حامدون فانظر كيف كان صلى الله عليه وسلم إذا خرج للجهاد يعتد لذلك بجمع الصحابة واتخاذ الخيل والسلاح وما يحتاج إليه من جميع آلة الجهاد والسفر ثم إذا رجع عليه الصلاة والسلام يتبرأ من ذلك ويرد الأمر كله لمولاه عز وجل لا لغيره بقوله آيبون تائبون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده وانظر إلى قوله عليه الصلاة والسلام وهزم الأحزاب وحده فنفى صلى الله عليه وسلم ما تقدم ذكره وهذا هو المعنى الحقيقي لأن الإنسان وفعله خلق لربه عز وجل هو الله سبحانه وتعالى الذي خلق ودبر وأعان وأجرى الأمور على يد من يشاء ومن اختار من خلقه فكل منه وإليه ولو شاء أن يبيد أهل الكفر من غير قتال لفعل قال تعالى ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض فيثيب الصابرين ويجزل الثواب للشاكرين قال ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم فعلى المكلف الامتثال في الحالتين امتثال تعاطي الأسباب والرجوع إلى المولى والسكون إليه بساحة الكرم كما كان صلى الله عليه وسلم يأتي بالأسباب أولا تأدبا مع الربوبية وتشريعا لأمته ثم يظهر الله تعالى على يديه ما يشاء من قدرته العامة التي ادخرها له عليه الصلاة والسلام قاله ابن الحاج في المدخل ولما قيل يا رسول الله ادع على ثقيف قال اللهم اهد ثقيفا وائت بهم وكان عليه الصلاة والسلام قد أمر أن يجمع السبي والغنائم مما أفاء الله على رسوله يوم حنين فجمع ذلك كله إلى الجعرانة فكانت بها إلى أن انصرف عليه الصلاة والسلام من الطائف وكان السبي ستة آلاف رأس والإبل أربعة وعشرين ألف بعير والغنم أكثر من أربعين ألف شاة وأربعة آلاف أوقية فضة واستأنى صلى الله عليه وسلم بهوازن أن ينتظرهم أن يقدموا عليه مسلمين بضع عشرة ثم بدأ بقسم الأموال وفي البخاري وطفق صلى الله عليه وسلم يعطي رجالا المائة من الإبل فقال ناس من الأنصار يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم قال أنس فحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمقالتهم فأرسل إلى الأنصار فجمعهم في قبة من أدم ثم قال أما ترضون أن تذهب الناس بالأموال وتذهبون بالنبي إلى رحالكم فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به قالوا يا رسول الله قد رضينا وعن جبير بن مطعم قال بينا أنا مع النبي صلى الله عليه وسلم

ومعه الناس متغفلة من حنين علقت برسول الله صلى الله عليه وسلم الاعراب حتى اضطروه الى
سمرة فخطفت رداءه فوقف صلى الله عليه وسلم فقال اعطوني ردائي فلو كان لي عدد هذه
العضاه نعما لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا جبانا **وذكر** محمد بن سعد كاتب الواقدي
عن ابن عباس انه لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطايف نزل الجعرانة فقسم
بها الغنايم ثم اعتمر منها وذلك لليلتين بقيتا من شوال **قال** ابن سيد الناس وهذا
ضعيف والمعروف عند اهل السير ان النبي صلى الله عليه وسلم انتهى الى الجعرانة ليلة
الخميس لخمس ليال خلون من ذي القعدة فاقام بها ثلاث عشرة ليلة فلما اراد الانصراف الى المدينة
خرج ليلة الاربعا لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة ليلا فاحرم بعمرة ودخل مكة
وفي تاريخ الازرقي عن مجاهد انه عليه الصلاة والسلام احرم من وراء الوادي حيث الحجارة
المنصوبة **وعند** الواقدي من المسجد الاقصى الذي تحت الوادي بالعدوة القصوى
من الجعرانة والجعرانة موضع بينه وبين مكة بريد كما قاله الفاكهي وقال الباجي ثمانية عشر
ميلا وسمي بامراة تلقب بالجعرانة كما ذكر السهيلي قالوا وقدم صلى الله عليه وسلم المدينة
وقد غاب عنها شهرين وستة عشر يوما **وبعث عليه الصلاة والسلام قيس بن سعد**
ابن عبادة الى ناحية اليمن في اربعماية فارس وامره ان يقاتل قبيلة صداء فمر رجل من صداء
عليهم في الطريق فقدم زياد بن الحرث الصدائي فسال عن ذلك البعث فاخبر فقال يا رسول الله
صلى الله عليه وسلم انا وافدهم فاردد الجيش وانا لك بقومي فردهم النبي صلى الله عليه وسلم
من قناة وقدم الصدائيون بعد خمسة عشر يوما فاسلموا وتاتي قصة وفودهم في الفصل
العاشر من المقصد الثاني ان شا الله تعالى **وبعث عيينة بن حصين الفزاري**
الى بني تميم بالسقيا وبني ارض بني تميم في المحرم سنة تسع في خمسين فارسا من العرب
ليس فيهم مهاجري ولا انصاري فكان يسير الليل ويكمن النهار فهجم عليهم في صحراء فدخلوا
وسرحوا مواشيهم فلما راوا الجمع ولوا فاخذوا منهم احد عشر رجلا ووجدوا في المحلة احدى عشرة
امراة وثلثين صبيا فقدم منهم عدة من رؤسايهم منهم عطارد والزبرقان وقيس بن عاصم
والاقرع بن حابس فجاوا الى باب النبي صلى الله عليه وسلم فنادوا يا محمد اخرج الينا فخرج صلى الله
عليه وسلم واقام بلال الصلاة وتعلقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمونه فوقف معهم
ثم مضى فصلى الظهر ثم جلس في صحن المسجد فقدموا عطارد بن حاجب فتكلم وخطب فامر رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس بن شماس فاجابهم ونزل فيهم ان الذين ينادونك من وراء الحجرات
الاية ورد عليهم صلى الله عليه وسلم الاسير والسبي **وفي** البخاري عن عبد الله بن الزبير
انه قدم ركب من بني تميم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر امر القعقاع بن سعيد
ابن زرارة فقال عمر بل امر الاقرع بن حابس قال ابو بكر ما اردت الا خلافي قال عمر ما اردت خلافك
فتماريا حتى ارتفعت اصواتهما فنزل في ذلك يا ايها الذين امنوا لا تقدموا حتى انقضت اي لا تقدموا
القضاء في امر قبل ان يحكم الله ورسوله فيه ولما نزل في ذلك لا ترفعوا اصواتكم اقسم ابو بكر
لا يتكلم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا كمن يسار صاحبه فنزل فيه وفي امثاله
ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله الاية **ثم بعث عليه الصلاة والسلام**

الوليد بن عقبة بن ابي معيط الى بني المصطلق من خزاعة يصدقهم وكان بينه وبينهم عداوة
في الجاهلية وكانوا قد اسلموا وبنوا المساجد فلما سمعوا بدنو الوليد خرج منهم عشرون رجلا
يتلقونه بالجزور والغنم فرحا به وتعظيما لله ولرسوله فحدثه الشيطان انهم يريدون قتله
فرجع من الطريق قبل ان يصلوا اليه واخبر النبي صلى الله عليه وسلم انهم لقوه بالسلاح يحولون
بينه وبين الصدقة فهم صلى الله عليه وسلم اليهم من يغزوهم وبلغ ذلك القوم فقدم عليه الركب
الذين لقوا الوليد فاخبروا النبي صلى الله عليه وسلم الخبر على وجهه فنزلت هذه الاية يا ايها
الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا الى اخر الاية فقرا عليهم صلى الله عليه وسلم القران **وبعث**
معهم عباد بن بشر ياخذ صدقات اموالهم ويعلمهم شرايع الاسلام ويقريهم القران وفي شرف
المصطفى للنيسابوري مما ذكره مغلطاي انه عليه الصلاة والسلام بعث عبد الله بن عوسجة
الى بني عمرو بن حارثة وقيل حارثة بن عمرو وقالوا هو الاصح في مستهل صفر يدعوهم الى الاسلام
فابوا ان يجيبوا واستخفوا الصحيفة فدعا عليهم صلى الله عليه وسلم بذهاب العقل فهم الى اليوم
اهل رعدة وعجلة وكلام مختلط **ثم سرية قطبة بن عامر** الى خثعم بناحية بيشة
قريبا من تربة بفتح الراء من اعمال مكة سنة تسع وبعثه في عشرين رجلا وامره ان يشن
الغارة عليهم فاقتتلوا قتالا شديدا حتى كثر الجرحى في الفريقين جميعا وقتل قطبة من قتل
وساقوا النعم والشاء والنساء الى المدينة وكانت سهامهم اربعة ابعرة والبعير يعدل بعشرة
من الغنم بعد ان اخرج الخمس **ثم سرية الضحاك بن سفيان** الكلابي الى بني كلاب
في ربيع الاول سنة تسع الى القرطاء فدعاهم الى الاسلام فابوا فقاتلوهم فهزموهم وغنموا
ثم سرية علقمة بن مجزز المدلجي الى الحبشة في ربيع الاخر وقال الحاكم في صفر سنة
تسع وذكر ابن سعد ان سببه ذلك انه بلغه صلى الله عليه وسلم ان ناسا من الحبشة تراءاهم
اهل جدة فبعث اليهم علقمة بن مجزز في ثلثماية فانتهى الى جزيرة في البحر فلما خاض البحر اليهم هربوا
فلما رجع تعجل بعض القوم الى اهليهم فامر عبد الله بن حذافة على من تعجل وكانت فيه دعابة
فنزلوا ببعض الطريق واوقدوا نارا يصطلون عليها فقال عزمت عليكم الا تواثبتم في هذه النار
فلما هم بعضهم بذلك قال اجلسوا انما كنت امزح فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم
فقال من امركم بمعصية فلا تطيعوه ورواه الحاكم وابن ماجة وصححه ابن خزيمة وابن حبان
من حديث ابي سعيد الخدري وبوب عليه البخاري فقال سرية عبد الله بن حذافة السهمي
وعلقمة بن مجزز المدلجي ويقال انها سرية الانصاري ثم روي عن علي قال بعث النبي صلى الله
عليه وسلم سرية واستعمل رجلا من الانصار وامرهم ان يطيعوه فغضب فقال اليس قد امركم
النبي صلى الله عليه وسلم ان تطيعوني قالوا بلى قال فاجمعوا حطبا فجمعوا فقال اوقدوا نارا
فاوقدوها فقال ادخلوها فهموا وجعل بعضهم يمسك بعضا ويقولون فررنا الى النبي صلى الله
عليه وسلم من النار فلم يزالوا حتى خمدت النار فسكن غضبه فبلغ النبي صلى الله عليه
وسلم فقال لو دخلوها ما خرجوا منها قال الحافظ ابو الفضل بن حجر في قوله ويقال انها سرية
الانصاري اشارة الى احتمال تعدد القصة وهو الظاهر لاختلاف سياقهما واسم اميرهما
ويحتمل الجمع بينهما بضرب من التاويل ويبعده وصف عبد الله بن حذافة السهمي القرشي

سرية قطبة بن عامر

سرية الضحاك بن سفيان

سرية علقمة

المهاجري بكونه انصاريا ويحتمل ان يكون الحمل على المعنى الاعم اي انه نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجملة والى التعدد جنح ابن القيم **واما** ابن الجوزي فقال قوله من الانصار وهم من بعض الرواة واما هو سهمي قال في فتح الباري ويؤيده حديث ابن عباس عند احمد في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم نزلت في عبد الله بن حذافة ابن قيس بن عدي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية انتهى وقال النووي وهذا الذي فعله هو الامير اراد امتحانهم وقيل كان ممازحا وقيل ان هذا الرجل عبد الله بن حذافة السهمي وهذا ضعيف لانه قال في الرواية التي بعدها انه رجل من الانصار فدل على انه غيره انتهى **ثم سرية علي بن ابي طالب** الى الفلس بضم الفاء وسكون اللام وهو صنم طيء ليهدمه في ربيع الاول سنة تسع وبعث معه مائة وخمسين رجلا من الانصار على مائة بعير وخمسين فرسا عند ابن سعد ما بين رجل فهدمه وغنم سبيا ونعما وشاء وكان في السبي سفانة بنت حاتم اخت عدي بن حاتم فاطلقها النبي صلى الله عليه وسلم فكان ذلك سبب اسلام عدي عند ابن سعد ايضا ان الذي كان سباها خالد بن الوليد رضي الله عنه **ثم سرية عكاشة** بن محصن الى الجناب موضع بالحجاز ارض عذرة وبلي وقيل ارض حواز وكلب ولعذرة فيها مشركة **قصة** كعب بن زهير مع النبي صلى الله عليه وسلم وكانت فيما بين رجوعه عليه الصلاة والسلام من الطائف وغزوة تبوك وكان من خبر كعب واخيه بجير ما ذكره ابن اسحق وعبد الملك بن هشام وابو بكر محمد بن القاسم بن بشار بن الانباري ودخل حديث بعضهم ان بجيرا قال لكعب ابنت حتى آتي هذا الرجل يعني النبي صلى الله عليه وسلم فاسمع كلامه واعرف ما عنده فاقام كعب ومضى بجير فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع كلامه فآمن به وذلك ان زهيرا فيما زعموا كان يجالس اهل الكتاب فسمع منهم انه قد آن مبعثه صلى الله عليه وسلم ورأى زهير في منامه انه قد مد سبب من السماء وانه مد يده ليتناوله ففاته فاوله بالنبي صلى الله عليه وسلم الذي يبعث في آخر الزمان وانه لا يدركه واخبر بنيه بذلك واوصاهم ان ادركوه ان يسلموا قال ابن اسحق ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف كتب بجير ابن زهير الى اخيه كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل رجالا بمكة ممن كان يهجوه وان من بقي من شعراء قريش ابن الزبعرى وهبيرة بن ابي وهب قد هربوا في كل وجه فان كانت لك في نفسك حاجة فطر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لا يقتل احدا جاءه تائبا وان انت لم تفعل فانج الى نجائك وكان كعب قد قال

الا ابلغا عني بجيرا رسالة ۞ فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا
فبين لنا ان كنت لست بفاعل ۞ على اي شيء غير ذلك دلكا
على خلق لم يلف اما ولا ابا ۞ عليه ولا تلفي عليه اخا لكا
فان انت لم تفعل فلست بآسف ۞ ولا قائل اما عثرت لعا لكا
سقاك بها المأمون كاسا روية ۞ فانهلك المأمون منها وعلكا

قال السهيلي لعا كلمة تقال للعاثر دعاء له قال ابن اسحق وبعث بها الى بجير فلما اتت بجيرا

كره ان يكتمها رسول الله صلى الله عليه وسلم فانشده اياها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سقاك بها المأمون صدق وانه لكذوب وان المأمون لما سمع على خلوه لم يلف اما ولا ابا عليه قال اجل لم يلف عليه اباه ولا امه قال عليه الصلاة والسلام من لقي منكم كعب بن زهير فليقتله فكتب اليه اخوه بهذه الابيات

من مبلغ كعبا فهل لك في التي ۞ تلوم عليها باطلا وهي احزم
الى الله لا العزى ولا اللات وحده ۞ فتنجو اذا كان النجاء وتسلم
لدى يوم لا ينجو وليس بمفلت ۞ من الناس الا طاهر القلب مسلم
فدين زهير وهو لا شيء دينه ۞ ودين ابي سلمى علي محرم

فلما بلغ كعبا الكتاب ضاقت به الارض واشفق على نفسه وارجف به من كان في حاضره من عدوه فقال هو مقتول فلما لم يجد من شيء بدا قال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ويذكر خوفه وارجاف الوشاة به من عدوه ثم خرج حتى قدم المدينة فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة من جهينة فغدا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا رسول الله فقم اليه واستامنه فقام حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان كعب ابن زهير قد جاء ليستامنك تائبا مسلما فهل انت قابل منه ان انا جئتك به قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال انا يا رسول الله كعب بن زهير قال ابن اسحق فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة انه وثب عليه رجل من الانصار فقال يا رسول الله دعني وعدو الله اضرب عنقه فقال صلى الله عليه وسلم دعه عنك فقد جاء تائبا نازعا قال فغضب كعب على هذا الحي من الانصار لما صنع صاحبهم وذلك انه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين الا بخير ثم قال قصيدته اللامية التي اولها

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ۞ متيم اثرها لم يفد مكبول
انبئت ان رسول الله اوعدني ۞ والعفو عند رسول الله مأمول
مهلا هداك الذي اعطاك نافلة ۞ القرآن فيه مواعيظ وتفصيل
لا تاخذني باقوال الوشاة ولو ۞ ولو كثرت في الاقاويل
ان الرسول لنور يستضاء به ۞ مهند من سيوف الله مسلول
في عصبة من قريش قال قائلهم ۞ ببطن مكة لما اسلموا زولوا
يمشون مشي الجمال الزهر يعصمهم ۞ ضرب اذا عرد السود التنابيل

وفي رواية ابي بكر الانباري انه لما وصل الى قوله ان الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول **رمى عليه** الصلاة والسلام اليه بردة كانت عليه وان معاوية بذل له عشرة آلاف فقال ما كنت لاوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا فلما مات كعب بعث معاوية الى ورثته بعشرين الفا فاخذها منهم قال وهي البردة التي عند السلاطين الى اليوم وقال ابن اسحق قال عاصم بن عمر بن قتادة فلما قال كعب اذا عرد السود التنابيل وانما يعني معشر الاسلام الانصار لما كان صاحبنا صنع به وخص المهاجرين بمدحته غضب عليه الانصار فقال بعد ان اسلم يمدح الانصار في قصيدته التي يقول فيها

من سره كرم الحياة فلا يزل ۞ في مقنب من صالحي الانصار

وَرِثُوا المكارم كابرًا عن كابرٍ ۝ إن الخيار هم بنو الأخيار
المكرهين السمهري بأذرعٍ ۝ كسوالف الهندي غير قصار
والناظرين بأعين محمرةٍ ۝ كالجمر غير كليلة الإبصار
والبائعين نفوسهم لنبيهم ۝ للموت يوم تعانق وكرار
يتطهرون يرونه نسكًا لهم ۝ بدماء من علقوا من الكفار
قوم إذا خوت النجوم فإنهم ۝ للطارقين النازلين مقاري

وقد كان كعب بن زهير من فحول الشعراء وأبوه وابنه عقبة وابن ابنه العوام ابن عقبة **غزوة تبوك** مكان معروف وهو نصف طريق المدينة إلى دمشق **وهي غزوة العسرة** وتعرف بالفاضحة لافتضاح المنافقين فيها وكانت يوم الخميس في رجب سنة تسع من الهجرة بلا خلاف وذكر البخاري لها بعد حجة الوداع لعله خطأ النساخ **وكان** حرًا شديدًا وجدبًا كثيرًا فلذلك لم يورّ عنها كعادته في سائر الغزوات وفي تفسير عبد الرزاق عن معمر عن ابن عقيل قال خرجوا في قلة من الظهر وفي حر شديد حتى كانوا ينحرون البعير فيشربون ما في كرشه من الماء فكان ذلك عسرة من الماء والظهر والنفقة فسميت غزوة العسرة **وسببها** أنه بلغه صلى الله عليه وسلم من الأنباط الذين يقدمون بالزيت من الشام إلى المدينة أن الروم تجمعت بالشام مع هرقل فندب صلى الله عليه وسلم الناس إلى الخروج وأعلمهم بالمكان الذي يريد ليتأهبوا لذلك **وروى** الطبراني من حديث عمران بن الحصين قال كانت نصارى العرب كتبت إلى هرقل أن هذا الرجل الذي خرج يدعي النبوة هلك وأصابتهم سنون فهلكت أموالهم فبعث رجلًا من عظمائهم وجهز معه أربعين ألفًا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن للناس قوة وكان عثمان قد جهز عيرًا إلى الشام فقال يا رسول الله هذه مائتا بعير بأقتابها وأحلاسها ومائتا أوقية قال فسمعته يقول لا يضر عثمان ما عمل بعدها **وروى** عن قتادة أنه قال حمل عثمان في جيش العسرة على ألف بعير وسبعين فرسًا وعن عبد الرحمن بن سمرة قال جاء عثمان بن عفان بألف دينار في كمه حين جهز جيش العسرة فنثرها في حجره صلى الله عليه وسلم فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلبها في حجره ويقول ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم أخرجه الترمذي وقال حسن غريب **و**عند الفضائلي والملا في سيرته كما ذكره الطبري في الرياض النضرة من حديث حذيفة بعث عثمان يعني في جيش العسرة بعشرة آلاف دينار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فصبت بين يديه فجعل صلى الله عليه وسلم يقول بيده ويقلبها ظهرًا لبطن ويقول غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت وما هو كائن إلى يوم القيامة ما يبالي ما عمل بعدها **ولما** تأهب صلى الله عليه وسلم للخروج قال قوم من المنافقين لا تنفروا في الحر فنزل قوله تعالى وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرًا لو كانوا يفقهون **وأرسل** عليه السلام إلى مكة وقبائل العرب يستنفرهم **وجاء** البكاؤون يستحملونه فقال عليه الصلاة والسلام لا أجد ما أحملكم عليه وهم سالم بن عمير وعلبة بن زيد وأبو ليلى عبد الرحمن ابن كعب المازني والعرباض بن سارية وهرم بن عبد الله وعمرو بن غنمة وعبد الله بن معقل

وعبد الله

وعبد الله بن عمرو المزني وعمرو بن الحمام ومعقل المزني وحرمي بن مازن والنعمان بن سويد ومعقل وعقيل وسنان وعبد الرحمن وهند بنو مقرن وهم الذين قال الله فيهم تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنًا ألا يجدوا ما ينفقون قاله مغلطاي **و**في البخاري عن أبي موسى قال أرسلني أصحابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله الحملان لهم فقلت يا نبي الله إن أصحابي أرسلوني إليك لتحملهم فقال والله لا أحملكم على شيء فرجعت حزينًا من منع النبي صلى الله عليه وسلم ومن مخافة أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم وجد في نفسه علي فرجعت إلى أصحابي فأخبرتهم الذي قال النبي صلى الله عليه وسلم فلم ألبث إلا سويعة إذ سمعت بلالًا ينادي أين عبد الله بن قيس فأجبته فقال أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فلما أتيته قال خذ هذين القرينين وهذين القرينين لستة أبعرة ابتاعهن حينئذ من سعد فانطلق بهن إلى أصحابك فقال إن الله أو إن رسول الله يحملكم على هؤلاء فاركبوهن الحديث وقام علبة بن زيد فصلى من الليل وبكى وقال اللهم إنك قد أمرت بالجهاد ورغبت فيه ثم لم تجعل عندي ما أتقوى به مع رسولك ولم تجعل في يد رسولك ما يحملني عليه وإني أتصدق على كل مسلم بكل مظلمة أصابني فيها من مال أو جسد أو عرض ثم أصبح مع الناس فقال النبي صلى الله عليه وسلم أين المتصدق بهذه الليلة فلم يقم أحد ثم قال أين المتصدق بهذه الليلة فلم يقم أحد ثم قال أين المتصدق فليقم فقام إليه فأخبره فقال صلى الله عليه وسلم أبشر فوالذي نفس محمد بيده لقد كتبت في الزكاة المتقبلة رواه يونس كما ذكره السهيلي في الروض والبيهقي في الدلائل **وجاء** المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم في التخلف فأذن لهم وهم اثنان وثمانون رجلًا وقعد آخرون من المنافقين بغير عذر وإظهار علة جرأة على الله ورسوله وهو قوله تعالى وقعد الذين كذبوا الله ورسوله **و**استخلف على المدينة محمد بن مسلمة قال الدمياطي وهو عندنا أثبت ممن قال استخلف غيره انتهى **و**قال الحافظ زين الدين العراقي في ترجمة علي بن أبي طالب من شرح التقريب لم يتخلف عن المشاهد إلا تبوك فإن النبي صلى الله عليه وسلم خلفه على المدينة وعلى عياله وقال له يومئذ أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي وهو في الصحيحين من حديث سعد بن أبي وقاص انتهى ورجحه ابن عبد البر وقيل استخلف سباع بن عرفطة **و**تخلف نفر من المسلمين من غير شك ولا ارتياب منهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال ابن أمية وفيهم نزل وعلى الثلاثة الذين خلفوا وأبو ذر وأبو خيثمة ثم لحقاه بعد ذلك **ولما** رأى عليه السلام أبا ذر الغفاري وكان عليه السلام نزل في بعض الطريق فقال يمشي وحده ويحشر وحده ويموت وحده فكان كذلك وأمر صلى الله عليه وسلم لكل بطن من الأنصار والقبائل من العرب أن يتخذوا لواء وراية وكان معه عليه السلام ثلاثون ألفًا **وعند** أبي زرعة سبعون ألفًا **و**في رواية عنه أيضًا أربعون ألفًا **وكانت** الخيل عشرة آلاف فرس **ولما** مر عليه السلام بالحجر بكسر الحاء وسكون الجيم بديار ثمود قال لا تشربوا من مائها شيئًا ولا يخرجن أحد منكم إلا ومعه صاحب له ففعل الناس إلا أن رجلين من بني ساعدة خرج أحدهما لحاجته وخرج الآخر في طلب بعيره فأما الذي خرج لحاجته فخنق على مذهبه وأما الذي خرج في طلب بعيره فاحتملته الريح حتى طرحته بجبل طيء فأخبر بذلك رسول الله

صلى الله عليه وسلم فقال الراهب كم ثم عاد للذي خنق على مذهبه وشقي واما الآخر فاهتدى
لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة وفي صحيح مسلم من حديث ابي حميد
انطلقنا حتى قدمنا تبوك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستهب عليكم الليلة ريح شديدة
فلا يقم احد منكم فمن كان له بعير فليشد عقاله فهبت ريح شديدة فقام رجل فحملته الريح حتى
القته بجبل طي وروى الزهري لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر سجى ثوبه على
وجهه واستحث راحلته ثم قال لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا انفسهم الا وانتم باكون خوفا
ان يصيبكم ما اصابهم رواه الشيخان ولما كان عليه السلام ببعض الطريق ضلت ناقته فقال
زيد بن اللصيب وكان منافقا اليس محمد يزعم انه نبي ويخبركم عن خبر السماء وهو لا يدري اين
ناقته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وذكر مقالته واني والله لا اعلم الا ما علمني الله
وقد دلني الله عليها وهي في الوادي في شعب كذا وكذا قد حبستها شجرة بزمامها فانطلقوا حتى
تاتوني بها فانطلقوا فجاؤا بها رواه البيهقي وابو نعيم وفي مسلم من حديث معاذ بن جبل انهم
وردوا عين تبوك وهي تبض بشيء من ماء وانهم غرفوا منها قليلا قليلا حتى اجتمع في شيء ثم
غسل صلى الله عليه وسلم به وجهه ويديه ثم اعاده فيها فجرت بماء كثير فاستقى الناس
ويأتي ان شاء الله تعالى في مقصد المعجزات ولما انتهى صلى الله عليه وسلم الى تبوك اتاه صاحب
ايلة فصالحه واعطاه الجزية واتاه اهل جربا بالجيم واذرح بالذال المعجمة والراء والحاء المهملة
بلدين بالشام بينهما ثلاثة ايام فاعطوه الجزية وكتب لهم صلى الله عليه وسلم كتابا ووجد
هرقل بحمص فارسل خالد بن الوليد الى اكيدر بن عبد الملك النصراني وكان ملكا عظيما بدومة
الجندل في اربعمائة وعشرين فارسا في رجب سرية وقال له عليه السلام انك ستجده ليلا
يصيد البقر فانتهى اليه خالد فاستاسر اكيدر وقتل اخاه حسانا وهرب من كان معهما فدخل
الحصن ثم اجار خالد اكيدر من القتل حتى يأتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان يفتح له
دومة الجندل ففعل وصالحه على الفي بعير وثمانمائة فرس واربعمائة درع واربعمائة رمح وفي
هذه الغزوة كتب صلى الله عليه وسلم كتابا في تبوك الى هرقل يدعوه الى الاسلام فقارب
الاجابة ولم يجب رواه ابن حبان في صحيحه من حديث انس وفي مسند احمد ان هرقل كتب
من تبوك الى النبي صلى الله عليه وسلم اني مسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم كذب هو على نصرانيته
وفي كتاب الاموال لابي عبيدة بسند صحيح من مرسل بكر بن عبد الله نحوه ولفظه فقال كذب
عدو الله ليس بمسلم ثم انصرف صلى الله عليه وسلم من تبوك بعد ان اقام بها بضع عشرة ليلة
وقال الدمياطي ومن قبله ابن سعد عشرين ليلة يصلي بها ركعتين ولم يلق كيدا وبني
في طريقه مساجد واقبل عليه السلام حتى نزل بذي اوان بفتح الهمزة بلفظ الاوان الحين
وبينها وبين المدينة ساعة فجاءه خبر مسجد الضرار من السماء فدعا مالك بن الدخشم ومعن بن عدي
العجلاني فقال انطلقا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدماه وحرقاه فخرجا فحرقاه وهدماه
وذلك بعد ان انزل الله فيه والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا الآية قال الواحدي قال
ابن عباس ومجاهد وقتادة وعامة اهل التفسير الذين اتخذوا مسجد الضرار كانوا اثني عشر
رجلا يضارون به مسجد قباء وذلك انهم قالوا في طائفة من المنافقين نبني مسجدا فنقيل فيه

ان رجلا منهم

فلا نغتر

فلا نحضر خلف محمد قال المفسرون ولما بنوا ذلك لاغراضهم الفاسدة عند ذهاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى غزوة تبوك قالوا يا رسول الله بنينا مسجدا لذي العلة والليلة المطيرة
ونحن نحب ان تصلي فيه وتدعو لنا بالبركة فقال عليه السلام اني على جناح سفر واذا قدمنا
ان شاء الله تعالى صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سألوه اتيان المسجد فنزلت هذه الآية
ولما دنا صلى الله عليه وسلم من المدينة خرج الناس لتلقيه وخرج النساء والصبيان والولائد
يقلن ٭ طلع البدر علينا ٭ من ثنيات الوداع ٭ وجب الشكر علينا ٭ ما دعا لله داع ٭ وقد وهم بعض
الرواة كما قدمته وقال انما كان هذا عند مقدمه المدينة وهو وهم ظاهر لان ثنيات الوداع
انما هي من ناحية الشام لا يراها القادم من مكة الى المدينة ولا يمر بها الا اذا توجه الى الشام
كما قدمت ذلك وفي البخاري لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك فدنا من المدينة
قال ان بالمدينة اقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم حبسهم العذر وهذا يؤيد
معنى ما روي نية المؤمن خير من عمله فان نية هؤلاء ابلغ من اعمالهم فانها بلغت بهم مبلغ العاملين
بابدانهم وهم على فرشهم في بيوتهم والمسابقة الى الله تعالى والى الدرجات العلى بالنيات والهمم لا بمجرد
الاعمال ولما اشرف صلى الله عليه وسلم على المدينة قال هذه طابة وهذا احد جبل يحبنا ونحبه ولما
دخل قال العباس يا رسول الله ائذن لي ان امتدحك قال قل لا يفضض الله فاك فقال

٭ من قبلها طبت في الظلال وفي ٭ مستودع حيث يخصف الورق ٭
٭ ثم هبطت البلاد لا بشر ٭ انت ولا مضغة ولا علق ٭
٭ بل نطفة تركب السفين وقد ٭ الجم نسرا واهله الغرق ٭
٭ تنقل من صالب الى رحم ٭ اذا مضى عالم بدا طبق ٭
٭ حتى احتوى بيتك المهيمن من ٭ خندف علياء تحتها النطق ٭
٭ وردت نار الخليل مكتتما ٭ في صلبه انت كيف يحترق ٭
٭ وانت لما ولدت اشرقت الارض ٭ وضاءت بنورك الافق ٭
٭ فنحن في ذلك الضياء وفي النور ٭ وسبل الرشاد نخترق ٭

وقوله من قبلها طبت الى آخره اي في ظلال الجنة اي كنت طيبا في صلب آدم حيث كان
في الجنة وقوله من قبلها اي من قبل نزولك الى الارض فكنى عنها ولم يتقدم لها ذكر
لبيان المعنى وقوله ثم هبطت البلاد لا بشر اي لما اهبط الله آدم الى الدنيا كنت في صلبه
غير بالغ هذه الاشياء وقوله وقد الجم نسرا واهله الغرق يريد الصنم الذي كان يعبده
قوم نوح وهو المذكور في قوله تعالى ولا يغوث ويعوق ونسرا وقوله حتى احتوى بيتك
المهيمن الى آخره النطق جمع نطاق وهو اعراض من جبال بعضها فوق بعض اي نواح واوساط
منها شبهت بالنطق التي يشد بها اوساط الناس ضربه مثلا في ارتفاعه وتوسطه في عشيرته
وجعلهم تحته بمنزلة اوساط الجبال واراد ببيته شرفه والمهيمن نعته اي احتوى شرفك
الشاهد على فضلك اعلى مكان من نسب خندف بكسر الخاء المعجمة والدال المهملة انتهى وجاءه
صلى الله عليه وسلم من كان تخلف عنه فحلفوا له فعذرهم واستغفر لهم وارجأ امر كعب
وصاحبيه حتى نزلت توبتهم في قوله تعالى لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار

الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم
رؤف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم
وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم والثلاثة هم كعب
ابن مالك وهلال بن امية ومرارة بن ربيعة وعند البيهقي في الدلائل عن مرسل سعيد
ابن المسيب ان ابا لبابة لما اشار لبني قريظة بيده الى حلقه انه الذبح فاخبر عنه رسول الله
صلى الله عليه وسلم بذلك فقال صلى الله عليه وسلم احسبت ان الله غفل عن يدك حتى تشير
اليهم بها الى حلقك فلبث حينا ورسول الله صلى الله عليه وسلم عاتب عليه ثم غزا تبوك فتخلف عنه
ابو لبابة فيمن تخلف فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها جاءه ابو لبابة يسلم عليه
فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ففزع ابو لبابة فارتبط بسارية التوبة سبعا
وقال لا يزال هذا مكاني حتى افارق او يتوب الله علي الحديث وعنده ايضا من حديث ابن عباس
في قوله تعالى واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا قال لما كانوا عشرة رهط تخلفوا عن النبي
صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فلما رجع صلى الله عليه وسلم اوثق سبعة منهم انفسهم
بسواري المسجد وكان ممر النبي صلى الله عليه وسلم اذا رجع في المسجد عليهم فقال من هؤلاء
قالوا هذا ابو لبابة واصحاب له تخلفوا عنك يا رسول الله حتى تطلقهم وتعذرهم قال اقسم بالله
لا اطلقهم ولا اعذرهم حتى يكون الله هو الذي يطلقهم رغبوا عني وتخلفوا عن الغزو فانزل الله
تعالى واخرون اعترفوا بذنوبهم فلما نزلت ارسل اليهم النبي صلى الله عليه وسلم فاطلقهم
وعذرهم الحديث قالوا ولما قدم عليه السلام من تبوك وجد عويمر العجلاني امرأته حبلى
فلاعن عليه السلام بينهما ثم حجة ابي بكر الصديق رضي الله عنه بالناس سنة تسع
في ذي القعدة كما ذكره ابن سعد وغيره بسند صحيح عن مجاهد ووافقه عكرمة بن خالد
فيما اخرجه الحاكم في الاكليل وقال قوم في ذي الحجة وبه قال الداودي والثعلبي والماوردي
ويؤيده ان ابن اسحق صرح بان النبي صلى الله عليه وسلم اقام بعد ما رجع من تبوك
رمضان وشوالا وذا القعدة ثم بعث ابا بكر اميرا على الحج فهو ظاهر في ان بعث ابا بكر كان بعد
انسلاخ ذي القعدة فيكون حجه في ذي الحجة على هذا والله اعلم وكان مع ابي بكر
ثلاثمائة رجل من المدينة وعشرون بدنة وفي البخاري ومسلم عن ابي هريرة ان ابا بكر
بعثه في الحجة التي امره رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل حجة الوداع في رهط يؤذن بالناس
يوم النحر ان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان قال فنبذ ابو بكر الى الناس في ذلك
العام فلم يحج في العام القابل الذي حج فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع مشرك
فانزل الله تعالى في العام الذي نبذ فيه ابو بكر الى المشركين يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس
فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا الاية وقد دلت هذه الاية الكريمة على نجاسة المشرك
كما في الصحيح المؤمن لا ينجس واما نجاسة بدنه فالجمهور على انه ليس بنجس البدن والذات
وذهب بعض الظاهرية الى نجاسة ابدانهم وهذا ضعيف لان اعيانهم لو كانت نجسة كالكلب
والخنزير لما طهرهم الاسلام ولا استوى في النهي عن دخول المشركين المسجد الحرام وغيره
من المساجد فالمراد الاخبار لما ضمهم من الخبث الظاهر بالكفر وخبث الباطن بالعداوة قاله

مقاتل

مقاتل وروى النسائي عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من عمرة الجعرانة بعث
ابا بكر على الحج فاقبلنا معه حتى اذا كنا بالعرج ثوب بالصبح فلما استوى للتكبير سمع الرغوة خلف
ظهره فوقف عن التكبير فقال هذه رغوة ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم الجدعاء لقد بدا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الحج فلعله ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم فنصلي معه
فاذا علي عليها فقال له ابو بكر امير ام رسول قال لا بل رسول ارسلني رسول الله صلى الله
عليه وسلم ببراءة اقرأها على الناس في مواقف الحج فقدمنا مكة فلما كان قبل التروية بيوم
قام ابو بكر فخطب الناس فحدثهم عن مناسكهم حتى اذا فرغ قام علي فقرأ على الناس براءة حتى
ختمها ثم خرجنا معه حتى اذا كان يوم عرفة قام ابو بكر فخطب الناس فعلمهم مناسكهم حتى اذا
فرغ قام علي فقرأ على الناس براءة حتى ختمها ثم كان يوم النحر فافضنا فلما رجع ابو بكر خطب الناس
فحدثهم عن افاضتهم وعن نحرهم وعن مناسكهم فلما فرغ قام علي فقرأ على الناس براءة حتى ختمها
فلما كان يوم النفر الاول قام ابو بكر فخطب فحدثهم الناس كيف ينفرون وكيف يرمون يعلمهم
مناسكهم فلما فرغ قام علي فقرأ على الناس براءة حتى ختمها وهذا السياق فيه غرابة من جهة
ان امير الحج سنة عمرة الجعرانة انما هو عتاب بن اسيد فاما ابو بكر رضي الله عنه فانما كان
سنة تسع واستدل واستدل بهذه القصة على ان فرض الحج كان قبل حجة الوداع
والاحاديث في ذلك شهيرة كثيرة وذهب جماعة الى ان حج ابي بكر هذا لم يسقط عنه الفرض
بل كان تطوعا قبل فرض الحج ولا يخفى ضعفه وفي هذه السنة مات عبد الله بن ابي بن سلول
فجاء ابنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله ان يعطيه قميصه يكفن فيه اباه فاعطاه
ثم سأله ان يصلي عليه فقام ليصلي عليه فقام عمر رضي الله عنه فاخذ بثوب رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال يا رسول الله تصلي عليه وقد نهاك ربك ان تصلي عليه فقال صلى الله عليه
وسلم انما خيرني الله عز وجل فقال استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة
وسأزيد على السبعين قال انه منافق فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز
وجل ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون
رواه الشيخان والنسائي وفي هذه السنة ايضا آلى صلى الله عليه وسلم من نسائه شهرا
وجحش شقه اي خدش وجلس في مشربة له درجها من جذوع النخل فاتاه اصحابه يعودونه
فصلى بهم جالسا وهم قيام فلما سلم قال انما جعل الامام ليؤتم به فاذا صلى قائما فصلوا قياما
وان صلى قاعدا فصلوا قعودا ولا تركعوا حتى يركع ولا ترفعوا حتى يرفع ونزل لتسع وعشرين
فقالوا يا رسول الله انك آليت شهرا فقال ان الشهر يكون تسعا وعشرين ثم بعث ابا موسى
ومعاذا الى اليمن قبل حجة الوداع كل واحد منهما على مخلاف قالوا واليمن مخلافان
ثم قال يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا وقال لمعاذ انك ستأتي قوما اهل كتاب فاذا
جئتهم فادعهم الى ان يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فانهم اطاعوك بذلك
فاخبرهم ان الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من اغنيائهم فترد على فقرائهم فانهم اطاعوك
بذلك فاياك وكرائم اموالهم واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب رواه الجماعة
والمخلاف بكسر الميم وسكون المعجمة واخره فاء فبلغة اهل اليمن الكورة والاقليم والرستاق

ثم بعث ابا موسى ومعاذا الى اليمن

وكانت جهة معاذ العليا الى صوب عدان وكان من عمل الجند بفتح الجيم والنون وله بها مسجد مشهور وكانت جهة ابي موسى السفلى **ثم ارسل خالد بن الوليد** قبل حجة الوداع ايضا في ربيع الاول سنة عشر وفي الاكليل في ربيع الآخر وقيل في جمادى الاولى الى بني عبد المدان قبيلة بنجران فاسلموا **ثم ارسل علي بن ابي طالب الى اليمن** في شهر رمضان سنة عشر من الهجرة وعقد له لواء وعممه بيده **واخرج** ابو داود واحمد والترمذي من حديث علي قال بعثني النبي صلى الله عليه وسلم الى اليمن فقلت يا رسول الله تبعثني الى قوم اسن مني وانا حديث السن لا ابصر القضاء قال فوضع يده في صدري وقال اللهم ثبت لسانه واهد قلبه وقال يا علي اذا جلس اليك الخصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر الحديث فخرج في ثلثمائة فارس فتفرق اصحابه فاتوا بنهب وغنائم ونساء واطفال ونعم وشاء وغير ذلك ثم لقي جمعهم فدعاهم الى الاسلام فابوا ورموا بالنبل ثم حمل عليهم علي باصحابه فقتل منهم عشرين رجلا فتفرقوا وانهزموا فكف عن طلبهم ثم دعاهم الى الاسلام فاسرعوا واجابوا وبايعه نفر من رؤسائهم على الاسلام ثم قفل فوافى النبي صلى الله عليه وسلم بمكة قد قدمها للحج سنة عشر **ثم حج صلى الله عليه وسلم حجة الوداع** وتسمى حجة الاسلام وحجة البلاغ وكره ابن عباس ان يقال حجة الوداع وكان صلى الله عليه وسلم قد اقام بالمدينة يضحي كل عام ويغزو المغازي فلما كان في ذي القعدة سنة عشر من الهجرة اجمع الخروج الى الحج قال ابن سعد ولم يحج غيرها منذ تنبأ الى ان توفاه الله تعالى **وفي البخاري** عن زيد بن ارقم ان النبي صلى الله عليه وسلم غزا تسع عشرة غزوة وانه حج بعد ما هاجر حجة واحدة لم يحج بعدها حجة الوداع قال وقال ابن اسحق وبمكة اخرى وقيل حج بمكة حجتين هذا بعد النبوة وقبلها لا يعلمه الا الله فخرج صلى الله عليه وسلم من المدينة يوم السبت لخمس ليال بقين من ذي القعدة وجزم ابن حزم بان خروجه كان يوم الخميس وفيه نظر لان اول ذي الحجة كان يوم الخميس قطعا لما ثبت وتواتر ان وقوفه بعرفة كان يوم الجمعة فتعين ان اول الشهر يوم الخميس ولا يصح ان يكون خروجه يوم الخميس بل ظاهر الخبر ان يكون يوم الجمعة لكن ثبت في الصحيحين عن انس صلينا مع النبي صلى الله عليه وسلم الظهر بالمدينة اربعا والعصر بذي الحليفة ركعتين فدل على ان خروجهم لم يكن يوم الجمعة ويحمل قول من قال لخمس بقين اي ان كان الشهر ثلاثين فاتفق ان جاء تسعا وعشرين فيكون يوم الخميس اول ذي الحجة بعد مضي اربع ليال لا خمس وبه تتفق الاخبار هكذا جمع الحافظ عماد الدين ابن كثير الروايات وقوى هذا الجمع بقول جابر انه خرج لخمس بقين من ذي القعدة او اربع وصرح الواقدي بان خروجه عليه السلام كان يوم السبت لخمس بقين من ذي القعدة وكان خروجه من المدينة بين الظهر والعصر **وكان** دخوله مكة صبح رابعة كما ثبت في حديث عائشة وذلك يوم الاحد وهذا يؤيد ان خروجه من المدينة كان يوم السبت كما تقدم فيكون مكث في الطريق ثمان ليال وهي المسافة الوسطى **وخرج** معه عليه الصلاة والسلام تسعون الفا ويقال مائة الف واربعة عشر الفا ويقال اكثر من ذلك كما حكاه البيهقي وابي

الكلام

الكلام على حجة الوداع وما فيها من المباحث في مقصد العبادات ان شاء الله تعالى **ثم سرية اسامة بن زيد بن حارثة** الى اهل ابنى بالسراة ناحية بالبلقاء وكانت يوم الاثنين لاربع ليال بقين من صفر سنة احدى عشرة وهي آخر سرية جهزها النبي صلى الله عليه وسلم واول شيء جهزه ابو بكر الصديق رضي الله عنه لغزو الروم مكان قتل ابيه زيد فلما كان يوم الاربعاء بدئ برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه فحم وصدع فلما اصبح يوم الخميس عقد لاسامة لواء بيده فخرج بلوائه معقودا فدفعه الى بريدة الاسلمي وعسكر بالجرف فلم يبق احد من وجوه المهاجرين والانصار الا انتدب فيهم ابو بكر وعمر فتكلم قوم وقالوا يستعمل هذا الغلام على المهاجرين فخرج صلى الله عليه وسلم وقد عصب راسه وعليه قطيفة فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد ايها الناس فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تامير اسامة ولئن طعنتم في امارة اسامة لقد طعنتم في امارتي اباه من قبله وايم الله ان كان للامارة لخليقا وان ابنه من بعده لخليق للامارة وان كان لمن احب الناس الي فاستوصوا به خيرا فانه من خياركم ثم نزل عن المنبر فدخل بيته وذلك يوم السبت لعشر خلون من ربيع الاول سنة احدى عشرة وجاء المسلمون الذين يخرجون مع اسامة يودعون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخرجون الى العسكر بالجرف فلما كان يوم الاحد اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه فدخل اسامة من معسكره والنبي صلى الله عليه وسلم مغمور وهو اليوم الذي لدوه فيه فطأطأ اسامة فقبله ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتكلم فجعل يرفع يديه الى السماء ثم يضعهما على اسامة قال اسامة فعرفت انه يدعو لي ورجع اسامة الى معسكره ثم دخل يوم الاثنين واصبح صلى الله عليه وسلم مفيقا فودعه اسامة وخرج الى معسكره فامر الناس بالرحيل فبينا هو يريد الركوب اذا رسول امه ام ايمن قد جاء يقول ان رسول الله يموت فاقبل هو وعمر وابو عبيدة فتوفي عليه السلام حين زاغت الشمس لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول واستشكله السهيلي ومن تبعه وذلك انهم اتفقوا على ان ذا الحجة كان اوله يوم الخميس فمهما فرضت الشهور الثلاثة توام او نواقص او بعضها لم يصح قال الحافظ ابن حجر وهو ظاهر لمن تامله **واجاب** البارزي ثم ابن كثير باحتمال وقوع الاشهر الثلاثة كوامل وكان اهل مكة والمدينة اختلفوا في رؤية هلال ذي الحجة فرآه اهل مكة ليلة الخميس ولم يره اهل المدينة الا ليلة الجمعة فحصلت الوقفة برؤية اهل مكة ثم رجعوا الى المدينة فارخوا برؤية اهلها فكان اول ذي الحجة الجمعة وآخره السبت واول المحرم الاحد وآخره الاثنين واول صفر الثلاثاء وآخره الاربعاء واول ربيع الاول الخميس فيكون ثاني عشره الاثنين قال وهذا الجواب بعيد من حيث انه يلزم منه توالي اربعة اشهر كوامل وقد جزم سليمان التيمي احد الثقات بان ابتداء مرضه صلى الله عليه وسلم كان يوم السبت الثاني والعشرين من صفر ومات يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الاول فعلى هذا يكون صفر ناقصا ولا يمكن ان يكون اول صفر السبت الا ان كان ذو الحجة والمحرم ناقصين فيلزم منه نقص ثلاثة اشهر متوالية قال والمعتمد ما قاله ابو مخنف انه توفي في ثاني

ربيع الاول وكان سبب غلط غيره انهم قالوا مات في ثاني شهر ربيع الاول فغير فصارت ثاني عشر واستمر الوهم بذلك يتبع بعضهم بعضا من غير تامل انتهى ثم ان وفاته عليه السلام يوم الاثنين من ربيع الاول بلا خلاف بل كاد يكون اجماعا لكن في حديث ابن مسعود في حادي عشر رمضان رواه البزار والمعتمد ما تقدم والله اعلم ولما توفي عليه الصلاة والسلام دخل المسلمون الذين عسكروا بالجرف الى المدينة ودخل بريدة بلواء اسامة معقودا حتى اتى به باب رسول الله صلى الله عليه وسلم فغرزه عنده فلما بويع ابو بكر الصديق رضي الله عنه امر بريدة ان يذهب باللواء الى بيت اسامة ليمضي لوجهه فمضى به الى معسكرهم الاول وخرج اسامة هلال ربيع الآخر سنة احدى عشرة الى اهل ابنا فشن عليهم الغارة فقتل من اشرف له وسبى من قدر عليه وحرق منازلهم ونخلهم وقتل قاتل ابيه في المغارة ثم رجع الى المدينة ولم يصب احد من المسلمين وخرج ابو بكر في المهاجرين واهل المدينة يتلقونه سرورا فجميع سراياه نحو ستين ومغازيه سبع وعشرون

المقصد الثاني

في ذكر اسمائه الشريفة المنبئة عن كمال صفاته المنيفة وذكر اولاده الكرام الطاهرين وازواجه الطاهرات امهات المؤمنين واعمامه وعماته واخوته من الرضاعة وجداته وخدمه ومواليه وحرسه وكتابه الى اهل الاسلام ومكاتباته الى الملوك وغيرهم من الانام والاته وحروبه ودوابه والوافدين اليه صلى الله عليه وسلم وفيه عشرة فصول

الفصل الاول

في ذكر اسمائه الشريفة المنبئة عن كمال صفاته المنيفة اعلم ان الاسما جمع اسم وهو كلمة وضعتها العرب بازاء مسمى متى اطلقت فهم منها ذلك المسمى فعلى هذا لا بد من مراعاة اربعة اشيا الاسم والمسمى بفتح الميم والمسمي بكسرها والتسمية فالاسم هو اللفظ الموضوع على الذات لتعريفها او تخصيصها عن غيرها كلفظ زيد والمسمى هو الذات المقصود تمييزها بالاسم كشخص زيد والمسمي هو الواضع لذلك اللفظ والتسمية هي اختصاص ذلك اللفظ بتلك الذات والوضع تخصيص لفظ بمعنى اذا اطلق او احس فهم ذلك المعنى واختلفوا هل الاسم عين المسمى او غيره وهي مسئلة طويلة تكلم الناس فيها قديما وحديثا فذهب قوم الى ان الاسم عين المسمى واستدلوا عليه بقوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى والتسبيح انما هو للرب جل وعلا فدل على ان اسمه هو هو واجيب بانه اشرب معنى سبح اذكر فكانه قال اذكر اسم ربك كقوله تعالى واذكر اسم ربك بكرة واصيلا وقد اشرب معنى اذكر سبح عكس الاول قال تعالى واذكر ربك اي سبح ربك والاشراب جار في لغتهم ليثبت معنى فعل فعلا واستشكل على معنى كونه هو المسمى اضافته اليه فانه يلزم منه اضافة الشي الى نفسه واجيب بان الاسم هنا بمعنى التسمية والتسمية غير الاسم لان التسمية هي اللفظ بالاسم والاسم هو اللازم للمسمى فتغايرا واحتج من قال بان الاسم عين المسمى ايضا بقوله تعالى بغلام اسمه يحيى ثم قال يا يحيى خذ الكتاب بقوة فنادى الاسم فدلت على انه المسمى وجوابه ان المعنى يا ايها الغلام الذي اسمه يحيى ولو كان الاسم عين المسمى لكان من قال النار احترق لسانه ومن قال العسل ذاق حلاوته وكثرة الاسما تدل على شرف المسمى

وقد سمى الله تعالى نبينا صلى الله عليه وسلم باسما كثيرة في القران العظيم وغيره من الكتب السماوية وعلى السنة انبيائه عليهم السلام ثم ان اشهر اسمائه صلى الله عليه وسلم محمد وبه سماه جده عبد المطلب وذلك انه لما قيل له ما سميت ولدك قال محمدا فقيل له كيف سميته باسم ليس لاحد من ابائك وقومك فقال لاني ارجوا ان يحمده اهل الارض كلهم وذلك لرؤيا كان راها عبد المطلب كما ذكر حديثها علي القيرواني العابر في كتاب البستان قال كان عبد المطلب قد راى في المنام كان سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف في السما وطرف في المشرق وطرف في المغرب ثم عادت كانها شجرة على كل ورقة منها نور واذا اهل المشرق والمغرب كانهم يتعلقون بها فقصها فعبرت له بمولود يكون من صلبه يتبعه اهل المشرق واهل المغرب ويحمده اهل السما والارض فلذلك سماه محمدا مع ما حدثته به امه امنة حين قيل لها انك قد حملت بسيد هذه الامة فاذا وضعتيه فسميه محمدا وعن ابن عباس قال لما ولد النبي صلى الله عليه وسلم عق عنه عبد المطلب وسماه محمدا فقيل له يا ابا الحارث ما حملك على ان سميته محمدا ولم تسمه باسم ابائه قال اردت ان يحمده الله في السما ويحمده الناس في الارض وعن محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لي اسما انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب رواه الشيخان وقد روي على قدمي بتخفيف اليا بالافراد وبالتشديد على التثنية قال النووي في شرح مسلم معنى الروايتين يحشرون على اثري وزماني ورسالتي وفي رواية نافع بن جبير عند البخاري في تاريخه الصغير والاوسط والحاكم في مستدركه وصححه وابو نعيم في الدلايل وابن سعد انه دخل على عبد الملك بن مروان فقال اتحصي اسما رسول الله صلى الله عليه وسلم التي كان جبير ابن مطعم يعدها قال نعم هي ستة فذكر الخمسة التي ذكرها محمد بن جبير وزاد الخاتم وفي حديث حذيفة احمد ومحمد والحاشر والمقفى ونبي الرحمة ولفظ رواية ابي نعيم نبي محمد واحمد وخاتم وحاشر وعاقب وماح فاما حاشر فبعث مع الساعة نذيرا لكم بين يدي عذاب شديد واما عاقب فانه اعقب الانبيا واما ماح فان الله عز وجل محى به سيئات من اتبعه وذكر بعضهم ان العدد ليس من قول النبي صلى الله عليه وسلم وانما ذكره الراوي بالمعنى وفيه نظر لتصريحه في الحديث ان لي خمسة اسما والذي يظهر انه اراد ان لي خمسة اسما اختص بها لم يتسم بها احد قبلي او مشهورة في الامم الماضية لا انه اراد الحصر فيها وبهذا يجاب عن الاشكال الوارد وهو ان المقرر في علم المعاني ان تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر لكن ورود الروايات بما هو اكثر يدل على انه ليس حصرا مطلقا فالطريق في ذلك ان يحمل على حصر مقيد كما ذكر والله اعلم وروى النقاش عنه عليه السلام لي في القران سبعة اسما محمد واحمد ويس وطه والمزمل والمدثر وعبد الله وقد جات من القابه صلى الله عليه وسلم واسمائه في القران عدة كثيرة وقد تعرض جماعة لتعدادها وبلغوا بها عددا مخصوصا فمنهم من بلغ بتسعة وتسعين موافقة لعدد اسما الله تعالى الحسنى الواردة في الحديث قال القاضي عياض وقد خصه الله تعالى بان سماه من اسمايه الحسنى بنحو من ثلاثين اسما

وقال ابن دحية في كتابه المستوفي اذا فحص عن جملتها من الكتب المتقدمة والقران والحديث
وفي اللغة زادت على ثلثماية انتهى وراءيت في كتاب احكام القران للقاضي ابي بكر العربي قال بعض الصوفية
لله تعالى الف اسم وللنبي صلى الله عليه وسلم الف اسم انتهى والمراد الاوصاف فكل الاسما التي
وردت اوصاف مدح واذا كان كذلك فله صلى الله عليه وسلم من كل وصف اسم ثم ان منها
ما هو مختص به او الغالب عليه ومنها ما هو مشترك وكل ذلك بين بالمشاهدة لا يخفى
واذا جعلنا له من كل وصف من اوصافه اسما بلغت اوصافه ما ذكر بل اكثر والذي رايته
في كلام شيخنا في القول البديع والقاضي عياض في الشفا وابن العربي في القبس والاحكام له
وابن سيد الناس وغيرهم يزيد على الاربعماية وقد سردتها مرتبة على حروف المعجم وهي
الابر بالله الابطحي اتقى الناس الاجود اجود الناس الاحد الاحسن احسن الناس احمد
احيد بضم اوله وكسر المهملة ثم تحتانية وهو بسكون الهمزة وسكون الحا الاخذ بالحجزات
اخذ الصدقات الاخر الاخشى لله اذن خير ارجح عقلا ارحم الناس بالعيال الازهر
وهو النير المشرق الوجه اشجع الناس الاصدق في الله اطيب الناس ريحا الاعز الاعلى
الاعلم بالله اكثر الناس تبعا الاكرم اكرم الناس اكرم ولد آدم المص امام الخير امام الرسل
امام المتقين امام النبيين الامام الامر الامن امنة اصحابه الامين الامي انعم الله الاول
اول شافع اول المسلمين اول مشفع اول المؤمنين اول من تنشق عنه الارض ب
البر البار برقليط الباطن البرهان بشرى عيسى البشير البصير البليغ بالغ البيان
البينة ت التالي التذكرة التقي التنزيل التهامي ث ثاني اثنين ج الجبار
الجد الجواد جامع ح حاتم حزب الله الحاشر الحافظ الحاكم بما اراه الله الحامد
حامل لواء الحمد الحايد امته عن النار الحبيب حبيب الرحمن حبيب الله الحجازي الحجة
الحجة البالغة حجة الله على الخلايق حرز الاميين الحرمي حريص الحريص على الايمان
الحسيب الحفيظ الحق الحكيم الحليم حماد حمطايا او قال حمياطا حمعسق حي الحمد
الحنيف خ الخبير خاتم النبيين خاتم المرسلين الخاتم الخازن لمال الله الخاشع الخاضع
لخالقه خطيب الانبياء خطيب الامم خطيب الوافدين على الله الخليل خليل الرحمن
الخليفة خير الانبياء خير البرية خير خلق الله خير العالمين طرا خير الناس خير هذه الامة
خيرة الله د دار الحكمة الداعي الى الله دعوة ابراهيم دعوة النبيين دليل الخيرات
ذ الذاكر الذكر ذكر الله ذو الحوض المورود ذو الخلق العظيم ذو الصراط المستقيم
ذو القوة ذو مكانة ذو عزة ذو فضل ذو المعجزات ذو المقام المحمود ذو الوسيلة
ر الراضع الراضي الراغب الرافع راكب البراق راكب البعير راكب الجمل راكب الناقة
راكب النجيب الرحمة رحمة الامة رحمة العالمين رحمة مهداة الرحيم الرسول
رسول الراحة رسول الرحمة رسول الله رسول الملاحم الرشيد الرفيع الذكر
رافع الرتب رفيع الدرجات الرقيب روح الحق روح القدس الروف ركن المتواضعين
ز الزاهد زعيم الانبياء الزكي الزمزمي زين من وافى القيامة س السابق السابق
بالخيرات سابق العرب الساجد سبيل الله السراج المنير السراط المستقيم السعيد

سعود الله

سعد الله سعد الخلايق السميع السلام السيد سيد ولد آدم سيد المرسلين سيد
الناس سيد الكونين سيد الثقلين سيف الله المسلول ش الشارع الشافع الشاكر
الشاهد الشكور الشمس الشكار الشهيد ص الصابر الصاحب صاحب الآيات صاحب
المعجزات صاحب البرهان صاحب البيان صاحب التاج صاحب الجهاد صاحب الحجة
صاحب الحطيم صاحب الحوض المورود صاحب الخاتم صاحب الخير صاحب الدرجة
العالية الرفيعة صاحب الرداء صاحب الازواج الطاهرات صاحب السجود للرب المحمود
صاحب السرايا صاحب السلطان صاحب السيف صاحب الشرع صاحب الشفاعة الكبرى
صاحب العطايا صاحب العلامات الباهرات صاحب العلو والدرجات صاحب الفضيلة
صاحب الفرج صاحب القضيب الاصغر صاحب قول لا اله الا الله صاحب القدم صاحب الكوثر
صاحب اللواء صاحب المحشر صاحب المدينة صاحب المغفر صاحب المغنم صاحب المعراج
صاحب المظهر المشهود صاحب المقام المحمود صاحب المنبر صاحب الميسم صاحب النعلين
صاحب الهراوة صاحب الوسيلة الصادع بما امر الصادق الصبور الصدوق صراط
المستقيم الصفوح المصفوح عن الزلات الصفوة الصفي ض الضابط الضارب بالحسام
المشلوم الضحاك الضحوك ط طاب طابه الطاهر الطيب طسم طس طه الطبيب
ظ الظاهر الظفور من الظفر وهو الفوز ع العابد العادل العظيم العافي العاقب
العالم علم الايمان علم اليقين العالم بالحق العامل عبد الله العبد العدل العربي
العروة الوثقى العزيز العفو العطوف العليم العلي عين العز عبد الكريم
عبد الجبار عبد الحميد عبد المجيد عبد الوهاب عبد القهار عبد الرحيم عبد الخالق
عبد القادر عبد المهيمن عبد القدوس عبد الغياث عبد الرزاق عبد السلام
عبد المؤمن عبد الغفار غ الغالب الغفور الغني الغني بالله الغيث الغوث
الغياث ف الفاتح الفارقليط وقيل بالباء وقيل المفرق الفارق فاروق الفتاح الفجر
الفرط الفصيح فضل الله فواتح النور ق القاسم القاضي القانت قايد الخير
قايد الغر المحجلين القايل القايم القتال القتول قثم القثوم قدم صدق القرشي
القريب القمر القيم ك كنعاناة الجامع الكامل وصوابه بالمثلثة بدل البا القوي
كافة الناس الكفيل الكامل في جميع اموره الكريم كهيعص ل اللسان م الماجد
ماذ ماذ الموزمل المذكر الماحي المأمول المانع المعين المبارك المبتهل
المبرأ المبشر مبشر اليايسين المبعوث المبعوث بالحق المبلغ المبيح المبين
المتين المتبتل المتبسم المترحم المترحم المتضرع المتقي المتلو عليه المتهجد
المتوسط المتوكل المثبت مجاب مجيب المجتبى المجير المحرم المحرز المحفوظ
المحلل محمد المحمود المخبر المختار المخصوص بالشرف المخصوص بالعز المخصوص
بالمجد المخلص المدني مدينة العلم المذكر المذكور المرتضى المرتل المرسل
المرتجى المرحوم المرفع الدرجات المرء وهو الرجل الكامل المروة المزكي المزمل
المسبح المستغفر المستغني المستقيم المسرى به المسعود المسلم المشفع

المشاور المشفع المشفوع المسعر المشهود المشير المصباح المضارع المصافح مصحح الحسنات المصدوق المصطفى المصلح المصلي عليه المطاع المطهر المطهر المطلع المطيع المظفر المعزز المعصوم المعطي المعقب المعلم معلم امته المعلم المعلن المعلي المفضال المفضل المفتاح مفتاح الجنة المقتصد المقتفي يعني قفا النبيين المقدس المقري المقسط المقسم المقصوص عليه المقفي وقيل بزيادة تاء بعد القاف كما تقدم مقيل العثرات مقيم السنة بعد الفترة المكرم المكفي المكين المكي الملاحمي ملقى القران الممنوح المنادي المنتصر المنجي المنذر المنزل عليه المنحمنا المتصف المنصور المنيب المنير المهاجر المهتدي المهدي المهداة المهيمن الموتمن المؤتى جوامع الكلم الموحى اليه الموصل الموقر المولي المؤمن المويد الميسر نون النابذ الناجر الناس لقوله تعالى ام يحسدون الناس المفسرة عليه السلام الناسخ الناشر الناصح الناصر الناطق الناهي نبي الاحمر نبي الاسود نبي التوبة نبي الحرمين نبي الراحة نبي الرحمة النبي الصالح نبي الله نبي المرحمة نبي الملحمة نبي الملاحم النبي النجم الثاقب نجي الله النذير النسيب نصيح ناصح النجة نعمة الله النقيب النقي نور الامم اي الهداة لها الذي اوصلها نور الله الذي لا يطفا الهادي هدي هدية الله الهاشمي و الوجيه الواسط الواسع الواصل الواضع الواعد الواعظ الورع الوسيلة الوفي الوافي ولي الفضل الولي ى كليتزخي يس وكنيته المشهورة ابو القاسم كما جا في عدة احاديث صحيحة ويكنى بابي ابرهيم كما جا في حديث الشريف بمجي جبريل اليه عليهما الصلاة والسلام وقوله السلام عليك يا ابا ابرهيم و بابي الارامل فيما ذكره ابن دحية و بابي المومنين فيما ذكره غيره واعلم انه لا سبيل لنا ان نستوعب شرح جميع هذه الاسماء الشريفة اذ في ذلك تطويل يفضي بنا الى العدول عن غرض الاختصار فلنذكر من ذلك ما يعتمد به مما يدل على سواه وبالله نستعين فاول ذلك ما له عليه السلام من معنى الحمد الذي هو اسمه المنبي عن ذاته الذي سائر اسماء او صافه راجعة اليه وهو في المعنى واحد وله في الاشتقاق صيغتان الاسم المبني صيغته على صيغة افعل المنبئة عن الانتهاء الى غاية ليس ورائها منتهى وهو اسمه احمد و الاسم المبني على صيغة التفعل المنبئة عن التضعيف والتكثير الى عدد لا ينتهي له الاحصا وهو اسمه محمد قال السهيلي محمد منقول من الصفة فالمحمد في اللغة هو الذي يحمد حمدا بعد حمد ولا يكون مفعل مثل مضرب وممدح الالمن تكرر منه الفعل مرة بعد اخرى و اما احمد وهو اسمه عليه السلام الذي سمي به على لسان عيسى وموسى فانه منقول ايضا من الصفة التي معناها التفضيل فمعنى احمد احمد الحامدين لربه وكذلك هو في المعنى لانه يفتح عليه في المقام المحمود محامد لم تفتح على احد قبله فيحمد ربه بها ولذلك يعقد له لوا الحمد قال واما محمد فمنقول من صفة ايضا وهو في معنى محمود ولكن فيه معنى المبالغة والتكرار فالمحمد هو الذي حمد مرة بعد مرة كما ان المكرم من اكرم مرة بعد مرة وكذلك الممدح ونحو ذلك فاسم محمد مطابق لمعناه والله سبحانه وتعالى سماه قبل ان يسمي به علم من اعلام نبوته عليه السلام اذ كان اسمه صادقا عليه فهو صلى الله عليه وسلم

محمود

محمود في الدنيا بما هدي اليه ونفع به من العلم والحكمة وهو محمود في الاخرة بالشفاعة فقد تكرر معنى الحمد كما يقتضي اللفظ ثم انه لم يكن محمدا حتى كان احمد حمد ربه فنباه وشرفه فلذلك تقدم اسم احمد على الاسم الذي هو محمد فذكره عيسى فقال اسمه احمد وذكره موسى حين قال له ربه تلك امة احمد فقال اللهم اجعلني من امة احمد فبا احمد ذكر قبل ان يذكر بمحمد لان حمده لربه كان قبل حمد الناس له فلما وجد وبعث كان محمدا بالفعل وكذلك في الشفاعة يحمد ربه بالمحامد التي يفتحها عليه فيكون احمد الحامدين لربه ثم يشفع فيحمد على شفاعته فانظر كيف ترتب هذا الاسم قبل الاسم الاخر في الذكر والوجود وفي الدنيا والاخرة تلح لك الحكمة الالهية في تخصيصه بهذين الاسمين انتهى وقال القاضي عياض كان عليه السلام احمد قبل ان يكون محمدا كما وقع في الوجود لان تسميته احمد وقعت في الكتب السالفة وتسميته محمد وقعت في القران وذلك انه حمد ربه قبل ان يحمده الناس انتهى وهذا موافق لما قاله السهيلي وقد ذكره في فتح الباري واقره عليه وهو يقتضي سبقية اسمه احمد خلافا لما ادعاه ابن القيم وذكر ابن القيم في اسمه احمد انه قيل فيه انه بمعنى مفعول ويكون التقدير احمد الناس اي احق الناس واولاهم ان يحمد فيكون محمدا في المعنى لكن الفرق بينهما ان محمدا هو الكثير الخصال التي يحمد عليها واحمد هو الذي يحمد افضل ما يحمد غيره فمحمد في الكثرة والكمية واحمد في الصفة والكيفية فيستحق من الحمد اكثر ما يستحق غيره اي افضل حمد حمده البشر فالاسمان واقعان على المفعول قال وهذا ابلغ في مدحه واكمل معنى فلو اريد معنى الفاعل لسمي الحماد اي كثير الحمد فانه صلى الله عليه وسلم كان اكثر الناس حمدا لربه فلو كان اسمه احمد باعتبار حمده لربه لكان الاولى به الحماد كما سميت بذلك امته وايضا فان هذين الاسمين انما اشتقا من اخلاقه وخصائله المحمودة التي لاجلها استحق ان يسمى محمدا واحمد وقال القاضي عياض في باب تشريفه تعالى له عليه السلام بما سماه به من اسمائه الحسنى احمد بمعنى اكبر من حمد واجل من حمد تنبيه ان في اسمه محمد احضا يعني منها كونه على اربعة احرف ليوافق اسم الله تعالى اسم محمد فان عدد الجلالة اربعة احرف كمحمد ومنها انه قيل ان خلق الله ادمي الا كانت صورته على شكل كتب هذا اللفظ فالميم الاول راسه والحا جناحاه والميم سرته والدال رجلاه قيل ولا يدخل النار من يستحق دخولها اعاذنا الله منها الا ممسوخ الصورة اكراما لصورة اللفظ حكاه ابن مرزوق والاول ابن العماد في كتابه كشف الاسرار ومنها انه تعالى اشتقه من اسمه المحمود كما قال حسان بن ثابت

اغر عليه للنبوة خاتم من الله من نور يلوح ويشهد

وضم الاله اسم النبي الى اسمه اذا قال في الخمس المؤذن اشهد

وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد

واخرج البخاري في تاريخه الصغير من طريق علي بن زيد قال كان ابو طالب يقول

وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد

وقد سماه الله تعالى بهذا الاسم قبل الخلق بالفي الفي عام كما رواه من حديث انس بن مالك من طريق ابي نعيم في مناجاة موسى وروى ابن عساكر عن كعب الاحبار قال ان الله انزل

على آدم ومن بعده والانبياء والمرسلين ثم اقبل علي ابنه شيث فقال اي بني انت خليفتي من بعدي
فخذها بعمارة التقوى والعروة الوثقى وكلما ذكرت الله فاذكر الى جنبه اسم محمد فاني رايت
اسمه مكتوبا على ساق العرش وانا بين الروح والطين ثم اني طفت السموات فلم ار في السموات
موضعا الا رايت اسم محمد مكتوبا عليه وان ربي اسكنني الجنة فلم ار في الجنة قصرا ولا غرفة
الا اسم محمد مكتوبا عليه ولقد رايت اسم محمد مكتوبا على نحور الحور العين وعلى ورق قصب
آجام الجنة وعلى ورق شجرة طوبى وعلى ورق سدرة المنتهى وعلى اطراف الحجب وبين
اعين الملائكة فاكثر ذكره فان الملائكة تذكره في كل ساعاتها ❁ بيت مفرد ❁
❁ بدا مجده من قبل نشأة آدم ❁ فاسماؤه في العرش من قبل تكتب ❁
وروينا في جزء الحسن بن عرفة من حديث ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم قال
لما عرج بي الى السماء ما مررت بسماء الا وجدت اي علمت اسمي فيها مكتوبا محمد رسول الله
وابو بكر من خلفي ووجد على الحجارة القديمة مكتوب محمد تقي مصلح امين ذكره في الشفا
وعلى حجر بالخط العبراني باسمك اللهم جاء الحق من ربك بلسان عربي مبين لا اله الا
الله محمد رسول الله وكتبه موسى بن عمران ذكره ابن ظفر في البشر عن معمر عن الزهري
وشهوده كما ذكره في الشفا في بعض بلاد خراسان مولود ولد على احد جنبيه مكتوب
وشهوده
لا اله الا الله وعلى الآخر محمد رسول الله وببلاد الهند ورد احمر مكتوب عليه بالابيض
لا اله الا الله محمد رسول الله وذكر العلامة ابن مرزوق عن عبد الله بن صوحان عصفت بنا
ريح ونحن في لج بحر الهند فأرسينا في جزيرة فرأينا فيها وردا احمر ذكي الرائحة طيب
النسيم وفيه مكتوب بالابيض لا اله الا الله محمد رسول الله وورد ابيض مكتوب عليه
بالاصفر براءة من الرحمن الرحيم الى جنات النعيم لا اله الا الله محمد رسول الله وفي تاريخ ابن
العديم عن علي بن عبد الله الهاشمي الرقي انه وجد ببعض قرى الهند وردة كبيرة طيبة
الرائحة سوداء عليها مكتوب بخط ابيض لا اله الا الله محمد رسول الله ابو بكر الصديق عمر
الفاروق قال فشككت في ذلك وقلت انه معمول فعمدت الى وردة لم تفتح فكان فيها
مثل ذلك وفي البلد منه شيء كثير واهل تلك القرية يعبدون الاحجار لا يعرفون الله
تعالى وفي كتاب روض الرياحين لليافعي عن بعضهم وقال ابو عبد الله بن بابك دخلت
بلاد الهند فسرت الى مدينة يقال لها نميلة او نمتيله فرأيت شجرة كبيرة تحمل ثمرا
كاللوز له قشر فاذا كسرت ثمرته خرج منها ورقة خضراء مطوية مكتوب عليها بالحمرة
لا اله الا الله محمد رسول الله واهل الهند يتبركون بها ويستسقون بها اذا منعوا الغيث
حكاه القاضي ابو البقاء الضيائي في منسكه وفي كتاب روض الرياحين لليافعي عن بعضهم
انه وجد ببلاد الهند شجرة تحمل ثمرا كاللوز له قشران اذا كسر خرج منه ورقة خضراء
طرية مكتوب فيها بالحمرة لا اله الا الله محمد رسول الله كتابة جلية وهم يتبركون بها قال
فحدثت بذلك ابا يعقوب الصياد فقال ما استعظم هذا كنت اصطاد على نهر الابلة
بضم الهمزة والموحدة فاصطدت سمكة على جنبها الايمن لا اله الا الله وعلى جنبها الايسر محمد
رسول الله فلما رايتها قذفتها في الماء احتراما لها وعن بعضهم مما ذكره ابن مرزوق

في شرحه

في شرحه لبردة الابوصيري انه اتي بسمكة فرأى في احد جنبيها لا اله الا الله وفي الآخر
محمد رسول الله وعن جماعة انهم وجدوا بطيخة صفراء فيها خطوط شتى بالابيض خلقة ومن
جملة الخطوط كتبة بالعربي في احد جنبيها الله وفي الآخر عز احمد بخط بين لا يشك فيه
عالم بالخط وانه وجد في سنة تسع وثمانمائة حبة عنب مكتوب فيها بخط بارع بلون
اسود محمد وفي كتاب النطق المفهوم لابن طغربك السياف عن بعضهم انه رأى في
جزيرة شجرة عظيمة لها ورق كبير طيب الرائحة مكتوب فيه بالحمرة والبياض في الخضرة
كتابة بينة واضحة خلقة ابدعها الله تعالى بقدرته في الورقة ثلاثة اسطر الاول
لا اله الا الله والثاني محمد رسول الله والثالث ان الدين عند الله الاسلام قال ابن قتيبة
ومن اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم انه لم يسم قبله احد باسمه محمد صيانة من الله تعالى
لهذا الاسم كما فعل بيحيى اذ لم يجعل له من قبل سميا وذلك انه تعالى سماه في الكتب
المتقدمة وبشر به الانبياء فلو جعل اسمه مشتركا فيه لوقعت الشبهة الا انه لما قرب
زمنه وبشر اهل الكتاب بقربه سمى قوم اولادهم بذلك رجاء ان يكون هو هو والله اعلم
حيث يجعل رسالاته ❁ ❁ ما كل من زار الحمى سمع الندا ❁ من اهله اهلا بذاك الزائر ❁
ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وقد عد القاضي عياض ستة ثم قال لا سابع لهم وذكر
ابو عبد الله بن خالويه في كتاب ليس والسهيلي في الروض انه لا يعرف في العرب
من تسمى محمدا قبل النبي صلى الله عليه وسلم الا ثلاثة قال الحافظ ابو الفضل بن حجر
رحمه الله وهو حصر مردود والعجب ان السهيلي متأخر الطبقة عن عياض ولعله
لم يقف على كلامه قال وقد جمعت اسماء من تسمى بذلك في جزء مفرد فبلغوا نحو
العشرين لكن مع تكرير في بعضهم ووهم في بعض فيتلخص منهم خمسة عشر نفسا واشهرهم
محمد بن عدي بن ربيعة بن سواءة بن جشم بن سعد بن زيد مناة بن تميم التميمي السعدي
ومنهم محمد بن احيحة بضم الهمزة وفتح المهملة ابن الجلاح بضم الجيم وتخفيف اللام آخره
مهملة الاوسي ومحمد بن اسامة بن مالك بن حبيب بن العنبر ومحمد بن البراء وقيل البر
ابن طريف بن عتوارة بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة البكري العتواري
ومحمد بن الحرث بن خديج بن حويص ومحمد بن حرماز بن مالك اليعمري ومحمد بن حمران بن ابي
حمران ربيعة بن مالك الجعفي المعروف بالشويعر ومحمد بن خزاعي بن علقمة بن حزابة السلمي
من بني ذكوان ومحمد بن خولي الهمداني ومحمد بن سفيان بن مجاشع ومحمد بن اليحمد الازدي
ومحمد بن يزيد بن عمرو بن ربيعة ومحمد بن الاسيدي ومحمد الفقيمي ولم يدركوا الاسلام
الا الاول ففي سياق خبره ما يشعر بذلك والا الرابع فهو صحابي جزما وفيمن ذكره عياض محمد
ابن مسلمة الانصاري وليس كذلك فانه ولد بعد النبي صلى الله عليه وسلم بازيد
من عشرين سنة لكنه قد ذكر تلو كلامه المتقدم محمد بن محمد الماضي فصار من عنده
ستة لا سابع لهم انتهى واما اسمه عليه السلام محمود فاعلم ان من اسماء الله تعالى
الحميد ومعناه المحمود لانه تعالى حمد نفسه وحمده عباده وقد سمي الرسول صلى الله عليه
وسلم بمحمود وكذا وقع اسمه في زبور داود واما الماحي ففسر في الحديث بمحو الكفر

ولم يعم الكفر باحد من الخلق ما محي بالنبي صلى الله عليه وسلم فانه بعث واهل الارض كلهم كفار
ما بين عباد اوثان ويهود ونصارى ضالين وصابئة دهرية لا يعرفون ربا ولا معادا او من عباد
الكواكب وعباد النار وفلاسفة لا يعرفون شرايع الانبياء ولا يقرون بها فمحاها برسوله حتى اظهر
دينه على كل دين وبلغ دينه ما بلغ الليل والنهار وسارت دعوته مسير الشمس في الاقطار
ولما كانت البحار هي الماحية للادران كان اسمه عليه السلام فيها الماحي **وَاَمَّا الحاشر** ففسر
ايضا في الحديث بانه الذي يحشر الناس على قدمه اي يقدمهم وهم خلفه وقيل على سابقته
وقيل قدامه وحوله اي يجمعون اليه في القيامة وقد كان حشره لاهل الكتاب اخراجه لهم
من حصونهم وبلادهم من هجرته الى خيبر اذ اقمهم الله من شدة المحشر ما شاء في دار الدنيا
الى ما اتصل بهم بذلك في برزخهم وهو اول من تنشق عنه الارض فيحشر الناس على اثره
واليه يلجاون في محشرهم وقيل على سنته **وَاَمَّا العاقب** فهو الذي جاء عقب الانبياء
فليس بعده نبي لان العاقب هو الآخر اي عقب الانبياء قبل وهو اسمه عليه السلام في النار
فاذا جاء بحرمة شفاعته خمدت النار وسكنت كما روي ان قوما من حملة القرآن يدخلونها
فينسيهم الله تعالى ذكر محمد صلى الله عليه وسلم حتى يذكرهم جبريل فيذكرونه فتخمد النار
وتنزوي عنهم **وَاَمَّا المقفي** فكذلك اي قفا اثار من سبقه من الرسل وهي لفظة
مشتقة من القفو يقال قفاه يقفوه اذا تأخر عنه ومنه قافية الراس وقافية البيت
فالمقفي اي قفى من قبله من الرسل فكان خاتمهم وآخرهم **وَاَمَّا الاول** فلانه اول النبيين
خلقا كما مر وكما انه اول في البدء فهو اول في العود فهو اول من تنشق عنه الارض واول من
يدخل الجنة وهو اول شافع واول مشفع كما كان في اوليات البدء في عالم الذر اول مجيب
اذ هو اول من قال بلى اذ اخذ ربه الميثاق على الذرية الآدمية فاشهدهم على انفسهم الست
بربكم فهو صلى الله عليه وسلم الاول في ذلك كله على الاطلاق **وَاَمَّا الآخر** فلانه آخر الانبياء
في البعث كما في الحديث **وَاَمَّا الظاهر** فلانه ظهر على جميع الظاهرات ظهوره وظهر على الاديان
دينه فهو الظاهر في وجوه الظهور كلها **وَاَمَّا الباطن** فهو المطلع على بواطن الامور بواسطة
ما يوحيه الله تعالى اليه **وَاَمَّا الفاتح الخاتم** ففي حديث الاسرى عن ابي هريرة من طريق
الربيع بن انس قول الله تعالى له وجعلتك فاتحا وخاتما وفي حديث ابي هريرة ايضا في الاسرا
قوله صلى الله عليه وسلم وجعلني فاتحا وخاتما فهو الذي فتح الله به باب الهدى بعد ان كان
مرتجا وفتح به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا وفتح به امصار الكفر وفتح به ابواب الجنة وفتح به
طرق العلم النافع والعمل الصالح والدنيا والآخرة والقلوب والاسماع والابصار والامصار
وقد يكون المراد المبدا المقدم في الانبياء والخاتم لهم كما قال عليه السلام كنت اول النبيين
في الخلق وآخرهم في البعث **وَاَمَّا الرؤف الرحيم** ففي القرآن لقد جاءكم رسول من انفسكم
عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم وهو فعول من الرافة وهي ارق من
الرحمة قاله ابو عبيد والرحيم فعيل من الرحمة وقيل رؤف بالمطيعين رحيم بالمذنبين
وَاَمَّا الحق المبين فقال الله تعالى حتى جاءهم الحق ورسول مبين وقال تعالى وقل اني انا
النذير المبين وقد جاءكم الحق من ربكم وقال فقد كذبوا بالحق لما جاءهم قيل محمد عليه السلام

وقيل

وقيل القرآن ومعناه المضاد الباطل والمتحقق صدقه وامره والمبين البين امره ورسالته
او المبين امره ورسالته اي المبين عن الله ما بعثه به كما قال تعالى لتبين للناس ما نزل
اليهم **وَاَمَّا المؤمن** فقال تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن قل اذن
خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين اي يصدق وقال عليه السلام انا امنة لاصحابي فهذا
بمعنى المؤمن **وَاَمَّا المهيمن** فقال تعالى وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه
من الكتاب ومهيمنا عليه ذكر ابن الجوزي في زاد المسير ان ابن ابي نجيح روى عن مجاهد
ومهيمنا عليه قال محمد مؤتمن على القرآن قال ثعلبي فعلى قوله في الكلام محذوف كانه قال وجعلك
مهيمنا عليه وسماه العباس بن عبد المطلب في شعره مهيمنا في قوله

حتى احتوى بيتك المهيمن ۞ من خندف علياء تحتها النطق ۞

وروي ثم اغتدى بيتك المهيمن قيل اراد يا ايها المهيمن قاله القتبي والامام ابو القاسم
القشيري **وَاَمَّا العزيز** فمعناه جلالة القدر او الذي لا نظير له او المعز لغيره وقد استدل
القاضي عياض لهذا الاسم بقوله تعالى ولله العزة ولرسوله اي فجاز ان يوصف النبي
صلى الله عليه وسلم بالعزيز والمعز لحصول العزة له ولقائل ان يقول هذا الوصف ايضا
للمؤمنين لشمول العطف اياهم فلا اختصاص للنبي صلى الله عليه وسلم والعزيز لا يختص
كان النبي والعجب من القاضي كيف خفي عليه مثل هذا **وَاَمَّا العالم والعليم
والمعلم ومعلم امته** فقد قال الله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وقال ويعلمكم الكتاب
والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون **وَاَمَّا الخبير** فمعناه المطلع على كنه الشيء العالم
بحقيقته وقيل المخبر قال الله تعالى الرحمن فاسأل به خبيرا قال القاضي بكر بن العلا
فيما ذكره في الشفا المامور بالسؤال غير النبي صلى الله عليه وسلم والمسؤول الخبير
هو النبي صلى الله عليه وسلم وقال غيره بل السائل النبي صلى الله عليه وسلم والمسؤول
الله عز وجل فالنبي صلى الله عليه وسلم خبير بالوجهين المذكورين قيل لانه عليه الصلاة
والسلام عالم على غاية من العلم بما اعلمه الله من مكنون علمه وعظيم معرفته مخبر
لامته بما اذن له في اعلامهم به انتهى **وَاَمَّا العظيم** فقال الله تعالى في شانه وانك لعلى
خلق عظيم ووقع في اول سفر من التوراة عن اسمعيل وسيلد عظيما لامة عظيمة فهو
صلى الله عليه وسلم عظيم وعلى خلق عظيم **وَاَمَّا الشاكر والشكور** فقد وصف صلى الله
عليه وسلم نفسه بذلك فقال افلا اكون عبدا شكورا اي اترك تهجدي فلا اكون عبدا
شكورا والمعنى ان المغفرة سبب لكون التهجد شكرا فكيف اتركه وعلى هذا فتكون الفا
للسببية وقال القاضي عياض شكورا اي معترفا بنعم ربي عالما بقدر ذلك مثنيا عليه
مجهدا نفسي في الزيادة من ذلك لقوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم واما الشكار فهو ابلغ
من شاكر وفي حديث ماجة انه صلى الله عليه وسلم كان من دعائه رب اجعلني لك شكارا
وَاَمَّا الكريم والاكرم واكرم بني آدم فسماه الله تعالى به في قوله تعالى انه لقول
رسول كريم اي محمد صلى الله عليه وسلم وليس المراد به جبريل لانه تعالى لما قال انه لقول
رسول كريم ذكر بعده انه ليس بقول شاعر ولا كاهن والمشركون لم يكونوا يصفوا

جبريل بذلك فتعين ان يكون المراد بالرسول الكريم هنا نبينا صلى الله عليه وسلم كما سياتي بيانه
ان شا الله تعالى في مقصد آي التنزيل وقال صلى الله عليه وسلم انا اكرم ولد آدم **واما**
الولي والمولى فقال عليه السلام انا اولى بكل مؤمن **واما الامين** فقد كان
عليه السلام يعرف به وشهر به قبل النبوة وبعدها وهو احق العالمين بهذا الاسم فهو
امين الله على وحيه ودينه وهو امين من في السماء والارض **واما الصادق والمصدوق**
فقد ورد في الحديث لتسميته بهما ومعناهما غير خفي وكذلك **الاصدق** وروي انه عليه
السلام لما كذبه قومه حزن فقال له جبريل انهم يعلمون انك صادق **واما الطيب**
وماذ ماذ بميم ثم الف ثم ذال معجمة منونة ثم ميم ثم الف ثم ذال معجمة كذا رايته لبعض العلماء
ونقل العلامة الحجازي في حاشيته على الشفاء عن السهيلي ضما واسمام الهمزة منمة بين الواو
والالف ممدود او فاد نقلته عن رجل اسلم من علما بني اسرائيل وقال معناه طيب طيب
ولا ريب انه صلى الله عليه وسلم اطيب الطيبين وحسبك انه كان يؤخذ من عرقه ليتطيب به
فهو صلى الله عليه وسلم طيب الله الذي نفحه في الوجود فتعطرت به الكائنات وسمت
واغتذت به القلوب فطابت وتنسمته الارواح فنمت **واما الطاهر والمطهر**
والمقدس اي المطهر من الذنوب كما قال تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر
او الذي يتطهر به من الذنوب ويتنزه باتباعه عنها كما قال تعالى ويزكيهم وقال ويخرجهم
من الظلمات الى النور او يكون مقدسا بمعنى مطهر من الاخلاق الذميمة والاوصاف الدنية
واما العفو والصفوح فمعناهما واحد وقد وصفه الله تعالى بهما في القران والتوراة
والانجيل كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاصي عند البخاري ولا يجزي بالسيئة السيئة
ولكن يعفو ويصفح وامره الله تعالى بالعفو فقال خذ العفو وقال فاعف عنهم واصفح **واما**
العطوف فهو الشفوق وسمي به عليه السلام لكثرة شفقته على امته ورافته بهم **واما**
النور فقال تعالى قد جاءكم من الله نور قيل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل القران
فهو نور الله الذي لا يطفا **واما السراج** فسماه الله تعالى به في قوله وسراجا منيرا
لوضوح امره وبيان نبوته وتنوير قلوب المؤمنين والعارفين بما جاء به فهو نير في ذاته
منير لغيره فهو السراج الكامل في الاضاءة ولم يوصف بالوهاج كالشمس لان المنير هو الذي
ينير من غير احراق بخلاف الوهاج **واما الهادي** فبمعنى الدلالة والدعاء قال الله تعالى
وانك لتهدي الى صراط مستقيم وقال تعالى فيه وداعيا الى الله باذنه **واما البرهان**
فقال تعالى يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم قيل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل معجزاته
وقيل القران **واما النقيب** فروي انه صلى الله عليه وسلم لما مات نقيب بني النجار
ابو امامة اسعد بن زرارة وجد عليه صلى الله عليه وسلم ولم يجعل عليهم نقيبا بعده
وقال انا نقيبكم فكانت من مفاخرهم والنقيب هو شاهد القوم وناظرهم ومفتشهم
واما الجبار فسمي به في مزامير داود في قوله في مزمور اربعة واربعين تقلد ايها الجبار
سيفك فان ناموسك وشرائعك مقرونة بهيبة يمينك لانه الجبار الذي جبر الخلق بالسيف
على الحق وصرفهم عن الكفر جبرا وقد قال القاضي عياض رضي الله تعالى عنه في القران جبرية

التكبر

التكبر التي لا تليق به فقال وما انت عليهم بجبار **واما الشاهد والشهيد** فسماه الله تعالى بهما
في قوله انا ارسلناك شاهدا اي على من بعثت اليهم بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم وقوله
ويكون الرسول عليكم شهيدا روي ان الامم يوم القيامة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالبهم الله
ببينة التبليغ وهو اعلم بهم اقامة للحجة على المنكرين فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم
فيشهدون فتقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله في كتابه الناطق على لسان
نبيه الصادق فيؤتى بمحمد عليه السلام فيسال عن حال امته فيشهد بعدالتهم وهذه الشهادة
وان كانت لهم لكن لما كان الرسول كالرقيب المهيمن على امته عدي بعلى وقدمت الصلة
للدلالة على اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم قاله البيضاوي **واما الناشر** فسمي به
لانه نشر الاسلام واظهر شرايع الاحكام **واما المزمل** فاصله المتزمل فادغمت التاء في الزاي
وسمي به لما روي انه عليه السلام كان يفرق من جبريل ويتزمل بالثياب اول ما جاءه وقيل
اتاه وهو في قطيفة وقال السدي معناه يا ايها النايم قال وكان متلففا في ثيابه لنومه **وعن**
ابن عباس يعني المتزمل بالقران **وعن** عكرمة بالنبوة **وقيل** من الزمل بمعنى الحمل
ومنه الزاملة اي المتحمل باعباء النبوة وعلى هذا يكون التزمل مجازا او قال السهيلي ليس
المزمل باسم من اسمايه يعرف به وانما هو مشتق من حالته التي كان التبس بها حالة الخطاب
والعرب اذا قصدت الملاطفة بالمخاطب بترك المعاتبة نادوه باسم مشتق من حالته التي
هو عليها كقول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه وقد نام ولصق جنبه بالتراب
قم ابا تراب اشعارا بانه ملاطف له فقوله يا ايها المزمل فيه تانيس وملاطفة واما ما روي
عن عايشة رضي الله عنها انها قالت كان متزملا بمرط طوله اربعة عشر ذراعا نصفه علي
وانا نايمة ونصفه عليه فكذب صراح لان نزول يا ايها المزمل كان بمكة في اول مبعثه
ودخوله بعايشة كان بالمدينة **واما المدثر** فاصله المتدثر فادغمت التاء في الدال
روي انه عليه السلام قال كنت بحرا فنوديت فنظرت عن يميني وشمالي فلم ار شيئا فنظرت
فوقي فاذا هو على عرش بين السماء والارض يعني الملك الذي ناداه فرعبت فرجعت الى خديجة
فقلت دثروني دثروني فنزل جبريل وقال يا ايها المدثر **وعن** عكرمة يا ايها المدثر بالنبوة واثقالها
وانقالها قد تدثرت هذا الامر فقم به قيل ناداه بالمزمل والمدثر في اول امره فلما شرع
خاطبه الله بالنبوة والرسالة **واما طه** فروى النقاش عنه عليه الصلاة والسلام
لي في القران سبعة اسما فذكر منها طه فقيل هو اسم الله **و**قيل معناه يا رجل **و**قيل
يا انسان **و**قيل يا طاهر يا هادي يعني النبي صلى الله عليه وسلم وهو مروي عن الواسطي
وقيل معناه يا مطمع الشفاعة للامة ويا هادي الخلق الى الملة **و**قيل الطاء في الحساب بتسعة
والهاء بخمسة وذلك اربعة عشر فكانه قال يا بدر وهذه من محاسن التاويل لكن المعتمد انها
من اسماء الحروف **واما يس** فحكى ابو محمد مكي انه روي عنه عليه الصلاة والسلام انه قال لي
عند ربي عشرة اسما ذكر منها يس **وقد** قيل معناه انسان بلغة طي **وقيل** بالحبشية **و**قيل
بالسريانية **واصله** كما قال البيضاوي وابن الخطيب وغيرهما يا انيسين فاقتصر على شطره
لكثرة النداء به **و**قيل يس لكن تعقب بانه لا يعلم ان العرب قالوا في تصغيره انيسين وان الذي

نقل عنهم في تصغيره نبيئان بيا بعدها الف وباب التصغير من المعتبر المسح في نفي النبوة لبعضهم
على ان التصغير لا يدخل في اسمآء العظيم شرعا وبقي مزيد لذلك ان شاء الله تعالى في الفصل الرابع
من النوع الخامس من انواع المقصد السادس **وعن** ابن الحنيفية معناه يا محمد **وعن** ابي العالية
يا رجل **وعن** ابي بكر الوراق يا سيد البشر **وعن** جعفر الصادق يا سيد مخاطبة له عليه
الصلاة والسلام **و**فيه على من تعظيمه على تفسير يا سيد ما فيه **واما الفجر** فقال ابن عطا
في قوله تعالى والفجر وليال عشر الفجر محمد صلى الله عليه وسلم لانه منه تفجر الايمان وهو تاويل
غريب لم يرتضه غيره والصواب انه الفجر المنفلق الصبح في قوله والصبح اذا تنفس **واما القوي**
فقال الله تعالى ذي قوة عند ذي العرش مكين قيل محمد وقيل جبريل عليهما الصلاة والسلام
وسياتي في المقصد السادس ما في ذلك **واما** ما قاله ابن عطاء في قوله تعالى ق والقرآن
المجيد اقسم بقوة قلب حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم حيث حمل الخطاب والمشاهدة
ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله فلا يخفى ما فيه **واما النجم** فعن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين
في تفسير قوله تعالى والنجم انه صلى الله عليه وسلم اذا هوى اذ انزل من السماء ليلة المعراج
وحكى السلمي في قوله تعالى والسماء والطارق وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب ان النجم هنا ايضا
محمد صلى الله عليه وسلم والصحيح ان المراد النجم على ظاهره وسمي عليه الصلاة والسلام لانه
يهتدى به في طرق الهدى كما يهتدى بالنجم **واما الشمس** فسمي بها صلى الله عليه وسلم
لكثرة نفعه وعلو رفعته وظهور شرف بعثته وجلالة قدره وعظم منزلته لانه لا يحاط بكماله
حتى لا يسع الرائي له ان ينظر اليه ملء عينيه اجلالا له كما ان الشمس في الرتبة ارفع من
غالب الكواكب لانها في السماء الرابعة والانتفاع بها اكثر من غيرها كما لا يخفى ولا يدركها البصر
لكبر جرمها وايضا فلما كان سائر الكواكب مستمدة من نورها ناسب تسميته عليه الصلاة والسلام
بها لان نور الانبياء مستمدة من نوره **واما النبي والرسول** فمن خصائصه ان خاطبه
تعالى بهما في القرآن دون سائر انبيائه ثم ان النبوة بالهمز ماخوذة من النبأ وهو الخبر وقد
لا يهمز تسهيلا اي ان الله تعالى اطلعه على غيبه واعلمه انه نبيه فيكون نبيا منبئا او منبأ
او يكون مخبرا عما بعثه الله به ومنبئا بما اطلعه الله عليه وبغير الهمز يكون مشتقا من النبوة
وهو ما ارتفع من الارض اي ان له رتبة شريفة ومكانة عند الله منيفة قال الشيخ بدر الدين
الزركشي في شرح البردة وكان نافع يقرأ النبيء جميع القرآن والاختيار تركه وهو لغة النبي
صلى الله عليه وسلم وقد جاء في الحديث ان رجلا قال يا نبيء الله بالهمز فقال له لست بنبيء الله
ولكني نبي الله فانكر الهمز لانه لم يكن من لغته صلى الله عليه وسلم وقال الجوهري والقلعاني
انما انكره لان الاعرابي اراد يا من خرج من مكة الى المدينة يقال نبأت من ارض الى ارض
اذا خرجت منها الى اخرى وقد تكلم جماعة من القراء في هذا الحديث وقد رواه الحاكم في المستدرك
عن ابي الاسود عن ابي ذر وقال صحيح على شرط الشيخين وفيما قاله نظر فان فيه حسين
الجعفي وليس من شرطهما ورواه ابو عبيدة حدثنا محمد بن سعد عن حمزة الزيات عن حمران
ابن اعين ان رجلا الحديث وهذا منقطع النبي **والرسول** انسان بعثه الله الى الخلق بشريعة
مجددة يدعو الناس اليها **واختلف** هل هما بمعنى او بمعنيين فقال بالاول قوم مستدلين

بقوله

بقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من نبي ولا رسول فاثبت لهما معا الارسال وعلى هذا فلا يكون
النبي الا رسولا والرسول الا نبيا **وقال** آخرون بالثاني وانهما يجتمعان في النبوة التي هي
الاطلاع على الغيب والاعلام بخواص النبوة او الرفعة بمعرفة ذلك وحوز درجتها وافترقا
في زيادة الارسال وحجتهم من الآية نفسها التفريق بين الاسمين اذ لو كانا شيئا واحدا لما
حسن تكرارهما في الكلام البليغ ويكون المعنى وما ارسلنا من نبي الى امته او نبي ليس بمرسل
الى احد وذهب آخرون الى ان الرسول من جاء بشرع مبتدا ومن لم يات به نبي غير رسول وان امر
بالابلاغ والانذار والصحيح ان كل رسول نبي وليس كل نبي رسول ثم تنوزع في هذا بانه كلام
يطلقه من لا تحقيق عنده فان جبريل عليه السلام وغيره من الملائكة المكرمين بالرسالة
رسل لا انبياء فالانفصال عنه بان يقيد الفرق بين الرسول والنبي البشري **ثم** ان الرسالة
والنبوة ليستا ذاتا للنبي صلى الله عليه وسلم ولا وصف ذات بل تخصيص الله اياه بذلك
خلافا للكرامية قال القرافي كما نقله عنه ابن مرزوق يعتقد كثير ان النبوة مجرد الوحي
وهذا باطل لحصوله لمن ليس بنبي كمريم وليست بنبية على الصحيح مع انه تعالى يقول فارسلنا
اليها روحنا الآية وان الله يبشرك وفي مسلم بعث الله تعالى ملكا لرجل على مدرجته كان خرج
في زيارة اخ له في الله تعالى وقال له ان الله يعلمك انه يحبك لحبك اياه في الله وليس
بنبوة عند المحققين ايجاد الله لبعض خلقه الحكم انشائي يختص به كقوله اقرأ باسم ربك فهذا تكليف
يختص به في الوقت فهذه نبوة لا رسالة فلما نزل قم فانذر كانت رسالة لتعلق هذا التكليف
بغيره ايضا فالنبي كلف بما يخصه والرسول بذلك وبتبليغ غيره فالرسول اخص مطلقا النبي
واما المذكر فقال تعالى فذكر انما انت مذكر **واما البشير والمبشر والنذير والمنذر**
فقال تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا اي مبشرا لاهل طاعته بالثواب وقيل بالمغفرة
ونذيرا لاهل معصيته بالعذاب وقيل محذرا من الضلالات واما المبلغ فقال تعالى
يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك **واما الحنيف** فقال تعالى فاقم وجهك للدين حنيفا
كذا قاله بعضهم **واما نبي التوبة** فان الامم رجعت بهدايته عليه الصلاة والسلام
بعدما تفرقت بها الطرق الى الصراط المستقيم **واما رسول الرحمة ونبي الرحمة**
ونبي المرحمة فقال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقال تعالى بالمؤمنين رؤف
رحيم فبعثه الله تعالى رحمة لامته ورحمة للعالمين **وروى** البيهقي مرفوعا انما انا رحمة
مهداة فرحم الله تعالى به الخلق مؤمنهم وكافرهم وهذا الاسم من اخص اسمائه **وقد كان**
حظ آدم من رحمته سجود الملائكة له تعظيما له اذ كان في صلبه **ونوح** خروجه من السفينة
سالما **وابراهيم** كانت النار عليه بردا وسلاما اذ كان في صلبه فرحمته عليه الصلاة والسلام
في البلاغ الروح ام والختام لما ابقى الله له من دعوة الشفاعة لما كانت نبوته رحمة دائمة
مكررة متضاعفة اشتق له من اسم الرحمة **واما نبي الملحمة والملاحم** ونبي الحروب
فاشارة لما بعث به من القتال والسيف ولم يجاهد نبي وامته قط ما جاهد صلى الله عليه
وسلم وامته والملاحم التي وقعت بين امته وبين الكفار لم يعهد مثلها قبله فان امته
يقاتلون الكفار في اقطار الارض على تعاقب الاعصار **واما صاحب القضيب**

فهو السيف كما وقع في الانجيل قال معه قضيب من حديد يقاتل به وامته كذلك وقد يحمل
على انه القضيب الممشوق الذي كان يمسكه **واما صاحب الهراوة** فهو في اللغة
العصا وقد كان عليه الصلاة والسلام يمسكه في يده يمشي بالقضيب كثيرا وكان يمشي
ويمشي بين يديه العصا تغرز له في الارض فيصلي اليها قال القاضي واراها العصاة المذكورة
في حديث الحوض اذود الناس عنه بعصاي لاهل اليمن ليتقدموا فلما كان صلى الله عليه وسلم
راعيا للخلق سايقا لجميعهم الى موارده كان صاحب الهراوة يرعى بها اهل الطواعية ومنا
السيف يقد به من لا ترتد الحياة الاشرا **واما الضحاك** بالمعجمة فهو الذي يسيل دماء
العدو في الحرب لشجاعته **واما صاحب التاج** فالمراد به العمامة ولم تكن حينئذ الا للعرب
والعمائم تيجانها **واما صاحب المغفر** فهو بكسر الميم وسكون الغين المعجمة وفتح الفاء
زرد ينسج من الدروع على قدر الراس كان صلى الله عليه وسلم يلبسه في حروبه
واما قدم صدق فقال قتادة والحسن وزيد بن اسلم في قوله تعالى وبشر الذين امنوا
ان لهم قدم صدق عند ربهم هو محمد صلى الله عليه وسلم يشفع لهم **وعن** ابي سعيد الخدري
هي شفاعة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم هو شفيع صدق عند ربهم **وعن** سهيل بن عبد الله
هي سابقة رحمة اودعها في محمد صلى الله عليه وسلم **واما نعمة الله** فقال سهيل في قوله
تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال نعمته بمحمد صلى الله عليه وسلم وقال يعرفون
نعمة الله ثم ينكرونها يعني يعرفون ان محمدا نبي ثم يكذبونه وهذا مروي عن مجاهد والسدي
وقال به الزجاج **واما الصراط المستقيم** فقال ابن ابي العالية والحسن البصري في تفسير سورة
الفاتحة هو رسول الله وخيار اهل بيته واصحابه **وحكى** الماوردي ذلك في تفسير صراط الذين
انعمت عليهم **عن** عبد الرحمن بن زيد **واما العروة الوثقى** فحكى عبد الرحمن السلمي عن بعضهم
في تفسير قوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى الاية انه محمد صلى الله عليه وسلم **واما ركن
المتواضعين** فانه عادتهم وقد ظهر عليه صلى الله عليه وسلم ما لم يظهر على غيره فكان يرقع
القميص ويخصف النعل ونحو البيت **ووقع** فيما ترجموه من كتاب شعيا حماية لتصحيحا في البشارة
برسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يميل الى الهوى ولا يذل الصالحين الذين هم كالقصبة الضعيفة
بل يقوي الصديقين وهو ركن المتواضعين وهو نور الله الذي لا يطفى **واما قثم وقثوم**
بالقاف والثاء المثلثة فسره القاضي عياض بالجامع للخير قال ابن الجوزي مشتق من القثم
وهو الاعطاء يقال قثم له من العطا اذا اعطاه وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظم الخلق
يدي واسخاهم يدا **واما البارقليط والفارقليط** بالموحدة والفا بدلها وفتح الراء واللام او الفا
وسكون الراء مع فتح القاف بفتح اللام مع سكون القاف **و**بكسر الراء وسكون التاء وغيره منصرف
للعجمة والعلمية فوقع في الانجيل برحاوه ومعناه روح القدس للحق قال ثعلب الذي يفرق
بين الحق والباطل **وفي** نهاية ابن الاثير في صفته عليه الصلاة والسلام ان اسمه في الكتب السالفة
فارق ليطا اي يفرق بين الحق والباطل قال ومنه الحديث محمد فرق بين الناس اي يفرق بين
المؤمنين والكافرين بتصديقهم وتكذيبه **واما حمطايا** فبفتح الحاء المهملة وسكون الميم قال
الهروي اي حامي الحرم وقال ابن الاثير في حديث كعب انه قال في اسماء النبي صلى الله عليه

وسلم في الكتب السالفة محمد واحمد وحمطايا يعني بالحاء المهملة ثم ميم ساكنة ثم مثناة تحتية فالف
وطاء مهملة فالف قال ابو عمرو سالت بعض من اسلم من اليهود عنه فقال معناه يحمي الحرم من الحرام
ويوطئ الحلال **واما احيد** وهو بهمزة مضمومة ثم حاء مهملة مكسورة ثم مثناة تحتية ساكنة
ثم دال مهملة كذا وجدته في بعض نسخ الشفاء المعتمدة المشهور ضبطه بفتح الهمزة وسكون
الحاء المهملة وفتح المثناة التحتية وفي نسخة وبفتحها وكسر الحاء وسكون المثناة فقال النووي
في تهذيب الاسماء واللغات عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمي في القران
محمد وفي الانجيل احمد وفي التورية احيد وانما سميت احيد لاني احيد عن امتي نار جهنم **واما
المنحمنا** وهو بضم الميم وسكون النون وفتح الحاء المهملة وكسر الميم وتشديد النون الثانية
المفتوحة مقصور وضبطه بعضهم بفتح الميمين فمعناه بالسريانية محمد **واما المشفح**
وهو بضم الميم وبالشين المعجمة وبالفاء المشددة المفتوحة ثم حاء مهملة وروي بالقاف بدل
الفاء في كتاب شعيا في البشارة به عليه الصلاة والسلام يفتح العيون العور والاذان الصم ويحيي
القلوب وما اعطيه لا اعطي احدا مشفح يحمد الله حمدا جديدا وهو بالسريانية الحمد **واما
مقيم السنة** ففي كتاب الشفا قال داود عليه الصلاة والسلام اللهم ابعث لنا محمدا يقيم السنة
بعد الفترة **واما المبارك** فبدء الكون ونماؤه كاين من بركته المستمدة من بركة الله ومن
كمال بركته نبع الماء من بين اصابعه وتكثير الطعام القليل ببركته حتى اشبع الجيش الكثير
وغير ذلك مما لمسه وباشره كما سياتي ذلك ان شا الله تعالى في مقصد معجزاته **واما المكين**
فهو صلى الله عليه وسلم المكين بعلو مكانته عند الله تعالى ومن ذلك ان قرن سبحانه ذكره
باسمه فما اذن باسم احد سواه ولا قرن اسم احد مع اسمه الا اياه فاعلن في الشاهقة على ساق
العرش وادى به في اللاحقة في منار الايمان **واما الامي** فهو من اخص اسمائه وقال تعالى
ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا فهو تعالى يعرض
ما كتبه بيده وما خطته اقلامه العلمية في الواح قدسه فغنيه بذلك عن ان يقرا ما تكتب
الخلق **واما المكي** فقد كان بداية ظهوره عليه الصلاة والسلام في الارض في مكة التي
هي حرم الله وهي مبدا البركة ومنشأ الهدى فهو عليه الصلاة والسلام مكي الاقامة ومبدا
النبوة ومكيا الاعادة ولذلك صحت الصلوة ايماء **واما عبد الكريم** فذكر الحسين بن محمد الدامغاني
في كتابه شوق العروس وانس النفوس نقلا عن كعب الاحبار انه قال اسم النبي صلى الله عليه
وسلم عند اهل الجنة عبد الكريم **و**عند اهل النار عبد الجبار **و**عند اهل العرش عبد الحميد
وعند ساير الملايكة عبد المجيد **و**عند الانبياء عبد الوهاب **و**عند الشياطين عبد القهار **و**عند
الجن عبد الرحيم **و**في الجبال عبد الخالق **و**في البر عبد القادر **و**في البحر عبد المهيمن **و**عند الحيتان
عبد القدوس **و**عند الهوام عبد الغياث **و**عند الوحوش عبد الرزاق **و**عند السباع عبد السلام
وعند البهايم عبد المؤمن **و**عند الطيور عبد الغفار **و**في التورية مود موب **و**في الانجيل طاب طاب
وفي الصحف عاقب **و**في الزبور فاروق **و**عند الله طه ويس **و**عند المؤمنين محمد صلى الله
عليه وسلم **قال** وكنيته ابو القاسم لانه يقسم الجنة بين اهلها **واما عبد الله** فسماه الله
تعالى به في اشرف مقاماته فقال تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله

رتبه

معرفة اسمايه الشريفة في السما
وفي الارض وعند الملايكة والانس والجن
والبر والبحر والوحوش والهوام
صلى الله وسلم عليه

قال تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا وقال الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب فذكره بالعبودية في مقام انزال الكتاب عليه والتحدي بان ياتوا بمثله قال تعالى وانه لما قام عبد الله يدعوه فذكره في مقام الدعوة اليه وقال تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا فاوحى الى عبده لو كان اسم اشرف منه لسماه به في تلك الحالات العلية لما رفعه اسعاه الى حضرته السنية ورقاه الى اعلا المعالي العلوية الزمه تشريفا له اسم العبودية وقد كان صلى الله عليه وسلم يجلس للاكل جلوس العبد وكان يتخلى عن وجوه الترفعات كلها في ملبسه وماكله ومبيته ومسكنه اظهارا لشعار العبودية فيما بدا له العيان صدقا عما في باطنه من تحقق العبودية لربه تحقيقا للحق الذي جاء بالتصديق وصدق به ولما خير بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا اختار ان يكون نبيا عبدا فاختار ما هو الاتم وكان صلى الله عليه وسلم يقول كما في الصحيح لا تطروني كما اطرت النصارى عيسى ولكن قولوا عبد الله ورسوله فاستثبت ما هو ثابت له واسلم لله ما هو له لا لسواه وليس للعبد الا اسم العبد ولذا كان عبد الله احب الاسماء الى الله

الفصل الثاني في ذكر اولاده الكرام

اعلم ان جملة ما اتفق عليه منهم ستة القاسم وابراهيم واربع بنات زينب ورقية وام كلثوم وفاطمة وكلهن ادركن الاسلام وهاجرن معه واختلف فيما سواهم فعند ابي اسحق الطاهر والطيب ايضا فيكون على هذا ثمانية اربعة ذكور واربع اناث وقال الزبير بن بكار كان له عليه الصلاة والسلام سوى ابرهيم والقاسم وعبد الله مات صغيرا بمكة ويقال له الطيب والطاهر ثلثة اسماء وهو قول اكثر النسبا قاله ابو عمرو وقال الدارقطني هو الاثبت وسمي عبد الله بالطيب الطاهر لانه ولد بعد النبوة فعلى هذا يكون جملتهم سبعة ثلاثة ذكور وقيل عبد الله والطيب والطاهر حكاه الدارقطني وغيره فيكون جملتهم على هذا تسعة خمسة ذكور وقيل كان له الطيب والمطيب ولدا في بطن والطاهر والمطهر ولدا في بطن ذكره صاحب الصفوة فيكونون على هذا احدى عشر وقيل ولد له صلى الله عليه وسلم ولد قبل المبعث يقال له عبد مناف فيكونون على هذا اثني عشر وكلهم سوى هذا ولد في الاسلام بعد المبعث وقال ابن اسحق كلهم غير ابرهيم قبل واما البنون قبل الاسلام ومات البنون قبل الاسلام وهم يرتضعون وقد تقدم في قول غيره ان عبد الله ولد بعد النبوة ولذلك سمي بالطيب الطاهر فتحصل من جميع الاقوال ثمانية ذكور اثنان متفق عليهما القاسم وابرهيم وستة مختلف فيهم عبد مناف وعبد الله والطيب والمطيب والطاهر والمطهر والاصح انهم ثلثة ذكور والاربع بنات متفق عليهن كلهن من خديجة بنت خويلد الا ابرهيم فاما القاسم فهو اول ولد ولد له عليه الصلاة والسلام قبل النبوة وبه كان يكنى وعاش حتى مشى وقيل عاش سنتين قال مجاهد مكث سبع ليال وخطاه الغلابي في ذلك وقال الصواب انه عاش سبعة عشر شهرا وقال ابن فارس بلغ ركوب الدابة ومات قبل المبعث وفي مستدرك الفريابي ما يدل على انه توفي في الاسلام وهو اول من مات من ولده عليه وعليهم الصلاة والسلام واما زينب فهي اكبر بناته بلا خلاف الا ما لا يصح وانما فيها الخلاف وفي القاسم ايهما ولد اولا وعند ابن اسحق انها ولدت في سنة ثلثين من مولد النبي صلى الله عليه وسلم وادركت الاسلام وهاجرت وماتت سنة ثمان من الهجرة عند

زوجها

زوجها ابن خالتها ابي العاص لقيط وقيل مهشم بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس وكانت هاجرت قبله وتركته على شركه وردها النبي صلى الله عليه وسلم له بالنكاح الاول بعد سنتين وقيل بعد ست سنين وقيل قبل انقضاء العدة فيما ذكره ابن عقبة وفي حديث عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ردها له بنكاح جديد سنة سبع وولدت له عليا مات صغيرا وقد ناهز الحلم وكان رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقته يوم الفتح وولدت له ايضا امامة التي حملها صلى الله عليه وسلم في صلاة الصبح على عاتقه وكان اذا ركع وضعها واذا رفع راسه من السجود اعادها وتزوجها علي بن ابي طالب بعد موت فاطمة واما رقية فولدت سنة ثلاث وثلثين من مولده عليه الصلاة والسلام وذكر الزبير بن بكار وغيره انها اكبر بناته صلى الله عليه وسلم وصححه الجرجاني النسابة والاصح الذي عليه الاكثرون ما تقدم ان زينب اكبرهن وكانت رقية تحت عتبة بن ابي لهب واختها ام كلثوم تحت اخيه عتيبة فلما نزلت تبت يدا ابي لهب قال لهما ابوهما ابو لهب راسي وراسكما حرام ان لم تفارقا ابنتي محمد ففارقاهما ولم يكونا يدخلا بهما فتزوج عثمان بن عفان رقية بمكة وهاجر بها الهجرتين الى ارض الحبشة وكانت ذات جمال رايع وذكر الدولابي ان تزويجه بها كان في الجاهلية وذكر غيره ما يدل على انه كان بعد اسلامه وتوفيت والنبي صلى الله عليه وسلم ببدر عن ابن عباس لما عزي صلى الله عليه وسلم برقية قال الحمد لله دفن البنات من المكرمات خرجه الدولابي واما ام كلثوم ولا يعرف لها اسم انما تعرف بكنيتها وكانت عند عتيبة بن ابي لهب كما تقدم ففارقها قبل الدخول ويروى عن عتيبة انه لما فارق ام كلثوم جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم قال كفرت بدينك وفارقت ابنتك لا تحبني ولا احبك ثم سطا عليه وشق قميصه وهو خارج نحو الشام تاجرا فقال صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وابو طالب حاضر فوجم لها فقال ما كان اغناك عن دعوة ابن اخي فخرج يتجر في قريش حتى نزلوا مكانا من الشام يقال له الزرقا ليلا فطاف بهم الاسد تلك الليلة فجعل عتيبة يقول يا ويل امي هو والله آكلي كما دعا علي محمد قاتلي ابن ابي كبشة وهو بمكة وانا بالشام فعدا عليه الاسد من بين القوم فاخذ براسه فقدعه وفي رواية فجاء الاسد فجعل يتشمم وجوههم ثم ثنى ذنبه فوثب فضربه ضربة واحدة فخدشه فقال قتلني ومات وفي رواية ان الاسد اقبل يتخطاهم حتى اخذ براس عتيبة فقدعه ذكره الدولابي ولما توفيت رقية خطب عثمان ابنة عمر حفصة فرده فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا عمر ادلك على خير لك من عثمان وادل عثمان على خير له منك قال نعم يا نبي الله قال تزوجني ابنتك وازوج عثمان ابنتي خرجه الخجندي وكان تزويج عثمان لام كلثوم سنة ثلاث من الهجرة وروي انه عليه الصلاة والسلام قال له والذي نفسي بيده لو ان عندي مائة بنت يمتن واحدة بعد واحدة زوجتك اخرى هذا جبريل اخبرني ان الله يامرني ان ازوجكها رواه الفضايلي وماتت ام كلثوم سنة تسع من الهجرة وصلى عليها عليه الصلاة والسلام ونزل في حفرتها علي والفضل واسامة بن زيد وفي البخاري جلس صلى الله عليه وسلم على القبر وعيناه تذرفان وقال افيكم من احد لم يقارف الليلة فقال ابو طلحة انا فقال انزل قبرها فنزل وقد روي نحو ذلك في رقية وهو وهم فانه عليه الصلاة والسلام لم يكن حال دفنها حاضرا بل كان في غزوة بدر كما قدمناه

وغسلها اسما بنت عميس وصفية بنت عبد المطلب وشهدت ام عطية غسلها وروت قوله عليه الصلاة والسلام اغسلها ثلاثا او خمسا او سبعا او اكثر من ذلك ان رايتن بما وسدر واجعلن في الاخرة كافورا فاذا فرغتن فآذنني فلما فرغنا اذناه فالقى الينا حقوه وقال اشعرنها اياه قالت ومشطناها ثلاثة قرون والقيناها خلفها والحقوا الازار واشعرنها اي جعلنه شعار الذي يلي جسدها وذلك هو الشعار وما فوقه الدثار واما فاطمة الزهرا البتول فولدت سنة واحد واربعين من مولد النبي صلى الله عليه وسلم قاله ابو عمر وهو خلاف رواه ابن اسحق ان اولاده عليه الصلاة والسلام كلهم ولدوا قبل النبوة الا ابراهيم وقال ابن الجوزي ولدت قبل النبوة بخمس سنين ايام بنا البيت وروي مرفوعا انها سميت فاطمة لان الله قد فطمها وذريتها عن النار يوم القيمة اخرجه الحافظ الدمشقي وروي الغساني مرفوعا لان الله فطمها ومحبيها عن النار يوم القيمة وسميت بتولا لانقطاعها عن نسا زمانها فضلا ودينا وحسنا وقيل لانقطاعها عن الدنيا الى الله قاله ابن الاثير وتزوجت بعلي بن ابي طالب في السنة الثانية وقيل بعد احد وقيل بعد بنايه عليه الصلاة والسلام بعايشة باربعة اشهر ونصف وبني بها بعد تزوجها بسبعة اشهر ونصف وقيل في صفر في السنة الثانية وبني بها في ذي الحجة على راس اثنين وعشرين شهرا وكان تزوجها بامر الله ووحيه وتزوجت ولها خمس عشرة سنة وخمسة اشهر ونصف وتقدم مزيد لذلك في المغازي والسير والمقصد الاول وقال ابو عمرو فاطمة وام كلثوم افضل بنات النبي صلى الله عليه وسلم وكانت فاطمة رضي الله عنها احب اهله صلى الله عليه وسلم اليه وكان يقبلها في فيها ويمصها لسانه واذا اراد سفرا يكون آخر عهده بها واذا قدم اول ما يدخل عليها وقال عليه الصلاة والسلام فاطمة بضعة مني فمن اغضبها اغضبني رواه البخاري وقال لها اوما ترضين ان تكوني سيدة نسا المؤمنين رواه مسلم وفي رواية احمد افضل نسا اهل الجنة وتوفيت بعده صلى الله عليه وسلم بستة اشهر ليلة الثلاث لثلاث خلون من شهر رمضان سنة احدي عشرة وهي ابنة تسع وعشرين سنة قاله المدايني وقيل توفيت بعد ثمانية اشهر وقيل غير ذلك والاول اصح كذا قاله بهرام ابيه وهو غير منتظم مع السابق فليتامل وروي انها قالت لاسما بنت عميس اني قد استقبحت ما يصنع بالنسا انه يطرح على المراة الثوب فيصفها فقالت اسما يا بنت رسول الله الا اريك شيا رايته بارض الحبشة فدعت بجرايد رطبة فحنتها ثم طرحت عليها ثوبا فقالت فاطمة ما احسن هذا تعرف به المراة من الرجل فاذا انامت فاغسليني انت وعلي ولا يدخل علي احد الحديث خرجه عمر وفي حديث ام سلمي انها لما اشتكت اغتسلت ولبست ثيابا جددا واضطجعت في وسط البيت ووضعت يدها اليمنى تحت خدها ثم استقبلت القبلة وقالت اني مقبوضة الآن فلا يكشفني احد ولا يغسلني ثم قبضت مكانها ودخل علي فاخبر بالذي قالت فاحتملها فدفنها بغسلها ذلك ولم يكشفها ولا غسلها احد رواه احمد في المناقب والدولابي وهذا لفظه مختصرا وهو مضاد لخبر اسما المتقدم قال ابو عمر فاطمة اول من غطي نعشها من النسا على الصفة المذكورة في حديث اسما المتقدم ثم بعدها زينب بنت جحش صنع بها ذلك وولدت لعلي حسنا وحسينا ومحسنا فمات محسن صغيرا وام كلثوم وزينب ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم عقب الا من ابنته فاطمة رضي الله عنها فانتشر نسله

الشريف منها من جهة السبطين الحسن والحسين فقط ويقال للمنسوب لاولهما حسني ولثانيهما حسيني وقد يضم للحسيني ممن يكون من ذرية اسحق بن جعفر الصادق وابن محمد الباقر ابن زين العابدين بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب الاسحاقي فيقال الحسيني اسحاقي واسحق هذا زوج السيدة نفيسة ابنة الحسن بن زيد بن الحسن بن الحسن بن علي وله منها القاسم وام كلثوم ولم يعقبا وتزوج عمر بن الخطاب ام كلثوم بنت فاطمة فولدت زيدا ورقية ولم يعقبا ثم تزوجت ام كلثوم بعد موت عمر بعون بن جعفر ثم تزوجت بعد وفاته باخيه محمد بن جعفر ثم مات عنها فتزوجت باخيه عبد الله بن جعفر ثم مات ولم تلد لواحد من الثلاثة سوى بنت لعبد الله ماتت صغيرة ولبس لها عقب ثم تزوج عبد الله بن جعفر باختها زينب بنت فاطمة فولدت له عدة اولاد منهم علي وام كلثوم فتزوج ام كلثوم هذه ابن عمها القاسم بن محمد بن جعفر بن ابي طالب فولدت له عدة اولاد فاطمة زوج حمزة بن عبد الله بن الزبير بن العوام وله منها عقب وبالجملة فعقب عبد الله بن جعفر انتشر من علي واخته ام كلثوم ابني زينب بنت ابراهيم ويقال لكل من ينسب لهولا جعفري ولا ريب ان لهولا شرفا واما المنسوبون لعبد الله ابن جعفر فلهم ايضا شرف لكنه يتفاوت فمن كان من ولده من زينب الزهرا فهو اشرف من غيرهم مع كونهم لا يوازون شرف المنسوبين للحسن والحسين لمزيد شرفهما وكذا يوصف العباسيون بالشرف لشرف بني هاشم قال الحافظ ابن حجر في الالقاب وقد لقب به يعني بالشرف كل عباسي ببغداد وعلوي بمصر وفي شيوخ ابن الرفعة شخص يقال له الشريف العباسي واما عبد الله فتوفي صغيرا بمكة فقال العاصي بن وايل قد انقطع ولده فهو ابتر فانزل الله تعالى ان شانئك هو الابتر واختلف هل ولد قبل النبوة او بعدها وهل هو الطيب والطاهر والصحيح انهما لقبان كما تقدم واما ابراهيم فمن مارية القبطية وسياتي ذكرها في سراريه عليه الصلاة والسلام ان شا الله تعالى في الفصل الثاني فهذا في امهات المؤمنين وولد في ذي الحجة سنة ثمان من الهجرة وقيل ولد بالعالية ذكره الزبير بن بكار وكانت سلمي زوج ابي رافع مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قابلته فبشر ابو رافع به النبي صلى الله عليه وسلم فوهب له عبدا وعق عنه يوم سابعه بكبشين وحلق راسه ابو هند وسماه النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ وتصدق بزنة شعره ورقا على المساكين ودفنوا شعره في الارض وفي البخاري من حديث انس بن مالك انه صلى الله عليه وسلم قال ولد لي الليلة غلام وسميته باسم ابي ابراهيم ثم دفعه الى ام سيف امراة قين يقال له ابو سيف الحديث وفيه انه بقي عندها الى ان مات والقين الحداد ويجمع بينهما ان التسمية كانت قبل السابع كما في حديث انس هذا ثم طرب فيه واما حديث عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عند الترمذي مرفوعا امر بتسمية المولود يوم سابعه فيحمل على انها لا توخر عن السابع لا انها لا تكون فيه بل هي مشروعة من الولادة الى السابع فقال الزبير بن بكار وتنافست الانصار فيمن يرضع ابراهيم عليه الصلاة والسلام فانهم احبوا ان يفرغوا مارية من له عليه الصلاة والسلام فاعطاه لام بردة بنت المنذر ابن زيد الانصاري زوجة البرا بن اوس فكانت ترضعه بلبن ابنها في بني مازن بن النجار وترجع به الى امه واعطى صلى الله عليه وسلم ام بردة قطعة نخل وقد تقدم انه اعطاه

توفيت عم

بالمدينة

بردة

ام سيف وبقي عندها الي ان مات فيحمل ان يكون اعطاه اولا ام برده ثم اعطاه ام سيف
وبقي عندها الي ان توفي لكن قد روي انه توفي عند ام برده فيرجع في الترجيح الي التفصيل
وعن انس بن مالك قال ما رايت احدا ارحم بالعيال من رسول الله صلي الله عليه وسلم
كان ابراهيم مرضعا في العوالي المدينة فكان ينطلق ونحن معه فيدخل البيت وكان ظئره قينا
فيقبله ثم يرجع الحديث رواه ابو حاتم وفي حديث جابر اخذ صلي الله عليه وسلم بيد عبد الرحمن
ابن عوف فاتاه النخل فاذا ابنه ابرهيم يجود بنفسه فاخذه صلي الله عليه وسلم فوضعه في حجره
ثم ذرفت عيناه ثم قال انا بك يا ابرهيم لمحزونون تبكي العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط
الرب خرجه بهذا السياق ابو عمر وبن السماك ومعناه في الصحيح وتوفي وله سبعون يوما فيما
ذكره ابو داود وفي الحول يوم الثلثا لعشر خلون منه وقيل بلغ ستة عشر شهرا وثمانية ايام وقيل
سنة وعشرة اشهر وستة ايام وحمل علي سرير صغير وصلي عليه صلي الله عليه وسلم بالبقيع
وقال ندفنه عند عثمان بن مظعون وروي ان عايشة رضي الله عنها قالت دفنه عليه الصلاة
والسلام ولم يصل عليه فيحتمل ان يكون لم يصل عليه بنفسه وامر اصحابه ان يصلون عليه
او لم يصل عليه في جماعة وروي ان النبي غسله ابا برد وروي ان الفضل بن العباس ولعلهما
اجتمعا عليه ونزل قبره الفضل واسامة والنبي صلي الله عليه وسلم علي شفير القبر ورش
قبره وعلم بعلامة قال الزبير وهو اول قبر رش وكسفت الشمس يوم موته فقال الناس
انما كسفت لموت ابرهيم فقال عليه الصلاة والسلام ان الشمس والقمر ايتان من ايات الله
لا يكسفان لموت احد رواه الشيخان قيل والغالب ان الكسوف يكون يوم الثامن والعشرين
او التاسع والعشرون فكسفت يوم موت ابرهيم في العاشر فلذلك كسفت لموته وقال عليه الصلاة
والسلام ان له مرضعا في الجنة رواه ابن ماجة وقد روي من حديث انس بن مالك انه قال
لو بقي يعني ابرهيم بن النبي صلي الله عليه وسلم لكان نبيا ولكن لم يبق لان نبيكم اخر الانبيا اخرجه
ابو عمر وقال الطبري وهذا انما يقوله انس عن توقيف يخص ابرهيم والا فلا يلزم ان يكون ولد النبي
نبيا بدليل نوح عليه الصلاة والسلام وقال النووي في تهذيب الاسما واللغات واما ما روي
عن بعض المتقدمين لو عاش ابرهيم لكان نبيا فباطل وجسارة علي الكلام علي المغيبات ومجازفة
وهجوم علي عظيم انتهي قال شيخنا في كتابه المقاصد الحسنة ونحوه قول ابن عبد البر في تمهيده
لا ادري ما هذا فقد ولد نوح غير نبي ولو لم يلد النبي الا نبيا لكان كل احد نبيا لانهم من ولد نوح انتهي
قال الحافظ بن حجر ولا يلزم من هذا الحديث المذكور ما ذكره الطبري لما لا يخفي وكانه سلف
النووي وقال ايضا عقب كلام النووي انه عجيب مع وروده عن ثلاثة من الصحابة قال وكانه
لم يظهر له وجه تاويله في انكاره ما قال وجوابه ان القضية الشرعية لا يستلزم الوقوع
ولا يظن بالصحابي الهجوم علي مثل هذا بالظن قال شيخنا والطرق الثلاثة احدها ما اخرجه
ابن ماجة وغيره من حديث ابن عباس لما مات ابرهيم بن النبي صلي الله عليه وسلم صلي عليه وقال ان له
مرضعا في الجنة ولو عاش لكان صديقا نبيا ولو عاش لاعتقت اخواله من القبط وما استرق قبطي
وفي سنده ابو شيبة ابرهيم بن عثمان الواسطي وهو ضعيف من طريقه اخرجه ابن منده
في المعرفة وقال انه غريب ثانيها ما رواه ابرهيم السدي عن انس قال كان ابرهيم قد ملا المهد

ولو بقي

ولو بقي لكان نبيا الحديث ثالثها ما عند البخاري من طريق محمد بن بشر عن اسمعيل بن ابي خالد
قال قلت لعبد الله بن ابي اوفي رايت ابرهيم بن النبي صلي الله عليه وسلم قال مات صغيرا
ولو قضي بعد محمد نبي عاش ابنه ابرهيم ولكن لا نبي بعده اخرجه احمد عن وكيع عن اسمعيل
سمعت ابن ابي اوفي يقول لو كان بعد النبي صلي الله عليه وسلم نبي ما مات ابنه انتهي

الفصل الثالث

الفصل الثالث في ذكر ازواجه الطاهرات وسراريه المطهرات

قال الله تعالي النبي اولي
بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم اي ازواجه عليه الصلاة والسلام امهات المؤمنين
سوا من مات عنها او ماتت عنه وهي تحته وذلك في تحريم نكاحهن ووجوب احترامهن لا في نظر
وخلوة ولا يقال بناتهن اخوات المؤمنين ولا اباوهن وامهاتهن اجداد وجدات ولا اخوتهن
واخواتهن اخوال وخالات قال البغوي كن امهات المؤمنين دون النسا روي ذلك
عن عايشة رضي الله عنها وهو جار علي الصحيح عند اصحابنا وغيرهم من اهل الاصول ان النسا
لا يدخلن في خطاب الرجال قال وكان صلي الله عليه وسلم ابا للرجال والنسا ويجوز ان
يقال ابو المؤمنين في الحرمة وفضلت زوجاته عليه الصلاة والسلام علي النسا وثوابهن
وعقابهن مضاعفات ولا يحل سوالهن الا من وراء حجاب وافضلهن خديجة وعايشة رضي الله
عنهما وفي افضلهما خلاف ياتي تحقيقه ان شا الله تعالي قريبا واختلف في ازواجه صلي الله
عليه وسلم وترتيبهن وعدة من مات منهن قبله ومن مات عنهن ومن دخل بها ومن لم
يدخل بها ومن خطبها ومن لم ينكحها ومن عرضت نفسها عليه ولم يدخل بها ومن يدخل بها ومن
خطبها عليه والمتفق عليه ان هن احدي عشرة امراة ست من قريش خديجة
بنت خويلد بن اسد بن عبد العزي بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوي وعايشة
بنت ابي بكر بن ابي قحافة بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لوي
وحفصة بنت عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزي بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن
عدي بن كعب بن لوي وام حبيبة بنت ابي سفيان بن حرب بن امية بن عبد شمس بن عبد
مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوي وام سلمة بنت ابي امية بن المغيرة
ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لوي وسودة بنت زمعة بن قيس
ابن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لوي واربع عربيات
وزينب بنت جحش بن رياب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن اسد
ابن خزيمة وميمونة بنت الحارث الهلالية وزينب بنت خزيمة الهلالية
ام المساكين وجويرية بنت الحارث الخزاعية المصطلقية وواحدة غير عربية
من بني اسرايل وهي صفية بنت حيي من بني النضير ومات وعنده صلي الله عليه وسلم
منهن اثنتان خديجة وزينب ام المساكين ومات صلي الله عليه وسلم عن تسع ولا خلاف
في ان اول امراة تزوج بها منهن خديجة بنت خويلد وانه صلي الله عليه وسلم لم يتزوج عليها
حتي ماتت وهذا حين الشروع في ذكرهن علي الترتيب واما ام المؤمنين خديجة
وامها فاطمة بنت زايدة بن الاصم فكانت تدعي في الجاهلية الطاهرة وكانت تحت ابي هالة
النباش بن ابي زرارة فولدت له هندا وهالة وهما ذكران ثم تزوجها عتيق بن عابد

المخزومي فولدت له جارية اسمها هند وبعضهم يقدم عتيقا على ابي هالة ثم تزوجها رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولها يومئذ من العمر اربعون وبعض اخرى وكان سنه عليه الصلاة والسلام
احدى وعشرين سنة وقيل خمسا وعشرين وعليه الاكثر وقيل ثلاثين وكانت قد عرضت
نفسها عليه فذكر ذلك لاعمامه فخرج معه منهم حمزة حتى دخل على خويلد بن اسد فخطبها
اليه فتزوجها صلى الله عليه وسلم واصدقها عشرين بكرة وزاد ابن اسحق من طريق آخر
وحضر ابو طالب ورؤسآء مضر فخطب ابو طالب وقد تقدمت خطبته في المقصد الاول
عند ذكر تزويجها له صلى الله عليه وسلم وذكر الدولابي وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم
اصدق خديجة اثنتي عشرة اوقية ذهبا وكانت خديجة كما قدمته اول من آمن من النسآء
وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة ان جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا محمد هذه
خديجة قد اتتك باناء فيه طعام او ادام او شراب فاذا هي اتتك فاقرأ عليها السلام من ربها
ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب والقصب اللؤلؤ المجوف قال
ابن اسحق كان صلى الله عليه وسلم لا يسمع شيئا من رد عليه وتكذيب له عليه الصلوة والسلام
فيحزنه ذلك الا فرج الله عنه بخديجة اذا رجع اليها تثبته وتخفف عنه وتصدقه وتهون عليه
امر الناس حتى ماتت وعن عبد الرحمن بن زيد قال آدم عليه الصلاة والسلام اني لسيد البشر يوم القيمة
الا رجل من ذريتي يقال له احمد فضل علي باثنتين زوجته عاونته وكانت له عونا وكانت زوجتي علي عونا
واعانه الله على شيطانه فاسلم وكفر شيطاني خرجه الدولابي كما ذكره الطبري وخرج الامام عن
ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قال افضل نسآء اهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة
بنت محمد ومريم ابنة عمران وآسية امرأة فرعون قال الشيخ ولي الدين بن العراقي خديجة
افضل امهات المؤمنين على الصحيح المختار وقيل عايشة انتهى وقال شيخ الاسلام زكريا الانصاري
في شرح بهجة الحاوي وافضلهن خديجة وعايشة وفي افضليتهما اختلاف صحح ابن العماد
تفضيل خديجة لما ثبت انه صلى الله عليه وسلم قال لعايشة حين قالت له قد رزقك الله خيرا منها
فقال لا والله ما رزقني الله خيرا منها آمنت بي حين كذبني الناس واعطتني مالها حين حرمني الناس
وسئل ابن داود ايهما افضل فقال عايشة اقرأها النبي صلى الله عليه وسلم من جبريل وخديجة
السلام مع
اقرأها جبريل من ربها السلام على لسان محمد فهي افضل قيل له فمن افضل خديجة ام فاطمة
فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاطمة بضعة مني فلا اعدل ببضعة رسول الله
صلى الله عليه وسلم احدا ويشهد له قوله صلى الله عليه وسلم اما ترضين ان تكوني سيدة
نسآء اهل الجنة الا مريم واحتج من فضل عايشة بما احتجت به من انها في الاخرة مع النبي
صلى الله عليه وسلم في الدرجة وفاطمة مع علي فيها وسئل السبكي عن ذلك فقال الذي
نختاره وندين الله به ان فاطمة بنت محمد افضل ثم امها خديجة ثم عايشة ثم استدل لذلك
بما تقدم بضعة مني واما خبر الطبراني خير نسآء العالمين مريم بنت عمران ثم خديجة ثم بنت محمد
ثم آسية امرأة فرعون فاجاب عنه ابن العماد بان خديجة انما فضلت فاطمة باعتبار
الامومة لا باعتبار السيادة واختار السبكي ان مريم افضل من خديجة لهذا الخبر
والاختلاف في نبوتها انتهى وقال ابو امامة بن النقاش ان سبق خديجة وتاثيرها اول

الاسلام ومؤازرتها ونصرها وقيامها في الدين لله بمالها ونفسها لم يشركها فيه احد لا عايشة
ولا غيرها من امهات المؤمنين وتاثير عايشة في آخر الاسلام وحمل الدين وتبليغه الى الامة
وادراكها من الامة ما لم يشركها فيه خديجة ولا غيرها حتى تميزت به من غيرها انتهى وماتت
خديجة بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين وقيل باربع وقيل بخمس ودفنت في الحجون وهي
ابنة خمس وستين سنة ولم يكن يومئذ يصلى على الجنازة وكانت مدة مقامها مع النبي صلى الله
عليه وسلم خمسا وعشرين سنة وقيل اربعا وعشرين سنة واما ام المؤمنين سودة
بنت زمعة وامها الشموس بنت قيس فاسلمت قديما وبايعت وكانت تحت ابن عم لها
يقال له السكران بن عمرو اخو سهيل بن عمرو اسلم معها قديما وهاجرا جميعا الى ارض الحبشة
الهجرة الثانية فلما قدما مكة مات زوجها وقيل انه مات بالحبشة وتزوجها صلى الله
عليه وسلم بمكة بعد موت خديجة قبل ان يعقد على عايشة هذا قول قتادة وابي
عبيدة ولم يذكر ابن قتيبة غيره ويقال تزوجها بعد عايشة ويجمع بين القولين بانه
صلى الله عليه وسلم عقد على عايشة قبل سودة ودخل بسودة قبل عايشة والتزويج
يطلق على كل واحد منهما وان كان المتبادر الى الفهم العقد دون الدخول ولما كبرت
سودة اراد صلى الله عليه وسلم طلاقها فسألته ان لا يفعل وجعلت يومها لعايشة
فامسكها وتوفيت بالمدينة في شوال سنة اربع وخمسين واما ام المؤمنين عايشة
رضي الله عنها وامها ام رومان ابنة عامر بن عويمر بن عبد شمس من بني مالك بن كنانة
وكانت مسماة لجبير بن مطعم فخطبها النبي صلى الله عليه وسلم واصدقها فيما قال ابن اسحق
اربعمائة درهم وتزوجها بمكة في شوال سنة عشر من النبوة وقبل الهجرة بثلاث
ولها ست سنين واعرس بها في المدينة في شوال سنة اثنتين من الهجرة على راس ثمانية
عشر شهرا ولها تسع سنين وقيل بعد سبعة اشهر من مقدمه صلى الله عليه وسلم
واخرج الشيخان عن عايشة انها قالت تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا ابنة
ست سنين فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحارث بن الخزرج فوعكت فتمزق شعري فاتتني
امي ام رومان واني لفي ارجوحة ومعي صواحب لي فصرخت بي فاتيتها وما ادري ما تريد بي
فاخذت بيدي حتى اوقفتني على باب الدار واني لانهج حتى سكن بعض نفسي ثم اخذت شيئا
من ماء فمسحت به وجهي وراسي ثم ادخلتني الدار فاذا نسوة من الانصار في البيت فقلن على الخير
والبركة فاسلمتني اليهن فاصلحن من شاني فلم يرعني الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحى
فاسلمتني اليه وانا يومئذ بنت تسع سنين اخرجه ابو حاتم بتغيير بعض الفاظه وقال
ابو عمر كان نكاحه عليه الصلاة والسلام لعايشة في شوال وبنى بها في شوال وكانت تحب ان يدخل
النسآء من اهلها واحبتها في شوال على ازواجهن وكانت احب نسآء رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكانت اذا هويت الشيء تابعها اليه وفقدها عليه الصلاة والسلام في بعض اسفاره فقال واعروساه
خرجه احمد وقال عليه الصلاة والسلام كما في الصحيحين رايتك في المنام ثلث ليال جاءني
بك الملك في سرقة من حرير فيقول امرأتك فاكشف عن وجهك فاقول ان يك من عند الله يمضه
والسرقة شقة الحرير البيضاء وفي الترمذي ان جبريل جاءه بصورتها في خرقة حرير

خضرا وقال هذه زوجتك في الدنيا والآخرة وفي رواية عنده قال جبريل ان الله قد زوجك بابنة
ابي بكر ومعه صورتها وكانت مدة مقامها معه عليه الصلاة والسلام تسع سنين ومات عنها صلى الله
عليه وسلم ولها ثمانية عشر سنة ولم يتزوج بكرا غيرها وكانت فقيهة عالمة فصيحة كثيرة الحديث
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عارفة بايام العرب واشعارها وروى عنها جماعة كثيرة من الصحابة
والتابعين وكان صلى الله عليه وسلم يقسم لها ليلتين ليلتها وليلة سودة بنت زمعة لانها وهبت
ليلتها لها لما كبرت كما تقدم ولنسائه ليلة ليلة وكان يدور على نسائه ويختم بعايشة وماتت
بالمدينة سنة سبع وخمسين وقال الواقدي ليلة الثلثا لسبع عشرة خلت من رمضان سنة ثمان
وخمسين وهي ابنة ست وستين سنة واوصت ان تدفن بالبقيع ليلا وصلى عليها ابو هريرة
وكان يوميذ خليفة مروان على المدينة في ايام معوية بن ابي سفين وكانت تكنى ام عبد الله
يروى انها اسقطت من النبي صلى الله عليه وسلم سقطا لم يثبت والصحيح انها كانت تكنى
بعبد الله بن الزبير ابن اختها فانه عليه الصلاة والسلام تفل في فيه لما ولد وقال
لعايشة هو عبد الله وانت ام عبد الله قالت فما زلت اكنى به وما ولدت قط اخرجه ابو حاتم

عايشة نسخ

وأما ام المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها وامها زينب بنت مظعون
فاسلمت وهاجرت تحت خنيس بضم المعجمة وفتح النون وبالسين المهملة ابن حذافة
السهمي هاجرت معه ومات عنها بعد غزوة بدر فلما تايمت ذكرها عمر على ابي بكر وعثمان
فلم يجبه واحد منهما الى زواجها فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكحه اياها في سنة ثلاث
من الهجرة وطلقها طلقة واحدة ثم راجعها ونزل عليه الوحي راجع حفصة فانها صوامة قوامة
وانها زوجتك في الجنة روى عنها جماعة من الصحابة والتابعين وماتت في شعبان سنة
خمس واربعين في خلافة معوية وقيل سنة احدى واربعين وهي ابنة ستين سنة وقيل
انها ماتت في خلافة عثمان وأما ام المؤمنين ام سلمة هند وقيل رملة والاول اصح وامها
عاتكة بنت عامر بن ربيعة وليست عاتكة بنت عبد المطلب فكانت قبل رسول الله صلى الله
عليه وسلم تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم ابي سلمة بن عبد الاسد وكانت مع
زوجها اول من هاجر الى ارض الحبشة فولدت له بها زينب وولدت له بعد ذلك سلمة
وعمر ودرة وقيل هي اول ظعينة دخلت المدينة مهاجرة وقيل غيرها ومات ابو سلمة
سنة اربع وقيل سنة ثلاث من الهجرة وكانت ام سلمة سمعته عليه الصلاة والسلام يقول
ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول اللهم اجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها الا اخلف الله له
خيرا منها قالت فلما مات ابو سلمة قلت اي المسلمين خير من ابي ثم اني قلتها فاخلف الله لي رسول
صلى الله عليه وسلم فارسل الي النبي صلى الله عليه وسلم حاطب بن ابي بلتعة يخطبني له
وفي رواية فخطبها ابو بكر فابت ثم ارسل اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت مرحبا
برسول الله صلى الله عليه وسلم ان في خلالا ثلاثا انا امراة شديدة الغيرة وانا امراة مصبية
وانا امراة ليس لي ههنا احد من اوليايي فيزوجني فغضب عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اشد مما غضب لنفسه حين ردته فاتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما ما ذكرت
من غيرتك فاني ادعو الله ان يذهبها عنك واما ما ذكرت من صبيتك فان الله سيكفيهم واما ما ذكرت

من اوليايك

من أوليايك فليس أحد من اوليايك يكرهني فقالت لابنها زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم
فزوجه قال صاحب السمط الثمين رواه بهذا السياق هدبة بن خالد وصاحب الصفوة وخرج
أحمد والنسايي طرفا منه ومعناه في الصحيح وفيه دلالة على ان الابن يلي العقد على امه وعندنا
انه لا يزوجها بالعصوبة لانه ابن ابن عمها لان ابا سلمة عبد الله بن عبد الاسد بن هلال بن عبد الله
وام سلمة هند بنت سهل بن المغيرة بن عبد الله ولم يكن من عصبتها احد حاضر غيره
وكانت ام سلمة من اجمل النسا تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليال بقين من شوال
من السنة التي مات فيها ابو سلمة وماتت سنة تسع وخمسين وقيل سنة اثنين وستين
والاول أصح ودفنت بالبقيع وصلى عليها ابو هريرة وقيل سعد بن زيد وكان عمرها أربعا
وثمانين سنة وام المؤمنين ام حبيبة رملة بنت ابي سفيان صخر بن حرب وقيل
اسمها هند والاول اصح وامها صفية بنت ابي العاص وكانت تحت عبد الله بن جحش وهاجر
بها الى ارض الحبشة الهجرة الثانية ثم تنصر وارتد عن الاسلام ومات هناك وثبتت ام
حبيبة على الاسلام واختلف في وقت نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم بها وموضع
العقد فقيل انه عقد عليها بارض الحبشة سنة ست لما بعث عمرو ابن امية الضمري الى
النجاشي ليخطبها عليه فزوجها اياه واصدقها عنه اربع مائة دينار وبعث بها اليه شرحبيل
ابن حسنة وروي ان النجاشي ارسل اليها جاريته ابرهة فقالت ان الملك يقول لك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كتب الي ان ازوجك وانها ارسلت الى خالد بن سعيد بن العاص فوكلته
واعطت ابرهة سوارين وخواتم من فضة سرورا بما بشرتها به فلما كان العشي امر النجاشي
جعفر بن ابي طالب ومن كان هناك من المسلمين فحضروا فخطب النجاشي فقال الحمد لله
الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا
عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون اما بعد
فقد أجبت الى ما دعى اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أصدقتها أربع مائة دينار
ذهبا ثم سكب الدنانير بين يدي القوم فتكلم خالد بن سعيد فقال الحمد لله أحمده
واستعينه واستغفره واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله
أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون اما بعد فقد أجبت
الى ما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجته ام حبيبة بنت ابي سفيان فبارك الله
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ودفع الدنانير الى خالد بن سعيد بن العاص فقبضها
ثم ارادوا ان يقوموا فقال اجلسوا فان سنة الانبيا اذا تزوجوا ان يوكل طعام التزويج
فدعا بطعام فاكلوا ثم تفرقوا اخرجه صاحب الصفوة كما قاله الطبري وكان ذلك في سنة سبع
من الهجرة قال ابو عمرو واختلف فيمن زوجها فروي انه سعيد بن العاص وروي عثمان
ابن عفان وهي ابنة عمته وذكر البيهقي ان الذي زوجها خالد بن سعيد بن العاص وهو ابن
عم ابيها لكن ان صح التاريخ المذكور فلا يصح ان يكون عثمان هو الذي زوجها فانه كان مقدمه
من الحبشة قبل وقعة بدر في السنة الثانية من الهجرة وكان ابو سفيان ابوها حال
نكاحها بمكة مشركا محاربا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قيل ان عقد النكاح عليها

كان بالمدينة بعد رجوعها من ارض الحبشة والمشهور الاول وماتت بالمدينة سنة اربع واربعين
وقيل سنة اثنين واربعين وأما ام المؤمنين زينب بنت جحش وامها اميمة بنت عبد
المطلب بن هاشم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجها من زيد بن حارثة فمكثت عنده ثم طلقها
كما سياتي في الخصايص ان شا الله تعالى فلما انقضت عدتها منه قال صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة
اذهب فاذكرني لها قال فذهبت فجعلت ظهري الى الباب فقلت يا زينب بعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم يذكرك فقالت ما كنت لاحدث شيا حتى او امر ربي عز وجل فقامت الى مسجدها فانزل الله
فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها فجا رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير اذن اخرجه
مسلم وقال المنافقون حرم محمد نسا الولد وقد تزوج امراة ابنه فانزل الله تعالى ما كان محمد
ابا احد من رجالكم الاية وكانت زينب تفتخر على ازواج النبي صلى الله عليه وسلم وتقول زوجكن
اباوكن وزوجني الله من فوق سبع سموات رواه الترمذي وصححه وكان اسمها برة فسماها
عليه الصلاة والسلام زينب وعن انس لما تزوج صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش دعا القوم
فطعموا ثم جلسوا يتحدثون فاذا هو صلى الله عليه وسلم يتهيا للقيام فلم يقوموا فلما راى ذلك
قام وقام من قام وقعد ثلاثة نفر فجا النبي صلى الله عليه وسلم ليدخل فاذا القوم جلوس ثم انهم
قاموا فانطلقت فجيت رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم انطلقوا فجا حتى دخل فذهبت ادخل
فالقى الحجاب بيني وبينه فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الاية وكان
تزويجها له صلى الله عليه وسلم في سنة خمس من الهجرة وقيل سنة ثلاث وهي اول من مات
من ازواجه بعده قالت عايشة في شانها ولم تكن امراة خيرا منها في الدين واتقى لله واصدق حديثا
واوصل للرحم واعظم صدقة واشد ابتذالا لنفسها في العمل الذي تتصدق به وتتقرب به الى الله
رواه مسلم وماتت بالمدينة سنة عشرين وقيل سنة احدى وعشرين ولها ثلاث وخمسون سنة
وصلى عليها عمر بن الخطاب وهي اول من جعل على جنازتها نعش وأما ام المؤمنين
زينب بنت خزيمة بن الحارث الهلالية وكانت تدعى في الجاهلية ام المساكين لاطعامها اياهم
وكانت تحت عبد الله بن جحش في قول ابن شهاب قتل عنها يوم احد فتزوجها رسول الله
صلى الله عليه وسلم سنة ثلاث ولم تلبث عنده الا شهرين او ثلاثة وتوفيت في حياته صلى الله
عليه وسلم وقيل مكثت عنده ثمانية اشهر ذكره الفضايلي وقيل كانت قبله عليه الصلاة والسلام
تحت الطفيل بن الحارث ثم خلف عليها اخوه عبيدة بن الحارث وقتل عنها يوم احد شهيدا
فخلف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والاول اصح وتوفيت في ربيع الاخر سنة اربع ودفنت
بالبقيع قال الطبري كذا ذكره الفضايلي وانما يكون هذا على ما حكاه ابو عمر فلا يصح اذ العقد
كان في سنة ثلاث ثم مدتها عنده صلى الله عليه وسلم شهران او ثلاثة فلا يصح ان تكون وفاتها
في ربيع الاخر انتهى فليتامل وأما ام المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية وامها هند
بنت عوف بن زهير بن الحارث بن حماطة بن حمير فتزوجها صلى الله عليه وسلم لما كان بمكة
معتمرا سنة سبع غزوة خيبر وكانت اختها ام الفضل لبابة الكبرى تحت العباس بن عبد
المطلب واختها لامها اسما بنت عميس تحت جعفر وسلمى بنت عميس تحت حمزة وكانت جعلت امرها
الى العباس فانكحها النبي صلى الله عليه وسلم وهو محرم فلما رجع بنى بها بسرف حلالا ذكره ابو عمر

وفي

ام المؤمنين جويرية

ام المؤمنين صفية

وفي الصحيح من افراد مسلم عنها انه صلى الله عليه وسلم تزوجها وهو حلال زاد البرقاني بعد قوله
تزوجها حلالا وبنى بها حلالا وماتت بسرف فيحتمل قوله وهو محرم اي داخل الحرم ويكون العقد
وقع بعد انقضاء العمرة ثم خرج منه الى سرف وابتنى بها فيه وهو على عشرة اميال من مكة
كذا قاله الطبري وسياتي في مقصد المعجزات في ذكر الخصايص مزيد بيان لذلك ان شا الله تعالى
وكانت ميمونة كانت عند ابي رهم بن عبد العزى ويقال بل عبد الله بن ابي رهم وقيل بل عند
حويطب بن عبد العزى وقيل فروة بن عبد العزى قال ابن اسحق ويقال انها وهبت نفسها
للنبي صلى الله عليه وسلم وذلك ان خطبته عليه الصلاة والسلام انتهت اليها وهي على بعيرها
فقالت البعير وما عليه لله ولرسوله وقيل انها الواهبة نفسها وتوفيت ميمونة بسرف في الموضع
الذي بنى بها فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك سنة احدى وخمسين وقيل ست
وستين وقيل ثلاث وستين وصلى عليها ابن عباس ودخل قبرها وأما ام المؤمنين
جويرية بنت الحارث بن ابي ضرار بكسر الضاد المعجمة وتخفيف الراء فكانت تحت مسافع
بالسين المهملة والفا ابن صفوان المصطلقي وكانت قد وقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس
الانصاري في غزوة المريسيع وهي غزوة المصطلق في سنة خمسين وقيل سنة ست
فكاتبته على نفسها ثم جات رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله انا جويرية
بنت الحارث وكان من امري ما لا يخفى عليك وقد وقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس واني
كاتبت نفسي فجيت اسالك في كتابي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل لك الى ما هو خير
قالت وما هو يا رسول الله قال اودي عنك كتابك واتزوجك قالت قد فعلت فتسامع الناس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج جويرية فارسلوا ما في ايديهم من السبي فاعتقوهم
فقالوا اصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عايشة فما رايت امراة كانت اعظم بركة على قومها
منها اعتق في سببها مائة اهل بيت من بني المصطلق خرجه ابو داود من حديث عايشة قال
ابن هشام ويقال اشتراها رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثابت بن قيس واعتقها
وتزوجها واصدقها اربع مائة درهم وعن ابن شهاب سبا رسول الله صلى الله عليه وسلم جويرية
بنت الحارث يوم المريسيع فحجبها وقسم لها وكانت ابنة عشرين سنة وكان اسمها برة فحوله
صلى الله عليه وسلم وسماها جويرية وقد تقدم مثل ذلك في زينب بنت جحش وتوفيت
وعمرها خمس وستون سنة في ربيع الاول سنة خمسين وقيل سنة ست وخمسين وأما
ام المؤمنين صفية بنت حيي بن اخطب بن سعية بفتح السين وسكون العين المهملتين
وبالياء المثناة التحتية ابن ثعلبة بن عبيد من بني اسرايل من سبط هرون بن عمران
عليه الصلاة والسلام وامها ضرة بفتح الضاد المعجمة وتشديد الراء بنت سموال بفتح السين
المهملة وفتح الميم وسكون الواو وفتح الهمزة وباللام فكانت تحت كنانة بن ابي الحقيق بضم الحاء
المهملة وفتح القاف الاولى وسكون المثناة التحتية فقتل يوم خيبر في المحرم سنة سبع
من الهجرة قال انس لما افتتح صلى الله عليه وسلم خيبر وجمع السبي جاءه دحية فقال
يا رسول الله اعطني جارية فقال اذهب فخذ جارية فاخذ صفية بنت حيي فجاء رجل الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اعطيت دحية صفية بنت حيي سيدة قريظة

والتعبير ما تسلخ الا لك قال ادعوها لجاء بها قال فلما نظر اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال خذ جارية من السبي غيرها قال واعتقها وتزوجها فقال له ثابت يا ابا حمزة ما اصدقها
قال نفسها اعتقها وتزوجها حتى اذا كان بالطريق جهزتها له ام سليم فاهدتها له من الليل فاصبح
صلى الله عليه وسلم عروسا فقال من كان عنده شيء فليجئ به قال فبسط نطعا فجعل الرجل يجيء
بالاقط وجعل الرجل يجيء بالتمر وجعل الرجل يجيء بالسمن فحاسوا حيسا فكانت وليمة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفي رواية فقال الناس لا ندري اتزوجها ام اتخذها ام ولد فقالوا
ان حجبها فهي امرأته وان لم يحجبها فهي ام ولد فلما اراد ان يركب حجبها وفي رواية فانطلقنا
حتى اذا رأينا جدر المدينة هششنا اليها فرفعنا مطايانا ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم
مطيته قال وصفية خلفه قد اردفها قال فعثرت مطية رسول الله صلى الله عليه وسلم
فصرع وصرعت قال فليس احد من الناس ينظر اليه واليها حتى قام رسول الله صلى الله عليه
وسلم فسترها قال فدخلنا المدينة فخرج جواري نسائه يتراءينها ويشمتن بصرعتها
رواه الشيخان وهذا لفظ مسلم وروي عن جابر انه صلى الله عليه وسلم اتي بصفية
يوم خيبر وانه قتل اباها واخاها وان بلالا مر بها على المقتولين وانه صلى الله عليه وسلم
خيرها بين ان يعتقها فترجع الى من بقي من اهلها او تسلم فيتخذها لنفسه فقالت اختار الله
ورسوله خرجه في الصفوة واخرج تمام في فوائده من حديث انس ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لها هل لك في قالت يا رسول الله لقد كنت اتمنى ذلك في الشرك فكيف اذا
امكنني منه في الاسلام اخرجه ابو حاتم من حديث ابن عمر ورأى صلى الله عليه وسلم
بعين صفية خضرة فقال ما هذه الخضرة فقالت كان رأسي في حجر ابن الحقيق وانا نائمة
فرأيت قمرا وقع في حجري فاخبرته بذلك فلطمني وقال تمنين ملك يثرب وبنى بها صلى الله
عليه وسلم بالصهباء وماتت في رمضان سنة خمسين في زمن معاوية وقيل غير ذلك
ودفنت بالبقيع فهؤلاء ازواجه اللاتي دخل بهن بلا خلاف في ذلك بين اهل السير والعلماء
بالاثر وقد ذكر انه صلى الله عليه وسلم تزوج نسوة غير من ذكر وجملتهن اثنتا عشرة امرأة
الاولى الواهبة نفسها له صلى الله عليه وسلم واختلفوا من هي فقيل ام شريك العزشية
العامرية واسمها غزية بضم الغين المعجمة وفتح الزاي وتشديد المثناة التحتية بنت جابر
ابن عوف من بني عامر بن لؤي وقيل بنت داود بن عوف وطلقها النبي صلى الله عليه وسلم
واختلف في دخوله بها وقيل هي ام شريك غزية الانصارية من بني النجار وفي الصفوة
هي ام شريك غزية بنت جابر الدوسية والاكثرون على انها التي وهبت نفسها للنبي صلى الله
عليه وسلم فلم يقبلها فلم تتزوج حتى ماتت ذكره ابن قتيبة في المعارف عن ابي اليقظان
ان الواهبة نفسها له خولة بنت حكيم السلمية ويجوز ان يكونا وهبتا انفسهما من غير تضاد وقال
عروة ابن الزبير كانت خولة بنت حكيم من اللاتي وهبن انفسهن للنبي صلى الله عليه وسلم
فقالت عائشة اما تستحي المرأة ان تهب نفسها للرجل فلما نزلت ترجي من تشاء منهن قالت
عائشة يا رسول الله ما ارى ربك الا يسارع لك في هواك وروى الشيخان وهذه خولة
هي زوجة عثمان بن مظعون ولعل ذلك وقع منها قبل عثمان الثانية خولة بنت الهذيل

ابن هبيرة تزوجها صلى الله عليه وسلم فهلكت قبل ان تصل اليه الثالثة عمرة بنت يزيد
ابن الجون بفتح الجيم الكلابية وقيل عمرة بنت يزيد بن عبيد بن اوس بن كلاب الكلابية
قال ابو عمر وهذا اصح تزوجها صلى الله عليه وسلم فتعوذت منه حين ادخلت عليه فقال
لقد عذت بمعاذ فطلقها وامر اسامة فمتعها بثلاثة اثواب قال ابو عمر هكذا روي عن عائشة
وقال قتادة كان ذلك في امرأة من سليم وقال ابو عبيدة انما ذلك لاسما بنت النعمان
ابن الجون هكذا ذكره ابن قتيبة والشيباني وقال في عمرة هذه ان اباها وصفها له صلى الله عليه
وسلم ثم قال وازيدك انها لم تمرض قط فقال عليه الصلاة والسلام ما لهذه عند الله من خير
وطلقها الرابعة اسما بنت النعمان بن الجون بفتح الجيم بن الحارث الكندية وهي الجونية
اجمعوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجها واختلفوا في سبب فراقه لها فقال قتادة
وابو عبيدة انه صلى الله عليه وسلم لما دعاها قالت تعالى انت وابت ان تجيء وقال بعضهم
قالت اعوذ بالله منك فقال لقد عذت بمعاذ وقد اعاذك الله مني وقيل انه نساءه صلى الله عليه
وسلم علمنها ذلك فانها كانت من اجمل النساء فخفن ان تغلبهن عليه فقلن لها انه يحب اذا دنا
منك ان تقولي اعوذ بالله منك فقال لقد عذت بمعاذ وطلقها ثم سرحها الى اهلها وكانت تسمي
نفسها الشقية وقال الجرجاني قلن لها ان اردت ان تحظي عنده فتعوذي بالله منه
فقالت ذلك فولى وجهه عنها وقيل المتعوذة غيرها قال ابو عبيدة يجوز ان يكون تعوذ
وقال آخرون كان باسما وضح فقال لها الحقي باهلك وقد قيل في ان اسمها اميمة
وقيل امامة الخامسة مليكة بنت كعب الليثية قال بعضهم هي التي استعاذت من النبي
صلى الله عليه وسلم وقيل دخل بها وماتت عنده والاول اصح ومنهم من ينكر ذلك الى تزويجه
بها اصلا السادسة فاطمة بنت الضحاك بن سفيان الكلابية تزوجها بعد وفاة ابنته
زينب وخيرها حين نزلت اية التخيير فاختارت الدنيا ففارقها عليه الصلاة والسلام
فكانت بعد ذلك تلتقط البعر وتقول انا الشقية اخترت الدنيا هكذا رواه ابن اسحق لكن قال
ابو عمر هذا عندنا غير صحيح لان ابن شهاب يروي عن عروة عن عائشة انه صلى الله عليه
وسلم حين خير ازواجه بدأ بها فاختارت الله ورسوله وتابع ازواج النبي صلى الله عليه
وسلم عند التخيير تسعة نسوة وهن اللاتي توفي عنهن وقيل انه عليه الصلاة والسلام
تزوجها سنة ثمان وقيل ان اباها قال انها لم تصدع قط فقال عليه الصلاة والسلام لا حاجة
لي بها السابعة عالية بنت ظبيان بن عمرو بن عوف تزوجها عليه الصلاة والسلام
وكانت عنده ما شاء الله ثم طلقها وقد مر ذكرها وقال ابو سعيد طلقها حين ادخلت عليه
صلى الله عليه وسلم الثامنة قتيلة بضم القاف وفتح المثناة الفوقية والمثناة التحتية
بنت قيس اخت الاشعث بن قيس الكندي زوجه اياها اخوها في سنة عشر ثم انصرف
الى حضرموت فحملها فقبض صلى الله عليه وسلم سنة احدى عشرة قبل قدومها
عليه وقيل تزوجها عليه الصلاة والسلام قبل وفاته بشهرين وقال قائلون ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اوصى بان تخير فان شاءت ضرب عليها الحجاب وكانت من امهات المؤمنين
وان شاءت الفراق فلتنكح من شاءت فاختارت النكاح فتزوجها عكرمة بن ابي جهل بحضرموت

فبلغ ذلك ابا بكر فقال هممت أن أحرق عليها بيتها فقال له عمر رضي الله عنهما ما هي من امهات
المؤمنين وما دخل بها صلى الله عليه وسلم ولا ضرب عليها الحجاب وقال بعضهم لم يوص فيها
صلى الله عليه وسلم ولا ضرب عليها الحجاب عليه الصلاة والسلام بشيء ولكنها ارتدت حين ارتد
أخوها وبذلك احتج عمر على ابي بكر رضي الله عنهما انها ليست من امهات المؤمنين بارتدادها
التاسعة سبا بنت أسماء بن الصلت السلمية تزوجها عليه الصلاة والسلام وماتت قبل
ان يدخل بها وعند ابن اسحق طلقها قبل ان يدخل بها **العاشرة** شراف بفتح الشين المعجمة
وتخفيف الراء بالفاء بنت خليفة الكلبية اخت دحية الكلبي وتزوجها صلى الله عليه وسلم
فماتت قبل دخوله عليه الصلاة والسلام بها **الحادية عشر** ليلى بنت الخطيم بفتح الخاء المعجمة
وكسر الطاء المهملة اخت قيس تزوجها صلى الله عليه وسلم وكانت غيورا فاستقالته فاقالها
فاكلها الذيب **و**قيل هي التي وهبت نفسها له صلى الله عليه وسلم **الثانية عشر** امراة من غفار
تزوجها صلى الله عليه وسلم فأمرها فنزعت ثيابها فرأى بكشحها بياضا فقال الحقي باهلك
ولم يأخذ مما آتاها شيئا خرجه احمد **فهؤلاء** جملة من ذكر من ازواجه صلى الله عليه وسلم ومن
وفارقهن في حياته بعضهن قبل الدخول وبعضهن بعد ما ذكرناه فيكون جملة من عقد عليهن
ثلاثا وعشرين امراة دخل ببعضهن دون بعض ومات عنده منهن بعد الدخول خديجة وزينب
بنت خزيمة وماتت عنهن قبل الدخول اثنتان اخت دحية وبنت الهذيل باتفاق **و**اختلف
في مليكة وسنا هل ماتتا او طلقهما مع الاتفاق على انه صلى الله عليه وسلم لم يدخل بهما وفارق
بعد الدخول باتفاق بنت الضحاك وبنت ظبيان وقتيلة باتفاق عمره واسماء الغفارية **و**اختلف
في ام شريك هل دخل بها مع الاتفاق على الفرقة والمستقيلة التي جهل حالها والمفارقات باتفاق
سبع واثنتان على خلف والميتات في حياته باتفاق أربع ومات صلى الله عليه وسلم عن عشرة
واحدة لم يدخل بها **و**روي انه صلى الله عليه وسلم **عدة نسوة الاولى منهن**
امراة من بني مرة بن عوف بن سعد خطبها صلى الله عليه وسلم الى ابيها فقال ان بها برصا
وهو كاذب فرجع فرجع البرص بها ويقال ان ابنها سبب بن البرصا بن الحارث بن عوف ذكره ابن
قتيبة كما قاله الطبري **و**عند ابن الاثير في جامع الاصول جمرة بنت الحارث بن عوف خطبها
صلى الله عليه وسلم فقال ابوها ان بها سوادا ولم يكن بها شيء فرجع اليها ابوها وقد برصت
قال وهي ام شبيب بن البرصا الشاعر **الثانية** امراة قرشية يقال لها سودة خطبها
صلى الله عليه وسلم وكانت مصبية فقالت اخاف ان تضغو صبيتي اي يصيحوا ويبكوا عند راسك
فدعا لها وتركها **الثالثة** صفية بنت بشامة بفتح الموحدة وتخفيف الشين المعجمة كان اصابها
في سبي فخيرها بين نفسه الكريمة وبين زوجها فاختارت زوجها **الرابعة** ولم يذكر اسمها
قيل انه صلى الله عليه وسلم خطبها فقالت استأمر ابي فلقيت اباها فاذن لها فعادت الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال لها قد التحفنا لحافا غيرك **الخامسة** ام هانئ فاختة بنت ابي طالب
اخت علي خطبها صلى الله عليه وسلم فقالت اني امراة مصبية فاعتذرت اليه فعذرها
السادسة ضباعة بضم الضاد المعجمة وتخفيف الموحدة وبالعين المهملة بنت عامر
ابن قرط بضم القاف وسكون الراء والطاء المهملة خطبها صلى الله عليه وسلم الى ابيها سلمة

ابن عائشة

ابن هشام فقال حتى استأمرها فقيل للنبي صلى الله عليه وسلم انها قد كبرت فلما عاد ابوها وقد اذنت
سكت عنها صلى الله عليه وسلم فلم ينكحها **السابعة** امامة بنت حمزة بن عبد المطلب عرضت
عليه صلى الله عليه وسلم فقال هي ابنة أخي من الرضاعة **الثامنة** عزة بنت ابي سفيان
عرضتها اختها ام حبيبة عليه صلى الله عليه وسلم فقال انها لا تحل لي لمكان اختها ام حبيبة
تحت النبي صلى الله عليه وسلم **و**قيل **التاسعة** تزوج الجندعية بضم الجيم وسكون النون وضم
الدال وبالعين المهملة امراة من جندع وهي ابنة جندب بن ضمرة ولم يدخل بها وانكره بعض
الرواة **فهؤلاء** اللاتي ذكر انه صلى الله عليه وسلم تزوجهن او خطبهن او دخل بهن او لم يدخل بهن
او عرضن عليه **وأما سراريه** فقيل انهن أربعة **مارية** القبطية بنت شمعون
بفتح الشين المعجمة اهداها له المقوقس القبطي صاحب مصر والاسكندرية واهدى معها اختها
شيرين بكسر الشين المهملة وسكون المثناة التحتية وكسر الراء وبالنون اخرها ويقال له
مابورا الخصي والف مثقال ذهبا وعشرين ثوبا لينا من قباطي مصر وبغلة شهباء وهي دلدل وحمارا
أشهب وهو وهو عفير ويقال يعفور وعسلا من عسل بنها فاعجب النبي صلى الله عليه وسلم
العسل ودعا في عسل بنها بالبركة قال ابن الاثير بنها بكسر الباء وسكون النون قرية من قرى
مصر بارك النبي صلى الله عليه وسلم في عسلها والناس اليوم يفتحون الباء انتهى ووهب
صلى الله عليه وسلم سيرين لحسان بن ثابت وهي ام عبد الرحمن بن حسان ومارية هي ام
ابرهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم وماتت في خلافة عمر سنة ست عشرة ودفنت
بالبقيع **و**ريحانة بنت شمعون من بني قريظة وقيل من بني النضير والاول اظهر وماتت
قبل وفاته عليه الصلاة والسلام مرجعه من حجة الوداع سنة عشر ودفنت بالبقيع
وكان عليه الصلاة والسلام وطيها بملك اليمين وقيل اعتقها وتزوجها ولم يذكر ابن الاثير
غيره **و**اخرى وهبتها له زينب بنت جحش **الرابعة** اصابها في بعض السبي خرجه
الفصل الرابع في اعمامه وعماته واخوته من الرضاعة **قال** صاحب ذخائر
العقبى في مناقب ذوي القربى كان له صلى الله عليه وسلم اثنا عشر عما بنو عبد المطلب ابو عبد المطلب
ثالث عشرهم الحارث وابو طالب واسمه عبد مناف والزبير ويكنى ابا الحارث وحمزة وابو لهب
واسمه عبد العزى والغيداق والمقوم وضرار والعباس وقثم وعبد الكعبة وحجل بتقديم الجيم
وهو السقا الضخم وقال الدارقطني بتقديم الحاء وهو القيد والخلخال ويسمى المغيرة **و**قيل
كانوا احد عشر فاسقط المقوم وقيل هو عبد الكعبة **و**قيل عشرة فاسقط الغيداق وحجلا
وقيل تسعة فاسقط قثم **فاما حمزة** فامه هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة **و**يكنى
ابا عمارة وابا يعلى كنيتان له بابنيه عمارة ويعلى وفي معجم البغوي انه صلى الله عليه وسلم
قال والذي نفسي بيده انه لمكتوب عند الله عز وجل في السماء السابعة حمزة اسد الله واسد
رسوله **و**كان اسلامه في السنة الثانية من المبعث وقيل في السادسة بعد دخوله
عليه السلام دار الارقم وقيل قبل اسلام عمر بثلاثة ايام **و**شهد بدرا وقتل بها عتبة
ابن ربيعة مبارزة قاله موسى بن عقبة **و**قيل بل قتل شيبة بن ربيعة مبارزة قاله
ابن اسحق **و**اول راية عقدها عليه السلام لاحد من المسلمين كانت لحمزة واول سرية بعثها

وأما سراريه صلى الله عليه وسلم

الفصل الرابع في أعمامه وعماته وإخوته من الرضاعة

وقال عليه الصلاة والسلام خير اعمامي حمزة رواه الحافظ الدمشقي و روى ابن السري مرفوعا
سيد الشهداء يوم القيامة حمزة بن عبد المطلب وذكر السلفي عن بريدة في قوله تعالى يا ايتها
النفس المطمئنة قال حمزة بن عبد المطلب وعن ابن عباس فمنهم من قضى نحبه قال حمزة
واستشهد في وقعة احد قتله وحشي وعن سعيد بن المسيب كان يقول كنت اعجب
لقاتل حمزة كيف ينجو حتى انه مات غرقا في الخمر رواه الدارقطني على شرط الشيخين وقال
ابن هشام بلغني ان وحشيا لم يزل يحد في الخمر حتى خلع من الديوان فكان عمر يقول لقد علمت
ان الله لم يكن ليدع قاتل حمزة ولما راى النبي صلى الله عليه وسلم حمزة قتيلا بكا فلما راى
ما مثل به شهق وعن ابي هريرة وقف عليه السلام على حمزة وقد قتل ومثل به فلم ير منظرا
كان اوجع لقلبه منه رواه ابو عمرو المخلص وصاحب الصفوة وعند ابن هشام انه عليه
السلام قال لن اصاب بمثلك ابدا ما وقفت موقفا اغيظ لي من هذا وعند ابن شاذان
من حديث ابن مسعود ما رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم باكيا قط اشد من بكائه
على حمزة بن عبد المطلب وضعه في القبلة ثم وقف على جنازته وانتحب حتى نشغ من البكاء
يقول يا حمزة يا عم رسول الله واسد الله واسد رسوله يا حمزة يا فاعل الخيرات يا حمزة يا كاشف الكربات
يا حمزة يا ذاب عن وجه رسول الله و الشيخ الشهيد حتى يبلغ به الغشي وكان صلى الله عليه
وسلم اذا صلى على جنازة كبر عليها اربعا وكبر على حمزة سبعين تكبيرة رواه البغوي في معجمه
وقد روى انس بن مالك ان شهداء احد لم يغسلوا ودفنوا بدمائهم ولم يصل عليهم خرجه
احمد وابو داود فيحمل امر حمزة على التخصيص ومن صلى عليه غيره على انه خرج حال الحرب
ولم يمت حتى انقضت الحرب وكان سن حمزة يوم قتل نيفا وخمسين سنة و دفن هو
وابن اخته عبد الله بن جحش في قبر واحد واما العباس فكنيته ابو الفضل وامه نثلة
ويقال نتيلة بنت خباب بن كلب بن النمر بن قاسط ويقال انها اول عربية كست البيت الحرام
الديباج واصناف الكسوة لان العباس ضل وهو صبي فنذرت ان وجدته ان تكسو البيت
وكان العباس جميلا وسيما ابيض له ضفيرتان معتدلا وقيل كان طوالا وولد قبل الفيل
بثلاث سنين وكان اسن من النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين او ثلاث وكان رئيسا
في قريش واليه عمارة المسجد الحرام كان مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم العقبة يعقد له
البيعة على الانصار وكان عليه السلام يثق به في امره كله ولما شدوا وثاقه في اسرى بدر
سهر عليه السلام تلك الليلة فقيل ما اسهرك يا رسول الله قال لانين العباس فقام رجل فارخى
من وثاقه وفعل ذلك بالاسارى كلهم ذكره ابو عمر وصاحب الصفوة وقيل كان يكتم اسلامه
وخرج مع المشركين يوم بدر فقال صلى الله عليه وسلم من لقي العباس فلا يقتله فانه خرج
مستكرها فاسره كعب بن عمرو ففادى نفسه ورجع الى مكة وقيل انه اسلم يوم بدر
ثم اقبل الى المدينة مهاجرا فاستقبل النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح بالابواء وكان معه
في فتح مكة وبه ختمت الهجرة وقال ابو عمر اسلم قبل فتح خيبر وكان يكتم اسلامه ويسره
ما يفتح الله على المسلمين واظهر اسلامه يوم فتح مكة وشهد حنينا والطائف وتبوك ويقال
ان اسلامه كان قبل بدر وكان يكتب باخبار المشركين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان

المسلمون بمكة يثقون به وكان يحب القدوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب اليه صلى الله
عليه وسلم ان مقامك بمكة خير لك وذكر السهمي في الفضائل ان ابا رافع لما بشر النبي صلى
عليه وسلم باسلام العباس اعتقه وكان عليه السلام يكرم العباس بعد اسلامه ويعظمه
ووصفه عليه السلام فقال اجود الناس كفا واحناه عليهم رواه الفضائلي وفي معجم البغوي
العباس عمي وصنو ابي من اذاه فقد اذاني وفي الترمذي نحوه وقال حسن صحيح وذكر السهمي
في الفضائل ان العباس اتى النبي صلى الله عليه وسلم فلما راه قام اليه وقبل ما بين عينيه
ثم اقعده عن يمينه ثم قال هذا عمي فمن شاء فليباه بعمه فقال العباس نعم القول يا رسول الله
قال ولم لا اقول هذا انت عمي وصنو ابي وبقية ابائي ووارثي وخير من اخلف من اهلي وقال
له عليه السلام يا عم لا تبرح منزلك انت وبنوك غدا حتى اتيكم فان لي فيكم حاجة فلما اتاهم اشتمل
عليهم بملاءته ثم قال يا رب هذا عمي وصنو ابي وهؤلاء اهل بيتي فاسترهم من النار كستري
اياهم بملاءتي هذه قال فامنت اسكفة الباب وحوائط البيت فقالت امين امين امين رواه ابن علان
والسهمي و رواه ابن السري وفيه فما بقي في البيت مدرة ولا باب الا امن و رواه الترمذي
من حديث ابن عباس بلفظ فالبسنا كساه ثم قال اللهم اغفر للعباس وولده مغفرة ظاهرة
وباطنة لا تغادر ذنبا اللهم احفظه في ولده وقال حسن غريب و عند ابن عبد الباقي من حديث
ابي هريرة اللهم اغفر للعباس ولولد العباس ولمن احبهم وروى البغوي انه عليه السلام
قال له كذلك يا عم من الله الرضى حتى ترضى و روى السهمي في الفضائل انه عليه السلام قال
يا عباس ان الله عز وجل غير معذبك ولا احد من ولدك و في المناقب للامام احمد ان العباس
قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فقال انظر هل ترى في السماء نجما قلت نعم
قال ما ترى قلت الثريا قال اما انه يلي هذه الامة بعددها من صلبك و روى السهمي من حديث
ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قال له الا ابشرك يا عم قال بلى بابي انت وامي فقال عليه السلام
ان من ذريتك الاصفيا ومن عترتك الخلفا و من حديث ابي هريرة فيكم النبوة والمملكة و من
حديث ابن عباس عن ابيه هذا عمي ابو الخلفا اجود قريش كفا واجملها وان من ولده السفاح والمنصور
والمهدي و ذكر ابن حسان والملا من حديث ابن عباس انه عليه السلام قال يا ابا بكر هذا العباس
قد اقبل وعليه ثياب بيض وسيلبس ولده من بعده السواد و عن جابر بن عبد الله قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليكونن في ولده يعني العباس ملوك يكونون امرا
امتي يعز الله بهم الدين قال الحافظ ابو الحسن الدارقطني هذا حديث غريب من حديث
عمرو بن دينار عن جابر خرجه الاصفهاني و توفي العباس رضي الله عنه في خلافة عثمان
قبل مقتله بسنتين في المدينة يوم الجمعة لاثنتي عشرة وقيل لاربع عشرة خلت من رجب
وقيل من رمضان سنة اثنتين وقيل ثلاث وثلاثين وهو ابن ثمان وثمانين سنة وقيل
سبع وثمانين سنة ادرك منها في الاسلام اثنتين وثلاثين سنة ودفن بالبقيع ودخل قبره
ابنه عبد الله وكان عظيما جليلا وكان يسمى ترجمان القرآن وهو ابو الخلفاء ويروى ان امه
ام الفضل لما وضعته اتت به النبي صلى الله عليه وسلم فاذن في اذنه اليمنى واقام في اليسرى
وقال اذهبي بابي الخلفاء رواه ابن حبان وغيره وقد ملأ عقبه الارض حتى قيل انهم بلغوا

في زمن المامون سنة ماية الف كما استبعد فالله اعلم **وكان** العباس اصغر اعمامه عليه السلام ولم يسلم منهم الا هو وحمزة واسنهم الحارث واما عماته صلى الله عليه وسلم بنات عبد المطلب بن هاشم فجملتهن ست عاتكة واميمة والبيضا وهي ام حكيم وبرة وصفية واروى ولم يسلم منهن الا صفية ام الزبير بلا خلف واختلف في اروى وعاتكة فذهب ابو جعفر العقيلي الى اسلامهما وعدهما في الصحابة وذكر الدارقطني عاتكة في جملة الاخوة والاخوات ولم يذكر اروى واما ابن اسحق فذكر انه لم يسلم منهن غير صفية **فاما صفية** فاسلمت باتفاق كما ذكرته وشهدت الخندق وقتلت رجلا من اليهود وضرب لها عليه الصلاة والسلام بسهم وامها هالة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة شقيقة حمزة والمقوم وحجل وكانت في الجاهلية تحت الحارث بن حرب بن امية بن عبد شمس ثم هلك فخلف عليها العوام ابن خويلد اخو خديجة ام المؤمنين فولدت له الزبير والسايب وعبد الكعبة وتوفيت بالمدينة في خلافة عمر رضي الله عنه سنة عشرين ولها ثلاث وسبعون سنة ودفنت بالبقيع **واما عاتكة** المختلف في اسلامها فامها فاطمة بنت عمرو بن عايذ فتكون شقيقة عبد الله ابي النبي صلى الله عليه وسلم وابي طالب والزبير وعبد الكعبة وهي صاحبة الرؤيا في قصة بدر **واما اروى** المختلف ايضا في اسلامها فامها صفية بنت جندب فهي شقيقة الحرث بن عبد المطلب وكانت تحت عمير بن وهب بن عبد قصي فولدت له طليبا ثم خلف عليها كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي واسلم طليب وكان سببا في اسلام امه كما ذكره الواقدي **واما ام حكيم** البيضا فهي شقيقة عبد الله ابي النبي صلى الله عليه وسلم **واما برة** فامها فاطمة ايضا وكانت عند ابي رهم بن عبد العزى العامري ثم خلف عليها عبد الاسد بن هلال المخزومي فولدت له ابا سلمة بن عبد الاسد الذي كانت عنده ام سلمة قبل النبي صلى الله عليه وسلم **واما اميمة** فامها وكانت تحت جحش بن رياب فولدت له عبد الله وعبيد الله وابا احمد وزينب وام حبيبة وحمنة اولاد جحش بن رياب **واما جداته عليه السلام** من ابيه فام عبد الله ابيه هي فاطمة بنت عمرو بن عايذ بن عمرو بن مخزوم **وام** عبد المطلب سلمى ابنة عمرو من بني النجار وكانت قبل هاشم تحت احيحة بن الجلاح فولدت له عمرو بن احيحة وهو اخو عبد المطلب لامه **وام** هاشم هي عاتكة بنت مرة ابن هلال بن فالج بن ذكوان من بني سليم **وام عبد مناف** عاتكة بنت فالج بن مليك ابن ذكوان من بني سليم **وام قصي** فاطمة بنت سعد من ازد السراة **وام كلاب** نعم بنت سرير بن ثعلبة بن مالك بن كنانة **وام مرة** وحشية بنت شيبان بن محارب من فهم **وام كعب** سلمى بنت محارب من فهم **وام لؤي** وحشية بنت مدلج بن مرة بن عبد مناف ابن كنانة **وام غالب** سلمى بنت سعد بن هذيل **وام فهر** جندلة ابنة الحرث الجرهمي **وام مالك** هند بنت عدوان بن عمرو بن قيس بن غيلان **وام النضر** برة بنت مرة اخت تميم بن مرة ذكره ابن قتيبة في كتاب المعارف كما حكاه الطبري عنه **وقال** فالجدة الاولى مخزومية والثانية نجارية والثالثة سلمية والرابعة سلمية ايضا وقيل خزاعية والخامسة ازدية والسادسة كنانية والسابعة فهمية والثامنة

فهمية ايضا

بيان

فهمية ايضا او فهرية الخط في الاصل يوهم والتاسعة كنانية والعاشرة هذلية والحادي عشر جرهمية والثانية عشر قيسية والثالثة عشر مرية **واما جداته عليه السلام من امه** فام **امنة** بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب **برة** بنت عبد العزى بن قصي ابن كلاب بن مرة **وام ابيها وهب** عاتكة بنت الاوقص بن مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان من بني سليم ذكره ابن قتيبة وقال ابو عمر ويعرف ابوها بابي كبشة الذي كان ينسب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقال ابن ابي كبشة وينسب اليه لانه كان يعبد الشعرى ولم يكن احد من العرب يعبدها غيره فلما جاءهم عليه السلام بخلاف ما كانت عليه العرب قالوا هذا ابن ابي كبشة ولم يقصدوا ذمه عليه السلام بذلك وقيل بل نسب الى وهب ابي امه كان يدعى بها وقيل كان يدعى بها ابوه من الرضاعة الحارث بن عبد العزى زوج حليمة فنسب اليه **وام برة** هي ام حبيب قاله ابن قتيبة وقال ابو سعد ام سفيان بنت اسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة **وام ام حبيبة** هي **برة** بنت عوف بن عبيد بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب **وام برة** بنت عوف **قلابة** بنت الحرث بن صعصعة بن عايذ بن لحيان من هذيل **وام قلابة** هند بنت يربوع من ثقيف قاله ابن قتيبة وقال ابن سعد انها بنت مالك بن عثمان من بني لحيان **فالجدة** الاولى والثانية والثالثة من امهات امه عليه السلام قرشيات وام ابي امه سلمية والرابعة لحيانية هذلية والخامسة ثقفية ففي كل قبيلة من قبايل العرب له عليه السلام علقة نسب **واما اخوته عليه السلام** من الرضاعة فحمزة وابو سلمة بن عبد الاسد ارضعتهما معه صلى الله عليه وسلم ثويبة جارية ابي لهب بلبن ابنها مسروح بن ثويبة وابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب ارضعته ورسول الله صلى الله عليه وسلم حليمة السعدية وعبد الله وانيسة وحذافة وتعرف بالشيما الثلاثة اولاد حليمة وقد روي ان خيلا له عليه السلام اغارت على هوازن فاخذوها في جملة السبي فقالت انا اخت صاحبكم فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت له يا محمد انا اختك فرحب بها وبسط لها رداءه واجلسها عليه ودمعت عيناه وقال لها عليه السلام ان احببت فاقيمي عندي مكرمة محببة وان احببت ان ترجعي الى قومك وصلتك قالت بل ارجع الى قومي فاسلمت واعطاها صلى الله عليه وسلم ثلاثة اعبد وجارية ونعما وشا ذكره ابو عمر وابن قتيبة **واما امه من الرضاع** فحليمة بنت ابي ذويب من هوازن وهي التي ارضعته حتى اكملت رضاعه وجاءته عليه السلام يوم حنين فقام اليها وبسط رداءه لها فجلست عليه وكذا ثويبة جارية ابي لهب ايضا واختلف في اسلامها كما اختلف في اسلام حليمة وزوجها فالله اعلم وكانت ثويبة تدخل عليه صلى الله عليه وسلم بعد ان تزوج خديجة فكانت تكرمها واعتقها ابو لهب وكان عليه السلام يبعث اليها من المدينة بكسوة وصلة حتى ماتت بعد فتح خيبر ذكره ابو عمر **وكانت حاضنته** عليه السلام ام ايمن بركة بنت ثعلبة بن حصن ابن مالك غلبت عليها كنيتها وكنيت باسم ابنها ايمن الحبشي وهي ام اسامة بن زيد تزوجها زيد بعد عبيد فولدت له اسامة ويقال انها مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجرت الهجرتين الى ارض الحبشة والى المدينة وكانت لعبد الله بن عبد المطلب فورثها النبي صلى الله

عليه وسلم وقيل كانت لامه عليه السلام يقول ام ايمن امي بعد امي
وكانت الشيما بنت حليمة السعدية تحضنه ايضا مع امها حليمة السعدية الفصل الخامس
في خدمه وحرسه ومواليه ومن كان على نفقاته وخاتمه ونعله
وسواكه ومن كان ياذن عليه ومن كان يضرب الاعناق بين يديه
اما خدمه فمنهم انس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد الانصاري الخزرجي يكنى ابا حمزة خدم النبي
صلى الله عليه وسلم تسع سنين او عشر سنين ودعا له صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اكثر ماله
وولده وادخله الجنة وقال ابو هريرة ما رايت احدا اشبه صلاة برسول الله صلى الله عليه
وسلم منه وتوفي في سنة ثلاث وتسعين وقيل سنة اثنين وقيل سنة احدى وتسعين وقد
جاوز المائة ومنهم ربيعة بن كعب الاسلمي صاحب وضوئه وتوفي سنة ثلاث وستين
ومنهم ايمن بن ام ايمن صاحب مطهرته عليه السلام استشهد يوم حنين ومنهم عبد الله
ابن مسعود بن غافل بالمعجمة والفاء بن حبيب الهذلي احد السابقين الاولين شهد بدرا والمشاهد
وكان صاحب الوسادة والسواك والنعلين والطهور كان يلي ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم
وكان اذا قام النبي صلى الله عليه وسلم البسه نعليه واذا جلس جعلهما في ذراعيه حتى يقوم وتوفي
بالمدينة وقيل بالكوفة سنة اثنين وثلاثين وقيل سنة ثلاث ومنهم عقبة بن عامر بن عبس
ابن عمرو الجهني وكان صاحب بغلته يقود به عليه السلام في الاسفار روينا عنه انه قال
بينا اقود برسول الله صلى الله عليه وسلم في نقب من تلك النقاب اذ قال لي رسول الله صلى الله
عليه وسلم اركب يا عقبة قال فاجللت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اركب مركبه ثم
اشفقت ان يكون معصية قال فركبت هنيهة ثم نزلت ثم ركب النبي صلى الله عليه وسلم
وقدت فقال لي يا عقبة الا اعلمك من خير سورتين قراهما الناس فقلت بلى بابي انت وامي
يا رسول الله فقال قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس الحديث وكان عقبة عالما بكتاب الله
وبالفرائض فصيحا شاعرا مفوها ولي مصر لمعوية سنة اربع واربعين ثم صرفه بمسلمة
ابن مخلد وتوفي بها سنة ثمان وخمسين ومنهم اسلع بن شريك صاحب راحلته ومنهم
سعد مولى ابي بكر وقيل سعيد ولم يثبت وروى عنه ابن ماجة ومنهم ابو ذر جندب بن جنادة
الغفاري اسلم قديما وتوفي بالربذة سنة احدى وثلاثين وصلى عليه عبد الله بن مسعود ثم مات
بعده في ذلك اليوم قاله ابن الاثير في معرفة الصحابة وفي التقريب للحافظ ابن حجر سنة اثنين
وثلاثين ومنهم مهاجر مولى ام سلمة ومنهم حنين والد عبد الله مولى ابن عباس كان يخدم
النبي صلى الله عليه وسلم ثم وهبه لعمه العباس ومنهم نعيم بن ربيعة الاسلمي ومنهم
ابو الحمراء مولاه صلى الله عليه وسلم وخادمه واسمه هلال بن الحرث او ابن ظفر نزل
حمص توفي ومنهم ابو السمح خادمه عليه السلام واسمه اياد ومن النساء بركة ام
ايمن الحبشية وهي والدة اسامة بن زيد ماتت في خلافة عثمان رضي الله عنه وخولة
جدة حفص وسلمى ام رافع زوج ابي رافع وميمونة بنت سعد وام عياش
مولاة رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم وكان يضرب الاعناق بين يديه
علي بن ابي طالب والزبير بن العوام والمقداد بن عمرو ومحمد بن مسلمة وعاصم

من النساء

ابن ثابت

ابن ثابت بن ابي الافلح والضحاك بن سفيان وكان قيس بن سعد بن عبادة بين يديه عليه الصلاة
بمنزلة صاحب الشرطة وكان بلال على نفقاته ومعيقيب بن ابي فاطمة الدوسي على خاتمه وابن
مسعود على سواكه ونعله كما تقدم وابو رافع واسمه اسلم وقيل غير ذلك سلمى كان على ثقله
واذن عليه في المشربة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه رباح النوبي واما حراسه فمنهم سعد بن معاذ
ابن النعمان بن امرئ القيس سيد الاوس اسلم بين العقبتين على يدي مصعب بن عمير وشهد
بدرا واحدا والخندق فرمي فيه بسهم فعاش شهرا ثم انتقض جرحه فمات حرس النبي صلى الله
عليه وسلم يوم بدر حين نام في العريش ومنهم محمد بن مسلمة الانصاري حرسه يوم احد ومنهم
الزبير بن العوام حرسه يوم الخندق ومنهم بلال اسلم قديما وعذب في الله وسكن الشام اخيرا
ولا عقب له وياتي وفاته ان شاء الله تعالى وكان يحرس النبي صلى الله عليه وسلم بوادي القرى وكان
ابو بكر الصديق يوم بدر في العريش شاهرا سيفه على راسه صلى الله عليه وسلم لئلا يصل اليه
احد من المشركين رواه ابن السماك في الموافقة ووقف المغيرة بن شعبة على راسه بالسيف
يوم الحديبية وكان يحرسه عليه السلام ايضا عباد بن بشر فلما نزل والله يعصمك من الناس ترك
ذلك واما مواليه صلى الله عليه وسلم فمنهم اسامة وابوه زيد بن حارثة حب رسول الله
صلى الله عليه وسلم اعتقه وزوجه مولاته ام ايمن واسمها بركة فولدت له اسامة وكان زيد
قد اسر في الجاهلية فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة رضي الله عنها فاستوهبه رسول الله
صلى الله عليه وسلم منها ذكر قصته محمد بن اسحاق في السيرة وان اباه وعمه اتيا مكة فوجداه
فطلبا ان يفديا ه فخيره النبي صلى الله عليه وسلم بين ان يدفعه لهما او يبقي عنده فاختار ان
يبقى عنده عليه السلام وفي رواية الترمذي قال يا رسول الله لا اختار عليك احدا ابدا واستشهد
زيد في غزوة مؤتة ومات ابنه اسامة بالمدينة او بوادي القرى سنة اربع وخمسين ومنهم
ثوبان لازم رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل بعده الشام ومات بحمص سنة اربع وخمسين
وابو كبشة اوس ويقال سليم من مولدي مكة وشهد بدرا وشقران بضم الشين المعجمة
وسكون القاف واسمه صالح الحبشي ويقال فارسي شهد بدرا وهو مملوك ثم عتق قاله الحافظ
ابن حجر وقال اظنه مات في خلافة عثمان ورباح وهو بفتح الراء وبالموحدة الاسود وكان ياذن عليه
احيانا اذا انفرد وهو الذي اذن لعمر بن الخطاب رضي الله عنه في المشربة كما تقدم ويسار
الراعي وهو الذي قتله العرنيون وزيد وهو ابو يسار وليس زيد بن حارثة والد اسامة ذكره
ابن الاثير ومدعم بكسر الميم وفتح العين المهملة عبد اسود كان لرفاعة بن زيد الضبيبي بضم
الضاد المعجمة وفتح الموحدة الاولى فاهداه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو رافع واسمه
اسلم القبطي وكان للعباس فوهبه للنبي صلى الله عليه وسلم فلما بشر النبي صلى الله عليه وسلم باسلام
العباس اعتقه توفي قبل قتل عثمان رضي الله عنه بيسير ورفاعة بن زيد الجذامي وسفينة
واختلف في اسمه فقيل طهمان وقيل كيسان وقيل مهران وقيل غير ذلك وسماه رسول الله
صلى الله عليه وسلم سفينة لانهم كانوا حملوه شيئا كثيرا في السفر ومابور القبطي وواقد وابو
واقد والجشة الحادي وياتي ذكره في حداته عليه السلام ان شاء الله تعالى وسلمان الفارسي ابو عبد الله
ويقال له سلمان الخير اصله من اصبهان وقيل من رامهرمز اول مشاهده الخندق مات سنة اربع

واما حراسه

واما مواليه

النبي

وثلاثين يقال بلغ ثلثمائة سنة وشمعون بن زيد ابو ريحانة قال الحافظ ابن حجر حليف الانصار
ويقال مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد فتح دمشق وقدم مصر وسكن بيت المقدس و
ابو بكرة نفيع ومن النساء ام ايمن الحبشية وسلمى ام رافع زوج ابي رافع ومارية وريحانة
وشيرين اخت مارية وغير ذلك قال ابن الجوزي مواليه ثلاثة واربعون واماؤه احدى عشرة و

الفصل السادس في امرائه ورسله وكتابه وكتبه الى اهل الاسلام في الشرائع والاحكام ومكاتباته الى الملوك وغيرهم من الانام

اما كتابه فالخلفاء الاربعة
ابو بكر الصديق رضي الله عنه وكان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة وفي الاسلام عبد الله سمي بالصديق
لتصديقه النبي صلى الله عليه وسلم وقيل ان الله صدقه ويلقب عتيقا لجماله او لانه ليس في نسبه
ما يعاب به وقيل لانه عتيق من النار ولي الخلافة سنتين ونصفا وسنه سن المصطفى عليه
السلام وتوفي مسموما واسلم ابوه ابو قحافة يوم الفتح وتوفي في خلافة عمر واسلمت امه ام الخير
سلمى بنت صخر قديما في دار الارقم وعمر بن الخطاب رضي الله عنه بن نفيل بن عبد العزى له
استخلفه ابو بكر فاقام عشر سنين وستة اشهر واربع ليال وقتله ابو لؤلؤة فيروز غلام المغيرة
ابن شعبة وعثمان بن عفان رضي الله عنه بن ابي العاص بن امية وكانت خلافته احدى عشرة
سنة واحدى عشر او ثلاث عشر يوما ثم قتل يوم الدار شهيدا وروي عن عائشة فيما ذكره الطبري
في فضائله من كتاب الرياض ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لمسند ظهره الي وان جبريل ليوحي اليه
القرآن وانه ليقول اكتب يا عثيم رواه احمد وروى السهمي عن جعفر بن محمد عن ابيه قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس جلس ابو بكر عن يمينه وعمر عن يساره وعثمان بين يديه
وكان كاتب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي بن ابي طالب رضي الله عنه واقام
في الخلافة اربع سنين وتسعة اشهر وثمانية ايام وتوفي شهيدا قتله عبد الرحمن بن ملجم
واختص علي بكتابة الصلح يوم الحديبية وطلحة بن عبيد الله احد العشرة استشهد يوم الجمل
سنة ست وثلاثين وهو ابن ثلاث وستين والزبير ابن العوام بن خويلد احد العشرة ايضا
قتل سنة ست وثلاثين يوم الجمل وابن ابي وقاص وعامر بن فهيرة وعبد الله بن الارقم مات
في خلافة عثمان وولاه عمر بيت المال وابي بن كعب بضم الهمزة وفتح الموحدة من سادات الانصار
كان يكتب الوحي له صلى الله عليه وسلم وهو احد الستة الذين حفظوا القرآن على عهده صلى الله عليه
وسلم واحد الفقهاء الذين كانوا يفتون على عهده عليه السلام توفي بالمدينة سنة تسع عشرة
وقيل سنة عشرين وقيل غير ذلك وهو الذي كتب الكتاب الى ملكي عمان جيفر وعبد ابني الجلندا
كما سيأتي ان شاء الله تعالى وثابت بن قيس بن شماس استشهد باليمامة وهو الذي كتب كتاب
قطن بن حارثة العليمي كما سيأتي ان شاء الله تعالى وحنظلة بن الربيع الاسيدي الذي غسلته
الملائكة حين استشهد وابو سفيان صخر بن حرب وابنه معاوية ولي لعمر بن الخطاب الشام
واقره عثمان قال ابن اسحق كان اميرا عشرين سنة وخليفة عشرين سنة وروينا في مسند
الامام احمد من حديث العرباض بن سارية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
اللهم علم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب وهو مشهور بكتابة الوحي ومات في رجب سنة
ستين وقد قارب الثمانين واخوه يزيد بن ابي سفيان بن حرب امره عمر على دمشق حتى مات

سنة ثمني

سنة عشرة بالطاعون وزيد بن ثابت بن الضحاك الانصاري النجاري مشهور بكتابة الوحي مات
خمسين او ثمان واربعين وقيل بعد الخمسين وكان احد فقهاء الصحابة واحد من جمع القرآن في خلافة
ابي بكر ونقله في المصحف في خلافة عثمان وشرحبيل بن حسنة وبني امية والعلاء بن الحضرمي
وخالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي سيف الله اسلم بين الحديبية والفتح مات سنة احدى
او اثنتين وعشرين وعمرو بن العاص بن وائل السهمي اسلم عام الحديبية وولي امرة مصر
مرتين وهو الذي فتحها ومات بها سنة نيف واربعين وقيل بعد الخمسين والمغيرة بن شعبة
الثقفي اسلم قبل الحديبية وولي امرة البصرة ثم الكوفة مات سنة خمسين على الصحيح وعبد الله
ابن رواحة الخزرجي الانصاري احد السابقين شهد بدرا واستشهد بموته ومعيقيب
بقاف ثم اخره موحدة مصغرا ابن ابي فاطمة الدوسي من السابقين الاولين وشهد المشاهد
مات في خلافة عثمان او علي وحذيفة بن اليمان من السابقين صح في مسلم انه صلى الله عليه
وسلم اعلمه بما كان وبما يكون الى ان تقوم الساعة وابوه صحابي استشهد باحد ومات حذيفة
في اول خلافة علي سنة ست وثلاثين وحويطب بن عبد العزى العامري اسلم يوم الفتح عاش
مائة وعشرين سنة ومات سنة اربع وخمسين وكان معاوية وزيد بن ثابت الزمهم لذلك واخصهم
به كما قاله الحافظ الشرف الدمياطي وغيره ونبهت عليه قال الحافظ ابن حجر وقد كتب له قبل
زيد بن ثابت ابي بن كعب وهو اول من كتب له بالمدينة واول من كتب له بمكة من قريش عبد الله
ابن سعد بن ابي سرح ثم ارتد ثم عاد الى الاسلام يوم الفتح وممن كتب له في الجملة الخلفاء
الاربعة وابان وخالد ابنا سعيد بن العاصي بن امية وقد كتب صلى الله عليه وسلم الى اهل
الاسلام كتبا في الشرائع والاحكام منها كتابه في الصدقات الذي كان عند ابي بكر فكتبه ابو بكر
لانس لما وجهه الى البحرين ولفظه كما عند البخاري وابي داود والنسائي بسم الله الرحمن الرحيم
هذه فريضة الصدقة التي فرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين والتي امر الله بها
رسوله صلى الله عليه وسلم فمن سئلها من المسلمين على وجهها فليعطها ومن سئل فوقها
فلا يعط في اربعة وعشرين من الابل فما دونها من الغنم في كل خمس شاة فاذا بلغت خمسا
وعشرين الى خمس وثلاثين ففيها بنت مخاض انثى فان لم تكن ابنة مخاض فابن لبون فاذا بلغت
ستا وثلاثين الى خمس واربعين ففيها بنت لبون انثى فاذا بلغت ستا واربعين الى ستين ففيها
حقة طروقة الجمل فاذا بلغت واحدة وستين الى خمس وسبعين ففيها جذعة فاذا بلغت ستا
وسبعين الى تسعين ففيها بنتا لبون فاذا بلغت احدى وتسعين الى عشرين ومائة ففيها حقتان
طروقتا الجمل فاذا زادت على عشرين ومائة ففي كل اربعين ابنة لبون وفي كل خمسين حقة ومن لم
يكن معه الا اربع من الابل فليس فيها صدقة الا ان يشاء ربها فاذا بلغت خمسا من الابل ففيها
شاة وصدقة الغنم في سائمتها فاذا بلغت اربعين الى عشرين ومائة شاة شاة فان زادت
على عشرين ومائة الى مائتين ففيها شاتان فاذا زادت على مائتين الى ثلاث مائة ففيها ثلاث شياه
فان زادت على ثلثمائة ففي كل مائة شاة فاذا كانت سائمة الرجل ناقصة من اربعين شاة شاة
واحدة فليس فيها صدقة الا ان يشاء ربها ولا يجمع بين متفرق ولا يفرق بين مجتمع خشية الصدقة
وما كان من خليطين فانهما يتراجعان بينهما بالسوية ولا يخرج في الصدقة هرمة ولا ذات عوار

ولا تلبس الا ان يشاء المصدق وفي الرقة ربع العشر فان لم يكن الا تسعين ومائة فليس فيها صدقة الا ان يشاء ربها ومن بلغت عنده من الابل صدقة الجذعة وليست عنده جذعة وعنده حقة فانها تقبل منه الحقة ويجعل معها شاتين ان استيسرتا له او عشرين درهما ومن بلغت عنده صدقة الحقة وليست عنده وعنده الجذعة فانها تقبل منه الجذعة ويعطيه المصدق عشرين درهما او شاتين ومن بلغت عنده صدقة الحقة وليست عنده الا ابنة لبون فانها تقبل منه بنت لبون ويعطي شاتين او عشرين درهما ومن بلغت صدقته بنت لبون وعنده حقة فانها تقبل منه الحقة ويعطيه المصدق عشرين درهما او شاتين ومن بلغت عنده صدقة بنت لبون وليست عنده وعنده بنت مخاض فانها تقبل منه بنت المخاض ويعطي معها عشرين درهما او شاتين ومن بلغت صدقته بنت مخاض وليست عنده وعنده بنت لبون فانها تقبل منه بنت لبون ويعطيه المصدق عشرين درهما او شاتين فان لم يكن عنده بنت مخاض على وجهها وعنده ابن لبون فانه يقبل منه وليس معه شيء قوله وفي الرقة اي الدراهم المضروبة والهاء عوض من الواو المحذوفة من الورق قاله ابن الاثير في الجامع وقال في فتح الباري بكسر الراء وتخفيف القاف الفضة الخالصة سواء كانت مضروبة او غير مضروبة **ومنها كتابه الذي كان عند عمر بن الخطاب** رضي الله عنه في نصب الزكاة وغيرها كما رواه ابو داود والترمذي عن سالم عن ابيه كتب صلى الله عليه وسلم كتاب الصدقة ولم يخرجه الى عماله حتى قبض فعمل به ابو بكر حتى قبض وكان فيه في خمس من الابل شاة وفي عشر شاتان وفي خمسة عشر ثلاث شياه وفي عشرين اربع شياه وفي خمس وعشرين بنت مخاض الى خمس وثلاثين فان زادت واحدة ففيها ابنة لبون الى خمس واربعين فان زادت واحدة ففيها حقة الى ستين فان زادت واحدة ففيها جذعة الى خمس وسبعين فان زادت واحدة ففيها ابنتا لبون الى تسعين فان زادت واحدة ففيها حقتان الى عشرين ومائة فاذا كانت الابل اكثر من ذلك ففي كل خمسين حقة وفي كل اربعين ابنة لبون وفي الغنم في كل اربعين شاة شاة الى عشرين ومائة فاذا زادت واحدة فشاتان الى مائتين فاذا زادت على المائتين ففيها ثلاث شياه الى ثلثمائة فان كانت الغنم اكثر من ذلك ففي كل مائة شاة شاة ثم ليس فيها شيء حتى تبلغ المائة ولا يفرق بين مجتمع ولا يجمع بين متفرق مخافة الصدقة وما كان من الخليطين فانهما يتراجعان بالسوية ولا يؤخذ في الصدقة هرمة ولا ذات عيب قال ابن الاثير في النهاية والخليط المخالط يريد به الشريك الذي يخلط ماله بمال شريكه والتراجع بينهما هو ان يكون لاحدهما مثلا اربعون بقرة وللآخر ثلاثون بقرة وما لهما مختلط فيأخذ الساعي عن الاربعين مسنة وعن الثلاثين تبيعا فيرجع باذل المسنة بثلاثة اسباعها على شريكه وباذل التبيع باربعة اسباعه على شريكه لان كل واحد من السنين واجب على الشيوع كان المال ملكه واحدا انتهى وقال في فتح الباري واختلف في المراد بالخليط فعند ابي حنيفة انه الشريك واعترض عليه بان الشريك لا يعرف عين ماله وقد قال انهما يتراجعان بينهما بالسوية ومما يدل على ان الخليط لا يستلزم ان يكون شريكا قوله تعالى وان كثيرا من الخلطاء وقد بينه قبل ذلك بقوله ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة واعتذر بعضهم عن الحنفية بانهم لم يبلغهم هذا الحديث او راوا ان الاصل قوله ليس فيما دون خمس ذود صدقة وحكم الخلطة تغاير هذا الاصل

غم

كتابه عليه السلام الى اهل اليمن

ومنها كتابه الى بني زهير

فلم يعتق لو ابه وقال ابو حنيفة لا يجب على احد منهم فيما يملك الا مثل الذي يجب عليه لو لم يكن خلط وقال سفيان الثوري لا يجب حتى يتم لهذا اربعون شاة ولهذا اربعون شاة وقال الشافعي واحمد واصحاب الحديث اذا بلغت ماشيتهما النصاب زكيا والخلطة عندهم ان يجتمعا في المسرح والمبيت والحوض والفحل والشركة اخص منها انتهى **ومنها كتابه عليه السلام الى اهل اليمن** وهو كتاب جليل فيه من انواع الفقه في الزكاة والديات والاحكام وذكر الكبائر والطلاق والعتاق واحكام الصلاة في الثوب الواحد والاحتباء فيه ومس المصحف وغير ذلك واحتج الفقهاء كلهم بما فيه من مقادير الديات ورواه النسائي وقال قد روى هذا الحديث يونس عن الزهري مرسلا وابو حاتم في صحيحه وغيرهما متصلا عن ابي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الى اهل اليمن وكان في كتابه ان من اعتبط مؤمنا قتلا عن بينة فانه قود الا ان يرضى اولياء المقتول وفيه ان الرجل يقتل بالمراة وفيه وفي النفس الدية مائة من الابل وعلى اهل الذهب الف دينار وفي الانف اذا اوعب جدعه الدية مائة من الابل وفي الاسنان الدية وفي الشفتين الدية وفي البيضتين الدية وفي الذكر الدية وفي الصلب الدية وفي العينين الدية وفي الرجل الواحدة نصف الدية وفي المامومة ثلث الدية وفي الجائفة ثلث الدية وفي المنقلة خمس عشرة من الابل وفي كل اصبع من اصابع اليد والرجل عشر من الابل وفي السن خمس من الابل وفي رواية مالك وفي العين خمسون وفي اليد خمسون وفي الرجل خمسون وفي الموضحة خمس من الابل **ومنها كتابه الى بني زهير واما مكاتباته عليه السلام الى الملوك وغيرهم** فروي انه لما رجع عليه السلام من الحديبية كتب الى الروم فقيل له انهم لا يقرؤون كتابا الا ان يكون مختوما فاتخذ خاتما من فضة ونقش فيه ثلاثة اسطر محمد سطر ورسول سطر والله سطر وختم به الكتب وانما كانوا لا يقرؤون الكتاب الا مختوما خوفا من كشف اسرارهم وللاشعار بان الاحوال المعروضة عليهم ينبغي ان تكون مما لا يطلع عليها غيرهم وعن انس ان ختم كتاب السلطان والقضاة سنة متبعة وقال بعضهم هو سنة لفعله صلى الله عليه وسلم **فكتب الى هرقل بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله** الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى اما بعد فاني ادعوك بداعية الاسلام اسلم تسلم يؤتك الله اجرك مرتين فان توليت فان عليك اثم الاريسيين ويا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون رواه البخاري وكان عليه السلام ارسل هذا الكتاب مع دحية ابن خليفة الكلبي الى هرقل في آخر سنة ست بعد ان رجع من الحديبية كما قاله الواقدي ووقع في تاريخ خليفة ان ارساله كان سنة خمس والاول اثبت بل هذا غلط لتصريح ابي سفيان بان ذلك كان في مدة صلح الحديبية كما في حديث البخاري في المدة التي كان عليه السلام ماد فيها ابا سفيان وكفار قريش يعني مدة صلح الحديبية وكانت سنة ست اتفاقا ولم يقل صلى الله عليه وسلم الى هرقل ملك الروم لانه معزول بحكم الاسلام ولم يخله من الاكرام لمصلحة التاليف **وقوله** يؤتك الله اجرك مرتين اي لكونه مؤمنا بنبيه ثم آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم **وقوله** فان عليك اثم الاريسيين اي فان عليك مع اثمك اثم الاتباع بسبب انهم اتبعوك على استمرار الكفر

وقيل انه عليه السلام كتب هذه الآية بعيني يا أهل الكتاب قبل نزولها فوافق لفظه لفظ ما نزلت
لان هذه الآية نزلت في قصة وفد نجران وكانت قصتهم سنة الوفود سنة تسع وقصة ابي سفيان
هذه كانت قبل ذلك سنة ست وقيل نزلت في اليهود وجوّز بعضهم نزولها مرتين وهو بعيد
والله أعلم **وكتب صلى الله عليه وسلم الى كسرى** بسم الله الرحمن الرحيم من محمد
رسول الله الى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد ان لا اله
الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله ادعوك بدعاية الله فاني رسول الله الى الناس
كلهم لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين اسلم تسلم فان توليت فعليك اثم المجوس فلما قرئ
عليه الكتاب مزّقه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مزّق الله ملكه وفي البخاري من حديث
ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بكتابه الى كسرى مع عبد الله بن حذافة السهمي
فأمره ان يدفعه الى عظيم البحرين فدفعه عظيم البحرين الى كسرى فلما قراه مزقه فحسبت
ابن المسيب قال فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يمزقوا كل ممزق وقيل بعثه
مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه والذي في البخاري هو الصحيح وفي كتاب الاموال لابي عبيد من مرسل
عمير بن اسحاق قال كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى كسرى وقيصر فاما كسرى فلما قرا الكتاب
مزقه واما قيصر فلما قرا الكتاب طواه ثم رفعه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما هؤلاء
فيمزقون واما هؤلاء فستكون لهم بقية وروي انه لما جاءه جواب كسرى قال مزق ملكه ولما جاء
جواب هرقل قال ثبت ملكه وذكر في فتح الباري عن شيخ الدين فلج المنصوري انه قدم على ملك
الغرب بهدية من الملك المنصور قلاوون فارسله ملك الغرب الى ملك الفرنج في شفاعة
وانه قبله واكرمه وقال لاتحفنك بتحفة سنية فاخرج له صندوقا مصفحا بذهب فاخرج منه
مقلمة من ذهب فاخرج منها كتابا قد زالت اكثر حروفه وقد التصقت عليه خرقة حرير فقال هذا
الكتاب عندنا لا يزال الملك فينا فنحن نحفظه غاية الحفظ ونعظمه ونكتمه عن النصارى ليدوم
الملك فينا انتهى **وكتب صلى الله عليه وسلم الى النجاشي** بسم الله الرحمن الرحيم
من محمد رسول الله الى النجاشي ملك الحبشة اما بعد فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو الملك
القدوس السلام المؤمن المهيمن واشهد ان عيسى بن مريم روح الله وكلمته القاها الى مريم البتول
الطيبة الحصينة فحملت بعيسى خلقه من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده واني ادعوك الى الله وحده
لا شريك له والموالاة على طاعته وان تتبعني وتؤمن بالذي جاءني فاني رسول الله واني ادعوك
وجنودك الى الله تعالى وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى
وبعث الكتاب مع عمرو بن امية الضمري فقال النجاشي اشهد بالله انه النبي الامي الذي
ينتظره أهل الكتاب وان بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل ثم كتب النجاشي
جواب الكتاب الى النبي صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم الى محمد رسول الله
من النجاشي اصحمة سلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته الله الذي لا اله الا هو
اما بعد فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى فورب السماء والأرض
ان عيسى لا يزيد على ما ذكرت ثفروقا انه كما ذكرت وقد عرفنا ما بعثت به الينا فاشهد انك
رسول الله صادقا مصدقا وقد بايعتك وبايعت ابن عمك واسلمت على يديه لله رب العالمين انتهى

والتغروف

والتغروف علاقة ما بين النواة والقشر وهذا اهوا صحيح الذي بعثا جرا اليه المسلمون في رجب
سنة خمس من النبوة وكتب له النبي صلى الله عليه وسلم كتابا يدعوه فيه الى الاسلام مع عمرو
ابن امية سنة ست من الهجرة فآمن به واسلم على يد جعفر بن ابي طالب وتوفي في رجب
سنة تسع ونعاه النبي صلى الله عليه وسلم يوم توفي وصلى عليه بالمدينة واما النجاشي
الذي ولي بعده وكتب له النبي صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام فكان كافرا ولم يعرف
اسلامه ولا اسمه وقد خلط بعضهم ولم يميز بينهما وفي صحيح مسلم ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كتب الى النجاشي وليس بالذي صلى عليه **وكتب عليه الصلاة والسلام**
الى المقوقس ملك مصر والاسكندرية **بسم الله الرحمن الرحيم**
من محمد عبد الله ورسوله الى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى اما بعد
فاني ادعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فعليك اثم
القبط يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا
ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون وبعث به
مع حاطب بن ابي بلتعة فلما دخل عليه قال له انه كان قبلك رجل يزعم انه الرب الاعلى فاخذه
الله نكال الآخرة والاولى فانتقم به ثم انتقم منه فاعتبر بغيرك ولا يعتبر غيرك بك فقال
ان لنا دينا لن ندعه الا لما هو خير منه فقال حاطب يدعوك الى دين الله وهو الاسلام
الكافي به الله فقد ما سواه ان هذا النبي دعا الناس فكان اشدهم عليه قريش واعداهم
له يهود واقربهم منه النصارى ولعمري ما بشارة موسى بعيسى الا كبشارة عيسى بمحمد
صلى الله عليه وسلم وما دعاؤنا اياك الى القرآن الا كدعائك اهل التوراة الى الانجيل
وكل نبي ادرك قوما فهم من امته فالحق عليهم ان يطيعوه فانت ممن أدرك هذا النبي ولسنا
ننهاك عن دين المسيح ولكنا نأمرك به فقال المقوقس اني قد نظرت في امر هذا النبي
فوجدته لا يأمر بمزهود فيه ولا ينهى عن مرغوب فيه ولم اجده بالساحر الضال ولا
الكاهن الكاذب ووجدت معه آلة النبوة باخراج الخبء والاخبار بالنجوى وسأنظر واخذ
كتاب النبي صلى الله عليه وسلم فجعله في حق من عاج ودفعه لجارية له ثم دعا كاتبا له يكتب
بالعربية فكتب الى النبي صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبد الله من المقوقس
عظيم القبط أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت وما تدعو اليه وقد علمت ان نبيا بقي وكنت
اظن أن يخرج بالشام وقد اكرمت رسولك وبعثت اليك بجاريتين لهما مكان من القبط عظيم
وبكسوة واهديت لك بغلة لتركبها والسلام ولم يزد على هذا ولم يسلم **وكتب عليه السلام**
الى المنذر بن ساوي ذكر الواقدي باسناده عن عكرمة قال وجدت هذا الكتاب في كتب
ابن عباس فنسخته فاذا فيه بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم العلاء بن الحضرمي الى المنذر
ابن ساوي وكتب اليه كتابا يدعوه فيه الى الاسلام **فكتب** المنذر الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم اما بعد يا رسول الله فاني قرأت كتابك على أهل البحرين فمنهم من أحب الاسلام
واعجبه ودخل فيه ومنهم من كرهه وبارضي يهود ومجوس فاحدث الي في ذلك امرك **فكتب**
اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى المنذر بن ساوي

وكتب عليه الصلاة والسلام الى المقوقس ملك مصر

سلام عليك فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو وأشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله اما بعد فاني اذكرك الله عز وجل فانه من ينصح فانما ينصح لنفسه وانه من يطع رسلي ويتبع أمرهم فقد اطاعني ومن نصح لهم فقد نصح لي وان رسلي قد اثنوا عليك خيرا واني قد شفعتك في قومك فاترك للمسلمين ما اسلموا عليه وعفوت عن اهل الذنوب فاقبل منهم وانك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك ومن اقام على يهوديته او مجوسيته فعليه الجزية **وكتب عليه السلام الى ملكي عمان** وبعثه مع عمرو بن العاصي بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله الى جيفر وعبد ابني الجلندا السلام على من اتبع الهدى اما بعد فاني ادعوكما بدعاية الاسلام اسلما تسلما فاني رسول الله الى الناس كافة لانذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين وانكما ان اقررتما بالاسلام وليتكما وان ابيتما ان تقرا بالاسلام فان ملككما زائل عنكما وخيلي تحل بساحتكما وتظهر نبوتي على ملككما وكتب ابي بن كعب وختم الكتاب قال عمرو فخرجت حتى انتهيت الى عمان فلما قدمتها عمدت الى عبد وكان احلم الرجلين واسهلهما خلقا فقلت اني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليك والى اخيك فقال اخي المقدم علي بالسن والملك وانا اوصلك اليه حتى يقرأ كتابك ثم قال وما تدعو اليه قلت ادعوك الى الله وحده لا شريك له وتخلع ما عبد من دونه وتشهد ان محمدا عبده ورسوله قال يا عمرو انك ابن سيد قومك فكيف صنع ابوك فان لنا فيه قدوة قلت مات ولم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ووددت انه كان اسلم وصدق به وقد كنت على مثل رأيه حتى هداني الله للاسلام قال فمتى تبعته قلت قريبا فسألني اين كان اسلامك قلت عند النجاشي واخبرته ان النجاشي قد اسلم قال فكيف صنع قومه بملكه قلت اقروه واتبعوه قال والاساقفة والرهبان تبعوه قلت نعم قال انظر يا عمرو ما تقول انه ليس من خصلة في رجل افضح له من الكذب قلت ما كذبت وما نستحله في ديننا ثم قال فاخبرني ما الذي يأمر به وينهى عنه قلت يأمر بطاعة الله عز وجل وينهى عن معصيته ويأمر بالبر وصلة الرحم وينهى عن الظلم والعدوان وعن الزنا وشرب الخمر وعن عبادة الحجر والوثن والصليب قال ما احسن هذا الذي يدعو اليه لو كان اخي يتابعني لركبنا حتى نؤمن بمحمد ونصدق به ولكن اخي اضن بملكه من ان يدعه ويصير ذنبا قلت ان اسلم ملكه رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه فاخذ الصدقة من غنيهم فردها على فقرائهم قال ان هذا الخلق حسن وما الصدقة فاخبرته بما فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصدقات في الاموال حتى انتهيت الى الابل فقال يا عمرو ويؤخذ من سوائم مواشينا التي ترعى الشجر وترد المياه فقلت نعم فقال والله ما ارى قومي في بعد دارهم وكثرة عددهم يطيعون بهذا قال فمكثت ببابه اياما وهو يصل الى اخيه فيخبره كل خبري ثم انه دعاني يوما فدخلت عليه فاخذ اعوانه بضبعي فقال دعوه فارسلت فذهبت لاجلس فابوا ان يدعوني اجلس فنظرت فقال تكلم بحاجتك فدفعت اليه الكتاب مختوما ففض خاتمه وقرأه حتى انتهى الى آخره ثم دفعه الى اخيه فقرأه مثل قراءته الا اني رأيت اخاه ارق منه فقال الا تخبرني عن قريش كيف صنعت فقلت تبعوه اما راغب في الدين واما مقهور بالسيف قال ومن معه قلت الناس قد رغبوا في الاسلام واختاروه على غيره وعرفوا بعقولهم مع هدى الله انهم كانوا في ضلال فما اعلم احدا بقي غيرك في هذه الحرجة وانت ان لم تسلم

اليوم وتتبعه يوطئك الخيل فاسلم تسلم ويستعملك على قومك ولا تدخل عليك الخيل والرجال قال دعني يومي هذا وارجع الي غدا فرجعت الى اخيه فقال يا عمرو اني لارجو ان يسلم ان لم يضن بملكه حتى اذا كان الغد اتيت اليه فابى ان يأذن لي فانصرفت الى اخيه فاخبرته اني لم اصل اليه فاوصلني اليه فقال اني فكرت فيما دعوتني اليه فاذا انا اضعف العرب ان ملكت رجلا ما في يدي وهو لا تبلغ خيله ههنا وان بلغت خيله الفت قتالا ليس كقتال من لاقي قلت وانا خارج غدا فلما ايقن بمخرجي خلا به اخوه فاصبح فارسل الي فاجاب الى الاسلام هو واخوه جميعا وصدقا النبي صلى الله عليه وسلم وخليا بيني وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم وكانا لي عونا على من خالفني **وكتب صلى الله عليه وسلم الى صاحب اليمامة** هوذة بن علي وارسل به مع سليط بن عمرو العامري بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هوذة ابن علي سلام على من اتبع الهدى واعلم ان ديني سيظهر الى منتهى الخف والحافر فاسلم تسلم واجعل لك ما تحت يديك فلما قدم عليه سليط بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مختوما انزله وحياه واقترأ عليه الكتاب فرد ردا دون رد وكتب الى النبي صلى الله عليه وسلم ما احسن ما تدعو اليه واجمله والعرب تهاب مكاني فاجعل الي بعض الامر اتبعك واجاز سليطا بجائزة وكساه اثوابا من نسج هجر فقدم بذلك كله على النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره وقرأ النبي صلى الله عليه وسلم كتابه وقال لو سألني سيابة من الارض ما فعلت باد وباد ما في يده فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم من الفتح جاءه جبريل عليه السلام بان هوذة مات فقال صلى الله عليه وسلم اما ان اليمامة سيظهر بها كذاب يتنبأ يقتل بعدي فكان كذلك **وكتب صلى الله عليه وسلم الى الحارث بن ابي شمر الغساني** وكان بدمشق بغوطتها بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى الحرث بن ابي شمر سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله وصدق واني ادعوك الى ان تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى لك ملكك وارسله مع شجاع بن وهب **وكتب صلى الله عليه وسلم ليحنة** ابن روبة صاحب ايلة لما اتاه بتبوك وصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم واعطاه الجزية بسم الله الرحمن الرحيم هذه امنة من الله ومحمد النبي رسول الله ليحنة بن روبة واهل ايلة اساقفتهم وسائرهم في البر والبحر لهم ذمة الله وذمة النبي ومن كان معه من اهل الشام واهل اليمن واهل البحر فمن احدث منهم حدثا فانه لا يحول ماله دون نفسه وانه طيب لمن اخذه من الناس وانه لا يحل ان يمنعوه ماء يريدونه ولا طريقا يريدونه من بر او بحر هذا كتاب جهيم ابن الصلت وشرحبيل بن حسنة باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم **وكتب صلى الله عليه وسلم لاهل جربا** واذرح لما اتوه بتبوك ايضا واعطوه الجزية بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبي رسول الله لاهل اذرح انهم آمنون بامان الله وامان محمد وان عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة والله كفيل عليهم بالنصح والاحسان الى المسلمين ومن لجأ اليهم من المسلمين من المخافة وعن حسين بن عبد الله بن ضميرة عن ابيه عن جده ضميرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بام ضميرة وهي تبكي فقال ما يبكيك اجائعة انت ام عارية فقالت يا رسول الله فرق بيني وبين ابني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفرق بين الوالدة وولدها

ماهنا

ثم ارسل الي الذي عنده ضميرة وقد غاه فابتاعه منه بيكر قال ابن ابي ذيب ثم اقرأني كتابا عنده
بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لابي ضميرة واهل بيته ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اعتقهم وانهم اهل بيت من العرب ان احبوا اقاموا عند رسول الله وان احبوا رجعوا
الي قومهم فلا يعرض لهم الا بحق ومن لقيهم من المسلمين فليستوص بهم خيرا وكتب ابي بن كعب
وكتب عليه السلام الي اهل وج شيا يأتي في وفد ثقيف في الفصل العاشر من هذا المقصد
ان شاء الله تعالى وكذا كتابه عليه السلام الي مسيلمة الكذاب في وفد بني حنيفة وكتب
عليه السلام لاكيدر ولاهل دومة الجندل لما صالحه بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب محمد
رسول الله لاكيدر ولاهل دومة ان لنا الضاحية من الضحل والبور والمعامي واغفال الارض
والحلقة والسلاح والحافر والحصن ولكم الضامنة من النخل والمعين من المعمور لا تعدل سارحتكم
ولا تعد فاردتكم ولا يحظر عليكم النبات تقيمون الصلاة لوقتها وتؤتون الزكاة بحقها عليكم بذلك
عهد الله والميثاق ولكم به الصدق والوفاء شهد الله ومن حضر من المسلمين والضاحي البارز
الظاهر والضحل الماء القليل والبور الارض لم تستخرج والمعامي اغفال الارض والحصن دومة الجندل
والضامنة النخل الذي معهم في الحصن والمعين الظاهر من الماء الدايم وباع صلى الله عليه وسلم
للعداء عبدا او كتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اشترى العداء ابن خالد بن هوذة من محمد رسول الله
اشترى عبدا او امة شك الراوي لا داء ولا غايلة ولا خبثة بيع المسلم المسلم رواه ابو داود والدار
قطني والغايلة الاباق والسرقة والزنا والخبثة قال ابن ابي غزية بيع اهل عبد المسلمين وكان
اسلام العداء بعد فتح خيبر وهذا يدل على مشروعية الاشهاد في المعاملات قال الله تعالى
واشهدوا اذا تبايعتم والامر هنا ليس للوجوب وقد باع عليه السلام ولم يشهد واشترى
ورهن درعه عند يهودي ولم يشهد ولو كان الاشهاد امرا واجبا لوجب مع الرهن خوف المنازعة
والله اعلم واما امراؤه عليه السلام فمنهم باذان بن ساسان من ولد بهرام امره صلى الله
عليه وسلم على اليمن وهو اول امير في الاسلام على اليمن واول من اسلم من ملوك العجم
وامر صلى الله عليه وسلم على صنعاء خالد بن سعيد وولى زياد بن لبيد الانصاري حضرموت
وولى ابا موسى الاشعري زبيد وعدن وولى معاذ بن جبل الجند وولى ابا سفيان بن حرب نجران
وولى ابنه يزيد تيما وولى عتاب بفتح المهملة وتشديد المثناة الفوقية بن اسيد بفتح الهمزة
وكسر السين المهملة مكة واقامة الموسم والحج بالمسلمين سنة ثمان وولى علي بن ابي طالب
القضاء باليمن وولى عمرو بن العاصي عمان واعمالها وولى ابا بكر الصديق رضي الله عنهم اجمعين عمان
اقامة الحج سنة تسع وبعث في اثره عليا فقرأ على الناس براءة فقيل لان اول براءة نزل بعد ان خرج
ابو بكر الي الحج وقيل اردفه به عونا له ومساعدا ولهذا قال له الصديق امير ام مأمور قال
بل مأمور واما الرافضة فقالوا بل عزله وهذا الابعد من بهتهم وافترائهم وقد ولى عليه
السلام الصدقات جماعة كثيرة واما رسله صلى الله عليه وسلم فقد روي انه عليه
السلام بعث ستة نفر في يوم واحد في المحرم سنة سبع وذكر القاضي عياض في الشفا معزاه
للواقدي انه اصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعثه اليهم انتهى وكان اول
رسول بعثه صلى الله عليه وسلم عمرو بن امية الضمري الي النجاشي ملك الحبشة وكتب اليه

كتابين

كتابين يدعوه في احدهما الي الاسلام ويتلو عليه القران فاخذه النجاشي ووضعه على عينيه
ونزل عن سريره فجلس على الارض ثم اسلم وشهد شهادة الحق وقال لو كنت استطيع ان
اتيه لاتيته وفي الكتاب الاخر ان يزوجه ام حبيبة بنت ابي سفيان فزوجه اياها كما تقدم
في ذكر الازواج وذكر يحيى بن ادم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لن تزال
الحبشة بخير ما كان هذا الكتاب بين اظهرهم وصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم وهو بالحبشة
كذا قاله الواقدي وغيره وليس كذلك فان النجاشي الذي صلى عليه رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليس هو الذي كتب اليه كما قدمته وبعث عليه السلام دحية بن خليفة الكلبي وهو
احد الستة الي قيصر ملك الروم واسمه هرقل يدعوه الي الاسلام فهم بالاسلام فلم توافقه
الروم فخافهم على ملكه فامسك وبعث عبد الله السهمي الي كسرى وهو الثالث وبعث الرابع
وهو حاطب بن ابي بلتعة الي المقوقس فاكرمه وبعث الي النبي صلى الله عليه وسلم بجاريتين
وكسوة وبغلة فلم يسلم وبعث الخامس وهو شجاع بن وهب الاسدي الي ملك البلقا
الحارث بن ابي شمر الغساني وبعث السادس وهو سليط بن عمرو العامري الي هوذة والي
ثمامة بن اثال الحنفي فاسلم ثمامة وبعث العلا بن الحضرمي الي المنذر بن ساوي العبدي ملك
البحرين قبل منصرفه من الجعرانة وقيل قبل الفتح فاسلم وصدق وبعث عمرو بن العاصي
في ذي القعدة سنة ثمان الي جيفر وعبد ابني الجلندي بعمان فاسلما وصدقا وبعث المهاجر بن ابي امية
المخزومي الي الحارث بن كلال الحميري باليمن فقال سانظر في امري وبعث ابا موسى الاشعري
ومعاذ بن جبل الي اليمن عند انصرافه من تبوك سنة عشر في ربيع الاول داعيين الي الاسلام
فاسلم غالب اهلها من غير قتال ثم بعث علي بن ابي طالب بعد ذلك اليهم ووافاه بمكة
في حجة الوداع وبعث جرير بن عبد الله البجلي الي ذي الكلاع وذي عمرو يدعوهم الي الاسلام
فاسلما وتوفي صلى الله عليه وسلم وجرير عندهم وبعث عمرو بن امية الضمري الي مسيلمة
الكذاب بكتاب وبعث الي فروة بن عمرو الجذامي وكان عاملا لقيصر يدعوه الي الاسلام فاسلم
وكتب الي النبي صلى الله عليه وسلم باسلامه وبعث اليه بهدية مع مسعود بن سعد وهي بغلة
شهباء يقال لها فضة وفرس يقال له الظرب وحمار يقال له يعفور وبعث اليه اثوابا وقباء سندس
مذهبا فقبل هديته ووهب لمسعود بن سعد اثنا عشر اوقية وبعث المصدقين لاخذ
الصدقات لما اهل هلال المحرم سنة تسع فبعث عيينة بن حصن الفزاري الي بني تميم وبعث بريدة
ويقال كعب بن مالك الي اسلم وغفار وبعث عباد بن بشر الي سليم ومزينة وبعث رافع بن
مكيث الي جهينة وبعث عمرو بن العاص الي فزارة وبعث الضحاك بن سفيان الي بني كلاب
وبعث بشر بن سفيان الكعبي ويقال النحام العدوي الي بني كعب وبعث عبد الله بن
اللتبية الي ذبيان وبعث رجلا من سعد هذيم الي قومه

الفصل السابع في مؤذنيه وخطبائه وحداته وشعرائه

اما مؤذنوه فاربعة اثنان بالمدينة
بلال بن رباح وامه حمامة مولى ابي بكر الصديق وهو اول من اذن لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ولم يؤذن بعده لاحد من الخلفاء الا ان عمر لما قدم الشام حين فتحها اذن بلال
فتذكر الناس النبي صلى الله عليه وسلم قال اسلم مولى عمر فلم ار اكثر باكيا من يومئذ وتوفي بلال

سنة سبع عشرة او ثمان عشرة او عشرين بداريا بباب كيسان وله بضع وستون سنة وقيل
دفن بحلب وقيل بدمشق وعمرو بن ام مكتوم القرشي الاعمى وهاجر الى المدينة قبل النبي
صلى الله عليه وسلم واذن له عليه السلام بقبا سعد بن عايذ او ابن عبد الرحمن المعروف
بسعد القرظ بالقرظي مولى عمار بقي الى ولاية الحجاج على الحجاز وذلك سنة اربع وسبعين وبمكة
ابو محذورة واسمه اوس الجمحي المكي ابوه معير بكسر الميم وسكون المهملة وفتح التحتانية مات بمكة
سنة تسع وخمسين وقيل تاخر بعد ذلك وكان منهم من يرجع الاذان ويثني الاقامة وبلال لا يرجع
ويفرد الاقامة فاخذ الشافعي باقامة بلال واهل مكة اخذوا باذان ابي محذورة واقامة بلال
اخذ ابو حنيفة واهل العراق باذان بلال واقامة ابي محذورة واخذ احمد واهل المدينة باذان
بلال واقامته وخالفهم مالك في موضعين اعادة التكبير وتثنية لفظ الاقامة واما شعراؤه
عليه السلام الذين يذبون عن الاسلام فكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة الخزرجي
الانصاري وحسان بن ثابت بن المنذر بن عمرو بن حزام الانصاري قال له عليه السلام فقال
اللهم ايده بروح القدس فيقال اعانه جبريل بسبعين بيتا وفي الحديث ان جبريل مع حسان
منافح عني وهو بالحاء المهملة اي دافع والمراد هجاء المشركين ومجاوبتهم على اشعارهم وعاش مائة
وعشرين سنة ستين في الجاهلية وستين في الاسلام وكذا عاش ابوه ثابت وجده المنذر وجد
ابيه حزام كل واحد منهم مائة وعشرين سنة وتوفي حسان سنة اربع وخمسين ولما جاءه
عليه السلام بنو تميم وشاعرهم الاقرع بن حابس فنادوه يا محمد اخرج الينا نفاخرك ونشاعرك
فان مدحنا زين وذمنا شين فلم يرد عليه السلام على ان قال ذلك الله اذا مدح زان واذا ذم
شان اني لم ابعث بالشعر ولم اومر بالفخر ولكن هاتوا فامر عليه السلام ثابت بن قيس ان يجيب
خطيبهم فخطب فغلبهم فقام الاقرع بن حابس شاعرهم فقال

ابيناك كيما يعرف الناس فضلنا ۞ اذا خالفونا عند ذكر المكارم
وانا رؤس الناس في كل معشر ۞ وان ليس في ارض الحجاز كدارم

فامر النبي صلى الله عليه وسلم حسانا يجيبهم فقال

بني دارم لا تفخروا ان فخركم ۞ يعود وبالا عند ذكر المكارم
هبلتم علينا تفخرون وانتم ۞ لنا خول ما بين ظئر وخادم

وكان اول من اسلم شاعرهم وكان اشد شعرائه عليه السلام على الكفار حسان بن ثابت
وكعب وكان خطيبه عليه السلام ثابت بن قيس بن شماس بمعجمة وميم مشددة وآخره
مهملة وهو خزرجي شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة وكان خطيبه وخطيب الانصار
واستشهد يوم اليمامة سنة اثني عشرة وكان يحدو بين يديه عليه السلام في السفر
عبد الله بن رواحة وفي رواية الترمذي في الشمائل عن انس انه عليه السلام دخل مكة
في عمرة القضية وابن رواحة يمشي بين يديه ويقول

خلوا بني الكفار عن سبيله ۞ اليوم نضربكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله ۞ ويذهل الخليل عن خليله

وقد تقدم مزيد لهذا في عمرة القضية والله اعلم وعامر بن الاكوع بفتح الهمزة وسكون

الكاف وفتح الواو وبالعين المهملة وهو عم سلمة بن الاكوع فاستشهد يوم خيبر ومرت قصته
في غزوتها وانجشة العبد الاسود وهو بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الجيم وبالشين
المعجمة وكان حسن الحداء قال انس كان البراء بن مالك يحدو بالرجال وانجشة يحدو بالنساء
وقد كان يحدو وينشد القريض والرجز فقال له عليه السلام كما في رواية البراء بن مالك
عند مسلم رويدك رفقا بالقوارير اي النساء شبههن بالقوارير من الزجاج لانه يسرع اليها
الكسر [redacted] فامره بالكف عن ذلك
[redacted] وقيل اراد ان الابل اذا سمعت الحداء اسرعت في المشي واشتدت
فازعجت الراكب واتعبته فنهاه عن ذلك لان النساء يضعفن عن شدة الحركة

الفصل الثامن في آلات حروبه عليه السلام كدروعه واقواسه ومنطقته

واتراسه اما اسيافه عليه السلام فكان له تسعة اسياف مابور وهو اول سيف
ملكه عليه السلام وهو الذي يقال انه عليه السلام قدم به الى المدينة في الهجرة والعضب
ارسله اليه سعد بن عبادة حين سار الى بدر وذو الفقار لانه كان في وسطه مثل فقرات
الظهر ويجوز فيه فاؤه الفتح والكسر وصار اليه يوم بدر وكان للعاصي بن منبه وكان
هذا السيف لا يفارقه صلى الله عليه وسلم يكون معه في كل حرب يشهدها وكانت قائمته
وقبيعته وحلقته وذؤابته وبكراته ونعله من فضة والقلعي بضم القاف وفتح اللام
وهو الذي اصابه من قلع موضع بالبادية والبتار اي القاطع والحتف وهو الموت
والمخذم وهو القاطع والرسوب اي يمضي في الضريبة ويغيب فيها وهو فعول
من رسب يرسب اذا ذهب الى اسفل واذا ثبت اصابهما من الفلس بضم الفاء واسكان
اللام صنم كان لطي والقضيب واما ادراعه فسبعة ذات الفضول بالضاد
المعجمة لطولها ارسل بها اليه سعد بن عبادة حين سار الى بدر وكانت من حديد وهي التي
رهنها عند ابي الشحم اليهودي على شعير وكان ثلاثين صاعا وكان الدين الى سنة وذات الوشاح
وذات الحواشي والسعدية ويقال بالعين وهي درع عكبر القينقاعي قيل وهي درع داود
عليه السلام التي لبسها حين قتل جالوت وفضة وكان قد اصابهما في بني قينقاع والبتراء
لقصرها والخرنق باسم ولد الارنب وكان عليه صلى الله عليه وسلم يوم احد درعان
ذات الفضول وفضة وكان عليه يوم خيبر درعان ذات الفضول والسعدية واما اقواسه
عليه السلام فكانت ستة الزوراء والروحاء من شوحط وقوس من سلاح بني قينقاع وقوس تدعى الروحاء وقوس
تدعى الصفراء من نبع والكتوم كسرت يوم احد فاخذها قتادة والسداد وكانت له جعبة
تدعى الكافور وكانت له منطقة من اديم فيها ثلاث حلق من فضة والابزيم من فضة والطرف
واما اتراسه فكان عليه السلام له ترس اسمه الزلوق يزلق عنه السلاح وترس يقال له
الفتق وترس اهدي اليه فيه صورة تمثال عقاب او كبش فوضع يده عليه فاذهب الله
ذلك التمثال واما ارماحه عليه السلام فالمثوي قال ابن الاثير سمي به لانه يثبت
المطعون به من الثوي وهو الاقامة انتهى والمثني ورمحان آخران كانت له عليه السلام
حربة كبيرة اسمها البيضاء وكانت له عليه السلام حربة اخرى صغيرة دون الرمح شبه

المكافر يقال لها العنزة وكانت تركز امامه ويصلي اليها وكان له عليه السلام مغفر من حديد يسمى المسبوغ او ذو السبوغ وآخر يسمى الموشح ولكميل وكان له عليه السلام فسطاط يسمى الكن وكان له محجن قدر ذراع او اكثر يمشي ويركب به ويعلقه بين يديه على بعيره وكانت له مخصرة تسمى العرجون وقضيب من الشوحط يسمى الممشوق وكان له قدح يسمى الريان وآخر يسمى مغيثا وقدح مضبب بسلسلة من فضة في ثلاث مواضع وآخر من عيدان وآخر من زجاج وتور من حجارة يسمى المخضب وركوة تسمى الصادرة ومخضب من نحاس ومغتسل من صفر ومدهن وربعة اسكندرانية يجعل فيها المرآة ومشط من عاج وهو الذبل ومكحلة يكتحل منها عند النوم ثلاثا في كل عين وكان في الربعة ايضا المقراض والسواك وهذه الربعة اهداها له المقوقس صاحب الاسكندرية مع مارية ام ابراهيم عليه السلام و كانت له قصعة تسمى الغرا باربع حلق وصاع ومد وقطيفة وسرير قوائمه من ساج وفراش من ادم حشوه ليف وخاتم من حديد ملوي بفضة وخاتم فضة فصه منه يجعله في يمينه وقيل كان اولا في يمينه ثم حوله الى يساره منقوش عليه محمد رسول الله واهدى له النجاشي خفين ساذجين فلبسهما وكان له ثلاث جباب يلبسهن في الحرب وجبة سندس اخضر وجبة طيالسة وعمامة يقال لها السحاب واخرى سوداء ورداء صلوات الله وسلامه عليه

الفصل التاسع في ذكر خيله عليه السلام ولقاحه ودوابه عليه السلام

فالسكب يقال فرس سكب اي كثير الجري كانما يصب جريه صبا واصله من سكب الماء يسكبه وهو فرس ملكه اشتراه عليه السلام بعشرة اواق وكان اغر محجلا طلق اليمين كميتا وقال ابن الاثير كان ادهم والمرتجز سمي به لحسن صهيله ماخوذ من الرجز الذي هو ضرب من الشعر وكان ابيض وهو الذي شهد له فيه خزيمة بن ثابت فجعل شهادته شهادة رجلين والظرب اهداها له فروة بن عمرو الجذامي واللحيف بالمهملة اهداها له ربيعة بن ابي البراء سمي به لسمنه وكبره كانه يلحف الارض اي يغطيها بذنبه لطوله فعيل بمعنى فاعل ويقال لحف الرجل باللحاف طرحه عليه ويروى بالجيم وبالخاء المعجمة رواه البخاري ولم يتحققه والمعروف بالحاء المهملة قاله في النهاية واللزاز سمي به لشدة تلززه واجتماع خلقه ولزبه الشيء اي لزق به كانه يلحق بالمطلوب لسرعته وهذه اهداها له المقوقس والورد وسبحة بالموحدة من قولهم فرس سابح اذا كان حسن مد اليدين في الجري فهذه سبعة متفق عليها وذكر ابن بنين فيما حكاه الحافظ الدمياطي البحر في خيله عليه السلام قال وكان اشتراه من تجار قدموا من اليمن فسبق عليه مرات فجثا صلى الله عليه وسلم على ركبتيه ومسح وجهه وقال ما انت الا بحر فسمي بحرا قال ابن الاثير وكان كميتا وكان سرجه دفتان من ليف وكان له صلى الله عليه وسلم من البغال دلدل وكانت شهباء اهداها له المقوقس وفضة اهداها له فروة بن عمرو الجذامي واخرى اهداها له ابن العلما صاحب ايلة واخرى من دومة الجندل واخرى من عند النجاشي قيل واهدى له كسرى بغلة اخرى وفي ذلك نظر وكان له عليه السلام من الحمير عفير اهداه له المقوقس ويعفور اهداه فروة بن عمرو ويقال هما واحد وذكر ان سعد بن عبادة اعطى للنبي صلى الله عليه وسلم حمارا فركبه وكان له عليه السلام

من اللقاح

من اللقاح القصوا وهي التي هاجر عليها والعضباء والجدعاء ولم يكن بها عضب ولا جدع وانما سميت بذلك وقيل كان باذنها عضب وقيل العضباء والجدعاء واحدة والعضباء هي التي كانت لا تسبق فجاء اعرابي على قعود له فسبقها فشق ذلك على المسلمين فقال عليه السلام ان حقا على الله ان لا يرفع من الدنيا شيئا الا وضعه وغنم عليه السلام يوم بدر جملا لابي جهل في انفه برة من فضة فاهداه يوم الحديبية ليغيظ به المشركين وكانت له خمسة واربعون لقحة ارسل بها اليه سعد ابن عبادة وكانت له مائة شاة وكان له سبعة اعنز منايح ترعاهن ام ايمن

الفصل العاشر في ذكر من وفد عليه صلى الله عليه وسلم وزاده شرفا

قال النووي الوفد الجماعة المختارة للتقدم في لقي العظماء واحدهم وافد انتهى وقد كان ابتداء الوفود عليه بعد رجوعه عليه السلام من الجعرانة في آخر سنة ثمان وما بعدها وقال ابن اسحق بعد غزوة تبوك وقال ابن هشام كانت سنة تسع تسمى سنة الوفود وقد سرد محمد بن سعد في الطبقات الوفود وتبعه الدمياطي في السيرة له وابن سيد الناس ومغلطاي والحافظ زين الدين العراقي ومجموع ما ذكروه يزيد على الستين فقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد هوازن كما ذكره البخاري وغيره وذكر موسى بن عقبة في المغازي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف من الطائف في شوال الى الجعرانة وفيها السبي يعني سبي هوازن قدمت عليه وفود هوازن مسلمين فيهم تسعة نفر من اشرافهم فاسلموا وبايعوا ثم كلموه فقالوا يا رسول الله ان فيمن اصبتم الامهات والاخوات والعمات والخالات فقال ساطلب لكم وقد وقعت المقاسم فاي الامرين احب اليكم السبي ام المال قالوا خيرتنا يا رسول الله بين الحسب والمال فالحسب احب الينا ولا نتكلم في شاة ولا بعير فقال اما الذي لبني هاشم فلكم وسوف اكلم لكم المسلمين فكلموهم واظهروا اسلامكم فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الهاجرة قاموا فتكلم خطباؤهم فابلغوا ورغبوا الى المسلمين في رد سبيهم ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرغ فشفع لهم وحض المسلمين عليه وقال قد رددت الذي لبني هاشم عليهم وفي رواية ابن اسحق عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده وادركه وفد هوازن بالجعرانة وقد اسلموا فقالوا يا رسول الله انا اهل وعشيرة وقد اصابنا من البلاء ما لم يخف عليك فامنن علينا من الله عليك وقام خطيبهم زهير بن صرد فقال يا رسول الله انما في الحظائر من السبايا خالاتك وعماتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك وانت خير مكفول ثم انشد

امنن علينا رسول الله في كرم ... فانك المرء نرجوه وننتظر

الابيات المشهورة الاتية ان شاء الله تعالى وروينا في المعجم الصغير للطبراني من ثلاثياته عن زهير بن صرد الجشمي يقول لما اسرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين يوم هوازن وذهب يفرق السبي والشاء اتيته فانشأت اقول هذا الشعر

امنن علينا رسول الله في كرم ... فانك المرء نرجوه وننتظر
امنن على بيضة قد عاقها قدر ... مشتت شملها في دهرها غير
ابقت لنا الدهر هتافا على حزن ... على قلوبهم الغماء والغمر
ان لم تداركهم نعماء تنشرها ... يا ارجح الناس حلما حين يختبر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها ... واذ يزينك ما تأتي وما تذر

لا تجعلنا كمن شالت نعامته ۞ واستبق منا فانا معشر زهر ۞
انا لنشكر للنعما اذ كفرت ۞ وعندنا بعد هذا اليوم مدخر ۞
فالبس العفو من قد كنت ترضعه ۞ من امهاتك ان العفو مشتهر ۞
يا خير من مرحت كمت الجياد به ۞ عند الهياج اذا ما استوقد الشرر ۞
انا نؤمل عفوا منك نلبسه ۞ هادي البرية اذ تعفو وتنتصر ۞
فاعفو عفا الله عما انت راهبه ۞ يوم القيامة اذ يهدي لك الظفر ۞

قال فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم هذا الشعر قال ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم
وقالت قريش ما كان لنا فهو لله ولرسوله وقالت الانصار ما كان لنا فهو لله ولرسوله ومن بين
الطبراني وزهير لا يعرف لكن يقوي حديثه بالمتابعة المذكورة فهو حديث حسن وقد وهم من زعم
انه منقطع وقد زاد الطبراني على ما اورده ابن اسحاق خمسة ابيات وذكر الواقدي ان وفد
هوازن كانوا اربعة وعشرين بيتا فيهم ابو برقان السعدي فقال يا رسول الله ان في الحظاير
الا امهاتك وخالاتك وحواضنك ومرضعاتك فامنن علينا من الله عليك فقال لقد استانيت بكم
حتى ظننت انكم لا تقدمون وقد قسمت السبي **وقدم عليه عليه السلام وفد ثقيف**
بعد قدومه عليه السلام من تبوك وكان من امرهم انه صلى الله عليه وسلم لما انصرف
من الطايف قيل له يا رسول الله ادع على ثقيف فقال اللهم اهد ثقيفا وايت بهم ولما انصرف
عنهم اتبع اثره عروة بن مسعود حتى ادركه قبل ان يدخل المدينة فاسلم وساله ان يرجع
الى قومه بالاسلام فلما اشرف لهم على علية له وقد دعاهم الى الاسلام واظهر لهم دينه
رموه بالنبل من كل وجه فاصابه سهم فقتله ثم اقامت ثقيف بعد قتله اشهرا ثم انهم
ايتمروا بينهم وراوا انهم لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب وقد بايعوا واسلموا واجمعوا
ان يرسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثوا عبد يا ليل بن عمرو بن عمير ومعهما اثنان
من الاحلاف وثلاثة من بني مالك عثمان بن ابي العاص واوس بن عوف ونمير بن خرشة فلما قدموا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عليهم قبة في ناحية المسجد وكان خالد بن سعيد
ابن العاص هو الذي يمشي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اسلموا واكتتبوا
كتابهم وكان خالد هو الذي كتبه وكان فيما سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدع لهم
الطاغية وهي اللات لا يهدمها ثلاث سنين فابى عليهم عليه السلام الا ان يبعث ابا سفيان بن حرب
والمغيرة بن شعبة يهدمانها وكانوا سالوه مع ذلك ان يعفيهم من الصلاة وان لا يكسروا اصنامهم
بايديهم فقال عليه السلام كسروا اوثانكم بايديكم واما الصلاة فلا خير في دين لا صلاة فيه
فلما اسلموا وكتب لهم الكتاب امر عليهم عثمان بن العاص وكان من احدثهم سنا لكنه كان من احرصهم
على التفقه في الاسلام وتعلم القران فرجعوا الى بلادهم ومعهم ابو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة
لهدم الطاغية فلما دخل المغيرة عليها علاها يضربها بالمعول وخرج نساء ثقيف حسرا يبكين عليها
واخذ المغيرة بعد ان كسرها مالها وحليها وكان كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كتب لهم
بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى المؤمنين ان عضاه وج وصيده حرام لا يعضد
ومن وجد يفعل شيئا من ذلك فانه يجلد وتنزع ثيابه فان تعدى ذلك فانه يوخذ فيبلغ النبي محمدا

وان هذا

وان هذا امر النبي محمد رسول الله فكتب خالد بن سعيد بامر الرسول محمد بن عبد الله فلا يتعداه احد
فيظلم نفسه فيما امر به محمد رسول الله **ووج** واد بالطايف واختلف فيه هل هو حرم يحرم صيده
وقطع شجره فالجمهور انه ليس في البقاع حرم الا حرم مكة والمدينة وخالفهم ابو حنيفة في حرم
المدينة وقال الشافعي في احد قوليه وج حرم يحرم صيده وشجره واحتج لهذا القول بحديثين
احدهما ما تقدم والثاني حديث عروة بن الزبير عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان صيد وج وعضاهه حرم لله رواه الامام احمد وابو داود ولكن في سماع عروة من ابيه
نظر وان كان قد رآه وفي مغازي المعتمر بن سليمان عن عبد الله بن عبد الرحمن الطايفي عن عمه
عمرو بن اوس عن عثمان بن ابي العاص قال استعملني رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اصغر
الستة الذين وفدوا عليه من ثقيف وذلك اني كنت قرات سورة البقرة فقلت يا رسول الله
ان القران يتفلت مني فوضع يده على صدري وقال يا شيطان اخرج من صدر عثمان فما نسيت
شيئا بعده اريد حفظه وفي صحيح مسلم عن عثمان بن ابي العاص قلت يا رسول الله ان الشيطان
قد حال بيني وبين صلاتي وقراتي فقال ذلك شيطان يقال له خنزب فاذا احسسته فتعوذ بالله
منه واتفل عن يسارك ثلاثا قال ففعلت فاذهبه الله عني **وقدم وفد بني عامر عليه**
صلى الله عليه وسلم قال ابن اسحق لما فرغ عليه السلام من تبوك واسلمت ثقيف وبايعت ضربت
اليه وفود العرب من كل وجه فدخلوا في دين الله افواجا يضربون اليه من كل وجه فوفد اليه
عليه السلام بنو عامر بن الطفيل واربد بن قيس وخالد بن جعفر وجبار بن اسلم بن مالك وكان
هؤلاء النفر رؤساء القوم وشياطينهم فقدم عدو الله عامر بن الطفيل على رسول الله وهو يريد
ان يغدر به فقال لاربد اذا اقدمنا على الرجل فاني شاغل عنك وجهه فاذا فعلت ذلك فاعله
بالسيف فكلم عامر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال والله لاملانها عليك خيلا ورجلا فلما
ولى قال عليه السلام اللهم اكفني عامر بن الطفيل فلما خرجوا قال عامر لاربد ويحك اين ما كنت
امرتك به فقال والله ما هممت بالذي امرتني به الا دخلت بيني وبينه افاضربك بالسيف ولما
كانوا ببعض الطريق بعث الله تعالى على عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه فقتله الله وفي صحيح
البخاري ان عامرا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اخيرك بين ثلاث خصال يكون لك اهل السهل
ولي اهل المدر او اكون خليفتك من بعدك او اغزوك بغطفان بالف اشقر والف شقراء فطعن
في بيت امراة فقال اغدة كغدة البكر في بيت امراة من بني فلان ايتوني بفرسي فركب فمات
على ظهر فرسه **وقدم وفد عبد القيس عليه** زاده فضلا وشرفا لديه وهي قبيلة
كبيرة يسكنون البحرين ينسبون الى عبد القيس بن افصى بسكون الفاء بعدها مهملة بوزن
اعمى بن دعمي بضم المهملة وسكون المهملة ايضا وكسر الميم بعدها تحتانية وفي الصحيحين
من حديث ابن عباس قدم وفد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ممن القوم قالوا من ربيعة قال مرحبا بالوفد غير خزايا ولا ندامى فقالوا يا رسول الله
ان بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر وانا لا نصل اليك الا في شهر حرام فمرنا بامر فصل ناخذ به
ونامر به من وراءنا وندخل به الجنة قال امركم باربع وانهاكم عن اربع امركم بالايمان بالله
وحده اتدرون ما الايمان بالله شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة

وإيتاء الزكوة وصوم رمضان وأن تعطوا من المغنم الخمس وأنهاكم عن أربع عن الربا والحنتم والنقير والمزفت فاحفظوهن وادعوا إليهن من وراءكم قال ابن القيم ففي هذه القصة أن الإيمان بالله مجموع هذه الخصال من القول والعمل كما على ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون وتابعوهم كلهم ذكره الشافعي في المبسوط وعلى ذلك ما يقارب مائة دليل من الكتاب والسنة ولم يعد الحج من هذه الخصال وكان قدومهم في سنة تسع وهذا أحد ما يحتج به على أن الحج لم يكن فرض بعد وأنه إنما فرض في العاشرة ولو كان فرض لعده من الإيمان كما عد الصوم والزكاة انتهى وقد كان لعبد القيس وفدتان إحداهما قبل الفتح ولهذا قالوا له عليه السلام حال بيننا وبينك كفار مضر وكان ذلك قديما إما في سنة خمس أو قبلها وكانت قريتهم في البحرين وكان عدد الوفد الأول ثلاثة عشر رجلا وقيل كانوا أربعة عشر إلا ومنها سألوه عن الإيمان وعن الأشربة وكان فيهم الأشج وكان كبيرهم وقال له عليه السلام إن فيك خصلتين يحبهما الله الحلم والأناة رواه مسلم من حديث أبي سعيد وأخرج البيهقي بينا النبي صلى الله عليه وسلم يحدث أصحابه قال سيطلع عليكم من ههنا ركب هم خير أهل المشرق فقام عمر نحوهم فلقي ثلاثة عشر راكبا فبشرهم بقوله عليه السلام ثم مشى معهم حتى أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فرموا بأنفسهم عن ركائبهم فأخذوا يده فقبلوها الحديث وأخرجه البخاري في الأدب المفرد فيمكن أن يكون أحد المذكورين غير راكب أو مرتدفا **وثانيهما** كانت في سنة الوفود وكان عددهم حينئذ أربعين رجلا كما في حديث أبي خيرة الصباحي عند ابن منده ويؤيد التعدد ما أخرجه من وجه آخر أنه عليه السلام قال لهم ما لي أرى ألوانكم تغيرت ففيه إشعار بأنه كان رآهم قبل التغير وفي قولهم يا رسول الله دليل على أنهم كانوا حين المقالة مسلمين وكذا في قولهم كفار مضر وقولهم الله ورسوله أعلم ويدل على سبقهم إلى الإسلام أيضا ما في البخاري أن أول جمعة جمعت بعد جمعة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد عبد القيس بجواثى من البحرين وهي قرية لهم وإنما جمعوا بعد رجوع وفدهم إليهم قال في فتح الباري فدل على أنهم سبقوا جميع القرى إلى الإسلام وما جزم به ابن القيم من أن السبب في كونه لم يذكر الحج في الحديث لأنه لم يكن فرض وهو المعتمد وقد قدمت الدليل على قدم إسلامهم لكن جزمه تبعا للواقدي بأن قدومهم كان في سنة تسع قبل فتوح مكة ليس بجيد لأن فرض الحج كان سنة ست على الأصح ولكنه اختار كغيره أن فرض الحج في السنة العاشرة حتى لا يرد على مذهبه أنه على الفور شيء وقد احتج الشافعي لكونه على التراخي بأن فرض الحج كان بعد الهجرة وأنه صلى الله عليه وسلم كان قادرا على الحج في سنة ثمان وفي سنة تسع ولم يحج إلا في سنة عشر وسيأتي في حجه عليه السلام من مقصد عباداته مزيد لذلك إن شاء الله تعالى **فإن قلت** كيف قال أربع والمذكورات خمس **أجاب** القاضي عبد الوهاب تبعا لابن بطال بأن الأربع ما عدا أداء الخمس قال وكأنه أراد إعلامهم بقواعد الإيمان وفروض الأعيان ثم أعلمهم بما يلزمهم إخراجه إذا وقع لهم جهاد لأنهم كانوا بصدد محاربة كفار مضر ولم يقصد إلى ذكرها بعينها لأنها مسببة عن الجهاد إذ ذاك فرض عين قال ولذلك لم يذكر الحج لأنه لم يكن فرض وقال غيره قوله وأن تعطوا معطوف على قوله بأربع أي آمركم بأربع وأن تعطوا ويدل عليه العدول عن سياق الأربع والإتيان بأن والفعل

مع

مع توجه الخطاب إليهم وقال القاضي أبو بكر بن العربي يحتمل أن يقال إنه عليه السلام عد الصلاة والزكاة واحدة لأنها قرينتها في كتاب الله وتكون الرابعة أداء الخمس أو أنه لم يعد الخمس لأنه داخل في عموم إيتاء الزكاة والجامع بينهما أنه إخراج مال معين وقال البيضاوي الظاهر أن الأمور الخمسة هنا تفسير للإيمان وهو أحد الأربعة الموعود بذكرها والثلاثة الأخر حذفها الراوي اختصارا أو نسيانا وتعقب بأنه وقع في صحيح البخاري أيضا في رواية آمركم بأربع شهادة أن لا إله إلا الله وعقد واحدة فدل على أن الشهادة إحدى الأربعة وقال الطبري قيل إن أول الأربع المأمور بها إقام الصلاة وإنما ذكر الشهادة تبركا وإلى هذا نحا الطيبي فقال عادة البلغاء أن الكلام إذا كان منصوبا لغرض جعلوا سياقه له وطرحوا ما عداه وهنا لم يكن الغرض في الإيراد ذكر الشهادتين لأن القوم كانوا مؤمنين مقرين بكلمتي الشهادة ولكن ربما كانوا يظنون أن الإيمان مقصور عليهما كما كان الأمر في صدر الإسلام قال ولهذا لم يعد الشهادة من في الأوامر انتهى ملخصا من فتح الباري **وقدم عليه عليه الصلاة والسلام وفد بني حنيفة فيهم مسيلمة الكذاب** فكان منزلهم في دار امرأة من الأنصار من بني النجار فأتوا بمسيلمة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستر بالثياب ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس مع أصحابه في يده عسيب من سعف النخل فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يسترونه بالثياب كلمه وسأله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لو سألتني هذا العسيب الذي في يدي ما أعطيتكه وذكر حديثه ابن إسحق على غير ذلك فقال حدثني شيخ من أهل اليمامة من بني حنيفة أن وفد بني حنيفة أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفوا مسيلمة في رحالهم فلما أسلموا ذكروا له مكانه فقالوا يا رسول الله إنا قد خلفنا صاحبا لنا في رحالنا وركابنا يحفظها لنا فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أمر به للقوم وقال أما إنه ليس بشركم مكانا يعني لحفظه ضيعة أصحابه ثم انصرفوا فلما قدموا اليمامة ارتد عدو الله وتنبأ وقال إني أشركت في الأمر معه ثم جعل يسجع السجعات فيقول لهم فيما يقول مضاهاة للقرآن لقد أنعم الله على الحبلى أخرج منها نسمة تسعى من بين صفاق وحشى وسجع اللعين على سورة إنا أعطيناك الكوثر فقال إنا أعطيناك الجواهر فصل لربك وهاجر إن مبغضك رجل كافر وفي رواية إنا أعطيناك الجماهر فخذ لنفسك وبادر واحذر أن تحرص أو تكاثر وفي رواية إنا أعطيناك الكواثر فصل لربك وبادر في الليالي الغوادر ولم يعرف المخذول أنه محروم عن المطلوب وسيأتي في أوائل مقصد معجزاته عليه السلام من تسجيع مسيلمة الركيك مزيد على ما ذكر هنا إن شاء الله تعالى وقيل إنه أدخل البيضة في القارورة وادعى أنها معجزة له فافتضح بنحو ما ذكر أن النوشادر إذا ضرب في خل الخمر ضربا جيدا وجعلت فيه البيضة بنت يومها يوما وليلة فإنها تمتد كالخيط فتجعل في القارورة ويصب عليها الماء البارد فإنها تجمد ولما سمع اللعين أن النبي صلى الله عليه وسلم مج في بئر فكثر ماؤها وتفل في عين علي وكان أرمد فبرئ فتفل اللعين في بئر فغار ماؤها وفي عين بصير فعمي ومسح بيده ضرع شاة حلوب فارتفع درها ويبس ضرعها ولله در الشفا الطيبي حيث يقول يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم

أعجزت بالوحي أرباب البلاغة في * عصر البيان فضلت أوجه الحيل
سائلتهم سورة في مثل حكمته * فتلهم عنه حين العجز حين تلي
فرام رجس كذوب أن يعارضه * بغي تغي فلم يحسن ولم يطل
مثبج بركيك الإفك ملتبس * مجلج بزري الزور والخطل
يمج أول حرف سمع سامعه * ويحتريه كلال العجز والملل
كأنه منطق الورهاء شذبه * لبس من الخبل أو مس من الخبل
أمرت البير وأغورت لجته * فيها وأعمى بصير العين بالتفل
وأيبس الضرع منه شوم راحته * من بعد إرسال رسل منه منهمل

فشبه هذا الكلام الذي عارض به مسيلمة بكلام امرأة ورهاء وهي الحمقاء التي تتكلم لحمقها بما لا يفهم فهي تهذي بكلام مشذب أي مختلط لا يقترن بعضه ببعض ولا يشبه بعضه بعضا ككلام من به خبل بسكون الموحدة أي فساد أو مس من الخبل بفتحها أي جنون ثم إن اللعين وضع عن قومه الصلاة وأحل لهم الخمر والزنا وهو مع ذلك يشهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نبي وقد كان كتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله أما بعد فإني قد أشركت معك في الأمر وإن لنا نصف الأمر ولقريش نصف الأمر فقدم عليه صلى الله عليه وسلم رسوله بهذا الكتاب فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وفي الصحيحين من حديث نافع بن جبير عن ابن عباس قال قدم مسيلمة الكذاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول إن جعل لي محمد الأمر من بعده اتبعته وقدمها في بشر كثير من قومه فأقبل النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ثابت بن قيس بن شماس وفي يد النبي صلى الله عليه وسلم قطعة جريد حتى وقف على مسيلمة في أصحابه فقال إن سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها ولن تعدو أمر الله فيك ولئن أدبرت ليعقرنك الله وإني لأراك الذي أريت فيه ما رأيت وهذا ثابت بن قيس يجيبك عني ثم انصرف قال ابن عباس فسألت عن قول النبي صلى الله عليه وسلم إنك الذي رأيت فيه ما رأيت فأخبرني أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينا أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب فأهمني شأنهما فأوحي إلي في المنام أن انفخهما فنفختهما فطارا فأولتهما كذابين يخرجان من بعدي فهذان هما أحدهما العنسي صاحب صنعا والآخر مسيلمة فإن قلت كيف يلتئم خبر ابن إسحق مع الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم اجتمع به وخاطبه وصرح بحضرة قومه أنه لو سأله القطعة من الجريدة ما أعطاه فالجواب أن المصير إلى ما في الصحيح أولى ويحتمل أن يكون مسيلمة قدم مرتين الأولى كان تابعا وكان رئيس بني حنيفة غيره ولهذا أقام في حفظ رحالهم ومرة متبوعا وفيها خاطبه النبي صلى الله عليه وسلم أو القصة واحدة وكانت إقامته في رحالهم باختياره أنفة منه واستكبارا أن يحضر مجلس النبي صلى الله عليه وسلم وعامله عليه السلام معاملة الكرم على عادته في الاستئلاف فقال لقومه إنه ليس بشركم أي مكانا لكونه كان يحفظ رحالهم وأراد استئلافه بالإحسان بالقول

والفعل

والفعل فلما لم يفد في مسيلمة توجه بنفسه إليه ليقيم عليه الحجة ويعذر إليه بالإنذار والعلم عند الله تعالى وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد طي وفيهم زيد الخيل وهو سيدهم فعرض عليهم الإسلام فأسلموا وحسن إسلامهم وقال عليه السلام ما ذكر لي رجل من العرب بفضل ثم جاءني إلا رأيته دون ما يقال فيه إلا زيد الخيل فإنه لم يبلغ كل ما فيه ثم سماه زيد الخير فخرج راجعا إلى قومه فلما انتهى إلى ماء من مياه نجد أصابته الحمى فمات قاله ابن عبد البر وقيل مات في آخر خلافة عمر وله ابنان مكنف وحريث أسلما وصحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهدا قتال أهل الردة مع خالد وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد كندة في ثمانين أو ستين راكبا من كندة فدخلوا عليه مسجده قد رجلوا جممهم وتسلحوا ولبسوا جباب الحبرات مكففة بالحرير فلما دخلوا قال صلى الله عليه وسلم أولم تسلموا قالوا بلى قال فما هذا الحرير في أعناقكم فشقوه فنزعوه وألقوه وقدم عليه زاده الله فضلا وشرفا لديه الأشعريون وأهل اليمن قيل هو من عطف الخاص على العام وقال الحافظ أبو الفضل شيخ الإسلام ابن حجر المراد بهم بعض أهل اليمن وهم وفد حمير قال ووجدت في كتاب الصحابة لابن شاهين من طريق إياس بن عمرو الحميري أنه قدم وافدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من حمير فقالوا أتيناك لنتفقه في الدين الحديث والحاصل أن الترجمة مشتملة على طائفتين وليس المراد اجتماعهما في الوفادة فإن قدوم الأشعريين كان مع أبي موسى في سنة سبع عند فتح خيبر وقدوم حمير كان في سنة تسع وهي سنة الوفود ولهذا اجتمعوا مع بني تميم وروى يزيد بن هارون عن حميد عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقدم عليكم قوم هم أرق منكم قلوبا فقدم الأشعريون فجعلوا يرتجزون

غدا نلقى الأحبه * محمدا وحزبه

وعن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جاء أهل اليمن هم أرق أفئدة وأضعف قلوبا الإيمان يمان والحكمة يمانية السكينة في أهل الغنم والفخر والخيلاء في الفدادين أهل الوبر قبل مطلع الشمس رواه مسلم وفي البخاري أن نفرا من بني تميم جاؤوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبشروا يا بني تميم فقالوا بشرتنا فأعطنا فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء نفر من أهل اليمن فقال اقبلوا البشرى إذ لم يقبلها بنو تميم قالوا قد قبلنا ثم قالوا يا رسول الله جئنا لنتفقه في الدين ونسألك عن هذا الأمر فقال كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء وقوله وجاء نفر من أهل اليمن هم الأشعريون قوم أبي موسى وقدم عليه صلوات الله وسلامه عليه صرد بن عبد الله الأزدي فأسلم وحسن إسلامه في وفد من الأزد فأمره عليه السلام على من أسلم من قومه وأمره أن يجاهد بمن أسلم أهل الشرك من قبائل اليمن فخرج صرد يسير بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بجرش وبها قبائل من قبائل العرب فحاصرهم فيها قريبا من شهر وامتنعوا فيها فرجع عنهم قافلا حتى إذا كان في جبل لهم وظنوا أنه إنما ولى عنهم منهزما فخرجوا في طلبه حتى أدركوه فعطف عليهم فقتلهم قتلا شديدا وكان أهل جرش بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين منهم فبينما هما عنده عليه السلام

ثم

فقال لهما عليه السلام ان بدت الله لتنحر عند سكراي المكان الذي وقع به قتل قومهم قال
فجلس الرجلان الي ابي بكر وعثمان فقالا لهما ان رسول الله ينعى لكما قومكما فخرجا الي قومهما فوجداهم
قد اصيبوا في اليوم الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم ما قال وفي الساعة التي ذكر فيها ما ذكر
فخرج وفد جرش حتى قدموا عليه صلوات الله وسلامه عليه فاسلموا وحمى لهم حولا قريتهم
وفد بني الحارث بن كعب قال ابن اسحق بعث صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد
في شهر ربيع الآخر وجمادى الاول سنة عشر الى بني الحارث بن كعب بنجران وامره ان يدعوهم
الى الاسلام قبل ان يقاتلهم ثلاثا فان استجابوا فاقبل منهم وان لم يفعلوا فقاتلهم فخرج خالد
حتى قدم عليهم فبعث الركبان يضربون في كل وجه ويدعون الى الاسلام ويقولون ايها الناس
اسلموا تسلموا فاسلم الناس ودخلوا فيما دعوا اليه فاقام خالد يعلمهم الاسلام وكتب الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ثم اقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه
وفدهم منهم قيس بن الحصين ويزيد بن المحجل وشداد بن عبد الله وقال لهم عليه الصلاة
والسلام بم كنتم تغلبون من قاتلكم قالوا كنا نجتمع ولا نتفرق ولا نبدا احدا بظلم قال صدقتم
وامر عليهم قيس بن الحصين فرجعوا الى قومهم في بقية من شوال ومن ذي القعدة فلم يمكثوا
الا اربعة اشهر حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم **وقدم عليه صلى الله عليه
وسلم وفد همدان** فيهم مالك بن النمط وضمام بن مالك وعمرو بن مالك فلقوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم مرجعه من تبوك وعليهم مقطعات الحبرات والعمائم العدنية على الرواحل
المهرية والارحبية ومالك بن النمط يرتجز بين يديه صلى الله عليه وسلم وذكروا له كلاما
كثيرا حسنا فصيحا فكتب لهم عليه السلام كتابا اقطعهم فيه ما سالوه وامر عليهم مالك بن النمط
واستعمله على من اسلم من قومه وامره بقتال ثقيف وكان لا يخرج لهم سرح الا اغار عليه
و روى البيهقي باسناد صحيح عن البراء ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث خالد بن الوليد
الى اهل اليمن يدعوهم الى الاسلام قال البراء فكنت فيمن خرج مع خالد بن الوليد فاقمنا ستة
اشهر ندعوهم الى الاسلام فلم يجيبوا ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث علي ابن ابي طالب
فامره ان يقفل خالدا الا رجلا ممن كان مع خالد ان يعقب مع علي فلما دنونا من القوم خرجوا الينا
فصلى بنا علي ثم صفنا صفا واحدا ثم تقدم بين ايدينا وقرا عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاسلمت همدان جميعا فكتب علي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامهم فلما قرا
رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب خر ساجدا ثم رفع راسه فقال السلام على همدان
واصل الحديث في صحيح البخاري وهذا اصح مما تقدم ولم تكن همدان تقاتل ثقيفا ولا تغير
على سرحهم فان همدان باليمن وثقيف بالطايف قاله ابن القيم في الهدى النبوي **وفد
مزينة** روى البيهقي عن النعمان بن مقرن قال قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
اربعماية رجل من مزينة فلما اردنا ان ننصرف قال يا عمر زود القوم قال ما عندي الا شيء
من تمر ما اظنه يقع من القوم موقعا قال انطلق فزودهم قال فانطلق بهم عمر فادخلهم منزله
ثم اصعدهم الى علية فلما دخلنا اذا فيها من التمر مثل الجمل الاورق فاخذ القوم منه حاجتهم
قال النعمان وكنت في آخر من خرج فنظرت وما افقد موضع تمرة من مكانها **وفد دوس**

وكان

وكان قدم عليه صلى الله عليه وسلم بخيبر قال ابن اسحق كان الطفيل بن عمرو الدوسي يحدث انه قدم
مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بها فمشى اليه رجال قريش وكان الطفيل رجلا شريفا شاعرا
لبيبا فقالوا له انك قدمت بلادنا وهذا الرجل الذي بين اظهرنا فرق جماعتنا وشتت امرنا وانما قوله
كالسحر يفرق بين المرء وابنه وبين المرء واخيه وبين الرجل وزوجه وانا نخشى عليك وعلى قومك
ما قد دخل علينا فلا تكلمه ولا تسمع منه قال فوالله ما زالوا بي حتى اجمعت ان لا اسمع منه شيا ولا
اكلمه حتى حشوت في اذني حين غدوت الى المسجد كرسفا فرقا من ان يبلغني شيء من قوله قال فغدوت
الى المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قايم يصلي عند الكعبة فقمت قريبا منه فابى الله
الا ان يسمعني بعض قوله فسمعت كلاما حسنا فقلت واثكل امياه والله اني لرجل لبيب شاعر ما يخفى
علي الحسن من القبيح فما يمنعني ان اسمع من هذا الرجل ما يقول فان كان ما يقول حسنا قبلته
وان كان قبيحا تركته قال فمكثت حتى انصرف عليه السلام الى بيته فتبعته حتى اذا دخل بيته فقلت
يا محمد ان قومك قد قالوا لي كذا وكذا فوالله ما برحوا يخوفوني امرك حتى سددت اذني بكرسف ان لا
اسمع قولك ثم ابى الله الا ان يسمعنيه فسمعت قولا حسنا فاعرض علي امرك فعرض علي رسول الله
صلى الله عليه وسلم الاسلام وتلا علي القران فلا والله ما سمعت قولا قط احسن منه ولا امرا
اعدل منه فاسلمت وشهدت شهادة الحق وقلت يا رسول الله اني امرو مطاع في قومي واني راجع
اليهم فداعيهم الى الاسلام فادع الله ان يجعل لي اية قال فخرجت الى قومي حتى اذا كنت بثنية تطلعني
على الحاضر وقع نور بين عيني مثل المصباح قال فقلت اللهم في غير وجهي اني اخشى ان يظنوا انها مثلة وقعت
في وجهي لفراق دينهم قال فتحول فوقع في راس سوطي كالقنديل المعلق وانا اهبط اليهم من الثنية
اصبحت حتى جيتهم واصبحت فيهم فلما نزلت اتاني ابي وكان شيخا كبيرا فقلت اليك عني يا ابت فلست
مني ولست منك قال لم يا بني قلت قد اسلمت وتابعت دين محمد قال يا بني فديني دينك قال
فقلت فاذهب فاغتسل وطهر ثيابك ثم تعال اعلمك ما علمت قال فذهب فاغتسل وطهر ثيابه
ثم جاء فعرضت عليه الاسلام فاسلم ثم اتتني صاحبتي فقلت لها اليك عني فلست منك ولست مني قالت
لم قلت فرق الاسلام بيني وبينك اسلمت وتابعت محمدا عليه الصلاة والسلام قالت فديني دينك
فاسلمت ثم دعوت دوسا الى الاسلام فابطوا علي فجيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
يا نبي الله انه قد غلبني على دوس الزنا فادع الله عليهم فقال اللهم اهد دوسا ثم قال ارجع الى قومك
فادعهم الى الله وارفق بهم فرجعت اليهم فلم ازل بارض دوس ادعوهم الى الله ثم قدمت على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنزلت المدينة بسبعين او ثمانين بيتا من دوس ثم لحقنا برسول الله صلى الله
عليه وسلم فاسهم لنا مع المسلمين وهذا يدل على تقدم اسلامه وقد جزم ابن ابي حاتم بانه قدم
مع ابي هريرة بخيبر وكانها قدمته الثانية **وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد نصارى
نجران** فلما دخلوا المسجد النبوي بعد العصر حانت صلاتهم فقاموا يصلون فيه فاراد الناس منعهم
فقال عليه السلام دعوهم فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم وكانوا ستين راكبا منهم اربعة وعشرون
رجلا من اشرافهم والاربعة والعشرون منهم ثلاثة تول اليهم امورهم العاقب امير القوم
وذو رايهم وصاحب مشورتهم واسمه عبد المسيح والسيد صاحب رحلهم ومجتمعهم واسمه
الايهم بتحتانية ساكنة ويقال شرحبيل وابو حارثة بن علقمة اخو بكر بن وايل قد شرف فيهم ودرس

كتبهم وكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرفوه وموّلوه وكان يعرف أمر النبي صلى الله عليه
وسلم وشأنه وصفته مما علمه من الكتب المتقدمة ولكن حمله جهله على الاستمرار على النصرانية لما يرى
من تعظيمه ووجاهته عند أهلها فدعاهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام وتلا عليهم القرآن
فامتنعوا فقال إن أنكرتم ما أقول فهلم أباهلكم **وفي** البخاري من حديث حذيفة جاء السيد والعاقب
صاحبا نجران إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدان أن يلاعناه يعني يباهلاه فقال أحدهما
لصاحبه لا تفعل **و**عند أبي نعيم أن القائل ذلك هو السيد **و**عند غيره بل الذي قال ذلك هو العاقب
لأنه كان صاحب رأيهم **و**في زيادات يونس بن بكير في المغازي أن الذي قال ذلك شرحبيل فوالله
لئن كان نبيا فلاعناه يعني باهلناه لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا زاد في رواية ابن مسعود أبدا فقالا
إنا نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلا أمينا ولا تبعث معنا إلا أمينا فقال لأبعثن معكم رجلا
أمينا حق أمين فاستشرف لها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قم يا أبا عبيدة بن الجراح
فلما قام قال صلى الله عليه وسلم هذا أمين هذه الأمة **و**في رواية يونس بن بكير أنه صالحهم على
ألفي حلة ألف في رجب وألف في صفر ومع كل حلة أوقية وساق الكتاب الذي بينهم مطولا **وذكر**
ابن سعد أن السيد والعاقب رجعا بعد ذلك وأسلما وفي ذلك مشروعية مباهلة المخالف إذا أصر
بعد ظهور الحجة وقد وقع ذلك لجماعة من العلماء سلفا وخلفا ومما عرف بالتجربة أن من باهل وكان
مبطلا لا تمضي عليه سنة من يوم المباهلة **وقدم عليه صلى الله عليه وسلم رسول**
فروة بن عمرو الجذامي ملك الروم وكان منزله معان بإسلامه وأهدى له بغلة بيضاء ولما بلغ
الروم ذلك من إسلامه طلبوه حتى أخذوه فحبسوه ثم صلبوه على ماء بفلسطين وضربوا عنقه على ذلك
الماء **وقدم عليه صلى الله عليه وسلم ضمام بن ثعلبة** بعثه بنو سعد بن بكر روى البخاري
من حديث أنس بن مالك قال بينما نحن جلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد دخل رجل على
جمل فأناخه في المسجد ثم عقله ثم قال أيكم محمد والنبي صلى الله عليه وسلم متكئ بين ظهرانيهم
فقلنا هذا الرجل الأبيض المتكئ فقال له الرجل ابن عبد المطلب فقال النبي صلى الله عليه وسلم
قد أجبتك فقال إني سائلك فمشدد عليك في المسألة فلا تجد علي في نفسك فقال سل عما بدا لك
فقال أسألك بربك ورب من قبلك آلله أرسلك إلى الناس كلهم فقال اللهم نعم قال أنشدك بالله آلله
أمرك أن نصوم هذا الشهر من السنة قال اللهم نعم قال أنشدك بالله آلله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة
من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم نعم فقال الرجل آمنت بما جئت به
وأنا رسول من ورائي من قومي وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر **و**زاد ابن إسحق في مغازيه
فقال آلله أمرك أن نعبده ولا نشرك به شيئا وأن نخلع هذه الأنداد التي كان آباؤنا يعبدون
فقال صلى الله عليه وسلم اللهم نعم قال وكان ضمام رجلا جلدا أشعر ذا غديرتين ثم أتى بعيره
وأطلق عقاله ثم خرج حتى أتى قومه فاجتمعوا إليه وكان أول من تكلم به أن قال بئست اللات
والعزى قالوا مه يا ضمام اتق البرص والجنون والجذام قال ويلكم إنهما لا يضران ولا ينفعان إن الله
قد بعث رسولا وأنزل عليه كتابا استنقذكم به وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله
وإني قد جئتكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه فوالله ما أمسى في ذلك اليوم في حاضره رجل ولا امرأة
إلا مسلما قال ابن عباس فما سمعنا بوافد قوم أفضل من ضمام بن ثعلبة **وفد طارق بن عبد الله**

وقومه روى البيهقي عن جامع بن شداد قال حدثني رجل يقال له طارق بن عبد الله قال إني لقائم
بسوق ذي المجاز إذ أقبل رجل وهو يقول يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا ورجل يتبعه يرميه
بالحجارة يقول يا أيها الناس إنه كذاب فلا تصدقوه فقلت من هذا فقالوا هذا غلام من بني هاشم يزعم
أنه رسول الله قال قلت من هذا الذي يفعل به هذا قالوا هذا عمه عبد العزى قال فلما أسلم الناس
وهاجروا خرجنا من الربذة نريد المدينة نمتار من تمرها فلما دنونا من حيطانها ونخلها قلنا لو نزلنا
فلبسنا ثيابا غير هذه فإذا رجل في طمرين له فسلم وقال من أين أقبل القوم قلنا من الربذة قال وأين
تريدون قلنا نريد المدينة قال ما حاجتكم فيها قلنا نمتار من تمرها قال ومعنا ظعينة لنا ومعنا جمل أحمر
مخطوم فقال أتبيعون جملكم هذا قالوا نعم بكذا وكذا صاعا من تمر فأخذ بخطام الجمل فانطلق فلما توارى عنا
بحيطان المدينة ونخلها قلنا ما صنعنا والله ما بعنا جملنا ممن نعرف ولا أخذنا له ثمنا قال تقول المرأة التي
معنا والله لقد رأيت رجلا كأن وجهه قطعة القمر ليلة البدر أنا ضامنة لثمن جملكم وفي رواية ابن إسحق
قالت الظعينة فلا تلاوموا فلقد رأيت وجه رجل لا يغدر بكم ما رأيت شيئا أشبه بالقمر ليلة البدر من
وجهه إذ أقبل رجل فقال أنا رسول رسول الله إليكم هذا تمركم فكلوا واشبعوا واكتالوا واستوفوا
فأكلنا حتى شبعنا واكتلنا واستوفينا ثم دخلنا المدينة فلما دخلنا المسجد إذا هو قائم على المنبر
يخطب الناس فأدركنا من خطبته وهو يقول تصدقوا فإن الصدقة خير لكم اليد العليا خير من
اليد السفلى **وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد تجيب** وهم من السكون ثلاثة عشر
رجلا قد ساقوا معهم صدقات أموالهم التي فرض الله عليهم فسر عليه السلام بهم وأكرم منزلتهم
وأمر بلالا أن يحسن ضيافتهم ثم جاؤوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يودعونه فأمر بلالا أن
فأجازهم بأرفع ما كان يجيز به الوفود قال هل بقي منكم أحد قالوا غلام خلفناه على رحالنا هو أحدثنا
سنا قال أرسلوه إلينا فلما أقبل الغلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
إن حاجتي ليست كحاجة أصحابي وإن كانوا راغبين في الإسلام والله ما أخرجني من بلادي إلا أن
تسأل الله أن يغفر لي ويرحمني وأن يجعل غناي في قلبي فقال عليه السلام اللهم اغفر له وارحمه
واجعل غناه في قلبه ثم أمر له بما أمر لرجل من أصحابه ثم انطلقوا راجعين إلى أهليهم ثم وافوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى سنة عشر فقال ما فعل الغلام قالوا يا رسول الله ما رأينا
مثله قط ولا حدثنا بأقنع منه بما رزقه الله لو أن الناس اقتسموا الدنيا ما نظر نحوها ولا التفت
إليها **قدوم وفد بني سعد هذيم من قضاعة** روى الواقدي عن أبي النعمان عن أبيه
من بني سعد هذيم قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وافدا في نفر من قومي فنزلنا
ناحية من المدينة ثم خرجنا نؤم المسجد الحرام فقمنا ناحية ولم ندخل مع الناس في صلاتهم حتى
نلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونبايعه ثم بايعناه صلى الله عليه وسلم على الإسلام ثم انصرفنا
إلى رحالنا وقد كنا خلفنا أصغرنا فبعث عليه السلام في طلبنا فأتي بنا إليه فتقدم صاحبنا إليه فبايعه
على الإسلام فقلنا يا رسول الله إنه أصغرنا وخادمنا فقال أصغر القوم خادمهم بارك الله عليك قال
فكان والله خيرنا وأقرأنا للقرآن لدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أمره علينا فكان يؤمنا فلما رجعنا إلى قومنا
رزقهم الله الإسلام **وقدم وفد بني فزارة** قال أبو الربيع بن سالم في كتاب الاكتفاء ولما رجع رسول الله
صلى الله عليه وسلم من تبوك قدم عليه وفد بني فزارة بضعة عشر رجلا فيهم خارجة بن حصن

والحرث بن قيس بن اخي عيينة بن حصن وهو اصغرهم مقرين بالاسلام وهم مسنتون على ركاب عجاف
فسالهم عن بلادهم فقال احدهم يا رسول الله اسنتت بلادنا وهلكت مواشينا واجدب جناننا
وغرث عيالنا فادع لنا ربك يغيثنا واشفع لنا وليشفع لنا ربك اليك فقال صلى الله عليه وسلم سبحان الله
ويلك هذا انا شفعت الى ربي عز وجل فمن ذا الذي يشفع ربنا اليه لا اله الا هو العظيم وسع كرسيه
السموات والارض فهي تئط من عظمته وجلاله كما يئط الرحل الجديد وقال عليه السلام ان الله عز
وجل يضحك من شفقكم وقرب غياثكم فقال الاعرابي يا رسول الله ويضحك ربنا عز وجل قال نعم
فقال الاعرابي لن نعدم من رب يضحك خيرا فضحك صلى الله عليه وسلم من قوله وصعد
المنبر فرفع يديه حتى رؤي بياض ابطيه وكان مما حفظ من دعائه اللهم اسق بلدك الميت اللهم
اسقنا غيثا مغيثا مريئا طبقا واسعا عاجلا غير آجل نافعا غير ضار اللهم سقيا رحمة لا سقيا عذاب
ولا هدم ولا غرق ولا محق اللهم اسقنا الغيث وانصرنا على الاعداء الحديث ورواه ابو سعيد النيسابوري
وبتمامه ان شاء الله تعالى في الاستسقاء من مقصد عباداته عليه السلام **وقدم عليه صلى الله
عليه وسلم وفد بني اسد** عشرة رهط منهم وابصة بن معبد وطليحة بن خويلد ورسول الله
صلى الله عليه وسلم جالس مع اصحابه فقال متكلمهم يا رسول الله انا نشهد ان الله وحده لا شريك له
وانك عبده ورسوله وجئناك ولم تبعث الينا بعثا فانزل الله تعالى يمنون عليك ان اسلموا قل لا
تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين **وقدم عليه صلوات
الله وسلامه عليه وفد بهراء** من اليمن وكانوا ثلاثة عشر رجلا فلما انتهوا الى باب المقداد
رحب بهم وقدم لهم جفنة من حيس فاكلوا منها حتى نهلوا وردت القصعة وفيها شيء فجمع في قصعة
صغيرة وارسل بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت ام سلمة فاصاب منها هو ومن معه
في البيت حتى نهلوا ثم اكل منها الضيف ما اقاموا يردد ذلك عليهم وما تغيض حتى جعلوا يقولون
يا ابا معبد انك لتنهلنا من احب الطعام الينا وما كنا نقدر على مثل هذا الا في الحين فاخبرهم ابو معبد
بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اكل منها وردها وان هذه بركة اصابعه عليه السلام فجعل
القوم يقولون نشهد انه رسول الله وازدادوا يقينا وتعلموا الفرائض واقاموا اياما ثم ودعوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فامر لهم بجوائزهم وانصرفوا الى اهليهم **وقدم عليه صلى الله عليه وسلم
وفد عذرة** في صفر سنة تسع وكانوا اثنا عشر رجلا منهم حمزة بن النعمان فرحب بهم عليه السلام
فاسلموا وبشرهم بفتح الشام وهرب هرقل الى ممتنع من بلاده ثم انصرفوا وقد اجيزوا **وقدم
عليه سلام الله عليه وفد بلي** فاسلموا فقال صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي هداكم
للاسلام فكل من مات على غير الاسلام فهو في النار ثم ودعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد ان اجازهم **وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد ذي مرة** وكانوا ثلاثة عشر
رجلا رئيسهم الحرث بن عوف فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف البلاد فقالوا والله انا
لمسنتون فادع الله لنا فقال عليه السلام اللهم اسقهم الغيث ثم اقاموا اياما ورجعوا بالجائزة فوجدوا
بلادهم قد امطرت في ذلك اليوم الذي دعا لهم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم **وقدم عليه
زاده الله شرفا لديه وفد خولان** في شعبان سنة عشر وكانوا عشرة فقالوا يا رسول الله
نحن مؤمنون بالله مصدقون برسوله وقد ضربنا اليك اباط الابل وركبنا حزون الارض وسهولها

ولله

والمنة لله ولرسوله علينا وقدمنا زائرين لك فقال عليه السلام اما ما ذكرتم من مسيركم الي فان
لكم بكل خطوة تخطاها بعير احدكم حسنة واما قولكم زائرين لك فانه من زارني بالمدينة كان في جواري
يوم القيامة ثم قال عليه السلام ما فعل عم انس الذي كانوا يعبدونه قالوا ابدلنا الله ما جئت به
الا ان عجوزا وشيخا كبيرا يتمسكان به وان قدمنا عليه هدمناه ان شاء الله تعالى ثم علمهم عليه السلام
فرائض الدين وامرهم بالوفاء بالعهد واداء الامانة وحسن الجوار وان لا يظلموا احدا ثم اجازهم
ورجعوا الى قومهم وهدموا الصنم **وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد محارب** عام
حجة الوداع وكانوا اغلظ العرب وافظهم عليه ايام عرضه على القبائل يدعوهم الى الله فجاءه عليه
السلام منهم عشرة فاسلموا ثم انصرفوا الى اهليهم **وقدم عليه عليه السلام وفد صداء** اعليهم
في سنة ثمان وذلك انه لما انصرفوا من الجعرانة بعث قيس بن سعد بن عبادة في اربع مائة وامره
ان يطأ ناحية من اليمن فيها صداء فقدم رجل منهم علم بالبعث على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله اردد الجيش وانا لك بقومي فرد قيسا ورجع الصدائي الى قومه فقدم على
رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة عشر رجلا منهم فبايعوه على الاسلام ورجعوا الى قومهم
ففشا فيهم الاسلام فوافى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم مائة رجل في حجة الوداع ذكره
الواقدي وذكر من حديث زياد بن الحرث الصدائي انه الذي قدم على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال له اردد الجيش وقال كان زياد هذا معه صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره
وانه عليه السلام قال له يا اخا صداء اهل معك ماء قلت معي شيء في اداوتي فقال صبه
في قعب ثم وضع عليه السلام كفه فرايت الماء ينبع من اصابعه عينا تفور **وقدم عليه
صلى الله عليه وسلم وفد غسان** في شهر رمضان سنة عشر وكانوا ثلاثة نفر فاسلموا
واجازهم عليه السلام بجوائز وانصرفوا راجعين **وقدم عليه وفد سلامان** في شوال
سنة عشر كما قال الواقدي وكانوا سبعة نفر فيهم حبيب بن عمرو فاسلموا وشكوا اليه جدب
بلادهم فدعا لهم ثم ودعوه وامر لهم بالجوائز ورجعوا الى بلادهم فوجدوها قد امطرت
في اليوم الذي دعا لهم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الساعة **وقدم عليه وفد
بني عبس** فقالوا يا رسول الله قدم علينا قراؤنا فاخبرونا انه لا اسلام لمن لا هجرة له ولنا
اموال ومواشي فان كان لا اسلام لمن لا هجرة له بعناها وهاجرنا فقال عليه السلام اتقوا الله
حيث كنتم فلن يلتكم من اعمالكم شيئا **وقدم عليه وفد غامد** سنة عشر وكانوا عشرة فاقروا
بالاسلام وكتب لهم كتابا فيه شرائع الاسلام وامر ابي بن كعب فعلمهم قرآنا واجازهم عليه السلام
وانصرفوا **وقدم عليه وفد الازد** ذكر ابو نعيم في كتاب معرفة الصحابة وابو موسى المديني
من حديث احمد بن ابي الحواري قال سمعت ابا سليمان الداراني قال حدثني علقمة بن يزيد بن سويد
الازدي قال حدثني ابي عن جدي قال وفدت سابع سبعة من قومي على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما دخلنا عليه وكلمناه اعجبه ما رأى من سمتنا وزينا فقال ما انتم قلنا مؤمنين مؤمنون
فتبسم عليه السلام وقال ان لكل قول حقيقة فما حقيقة قولكم وايمانكم قلنا خمسة عشر خصلة
خمس منها امرتنا رسلك ان نؤمن بها وخمس امرتنا ان نعمل بها وخمس تخلقنا بها في الجاهلية فنحن عليها
الا ان تكره منها شيئا فقال صلى الله عليه وسلم ما الخمس التي امرتكم بها رسلي قلنا امرتنا ان نؤمن

بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت قالوا وما الخمس التي امرتكم ان تعملوا بها قلنا امرتنا ان نقول لا اله الا الله ونقيم الصلاة ونؤتي الزكاة ونصوم رمضان ونحج البيت ان استطعنا اليه سبيلا قال وما الخمس التي تخلقتم بها في الجاهلية قلنا الشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء والرضا بمر القضاء والصدق في مواطن اللقاء وترك الشماتة بالاعداء فقال صلى الله عليه وسلم حكماء علماء كادوا من فقههم ان يكونوا انبياء ثم قال وانا ازيدكم خمسا فتتم لكم عشرون خصلة ان كنتم كما تقولون فلا تجمعوا ما لا تاكلون ولا تبنوا ما لا تسكنون ولا تنافسوا في شيء انتم عنه غدا زائلون واتقوا الله الذي اليه ترجعون وعليه تعرضون وارغبوا فيما عليه تقدمون وفيه تخلدون فانصرفوا وقد حفظوا وصيته عليه السلام وعملوا بها **وقدم عليه وفد بني المنتفق** روى عبد الله ابن الامام احمد في مسند ابيه عن دلهم بن الاسود عن عاصم بن لقيط ان لقيط بن عامر خرج وافدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه صاحب له نهيك بن عاصم بن مالك بن المنتفق فوافياه صلى الله عليه وسلم حين انصرف من صلاة الغداة فقام في الناس خطيبا فقال يا ايها الناس الا اني قد خبأت لكم صوتي منذ اربعة ايام لتسمعوا اليوم الا فهل من امرئ بعثه قومه فقالوا له اعلم لنا ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لعله يلهيه حديث نفسه او حديث صاحبه الا واني مسؤول هل بلغت الا اسمعوا تعيشوا الحديث وفيه ذكر البعث والنشور والجنة والنار وفيه ثم قال قلت يا رسول الله على ما ابايعك فبسط صلى الله عليه وسلم يده وقال على اقامة الصلاة وايتاء الزكاة وان لا تشرك بالله شيئا الحديث **وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد النخع** وهم اخر الوفود قدوما عليه وكان قدومهم في نصف المحرم سنة احدى عشرة في مائتي رجل فنزلوا دار الاضياف ثم جاؤوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقرين بالاسلام وقد كانوا بايعوا معاذ بن جبل فقال رجل منهم يقال له زرارة بن عمرو يا رسول الله اني رايت في سفري هذا عجبا قال وما رايت قال رايت اتانا تركتها كانها ولدت جديا اسفع احوى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تركت لك مصرة على حمل قال نعم قال فانها قد ولدت غلاما وهو ابنك قال يا رسول الله فما باله اسفع احوى قال ادن مني فدنا منه قال هل بك من برص تكتمه قال والذي بعثك بالحق نبيا ما علم به احد ولا اطلع عليه غيرك قال فهو ذلك قال يا رسول الله ورايت النعمان بن المنذر عليه قرطان مدملجان ومسكتان قال ذلك ملك العرب رجع الى احسن زيه وبهجته قال يا رسول الله ورايت عجوزا شمطاء خرجت من الارض قال تلك بقية الدنيا قال ورايت نارا خرجت من الارض فحالت بيني وبين ابن لي يقال له عمرو فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك فتنة تكون في اخر الزمان قال يا رسول الله وما الفتنة قال يقتلون الناس امامهم ويخالف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اصابعه يحسب المسيء فيها انه محسن ويكون دم المؤمن عند المؤمن احلى من شرب الماء ان مات ابنك ادركت الفتنة وان مت انت ادركها ابنك قال يا رسول الله ادع الله ان لا ادركها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا يدركها فمات وبقي ابنه فكان ممن خلع عثمان بن عفان رضي الله عنه انتهى ملخصا من الهدي النبوي والله اعلم وسياتي هذا ان شاء الله تعالى في تعبيره صلى الله عليه وسلم الرؤيا من المقصد الثامن

المقصد الثالث فيما فضله الله تعالى به من كمال خلقته وجمال صورته

١٢٠١

وكرمه تعالى به من الاخلاق الزكية وشرفه به من الاوصاف المرضية وما تدعو ضرورة حياته اليه صلى الله عليه وسلم وفيه اربعة فصول **الاول في كمال خلقته وجمال صورته صلى الله عليه وسلم** اعلم ان من تمام الايمان به صلى الله عليه وسلم الايمان بان الله تعالى جعل خلق بدنه الشريف على وجه لم يظهر قبله ولا بعده خلق ادمي مثله فيكون ما يشاهد من خلق بدنه ايات على ما يتضمنه من عظيم خلق نفسه الكريمة وما تضمنه من عظيم الاخلاق نفسه ايات على ما تحقق له من سر قلبه المقدس ولله در الابوصيري حيث قال

فهو الذي تم معناه وصورته ثم اصطفاه حبيبا بارئ النسم
منزه عن شريك في محاسنه فجوهر الحسن فيه غير منقسم

يعني حقيقة الحسن الكامل كائنة فيه لانه الذي تم معناه دون غيره وهي غير منقسمة بينه وبين غيره والا لما كان حسنه تاما لانه اذا انقسم لم ينله الا بعضه فلا يكون تاما وفي الاثر ان خالد بن الوليد خرج في سرية من السرايا فنزل ببعض الاحياء فقال له سيد ذلك الحي صف لنا محمدا فقال اما اني افصل فلا فقال الرجل اجمل فقال الرسول على قدر المرسل ذكره ابن المنير في اسرار الاسراء فمن ذا الذي يصل قدره ان يقدر قدر الرسول او يبلغ من الاطلاع على نور المرسول وقد حكى القرطبي في كتاب الصلاة عن بعضهم انه قال لم يظهر لنا تمام حسنه صلى الله عليه وسلم لانه لو ظهر لنا تمام حسنه لما اطاقت اعيننا رؤيته صلى الله عليه وسلم ولقد احسن الابوصيري ايضا حيث قال

اعيى الورى فهم معناه فليس يرى للقرب والبعد فيه غير منفحم
كالشمس تظهر للعينين من بعد صغيرة وتكل الطرف من امم

وهذا مثل قوله

انما مثلوا صفاتك للناس كما مثل النجوم الماء

واشار بقوله تظهر الى وجه التشبيه بالشمس لا مطلقا ولقد بين عيب التشبيه بها على الاطلاق ابو النواس حيث قال

تتيه الشمس والقمر المنير اذا قلنا كانهما الامير
لان الشمس تغرب حين تمسي وان البدر ينقصه المسير

وهذه التشبيهات الواردة في حقه عليه السلام انما هي على سبيل التقريب والتمثيل والا فذاته اعلى **فاما وجهه الشريف** فحسبك ما روى الشيخان من حديث البراء قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس وجها واحسنهم خلقا **وعن** ابي هريرة ما رايت شيئا احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الشمس تجري في وجهه رواه الترمذي والبيهقي واحمد وابن حبان قال الطيبي شبه جريان الشمس في فلكها بجريان الحسن في وجهه صلى الله عليه وسلم قال ويحتمل ان يكون من تناهي التشبيه جعل وجهه مقرا ومكانا للشمس ولله در القائل حيث قال

لم لا يضيء بك الوجود وليله فيه صباح من جمالك مسفر
فبشمس حسنك كل يوم مشرق وببدر وجهك كل ليل مقمر

وفي البخاري سُئل البراء كان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف في الطول فقال لا
بل مثل القمر وكان السائل اراد مثل السيف في الطول فرد عليه البراء فقال بل مثل القمر اي في التدوير
ويحتمل ان يكون اراد مثل السيف في اللمعان والصقال فقال بل فوق ذلك وعدل الى القمر الجامع
الصفتين من التدوير واللمعان وفي رواية مسلم من حديث جابر بن سمرة وقال له رجل كان
وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف فقال لا بل مثل الشمس والقمر وكان مستديرا
وانما قال مستديرا للتنبيه على انه جمع الصفتين لان قوله مثل السيف يحتمل ان يريد به
الطول او اللمعان فرده المسؤول ردا بليغا ولما جرى التعارف ان التشبيه بالشمس انما يراد به
غالبا الاشراق والتشبيه بالقمر انما يراد به الملاحة دون غيرهما فقوله وكان مستديرا اشارة
الى انه اراد به التشبيه بالصفتين معا الحسن والاستدارة وروى الترمذي والبيهقي عن علي
انه نعته صلى الله عليه وسلم فقال لم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم كان في وجهه تدوير والمكلثم المدور
الوجه اي لم يكن شديد تدوير الوجه بل في وجهه تدوير قليل وفي حديث علي عند ابي عبيد
في الغرايب وكان في وجهه تدوير قال ابو عبيد في شرحه يريد ما كان في غاية التدوير كان نحيف سهولة
وهي احلى عند العرب وفي حديث ابي هريرة عند الذهلي في الزهريات في صفته صلى الله عليه
وسلم كان أسيل الخدين قال ابن الاثير الاسالة في الخد استطالة وان لا يكون مرتفع الوجنة
وقال شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر وهو الحامل على من سأل الان وجهه مثل السيف واخرج
البخاري عن كعب بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار وجهه
كانه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه اي الموضع الذي يتبين فيه السرور وهو جبينه وقالت عايشة
مسرورا تبرق اسارير وجهه ولذلك قال قطعة قمر وفي حديث جبير بن مطعم عند الطبراني التفت
الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجه مثل شقة القمر فهذا محمول على صفته عند الالتفات
وقد اخرج الطبراني حديث كعب بن مالك من طرق في بعضها كانه دارة قمر ويسال عن السر في التقييد
بالقطعة مع كثرة ما ورد في كثير من كلام البلغاء من تشبيه الوجه بالقمر بغير تقييد وقد كان كعب
ابن مالك قايل هذا من شعراء الصحابة فلا بد في التقييد بذلك من حكمة وما قيل في ذلك من
الاحتراز من السواد الذي في القمر ليس بقوي لان المراد بتشبيهه ما في القمر من الضياء والاستنارة
وهو في تمامه لا يكون فيها اقل مما في القطعة المجردة فكان التشبيه وقع على بعض الوجه فناسب
ان يشبه ببعض القمر وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه قال كان وجه رسول الله صلى الله عليه
وسلم كدارة القمر اخرجه ابو نعيم وروى البيهقي عن ابي اسحاق عن امراة من همدان قالت حججت
مع النبي صلى الله عليه وسلم قلت لها شبهيه قالت كالقمر ليلة البدر لم ار قبله ولا بعده مثله
وروى الدارمي والبيهقي وابو نعيم والطبراني عن ابي عبيدة قال قلت للربيع بنت معوذ صفي لي
رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لو رايته لقلت الشمس طالعة وروى مسلم عن ابي الطفيل
انه قيل له صف لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان ابيض مليح الوجه وما احسن قول
سيدي علي بن وفا حيث قال

الا يا صاحب الوجه المليح ... سالتك لا تغيب فانت روحي
متى ما غاب شخصك عن عياني ... رجعت فلا ترى الا ضريحي

بحقك

بحقك جد لرقك يا حبيبي ... وداوي لوعة القلب الجزوع
ورق لمغرم في الحب امسى ... واصبح بالهوى دامي الضلوع
محب شاق بالاشواق ضرعا ... واوى منك للكرم الفسيح

وفي النهاية انه عليه السلام كان اذا سر فكان وجهه المراة وكان الجدر تلاحك وجهه
وقالوا الملاحكة شدة الملاءمة اي يرى شخص الجدر في وجهه صلى الله عليه وسلم وفي حديث
ابن ابي هالة يتلالا وجهه تلالؤ القمر ليلة البدر وذلك ان القمر يملا الارض بنوره ويونس
كل من شاهده وهو يجمع النور من غير اذى ويتمكن من النظر اليه بخلاف الشمس التي تغشي
البصر فتمنع من تمكن الرؤية والتشبيه بالبدر ابلغ في العرف من التشبيه بالقمر لانه وقت
كماله كما قال

لو كنت من شيء سوى بشر ... كنت المنور ليلة البدر

وقد صادف هذا التشبيه تحقيقا فمن اسمايه صلى الله عليه وسلم البدر ولهذا انشد لما
قدم المدينة

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع ... ولقد احسن من قال
كالبدر والكاف ان انصفت زايدة ... فيه فلا تظننها كافا للتشبيه

وما احلا قول ابن الحلاوي حيث قال

يقولون يحكي البدر في الحسن وجهه ... وبدر الدجى عن ذلك الحسن ينحط
كما شبهوا غصن النقا بقوامه ... لقد بالغوا بالمدح الغصن واشتطوا

فقد حصل للبدر والغصن غاية من الفخر بهذا التشبيه على ان هذه التشبيهات الواردة في صفاته
عليه السلام انما هي على عادة الشعراء والعرب والا فلا شيء في هذه المحدثات يعادل صفاته الخلقية
والخلقية ولله در امام العارفين سيدي محمد وفا حيث قال

كم فيه للابصار حسن مدهش ... كم فيه للارواح راح مسكر
سبحان من انشاه من سبحاته ... بشرا باسرار الغيوب يبشر
قاسوه جهلا بالغزال تغزلا ... هيهات يشبهه الغزال الاحور
هذا وحقك ما له من مشبه ... واري المشبه بالجهالة يكفر
يا بي عظيم الذنب في تشبيهه ... لولا ترى جماله يستغفر
فخر الملاح بحسنهم وجمالهم ... وبحسنه كل المحاسن تفخر
فجمالهم لكل جميلة ... وله منار كل وجه نير
جنات عدن في جنا وجناته ... ودليله ان المراشف كوثر
جهات الهوى عن هواه بغيره ... والغير في حشر الاجانب يحشر
كتب الغرام علي في اسفاره ... كتبا تؤول بالهوى وتفسر
فدع الدعي وما ادعاه في الهوى ... فدعيه بالهجر فيه يهجر
وعليك بالعلم العليم فانه ... لخطيبه في كل خطب منبر

واما بصره الشريف صلى الله عليه وسلم فقد وصفه الله تعالى في كتابه

واما بصره الشريف صلى الله عليه وسلم

العزيز بقوله ما زاغ البصر وما طغى وعن ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى بالليل في الظلمة كما يرى بالنهار في الضوء رواه البخاري وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى في الظلماء كما يرى في الضوء رواه البيهقي وعن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال هل ترون قبلتي هنا فوالله ما يخفى علي ركوعكم ولا سجودكم اني لاراكم من وراء ظهري رواه البخاري ومسلم وعند مسلم من رواية انس انه صلى الله عليه وسلم قال ايها الناس اني امامكم فلا تسبقوني بالركوع ولا بالسجود فاني اراكم من امامي ومن خلفي وعن مجاهد في قوله تعالى الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين قال كان صلى الله عليه وسلم يرى من خلفه من الصفوف كما يرى من بين يديه رواه الحميدي في مسنده وابن المنذر في تفسيره وهذه الرؤية رؤية ادراك والرؤية لا تتوقف على وجود آلتها التي هي العين عند اهل الحق ولا شعاع ولا مقابلة وهذا بالنسبة الى القديم العالي اما المخلوق فتتوقف صفة الرؤية في حقه على الحاسة والشعاع والمقابلة بالاتفاق ولهذا كان خرق عادة في حقه عليه السلام وخالق البصر في العين قادر على خلقه في غيرها قال الحرالي وهذه الاية قد جعلها الله تعالى دالة على ما في حقيقة امره في الاطلاع الباطن لسعة علمه ومعرفته لما عرف بربه لا بنفسه اطلعه الله على ما بين يديه مما تقدم من امر الله وعلى ما وراء الوقت مما تأخر من امر الله فلما كان على ذلك من الاحاطة في ادراك مدركات القلوب جعل الله تعالى له صلى الله عليه وسلم مثل ذلك في مدركات العيون فكان يرى المحسوسات من وراء ظهره كما يراها من بين يديه كما قال صلى الله عليه وسلم انتهى ومن الغريب ما ذكره الزاهدي مختار بن محمود شارح القدوري في رسالته الناصرية انه صلى الله عليه وسلم كان له بين كتفيه عينان كسم الخياط يبصر بهما ولا تحجبهما الثياب وقيل بل كانت صورهم تنطبع في حائط قبلته كما تنطبع في المرآة امثلتهم فيها فيشاهد افعالهم وهذا وان كان نقلا عن الشارع عليه السلام بطريق صحيح فمقبول والا فليس المقام مقام رأي على ان الاقعد في اثبات كونه معجزة حملها على الادراك من غير آلة والله اعلم وقد ذهب بعضهم الى ان هذه الرؤية رؤية قلبه الشريف وعن بعضهم المراد بها العلم اما بان يوحي الله اليه كيفية فعلهم واما بان يلهم والصحيح والصواب ما تقدم وقد استشكل على قول من يقول ان المراد بذلك العلم ما ذكره ابن الجوزي في بعض كتبه بغير اسناد انه صلى الله عليه وسلم قال اني لا اعلم ما وراء جداري هذا فان صح فالمراد منه نفي العلم بالمغيبات فكيف يجتمعان واجيب بان الاحاديث الاول ظاهرها ينطق باختصاص ذلك بحالة الصلاة ويحمل المطلق منها على المقيد واما اذا ذهبنا الى الادراك بالبصر وهو الصواب فلا اشكال لان نفي العلم هنا عن الغيب وذاك مشاهدة فان قيل يشكل على هذا ايضا اخباره صلى الله عليه وسلم بكثير من المغيبات ووقعت كما اخبر صلى الله عليه وسلم فالجواب ان نفي العلم في هذا ورد على اصل الوضع وهو ان علم الغيب مختص بالله تعالى وما وقع منه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم وغيره فمن الله تعالى اما بوحي او الهام ويدل على ذلك الحديث الذي فيه انه لما ضلت ناقته صلى الله عليه وسلم تكلم بعض المنافقين وقال ان محمدا يزعم انه يخبركم عن خبر السماء وهو لا يدري اين ناقته فقال صلى الله عليه وسلم لما بلغه ذلك والله اني لا اعلم الا ما علمني ربي وقد دلني ربي عليها وهي في موضع كذا وكذا حبستها شجرة بخطامها فذهبوا فوجدوها

كالخبر

كما اخبر صلى الله عليه وسلم فهو انه لا يعلم ما وراء جداره ولا غيره الا ما علمه ربه تبارك وتعالى ذكره القاضي في الشفا انه صلى الله عليه وسلم كان يرى في الثريا احد عشر نجما وعند السهيلي اثنا عشر في حديث ابن ابي هالة واذا التفت التفت جميعا خافض الطرف نظره الى الارض اطول من نظره الى السماء جل نظره الملاحظة وهي مفاعلة من اللحظ وهو النظر بشق العين الذي يلي الصدغ واما الذي في الانف فالموق والماق وقوله واذا التفت التفت جميعا اراد انه لا يسارق النظر وقيل لا يلوي عنقه يمنة ولا يسرة اذا نظر الى الشيء وانما يفعل ذلك الطائش الخفيف ولكن يقبل جميعا ويدبر جميعا قاله ابن الاثير وعن علي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيم العينين اهدب الاشفار مشرب العين بحمرة رواه البيهقي وعن جابر بن سمرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيم العينين اهدب الاشفار ضليع الفم اشكل العينين منهوس العقبين رواه مسلم والشكلة الحمرة تكون في بياض العين وهو محبوب محمود واما الشهلة فانها حمرة في سوادها وهذا هو الصواب لا ما فسره به بعضهم بانه طول شق العين وعند الترمذي في حديث عن علي انه نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان في وجهه تدوير ابيض مشربا ادعج العينين اهدب الاشفار الحديث والادعج شديد سواد الحدقة والاهدب الطويل الاشفار وهي شعر العين وعنده ايضا عن علي قال كان اسود الحدقة اهدب الاشفار وعن علي بعثني النبي صلى الله عليه وسلم يوما الى اليمن لاخطب يوما على الناس وحبر من احبار يهود واقف بيده سفر ينظر فيه فلما رآني قال صف لي ابا القاسم فقلت ليس بالطويل البائن ولا بالقصير الحديث وفيه قال علي ثم سكت فقال الحبر وماذا قلت هذا ما يحضرني قال الحبر في عينيه حمرة حسن اللحية ثم قال علي هذه صفته قال الحبر فاني اجد هذه الصفة في سفر آبائي واني اشهد انه نبي وانه رسول الله الى الناس كافة الحديث **واما سمعه الشريف** فحسبك انه لقد قال صلى الله عليه وسلم اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطت السماء وحق لها ان تئط ليس فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجد لله تعالى رواه الترمذي من رواية ابي ذر وما رواه ابو نعيم عن حكيم بن حزام بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في اصحابه اذ قال لهم تسمعون ما اسمع قالوا ما نسمع من شيء قال اني لاسمع اطيط السماء وما تلام ان تئط ما فيها موضع شبر الا وعليه ملك ساجد او قائم **واما جبينه الكريم صلى الله عليه وسلم** فقد كان واسع الجبين مقرون الحاجبين بهذا وصفه علي كما عند ابن سعد وابن عساكر فقال مقرون الحاجبين صلت الجبين اي واضحه والقرن اتصال شعر الحاجبين وعند البيهقي عن رجل من الصحابة قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا رجل حسن الجسم عظيم الجبهة دقيق الحاجبين ولله در القائل حيث قال

جبينه مشرق من فوق طرته ● يتلو الضحى ليله والليل كافره
بالمسك خطت على كافور جبهته ● من فوق نونا بها سينا لطافره
مكمل الخلق ما تحصى محاسنه ● منضر الحسن قد قلت نظائره

وقال ابن ابي هالة ازج الحواجب وفسر بالمقوس الطويل الوافر الشعر ثم قال من غير قرن بينهما عرق يدره الغضب اي يمتلي دما اذا غضب كما يمتلي الضرع لبنا اذا در قال في النهاية

وعن مقاتل بن حيان قال اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام اسمع واطع يا ابن الطاهرة البكر البتول
اني خلقتك من غير فحل فجعلتك اية للعالمين فاياي فاعبد وعلي فتوكل فسر لاهل سوران اني انا الله
الحي القيوم الذي لا ازول صدقوا النبي الامي صاحب الجمل والمدرعة والعمامة والنعلين والهراوة
الجعد الراس الصلت الجبين الاهدب الاشفار الادعج العينين المقرون الحاجبين الاقنى الانف
الواضح الخدين الكث اللحية عرقه في وجهه كاللؤلؤ وريح المسك ينفح منه كان عنقه ابريق فضة
الحديث والاكحل الواسع شق العين والقرن بالتحريك التقاء الحاجبين وما وصفه ابن ابي هالة
خالف لما في حديث مقاتل بن حيان وما في حديث ام معبد فانها قالت ازج اقرن اي مقرون الحاجبين
قال ابن الاثير فالاول هو الصحيح في صفته يعني سوابغ في غير قرن والقنا في الانف طوله
ودقة ارنبته مع حدب في وسطه وقد وصفه صلى الله عليه وسلم غير واحد بانه
كان عظيم الهامة اي الراس كذا في حديث ابن ابي هالة المشهور وقال علي بن ابي طالب
في حديث رواه الترمذي وصححه والبيهقي ضخم الراس وكذا قال انس في رواية البخاري
وكان عليه السلام ايضا ضخم الكراديس وهي رؤوس العظام كما وصفه به علي في حديث الترمذي
وقال ايضا في رواية للترمذي جليل المشاش والكتد وفسر برؤوس العظام كالركبتين والمرفقين
والمنكبين اي عظيمها والكتد بفتحتين وتجوز كسر التاء مجتمع الكتفين وكان عليه السلام دقيق
العرنين اي اعلا الانف كما وصفه به علي وفي رواية ابن سعد وابن عساكر وفي روايته ايضا
عن ابن عمر من وصف علي له ايضا اقنى الانف وفسر بالسائل المرتفع وسطه وقال ابن ابي هالة
اقنى العرنين له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله اشم والاشم الطويل قصبة الانف

واما فمه الشريف صلى الله عليه وسلم ففي مسلم من حديث جابر انه صلى الله
عليه وسلم كان ضليع الفم يعني واسعه وكذا وصفه به ابن ابي هالة وزاد يفتتح الكلام ويختمه
باشداقه يعني لسعة فمه والعرب تمدح به وتذم بصغر الفم وقال شم عظيم الاسنان وفي
حديثه عند البزار والبيهقي قال ابو هريرة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اسيل الخدين
ووصف صلى الله عليه وسلم ابن ابي هالة فقال اشنب مفلج الاسنان والشنب
رونق الاسنان وماؤها وقيل رقتها وتحزيزها والفلج الاسنان اي متفرقها وقال علي مبلج الثنايا
بالموحدة اخرجه ابن سعد من حديث ابي هريرة وعند ابن عساكر عن علي براق الثنايا وعن ابن
عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم افلج الثنيتين اذا تكلم رؤي كالنور يخرج من ثناياه
رواه الترمذي في الشمائل والدارمي والطبراني في الاوسط وكان عليه السلام احسن عباد الله
شفتين والطفهم ختم فم ثم قال

بحر من الشهد في فيه مراشفه ياقوته صدف فيه جواهره

وعن ابي قرصافة قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وامي وخالتي فلما رجعنا قالت لي
امي وخالتي يا بني ما راينا مثل هذا الرجل احسن وجها ولا انقى ثوبا ولا الين كلاما ورأينا
كالنور يخرج من فيه واما ريقه الشريف ففي الصحيح عن سهل بن سعد ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر لاعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله
ويحبه الله ورسوله فلما اصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو ان يعطاها

فقال اين علي بن ابي طالب فقالوا هو يا رسول الله يشتكي عينيه قال فارسلوا اليه فاتي به فبصق رسول الله
صلى الله عليه وسلم في عينيه فبرا حتى كان لم يكن به وجع الحديث متفق عليه وانه بدلو من ماء فشرب
من الدلو ثم صب في البئر او قال مج في البئر ففاح منها مثل رائحة المسك رواه احمد وابن ماجة من
حديث وائل بن حجر وبزق في بئر دار انس فلم يكن بالمدينة بئر اعذب منها رواه ابو نعيم وكان
عليه السلام يوم عاشوراء يدعو برضعائه ورضعاء ابنته فاطمة فيتفل في افواههم ويقول
للامهات لا ترضعنهم الى الليل فكان ريقه يجزيهم رواه البيهقي ودخلت عليه عميرة بنت مسعود
هي واخواتها يبايعنه وهن خمس فوجدنه ياكل قديدا فمضغ لهن قديدة ثم ناولني القديدة فمضغتها كل واحدة
قطعة قطعة فلقين الله وما وجدن لافواههن خلوف رواه الطبراني ومسح صلى الله عليه وسلم
بيده الشريفة بعد ان نفث فيها من ريقه على ظهر عتبة وبطنه وكان به شرى فما كان يشم
اطيب منه رائحة رواه الطبراني واعطى الحسن لسانه وكان قد اشتد ظماه فمصه حتى روي
رواه ابن عساكر ولله در امام العارفين سيدي محمد وفا الشاذلي حيث يقول

كجنا النحل في فيه وفيه حياتنا ولكنه من لي بلثم لثامه
رحيق الثنايا والمثاني تنفست اذا قال عن فتح بطيب ختامه

واما فصاحة لسانه وجوامع كلمه وبديع بيانه وحكمه فكان صلى الله عليه وسلم
افصح خلق الله واعذبهم كلاما واسرعهم اداء واحلاهم منطقا حتى كان كلامه ياخذ القلوب ويسبي الارواح

بنظم در الثغر نثر مقوله فيا حسنه في نثره ونظامه
يناجي فيغني من يناجي من الجوى فكل كليم برؤه في كلامه

ففصاحة لسانه عليه السلام غاية لا يدرك مداها ومنزلة لا يدانى منتهاها وكيف لا يكون ذلك وقد
جعل الله تعالى لسانه سيفا من سيوفه يبين عنه مراده ويدعو اليه عباده فهو ينطق بحكمه
عن امره ويبين عن مراده بحقيقة ذكره افصح خلق الله اذا لفظ وانصحهم اذا وعظ لا يقول
هجرا ولا ينطق هذرا كلامه كله يثمر علما ويمتثل شرعا وحكما لا يتفوه بشر بكلام احكم منه
في مقالته ولا اجزل منه في عذوبته وخليق بمن عبر عن مراد الله بلسانه واقام الحجة
على عباده ببيانه وبين مواضع فروضه واوامره ونواهيه وزواجره ووعده ووعيده
وارشاده ان يكون احكم الخلق جنانا وافصحهم لسانا واوضحهم بيانا وقد كان عليه السلام
اذا تكلم تكلم بكلام مفصل مبين يعده العاد ليس بهذ مسرع لا يحفظ قالت عائشة رضي الله
عنها ما كان صلى الله عليه وسلم يسرد سردكم هذا كان يحدث حديثا لو عده العاد لاحصاه
وكان يعيد الكلمة ثلاثا لتفهم عنه وكان يقول انا افصح العرب وان اهل الجنة يتكلمون بلغة
محمد صلى الله عليه وسلم وقد قال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه يا رسول الله ما لك افصحنا
ولم تخرج من بين اظهرنا قال كانت لغة اسمعيل قد درست فجاءني بها جبريل فحفظتها رواه
ابو نعيم وروى العسكري في الامثال من حديث علي بسند ضعيف جدا قال قدم بنو نهد
على النبي صلى الله عليه وسلم وفيه ذكر خطبتهم وما اجابهم النبي صلى الله عليه وسلم قال
فقلنا يا نبي الله نحن بنو اب واحد ونشانا في بلد واحد وانك تكلم العرب بلسان ما نفهم اكثره
فقال ان الله عز وجل ادبني فاحسن ادبي ونشات في بني سعد بن بكر وعن محمد بن عبد الرحمن

واما فصاحة لسانه وجوامع كلمه وبديع بيانه وحكمه

الزهري عن ابيه عن جده قال قال رجل يا رسول الله ابد الك الرجل امراته قال نعم اذا كان ملغجا
فقال له ابو بكر يا رسول الله ما قال لك وما قلت له قال اما طل الرجل اهله قلت له نعم اذا كان مفلسا
قال ابو بكر يا رسول الله لقد طفت في العرب وسمعت فصحاوهم فما سمعت افصح منك قال ادبني ربي
ونشات في بني سعد رواه السرقسطي في الدلايل بسنده واه وكذا اخرجه ابن عساكر قال
في القاموس ودالكه اي ماطله انتهى وقوله ملغجا بضم الميم وفتح الغا اسم فاعل من الغج الرجل فهو
ملغج اذا كان فقيرا وهو غير مقيس ومثله احصن فهو محصن واسهب فهو مسهب في الفاظ شذت
والقياس الكسر قاله ابن مرزوق لكن قال ابن الاثير لم يجي الا في ثلثة احرف اسهب واحصن والفج
وقال غيره معناه ابداعب الرجل امراته قبل الجماع وسماه مطلا لكون غرضه الاعظم الجماع قال
اذا كان عاجزا ليكون ذلك محركا لشهوته ولعجزه سمي مفلسا واما ما يروى انا افصح من نطق بالضاد
فقال ابن كثير لا اصل له انتهى لكن معناه صحيح والله اعلم وقد حدوا الفصاحة بخلوص الكلمة
من التنافر والغرابة ومخالفة القياس والمراد بالتنافر تقارب مخارج الحروف كقوله غدايره
مستشزرات الى العلا فان السين والشين والزاي كلها متقاربة المخارج والغرابة
كون الكلمة لا تدل على المراد من اول وهلة لاحتمال معنى اخر ومخالفة القياس استعمال
الكلمة على غير قياس كاجتماع المثلين من كلمة واحدة من غير ادغام كقوله الحمد لله العلي
الاجلل والفصاحة يوصف بها الكلام والكلمة والمتكلم والبلاغة ان يطابق الكلام مقتضى الحال
مع فصاحته والجزالة خلاف الركاكة ففصاحته عليه السلام الى الحد الخارق للعادة البالغ نهاية
المتانة والزيادة التي تخدع القلوب قبل الاذهان وتقرع الجوانح قبل الاذان ما يروق ويشوق
ويثبت له على سائر البشر الحقوق التي لا تقابل بالعقوق فهو صاحب جوامع الكلم وبدايع الحكم
وقوارع الزجر وقواطع الامر والامثال السايرة والغرر السايلة والدرر المنثورة والدراري
المأثورة والقضايا المحكمة والوصايا المبرمة والمواعظ التي هي على القلوب محكمة والحجج
التي للذ الخصام مفحمة ملجمة وقليل هذا الوصف في حقه صلى الله عليه وسلم وزاده فضلا
وشرفا لديه وقد روى الحاكم وصححه من حديث ابن عباس ان اهل الجنة يتكلمون بلغة
محمد صلى الله عليه وسلم وبالجملة فلا يحتاج العلم بفصاحته الى شاهد ولا ينكرها موافق ولا معاند
وقد جمع الناس من كلامه الفذ الموجز البديع الذي لم يسبق اليه دواوين وفي كتاب الشفا
للقاضي عياض من ذلك ما يشفي الغليل كقوله المرء مع من احب وقوله اسلم تسلم واسلم يؤتك الله
اجرك مرتين وقوله السعيد من وعظ بغيره ومما ذكره القاضي رحمه الله قوله عليه السلام
انما الاعمال بالنيات رواه الشيخان وغيرهما وقوله ليس للعامل من عمله الا ما نواه رواه
وتحت هاتين الكلمتين كنوز من العلم ولهذا قال الشافعي رحمه الله حديث الاعمال
بالنيات يدخل في نصف العلم وذلك ان للدين ظاهرا وباطنا والنية متعلقة بالباطن والعمل هو
الظاهر وايضا فالنية عبودية القلب والعمل عبودية الجوارح وقال بعض الايمة حديث الاعمال
بالنيات ثلث الدين ووجهه ان الدين قول وعمل ونية وقوله نية المؤمن خير من عمله رواه الطبراني
لكن قال بعضهم لا يصح رفعه قال ورواه القضاعي عن اسمعيل بن عبد الرحمن الصفار انبا
علي بن عبد الله الفضل انا احمد بن الحنفية الواسطي انا احمد بن عبد الله الحلبي انا يوسف وعطية

يعني

عن ثابت

عن ثابت عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول نية المؤمن ابلغ من عمله قال
وهذا اسناد لا يضح عليه ويوسف بن عطية متروك الحديث ورواه عثمن بن عبد الله الشامي
من حديث النواس بن سمعان وقال نية المؤمن خير من عمله ونية الفاجر شر من عمله وقال
ابن عدي عثمان بن عبد الله الشامي له احاديث موضوعات هذا من جملتها وقال ابن الجوزي
لا يصح رفعه قال ومعناه ان النية سر والعمل ظاهر والعمل السر افضل وهو يقتضي انه
لو نوى ان يذكر الله او يتفكر يكون نية الذكر والتفكر خيرا منه وليس بصحيح وقيل ان النية بمجردها
خير من العمل بمجرده دون النية وهذا بعيد لان العمل اذا خلا عن النية لم يكن فيه خير اصلا
وقيل النية عمل القلب والفعل عمل الجوارح وعمل القلب خير من عمل الجوارح فان القلب
امير الجوارح وبينه وبينها علاقة فاذا تالمت تالم القلب واذا تالم القلب تالمت فارتعدت
الفرايص وتغير اللون فان الملك الراعي والجوارح خدمه ورعيته وعمل الملك ابلغ من عمل
رعيته وقيل لما كانت النية اصل الاعمال كلها وروحها ولبها والاعمال تابعة لها تصح بصحتها
وتفسد بفسادها وهي التي تقلب العمل الصالح فتجعله فاسدا او غير الصالح فتجعله صالحا
مثابا عليه ويثاب عليها اضعاف ما يثاب على العمل فلذا كانت نية المؤمن خير من عمله وقوله
يا خيل الله اركبي رواه ابو الشيخ في الناسخ والمنسوخ عن سعيد بن جبير والعسكري عن انس
وابن عايذ في المغازي عن قتادة ولفظه عند ابن عايذ قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
يومئذ يعني يوم الاحزاب مناديا يا خيل الله اركبي قال العسكري وهذا على المجاز والتوسع
اراد يا فرسان خيل الله اركبي فاختصر وقوله الولد للفراش وللعاهر الحجر رواه الشيخان
وقوله كل الصيد في جوف الفرا وهو بفتح الفا الحمار الوحش رواه الرامهرمزي في الامثال
وسنده جيد ولكنه مرسل ونحوه عند العسكري وقال جوف او جنب **وقوله** الحرب خدعة
رواه البخاري ومسلم عن ابي هريرة قال سمى النبي صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة ولفظ عند
مسلم سمي وقوله خدعة مثلث الخا اشهرها فتح الخا واسكان الدال قال ثعلب وغيره وهي لغة
النبي صلى الله عليه وسلم والثانية ضم الخا واسكان الدال والثالثة ضم الخا وفتح الدال قال النووي
اتفق العلما على جواز خداع الكفار في الحرب كيف امكن الا ان يكون فيه نقض عهد او امان فلا يحل
وقوله وايكم وخضرا الدمن رواه الرامهرمزي والعسكري في الامثال وابن عدي في الكامل
والقضاعي في مسند الشهاب والديلمي من حديث الواقدي انا محمد بن سعيد بن دينار عن ابي
وجزة يزيد بن عبيد عن عطا بن يزيد الليثي عن ابي سعيد مرفوعا قيل يا رسول الله وما ذا
قال المراة الحسنا في المنبت السو قال ابن عدي تفرد به الواقدي ومعناه انه كره نكاح
الفاسدة وقال ان اعراق السو تنزع اولادها وتفسير حقيقته ان النبات ينبت على البعر في الموضع
الخبيث فيكون ظاهره حسنا وباطنه قبيحا فاسدا والدمن جمع دمنة وهي البعرة وانشد
زفر بن الحارث شعرا

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى ۞ وتبقى به حزازات النفوس كما هيا ۞

ومعنى البيت ان الرجلين قد يظهران الصلح والمودة وينطويان على البغضا والعداوة كما ينبت المرعى
على الدمن وهذا الكثير او كلي في زماننا اشار اليه شيخنا **وقوله** والانصار كرشي وعيبتي

رواه البخاري اي انهم بطانته وموضع سره والعيبة كذلك لان الحاز يجمع علفه في كرشه
والرجل يضع ثيابه في عيبته وقيل اراد بالكرش الجماعة اي جماعتي وصحابتي ويقال عليه كرش
من الناس اي جماعة ووقع في رواية الترمذي الا ان عيبتي التي اوي اليها اهل بيتي وان كرشي
الانصار وقوله ولا عين على المرء الا يده   ورواه احمد وابن ماجة من حديث عمرو بن الاحوص
لا يجني جان الا على نفسه وقوله ليس الشديد من غلب الناس انما الشديد من غلب نفسه
رواه ابن حبان في صحيحه ورواه الشيخان بلفظ ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي
يملك نفسه عند الغضب يعني انه اذا ملكها كان قد قهر اقوى اعدائه وشر خصومه ولذلك
قال اعدى عدو لك نفسك التي بين جنبيك وهذا من باب المجاز ومن فصيح الكلام لانه لما كان
الغضبان بحالة شديدة من الغيظ وقد ثارت عليه شدة الغضب فقهرها بحلمه وصرعها بثباته
كان كالصرعة الذي يصرع الرجال ولا يصرعونه وقوله ليس الخبر كالمعاينة رواه احمد
وابن منيع والطبراني والعسكري وقوله المجالس بالامانات رواه العقيلي في ترجمة حسين
ابن عبد الله بن ضميرة عن ابيه عن جده عن علي رفعه عن جابر بن عتيك اذا حدث الرجل ثم التفت
فهي امانة ورواه ابو داود في سننه والترمذي في جامعه وابن ابي الدنيا في الصمت وغيرهم
ففي هاتين الكلمتين من الحمل على اداب العشرة وادب الصحبة وكتم السر وحفظ الود وحسن العهد
واصلاح ذات البين والتحذير من النميمة بين الاخوان الموقعة للشنآن ما لا يكاد يخفى على مبادي
الاذهان وقوله البلاء موكل بالمنطق رواه ابن ابي شيبة والبخاري في الادب المفرد
من رواية ابراهيم عن ابن مسعود ورواه الديلمي عن ابي الدرداء وابن مسعود قال شيخنا
في المقاصد الحسنة ولا يحسن مع مجموع ما ذكرناه الحكم عليه بالوضع ويشهد لمعناه قوله
صلى الله عليه وسلم للاعرابي الذي دخل عليه يعوده وقال لا باس طهور فقال الاعرابي
بل هي حمى تفور على شيخ كبير تزيره القبور فقال صلى الله عليه وسلم فنعم اذا وانشد
في معناه ⁂ لا تنطق بما كرهت فربما ⁂ نطق اللسان بحادث فيكون ⁂
وقوله عليه السلام ترك الشر صدقة رواه   وقوله اي داء ادوى من البخل
رواه البخاري وقوله لا ينتطح فيها عنزان اي لا يجري فيها خلف ولا نزاع وقوله
الحياء خير كله متفق عليه وقوله اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع رواه في مسند الفردوس
من حديث ابي هريرة وقوله سيد القوم خادمهم رواه ابو عبد الرحمن السلمي في اداب
الصحبة له عن عقبة بن عامر رفعه وفي سنده ضعف وانقطاع ورواه غيره ايضا وقوله الصحبة
فضل العلم خير من فضل العبادة رواه الطبراني والبزار وقوله الخيل في نواصيها الخير
متفق عليه من حديث مالك عن نافع عن ابن عمر رفعه بلفظ الخيل في نواصيها الخير الى يوم
القيامة وفي لفظ الخير معقود بنواصيها الخير وقوله اعجل الاشياء عقوبة البغي رواه
وقوله وان من الشعر لحكما رواه ابو داود من رواية صخر بن عبد الله بن بريدة عن ابيه
عن جده سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان من البيان سحرا وان من العلم جهلا
وان من الشعر حكما فقال صعصعة بن صوحان صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اما قوله
ان من البيان سحرا فالرجل يكون عليه الحق وهو الحن بالحجج من صاحب الحق فيسحر القوم ببيانه

فيذهب بالحق واما قوله ان من العلم جهلا فيتكلف العالم الى علمه ما لا يعلم فيجهله واما قوله ان من الشعر
حكما فهي هذه المواعظ والامثال التي يتعظ بها الناس ومفهومه ان بعض الشعر ليس كذلك
لان من تبعيضية وفي البخاري ان من الشعر حكمة اي قولا صادقا مطابقا للحق قال الطبري وفي
هذا الحديث رد على من كره الشعر مطلقا واحتج بقول ابن مسعود الشعر مزامير الشيطان
وعن ابي امامة رفعه ان ابليس لما اهبط الى الارض قال رب اجعل لي قرآنا قال قرآنك الشعر
ثم اجاب عن ذلك بانها احاديث واهية وهو كذلك فحديث ابي امامة فيه علي بن يزيد الالهاني وهو
ضعيف وعلى تقدير قوتها فهو محمول على الافراط فيه والاكثار منه ويدل على الجواز احاديث كثيرة
منها ما اخرجه البخاري في الادب المفرد عن عمرو بن الشريد عن ابيه استنشدني النبي صلى الله عليه
وسلم من شعر امية بن ابي الصلت فانشدته مائة قافية وقوله نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس
الصحة والفراغ نعمتان رواه البخاري وقوله استعينوا على الحاجات بالكتمان فان كل ذي نعمة
محسود رواه الطبراني في معاجمه الثلاثة عن معاذ بن جبل رفعه واخرجه الخلعي عن علي بلفظ
استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان لها وقوله المكر والخديعة في النار رواه الديلمي عن ابي هريرة
ومعناه ان ذا المكر والخداع لا يكون تقيا ولا خائفا لله لانه اذا مكر غدر واذا غدر خدع ولذا فعلهما
او نحو وهذا لا يكون في تقي فكل خلة جانبت التقى فهي في النار وقوله من غشنا فليس منا رواه
مسلم في صحيحه وقوله والمستشار مؤتمن رواه احمد وغيره ومعناه ان من افضى اليك
بسره وامنك على ذات نفسه فقد جعلك بموضع نفسه فيجب عليك ان لا تشير عليه الا بما تراه
صوابا فانه كالامانة للرجل الذي لا يامن على ايداع ماله الا الثقة في نفسه والسر الذي ربما
كان في اذاعته تلف النفس اولى بان لا يجعل الا عند الموثوق به وقوله الندم توبة رواه
الطبراني في الكبير وقوله الدال على الخير كفاعله رواه العسكري وابن جميع ومن طريقه
المنذري عن ابن عباس في حديث مرفوع بلفظ وكل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله
والله يحب اغاثة اللهفان والمعنى ان من دلك على خير وارشدك اليه فنلته بارشاده
فكانه فعل ذلك الخير وقوله حبك الشيء يعمي ويصم رواه ابو داود والعسكري من حديث
بقية بن الوليد عن ابي بكر بن عبد الله بن ابي مريم عن خالد بن محمد الثقفي عن بلال بن ابي الدرداء
عن ابيه مرفوعا ولم ينفرد به بقية بل توبع عليه وابن ابي مريم ضعيف وقد حكم الصاغاني عليه
بالوضع وتعقبه العراقي وقال ان ابن ابي مريم لم يتهمه احد بكذب ويكفينا سكوت ابي داود
عليه فليس بموضوع بل ولا شديد الضعف فهو حسن قال العسكري اراد النبي صلى الله عليه
وسلم ان من الحب ما يعميك عن طريق الرشد ويصمك عن استماع الحق وان الرجل اذا غلب الحب
على قلبه ولم يكن له رادع من عقل او دين اصمه حبه عن العذل واعماه عن الرشد ولذا قال
بعض الشعراء

⁂ وعين الرضى عن كل عيب كليلة ⁂ ولكن عين السخط تبدي المساويا ⁂

اشار اليه شيخنا في المقاصد الحسنة وقوله عليه السلام العارية مؤداة والمنحة مردودة
والدين مقضي والزعيم غارم رواه الترمذي وابو داود وقوله سبقك بها عكاشة رواه البخاري
وقوله عجب ربك من كذا روي في عدة روايات في صحيح البخاري وغيره ومعناه كما قال ابن الاثير

عظم ذلك عندك وكبر لذنبه اعلم الله انه انما يتعجب الا مي من الشيء اذا عظم موقعه عنده
وخفي عليه سببه فاخبرهم بما يعرفون ليعلموا موقع هذه الاشيا عنده وقيل معنى عجب
اي رضي واثاب فسماه عجبا مجازا وليس بعجب في الحقيقة والاول الوجه وقوله قيل ضيرا
رواه غير واحد وقوله وليس المسؤل باعلم من السايل رواه مسلم وغيره وقوله
ولا ترفع عصاك عن اهلك ادبا رواه احمد اي لا تدع تاديبهم وجمعهم على طاعة الله تعالى
يقال شق العصا اي فارق الجماعة وليس المراد الضرب بالعصا ولكنه جعله مثلا وقيل لا تغفل
عن ادبهم ومنعهم من الفساد قاله ابن الاثير وقوله انما ينبت الربيع يقتل حبطا او يلم
رواه البخاري وذكره ابن دريد وقال انه من الكلام الفرد الوجيز الذي لم يسبق صلى الله
عليه وسلم الى معناه اي كل مما انبت الجدول واسناد الانبات اليه مجاز والمنبت في الحقيقة
هو الله تعالى وليست من للتبعيض وحبطا بفتح المهملة والموحدة والطا المهملة ايضا
وهو انتفاخ البطن من كثرة الاكل حتى ينتفخ فيموت ويلم بضم اليا اي يقرب من الهلاك
وهو مثل للمنهمك في جمع الدنيا المانع من اخراجها في وجهها وقوله عليه السلام خير المال
عين ساهرة لعين نايمة رواه ومعناه عين ما تجري ليلا ونهارا وصاحبها نايم فجعل دوام جريانها سهرا لها وقوله عليه السلام من ابطأ به عمله لم يسرع به نسبه رواه
مسلم من حديث ابي هريرة وقوله زر غبا تزدد حبا رواه البزار والحرث بن ابي اسامة
عن ابي هريرة مرفوعا وفي بعض احاديث الباب انه قيل يا ابا هريرة اين كنت امس
قال زرت ناسا من اهلي فقال يا ابا هريرة زر غبا تزدد حبا وقوله انكم لن تسعوا الناس
باموالكم فسعوهم باخلاقكم رواه ابو يعلى والبزار من طرق احدها حسن بلفظ انكم لن تسعوا
الناس باموالكم ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق وقوله الخلق السيء يفسد العمل
كما يفسد الخل العسل رواه الطبراني في الكبير والاوسط والبيهقي وقوله ان هذا الدين
متين فاوغل فيه برفق ولا تبغض الى نفسك عبادة الله فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا
ابقى رواه البزار والحاكم في علومه والبيهقي في سننه كلهم من طريق محمد بن سوقة عن محمد
ابن المنكدر عن جابر مرفوعا وهو مما اختلف فيه على ابن سوقة في ارساله ووصله وفي رفعه
ووقفه وفي الصحابي اهو جابر او عايشة او عمر ورجح البخاري في تاريخه من حديث ابن المنكدر
الارسال ومعناه انه بقي في طريقه عاجزا عن مقصده لم يقض وطره وقد اعطب ظهره
والوغول الدخول فكانه قال ان هذا الدين مع كونه يسيرا سهلا شديد فبالغوا فيه بالعبادة
لكن اجعلوا ذلك المبالغة مع رفق فان من بالغ بغير رفق وتكلف من العبادة فوق طاقته
يوشك ان يمل حتى ينقطع من الواجبات فيكون مثله كمثل الذي يعسف الركاب ويحملها من السير
على ما لا يطيق رجا الاسراع فينقطع ظهره فلا هو الذي قطع الارض التي اراد ولا هو ابقى
ظهره سالما ينتفع به بعد ذلك وقوله عليه السلام من شاد هذا الدين غلبه رواه العسكري
عن بريدة وللبخاري من حديث معن بن محمد الغفاري عن سعيد المقبري عن ابي هريرة
مرفوعا ان الدين يسر ولن يشاد الدين احد الا غلبه فسددوا وقاربوا وابشروا واستعينوا
بالغدوة والروحة وشي من الدلجة وقوله الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت

والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني رواه الحاكم عن شداد بن اوس وقال صحيح على شرط
البخاري وتعقبه الذهبي بابن ابي مريم وهو واه وكذا رواه العسكري والقضاعي والترمذي وابن
ماجة وقوله عليه السلام تنكح المراة لجمالها ومالها ودينها وحسبها فعليك بذات الدين تربت يداك
متفق عليه من حديث ابي هريرة وقوله الشتا ربيع المؤمن قصر نهاره فصامه وطال
ليله فقامه رواه البيهقي واحمد وابو نعيم مختصرا والعسكري بتمامه كلهم من حديث دراج
عن ابي الهيثم عن ابي سعيد وله شواهد وانما كان الشتا ربيع المؤمن لانه يرتع فيه في بساتين
الطاعات ويسرح في ميادين العبادات وينزه قلبه في رياض الاعمال الميسرة فيه من الطاعات
فان المؤمن يقدر على صيام نهاره من غير مشقة ولا كلفة ولا يحصل له جوع ولا عطش فان نهاره
قصير بارد فلا تحصل فيه مشقة الصيام وقوله عليه السلام القناعة مال لا ينفد وكنز
لا يفنى رواه الطبراني في الاوسط من حديث المنكدر بن محمد بن المنكدر عن جابر والقضاعي بدون
وكنز لا يفنى عن انس وفي القناعة احاديث كثيرة ولو لم يكن في القنع الا التمتع بالعز لكفى صاحبه وكان
من دعائه عليه السلام اللهم قنعني بما رزقتني وانشد بعضهم
ما ذاق طعم الغنى من لا قنوع له ولن ترى قانعا ما عاش مفتقرا
وقوله عليه السلام الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة والتودد الى الناس نصف العقل
وحسن السؤال نصف العلم رواه البيهقي في الشعب والعسكري في الامثال وابن السني والديلمي
من طريقه والقضاعي كلهم من حديث نافع عن ابن عمر مرفوعا وضعفه البيهقي لكن له شاهد عند
العسكري من حديث خلاد بن عيسى عن ثابت عن انس رفعه الاقتصاد نصف العيش وحسن الخلق
نصف الدين وكذا اخرجه الطبراني وابن لال ومن شواهده ايضا ما للعسكري عن انس رفعه
السؤال نصف العلم والرفق نصف المعيشة وفي صحيح ابن حبان من حديث طويل عن ابي ذر
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له يا ابا ذر لا عقل كالتدبير ولا ورع كالكف ولا حسب كحسن
الخلق وهذا اللفظ عند البيهقي في الشعب وله ايضا وللعسكري عن علي مرفوعا التودد نصف الدين
وما عال امرؤ قط على اقتصاد اي ما افتقر من انفق قصدا ولم يجاوزه الى الاسراف وقوله
عليه السلام المؤمن من امنه الناس رواه الترمذي وقوله المسلم من سلم المسلمون
من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما حرم الله متفق عليه عن ابن عمرو به مرفوعا وعن ابي موسى
ومسلم عن جابر وقوله قلة العيال احد اليسارين رواه صاحب مسند الفردوس وقوله
عليه السلام اد الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك رواه ابو داود والترمذي من رواية
شريك وقيس بن الربيع كلاهما عن ابن صالح والحرث من رواية الحسن كلاهما عن ابي هريرة
وقال الترمذي حديث حسن غريب واخرجه الدارمي في مسنده والدارقطني والحاكم وقال
انه صحيح على شرط مسلم ولكن اعله ابن حزم وكذا ابن القطان والبيهقي وقال ابو حاتم انه منكر
وقال الشافعي انه ليس بثابت عند اهله وقال احمد هذا حديث باطل لا اعرفه عن النبي صلى الله
عليه وسلم من وجه صحيح قال شيخنا لكن بانضمامها تقوى الحديث انتهى وقوله الرضاع
يغير الطباع رواه ابو الشيخ من حديث ابن عمر وقوله عليه السلام لا ايمان لمن لا امانة له
ولا دين لمن لا عهد له رواه احمد وابو يعلى في مسنديهما والبيهقي في الشعب عن انس وقو

التماحاله الشيطان رواه في مسند الفردوس عن عقبة بن عامر وقوله عليه السلام
حسن العهد من الايمان رواه الحاكم في مستدركه عن عايشة قالت جاءت عجوز الى النبي صلى الله
عليه وسلم وهو عندي فقال لها من انت فقالت جثامة المزنية قال انت حسانة كيف انتم كيف حالكم
كيف كنتم بعدنا قالت بخير بابي انت وامي يا رسول الله فلما خرجت قلت يا رسول الله تقبل على هذه
العجوز هذا الاقبال قال انها كانت تاتينا زمن خديجة وان حسن العهد من الايمان وقال انه صحيح
على شرط الشيخين وليس له علة وقوله صلى الله عليه وسلم جمال الرجل فصاحة لسانه
رواه القضاعي من حديث الاوزاعي والعسكري من حديث المنكدر بن المنكدر كلاهما عن محمد
ابن المنكدر عن جابر مرفوعا واخرجه ايضا الخطيب وابن طاهر وفي اسناده احمد بن عبد الرحمن
ابن الجارود الرقي والديلمي من حديث جابر رفعه الجمال صواب المقال والكمال حسن الفعال بالصدق
وعند العسكري من حديث العباس قلت يا نبي الله ما الجمال في الرجل قال فصاحة لسانه
وقوله عليه السلام منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا رواه الطبراني في الكبير
والقضاعي عن ابن مسعود وهو عند البيهقي في المدخل عن القاسم قال قال ابن مسعود منهومان
لا يشبعان طالب العلم وصاحب الدنيا ولا يستويان اما صاحب الدنيا فيتمادى في الطغيان واما
صاحب العلم فيزداد من رضى الرحمن وقال انه موقوف منقطع وكذا رواه البزار والعسكري
وغيرهما وبمجموعها يتقوى وان كانت مفرداته ضعيفة والله اعلم وقوله صلى الله عليه
وسلم لا فقر اشد من الجهل ولا مال أعز من العقل ولا وحشة اشد من العجب رواه ابن
ماجة وقوله عليه السلام الذنب لا ينسى والبر لا يبلى والديان لا يموت فكن كما شئت
رواه في مسند الفردوس عن ابن عمر وقوله عليه السلام ما جمع شيء الى شيء احسن من علم
الى حلم رواه العسكري في الامثال من حديث جعفر بن محمد عن ابيه عن علي بن الحسين عن علي
به مرفوعا بزيادة وافضل الايمان التحبب الى الناس ثلاث من لم تكن فيه فليس مني ولا من الله
حلم يرد به جهل الجاهل وحسن خلق يعيش به في الناس وورع يحجزه عن معاصي الله عز وجل
وعنده ايضا من حديث جابر مرفوعا ما اوي شيء الى شيء احسن من حلم الى علم وصاحب العلم
عزثان الى حلم وقوله عليه السلام التمسوا الرزق في خبايا الارض رواه في مسند ابي يعلى
عن ابن ابي شريح والمراد الزرع وانشدوا

تتبع خبايا الارض وادع مليكها * لعلك يوما ان تجاب فترزقا

وقوله عليه السلام كن في الدنيا كانك غريب او عابر سبيل وعد نفسك في اهل القبور
رواه البيهقي في الشعب والعسكري من حديث ابن عمر مرفوعا في حديث وخرجه البخاري والترمذي
وغيرهم وقوله عليه السلام صنائع المعروف تقي مصارع السوء وصدقة السر تطفي
غضب الرب وصلة الرحم تزيد في العمر خرجه الطبراني في الكبير بسند حسن وقوله
عليه السلام العفو لا يزيد العبد الا عزا والتواضع لا يزيده الا رفعة وما نقص مال من صدقة
روى مسلم ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع احد لله
الا رفعه الله وروى القضاعي عن ابي سلمة عن ام سلمة مرفوعا ما نقص مال من صدقة
ولا عفا رجل عن مظلمة الا زاده الله بها عزا وروى الديلمي من حديث ابي هريرة مرفوعا والذي

نفس محمد بيده لا ينقص مال من صدقة رواه الترمذي وقال حسن صحيح وقوله عليه السلام
اللهم اني اعوذ بك من شر فتنة الغنى رواه ابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة وقوله
عليه السلام ان الدنيا عرض حاضر ياكل منها البر والفاجر والآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك عادل
قادر يحق فيها الحق ويبطل الباطل فكونوا ابناء الآخرة ولا تكونوا ابناء الدنيا فان كل ام يتبعها ولدها
رواه ابو نعيم في الحلية من حديث شداد وقوله عليه السلام اخسر الناس صفقة من اذهب
آخرته بدنيا غيره رواه وقوله عليه السلام ان من كنوز البر كتمان المصائب رواه
وقوله عليه السلام اليمين حنث او ندم رواه ابو يعلى وابن ماجة الا انه قال الحلف وقوله
عليه السلام لا تظهر الشماتة باخيك فيعافيه الله ويبتليك رواه الترمذي من حديث مكحول
عن واثلة وقال حسن غريب وهو عند الطبراني ايضا وفي رواية لابن ابي الدنيا فيرحمه الله
بذلك فيعافيه الله وقوله عليه السلام اليوم الرهان وغدا السباق والغاية الجنة والهالك
من دخل النار رواه وقوله عليه السلام من ضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه
ضمنت له على الله الجنة رواه جماعة منهم العسكري والمراد بما بين لحييه اللسان وما يأتي به
من النطق وبما بين رجليه الفرج وقال الداودي المراد بما بين اللحيين الفم فيتناول الاقوال
والاكل والشرب وساير ما يتأتى بالفم وفي البخاري والترمذي عن سهل بن سعد بلفظ من تضمن لي
ما بين لحييه وما بين رجليه اضمن له الجنة وفي لفظ من توكل لي ما بين فقميه ورجليه اتوكل له
بالجنة والفقم بالضم والفتح اللحي وفي لفظ آخر من تكفل لي تكفلت له وللديلمي بسند ضعيف عن
انس رفعه من وقي شر قبقبه وذبذبه ولقلقه وجبت له الجنة ولفظ الاحياء وفي يعني البطن
من القبقبة وهو صوت يسمع في البطن وكانها حكاية ذلك الصوت ويجوز ان يكون كناية عن اكل
الحرام وشبهه والذكر واللسان فهذا واشباهه مما يعسر استقصاؤه يدلك على ذلك انه صلى الله
عليه وسلم قد رقا من الفصاحة وجوامع الكلم درجة لا يقاس بها غيره وحاز مرتبة لا يقدر فيها قدره
صلى الله عليه وسلم ومما عد من وجوه بلاغته ما ذكر انه جمع متفرقات قواعد الاسلام في اربعة
احاديث وهي حديث انما الاعمال بالنيات رواه الشيخان وحديث الحلال بين والحرام بين رواه
مسلم وحديث البينة على المدعي واليمين على من انكر وحديث لا يكمل ايمان المرء حتى يحب لاخيه
ما يحب لنفسه رواه الشيخان فالحديث الاول يشتمل على ربع العبادات والثاني على ربع المعاملات
والثالث على ربع الحكومات والخصومات والرابع على ربع الآداب والمناصفات ويدخل تحته
التحذير من الجنايات قال ابن المنير ومما عد ايضا من انواع بلاغته كلامه عليه السلام مع كل ذي
لغة بليغة بلغته اتساعا في الفصاحة * واستحكاما للالفة * فكان صلى الله عليه وسلم يخاطب
اهل الحضر بكلام الين من الدهن * وارق من المزن * ويخاطب اهل البدو بكلام ارسى من الهضب *
وارهف من العضب * فانظر الى دعائه لاهل المدينة وقد سألوه ذلك فقال اللهم بارك لهم
في مكيالهم وبارك لهم في صاعهم ومدهم وفي حديث آخر بارك لنا في ثمرنا وبارك لنا في مدينتنا
اللهم اني ادعوك للمدينة بمثل ما دعاك ابراهيم لمكة ومثله معه ثم انظر دعاءه لبني نهد
وقد وفدوا عليه في جملة الوفود فقام طهفة بن رهم النهدي يشكو الجدب فقال اتيناك يا رسول الله
من غوري تهامة باكوار الميس * ترتمي بنا العيس * نستحلب الصبير * ونستخلب الخبير * ونستعضد

البرير ونستخيل الرهام ونستجيل الجهام من أرض غائلة النطاء غليظة الوطاء قد نشف المدهن
ويبس الجعثن وسقط الأملوج ومات العسلوج وهلك الهدي ومات الودي برئنا إليك
يا رسول الله من الوثن والعنن وما يحدث الزمن لنا دعوة الإسلام وشريعة الإسلام
ما طما البحر وقام تعار ولنا نعم همل أغفال ما تبل ببلال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اللهم بارك لهم في محضها ومخضها ومذقها وابعث راعيها في الدثر بيانع الثمر وافجر له الثمد
وبارك له في المال والولد من أقام الصلاة كان مسلما ومن آتى الزكاة كان محسنا ومن شهد
أن لا إله إلا الله كان مخلصا لكم يا بني نهد ودائع الشرك ووضائع الملك لا تلطط في الزكاة ولا
تلحد في الحياة ولا تثاقل عن الصلاة ثم كتب معه كتابا إلى نهد بسم الله الرحمن الرحيم
من محمد رسول الله إلى بني نهد بن زيد السلام على من آمن بالله عز وجل ورسوله لكم يا بني نهد
في الوظيفة الفريضة ولكم الفارض والفريش وذو العنان الركوب والفلو الضبيس لا يمنع سرحكم
ولا يعضد طلحكم ولا يحبس دركم ما لم تضمروا الرماق وتأكلوا الرباق من أقر بما في هذا الكتاب فله
من الله الوفاء بالعهد والذمة ومن أبى فعليه الربوة ويحتاج هذه الألفاظ البالغة أعلى أنواع
البلاغة إلى التفسير فالبرير شجر صلب تعمل منه أكوار الإبل ورحالها ونستحلب بالحاء المهملة الجبير
بفتح الصاد المهملة وكسر الموحدة هو سحاب أبيض متراكب متكاثف أي نستدر السحاب ونستخلب
بالخاء المعجمة والخبير بالخاء المعجمة أيضا والموحدة النبات والعشب شبه بخبير الإبل وهو وبرها
واستخلابه احتشاشه بالمخلب وهو المنجل والخبير يقع على الوبر والزرع والأكار قاله ابن الأثير
ونستعضد البرير أي نقطعه ونجنيه من شجره للأكل وهو بموحدة ورائين بينهما مثناة تحتية
ثمر الأراك إذا اسود وبلغ وقيل هو اسم له في كل حال وكانوا يأكلونه في الجدب ونستخيل بالخاء
المعجمة الرهام بكسر الراء وهي الأمطار الضعيفة واحدها رهمة أي نتخيل الماء في السحاب القليل
وقيل الرهمة أشد وقعا من الديمة ونستجيل بالجيم أي نراه جائلا تذهب به الريح ههنا وههنا
والجهام بالجيم أي السحاب الذي فرغ ماؤه ومن رواه نستخيل بالخاء المعجمة فهو نستفعل من خلت
أخال إذا ظننت أراد لا نتخيل في السحاب حالا إلا المطر وإن كان جهاما لشدة حاجتنا إليه ومن
رواه بالحاء المهملة وهو الأشهر أراد لا ينظر من السحاب في حال إلا إلى جهام من قلة المطر وأرض غائلة
بالغين المعجمة والنطاء بكسر النون أي مهلكة للبعد يقال بلد نطي بعيد ويروى المنطى وهو مفعل منه
والمدهن نقرة في الجبل والجعثن بالجيم والمثلثة أصل النبات ويقال أصل الصليان خاصة وهو نبت
معروف والعسلوج بضم العين وبالسين المهملة آخره جيم هو الغصن إذا يبس وذهبت طراوته
وقيل هو القضيب الحديث الطلوع يريد أن الأغصان يبست وهلكت من الجدب وجمعه عساليج والأملوج
بالضم والجيم ورق شجر يشبه الطرفاء والسرو وقيل هو ضرب من النبات ورقه كالعيدان وقيل هو نوى
المقل وفي رواية وسقط الأملوج من البكارة بالكسر جمع البكر بالفتح يريد أن السمن الذي قد علا
بكارة الإبل بما رعت من هذه الأشجار قد سقط عنها فسماه باسم المرعى إذ كان سببا له وهلك الهدي
بفتح الهاء وكسر الدال المهملة والتشديد كالهدي بالتخفيف وهو ما يهدى إلى البيت الحرام من النعم
لتنحر وأطلق على جميع الإبل وإن لم تكن هديا تسمية للشيء ببعضه يقال كم هدي بني فلان أي كم
إبلهم ومات الودي بالتشديد فسيل النخل يريد هلكت الإبل ويبست النخيل وبرئنا إليك من الوثن

والعنن

والعنن الوثن الصنم والعنن الاعتراض يقال عن لي الشيء أي اعترض كأنه قال برئنا إليك من الشرك
والظلم وقيل أراد به الخلاف والباطل وما طما البحر أي ارتفع بأمواجه وتعار بكسر التاء المثناة الفوقية
يصرف ولا يصرف اسم جبل ولنا نعم همل أي مهملة لا رعاء لها ولا فيها ما يصلحها ويهديها فهي كالضالة وأغفال الإبل
الأغفال لا لبن فيها وقوله عليه السلام في محضها بالحاء المهملة والضاد المعجمة أي خالص لبنها ومخضها
بالمعجمتين ما مخض من اللبن وأخذ زبده ومذقها بفتح الميم وسكون المعجمة وبالقاف أي ممزوج بالماء
وابعث راعيها في الدثر بالمهملة المفتوحة ثم المثلثة ساكنة ثم الراء المال الكثير وقيل الخصب والنبات
الكثير وافجر له الثمد بفتح المثلثة الماء القليل أي صيره كثيرا وودائع الشرك قيل المراد بها العهود
والمواثيق يقال توادع الفريقان إذا أعطى كل واحد منهم عهده للآخر لا يغزوه وقيل ما كانوا
استودعوه من أموال الكفار الذين لم يدخلوا في الإسلام أراد إحلالها لهم لأنها مال كافر قدر عليه
من غير عهد ولا شرط ووضائع الملك جمع وضيعة وهي الوظيفة التي تكون على الملك وهو ما يلزم
الناس في أموالهم من الزكاة والصدقة أي لكم الوظائف التي تلزم المسلمين لا نتجاوزها معكم ولا نزيد
عليكم فيها شيئا ولا تلطط بضم المثناة الفوقية ثم اللام الساكنة ثم طاءان الأولى مكسورة والثانية
مجزومة على النهي أي لا تمنعها ولا تلحد في الحياة بضم المثناة الفوقية وإسكان اللام وكسر الحاء
المهملة آخره دال مهملة أي لا تمل عن الحق ما دمت حيا قال بعضهم كذا رواه القتيبي لا تلطط
ولا تلحد على النهي للواحد ولا وجه له لأنه خطاب للجماعة ورواه غيره ما لم يكن عهد ولا موعد ولا
تثاقل عن الصلاة ولا يلطط في الزكاة ولا يلحد في الحياة قال الحافظ أبو السعادات الجزري
وهو الوجه لأنه خطاب للجماعة واقع على ما قبله وقوله ولا تثاقل عن الصلاة أي لا تتخلف ه
والوظيفة الحق الواجب والفريضة أي الهرمة المسنة أي لا نأخذ في الصدقات هذا الصنف
كما لا نأخذ خيار المال والفارض بالفاء والضاد المعجمة المريضة والفريش بفتح الفاء آخره شين
معجمة وهي من الإبل كالنفساء من بنات آدم أي لكم خيار المال وشراره ولنا وسطه وذو العنان
بكسر العين سير اللجام والركوب بفتح الراء أي الفرس الذلول والضبيس بفتح المعجمة وكسر الموحدة
آخره مهملة المهر العسر الصعب امتن عليهم بترك الصدقة في الخيل جيدها ورديها ولا يمنع بضم
المثناة التحتية وفتح النون سرحكم بفتح السين المهملة وسكون الراء وبالحاء المهملة ما سرح
من المواشي أي لا يدخل عليكم أحد في مراعيكم ولا يعضد طلحكم أي لا يقطع ولا يحبس دركم أي لا
تحبس ذوات الدر عن المرعى إلى أن تجتمع الماشية ثم تعد أو أنا معناه أن لا نأخذها في ذلك
من الإضمار والإرماق بالميم أي ما لم تضمروا الغيظ والبكاء بما يلزمكم من الصدقة قاله في القاموس
وقال الزمخشري المراد إضمار الكفر والعمل على ترك الاستبصار في دين الله وفي رواية الرماق
بالراء والميم أي النفاق يقال رامقته رماقا وهو أن ينظر إليه شزرا نظر العداوة يعني ما لم تضق
قلوبكم عن الحق يقال عيش رماق أي ضيق وعيش رمق ومرمق أي يمسك الروح والرمق بقية
الروح وآخر النفس وتأكلوا الرباق بكسر الراء وبالموحدة المخففة أي إلا أن تنقضوا العهد واستعار
الأكل لنقض العهد لأن البهيمة إذا أكلت الربق وهو الحبل يجعل فيه عرى وتشد به خلصت من الرباط
والربوة بكسر الراء وفتحها وضمها أي الزيادة يعني من تقاعد عن إعطاء الزكاة فعليه الزيادة
في الفريضة عقوبة له فانظر إلى هذا الدعاء والكتاب الذي انطبق على لغتهم وجاد وزاد عليها في الجزالة

أو البداوة أي هذا من كتابه عليه الصلاة والسلام لا نس في الصدقة وأين ذلك من كتابه بين قريش
والأنصار أنهم أمة واحدة دون الناس من قريش على رباعتهم يتعاقلون بينهم معاقلهم الأولى وهم يفكون
عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين وأن المؤمنين المتقين أيديهم على من بغى عليهم أو ابتغى
دسيعة ظلم وأن سلم المؤمنين واحد على سواء وعدل بينهم وأن كل غازية غزت يعقب بعضهم
بعضا ومن اغتبط مؤمنا قتلا فهو قود إلا أن يرضى ولي المقتول ومن ظلم وأثم فإنه لا يوتغ إلا
نفسه وأهله بهذه الصحيفة البر المحسن كذا روي مختصرا من حديث ابن شهاب **وقوله**
دسيعة ظلم أي عظيمة من الظلم ورباعتهم أمرهم القديم الذي كانوا عليه ويتعاقلون بينهم معاقلهم
الأولى أي يكونون على ما كانوا عليه من أخذ الديات وإعطائها وهو تفاعل من العقل والمعاقل
الديات جمع معقلة يقال بنو فلان على معاقلهم التي كانوا عليها أي مراتبهم وحالاتهم ولا يوتغ أي
لا يهلك ويعقب بعضهم بعضا أي يكون الغزو بينهم فإذا خرجت طائفة ثم عادت لم تكلف أن تعود
ثانية حتى يعقبها غيرها وابن هذا اللين في القول وقرب المأخذ في اللفظ على طريق لكاجنزة
وعرف الجمهور المشهور من كتابه لذي المشعار الهمداني لما لقيه وفد همدان مقدمه من تبوك
فقال مالك بن نمط يا رسول الله نصية من همدان من كل حاضر وباد أتوك على قلص نواج متصلة
بحبائل الإسلام لا يأخذهم في الله لومة لائم من مخلاف خارف ويام لا ينقض عهدهم عن سنة
ماحل ولا سوداء عنقفير ما قام لعلع وما جرى اليعفور بصلع فكتب إليهم النبي صلى الله عليه وسلم
هذا الكتاب من محمد رسول الله لمخلاف خارف وأهل جناب الهضب وحقاف الرمل مع وافدها
ذي المشعار مالك بن نمط ومن أسلم من قومه على أن لهم فراعها ووهاطها وعزازها ما أقاموا
الصلاة وآتوا الزكاة يأكلون علافها ويرعون عفاءها لنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا من الميثاق
والأمانة ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض الداجن والكبش الحوري وعليهم
فيه الصالغ والقارح **قوله** نصية من كل حاضر وباد قال ابن الأثير النصية من ينتصى من القوم
أي يختار من نواصيهم وهم الرؤوس والأشراف ويقال للرؤساء نواص كما يقال للأتباع أذناب
وأتوك على قلص بضم القاف واللام جمع قلوص وهي الناقة الشابة والنواج السراع **وقوله**
متصلة بحبائل الإسلام أي عهوده وأسبابه وخارف بالخاء المعجمة ويام بالمثناة التحتية
قبيلتان ولا ينقض عهدهم عن سنة ماحل أي لا ينقض بسعي ساع بالنميمة والإفساد كما يقال
لا أفسد ما بيني وبينك بمذاهب الأشرار وطرقهم في الفساد والسنة الطريقة والسنن أيضا
والعنقفير بفتح العين المهملة وسكون النون وتقديم القاف الداهية أي لا ينقض عهدهم
بسعي الواشي ولا بداهية تنزل ولعلع جبل وما جرى اليعفور بفتح التحتية الخشف ولد البقرة
الوحشية وقيل هو تيس الظباء والجمع اليعافير والياء زائدة وبصلع بضم الصاد المهملة وتشديد
اللام الأرض التي لا نبات فيها **وقوله** عليه السلام وأهل جناب الهضب بكسر الجيم اسم موضع
وحقاف الرمل اسم بلادهم وفراعها بكسر الفاء وراء وعين مهملة أي ما علا من الجبال أو الأرض
ووهاطها بكسر الواو وبطاء مهملة المواضع المطمئنة واحدها وهط وبه سمي الوهط وهو مال
كان لعمرو بن العاص بالطائف وقيل الوهط قرية بالطائف كان الكرم المذكور بها وعزازها بفتح العين
المهملة ثم زاي مخففتين ما صلب من الأرض واشتد وخشن وإنما يكون في أطرافها ويأكلون علافها

بكسر العين

واللام

بكسر العين المهملة وتخفيف اللام وبالفاء جمع علف وهو ما تأكله الماشية وعفاءها بفتح المهملة وتخفيف
الفاء وبالمد أي المباح ومن دفئهم بكسر الدال المهملة وسكون الفاء وبالهمزة قال في المجمل نتاج الإبل
وألبانها وما ينتفع بها وصرامهم بكسر الصاد المهملة وتخفيف الراء أي من نخلهم والثلب بكسر المثلثة
واللام الساكنة وبالموحدة ما هرم من ذكور الإبل وتكسرت أسنانه والناب بالنون والموحدة
الناقة الهرمة التي طال نابها والفصيل بالمهملة الذي انفصل عن أمه والفارض بالفاء المسن
من الإبل والداجن بالمهملة والجيم الدابة التي تألف البيوت والكبش الحوري بالحاء المهملة ثم واو
مفتوحتين فراء مكسورة الذي في صوفه حمرة والصالغ بالصاد المهملة والغين المعجمة من البقر
والشاة ونحوها إذا تمت أسنانها والقارح بالقاف والراء والحاء المهملة وهو من الخيل الذي دخل في
السنة الخامسة انتهى ومن هذا من جنس كتابه لقطن بن حارثة العليمي من كلب هذا الكتاب من محمد
لعمائر كلب وأحلافها ومن ظاره الإسلام من غيرهم مع قطن بن حارثة العليمي بإقام الصلاة
لوقتها وإيتاء الزكاة بحقها في شدة عقدها ووفاء عهدها بمحضر من شهود المسلمين وسمى جماعة
منهم دحية بن خليفة الكلبي عليهم من الحمولة الراعية البساط الظؤار في كل خمسين ناقة غير
ذات عوار والحمولة المائرة لهم لاغية وفي الشوي الوري مسنة حامل أو حائل وفيما سقى الجدول
من العين المعين العشر وفي العثري شطره بقيمة الأمين لا يزاد عليهم وظيفة ولا يفرق
شهد على ذلك الله ورسوله وكتب ثابت بن قيس بن شماس وتفسير غريبه أن قوله ومن ظاره
الإسلام بالظاء المعجمة والهمز آخره هاء أي عطفه عليه وعليهم في الحمولة بفتح الحاء التي ترعى
بأنفسها ولا تستعمل فعولة بمعنى مفعولة والبساط التي معها أولادها والظؤار أن تعطف
الناقة على غير ولدها والحمولة المائرة لهم لاغية بمعنى الإبل التي تحمل عليها الميرة وهي
الطعام ونحوه مما يجلب للبيع لا يؤخذ منها زكاة لأنها عوامل وفي الشوي بفتح الشين المعجمة
وكسر الواو والياء المشددة اسم جمع للشاة والوري السمينة ومن هذا النمط كتابه
صلى الله عليه وسلم لوائل بن حجر بتقديم الحاء المضمومة على الجيم الساكنة إلى الأقيال العباهلة
والأرواع المشابيب وذكر الفرائض فقال في التيعة شاة لا مقورة الألياط ولا ضناك وأنطوا
الثبجة وفي السيوب الخمس ومن زنى من بكر فاصقعوه مائة واستوفضوه عاما ومن زنى من ثيب
فضرجوه بالأضاميم ولا توصيم في الدين ولا غمة في فرائض الله وكل مسكر حرام ووائل
ابن حجر يترفل على الأقيال وهو جمع القيل بالقاف والمثناة من تحت بالرؤسا الذين دون
الملوك والعباهلة بالمهملة المفتوحة والموحدة الذين أقروا على ملكهم لا يزالون والأرواع
بفتح الهمزة وسكون الراء آخره عين مهملة جمع رائع وهم ذوو الهيئات الحسان الوجوه والمشا
بفتح الميم والشين المعجمة وباء بينهما مثناة تحتية ساكنة السادة الرؤوس الحسان الوجوه
وفي التيعة بكسر المثناة الفوقية وسكون المثناة التحتية وبالعين المهملة أربعون من الغنم
وفي القاموس والنهاية أدنى ما يجب فيه الصدقة من الحيوان ولا مقورة بضم الميم
وفتح القاف وتشديد الواو والألياط بفتح الهمزة وسكون اللام آخرها طاء مهملة أي مسترخية
الجلود لكونها هزيلة ولا ضناك بكسر المعجمة وتخفيف النون ضدها وهي الكثيرة اللحم وأنطوا
بقطع الهمزة أي أعطوا والثبجة بالمثلثة ثم موحدة ثم جيم مفتوحات وقد تكسر الموحدة أي

اعطوا الوسط في الصدقة لا من خيار المال ولا من رذالته وفي الشبوب بضم المهملة واخرها موحدة اي الركاز قاله الهروي وقيل المال المدفون في الجاهلية او المعدن ومن رنام بكر بكسر الرا بلا تنوين لان اصله من البكر لكن اهل اليمن يبدلون لام التعريف ميما ونون ساكنة فادغمت النون فيها والمراد بالبكر الجنس وقال ابن الاثير اي من بكر ومن ثيب فقلبت النون الساكنة ميما اما مع بكر فلان النون اذا سكنت قبل البا فانها تقلب ميما في النطق نحو عنبر وشنبا واما مع غير البا فانها لغة يمانية كما يبدلون الميم من لام التعريف انتهى وحاصفعوه بهمزة وصل واسكان الصاد المهملة وفتح القاف وضم العين المهملة اي اضربوه واستوفقنوه بهمزة وصل وكسر الفا وضم الضاد المعجمة اي غربوه وانفوه وفضرجوه بالضاد المعجمة وتشديد الراي والجيم وبالاضاميم بفتح الهمزة والضاد المعجمة اي ادموه بالضرب بجماهير الحجارة ولا توصيم بصاد مهملة مكسورة اي لا كسل عن اقامة الحدود ولا عمة بضم المعجمة وتشديد الميم اي لا يستر ولا يخفى ولا يرفل بتشديد الفا المفتوحة بتوسد وبتياس استعارة من ترفيل الثوب وهو اسباله وقريب من هذا كتابه لاكيدر واهل دومة كما قدمته في مكاتباته عليه السلام وقال عليه السلام في حديث عطية السعدي فان اليد العليا هي المنطية والسفلى هي المنطاة قال فكلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا وقد كان هذا من خصايصه صلوات الله وسلامه عليه ان يكلم كل ذي لغة بلغته على اختلاف لغة العرب وتركيب الفاظها واساليب كلمها وكان احدهم لا يتجاوز لغته وان سمع لغة غيره فكالعجمية يسمعها العربي وما ذلك منه صلى الله عليه وسلم الا بقوة الهيه وموهبة ربانية لانه بعث الي الكافة طرا والي الخليقة سودا وحمرا والكلام باللسان يقع في غاية البيان ولا يوجد غالبا متكلم بغير لغته الا قاصرا في الترجمة نازلا عن صاحب الاصالة في تلك اللغة الا نبينا وسيدنا صلى الله عليه وسلم كما تقدم فانه زاده الله تكريما وتشريفا تكلم في كل لغة من لغة العرب افصح وانصع بلغاتها منها بلغة نفسها وجدير به ذلك فقد اوتي في سائر القوي البشرية المحمودة زيادة ومزية على الناس مع اختلاف الاصناف والاجناس مما لا ينضبطه قياس ولا يدخل في تحقيقه الباس انتهى **واما صوته الشريف** فعن انس قال ما بعث الله نبيا قط الا بعثه حسن الوجه حسن الصوت حتى بعث الله نبيكم صلى الله عليه وسلم فبعثه حسن الوجه حسن الصوت رواه ابن عساكر وروي نحوه من حديث علي بن ابي طالب وروي انه كان اذا تكلم روي كالنور يخرج من ثناياه وقد كان صوته عليه السلام يبلغ حيث لا يبلغه صوت غيره فعن البرا خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اسمع العواتق في خدورهن رواه البيهقي وقالت عايشة رضي الله عنها جلس صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة على المنبر فقال للناس اجلسوا فسمعه عبد الله بن رواحة وهو في بني غنم فجلس في مكانه رواه ابو نعيم وقال عبد الرحمن بن معاذ التيمي خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى ففتحت اسماعنا وفي لفظ ففتح الله اسماعنا حتى ان كنا لنسمع ما يقول ونحن في منازلنا رواه ابن سعد وعن ام هاني قالت كنا نسمع قراة النبي صلى الله عليه وسلم في جوف الليل عند الكعبة وانا على عريشي رواه ابن ماجة **واما ضحكه صلى الله عليه وسلم** ففي البخاري عن عايشة ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعا قط ضاحكا حتى اري منه لهواته انما كان يتبسم اي ما رايته مستجمعا

من جهة الضحك بحيث يضحك ضحكا تاما مقبلا بكليته على الضحك واللهوات بفتح اللام جمع لهاة وهي اللحمة التي باعلا الحنجرة من اقصي الفم وهذا لا ينافيه ما في حديث ابي هريرة في قصة المواقع اهله في رمضان فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه رواه البخاري وهي بالجيم والذال المعجمة الاضراس ولا تكاد تظهر الا عند المبالغة في الضحك لان عايشة انما نفت رؤيتها وابو هريرة اخبر بما شاهده والمثبت مقدم على النافي وقد قال اهل اللغة التبسم مبادي الضحك والضحك انبساط الوجه حتى تظهر الاسنان من السرور فان كان بصوت وكان بحيث يسمع من بعيد فهو القهقهة والا فالضحك وان كان بلا صوت فهو التبسم وقال ابن ابي هالة جل ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام اي يبدي اسنانه ضاحكا وحب الغمام البرد وقال الحافظ بن حجر والذي يظهر من مجموع الاحاديث انه صلى الله عليه وسلم كان في معظم احواله لا يزيد على التبسم وربما زاد على ذلك فضحك قال والمكروه من ذلك انما هو الاكثار من ذلك او الافراط فيه لانه يذهب الوقار قال ابن بطال والذي ينبغي ان تقتدي به من افعاله ما واظب عليه من ذلك وقد روي البخاري في الادب المفرد وابن ماجة عن ابي هريرة رفعه لا تكثر الضحك فان كثرة الضحك تميت القلب وقال ابو هريرة واذا ضحك تلالا في الجدر رواه البزار والبيهقي اي تضي في الجدر بضم الجيم والدال جمع جدار وهو الحايط اي يشرق نوره عليها اشراقا كاشراق الشمس وكان صلى الله عليه وسلم اذا كان حديث عهد بجبريل لم يتبسم ضاحكا حتى يرتفع عنه بل كان اذا خطب او ذكر الساعة اشتد غضبه وعلا صوته كانه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم رواه مسلم وكان بكاوه عليه السلام من جنس ضحكه لم يكن بشهيق ورفع صوت كما لم يكن ضحكه بقهقهة ولكن تدمع عيناه حتى تهملان ويسمع لصدره ازيز يبكي رحمة لميت وخوفا على امته وشفقة من خشية الله وعند سماع القران واحيانا في صلاة الليل قاله في الهدي النبوي وقد حفظه الله تعالى من التثاوب ففي تاريخ البخاري ومصنف ابن ابي شيبة عن يزيد بن الاصم ما تثاءب النبي قط لكن في رواية عند ابن ابي شيبة ما تثاب نبي قط **واما يده الشريفة** صلى الله عليه وسلم فقد وصفه غير واحد بانه كان شثن الكفين كما سياتي اي غليظ اصابعهما وانه عبل الذراعين رحب الكفين وقد مسح صلى الله عليه وسلم خد جابر بن سمرة قال فوجدت ليده بردا او ريحا كانما اخرجها من جونة عطار رواه مسلم وفي حديث وايل بن حجر عند الطبراني والبيهقي لقد كنت اصافح رسول الله صلى الله عليه وسلم او يمس جلدي جلده فاتعرفه بعد في يدي وانه لاطيب رايحة من المسك وقال يزيد بن الاسود ناولني رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فاذا هي ابرد من الثلج واطيب ريحا من المسك رواه البيهقي عن المسور بن شداد عن ابيه قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فاخذت بيده فاذا هي الين من الحرير وابرد من الثلج رواه الطبراني ودخل صلى الله عليه وسلم على سعد بن ابي وقاص بمكة يعوده وقد اشتكى قال فوضع يده على جبهتي فمسح وجهي وصدري وبطني فما زلت يخيل الي اني اجد برد يده على كبدي حتى الساعة رواه وفي البخاري من حديث انس ما مسست حريرا ولا ديباجا الين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو

وأما آباؤه الشريفة

من باب عطف الخاص على العام لان الديباج نوع من الحرير قيل وهذا الوصف في هذا الحديث
يخالف ما وقع في حديث ابن ابي هالة عند الترمذي في صفته صلى الله عليه وسلم فان فيه
كما تقدم كان شثن الكفين والقدمين اي غليظهما في خشونة وهكذا وصفه علي من عدة طرق
عند الترمذي والحاكم وغيرهما وكذا وصف عايشة له عند ابن ابي خيثمة والجمع بينهما ان المراد
اللين في الجلد والغلظ في العظام فيجتمع له نعومة البدن وقوته وقال ابن بطال كانت كفه
صلى الله عليه وسلم ممتلية لحما غير انها مع ضخامتها كانت لينة كما في حديث انس قال واما قول
الاصمعي الشثن غليظ الكف في خشونة فلم يوافق على تفسيره بالخشونة والذي فسر به
الخليل اولى قال وعلى تسليم ما فسر به الاصمعي الشثن يحتمل ان يكون انس وصف حال
كف النبي صلى الله عليه وسلم فكان اذا اعمل بكفه في الجهاد او في مهنة اهله صار كفه خشنا
للعارض المذكور واذا ترك ذلك رجع كفه الى اصل جبلته من النعومة وقال القاضي عياض
فسر ابو عبيد الشثن بالغلظ مع القصر وتعقب بانه ثبت في وصفه عليه السلام انه كان سايل
الاطراف انتهى ويويد كونها كانت لينة قوله في رواية النعمان كان سبط الكفين بتقديم المهملة
على الموحدة فانه موافق لوصفها باللين والتحقيق في الشثن انه الغلظ من غير قصر ولا خشونة
وقد نقل ابن خالويه ان الاصمعي لما فسر الشثن بما مضى قيل له انه ورد في صفة النبي صلى الله
عليه وسلم انه لين الكف فآلى على نفسه الا يفسر شيا في الحديث انتهى وفي حديث معاذ عند
الطبراني والبزار اردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه في سفر فما مسست شيا قط
الين من جلده صلى الله عليه وسلم واصيب عايذ بن عمرو في وجهه يوم حنين فسال الدم على
وجهه وصدره فسلت النبي صلى الله عليه وسلم الدم بيده عن وجهه وصدره ثم دعا له
فكان اثر يده عليه السلام الى منتهى ما مسح من صدره غرة سايلة كغرة الفرس رواه الحاكم
وابو نعيم وابن عساكر واخرج البخاري في تاريخه والبغوي وابن منده في الصحابة من طريق
صاعد بن العلا بن بشر عن ابيه عن جده بشر بن معوية بن ثور انه قدم مع ابيه معوية
ابن ثور على رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح راسه ودعا له بالبركة فكانت في وجهه
مسحة النبي صلى الله عليه وسلم كالغرة وكان لا يمسح شيا الا براه ومسح صلى الله عليه وسلم
راس مدلوك ابي سفيان فكان ما مرت يده عليه اسود وشاب ما سوى ذلك رواه البخاري
في تاريخه والبيهقي وكذا وقع له عليه السلام في راس السايب رواه البغوي والبيهقي وابن منده
واخرج البيهقي وصححه والترمذي وحسنه عن ابي زيد الانصاري قال مسح عليه السلام
بيده على راسي ولحيتي ثم قال اللهم جمله قال فبلغ بضعا ومائة سنة وما في لحيته بياض
ولقد كان منبسط الوجه ولم ينقبض وجهه حتى مات ومسح عليه السلام راس حنظلة
ابن حذيم بيده وقال له بورك فيك فكان يوتى بالشاة الوارم ضرعها والبعير والانسان به
الورم فيتفل في يده ويمسح بصلعته ويقول بسم الله على اثر يد رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيمسحه ثم يمسح موضع الورم فيذهب الورم رواه احمد والبخاري في التاريخ وابو يعلى
وغيرهم وقد جا في عدة احاديث عن جماعة من الصحابة بياض ابطيه فعن انس قال رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع يديه في الدعا حتى رايت بياض ابطيه وقال الطبري

ومن

ومن خصايصه صلى الله عليه وسلم ان الابط من جميع الناس متغير اللون غيره اي الا هو ومثله
للقرطبي وزاد وانه لا شعر عليه لكن نازع فيه صاحب شرح تقريب الاسانيد وقال انه
لم يثبت ذلك بوجه من الوجوه قال والخصايص لا تثبت بالاحتمال ولا يلزم من ذكر انس وغيره
بياض ابطيه ان لا يكون له شعر وقد قال عبد الله بن اقرم الخزاعي وقد صلى معه صلى الله
عليه وسلم كنت انظر الى عفرة ابطيه حسنه الترمذي والعفرة بياض ليس بالناصع كما قاله
الهروي وغيره وشيا في مزيد لذلك في الخصايص ان شا الله تعالى وعن رجل من بني حريش
قال ضمني رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال علي من عرق ابطه مثل ريح المسك
رواه البزار ووصفه علي فقال ذو مسربة وفسر بخيط الشعر بين الصدر والسرة
وقال ابن ابي هالة دقيق المسربة وعند ابن سعد عن علي طويل المسربة وعند البيهقي
له شعرات من لبته الى سرته تجري كالقضيب ليس على صدره ولا على بطنه غيره ووصفت
بطنه ام هاني فقالت ما رايت بطن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ذكرت القراطيس
المثني بعضها على بعض رواه الطيالسي في الطبراني وقال ابو هريرة كان صلى الله عليه وسلم
ابيض كانما صيغ من فضة رجل الشعر مفاض البطن عظيم مشاش المنكبين وتقدم ان المشاش
اي روس العظام كالركبتين ومفاض اي واسع البطن وقيل مستوي البطن مع الصدر
وخرج الامام احمد عن محرش الكعبي قال اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم الجعرانة ليلا فنظرت
الى ظهره كانه سبيكة فضة ووقع عند ابن سعد من حديث ابي هريرة رحب الصدر

واما قلبه الشريف فاعلم ان القلب مضغة في الفواد معلقة بالنياط فهو اخص من
الفواد قاله الواحدي وسمي به لتقلبه بالخواطر والعزوم قال الشاعر

وما سمي الانسان الا لنسيه ... ولا القلب الا انه يتقلب

وقال الزمخشري مشتق من التقلب الذي هو المصدر لفرط تقلبه التي ترى الى ما روى ابو موسى
الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم ومثل هذا القلب كمثل ريشة ملقاة بفلاة يقلبها
الريح بطنا لظهر انتهى والفرق بينه وبين الفواد وسط القلب سمي لتفوره اي توقده وفسر
الجوهري القلب بالفواد ثم فسر الفواد بالقلب قال الزركشي والاحسن قول غيره الفواد
غشا القلب والقلب حبته وسويداوه ويويد الفرق قوله صلى الله عليه وسلم الين قلوبا
وارق افيدة وهو اولى من قول بعضهم انه كرر لاختلاف اللفظ قال الراغب يعبر بالقلب
عن المعاني التي تختص به كالعلم والشجاعة وقيل حيثما ذكر الله القلب فاشارة الى العقل
والعلم كقوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وحيثما ذكر الله الصدر فاشارة الى ذلك
والى ساير القوى من الشهوة والغضب ونحوها انتهى قال بعض العلما وقد خلق الله تعالى
الانسان وجعل له قلبا يعقل عنه وهو اصل وجوده اذا اصلح قلبه صلح سايره واذا افسد
قلبه فسد سايره وجعل سبحانه القلوب محل الاسرار والاخلاص الذي هو سر الله يودعه
قلب من شا من عباده فاول قلب اودعه قلب محمد صلى الله عليه وسلم لانه اول خلق وخلق
صلى الله عليه وسلم اخر صورة ظهرت من صور الانبيا فهو اول واخر والخرم وقد جعل الله
تعالى اخلاق القلوب للنفوس اعلاما على اسرار القلوب فمن تحقق قلبه بسر الله اتسعت اخلاقه

واما قلبه الشريف

الجميع خلق الله وكذلك جعل الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم جثمانية اختص بها من بين سائر
العالمين فتكون علامات اختصاص جثمانيه ايات دالة على أحوال نفسه الشريفة وعظيم خلقه
لتكون علامات عظيم اخلاقه ايات على سر قلبه المقدس ولما كان قلبه صلى الله عليه وسلم
أوسع قلب اطلع الله عليه كما ورد في الخبر كان هو الاولى ان يكون هو قلب العبد الذي يقول
فيه تعالى ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن ولما كان كما له قبل الاسرا
بمنزلة سائر المؤمنين كان صدره يضيق فاتسع قلبه لما انشرح صدره ووضع عنه وزره
ورفع له ذكره وقد صح ان جبريل عليه السلام شقه واستخرج منه علقة فقال له هذا حظ
الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه فاعاده في مكانه قال انس
فلقد كنت أرى اثر المخيط في صدره رواه مسلم وانما خلقت هذه الاية في ذاته الكريمة ثم استخرجت
منه لانها من جملة الاجزاء الانسانية فخلقها امر تابع طرا بعد ذلك قاله السبكي وعند احمد
وصححه الحاكم ثم استخرجا قلبي فشقاه فاخرجا منه علقتين سوداوين فقال أحدهما ايتني بماء
وثلج فغسلا به جوفي ثم قال ايتني بماء برد فغسلا به قلبي ثم قال ايتني بالسكينة فذرها في قلبي
ثم قال أحدهما لصاحبه حصه فحاصه وختم عليه بخاتم النبوة وفي رواية البيهقي ان ملكين
جاآني في صورة كركيين معهما ثلج وبرد وماء بارد فشرح احدهما صدري ومج الاخر بمنقاره فيه
وعن ابي هريرة قال يا رسول الله ما اول ما ابتديت به من أمر النبوة قال اني لفي صحرا امشي
ابن عشر حجج اذا انا برجلين فوق راسي يقول أحدهما لصاحبه اهو هو قال نعم فاخذاني فلصقاني
لحلاوة القفا ثم شقا بطني وكان أحدهما يختلف بالماء في طست من ذهب والاخر يغسل جوفي
فقال أحدهما لصاحبه افلق صدره فاذا صدري فيما ارى مفلوقا لا اجد له وجعا ثم قال
اشقق قلبه فشق قلبي فقال اخرج الغل والحسد منه فاخرج شبه العلقة فنبذ به ثم قال ادخل
الرافة والرحمة قلبه فادخل شيئا كهيئة الفضة ثم اخرج ذرورا كان معه فذره عليه ثم نقر ابهامي
ثم قال اغد فرجعت بما لم اغد به من رحمتي للصغير ورقتي على الكبير رواه عبد الله بن الامام
احمد في زوائد المسند وابو نعيم وقال تفرد به معاذ عن ابائه وتفرد بذكر السن وعند ابي نعيم
في حديث يونس بن ميسرة فاستخرج حشوة جوفي فغسلها ثم ذر عليها ذرورا ثم قال قلب وكيع
يعي ما وقع فيه عينان بصيرتان واذنان تسمعان وأنت محمد رسول الله المقفي الحاشر قلبك سليم
ولسانك صادق ونفسك مطمئنة وخلقك قيم وأنت قيم وهذا الشق روي انه وقع له عليه
السلام مرات مرة في حال طفوليته ارهاصا وتقديم المعجزة على زمان البعثة جائز للارهاص
ومثل هذا في حق الرسول عليه السلام كثير وبه يجاب عن استشكال وقوع ذلك في حال
طفوليته لانه من المعجزات ولا يجوز ان تتقدم على النبوة قاله الرازي ولكن صدرك والذي عليه
اكثر أهل الاصول اشتراط اقتران المعجزة بالتحدي كما نبهت عليه في اوائل الكتاب ويأتي تحقيقه
ان شاء الله تعالى في المقصد الرابع وهو المراد بقوله الم نشرح لك صدرك وقد قيل المراد
بالشرح في الاية ما يرجع الى المعرفة والطاعة ثم ذكروا في ذلك وجوها منها انه لما بعث الى
الاحمر والاسود من جني وانسي اخرج تعالى عن قلبه جميع الهموم وانفسح صدره حتى اتسع
لجميع المهمات فلا يقلق ولا يضجر بل هو في حالتي البوس والفرح منشرح الصدر مشتغل باداء ما كلف

فان قلت

فان قلت لم قال الم نشرح لك صدرك ولم يقل قلبك اجيب بان محل الوسوسة الصدر كما قال تعالى
يوسوس في صدور الناس فازالة تلك الوسوسة وابدالها بدواعي الخير هي الشرح لا جرم خص
ذلك الشرح بالصدر دون القلب وقد قال محمد بن علي الترمذي القلب محل العقل والمعرفة
وهو الذي يقصده الشيطان يجي الى الصدر الذي هو حصن القلب فاذا وجد مسلكا اغار فيه
وانزل جنده فيه وبث فيه الهموم والغموم والحرص فيضيق القلب حينئذ ولا يجد للطاعة
لذة ولا للاسلام حلاوة واذا طرد العدو في الابتدا حصل الامن وزال الضيق وانشرح
الصدر وتيسر له القيام باداء العبودية وههنا دقيقة قال الله تعالى حكاية عن موسى
رب اشرح لي صدري وقال لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم الم نشرح لك صدرك فاعطي
بلا سوال ثم انه تعالى نعته عليه السلام فقال وسراجا منيرا فانظر الى التفاوت فان شرح
الصدر هو ان يصير قابلا للنور والسراج المنير يقتبس منه النور والفرق بينهما واضح قال الدقاق كان
موسى عليه السلام مريدا اذ قال رب اشرح لي صدري ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم مرادا
اذ قال الله له الم نشرح لك صدرك والله اعلم **واما جماعه** صلى الله عليه وسلم فقد كان يدور
على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار وهن احدى عشرة قال الراوي قلت لانس او كان
يطيقه قال كنا نتحدث انه اعطي قوة ثلاثين رواه البخاري وعند الاسمعيلي عن معاذ قوة
أربعين زاد ابو نعيم عن مجاهد كل رجل من رجال أهل الجنة وعن انس مرفوعا يعطى المؤمن
في الجنة قوة كذا وكذا في الجماع قلت يا رسول الله او يطيق ذلك قال يعطى قوة مائة قال الترمذي
صحيح غريب لا نعرفه من حديث قتادة الا من حديث عمران القطان فاذا ضربنا أربعين في مائة بلغت
أربعة الاف وذكر ابن العربي انه كان صلى الله عليه وسلم له القوة الظاهرة على الخلق في الوطي وكان له
في الاكل القناعة ليجمع الله له الفضيلتين في الامور الاعتيادية كما جمع الله له الفضيلتين في الامور
الشرعية حتى يكون حاله كاملا في الدارين انتهى وطاف على نسائه التسع ليلة رواه ابن سعد
وروي انه صلى الله عليه وسلم قال اتاني جبريل بقدر فاكلت منها فاعطيت قوة أربعين رجلا
في الجماع وروي انه عليه السلام اعطي قوة بضع واربعين رجلا كل من أهل الجنة رواه الحرث
ابن ابي اسامة وقد حفظه الله تعالى من الاحتلام فعن ابن عباس قال ما احتلم نبي قط وانما
الاحتلام من الشيطان رواه الطبراني **واما قدمه الشريف** صلى الله عليه
وسلم فقد وصفه غير واحد بانه كان شثن القدمين اي غليظ اصابعهما رواه الترمذي
وغيره وعن ميمونة بنت كردم قالت رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فما نسيت طول اصبع
قدميه السبابة على سائر اصابعه رواه احمد والطبراني وعن جابر بن سمرة كانت خنصر رسول
صلى الله عليه وسلم من رجله متظاهرة رواه البيهقي وقد اشتهر على الالسنة ان سبابة النبي
صلى الله عليه وسلم كانت اطول من الوسطى قال الحافظ ابن حجر وهو غلط ممن قاله وانما ذلك في اصابع
رجليه انتهى وقال شيخنا في المقاصد الحسنة وسلف جمهورهم الكمال الدميري وهو خطا نشا
عن اعتماد رواية مطلقة وعبارته كذا رواه ابن هارون عن عبد الله بن مقسم عن سارة ابنة مقسم
انها سمعت ميمونة ابنة كردم تخبر بمهارات اصابع النبي صلى الله عليه وسلم كذلك ففهم ما وقع فيه
من اطلاق الاصابع الى كون الوسطى من كل اطول من السبابة وعن اليد منه صلى الله عليه وسلم

واما قدمه الشريف

لذلك نبا علي ان القعد ذكر وصف اخمص به صلى الله عليه وسلم عن غيره ولكن الحديث في مسند
الامام احمد من حديث يزيد بن هرون المذكور مقيد بالرجل ولفظه كما قدمته فما نسيت طول اصبع
قدمه السبابة علي سائر اصابعه وهو عند البيهقي ايضا في الدلايل من طريق يزيد ولفظها رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وهو علي ناقة وانا مع ابي خذ ابنه ابي فاخذ بقدمه فاقر
له رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فما نسيت طول اصبع قدمه السبابة علي سائر اصابعه
وعن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم كان اذا وطي بكلها ليس له اخمص رواه البيهقي وعن
ابي امامة الباهلي قال كان النبي صلى الله عليه وسلم لا اخمص له يطا علي قدمه كلها رواه ابن عساكر
وقال ابن ابي هالة خمصان الاخمصين مسيح القدمين قال ابن الاثير الاخمص من القدم الموضع
الذي لا يلصق بالارض منها عند الوطي والخمصان المبالغ منه اي ان ذلك الموضع من اسفل قدميه
شديد التجافي عن الارض وسيل ابن الاعرابي عنه فقال اذا كان خمص الاخمص بقدر لم يرتفع
جدا ولم يستو اسفل القدم جدا فهو احسن ما يكون واذا استوي او ارتفع جدا فهو ذم فيكون المعني
ان اخمصه معتدل الخمص بخلاف الاول ووقع في حديث ابي هريرة اذا وطي بقدمه وطي بكلها
ليس له اخمص وقوله مسيح القدمين اي ملساوان لينتان ليس فيهما تكسر ولا شقاق فاذا
اصابهما الما نبا عنهما كما قال ابن ابي هالة ينبو عنهما الما وهو معني حديث ابي هريرة وعن عبد الله
ابن بريدة كان صلى الله عليه وسلم احسن البشر قدما رواه ابن سعد **واما طوله**
صلى الله عليه وسلم فقال علي كان صلى الله عليه وسلم لا قصير ولا طويل
وهو الي الطول اقرب رواه البيهقي وعنه كان صلى الله عليه وسلم ليس بالذاهب طولا
وفوق الربعة اذا جا مع القوم غمرهم رواه عبد الله بن الامام احمد وعن ابي هريرة
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربعة وهو الي الطول اقرب رواه البزار وقوله ربعة
اي مربوعا والتانيث باعتبار النفس وقد فسر في الحديث الاتي بانه ليس بالطويل البائن ولا
بالقصير والمراد بالطويل البائن المفرط في الطول مع اضطراب القامة وقال ابن ابي هالة
اطول من المربوع واقصر من المشذب وهو بضم الميم وفتح الشين المعجمة وفتح الذال المعجمة المشددة اي البائن الطول
في نحافة وهو مثل قوله في الحديث الاخر لم يكن بالطويل الممغط وهو بتشديد الميم الثانية المتنا
الطول وامغط النهار اذا امتد ومغطت الحبل اذا مددته واصله منمغط والنون للمطاوعة
فقلبت ميما وادغمت في الميم ويقال بالعين المهملة بمعناه وعن عايشة قالت لم يكن رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد وكان ينسب الي الربعة اذا مشي وحده
ولم يكن علي حال يماشيه احد من الناس ينسب الي الطول الا طاله صلى الله عليه وسلم ولربما
اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما فاذا فارقاه نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم الي الربعة
رواه ابن عساكر والبيهقي وزاد ابن سبع في الخصايص انه كان اذا جلس يكون كتفه اعلا
من جميع الجالسين ووصفه ابن ابي هالة بانه بادن متماسك اي معتدل الخلق كان اعضاه
يمسك بعضها بعضا **واما شعره الشريف** صلى الله عليه وسلم فعن قتادة قال سالت
انسا عن شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال شعر بين شعرين لا رجل ولا سبط ولا
جعد قطط كان بين اذنيه وعاتقه وفي رواية قال كان رجلا ليس بالسبط ولا الجعد بين

اذنيه

اذنيه وعاتقه وفي اخري الي انصاف اذنيه رواه البخاري ومسلم وابو داود والنساي وعن
عايشة قالت كنت اغتسل انا والنبي صلى الله عليه وسلم من انا واحد وكان له شعر فوق
الجمة ودون الوفرة رواه الترمذي وابو داود والوفرة الشعر الواصل الي شحمة الاذن
وقال ابن ابي هالة ايضا كان رجل الشعر وهو بفتح الرا وكسر الجيم اي يتكسر قليلا بخلاف
السبط والجعد ان انفرقت عقيقته فرق والا فلا يجاوز شعره شحمة اذنه اذا هو وفر
والعقيقة بالقاف شعر راسه الشريف يعني ان انفرقت بنفسها فرقها والا تركها معقوصة
ويروي ان انفرقت عقيصته بالصاد وهو الشعر المعقوص وعن ابن عباس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يسدل شعره وكان المشركون يفرقون روسهم وكان اهل الكتاب يسدلون
روسهم وكان يحب موافقة اهل الكتاب فيما لم يومر فيه بشي ثم فرق صلى الله عليه وسلم راسه
رواه الترمذي في الشمايل وفي صحيح مسلم نحوه وسدل الشعر ارساله والمراد هنا ارساله
علي الجبين واتخاذه كالقصة واما الفرق فهو فرق الشعر بعضه من بعض قال العلما والفرق
سنة لانه الذي رجع اليه صلى الله عليه وسلم والصحيح جواز الفرق والسدل لكن الفرق افضل
وعن عايشة رضي الله عنها كان له صلى الله عليه وسلم شعر فوق الجمة ودون الوفرة رواه الترمذي
وفي حديث انس كان الي اذنيه وفي حديث البرا يضرب منكبيه وفي حديث ابي رمثة يبلغ الي كتفيه
او منكبيه وفي رواية ما رايت من ذي لمة احسن منه والجمة هي الشعر الذي نزل الي المنكبين
والوفرة ما نزل الي شحمة الاذنين واللمة التي المت بالمنكبين قال القاضي عياض والجمع
بين هذه الروايات ان ما يلي الاذن هو الذي يبلغ شحمة اذنيه وما خلفه هو الذي يضرب
منكبيه قال وقيل بل ذلك لاختلاف الاوقات فاذا اغفل عن تقصيره بلغت المنكب واذا قصها
كانت الي انصاف الاذنين فكانت تطول وتقصر بحسب ذلك وعن ام هاني بنت ابي طالب قالت
قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا مكة قدمة وله اربعة غداير رواه الترمذي
في الشمايل والغداير بالغين المعجمة والدال المهملة هي الذوايب واحدها غديرة وفي مسلم
عن انس كان في لحيته عليه السلام شعرات بيض وفي رواية عنده لم ير من الشيب الا قليلا
وفي اخري له ايضا لو شيت ان اعد شمطات كن في راسه ولم يخضب وعنده ايضا لم يخضب
عليه السلام انما كان البياض في عنفقته وفي الصدغين وفي الراس نبذ بضم النون وفتح البا
الموحدة وبفتح النون واسكان الموحدة اي شعرات متفرقة وفي رواية اخري ما شانه الله
ببيضا قال الشيخ عبد الجليل في شعب الايمان فيما حكاه عنه الفاكهاني انما كان كذلك لان النسا
يكرهن الشيب غالبا ومن كره من النبي صلى الله عليه وسلم شيا كفر وقال في النهاية قد تكرر
في الحديث جعل الشيب ههنا عيبا وليس بعيب فانه قد جا في الحديث انه وقار وانه نور
والشيب ممدوح وذلك يجيب منه لا سيما في حق النبي صلى الله عليه وسلم ويمكن ان يجمع بينهما
ووجه الجمع انه عليه السلام لما راي ابا قحافة وراسه كالثغامة امرهم بتغييره وكرهه ولذلك
قال غيروا الشيب فلما علم انس ذلك من عادته قال ما شانه الله ببيضا بنا علي هذا القول وحمله
علي هذا الراي ولم يسمع الحديث الاخر ولعل احدهما ناسخ للاخر انتهي وفي رواية ابي جحيفة
عند رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه منه بيضا ووضع الراوي بعض اصابعه علي

عنفقته وفي حديث انس عند البيهقي ما شانه الله بالشيب ما كان في راسه ولحيته الا سبع عشرة
او ثمان عشرة بيضا وعن ابي جحيفة كان ابيض قد شمط رواه البخاري وفي الصحيحين ان ابن عمر
راى النبي صلى الله عليه وسلم يصبغ بالصفرة وعن عمر انما كان شيبه صلى الله عليه وسلم
نحوا من عشرين شعرة بيضا رواه الترمذي وروي ايضا عن ابن عباس قال ابو بكر يا رسول الله
قد شبت قال شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت وفي حديث
جابر عنده لم يكن في راسه عليه السلام شيب الا شعرات في مفرق راسه اذا ادهن واراهن
الدهن وفي رواية البيهقي اسود اللحية حسن الشعر واختلف العلماء هل خضب عليه السلام
ام لا قال القاضي عياض منعه الاكثرون وهو مذهب مالك وقال النووي المختار انه صبغ في وقت
وتركه في معظم الاوقات فاخبر كل بما راى وهو صادق قال وهذا التاويل كالمتعين فحديث ابن عمر
في الصحيحين ولا يمكن تركه ولا تاويل له واما اختلاف الرواية في قدر شيبه فالجمع بينهما انه
راى شيئا يسيرا فمن اثبت شيبه اخبر عن ذلك اليسير ومن نفاه اراد لم يكثر فيه كما قال في الرواية
الاخرى لم ير من الشيب الا قليلا انتهى وعن جابر بن سمرة كان صلى الله عليه وسلم قد شمط
مقدم راسه ولحيته وكان اذا ادهن لم يتبين فاذا اشعث راسه تبين وكان كثير شعر اللحية
رواه مسلم والنسائي وعن انس كان صلى الله عليه وسلم يكثر دهن راسه وتسريح لحيته رواه البغوي
في شرح السنة وقد وصفه عليه السلام بن ابي هالة بانه كان موصول ما بين اللبة والسرة
بشعر يجري كالخط عاري الثديين ذلك الشعر الذراعين والمنكبين واعالي الصدر وعن انس
قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه واطاف به اصحابه فما يريدون ان تقع
شعرة الا في يد رجل رواه مسلم وسيأتي ان شاء الله تعالى قصة حلق راسه الشريف في حجة
الوداع ولم يروا انه صلى الله عليه وسلم حلق راسه الشريف في غير نسك حج او عمرة فيما علمته
فتبقية الشعر في الراس سنة ومنكرها يجب تاديبه ومن لم يستطع التبقية يباح له ازالته
وقد رايت بمكة المشرفة في ذي القعدة سنة سبع وتسعين وثمانمائة شعرة عند الشيخ
ابي حامد المرشدي شاع وذاع انها من شعره صلى الله عليه وسلم زرتها صحبة المقام الغرسي خليل
العباسي والى الله احسانه عليه وعن محمد بن سيرين قال قلت لعبيدة عندنا من شعر النبي صلى الله
عليه وسلم اصبناه من قبل انس او من قبل اهل انس قال لان تكون عندي شعرة منه
احب الي من الدنيا وما فيها رواه البخاري وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده انه صلى الله
عليه وسلم كان ياخذ من لحيته من عرضها وطولها رواه الترمذي وقال حديث غريب واخرج
الترمذي عن ابن عباس وحسنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقص شاربه وعنده
ايضا من حديث زيد بن ارقم قال صلى الله عليه وسلم من لم ياخذ شاربه فليس منا وفي الصحيحين
حديث خالفوا المشركين وفروا اللحى واحفوا الشوارب واختلف في قص الشارب وحلقه ايهما
افضل ففي الموطا يوخذ من الشارب حتى يبدو طرف الشفة وعن ابن عبد الحكم عن مالك
قال وتحفى الشارب وتعفى اللحى وليس احفاء الشارب حلقه واري تاديب من حلق شاربه وعن
اشهب ان حلقه بدعة قال واري ان يوجع ضربا من فعله وقال النووي المختار في قص الشارب
انه يقصه حتى يبدو طرف الشفة ولا يحفه من اصله وقال الطحاوي لم نجد عن الشافعي شيئا

منقوطا

منقوطا في هذا وكان المزني والربيع يحفيان شاربهما واما ابو حنيفة وصاحباه فمذهبهم في
شعر الناس والشارب ان الاحفا افضل من التقصير واما احمد فقال الاثرم رايته يحفي
شاربه شديدا وقد اختلفوا في كيفية قص الشارب هل يقص طرفاه ايضا وهما المسميان
بالسبالين ام يترك السبالان كما يفعله كثير من الناس قال الغزالي في الاحيا لا باس بترك
سباليه وهما طرفا الشارب فعل ذلك عمر رضي الله عنه وغيره لان ذلك لا يستر الفم ولا يبقى
فيه غمرة الطعام اذ لا يصل اليه انتهى وروى ابو داود عن جابر قال كنا نعفي السبال الا
في حج او عمرة وكره بعضهم ابقاه لما فيه من التشبه بالاعاجم بل بالمجوس واهل الكتاب
وهذا اولى بالصواب لما رواه ابن حبان في صحيحه من حديث ابن عمر قال ذكر لرسول الله
صلى الله عليه وسلم المجوس فقال انهم يوفرون سبالهم ويحلقون لحاهم فخالفوهم فكان يجز
سباله كما تجز الشاة او البعير وروى احمد في مسنده في اثنا حديث لابي امامة فقلنا يا رسول الله
فان اهل الكتاب يقصون عثانينهم ويوفرون سبالهم فقال قصوا سبالكم ووفروا عثانينكم
وخالفوا اهل الكتاب والعثانين بالعين المهملة والثا المثلثة وتكرار النون جمع عثنون وهو اللحية
قاله في شرح تقريب الاسانيد واما العانة ففي حديث انس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
لا يتنور وكان اذا اكثر شعره حلقه ولكن سنده ضعيف وروى ابن ماجة والبيهقي ورجاله
ثقات ولكن اعل بالارسال وانكر احمد صحته من حديث ام سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان اذا اطلى بدا بعانته فطلاها بالنورة وسائر جسده اهله واما الحديث الذي يروى ان النبي
صلى الله عليه وسلم دخل حمام الجحفة فموضوع باتفاق اهل المعرفة بالحديث كما قال الحافظ ابن كثير
بل ولم تعرف العرب الحمام ببلادها الا بعد موته عليه السلام واخرج البيهقي من مرسل ابي جعفر
الباقر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحب ان ياخذ من اظفاره وشاربه يوم الجمعة
وله شاهد موصول من حديث ابي هريرة لكن سنده ضعيف اخرجه البيهقي ايضا في الشعب
وسئل عنه احمد فقال يسن يوم الجمعة قبل الزوال وعنه يوم الخميس وعنه يتخير قال
الحافظ ابو الفضل بن حجر وهذا هو المعتمد انه يستحب كيف ما احتاج اليه قال ولم يثبت في استحباب
قص الظفر يوم الخميس حديث ولذا لم يثبت في كيفيته شي ولا في تعيين يوم له عن النبي صلى الله
عليه وسلم وما يعزى من النظم في ذلك لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه ثم لشيخ الاسلام
ابن حجر قال شيخنا انه باطل والمراد ازالة ما يزيد على ما يلامس راس الاصبع من الظفر
لان الوسخ يجتمع فيه فيستقذر وقد ينتهي الى حد يمنع من وصول الما الى ما يجب غسله
في الطهارة وقد حكى اصحاب الشافعي فيه وجهين وقطع المتولي بان الوضوء حينئذ لا يصح وقطع
الغزالي في الاحيا بانه يعفى عن مثل ذلك واخرج الطبراني في الاوسط عن عائشة كان صلى الله
عليه وسلم لا يفارقه سواكه ومشطه وكان ينظر في المراة اذا سرح لحيته وعن ابن عباس رضي الله
عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان له مكحلة يكتحل منها كل ليلة ثلاثة في هذه وثلثة في هذه
رواه ابن ماجة والترمذي واحمد ولفظه كان يكتحل بالاثمد كل ليلة قبل ان ينام وكان يكتحل
في كل عين ثلاثة اميال وروى النسائي والبخاري في تاريخه عن محمد بن علي قال سالت عائشة
اكان النبي صلى الله عليه وسلم يتطيب قالت نعم بذكارة الطيب المسك والعنبر

صلى الله عليه وسلم عن علي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مشي تكفأ تكفيا كانما
ينحط من صبب رواه الترمذي وصححه البيهقي والتكفو الميل الي سنن المشي وعند البزار
من حديث ابي هريرة اذا وطي بقدمه وطي بكلها وعند الترمذي في الشمايل من حديثه وما رايت
احدا اسرع في مشيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم كانما الارض تطوي له انا لنجهد انفسنا
وهو غير مكترث وعن زيد بن مرثد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مشي اسرع
حتي يهرول الرجل وراه فلا يدركه رواه ابن سعد ويروي انه كان اذا مشي مجتمعا اي قوي
الاعضاء غير مسترخ في المشي وقال علي رضي الله عنه كان صلى الله عليه وسلم اذا مشي
تقلع وقال ابن ابي هالة اذا زال زال تقلعا ويمشي هونا ذريع المشية اذا مشي كانما ينحط
من صبب وفي رواية اذا زال قلعا بالفتح والضم فبالفتح هو مصدر بمعني الفاعل اي لا يزول
قالعا لرجله من الارض وهو بالضم اما مصدر او اسم وهو بمعني الفتح وقال الهروي قرات
هذا الحرف في كتاب غريب الحديث لابن الانباري قلعا بفتح القاف وكسر اللام وكذلك قراته
بخط الازهري وهو كما جا في حديث آخر كانما ينحط من صبب والانحدار من الصبب والتقلع من الارض
قريب بعضه من بعض اراد انه كان يستعمل التثبت ولا يتبين منه في هذه الحال استعجاله
ومبادرة شديدة وذريع المشية اي واسع الخطو قاله ابن الاثير وقال ابن القيم التقلع
الارتفاع من الارض بجملته كحال المنحط في الصبب وهي مشية اولي العزم والهمة والشجاعة
وهي اعدل المشيات واروحها للاعضاء فكثير من الناس يمشي قطعة واحدة كانه خشبة
محمولة فهي مذمومة واما ان يمشي بانزعاج مشي الجمل الاهوج وهي مشية مذمومة وهي
علامة خفة عقل صاحبها ولاسيما ان اكثر الالتفات حال مشيه يمينا وشمالا وفي بعض المسانيد
ان المشاة شكوا الي رسول الله صلى الله عليه وسلم من المشي في حجة الوداع فقال استعينوا ٥
بالنسلان وهو العدو الخفيف الذي لا يزعج الماشي **واما مشيه صلى الله عليه وسلم**
مع اصحابه فكانوا يمشون بين يديه وهو خلفهم ويقول خلوا ظهري للملايكة وهو معني قول
القايل وكان يسوق اصحابه ويماشيهم فرادي وجماعة **ومشي** عليه السلام في بعض غزواته
مرة فجرحت اصبعه وسال منها الدم فقال ۵ هل انت الا اصبع دميت ۵ وفي سبيل الله ما لقيت ۵
رواه ابو داود ولم يكن له صلى الله عليه وسلم ظل في شمس ولا قمر رواه الترمذي الحكيم عن ذكوان
وقال ابن سبع كان صلى الله عليه وسلم نورا فكان اذا مشي في القمر او الشمس لا يظهر له ظل
قال غيره ويشهد له قوله صلى الله عليه وسلم في دعايه واجعلني نورا **واما لونه الشريف**
صلى الله عليه وسلم فقد وصفه عليه السلام جمهور اصحابه بالبياض منهم ابو بكر وعمر وعلي
وابو جحيفة وابن عمر وابن عباس وابن ابي هالة والحسن بن علي وابو الطفيل ومحرش الكعبي
وابن مسعود والبراء وعايشة وانس في احدي الروايتين عنه فاما لفظ ابي جحيفة فقال كان
ابيض رواه البخاري واما ابو الطفيل فكان ابيض مليحا رواه الترمذي في الشمايل وفي رواية
مسلم ابيض مليح الوجه وفي رواية الطبراني ما انسي شدة بياض وجهه مع شدة سواد
شعره وفي شعر ابي طالب ۵ **حيث قال**
۵ وابيض يستسقي الغمام بوجهه ۵ ثمال اليتامي عصمة للارامل ۵

وقال علي

وقال علي رضي الله عنه ابيض مشرب والمشرب هو الذي في بياضه حمرة كما قال في الرواية الاخري
ابيض مشرب بحمرة وبهذا اعترض قول انس في صحيح مسلم ازهر اللون وفي الشمايل من حديث
ابي هريرة بينا النبي صلى الله عليه وسلم جالس بين اصحابه جاء رجل فقال ايكم ابن عبد
المطلب قالوا هذا الامغر المرتفق والمرتفق المتكي علي مرفقه والامغر المشرب حمرة وفي البخاري
من حديث انس ليس بابيض امهق قال الحافظ ابن حجر ووقع عند الداودي تبعا لرواية المروزي
امهق ليس بابيض وفي رواية عند ابن حاتم وغيره اسمر **واستشكله** بعضهم وقال ان غالب
هذه الروايات تتدافع وبعضها يمكن الجمع كالابيض الشديد الوضح مع الاسمر **واعترض**
الداودي رواية امهق ليس بابيض وهي التي وقعت عنده تبعا لرواية المروزي وقال القاضي
عياض انها وهم قال وكذلك رواية من روي انه ليس بالابيض ولا الادم وليس بصواب قال
الحافظ ابن حجر هذا ليس بجيد لان المراد انه ليس بالابيض الشديد البياض ولا بالادم الشديد
الادمة وانما خالط بياضه الحمرة والعرب قد تطلق علي كل من كان كذلك اسمر واخرجه البيهقي
في الدلايل من وجه آخر عن انس فذكر الصفة النبوية فقال كان صلى الله عليه وسلم ابيض
بياضه الي السمرة وفي حديث ابن عباس في صفته صلى الله عليه وسلم رجل بين رجلين جسمه
ولحمه احمر الي البياض اخرجه احمد وقد تبين من مجموع الروايات ان المراد بالسمرة الحمرة التي تخالط
البياض وان المراد بالبياض المثبت ما تخالطه الحمرة والمنفي ما لا تخالطه وهو الذي يكره العرب
لونه وتسميه امهق وبهذا تبين ان رواية المروزي امهق ليس بابيض مقلوبة علي انه يمكن
توجيهها بان المراد بالامهق الاخضر اللون الذي ليس بياضه في الغاية ولا سمرته ولا حمرته
فقد نقل رؤبة ان المهق خضرة الماء فهذا التوجيه يتم علي تقدير ثبوت الرواية وقد تقدم في حديث
ابي جحيفة الطلاق كونه كان ابيض وكذا في حديث ابي الطفيل عند مسلم والترمذي وفي حديث
سراقة عند ابن اسحق فجعلت انظر الي ساقه كانها جمارة ولاحمد من حديث محرش الكعبي في عمرة
الجعرانة قال فنظرت الي ظهره كانه سبيكة فضة وعن سعيد بن المسيب انه سمع ابا هريرة
يصفه صلى الله عليه وسلم فقال كان شديد البياض اخرجه يعقوب بن سفيان والبزار باسناد
قوي ويجمع بينهما بما تقدم وقال البيهقي يقال ان المشرب منه حمرة والي السمرة ما ضحي للشمس ٥
والريح اي كالوجه والعنق واما ما تحت الثياب فهو الازهر الابيض انتهي وهذا ذكره ابن ابي خيثمة
عقب حديث عايشة في صفته صلى الله عليه وسلم باسط من هذا وزاد ولونه الذي لا يشك فيه
الابيض الازهر انتهي والله اعلم وقد تعقب بعضهم قول من قال انما وصف بالسمرة ما كان
للشمس تصيب منه بان انسا لا يخفي عليه امره حتي يصفه بغير صفته الملازمة له لقربه
منه ولم يكن عليه السلام ملازما للشمس نعم لو وصفه بذلك بعض القادمين ممن صادفه
في وقت غيرته الشمس لامكن فالاولي حمل السمرة في رواية انس علي الحمرة التي تخالط البياض
كما قدمته **تنبيه** في الشفا حكاية عن احمد بن ابي سليمان صاحب سحنون من قال ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان اسود يقتل انتهي وهذا يقتضي ان مجرد الكذب عليه في صفته من صفاته
كفر يوجب القتل وليس كذلك بل لا بد من ضميمة ما يشعر بنقص في ذلك كما في مسالتنا هذه
فان الاسود لون مفضول **واما طيب ريحه صلى الله عليه وسلم** وعرقه وفضلاته

لقد كانت الرائحة الطيبة صفته صلى الله عليه وسلم وان لم يمس طيبا وروينا عن انس قال
ما شممت ريحا قط ولا مسكا ولا عنبرا اطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث
رواه الامام احمد وفي رواية البخاري ولا شممت مسكة ولا عنبرة اطيب من رائحة النبي صلى الله
عليه وسلم وفي رواية الترمذي ولا شممت مسكا قط ولا عطرا كان اطيب من عرق رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقوله شممت بكسر الميم الاولى وسكون الثانية وعن ام عاصم امراة عتبة
ابن فرقد السلمي قالت كنا عند عتبة اربع نسوة فما منا امراة الا وهي تجتهد في الطيب لتكون اطيب
من صاحبتها وما يمس عتبة الطيب الا ان يمس دهنا يمسح به لحيته ولهو اطيب ريحا منا وكان
اذا خرج الى الناس قالوا ما شممنا ريحا اطيب من ريح عتبة فقلت له يوما انا لنجتهد في الطيب
ولانت اطيب ريحا منا فمم ذلك فقال اخذني الشرى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتيته
فشكوت ذلك اليه فامرني ان اتجرد فتجردت وقعدت بين يديه والقيت ثوبي على فرجي
فنفث في يده ثم مسح ظهري وبطني بيده فعبق بي هذا الطيب من يومئذ رواه الطبراني
في معجمه الصغير وروى ابو يعلى والطبراني قصة الذي استعان به صلى الله عليه وسلم على
تجهيز ابنته فلم يكن عنده شيء فاستدعى بقارورة فسلت له فيها من عرقه وقال مرها فلتطيب به
فكانت اذا تطيبت به شم اهل المدينة ذلك الطيب فسموا بيت المطيبين وقال جابر بن عبد الله
كان في رسول الله صلى الله عليه وسلم خصال لم يكن في طريق فيتبعه احد الا عرف انه سلكه
من طيب عرقه وعرفه ولم يكن يمر بحجر الا سجد له رواه الدارمي والبيهقي وابو نعيم ولله در
القايل

فلو ان ركبا يمموك لقادهم ٥ نسيمك حتى يستدل به الركب

وعن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مر في طريق من طرق المدينة وجدوا منه
رائحة الطيب وقالوا مر رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الطريق رواه ابو يعلى والبزار
باسناد صحيح وما احسن قول القايل

تنفسه في الوقت انفاس عطره ٥ فمن طيبه طابت له طرقاته
يروح له الارواح حيث تنسمت ٥ لها سحرا من حيه نسماته

وعن عايشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس وجها وانورهم
لونا لم يصفه واصف قط الا شبه وجهه بالقمر ليلة البدر وكان عرقه في وجهه مثل اللولو اطيب
من المسك الاذفر رواه ابو نعيم وعن انس قال دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
عندنا فعرق وجاءت امي بقارورة فجعلت تسلت العرق فيها فاستيقظ صلى الله عليه وسلم
فقال يا ام سليم ما هذا الذي تصنعين قالت هذا عرقك نجعله لطيبنا وهو اطيب الطيب رواه
مسلم وفي رواية له كان صلى الله عليه وسلم يدخل بيت ام سليم فينام على فراشها وليست
فيه فجاء ذات يوم فنام على فراشها فاتت فقيل لها هذا النبي نائم في بيتك على فراشك قال
فجاءت وقد عرق واستنقع عرقه على قطعة اديم على الفراش ففتحت عتيدتها فجعلت تنشف
ذلك العرق فتعصره في قواريرها ففزع صلى الله عليه وسلم فقال ما تصنعين يا ام سليم فقالت
يا رسول الله نرجو بركته لصبياننا قال اصبت والعتيدة كالصندوق الصغير الذي تترك فيه المراة

ما يعز عليها

مطلب خلق الورد

ما يعز عليها من متاعها واما ما روي ان الورد خلق من عرقه صلى الله عليه وسلم او من عرق البراق
فقال شيخنا في الاحاديث المشتهرة قال النووي لا يصح وقال شيخ الاسلام ابن حجر انه موضوع
وسبقه لذلك ابن عساكر وهو في مسند الفردوس بلفظ الورد الابيض خلق من عرقي ليلة المعراج
والورد الاحمر خلق من عرق جبريل والورد الاصفر خلق من عرق البراق رواه من طريق مكي بن بندار
الزنجاني حدثنا الحسن بن علي بن عبد الواحد القرشي حدثنا هشام بن عمار عن الزهري عن انس
مرفوعا انتهى قال وقال ابو مسعود حدث به ابو عبد الله الحاكم عن رجل عن مكي ومكي تفرد به انتهى
ورواه ابو الحسين بن فارس اللغوي في الريحان والراح له عن مكي به ومكي ممن اتهمه الدارقطني
بالوضع وله طريق اخرى رواه ابو الفرج النهرواني في الخامس والتسعين من الجليس الصالح له
من طريق محمد بن عنبسة بن حماد حدثنا ابي عن جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار عن انس
رفعه لما عرج بي الى السماء بكت الارض من بعدي فنبت اللصف من نباتها فلما ان رجعت قطر
من عرقي على الارض فنبت ورد احمر الا من اراد ان يشم رائحتي فليشم الورد الاحمر قال
ابو الفرج اللصف الكبر قال وما اتى به هذا الخبر فهو اليسير من كثير مما اكرم الله به نبيه ودل
على فضله ورفيع منزلته انتهى وانما ذكرته ليعلم وعن جابر بن سمرة انه صلى الله عليه وسلم
مسح خده قال فوجدت ليده بردا او ريحا كانما اخرجها من جونة عطار قال غيره مسها بطيب
او لم يمسها يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده على راس الصبي فيعرف من بين
الصبيان بريحها رواه   وجونة العطار بضم الجيم وهمزة بعدها ويجوز تخفيفها وهي سليلة
مستديرة مغشاة ادما وقد ورد مما عزاه القاضي عياض للاخباريين ومن الف في الشمايل
الكريمة انه صلى الله عليه وسلم كان اذا اراد ان يتغوط انشقت الارض وابتلعت بوله
وغايطه وفاحت لذلك رائحة طيبة قال غيره ولم يطلع على ما يخرج منه بشر قط واسند
محمد بن سعد كاتب الواقدي كما هو في بعض نسخ الشفا وقالوا انه ليس من الرواية ولا من
اصل ابن جبير بل من حواشي غيره عن عايشة رضي الله عنها انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم
انك تاتي الخلا فلا نرى منك شيا من الاذى فقال يا عايشة او ما علمت ان الارض تبتلع ما يخرج
من الانبيا فلا يرى منه شي انتهى وفي الشفا لابن سبع عن بعض الصحابة قال صحبته
صلى الله عليه وسلم في سفر فلما اراد قضا الحاجة تاملته وقد دخل مكانا فقضى حاجته
فدخلت الموضع الذي خرج منه فلم ار له اثر غايط ولا بول ورايت في ذلك الموضع ثلاثة احجار
فاخذتهن فوجدت لهن رايحة طيبة وعطرا قلت وقد سيل الحافظ عبد الغني المقدسي هل
روي انه صلى الله عليه وسلم كان ما يخرج منه تبتلعه الارض فقال قد روي ذلك من وجه
غريب والظاهر يؤيده فانه لم يذكر عن احد من الصحابة انه راه ولا ذكره واما البول فقد
شاهده غير واحد وشربته ام ايمن والله اعلم انتهى لكن قال البيهقي واما الحديث الذي اخرجه
ابو الحسين بن بشران اخبرنا اسمعيل بن محمد الصفار حدثنا زيد بن اسمعيل الصايغ حدثنا
حسين بن علوان عن هشام بن عروة عن ابيه عن عايشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم
اذا دخل الغايط دخلت في اثره فلا ارى شيا الا اني كنت اشم رائحة الطيب فذكرت ذلك له فقال
يا عايشة اما علمت ان اجسادنا نبتت على ارواح اهل الجنة وما خرج منها ابتلعته الارض فهذا

من موضوعات الحسين بن علوان لا ينبغي ذكره في الاحاديث الصحيحة والمشهورة في معجزاته كناية عن كذب ابن علوان انتهى وروي انه كان يتبرك ببوله ودمه صلى الله عليه وسلم فروى ابن حبان في الضعفاء عن ابن عباس قال حجم النبي صلى الله عليه وسلم غلام لبعض قريش فلما فرغ من حجامته اخذ الدم فذهب به من وراء الحائط فنظر يمينا وشمالا فلم ير احدا تحسا دمه حتى فرغ ثم اقبل فنظر في وجهه فقال ويحك ما صنعت بالدم قلت غيبته من وراء الحائط قال اين غيبته قلت يا رسول الله نفست على دمك ان اهريقه في الارض فهو في بطني فقال اذهب فقد احرزت نفسك من النار وفي سنن سعيد بن منصور من طريق عمرو بن السائب انه بلغه ان مالكا والد ابي سعيد الخدري لما جرح النبي صلى الله عليه وسلم مص جرحه حتى انقاه ولاح ابيض فقيل مجه فقال لا والله لا امجه ابدا ثم ازدرده فقال النبي صلى الله عليه وسلم من اراد ان ينظر الى رجل من اهل الجنة فلينظر الى هذا فاستشهد واخرج البزار والطبراني والحاكم والبيهقي وابو نعيم في الحلية من حديث عامر بن عبد الله بن الزبير عن ابيه قال احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعطاني الدم فقال اذهب فغيبه فذهبت فشربته فاتيته صلى الله عليه وسلم فقال ما صنعت قلت غيبته قال لعلك شربته قلت شربته فقال وويل لك من الناس وويل للناس منك وعند الدارقطني من حديث اسما بنت ابي بكر نحوه وفيه ولا تمسك النار واخرج الحسن بن سفيان في مسنده والحاكم والدارقطني والطبراني وابو نعيم من حديث ابي مالك النخعي عن الاسود بن قيس عن نبيح العنزي عن ام ايمن قالت قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل الى فخارة في جانب البيت فبال فيها فقمت من الليل وانا عطشانة فشربت ما فيها وانا لا اشعر فلما اصبح النبي صلى الله عليه وسلم قال يا ام ايمن قومي فاهريقي ما في تلك الفخارة فقلت قد والله شربت ما فيها قالت فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال اما والله لا يتجعن بطنك ابدا وعن ابن جريج قال اخبرت ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يبول في قدح من عيدان ثم يوضع تحت سريره فجاء فاذا القدح ليس فيه شيء فقال لامراة يقال لها بركة كانت تخدم ام حبيبة جات معها من ارض الحبشة اين البول الذي كان في القدح قالت شربته قال صحة يا ام يوسف فما مرضت قط حتى كان مرضها الذي ماتت فيه وروى ابو داود عن ابن جريج عن حكيمة عن امها اميمة بنت رقيقة وصحح ابن دحية انهما قضيتان وقعتا لامراتين ووهم من زعم ان بركة ام يوسف غير بركة ام ايمن وهو الذي ذهب اليه شيخ الاسلام البلقيني **وفي هذه الاحاديث** دلالة على طهارة بوله ودمه صلى الله عليه وسلم قال النووي في شرح المهذب واستدل من قال بطهارتهما بالحديثين ان ابا طيبة الحجام حجمه صلى الله عليه وسلم وشرب دمه ولم ينكره عليه وان امراة شربت بوله صلى الله عليه وسلم فلم ينكر عليها وحديث ابي طيبة ضعيف وحديث شرب المراة البول صحيح رواه الدارقطني وقال هو حديث حسن صحيح وذلك كاف في الاحتجاج لكل الفضلات قياسا ثم قال ان القاضي حسين قال الاصح القطع بطهارة الجميع انتهى وبهذا قال ابو حنيفة كما قاله العيني وابو طيبة بفتح الطا المهملة وسكون اليا المثناة تحت وبالموحدة نافع الحجام مولى محيصة بضم الميم وفتح المهملة وتشديد المثناة

مطلب فضلات النبي صلى الله عليه وسلم

تحت

تحت وكسر الصاد هو ابن مسعود الانصاري وقال شيخ الاسلام ابن حجر قد تكاثرت الادلة على طهارة فضلاته صلى الله عليه وسلم وعد الايمة ذلك من خصايصه صلى الله عليه وسلم انتهى وقال بعضهم وكان السر في ذلك ما روي من صنيع الملكين حين غسلا جوفه والله اعلم

واما مسربته صلى الله عليه وسلم في البراز ففي حديث عايشة عند ابي عوانة في صحيحه والحاكم ما بال رسول الله صلى الله عليه وسلم قايما منذ انزل عليه القران وفي حديث عبد الرحمن بن حسنة عند النسائي وابن ماجة انه صلى الله عليه وسلم بال جالسا فقالوا انظروا اليه يبول كما تبول المراة وحكى ابن ماجة عن بعض مشايخه انه قال كان من شان العرب البول قايما ويؤيده ما في حديث عبد الرحمن هذا وفيه دلالة على انه كان يخالفهم في ذلك فيقعد لكونه استر وابعد من مماسة البول وقال حذيفة اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم سباطة قوم فبال قايما ثم دعا بما فتوضا رواه البخاري وفي رواية غيره بال قايما ففحج رجليه اي فرقهما وباعد ما بينهما والسباطة بضم المهملة وبعدها موحدة هي المزبلة والكناسة تكون بفناء الدور مرفقا لاهلها وتكون في الغالب سهلة لا يرتد فيها البول على البايل واضافتها الى القوم اضافة اختصاص لا ملك لانها لا تخلو عن النجاسة وبهذا يندفع ايراد من استشكله لكون البول يوهي الجدار ففيه اضرار ويقول انما بال فوق السباطة لا في اصل الجدار وهو صريح في رواية ابي عوانة في صحيحه وقيل يحتمل ان يكون علم اذنهم في ذلك بالتصريح او غيره او لكونه مما يتسامح الناس به او لعلمه بايثارهم اياه بذلك او لكونه يجوز له التصرف في مال امته دون غيره لانه اولى بالمؤمنين من انفسهم واموالهم وهذا وان كان صحيح المعنى لكن لم يعهد ذلك من سيرته ومكارم اخلاقه صلى الله عليه وسلم قال الحافظ ابن حجر وانما لم يتباعد صلى الله عليه وسلم لما عرف من عادته من الابعاد عند قضاء الحاجة عن الطرق المسلوكة وعن اعين النظار فقد قيل فيه انه صلى الله عليه وسلم كان مشغولا بمصالح المسلمين فلعله طال عليه المجلس حتى احتاج الى البول فلو ابعد لتضرر واستدنى حذيفة ليستره من خلفه عن رؤية من لعله يراه وفعله ذلك لبيان الجواز ثم هو في البول اخف من الغايط لاحتياجه الى زيادة تكشف والغرض من الابعاد التستر وهو يحصل بارخا الذيل والدنو من الساتر وروى الطبراني من حديث عصمة بن مالك قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض سكك المدينة فانتهى الى سباطة قوم فقال يا حذيفة استرني فذكر الحديث وظهر منه الحكمة في ادنا حذيفة في تلك الحالة وقيل انما بال قايما لانه يؤمن معها خروج الريح بصوت ففعل ذلك لكونه قريبا من الديار ويؤيده ما رواه عبد الرزاق عن عمر رضي الله عنه قال البول قايما احصن للدبر وقيل السبب في ذلك ما روي عن الشافعي واحمد ان العرب كانت تستشفي لوجع الصلب بذلك فلعله كان به وروى الحاكم والبيهقي من حديث ابي هريرة قال انما بال رسول الله صلى الله عليه وسلم قايما لجرح كان بمابضه والمابض بهمزة ساكنة بعد الميم وموحدة ثم معجمة باطن الركبة فكانه لم يتمكن لاجله من القعود ولو صح هذا الحديث لكان فيه غنى عن جميع ما تقدم لكن ضعفه الدارقطني والبيهقي والاظهر انه فعله لذلك لبيان الجواز وكان اكثر احواله البول عن قعود وقيل ان البول عن قيام منسوخ واستدل عليه بحديث عايشة المتقدم والصواب انه غير منسوخ والجواب عن حديث عايشة انه مستند

الى علمها فيحمل على ما وقع منه في البيوت واما غير البيوت فلم تطلع عليه وقد حفظه حذيفة وهو من كبار الصحابة وهو جائز من غير كراهة اذا امن الرشاش وكان صلى الله عليه وسلم اذا اراد ان يدخل الخلاء قال اللهم اني اعوذ بك من الخبث والخبائث رواه البخاري من حديث انس والخبث بضم المعجمة والموحدة ومراده ذكران الشياطين واناثهم وقد كان عليه السلام يستعيذ اظهارا للعبودية ويجهر بذلك للتعليم وهل يختص هذا الذكر بالابنية المعدة لذلك لكونها حضرة الشياطين او يعم الاصح الثاني ويقول ذلك قبيل الدخول في الامكنة واما في غيرها فيقول في اول الشروع كتشمير ثيابه مثلا وهذا مذهب الجمهور فان نسي يستعيذ بقلبه لا بلسانه وعن انس كان صلى الله عليه وسلم اذا اراد الحاجة لم يرفع ثوبه حتى يدنو من الارض رواه الترمذي وابو داود والدارمي وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج من الخلاء قال غفرانك رواه الترمذي وابن ماجه وعن انس كان صلى الله عليه وسلم اذا خرج من الخلاء قال الحمد لله الذي اذهب عني الاذى وعافاني رواه ابن ماجه وقال صلى الله عليه وسلم اذا اتى احدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يولها ظهره شرقوا او غربوا رواه البخاري من حديث ابي ايوب الانصاري وهذا في الصحراء اما في البنيان فلا لما روي عن ابن عمر ارتقيت فوق بيت حفصة لبعض حاجتي فرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته مستدبر القبلة مستقبل الشام رواه الشيخان واما حديث جابر عند ابي داود وابن خزيمة ولفظه عند احمد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهانا ان نستدبر القبلة او نستقبلها بفروجنا اذا اهرقنا الماء قال ثم رايته قبل موته بعام مستقبل القبلة فقال في فتح الباري الحق انه ليس بناسخ لحديث النهي خلافا لمن زعمه بل هو محمول على انه راه في بناء او نحوه لان ذلك هو المعهود من حاله صلى الله عليه وسلم لمبالغته في التستر ودعوى خصوصية ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم لا دليل عليه اذ الخصائص لا تثبت بالاحتمال ومذهب الجمهور وهو مذهب مالك والشافعي واسحق التفريق بين البنيان والصحراء وهذا اعدل الاقوال لاعماله جميع الادلة وقال قوم بالتحريم مطلقا وهو المشهور عن ابي حنيفة واحمد ورجحه من المالكية ابن العربي وحجتهم ان النهي مقدم على الاباحة ولم يصحح حديث جابر المتقدم وقال قوم بالجواز مطلقا وهو قول عائشة وعروة وربيعة محتجين بان الاحاديث تعارضت فليرجع الى اصل الاباحة وفي البخاري عن انس كان صلى الله عليه وسلم اذا خرج لحاجته اجيء انا وغلام معنا اداوة من ماء يعني يستنجي به وفي رواية مسلم عنه فخرج علينا وقد استنجى بالماء وعن ابي هريرة قال اتبعت النبي صلى الله عليه وسلم فخرج لحاجته فقال ابغني احجارا استنفض بها ولا تأتني بعظم ولا روث فاتيته باحجار بطرف ثيابي فوضعتها الى جنبه فلما قضى حاجته اتبعه بهن وعن عبد الله بن مسعود قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم الغائط فامرني ان اتيه بثلاثة احجار فوجدت حجرين والتمست الثالث فلم اجده فاخذت روثة فاتيته بها فاخذ الحجرين والقى الروثة رواه البخاري وفي حديث سلمان عند مسلم مرفوعا لا يستنجي احدكم باقل من ثلاثة احجار وقد اخذ الشافعي واحمد واصحاب الحديث بهذا واشترطوا ان لا ينقص من الثلاث مع مراعاة الانقاء اذا لم يحصل بها فيزاد حتى ينقى ويستحب حينئذ الايتار لقوله عليه السلام من استجمر فليوتر وليس بواجب لزيادة في ابي داود حسنة الاسناد قال ومن لا فلا حرج قال الخطابي

لو كان القصد الا الانقاء لخلا اشتراط العدد عن الفائدة فلما اشترط العدد لفظا وعلم الانقاء فيه معنى دل على ايجاب الامرين ونظيره العدة بالاقراء فان العدد مشترط ولو تحققت براءة الرحم بقرء واحد فان العدد مطلوب وقال الطحاوي لو كان العدد مشترطا لطلب عليه السلام حجرا ثالثا وغفل رحمه الله عما اخرجه احمد في مسنده من طريق معمر عن ابن مسعود في هذا الحديث فان فيه فالقى الروثة وقال انها ركس ائتني بحجر ورجاله ثقات اثبات واستدل الخطابي ان يمسح بها ثلاث مسحات وذلك حاصل ولو بواحد انتهى ملخصا من فتح الباري والله اعلم

الفصل الثاني فيما اكرمه الله تعالى به من الاخلاق الزكية وشرفه به من الاوصاف المرضية

الفصل الثاني فيما اكرمه الله تعالى به

اعلم ان الاخلاق جمع خلق بضم الخاء واللام ويجوز اسكانها قال الراغب الخلق والخلق بالفتح والضم في الاصل بمعنى واحد كالشرب والشرب لكن خص الخلق الذي بالفتح بالهيئات والصور المدركة بالبصر وخص الخلق الذي بالضم بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة انتهى وقد اختلف هل حسن الخلق غريزة او مكتسب وتمسك من قال بانه غريزة بحديث ابن مسعود ان الله قسم بينكم اخلاقكم كما قسم ارزاقكم الحديث رواه البخاري وقال القرطبي الخلق جبلة في نوع الانسان وهم في ذلك متفاوتون فمن غلب عليه شيء منها كان محمودا والا فهو المأمور بالمجاهدة فيه حتى يصير محمودا وكذا ان كان ضعيفا فيرتاض صاحبه حتى يقوى وقد وقع في حديث الاشج انه صلى الله عليه وسلم قال له ان فيك لخصلتين يحبهما الله الحلم والاناة قال يا رسول الله قديما كانا في او حديثا قال قديما قال الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله رواه احمد والنسائي وصححه ابن حبان فترديد السؤال وتقريره عليه يشعر بان في الخلق ما هو جبلي وما هو مكتسب وقد كان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي اخرجه احمد وصححه ابن حبان وعند مسلم في حديث دعاء الافتتاح واهدني لاحسن الاخلاق لا يهدي لاحسنها الا انت ولما اجتمع فيه صلى الله عليه وسلم من خصال الكمال ما لا يحيط به حد ولا يحصره عد اثنى الله تعالى عليه في كتابه الكريم فقال وانك لعلى خلق عظيم وكلمة على للاستعلاء فدل اللفظ على انه مشتمل على هذه الاخلاق ومستول عليها والخلق ملكة نفسانية يسهل على المتصف بها الاتيان بالافعال الجميلة وقد وصف الله تعالى نبيه بما يرجع الى قوته العلمية بانه عظيم فقال تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما ووصف ما يرجع الى قوته العملية بانه عظيم فقال وانك لعلى خلق عظيم فدل مجموع هاتين الايتين على ان روحه فيما بين الارواح البشرية عظيمة عالية الدرجة كانها لقوتها وشدة كمالها كانت من جنس ارواح الملائكة قال الحليمي وانما وصف خلقه بالعظم مع ان الغالب وصف الخلق بالكرم لان كرم الخلق يراد به السماحة والدماثة ولم يكن خلقه صلى الله عليه وسلم مقصورا على ذلك بل كان رحيما بالمؤمنين رفيقا بهم شديدا على الكفار غليظا عليهم مهيبا في صدور الاعداء منصورا بالرعب منهم على مسيرة شهر فكان وصف خلقه بالعظم اولى ليشمل الانعام والانتقام وقال الجنيد انما كان خلقه صلى الله عليه وسلم عظيما لانه لم يكن له همة سوى الله تعالى وقيل لانه عليه السلام عاشر الخلق بخلقه وباينهم بقلبه وقيل لاجتماع مكارم الاخلاق فيه قال عليه السلام فيما رواه الطبراني في الاوسط بسند فيه عمر بن ابراهيم المقدسي وهو ضعيف عن جابر ان الله بعثني بتمام مكارم الاخلاق وكمال

محاسن الافعال وفي رواية ملك في الموطا بلاغا بعثت لاتمم مكارم الاخلاق فجميع الاخلاق الحميدة كلها كانت فيه صلى الله عليه وسلم فانه ادب بالقران كما قالت عايشة رضي الله عنها كان خلقه القران قال بعض العارفين وقد علم ان القران فيه المتشابه الذي لا يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم يقولون امنا به اي امرنا في سحابه وامرناه به من خلف حجابه وتقلدنا سيف الحجة به ولكن في قرابه

وما كونه مما تحصل مقلة * ولا حدّه مما تجس الانامل

وقال صاحب عوارف المعارف ولا يبعد ان قول عايشة رضي الله عنها كان خلقه القران فيه رمز غامض وايماء خفي الى الاخلاق الربانية فاحتشمت الحضرة الالهية ان تقول كان متخلقا باخلاق الله تعالى فعبرت عن المعنى بقولها كان خلقه القران استحياء من سبحات الجلال وسترا للحال بلطف المقال وهذا من وفور عقلها وكمال ادبها انتهى فكما ان معاني القران لا تتناهى فكذلك اوصافه الجميلة الدالة على خلقه العظيم لا تتناهى اذ في كل حالة من احواله يتجدد له من مكارم الاخلاق ومحاسن الشيم وما يفيضه الله تعالى عليه من معارفه وعلومه مما لا يعلمه الا الله تعالى فاذا التعرض لحصر جزئيات اخلاقه الحميدة تعرض لما ليس من مقدور الانسان ولا من ممكنات عاداته قال الحرالي وهو كما في القاموس بتشديد اللام نسبة الى قبيلة بالبربر واسمه علي بن احمد ابن الحسن ذو التصانيف المشهورة ولما كان عرفان قلبه عليه السلام بربه عز وجل كما قال عليه السلام بربي عرفت كل شي كانت اخلاقه اعظم خلق فلذلك بعثه الى الناس كلهم ولم يقتصر رسالته على الانس حتى عمت الجن ولم يقتصر على الثقلين حتى عمت جميع العالمين فكل من كان الله ربه فمحمد رسوله وكما ان الربوبية تعم العالمين فالخلق المحمدي يشمل جميع العالمين انتهى وهذا مصير منه الى انه صلى الله عليه وسلم قد ارسل الى الملايكة ايضا وسياتي الكلام في ذلك مستوفى ان شا الله تعالى وهو المستعان وقد كان صلى الله عليه وسلم مجبولا على الاخلاق الكريمة في اصل خلقته الزكية النقية لم يحصل له ذلك برياضة نفس بل بجود الهي ولهذا لم يزل تشرق انوار المعارف في قلبه حتى وصل الى الغاية العليا والمقام الاسنى واصل هذه الخصال الحميدة والمواهب المجيدة كمال العقل لان به تقتبس الفضايل وتجتنب الرذايل فالعقل لسان الروح وترجمان البصيرة والبصيرة للروح بمثابة القلب والعقل بمثابة اللسان قال بعضهم لكل شي جوهر وجوهر الانسان العقل وجوهر العقل الصبر واما ما روي ان الله لما خلق العقل قال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر فقال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا اشرف منك فبك اخذ وبك اعطي فقال شيخنا قال ابن تيمية وتبعه غيره انه كذب موضوع باتفاق انتهى وفي زوايد عبد الله بن الامام احمد على الزهد لابيه عن علي بن مسلم عن سيار بن حاتم وهو ممن ضعفه غير واحد وكان جماعا للرقايق وقال القواريري انه لم يكن له عقل قال حدثنا جعفر بن سليمان الضبعي حدثنا مالك بن دينار عن الحسن البصري مرسلا لما خلق الله العقل قال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر فقال ما خلقت خلقا احب الي منك بك اخذ وبك اعطي واخرجه داود بن المحبر في كتاب العقل له وابن المحبر كذاب قال الحافظ ابو الفضل بن حجر والوارد في اول ما خلق الله حديث اول ما خلق الله القلم وهو اثبت من حديث العقل ولابي الشيخ عن قرة بن اياس المزني رفعه

الناس

الناس يعملون الخير وانما يعطون اجورهم على قدر عقولهم وقد اختلف في ماهية العقل اختلافا طويلا يطول استقصاوه وفي القاموس ومن خط مولفه نقلت العقل العلم او بصفات الاشيا من حسنها وقبحها وكمالها ونقصانها او العلم بخير الخيرين وشر الشرين او يطلق لامور لقوة بها يكون التمييز بين القبيح والحسن ولمعان مجتمعة في الذهن تكون بمقدمات تستتب في حركاته وكلماته ولجوهر روحاني به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية وابتداء وجوده عند اجتنان الولد ثم لا يزال ينمو الى ان يكمل عند البلوغ انتهى وقد كان صلى الله عليه وسلم من كمال العقل في الغاية القصوى التي لم يبلغها بشر سواه ولهذا كانت معارفه عظيمة وخصايصه جسيمة حارت العقول في بعض ما افاضه من غيبه لديه وكلت الافكار في معرفة بعض ما اطلعه الله عليه وكيف لا يعطي ذلك وقد امتلا قلبه وباطنه وفاض على جسده المكرم ما اوهبه من اسرار الالهية ومعرفة ربوبيته وتحقق عبوديته قال وهب بن منبه قرات في احد وسبعين كتابا فوجدت في جميعها ان الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضايها من العقل في جنب عقله صلى الله عليه وسلم الا كحبة رملة بين رمل جميع رمال الدنيا وان محمدا صلى الله عليه وسلم ارجح الناس عقلا وافضلهم رايا رواه ابو نعيم في الحلية وابن عساكر وعن بعضهم مما هو في عوارف المعارف اللب والعقل مائة جزء تسعة وتسعون في النبي صلى الله عليه وسلم وجزء في ساير المومنين ومن تامل حسن تدبيره للعرب الذين هم كالوحش الشارد والطبع المتنافر المتباعد وكيف ساسهم واحتمل جفاهم وصبر على اذاهم الى ان انقادوا اليه واجتمعوا عليه وقاتلوا دونه اهليهم واباءهم وابناءهم واختاروه على انفسهم وهجروا في رضاه اوطانهم واحباءهم من غير ممارسة سبقت له ولا مطالعة كتب يتعلم منها سير الماضين تحقق انه اعقل العالمين ولما كان عقله عليه السلام اوسع العقول لا جرم اتسعت اخلاق نفسه الكريمة اتساعا لا يضيق عن شي فمن ذلك اتساع خلقه العظيم في الحلم والعفو مع القدرة وصبره عليه السلام على ما يكره وحسبك صبره وعفوه عليه السلام عن الكافرين به المقاتلين المحاربين له في اشد ما نالوه به من الجراح والجهد بحيث كسرت رباعيته وشج وجهه يوم احد حتى صار الدم يسيل على وجهه الشريف حتى شق ذلك على اصحابه شديدا وقالوا لو دعوت عليهم فقال اني لم ابعث لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة اللهم اغفر لقومي او اهد قومي فانهم لا يعلمون قال ابن حبان اي اغفر لهم ذنبهم في شج وجهي لا انه اراد الدعا لهم بالمغفرة مطلقا اذ لو كان كذلك لاجيب ولو اجيب لاسلموا كلهم كذا قال رحمه الله وقد روي عن عمر انه قال في بعض كلامه بابي انت وامي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض الاية ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند اخرنا فلقد وطي ظهرك وادمي وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون وههنا دقيقة وهي انه عليه السلام لما شج وجهه عفا وقال اللهم اهد قومي وحين شغلوه عن الصلاة يوم الخندق قال اللهم املا بطونهم نارا فتحمل الشجة الحاصلة في وجه جسده وما تحمل الشجة الحاصلة في وجه دينه فان وجه الدين هو الصلاة فرجح حق خالقه على حقه وعلم ان الصبر على الاذى جهاد النفس وقد جبل الله تعالى النفوس على التالم بما يفعل بها ولهذا اشتد عليه صلى الله عليه وسلم نسبتهم له الى الجنون

في القسمة لكنه عليه السلام حلم على القايل وصبر لما علم من جزيل ثواب الصابرين وان الله يأجره
بغير حساب وصبره عليه السلام على الاذى انما هو فيما كان من حق نفسه واما اذا كان لله فانه
يمتثل فيه امر الله تعالى من الشدة كما قال له تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم
وقد وقع له عليه السلام انه غضب لاسباب مختلفة مرجعها الى ان ذلك كان في امر الله واظهر الغضب
فيها ليكون اوكد في الزجر فصبره انما كان يتعلق بنفسه الشريفة صلى الله عليه وسلم وقد روى
الطبراني وابن حبان والحاكم والبيهقي عن زيد بن سعنة بالمهملة والنون المفتوحتين كما قيده
عبد الغني وذكره الدارقطني وبالمثناة التحتية ثبت في الشفاء وصحح عليه مؤلفه بخطه وهو الذي
ذكره ابن اسحق وهو كما قاله النووي اجل احبار اليهود الذين اسلموا انه قال لم يبق من علامات
النبوة شيء الا وقد عرفته في وجه محمد حين نظرت اليه الا اثنين لم اخبرهما منه يسبق حلمه جهله
ولا يزيده شدة الجهل عليه الا حلما فكنت اتلطف له لان اخالطه فاعرف حلمه وجهله فابتعت
منه تمرا الى اجل واعطيته الثمن فلما كان قبل محل الاجل بيومين او ثلاثة اتيته فاخذت بمجامع
قميصه وردايه ونظرت اليه بوجه غليظ ثم قلت الا تقضيني يا محمد حقي فوالله انكم يا بني عبد المطلب
مطل فقال عمر اي عدو الله اتقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما اسمع فوالله لولا ما احاذر فوته
لضربت بسيفي راسك ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر الى عمر في سكون وتؤدة وتبسم ثم قال
انا وهو كنا احوج الى غير هذا منك يا عمر ان تامرني بحسن الاداء وتامره بحسن التباعة اذهب به
يا عمر فاقضه حقه وزده عشرين صاعا مكان ما رعته ففعل فقلت يا عمر كل علامات النبوة قد عرفتها
في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نظرت اليه الا اثنتين لم اخبرهما يسبق حلمه جهله
ولا يزيده شدة الجهل الا حلما فقد اختبرتهما فاشهدك اني قد رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا
وبمحمد نبيا وعن ابي هريرة قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ثم قام فقمنا حين قام
فنظرنا الى اعرابي قد ادركه فجذبه بردايه فحمر رقبته وكان رداء خشنا فالتفت اليه فقال
الاعرابي احملني على بعيري هذين فانك لا تحملني من مالك ولا من مال ابيك فقال له صلى الله
عليه وسلم لا واستغفر الله لا واستغفر الله لا واستغفر الله لا احملك حتى تقيدني من جبذتك
التي جبذتني فكل ذلك يقول له الاعرابي والله لا اقيدكها فذكر الحديث قال ثم دعا رجلا فقال له
احمل له على بعيريه هذين على بعير تمرا وعلى الاخر شعيرا رواه ابو داود ورواه البخاري
من حديث انس بلفظ كنت امشي مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية
فادركه اعرابي فجبذ بردايه جبذة شديدة قال انس فنظرت الى صفحة عاتقه وقد اثرت فيه
حاشية البرد من شدة جبذته ثم قال يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك فالتفت اليه فضحك
ثم امر له بعطاء وفي هذا بيان حلمه عليه السلام وصبره على الاذى في النفس والمال والتجاوز
عن جفاء من يريد تالفه على الاسلام وعن عايشة لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا
ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح رواه الترمذي اي لم يكن له الفحش خلقيا ولا مكتسبا
وروى البخاري من حديث ابن عمر لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا وفي رواية
ايضا من حديث انس بن مالك لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم سبابا ولا فحاشا ولا لعانا والفحش
كل ما خرج عن مقداره حتى يستقبح ويدخل في القول والفعل والصفة لكن استعماله في القول

اكثر

اكثر والمتفحش بالتشديد الذي يتعمد ذلك ويكثر منه ويتكلفه وعن عايشة ان رجلا استاذن على النبي
صلى الله عليه وسلم فلما راه قال بئس اخو العشيرة وبئس ابن العشيرة فلما جلس تطلق النبي
صلى الله عليه وسلم في وجهه وانبسط اليه فلما انطلق الرجل قالت له عايشة يا رسول الله حين
رايت الرجل قلت له كذا وكذا ثم تطلقت في وجهه وانبسطت اليه فقال صلى الله عليه وسلم
يا عايشة متى عهدتني فحاشا ان شر الناس عند الله منزلة يوم القيمة من تركه الناس اتقاء شره
رواه البخاري قال ابن بطال هذا الرجل هو عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري
وكان يقال له الاحمق المطاع وكذا فسره به القاضي عياض والقرطبي والنووي واخرج
عبد الغني من طريق ابي عامر الخزاعي عن عايشة قالت جاء مخرمة بن نوفل يستاذن فلما
سمع النبي صلى الله عليه وسلم صوته قال بئس اخو العشيرة الحديث والمراد بالعشيرة
الجماعة او القبيلة وانما تطلق صلى الله عليه وسلم في وجهه تالفا له ليسلم قومه لانه كان
رئيسهم وقد جمع هذا الحديث كما قاله الخطابي علما وادبا وليس قوله عليه السلام في امته
بالامور التي يسميهم بها ويضيفها اليهم من المكروه غيبة وانما يكون ذلك من بعضهم في بعض
بل الواجب عليه صلى الله عليه وسلم ان يبين ذلك ويفصح به ويعرف الناس امرهم فان ذلك
من باب النصيحة والشفقة على الامة ولكنه لما جبل عليه من الكرم واعطيه من حسن الخلق
اظهر له البشاشة ولم يجبه بالمكروه لتقتدي به امته في اتقاء شر من هذا سبيله وفي مداراته
ليسلموا من شره وغايلته وقال القرطبي فيه جواز غيبة المعلن بالفسق او الفحش ونحو
ذلك مع جواز مداراتهم اتقاء شرهم ما لم يؤد ذلك الى المداهنة في دين الله ثم قال تبعا
للقاضي حسين والفرق بين المداراة والمداهنة ان المداراة بذل الدنيا لصلاح الدنيا او الدين
او هما معا وهي مباحة وربما استحسنت والمداهنة بذل الدين لصلاح الدنيا والنبي صلى الله
عليه وسلم انما بذل له من دنياه حسن عشرته والرفق في مكالمته ومع ذلك فلم يمدحه
بقول فلم يناقض قوله فيه فعله فان قوله فيه قول حق وفعله معه حسن عشرة فيزول
مع هذا التقدير الاشكال ولله الحمد وقال القاضي عياض لم يكن عيينة والله اعلم حينئذ اسلم
فلم يكن القول فيه غيبة او كان اسلم ولم يكن اسلامه ناصحا فاراد النبي صلى الله عليه وسلم
ان يبين ذلك لئلا يغتر به من لم يعرف باطنه وقد كانت منه في حياة النبي صلى الله عليه وسلم
وبعده امور تدل على ضعف ايمانه فيكون ما وصفه به عليه السلام من علامات النبوة ه
واما الالانة القول بعد ان دخل فعلى سبيل الايتلاف وفي فتح الباري ان عيينة ارتد في زمن
الصديق وحارب ثم رجع واسلم وحضر بعض الفتوح في عهد عمر انتهى وما انتقم صلى الله عليه
وسلم لنفسه رواه البخاري فان قلت قد صح انه صلى الله عليه وسلم امر بقتل عقبة
ابن ابي معيط وعبد الله بن خطل وغيرهما ممن كان يؤذيه صلى الله عليه وسلم وهذا ينافي قوله
وما انتقم لنفسه فالجواب انهم كانوا مع ذلك ينتهكون حرمات الله وقيل اراد بانه لا ينتقم اذا
اوذي في غير السبب الذي يخرج الى الكفر كما عفى عن الاعرابي الذي جفا في رفع صوته عليه وعن
الاخر الذي جبذ بردايه حتى اثر في كتفه وحمل الداودي عدم الانتقام على ما يختص بالمال
واما العرض فقد اقتص ممن نال منه وقد اخرج الحاكم هذا الحديث من طريق معمر عن الزهري

ملوا ولو له مما لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلما بذكر اي بصريح اسمه وما ضرب بيده شيا
قط الا ان يضرب في سبيل الله ولا سيل شيا قط فمنعه الا ان يسال ماثما ولا انتقم لنفسه من شي
الا ان ينتهك حرمات الله فيكون لله ينتقم الحديث **وبما روي من اتساع خلقه وحلمه صلى الله
عليه وسلم اتساع** خلقه للطايفة المنافقين الذين كانوا يوذونه اذا غاب ويتملقون له اذا
وذلك مما تنفر منه النفوس البشرية حتى نوبدها العناية الربانية وكان عليه السلام كلما اذن
له في التشديد عليهم فتح لهم صلى الله عليه وسلم بابا من الرحمة فكان يستغفر لهم ويدعو لهم
حتى انزل الله عليه استغفر لهم او لا تستغفر لهم فقال عليه السلام خيرني ربي فاخترت
ان استغفر لهم وكما قال الله تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم فقال
صلى الله عليه وسلم لازيدن على السبعين وامر ولد الذي تولى كبر النفاق والاذى منهم
بر ابيه ولما مات كفنه في ثوب خلعه عن بدنه وصلى عليه هذا وعمر بن الخطاب رضي الله عنه
يجذبه بثوبه ويقول برسول الله اتصلي على راس المنافقين فنتر ثوبه من عمر وقال اليك عني
يا عمر فخالف مومنا ولنا في حق منافق عدو كل ذلك رحمة منه لامته وقال النووي قيل انما اعطا
قميصه وكفنه فيه تطييبا لقلب ابنه فانه كان صحابيا صالحا وقد سال ذلك فاجابه اليه وقيل
مكافاة لعبد الله المنافق الميت لانه كان البس العباس حين اسر يوم بدر قميصا وفي ذلك كله
بيان عظيم مكارم اخلاق النبي صلى الله عليه وسلم فقد علم ما كان من هذا المنافق من الايذا
وقابله بالحسنى فالبسه قميصه كفنا وصلى عليه واستغفر له قال الله تعالى وانك لعلى خلق
عظيم ومن ذلك انه عليه السلام لم يواخذ لبيد بن الاعصم اذ سحره وعفى عن اليهودية التي سمته
في الشاة على الصحيح من الروايتين والله تعالى يرحم القايل ٥ حيث قال

٥ وما الفضل الا حاتم انت قصه ٥ وعفوك نقش الفص فاختم به عذري ٥

ومن ذلك اشفاقه صلى الله عليه وسلم على اهل الكباير من امته وامره اياهم بالستر
فقال من بلي بهذه القاذورات يعني المحرمات فليستتر فامر امته ان يستغفروا للمحدود وترحموا
عليه لما حققوا عليه فسبوه ولعنوه فقال قولوا اللهم اغفر له اللهم ارحمه وقال لهم في رجل كان
كثيرا ما يوتي به سكران بعد تحريم الخمر فلعنوه مرة فقال لا تلعنوه فانه يحب الله ورسوله
فاظهر لهم مكتوم قلبه لما رفضوه بظاهر فعله وانما ينظر الله الى القلوب طهر الله قلوبنا وغفر
عظيم ذنوبنا **ومن ذلك اتساع خلقه في شريف تواضعه وادابه وحسن عشرته
مع اهله وخدمه واصحابه** قال بعضهم العارف العبد لا يبلغ حقيقة التواضع الا عند
لمعان نور المشاهدة في قلبه فعند ذلك تذوب النفس وفي ذوبانها صفاوها من غش الكبر
والعجب فتلين وتنطبع للحق بمحو اثارها وسكون وهجها وغبارها وكان الحظ الاوفر من التواضع
لنبينا صلى الله عليه وسلم في اوطان القرب وحسبك من تواضعه عليه السلام ان خيره ربه
تعالى بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فاعطاه الله بتواضعه ان جعله اول من تنشق عنه الارض
واول شافع واول مشفع فلم ياكل متكيا بعد ذلك حتى فارق الدنيا وقد قال عليه السلام لا تطروني
كما اطرت النصارى بن مريم انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله رواه الترمذي **ومن تواضعه
عليه السلام** انه كان لا ينهر خادما روينا في كتاب الترمذي عن انس قال خدمت النبي صلى الله

عليه

عليه وسلم عشر سنين فما قال لي اف قط ولا قال لشي صنعته لم صنعته ولا لشي تركته لم تركته
وكذلك كان صلى الله عليه وسلم مع عبيده واماية ما ضرب منهم احدا قط وهذا امر لا يتسع له
الطباع البشرية لولا التاييدات الربانية وفي رواية مسلم ما رايت احدا ارحم بالعيال من رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقالت عايشة ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا قط بيده ولا
امراة ولا خادما الا ان يجاهد في سبيل الله وما نيل منه شي قط فينتقم من صاحبه الا ان ينتهك
شي من محارم الله فينتقم لله رواه مسلم وسيلت عايشة كيف كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا خلا في بيته قالت الين الناس بساما ضحاكا لم ير قط مادا رجليه بين اصحابه رواه
وعنها ما كان احد احسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه احد من اصحابه الا قال
لبيك رواه   وعند احمد وابن سعد وصححه ابن حبان عنها كان صلى الله عليه وسلم
يخيط ثوبه ويخصف نعله وفي رواية لاحمد ويرقع دلوه وعنده ايضا يفلي ثوبه ويحلب شاته
ويخدم نفسه وهذا يتعين حمله على اوقات فانه ثبت انه كان له خدم فتارة يكون بنفسه
وتارة بغيره وتارة بالمشاركة **وكان** يركب الحمار ويردف خلفه وركب يوم بني قريظة
على حمار مخطوم بحبل من ليف رواه الترمذي وعن قيس بن سعد قال زارنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما ان اراد الانصراف قرب له سعد حمارا وطا عليه بقطيفة وركب صلى الله عليه
وسلم ثم قال سعد يا قيس اصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قيس فقال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم اركب فابيت فقال اما ان تركب واما ان تنصرف وفي رواية اخرى اركب امامي
فصاحب الدابة اولى بمقدمها رواه ابو داود وغيره وفي البخاري من حديث انس بن مالك
اقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من حنين وابي لرديف ابي طلحة وهو يسير وبعض نسا
رسول الله صلى الله عليه وسلم رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ عثرت الناقة
فقلت المراة فقال صلى الله عليه وسلم انها امكم فشددت الرحل وركب رسول الله صلى الله
عليه وسلم الحديث والمراة صفية والردف الرديف الراكب خلف الراكب باذنه وقال معاذ
ابن جبل بينا انا رديف النبي صلى الله عليه وسلم ليس بيني وبينه الا اخرة الرحل وقد ركب
صلى الله عليه وسلم على حمار على اكاف عليه قطيفة فدكية واردف اسامة ورواه ولما قدم عليه
السلام مكة استقبله اغيلمة بني عبد المطلب فحمل واحدا بين يديه واخر خلفه وقال ابن عباس
اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حمل قثم بين يديه والفضل خلفه او قثم خلفه والفضل بين
يديه رواه البخاري وذكر المحب الطبري في مختصر السيرة النبوية له انه صلى الله عليه وسلم
ركب حمارا عريا الى قبا وابو هريرة معه فقال يا ابا هريرة احملك فقال ما شيت يا رسول الله
قال اركب فوثب ابو هريرة ليركب فلم يقدر فاستمسك برسول الله صلى الله عليه وسلم فوقعا
جميعا ثم ركب صلى الله عليه وسلم ثم قال يا ابا هريرة احملك فقال ما شيت يا رسول الله فقال
اركب فلم يقدر ابا هريرة على ذلك فتعلق برسول الله صلى الله عليه وسلم فوقعا جميعا ثم قال
يا ابا هريرة احملك فقال لا والذي بعثك بالحق لا رميتك ثالثا وذكر الطبري ايضا انه عليه السلام
كان في سفر وامر اصحابه باصلاح شاة فقال رجل يا رسول الله علي ذبحها وقال اخر يا رسول الله
علي سلخها وقال اخر يا رسول الله علي طبخها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم علي جمع الحطب فقالوا

يا رسول الله نكفيك العمل فقال قد علمت انكم تكفوني ولكني اكره ان اتميز عليكم وان الله يكره من عبده
ان يراه متميزا بين يدي اصحابه انتهى ولم ار هذا لغير الطبري بعد التتبع نعم رايت في جزء تمثال
النعل الشريف لابي اليمن بن عساكر بعد ان روى حديث عبد الله بن عامر بن ربيعة عن ابيه قال
كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في الطواف فانقطعت شسعه فقلت يا رسول الله ناولني اصلحه
فقال هذه اثرة ولا احب الاثرة والاثرة بفتح الهمزة والثاء الاسم من اثر يوثر اذا اعطى والاثرة الاستئثار
وهو الانفراد بالشيء قال وكانه كره صلى الله عليه وسلم ان ينفرد احد باصلاح نعله فيحوز فضيلة الخدم
فيكون له مثابة الخادم ويكون له صلى الله عليه وسلم ترفع المخدوم على خادمه كره ذلك صلى الله عليه
وسلم لتواضعه وخطر نفعه على من يصحبه ويويده ما روي انه صلى الله عليه وسلم اراد
ان يمتهن نفسه في شيء فقالوا نحن نكفيك يا رسول الله قال قد علمت انكم تكفوني ولكني اكره ان اتميز
عليكم فان الله يكره من عبده ان يراه متميزا بين اصحابه انتهى ثم رايت شيئا في الاحاديث
المشتهرة تحكي ذلك والله اعلم وعن ابي قتادة وقدم وفد النجاشي فقام النبي صلى الله عليه وسلم
يخدمهم فقال له اصحابه نكفيك قال انهم كانوا لاصحابي مكرمين وانا احب ان اكافيهم ذكره في الشفا
وفي البخاري عن انس كان الرجل يجعل للنبي صلى الله عليه وسلم النخلات حتى افتتح قريظة والنضير
وان اهلي امروني ان اتي النبي صلى الله عليه وسلم فاساله الذي كانوا اعطوه او بعضه وكان عليه
السلام قد اعطاه ام ايمن فجاءت ام ايمن فجعلت الثوب في عنقي تقول كلا والذي لا اله غيره
لا يعطيكم وقد اعطانيها او كما قالت والنبي صلى الله عليه وسلم يقول لك كذا وتقول كلا والله
حتى اعطاها حسبت انه قال عشرة امثاله او كما قال وانما فعلت هذا ام ايمن لانها ظنت انها كانت
هبة موبدة وتمليكا لاصل الرقبة واراد النبي صلى الله عليه وسلم استطابة قلبها في استرداد
ذلك فلاطفها وما زال يزيدها في العوض حتى رضيت وكل هذا تبرع منه صلى الله عليه وسلم واكرام
لها لما لها من حق الحضانة والتربية ولا يخفى ما في هذا من فرط جوده وكثرة حلمه وبره صلى الله عليه
وسلم وجاءته صلى الله عليه وسلم امراة كان في عقلها شيء فقالت ان لي اليك حاجة فقال اجلسي
في اي سكك المدينة شئت اجلس اليك وفي رواية مسلم حتى اقضي حاجتك فخلا معها في بعض الطرق
حتى فرغت من حاجتها ولا ريب ان هذا كله من تواضعه صلى الله عليه وسلم وقال عبد الله
ابن ابي الحمساء بايعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث وبقيت له بقية فوعدته ان اتيه بها
في مكانه فنسيت فذكرت بعد ثلاث فاذا هو في مكانه فقال لقد شققت علي انا هاهنا منذ ثلث انتظرك
رواه ابو داود وقال ابن ابي اوفى كان عليه السلام لا يانف ان يمشي مع الارملة والمسكين فيقضي
له الحاجة رواه النسائي وفي رواية البخاري ان كانت الامة لتاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه
وسلم فتنطلق به حيث شاءت وفي رواية احمد فتنطلق به في حاجتها وعنده ايضا ان كانت الوليدة
من ولايد اهل المدينة لتجيء فتاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ينزع يده من يدها
حتى تذهب به حيث شاءت والمقصود من الاخذ باليد لازمه وهو الانقياد وقد اشتمل على انواع
من المبالغة في التواضع لذكره المراة دون الرجل والامة دون الحرة وحيث عمم بلفظ الاما اي امة
امة كانت وبقوله حيث شاءت اي من الامكنة والتعبير باليد اشارة الى غاية التصرف حتى لو كانت
حاجتها خارج المدينة والتمست منه مساعدتها في تلك الحالة لساعدها على ذلك وهذا من مزيد

تواضعه

تواضعه وبراءته من جميع انواع الكبر صلى الله عليه وسلم ودخل الحسن وهو يصلي قد سجد فركب
على ظهره فابطا في سجوده حتى نزل الحسن فلما فرغ قال له بعض اصحابه يا رسول الله لقد اطلت
سجودك قال ان ابني ارتحلني فكرهت ان اعجله اي جعلني كالراحلة فركب على ظهري وكان عليه السلام
يعود المرضى ويشهد الجنازة اخرجه الترمذي في الشمائل وحج عليه السلام على رحل رث وعليه
قطيفة لا تساوي اربعة دراهم فقال اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة وكان صلى الله عليه
وسلم اذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بانيتهم فيها الماء فما يوتى باناء الا غمس يده فيه فربما جاؤوه في الغداة
الباردة فيغمس يده فيها رواه مسلم والترمذي وكان عليه السلام حسن العشرة مع ازواجه
وكان عليه السلام بارا مع ازواجه قال النووي وهو ظاهر فعله الذي واظب عليه مع مواظبته
صلى الله عليه وسلم على قيام الليل فينام مع احداهن فاذا اراد القيام لوظيفته قام وتركها
فيجمع بين وظيفته واداء حقها المندوب وعشرتها بالمعروف وقد علم من هذا ان اضطجاع الزوج
مع زوجته في فراش واحد افضل لا سيما ان عرف من حالها حرصها على هذا ولا يلزم من نومه
معها الجماع والله اعلم وقد كان عليه السلام يسرب الى عائشة رضي الله عنها بنات الانصار يلعبن معها
رواه الشيخان وكان اذا شربت من الاناء اخذه فوضع فمه على موضع فمها وشرب رواه مسلم وكان اذا
تعرقت عرقا وهو العظم الذي عليه اللحم اخذه فوضع فمه على موضع فمها رواه مسلم ايضا
وكان يتكئ في حجرها ويقبلها وهو صائم رواه الشيخان وكانت تنظر الى الحبشة وهم يلعبون في المسجد
وهي متكئة على منكبه رواه البخاري ورواه الترمذي بلفظ قام صلى الله عليه وسلم فاذا حبشة
تزفن والصبيان حولها فقال يا عائشة تعالي فانظري فجئت فوضعت لحيي على منكب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فجعلت انظر اليها ما بين المنكب الى راسه فقال لي اما شبعت قالت فجعلت
اقول لا لا وقال حسن صحيح غريب وروي انه صلى الله عليه وسلم سابقها فسبقته ثم سابقها بعد
ذلك فسبقها فقال هذه بتلك ورواه ابو داود بلفظ سابقته في سفر فسبقته على رجلي قالت
فلما حملت اللحم سابقته فسبقني فقال هذه بتلك السبقة وعن انس بن مالك انهم كانوا يوما عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم في بيت عائشة رضي الله عنها اذ اتي بصحفة خبز ولحم من بيت ام سلمة فوضعت
بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال ضعوا ايديكم فوضع نبي الله صلى الله عليه وسلم يده ووضعنا
ايدينا فاكلنا وعائشة تصنع طعاما عجلته قد رات الصحفة التي اتي بها فلما فرغت من طعامها جاءت
فوضعته ورفعت صحفة ام سلمة فكسرتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلوا بسم الله
غارت امكم ثم اعطى صحفتها ام سلمة فقال طعام مكان طعام واناء مكان اناء رواه الطبراني في الصغير
وهو عند البخاري بلفظ كان عند بعض نسائه فارسلت احدى امهات المومنين بصحفة فيها طعام
فضربت التي النبي في بيتها يد الخادم فسقطت الصحفة فانفلقت فجمع صلى الله عليه وسلم فلق الصحفة
ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة ويقول غارت امكم ثم حبس الخادم حتى اتي بصحفة
من عند التي هو في بيتها فدفع الصحفة الى التي كسرت صحفتها وامسك المكسورة في بيت التي كسرت
وعند احمد وابي داود والنسائي قالت عائشة ما رايت صانعة طعام مثل صفية اهدت للنبي
صلى الله عليه وسلم اناء من طعام فما ملكت نفسي ان كسرته فقلت يا رسول الله ما كفارته قال اناء
كاناء وطعام كطعام وعند غيرهم فاخذت القصعة من بين يديه فضربت بها وكسرتها فقام صلى الله

عليه وسلم يلتقط اللحم والعظام وهو يقول لكانت امكم فلم يثرب عليها فوسع خلقه الكريم اثار
لحظات اثار غيرتها ولم يتأثر وقضى عليها بحكم الله في القصاص وهكذا كانت احواله عليه السلام مع ازواجه
لا يأخذ عليهن ويعذرهن وان اقام عليهن قسطاس عدله اقامه بغير قلق ولا غضب بل رؤوف
رحيم حريص عليهن وعلى غيرهن عزيز عليه ما يعنتهم قيل وفي هذا الحديث اشارة الى عدم
مؤاخذة الغيرى فيما يصدر منها لانها في تلك الحالة يكون عقلها محجوبا بشدة الغضب الذي اثارته
الغيرة وقد اخرج ابو يعلى بسند لا بأس به عن عائشة مرفوعا ان الغيرى لا تبصر اسفل الوادي
من اعلاه انتهى وعن عائشة رضي الله عنها اتيت النبي صلى الله عليه وسلم بخزيرة طبختها له
وقلت لسودة والنبي صلى الله عليه وسلم بيني وبينها كلي فابت فقلت لها كلي فابت فقلت لها
لتاكلين او لالطخن بها وجهك فابت فوضعت يدي في الخزيرة فلطخت بها وجهها فضحك رسول الله
صلى الله عليه وسلم فوضع فخذه لها وقال لسودة الطخي وجهها فلطخت بها وجهي فضحك
صلى الله عليه وسلم الحديث رواه ابن غيلان من حديث الهاشمي وخرجه الملا في سيرته
والخزيرة لحم يقطع صغارا ويصب عليه ماء كثير فاذا نضج ذر عليه الدقيق وبالجملة فمن تأمل
سيرته عليه السلام مع أهله واصحابه وغيرهم من الفقراء والايتام والارامل والاضياف
والمساكين علم انه قد بلغ من رقة القلب ولينه الغاية التي لا مرمى وراءها لمخلوق وانه كان
يشتد في حدود الله وحقوقه ودينه حتى قطع يد السارق الى غير ذلك وقد كان
صلى الله عليه وسلم يباسط اصحابه بما يوجب في القلوب كان له رجل
من البادية يسمى زهيرا وكان يهادي النبي صلى الله عليه وسلم بموجود البادية بما يستطرف
منها وكان صلى الله عليه وسلم يهاديه ويكافيه بموجود الحاضرة وبما يستطرف منها وكان صلى الله
عليه وسلم يقول زهير باديتنا ونحن حاضرته وكان صلى الله عليه وسلم يحبه فمشى صلى الله
عليه وسلم يوما الى السوق فوجده قائما فجاءه من قبل ظهره وضمه بيده الى صدره فاحس
زهير بانه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجعلت امسح ظهري في صدره رجاء بركته
وفي رواية الترمذي في الشمائل فاحتضنه من خلفه ولا يبصره فقال ارسلني من هذا
فالتفت فعرف النبي صلى الله عليه وسلم فجعل لا يألو ما الصق ظهره بصدر النبي صلى الله عليه
وسلم حين عرفه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من يشتري العبد فقال له زهير
يا رسول الله اذا تجدني كاسدا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انت عند الله غال وفي رواية
الترمذي ايضا لكن عند الله لست بكاسد وقال انت عند الله غال واخرج ابو يعلى عن زيد بن اسلم
ان رجلا كان يهدي للنبي صلى الله عليه وسلم العكة من السمن والعسل فاذا جاء صاحبه يتقاضاه جاء به
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اعط هذا متاعه فما يزيد النبي صلى الله عليه وسلم على ان يتبسم
ويامر به فيعطى ووقع في حديث محمد بن عمرو بن حزم وكان لا يدخل الى المدينة طرفة الا اشترى
منها ثم جاء فقال يا رسول الله هذا اهديته لك فاذا جاء صاحبه يطلب ثمنه جاء به فقال اعط هذا
الثمن فيقول الم تهده لي فيقول ليس عندي فيضحك ويأمر لصاحبه بثمنه وكان عليه السلام
يمزح ولا يقول الا حقا كما روى ابو هريرة وقد قال له رجل كان فيه بله يا رسول الله احملني فباسطه
عليه السلام من القول بما عساه ان يكون شفاء لبلهه بعد ذلك فقال احملك على ابن الناقة فسبق

لخاطره استبعاد بما يصدق عليه البنوة فقال يا رسول الله ما عسى يغني عني ابن الناقة فقال له صلى الله
عليه وسلم ويحك وهل يلد الجمل الا الناقة روى حديثه الترمذي وابو داود وباسط عمته صفية وهي
عجوز فقال لها ان الجنة لا تدخلها عجوز فلما جزعت قال لها انك تعودين الى صورة الشباب
في الجنة وفي رواية الترمذي عن الحسن اتت صلى الله عليه وسلم عجوز فقالت يا رسول الله ادع الله
ان يدخلني الجنة فقال يا ام فلان ان الجنة لا يدخلها عجوز قال فولت تبكي فقال اخبروها انها لا تدخلها
وهي عجوز ان الله تعالى يقول انا انشأناهن انشاء فجعلناهن ابكارا وذكره رزين وكان عليه السلام
يمازح اصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويؤنسهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم
في حجره وهو مع ذلك سره في الملكوت يجول حيث اراد الله به والدعابة بضم الدال وتخفيف
العين المهملتين وبعد الالف موحدة هي الملاطفة في القول بالمزاح وغيره وقد اخرج الترمذي
وحسنه من حديث ابي هريرة قالوا يا رسول الله انك تداعبنا قال اني لا اقول الا حقا وما روي عنه
عليه السلام في النهي عن المداعبة محمول على الافراط لما فيه من الشغل عن ذكر الله والتفكر
عن مهمات الدين وغير ذلك والذي يسلم من ذلك هو المباح فان صادف مصلحة مثل تطييب
نفس المخاطب كما كان هو فعله عليه السلام فهو مستحب وقال انس كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم احسن الناس خلقا وكان لي اخ يقال له ابو عمير وكان له نغير يلعب به فمات فدخل على النبي
صلى الله عليه وسلم ذات يوم فرآه حزينا فقال ما شانه قالوا مات نغره فقال يا ابا عمير ما فعل النغير
رواه البخاري ومسلم وفي رواية الترمذي قال انس ان كان النبي صلى الله عليه وسلم ليخالطنا
حتى يقول لاخ لي صغير يا ابا عمير ما فعل النغير قال الجوهري النغير تصغير نغر والنغر جمع النغرة وهو
طائر صغير كالعصفور والجمع نغران مثل صرد وصردان وكان قد القى عليه مع الدعابة المهابة
ولقد جاء اليه صلى الله عليه وسلم رجل فقام بين يديه فاخذته رعدة شديدة ومهابة فقال له
هون عليك فاني لست بملك ولا جبار انما انا ابن امرأة من قريش تاكل القديد بمكة فنطق الرجل
بحاجته فقام صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس اني اوحي الي ان تواضعوا الا فتواضعوا حتى لا يبغي
احد على احد ولا يفخر احد على احد وكونوا عباد الله اخوانا فسكن عليه السلام روعه شفقة لانه
بالمؤمنين رؤوف رحيم وسلب عنه وصف الملوكية بقوله فاني لست بملك لما يلزمها من الجبروتية
وقال انما انا ابن امرأة تاكل القديد تواضعا لان القديد مفضول وهو ماكول المتمسكنة ولما
رأته قيلة بنت مخرمة في المسجد وهو قاعد القرفصاء ارعدت من الفرق رواه ابو داود وروى مسلم
عن عبد الله بن عمرو بن العاصي قال صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ملات عيني منه قط حياء
منه وتعظيما له ولو قيل لي صفه لما قدرت او كما قال واذا كان هذا في حقه وهو من جلة اصحابه ولولا انه
عليه السلام كان يباسطهم ويتواضع لهم ويؤنسهم لما قدر احد منهم ان يقعد معه ولا ان يسمع كلامه
عليه السلام لما رزقه الله تعالى من المهابة والجلالة سوى ذلك ويوضحه ما روي انه عليه السلام
كان اذا فرغ من ركوع الفجر حدث عائشة ان كانت مستيقظة والا اضطجع بالارض ثم خرج بعد
ذلك الى الصلاة وما ذاك الا انه عليه السلام لو خرج على تلك الحالة التي كان عليها وما حصل له من القرب
والتداني في مناجاته وسماع كلام ربه وغير ذلك من الاحوال التي يكل اللسان عن وصف بعضها
لما استطاع بشر ان يلقاه ولا يباشره فكان عليه السلام يتحدث مع عائشة او يضطجع بالارض حتى

يمثل له التائبين بجلسهم وهو التائبين مع عائشة او جنس اصل الحلقة التي بين الارض تنزع عنه اليم
وبما ذكر الارتفاع بهم وكان بالمؤمنين رحيما قاله ابن الحاج في المدخل وقد جاء في الحديث انه للنبي خير بين
ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فنظر عليه السلام الى جبريل كالمستشير له فنظر جبريل الى الارض
يشير الى التواضع فاختار عليه السلام العبودية فلما كان تواضعه عليه السلام الى الارض حيث
اشار جبريل اورثه الله تعالى رفعته الى السماء ثم الى الرفرف الاعلى الى حضرة قاب قوسين او ادنى
ووضع بين يديه محمود بن الربيع وهو صغير ابن خمس سنين فمج عليه السلام في وجهه مجة
من ماء من دلو مازحه بها فكان في ذلك من البركة انه لما كبر لم يبق في ذهنه من ذكر رؤية النبي صلى الله
عليه وسلم الا تلك المجة فعد بها من الصحابة وحديثه مذكور في البخاري **ودخلت** عليه زينب
زينب بنت ام سلمة وهو في مغتسله فنضح الماء في وجهها فكان في ذلك من البركة في وجهها
انه لم يتغير فكان ماء الشباب ثابتا في وجهها ظاهرا في رونقها وهي عجوز كبيرة وحديثها مذكور
في فقد علمت انه عليه السلام كان مع اصحابه واهله ومع الغريب والقريب من سعة
الصدر ودوام البشر وحسن الخلق والسلام على من لقيه والوقوف مع من استوقفه والمزح
بالحق مع الصغير والكبير احيانا واجابة الداعي ولين الجانب حتى يظن كل واحد من اصحابه انه
احبهم اليه وهذا الميدان لا تجد فيه الا واجبا او مستحبا او مباحا فكان يباسط الخلق ويلابسهم
ليستضيئوا بنور هدايته في ظلمات دياجي الجهل ويقتدون بهديه صلى الله عليه وسلم **وقد
كانت مجالسه عليه السلام** مع اصحابه رضي الله عنهم عامتها مجالس تذكير بالله وترغيب
وترهيب اما بتلاوة القرآن او بما آتاه الله من الحكمة والموعظة الحسنة وتعليم ما ينفع في الدين
كما امره الله تعالى ان يذكر ويعظ ويقص وان يدعو الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة
وان يبشر وينذر فلذلك كانت تلك المجالس توجب لاصحابه رقة القلوب والزهد في الدنيا والرغبة
في الآخرة كما ذكره ابو هريرة مما رواه احمد والترمذي وابن حبان في صحيحه قال قلنا يا رسول الله
ما لنا اذا كنا عندك رقت قلوبنا وزهدنا في الدنيا وكنا من اهل الآخرة فاذا خرجنا من عندك
فآنسنا اهلنا وشممنا اولادنا انكرنا انفسنا فقال صلى الله عليه وسلم لو انكم اذا خرجتم من عندي
كنتم على حالكم ذلك لزارتكم الملائكة في بيوتكم الحديث **ومن تواضعه** صلى الله عليه وسلم
انه ما عاب شيئا قط ولا عاب طعاما قط ان اشتهاه اكله والا تركه رواه الشيخان وهذا اذا كان
الطعام مباحا اما الحرام فكان يعيبه ويذمه وينهى عنه وذهب بعضهم الى ان العيب ان كان
من جهة الخلقة كره وان كان من جهة الصنعة لم يكره قال لان صنعة الله تعالى لا تعاب وصنعة
الآدميين تعاب قال في فتح الباري والذي يظهر التعميم فان فيه كسر قلب الصانع قال النووي
ومن آداب الطعام المتأكدة ان لا يعاب كقوله مالح قليل الملح غليظ رقيق غير ناضج ونحو ذلك
ومن تواضعه ان هذه الدنيا شاع سبها في العالمين فقال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدنيا
[illegible] فقال نعمت مطية المؤمن عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر وقال لا تسبوا الدهر
رواه البخاري من حديث ابي هريرة بلفظ ولا تقولوا خيبة الدهر فان الله هو الدهر وفي لفظ له
يسب بنو آدم الدهر وانا الدهر بيدي الليل والنهار وعند مسلم من حديث بلفظ لا يسب احدكم
الدهر ويحتمل ما قيل في تأويله ثلاثة اوجه احدها ان المراد بقوله ان الله هو الدهر اي المدبر

للامور

للامور ثانيها انه على حذف مضاف اي صاحب الدهر ثالثها التقدير مقلب الدهر لذلك عقبه بقوله
في رواية البخاري بيدي الليل والنهار وقال المحققون من نسب شيئا من الافعال الى الدهر
حقيقة كفر ومن جرى هذا اللفظ على لسانه غير معتقد لذلك فليس بكافر لكن يكره له ذلك
للتشبه باهل الكفر في الاطلاق **وما خير صلى الله عليه وسلم** بين امرين الا اختار ايسرهما
ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه رواه البخاري اي بين امرين من امور الدنيا
لا اثم فيهما فانهم فاعل خير ليكون اعم من قبل الله او من قبل المخلوقين وقوله الا اختار ايسرهما
وقوله ما لم يكن اثما اي ما لم يكن الاسهل مقتضيا للاثم فانه حينئذ يختار الاشد وفي حديث
انس عند الطبراني في الاوسط الا اختار ايسرهما ما لم يكن لله فيه سخط **ووقوع** التخيير بين
ما فيه اثم وما لا اثم فيه من قبل المخلوقين **ومن تواضعه** عليه السلام انه لم يكن له بواب
راتب كما جاء عن انس انه قال مر النبي صلى الله عليه وسلم بامرأة وهي تبكي عند قبر فقال اتقي الله
واصبري فقالت اليك عني فانك خلو من مصيبتي قال فجاوزها ومضى فمر بها رجل فقال ما قال لك
رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ما عرفته قال انه لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجاءت
الى بابه فلم تجد عليه بوابا الحديث رواه البخاري لكن في حديث ابي موسى انه كان بوابا للنبي صلى الله
عليه وسلم لما جلس على القف **وجمع** بينهما بانه كان عليه السلام اذا لم يكن في شغل من اهله ولا انفراد
من امره انه كان يرفع حجابه بينه وبين الناس ويبرز لطالب الحاجة اليه وفي حديث عمر حين استاذن
له الاسود في قصة حلفه ان لا يدخل على نسائه شهرا ففيه انه كان في وقت خلوته بنفسه يتخذ بوابا
ولولا ذلك لاستاذن عمر لنفسه ولم يحتج الى قوله يا رباح استاذن لي لكن يحتمل ان يكون سبب استئذان
عمر انه خشي ان يكون وجد عليه بسبب ابنته فاراد ان يختبر ذلك باستئذانه عليه فلما اذن له
اطمان وقد اختلف في مشروعية الحجاب للحاكم فقال الشافعي وجماعة ينبغي للحاكم ان لا يتخذ حاجبا
وذهب آخرون الى جوازه وحمل الاول على زمن سكون الناس واجتماعهم على الخير وطواعيتهم للحاكم
وقال آخرون بل يستحب ذلك حينئذ ليرتب الخصوم ويمنع المستطيل ويدفع الشرير والله اعلم
واما ما روي من حيائه صلى الله عليه وسلم فحسبك ما في البخاري من حديث ابي سعيد كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد حياء من العذراء في خدرها والعذراء هي البكر والخدر بكسر
الخاء المعجمة اي في سترها وهو من باب التتميم لان العذراء في الخلوة يشتد حياؤها اكثر مما يكون
خارجة عنه لكون الخلوة مظنة وقوع الفعل بها فالظاهر ان المراد تقييده اذا دخل عليها في خدرها
لا حيث تكون منفردة فيه والحياء بالمد وهو من الحياة ومنه الحيا للمطر لكن هو مقصور وعلى حسب
حياة القلب يكون فيه قوة خلق الحياء وقلة الحياء من موت القلب والروح وكلما كان القلب احيا
كان الحياء اتم وهو في اللغة تغير وانكسار يعتري الانسان من خوف ما يعاب به وقد يطلق على مجرد
ترك الشيء لسبب والترك انما هو من لوازمه وفي الشرع خلق يبعث على اجتناب القبيح ويمنع من
التقصير في حق ذي الحق وقال ذو النون الحياء وجود الهيبة في القلب مع وحشة ما سبق منك
الى ربك والحب ينطق والحياء يسكت والخوف يقلق وقال يحيى بن معاذ رحمه الله من استحيا من الله
مطيعا استحيا الله منه وهو مذنب وهذا الكلام يحتاج الى شرح ومعناه ان من غلب عليه خلق الحياء
من الله حتى في حال طاعته فقلبه مطرق بين يديه اطراق مستحي خجل فانه اذا وقع منه ذنب

الصلاة قع

استحيى الله من نظره اليه في تلك الحالة لكرامته عليه فليستحيي ان يرى من وليه ما يشينه عنده
وفي الشاهد شاهد بذلك فان الرجل اذا اطلع على اخص الناس به واحبهم اليه واقربهم منه من
صاحب او ولد او من يحبه وهو يخونه فانه يلحقه من ذلك الاطلاع عليه حيا عجيب حتى كانه هو الجاني
وهذا غاية الكرم وللحيا اقسام ثمانية يطول استقصاؤها منها حيا الكرم كحيائه عليه الصلاة والسلام
من القوم الذين دعاهم الى وليمة زينب وطولوا عنده المقام واستحيا ان يقول لهم انصرفوا ومنها
حيا المحب من محبوبه حتى انه اذا خطر على قلبه في حال غيبته هاج الحيا من قلبه واحس به في وجهه
فلا يدري ما سببه ومنها حيا العبودية وهو حيا يمتزج بين محبة وخوف ومشاهدة عدم صلاح
عبوديته لمعبوده وان قدره اعلى واجل منها فعبوديته له توجب استحياه منه لا محالة ومنها
حيا المرء من نفسه وهو حيا النفوس الشريفة الرفيعة من رضاها لنفسها بالنقص وقنعها بالدون
فيجد نفسه مستحيا من نفسه حتى كان له نفسان يستحيي باحديهما من الاخرى وهذا اكمل ما يكون
من الحيا فان العبد اذا استحيا من نفسه فهو بان يستحيي فان العبد اذا استحيا من نفسه فهو
بان يستحيي من غيره اجدر والحيا كما قال عليه السلام لا ياتي الا بخير وهو من الايمان كما رواه البخاري
قال القاضي عياض وغيره وانما جعل الحيا من الايمان وان كان غريزة لان استعماله على قانون الشرع
يحتاج الى قصد واكتساب وعلم قال القرطبي الحيا المكتسب هو الذي جعله الشارع من الايمان
وهو المكلف به دون الغريزي غير ان من كان فيه غريزة منه فانها تعينه على المكتسب حتى تكاد
تكون غريزيا قال وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد جمع له النوعان فكان في الغريزي اشد حيا من العذرا
في خدرها وقال القاضي عياض وروي عنه انه صلى الله عليه وسلم كان من حيائه لا يثبت بصره
في وجه احد **واما خوفه صلى الله عليه وسلم ربه جل وعلا** فاعلم ان للخوف والوجل والخشية
والرهبة الفاظ متقاربة غير مترادفة قال الجنيد الخوف توقع العقوبة على مجاري الانفاس وقيل
الخوف اضطراب القلب وحركته من تذكر المخوف وقيل الخوف قوة العلم بمجاري الاحكام وهذا
سبب الخوف لا انه نفسه وقيل الخوف هرب القلب من حلول المكروه عند استشعاره والخشية
اخص من الخوف فان الخشية للعلماء بالله تعالى قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فهو خوف مقرون
بمعرفة وقال صلى الله عليه وسلم انا اتقاكم لله واشدكم له خشية فالخوف حركة والخشية انجماع
وانقباض وسكون فان الذي يرى العدو والسيل ونحوهما له حالتان احداهما حركته للهرب منه وهي
حالة الخوف والثانية سكونه وقراره في مكان لا يصل اليه وهي الخشية واما الرهبة فهي الامعان
في الهرب من المكروه وهي ضد الرغبة التي هي سفر القلب في طلب المرغوب فيه واما الوجل
فرجفان القلب وانصداعه لذكر من يخاف سلطانه وعقوبته واما الهيبة فخوف مقارن للتعظيم
والاجلال واكثر ما يكون مع المعرفة والمحبة والاجلال تعظيم مقرون بالحب فالخوف لعامة المؤمنين
والخشية للعلماء العارفين والهيبة للمحبين والاجلال للمقربين وعلى قدر العلم والمعرفة يكون الخوف
والخشية كما قال صلى الله عليه وسلم اني لاعلمكم بالله واشدكم له خشية رواه البخاري وقال
عليه السلام لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا رواه البخاري من حديث ابي هريرة وفيه
دلالة على اختصاصه صلى الله عليه وسلم بمعارف بصرية وقلبية وقد يطلع الله تعالى غيره من المخلصين
من امته لكن بطريق الاجمال واما تفاصيلها فاختص بها صلى الله عليه وسلم وفي صحيح مسلم من حديث

فيستحيي

انس

انس انه صلى الله عليه وسلم قال والذي نفس محمد بيده لو رايتم ما رايت لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا
قالوا وما رايت يا رسول الله قال رايت الجنة والنار فقد جمع الله له بين علم اليقين وعين اليقين مع
الخشية القلبية واستحضار العظمة الالهية على وجه لم يجمع لغيره ولذا قال ان اتقاكم واعلمكم بالله
انا وهو في الصحيح من حديث عايشة وكان صلى الله عليه وسلم يصلي ولجوفه ازيز كازيز المرجل رواه
النسائي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحه بلفظ كازيز الرحا اي حنين من الخوف بالخا المعجمة وهو
صوت البكا وقيل هو ان يجيش جوفه ويغلي بالبكا **واما ما روي من شجاعته عليه السلام
ونجدته وقوته في الله وشدته** فعن انس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم احسن
الناس واجود الناس واشجع الناس لقد فزع اهل المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم
النبي صلى الله عليه وسلم راجعا قد سبقهم الى الصوت واستبرا الخبر على فرس لابي طلحة عري
والسيف في عنقه وهو يقول لن تراعوا وفي رواية كان فزع بالمدينة فاستعار النبي صلى الله
عليه وسلم فرسا من ابي طلحة يقال له المندوب فركب فلما رجع قال ما راينا من شي وان وجدناه
لبحرا او انه لبحر قال وكان فرسا يبطا رواه البخاري ومسلم وابو داود والترمذي وللبخاري ان اهل
المدينة فزعوا مرة فركب النبي صلى الله عليه وسلم فرسا لابي طلحة كان يقطف او فيه قطاف فلما
رجع قال وجدنا فرسكم هذا بحرا فكان بعد لا يجارى وفي اخرى له ثم خرج يركض وحده فركب الناس يركضون
خلفه فقال لن تراعوا انه لبحر فما سبق بعد ذلك اليوم قوله لن تراعوا اي روعا مستقرا او روعا
يضركم وفي هذا الحديث بيان شجاعته صلى الله عليه وسلم من شدة عجلته في الخروج الى العدو
قبل الناس كلهم بحيث كشف الحال ورجع قبل وجود الناس وفيه بيان عظيم بركته ومعجزته في انقلاب
الفرس سريعا بعد ان كان يبطا وهو معنى قوله عليه السلام وجدناه بحرا اي واسع الجري وفيه
قطاف يقال قطفت الفرس في مشيه اذا تقارب خطوه واسرع مشيه قال القاضي عياض وقد كان
في افراسه عليه السلام مندوب فلعله صار اليه بعد ابي طلحة وقال النووي يحتمل انهما فرسان
اتفق في الاسم وقال ابن عمر ما رايت اشجع ولا انجد من رسول الله صلى الله عليه وسلم **فذكر**
ابن اسحق في كتابه وغيره انه كان بمكة رجل شديد القوة يحسن الصراع وكان الناس ياتونه من البلاد
للمصارعة فيصرعهم فبينما هو ذات يوم في شعب من شعاب مكة اذ لقيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال له يا ركانة الا تتقي الله وتقبل ما ادعوك اليه او كما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له
ركانة يا محمد هل من شاهد يدل على صدقك قال ارايت ان صرعتك اتومن بالله ورسوله قال نعم
يا محمد فقال له تهيا للمصارعة قال تهيات فدنا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذه ثم صرعه
قال فتعجب ركانة من ذلك ثم ساله الاقالة والعودة ففعل به ذلك ثانيا وثالثا فوقف ركانة متعجبا
وقال ان شانك لعجيب عجيب رواه الحاكم في مستدركه عن ابي جعفر محمد بن ركانة المصارع ورواه
ابو داود والترمذي وكذا البيهقي من رواية سعيد بن جبير وقد صارع عليه السلام جماعة غير
ركانة منهم ابو الاسود الجمحي كما قاله السهيلي ورواه البيهقي وكان شديدا بلغ من شدته انه كان يقف
على جلد البقرة ويجاذب اطرافه عشرة لينزعوه من تحت قدميه فيتفرى الجلد ولم يتزحزح عنه
فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المصارعة وقال ان صرعتني امنت بك فصرعه رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولم يومن وفي قصته طول وفي البخاري من حديث البرا وساله رجل من قيس

واما ما روي من شجاعته عليه السلام ونجدته وقوته في الله وشدته

افرزنم عن رسول الله صلي الله عليه وسلم يوم حنين فقال لكن رسول صلي الله عليه وسلم لم يفر
كان هوازن رماة وانا لما حملنا عليهم انكشفوا فاكببنا علي الغنائم فاستقبلونا بالسهام ولقد رأيت
النبي صلي الله عليه وسلم علي بغلته البيضا وان ابا سفيان بن الحرث أخذ بزمامها وهو يقول انا النبي
لا كذب انا ابن عبد المطلب وهذا في غاية ما يكون من الشجاعة التامة لانه في مثل هذا اليوم
في حومة الوغي وقد انكشف عنه جيشه وهو مع هذا علي بغلته ليست بسريعة الجري ولا تصلح
لكر ولا فر ولا هرب وهو مع ذلك يركضها الي وجوههم وينوه باسمه ليعرفه من لم يعرفه
صلوات الله وسلامه عليه وفي حديث كنا اذا احمر البأس اتقينا برسول الله صلي الله عليه وسلم
اي جعلناه قداما واستقبلنا العدو به وقمنا خلفه **واما ما ذكر من سخايه وجوده وكرمه** فاعلم ان السخاوة غريزية وفي مقابلته الشح والشح من لوازم صفة النفس قال الله
تعالي ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون فحكم بالفلاح لمن وقي الشح وحكم بالفلاح ايضا لمن
انفق وبذل فقال ومما رزقناهم ينفقون اولئك علي هدي من ربهم واولئك هم المفلحون والفلاح اجمع
اسم لسعادة الدارين وليس الشح من الادمي بعجيب لانه جبلي فيه وانما العجب وجود السخا في الغريزة
والسخا اتم واكمل من الجود وفي مقابلته البخل وفي مقابلة السخا الشح والجود والبخل يتطرق اليهما
الاكتساب بطريق العادة بخلاف الشح والسخا اذا كانا من ضرورة الغريزة فكل سخي جواد
وليس كل جواد سخيا والجود يتطرق اليه الريا ويأتي به الانسان متطلعا الي غرض من الخلق او الحق
بمقابلة من الثنا وغيره من الخلق والثواب من الله تعالي ولا يتطرق الريا الي السخا لانه ينبع من
النفس الزكية المترفعة عن الاغراض اشار اليه في عوارف المعارف وقد كان رسول الله صلي الله عليه
وسلم احسن الناس واشجع الناس واجود الناس رواه البخاري ومسلم من حديث انس واجود
أفعل التفضيل من الجود وهو اعطا ما ينبغي لمن ينبغي ومعناه هو اسخي الناس لما كانت نفسه
اشرف النفوس ومزاجه اعدل الامزجة لابد ان يكون فعله أحسن الافعال وشكله املح الاشكال
وخلقه أحسن الاخلاق فلا شك يكون أجود وكيف لا وهو مستغن عن الفانيات بالباقيات الصالحات
واقتصار انس علي هذه الاوصاف الثلاثة من جوامع الكلام لانها امهات الاخلاق فان في كل انسان
ثلاث قوي احدها الغضبية وكمالها الشجاعة ثانيها الشهوانية وكمالها الجود ثالثها العقلية وكمالها النطق
بالحكمة وفي رواية لمسلم عنه ما سئل رسول الله صلي الله عليه وسلم شيئا الا أعطاه فجاءه رجل
فأعطاه غنما بين جبلين فرجع الي قومه فقال يا قوم اسلموا فان محمدا يعطي عطا من لا يخاف الفقر
وعنده أيضا عن صفوان بن امية قال لقد أعطاني رسول الله صلي الله عليه وسلم ما اعطاني وانه
لمن ابغض الناس الي فما برح يعطيني حتي انه لاحب الناس الي قال ابن شهاب اعطاه يوم حنين ماية
من الغنم ثم ماية ثم ماية وفي مغازي الواقدي ان النبي صلي الله عليه وسلم اعطي صفوان يومئذ
واديا مملوا ابلا ونعما فقال صفوان اشهد ما طابت بهذا الا نفس نبي ورحم الله ابن جابر حيث قال

هذا الذي لا يتقي فقرا اذا ... يعطي ولو كثر الانام وداموا
واذا امن الانعام اعطي املا ... تحيرت لعطايه الاوهام

وانما اعطاه ذلك لانه عليه السلام علم ان داه لا يزول الا بهذا الدوا وهو الاحسان فعالجه به
حتي برا من ذلك الكفر واسلم وهذا من كمال شفقته ورحمته ورأفته عليه السلام انه اعطاه

الاحسان والعقد من حر النيران الي برد لطف الجنان وكان علي ذا وصفه صلي الله عليه وسلم قال
كان اجود الناس كفا واصدق الناس لهجة وخرج ابن عدي باسناد فيه ضعف من حديث انس مرفوعا
انا اجود بني آدم فهو صلي الله عليه وسلم بلا ريب اجود بني ادم علي الاطلاق كما انه افضلهم واعلمهم
واشجعهم واكملهم في جميع الاوصاف الحميدة وكان جوده بجميع انواع الجود من بذل العلم والمال
وبذل نفسه لله في اظهار دينه وهداية عباده وايصال النفع اليهم بكل طريق من اطعام جايعهم
ووعظ جاهلهم وقضا حوايجهم وتحمل اثقالهم ولقد احسن ابن جابر حيث قال

يروي حديث الندي والبشر عن يده ... ووجهه بين منهل ومنسجم
من وجهه احمد لي بدر ومن يده ... بحر ومن فمه در لمنتظم
يمم نبيا تباري الريح انمله ... والمزن من كل هامي الودق مرتكم
لو عامت الفلك فيما فاض من يده ... لم تلق اعظم بحر منه ان تعم
لو لم تحط كفه بالبحر ما شملت ... كل الانام وروت قلب كل ظمي

فسبحان من اطلع انوار الجلال من افق جبينه وانشا امطار السحاب من غمام يمينه
روي البخاري من حديث جابر ما سئل رسول الله صلي الله عليه وسلم عن شي قط فقال لا
وكذا عند مسلم اي ما طلب منه شي من امر الدنيا فمنعه قال الفرزدق

ما قال لا قط الا في تشهده ... لولا التشهد كانت لاؤه نعم

لكن قال شيخ مشايخنا الحافظ ابو الفضل بن حجر ليس المراد انه يعطي ما يطلب منه جزما
بل المراد انه لا ينطق بالرد بل ان كان عنده أعطاه ان كان الاعطا سايغا والا سكت قال وقد
ورد بيان ذلك في حديث مرسل لابن الحنفية عند ابن سعد ولفظه اذا سئل فاراد ان يفعل
قال نعم واذا لم يرد ان يفعل سكت وهو قريب من حديث ابي هريرة ما عاب طعاما قط ان اشتهاه
اكله والا تركه قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام معناه لم يقل لا منعا للعطا ولا يلزم
من ذلك ان لا يقولها اعتذارا كما في قوله قلت لا اجد ما احملكم عليه ولا يخفي الفرق بين قوله لا اجد
ما احملكم وبين لا احملكم انتهي وهو نظير ما في حديث ابي موسي الاشعري لما سأله الاشعريون
الحملان فقال صلي الله عليه وسلم ما عندي ما احملكم عليه لكن يشكل عليه انه صلي الله عليه وسلم
حلف لا يحملهم فقال والله لا احملكم فيمكن ان يخص من عموم حديث جابر ما اذا سئل ما ليس عنده
والسايل يتحقق انه ليس عنده ذلك او حيث كان المقام لا يقتضي الاقتصار علي السكوت من الحالة
الواقعة او من حال السايل كان لم يعرف العادة فلو اقتصر في جوابه علي السكوت مع حاجة السايل
لتمادي علي السوال مثلا ويكون القسم علي ذلك تاكيدا لقطع طمع السايل والسر في الجمع بين قوله
لا اجد ما احملكم وقوله والله لا احملكم ان الاول لبيان ان الذي سأله لم يكن موجودا عنده والثاني
انه لا يتكلف الاجابة الي ما سئل بالقرض مثلا او بالاستيهاب اذ لا اضطرار حينئذ وروي الترمذي
انه حمل اليه تسعون الف درهم فوضعت علي حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سايلا حتي فرغ
منها قال وجاءه رجل فقال ما عندي شي ولكن ابتع علي فاذا جاءنا شي قضيناه فقال له عمر ما كلفك
الله ما لم تقدر فكره النبي صلي الله عليه وسلم فقال رجل من الانصار يا رسول الله انفق ولا تخف
من ذي العرش اقلالا فتبسم صلي الله عليه وسلم وعرف البشر في وجهه وقال بهذا امرت وانما فعل

ذلك للمصلحة الداعية لذلك كالاستيلاف ونحوه وذكر ابن فارس في كتابه في اسماء النبي صلى الله
عليه وسلم انه في يوم حنين جاءت امراة فانشدت شعرا تذكره ايام رضاعته في هوازن
فرد عليهم ما اخذ واعطاهم عطاء كثيرا حتى قوم ما اعطاهم ذلك اليوم فكان خمس ماية الف الف
قال ابن دحية وهذا نهاية الجود الذي لم يسمع بمثله في الجود وفي البخاري من حديث انس انه
اتي بمال البحرين فقال انثروه يعني صبوه في المسجد وكان اكثر مال اتي به صلى الله عليه وسلم
فخرج الى المسجد ولم يلتفت اليه فلما قضى الصلاة جاء فجلس اليه فما كان يرى احدا الا اعطاه
اذ جاء العباس فقال اعطني فاني فاديت نفسي وفاديت عقيلا فقال له خذ فحثا في ثوبه ثم ذهب
يقله فلم يستطع فقال يا رسول الله مر بعضهم يرفعه الي قال لا قال فارفعه انت علي قال لا
فنثر منه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال يا رسول الله مر بعضهم يرفعه علي قال لا قال
فارفعه انت قال لا فنثر منه ثم احتمله فالقاه على كاهله فانطلق فما زال صلى الله عليه وسلم
يتبعه بصره حتى خفي علينا عجبا من حرصه فما قام عليه السلام وثم منها درهم وفي رواية
ابن ابي شيبة من طريق حميد بن هلال مرسلا كان ماية الف وانه ارسل به العلاء بن الحضرمي من
خراج البحرين قال وهو اول مال حمل اليه صلى الله عليه وسلم **وسايره** جابر على جمل له فقال
له عليه السلام بعني جملك فقال هو لك يا رسول الله بابي انت وامي فقال بل بعنيه فباعه اياه
وامر بلالا ان ينقده ثمنه فنقده ثم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب بالثمن
والجمل بارك الله لك فيهما مكافاة لقوله بل هو لك فاعطاه الثمن ورد عليه الجمل وزاده الدعا
بالبركة فيهما وحديثه في البخاري ومسلم وغيرهما وقد كان جوده عليه السلام كله لله وفي ابتغاء
مرضاته فانه كان يبذل المال تارة لفقير او محتاج وتارة ينفقه في سبيل الله وتارة يتالف به
على الاسلام من يقوى الاسلام باسلامه وكان يوثر على نفسه واولاده فيعطي عطاء يعجز عنه
الملوك مثل كسرى وقيصر ويعيش في نفسه عيش الفقراء فياتي عليه الشهر والشهران لا يوقد في بيته
نار وربما ربط الحجر على بطنه الشريف من الجوع وكان صلى الله عليه وسلم قد اتاه سبي فشكت اليه
فاطمة ما تلقى من خدمة البيت وطلبت منه خادما يكفيها مونة بيتها فامرها ان تستعين بالتسبيح
والتكبير والتحميد وقال لا اعطيك وادع اهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع واتته امراة ببردة
فقالت يا رسول الله اكسوك هذه فاخذها صلى الله عليه وسلم محتاجا اليها فلبسها فراها عليه رجل
من الصحابة فقال يا رسول الله ما احسن هذه فاكسنيها فقال نعم فلما قام صلى الله عليه وسلم لامه
اصحابه قالوا ما احسنت حين رايت النبي صلى الله عليه وسلم اخذها محتاجا اليها ثم سالته اياها
وقد عرفت انه لا يسال شيا فيمنعه رواه البخاري من حديث سهل بن سعد وفي رواية
ابن ماجة والطبراني قال نعم فلما دخل طواها وارسل بها اليه وافاد الطبراني في رواية زمعة بن صالح
انه صلى الله عليه وسلم امر ان يصنع له غيرها فمات قبل ان تفرغ منها وفي هذا الحديث من الفوايد
حسن خلقه صلى الله عليه وسلم وسعة جوده **واستنبط** منه السادة الصوفية جواز
استدعا المريد خرقة التصوف من المشايخ تبركا بهم وبلباسهم كما استدلوا لالباس الشيخ للمريد
بحديث انه صلى الله عليه وسلم البس ام خالد خميصة سودا ذات علم رواه ... لكن قال
شيخنا ما يذكرونه من ان الحسن البصري لبسها من علي بن ابي طالب رضي الله عنه فقال شيخنا

ابن دحية

ابن دحية وابن الصلاح انه باطل وقال شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر ليس في شي من طرقها ما يثبت
ولم يرد في خبر صحيح ولا حسن ولا ضعيف انه صلى الله عليه وسلم البس الخرقة على الصورة المتعارفة
بين الصوفية لاحد من اصحابه ولا امر احدا من اصحابه بفعلها وكلما يروى صريحا في ذلك فباطل
قال ثم ان من الكذب المفترى قول من قال ان عليا البس الخرقة الحسن البصري فان ايمة الحديث
لم يثبتوا للحسن من علي سماعا فضلا عن ان يلبسه الخرقة وكذا قاله الدمياطي والذهبي والعلائي
ومغلطاي والعراقي والابناسي والحلبي وغيرهم مع كون جماعة منهم لبسوها والبسوها تشبيها
بالقوم وثم لبسهم طائع الصحبة المتصلة الى كميل بن زياد وهو صحب علي بن ابي طالب
رضي الله عنه من غير خلف في صحبته له بين ايمة الجرح والتعديل وفي بعض الطرق اتصالها
باويس القرني وهو اجتمع بعمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب رضي الله عنهما وهذه صحبة لا مطعن
فيها وكثير من السادة يكتفي بمجرد الصحبة كالشاذلية وشيخنا ابي اسحق ابرهيم المتبولي وكان الشيخ
يوسف العجمي يجمع بين تلقين الذكر واخذ العهد واللبس وله في ذلك رسالة ريحان القلوب قراتها
على ولد ولده العارف المسلك سيدي علي مع الباسه لي الخرقة والتلقين والعهد وللشيخ قطب
الدين بن القسطلاني ارتقا الرتبة في اللباس والصحبة والله يهدينا الى سوا السبيل

الفصل الثالث فيما تدعو ضرورته اليه صلى الله عليه وسلم من غذايه وملبسه ومنكحه وما يلحق بذلك

وفيه اربعة انواع **النوع الاول** في عيشه صلى الله عليه وسلم
في الماكل والمشرب اعلم ان تناول الطعام اصل كبير يحتاج الى علوم كثيرة لاشتماله على المصالح الالهية
والدنيوية وتعلق اثره بالقلب والقالب وبه قوام البدن باجرا سنة الله تعالى بذلك والقالب
مركب القلب وبهما عمارة الدنيا والاخرة والقالب بمفرده على طبيعة الحيوانات يستعان به على
عمارة الدنيا والروح والقلب على طبيعة الملايكة يستعان بها على عمارة الاخرة وباجتماعهما
يصلحان لعمارة الدارين قال الغزالي ولا طريق الى الوصول الى اللقا الا بالعلم والعمل ولا
يمكن المواظبة عليهما الا بسلامة البدن ولا تصفو سلامة البدن الا بالاطعمة والاقوات
والتناول منها بقدر الحاجات على تكرر الاوقات فمن هذا الوجه قال بعض السلف الصالحين ان
الاكل من الدين وعليه نبه رب العالمين بقوله وهو اصدق القايلين كلوا من الطيبات واعملوا
صالحا فمن تناول الاكل ليستعين به على العلم والعمل ويقوى به على التقوى فلا ينبغي ان يترك
نفسه سدى يسترسل في الاكل استرسال البهايم في المرعى فما هو ذريعة الى الدين ووسيلة اليه
ينبغي ان يظهر انوار الدين عليه وانما نور الدين واداته وسننه التي يزم العبد بزمامها ويلجم المتقي
بلجامها حتى يزن بميزان الشرع شهوة الطعام في اقدامها واحجامها فيصير بسببها مرفعة للوزر
ومجلبة للاجر واعلم ان الشبع بدعة ظهرت بعد القرن الاول وقد روى النساي وابن ماجة وصححه
الحاكم من حديث المقداد بن معدي كرب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما ملا ابن ادم وعا
شرا من بطنه حسب الادمي لقيمات يقمن صلبه فان غلبت الادمي نفسه فثلث للطعام وثلث
للشراب وثلث للنفس قال القرطبي في شرح الاسما كما نقله شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر لو سمع
بقراط هذه القسمة لعجب من هذه الحكمة وقال غيره انما خص الثلاثة بالذكر لانها اسباب حياة
الحيوان ولانه لا يدخل البطن سواها وهل المراد بالثلث التساوي على ظاهر الخبر او التقسيم الى ثلاثة

الفصل الثالث فيما تدعو ضرورته اليه صلى الله عليه وسلم من غذايه وملبسه

مطلب

اقساما متقاربة محل احتمال وقد مدح المؤمن يا كل في معاء واحد وهي بكسر الميم مقصور المصارين
والكافر يا كل في سبعة امعاء وليست حقيقة العدد مرادة وتخصيص السبعة للمبالغة
في التكثير والمعنى ان المؤمن من شانه التقلل من الاكل لاشتغاله باسباب العبادة ولعلمه
بان مقصود الشرع من الاكل ما يسد الجوع ويعين على العبادة ولخشيته ايضا من حساب ما زاد
على ذلك والكافر بخلاف ذلك وعند اهل التشريح ان الانسان له سبعة امعاء المعدة ثم ثلاثة
امعاء بعدها متصلة بها البواب ثم الصايم ثم الرقيق والثلاثة رقاق ثم الاعور والقولون والمستقيم
وطرفه الدبر وكلها غلاظ وقد نظمها الحافظ زين الدين العراقي في قوله حيث قال

سبعة امعاء لكل ادمي ، معدة بوابها مع صايم
ثم الرقيق اعور قولون مع ، المستقيم مسلك المطاعم

فيكون المعنى ان الكافر لكونه يا كل بشرهة لا يشبعه الا ملء امعايه السبعة والمؤمن يشبعه
ملء معاء واحد ولا يلزم من هذا الحديث اطراده في حق كل مؤمن وكافر فقد يكون في المؤمن
من يا كل كثيرا اما بحسب العادة واما لعارض يعرض له من مرض باطن او لغير ذلك ويكون في الكفار
من يا كل قليلا اما لمراعاة الصحة على راي الاطباء واما للرياضة على راي الرهبان واما لعارض
كضعف المعدة ومحصل القول ان من شان المؤمن الحرص على الزهادة والاقتناع بالبلغة بخلاف
الكافر وقيل المراد ان المؤمن يسمي الله عند طعامه وشرابه فلا يشركه الشيطان فيكفيه القليل
بخلاف الكافر وقيل المراد بالمؤمن في هذا الحديث التام الايمان لان من حسن اسلامه وكمل ايمانه
اشتغل فكره فيما يصير اليه من الموت وما بعده فتمنعه شدة الخوف وكثرة الفكر والاشفاق
على نفسه من استيفاء شهوته كما ورد في حديث لابي امامة رفعه من كثر تفكره قل مطعمه
ومن قل تفكره كثر مطعمه وقسا قلبه وقالوا لا تدخل الحكمة معدة ملئت طعاما ومن قل طعامه
قل شربه وخف منامه ظهرت بركة عمره ومن امتلأ بطنه كثر شربه ومن كثر شربه ثقل نومه
ومن ثقل نومه محقت بركة عمره فاذا اكتفى بدون الشبع حسن اغتذا بدنه وصلح حاله نفسه
وقلبه ومن تملا من الطعام ساء غذا بدنه واشرت نفسه وقسا قلبه وعن ابن عباس قال صلى الله
عليه وسلم ان اهل الشبع في الدنيا هم اهل الجوع غدا في الاخرة رواه الطبراني وعن سلمان وابي
جحيفة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اكثر الناس شبعا في الدنيا اطولهم جوعا في الاخرة
وقالت عايشة لم يمتلي جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط وانه كان في اهله لا يسألهم طعاما
ولا يتشهاه ان اطعموه اكل وما اطعموه قبل وما سقوه شرب رواه وقولها لم يمتلي جوف
النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط محمول على الشبع الذي يثقل المعدة ويثبط صاحبه عن القيام
بالعبادة ويفضي الى البطر والاشر والنوم والكسل وقد ينتهي كراهته الى التحريم بحسب ما يترتب
عليه من المفسدة وليس المراد الشبع النسبي المعتاد في الجملة ففي صحيح مسلم خروجه صلى الله
عليه وسلم وصاحبيه من الجوع وذهابهم الى بيت الانصاري وذبحه الشاة وفيه فلما ان شبعوا
ورووا قال النووي فيه جواز الشبع وما جاء في كراهته محمول على المداومة عليه وعن ابي هريرة
قال ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم من طعام ثلاثة ايام تباعا حتى قبض رواه الشيخان وعن
ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة واهله طاويا لا يجدون

عشاء وانما كان اكثر خبزهم الشعير رواه الترمذي وصححه وفي حديث مسعر عند مسلم ما شبع آل محمد
يومين من خبز البر الا واحدهما تمر وعن ابن سعد من طريق عمران بن زيد المديني حدثني والدي
قال دخلنا على عايشة فقالت خرج النبي صلى الله عليه وسلم من الدنيا ولم يملا بطنه في يوم
من طعامين كان اذا شبع من التمر لم يشبع من الشعير واذا شبع من الشعير لم يشبع من التمر
وليس في هذا ما يدل على ترك الجمع بين لونين فقد جمع صلى الله عليه وسلم القثا بالرطب كما سياتي
ان شا الله تعالى وعن الحسن قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله ما امسى في آل
محمد صاع من طعام وانها لتسعة ابيات والله ما قالها استقلالا لرزق الله ولكن اراد ان تتأسى به
امته رواه الدمياطي في السيرة له وعن عايشة قالت كان يعجب النبي صلى الله عليه وسلم من الدنيا
ثلاثة اشيا الطيب والنسا والطعام فاصاب اثنتين ولم يصب واحدة اصاب النسا والطيب
ولم يصب الطعام ذكره الدمياطي وفي الشمايل للترمذي عن النعمان بن بشير لقد رايت نبيكم
وما يجد من الدقل ما يملا بطنه وفي رواية مسلم يظل اليوم يلتوي ما يجد من الدقل ما يملا بطنه
وقالت عايشة ان كنا آل محمد نمكث شهرا ما نستوقد بنار ان هو الا الما والتمر وقال عتبة بن غزوان
لقد رايتني واني لسابع سبعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لنا طعام الا ورق الشجر
حتى تقرحت اشداقنا وفي رواية البخاري ومسلم كانت عايشة تقول لعروة والله يا ابن اختي
ان كنا ننظر الى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة اهلة في شهرين وما اوقد في ابيات رسول الله
صلى الله عليه وسلم نار قال قلت يا خالة فما كان يعيشكم قالت الاسودان التمر والما الا انه كان
لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الانصار وكانت لهم منايح فكانوا يرسلون الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم من البانها فيسقيناه ولمسلم نحوها قالت لقد مات رسول الله صلى الله عليه
وسلم وما شبع من خبز وزيت في يوم واحد مرتين وقال انس ما اعلم ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم راى رغيفا مرققا حتى لحق بالله ولا راى شاة سميطا بعينيه حتى لحق بالله رواه
البخاري والمرقق اللين المحسن كخبز الحوارى وشبهه والترقيق التليين ولم يكن عندهم مناخل
وقد يكون المرقق الرقيق الموسع قاله القاضي عياض وجزم به ابن الاثير فقال وهو السميد وما
يصنع منه من كعك وغيره وقال ابن الجوزي هو الخفيف كانه اخذه من الرقاق وهي الخشبة التي يرقق بها
والحوارى بضم المهملة وتشديد الواو وفتح الرا الخالص الذي نخل مرة بعد مرة وقوله
ولا شاة سميطا هو الذي ازيل شعره بالما السخن وشوي بجلده وانما يصنع ذلك في الصغير السن
وهو فعل المترفين من وجهين احدهما المبادرة الى ذبح ما لو بقي لازداد ثمنه وثانيهما ان المسلوخ
ينتفع بجلده في اللبس وغيره والسمط يفسده وقد جرى ابن بطال وابن الاثير على ان المسموط هو
المشوي لكن الثاني ذكر ان اصله نزع صوفه بالما الحار كما تقدم قال وانما يفعل ذلك في الغالب
ليشوى ولعله يعني انه لم ير السميط في ماكوله والا فان لم يكن معهودا فلا تمدح وعن ابي حازم
انه سال سهلا هل رايتم في زمان النبي صلى الله عليه وسلم النقي قال لا فقلت كنتم تنخلون الشعير
قال لا ولكن كنا ننفخه رواه البخاري وفي رواية له هل كانت لكم في عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم مناخل فقال ما راى النبي صلى الله عليه وسلم منخلا من حين ابتعثه الله حتى قبضه الله
قال شيخ الاسلام ابن حجر اظنه احترز عما قبل البعثة لكونه صلى الله عليه وسلم كان يسافر في تلك

المدة الى الشام تاجرا وكان الشام اذ ذاك مع الروم والغنى الذي عندهم كثير وكذا المناخل وغيرها من الات الترفه ولا ريب انه راى ذلك عندهم واما بعد البعثة فلم يكن الا بمكة والطايف والمدينة ووصل الى تبوك وهي من اطراف الشام لكن لم يفتحها ولا طالت اقامته بها انتهى وقد تتبعت هل كان اقراص خبزه صغارا ام كبارا فلم اجد في ذلك شيئا بعد التفتيش نعم روي الامر بتصغيرها في حديث عند الديلمي عن عايشة رفعته بلفظ صغروا الخبز واكثروا عدده يبارك لكم فيه وهو واه بحيث ذكره ابن الجوزي في الموضوعات وقال ان المتهم به جابر بن سليم وروي عن عمر مرفوعا البركة في صغر القرص وقيل عن النسايي انه كذب لكن روى البزار بسند ضعيف عن ابي الدرداء مرفوعا قوتوا طعامكم يبارك لكم فيه قال في النهاية وحكي عن الاوزاعي انه تصغير الارغفة وكذا حكى البزار عن ابرهيم بن عبد الله بن الجنيد عن بعض اهل العلم انه تصغير الارغفة اشار اليه شيخنا في المقاصد الحسنة ولعل هذا سند شيخي وقدوتي وانسان عيني بصيرتي العارف الرباني برهان العارفين ابي اسحق ابرهيم المتبولي في تصغير ارغفة سماطه كالشيخ ابي العباس احمد البدوي والسادات اكسير معارف السعادات اولي المواهب العلية والحقايق المحمدية بني الوفا اعاد الله من بركاتهم علينا واصل امداداتهم الينا وعن عايشة قالت توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس عندي شي ياكله ذو كبد الا شطر شعير في رف لي فاكلت منه حتى طال علي فكلته ففني رواه البخاري ومسلم وعندهما ايضا قالت توفي صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي في ثلثين صاعا من شعير وقال ابن عباس ودرعه مرهونة بعشرين صاعا من طعام اخذه لاهله رواه الترمذي وعن ابي هريرة قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فاذا هو بابي بكر وعمر فقال ما اخرجكما من بيوتكما هذه الساعة قالا الجوع يا رسول الله قال وانا والذي نفسي بيده لاخرجني الذي اخرجكما فاتى رجلا من الانصار فاذا هو ليس في بيته فلما راته المراة قالت مرحبا واهلا فقال لها صلى الله عليه وسلم اين فلان قالت ذهب يستعذب لنا الما اذ جا الانصاري فنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه فقال الحمد لله ما احد اليوم اكرم اضيافا مني قال فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب فقال كلوا واخذ المدية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اياك والحلوب فذبح لهم فاكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا فلما ان شبعوا ورووا قال صلى الله عليه وسلم لابي بكر وعمر والذي نفسي بيده لتسالن عن هذا النعيم يوم القيمة اخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى اصابكم هذا النعيم رواه مسلم وغيره وهذا السوال سوال تشريف وانعام وتعديد فضل واكرام وعن طلحة بن نافع انه سمع جابر بن عبد الله يقول اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي ذات يوم الى منزله فاخرج اليه فلق من خبز فقال ما من ادم فقالوا لا الا شي من خل قال نعم الادم الخل قال جابر فما زلت احب الخل منذ سمعتها من نبي الله صلى الله عليه وسلم وقال طلحة ما زلت احب الخل منذ سمعتها من جابر رواه مسلم وروي عن ابن عمير قال صلى الله عليه وسلم جوع يوما فاخذ حجرا فوضعه على بطنه ثم قال الا رب نفس طاعمة ناعمة في الدنيا جايعة عارية يوم القيمة الا رب مكرم لنفسه وهو لها مهين الا رب مهين لنفسه وهو لها مكرم رواه ابن ابي الدنيا وعن انس عن ابي طلحة قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجوع ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر فرفع رسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم عن بطنه عن حجرين قال الترمذي هذا حديث غريب من حديث ابي طلحة لا نعرفه الا من هذا الوجه ومعنى قوله ورفعنا عن بطوننا عن حجر قال كان احدهم يشد في بطنه الحجر من الجهد والضعف الذي به من الجوع وقصة جابر يوم الخندق حين راى النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وقد قام الى الكدية وبطنه معصوب بحجر وما احسن قول الابوصيري

وشد من سغب احشاءه وطوى ... تحت الحجارة كشحا مترف الادم

والكشح كما ذكرته في شرح هذه القصيدة ما بين خاصرته الشريفة واقصر ضلع من جنبه الشريف وانما فعل هذا صلى الله عليه وسلم ليسكن بعض الم الجوع وانما كان هذا الفعل مسكنا لان كلب الجوع من شدة حرارة المعدة الغريزية فهي اذا امتلات من الطعام اشتغلت تلك الحرارة بالطعام فاذا لم يكن فيها طعام طلبت رطوبات الجسم وجواهره فيتالم الانسان بتلك الحرارة فيتعلق بكثير من جواهر البدن فاذا انضمت على المعدة الاحشا والجلد خمدت نارها بعض الخمود فقل الالم وانما تالمه بالجوع ليحصل له تضعيف الاجر مع حفظ قوته ونضارة جسمه حتى ان من يراه لا يظن به جوعا لان حسنه صلى الله عليه وسلم انما كان يرى اشد نضارة من اجسام المترفين بالنعم في الدنيا وهذا المعنى هو الذي قصده الناظم بقوله مترف الادم وهو من باب الاحتراس والتكميل لانه لما ذكر انه شد من سغب خاف ممن يتوهم ان جسمه حينئذ يظهر فيه اثر الجوع فاحترس ودفع ذلك الايهام بقوله مترف الادم وقد انكر ابو حاتم بن حبان الحديث وضع الحجر على بطنه الشريف من الجوع وقال انما لفظه متمسكا بحديث الوصال لست كاحدكم اني اطعم واسقى قال وانما معناها الحجز بالزاي وهو طرف الازار لان الله تعالى قد كان يطعم رسوله عليه الصلاة والسلام ويسقيه اذا واصل فكيف يحتاج الى شد الحجر على بطنه وما يغني الحجر عن الجوع انتهى وقال بعضهم يجوز ان يكون عصب الحجر لعادة عند العرب او اهل المدينة انهم يفعلون ذلك اذا خلت اجوافهم وغارت بطونهم يشدون عليها حجرا ففعل صلى الله عليه وسلم ذلك ليعلم اصحابه انه ليس عنده ما يستاثر به عليهم والصواب صحة الاحاديث وانه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك اختيارا للثواب وقد استشكل كونه عليه السلام واصحابه كانوا يطوون الايام جوعا مع ما ثبت انه كان يرفع لاهله قوت سنة وانه قسم بين اربعة انفس من اصحابه الف بعير مما افا الله عليه وانه ساق في عمرته ماية بدنة فنحرها واطعمها المساكين وانه امر لاعرابي بقطيع من الغنم وغير ذلك مع من كان معه من اصحاب الاموال كابي بكر وعمر وعثمان وطلحة وغيرهم مع بذلهم انفسهم واموالهم بين يديه وقد امر بالصدقة فجا ابو بكر بجميع ماله وعمر بنصفه وحث على تجهيز جيش العسرة فجهزهم عثمان بالف بعير الى غير ذلك واجاب عنه الطبري كما حكاه في فتح الباري ان ذلك كان منهم في حالة دون حالة لا لعوز وضيق بل تارة للايثار وتارة لكراهية الشبع ولكثرة الاكل انتهى وتعقب بان ما نفاه مطلقا فيه نظر لما تقدم من الاحاديث واخرج ابن حبان في صحيحه عن عايشة من حدثكم انا كنا نشبع من التمر فقد كذبكم فلما افتتحت قريظة اصبنا شيئا من التمر والودك الى غير ذلك قال الحافظ ابن حجر والحق ان الكثير منهم كانوا في حال ضيق قبل الهجرة حيث كانوا بمكة ثم لما هاجروا الى المدينة كان اكثرهم كذلك فواساهم الانصار بالمنازل والمنايح فلما افتتحت النضير وما بعدها ردوا عليهم

لمنابيهم كما تقدم وقد قال عليه السلام لقد اخفت في الله وما يخاف احد ولقد اوذيت في الله وما يؤذى احد ولقد أتت علي ثلثون من يوم وليلة ما لي ولبلال طعام ياكله احد الا شيء يواريه ابط بلال رواه الترمذي وصححه نعم كان صلى الله عليه وسلم يختار ذلك مع حصول التوسع والتبسط في الدنيا له كما اخرج الترمذي من حديث ابي امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عرض علي ربي ليجعل لي بطحا مكة ذهبا قلت لا يا رب ولكن اشبع يوما واجوع يوما فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت شكرتك وحمدتك وحكمة هذا التفصيل الاستلذاذ بالحالا والا فالله تعالى عالم بالاشيا جملة وتفصيلا وعن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وجبريل على الصفا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل والذي بعثك بالحق ما امسى لآل محمد سفة من دقيق ولا كف من سويق فلم يكن كلامه باسرع من ان سمع هدة من السماء افزعته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امر الله القيامة ان تقوم قال لا ولكن امر اسرافيل فنزل اليك حين سمع كلامك فاتاه اسرافيل فقال ان الله سمع ما ذكرت فبعثني اليك بمفاتيح خزائن الارض وامرني ان اعرض عليك اسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فعلت فان شئت نبيا ملكا وان شئت نبيا عبدا فاوما اليه جبريل ان تواضع فقال بل نبيا عبدا ثلثا رواه الطبراني باسناد حسن فانظر الى همته العليه كيف عرضت عليه مفاتيح خزائن الارض فاباها ومعلوم انه لو اخذها لانفقها في طاعة ربه فاباه ذلك واختار العبودية المحضة فيالها من همة شريفة رفيعة ما أسناها ونفس زكية كريمة ما ابهاها ولله در صاحب بردة المديح حيث قال

وراودته الجبال الشم من ذهب * عن نفسه فاراها ايما شمم
واكدت زهده فيها ضرورته * ان الضرورة لا تعدو على العصم
وكيف تدعو الى الدنيا ضرورة من * لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

اي كيف تدعو ضرورة سيد المعصومين الى زخرف الدنيا وهي وما فيها انما برزت لاجله فكيف يضطر اليها لكن في كلامه شيء فانه في مقام المدح فلا يليق منه الوصف بالزهد ولا بالضرورة قال الحليمي في شعب الايمان من تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم ان لا يوصف بما هو عند الناس من اوصاف الضعة فلا يقال كان فقيرا وانكر بعضهم اطلاق الزهد في حقه صلى الله عليه وسلم وقد حكى صاحب نثر الدرر عن محمد بن واسع انه قيل له فلان زاهد فقال وما قدر الدنيا حتى يزهد فيها وقد ذكر القاضي عياض في الشفاء ونقله عن الشيخ تقي الدين السبكي في كتابه السيف المسلول ان فقهاء الاندلس افتوا بقتل حاتم المتفقه الطليطلي وصلبه لاستخفافه بحق النبي صلى الله عليه وسلم وتسميته اياه اثناء مناظرته باليتيم وزعمه ان زهده لم يكن قصدا ولو قدر على الطيبات اكلها انتهى وذكر الشيخ بدر الدين الزركشي عن بعض الفقهاء المتاخرين انه كان يقول لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فقيرا من المال قط ولا حاله حال فقير بل كان اغنى الناس بالله فقد كفي امر دنياه في نفسه وعياله وكان يقول في قوله عليه السلام اللهم احيني مسكينا ان المراد به استكانة القلب لا المسكنة التي هي ان لا يجد ما يقع موقعا من كفايته وكان يشدد النكير على من يعتقد خلاف ذلك انتهى واما ما يروى انه عليه السلام قال الفقر فخري

وبي

ولعلمه انه لم يكن من عادته الكريمة صلى الله عليه وسلم حبس نفسه الشريفة

وبي افتخر فقال شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر هو باطل موضوع واعلم انه لم يكن من عادته الكريمة صلى الله عليه وسلم حبس نفسه الشريفة على نوع واحد من الاغذية لا يتعداه الى سواه فان ذلك يضر بالطبيعة جدا ولو انه افضل الاغذية بل كان صلى الله عليه وسلم ياكل ما جرت عادة اهل بلده باكله من اللحم والفاكهة والخبز والتمر وغيرها مما سيأتي فاكل صلى الله عليه وسلم الحلوى والعسل وكان يحبهما رواه البخاري والترمذي والحلوى بالقصر كل حلو وقال الخطابي اسم الحلوى لا يقع الا على ما دخلته الصنعة وقال ابن سيده هو ما عولج من الطعام بحلو وقد يطلق على الفاكهة قال الخطابي ولم يكن حبه عليه السلام لها على معنى كثرة التشهي لها وشدة نزاع النفس اليها وانما كان ينال منها اذا احضرت نيلا صالحا فيعلم بذلك انها تعجبه ووقع في كتاب فقه اللغة للثعالبي ان حلوى النبي صلى الله عليه وسلم التي كان يحبها هي المجيع بالميم والجيم بوزن عظيم وهو تمر يعجن بلبن حكاه في فتح الباري ولم يصح وروي انه عليه السلام كان يحب السكر ولا انه تصدق به ولا انه رآه لكن اخرج ابو جعفر الطحاوي والبيهقي في سننه من حديث حازة عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حضر ملاك رجل من الانصار فجاءت الجواري معهن الاطباق عليها اللوز والسكر فامسك القوم ايديهم فقال عليه السلام الا تنتهبون قالوا انك نهيت عن النهبة قال اما العرسان فلا قال فرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاذبهم ويجاذبونه واحتج به الطحاوي على ان النثار غير مكروه كما ذهب اليه ابو حنيفة وقضى به على الاحاديث الصحيحة التي بها النهي عن النهبة لكن قال البيهقي بعد رواية الحديث وهذا لا يثبت ثم قال وروي من حديث عائشة عنه صلى الله عليه وسلم ولا يثبت في هذا المعنى شيء وشنع على الطحاوي القول في ذلك جدا في كتاب المعرفة وقال الحديث انما يروى عن عون بن عمارة وعصمة بن سليمان وكلاهما لا يحتج به وشيخهما حازة بن المغيرة مجهول فهاتان علتان كل منهما منفردة توجب ضعف الحديث فكيف بهما مجتمعتين هذا وخالد بن معدان منقطع ولا حجة في منقطع فهذه ثلاث علل تضعف الحديث بدونها وقد افرد الكلام على ذلك ابن مفلح اليوسفي والله اعلم وعن ليث بن ابي سالم قال اول من خبص في الاسلام عثمان بن عفان رضي الله عنه قدمت عليه عير تحمل الدقيق والعسل فخلط بينهما وبعث به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكل فاستطابه قال الطبري في الرياض رواه خيثمة في فضائل عثمان وعن عبد الله بن سلام قال قدمت عير فيها حمل لعثمان بن عفان عليه دقيق حوارى وسمن وعسل فاتا بها النبي صلى الله عليه وسلم فدعا فيها بالبركة ثم دعا ببرمة فنصبت على النار وجعل فيها من العسل والدقيق والسمن ثم عصد حتى نضج او كاد ينضج ثم انزل فقال صلى الله عليه وسلم كلوا هذا شيء تسميه فارس الخبيص قال الطبري خرجه تمام في فوائده والطبراني في معجمه واكل عليه السلام لحم الضان وهذه الثلاثة اعني الحلوى والعسل واللحم من افضل الاغذية وانفعها للبدن والكبد والاعضاء ولا ينفر منها الا من به علة وافة واللحم سيد طعام اهل الجنة وفي رواية هو سيد الطعام لاهل الدنيا والاخرة رواه ابن ماجة وابن ابي الدنيا من حديث ابي الدرداء مرفوعا وسنده ضعيف وله شواهد

منها عن علي مرفوعًا سيد طعام الدنيا اللحم ثم الأرز أخرجه أبو نعيم في الطب النبوي وأكله يزيد
سبعين قوة قاله الزهري وعن علي أنه يصفي اللون ويحسن الخلق ومن تركه أربعين ليلة ساء خلقه
ولأبي الشيخ بن حيان من رواية ابن سمعان قال سمعت من علمائنا يقولون كان أحب الطعام إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم اللحم ويقول هو يزيد في السمع وهو سيد الطعام في الدنيا والآخرة ولو سألت
ربي أن يطعمنيه كل يوم لفعل وقال الإمام الشافعي إن أكله يزيد في العقل وكان عليه السلام
يعجبه الذراع ولذلك سم فيه وعن أبي رافع أنه أهديت له شاة فجعلها في قدر فدخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا يا أبا رافع فقال شاة أهديت لنا يا رسول الله فطبختها في القدر فقال
ناولني الذراع فناولته الذراع ثم قال ناولني الذراع الآخر فناولته الذراع الآخر فقال ناولني الذراع
الآخر يا أبا رافع فقال يا رسول الله إنما للشاة ذراعان فقال له صلى الله عليه وسلم
أما إنك لو سكت لناولتني ذراعًا فذراعًا ما سكت ثم دعا بماء فمضمض فاه وغسل أطراف أصابعه ثم قام
فصلى الحديث رواه أحمد ورواه الدارمي والترمذي عن أبي عبيد بلفظ طبخت له صلى الله عليه
وسلم قدرًا وكان يعجبه الذراع فناولته الذراع ثم قال ناولني الذراع فناولته الذراع ثم قال
ناولني الذراع فقلت يا رسول الله وكم للشاة من ذراع فقال والذي نفسي بيده لو سكت لناولتني
الذراع ما دعوت وقالت عائشة رضي الله عنها وكان الذراع أحب إليه وكان لا يأكل اللحم إلا غبًّا وكان
يعجل إليها لأنها أعجل نضجًا رواه الترمذي وكذلك كان يحب لحم الرقبة فعن ضباعة بنت الزبير أنها
ذبحت في بيتها شاة فأرسل إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أطعمينا من شاتكم فقالت ما بقي
عندنا إلا الرقبة وإني لأستحي أن أرسل بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع الرسول فأخبره
فقال ارجع إليها فقل لها أرسلي بها فإنها هادية الشاة وأقرب الشاة إلى الخير وأبعدها من الأذى
رواه ولا ريب أن أخف لحم الشاة لحم الرقبة ولحم الذراع والعضد وهو أخف على المعدة
وأسرع انهضامًا وفي هذا أنه ينبغي مراعاة الأغذية التي تجمع ثلاث خواص أحدها كثرة نفعها
وتأثيرها في القوى الثاني خفتها على المعدة وسرعة انحداره عنها الثالث سرعة هضمها وهذا
أفضل ما يكون من الغذاء وقال عليه السلام أطيب اللحم لحم الظهر رواه الترمذي وأما حديث أنه صلى الله
عليه وسلم كان يكره الكليتين لمكانهما من البول فقال الحافظ العراقي رويناه في جزء من حديث
أبي بكر محمد بن عبد الله بن الشخير من حديث ابن عباس بإسناد فيه ضعف انتهى وكان عليه السلام
ينهش اللحم أي يقبض عليه بفمه وينزعه من العظم أو غيره ويأتشله أي يقتلعه من المرق
والنهش بعد الانتشال وفي البخاري أنه عليه السلام احتز من كتف شاة في يده فدعي إلى الصلاة
فألقاها والسكين الذي يحتز بها ثم قام إلى الصلاة ولم يتوضأ قال ابن بطال هذا الحديث يرد
حديث أبي معشر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رفعته لا تقطعوا اللحم بالسكين فإنه
من صنيع الأعاجم وانهشوه فإنه أهنأ وأمرأ قال أبو داود وهو حديث ليس بالقوي قال الحافظ
أبو الفضل العسقلاني رحمه الله له شاهد من حديث صفوان بن أمية أخرجه الترمذي بلفظ
انهشوا اللحم نهشًا فإنه أهنأ وأمرأ وقال لا نعرفه إلا من حديث عبد الكريم انتهى قال وعبد الكريم
هو أبو أمية بن أبي المخارق ضعيف لكن أخرجه ابن أبي عاصم من وجه آخر عن صفوان بن أمية
فهو حسن لكن ليس فيه ما زاده أبو معشر من التصريح بالنهي عن قطع اللحم بالسكين والكرماني في حديث

صفوان

صفوان أن النهش أولى انتهى ويمكن الجمع بأن النهش محمول على العظم الصغير والاحتزاز محمول على الكبير وأكل
صلى الله عليه وسلم الشوي فعن أم سلمة أنها قربت إلى النبي صلى الله عليه وسلم جنبًا مشويًا
فأكل منه ثم قام إلى الصلاة وما توضأ قال الترمذي حديث صحيح وأكل عليه السلام القديد
كما في حديث في السنن عن رجل قال ذبحت للنبي صلى الله عليه وسلم شاة ونحن مسافرون فقال
أصلح لحمها فلم أزل أطعمه منه إلى المدينة وأكل عليه السلام من الكبد المشوية
وأكل لحم الدجاج رواه الشيخان والترمذي وغيرهم وأكل لحم حمار الوحش رواه الشيخان وأكل لحم
الجمل سفرًا وحضرًا رواه الشيخان وأكل لحم الأرنب رواه الشيخان وأكل من دواب البحر رواه مسلم
وأكل الثريد وهو بفتح المثلثة أن يثرد الخبز بمرق اللحم وقد يكون معه اللحم ومن أمثالهم الثريد
أحد اللحمين وروى أبو داود من حديث ابن عباس قال أحب الطعام إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم الثريد من الخبز والثريد من الحيس وأكله عليه السلام بالسمن وأكل الخبز بالزيت
وعن حذيفة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن جبريل أطعمني الهريسة أشد بها ظهري
لقيام الليل رواه الطبراني في الأوسط وفيه محمد بن الحجاج اللخمي وهو الذي وضع هذا الحديث
وأكل عليه السلام الدباء وكانت تعجبه وكان يتتبعها من حوالي القصعة قال أنس فلم أزل أحب
الدباء من يومئذ رواه مسلم قال النووي فيه أنه يستحب أن يحب الدباء وكذلك كل شيء كان يحبه
صلى الله عليه وسلم وكذلك أكل عليه السلام السلق مطبوخًا بالشعير قال الترمذي حديث حسن
غريب وأتى الحسن بن علي وابن عباس وابن جعفر إلى سلمى فقالوا اصنعي لنا طعامًا مما كان
يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحسن أكله فقالت يا بني لا تشتهيه اليوم قال بلى
اصنعيه لنا قال فقامت فأخذت شيئًا من الشعير فطحنته ثم جعلته في قدر وصبت عليه
شيئًا من زيت ودقت الفلفل والتوابل فقربته إليهم فقالت هذا مما كان يعجبه صلى الله عليه
وسلم ويحسن أكله رواه الترمذي وأكل عليه الصلاة والسلام الخزيرة وهي بخاء معجمة
مفتوحة ثم زاي مكسورة وبعد التحتانية الساكنة راء ما يتخذ من الدقيق على هيئة العصيدة
لكنه أرق منها قاله الطبري وقال ابن فارس دقيق يخلط بشحم وقال القتبي وتبعه الجوهري
أن يؤخذ اللحم فيقطع صغارًا ويصب عليه ماء كثير فإذا نضج ذر عليه الدقيق فإن لم يكن فيها لحم
فهي عصيدة وقيل مرقة يصفى من بلالة النخالة ثم يطبخ وقيل الخزيرة بالإعجام من النخالة
والحريرة بمهملات من اللبن وقال عتبان غدا علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو
بكر حين ارتفع النهار وحبسناه على خزير صنعناه وأكل عليه السلام الأقط كما قاله ابن عباس
فيما رواه وهو جبن اللبن المستخرج زبده أكلته وهو كثير بمكة والمدينة زادهما الله
شرفًا وهو أشبه شيء بالكشك وأكل عليه السلام الرطب والتمر والبسر رواه مسلم والترمذي
وغيرهما وأكل الكباث رواه مسلم وهو بفتح الكاف وتخفيف الموحدة وبعد الألف مثلثة
النضيج من ثمر الأراك وقيل ورق الأراك وتعقبه الإسماعيلي فقال إنما هو ثمر الأراك وهو
البرير بموحدة بوزن الحرير فإذا اسود فهو الكباث وفي النهاية لابن الأثير أنه عليه السلام
كان يحب الجذب بالجيم والذال المعجمة المفتوحتين أي الجمار وهو شحم النخل واحدتها جذبة وأما
الجبن ففي السنن من حديث ابن عمر قال أتي النبي صلى الله عليه وسلم بجبنة في تبوك فدعا بسكين

خشني وقطع رواه ابو داود وكان عليه السلام يراعي صفات الاطعمة وطبايعها واستعمالها على
قاعدة الطب وطبايعها واستعمالها على قاعدة الطب فاذا كان في احد الطعامين ما يحتاج الى
كسر وتعديل كسره وعدله بضده وان امكن كتعديله حرارة الرطب بالبطيخ وهذا اصل
كبير في المركبات من الادوية وان لم يجد ذلك تناوله على حاجة وداعية من النفس من غير
اسراف وروى ابو داود من حديث ابي اسامة عن هشام انه صلى الله عليه وسلم كان ياكل
البطيخ بالرطب ويقول يكسر حر هذا ببرد هذا وبرد هذا بحر هذا ورواه يزيد بن رومان عن الزهري
عن عروة بتقديم الطا للنوقاني وتاخيرها للنسائي في الوليمة فكانه كان عند هشام
بالطريقين وكذا رواه ابن حبان في صحيحه من حديث محمد بن عبد الرحمن عن الامام احمد بن حنبل
عن وهب ابن جرير بن حازم سمعت حميدا يحدث عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان ياكل البطيخ او الطبيخ بالرطب لانه لم ينقل كيفية اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم له
وروى الطبراني في الاوسط من حديث عبد الله بن جعفر قال رايت في يمين النبي صلى الله
عليه وسلم قثا وفي شماله رطبا وهو ياكل من ذا مرة ومن ذا مرة وفي سنده ضعف واخرج
فيه وفي الطب لابي نعيم من حديث انس كان ياخذ الرطب بيمينه والبطيخ بيساره فياكل الرطب
بالبطيخ وكان احب الفاكهة اليه وسنده ضعيف ايضا واخرج النسائي بسند صحيح عن حميد
عن انس قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع بين الرطب والخربز وهو بكسر الخاء
المعجمة وسكون الراء وكسر الموحدة بعدها زاي نوع من البطيخ الاصفر فيه حرارة كما في الرطب
وقد ورد التعليل بان احدهما يطفي حرارة الاخر والجواب عن ذلك بان في الاصفر بالنسبة
للرطب برودة وان كان فيه لحلاوته طرف حرارة والله اعلم وفي رواية للنسائي ايضا بسند
صحيح عن عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم اكل البطيخ والرطب جميعا واخرج ابن ماجة
عن عايشة ارادت امي معالجتي للسمنة لتدخلني على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فما استقام لها ذلك حتى اكلت الرطب بالقثا فسمنت كاحسن سمنة ورواه النسائي
وقال بالتمر مكان الرطب واما فضايل البطيخ فاحاديثه باطلة وان افرده النوقاني في جزء
كما قاله الحافظ والله اعلم وكان عليه السلام ياكل التمر بالزبد ويحبه فعن عبد الله وعطية
ابني بسر قالا دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدمنا له زبدا وتمرا وكان يحب الزبد
والتمر رواه ابو داود وابن ماجة وسماهما صلى الله عليه وسلم اللبن بالتمر الاطيبين رواه احمد
وكان ياكل الخبز مادوما ما وجد له اداما فتارة يادمه باللحم ويقول هو سيد الطعام لاهل
الدنيا والاخرة وتارة البطيخ رواه
وتارة بالتمر فانه وضع تمرة على كسرة من خبز
الشعير وقال هذه ادام هذه رواه ابو داود والترمذي بسند حسن من حديث يوسف
ابن عبد الله بن سلام قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم اخذ فذكره قال ابن القيم
وهذا من تدبير الغذا فان الشعير بارد يابس والتمر حار رطب على اصح القولين فادم خبز
الشعير به من احسن التدبير وتارة بالخل ويقول نعم الادم الخل رواه مسلم وتقدم قال
الخطابي والقاضي عياض معناه مدح الاقتصاد في الماكل ومنع النفس من ملاذ الاطعمة
تقديره ائتدموا بالخل وما في معناه مما تخف مونته ولا يعز وجوده ولا يتانقوا في الشهوات

فانها مفسدة للدين مسقمة للبدن وتعقبه النووي فقال الذي ينبغي ان يجزم به انه مدح
للخل نفسه واما الاقتصاد في المطعم وترك الشهوات فمعلوم من قواعد اخر انتهى وقال ابن القيم
هذا ثناء عليه بحسب مقتضى الحال الحاضر لا تفضيل له على غيره كما ظنه بعضهم قال وسبب الحديث
انه دخل على اهله يوما فقدموا له خبزا فقال ما من ادم فقالوا ما عندنا الا خل فقال نعم
الادم الخل والمقصود ان اكل الخبز مادوما من اسباب حفظ الصحة بخلاف الاقتصار على
احدهما وسمي الادم ادما لاصلاحه الخبز وجعله ملايما لحفظ الصحة وليس في هذا تفضيل له على اللبن
واللحم والعسل والمرق ولو حضر لحم او لبن لكان اولى بالمدح منه فقاله هذا جبرا وتطييبا لقلب من قدمه
لا تفضيلا له على ساير انواع الادم وكان عليه السلام ياكل من فاكهة بلده عند مجيئها ولا يحتمي عنها
وهذا من اكبر اسباب الصحة فان الله تعالى بحكمته جعل في كل بلد من الفاكهة ما ينتفع به اهلها في وقته
فيكون تناوله من اسباب صحتهم وعافيتهم ويغني عن كثير من الادوية وقل من احتمى عن فاكهة بلده
خشية السقم الا وهو من اسقم الناس وابعدهم من الصحة والقوة فمن اكل منها ما ينبغي في الوقت الذي
ينبغي على الوجه الذي ينبغي كان له دواء نافعا وقد روى ابن عباس قال رايت رسول الله صلى الله عليه
وسلم ياكل العنب خرطا رويناه في الغيلانيات لكن قال ابو جعفر العقيلي كما حكاه في الهدي لا اصل
لهذا الحديث قال ابن الاثير يقال خرط العنقود واخترطه اذا وضعه في فيه ثم ياخذ حبه ويخرج
عرجونه عاريا منه قال وجاء في بعض الروايات خرصا يعني بالصاد بدل الطا واما البصل
فروى ابو داود في سننه عن عايشة انها سيلت عن البصل فقالت ان اخر طعام اكله رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيه بصل وثبت عنه في الصحيحين انه منع اكله من دخول المسجد وكان
عليه السلام يترك الثوم دايما لانه يتوقع مجي الملايكة والوحي كل ساعة قال النووي واختلف اصحابنا
في حكم الثوم في حقه عليه السلام وكذلك البصل والكراث ونحوها فقال اصحابنا هي محرمة عليه
والاصح عندهم انها مكروهة كراهة تنزيه ليست محرمة لعموم قوله عليه السلام لا في جواب قوله
احرام هو ومن قال بالاول يقول معنى الحديث ليس بحرام في حقكم انتهى فينبغي لمحبه موافقته
السلام
عليه السلام في ترك الثوم ونحوه وكراهة ما كان يكرهه عليه السلام فان من اوصاف المحب
الصادق ان يحب ما احب محبوبه ويكره ما يكرهه وكان عليه السلام ياكل باصابعه الثلاث رواه
الترمذي في الشمايل وهذا اكلا في الهدي انفع ما يكون من الاكلات فان الاكل باصبع اكل المتكبر
ولا يستلذ به الاكل ولا يمريه ولا يشبعه الا بعد طول ولا يفرح الات الطعام والمعدة بما ينالها
في كل اكلة فتاخذها على اغماض كما ياخذ الرجل حقه حبة حبة او نحو ذلك فلا يلتذ باخذه والاكل
بالخمسة والراحة يوجب ازدحام الطعام على الاته وعلى المعدة وربما انسدت الالات فمات وتغصب
الالات على دفعه والمعدة على احتماله ولا يجد له لذة ولا استمرا فانفع الاكل اكله صلى الله عليه
وسلم واكل من اقتدى به بالاصابع الثلاثة وكان عليه السلام يلعق اصابعه اذا فرغ ثلاثا
رواه الترمذي في الشمايل وفي رواية مسلم ويلعق يده قبل ان يمسحها وفي رواية انه امر
بلعق الاصابع والصحفة وقد روى الترمذي عن ام عاصم قالت دخل علينا نبيشة الخير ونحن
ناكل في قصعة فحدثنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اكل في قصعة ثم لحسها
استغفرت له القصعة وكذا اخرجه ابن ماجة واحمد بن شاهين والدارمي وغيرهم وقال

الترمذي انه حديث غريب واورده بعضهم بلفظ تستغفر القصعة للاحسها وفي حديث جابر مرفوعا
عند ابي الشيخ في الثواب من اكل ما يسقط من الخوان او القصعة امن من الفقر والبرص والجذام
وصرف عن ولده الحمق وللديلمي من طريق الرشيد عن ابايه عن ابن عباس رفعه من اكل ما يسقط
من المايدة خرج ولده صباح الوجوه ونفي عنه الفقر واورده الغزالي في الاحيا بلفظ عاش في سعة
وعوفي في ولده وكلها مناكير لكن في مسلم عن جابر وانس مرفوعا اذا وقعت لقمة احدكم فلياخذها
فليمط ما كان بها من اذى ولا يدعها للشيطان ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق اصابعه لانه لا يدري
في اي طعامه البركة وفي حديث كعب بن عجرة عند الطبراني في الاوسط صفة لعق الاصابع
ولفظه رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم ياكل باصابعه الثلاث بالابهام والتي تليها والوسطى
ثم رايته يلعق اصابعه الثلاث قبل ان يمسحها الوسطى ثم التي تليها ثم الابهام قال الحافظ زين الدين
العراقي في شرح الترمذي كان السر فيه ان الوسطى اكثر تلويثا لانها اطول فيبقى فيها من الطعام
اكثر من غيرها ولانها لطولها اول ما ينزل الطعام وقد وقع في مرسل ابن شهاب عند سعيد بن
منصور ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اكل اكل بخمس فيجمع بينه وبين ما تقدم باختلاف
الحال وقد جاءت علة اللعق مبينة في بعض الروايات انه لا يدري احدكم في اي طعامه البركة وفي ذلك
رد على من كره لعق الاصابع استقذارا نعم يحسن ذلك لمن ينسب للرياسة والامرة في الدنيا نعم يحصل ذلك
لو فعله في اثنا الاكل لانه يعيد اصابعه في الطعام وعليها اثر ريقه قال الخطابي عاب قوم
افسد عقلهم الترفه لعق الاصابع وزعموا انه مستقبح كانهم لم يعلموا ان الطعام الذي علق
بالاصابع والصحفة جزء من اجزاء ما اكلوه واذا لم يكن سائر اجزائه مستقذرا لم يكن الجزء اليسير
منه مستقذرا وليس في ذلك اكثر من مصه اصابعه بباطن شفتيه ولا يشك عاقل ان لا باس بذلك
فقد يتمضمض الانسان فيدخل اصبعه في فيه فيدلك اسنانه وباطن فمه ثم لم يقل احد ان
ذلك قذارة وسوء ادب انتهى ولا ريب ان من استقذر ما نسب الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم من الادب يخشى عليه امر عظيم فنسال الله تعالى بوجاهة وجهه الكريم ان لا يسلك
بنا غير سبيل سنته وان يديم لنا حلاوة محبته **وقد كان** صلى الله عليه وسلم لا ياكل متكئا
كما صح انه قال لا اكل متكئا رواه البخاري وقال انما انا عبد اجلس كما يجلس العبد واكل كما
ياكل العبد وروى ابن ماجة والطبراني باسناد حسن قال اهديت للنبي صلى الله عليه وسلم
شاة فجثا على ركبتيه ياكل فقال له اعرابي ما هذه الجلسة فقال ان الله جعلني كريما ولم يجعلني
جبارا عنيدا قال ابن بطال انما فعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك تواضعا لله ثم ذكر من طريق
ايوب عن الزهري قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم ملك لم ياته قبلها فقال ان ربك يخيرك
بين ان تكون عبدا نبيا او نبيا ملكا فنظر الى جبريل كالمستشير له فاوما اليه ان تواضع فقال
بل عبدا نبيا قال فما اكل متكئا وهذا مرسل او معضل وقد وصله النسائي من طريق الزبيدي
عن الزهري عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص قال ما رئي النبي صلى الله عليه وسلم
متكئا قط واخرج ابن ابي شيبة عن مجاهد قال ما اكل النبي صلى الله عليه وسلم متكئا الا مرة
واحدة ويمكن الجمع بان تلك المرة التي في اثر مجاهد لم يطلع عليها عبد الله بن عمرو فقد اخرج
ابن شاهين في ناسخه من مرسل عطاء بن يسار ان جبريل راى النبي صلى الله عليه وسلم ياكل

متكئا

متكئا فنهاه وروى ابن ماجة انه صلى الله عليه وسلم نهى ان ياكل الرجل وهو منبطح على وجهه
وقد فسر القاضي عياض في الشفا الاتكا بالتمكن للاكل والتقعد للجلوس له كالمتربع وشبهه
من تمكن الجلسات التي يعتمد فيها الجالس على ما تحته قال والجالس على هذه الهيئة يستدعي الاكل
ويستكثر منه والنبي صلى الله عليه وسلم انما كان جلوسه للاكل جلوس المستوفز مقعيا
قال وليس معنى الحديث في الاتكا الميل على شق عند المحققين انتهى والاقعا ان يلصق اليتيه
بالارض وينصب ساقيه ويتساند الى ظهره وهو المنهي عنه في الصلاة وتفسير القاضي عياض
الاتكا بما فسره به حكاه في الاكمال عن الخطابي وقال ان الخطابي خالف في هذا التاويل اكثر الناس
وانهم انما حملوا الاتكا على انه الميل على احد الجانبين انتهى والذي رايته معزي للخطابي يحسب
العامة ان المتكي هو الاكل على احد شقيه وليس كذلك بل هو المعتمد على الوطا الذي تحته
انتهى وقد فسر ايضا بالميل على احد الشقين وبه جزم ابن الجوزي وقيل هو الاعتماد على الشي
وقيل ان يعتمد على يده اليسرى من الارض وقد اخرج ابن عدي بسند ضعيف زجر النبي
صلى الله عليه وسلم ان يعتمد الرجل على يده اليسرى عند الاكل قال الامام مالك هو نوع
من الاتكا قال الحافظ ابو الفضل العسقلاني وفي هذا اشارة من مالك الى كراهة كل ما يعد
الاكل فيه متكيا ولا يختص بصفة بعينها وحكى ابن الاثير في النهاية ان من فسر الاتكا بالميل
على احد الشقين تاوله على مذهب الطب وقال ابن القيم انه يضر بالاكل فانه يمنع مجرى الطعام
الطبيعي عن هيئاته ويعوقه عن سرعة نفوذه الى المعدة ويضغط المعدة فلا يستحكم
فتحها للغذا واما الاعتماد على الشي فهو من جلوس الجبابرة المنافي العبودية ولهذا قال عليه
السلام اكل كما ياكل العبد وان كان المراد بالاتكا الاعتماد على الوسايد والوطا الذي تحت الجالس
كما ذكرته عن الخطابي فيكون المعنى اني اذا اكلت لم اقعد متكئا على الاوطية والوسايد كفعل
الجبابرة ومن يريد الاكثار من الطعام لكني اكل بلغة من الزاد فلذلك اقعد مستوفزا وفي حديث
انس انه صلى الله عليه وسلم اكل تمرا وهو مقع وفي رواية وهو محتفز والمراد الجلوس على
ركبتيه غير متمكن **واختلف** السلف في حكم الاكل متكئا فزعم ابن القاص ان ذلك من خصايصه
صلى الله عليه وسلم وتعقبه السهيلي فقال قد يكره لغيره ايضا لانه من فعل المتعظمين واصله
ماخوذ من ملوك العجم قال فان كان بالمرء مانع لا يتمكن معه من الاكل الا متكئا لم يكن في ذلك
كراهة ثم ساق عن جماعة من السلف انهم اكلوا كذلك واشار الى حمل ذلك عنهم على الضرورة
قال في فتح الباري وفي الحمل نظر وقد اخرج ابن ابي شيبة عن ابن عباس وخالد بن الوليد
ومحمد بن سيرين وعطا بن يسار وغيرهم جواز ذلك مطلقا واذا ثبت كونه مكروها او خلاف
الاولى فالمستحب في صفة الجلوس للاكل ان يكون جاثيا على ركبتيه وظهور قدميه او ينصب
الرجل اليمنى ويجلس على اليسرى انتهى وقال ابن القيم ويذكر عنه صلى الله عليه وسلم
انه كان يجلس للاكل متوركا على ركبتيه ويضع بطن قدمه اليسرى على ظهر اليمنى تواضعا لله
عز وجل وادبا بين يديه قال وهذه الهيئة انفع هيات الاكل وافضلها لان الاعضا كلها
تكون على وضعها الطبيعي الذي خلقها الله تعالى عليه انتهى واخرج ابن ابي شيبة من طريق
ابرهيم النخعي قال كانوا يكرهون ان ياكلوا اتكاة مخافة ان تعظم بطونهم وكان صلى الله عليه

وسلم اذا وضع يده في الطعام ليسمّي الله تعالى واما قول النووي في اداب الاكل من الاذكار
والافضل ان يقول بسم الله الرحمن الرحيم فان قال بسم الله كفاه وحصلت السنة فقال في فتح
الباري لم ار لما ادعاه من الافضلية دليلا خاصا وكان عليه السلام يحمد الله في اخره فيقول
الحمد لله حمدا كثيرا مباركا طيبا فيه غير مودع ولا مستغنى عنه ربنا رواه الترمذي وقوله
غير مودع بفتح الدال الثقيلة اي غير متروك ولا مستغنى بفتح النون وربنا بالرفع على انه
خبر مبتدا محذوف اي هو ربنا ويجوز النصب على المدح او الاختصاص او اضمار اعني وقال
ابن الجوزي بالنصب على الندا مع حذف اداة الندا وفي رواية الحمد لله الذي اطعمنا وسقانا
وجعلنا مسلمين وللنسائي من طريق عبد الرحمن بن جبير المصري انه حدثه رجل خدم النبي صلى الله
عليه وسلم ثمان سنين انه كان يسمع النبي صلى الله عليه وسلم اذا قرب اليه الطعام يقول
بسم الله فاذا فرغ قال اللهم اطعمت واسقيت واغنيت واقنيت وهديت واحييت فلك الحمد
على ما اعطيت وسنده صحيح وقد كان عليه السلام يحب التيامن في شانه كله وقال عليه السلام
يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك قال الحافظ زين الدين العراقي في شرح الترمذي حمله
اكثر الشافعية على الندب وبه جزم الغزالي ثم النووي لكن نص الشافعي في الرسالة وفي موضع
اخر من الام على الوجوب وكذا ذكره عنه الصيرفي في شرح الرسالة ونقل البويطي في مختصره
ان الاكل من راس الثريد والتعريس على الطريق والقران في التمر حرام ومثل البيضاوي
في منهاجه للندب بقوله صلى الله عليه وسلم كل مما يليك وتعقبه الشيخ تاج الدين السبكي في شرحه
بان الشافعي نص في غير هذا الموضع على ان من اكل مما لا يليه عالما بالنهي كان عاصيا اثما قال
وقد جمع والدي نظاير هذه المسئلة في كتاب له سماه كشف اللبس عن المسايل الخمس ونصر
القول فيها بان الامر للوجوب قال شيخ الاسلام ابن حجر بعد ان ذكر ذلك ويدل على وجوب الاكل
باليمين ورود الوعيد في الاكل بالشمال ففي صحيح مسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم راى رجلا ياكل
بشماله فقال كل بيمينك قال لا استطيع فما رفعها الى فيه بعد فان قلت انه عليه السلام كان يتتبع
الدبا من حوالي القصعة وهو يعارض الاكل مما يلي فالجواب انه يحمل الجواز على ما اذا علم رضى
من ياكل معه فاذا علم كراهة من ياكل معه لذلك لم ياكل الا مما يليه قال ابن بطال وانما جالت
يد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطعام لانه علم ان احدا لا يتكره ذلك منه ولا يتقذر
بل كانوا يتبركون بريقه ومماسته بيده بل كانوا يتبادرون الى نخامته فيتدلكون بها وقال
غيره انما فعل ذلك لانه كان ياكل وحده وهو غير مسلم لان انسا اكل معه صلى الله عليه وسلم
وحديث عكراش عند الترمذي الذي فيه التفصيل بين ما اذا كان لونا واحدا فلا يتعدى
ما يليه او اكثر من لون فيجوز ضعيف والله اعلم وقرب اليه صلى الله عليه وسلم طعام فقالوا
الا ناتيك بوضوء فقال انما امرت بالوضوء اذا قمت الى الصلاة رواه الترمذي وفي رواية
انه عليه السلام قال بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده فيحمل الوضوء الاول على الشرعي
والثاني على اللغوي وروى ابو يعلى باسناد ضعيف من حديث ابن عمر من اكل من هذه اللحوم
شيئا فليغسل يده من ريح وضره ولا يؤذي من حذاه **ولم يكن** صلى الله عليه وسلم ياكل طعاما
حارا فروى الطبراني في الصغير والاوسط من حديث بلال بن ابي هريرة عن ابيه ان النبي صلى الله

عليه وسلم اتي بصحفة تفور فقال ان الله لم يطعمنا نارا قال الذهبي وبلال قليل الرواية عن ابيه انتهى وعند
ابي نعيم في الحلية من حديث انس مرفوعا كان يكره الكي والطعام الحار ويقول عليكم بالبارد فانه ذو بركة
الا وان الحار لا بركة له الحديث ولاحمد ولابي نعيم من حديث اسما انها كانت اذا ثردت غطته بشيء
حتى يذهب فوره ثم تقول اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هو اعظم بركة لكن عند
البيهقي بسند صحيح عن ابي هريرة قال اتي النبي صلى الله عليه وسلم بطعام سخن فقال ما دخل بطني
طعام سخن منذ كذا وكذا قبل اليوم **وكان له** عليه السلام قدح من خشب مضبب بحديد قال انس
لقد سقيته عليه السلام بهذا القدح الشراب كله الماء والنبيذ والعسل وفي البخاري
عن سهل بن سعد فاقبل النبي صلى الله عليه وسلم حتى جلس في سقيفة بني ساعدة هو
واصحابه ثم قال اسقنا يا سهل فاخرجت لهم هذا القدح فاسقيتهم فيه فاخرج لنا سهل ذلك
القدح فشربنا منه ثم استوهبه عمر بن عبد العزيز بعد ذلك فوهبه له الحديث وكان عمر بن عبد
العزيز قد ولي حينئذ امرة المدينة وعند البخاري من حديث عاصم الاحول قال رايت قدح النبي
صلى الله عليه وسلم عند انس بن مالك فكان قد انصدع فسلسله بفضة قال وهو قدح جيد
عريض من نضار قال قال انس لقد سقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا القدح
اكثر من كذا وكذا قال وقال ابن سيرين انه كان فيه حلقة من حديد فاراد انس ان يجعل مكانها
حلقة من ذهب او فضة فقال ابو طلحة لا تغيرن شيئا صنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتركه وعنده في فرض الخمس من طريق ابي حمزة السكري عن عاصم قال رايت القدح وشربت منه
واخرجه ابو نعيم من طريق علي بن الحسين بن شقيق عن ابي حمزة ثم قال قال علي ابن الحسن
وانا رايت القدح وشربت منه وذكر القرطبي في مختصر البخاري انه راى في بعض النسخ القديمة
من البخاري قال ابو عبد الله البخاري رايت هذا القدح بالبصرة وشربت فيه وكان اشتري
من ميراث النضر بن انس بثمان ماية الف ووقع عند احمد من طريق شريك عن عاصم رايت
عند انس قدح النبي صلى الله عليه وسلم فيه ضبة من فضة وقوله من نضار بضم النون
وبالضاد المعجمة الخالص من العود ومن كل شيء ويقال اصله من شجر النبع وقيل من الاثل
ولونه يميل الى الصفرة **ولم ياكل صلى الله عليه وسلم على خوان** ولا اكل
خبزا مرققا رواه الترمذي **والخوان بكسر المعجمة** ويجوز ضمها المايدة ما لم يكن عليها
طعام واما السفرة فاشتهرت لما يوضع عليه الطعام وكان صلى الله عليه وسلم ينهى عن النوم
على الاكل ويذكر انه يقسي القلب ذكره ابو نعيم ولذا قال الاطبا كما في الهدي من اراد حفظ الصحة
فليمش بعد العشا ولو ماية خطوة ولا ينام عقبه فانه مضر جدا او الصلاة بعد الاكل ليستهل
هضمه **واما شربه صلى الله عليه وسلم** فقد كان يستعذب له الماء
اي يطلب له الماء الحلو فكانت عايشة كان يستعذب له الماء من بيوت السقيا رواه ابو داود
والسقيا بضم المهملة وبالقاف وهي عين بينها وبين المدينة يومان **قال ابن بطال**
واستعذاب الماء لا ينافي الزهد ولا يدخل في الترفه المذموم بخلاف تطييب الماء بالمسك
ونحوه فقد كرهه مالك لما فيه من السرف **واما شرب الما الحلو** وطلبه فمباح قد فعله
الصالحون وليس في شرب الما الملح فضيلة وقد كان عليه السلام يشرب العسل الممزوج بالما

ولم ياكل صلى الله عليه وسلم على خوان

البارد قال ابن القيم وفي هذا من حفظ الصحة ما لا يهتدي الى معرفته الا افاضل الاطبا
فان شرب العسل ولعقه على الريق يزيل البلغم ويغسل خمل المعدة ويجلو لزوجتها
ويدفع عنها الفضلات ويسخنها باعتدال ويفتح سددها والماء البارد رطب يقمع الحرارة ويحفظ
البدن **وقالت عايشة** كان احب الشراب اليه صلى الله عليه وسلم الحلو البارد رواه
الترمذي **ويحتمل** ان تريد به الما الممزوج بالعسل او الذي نقع فيه التمر والزبيب **وكان**
ينبذ له اول الليل ويشربه اذا اصبح يومه ذلك والليلة التي تجي والغد الى العصر فان بقي
منه شي سقاه الخادم او امر به فصب رواه مسلم **وهذا النبيذ** هو ما يطرح فيه تمر
يحليه وله نفع عظيم في زيادة القوة ولم يكن يشربه بعد ثلاث خوفا من تغيره الى الاسكار
وكان عليه السلام يشرب اللبن خالصا تارة وتارة مشوبا بالماء البارد لان اللبن عند
الحلب يكون حارا وتلك البلاد في الغالب حارة فكان يكسر حر اللبن بالماء البارد وعن جابر انه
صلى الله عليه وسلم دخل على رجل من الانصار ومعه صاحب له فسلم فرد الرجل وهو
يحول الماء في حايطه فقال صلى الله عليه وسلم ان كان عندك ماء بات في شنة والا كرعنا
فقال عندي ماء بات في شن فانطلق الى العريش فسكب في قدح ماء ثم حلب عليه من داجن
فشرب عليه السلام الحديث رواه البخاري وكان عليه السلام يقول ليس يجزي من الطعام
والشراب الا اللبن قال الترمذي حديث حسن وللترمذي ايضا عن ابن عمر مرفوعا ثلاث
لا ترد اللبن والوسادة والدهن وانشد بعضهم حيث قال

قد كان من سيرة خير الورى ۝ صلى عليه الله طول الزمن ۝
ان لا يرد الطيب والمتكا ۝ واللحم ايضا يا اخي واللبن ۝

قال ابن القيم ولم يكن صلى الله عليه وسلم يشرب على طعامه لئلا يفسده ولا سيما ان كان الما
حارا او باردا فانه ردي جدا انتهى وكان عليه السلام يشرب قاعدا وكان ذلك عادته
رواه مسلم وفي رواية له ايضا انه نهى عن الشرب قايما وفي رواية له ايضا عن ابي هريرة
لا يشربن احدكم قايما فمن نسي فليستقي وفي الصحيحين من حديث ابن عباس قال اتيت النبي
صلى الله عليه وسلم بدلو من ماء زمزم فشرب وهو قايم وفي حديث علي عند البخاري
انه شرب وهو قايم ثم قال ان ناسا يكرهون الشراب قايما وان النبي صلى الله عليه وسلم صنع
مثل ما صنعت **وكل هذه الاحاديث صحيحة** ولا اشكال فيها ولا تعارض وغلط من زعم
ان فيها نسخا وكيف يصار الى النسخ مع امكان الجمع بين الاحاديث والصواب ان النهي محمول
على كراهة التنزيه واما شربه عليه الصلاة والسلام قايما فلبيان الجواز فان قلت كيف
يكون قايما مكروها وقد فعله صلى الله عليه وسلم فالجواب ان فعله صلى الله عليه وسلم
اذا كان بيانا للجواز لا يكون مكروها بل البيان واجب عليه صلى الله عليه وسلم واما قوله
عليه الصلاة والسلام فمن نسي فليستقي فمحمول على الاستحباب والندب فيستحب
لمن شرب قايما ان يتقيا لهذا الحديث الصحيح الصريح سوا كان ناسيا او لا قاله النووي وقال
المالكية لا باس بالشرب قايما واستدلوا لذلك بحديث جبير بن مطعم قال رايت ابا بكر الصديق
يشرب قايما ويقول مالك انه بلغه عن عمر بن الخطاب وعثمان وعلي انهم كانوا يشربون قياما

واجابوا

واجابوا عن حديث ابي هريرة لا يشربن احدكم قايما فمن نسي فليستقي بان عبد الحق قال ان في
اسناده عمر بن حمزة العمري فهو ضعيف انتهى وقال المازري قال بعض شيوخنا لعل النهي
ينصرف لمن اتى اصحابه بماء فبادر لشربه قايما قبلهم استبدادا به وخروجا عن كون ساقي القوم
اخرهم شربا وقال بعض الشيوخ الاظهر انه موقوف على ابي هريرة قال والاظهر لي ان احاديث
شربه قايما تدل على الجواز واحاديث النهي تحمل على الاستحباب والحث على ما هو اولى واكمل
او ان في الشرب قايما ضررا ما فانكره من اجله وفعله هو لامنه منه قال وعلى هذا الثاني يحمل
قوله فمن شرب فليستقي على ان ذلك يحرك خلطا يكون القي دواه ويؤيده قول النخعي انما نهي
عن ذلك لداء البطن انتهى وقال ابن القيم للشرب قايما افات عديدة منها انه لا يحصل به الري
التام ولا يستقر في المعدة حتى يقسمه الكبد على الاعضاء وينزل بسرعة الى المعدة
فيخشى منه ان يبرد حرارتها ويسرع النفوذ الى اسافل البدن بغير تدريج وكل هذا يضر
بالشارب قايما فاذا فعله نادرا لم يضره وعند احمد عن ابي هريرة انه راى رجلا يشرب
قايما فقال له قه فقال لمه قال ايسرك ان يشرب معك الهر قال لا قال قد شرب معك من هو
شر منه الشيطان وكان صلى الله عليه وسلم يتنفس في الشراب ثلاثا ويقول انه اروى
وامرا وابرا رواه مسلم ومعنى تنفسه ابانة القدح عن فيه وتنفسه خارجه ثم يعود
الى الشراب واخرج الطبراني في الاوسط بسند حسن عن ابي هريرة ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان يشرب في ثلاثة انفاس اذا ادنى الاناء الى فيه سمى الله فاذا اخره حمد الله
يفعل ذلك ثلاثا وفي الشرب حكم جمة وفوايد مهمة نبه عليه الصلاة والسلام على مجامعها
بقوله انه اروى وامرا وابرا فاروى من الري بكسر الراء من غير همز اشد ريا وابلغه
وانفعه وابرا افعل من البرء بالهمز وهو الشفا اي يبري من شدة العطش ودايه لتردده
على المعدة الملتهبة دفعات فتسكن الدفعة الثانية ما عجزت الاولى عن تسكينه والثالثة
ما عجزت عنه الثانية وايضا فانه اسلم لحرارة المعدة وابقى عليها من ان يهجم عليها البارد وهلة
واحدة ونهلة واحدة فانه اسلم عاقبة وامن غايلة من تناول لجميع ما يروي دفعة واحدة
فانه يخاف منه ان يطفي الحرارة الغريزية بشدة برده وكثرة كميته او يضعفها فيودي ذلك
الى فساد المعدة والكبد والى امراض رديئة خصوصا في سكان البلاد الحارة وفي الازمنة
الحارة فان الشرب فيهما وهلة واحدة مخوف عليهم جدا وقوله وامرا بالهمز افعال من مري
الطعام والشراب في بدنه اذا دخله وخالطه بسهولة ولذة ونفع انتهى وقال بعضهم
والمعنى انه يصير هنيا مريا اي سالما مبريا من مرض او عطش او اذى ويوخذ من
ذلك انه اقمع للعطش واقوى على الهضم ومن افات الشرب نهلة واحدة انه يخاف
منه الشرق بان ينسد مجرى الشراب لكثرة الوارد عليه فاذا تنفس رويدا ثم شرب امن
من ذلك وقد روى عبد الله بن المبارك والبيهقي وغيرهما عن النبي صلى الله عليه وسلم
اذا شرب احدكم فليمص الماء مصا ولا يعب عبا فانه يورث الكباد والكباد بضم الكاف
وتخفيف الباء وجع الكبد ولا معارضة بين التنفس هنا وبين النهي عن التنفس في الاناء
الوارد في الحديث لان المنهي عنه التنفس داخل الاناء فانه ربما حصل للماء تغير من النفس

اما كونه المتنفس كان متغير الفم بما كول مثلا او لبعد عهده بالسواك او المضمضة او لأن النفس يصعد ببخار المعدة وهنا التنفس خارج الاناء فلا تعارض فلو لم يتنفس جاز الشرب بنفس واحد وقيل يمنع مطلقا لانه شرب الشيطان وكان عليه السلام اذا دعي للطعام وتبعه احد اعلم به رب المنزل فيقول ان هذا تبعنا فان شئت رجع وكان يكره على الضيافة ويعرض عليهم الاكل مرارا **وفي حديث** ابي هريرة في قصة شرب اللبن وقوله له مرارا اشرب فما زال يقول اشرب حتى قال والذي بعثك بالحق لا اجد له مسلكا رواه البخاري وكان عليه السلام اذا اكل مع قوم كان آخرهم اكلا رواه البيهقي في الشعب عن جعفر بن محمد عن ابيه مرسلا **وفي حديث ابن عمر مرفوعا عند ابن ماجة** والبيهقي اذا وضعت المائدة فلا يقوم الرجل وان شبع حتى يفرغ القوم فان ذلك يخجل جليسه وعسى ان يكون له في الطعام حاجة **وكان عليه السلام** اذا اكل عند قوم لم يخرج حتى يدعو لهم **فدعا** في منزل عبد الله بن بسر **فقال اللهم بارك لهم** فيما رزقتهم واغفر لهم وارحمهم رواه مسلم ودعا في منزل سعد فقال افطر عندكم الصائمون واكل طعامكم الابرار وصلت عليكم الملائكة رواه ابو داود **وسقاه آخر لبنا فقال اللهم** امتعه بشبابه فمرت عليه ثمانون سنة لم ير شعرة بيضا رواه ابن السني **النوع الثاني في لباسه عليه السلام وفراشه** صلى الله عليه وسلم **قال البخاري باب** ما كان النبي صلى الله عليه وسلم **يتجوز** من اللباس يعني يتوسع فلا يضيق بالاقتصار على صنف بعينه او لا يضيق بطلب النفيس الغالي بل يستعمل ما تيسر وقال القاضي عياض كان عليه السلام قد اقتصر منه على ما تدعوه ضرورته اليه وزهد فيما سواه **فكان** يلبس ما وجده فيلبس في غالب احواله الشملة والكسا الخشن والاردية والازر ويقسم على من حضره اقبية الديباج المخوصة بالذهب ويرفع لمن لم يحضر اذ المباهاة في الملابس والتزين بها ليست من خصال الشرف والجلالة وهي من سيمات النساء والمحمود منها نقاوة الثوب والتوسط في جلسه وكونه لبس مثله غير مسقط لمروة جلسه انتهى **وقد روى ابو نعيم** في الحلية عن ابن عمر مرفوعا ان من كرامة المؤمن على الله عز وجل نقاء ثوبه ورضاه باليسير وله ايضا من حديث جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا وسخة ثيابه فقال اما وجد هذا شيئا ينقي به ثوبه فقد كانت **سيرته صلى الله عليه وسلم** في ملبسه اتم وانفع للبدن واخفه عليه فانه لم تكن عمامته بالكبيرة الذي يؤذي حملها ويضعفه ويجعله عرضة للآفات كما يشاهد من حال اصحابها ولا بالصغيرة التي تقصر عن وقاية الرأس من الحر والبرد بل وسطا بين ذلك وكان يدخلها تحت حنكه فانها تقي العنق الحر والبرد وهو اثبت لها عند ركوب الخيل والابل والكر والفر وكذلك الاردية والازر اخف على البدن من غيرها وقد اطنب ابن الحاج في المدخل في الاستدلال لاستحباب التحنيك ثم قال واذا كانت العمامة من باب المباح فلا بد فيها من فعل سنن تتعلق بها من تناولها باليمين والتسمية والذكر الوارد ان كان

مالبس

مطلب لباسه

ما لبس وامتثال السنة في صفة التعميم من فعل التحنيك والعذبة وتقصير العمامة يعني سبعة اذرع او نحوها يخرجون منها التحنيك والعذبة فان زاد في العمامة قليلا لاجل حر او برد فيتسامح فيه ثم قال بعد ان ذكر قوله وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فعليك بان تتسرول قاعدا او تتعمم قائما انتهى **ولم يكن صلى الله عليه وسلم** يطول اكمامه ويوسعها بل كان كم قميصه الى الرسغ وهو منتهى الكف عند المفصل لا يجاوز اليد فيشق على لابسه ويمنعه سرعة الحركة والبطش ولا يقصر صلى الله عليه وسلم عن هذا فتبرز للحر والبرد وقد روي عن اسما بنت يزيد قالت كان كم قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الرسغ رواه الترمذي وكان ذيل قميصه وردائه الى انصاف الساقين لم يتجاوز الكعبين فيؤذي الماشي ويجعله كالمقيد ولم يقصر عن عضلة ساقيه فيتأذى بالحر والبرد اشار اليه في زاد المعاد **واخرج الترمذي** عن الاشعث بن سليم قال سمعت عمتي تحدث عن عمها قال بينا انا امشي في المدينة اذا انسان خلفي يقول ارفع ازارك فانه اتقى وابقى فاذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله انما هي بردة قال اما لك في اسوة فنظرت فاذا ازاره الى نصف ساقيه **واخرج** الطبراني من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل عن ابن عمر قال رآني النبي صلى الله عليه وسلم اسبلت ازاري فقال يا ابن عمر كل شيء لمس الارض من الثياب في النار وفي البخاري من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اسفل من الكعبين من الازار في النار قال الخطابي يريد ان الموضع الذي يناله الازار من اسفل الكعبين في النار فكنى بالثوب عن بدن لابسه **ومعناه** ان الذي دون الكعبين من القدم يعذب بالنار عقوبة وحاصله انه من باب تسمية الشيء باسم ما جاوره او حل فيه وتكون من بيانية **وللطبراني** من حديث عبد الله بن مغفل رفعه ازرة المؤمن الى انصاف الساقين وليس عليه حرج فيما بينه وبين الكعبين وما اسفل من ذلك ففي النار والازرة بالكسر الحالة وهيئة الائتزار مثل الركبة والجلسة واعلم ان التوبة ونوبك وثوبك وتزره يسري ويسرك ان هذا الاطلاق محمول على ما ورد من قيد الخيلاء فهي الذي ورد فيه الوعيد بالاتفاق **وقد اخرج** اصحاب السنن الا الترمذي واستغربه ابن ابي شيبة من طريق عبد العزيز بن ابي رواد عن سالم بن عبد الله بن عمر عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الاسبال في الازار والقميص والعمامة من جر منها شيئا خيلاء لحديث ضعيف في هذه الرواية ان الحكم ليس خاصا بالازار وان جاء في اكثر طرق الاحاديث بلفظ الازار قال الطبري انما ورد الخبر بلفظ الازار لان اكثر الناس في عهده كانوا يلبسون الازر والاردية فلما لبس الناس القمص والدراريع كان حكمها حكم الازار في النهي قال ابن بطال هذا قياس صحيح لو لم يأت النص بالثوب فانه يشمل جميع ذلك **وفي تصوير جر العمامة** نظر الا ان يكون لما جرت به عادة العرب من ارخاء العذبات فمهما زاد على العادة في ذلك كان من الاسبال وهل يدخل في الزجر عن جر الثوب تطويل اكمام القميص فيه محل نظر والذي يظهر ان من اطالها حتى خرج عن العادة كما يفعله بعض الحجازيين دخل في ذلك **قال ابن القيم** واما هذه الاكمام الواسعة الطوال التي

هي كالاخراج وعمايم كالابراج فلم يلبسها عليه السلام هو ولا احد من اصحابه وهي مخالفة لسنته وفي جوازها نظر فانها من جنس الخيلاء انتهى قال صاحب المدخل ولا يخفى على ذي بصيرة ان كم بعض من ينسب الى العلم اليوم فيه اضاعة المال المنهي عنها لانه قد يفصل من ذلك الكم ثوبا لغيره انتهى لكن حدث للناس اصطلاح بتطويلها وصار لكل نوع من الناس شعار يعرفون به ومهما كان من ذلك على سبيل الخيلاء فلا شك في تحريمه وما كان على طريق العادة فلا تحريم فيه ما لم يصل الى جر الذيل الممنوع منه ونقل القاضي عياض عن العلماء كراهة كل ما زاد على العادة وعلى المعتاد في اللباس من الطول والسعة وفي حديث ابي هريرة عند البخاري مرفوعا بينما رجل يمشي في حلة مرجل جمته اذ خسف به فهو يتجلجل الى يوم القيمة وفي الطبراني وابي داود بسند لا باس به ان رجلا ممن كان قبلكم لبس بردة فتبختر فيها فنظر الله اليه فمقته فامر الارض فاخذته وهذا الوعيد يتناول الرجال والنساء على هذا الفعل المخصوص وقد فهمت ذلك ام سلمة رضي الله عنها فاخرج النسائي والترمذي وصححه من طريق ايوب عن نافع عن ابن عمر فقالت ام سلمة فكيف تصنع النساء بذيولهن قال يرخين شبرا فقالت اذا تنكشف اقدامهن قال فيرخينه ذراعا لا يزدن عليه وحاصل ما ذكر ان للرجال حالين حال استحباب وهو ان يقتصر بالازار على نصف الساق وحال جواز وهو الى الكعبين وكذلك للنساء حالان استحباب وهو ما يزيد على ما هو جائز للرجال بقدر الشبر وحال جواز بقدر ذراع وان الاسبال يكون في الازار والقميص والعمامة وانه لا يجوز اسباله تحت الكعبين ان كان للخيلاء وان كان لغيرها فهو مكروه للتنزيه قال النووي وظواهر الاحاديث في تقييدها بالخيلاء تدل على ان التحريم مخصوص بالخيلاء قال وهذا نص الشافعي على الفرق كما ذكرنا انتهى تنبيه قال العراقي في شرح الترمذي الذراع الذي رخص فيه للنساء هل ابتداؤه من الحد الممنوع منه الرجال وهو من الكعبين او من الحد المستحب وهو انصاف الساقين او حده من اول ما يمس الارض الظاهر ان المراد الثالث بدليل حديث ام سلمة الذي رواه ابو داود والنسائي واللفظ له وابن ماجة قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تجر المراة من ذيلها قال شبرا قالت اذا ينكشف عنها قال فذراع لا تزيد عليه فظاهره ان لها ان تجر على الارض منه ذراعا قال والظاهر ان المراد بالذراع ذراع اليد وهو شبران لما في سنن ابن ماجة عن ابن عمر قال رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم لامهات المؤمنين شبرا ثم استزدنه فزادهن شبرا فدل على ان الذراع الماذون فيه شبران وهو الذراع الذي يقاس به الحصر اليوم انتهى فانما جاز ذلك للنساء لاجل الستر لان المراة كلها عورة الا ما استثني وقد كان له عليه الصلاة والسلام عمامة تسمى السحاب ويلبس تحتها القلانس اللاطية والقلانس جمع قلنسوة بفتح القاف واللام وسكون النون وضم المهملة وفتح الواو وقد تبدل الياء تحتية وقد تبدل الفاء وتفتح السين فيقال قلنساة وقد تحذف النون من هذه بعدها هاء تانيث غشاء مبطن يستتر به الراس قاله القزاز في شرح الفصيح وقال ابن هشام هي التي يقال لها العامة الشاشية وفي

الكلام على ملابس الرؤوس معروفة وقال ابو هلال العسكري هي التي يغطي بها العمايم وتستر من الشمس والمطر كانها عنده راس البرنس انتهى وروى الترمذي عن جابر رضي الله عنه قال دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وعليه عمامة سوداء وفي رواية ليس عند البخاري دخل عام الفتح وعلى راسه المغفر ويجمع بان بعد ذلك كان على راسه العمامة بعد ازالة المغفر بدليل قوله في حديث عمرو بن حريث عن ابيه خطب الناس وعليه عمامة سوداء لان الخطبة انما كانت عند باب الكعبة بعد تمام فتح مكة قال الولي بن العراقي وهو اولى واظهر في الجمع من الاول وقد تقدم نحو ذلك في غزوة فتح مكة وعن ابن عمر قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اعتم سدل رواه الترمذي في الشمايل زاد مسلم وقد ارخى طرفها بين كتفيه وروى ابو محمد بن حيان في كتاب اخلاق النبي صلى الله عليه وسلم من حديث ابن عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتم قال يدير كور العمامة على راسه ويغرسها من ورائه ويرخي لها ذوابة بين كتفيه وروى مسلم من حديث عمرو بن حريث قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر وعليه عمامة سوداء قد ارخى طرفها بين كتفيه وعنده ايضا عن جابر دخل مكة وعليه عمامة سوداء ولم يذكر فيه ذوابة فدل انه لم يكن يرخيها دايما بين كتفيه لكن قد يقال انه دخل مكة كان وعليه اهبة القتال والمغفر على راسه فلبس في كل موطن ما يناسبه قال ابن القيم في الهدي النبوي وكان شيخ الاسلام بن تيمية يذكر في سبب الذوابة شيا بديعا وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم انما اتخذها صبيحة المنام الذي راه بالمدينة لما راى رب العزة قال يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى قلت لا ادري فوضع يده بين كتفي فعلمت ما بين السماء والارض الحديث وهو في الترمذي وسيل عنه البخاري فقال صحيح قال فمن تلك الغداة ارخى الذوابة بين كتفيه قال وهذا من العلم الذي تنكره السنة الجهال وقلوبهم قال ولم ار هذه الفايدة في شان الذوابة لغيره انتهى وعبارة عن الهدي وذكر ابن تيمية انه صلى الله عليه وسلم لما راى ربه واضعا يده بين كتفيه اكرم ذلك الموضع بالعذبة انتهى لكن قال العراقي بعد ان ذكره لم نجد لذلك اصلا انتهى وروى ابن ابي شيبة عن علي قال عممني رسول الله صلى الله عليه وسلم بعمامة سدل طرفها على منكبي وقال ان الله امدني يوم بدر ويوم حنين بملايكة معتمين هذه العمة وقال ان العمامة حاجز بين المسلمين والمشركين قال عبد الحق الاشبيلي وسنة العمامة بعد فعلها ان يرخي طرفها ويتحنك به فان كانت بغير طرف ولا تحنيك فذلك يكره عند العلماء واختلف في وجه الكراهة فقيل لمخالفة السنة فيها وقيل لانها كذلك كانت عمايم الشياطين وجاءت الاحاديث في ارسال طرفها على انواع منها ما تقدم انه ارسل طرفها على منكب علي ومنها ان عبد الرحمن بن عوف قال عممني رسول الله صلى الله عليه وسلم فسدلها بين يدي ومن خلفي ذكره ابو داود وعن ابن عباس انه راى النبي صلى الله عليه وسلم وعليه عمامة دسماء اي سوداء رواه الترمذي وفي حديث ركانة انه صلى الله عليه وسلم قال ان فرق ما بيننا وبين المشركين العمايم على القلانس رواه الترمذي ايضا وعن ابي كبشة الانماري قال كانت

الفرق بين السدل والكف

كما اصحاب النبي بطحا رواه الترمذي ايضا وفي رواية اكمة وبها جمع كثرة وقلة للكمة
القلنسوة يعني انها كانت منبطحة غير منتصبة وعن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كانت له كمة بيضا رواه الدمياطي وكان احب الثياب اليه صلى الله عليه وسلم القميص
كما في الشمايل للترمذي من حديث ام سلمة قالت كان احب الثياب الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم القميص وعن معاوية بن قرة عن ابيه قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
في رهط من مزينة لنبايعه وان قميصه لمطلق الازرار او قال زر قميصه مطلق قال فادخلت
يدي في جيب قميصه فمسست الخاتم رواه الترمذي وعن انس قال كان قميص رسول الله
صلى الله عليه وسلم قطنا قصيرا الطول والكمين رواه الدمياطي وعن انس بن مالك قال
كان احب الثياب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسه الحبرة والحبرة ضرب من البرود
فيه حمرة وعن ابي رمثة قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه بردان اخضران
رواه الترمذي وعن عطاء بن ابي يعلى عن ابيه قال رايته صلى الله عليه وسلم
يطوف بالبيت مضطبعا ببرد اخضر رواه ابو داود وعن عروة بن المغيرة بن شعبة
عن ابيه ان النبي صلى الله عليه وسلم لبس جبة رومية ضيقة الكمين رواه الترمذي
وعن ابي ذر رايت النبي صلى الله عليه وسلم وعليه ثوب ابيض رواه البخاري وعن عائشة
قالت خرج النبي صلى الله عليه وسلم ذات غداة وعليه مرط شعر اسود رواه الترمذي
وعن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الصوف وكان له صلى الله عليه
وسلم كساء ملبدة يلبسه ويقول انما انا عبد البس كما يلبس العبد رواه الشيخان فان قلت
قد علم من هذا ومن سيرة السلف الصالح بذاذة الهيئة ورثاثة الملابس فما بال الشاذلية
من الصوفية يجملون هيئاتهم وملابسهم وطريقتهم الاقتداء بالسنة الشريفة والسلف
الصالح اجاب العارف الرباني سيدي علي وفي ومن خطه الكريم نقلت بما لفظه ذلك
لانهم نظروا الى المعاني والحكم فوجدوا السلف الصالح اوجد واهل الغفلة والشغل بدنياهم
منهمكين على الزينة الظاهرة تفاخرا بدنياهم واطمينانا اليها واشعارا بانهم من اهلها فالقوم
اظهار الحقارة ما اختروه لكون ما عظمه الغافلون وتنويها بالغنى عما اطمأن اليه الغافلون
فكان اظهارهم يومئذ تقول الحمد لله الذي اغنانا به عما افتقر نفسه اليه من حمد دنياه فلما طال
الامد وقست القلوب بنسيان ذلك المعنى واتخذ الغافلون رثاثة الاطمار وبذاذة الهيئة
حيلة على دنياهم انعكس الامر فصار مخالفة هو الآن في ذلك لله هو قول السلف وطريقتهم كما تقدم
قال وقد ارشد الاستاذ ابو الحسن الشاذلي قدس الله سره العزيز الى ذلك لقوله لبعض من
انكر عليه جمال هيئاته من اصحاب الرثاثة يا هذا هيئاتي هذه تقول الحمد لله وهيئاتك هذه تقول
اعطوني شيئا من دنياكم والقوم افعالهم دايرة مع الحكمة الربانية مرادهم مرضاة الرحمن انتهى
لما قال سيدي علي وفا وقد ورد في الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم ان الله جميل
يحب الجمال وفي الحديث الآخر ان الله نظيف يحب النظافة وفي السنن عن ابي الاحوص
الجشمي عن ابيه قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وعلي اطمار وفي رواية النسائي
وعلي ثوب دون فقال هل لك من مال قلت نعم قال من اي المال قلت من كل ما اتاني الله من الابل

والشاء

والشاء قال فلير نعمته وكرامته عليك وفي رواية النسائي قال فاذا اتاك الله مالا فلير اثر
نعمة الله عليك وكرامته وفي حديث جابر انه عليه السلام راى رجلا شعثا قد تفرق شعره
فقال اما كان يجد هذا ما يسكن به راسه وراى رجلا عليه ثياب وسخة فقال اما كان يجد هذا
ما يغسل به ثوبه رواه احمد وفي السنن ان الله يحب ان يرى اثر نعمته على عبده فهو سبحانه
يحب ظهور اثر نعمته على عبده فانه من الجمال الذي يحبه وذلك من شكره على نعمه وهو جمال
باطن فيحب ان يرى على عبده الجمال الظاهر بالنعمة والجمال الباطن بالشكر عليها ولاجل محبته
تعالى للجمال انزل على عباده لباسا يجمل ظواهرهم وتقوى يجمل بواطنهم فقال تعالى يا بني آدم
قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير وقال في اهل الجنة
ولقاهم نضرة وسرورا وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا فجمل وجوههم بالنضرة وبواطنهم
بالسرور وابدانهم بالحرير وهو سبحانه كما يحب الجمال في الاقوال والافعال واللباس والهيئة
يبغض القبيح من الاقوال والافعال والهيئة فيبغض القبيح واهله ويحب الجمال واهله
ولكن ضل في هذا الموضع فريقان فريق قالوا كل ما خلقه تعالى جميل فهو يحب كل ما خلقه
ونحن نحب جميع ما خلقه فلا نبغض منه شيئا قالوا ومن راى الكاينات منه راها جميلة
واحتجوا بقوله تعالى الذي احسن كل شيء خلقه وهؤلاء قد عدموا الغيرة لله من قلوبهم
والبغض في الله والمعاداة فيه وانكار المنكر واقامة الحدود والفريق الثاني قالوا
قد ذم الله تعالى جمال الصور وتمام القامة والخلقة فقال عن المنافقين واذا رايتهم تعجبك
اجسامهم وفي صحيح مسلم مرفوعا ان الله لا ينظر الى صوركم واموالكم وانما ينظر
الى قلوبكم واعمالكم قالوا وقد حرم الله علينا لباس الحرير والذهب وانية الذهب والفضة
وذلك من اعظم جمال الدنيا وقال تعالى لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة
الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه وفي الحديث البذاذة من الايمان وقد ذم الله المسرفين والسرف
كما يكون في الطعام والشراب يكون في اللباس وفصل النزاع ان يقال الجمال في الصورة
واللباس والهيئة ثلاثة انواع منه ما يحمد ومنه ما يذم ومنه ما لا يتعلق به مدح ولا ذم
فالمحمود منه ما كان لله واعان على طاعة الله وتنفيذ اوامره والاستجابة له كما كان النبي
صلى الله عليه وسلم يتجمل للوفود وهو نظير لباس آلة الحرب للقتال ولباس الحرير في الحرب
والخيلاء فيه فان ذلك محمود اذا تضمن اعلاء كلمة الله ونصر دينه وغيظ عدوه والمذموم
منه ما كان للدنيا والرياسة والفخر والخيلاء وان يكون هو غاية العبد واقصى مطلبه
فان كثيرا من الناس ليس له همة في سوى ذلك واما ما لا يحمد ولا يذم فهو ما خلا عن هذين
القصدين وتجرد عن الوصفين والمقصود من هذا الحديث ان الله تعالى يحب من عبده
ان يجمل لسانه بالصدق وقلبه بالاخلاص والمحبة والانابة وجوارحه بالطاعة وبدنه
باظهار نعمه عليه في لباسه وتطهيره له من الانجاس والاحداث والشعور المكروهة
والختان وتقليم الاظفار وغير ذلك مما وردت به السنة والله اعلم وعن جابر بن سمرة
قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة اضحيان فجعلت انظر اليه صلى الله عليه وسلم
والى القمر وعليه حلة حمرا فاذا هو احسن عندي من القمر رواه الدارمي والترمذي

وعن عون بن ابي جحيفة عن ابيه قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم وعليه حلة حمراء كاني انظر
الى بريق ساقيه قال سفيان اراها حبرة وعن البراء بن عازب قال ما رايت احدا من الناس احسن
في حلة حمراء احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم رواهما الترمذي وفي رواية البخاري وسلم
رايته في حلة حمراء لم ار شيئا قط احسن منه وفي رواية لابي داود ما رايت من ذي لمة في حلة
حمراء احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله من ذي لمة بكسر اللام اي شعر الراس
دون الجمة سميت بذلك لانها المت بالمنكبين فاذا زادت فهي الجمة وفي رواية النسائي ما رايت رجلا
احسن في حلة حمراء من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في القاموس الحلة بالضم ازار ورداء
برد او غيره ولا يكون حلة الا من ثوبين او ثوب له بطانة وقال ابن القيم وغلط من ظن انها كانت حمرا
بحتا لا يخالطها غيرها وانما الحلة الحمراء بردان يمانيان منسوجان بخطوط حمر مع الاسود كسائر البرود
اليمنية وهي معروفة بهذا الاسم باعتبار ما فيها من الخطوط فاما الاحمر البحت فنهي عنه اشد
النهي ففي صحيح البخاري انه صلى الله عليه وسلم نهى عن المياثر الحمر وفي صحيح مسلم عن ابن عمرو
قال راى النبي صلى الله عليه وسلم علي ثوبين معصفرين فقال ان هذا لباس الكفار فلا تلبسها
ومعلوم ان ذلك انما يصبغ صبغا احمر قال وفي جواز لبس الاحمر من الثياب والجوخ وغيرهما نظر
واما كراهته فشديدة فكيف يظن به صلى الله عليه وسلم انه لبس الاحمر القاني كلا لقد اعاذه الله
منه وانما وقعت الشبهة من لفظ الحلة الحمراء والله اعلم انتهى وقال النووي اختلف العلماء
في الثياب المعصفرة وهي المصبوغة بعصفر واباحها جميع العلماء من الصحابة والتابعين ومن
بعدهم وبه قال الامام الشافعي وابو حنيفة ومالك ولكنه قال غيرها افضل منها وفي رواية عنه
انه اجاز لباسها في البيوت وافنية الدور وكرهه في المحافل والاسواق وغيرها وقال جماعة من
العلماء هو مكروه كراهة تنزيه وحملوا النهي على هذا لانه ثبت انه عليه السلام انه لبس حلة حمرا
وفي الصحيحين من حديث ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم صبغ بالصفرة وحمل بعضهم النهي على المحرم
بالحج او العمرة وقد اتقن البيهقي المسئلة في معرفة السنن قال نهى الشافعي الرجل عن المزعفر
واباح له المعصفر قال الامام الشافعي وانما رخصت في المعصفر لاني لم اجد احدا يحكي عنه صلى الله
عليه وسلم النهي عنه الا ما قال علي رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم نهاني ولا اقول نهاكم
قال البيهقي وقد جاءت احاديث تدل على النهي على العموم ثم ذكر حديث مسلم ان هذه من لباس الكفار
واحاديث غير ما ثم قال ولو بلغت هذه الاحاديث الشافعي لقال بها ان شاء الله تعالى ثم ذكر باسناده
ما صح عن الشافعي انه قال اذا صح الحديث خلاف قولي فاعملوا بالحديث ودعوا قولي وفي رواية مذهبي
قال البيهقي قال الشافعي وانهى الرجل الحلال بكل حال ان يتزعفر قال وامره اذا تزعفر ان يغسله
قال البيهقي فتبع السنة في المزعفر فمتابعتها في المعصفر اولى به انتهى **وقد رايت** في فتاوى
شيخنا العلامة قاسم احد ايمة الحنفية وحققها كراهته للتحريم مع صحة الصلاة فيه
واستدل له بما ذكرته وبما في حديث طاوس عند الحاكم وقال على شرطهما عن ابن عمرو بن العاص
قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وعلي ثوب معصفر قال من اين لك هذا قال صنعته لي
اهلي فقال عليه السلام احرقه انتهى وعن جابر بن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يلبس برده الاحمر في العيدين والجمعة وعن يحيى بن عبد الله قال كان رسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم يصبغ ثيابه بالزعفران قميصه ورداءه وعمامته رواهما الدمياطي وهو عند
ابي داود بلفظ يصبغ بالورس والزعفران ثيابه حتى عمامته وكذا رواه من حديث زيد بن اسلم
وام سلمة وابن عمر لكن يعارضه ما في الصحيح انه صلى الله عليه وسلم نهى عن التزعفر والله اعلم
واما صفة ازاره صلى الله عليه وسلم فعن ابي بردة بن ابي موسى الاشعري قال اخرجت الينا
عايشة كساء وازارا غليظا فقالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين رواه البخاري
وفي رواية ازارا غليظا مما يصنع باليمن وكساء من هذه التي تدعونها الملبدة وفي رواية
كساء ملبدا قال ابن الاثير اي مرقعا يقال لبدت القميص البده ولبدته ويقال للخرقة التي يرقع
بها صدر القميص اللبدة وقيل الملبد الذي ثخن وسطه وصفق حتى صار يشبه اللبد وروى مسلم
من حديث عايشة قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر
اسود والمرط بكسر الميم واسكان الراء كساء من صوف او خز يؤتزر به والمرحل بتشديد الحاء المهملة
المفتوحة كمعظم هو الذي فيه صور الرحال قال في القاموس في مادة رحل وكمعظم برد فيه تصاوير
رحل قال وتفسير الجوهري اياه بانه رحل فيه علم غير جيد انما ذلك تفسير المرجل بالجيم وقال
في مادة رجل يعني بالجيم وبرد مرجل كمعظم فيه صور الرجال انتهى **وقال** النووي والصواب
الذي رواه الجمهور وضبطه المتقنون بالحاء المهملة اي الذي عليه صور رحال الابل ولا باس بهذه
الصورة وانما يحرم تصوير الحيوان وقال الخطابي المرحل الذي فيه خطوط والله اعلم **وعن**
عروة ان طول رداء النبي صلى الله عليه وسلم اربعة اذرع وعرضه ذراعان وشبر وعن عروة
ايضا ان ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان يخرج فيه الى الوفد رداء اخضر في طول
اربعة اذرع وعرضه ذراعان وشبر وعن معن بن عيسى قال حدثنا محمد بن هلال قال رايت
على هشام بن عبد الملك برد النبي صلى الله عليه وسلم من حبرة له حاشيتان **وعن** ابن عمر
قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه ازار يتقعقع وعن يزيد بن حبيب
انه صلى الله عليه وسلم كان يرخي الازار من بين يديه ويرفعه من ورائه وعن ابن عباس
قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتزر تحت سرته وتبدو سرته ورايت عمر يأتزر فوق
سرته رواها كلها الدمياطي **فصل** وعن اسما بنت ابي بكر انها اخرجت جبة طيالسية
كسروانية لها لبنة ديباج وفرجاها مكفوفان بالديباج وقالت هذه جبة رسول الله صلى الله عليه
وسلم كانت عند عايشة فلما قبضت قبضتها وكان النبي صلى الله عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها
للمرضى نستشفي بها رواه مسلم وقوله جبة طيالسية باضافة جبة الى طيالسة وكسروانية
بكسر الكاف وفتحها والسين الساكنة والراء المفتوحة نسبة الى كسرى ملك الفرس ولبنة بكسر
اللام واسكان الباء رقعة في جيب القميص وفيه جواز لبس ما له فرجان وانه لا كراهة فيه وان
المراد بالنهي عن الحرير المتمحض منه او ما اكثره منه وانه ليس المراد تحريم كل جزء منه بخلاف الخمر
والذهب فانه يحرم كل جزء منهما قاله النووي **لطيفة** قيل لما كان صلى الله عليه وسلم
لا يعدوا منه الا طيب كان اية ذلك في بدنه الشريف انه لا يتسخ له ثوب قط فقيل ولم يقمل
ثوبه قط وقال ابن سبع في الشفا والسبتي في اعذب الموارد واطيب الموالد لم يكن القمل يؤذيه
تعظيما له وتكريما صلى الله عليه وسلم لكن يشكل عليه ما رواه احمد والترمذي في الشمايل

وفي الباب المنقول لابي طالب عبد الرحمن بن محمد
ابن عبد السميع الواسطي وكان له عليه السلام
كساء اسود فوهبه فقالت له ام سلمة بابي انت
وامي ما فعل ذلك الكساء الاسود فقال كسوته
قالت ما رايت قط كان احسن في بياضك على سواده

عن عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفلي ثوبه ويحلب شاته ومن لازم التفلي
وجود شيء يؤذي في الجملة اما قملا او برغوثا او نحو ذلك ويمكن ان يجاب بان التفلي لاستقذار وجود
ما علق بثوبه الشريف من غيره ولو لم يحصل منه اذى في حقه صلى الله عليه وسلم وهذا فيه بحث
لان اذى القمل هو غذاوه من البدن على ما اجرى الله العادة واذا امتنع الغذا لا يعيش الحيوان
عادة ونقل الفخر الرازي ان الذباب لا يقع على ثيابه قط وانه لا يمتص بدنه البعوض واما
الطيلسان وهو بفتح اللام واحدة الطيالسة والها في الجمع للعجمة لانه فارسي معرب وهو الساج
ايضا وقال ابن خالويه في شرح الفصيح يقال للطيلسان الاخضر الساج وفي المجمل لابن فارس الطاق
الطيلسان فقال ابن القيم لم ينقل عنه صلى الله عليه وسلم انه لبسه ولا احد من اصحابه بل ثبت
في صحيح مسلم من حديث النواس بن سمعان عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر الدجال فقال
يخرج معه سبعون الفا من يهود اصبهان عليهم الطيالسة وراى انس جماعة عليهم الطيالسة فقال
ما اشبههم بيهود خيبر قال ومن هنا كرهه جماعة من السلف والخلف لما روى ابو داود والحاكم
في المستدرك عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من تشبه بقوم فهو منهم وفي
الترمذي ليس منا من تشبه بغيرنا واما ما جاء في حديث الهجرة انه صلى الله عليه وسلم جاء
الى ابي بكر متقنعا بالهاجرة فانما فعله صلى الله عليه وسلم تلك الساعة ليختفي بذلك للحاجة ولم تكن
عادته التقنع وقد ذكر انس عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يكثر القناع وهذا انما كان يفعله للحاجة
من الحر ونحوه انتهى قال شيخ الاسلام الولي بن العراقي في شرح تقريب الاسانيد التقنع
معروف وهو تغطية الراس بطرف العمامة او برداء او نحو ذلك انتهى وقال ابن الحاج في المدخل
واما قناع الرجل فهو ان يغطي راسه برداءه ويرد طرفه على احد كتفيه انتهى واما قول ابن القيم
انه عليه السلام انما فعل ذلك للحاجة فيرد عليه حديث سهل بن سعد انه صلى الله عليه وسلم
كان يكثر القناع رواه البيهقي في الشعب والترمذي والبيهقي في الشعب ايضا وابن سعد في طبقاته
من حديث انس بلفظ يكثر التقنع فهذا وما اشبهه يرد قول ابن القيم انه لم ينقل عنه عليه الصلاة
والسلام انه لبسه واما قوله ولا احد من اصحابه فيرده ما اخرجه الحاكم في المستدرك بسند
على شرط الشيخين عن مرة بن كعب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر فتنا يقربها
فمر رجل متقنع في ثوب فقال هذا يومئذ على الهدى فقمت فاذا هو عثمان بن عفان واخرج سعيد
ابن منصور في سننه عن ابي العلا قال رايت الحسن بن علي يصلي وهو مقنع راسه واخرج
ابن سعد عن سليمان بن المغيرة قال رايت الحسن يلبس الطيالسة واخرج عن عمارة بن زاذان
قال رايت على الحسن طيلسانا تاندجيا واما ما ذكره ابن القيم من قصة اليهود فقال الحافظ
ابن حجر انما يصلح الاستدلال به في الوقت الذي تكون الطيالسة من شعارهم وقد ارتفع ذلك
في هذه الازمنة فصار داخلا في عموم المباح وقد ذكره ابن عبد السلام في امثلة البدعة المباحة
وقد يصير من شعار قوم فيكون تركه من الاخلال بالمروة وقيل انما انكر انس الوان الطيالسة لانها
كانت صفرا والله اعلم واما الخاتم ففي الصحيحين عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اتخذ خاتما من ورق فكان في يده ثم كان في يد ابي بكر ثم كان في يد عمر ثم كان في يد عثمان
حتى وقع في بئر اريس وفيهما ايضا عن انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم لبس خاتم

فضة

فضة فيه فص حبشي وكان يجعل فصه مما يلي كفه واخرج احمد والنسائي والترمذي والبزار
في مسنده عن بريدة ان النبي صلى الله عليه وسلم راى في يد رجل خاتما من حديد فقال
ما لي اجد منكم ريح الاصنام ثم قال له اتخذه من فضة ولا تزده على مثقال وقد اختلف
العلماء في لبسه في الجملة فاباحه كثير من اهل العلم من غير كراهة ومنهم من كرهه اذا قصد به
الزينة ومنهم من كرهه الا لذي سلطان لحديث ابي داود والنسائي عن ابي ريحانة ان النبي صلى الله
عليه وسلم نهى عن لبس الخاتم الا لذي سلطان ولانه عليه السلام انما اتخذه لحاجة ختم الكتب
التي يبعثها الى الملوك كما في حديث انس ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى كسرى وقيصر
والنجاشي فقيل له انهم لا يقبلون كتابا الا بخاتم فصاغ خاتما ونقش فيه محمد رسول الله وانما
لبسه ابو بكر لاجل ولايته فانه كان يحتاج اليه كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يحتاج اليه
وكذلك عمر وعثمان وحكى ابن عبد البر عن طايفة من العلماء كراهة لبسه مطلقا احتجاجا
بحديث انس انه صلى الله عليه وسلم نبذه ولم يلبسه وفي الشمايل للترمذي عن ابن عمر
انه راى في يده صلى الله عليه وسلم خاتما من ورق يوما واحدا ثم ان الناس اصطنعوا الخواتم الخواتيم
من ورق ولبسوها فطرح رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتمه فطرح الناس خواتيمهم
والصواب القول الاول فان لبس النبي صلى الله عليه وسلم للخاتم انما كان في الاصل
لاجل المصلحة لختم الكتب التي يرسلها الى الملوك ثم استدام لبسه ولبسه اصحابه
معه ولم ينكره عليهم بل اقرهم عليه مدة وذلك على الاباحة المجردة واما حديث النهي
عن الخاتم الا لذي سلطان فقال ابن رجب ذكر بعض اصحابنا ان احمد ضعفه واما ما جاء
في حديث الزهري عن انس انه صلى الله عليه وسلم لبسه يوما واحدا ثم القاه فقد اجيب
عنه بثلاثة اجوبة احدها انه وهم من الزهري وسهو جرى على لسانه لفظ الورق وانما
الذي لبسه يوما واحدا ثم القاه كان من ذهب كما ثبت ذلك من غير وجه في حديث ابن عمر
وانس ايضا الثاني ان الخاتم الذي رمى به عليه السلام لم يكن كله فضة وانما كان حديدا عليه
فضة وروى ابو داود عن معيقيب الصحابي وكان على خاتم النبي صلى الله عليه وسلم
قال كان خاتم النبي صلى الله عليه وسلم من حديد ملوي عليه فضة فلعل هذا هو الذي لبسه
يوما واحدا ثم طرحه ولعله هو الذي كان يختم به ولا يلبسه الثالث ان طرحه انما كان
لئلا يظن انه سنة مسنونة فانهم اتخذوا الخواتم لما راوه قد لبسه فتبين بطرحه انه
ليس بمشروع ولا سنة ثم ان الخاتم يكون تارة من فضة وتارة من ذهب وتارة
من حديد وتارة من صفر او رصاص ونحوها وتارة من عقيق فاما الذهب ففي الصحيحين
عن البراء بن عازب قال نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خاتم الذهب وآنية الفضة
وفيهما عن ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم انه نهى عن خاتم الذهب وفيهما ايضا
عن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من ذهب فجعله في يمينه وجعل فصه
مما يلي باطن كفه فاتخذ الناس خواتيم الذهب قال فصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
المنبر فالقاه ونهى عن التختم بالذهب وهو مذهب الايمة الاربعة مالك والشافعي
وابي حنيفة واحمد واكثر العلماء ورخص فيه طايفة منهم اسحاق بن راهويه وقال مات

خمسة من اصحابه عليه الصلاة والسلام خواتيمهم من ذهب قال مصعب بن سعيد
رايت على طلحة وسعد وصهيب خواتيم من ذهب وعن حمزة بن أسيد والزبير بن المنذر
ابن ابي اسيد انهما نزعا من يد ابي اسيد خاتما من ذهب حين مات وكان بدريا رواهما البخاري
في تاريخه وروى النسائي عن سعيد بن المسيب قال قال عثمان لصهيب ما لي أرى عليكم
خاتم الذهب فقال قد رآه من هو خير منك فلم يعبه قال من هو قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم **واما** خاتم الفضة فاباحه كثير من العلماء ولبسه صلى الله عليه وسلم وجماعة
من أصحابه قال الرافعي يجوز للرجل التختم بالفضة وكذا في الروضة وغيرها وكتب اصحابنا
طافحة بجوازه وروى ابو داود وصححه ابن حبان من حديث بريدة بن الحصيب ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال للابس الخاتم الحديد ما لي ارى عليك حلية اهل النار فطرحه وقال يا رسول الله
من اي شيء اتخذه قال من ورق ولا تتمه مثقالا واخرجه ايضا النسائي والترمذي وقال غريب
واخرجه احمد بن حنبل وابو يعلى في مسنديهما والضياء في المختارة مما ليس في الصحيحين
ورجاله رجال الصحيحين الا عبد الله بن مسلم المعروف بابي طيبة وهو محدث مشهور ه
وتصحيح ابن حبان الحديث دال على قبوله فاقل احواله ان يكون من درجة الحسن والاصل في النهي
كونه للتحريم وان الاصل في استعمال الفضة للرجال التحريم الا ما رخص فيه فاذا خذ فيه خلاف
وجب الوقوف عنده وبقي ما عداه على الاصل وقد قال ابن الرفعة في باب ما يكره لبسه من
الكفاية وينبغي ان ينقص وزنه عن مثقال لان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى رجلا
وساق الحديث **وقوله** ينبغي يصلح للوجوب وغيره وحمله عليه اولى لانه ساق الحديث مساق
الاحتجاج لهذا الحكم فلا يصرف النهي عن حقيقته الا بصارف وظاهر صنيع ابن الملقن في شرح
منهاج النووي يقتضيه فانه قال في زكاة النقد في ابي داود وصحيح ابن حبان من حديث
بريدة انه عليه الصلاة والسلام قال لذلك الرجل وذكر الحديث فساقه سوق الفروع
التي لا خلاف فيها بين الاصحاب وظاهره ذلك تحريم المثقال وفي القوت للاذرعي لم يتعرض اصحابنا
لمقدار الخاتم ولعلهم اكتفوا بالعرف فما خرج عنه كان اسرافا كما قالوا في الخلخال للمراة ونحوه
والصواب الضبط بما نص عليه في الحديث وليس في كلامهم ما يخالفه هذا لفظه وهو يشير
الى هذا الحديث وكذا مشى عليه ابن العماد في التعقبات وعبارته واذا جاز لبس الخاتم فشرطه
ان لا يبلغ به مثقالا للحديث انتهى لكن قال الحافظ بن العراقي في شرح الترمذي ان النهي في قوله
ولا تتمه مثقالا للحديث انتهى لكن قال الحافظ بن العراقي في شرح الترمذي محمول على التنزيه
فيكره ان يبلغ به وزن مثقال قال وفي رواية ابي داود في رواية صاحب المعالم ولا تتمه
مثقالا ولا قيمة مثقال وليست هذه الزيادة في رواية اللؤلؤي ومعنى هذه الزيادة انه ربما
وصل الخاتم بالنفاسة في صنعته الى ان يكون قيمته مثقال فهو داخل في النهي ايضا وقد افتى العلامة
السراج العبادي بانه يجوز ان يبلغ به مثقالا وانما زاد عليه حرام **واما خاتم الحديد**
فاخرج ابو داود في الخاتم من سننه والبيهقي في شعب الايمان والادب وغيرهما من تصانيفه
من طريقه والنسائي في الزينة من سننه وابن حبان في صحيحه ان رجلا جاء الى النبي صلى الله
عليه وسلم وعليه خاتم من شبه وهو بفتح المعجمة والموحدة وباسكانها وكسر المعجمة نوع من النحاس

كانت الاصنام تتخذ منه وسمي بذلك لشبهه بالذهب لونا فقال ما لي أجد منك ريح الاصنام فطرحه
ثم جاءه وعليه خاتم من حديد فقال ما لي ارى عليك حلية اهل النار فطرحه واخرجه الترمذي
لكنه قال من صفر بدل من شبه وهما بمعنى **قال** النووي في شرح المهذب قال صاحب
الابانة يكره الخاتم من حديد او شبه وتابعه صاحب البيان فقال يكره الخاتم من حديد او رصاص
او نحاس لحديث بريدة وقال صاحب التتمة لا يكره الخاتم من حديد او رصاص لحديث الصحيحين
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للذي خطب الواهبة نفسها اطلب ولو خاتما من حديد
قال ولو كان فيه كراهة لم يأذن فيه وفي سنن ابي داود باسناد جيد عن معيقيب الصحابي
كان خاتمه عليه الصلاة والسلام من حديد ملوي عليه فضة والمختار انه لا يكره لهذين الحديثين
وقال في شرح مسلم في الكلام على حديث المرأة الواهبة نفسها وفي هذا الحديث جواز اتخاذ خاتم
الحديد وفيه خلاف للسلف حكاه القاضي ولاصحابنا في كراهته وجهان اصحهما لا يكره لان الحديث
في النهي عنه ضعيف انتهى ولعل تضعيف النووي للحديث انما هو بالنسبة الى مقاومة حديث
سهل بن سعد في الصحيحين وغيره في قصة الواهبة نفسها لا مطلقا كيف وله في ذلك شواهد
عدة ان لم ترقه الى درجة الصحة لم تدعه ينزل عن درجة الحسن **واما خاتم العقيق**
فعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تختموا بالعقيق واليمين احق بالزينة وفي سنده
مجهول وروي بلفظ تختموا بالعقيق فانه ينفي الفقر وروى يعقوب بن ابراهيم عن عائشة
مرفوعا تختموا بالعقيق فانه مبارك ويعقوب متروك وروى ابو بكر بن شعيب عن فاطمة رضي الله
عنها مرفوعا من تختم بالعقيق لم يزل يرى خيرا وهذا ايضا لا يثبت وكذا أورد فيه أحاديث غير
هذه وكلها كما قال الحافظ بن رجب لا تثبت وقال العقيلي لا يصح في التختم بالعقيق عن النبي صلى
الله عليه وسلم شيء وقال ابن عجوبه في كتاب الخواتيم له باسناد ضعيف عن علي مرفوعا من تختم بالياقوت
الاصفر منع الطاعون واسناده ضعيف **واما فص خاتمه** عليه السلام فروى انس ان النبي
صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من فضة فصه منه اخرجه البخاري وغيره وفي صحيح مسلم
ان خاتمه صلى الله عليه وسلم كان فصه حبشيا قال النووي قال العلماء يعني حجرا حبشيا اي فصا
من جزع او عقيق فان معدنهما بالحبشة واليمن انتهى فان صح انهم كانوا يعنون بالحبشي العقيق فيكون
له خاتمان احدهما فصه عقيق والآخر فصه فضة وفي شرح مسلم للنووي حكاية انه صلى الله عليه وسلم
كان له في وقت خاتم فصه منه قال وفي حديث اخر فصه من عقيق انتهى لكن لم يرو عنه عليه
الصلاة والسلام انه لبس خاتما كله عقيقا **واما نقش خاتمه** عليه الصلاة والسلام ففي صحيح
مسلم عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع خاتما من ورق نقش فيه محمد رسول الله
وقال للناس اني اتخذت خاتما من فضة ونقشت فيه محمد رسول الله فلا ينقش احد على نقشه
قال الترمذي معنى قوله لا تنقشوا عليه نهى ان ينقش احد على خاتمه محمد رسول الله وفي رواية
للنسائي اتخذ خاتما من ورق فصه حبشي ونقش فيه محمد رسول الله وفي رواية البخاري والترمذي
وكان نقش الخاتم ثلاثة اسطر محمد سطر ورسول سطر والله سطر **قال** في فتح الباري
ظاهره انه لم يكن فيه زيادة على ذلك وانه كان على هذا الترتيب لكن لم تكن كتابته على الترتيب
العادي فان ضرورة الاحتياج الى ان يختم به تقتضي ان تكون الاحرف المنقوشة مقلوبة

يجوز الختم مستويا وأما قول بعض الشيوخ ان كتابته كانت من فوق يعني الجلالة أعلى الاسطر
الثلاثة ومحمد اسفلها فلم ار التصريح بذلك في شيء من الاحاديث بل رواية الاسماعيلي يخالف ظاهرها
ذلك فانه قال محمد سطر والسطر الثاني رسول والسطر الثالث الله وعن ابن عمر انه صلى الله
عليه وسلم كان يلبس خاتمه في يمينه فلما قبض صار في يد ابي بكر في يمينه فلما قبض صار في يد عمر
في يمينه ثم صار في يد عثمان في يمينه ثم ذهب يوم الدار عليه لا اله الا الله رواه بركة بن محمد
الحلبي كما حكاه ابن رجب في كتاب الخواتيم ثم قال وهي رواية ساقطة جدا فان بركة مذكور بالكذب
وفي لفظه ما يدل على بطلانه وهو قوله ذهب يوم الدار عليه لا اله الا الله فانه انما سقط في بئر
اريس قبل الدار وقد عاش عثمان بعده مدة واتخذ له خاتما عوضه وانما كان نقشه محمد رسول الله
لا كلمة الاخلاص انتهى **تنبيه** قال شيخ الاسلام الشرف المناوي وتحصل السنة بلبس الخاتم
مطلقا ولو مستعارا أو مستاجرا لكن الاوفق للسنة لبسه بالملك والاستدامة على ذلك ويجوز
تعداد الخواتم اتخاذا واما الاستعمال فمفهوم كلام الرافعي عدم الجواز وبه صرح المحب الطبري
فقال المتجه انه لا يجوز للرجل ان يلبس خاتمين من فضة في يديه او في احداهما لان استعمال
الفضة حرام الا ما وردت به الرخصة ولم ترد الا في خاتم واحد لكن ذكر الخوارزمي في الكافي
انه يجوز له ان يلبس في يد زوجا وفردا في الاخرى فان لبس في كل واحدة زوجا فقال الصيدلاني
في الفتاوي لا يجوز وقال الدارمي في الاستذكار يكره للرجل لبس فوق خاتمين فاقتصاره على
الكراهة يدل على عدم الحرمة واذا تقرر ذلك فالمسئلة ذات خلاف والذي يظهر كلام المحب
الطبري فان تسامحنا اعتمدنا على ما افتى به الصيدلاني انتهى ويجوز التختم في اليمين واليسار
واختلف الناس في افضلها فقيل اليسار وهو نص الامام احمد في رواية صالح قال التختم في اليسار
احب الي وهو مذهب الامام مالك ويروى انه كان يلبسه في يساره وكذلك الامام الشافعي وفي صحيح
مسلم عن انس قال كان خاتم النبي صلى الله عليه وسلم في هذه واشار الى الخنصر من يده اليسرى
وفي سنن ابي داود عن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم كان يتختم في يساره وروى اسماعيل
ابن مسلم عن السليطي قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة قمراء وكاني انظر الى عكن بطنه
وكانها القباطي والي وبيص خاتمه في يساره واسمعيل هذا قال البخاري تركه ابن المبارك وربما روى
عنه وقد ذكر بعض الحفاظ كالحافظ ابن رجب ان التختم في اليسار مروي عن عامة الصحابة
والتابعين **ورجحت** طائفة التختم في اليمين وهو قول ابن عباس وعبد الله بن جعفر وروى حماد
ابن ابي سلمة قال رايت ابن ابي نافع يتختم في يمينه وقال كان النبي صلى الله عليه وسلم يتختم
في يمينه رواه احمد والنسائي وابن ماجة والترمذي وقال قال محمد يعني البخاري هذا اصح شيء روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب **وفي الشمائل** للترمذي عن جابر انه صلى الله عليه
وسلم كان يتختم في يمينه وهذا فيه ضعف لحال عبد الله بن ميمون ويروى من حديث عباد
ابن صهيب عن جعفر بن محمد عن ابيه عن جابر بن عبد الله قال قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم
والخاتم في يمينه وعباد بن صهيب متروك ايضا **وروى** البزار في مسنده من حديث عبيد بن
القاسم عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتختم في يمينه
وقبض والخاتم في يمينه وعبيد هذا كذاب قال الحافظ ابن رجب وقد جاء التصريح بان تختمه عليه

الصلاة

الصلاة والسلام في يساره كان آخر الامرين في حديث رواه سليمان بن محمد عن عبد الله
ابن عطاء عن نافع عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتختم في يمينه ثم انه حوله الى
يساره وقال **وكره** التختم في اليمين لبس بسنة ونص الامام احمد انه يكره التختم في السبابة
والوسطى ويروى عن علي انه قال نهاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اتختم في هذه او هذه
واومى الى السبابة والوسطى والله اعلم **وفي** اللباب وكان عليه الصلاة والسلام يتختم وربما
خرج وفي خاتمه خيط مربوط بسند ذكره الشيخ ورواه ابن عدي بسند ضعيف من حديث
واثلة بلفظ كان صلى الله عليه وسلم اذا اراد حاجة اوثق في خاتمه خيطا وروى ابو يعلى
عن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم كان اذا اشفق من الحاجة ان ينساها ربط في اصبعه خيطا
ليذكرها وهذا هو في رابع الخلعيات لكن فيه سالم بن عبد الاعلى ابو الفيض رماه ابن حبان
بالوضع بل اتهمه ابو حاتم بهذا الحديث **واما السراويل** فاختلف هل لبسها النبي صلى الله
عليه وسلم أم لا فجزم بعض العلماء بانه عليه الصلاة والسلام لم يلبسه ويستانس له بما جزم
به النووي في ترجمة عثمان بن عفان رضي الله عنه من كتاب تهذيب الاسماء واللغات انه رضي الله
عنه لم يلبس السراويل في جاهلية ولا اسلام الا يوم قتله فانهم كانوا احرص شيء على اتباعه
صلى الله عليه وسلم لكن قد ورد في حديث ابي يعلى الموصلي في مسنده بسند ضعيف جدا
عن ابي هريرة قال دخلت السوق يوما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس الى البزازين
فاشترى سراويل باربعة دراهم وكان لاهل السوق وزان يزن فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم اتزن وارجح فقال الوزان ان هذه لكلمة ما سمعتها من احد قال ابو هريرة فقلت له
كفى بك من الوهن والجفا في دينك ان لا تعرف نبيك فطرح الميزان ووثب الى يد رسول الله
صلى الله عليه وسلم يريد ان يقبلها فجذب يده صلى الله عليه وسلم منه وقال يا هذا انما
تفعل هذا الاعاجم بملوكها ولست بملك انما انا رجل منكم فزن فارجح واخذ رسول الله صلى الله
عليه وسلم السراويل قال ابو هريرة فذهبت لاحمله عنه فقال صاحب الشيء احق بشيئه
ان يحمله الا ان يكون ضعيفا يعجز عن حمله فيعينه اخوه المسلم قال قلت يا رسول الله
فانك لتلبس السراويل قال اجل في السفر والحضر وبالليل والنهار فاني امرت بالستر فلم اجد شيئا
استر منه وكذا اخرجه ابن حبان في الضعفاء عن ابي يعلى لكن قد صح شراء النبي صلى الله عليه
وسلم له **وفي** الهدي والظاهر انه صلى الله عليه وسلم انما اشتراه وما قاله في الهدي فيه انه
صلى الله عليه وسلم لبس السراويل قالوا اسبق فلم والله اعلم وقد ترجم البخاري في اللباس
من صحيحه باب السراويل واورد فيه حديث المحرم لكونه لم يرد فيه شيء على شرطه
واما الخف فروى الترمذي عن ابي بريدة ان النجاشي اهدى للنبي صلى الله عليه وسلم
خفين اسودين ساذجين فلبسهما ثم توضا ومسح عليهما وعن المغيرة بن شعبة قال اهدى
دحية للنبي صلى الله عليه وسلم خفين فلبسهما وقال اسرائيل عن جابر عن عامر وجبة
فلبسهما حتى تخرقا لا يدري النبي صلى الله عليه وسلم اذكيا هما ام لا رواه الطبراني **واما**
نعله صلى الله عليه وسلم والنعل كما قال صاحب المحكم ما وقيت به القدم ففي البخاري عن قتادة
عن انس ان نعل النبي صلى الله عليه وسلم كان لها قبالان والقبالان تثنية القبال وهو زمام

لنعله صلى الله عليه وسلم

النعل وهو السير الذي يكون بين الاصبعين وعن ابن عباس قال كان لنعل رسول الله صلى الله
عليه وسلم قبالان مثنى شراكهما رواه الترمذي في الشمايل وفيها ايضا عن ابي هريرة
قال كان لنعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبالان وعن عيسى بن طهمان قال اخرج الينا
انس بن مالك نعلين جرداوين لهما قبالان فحدثني ثابت بعد عن انس انها كانت نعل النبي صلى
الله عليه وسلم وعن عبيد بن جريج انه قال لابن عمر رايتك تلبس النعال السبتية قال اني
رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس النعال التي فيها شعر ويتوضا فيها فانا احب
ان البسها وعن عمرو بن حريث قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في نعلين
مخصوفتين وعن عايشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب التيمن ما استطاع في ترجله
وتنعله وطهوره رواها الترمذي وعن ابي هريرة قال صلى الله عليه وسلم اذا انتعل احدكم
فليبدا باليمين فاذا نزع فليبدا بالشمال لتكن اليمنى اولهما تنعل واخرهما تنزع وكان عليه السلام
ينهى ان ينتعل الرجل قايما رواه ابو داود والترمذي **وقد** ذكر ابو اليمن بن عساكر تمثال
نعله الكريم عليه افضل الصلاة والتسليم في جزء مفرد رويته قراءة وسماعا وكذا افرده
بالتاليف ابو اسحق ابراهيم بن محمد بن خلف السلمي المشهور بابن الحاج من اهل المرية بالاندلس
وكذا غيرهما ولم اثبتها هاهنا اتكالا على شهرتها وصعوبة ضبط تسطيرها الا على حاذق **ومن بعض**
ما ذكر من فضلها وجرب من نفعها وبركتها ما ذكره ابو جعفر احمد بن عبد المجيد وكان شيخا
صالحا وربما قال حدوث هذا المثال لبعض الطلبة فجاءني يوما فقال لي رايت البارحة من بركة
هذا النعل عجبا اصاب زوجي وجع شديد كاد يهلكها فجعلت النعل على موضع الوجع وقلت
اللهم ارني بركة صاحب هذا النعل فشفاها الله للحين وقال ابو اسحق قال ابو القاسم بن محمد
ومما جرب من بركته انه من امسكه عنده متبركا به كان له امانا من بغي البغاة وغلبة العدو وحرزا
من كل شيطان مارد وعين كل حاسد وان امسكته المراة وقد اشتد عليها الطلق تيسر امرها
بحول الله وقوته ولله در ابي اليمن بن عساكر حيث قال

يا منشدا في رسم ربع خال … ومناشدا الدوارس الاطلال
دع ندب اثار وذكر مآثر … لاحبة بانوا وعصر خال
والثم ثرى الاثر الكريم فحبذا … ان فزت منه بلثم ذا التمثال
اثر له نعلو بنا اثرها … شغل الخلي بحب ذات الخال
قبل لك الاقبال نعلي احمص … حل المعلا بها محل قبال
اعتنق بها قلبا يقلبه الهوى … وجلا على الاوصاب والاوجال
مالي بها خدا وعفر وجنة … في تربها وجدا او فرط فعال
سبيل حر جوى توى بجوانح … في الحب ما جنحت الى الابلال
ياشبه نعل المصطفى روحي الفدا … لمحاك لا سما الشريف العال
هملت لذاك العيون وقد نأى … مري العيان بغير ما اهمال
وتذكرت عهد العقيق فاثرت … سوقا عقيق الدمع المهطال
وضنت فواصلت الحنين الى الذي … مازال بالي منه في بلبال

اذكرتني قدما لها قدم العلا … والجود والمعروف والافضال
اذكرتني من لم يزل ذكري له … يعتاد في الابكار والاصال
ولها المفاخر والماثر في الدنا … والدين في الاقوال والافعال
لو ان خدي يحتذي نعلا لها … لبلغت من نيل المنا امالي
او ان اجفاني لوطي نعالها … ارض سمت عز ابد الاذلال

وما احسن قول ابي الحكم بن المرحل في قصيدة ذكرها ابو اسحق بن الحاج

يوصف حبي طرز الشعر ناظمه … ويمم خد الطرس بالنقش راقمه
رؤف عطوف اوسع الناس رحمة … وجادت عليهم بالنوال غمايمه
له الحسن والاحسان في كل مذهب … فاثاره محبوبة ومعالمه
به ختم الله النبيين كلهم … وكل فعال صالح فهو خاتمه
احب رسول الله حبا لوانه … تقاسمه قومي كفتهم قسايمه
كان فوادي كلما مر ذكره … من الورق خفاق اصيبت قوادمه
اهيم اذا هبت نواسم ارضه … ومن لفوادي ان تهب نواسمه
فانشق مسكا طيبا فكانما … نوافحه جاءت به ولطايمه
وما ذاك الا ان شوقي كثيره … الى الشوق ان الشوق مما الايمه
مثال لنعلي من احب هويته … فها انا في يومي وليلي لاثمه
اجر على راسي ووجهي اديمه … والثمه طورا وطورا الازمه
امثله في رجل اكرم من مشى … فتبصره عيني وما انا حالمه
احرك خدي ثم احسب وقعه … على وجنتي خطوا اتاك يداومه
ومن لي بوقع النعل في حر وجنتي … لماش علت فوق النجوم براجمه
ساجعله فوق الترايب عوذة … لقلبي لعل القلب يبرد جاحمه
واربطه فوق الشوون تميمة … لجفني لعل الجفن يرقا ساجمه
الا يا مثال نعل محمد … لطاب لحاذيه وقدس خادمه
يود هلال الافق لو انه هوى … يزاحمنا في لثمه ونزاحمه
وما ذاك الا ان خير نبينا … يقوم باجسام الخليقة لازمه
سلام عليه كلما هبت الصبا … وغنت باغصان الاراك حمايمه

ولابي بكر بن احمد بن الامام ابي محمد عبد الله بن الحسين القرطبي

ونعل خضعنا هيبة لبهايها … وانا متى نخضع لها ابدا نعل
فضعها على اعلى المفارق انها … حقيقتها تاج وصورتها نعل
باخمص خير الخلق حازت مزية … على التاج حتى باهت المفرق الرجل
طريق الهدى عنها استنار لمتبع … وان بحار الجود من فيضها حل
سلونا ولكن عن سواها وانما … بهيم بمعناها الغريب وما نسل
فما شاقنا مذ راقنا رسم عزها … حميم ولا مال كريم ولا نسل

شفاء لذي سقم رجاء لبائس ۔ امان لذي خوف كذا يحسب الفضل

واما فراشه صلى الله عليه وسلم فقد كان صلى الله عليه وسلم أخذ من ذلك بما تدعوا ضرورته اليه وترك ما سوى ذلك وفي صحيح مسلم قوله عليه السلام فراش للرجل وفراش لامرأته والثالث للضيف والرابع للشيطان قال العلماء معناه ما زاد على الحاجة فاتخاذه انما هو للمباهاة والاختيال والالتهاء بزينة الدنيا وما كان بهذه الصفة فهو مذموم فكل مذموم يضاف للشيطان لانه يرتضيه ويوسوس به ويحسنه وقيل انه على ظاهره وانه اذا كان للشيطان عليه مبيت ومقيل **واما** تعداد الفراش للزوج والزوجة فلا باس به لانه قد يحتاج كل واحد منهما الى فراش عند المرض ونحوه وعن عائشة انما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ينام عليه ادما حشوه ليف رواه الشيخان وروى البيهقي من حديثها قالت دخلت على امراة من الانصار فرأت فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم قطيفة مثنية فبعثت الي بفراش حشوه الصوف فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا يا عائشة فوالله لو شئت لاجرى الله معي جبال الذهب والفضة وعن عبد الله بن مسعود نام رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير فقام وقد اثر في جنبه الحديث رواه ابن ماجة والترمذي وقال حسن صحيح والطبراني ولفظه دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في غرفة كانها بيت حمام وهو نائم على حصير قد اثر بجنبه فبكيت فقال ما يبكيك يا عبد الله قلت يا رسول الله كسرى وقيصر يطؤن على الخز والديباج والحرير وانت نائم على هذا الحصير قد اثر بجنبك فقال فلا تبك يا عبد الله فان لهم الدنيا ولنا الاخرة وقوله كانها بيت حمام بتشديد الميم اي ان فيها من الحر والكرب كما في بيت الحمام وعن ابن عباس قال حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على حصير قال فجلست فاذا عليه ازاره وليس عليه غيره واذا الحصير قد اثر في جنبه واذا انا بقبضة من شعير نحو الصاع واذا اهاب معلق فابتدرت عيناي فقال ما يبكيك يا ابن الخطاب قال يا نبي الله ومالي لا ابكي وهذا الحصير قد اثر في جنبك وهذه خزائنك لا ارى فيها الا ما ارى وذاك كسرى وقيصر في الثمار والانهار وانت نبي الله وصفوته وهذه خزائنك قال يا ابن الخطاب اما ترضى ان تكون لنا الاخرة ولهم الدنيا رواه ابن ماجة باسناد صحيح والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم ولفظه قال عمر رضي الله عنه استأذنت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت عليه في مشربة وانه لمضطجع على خصفة ان بعضه لعلى التراب وتحت راسه وسادة محشوة ليفا وان فوق راسه لاهابا عطينا وفي ناحية المشربة قرظ فسلمت عليه فجلست فقلت انت نبي الله وصفوته وكسرى وقيصر على سرر الذهب وفرش الديباج والحرير فقال اولئك عجلت لهم طيباتهم وهي وشيكة الانقطاع وانا قوم اخرت لنا طيباتنا في آخرتنا وعن عائشة كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم سرير مرمل بالبردي عليه كساء اسود وقد حشوناه بالبردي فدخل ابو بكر وعمر عليه فاذا النبي صلى الله عليه وسلم نائم عليه فلما راهما استوى جالسا فنظر فاذا اثر السرير في جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله ما يؤذيك خشونة ما نرى من فراشك وسريرك وهذا كسرى وقيصر على فراش الحرير والديباج فقال عليه الصلاة والسلام لا تقولا هذا فان فراش كسرى وقيصر في النار وان فراشي وسريري هذا عاقبته الى الجنة

رواه ابن حبان في صحيحه **وروي انه عليه الصلاة والسلام** ما كان مضجعا قط ان قربت له اضطجع والا اضطجع على الارض وتخلى صلى الله عليه وسلم بالملحف قال عليه الصلاة والسلام ما اتاني جبريل وانا في لحاف امراة منكن غير عائشة

النوع الثالث في سيرته عليه السلام في نكاحه قد كان صلى الله عليه وسلم يأخذ من الجماع بالاكمل ما تحفظ به الصحة وتتم به اللذة وسرور النفس ويحصل به مقاصده التي وضع لاجلها فان الجماع في الاصل وضع لثلاثة اشياء هي مقاصده الاصلية احدها حفظ النسل ودوام النوع الانساني الى ان تتكامل العدة التي قدر الله تعالى بروزها الى هذا العالم **الثاني** قضاء الوطر ونيل اللذة والتمتع بالنعمة وهذه هي الفائدة التي في الجنة اذ لا تناسل هناك ولا احتقان يستفرغه الانزال وفضلاء الاطباء يرون ان الجماع من احد اسباب حفظ الصحة لكن لا ينبغي اخراج المني الا في طلب النسل او اخراج المحتقن منه فاذا دام احتقانه احدث امراضا ردية منها الوسواس والجنون والصرع وغير ذلك وقد يبرئ استعماله من هذه الامراض كثيرا فانه اذا طال احتباسه فسد واستحال الى كيفية سمية توجب امراضا ردية **قال** محمد بن زكريا من ترك الجماع مدة طويلة ضعفت قوى اعصابه واستدت مجاريها وتقلص ذكره **قال** ورايت جماعة تركوه لنوع من التقشف فبردت ابدانهم وعسرت حركاتهم ووقعت عليهم كآبة بلا سبب وقلت شهواتهم وهضمهم اشار اليه في زاد المعاد **ومن منافعه** غض البصر وكف النفس والقدرة على العفة عن الحرام وتحصيل ذلك للمرأة فهو ينفع نفسه في دنياه واخرته وينفع المرأة ولم يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة والتمادح به سيرة ماضية ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يتعاهده ويتود كما في حديث انس عند الطبراني في الاوسط والنسائي في سننه حبب الي من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة اي لمناجاته فيها ربه تعالى **زاد** الامام احمد في الزهد واصبر عن الطعام والشراب ولا اصبر عنهن **فمحبة النساء** والنكاح من كمال الانسان **هذا** خليل الله ابراهيم امام الحنفاء كان عنده سارة اجمل نساء العالمين واحب هاجر وتسرى بها وذكر سعد بن ابراهيم عن عامر بن سعد عن ابيه قال كان الخليل ابراهيم عليه السلام يزورها في كل يوم من الشام على البراق شغفا بها وقلة صبر عنها **وهذا** داود عليه السلام كان عنده تسع وتسعون امراة فاحب تلك المرأة وتزوج بها فكمل المائة **وهذا** سليمان ابنه كان يطوف في الليلة على تسعين امراة **تنبيه** وقع في احيا للغزالي وتفسير آل عمران من الكشاف وكثير من كتب الفقهاء حبب الي من دنياكم ثلاث وقالوا انه عليه السلام قال ثلاث ولم يذكر الا اثنين الطيب والنساء قالوا ومنه قول الشاعر

ان الاخامرة الثلاثة اهلكت ۔ مالي وكنت بهن قدما مولعا
الخمر واللحم القراح وأطلي ۔ بالزعفران فلا ازال مولعا

وذكرها ابن فورك في جزء مفرد ووجهها او الطيب في ذلك لكن قال وهذا يسمى عنه طي وهو ان يذكر جمع ثم يؤتى ببعضه ويسكت عن ذكر باقيه لغرض للمتكلم وانشد الزمخشري عليه

كانت حنيفة لا ثلاثا فثلثهم ۔ من العبيد وثلث من مواليها

وفائدة الطي عنده ثم تكثير ذلك الشيء لكن قال ابن القيم وغيره من رواة حبب الي من دنياكم ثلاث

فقد وهم ولم يقل صلى الله عليه وسلم ثلاث والصلاة ليست من امور الدنيا التي تضاف اليه
انتهى نعم تضاف اليها لكونها ظرفا لو قوعها فقط فهي عبادة محضة **وقال شيخ الاسلام**
والحافظ ابن حجر في تاريخ الكشاف ان لفظ ثلاث لم يقع في شي من طرقه وزيادته تفسد
المعنى وكذلك قال شيخ الاسلام الولي بن العراقي في اماليه عبارته ليست هذه اللفظة
وهي ثلاث في شي من كتب الحديث وهي مفسدة للمعنى فان الصلاة ليست من امور الدنيا
وكذا صرح به الزركشي وغيره كما حكاه شيخنا في المقاصد الحسنة واقره قال ابن الحاج في
انظر الي حكمة قوله عليه السلام حبب ولم يقل احببت وقال من دنيا كم فاضافها اليهم دونه
عليه السلام فدل على انه كان خاصا بمولاه تبارك وتعالي وجعلت قرة عينه في الصلاة
فكان عليه السلام لبشرية الظاهر ملكوتي الباطن وكان عليه السلام لا ياتي الي شي من احوال
البشرية الا تانيسا لامته وتشريعا لها لا انه محتاج الي شي من ذلك الا ترى قوله تعالى قل لا اقول
لكم عندي خزاين الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم اني ملك فقال لكم ولم يقل اني ملك فلم ينف الملكية
عنه الا بالنسبة اليهم اعني في معاينتهم عليه السلام لا في ذاته الكريمة اذ انه عليه السلام لحق
بشريته ما يلحق البشر ولهذا قال سيدي الشيخ ابو الحسن الشاذلي في صفته صلى الله عليه
وسلم هو بشر ليس كالبشر كما الياقوت حجر ليس كالاحجار وهذا منه رحمه الله علي سبيل
التقريب للفهوم فدل انه صلى الله عليه وسلم كان ملكي الباطن ومن كان ملكي الباطن ملك
نفسه انتهى **وههنا لطيفة** روي انه عليه السلام لما قال حبب الي من دنياكم النسا
والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة قال ابو بكر وانا يا رسول الله حبب الي من الدنيا
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والقيام بامر الله وقال عثمان وانا يا رسول الله حبب الي
من الدنيا اشباع الجايع وارواء الظمآن وكسوة العاري وقال علي بن ابي طالب وانا يا رسول الله
حبب الي من الدنيا الصوم في الصيف واقراء الضيف والضرب بين يديك بالسيف قال
الطبري رواه الجندي قال والعهدة عليه وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال فضلت على الناس باربع بالسماحة والشجاعة وكثرة الجماع وشدة البطش رواه الطبراني
وقال انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدور على نسائه في الساعة الواحدة
من الليل وهن احدى عشرة قلت لانس او كان يطيقه قال كنا نتحدث انه اعطي قوة
ثلاثين رواه البخاري من طريق قتادة قال ابن خزيمة تفرد بذلك معاذ بن هشام
عن ابيه ورواه سعيد بن ابي عروبة وغيره عن قتادة فقالوا تسع نسوة انتهى وكذا رواه
البخاري من طريق سعيد بن ابي عروبة ايضا بلفظ وله يومئذ تسع نسوة وجمع بينهما
ابن حبان في صحيحه بان حمل ذلك على حالتين لكنه وهم في قوله ان الاولى كانت في اول قدومه
المدينة حيث كان تحته تسع نسوة والحالة الثانية في آخر الامر حيث اجتمع عنده احدى عشرة
امراة وموضع الوهم منه انه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة لم يكن تحته سوى سودة
ثم دخل على عائشة بالمدينة ثم تزوج ام سلمة وحفصة وزينب بنت خزيمة في السنة الرابعة
ثم زينب بنت جحش في الخامسة ثم جويرية في السادسة ثم صفية وام حبيبة وميمونة
في السابعة وهؤلاء جميع من دخل بهن من الزوجات بعد الهجرة على المشهور لكن يحمل برواية

هشام

هشام علي انه ضم مارية وريحانة اليهن واطلق عليهن لفظ نسايه تغليبا وعن طاووس ومجاهد
اعطي صلى الله عليه وسلم قوة اربعين رجلا في الجماع رواه ابن سعد وفي رواية عن مجاهد
قوة بضع واربعين رجلا كل رجل من اهل الجنة رواه الحارث بن ابي اسامة **وعند احمد**
والنسائي وصححه الحاكم من حديث زيد بن ارقم رفعه ان الرجل من اهل الجنة ليعطى قوة
مائة في الاكل والشرب والجماع والشهوة **فان قلت** وطئ المراة في يوم الاخرى ممنوع
والقسم وان لم يكن واجبا عليه لكنه عليه السلام التزمه تطييبا لنفوسهن **اجيب**
باحتمال اذن صاحبة اليوم له او انه في يوم لم يثبت فيه قسم بعد كيوم قدومه من سفر
او اليوم الذي بعد كمال الدورة لانه يستانف القسم فيما بعد او انه من خصايصه صلى الله
عليه وسلم وقد اختص في باب النساء باشياء كما سياتي ان شاء الله تعالى **وعن صفوان**
ابن سليم مرفوعا اتاني جبريل بقدر فاكلت منها فاعطيت قوة اربعين رجلا في الجماع رواه
ابن سعد **ولما** كان عليه الصلاة والسلام ممن اقدر على القوة في الجماع واعطي الكثير منه
ابيح له من عدد الحراير ما لم يبح لغيره **قال** ابن عباس تزوجوا فان افضل هذه الامة
اكثرها نساء يشير اليه صلى الله عليه وسلم وقيده بهذه الامة ليخرج مثل سليمان عليه
السلام فانه كان اكثر نساء ووقع عند الطبراني عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فان خيرنا كان اكثرنا
نساء قيل المعنى خير امة محمد عليه الصلاة والسلام من كان اكثر نساء من غيره ممن يتساوى معه
فيما عدا ذلك من الفضايل **وقال الحافظ ابو الفضل العسقلاني** والذي يظهر ان مراد ابن
عباس بالخير النبي صلى الله عليه وسلم وبالامة اخصاء اصحابه وكان اشار الي ان ترك التزويج مرجوح
اذ لو كان راجحا ما اثر النبي صلى الله عليه وسلم غيره وكان مع كونه اخشى الناس لله واعلمهم به يكثر
التزويج لمصلحة تبليغ الاحكام التي لا يطلع عليها الرجال ولاظهار المعجزة البالغة في خرق العادة
لكونه كان لا يجد ما يستمتع به من القوت غالبا وان وجد فكان يوثر باكثره ويصوم كثيرا ويواصل ومع
ذلك فكان يطوف علي نسائه في الليلة الواحدة ولا يطاق ذلك الا مع قوة البدن وقوة البدن تابعة
لما يقوم به من استعمال المقويات من ماكول ومشروب وهي عنده عليه السلام نادرة او معدومة
وقال بعض العلماء لما كان الحر لفضله يستبيح من النساء اكثر مما يستبيح العبد وجب ان يكون النبي
صلى الله عليه وسلم لفضله علي جميع الامة يستبيح من النساء اكثر مما تستبيحه الامة قالوا ومن
فوايد ذلك زيادة التكليف في القيام بهن مع تحمل اعباء الرسالة فيكون ذلك اعظم لمشاقه
واكثر لاجره ومنها ان النكاح في حقه عبادة ومنها نقل محاسنه الباطنة فقد تزوج عليه الصلاة
والسلام ام حبيبة وكان ابوها في ذلك الوقت عدوه وصفية وقد قتل اباها وعمها وزوجها
فلو لم يطلعن من باطن احواله علي انه اكمل خلق الله لكانت الطباع البشرية تقتضي ميلهن الي ابايهن
وقراباتهن فكان في كثرة النساء عنده بيان لمعجزاته وكماله باطنا كما عرف منه الرجال ظاهرا
وقد رغب عليه السلام في النكاح فروى ابو داود والنسائي من حديث معقل بن يسار
مرفوعا تزوجوا الولود فاني مكاثر بكم الامم وفي ابن ماجة عن ابي هريرة رفعه انكحوا فاني
مكاثر بكم وهو معنى ما اشتهر علي الالسنة تناكحوا تناسلوا فاني اباهي بكم الامم وفي ابن ماجة
عن ابي هريرة رفعه انكحوا فاني مكاثر بكم وهو معنى ولم اقف عليه بهذا اللفظ **والرشد**

عليه السلام من لم يستطع الباءة الى الصوم لان كثرته تقلل مادة النكاح وتضعف ما يجده
المرء من الحرارة القوية التي تبعثه على النكاح وخص الشباب في قوله يا معشر الشباب لان للشباب
من شهوة النكاح ما ليس لغيرهم وقد ظهر لك ان النكاح اعظم في الاجر والثواب من الصيام فانه
صلى الله عليه وسلم لم يأمر اولا بالصيام انما امر به عند عدم الطول الى النكاح واذا كان النكاح
ينوي به التناسل لتكثير هذه الامة المحمدية فهو بلا شك افضل قال عمر بن الخطاب اني لاطأ
النساء وما بي اليهن حاجة رجاء ان يخرج الله من ظهري من تكاثر به محمد الامم يوم القيامة ذكره
ابن ابي جمرة وانظر كون نبينا صلى الله عليه وسلم بالاجماع اعبد الناس مع ما طبعت عليه بشريته
من حب الجماع وكيف لم يخل بعبادته شيئا لانه عليه السلام لم يكن يأتيها الا على مشروعيتها وهذا
هو غاية الكمال في البشرية لانه يرجع ما طبع عليه تابعا لما امر به وقد روى عنه عليه الصلاة
والسلام انه قال لا رهبانية في الاسلام ونهى عن ترك النساء ولو كان تركهن افضل لشرع ذلك
في ديننا اذ هو خير الاديان وقد قال سليمان عليه السلام لاطوفن الليلة على مائة امرأة
الحديث رواه البخاري وهذا فيه معجزة لسليمان عليه السلام اذ البشر عاجز عن الطواف
على مائة امرأة في ليلة واحدة فاظهر الله تعالى قدرته بان اعطى لسليمان عليه السلام
القوة على ذلك فكان فيها معجزة واظهار قدرته وابداء حكمة ردا على من ربط الاشياء بالعوائد
فيقول لا يكون كذا الا من كذا ولا يتولد كذا الا من كذا فالقى الله تعالى في صلب سليمان قوة مائة
رجل وكان له سبعمائة زوجة والف سرية وهذا لا يعطي تفضيل سليمان عليه السلام على نبينا
صلى الله عليه وسلم اذ سيدنا محمد لم يعط الا قوة اربعين رجلا ولم يكن له غير عشر نسوة
لان مرتبة نبينا عليه الصلاة والسلام في الافضلية لا يساويه فيها احد وسليمان تمنى
ان يكون ملكا فاعطي ذلك واعطي هذه القوة في الجماع لكي يتم له الملك على خرق العادة من كل
الجهات ليمتاز بذلك فكان لنسائه من جنس ملكه الذي لا ينبغي لاحد من بعده كما طلب
ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم لما خير بين ان يكون نبيا ملكا ابى ذلك واختار ان يكون نبيا عبدا
فاعطي من الخصوصية ذلك القدر لكونه عليه السلام اختار الفقر والعبودية فاعطي الزايد
بخرق العادة في النوع الذي اختار فهو الفقر والعبودية فكان عليه السلام يربط على بطنه
الاحجار من شدة الجوع والمجاهدة وهو على حاله في الجماع لم ينتقصه شيا والناس ابدا اذا اخذهم الجوع
والمجاهدة لا يستطيعون ذلك فهو ابلغ في المعجزة قاله في بهجة النفوس النوع الرابع في نومه
عليه السلام كان صلى الله عليه وسلم ينام اول الليل ويستيقظ في اول النصف الثاني فيقوم
فيستاك ويتوضأ ولم يكن يأخذ من النوم فوق القدر المحتاج ولا يمنع نفسه من القدر المحتاج اليه
منه وكان ينام على جانبه الايمن ذاكرا الله تعالى حتى تغلبه عيناه غير ممتلئ البدن من الطعام
والشراب لانه عليه الصلاة والسلام كان يحب التيامن في شانه كله وليرشد امته لان في الاضطجاع
على الشق الايمن سرا وهو ان القلب معلق في الجانب الايسر فاذا نام الرجل على الجانب الايسر استثقل
نوما لانه يكون في دعة واستراحة فيثقل نومه فاذا نام على الشق الايمن فانه يقلق ولا يستغرق
في النوم لقلق القلب وطلبه مستقره وميله اليه قالوا وكثرة النوم على الجانب الايسر وان كان
اهنا مضر بالقلب بسبب ميل الاعضاء اليه فتنصب المواد واما قول القاضي عياض في الشفا وكان نومه

على

على جانبه الايمن استظهارا على قلة النوم الى آخره ففيه شيء لانه عليه السلام لا ينام قلبه فسواء كان
نومه على الجانب الايمن او الايسر فهذا الحكم ثابت له وما علله به انما يستقيم في حق من ينام قلبه
وحينئذ فالاحسن تعليله بحب التيامن او بقصد التعليم كما مر واردى النوم النوم على الظهر
ولا يضر الاستلقاء عليه للراحة من غير نوم واردا منه ان ينام مضطجعا على وجهه وفي سنن
ابن ماجه انه صلى الله عليه وسلم مر برجل في المسجد منبطح على وجهه فضربه برجله وقال قم
او اقعد فانها نومة جهنمية وكان عليه السلام ينام على الفراش تارة وعلى النطع تارة وعلى الارض
تارة وكان فراشه ادما حشوه ليف وكان له مسح ينام عليه وكان صلى الله عليه وسلم اذا اخذ
مضجعه وضع كفه تحت خده الايمن وقال رب قني عذابك يوم تبعث عبادك وفي رواية
يوم تجمع عبادك وقال ابو قتادة كان عليه الصلاة والسلام اذا عرس بليل اضطجع على شقه
الايمن واذا عرس قبيل الصبح نصب ذراعيه ووضع راسه على كفه وقال ابن عباس كان عليه
السلام اذا نام نفخ وعن حذيفة كان عليه السلام اذا اوى الى فراشه قال اللهم باسمك اموت
واحيا وقالت عائشة كان يجمع كفيه فينفث فيهما ويقرا قل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق
وقل اعوذ برب الناس ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدا بهما على راسه ووجهه وما
اقبل من جسده يصنع ذلك ثلاث مرات وقال انس كان عليه السلام اذا اوى الى فراشه
قال الحمد لله الذي اطعمنا وسقانا وكفانا واوانا وكم ممن لا كافي له ولا مؤوي روى ذلك الترمذي
وقد كان عليه السلام تنام عينه ولا ينام قلبه رواه البخاري من حديث عائشة قالت له
عليه السلام لما قالت له اتنام قبل ان توتر وانما كان عليه السلام لا ينام قلبه لان القلب اذا
قويت فيه الحياة لا ينام اذا نام البدن وكمال هذه الحالة كان لنبينا صلى الله عليه وسلم ولمن
احيى الله قلبه بمحبته واتباع رسوله من ذلك بحسب نصيبه منها فمستيقظ القلب وغافله
كمستيقظ البدن ونائمه والى هذا الذي ذكرته اشار صاحب المعارف العليه والحقايق
السنية سيدي علي بن سيدي محمد وفا حيث قال

عيني تنام لكن قلبي … والله ما ينام
وكيف ينام عاشق مسبي … في الحب مستهام
ناظر الى وجه الحب … شاخص على الدوام
اناه في المعنى مرسوم … ان يمحو الرسوم … فقام بالحي القيوم … يا سعد من يقوم

وقد جمع العلماء بين هذا الحديث وبين حديث نومه صلى الله عليه وسلم في الوادي عن صلاة
الصبح حتى طلعت الشمس وحميت حتى ايقظه عمر رضي الله عنه بالتكبير فقال النووي له جوابان
احدهما ان القلب انما يدرك الحسيات المتعلقة به كالحدث والالم ونحوهما ولا يدرك ما يتعلق
بالعين لانها نائمة والقلب يقظان والثاني انه كان له حالان حال كان قلبه لا ينام وهو الاغلب
وحال ينام فيه قلبه وهو نادر فصادف هذا اي قضية النوم عن الصلاة قال والصحيح المعتمد
هو الاول والثاني ضعيف قال في فتح الباري وهو كما قال ولا يقال القلب وان كان لا يدرك
ما يتعلق بالعين من رؤية الفجر مثلا لكنه يدرك اذا كان يقظانا مرور الوقت الطويل فان
من ابتداء طلوع الفجر الى حمي الشمس مدة طويلة لا تخفى على من لم يكن مستغرقا لانا نقول

يحتمل ان يقال كان قلبه صلى الله عليه وسلم اذ ذاك مستغرقا بالوحي ولا يلزم مع ذلك
وصفه بالنوم كما كان يستغرق صلى الله عليه وسلم حالة القاء الوحي في اليقظة وتكون الحكمة
في ذلك بيان التشريع بالفعل لانه اوقع في النفس كما في قصة سهوه في الصلاة وقريب من هذا
جواب ابن المنير ان القلب قد يحصل له السهو في اليقظة لمصلحة التشريع ففي النوم بطريق
الاولى او على السواء **وقال** ابن العربي في القبس النبي صلى الله عليه وسلم كيف ما اختلفت
حاله من نوم او يقظة في حق وتحقيق ومع الملائكة في كل طريق ان نبي فباكد من المنبي
اشتغل وان نام فبقلبه ونفسه على الله اقبل ولهذا قالت الصحابة كان صلى الله عليه وسلم
اذا نام لا نوقظه حتى يستيقظ لانا لا ندري ما هو فيه فنومه عن الصلاة او نسيانه لشيء منها
لم يكن عن آفة وانما كان بالتصرف من حالة الى حالة مثلها لتكون لنا سنة انتهى **وقد اجيب**
عن اصل الاستشكال باجوبة اخرى ضعيفة منها ان قوله لا ينام قلبي اي لا يخفى عليه حالة
انتقاض وضوئه ومنها ان معناه لا يستغرقه النوم حتى يوجد منه الحدث وهذا قريب من الذي
قبله **قال** ابن دقيق العيد كان قائل هذا اراد تخصيص يقظة القلب بادراك حالة الانتقاض
وذلك بعيد وذلك ان قوله صلى الله عليه وسلم ان عيني تنامان ولا ينام قلبي خرج جوابا
عن قول عائشة اتنام قبل ان توتر وهذا الكلام لا تعلق له بانتقاض الطهارة الذي تكلموا فيه
وانما هو جواب يتعلق بامر الوتر فتحمل يقظته على تعلق القلب باليقظة للوتر وفرق بين من شرع
في النوم مطمئن القلب به وبين من شرع فيه متعلقا باليقظة قال وعلى هذا فلا تعارض ولا اشكال
في حديث النوم حتى طلعت الشمس لانه يحمل على انه اطمأن في نومه لما اوجبه تعب السير معتمدا
على من وكله بكلاءة الفجر انتهى ومحصله تخصيص اليقظة المفهومة من قوله ولا ينام قلبي
بادراكه وقت الوتر ادراكا معنويا لتعلقه به وان نومه في حديث الباب كان نوما مستغرقا
ويؤيده قول بلال أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك كما في حديث ابي هريرة عند مسلم ولم ينكر عليه
ومعلوم ان نوم بلال كان مستغرقا وقد اعترض عليه بان ما قاله يقتضي اعتبار خصوص السبب
واجاب بانه يعتبر اذا قامت عليه قرينة وارشد اليها السياق وهو هنا كذلك ومن الاجوبة
الضعيفة ايضا قول من قال كان قلبه يقظانا وعلم بخروج الوقت لكن ترك اعلامهم بذلك
لمصلحة التشريع والله أعلم

المقصد الرابع في معجزاته

الدالة على ثبوت نبوته وصدق رسالته وما خص به من خصائص آياته وبدائع كراماته وفيه فصلان
الاول في معجزاته **اعلم** ايها المحب لهذا النبي الكريم والرسول العظيم سلك الله بي وبك
مناهج سنته وامدنا على محبته بمنه ورحمته ان المعجزة هي الامر الخارق للعادة المقرون
بالتحدي الدال على صدق الانبياء عليهم السلام وسميت معجزة لعجز البشر عن الاتيان
بمثلها فعلم ان لها شروطا احدها ان تكون خارقة للعادة كانشقاق القمر وانفجار الماء
من بين الاصابع وقلب العصا حية واخراج ناقة من صخرة واعدام جبل فخرج غير الخارق
للعادة كطلوع الشمس كل يوم الثاني ان تكون مقرونة بالتحدي وهو طلب المعارضة والمقابلة
قال الجوهري يقال تحديت فلانا اذا باريته في فعل ونازعته للغلبة وفي القاموس نحوه
وفي الاساس حدا يحدو وهو حادي الابل واحتدى بها حداء اذا غنى ومن المجاز تحدى اقرانه
اذا باراهم ونازعهم للغلبة واصل الحدا تباري فيه الحاديان ويتعارضان فيتحدى كل واحد
منهما صاحبه اي يطلب حداه كما يقال توفاه بمعنى استوفاه وفي بعض الحواشي الموثوق به
كانوا عند الحدو يقوم حاد عن يمين القطار وحاد عن يساره يتحدى كل واحد منهما صاحبه بمعنى
يستحديه اي يطلب منه حداه ثم اتسع فيه حتى استعمل في كل مباراة انتهى من حاشية الطيبي
على الكشاف وقال المحققون التحدي الدعوى للرسالة انتهى والشرط الثالث من شروط المعجزة
ان لا ياتي احد بمثل ما اتى به المتحدي على وجه المعارضة وعبر عنه بعضهم بقوله دعوى الرسالة
مع امن المعارضة وهو احسن من التعبير بعدم المعارضة لانه لا يلزم من عدم المعارضة
امتناعها والشرط انما هو عدم امكانها وقد خرج بقيد التحدي الخارق من غير تحد وهو الكرامة
للولي وبالمقارنة الخارق المتقدم على التحدي كاظلال الغمام وشق الصدر الواقعين لنبينا صلى الله
عليه وسلم قبل دعوى الرسالة فانها ليست معجزات انما هي كرامات ظهورها على الاولياء جائز
والانبياء قبل نبوتهم لا يقصرون عن درجة الاولياء فيجوز ظهورها عليهم ايضا وحينئذ يسمى ارهاصا
اي تاسيسا للنبوة كما صرح به العلامة السيد الجرجاني في شرح المواقف وغيره وهو مذهب
جمهور ائمة الاصول وغيرهم وخرج ايضا بقيد المقارنة المتاخر عن التحدي بما يخرجه عن المقارنة
العرفية نحو ما روي بعد وفاته صلى الله عليه وسلم من نطق بعض الموتى بالشهادتين وشبهه
مما تواترت به الاخبار وخرج ايضا بامن المعارضة السحر المقرون بالتحدي فانه يمكن معارضته
بالاتيان بمثله من المرسل اليهم **واختلف** هل السحر قلب الاعيان واحالة الطبائع ام لا فقال
بالاول قائلون حتى جوزوا للساحر ان يقلب الانسان حمارا وذهب آخرون الى ان احدا لا يقدر
على قلب عين ولا احالة طبيعة الا الله تعالى لا نبيا به وان الساحر والصالح لا يقلبان عينا
قالوا ولو جوزنا للساحر ما جاز للنبي فاي فرق عندكم بينهما فان لجأتم الى ما ذكره القاضي (نسخ فخذ)
ابو بكر بن الباقلاني من ان الفرق بالتحدي فقط قيل لكم هذا باطل من وجوه احدها ان اشتراط
التحدي قول لا دليل عليه لا من كتاب ولا سنة ولا من قول صاحب ولا اجماع وما تعرى
من البرهان فهو باطل الثاني ان اكثر آياته صلى الله عليه وسلم واعمها واغلبها كانت بلا تحد
كنطق الحصا ونبع الماء ونطق الجذع والطعام المبين من صاع ونعلة في العين وتكليم الذلع (الذراع)
وشكوى البعير وكذا سائر معجزاته العظام ولعله لم يتحد بغير القرآن وتمني الموت
قالوا فان تقول لا يبقى من الآيات ما يسمى معجزة الا هذين الشيئين ويلغى معجزاته كالبحر
المتقاذف بالامواج ومن قال ان هذه ليست معجزات ولا آيات فهو الى الكفر اقرب منه الى
البدعة قالوا وقد كان عليه الصلاة والسلام يقول عند ورود آية من هذه الآيات
أشهد اني رسول الله كما قال ذلك عند تخلفهم مصداق قوله في الاخبار عن الذي نكى
في المشركين قتلا في المعركة انه من اهل النار فقتل نفسه بحضرة ذلك الذي اتبعه
من المسلمين قالوا الوجه الثالث وهو الدامغ لهذا القول قوله تعالى واقسموا بالله
جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وما يشعركم انها اذا جاءت
لا يؤمنون **وقال تعالى وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون**
فسمى الله تعالى تلك المعجزات المطلوبات من الانبياء آيات ولم يشترط تحديا من غيره

فتبين ان اشتراط التحدي باطل محض انتهى ملخصا من تفسير ابي امامة بن النقاش واجيب بانه
يكفي للتحدي دعوى الرسالة والله اعلم **الرابع من شروط المعجزة** ان تقع على وفق
دعوى المتحدي بها فلو قال مدعي الرسالة اية نبوتي ان تنطق يدي او هذه الدابة فنطقت
يده او الدابة بكذبه فقالت كذب وليس هو نبي فان الكلام الذي خلقه الله تعالى دال على كذب
ذلك المدعي لان ما فعله الله تعالى لم يقع على وفق دعواه كما روي ان مسيلمة الكذاب لعنه الله
تعالى تفل في بير ليكثر ماؤها فغارت وذهب ما فيها من الماء فمتى اختل شرط من هذه لم تكن
معجزة ولا يقال فصيغة ما قلتم انما توفرت فيه الشروط الاربعة من المعجزات لا يظهر الا على ايدي
الصادقين وليس كذلك لان المسيح الدجال يظهر على يديه من الايات العظام ما هو مشهور
كما وردت به الاخبار الصحيحة لان ما ذكرنا فيمن يدعي الرسالة وهذا يدعي الربوبية وقد قام
الدليل العقلي على ان بعثة بعض الخلق غير مستحيلة فلم يبعد ان يقيم الله تعالى الادلة
على صدق مخلوق اتى عنه بالشرع والملة ودلت القواطع على كذب المسيح الدجال فيما يدعيه
للتغير من حال الى حال وغير ذلك من الاوصاف التي تليق بالمحدثات ويتعالى عنها رب البريات
ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فان قلت اي الاسمين احق واولى بما اتت به الانبياء
هل لفظ المعجزة او لفظ الاية او الدليل **فالجواب ان كبار الائمة** يسمون معجزات الانبياء
دلايل النبوة وايات النبوة ولم يرد ايضا في القران لفظ المعجزة بل ولا في السنة
وانما فيهما لفظ الاية والبينة والبرهان كما في قصة موسى فذانك برهانان من ربك في العصى
واليد وفي حق نبينا عليه الصلاة والسلام قد جاءكم برهان من ربكم واما لفظ الاية فكثير
بل هو اكثر من ان تحصر كقوله تعالى واذا جاءتهم اية وان في ذلك لاية واما لفظ المعجز
اذا اطلق فانه لا يدل على كون ذلك اية الا اذا فسر المراد به وذكرت شرايطه وقد كان كثير
من اهل الكلام لا يسمي معجزا الا ما كان للانبياء فقط ومن اثبت للاولياء خوارق عادات سماها
كرامات والسلف كانوا يسمون هذا وهذا معجزا كالامام احمد وغيره بخلاف ما كان اية وبرهانا
على نبوة النبي فان هذا يجب اختصاصه به وقد يسمون الكرامات ايات لكونها تدل على نبوة من
اتبعه ذلك اولى فان الدليل مستلزم للمدلول يمتنع ثبوته بدون ثبوت المدلول فلذلك
ما كان اية وبرهانا انتهى **فاذا علمت** هذا فاعلم ان دلايل نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم
كثيرة والاخبار بظهور معجزاته شهيرة فمن دلايل نبوته ما وجد في التوراة والانجيل وساير
كتب الله المنزلة من ذكره ونعته وخروجه بارض العرب وما خرج بين يدي ايام مولده
ومبعثه من الامور العربية الفادحة في سلطان الكفر الموهنة لكلمتهم المؤيدة لشان العرب
الموهبة لذكرهم كقصة الفيل وما احل الله تعالى باصحابه من العقوبة والنكال وخمود نار فارس
وسقوط شرفات ايوان كسرى وغيض ماء بحيرة ساوه ورويا الموبذان وما سمع من الهواتف
الصارخة بنعوته واوصافه وانتكاس الاصنام المعبودة وخرورها لوجوهها من غير دافع لها
من امكنتها الى ساير ما روي ونقل في الاخبار المشهورة من ظهور العجايب في ولادته وايام
حضانته وبعدها الى ان بعثه الله نبيا ولم يكن له صلى الله عليه وسلم ما يستميل به القلوب من مال
فيطمع فيه ولا قوة يقهر بها الرجال ولا اعوان على الراي الذي اظهره والدين الذي دعا اليه

لشرذمة

وكانوا

وكانوا يجتمعون على عبادة الاصنام وتعظيم الازلام مقيمين على عادة الجاهلية في العصبية
والحمية والتعادي والتباغي وسفك الدماء وشن الغارات لا تجمعهم الفة دين ولا يمنعهم عن سوء
افعالهم نظر في عاقبة ولا خوف عقوبة ولايمة **فالف** صلى الله عليه وسلم بين قلوبهم وجمع
كلمتهم حتى اتفقت الاراء وتناصرت القلوب وترادفت الايدي فصاروا البا واحدا في نصرته
وعنقا واحدا الى طاعته وهجروا بلادهم واوطانهم وجفوا قومهم وعشايرهم في محبته وبذلوا
مهجهم وارواحهم في نصرته ونصبوا وجوههم لوقع السيوف في اعزاز كلمته بلا دنيا بسطها لهم
ولا اموال افاضها عليهم ولا عوض في العاجل اطمعهم في نيله يرجونه او ملك او شرف في الدنيا يحوزونه
بل كان من شانه صلى الله عليه وسلم ان يجعل الغني فقيرا والشريف اسوة الوضيع فهل يلتيم
مثل هذه الامور او يتفق مجموعها لاحد هذا سبيله من قبيل الاختيار العقلي والتدبير الفكري
لا والذي بعثه بالحق وسخر له هذه الامور ما يرتاب عاقل في شيء من ذلك وانما هو امر الهي وشيء
غالب سماوي ناقض للعادات يعجز عن بلوغه قوى البشر ولا يقدر عليه الا من له الخلق والامر
تبارك الله رب العالمين **ومن دلايل** نبوته انه كان عليه السلام اميا لا يخط كتابا بيده ولا يقروه
ولد في قوم اميين ونشا بين اظهرهم في بلد ليس بها عالم يعرف اخبار الماضين ولم يخرج في سفر
ضاربا الى عالم فيعكف عليه فجاءهم باخبار التوراة والانجيل والامم الماضية وقد كانت ذهبت معالم
تلك الكتب ودرست وحرفت عن مواضعها ولم يبق من المتمسكين بها واهل المعرفة بصحيحها
وسقيمها الا القليل ثم حاج كل فريق من اهل الملل المخالفة له بما لو احتشد له حذاق المتكلمين
وجهابذة النقاد المتفننين لم يتهيا له نقض ذلك وهذا ادل شيء على انه امر جاءه من عند الله تعالى
ومن ذلك القران العظيم فقد تحدى بما فيه من الاعجاز ودعاهم الى معارضته والاتيان بسورة
من مثله فنكلوا عنه وعجزوا عن الاتيان بشيء منه قال بعض العلماء ان الذي اورده عليه
السلام على العرب من الكلام الذي اعجزهم عن الاتيان بمثله اعجب في الاية واوضح في الدليل من احيا
الموتى وابراء الاكمه والابرص لانه اتى اهل البلاغة وارباب الفصاحة ورؤساء البيان والمتقدمين
في اللسن بكلام مفهوم المعنى عندهم فكان عجزهم عنه اعجب من عجز من شاهد المسيح عند احيا
الموتى لانهم لم يكونوا يطمعون فيه ولا في ابراء الاكمه والابرص ولا يتعاطون علمه وقريش كانت
تتعاطى الكلام الفصيح والبلاغة والخطابة فدل ان العجز عنه انما كان ليصير علما على رسالته وصحة
نبوته وهذه حجة قاطعة وبرهان واضح **وقال** ابو سليمان الخطابي وقد كان النبي صلى الله
عليه وسلم من عقلاء الرجال عند اهل زمانه بل هو اعقل خلق الله على الاطلاق وقد قطع القول
فيما اخبر به عن ربه تعالى بانهم لا ياتون بمثل ما تحداهم به فقال فان لم تفعلوا ولن تفعلوا
فلولا علمه بان ذلك من عند الله علام الغيوب وانه لا يقع فيما اخبر عنه خلف والا لم يامن له
عقله ان يقطع القول في شيء بانه لا يكون وهو يكون انتهى **وهذا** من احسن ما يقال
في هذا المجال وابدعه واجمله وابينه فانه نادى عليهم بالعجز قبل المعارضة وبالتقصير عن
بلوغ الغرض في المناقضة صارخا بهم على رؤوس الاشهاد فلم يستطع احد منهم الالمام به مع توفر
الدواعي وتظاهر الاجتهاد فقال وكان مما القى اليهم عليما خبيرا قل لئن اجتمعت الانس والجن
على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فرضيت هممهم السريعة

وانفسهم الشريفة الابية بتبعك الدمار وهتك الحريم وقد ورد من الاخبار في قراءة النبي صلى الله عليه وسلم بعض ما نزل عليه على المشركين الذين كانوا من اهل الفصاحة والبلاغة واقرارهم باعجازه جمل كثيرة فمنها ما روي عن محمد بن كعب قال حدثت ان عتبة بن ربيعة قال ذات يوم وهو جالس في نادي قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده في المسجد يا معشر قريش الا اقوم الى هذا فاعرض عليه امورا لعله ان يقبل منا بعضها ويكف عنا قالوا بلى يا ابا الوليد فقام عتبة حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث فيما قاله عتبة وفيما عرض عليه من المال وغير ذلك فلما فرغ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افرغت يا ابا الوليد قال نعم قال فاسمع مني قال افعل فقال صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم حتى بلغ قرانا عربيا فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقراوها عليه فلما سمعها عتبة انصت لها والقى بيديه خلف ظهره معتمدا عليهما ليسمع منه حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السجدة فسجد فيها ثم قال سمعت يا ابا الوليد قال سمعت فانت وذاك فقام عتبة الى اصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم ابو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به فلما جلس اليهم قالوا ما وراءك يا ابا الوليد قال اني والله قد سمعت قولا ما سمعت بمثله قط والله ما هو بالشعر ولا السحر ولا الكهانة يا معشر قريش اطيعوني خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبا قال فاجابني بشيء ما هو بسحر ولا شعر ولا كهانة قرا بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم حتى بلغ فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسكت فمه وناشدته الرحم ان يكف وقد علمتم ان محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب رواه البيهقي وغيره **وفي حديث** اسلام ابي ذر ووصف اخاه انيسا فقال والله ما سمعت باشعر من اخي انيس لقد ناقض اثني عشر شاعرا في الجاهلية انا احدهم وانه انطلق الى مكة وجاء الى ابي ذر بخبر النبي صلى الله عليه وسلم قلت فما يقول الناس قال يقولون شاعر كاهن ساحر لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعته على اقراء الشعر فلم يلتئم ولا يلتئم على لسان احد بعدي انه شعر وانه لصادق وانهم لكاذبون رواه مسلم والبيهقي **وعن** عكرمة في قصة الوليد بن المغيرة وكان زعيم قريش في الفصاحة انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم اقرا علي فقرا عليه ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى الى اخر الاية قال فاعد فاعاد صلى الله عليه وسلم فقال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وما يقول هذا البشر فقال لقومه والله ما فيكم رجل اعلم بالاشعار مني ولا اعلم برجزه ولا باشعار الجن والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا والله ان لقوله الذي يقول لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه ليعلو وما يعلى **وفي** خبره الاخر حين جمع قريش عند حضور الموسم وقال ان وفود العرب ترد فاجمعوا فيه رايا لا يكذب بعضكم بعضا فقالوا نقول هو كاهن قال والله ما هو بكاهن ما هو بزمزمته ولا سجعه قالوا مجنون قال وما هو بمجنون ولا بخنقه ولا بوسوسته قالوا فنقول شاعر قال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه ما هو بشاعر قالوا فنقول ساحر قال ما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده

قالوا فما نقول قال ما انتم قائلون من هذا شيئا الا وانا اعرف انه باطل رواه ابن اسحق والبيهقي **واخرج** ابو نعيم من طريق ابن اسحق حدثني اسحق بن يسار عن رجل من بني سلمة قال لما اسلم فتيان بني سلمة قال عمرو بن الجموح لابنه اخبرني ما سمعت من كلام هذا الرجل فقرا عليه الحمد لله رب العالمين الى قوله الصراط المستقيم فقال ما احسن هذا واجمله او كل كلامه مثل هذا فقال يا ابت واحسن من هذا **وقال** بعض العلماء ان هذا القران لو وجد مكتوبا في مصحف في فلاة من الارض ولم يعلم من وضعه هناك لشهدت العقول السليمة انه منزل من عند الله وان البشر لا قدرة لهم على تاليف ذلك فكيف اذا جاء على يد اصدق الخلق وابرهم واتقاهم وقال انه كلام الله وتحدى الخلق كلهم ان ياتوا بسورة من مثله فعجزوا فكيف يبقى مع هذا اشك فيه انتهى **واعلم** ان وجوه اعجاز القران لا تنحصر لكن قال بعضهم انه قد اختلف العلماء في اعجازه على ستة اوجه **احدها** ان وجه اعجازه هو الايجاز والبلاغة مثل قوله ولكم في القصاص حياة فجمع في كلمتين عدد حروفهما عشرة احرف معاني كلام كثير **وحكى** ابو عبيد ان اعرابيا سمع رجلا يقرا فاصدع بما تؤمر فسجد وقال سجدت لفصاحة هذا الكلام وسمع اخر يقرا فلما استياسوا منه خلصوا نجيا فقال اشهد ان مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام **وحكى** الاصمعي انه راى جارية خماسية او سداسية وهي تقول

استغفر الله من ذنوبي كلها فقلت لها مم تستغفرين ولم يجر عليك قلم فقالت

استغفر الله لذنبي كله ... قتلت انسانا لغير حله

مثل غزال ناعم في دله ... انتصف الليل ولم اصله

فقلت قاتلك الله ما افصحك فقالت او تعد هذا فصاحة بعد قوله تعالى واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فجمع في اية واحدة بين امرين ونهيين وخبرين وبشارتين **وحكى** ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يوما نائما في المسجد فاذا هو برجل قائم على راسه يتشهد شهادة الحق فاعلمه انه من بطارقة الروم ممن يحسن كلام العرب وغيرها وانه سمع رجلا من اسرى المسلمين يقرا اية من كتابكم فتاملتها فاذا قد جمع الله فيها ما انزل على عيسى بن مريم من احوال الدنيا والاخرة وهي قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه الاية **وقد** رام قوم من اهل الزيغ والالحاد اوتوا طرفا من البلاغة وحظا من البيان ان يضعوا شيئا يلبسون به فلم يجدوه مكان النجم من يد المتناول ولما لوا الى السور القصار كسورة الكوثر والنصر واشباههما لوقوع الشبهة على الجهال فيما قل عدد حروفه لان العجز انما يقع في التاليف والاتصال وممن رام ذلك من العرب في التشبيه بالسور القصار مسيلمة الكذاب فقال يا ضفدع بنت ضفدعين نقي كم تنقين اعلاك في الماء واسفلك في الطين لا الماء تكدرين ولا الشراب تمنعين فلما سمع ابو بكر رضي الله عنه هذا قال ان هذا الكلام لم يخرج من ال اي من ربوبية والال بالكسر هو الله تعالى وقيل الال الاصل الجيد اي لم يجئ من الاصل الذي جاء منه القران **ولما** سمع مسيلمة عليه اللعنة قرئ والنازعات قال والمبذرات زرعا والحاصدات حصدا والذاريات قمحا والطاحنات طحنا والخابزات خبزا والثاردات ثردا واللاقمات لقما لقد فضلتم على اهل الوبر وما سبقكم اهل المدر الى غير

وذلك مِنَ الهذيان مما ذكرت في الوفود من المعتمد الثاني بعضه والله اعلم وقال آخر الزركيف
فعل ربك بالحبلى اخرج من بطنها نسمة تسعى من بين شراسيف واحشى وقال آخر
الفيل وما الفيل وما ادراك ما الفيل له ذنب وبيل ومشفر طويل وان ذلك من خلق ربنا
لقليل ففي هذا الكلام مع قلة حروفه من السخافة ما لا خفاء به على من لا يعلم فضلا عمن يعلم
الثاني ان اعجازه هو الوصف الذي صار به خارجا عن جنس كلام العرب من النظم والنثر والخطب
والشعر والرجز والسجع فلا يدخل في شيء منها ولا يختلط بها مع كون الفاظه وحروفه من جنس
كلامهم ومستعملة في نثرهم ونظمهم ولذلك تحيرت عقولهم وتدلهت احلامهم ولم يهتدوا
الى مثله في حسن كلامهم فلا ريب انه من فصاحته قد قرع القلوب ببديع نظمه وفي بلاغته
قد اصاب المعاني بصايب سهمه فانه حجة الله الواضحه ومحجته اللايحه ودليله القاهر
وبرهانه الباهر لما رام معارضته شقي الا تهافت تهافت الفراش في الشهاب وذل ذل النقد
لسول اللبوث الغضاب وحكي عن غير واحد ممن تصدي لذلك انه اعترته روعة وهيبة كفته
عن ذلك كما حكي عن يحيى بن حكم الغزال بتخفيف الزاي وقد تشدد وكان بليغ الاندلس في زمانه
انه قد رام شيئا من هذا فنظر في سورة الاخلاص ليحذو على مثالها وينسج بزعمه على منوالها
فاعترته منه خشية ورقة حملته على التوبة والانابة وحكي ايضا ان ابن المقفع وكان افصح
اهل وقته طلب ذلك ورامه ونظم كلاما وجعله مفصلا وسماه سورا فاجتاز يوما بصبي
يقرأ في مكتب قوله تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر
الاية فرجع ومحى ما عمل وقال اشهد ان هذا لا يعارض ابدا وما هو من كلام البشر ولله در
العارف سيدي محمد وفا حيث قال يعني النبي صلى الله عليه وسلم والقران المعظم

لذا آية الفرقان في عين جمعه ∗ جوامع آيات بها اتضح الرشد
حديث تنزه عن حدوث منزه ∗ قديم صفات الذات ليس له ضد
بلاغ بليغ للبلاغة معجز ∗ له معجزات لا يحد لها عد
تحلت بروح الوحي حلة نسجه ∗ عقود اعتقاد لا يحل لها عقد
وغاية ارباب البلاغة عجزهم ∗ لديه وان كانوا هم الالسن اللد
فاكمه الافك اعياه عيه ∗ بصدي وللاسماع عن غيه صد
فلله اقوام بها جر هجرها ∗ هو انابها الورها والبهم البلد
تلاها فتل الحسن في القبح وجهها ∗ وعن ريبها الالباب نزهها الزهد
لقد فرق الفرقان شمل فريقه ∗ بجمع رسول الله واستعلن الرشد
اتى بالهدى صلى عليه الهه ∗ ولم يلبه بالاهواء اذ جاءه الجد

والثالث ان وجه اعجازه هو ان قارئه لا يمله وسامعه لا يمجه بل الاكباب على تلاوته
تزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة وطلاوة لا يزال غضا طريا وغيره من الكلام ولو بلغ
في الحسن والبلاغة ما بلغ يمل مع الترديد ويعادي اذا اعيد وكتابنا يستلذ به في الخلوات
ويؤنس بتلاوته في الازمات وسواه من الكتب لا يوجد فيها ذلك حتى احدث لها اصحابها
لحونا وطرقا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على قراءتها ولهذا وصف صلى الله عليه وسلم

القرآن

القرآن بانه لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عبره ولا تفنى عجائبه هو الفصل ليس بالهزل
لا يشبع منه العلماء ولا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة هو الذي لم تلبث الجن
حين سمعته ان قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد اشار اليه القاضي عياض
والرابع ان وجه اعجازه هو ما فيه من الاخبار بما كان مما علموه ولم يعلموه فاذا سألوا
عنه عرفوا صحته وتحققوا صدقه كالذي حكاه من قصة اهل الكهف وشان موسى
والخضر عليهما السلام وحال ذي القرنين وقصص الانبياء مع اممها والقرون الماضية
في دهرها والخامس ان وجه اعجازه هو ما فيه من علم الغيب والاخبار بما يكون فيوجد على
صدقه وصحته مثل قوله تعالى لليهود قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة من دون
الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ثم قال ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم فما تمناه احد
منهم ومثل قوله لقريش فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فقطع بانهم لا يفعلوا فلم يفعلوا وتعضد
بان الغيوب التي اشتمل عليها القرآن وقع بعضها في زمنه صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى
انا فتحنا لك فتحا مبينا وبعضها بعده كقوله تعالى الم غلبت الروم فلو كان كما قالوا لنا زعموا
وقع المتوقع وبان الاخبار عن الغيب جاء في بعض سور القرآن واكتفى منهم بمعارضته سورة
غير معينة فلو كان كذلك لعارضوه بقدر اقصر سورة لا غيب فيها والسادس ان وجه
اعجازه هو كونه جامعا لعلوم كثيرة لم يتعاط العرب الكلام فيها ولا يحيط بها من علماء الامم
واحد منهم ولا يشتمل عليها كتاب بين الله تعالى فيه خبر الاولين والاخرين وحكم المختلفين
وثواب المطيعين وعقاب العاصين فهذه ستة اوجه يصح ان يكون كل واحد منها اعجازا
فاذا جمعها القرآن فليس لاختصاص احدها بان يكون معجزا اولى من غيره فيكون الاعجاز بجميعها
وقد قال تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان
بعضهم لبعض ظهيرا فلم يقدر احد ان ياتي بمثل القرآن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بعده
على نظمه وتاليفه وعذوبة منطقه وصحة معانيه وما فيه من الامثال والاشياء التي دلت
على البعث واباته والانباء بما كان ويكون وما فيه من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والامتناع
من اراقة الدماء وصلة الرحم الى غير ذلك فكيف يقدر على ذلك احد وقد عجزت عنه العرب الفصحاء
والخطباء والبلغاء والشعراء النبهاء في قريش وغيرها وهو صلى الله عليه وسلم في مدة عمره
قبل نبوته واداء رسالته اربعين سنة لا يحسن نظم كتاب ولا عقد حساب ولا يتعلم سحرا
ولا ينشد شعرا ولا يحفظ خبرا ولا يروي اثرا حتى اكرمه الله بالوحي المنزل والكتاب المفصل
فدعاهم اليه وحاجهم به قال الله تعالى وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا
لارتاب المبطلون واما ما عدا القرآن من معجزاته عليه الصلاة والسلام كنبع الماء من بين
اصابعه وتكثير الطعام ببركته وانشقاق القمر ونطق الجماد فمنه ما وقع التحدي به ومنه ما وقع دالا
على صدقه من غير سبق تحد ومجموع ذلك يفيد القطع بانه على يده صلى الله عليه وسلم من خوارق
العادات شيء كثير كما يقطع بوجود حاتم وشجاعة علي فان كانت افراد ذلك ظنية وردت موارد الاحاد
مع ان كثيرا من المعجزات قد اشتهر ورواه العدد الكثير والجم الغفير وافاد الكثير منه القطع عند اهل
العلم بالاثار والعناية النبوية بالسير والاخبار وان لم يصل عند غيرهم الى هذه المرتبة لعدم عنايتهم

قال لعيار الله ما لفظه عليكم والامر الكريم محمد بن
فكيف يمكن قبله الا لا تعقلون ذلك ثم جا بحال
قال تعالى

بذلك **فلو ادعي** مدع ان غالب هذه الوقايع مفيد القطع النظري لما كان مستبعدا او ذلك انه لا مرية ان رواة الاخبار في كل طبقة قد حدثوا بهذه الاخبار في الجملة ولا يحفظ احد من اصحابه مخالفة الراوي فيما حكاه من ذلك ولا الانكار عليه فيما هنالك فيكون الساكت منهم كالناطق لان مجموعهم محفوظ من الاعتصاب على الباطل وعلي تقدير ان يوجد من بعضهم انكار او طعن علي بعض من روي شيئا من ذلك فانما هو من جهة توقف في صدق الراوي او تهمته بكذب او توقف في ضبطه او نسبته الي سوء الحفظ او بجواز الغلط ولا يوجد احد منهم طعن في المروي كما وجد منهم في غير هذا الفن من الاحكام وحروف القران ونحو ذلك والله اعلم **وانت اذا تاملت معجزاته** وباهر اياته وكراماته عليه الصلاة والسلام وجدتها شاملة للعلوي والسفلي والصامت والناطق والساكن والمتحرك والمايع والجامد والسابق واللاحق والغايب والحاضر والباطن والظاهر والعاجل والاجل الي غير ذلك مما لو اعيد لطال كالرمي بالشهب الثواقب ومنع الشياطين من استراق السمع في الغياهب وتسليم الحجر والشجر عليه وشهادتهما له بالرسالة بين يديه ومخاطبتها له بالسيادة وحنين الجذع ونبع الماء من كفه في الميضاة والتنور والمزادة وانشقاق القمر ورد العين من العور ونطق البعير والذيب والجمل وكالنور المتوارث من ادم الي جبهة ابيه من الازل وما سوي ذلك من المعجزات التي تداولتها الحملة ونقلتها عن السنة الاول النقلة مما لو اعملنا انفسنا في حصرها لفني المدا في ذكرها ولو بالغ الاولون والاخرون في احصا مناقبه لعجزوا عن استقصا ما حباه الكريم به من مواهبه ولو كان الملم بساحل بحرها مقتصرا عن حصر بعض نحرها ولقد صح لمحبيه ان ينشد وا فيه

٥ وعلي تفنن واصفيه بحسنه ٥ يفني الزمان وفيه ما لم يوصف ٥

وانشد لخليق بمن ينشد

٥ فما بلغت كف امري متناول ٥ من المجد الا والذي نال اطول ٥
٥ ولا بلغ المهدون في القول مدحة ٥ ولو حذقوا الا الذي فيه افضل ٥

ولله در امام العارفين سيدي محمد وفا فلقد كفي وشفي بقوله

٥ ما شيت قل فيه فانت مصدق ٥ فالحب يقضي والمحاسن تشهد ٥

ولقد ابدع الامام الاديب شرف الدين الابوصيري حيث قال

٥ دع ما ادعته النصارى في نبيهم ٥ واحكم بما شيت مدحا فيه واحتكم ٥
٥ وانسب الي ذاته ما شيت من شرف ٥ وانسب الي قدره ما شيت من عظم ٥
٥ فان فضل رسول الله ليس له ٥ حد فيعرب عنه ناطق بفم ٥

يعني ان المداح وان انتهوا الي اقصي الغايات والنهايات لا يصلون الي شاوه اذ لا حد له **ويحكي** انه روي الشيخ عمر بن الفارض السعدي في النوم فقيل له لم لا مدحت النبي صلي الله عليه وسلم فقال

٥ اري كل مدح في النبي مقصرا ٥ وان بالغ المثني عليه واكثرا ٥
٥ اذا الله اثني بالذي هو اهله ٥ عليه فما مقدار ما يمدح الوري ٥

قال الشيخ بدر الدين الزركشي ولهذا لم يتعاط فحول الشعراء المتقدمين كابي تمام والبحتري وابن الرومي مدحه صلي الله عليه وسلم وكان مدحه عندهم من اصعب ما يحاولونه فان المعاني دون مرتبته والاوصاف دون وصفه وكل غلو في حقه تقصير فيضيق علي البليغ مجال النظم وعند

التحقيق

التحقيق اذا اعتبرت جميع الامداح التي فيها غلو بالنسبة الي من قرضت له وجدتها صادقة في حق النبي صلي الله عليه وسلم حتي كان الشعراء علي صحابته عليه الصلاة والسلام كانوا يعتمدون والي امداحه كانوا يقصدون وقد اشار الابوصيري بقوله دع ما ادعته النصارى الي ما امرت النصارى به عيسى بن مريم من اتخاذه الها قال النيسابوري انهم صحفوا في الانجيل عيسى نبيي وانا ولدته فحرفوا الاول بتقديم البا الموحدة وخففوا اللام في الثاني فلعنة الله علي الكافرين **فان قلت هل ادعي احد** في نبينا عليه السلام ما ادعي في عيسى **اجيب** بانهم قد كادوا ان يفعلوا نحو ذلك حين قالوا له عليه السلام افلا نسجد لك فقال لو كنت امرا احدا ان يسجد للبشر لامرت المراة ان تسجد لزوجها فنهاهم عما عساه يبلغ بهم من العبادة **وقد جا** في صفته في حديث ابن ابي هالة ولا يقبل الثنا الا من مكافي اي مقارب في مدحه غير مفرط فيه قال ابن قتيبة معناه الا ان يكون ممن له صلي الله عليه وسلم منة فيكافيه الاخر وغلطه الانباري بانه لا ينفك احد من انعام رسول الله صلي الله عليه وسلم لان الله عز وجل بعثه رحمة للعالمين فالثنا عليه فرض عليهم لا يتم الاسلام الا به قال وانما المعني لا يقبل الثنا الا من رجل عرف حقيقة اسلامه ثم ان حاصل معجزاته وباهر اياته وكراماته كما نبه عليه القطب القسطلاني يرجع الي ثلاثة اقسام ما هو وجد قبل كونه فقضي بمجده ومستقبل وقع بعد مواراته في لحده وكاين معه في حين حمله ووضعه الي ان نقله الله الي محل فضله ومواطن جمعه **فاما القسم الاول** الماضي وهو ما كان قبل ظهوره الي هذا الوجود فقد ذكرت منه جملة في المقصد الاول كقصة الفيل وغيره ذلك مما هو تاسيس لنبوته وارهاص لرسالته قال الامام الرازي ومذهبنا انه يجوز تقديم المعجزة تاسيسا وارهاصا قال ولذلك قالوا كانت الغمامة تظله يعني في سفره قبل النبوة خلافا للمعتزلة القايلين انه لا يجوز ان تكون المعجزة قبل الارسال انتهي وقد تقدم اول هذا المقصد ان الذي عليه جمهور ايمة الاصول وغيرهم ان هذا ونحوه مما هو متقدم علي الدعوي لا يسمي معجزة بل تاسيسا للرسالة وكرامة للرسول عليه الصلاة والسلام **واما القسم الثاني** وهو ما وقع بعد وفاته صلي الله عليه وسلم فكثير جدا اذ في كل حين يقع لخواص امته من خوارق العادات بسببه ما يدل علي تعظيم قدره الكريم مما لا يحصي كالاستغاثة به وغيره ذلك مما ساتي ان شا الله تعالى في المقصد الاخير في اثنا الكلام علي زيارة قبره المنير **واما القسم الثالث** وهو ما كان معه من حين ولادته الي وفاته فكالنور الذي خرج معه حتي اضاءت له قصور الشام واسواقها حتي رويت اعناق الابل ببصري ومسح الطاير علي فواده حتي لم يجد الما لولادته والطواف به في الافاق الي غير ذلك **وكانشقاق القمر** عند اقتراحهم عليه وانضمام الشجر بين يديه حين دعاها اليه وكاطعام الجيش الكثير من النزر اليسير في عدة من المواضع واستنكار العجايب وغيره ذلك مما امده الله تعالى به من المعجزات واكرمه به من خوارق العادات تايدا لاقامة حجته وتمهيدا لهداية محجته وتابيدا لسيادته في كل امة وتشديدا لمن ادرك بعد امته مما تتبعه يخرج عن مقصود الاختصار اذ هو باب فسيح المجال منيع المنال لكني اتيت من ذلك علي نبذة يسيرة وانوه في اثنايها بجملة خطيرة فاقول وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب **اما معجزة انشقاق القمر** فقد قال الله تعالى في كتابه العزيز اقتربت الساعة وانشق القمر

الاية والمراد وقوع انشقاقه ويؤيده قوله تعالى بعد ذلك وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر فان ذلك ظاهر في ان المراد بقوله انشق وقوع انشقاقه لان الكفار لا يقولون ذلك يوم القيامة واذا تبين ان قولهم ذلك انما هو في الدنيا تبين وقوع الانشقاق وانه المراد بالاية التي زعموا انها سحر وسياتي ذلك صريحا في حديث ابن مسعود وغيره واعلم ان القمر لم ينشق لاحد غير نبينا صلى الله عليه وسلم وهو من امهات معجزاته عليه الصلاة والسلام وقد اجمع المفسرون واهل السنة على وقوعه لاجله صلى الله عليه وسلم فان كفار قريش لما كذبوه ولم يصدقوه طلبوا منه اية تدل على صدقه في دعواه فاعطاه الله تعالى هذه الاية العظيمة التي لا قدرة لبشر على ايجادها دالة على صدقه عليه الصلاة والسلام في دعواه الوحدانية لله تعالى وانه منفرد بالربوبية وان هذه الالهة التي يعبدونها باطلة لا تنفع ولا تضر وان العبادة لا تكون الا لله وحده لا شريك له **قال** الخطابي انشقاق القمر اية عظيمة لا يكاد يعدلها شيء من ايات الانبياء وذلك انه ظهر في ملكوت السموات خارجا عن جملة طباع ما في هذا العالم المركب من الطبايع فليس مما يطمع في الوصول اليه بحيلة فلذلك صار البرهان به اظهر انتهى وقال ابن عبد البر قد روى هذا الحديث يعني انشقاق القمر عن جماعة كثيرة من الصحابة وروى ذلك عنهم امثالهم من التابعين ثم نقله عنهم الجم الغفير الى ان انتهى الينا وتايد بالاية الكريمة انتهى **وقال** العلامة ابن السبكي في شرحه مختصر ابن الحاجب والصحيح عندي ان انشقاق القمر متواتر منصوص عليه في القران مروي في الصحيحين وغيرهما من طرق من حديث شعبة عن سليمان عن ابرهيم عن ابي معمر عن ابن مسعود ثم قال وله طرق اخرى شتى بحيث لا يمترى في تواتره انتهى وقد جاءت احاديث الانشقاق في روايات صحيحة عن جماعة من الصحابة منهم انس وابن مسعود وابن عباس وعلي وحذيفة وجبير بن مطعم وابن عمر وغيرهم فاما انس وابن عباس فلم يحضرا ذلك لانه كان بمكة قبل الهجرة بنحو خمس سنين وكان ابن عباس اذ ذاك لم يولد واما انس فكان ابن اربع او خمس بالمدينة واما غيرهما فيمكن ان يكون شاهد ذلك **وفي الصحيحين** من حديث انس رضي الله عنه ان اهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يريهم اية فاراهم انشقاق القمر شقتين حتى راوا حراء بينهما وقوله شقتين بكسر الشين المعجمة اي نصفين **ومن حديث ابن مسعود** قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا **وفي الترمذي** من حديث ابن عمر في قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر قال قد كان ذلك على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انشق فلقتين فلقة دون الجبل وفلقة خلف الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا **وعند الامام احمد** من حديث جبير بن مطعم قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين فرقة على هذا الجبل وفرقة على هذا الجبل فقالوا سحرنا محمد فقالوا ان كان سحرنا فانه لا يستطيع ان يسحر الناس وعن عبد الله بن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كفار قريش هذا سحر ابن ابي كبشة قال فقالوا انظروا ما ياتيكم به السفار فان محمدا لا يستطيع ان يسحر الناس كلهم قالوا فجاء السفار فاخبروهم بذلك رواه ابو داود الطيالسي ورواه البيهقي بلفظ انشق القمر بمكة فقالوا سحركم

ابن ابي كبشة فسلوا السفار فان كانوا راوا ما رايتم فقد صدق وان لم يكونوا راوا ما رايتم فهو سحر سحركم به فسالوا السفار وقد قدموا من كل وجه فقالوا رايناه **وعند ابي نعيم** في الدلائل من وجه ضعيف عن ابن عباس قال لما اجتمع المشركون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم الوليد ابن المغيرة وابو جهل بن هشام والعاصي بن وايل والاسود بن المطلب والنضر بن الحارث ونظراؤهم فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت صادقا فاشقق لنا القمر فرقتين فسال ربه فانشق **وعند البخاري** مختصرا من حديث ابن عباس بلفظ ان القمر انشق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عباس وان كان لم يشاهد القصة كما قدمته ففي بعض طرقه انه حمل الحديث عن ابن مسعود **وعند مسلم** من حديث شعبة عن قتادة بلفظ فاراهم انشقاق القمر مرتين **وكذا في مصنف عبد الرزاق** عن معمر بلفظ مرتين ايضا **واتفق الشيخان** عليه من رواية شعبة عن قتادة بلفظ فرقتين كما في حديث جبير عند احمد وفي حديث ابن عمر فلقتين باللام كما قدمته **وفي لفظ** في حديث جبير فانشق باثنتين **وفي رواية** عن ابن عباس عند ابي نعيم في الدلائل فصار قمرين **ووقع في نظم السيرة** للحافظ ابي الفضل العراقي وانشق مرتين بالاجماع **قال الحافظ ابن حجر** واظن قوله بالاجماع يتعلق بانشق لا بمرتين فاني لا اعلم من جزم من علماء الحديث بتعدد الانشقاق في زمنه صلى الله عليه وسلم ولعل قايل مرتين اراد فرقتين وهذا الذي لا يتجه غيره جمعا بين الروايات وقد وقع في رواية البخاري من حديث ابن مسعود ونحن بمنى وهذا لا يعارض قول انس ان ذلك كان بمكة لانه لم يصرح بانه عليه الصلاة والسلام كان ليلتئذ بمكة فالمراد ان الانشقاق كان وهم بمكة قبل ان يهاجروا الى المدينة والله اعلم **وقد انكر هذه المعجزة جماعة من المبتدعة** كجمهور الفلاسفة متمسكين بان الاجرام العلوية لا يتهيأ فيها الانخراق والالتيام وكذا قالوه في فتح ابواب السماء ليلة الاسراء الى غير ذلك **وجواب هؤلاء** ان كانوا كفارا ان يناظروا اولا على ثبوت دين الاسلام فاذا تمت اشتركوا مع غيرهم ممن انكر ذلك من المسلمين ومتى سلم المسلم بعض ذلك دون بعض لزمه التناقض ايضا فلا سبيل له الى انكار ما ثبت في القران من الانخراق والالتيام في القيامة واذا ثبت هذا استلزم الجواز ووقوعه معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم **وقد اجاب القدماء** عن ذلك فقال ابو اسحق الزجاج في معاني القران انكر بعض المبتدعة الموافقين لمخالفي الملة انشقاق القمر ولا انكار للعقل فيه لان القمر مخلوق لله يفعل فيه ما يشاء كما يكوره يوم القيامة ويفنيه انتهى **واما قول** بعض الملاحدة لو وقع هذا النقل متواترا واشترك اهل الارض كلهم في معرفته ولم يختص بها اهل مكة لانه امر صدر عن حس ومشاهدة فالناس فيه شركاء والدواعي متوفرة على رواية كل غريب ونقل ما لم يعهد ولو كان لذلك اصل لخلد في كتب التسيير والتنجيم اذ لا يجوز اطباقهم على تركه واغفاله مع جلالة شانه ووضوح امره **فاجاب عنه الخطابي** وغيره بان هذه القصة خرجت عن الامور التي ذكروها لانه شيء طلبه خاص من الناس فوقع ليلا لان القمر لا سلطان له بالنهار ومن شان الليل ان يكون الناس فيه نياما ومستكنين في الابنية والبارز منهم بالصحراء اذا كان يقظانا يحتمل

في [illegible] الخرق والالتيام في الاجرام [illegible]

ان يتفق انه كان في ذلك الوقت مشغولا بما يلهيه من سمر وغيره ومن المستبعد ان يقصدوا
الى مراكز القمر ناظرين اليه لا يغفلون عنه فقد يجوز انه وقع ولم يشعر به اكثر الناس وانما
رآه من تصدى لرؤيته ممن اقترح وقوعه ولعل ذلك انما كان في قدر اللحظة التي هي مدرك
البصر وقد يكون القمر حينئذ في بعض المنازل التي تظهر لبعض اهل الافاق دون بعض كما يكون
ظاهرا لقوم غائبا عن قوم وكما يجد الكسوف اهل بلد دون اهل بلد آخر وقد ابدى الخطابي حكمة
بالغة في كون المعجزات المحمدية لم يبلغ شيء منها مبلغ التواتر الذي لا نزاع فيه الا القرآن
بما حاصله ان معجزة كل نبي كانت اذا وقعت عامة اعقبت هلاك من كذب بها من قومه
والنبي صلى الله عليه وسلم بعث رحمة للعالمين فكانت معجزته التي تحدى بها عقلية فاختص
بها القوم الذين بعث منهم لما اوتوه من فضل العقول وزيادة الافهام ولو كان ادراكها عاما
لعوجل من كذب بها كما عوجل من قبلهم انتهى وكذا اجاب ابن عبد البر بنحوه **تنبيه** مما يذكره
بعض القصاص ان القمر دخل في جيب النبي صلى الله عليه وسلم وخرج من كمه فليس له اصل
كما حكاه الشيخ بدر الدين الزركشي عن شيخه العماد بن كثير واما رد الشمس له صلى الله عليه
وسلم فروي عن اسماء بنت عميس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يوحى اليه وراسه في حجر
علي رضي الله عنه فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
أصليت يا علي قال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انه كان في طاعتك
وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قالت اسماء فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعدما غربت
ووقفت على الجبال والارض وذلك بالصهباء في خيبر رواه الطحاوي في مشكل الحديث
كما حكاه القاضي عياض في الشفاء وقال قال الطحاوي ان احمد بن صالح كان يقول لا ينبغي
لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث اسماء بنت عميس لانه من علامات النبوة انتهى
قال بعضهم هذا الحديث ليس بصحيح وان اوهم تخريج القاضي عياض له في الشفاء
عن الطحاوي من طريقين فقد ذكره ابن الجوزي في الموضوعات وقال انه موضوع بلا شك
وفي سنده احمد بن داود وهو متروك الحديث كذاب كما قاله الدارقطني وقال ابن حبان
كان يضع الحديث **قال ابن الجوزي** وقد روى هذا الحديث ابن شاهين فذكره ثم قال
وهذا حديث باطل قال ومن تغفل واضعه انه نظر الى صورة فضيلة ولم يلمح عدم الفائدة
فيها وان صلاة العصر بغيبوبة الشمس تصير قضاء ورجوع الشمس لا يعيدها اداء انتهى
وقد افرد ابن تيمية تصنيفا مفردا في الرد على الروافض ذكر فيه الحديث بطرقه ورجاله
وانه موضوع والعجب من القاضي مع جلالة قدره وعلو خطره في علوم الحديث كيف سكت
عنه موهما صحته وناقلا ثبوته موثقا رجاله انتهى وقال الشيخ قال احمد لا اصل له وتبعه
ابن الجوزي فاورده في الموضوعات ولكن قد صححه الطحاوي والقاضي عياض واخرجه ابن منده
وابن شاهين من حديث اسماء بنت عميس وابن مردويه من حديث ابي هريرة رضي الله عنه
انتهى ورواه الطبراني في معجمه الكبير باسناد حسن كما حكاه شيخ الاسلام ابن العراقي في شرح
التقريب عن اسماء بنت عميس ولفظه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بالصهباء
ثم ارسل عليا في حاجة فرجع وقد صلى النبي صلى الله عليه وسلم العصر فوضع عليه الصلاة

والسلام رأسه

واسه في حجر علي فنام فلم يحركه حتى غابت الشمس فقال عليه الصلاة والسلام اللهم ان عبدك عليا
احتبس بنفسه على نبيه فرد عليه الشمس قالت اسماء فطلعت عليه الشمس حتى وقعت على الجبال
وعلى الارض وقام علي فتوضأ وصلى العصر ثم غابت وذلك بالصهباء **وفي لفظ آخر**
كان عليه الصلاة والسلام اذا نزل عليه الوحي يغشى عليه فانزل عليه يوما وهو في حجر علي
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم صليت العصر قال لا يا رسول الله فدعا الله فرد عليه الشمس
حتى صلى العصر قالت فرأيت الشمس طلعت بعدما غابت حين ردت حتى صلى العصر **قال**
وروى الطبراني ايضا في معجمه الاوسط باسناد حسن عن جابر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم امر الشمس فتأخرت ساعة من نهار وروى يونس بن بكير في زيادة
المغازي في روايته عن ابن اسحق مما ذكره القاضي عياض لما اسري بالنبي صلى الله عليه
وسلم واخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير قالوا متى تجيء قال يوم الاربعاء فلما كان
ذلك اليوم اشرفت قريش ينظرون وقد ولى النهار ولم تجئ فدعا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه الشمس انتهى وهذا يعارضه قوله في الحديث
الصحيح لم تحبس الشمس لاحد الا ليوشع بن نون يعني حين قاتل الجبارين يوم الجمعة فلما
ادبرت الشمس خاف ان تغيب قبل ان يفرغ منهم ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فيه فدعا الله
فرد عليه الشمس حتى فرغ من قتالهم قال الحافظ ابن كثير فيه ان هذا كان من خصائص يوشع
فيدل على ضعف الحديث الذي رويناه ان الشمس رجعت حتى صلى علي بن ابي طالب وقد صححه
احمد بن صالح المصري ولكنه منكر ليس في شيء من الصحاح والحسان وهو مما يتوفر الدواعي على نقله
وتفردت بنقله امرأة من اهل البيت مجهولة لا يعرف حالها انتهى ويحتمل الجمع بان المعنى لم تحبس
على احد من الانبياء غيري الا ليوشع والله اعلم وكذا روي حبس الشمس لنبينا صلى الله عليه وسلم
ايضا يوم الخندق حين شغل عن صلاة العصر فيكون حبس الشمس مخصوصا بنبينا صلى الله
عليه وسلم وبيوشع كما ذكره القاضي عياض في الاكمال وعزاه لمشكل الآثار ونقله النووي
في شرح مسلم في باب حل الغنائم عن عياض وكذا الحافظ ابن حجر في باب الاذان من تخريج
احاديث الرافعي ومغلطاي في الزهر الباسم واقروه **وتعقب** بان الثابت في الصحيح وغيره
انه صلى الله عليه وسلم صلى العصر في وقعة الخندق بعدما غربت الشمس كما سبق في غزوتها
وذكر البغوي في تفسيره انها حبست لسليمان عليه السلام ايضا لقوله ردوها علي **ونوزع**
فيه بعدم ذكر الشمس في الآية فالمراد الصافنات الجياد والله اعلم قال القاضي عياض واختلف
في حبس الشمس المذكور هنا فقيل ردت على ادراجها وقيل وقفت ولم ترد وقيل بطؤ حركتها
قال وكل ذلك من معجزات النبوة انتهى واما ما روي **من طاعات الجمادات** وتكليمها له
بالتسبيح والسلام ونحو ذلك مما وردت به الاخبار **فمنها تسبيح الطعام والحصا في كفه**
الشريف صلى الله عليه وسلم خرج محمد بن يحيى الذهبي في الزهريات قال اخبرنا ابو اليمان
قال انبأنا شعيب عن الزهري قال ذكر الوليد بن سويد ان رجلا من بني سليم كبير السن كان ممن
ادرك ابا ذر بالربذة عن ابي ذر قال هجرت يوما من الايام فاذا النبي صلى الله عليه وسلم قد خرج
من بيته فسألت عنه الخادم فاخبرني انه ببيت فاتيته وهو جالس ليس عنده احد من الناس وكأني

حينئذ اري انه في وحي فسلمت عليه فرد السلام ثم قال ما جاء بك قلت الله ورسوله فأمرني
أن أجلس فجلست الي جنبه لا اساله عن شيء ولا يذكره لي فمكثت غير كثير فجاء ابو بكر يمشي مسرعا
فسلم عليه فرد عليه السلام ثم قال ما جاء بك قال جاء بي الله ورسوله فاشار بيده ان اجلس فجلس
الي ربوة مقابل النبي صلي الله عليه وسلم ثم جاء عمر ففعل مثل ذلك وقال له رسول الله صلي الله عليه
وسلم مثل ذلك وجلس الي جنب ابي بكر ثم جاء عثمان كذلك وجلس الي جنب عمر ثم قبض رسول الله
صلي الله عليه وسلم حصيات سبع او تسع او ما قرب من ذلك فسبحن في يده حتي سمع لهن حنين
كحنين النحل في كف رسول الله صلي الله عليه وسلم ثم ناولهن ابا بكر وجاوزني فسبحن
في كف ابي بكر ثم اخذهن منه فوضعهن في الارض فخرسن وصرن حصي ثم ناولهن عمر
فسبحن في كفه كما سبحن في كف ابي بكر ثم اخذهن منه فوضعهن في الارض فخرسن
ثم ناولهن عثمان فسبحن في كفه كنحو ما سبحن في كف ابي بكر وعمر ثم اخذهن فوضعهن
في الارض فخرسن وقال الحافظ ابن حجر وقد اشتهر علي الالسنة تسبيح الحصا ففي حديث
ابي ذر قال تناول النبي صلي الله عليه وسلم سبع حصيات فسبحن في يده حتي سمعت
لهن حنينا ثم وضعهن في يد ابي بكر فسبحن ثم وضعهن في يد عمر فسبحن ثم وضعهن
في يد عثمان فسبحن اخرجه البزار والطبراني في الاوسط وفي رواية الطبراني فسمع تسبيحهن
من في الحلقة ثم دفعهن الينا فلم يسبحن مع احد منا قال البيهقي في الدلائل كذا رواه صالح
ابن الاخضر ولم يكن بالحافظ عن الزهري عن سويد بن يزيد السلمي عن ابي ذر والمحفوظ
ما رواه شعيب بن ابي حمزة عن الزهري قال ذكر الوليد بن سويد ان رجلا من بني سليم
كان كبير السن انتهي وليس لحديث تسبيح الحصا الا هذه الطريق الواحدة مع ضعفها لكنه
مشهور عند الناس وما احسن قول سيدي محمد وفا حيث قال

لسبحة ذاك الوجه قد سبح الحصا ۞ ومن سح سحب الكف قد سبح الرعد ۞

وقال آخر

يا حبذا الوليمة كفا ۞ قد سبحت وسطها الحصاء ۞

وقد اخرج البخاري من حديث ابن مسعود كنا ناكل مع النبي صلي الله عليه وسلم الطعام
ونحن نسمع تسبيح الطعام وعن جعفر بن محمد عن ابيه مرض النبي صلي الله عليه وسلم فاتاه
جبريل بطبق فيه رمان وعنب فاكل منه النبي صلي الله عليه وسلم فسبح رواه القاضي عياض
في الشفاء ونقله عنه الحافظ ابو الفضل في فتح الباري واعلم ان التسبيح من قبيل الالفاظ
الدالة علي معني التنزيه واللفظ يوجد حقيقة ممن قام به اللفظ فيكون في غير من قام به
مجازا فالطعام والحصا والشجر ونحو ذلك كل منها متكلم باعتبار خلق الكلام فيه حقيقة وهذا
من قبيل خرق العادات وفي قوله ونحن نسمع تسبيحه تصريح بكرامة الصحابة بسماع هذا التسبيح
وفهمه وذلك ببركته صلي الله عليه وسلم **ومن ذلك تسليم الحجر عليه** صلي الله عليه وسلم
خرج مسلم من حديث جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم اني لاعرف
حجرا بمكة كان يسلم علي النبي صلي الله عليه وسلم قبل ان ابعث اني لاعرفه الآن **وقد
اختلف** في هذا الحجر فقيل هو الحجر الاسود وقيل حجر غيره بزقاق يعرف به بمكة والناس
يتبركون بلمسه ويقولون انه هو الذي كان يسلم علي النبي صلي الله عليه وسلم متي اجتاز به

وقد ذكر الامام ابو عبد الله محمد بن رشيد بضم الراء في رحلته مما ذكره في سفاء الغرام عن علم الدين
احمد بن ابي بكر بن خليل قال اخبرني عمي سليمان قال اخبرني محمد بن اسماعيل بن ابي الصيف
قال اخبرني ابو حفص الميانشي قال اخبرني كل من لقيته بمكة ان هذا الحجر يعني المذكور هو الذي
كلم النبي صلي الله عليه وسلم وروي الترمذي والدارمي والحاكم وصححه عن علي بن ابي طالب
قال كنت امشي مع النبي صلي الله عليه وسلم بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله شجر
ولا حجر الا قال السلام عليك يا رسول الله وعن عايشة قالت قال رسول الله صلي الله عليه
وسلم لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا امر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله
رواه البزار وابو نعيم وعن جابر بن عبد الله قال لم يكن النبي صلي الله عليه وسلم يمر بحجر
ولا شجر الا سجد له **ومن ذلك تامين اسكفة الباب وحوائط البيت علي دعائه**
عليه الصلاة والسلام عن ابي اسيد الساعدي قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم
للعباس بن عبد المطلب يا ابا الفضل لا ترم منزلك انت وبنوك غدا حتي آتيكم فان لي فيكم حاجة
فانتظروه حتي جاء بعدما اضحي فدخل عليهم فقال السلام عليكم فقالوا وعليك السلام ورحمة الله
وبركاته قال كيف اصبحتم قالوا اصبحنا بخير نحمد الله فقال لهم تقاربوا فتقاربوا يزحف بعضهم
الي بعض حتي اذا امكنوه اشتمل عليهم بملاءته فقال يا رب هذا عمي وصنو ابي وهؤلاء اهل بيتي
فاسترهم من النار كستري اياهم بملاءتي هذه قال فامنت اسكفة الباب وحوائط البيت فقالت
آمين آمين آمين رواه البيهقي في الدلائل وابن ماجة مختصرا **ومن ذلك كلامه للجبل
وكلام الجبل له صلي الله عليه وسلم** عن انس قال صعد النبي صلي الله عليه وسلم
وابو بكر وعمر وعثمان احدا فرجف بهم فضربه النبي صلي الله عليه وسلم برجله وقال اثبت احد
فانما عليك نبي وصديق وشهيدان رواه احمد والبخاري والترمذي وابو حاتم قال ابن المنير
قيل الحكمة في ذلك انه لما رجف اراد الرسول صلي الله عليه وسلم ان يبين ان هذه الرجفة
ليست من جنس رجفة الجبل بقوم موسي لما حرفوا الكلم وان تلك رجفة الغضب وهذه
هزة الطرب ولهذا نص علي مقام النبوة والصديقية والشهادة التي توجب سرور ما اتصلت
به لا رجفانه فاقر الجبل بذلك فاستقر انتهي واحد جبل بالمدينة **وهو الذي** قال فيه
احد يحبنا ونحبه رواه البخاري ومسلم واختلف في المراد بذلك فقيل اراد به اهل المدينة
كما قال تعالي واسأل القرية اي اهلها قاله الخطابي وقال البغوي فيما حكاه المنذري الاولي
اجراوه علي ظاهره ولا ينكر وصف الجمادات بحب الانبياء والاولياء واهل الطاعة كما حنت الاسطوانة
علي مفارقته صلي الله عليه وسلم حتي سمع الناس حنينها الي ان سكنها وكما اخبر ان حجرا كان
يسلم عليه قبل الوحي فلا ينكر ان يكون جبل احد وجميع اجزاء المدينة تحبه وتحن الي لقائه حال
مفارقته اياها انتهي **قال** الحافظ المنذري وهذا الذي قاله البغوي جيد وعن ثمامة عن
ابن عثمان ان رسول الله صلي الله عليه وسلم كان علي ثبير مكة ومعه ابو بكر وعمر وانا فتحرك الجبل
حتي تساقطت حجارته بالحضيض فركضه برجله وقال اسكن ثبير فانما عليك نبي وصديق وشهيدان
خرجه النسائي والترمذي والدارقطني **والحضيض** القرار من الارض عند منقطع الجبل
وركضه برجله اي ضربه بها وعن ابي هريرة ان رسول الله صلي الله عليه وسلم كان علي حراء هو

وابوبكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحركت الصخرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اسكن حراء فما عليك الا نبي او صديق او شهيد وفي رواية وسعد بن ابي وقاص ولم يذكر عليا
خرجهما مسلم وانفرد بذلك وخرجه الترمذي ايضا عن سعيد بن زيد وذكر انه كان عليه العشرة
الا ابا عبيدة وقال اثبت حرا وكذا رواه الخلعي عنه بنحوه ولم يذكر ابا عبيدة بن الجراح ورواه
ايضا الحافظ اسحق البغدادي فيما رواه الكبار عن الصغار والابا عن الابنا ولله در القايل

وما لحراء تحته فرحا به ۞ فلولا مقال اسكن تضعضع وانقضا ۞

وحرا وثبير جبلان متقابلان معروفان بمكة واختلاف الروايات يحمل على انها قضايا تكررت قاله
الطبري وغيره لكن صحح الحافظ ابن حجر انه احد قال ولولا اتحاد المخرج لجوزت تعدد القصة
ثم ظهر لي ان الاختلاف فيه من سعيد فاني وجدته في مسند الحارث بن ابي اسامة عن روح
ابن عبادة فقال فيه احد او حراء بالشك وقد اخرجه احمد من حديث بريدة بلفظ حرا واسناده
صحيح واخرجه ابو يعلى من حديث سهل بن سعد بلفظ احد واسناده صحيح فقوي احتمال تعدد
القصة واخرج مسلم من حديث ابي هريرة ما يويد تعدد القصة فذكر انه كان على حرا ومعه
المذكورون هنا وزاد معهم غيرهم ولما طلبته عليه الصلاة والسلام قريش قال له ثبير
اهبط يا رسول الله فاني اخاف ان يقتلوك على ظهري فيعذبني الله فقال له حراء الي يا رسول الله
رواه في الشفا وهو حديث مروي في الهجرة من السير وحرا مقابل لثبير والوادي بينهما
وهما على يسار السالك الى منى وحراء قبلي ثبير مما يلي شمال الشمس وهذه الواقعة غير واقعة
نور فجر الهجرة كما هو الظاهر فالله اعلم قال السهيلي في حديث الهجرة واحسب في الحديث ان
ثورا ناداه ايضا لما قال له ثبير اهبط عني ومن ذلك كلام الشجر له وسلامها عليه وطواعيتها له
بالرسالة صلى الله عليه وسلم اخرج البزار وابو نعيم من حديث عايشة قالت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما اوحي الي جعلت لا امر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله
وخرج الامام احمد عن ابي سفيان طلحة بن نافع قال جاء جبريل الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ذات يوم وهو جالس حزين قد خضب بالدما ضربه بعض اهل مكة فقال له ما لك
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل بي هولاء وفعلوا فقال له جبريل اتحب ان اريك اية
فقال نعم قال فنظر الى شجرة من وراء الوادي فقال ادع تلك الشجرة فدعاها قال فجاءت
تمشي حتى قامت بين يديه فقال مرها فلترجع الى مكانها فامرها فرجعت الى مكانها فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبي حسبي ورواه الدارمي من حديث انس وعن علي
قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله جبل
ولا شجر الا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله رواه الترمذي وقال حديث حسن
غريب وخرج الحاكم في مستدركه باسناد جيد عن ابن عمر قال كنا مع النبي صلى الله عليه
وسلم في سفر فاقبل اعرابي فلما دنا منه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اين تريد
قال الى اهلي قال هل الى خير قال وما هو قال تشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له
وان محمدا عبده ورسوله قال هل لك من شاهد على ما تقول قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم هذه الشجرة فدعاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي على شاطى الوادي

فاقبلت

فاقبلت تخد الارض خدا فقامت بين يديه فاستشهدها ثلاثا فشهدت ثم رجعت الى منبتها
الحديث ورواه الدارمي ايضا بنحوه وقوله تخد بضم الخاء المعجمة وتشديد الدال المهملة
اي تشق الارض وعن بريدة سال اعرابي النبي صلى الله عليه وسلم اية فقال له قل لتلك
الشجرة رسول الله يدعوك قال فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت
عروقها ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالت السلام عليك يا رسول الله قال الاعرابي مرها فلترجع الى منبتها فرجعت
ودلت عروقها في ذلك الموضع فاستقرت فقال الاعرابي ايذن لي اسجد لك قال لو امرت
احدا ان يسجد لاحد لامرت المراة ان تسجد لزوجها رواه البزار وعن ابن عباس رضي الله
عنه قال جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بما اعرف انك نبي الله قال
ان دعوت هذا العذق من هذه النخلة تشهد اني رسول الله فدعاه رسول الله صلى الله
عليه وسلم فجعل ينزل من النخلة حتى سقط الى النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال ارجع
فعاد فاسلم الاعرابي رواه الترمذي وصححه وفي حديث يعلى بن مرة الثقفي ثم سرنا
حتى نزلنا منزلا فنام النبي صلى الله عليه وسلم فجاءت شجرة تشق الارض حتى غشيته
ثم رجعت الى مكانها فلما استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت له فقال هي شجرة
استاذنت ربها في ان تسلم علي فاذن لها الحديث رواه البغوي في شرح السنة وفي حديث
جابر بن عبد الله سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلنا واديا افيح فذهب رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته فاتبعته باداوة من ماء فنظر رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلم ير شيا يستتر به فاذا شجرتان في شاطي الوادي فانطلق رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى احداهما فاخذ بغصن من اغصانها فقال انقادي علي باذن الله تعالى فانقادت
معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قايده ثم فعل بالاخرى كذلك حتى اذا كان بالمنصف بينهما
قال التئما علي باذن الله فالتاما الحديث رواه مسلم والمنصف بفتح الميم الموضع الوسط بين
الموضعين والتلاوم الاجتماع ولله در الابوصيري حيث قال

جاءت لدعوته الاشجار ساجدة ۞ تمشي اليه على ساق بلا قدم ۞
كانما سطرت سطرا لما كتبت ۞ فروعها من بديع الخط في اللقم ۞

فشبه اثر مشي الشجرة لما جاءت اليه صلى الله عليه وسلم بكتابة كاتب اوقعها على نسبة
معلومة في اسطر منظومة واذا كانت الاشجار تبادر لامتثال امره صلى الله عليه وسلم
حتى تخر ساجدة بين يديه فنحن اولى بالمبادرة لامتثال ما ادعي اليه زاده الله شرفا لديه
وتامل قول الاعرابي ايذن لي ان اسجد لك لما راى من سجود الشجرة فراى انه احرى بذلك
حتى اعلمه عليه الصلاة والسلام ان ذلك لا يكون الا لله فحق على كل مومن ان يلازم السجود
للحق المعبود ويقوم على ساق العبودية وان لم يكن له قدم كما قامت الشجرة ومن ذلك
حنين الجذع شوقا اليه صلى الله عليه وسلم اعلم ان الحنين مصدر مضاف الى الفاعل
والمراد شوقه وانعطافه الى النبي صلى الله عليه وسلم والذي في الاحاديث المسوقة هنا
انه صوت ولعل المراد منه الدلالة على الشوق اي الصوت الدال على شوقه الى رسول الله

حنين الجذع شوقا اليه

صلى الله عليه وسلم والجذع واحد جذوع النخل وهو بالذال المعجمة وقد روى حنين الجذع من جماعة من الصحابة من طرق كثيرة تفيد القطع بوقوع ذلك قال العلامة التاج ابن السبكي في شرح مختصر ابن الحاجب والصحيح عندي ان حنين الجذع متواتر رواه البخاري عن نافع عن ابن عمر ورواه احمد من رواية ابي حباب عن ابيه عن ابن عمر ورواه ابن ماجة وابو يعلى الموصلي وغيرهما من رواية حماد بن سلمة عن ثابت عن انس واسناده على شرط مسلم ورواه الترمذي وصححه وابو يعلى وابن خزيمة والطبراني وصححه وقال على شرط مسلم يلزمه اخراجه من رواية إسحق بن عبد الله بن ابي طلحة عن انس ورواه الطبراني من رواية الحسن عن انس ورواه احمد وابن منيع والطبراني وغيره من رواية حماد بن سلمة عن عمار بن عامر عن ابن عباس ورواه احمد والدارمي وابو يعلى وابن ماجة وغيرهم من رواية الطفيل بن ابي بن كعب عن ابيه ورواه الدارمي من رواية ابي حازم عن سهل بن سعد ورواه ابو محمد الجوهري من رواية عبد العزيز ابن ابي رواد عن نافع عن تميم الداري ثم قال وكنت ادعي ان التواتر حاصل بما عددت من الطرق بل من طرق اخرى كثيرة يجدها المحدث ضمن المسانيد والاجزاء وغيرها وانما ذكرت في المشاهد منها او بعضها ورب متواتر عند قوم غير متواتر عند اخرين انتهى **وقال** الحافظ ابن حجر في فتح الباري حنين الجذع وانشقاق القمر نقل كل منهما نقلا مستفيضا يفيد القطع عند من يطلع على طرق الحديث دون غيرهم ممن لا ممارسة له في ذلك والله اعلم انتهى وقال البيهقي قصة حنين الجذع من الامور الظاهرة التي حملها الخلف عن السلف انتهى وهذه الاية من اكبر الايات والمعجزات الدالة على نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم قال الشافعي فيما نقله ابن ابي حاتم عنه في مناقبه ما اعطى الله نبيا ما اعطى الله نبينا عليه الصلاة والسلام فقيل له اعطى عيسى احياء الموتى قال اعطى محمدا حنين الجذع حتى سمع صوته فهي اكبر من ذلك وقال القاضي عياض حديث حنين الجذع مشهور منتشر والخبر به متواتر اخرجه اهل الصحيح ورواه من الصحابة بضعة عشر منهم ابي بن كعب وجابر بن عبد الله وانس بن مالك وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وسهل ابن سعد وابو سعيد الخدري وبريدة وام سلمة والمطلب بن ابي وداعة انتهى **فاما حديث ابي فرواه الشافعي** من حديث الطفيل بن ابي بن كعب عن ابيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الى جذع اذ كان المسجد عريشا وكان يخطب الى ذلك الجذع فقال رجل من اصحابه هل لك ان نجعل لك منبرا تقوم عليه يوم الجمعة وتسمع الناس خطبتك **قال نعم فصنع له ثلاث درجات** هي التي على المنبر فلما صنع ووضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم موضعه الذي هو فيه فكان اذا بدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخطب عليه تجاوز الجذع الذي كان يخطب اليه خار حتى تصدع وانشق **فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم** لما سمع صوت الجذع فمسحه بيده ثم رجع الى المنبر الحديث **واما حديث جابر** فرواه البخاري من طرق **وفي لفظ له** ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم يوم الجمعة الى شجرة او نخلة فقالت امراة من الانصار او رجل من الانصار الا نجعل لك منبرا قال ان شئتم فجعلوا له منبرا فلما كان يوم الجمعة رفع الى المنبر فصاحت النخلة فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وضمها اليه فجعلت تئن أنين الصبي الذي يسكن قال كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها

وفي لفظ

وفي لفظ قال جابر بن عبد الله كان المسجد مسقوفا على جذوع النخل فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب يقوم الى جذع منها فلما صنع المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار وهو بكسر العين النوق الحوامل **وفي حديث ابي الزبير** عن جابر عند النسائي في الكبرى اضطربت تلك السارية كحنين الناقة الخلوج انتهى **والخلوج** بفتح الخاء المعجمة وضم اللام الخفيفة وآخره جيم الناقة التي ينزع منها ولدها **والحنين** هو صوت المتألم المشتاق عند الفراق وانما يشتاق الى بركة الرسول ويأسف على مفارقته اعقل العقلاء والعقل والحنين بهذا الاعتبار يستدعي الحياة وهذا يدل على ان الله عز وجل خلق فيه الحياة والعقل والشوق ولهذا حن وان فان قيل مذهب الشيخ ابي الحسن الاشعري ان الاصوات لا يستلزم خلقها في المحل خلق الحيوة ولا العقل اجيب بانه كذلك ولكن لم يجعل الحيوة لازمة الا ان الشوق الى الحق شوقا معنويا عقليا لا طبيعيا بهيميا ومذهب الشيخ ابي الحسن ان الذكر المعنوي والكلام النفسي يستلزمان الحياة استلزام العلم لها وقد بينا ان هذه المعاني وجدت في الجذع والملأ الحاضرون حينئذ على صوته انه حنين وفهموا انه شوق الى الذكر والى مقام الحبيب عنده وقد عامله النبي صلى الله عليه وسلم هذه المعاملة فالتزمه كما يلتزم الغائب اهله واعزته يبرد غليل شوقهم اليه واسفهم عليه ولله در القائل حيث قال

وحن اليه الجذع شوقا ورقة ... ورجع صوتا كالعشار مرددا
فبادره ضما فقر لوقته ... لكل امرئ من دهره ما تعودا

واما حديث انس فرواه ابو يعلى الموصلي بلفظ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوم الجمعة يسند ظهره الى جذع منصوب في المسجد فخطب الناس فجاءه رومي فقال الا اصنع لك شيئا تقعد عليه كانك قائم فصنع له منبرا له درجتان ويقعد على الثالثة فلما قعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر خار الجذع كخوار الثور ارتج المسجد لخواره حزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنبر فالتزمه وهو يخور فلما التزمه سكت ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لو لم التزمه لما زال هكذا حتى تقوم الساعة حزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر به صلى الله عليه وسلم فدفن ورواه الترمذي وقال صحيح غريب وكذا رواه ابن ماجة والامام احمد من طريق الحسن عن انس ولفظه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب يوم الجمعة يسند ظهره الى خشبة فلما كثر الناس قال ابنوا لي منبرا اراد ان يسمعهم فبنوا له عتبتين فتحول من الخشبة الى المنبر قال فاخبرني انس بن مالك انه سمع الخشبة تحن حنين الواله قال فما زالت تحن حتى نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فمشى اليها فاحتضنها فسكنت ورواه ابو القاسم البغوي وزاد فيه فكان الحسن اذا حدث بهذا الحديث بكى ثم قال يا عباد الله الخشبة تحن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا اليه لمكانه من الله فانتم احق ان تشتاقوا الى لقائه ولله در القائل حيث قال

والقى حنينا في الجمادات حتى ... فكانت لاهداء السلام له تهدى
وفارق جذعا كان يخطب عنده ... فان انين الام اذ تجد الفقدا
يحن اليه الجذع يا قوم هكذا ... اما نحن اولى ان نحن له وجدا
اذا كان جذع لم يطق بعد ساعة ... فليس وفاء ان نطيق له بعدا

وأما حديث سهل بن سعد ففي الصحيحين من طرق وأما حديث ابن عباس فعند الامام احمد باسناد على شرط مسلم ورواه ابن ماجة وأما حديث ابن عمر ففي البخاري وأما حديث ابي سعيد الخدري فعند عبد بن حميد **وأما حديث عائشة** فعند البيهقي وفي اخره انه خير الجذع بين الدنيا والاخرة **وأما حديث بريدة فعند الدارمي** وفيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان شئت اردك الى الحائط الذي كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمرة وان شئت اغرسك في الجنة فتأكل اولياء الله من ثمرك ثم اصغى الله النبي صلى الله عليه وسلم يسمع ما يقول فقال بل تغرسني في الجنة فيأكل مني اولياء الله واكون في مكان لا أبلى فيه فسمعه من يليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد فعلت ثم قال اختار دار البقا على دار الفنا **وأما حديث ام سلمة** فعند ابي نعيم في الدلايل والقصة واحدة وما في الفاظها مما ظاهره التغاير هو من الرواة وعند التحقيق ترجع الى معنى واحد فلا نطيل بذكر ذلك والله اعلم **وأما كلام الحيوانات** وطاعتها له صلى الله عليه وسلم **فمنها** سجود الجمل وشكواه اليه صلى الله عليه وسلم عن انس بن مالك رضي الله عنه قال كان أهل بيت من الانصار لهم جمل يسنون عليه وانه استصعب عليهم فمنعهم ظهره وان الانصار جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انه كان لنا جمل نسني عليه وانه استصعب علينا ومنعنا ظهره وقد عطش النخل والزرع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه قوموا فقاموا فدخل الحائط والجمل في ناحية فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوه فقالت الانصار يا رسول الله قد صار مثل الكلب الكلب وانا نخاف عليك صولته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس علي منه بأس فلما نظر الجمل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل نحوه حتى خر ساجدا بين يديه فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بناصيته أذل ما كان قط حتى ادخله في العمل فقال له اصحابه يا رسول الله هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك ونحن نعقل فنحن أحق أن نسجد لك فقال صلى الله عليه وسلم لا يصلح لبشر ان يسجد لبشر ولو صلح لبشر لأمرت المراة ان تسجد لزوجها من عظم حقه عليها **رواه احمد والنسائي** والحائط هو البستان وقوله نسني عليه بالنون والسين المهملة أي نستقي عليه **وفي حديث** يعلى بن مرة الثقفي بينا نحن مع النبي صلى الله عليه وسلم اذ مررنا ببعير يسنى عليه فلما رآه البعير جرجر فوضع جرانه فوقف عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال اين صاحب هذا البعير فجاءه فقال بعنيه فقال بل نهبه لك يا رسول الله وانه لاهل بيت ما لهم معيشة غيره فقال اما اذ ذكرت هذا من أمره فانه شكى كثرة العمل وقلة العلف فاحسنوا اليه رواه البغوي في شرح السنة والجران بكسر الجيم قال ابن فارس مقدم عنق البعير من مذبحه الى منحره **وروى الامام أحمد قصة اخرى نحو ما تقدم** من حديث جابر ضعيفة والبيهقي باسناد جيد وكذا روى الطبراني قصة اخرى عن عكرمة عن ابن عباس لكن باسناد ضعيف والامام احمد ايضا من حديث يعلى بن مرة واخرج ابن شاهين في الدلايل عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما قال اردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم خلفه فاسر الي حديثا لا احدث به احدا من الناس قال وكان احب ما استتر به النبي صلى الله عليه وسلم لحاجته هدف او حايش

نخل

نخل فدخل حايط رجل من الانصار فاذا جمل فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم حن وذرفت عيناه فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم فمسح ذفراه **وفي رواية** فسكن ثم قال من رب هذا الجمل لمن هذا الجمل فجاء فتى من الانصار فقال هذا لي يا رسول الله فقال الا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله اياها فانه شكى الي انك تجيعه وتدئبه قال في المصباح وهو حديث صحيح قال ورواه ابو داود عن موسى بن اسمعيل عن مهدي بن ميمون والحايش بالحاء المهملة وبالشين المعجمة ممدودا هو جماعة النخل لا واحد له من لفظه وقوله ذفراه تثنية ذفرى بكسر الذال المعجمة مقصور وهو الموضع الذي يعرق من قفا البعير عند اذنه **ومنها سجود الغنم** له صلى الله عليه وسلم عن انس بن مالك قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم حايطا للانصار ومعه ابو بكر وعمر ورجل من الانصار وفي الحايط غنم فسجدت له فقال ابو بكر يا رسول الله نحن أحق بالسجود لك من هذه الغنم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لاحد ان يسجد لاحد رواه ابو محمد عبد الله بن حامد الفقيه في كتاب دلايل النبوة باسناد ضعيف وذكره القاضي في الشفاء وذكر ايضا عن جابر بن عبد الله عن رجل اتى النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به وهو على بعض حصون خيبر وكان في غنم يرعاها لهم فقال يا رسول الله كيف لي بالغنم قال احصب وجوهها فان الله سيؤدي عنك امانتك ويردها الى اهلها ففعل فسارت كل شاة حتى دخلت الى اهلها **ومنها قصة كلام الذئب وشهادته له صلى الله عليه وسلم** أعلم انه قد جاء حديث قصة الذئب في عدة طرق من حديث ابي هريرة وانس وابن عمر وابي سعيد الخدري فاما حديث ابي سعيد فرواه الامام احمد باسناد جيد ولفظه قال عدى الذئب على شاة فأخذها فطلبه الراعي فانتزعها منه فاقعى الذئب على ذنبه وقال الا تتقي الله تنزع مني رزقا ساقه الله الي فقال الراعي يا عجبا ذيب مقع على ذنبه يكلمني بكلام الانس فقال الذئب الا اخبرك باعجب من ذلك محمد بيثرب يخبر الناس بانباء ما قد سبق قال فاقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة فزواها الى زاوية من زواياها ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنودي بالصلاة جامعة ثم خرج فقال للاعرابي اخبرهم فاخبرهم وأما حديث عمر فأخرجه ابو سعيد الماليني والبيهقي واما حديث انس فأخرجه ابو نعيم في الدلايل واما حديث ابي هريرة فرواه سعيد بن منصور في سننه قال جاء الذئب فأقعى بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يبصبص بذنبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا وافد الذئاب جاء يسألكم ان تجعلوا له من اموالكم شيئا قالوا والله لا نفعل واخذ رجل من القوم حجرا رماه به فادبر الذئب وله عواء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذئب وما الذئب وروى البغوي في شرح السنة واحمد وابو نعيم بسند صحيح عن ابي هريرة ايضا قال جاء ذئب الى راعي غنم فأخذ منها شاة فطلبه الراعي حتى انتزعها منه قال فصعد الذئب على تل فاقعى واستثفر وقال عمدت الى رزق رزقنيه الله اخذته ثم انتزعته مني فقال الرجل تالله ان رأيت كاليوم ذئبا يتكلم فقال الذئب أعجب من هذا رجل في النخلات بين الحرتين يخبركم بما مضى وما هو كاين بعدكم قال وكان الرجل يهوديا فجاء الى النبي صلى الله

كلام الذيب

عليه وسلم فأخبره فأسلم فصدقه النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال صلى الله عليه وسلم
انها أمارات بين يدي الساعة قد اوشك الرجل ان يخرج فلا يرجع حتى تحدثه نعلاه وسوطه
بما أحدث أهله بعده واستثفر بالسين والمثناة ثم المثلثة والفاء آخره راء كاستفعل
أي جعل ذنبه بين رجليه كما يفعل الكلب قال القاضي عياض وفي بعض الطرق عن ابي
هريرة فقال الذئب انت اعجب مني واقفا على غنمك وتركت نبيا لم يبعث الله قط اعظم منه
عنده قدرا قد فتحت له ابواب الجنة واشرف أهلها على اصحابه ينظرون قتالهم وما بينك
وبينه الا هذا الشعب فتصير في جنود الله قال الراعي من لي بغنمي قال الذئب انا ارعاها
حتى ترجع فأسلم الرجل اليه غنمه ومضى وذكر قصته واسلامه ووجود النبي صلى الله
عليه وسلم يقاتل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم عد الى غنمك تجدها بوفرها فوجدها
كذلك وذبح للذئب شاة منها وقد روى ابن وهب مثل هذا انه جرى لابي سفيان بن حرب
وصفوان بن امية مع ذئب وجداه أخذ ظبيا فدخل الظبي الحرم فانصرف الذئب فعجبا
من ذلك فقال الذئب اعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم الى الجنة وتدعونه
الى النار فقال ابو سفيان واللات والعزى لئن ذكرت هذا بمكة لتتركنها خلوفا بعنم الخاء
المعجمة أي فاسدة متغيرة يعني بوقع الفساد والتغيير في أهلها **ومن ذلك الحمار**
أخرج ابن عساكر عن ابي منظور قال لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر أصاب
حمارا اسود فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمار فكلمه الحمار فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما اسمك قال يزيد بن شهاب أخرج الله من نسل جدي ستين حمارا كلهم لا يركبه
الا نبي وقد كنت اتوقعك ان تركبني لم يبق من نسل جدي غيري ولا من الانبياء غيرك قد كنت
قبلك لرجل يهودي وكنت اتعثر به عمدا وكان يجيع بطني ويضرب ظهري فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم فانت يعفور فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثه الى باب الرجل
فيأتي الباب فيقرعه برأسه فاذا خرج اليه صاحب الدار أومأ اليه أن اجب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما قبض صلى الله عليه وسلم جاء الى بئر كانت لابي الهيثم بن التيهان
فتردى فيها جزعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه ابو نعيم بنحوه من حديث
معاذ بن جبل لكن الحديث مطعون فيه وذكره ابن الجوزي في الموضوعات **وفي معجزاته
عليه السلام** ما هو اعظم من كلام الحمار وغيره **ومن ذلك** حديث الضب وهو
مشهور على الالسنة ورواه البيهقي في احاديث كثيرة لكنه حديث غريب ضعيف
قال المزي لا يصح اسنادا ولا متنا وذكره القاضي عياض في الشفا وقد روي من حديث
عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في محفل من اصحابه اذ جاء اعرابي من بني سليم
قد صاد ضبا جعله في كمه ليذهب به الى رحله فيشويه ويأكله فلما رأى الجماعة
قال من هذا قالوا نبي الله فاخرج الضب من كمه وقال واللات والعزى لا امنت بك أو يؤمن
هذا الضب وطرحه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه
وسلم يا ضب فاجابه بلسان مبين يسمعه القوم جميعا لبيك وسعديك يا زين من وافى
القيامة قال من تعبد قال الذي في السماء عرشه وفي الارض سلطانه وفي البحر سبيله

وفي الجنة رحمته وفي النار عقابه قال فمن انا قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين
وقد افلح من صدقك وخاب من كذبك فاسلم الاعرابي الحديث بطوله وهو مطعون فيه
وقيل انه موضوع لكن معجزاته عليه السلام فيها ما هو ابلغ من هذا وليس فيه ما ينكر
شرعا خصوصا وقد رواه الائمة فنهايته الضعف لا الوضع والله اعلم **ومن ذلك
حديث الغزالة** روى حديثها البيهقي من طرق وضعفه جماعة من الائمة لكن طرقه يقوي
بعضها بعضا وذكره القاضي عياض في الشفا ورواه ابو نعيم في الدلائل باسناد فيه مجاهيل
عن حبيب بن محصن عن ام سلمة رضي الله عنها قالت بينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم في صحراء من الارض اذا هاتف يهتف يا رسول الله ثلاث مرات فالتفت فاذا ظبية
مشدودة في وثاق واعرابي منجدل في شملة نائم في الشمس قال ما حاجتك قالت
صادني هذا الاعرابي ولي خشفان في ذلك الجبل فاطلقني حتى اذهب فارضعهما وارجع
قال وتفعلين قالت عذبني الله عذاب العشار ان لم اعد فاطلقها فذهبت ورجعت
فاوثقها النبي صلى الله عليه وسلم فانتبه الاعرابي وقال يا رسول الله ألك حاجة قال
تطلق هذه الظبية فاطلقها فخرجت تعدو في الصحراء فرحا وهي تضرب برجليها الارض
وتقول أشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله وكذا رواه الطبراني بنحوه وساق الحافظ
المنذري حديثه في الترغيب والترهيب من باب الزكوة ونقل شيخنا العلامة الحافظ
ابو الخير السخاوي عن ابن كثير انه لا اصل له وان من نسبه الى النبي صلى الله عليه
وسلم فقد كذب ثم قال شيخنا لكنه ورد في الجملة في عدة احاديث يتقوى بعضها
ببعض اوردها شيخ الاسلام ابن حجر في المجلس الحادي والستين من تخريج احاديث المختصر
والله أعلم وفي شرح مختصر ابن الحاجب للعلامة ابن السبكي وتسبيح الحصا رواه الطبراني
وابن أبي عاصم من حديث ابي ذر وتسليم الغزالة رواه الحافظ ابو نعيم الاصبهاني والبيهقي
في دلائل النبوة ونحن نقول فيهما انهما وان لم يكونا اليوم متواترين فلعلهما استغني عنهما
بنقل غيرهما او لعلهما تواترا اذ ذاك انتهى **ومن ذلك** داجن البيوت وهو ما الفها من الحيوان
كالطير والشاة وغيرهما روى قاسم بن ثابت عن عائشة رضي الله عنها قالت كان عندنا
داجن فاذا كان عندنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قر وثبت مكانه فلم يجئ ولم يذهب
واذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء وذهب وذكره القاضي عياض بسنده
واما نبع الماء الطهور من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم وهو اشرف المياه
فقال القرطبي قصة نبع الماء من بين اصابعه قد تكررت منه صلى الله عليه وسلم في عدة
مواطن في مشاهد عظيمة وردت من طرق كثيرة يفيد مجموعها العلم القطعي المستفاد
من التواتر المعنوي ولم يسمع بمثل هذه المعجزة عن غير نبينا صلى الله عليه وسلم حيث
نبع الماء من بين عظمه وعصبه ولحمه ودمه وقد نقل ابن عبد البر انه قال نبع الماء
من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم ابلغ في المعجزة من نبع الماء من الحجر حيث ضربه موسى
بالعصا فتفجرت منه المياه لان خروج الماء من الحجارة معهود بخلاف خروج الماء من بين اللحم
والدم انتهى وقد روى حديث نبع الماء جماعة من الصحابة منهم انس وجابر وابن مسعود

فاما حديث انس ففي الصحيحين قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر والتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع يده في ذلك الاناء فامر الناس ان يتوضؤا منه فرايت الماء ينبع من بين اصابعه فتوضا الناس حتى توضؤا من عند اخرهم وفي لفظ للبخاري كانوا ثمانين رجلا وفي لفظ له فجعل الماء ينبع من بين اصابعه واطراف اصابعه حتى توضا القوم قال فقلنا لانس كم كنتم قال كنا ثمانين او زهاء ثمانين وقوله حتى توضؤا من عند اخرهم قال الكرماني حتى للتدريج ومن للبيان اي توضا الناس حتى توضا الذين هم عند اخرهم وهو كناية عن جميعهم وعند بمعنى في لان عند وان كانت للظرفية الخاصة لكن المبالغة تقتضي ان تكون لمطلق الظرفية فكانه قال الذين هم في اخرهم وقال التيمي المعنى توضا القوم حتى وصلت النوبة الى الاخر وقال النووي من هنا بمعنى الى وهي لغة وتعقبه الكرماني بانها شاذة قال ثم ان الى لا يجوز ان تدخل على عند ويلزم عليه وعلى ما قاله التيمي ان لا يدخل الاخير لكن ما قاله الكرماني من ان الى لا تدخل على عند لا يلزم مثله في من اذا وقعت بمعنى الى وعلى توجيه النووي يمكن ان يقال عند زائدة قاله في فتح الباري وروى هذا الحديث ايضا عن انس ابن شاهين ولفظه قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فقال المسلمون يا رسول الله عطشت دوابنا وابلنا فقال هل من فضلة ماء فجاء رجل في شن بشيء فقال هاتوا صحفة فصب الماء ثم وضع راحته في الماء قال فرايتها تخلل عيونا بين اصابعه قال فسقينا ابلنا ودوابنا وتزودنا فقال اكتفيتم فقالوا نعم اكتفينا يا رسول الله فرفع يده فارتفع الماء واخرج البيهقي عن انس ايضا قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم الى قبا فاتي من بعض بيوتهم بقدح صغير فادخل يده فلم يسعه القدح فادخل اصابعه الاربعة ولم يستطع ان يدخل ابهامه ثم قال للقوم هلموا الى الشراب قال انس بصر عيني نبع الماء من بين اصابعه فلم يزل القوم يردون القدح حتى رووا منه جميعا واما حديث جابر ففي الصحيحين قال عطش الناس يوم الحديبية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة يتوضا منها وجهش الناس نحوه فقال ما لكم فقالوا يا رسول الله ليس عندنا ماء نتوضا به ولا ماء نشربه الا ما بين يديك فوضع يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين اصابعه كامثال العيون فشربنا وتوضانا قلت كم كنتم قال لو كنا مائة الف لكفانا كنا خمس عشرة مائة وقوله يفور اي يغلي ويظهر متدفقا وفي رواية الوليد بن عبادة بن الصامت عنه في حديث مسلم الطويل في ذكر غزوة بواط قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جابر ناد بالوضوء وذكر الحديث بطوله وانه لم يجد الا قطرة في عزلاء شجب فاتي به النبي صلى الله عليه وسلم فغمزه وتكلم بشيء لا ادري ما هو وقال ناد بجفنة الركب فاتيت بها فوضعتها بين يديه وذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم بسط يده في الجفنة وفرق اصابعه وصب عليه جابر وقال بسم الله قال فرايت الماء يفور من بين اصابعه ثم فارت الجفنة واستدارت حتى امتلات وامر الناس بالاستقاء فاستقوا حتى رووا فقلت هل بقي من احد له حاجة فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهي ملاى وروى حديث جابر الامام احمد في مسنده بلفظ اشتكى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه العطش فدعا بعس فصب فيه شيئا من الماء ووضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه يده وقال استقوا فاستقى الناس

فكنت ارى العيون تنبع من بين اصابعه **وفي لفظ من حديثه ايضا قال** فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم كفه في الاناء **ثم قال بسم الله ثم قال** اسبغوا الوضوء قال جابر فو الذي ابتلاني ببصري لقد رايت العيون عيون الماء يومئذ تخرج من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم فما رفعها حتى توضؤا اجمعون ورواه ايضا عنه البيهقي في الدلائل قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فاصابنا عطش فجهشنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فوضع يده في تور من ماء بين يديه قال فجعل الماء ينبع من بين اصابعه كانه العيون قال خذوا بسم الله فشربنا فوسعنا وكفانا ولو كنا مائة الف لكفانا قلت لجابر كم كنتم قال الفا وخمسمائة واخرجه ابن شاهين من حديث جابر وقال اصابنا عطش بالحديبية فجهشنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث واخرجه ايضا عن جابر احمد من طريق نبيح العنزي عنه وفيه فجاء رجل باداوة فيها شيء من ماء ليس في القوم ماء غيره فصبه رسول الله صلى الله عليه وسلم في قدح ثم توضا فاحسن الوضوء ثم انصرف وترك القدح قال فتزاحم الناس على القدح فقال على رسلكم فوضع كفه في القدح ثم قال اسبغوا الوضوء قال فلقد رايت العيون عيون الماء تخرج من بين اصابعه واما حديث ابن مسعود ففي الصحيح من رواية علقمة بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس معنا ماء فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا من معه فضل ماء فاتي بماء فصبه في اناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين اصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم وظاهر هذا ان الماء كان ينبع من بين اصابعه بالنسبة الى رؤية الرائي وهو في نفس الامر للبركة الحاصلة فيه يفور ويكثر وكفه صلى الله عليه وسلم في الاناء فيراه الرائي نابعا من بين اصابعه وظاهر كلام القرطبي انه نبع من نفس اللحم الكائن في الاصابع وبه صرح النووي في شرح مسلم ويؤيده قول جابر فرايت الماء يخرج من بين اصابعه وفي رواية فرايت الماء ينبع من بين اصابعه وهذا هو الصحيح وكلاهما معجزة له صلى الله عليه وسلم وانما فعل ذلك ولم يخرجه من غير ملابسة ماء ولا وضع اناء تادبا مع الله تعالى اذ هو المنفرد بابتداع المعدومات وايجادها من غير اصل وروى ابن عباس قال دعا النبي صلى الله عليه وسلم بلالا فطلب الماء فقال لا والله ما وجدت الماء قال فهل من شن فبسط كفه فيه فانبعثت تحت يده عين فكان ابن مسعود يشرب وغيره يتوضا رواه الدارمي وابو نعيم وكذا رواه الطبراني وابو نعيم من حديث ابي ليلى الانصاري وابو نعيم من طريق القسم بن عبد الله بن ابي رافع عن ابيه عن جده **ومن ذلك تفجير الماء ببركته** وابتعاثه بمسه ودعوته روى مسلم في صحيحه عن معاذ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم انكم ستاتون غدا ان شاء الله عين تبوك وانكم لن تاتوها حتى يضحى النهار فمن جاءها فلا يمس من مائها شيئا حتى اتي قال فجئناها وقد سبق اليها رجلان والعين مثل الشراك تبض بشيء من ماء فسالهما رسول الله صلى الله عليه وسلم هل مسستما من مائها شيئا قالا نعم فسبهما وقال لهما ما شاء الله ان يقول ثم غرفوا من العين قليلا قليلا حتى اجتمع في شيء ثم غسل عليه السلام به وجهه ويديه ثم اعاده فيها فجرت العين بماء كثير فاستقى الناس ثم قال عليه السلام يا معاذ يوشك ان طالت بك حياة ان ترى ما ههنا قد ملئ جنانا اي بساتين وعمرانا وهذا ايضا من معجزاته عليه

السلام ورواه القاضي عياض في الشفا بنحوه من طريق مالك في الموطا وزاد فقال قال في حديث ابن اسحق
فانغرف من الماء ما له حتى لحس العواعق وفي البخاري في غزوة الحديبية من حديث المسور بن
مخرمة ومروان بن الحكم انهم نزلوا باقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرضه الناس تبرضا فلم يلبثه
الناس حتى نزحوه وشكي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش فانتزع سهما من كنانته ثم امرهم
ان يجعلوه فيه فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه والثمد بالمثلثة والتحريك الماء القليل
وقوله يتبرضه الناس تبرضا بالضاد المعجمة اي ياخذونه قليلا قليلا والبرض الشيء القليل وقوله
ما زال يجيش بفتح المثناة التحتية وبالجيم اخره شين معجمة اي يفور ماؤه ويرتفع وفي رواية
انه صلى الله عليه وسلم توضا ومج في بئر الحديبية من فمه فجاشت بالماء كذلك وفي مغازي ابي الاسود
عن عروة انه توضا في الدلو ومضمض فاه ثم مج فيه وامر ان يصب في البئر ونزع سهما من كنانته
والقاه في البئر ودعا الله تعالى ففارت بالماء حتى جعلوا يغترفون بايديهم منها وهم جلوس على شفتها
فجمع بين الامرين وكذا رواه الواقدي من طريق اوس بن خولي وهذه القصة غير القصة
السابقة في ذكر نبع الماء من اصابعه صلى الله عليه وسلم مما رواه البخاري في المغازي من حديث جابر
عطش الناس بالحديبية وبين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ركوة فوضع يده في الركوة فجعل
الماء يفور من بين اصابعه الحديث فبين القصتين مغايرة وجمع ابن حبان بينهما بان ذلك وقع
في وقتين انتهى فحديث جابر في نبع الماء كان حين حضرت صلاة العصر عند ارادة الوضوء وحديث
البراء كان لارادة ما هو اعم من ذلك ويحتمل ان يكون الماء لما تفجر من اصابعه ويده في الركوة
وتوضئوا كلهم وشربوا امر حينئذ بصب الماء الذي بقي في الركوة في البئر فتكاثر الماء فيها انتهى وفي
حديث البراء وسلمة بن الاكوع مما رواه البخاري في قصة الحديبية وهم اربع عشرة مائة وبئرها
لا تروي خمسين شاة فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على جباها
قال البراء واتي بدلو منها فبصق فدعا وقال سلمة فاما دعا واما بصق فيها فجاشت فارووا انفسهم
وركابهم قال في رواية البراء ثم مضمض ودعا ثم صبه فيها ثم قال دعوها ساعة قوله على جباها
بفتح الجيم والموحدة والقصر ما حول البئر وبالكسر ما جمعت فيه من الماء وقوله وركابهم اي الابل
التي يسار عليها وفي الصحيحين عن عمران بن الحصين قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر
فاشتكي اليه الناس من العطش فنزل فدعا فلانا كان يسميه ابو رجاء ونسيه عوف ودعا عليا
فقال اذهبا فابتغيا الماء فانطلقا فتلقيا امراة بين مزادتين او سطيحتين من ماء فجاءا بها الى النبي
صلى الله عليه وسلم فاستنزلوها عن بعيرها ودعا النبي صلى الله عليه وسلم باناء ففرغ فيه
من افواه المزادتين او السطيحتين واوكا افواههما واطلق العزالي ونودي في الناس اسقوا
واستقوا فسقى من سقى واستقى من شاء وهي قائمة تنظر الى ما يفعل بمائها وايم الله لقد
اقلع عنها وانه ليخيل الينا انها اشد ملاة منها حين ابتدا فيها فقال النبي صلى الله عليه
وسلم اجمعوا لها فجمعوا لها من بين عجوة ودقيقة وسويقة حتى جمعوا لها طعاما فجعلوه
في ثوب وحملوها على بعيرها ووضعوا الثوب بين يديها قال لها تعلمين ما رزئنا من مائك شيئا
ولكن الله هو الذي سقانا فاتت اهلها وقالت العجب لقيني رجلان فذهبا بي الى هذا الرجل
الذي يقال له الصابي ففعل كذا وكذا فوالله انه لاسحر الناس كلهم او انه لرسول الله حقا

فقالت

فقالت لقومها فهل لكم في الاسلام الحديث وعن ابي قتادة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال انكم تسيرون عشيتكم وليلتكم وتاتون الماء غدا ان شاء الله فانطلق الناس لا يلوي
احد على احد فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير حتى ابهار الليل اي انتصف فمال عن الطريق
فوضع راسه ثم قال احفظوا علينا صلاتنا فكان اول من استيقظ رسول الله صلى الله
عليه وسلم والشمس في ظهره ثم قال اركبوا فركبنا فسرنا حتى اذا ارتفعت الشمس نزل
ثم دعا بميضاة كانت معي فيها شيء من ماء فتوضا منها وضوءا دون وضوء قال وبقي شيء من ماء ثم قال
احفظ علينا ميضاتك فسيكون لها نبا ثم اذن بلال بالصلاة فصلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ركعتين ثم صلى الغداة وركب وركبنا معه فانتهينا الى الناس حين امتد النهار
وحمي كل شيء وهم يقولون يا رسول الله هلكنا وعطشنا فقال لا هلك عليكم ودعا بالميضاة
فجعل يصب وابو قتادة يسقيهم فلم يعد ان راى الناس ما في الميضاة تكابوا عليها فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم احسنوا الملا كلكم سيروى قال ففعلوا فجعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم يصب واسقيهم حتى ما بقي غيري وغير رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم صب فقال لي اشرب فقلت لا اشرب حتى تشرب يا رسول الله فقال ان ساقي القوم اخرهم شربا
قال فشربت وشرب الحديث رواه مسلم وعن انس قال اصابت الناس سنة على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فبينا النبي صلى الله عليه وسلم يخطب في يوم الجمعة قام اعرابي فقال
يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا فرفع يديه وما نرى في السماء قزعة
فوالذي نفسي بيده ما وضعها حتى ثار السحاب امثال الجبال ثم لم ينزل عن منبره حتى
رايت المطر يتحادر على لحيته فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد ومن بعد الغد حتى الجمعة الاخرى
وقام ذلك الاعرابي او غيره فقال يا رسول الله تهدم البناء وغرق المال فادع الله لنا فرفع
يديه فقال اللهم حوالينا ولا علينا فما يشير الى ناحية من السحاب الا انفرجت وصارت المدينة
مثل الجوبة وسال وادي قناة شهرا ولم يجي احد من ناحية الا حدث بالجود وفي رواية
قال اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الاكام والظراب وبطون الاودية ومنابت الشجر فاقلعت
وخرجنا نمشي في الشمس رواه البخاري ومسلم والجوبة بفتح الجيم والموحدة بينهما واو ساكنة
الحفرة المستديرة الواسعة وكل منفتق بلا بناء جوبة اي حتى صار الغيم والسحاب محيطا
باافاق المدينة والجود بفتح الجيم واسكان الواو المطر الواسع الغزير وعن عبد الله بن عباس انه قيل
لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حدثنا عن ساعة العسرة فقال عمر خرجنا الى تبوك في قيظ شديد
فنزلنا منزلا اصابنا فيه عطش حتى ظننا ان رقابنا ستنقطع حتى ان كان الرجل ليذهب يلتمس الرحل
فلا يرجع حتى يظن ان رقبته ستنقطع حتى ان كان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل
ما بقي على كبده فقال ابو بكر يا رسول الله ان الله قد عودك في الدعاء خيرا فادع الله لنا قال
اتحب ذلك قال نعم فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء فانسكبت فملؤوا ما معهم من انية
ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر قال الحافظ بن منذر اخرجه البيهقي في الدلائل وسنده
ابن بشران ثقة وابن خزيمة احد الائمة ويونس احتج به مسلم في صحيحه وابن وهب وعمرو
ابن الحارث ونافع بن جبير احتج بهم البخاري ومسلم وعتبة فيه مقال انتهى وقد رواه القاضي

عياض في الشفا مختصرًا ورواه ابن اسحق في مغازيه نحوه وروى صاحب كتاب مصباح
الظلام عن عمرو بن شعيب ان ابا طالب قال كنت مع ابن اخي يعني النبي صلى الله عليه وسلم
بذي المجاز فادركني العطش فشكوت اليه فقلت يا ابن اخي عطشت وما قلت له ذلك وانا ارى
عنده شيئا الا الجزع فثنى وركه ثم نزل وقال اعطشت فقلت نعم فاهوى بعقبه الى الارض
فاذا بالماء فقال اشرب يا عم فشربت وكذا رواه ابن سعد وابن عساكر ومن ذلك تكثير
الطعام القليل ببركته ودعائه عن جابر في غزوة الخندق قال فانكفأت الى امرأتي فقلت هل عندك
شيء فاني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم خمصا شديدا فاخرجت جرابا فيه صاع من شعير ولنا
بهيمة داجن فذبحتها وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم في البرمة ثم جئت النبي صلى الله عليه وسلم
فساررته فقلت يا رسول الله ذبحنا بهيمة لنا وطحنت صاعا من شعير فتعال انت ونفر معك
فصاح النبي صلى الله عليه وسلم يا أهل الخندق ان جابرا صنع سورا فحي هلا بكم فقال صلى الله
عليه وسلم لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى أجيء فجاء فاخرجت له عجينا فبصق فيه وبارك
ثم عمد الى برمتنا فبصق وبارك ثم قال ادع خابزة فلتخبز معك واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها
وهم ألف فاقسم بالله لاكلوا حتى تركوه وانحرفوا وان برمتنا لتغط كما هي وان عجيننا ليخبز كما هو
رواه البخاري ومسلم وقوله فانكفأت اي انقلبت وقوله داجن يعني سمينة وقوله فذبحتها
بسكون الحاء وطحنت بسكون التاء يعني ان الذي ذبح هو جابر والتي طحنت هي امرأته سهيلة بنت مسعود
الانصارية وقوله سورا بضم المهملة وسكون الواو بغير همز قال ابن الاثير اي طعاما يدعوا اليه
الناس قال واللفظة فارسية وقوله فحي هلا بكم كلمة استدعاء فيه حث اي هلموا مسرعين
وقوله واقدحي اي اغرفي وقوله وان برمتنا لتغط بالغين المعجمة والطاء المهملة اي تغلي
ويسمع غطيطها وعن انس قال قال ابو طلحة لام سليم لقد سمعت صوت رسول الله صلى الله
عليه وسلم ضعيفا اعرف فيه الجوع فهل عندك من شيء فقالت نعم فاخرجت اقراصا من شعير
ثم اخرجت خمارا فلفت الخبز ببعضه ثم دسته تحت يدي ولاثتني ببعضه اي دارت بعضه
على رأسي مرتين كالعمامة ثم ارسلتني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهبت به فوجدت
رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ومعه الناس فقمت عليهم فقال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم أرسلك ابو طلحة قلت نعم قال بطعام قلت نعم فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لمن معه قوموا فانطلق وانطلقت بين ايديهم حتى جئت ابا طلحة فاخبرته فقال
ابو طلحة يا ام سليم قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس وليس عندنا ما نطعمهم فقالت
الله ورسوله اعلم فانطلق ابو طلحة حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل رسول الله
صلى الله عليه وسلم وابو طلحة معه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلمي يا ام سليم
ما عندك فاتت بذلك الخبز فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففت وعصرت ام سليم عكة
فادمته ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ما شاء الله ان يقول ثم قال ائذن لعشرة
فاذن لهم فاكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ثم قال ائذن لعشرة ثم لعشرة فاكل القوم كلهم وشبعوا
والقوم سبعون او ثمانون رجلا رواه البخاري ومسلم والمراد بالمسجد هنا الموضع الذي اعده النبي
صلى الله عليه وسلم للصلاة فيه حين محاصرة الاحزاب للمدينة في غزوة الخندق وفي رواية لمسلم

انه قال ائذن لعشرة فدخلوا فقال كلوا وسموا الله فاكلوا حتى فعل ذلك بثمانين رجلا ثم اكل النبي
صلى الله عليه وسلم فجعلت انظر هل نقص منها شيء وفي رواية يعقوب ادخل علي ثمانية فما زال
حتى دخل عليه ثمانون ثم دعاني ودعا امي وابا طلحة فاكلنا حتى شبعنا انتهى وهذا يدل على تعدد
القصة فان اكثر الروايات فيها انه ادخلهم عشرة عشرة سوى هذه قال الحافظ ابن حجر قال
وظاهره انه عليه السلام دخل منزل ابي طلحة وحده وصرح بذلك في رواية عبد الرحمن بن ابي
ليلى ولفظه فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الباب فقال لهم اقعدوا ودخل وفي رواية
يعقوب عن انس فقال ابو طلحة يا رسول الله انما ارسلت انسا يدعوك وحدك ولم يكن عندنا ما يشبع
من ارى وفي رواية عمرو بن عبد الله عن انس فقال ابو طلحة انما هو قرص قال ان الله سيبارك فيه
قال العلماء رحمهم الله وانما ادخلهم عشرة عشرة والله اعلم لانها كانت قصعة واحدة لا يمكن الجماعة
الكثيرة ان يقدروا على التناول منها مع قلة الطعام فجعلهم عشرة عشرة ليتناولوا من الاكل ولا يزدحموا
واما قوله عليه السلام ارسلك ابو طلحة قلت نعم قال بطعام قلت نعم فقال لمن معه قوموا فظاهره
ان النبي صلى الله عليه وسلم فهم ان ابا طلحة استدعاه الى منزله فلذلك قال لمن عنده
قوموا واول الكلام يقتضي ان ام سليم وابا طلحة ارسلا الخبز مع انس الى ان يأخذه النبي صلى الله
عليه وسلم فيأكله فلما وصل انس ورأى كثرة الناس حول النبي صلى الله عليه وسلم استحيا
وظهر له ان يدعو النبي صلى الله عليه وسلم ليقوم معه وحده الى المنزل فيحصل مقصودهم
من اطعامه ويحتمل ان يكون ذلك عن رأي من ارسله عهد اليه اذا رأى كثرة الناس ان
يستدعي النبي صلى الله عليه وسلم وحده خشية ان لا يكفي ذلك النبي صلى الله عليه وسلم وحده
خشية ان لا يكفي ذلك النبي صلى الله عليه وسلم هو ومن معه وقد عرفوا ايثاره عليه السلام وانه
لا يأكل وحده ووقع في رواية يعقوب بن عبد الله بن ابي طلحة عن انس عند ابي نعيم واصله
عند مسلم فقال لي ابو طلحة يا انس اذهب فقم قريبا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا قام
فدعه حتى يتفرق عنه اصحابه ثم اتبعه حتى اذا قام على عتبة بابه فقل له ان ابي يدعوك وفيه
فقال ابو طلحة يا رسول الله انما ارسلت انسا يدعوك وحدك ولم يكن عندنا ما يشبع من ارى فقال
ادخل فان الله سيبارك فيما عندك وفي رواية مبارك بن فضالة فقال هل من سمن فقال
ابو طلحة قد كان في العكة شيء فجاء بها فجعلا يعصرانها حتى خرج ثم مسح رسول الله صلى الله عليه
وسلم القرص فانتفخ وقال بسم الله فلم يزل يصنع ذلك والقرص ينتفخ حتى رأيت القرص
في الجفنة يتسع وفي رواية النضر بن انس فجئت بها ففتح رباطها ثم قال بسم الله اللهم اعظم فيها
البركة وعرف بهذا المراد بقوله فقال فيها ما شاء الله ان يقول وفي رواية انس عند احمد
ان ابا طلحة رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم طاويا وعند ابي يعلى من طريق محمد بن
سيرين عن انس ان ابا طلحة بلغه انه ليس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام فاجر
نفسه بصاع من شعير فعمل بقية يومه ذلك ثم جاء به الحديث وفي رواية عمرو بن عبد الله
ابن ابي طلحة عند مسلم وابي يعلى قال رأى ابو طلحة رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطجعا
يتقلب ظهرا لبطن وفي رواية يعقوب بن عبد الله بن ابي طلحة عند مسلم ايضا عن انس قال
جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدته جالسا مع اصحابه يحدثهم وقد عصب بطنه بعصابة

فشكا لنا بعض أصحابه فقال من الجوع فذهبت الى ابي طلحة فاخبرته فدخل على ام سليم فقال أعندك
شي فاني مررت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرئ أصحاب الصفة سورة النساء وقد ربط
على بطنه حجرا وعن ابي هريرة قال لما كان غزوة تبوك اصاب الناس مجاعة فقال عمر يا رسول الله
ادعهم بفضل ازوادهم ثم ادع الله لهم عليها بالبركة فقال نعم فدعا بنطع فبسط ثم دعا بفضل ازوادهم
فجعل الرجل يجي بكف ذرة ويجي الاخر بكسرة حتى اجتمع على النطع شي يسير فدعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالبركة ثم قال خذوا في اوعيتكم فاخذوا في اوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر
وعاء الا ملؤه قال فاكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة رواه مسلم
وعن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عروسا بزينب فعمدت امي ام سليم الى تمر
وسمن واقط فصنعت حيسا فجعلته في تور فقالت يا انس اذهب بهذا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقل بعثت بهذا اليك امي وهي تقريك السلام فقال صلى الله عليه وسلم ضعه
ثم قال اذهب فادع لي فلانا وفلانا رجالا سماهم وادع لي من لقيت فدعوت من سمى ومن لقيت
فرجعت فاذا البيت غاص باهله قيل لانس عدد كم كانوا قال زهاء ثلثمائة فرايت النبي صلى الله عليه
وسلم وضع يده على تلك الحيسة وتكلم بما شاء الله ثم جعل يدعو عشرة عشرة ياكلون منه
ويقول لهم اذكروا اسم الله وليأكل كل رجل مما يليه قال فاكلوا حتى شبعوا فخرجت طائفة ودخلت طائفة حتى
اكلوا كلهم قال لي يا انس ارفع فرفعت فما ادري حين وضعت كان اكثر ام حين رفعت رواه
البخاري ومسلم وعن جابر قال ان ام مالك كانت تهدي للنبي صلى الله عليه وسلم في عكة لها سمنا
فياتيها بنوها فيسالون الادم وليس عندهم شي فتعمد الى الذي كانت تهدي فيها للنبي صلى الله
عليه وسلم فتجد فيه سمنا فما زال يقيم لها ادم بيتها حتى عصرته فاتت النبي صلى الله عليه وسلم
فقال عصرتيها قالت نعم قال لو تركتيها ما زال قائما رواه مسلم وعنه ان رجلا اتى النبي صلى الله
عليه وسلم يستطعمه فاطعمه شطر وسق من شعير فما زال ياكل منه وامراته وضيفهما حتى كاله
فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال لو لم تكله لاكلتم منه ولقام لكم رواه مسلم ايضا
والحكمة في ذهاب بركة السمن حين عصرت العكة واعدام الشعير حين كاله ان عصرها وكيله مضاد
للتسليم والتوكل على رزق الله تعالى ويتضمن التدبير والاخذ بالحول والقوة وتكلف الاحاطة باسرار
حكم الله تعالى وفضله فعوقب فاعله بزواله قاله النووي وعن ابي العلاء عن سمرة بن جندب قال كنا
مع النبي صلى الله عليه وسلم نتداول من قصعة من غدوة حتى الليل يقوم عشرة ويقعد عشرة
قلنا فما كانت تمد قال من اي شي تعجب ما كانت تمد الا من ههنا واشار بيده الى السماء رواه الترمذي
والدارمي وعنه اتي النبي صلى الله عليه وسلم بقصعة فيها لحم فتعاقبوها من غدوة حتى الليل
يقوم قوم ويقعد اخرون فقال رجل لسمرة هل كانت تمد قال لما كانت تمد الا من ههنا واشار
الى السماء رواه الدارمي وابن ابي شيبة والترمذي والحاكم والبيهقي وصححوه وابو نعيم
وفي حديث عبد الرحمن بن ابي بكر كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة وذكر في الحديث
انه عجن صاع وصنعت شاة فشوي سواد بطنها قال وايم الله ما من الثلاثين ومائة الا وقد حز
له حزة من سواد بطنها ثم جعل منها قصعتين فاكلنا اجمعون وفضل في القصعتين فحملته

على البعير

على البعير رواه البخاري وعن ابي هريرة قال أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ادعو
اهل الصفة فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت بين ايدينا صحفة فاكلنا ما شئنا وفرغنا وهي مثلها حين
وضعت الا ان فيها اثر الاصابع رواه ابن ابي شيبة والطبراني وابو نعيم وعن علي بن ابي طالب
جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب وكانوا اربعين منهم قوم يأكلون الجذعة ويشربون
الفرق فصنع لهم مدا من طعام فاكلوا حتى شبعوا وبقي كما هو ثم دعا بعس فشربوا حتى رووا
وبقي كانه لم يشرب منه احد رواه في الشفا **ومن ذلك ابراء ذوي العاهات واحياء
الموتى وكلامهم وكلام الصبيان وشهادتهم له بالنبوة** روى البيهقي في الدلائل انه
صلى الله عليه وسلم دعا رجلا الى الاسلام فقال لا او من بك حتى تحيي لي ابنتي فقال صلى الله
عليه وسلم ارني قبرها فاراه اياه فقال صلى الله عليه وسلم يا فلانة فقالت لبيك وسعديك فقال
صلى الله عليه وسلم اتحبين ان ترجعي الى الدنيا فقالت لا والله يا رسول الله اني وجدت الله
خيرا لي من ابوي ووجدت الاخرة خيرا لي من الدنيا وروى الطبراني عن عائشة ان النبي صلى الله
عليه وسلم نزل الحجون كئيبا حزينا فاقام به ما شاء الله عز وجل ثم رجع مسرورا قال سالت ربي
عز وجل فاحيا لي امي فامنت بي ثم ردها وكذا روي من حديث عائشة ايضا احياء ابويه صلى الله
عليه وسلم حتى امنا به اورده السهيلي وكذا الخطيب في السابق واللاحق لكن قال السهيلي
ان في اسناده مجاهيل وقال ابن كثير انه منكر جدا **وتقدم البحث في ذلك في اوائل**
المقصد الاول وعن انس ان شابا من الانصار توفي وله ام عجوز عمياء فسجيناه وعزيناها
فقالت مات ابني قلنا نعم قالت اللهم ان كنت تعلم اني هاجرت اليك والى نبيك رجاء ان تعينني
على كل شدة فلا تحمل علي هذه المصيبة فما برحنا ان كشف الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا
رواه ابن عدي وابن ابي الدنيا والبيهقي وابو نعيم وعن النعمان بن بشير قال كان زيد بن خارجة
من سروات الانصار فبينما ~~فاحتملوه الى بيته فسجوه~~ هو يمشي في طريق من طرق المدينة
بين الظهر والعصر اذ خر فتوفي فاعلمت به الانصار فاتوه فاحتملوه الى بيته فسجوه بكساء
وبردين وفي البيت نساء من نساء الانصار يبكين عليه ورجال من رجالهم فمكث على حاله حتى
اذا كان بين المغرب والعشاء الاخرة سمعوا صوتا قائل يقول انصتوا فنظروا فاذا الصوت
من تحت الثياب فحسروا عن وجهه وصدره فاذا القائل يقول على لسانه محمد رسول الله
النبي الامي خاتم النبيين لا نبي بعده كان ذلك في الكتاب الاول ثم قال صدق صدق ثم قال
هذا رسول الله السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته رواه ابو بكر بن ابي الدنيا في كتاب
من عاش بعد الموت وعن سعيد بن المسيب ان رجلا من الانصار توفي فلما كفن اتاه القوم يحملونه
تكلم فقال محمد رسول الله **خرجه** ابو بكر بن الضحاك واخرج ابو نعيم ان جابرا ذبح شاة
وطبخها وثرد في جفنة واتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكل القوم وكان صلى الله عليه
وسلم يقول لهم كلوا ولا تكسروا عظما ثم انه عليه السلام جمع العظام ووضع يده عليها ثم تكلم
بكلام فاذا الشاة قد قامت تنفض اذنيها كذا رواه فالله اعلم وعن معيقيب اليماني قال حججت
حجة الوداع فدخلت دارا بمكة فرايت فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ورايت منه عجبا
جاءه رجل من اهل اليمامة بغلام يوم ولد فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا غلام من انا

ابراء ذوي العاهات واحياء الموتى

قال أنت رسول الله قال صدقت بارك الله فيك ثم ان الغلام لم يتكلم بعد ذلك حتى شبت فكنا نسميه مبارك اليمامة رواه البيهقي من حديث معرض بالضاد المعجمة وعن فهد بن عطية ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بصبي قد شبت لم يتكلم قط فقال من انا قال رسول الله رواه البيهقي وعن ابن عباس قال ان امراة جاءت بابن لها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان ابني به جنون وانه ليأخذه عند غدائنا وعشائنا فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره فثع ثعة وخرج من جوفه مثل الجرو الاسود رواه الدارمي **واصيبت يوم احد** عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته فاتى به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان لي امراة احبها واخشى ان رأتني تقذرني فاخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وردها الى موضعها وقال اللهم اكسبه جمالا فكانت احسن عينيه واحدهما نظرا وكانت لا ترمد اذا رمدت الاخرى وقد وفد على عمر بن عبد العزيز رجل من ذريته فسأله عمر من انت فقال ــــــــ

أبونا الذي سالت على الخد عينه ❊ فردت بكف المصطفى ايما رد

فعادت كما كانت لاول امرها ❊ فيا حسن ما عين ويا حسن ما خد

فوصله عمر واحسن جائزته قال السهيلي ورواه محمد بن ابي عثمان عن مالك بن انس عن محمد بن عبد الله بن ابي صعصعة عن ابيه عن ابي سعيد عن اخيه قتادة بن النعمان قال اصيبت عيناي يوم احد فسقطتا على وجنتي فاتيت بهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعادهما مكانهما وبصق فيهما فعادتا تبرقان قال الدارقطني هذا الحديث غريب عن مالك تفرد به عمار بن نصر وهو ثقة ورواه الدارقطني عن ابراهيم الحربي عن عمار بن نصر واخرج الطبراني وابو نعيم عن قتادة قال كنت يوم احد اتقي السهام بوجهي دون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان آخرها سهما ندرت منه حدقتي فاخذتها بيدي وسعيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآها في كفي دمعت عيناه فقال اللهم ق قتادة كما وقى وجه نبيك بوجهه فاجعلها احسن عينيه واحدهما نظرا وفي البخاري في غزوة خيبر انه صلى الله عليه وسلم قال اين علي بن ابي طالب فقالوا يا رسول الله يشتكي عينيه قال فارسلوا اليه فاتي به فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ودعا له فبرأ حتى كان لم يكن به وجع وعند الطبراني من حديث علي قال فما رمدت ولا صدعت منذ دفع الي صلى الله عليه وسلم الراية يوم خيبر وفي رواية مسلم من طريق اياس بن سلمة عن ابيه قال فارسلني النبي صلى الله عليه وسلم الى علي فجئت به اقوده ارمد فبصق في عينيه فبرأ وعند الحاكم من حديث علي قال فوضع صلى الله عليه وسلم راسي في حجره ثم بزق في راحته فدلك بها عيني وعند الطبراني فما اشتكيتهما حتى الساعة قال ودعا لي صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اذهب عنه الحر والقر قال فما اشتكيتهما حتى يومي هذا واصيب سلمة يوم خيبر ايضا بضربة في ساقه فنفث فيها صلى الله عليه وسلم ثلاث نفثات فما اشتكاها قط رواه البخاري ونفث في عيني فديك وكانتا مبيضتين لا يبصر بهما شيئا وكان وقع على بيض حية فكان يدخل الخيط في الابرة وانه لابن ثمانين سنة وان عينيه لمبيضتان رواه ابن ابي شيبة والبغوي والبيهقي والطبراني وابو نعيم ه‍

الفصل

الفصل الثاني

الفصل الثاني **فيما خصه الله تعالى به من المعجزات**

وشرفه به على سائر الانبياء من الكرامات والايات البينات **اعلم** نور الله قلبي وقلبك وطهر سري وسرك ان الله تعالى قد خص نبينا صلى الله عليه وسلم باشياء لم يعطها نبي قبله وما خص نبي بشيء الا وكان لسيدنا صلى الله عليه وسلم مثله فانه اوتي جوامع الكلم وكان نبيا وآدم بين الروح والجسد وغيره من الانبياء لم يكن نبيا الا في حال نبوته وزمان رسالته ولما اعطي هذه المنزلة علمنا انه الممد لكل انسان كامل مبعوث ورحم الله الاديب شرف الدين الابوصيري فلقد احسن حيث قال ❊

وكل آي اتى الرسل الكرام بها ❊ فانما اتصلت من نوره بهم

فانه شمس فضل هم كواكبها ❊ يظهرن انوارها للناس في الظلم

قال العلامة ابن مرزوق يعني ان كل معجزة اتى بها كل واحد من الرسل فانما اتصلت بكل واحد منهم من نور محمد صلى الله عليه وسلم وما احسن قوله فانما اتصلت من نوره بهم فانه يعطي ان نوره صلى الله عليه وسلم لم يزل قائما به ولم ينقص منه شيء ولو قال فانما هي من نوره لتوهم انه وزع عليهم وقد لا يبقى له منه شيء وانما كانت آيات كل واحد من نوره لانه شمس فضل هم كواكب تلك الشمس يظهرن اي تلك الكواكب انوار تلك الشمس للناس في الظلم فالكواكب ليست مضيئة بذاتها وانما هي مستمدة من الشمس فهي عند غيبة الشمس تظهر نور الشمس فكذلك الانبياء قبل وجوده عليه السلام كانوا يظهرون فضله فجميع ما ظهر على ايدي الرسل عليهم السلام سواه من الانوار فانما هو من نوره الفائض ومدده الواسع من غير ان ينقص منه شيء **واول** ما ظهر ذلك في آدم عليه السلام حيث جعله الله تعالى خليفة وامده بالاسماء كلها من مقام جوامع الكلم التي لمحمد صلى الله عليه وسلم فظهر بعلم الاسماء كلها على الملائكة القائلين اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ثم توالت الخلائف في الارض الى ان وصل الى زمان وجود صورة جسم نبينا صلى الله عليه وسلم الشريف لاظهار حكم منزلته فلما برز كان كالشمس اندرج في نوره كل نور وانطوى تحت منشور اياته كل آية لغيره من الانبياء ودخلت الرسالات كلها في صلب نبوته والنبوات كلها تحت لواء رسالته فلم يعط احد منهم كرامة وفضيلة الا وقد اعطي صلى الله عليه وسلم مثلها فآدم عليه السلام اعطي ان الله تعالى خلقه بيده واعطي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم شرح صدره تولى الله تعالى شرح صدره بنفسه وخلق فيه الايمان والحكمة وهو الخلق النبوي فتولى من آدم الخلق الوجودي ومن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الخلق النبوي مع ان المقصود كان من خلق آدم خلق نبينا في صلبه فسيدنا محمد المقصود وآدم الوسيلة واما سجود الملائكة لآدم فقال الامام فخر الدين الرازي في تفسيره ان الملائكة امروا بالسجود لآدم لاجل ان نور محمد صلى الله عليه وسلم كان في جبهته ولله در القائل ❊

تجليت جل الله في وجه آدم ❊ فصلى له الاملاك حين توسل ❊

وعن ابي عثمان الواعظ فيما حكاه الفاكهاني سمعت الامام سهل بن محمد يقول هذا التشريف الذي شرف الله تعالى به محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله ان الله وملائكته يصلون على النبي

الاية ثم واجمع عن تشريف آدم عليه السلام بأمر الملائكة بالسجود له انه لا يجوز ان يكون الله
مع الملائكة في ذلك التشريف فلتشريف يصدر عنه ابلغ من تشريف تحقق به الملائكة
انتهى قال بعضهم واما تعليم آدم اسماء كل شيء فاخرج الديلمي في مسند الفردوس من حديث
ابي رافع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلت لي امتي في الماء والطين وعلمت
الاسماء كلها كما علم آدم الاسماء كلها فكما ان آدم علم اسماء العلوم كلها كذلك نبينا صلى الله عليه
وسلم وزاد عليه والحق الله صلاته وسلامه عليه بعلم ذواتها ولله در الابوصيري
حيث قال شعر

لك ذات العلوم من عالم الغيب ومنها لآدم الاسماء

ولا ريب ان المسميات اعلا رتبة من الاسماء لان الاسماء يؤتى بها لتبيين المسميات
فهي المقصودة بالذات واليه الايماء بقوله ذات العلوم والاسماء مقصودة لغيرها
فهي دونها فيفضل العالم بحسب فضل معلومه **واما ادريس عليه السلام**
فرفعه الله تعالى مكانا عليا فاعطي سيدنا صلى الله عليه وسلم المعراج ورفع الى مكان
لم يرفع اليه غيره **واما نوح عليه السلام** فنجاه الله تعالى ومن آمن معه من
الغرق ونجاه من الخسف فاعطي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم انه لم يهلك امته بعذاب
من السماء قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم واما قول الفخر الرازي في تفسير
اكرم الله تعالى نوحا بان امسك سفينته على الماء وفعل محمد صلى الله عليه وسلم اعظم منه
روي انه صلى الله عليه وسلم كان على شط ماء ومعه عكرمة بن ابي جهل فقال ان كنت
صادقا فادع ذلك الحجر الذي في الجانب الآخر فليسبح ولا يغرق فاشار اليه عليه السلام
فانقلع الحجر من مكانه وسبح حتى صار بين يدي الرسول وشهد له بالرسالة فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم يكفيك هذا قال حتى يرجع الى مكانه فلم اره لغيره والله اعلم
بحاله **واما ابراهيم الخليل** عليه الصلاة والسلام فكانت عليه نار نمرود بردا وسلاما
فاعطي سيدنا صلى الله عليه وسلم نظير ذلك اطفاء نار الحرب عنه عليه السلام وناهيك
بنار حطبها السيوف ووهجها الحتوف وموقدها الحسد ومطلبها الروح والجسد قال الله
تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله فلم ارادوا ان يطفئوا النور بالنار وابى الجبار الا ان
يتم نوره وان يجد سروره ويجد المجد عليه السلام سروره وظهوره ويذكر انه عليه
السلام مر ليلة المعراج على بحر النار الذي دون سماء الدنيا فنجا سالما منه كما روي
ما رأيته في بعض الكتب وروى النسائي ان محمد بن حاطب قال كنت طفلا فانصبت القدر
علي واحترق جلدي كله فحملني ابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتفل عليه السلام
في جلدي ومسح بيده على المحترق وقال اذهب الباس رب الناس فصرت صحيحا لا باس بي
واما ما اعطيه ابراهيم عليه السلام من مقام الخلة فقد اعطيه نبينا صلى الله عليه وسلم
وزاد بمقام المحبة وقد روي في حديث الشفاعة ان الخليل ابرهيم عليه السلام اذا قيل له
اتخذك الله خليلا فاشفع لنا قال انما كنت خليلا من وراء وراء اذهبوا الى غيري الى ان
تنتهي الشفاعة الى النبي صلى الله عليه وسلم فيقول انا لها انا لها وهذا يدل

على

على ان نبينا عليه السلام كان خليلا مع رفع الحجاب وكشف الغطاء ولو كان خليلا من وراء وراء
لاعتذر كما اعتذر ابراهيم وفيه تنبيه ظاهر انه عليه السلام فاز برؤية الحق سبحانه وكشف له
الغطاء حتى رأى الحق بعيني راسه كما سيأتي البحث في ذلك ان شاء الله تعالى في المقصد الخامس
والملخص من هذا ان النبي صلى الله عليه وسلم نال درجة الخلة التي اشتهرت لابراهيم عليه
السلام على وجه نطق ابرهيم بان نصيب سيدنا محمد عليه السلام منه الاعلى بمفهوم قوله
عن نفسه انما كنت خليلا من وراء وراء فيه دليل على انه انما يشفع من كان خليلا لا من وراء
وراء بل مع الكشف والعيان وقرب المكان من حضيرة القدس لا المكان وذلك مقام محمد
عليه السلام بالدليل والبرهان ومما اعطيه ابراهيم عليه السلام انفراده في الارض بعبادة الله
وتوحيده ولا انتصاب للاصنام بالكسر والنسر اعطي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كسرها
باسرها بمخصر من اولى نهرها بتغييب لبسها يكسر لا بقوة زبانية وشادة المحبة اجتزاء
فيها بالانفاس من الناس وما عول على المعول ولا عرض على القول ولا تمرغ في الصول بل قال جاء
غير سر وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ومما اعطيه الخليل عليه السلام بناء البيت
الحرام ولا خفاء ان البيت جسد وروحه الحجر الاسود بل هو سويداء القلب بل جاء انه يمين الله
كناية عن استلامه كما تستلم الايمان عند عقد العهود والايمان **وقد اعطي سيدنا محمد
صلى الله عليه وسلم ان قريشا لما بنت البيت** بعد تهدمه ولم يبق الا وضع الحجر
تنافسوا على الفخر الفخم والمجد الفضم ثم اتفقوا على ان يحكموا اول داخل فاتفق دخول سيدنا
عليه السلام فقالوا هذا الامين فحكموه في ذلك فامر ببسط ثوب ووضع الحجر فيه ثم قال
يرفع كل بطن بطرف فرفعوه جميعا ثم اخذه سيدنا صلى الله عليه وسلم فوضعه في موضعه
فادخر الله له ذلك المقام ليكون منقبة له على مر الايام **واما** ما اعطيه موسى عليه السلام
من قلب العصا حية غير ناطقة فاعطي سيدنا صلى الله عليه وسلم حنين الجذع وقد مرت قصته
وحكى الامام الرازي في تفسيره وغيره انه لما اراد ابو جهل ان يرميه عليه السلام بالحجر رأى
على كتفيه ثعبانين فانصرف مرعوبا **واما** ما اعطيه موسى عليه السلام ايضا من اليد البيضاء
وكان بياضها يغشي البصر فاعطي سيدنا صلى الله عليه وسلم انه لم يزل نورا ينتقل في اصلاب
الاباء وبطون الامهات من لدن آدم الى ان انتقل الى عبد الله ابيه واعطي سيدنا صلى الله
عليه وسلم قتادة بن النعمان وصلى معه العشاء في ليلة مظلمة مطيرة عرجونا وقال انطلق به
فانه سيضيء لك من بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا فاذا دخلت بيتك فسترى سوادا فاضربه
حتى يخرج فانه الشيطان فانطلق فاضاء له العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد وضربه
حتى خرج رواه ابو نعيم واخرج البيهقي وصححه الحاكم عن انس قال كان عباد بن بشر واسيد
ابن حضير عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في حاجة حتى ذهب من الليل ساعة وهي ليلة
شديدة الظلمة ثم خرجا وبيد كل واحد منهما عصى فاضاءت لهما عصى احدهما فمشيا في ضوءها
حتى اذا افترقت بهم الطريق اضاءت للآخر عصاه فمشى كل واحد في ضوء عصاه حتى بلغ هديه
واخرج البخاري في تاريخه والبيهقي وابو نعيم عن حمزة الاسلمي قال كنا مع النبي صلى الله عليه
وسلم في سفر فتفرقنا في ليلة ظلماء فاضاءت اصابعي حتى جمعوا عليها ظهرهم وما هلك منهم وان

بعيني

الحتوف

امنا بعي لنبيه وممّا اعطيه موسى عليه السلام ايضا انفراق البحر له اعطي نبينا صلى الله عليه وسلم انشقاق القمر كما مرّ فموسى تصرف في عالم الارض وسيدنا صلى الله عليه وسلم تصرف في عالم السماء والفرق بينهما واضح وقال ابن المنير وذكر ابن حبيب ان بين السماء والارض بحرا يسمى المكفوف يكون بحر الارض بالنسبة اليه كالقطرة من البحر المحيط قال فعلى هذا يكون ذلك البحر انفلق لنبينا صلى الله عليه وسلم حتى جاوزه يعني ليلة الاسرا قال وهو اعظم من انفلاق البحر لموسى عليهما السلام وممّا اعطي موسى عليه السلام اجابة دعائه اعطي نبينا صلى الله عليه وسلم من ذلك ما لا يحصى وممّا اعطيه موسى عليه السلام تفجير الماء له من الحجارة اعطي سيدنا صلى الله عليه وسلم ان الماء تفجر من بين اصابعه وهذا ابلغ لان الحجر من جنس الارض التي ينبع منها الماء ولم تجر العادة بنبع الماء من اللحم ورحم الله القائل ٥ حيث قال

٥ وكل معجزة للرسل قد سلفت ٥ وافى باعجب منها عند اظهار ٥
٥ فما العصا حية تسعى باعجب من ٥ شكوى البعير ولا من مشي اشجار ٥
٥ ولا انفجار معين الماء من حجر ٥ اشد من سلسل من كفه جار ٥

وممّا اعطيه موسى عليه السلام الكلام ٥ اعطي سيدنا صلى الله عليه وسلم مثله ليلة الاسراء وزيادة الدنو وايضا كان مقام المناجاة في حق نبينا صلى الله عليه وسلم فوق السموات العلا وسدرة المنتهى والمستوى وحجب النور والرفرف ومقام المناجاة لموسى عليه السلام طور سينا واما ما اعطيه هرون عليه السلام من فصاحة اللسان فقد كان نبينا صلى الله عليه وسلم من الفصاحة والبلاغة بالمحل الافضل والموضع الذي لا يجهل ولقد قال له بعض اصحابه ما رأينا الذي هو افصح منك فقال وما يمنعني وانما نزل القرآن بلساني لسان عربي مبين وقد كانت فصاحة هرون غايتها في العبرانية والعربية افصح منها وهل كانت فصاحة هرون معجزة ام لا قال ابن المنير الظاهر انها لم تكن معجزة ولكن فضيلة ولم يتحد نبي من الانبياء بالفصاحة الا نبينا صلى الله عليه وسلم لان هذه الخصوصية لا تكون لغير الكتاب العزيز وهل فصاحته عليه السلام في جوامع الكلم التي ليست من التلاوة ولكنها معدودة من السنة هل تحدى بها ام لا والظاهر قوله عليه السلام اوتيت جوامع الكلم انه من التحدث بنعمة الله عليه وخصايصه ولا خلاف انها باعتبار ما اشتملت عليه من الاخبار بالمغيبات ونحوها معجزة واما ما اعطيه يوسف عليه السلام من شطر الحسن فاعطي نبينا صلى الله عليه وسلم الحسن كله وستاتي الاشارة الى ذلك ان شاء الله في مقصد الاسراء ومن تامل ما نقلته من صفته عليه الصلاة والسلام تبين له من ذلك التفضيل على كل مشهور بالحسن في كل جيل واما ما اعطيه يوسف ايضا من تعبير الرؤيا فالذي نقل عنه من ذلك ثلاث منامات احدها حين راى احد عشر كوكبا والشمس والقمر والثاني منام صاحبي السجن والثالث منام الملك وقد اعطي نبينا صلى الله عليه وسلم من ذلك ما لا يدخله الحصر ومن تصفح الاخبار وتتبع الاثار وجد من ذلك العجب العجاب وسياتي نبذة من ذلك ان شاء الله تعالى واما ما اعطيه داود عليه السلام من تليين الحديد فكان اذا امسك الحديد لان فاعطي نبينا صلى الله عليه وسلم ان العود اليابس اخضر بين يديه واورق ومسح صلى الله عليه وسلم شاة ام معبد الجرباء فدرت واما ما اعطيه سليمان عليه السلام من كلام

الطير

الطير وتسخير الشياطين والريح والملك الذي لم يعطه احد من بعده فقد اعطي سيدنا صلى الله عليه وسلم مثل ذلك وزيادة اما كلام الطير والوحش فنبينا صلى الله عليه وسلم كلمه الحجر وسبح في كفه الحصا وهو جماد وكلمه ذراع الشاة المسمومة كما تقدم في غزوة خيبر وكذلك كلمه الظبي وشكى اليه البعير كما مر وروي ان طيرا فجع بولده فجعل يرفرف على راسه صلى الله عليه وسلم ويكلمه فيقول ايكم فجع هذا بولده فقال رجل انا فقال اردد ولده ذكره الرازي وفي رواة ابو داود بلفظ كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فانطلق لحاجته فراينا حمرة معها فرخان فاخذنا فرخيها فجاءت الحمرة تعرش اي تدنو من الارض فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال من فجع هذه بولدها ردوا ولدها اليها الحديث وقصة كلام الذئب مشهورة واما الريح التي كانت غدوها شهر ورواحها شهر تحمله اين اراد من اقطار الارض فقد اعطي سيدنا صلى الله عليه وسلم البراق الذي هو اسرع من الريح بل هو اسرع من البرق الخاطف فحمله من الفرش الى العرش في ساعة زمانية واقل مسافة في ذلك سبعة الاف سنة وتلك مسافة السموات واما الى المستوى والى الرفرف فذلك لا يعلمه الا الله تعالى وايضا فالريح سخرت لسليمان لتحمله الى نواحي الارض ونبينا صلى الله عليه وسلم زويت له الارض اي جمعت حتى راى مشارقها ومغاربها وفرق بين من يسعى الى الارض وبين من تسعى له الارض واما ما اعطيه من تسخير الشياطين فقد روي ان ابا الشياطين ابليس اعترض سيدنا صلى الله عليه وسلم وهو في الصلاة فامكنه الله منه وربطه بسارية من سواري المسجد وخبرهما في شان سليمان من ذلك ايمان الجن بمحمد صلى الله عليه وسلم فسليمان استخدمهم ومحمد صلى الله عليه وسلم استسلمهم واما عد الجن من جنود سليمان في قوله تعالى وحشر لسليمان جنوده من الجن فخير منه عد الملائكة جبريل ومن معه في جملة اجناده عليه الصلاة والسلام باعتبار الجهاد وباعتبار تكثير السواد على طريقة الاجناد واما عد الطير من جملة اجناده فاعجب منه حمامة الغار ولو كبرها في الساعة الواحدة وحمايتها له من عدوه والغرض من استكثار الجند انما هو الحماية وقد حصلت من اعظم شيء بايسر شيء واما ما اعطيه من الملك فنبينا صلى الله عليه وسلم خير بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فاختار صلى الله عليه وسلم ان يكون نبيا عبدا ولله در القائل ٥ يا خير عبد على كل الملوك ولي ٥ واما ما اعطيه عيسى عليه السلام من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى فاعطي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم انه رد العين الى مكانها بعد ما سقطت فعادت احسن ما كانت وروي ان امراة معاذ بن عفراء وكانت برصاء فشكت ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح عليها بعصا فاذهب الله البرص منها ذكره الرازي وفي دلائل النبوة للبيهقي قصة الرجل الذي قال للنبي صلى الله عليه وسلم لا اومن بك حتى تحيي لي ابنتي وفيه انه صلى الله عليه وسلم اتى قبرها فقال يا فلانة فقالت لبيك وسعديك يا رسول الله الحديث وقد مر وايضا فقد سبح الحصا في كفه صلى الله عليه وسلم وحن الجذع لفراقه وذلك ابلغ من تكلم الموتى لان هذا من جنس ما لا يتكلم واما ما اعطيه عيسى ايضا من انه كان يعرف ما تخفيه الناس في بيوتهم فقد اعطي نبينا صلى الله عليه وسلم فقد اعطي نبينا صلى الله عليه وسلم من ذلك ما لا يحصى وسياتي من ذلك ان شاء الله تعالى ما يكفي ويشفي واما ما اعطيه عيسى ايضا من رفعه الى السماء فقد اعطي نبينا صلى الله عليه وسلم ذلك

صح تمتمة الشيء الخفي الخ فبلغناه ونقلناه

لليلة المعراج وزاد في الترقي لمزيد الدرجات وسماع المناجاة والحظوة في الحضرة القدسية
بالمشاهدات وبالجملة فقد خص الله تعالى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من خصايص التكريم
بما لم يعطه احدا من الانبيا عليهم الصلاة والسلام وقد روى جابر عنه صلى الله عليه وسلم
انه قال اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي كان كل نبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل احمر
واسود واحلت لي الغنايم ولم تحل لاحد وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من امتي
ادركته الصلاة فليصل حيث كان ونصرت بالرعب مسيرة شهر واعطيت الشفاعة رواه البخاري
وفي رواية وبعثت الى الناس كافة وزاد البخاري في روايته في الصلاة عن محمد بن سنان
من الانبيا وعند الامام احمد اعطيت خمسا لم يعطهن نبي قبلي ولا اقوله فخرا وفيه فاعطيت
الشفاعة فاخرتها لامتي فهي لمن لا يشرك بالله شيا واسناده كما قال ابن كثير جيد وليس المراد
حصر خصايصه عليه الصلاة والسلام في هذه الخمسة المذكورة فقد روى مسلم من حديث
ابي هريرة مرفوعا فضلت على الانبيا بست اعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وجعلت
لي الارض طهورا ومسجدا وارسلت الى الخلق كافة وختم بي النبيون فذكر الخمسة المذكورة
في حديث جابر الا الشفاعة وزاد خصلتين وهما واعطيت جوامع الكلم وختم بي النبيون
فتحصل منه ومن حديث جابر سبع خصال ولمسلم ايضا من حديث حذيفة فضلنا على الناس
بثلاث جعلت صفوفنا كصفوف الملايكة وذكر خصلة الارض كما تقدم قال وذكر خصلة اخرى
وهذه الخصلة المبهمة بينها ابن خزيمة والنساي وهي واعطيت هذه الايات من اخر
سورة البقرة من كنز تحت العرش يشير الى ما حطه الله تعالى عن امته من الاصر
وتحمل ما لا طاقة لهم به ورفع الخطا والنسيان فصارت الخصال تسعا ولاحمد من حديث
علي اعطيت اربعا لم يعطهن احد من انبيا الله تعالى اعطيت مفاتيح الارض وسميت احمد
وجعلت امتي خير الامم وذكر خصلة التراب فصارت الخصال ثنتي عشرة خصلة وعند
البزار من وجه اخر عن ابي هريرة رفعه فضلت على الانبيا بست غفر لي ما تقدم من ذنبي
وما تاخر وجعلت امتي خير الامم واعطيت الكوثر وان صاحبكم لصاحب لوا الحمد يوم
القيامة تحته ادم فمن دونه وذكر ثنتين مما تقدم وله من حديث ابن عباس رفعه
فضلت على الانبيا بخصلتين كان شيطاني كافرا فاعانني الله عليه فاسلم قال ونسيت الاخرى
فينتظم بهذا سبع عشرة خصلة ويمكن ان يوجد اكثر من ذلك لمن امعن التتبع وقد ذكر
ابو سعيد النيسابوري في كتاب شرف المصطفى ان عدد الذي اختص به صلى الله عليه وسلم
ستون خصلة وطريق الجمع ان يقال لعله عليه السلام اطلع اولا على بعض ما اختص
ثم اطلع على الباقي ومن لا يرى مفهوم العدد حجة يدفع هذا الاشكال من اصله وقد ذكر
بعض العلما انه صلى الله عليه وسلم اوتي ثلاثة الاف معجزة وخصيصة وقد اختلف
في العلم بخصايصه عليه الصلاة والسلام فقال الصيمري من الشافعية منع ابو علي
ابن خيران الكلام فيها لانه امر انقضى فلا معنى للكلام فيه وقال امام الحرمين قال
المحققون ذكر الاختلاف في مسايل الخصايص خبط غير مفيد فانه لا يتعلق به حكم ناجز تمس
اليه حاجة وانما يجري الخلاف فيما لا يوجد بد من اثبات حكم فيه فان الاقيسة لا مجال لها

والاحكام

في اقسام الخصايص

والاحكام الخاصة يتبع فيها النصوص وما لا نص فيه فالخلاف فيه هجوم على الغيب من غير فايدة
وقال النووي في الروضة والتهذيب بعد نقله هذين الكلامين وقال ساير الاصحاب
لا باس به وهو الصحيح لما فيه من زيادة العلم فهذا كلام الاصحاب **والصواب**
الجزم بجواز ذلك بل باستحبابه ولو قيل بوجوبه لم يكن بعيدا لانه ربما راى جاهل بعض
الخصايص ثابتا في الحديث الصحيح فعمل به اخذا باصل التاسي فوجب بيانها لتعرف فلا يعمل
فاي فايدة اهم من هذه واما ما يقع في ضمن الخصايص مما لا فايدة فيه اليوم فقليل لا تخلو
ابواب الفقه عن مثله للتدرب ومعرفة الادلة وتحقيق الشي على ما هو عليه انتهى كلام
النووي وقد تتبعت ما شرف الله تعالى به نبينا من الخصايص والايات واكرمه به من الفضايل
والكرامات من كتب العلما كالخصايص لابن سبع وخصايص الروضة للنووي ومختصرها
للحجازي وشرح الحاوي لابن الملقن **وشرح البهجة** لشيخ الاسلام زكريا الانصاري
واللفظ المكرم في خصايص النبي صلى الله عليه وسلم للشيخ قطب الدين الخيضري واستمدت
منه كثيرا خصوصا في فصل المعجزات مع ما رايته اثنا مطالعتي لفتح الباري وشرح مسلم
للنووي وشرح تقريب الاسانيد للعراقي وغير ذلك مما يطول ذكره فتحصل لي من ذلك جملة
وقد قسمها غير واحد من الايمة اربعة اقسام الاول ما اختص به صلى الله عليه وسلم
من الواجبات والحكمة في ذلك زيادة الزلفى والدرجات فانه لن يتقرب المتقربون الى الله تعالى
بمثل ادا ما افترض عليهم قال بعضهم خص الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام بواجبات عليه
لعلمه بانه اقوم بها منهم وقيل ليجعل اجره بها اعظم فاختص صلى الله عليه وسلم بوجوب الضحى
على المذهب لكن قول عايشة في الصحيح ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسبح سبحة
الضحى يدل على ضعف انها كانت واجبة عليه قال الحافظ ابن حجر ولم يثبت ذلك في خبر صحيح
انتهى وساتي مزيد لذلك ان شا الله تعالى في ذكر صلاة الضحى من مقصد عباداته عليه
السلام وهل كان الواجب عليه اقل الضحى او اكثرها او ادنى الكمال قال الحجازي لم نقل فيه
لكن في مسند احمد امرت بركعتي الضحى ولم تومروا بها ومنها الوتر وركعتا الفجر كما رواه الحاكم
في المستدرك وغيره ولفظ احمد والطبراني ثلاث علي فريضة وهن لكم تطوع الوتر
وركعتا الفجر وركعتا الضحى قال بعضهم وقد ثبت انه عليه الصلاة والسلام صلى الوتر
على الراحلة قال ولو كان واجبا لما جاز فعله على الراحلة **وتعقب** بان فعله على الراحلة
من الخصايص ايضا كما سياتي فيما اختص به عليه السلام من المباحات ان شا الله تعالى
اجيب بانه يحتاج الى دليل وهل كان الواجب عليه اقل الوتر ام اكثره ام ادنى
الكمال قال الحجازي لم ار فيه نقلا والله اعلم ومنها صلاة الليل قال تعالى ومن الليل
فتهجد به نافلة لك اي فريضة زايدة لك على الصلاة المفروضة او فضيلة لك لاختصاص
وجوبه بك وهذا ما صححه الرافعي ونقله النووي والجمهور ثم قال وحكى الشيخ ابو حامد ان الشافعي
نص على انه نسخ وجوبه في حقه كما نسخ في حق غيره ومنها السواك واستدلوا له بما رواه ابو داود
من حديث عبد الله بن ابي حنظلة بن ابي عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر بالوضوء
عند كل صلاة طاهرا وغير طاهر فلما شق عليه ذلك امر بالسواك لكل صلاة وفي اسناده محمد

ابن اسحق وقد رواه بالعنعنة وهو مدلس وحجة من لم يجعله واجبا عليه ما رواه ابن ماجه
في سننه من حديث ابي امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما جاءني جبريل الا اوصاني
بالسواك حتى خشيت ان يفرض علي وعلى امتي واسناده ضعيف وروى احمد في مسنده
من حديث واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت بالسواك
حتى خشيت ان يكتب علي واسناده حسن ولكنها بعض لا تثبت الا بدليل صحيح قاله
في شرح تقريب الاسانيد ومنها الاضحية قال الله تعالى فصل لربك وانحر وروى الدارقطني
والحاكم عن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قال ثلاث هن علي فرائض وهن لكم تطوع النحر
والوتر وركعتا الفجر **ومنها** المشاورة قال الله تعالى وشاورهم في الامر فظاهره الايجاب
ويقال انه استحباب استمالة للقلوب ومعناه استخرج اراءهم واختلف في المعنى الذي لاجله
امر الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام بالمشاورة مع كمال عقله وجزالة رايه وتتابع الوحي
عليه ووجوب طاعته على امته فقال بعضهم هو خاص في المعنى وان كان عاما في اللفظ اي وشاورهم
فيما ليس عندك من الله فيه عهد يدل عليه قراءة ابن عباس وشاورهم في بعض الامر وقال الكلبي
يعني ناظرهم في لقاء العدو ومكايد الحرب عند الغزو وقال قتادة ومقاتل كانت سادات العرب
اذا لم يشاوروا في الامر شق عليهم فامر الله نبيه عليه الصلاة والسلام ان يشاورهم فان ذلك
اعطف لهم واذهب لاضغانهم واطيب لنفوسهم وقال الحسن قد علم الله ان ما به اليهم حاجة
ولكنه اراد ان يستن به من بعده وحكى القاضي ابو يعلى في الذي امر بالمشاورة فيه
قولين احدهما في امر الدنيا خاصة والثاني في امر الدين والدنيا وهو الاصح قاله المعافى
في تفسيره والحكمة في المشاورة في الدين التنبيه لهم على علل الاحكام وطريق الاجتهاد
واخرج ابن عدي والبيهقي في الشعب عن ابن عباس قال لما نزلت وشاورهم في الامر قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان الله ورسوله لغنيان عنها ولكن جعلها الله رحمة لامتي
وعند الترمذي الحكيم من حديث عائشة رفعته ان الله امرني بمداراة الناس كما امرني
باقامة الفرائض **ومنها** مصابرة العدو وان كثر عددهم ومنها تغيير المنكر اذا راه لكن قد يقال
كل مكلف تمكن من تغييره يلزمه فيقال المراد انه لا يسقط عنه صلى الله عليه وسلم بالخوف
بخلاف غيره ومنها قضاء دين من مات مسلما معسرا روى مسلم حديث انا اولى بالمؤمنين
من انفسهم فمن توفي وعليه دين فعلي قضاؤه ومن ترك مالا فلورثته قال النووي كان هذا
القضاء واجبا عليه صلى الله عليه وسلم وقيل تبرع منه والخلاف وجهان لاصحابنا وغيرهم قال
ومعنى الحديث انه عليه السلام قال انا قائم بمصالحكم في حياة احدكم او موته انا وليه في الحالين
فان كان عليه دين قضيته من عندي ان لم يخلف وفاء وان كان له مال فلورثته لا اخذ منه شيئا
وان خلف عيالا محتاجين ضائعين فاليأتوا الي فعلي نفقتهم ومؤنتهم انتهى وفي وجوب قضائه
على الامام من المصالح وجهان لكن قال الامام من استدان وبقي معسرا الى ان مات لم يقض
دينه من بيت المال فان كان ظلم بالمطل ففيه احتمال والاولى لا والله اعلم **ومنها** تخيير نسائه
في فراقه وامساكهن بعد ان اخترنه في احد الوجهين وترك الزوج عليهن والتبدل بهن مكافاة
لهن ثم نسخ ذلك لتكون المنة له عليه الصلاة والسلام عليهن قال الله تعالى يا ايها النبي قل لازوا

بعضهم

الصلاة صح

الدكتي

اجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها الاية واختلف في تخييره لهن على قولين احدهما انه خيرهن
بين اختيار الدنيا فيفارقهن او اختيار الاخرة فيمسكهن ولم يخيرهن في الطلاق وهذا قول
الحسن وقتادة والثاني انه خيرهن بين الطلاق والمقام معه وهذا قول عائشة ومجاهد
والشعبي ومقاتل واختلفوا في السبب الذي لاجله خير صلى الله عليه وسلم نساءه على اقوال
احدها ان الله تعالى خيره بين ملك الدنيا ونعيم الاخرة على الدنيا فاختار الاخرة وقال اللهم
احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين فلما اختار ذلك امره الله
تعالى بتخيير نسائه ليكن على مثل اختياره حكاه ابو القاسم الصيمري الثاني لانهن تغايرن عليه
والثالث لان ازواجه طالبنه وكان غير مستطيع فكان اولهن ام سلمة سالته سترا معلما
فلم يقدر عليه وسالته ميمونة حلة يمانية وسالته زينب ثوبا مخططا وهو البرد اليماني وسالته
ام حبيبة ثوبا سحوليا وسالته كل واحدة شيئا الا عائشة حكاه النقاش والرابع ان ازواجه
عليه الصلاة والسلام اجتمعن يوما فقلن نريد كما يريد النساء من الحلي فانزل الله تعالى اية
التخيير حكاه النقاش ايضا وذلك انه لما نصر الله تعالى رسوله وفتح عليه قريظة والنضير ظن
ازواجه انه اختص بنفائس اليهود وذخائرهم فقعدن حوله وقلن يا رسول الله بنات كسرى
وقيصر في الحلي والحلل ونحن على ما تراه من الفاقة والضيق والمن قلبه لمطالبتهن له
بتوسعة الحال وان يعاملن بما يعامل به الملوك والاكابر ازواجهم **فامره الله تعالى ان يتلو
عليهن ما نزل في امرهن** لئلا يكون لاحد منهن منة عليه في الصبر على ما اختاره من خشونة
العيش **فلما اخترنه** وصبرن معه عوضهن الله على صبرهن بامرين احدهما ان جعلهن امهات
المؤمنين تعظيما لحقهن وتاكيدا لحرمتهن وتفضيلهن على سائر النساء بقوله لستن كاحد
من النساء والثاني ان حرم عليه طلاقهن والاستبدال بهن فقال تعالى لا يحل لك النساء من بعد
ولا ان تبدل بهن من ازواج الاية فكان تحريم طلاقهن مستدا ما واما تحريم التزويج عليهن فنسخ
قالت عائشة ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احل له النساء يعني اللاتي حرمن عليه
وقيل الناسخ لتحريمهن قوله تعالى انا احللنا لك ازواجك الاية وقال النووي في الروضة لما خير
فاخترنه كافاهن الله على حسن صنيعهن بالجنة فقال فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما
انتهى وانما اختص صلى الله عليه وسلم بوجوب التخيير لنسائه بين التسريح والامساك لان الجمع
بين عدد منهن يوغر صدورهن بالغيرة التي هي من اعظم الالام وهو ايذاء يكاد ينفر القلب
ويوهن الاعتقاد وكذا الزامهن على الصبر والفقر يوذيهن ومهما القي زمام الامر اليهن خرج عن ان يكون
ضررا فنزه عن ذلك منصبه العالي وقيل له يا ايها النبي قل لازواجك **ومنها** اتمام كل تطوع شرع
فيه حكاه في الروضة واصلها قال النووي وهو ضعيف وفرعه بعضهم على انه كان يحرم عليه
صلى الله عليه وسلم اذا لبس لامته ان ينزعها حتى يلقى العدو ويقاتل وذكره في تهذيب الاسماء واللغات
ومنها انه كان يلزمه اداء فرض الصلاة بلا خلل قاله الماوردي قال العراقي في شرح المهذب انه كان
معصوما عن نقص الفرض انتهى والمراد خلل لا يبطل الصلاة وقال بعضهم كان يجب عليه صلى الله
عليه وسلم اذا راى ما يعجبه ان يقول لبيك ان العيش عيش الاخرة ثم قال هذه كلمة صدرت
منه صلى الله عليه وسلم في انعم حاله وهو يوم حجه بعرفة وفي اشد حاله وهو يوم الخندق انتهى

ومنها انه كان يوخذ عن الدنيا حالة الوحي ولا يسقط عنه الصوم والصلاة وسائر الاحكام كما ذكره في زوائد الروضة عن ابن القاص والقفال وكذا ذكره ابن سبع ومنها انه كان يغان على قلبه فيستغفر الله سبعين مرة ذكره ابن القاص ونقله ابن الملقن في الخصائص وروى مسلم وابو داود من حديث الاغر المزني بلفظ انه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة هذا لفظ مسلم قال ابو داود في كل يوم قال الشيخ ولي الدين العراقي والظاهر ان الجملة الثانية مترتبة على الاولى وان سبب الاستغفار الغين ويدل لذلك قوله في رواية النسائي في عمل اليوم والليلة انه ليغان على قلبي حتى استغفر الله كل يوم مائة مرة **وفي رواية له ايضا** فاستغفر الله **وألفاظ الحديث** المختلفة يفسر بعضها بعضا ويحتمل من حيث اللفظ ان تكون الجملة الثانية كلاما مستأنفا غير متعلقة بما قبله فيكون عليه الصلاة والسلام اخبر بانه يغان على قلبه وبانه يستغفر الله في اليوم مائة مرة انتهى وقال ابو عبيد اصل الغين ما يغشى القلب ولا يغطيه كل التغطية كالغيم الرقيق الذي يعرض في الهوا فلا يمنع ضوء الشمس قال القاضي عياض بعد حكاية ذلك فيكون المراد بهذا الغين اشارة الى غفلات قلبه وفترات نفسه وسهوها عن مداومة الذكر ومشاهدة الحق بما كان صلى الله عليه وسلم دفع اليه من مقامات البشر وسياسة الامة ومعاناة الاهل ومقاومة الولي والعدو ومصلحة النفس وكلفه من اعباء اداء الرسالة وحمل الامانة وهو في كل هذا في طاعة ربه وعبادة خالقه ولكن لما كان صلى الله عليه وسلم ارفع الخلق عند الله مكانة واعلاهم درجة واتمهم به معرفة وكانت حاله عند خلوص قلبه وخلو همته وتفرده بربه واقباله بكليته عليه ومقامه هنالك ارفع حاليه راى عليه الصلاة والسلام حال فترته عنها وشغله بسواها غضا من علي حاله وخفضا من رفيع مقامه فاستغفر الله من ذلك قال وهذا اولى وجوه الحديث واشهرها والى معنا ما اشرنا اليه مال كثير من الناس وحام حوله فقارب ولم يرد وقد قربنا غامض معناه وكشفنا للمستفيد محياه وهو مبني على جواز الفترة والغفلات والسهو في غير طريق البلاغ انتهى وتعقب بانه لا يرتضى نسبته صلى الله عليه وسلم الى ذلك لما يلزم عليه من تفضيل الملائكة بعدم الفتر عن التسبيح والمشاهدة ولقوله عليه الصلاة والسلام لست انسى ولكني انسى لاسن فهذه ليست فترة وانما هو لحكمة مقصودة يثبت بها حكم شرعي فالاولى ان يحمل على ما جعله علة فيه وهو ما دفع اليه من مقاسات البشر وسياسة الامة ومعاناة الاهل وحمل كل اعباء النبوة وحمل اثقالها انتهى وقيل الغين شيء يعتري القلب مما يقع من حديث النفس قال الحافظ شيخ الاسلام ابن حجر وهذا اشار اليه الرافعي في اماليه وقال ان والده كان يقرره وقيل كانت حالة يطلع فيها على احوال امته فيستغفر لهم وقيل هو السكينة التي تغشى قلبه والاستغفار لاظهار العبودية لله والشكر لما اولاه وقال شيخ الاسلام ابن العراقي ايضا هذه الجملة حالية اخبر عليه الصلاة والسلام انه يغان على قلبه مع ان حالة الاستغفار في اليوم مائة مرة وهي حال مقدرة لان الغين ليس موجودا في حال الاستغفار بل اذا جاء الاستغفار اذهب ذلك الغين قال وعلى تقدير تعلق احدى الجملتين بالاخرى وان الثانية مسببة عن الاولى فيحتمل ان يكون هذا الغين تغطية للقلب على امور الدنيا وحجابا بينه وبينها فينجمع القلب حينئذ على الله تعالى ويتفرغ للاستغفار شكرا وملازمة للعبودية قال

وهذا

وهذا معنى ما قاله القاضي عياض انتهى ومراد قوله في الشفا وقد يحتمل ان تكون هذه الاغانة حالة خشية واعظام تغشى قلبه فيستغفر حينئذ شكرا لله وملازمة لعبوديته الى آخر كلامه قال الشيخ ابن العراقي وهو عندي كلام حسن جدا او تكون الجملة الثانية مسببة عن الاولى بمعنى انه يسعى بالاستغفار في ازالة الغين بل بمعنى ان الغين اصل محمود وهو الذي تسبب عنه الاستغفار وترتب عليه وهذا انزه الاقوال واحسنها لان الغين حينئذ وصف محمود وهو الذي نشأ عنه الاستغفار وعلى الاول يكون الغين مما يسعى في ازالته بالاستغفار وفيه من الاشكال وجاء السؤال الاتي على تفسير الغين بذلك واهل اللغة انما فسروا الغين بالغشاء فنحمله على غشاء يليق بحاله صلى الله عليه وسلم وهو الغشاء الذي يصرف القلب ويحجبه عن امور الدنيا لا سيما وقد رتب على الغشاء امرا محمودا وهو الاستغفار فما نشأ هذا الامر الحسن الا عن حسن انتهى وذكر الشيخ تاج الدين بن عطاء الله في كتابه لطائف المنن ان الشيخ ابا الحسن الشاذلي قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فسألته عن هذا الحديث انه ليغان على قلبي فقال لي يا مبارك ذلك غين الانوار لا غين الاغيار **القسم الثاني ما اختص به صلى الله عليه وسلم** من تحريم عليه فمنها تحريم الزكاة عليه وكذا الصدقة على الصحيح المشهور المنصوص قال عليه السلام انا لا ناكل الصدقة رواه مسلم ومن قال باباحتها له يقول لا يلزم من امتناعه من اكلها تحريمه فلعله تركه ذلك تنزها مع اباحته له وهذا خلاف ظاهر الحديث قال شيخ الاسلام ابن العراقي في شرح التقريب وعلى كل حال فنفيه ان من خصائصه عليه الصلاة والسلام الامتناع من اكل الصدقة اما وجوبا واما تنزها انتهى **والحكمة** في ذلك صيانة منصبه الشريف عن اوساخ اموال الناس ومنها تحريم الزكوة على آله وتحريم كون آله عمالا على الزكوة في الاصح وكذا يحرم صرف النذر والكفارة اليهم واما صدقة التطوع فتحل لهم في الاصح خلافا للمالكية وهو عندنا ومنها انه يحرم عليه صلى الله عليه وسلم اكل ما له رائحة كريهة كثوم وبصل لتوقع مجيء الملائكة والوحي كل ساعة والاكل متكئا في احد الوجهين فيهما والاصح في الروضة كراهتهما **وتعقب السهيلي** الاتكا فقال تذكيره لغيره ايضا لانه من فعل المتعظمين وتقدم مزيد لذلك ومنها تحريم الكتابة والشعر وانما يتجه القول بتحريمهما ممن يقول انه صلى الله عليه وسلم كان يحسنهما والاصح انه كان لا يحسنهما قال تعالى وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك وما علمناه الشعر وما ينبغي له اي ما هو في طبعه ولا يحسنه ولا تقتضيه جبلته ولا يصلح له واجيب بان المراد تحريم التوصل اليهما وهل تعلم الشعر خاص به عليه الصلاة والسلام او بنوع الانبياء قال بعضهم هو عام لقوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له لانه لا يظهر فيه للخصوص نكتة وتقدم في قصة الحديبية البحث في كونه عليه الصلاة والسلام هل كان يحسن الكتابة ام لا ومنها نزع لامته اذا لبسها حتى يقاتل او يحكم الله بينه وبين عدوه ومنها المن ليستكثر ذكره الرافعي قال الله تعالى ولا تمنن تستكثر اي لا تعط شيئا لتطلب اكثر منه بل اعط لربك واقصد به وجهه فادبه باشرف الآداب قاله اكثر المفسرين وقال الضحاك ومجاهد هذا كان للنبي خاصة وليس على احد من امته وقال قتادة لا تعط شيئا لمجازاة الدنيا اي اعط لربك وعن الحسن لا تمنن على الله بعملك

فتستكثره وقيل لا تمنن على الناس بالنبوة فتأخذ عليها أجرا او عوضا من الدنيا ومنها مد العين
الى ما متع به الناس قال الله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به اي استحسانا له وتمنيا
ان يكون لك مثله ازواجا منهم اي اشكالا واشباها من الكفار وهي المزاوجة بين الاشياء
وهي المشاكلة وعن ابن عباس اصنافا منهم فانه مستحقر بالاضافة الى ما اوتيه فانه
كامل مطلوب بالذات مفض الى دوام اللذات ومنها خائنة الاعين وهي الايماء الى مباح
من قتل او ضرب على خلاف ما يشعر به الحال كما قيل له عليه السلام في قصة رجل اراد
قتله هلا اومأت الينا بقتله فقال ما ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الاعين ولا يحرم ذلك
على غيره الا في محظور قاله الرافعي فيما نقله الحجازي في مختصر الروضة ومنها نكاح من لم
تهاجر في احد الوجهين قال الله تعالى يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي آتيت اجورهن
اي مهورهن لان المهر اجر على البضع وتقييد الاحلال باعطائها معجلة لا تتوقف الحل عليه بل
لايثار الافضل له كتقييد احلال المملوكة بكونها مسبية في قوله وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك
وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك يعني من نساء زهرة اللاتي هاجرن معك
اي الى المدينة قالوا والمراد هاجرت كما هاجرت وان تكن هجرتها في حال هجرته عليه الصلاة والسلام
وظاهره يدل على ان الهجرة شرط في التحليل وان من لم تهاجر من النساء لم يحل له نكاحها وقالت
ام هانئ خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه بعذر فعذرني ثم انزل الله
تعالى يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك الى قوله اللاتي هاجرن معك فلم اكن احل له فاني لم اهاجر
معه كنت من الطلقاء وعن بعض المفسرين ان شرط الهجرة في التحليل منسوخ ولم يذكر ناسخه
وعن الماوردي قولان احدهما ان الهجرة شرط في احلال كل النساء له عليه الصلاة والسلام
من غريبة وقريبة والثاني انها شرط في احلال بنات عمه وعماته المذكورات في الاية وليس شرطا
في احلال الاجنبيات وعنه ايضا ان المراد بالمهاجرات المسلمات ومنها تحريم امساك من كرهته
قاله الحجازي وغيره ومنها نكاح الكتابية لان ازواجه امهات المؤمنين وزوجاته في الاخرة
ومعه في درجته في الجنة ولانه اشرف من ان يضع ماءه في رحم كافرة قالوا ولو نكح
كتابية لهديت الى الاسلام كرامة له ومنها نكاح الامة المسلمة ولو قدر نكاحه امة كان
ولده منها حرا ولا تلزمه قيمته لتعذر الرق قاله القاضي حسين وقال ابو عاصم نعم نقله
الحجازي ولا يشترط في حقه حينئذ خوف العنت ولا فقد الطول واما التسري بالامة فالاصح
الحل لانه صلى الله عليه وسلم استمتع بامته ريحانة قبل ان تسلم وعلى هذا فهل عليه تخييرها
بين أن تسلم فيمسكها او تقيم على دينها فيفارقها فيه وجهان احدهما نعم لتكون من زوجاته
في الاخرة والثاني لا لانه لما عرض على ريحانة الاسلام ابت لم يزلها عن ملكه واقام على الاستمتاع
وقد اسلمت بعد ومنها تحريم الاغارة اذا سمع التكبير ذكره ابن سبع في الخصائص

القسم الثالث فيما اختص به صلى الله عليه وسلم من المباحات

اختص عليه الصلاة والسلام باباحة المكث في المسجد جنبا قاله صاحب التلخيص ومنعه
القفال قال النووي وما قاله في التلخيص قد يحتج له بقوله صلى الله عليه وسلم في حديث
أبي سعيد الخدري يا علي لا يحل لاحد ان يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك قال الترمذي

حسن

حسن غريب وقد يعترض على هذا الحديث بان عطية ضعيف عند الجمهور ويجاب بان الترمذي
حكم بانه حسن فلعله اعتضد بما اقتضى حسنه لكن اذا شاركه عليه الصلاة والسلام
علي في ذلك لم يكن من الخصائص وقد غلط امام الحرمين وغيره صاحب التلخيص في الاباحة
واعلم ان معظم المباحات لم يفعلها صلى الله عليه وسلم ومما اختص به ايضا انه لا ينتقض
وضوءه بالنوم مضطجعا وفي اللمس وجهان قال النووي المذهب الجزم بانتقاضه
واستدل القائلون بالاول بنحو حديث عائشة عند ابي داود ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان يقبل بعض ازواجه ثم يصلي ولا يتوضأ ورواه النسائي ايضا وقال
ابو داود هو مرسل ابراهيم التيمي لم يسمع من عائشة وقال النسائي ليس في هذا الباب
حديث احسن من هذا الحديث وان كان مرسلا واختص ايضا باباحة الصلاة بعد العصر
فقد فاتته ركعتان بعد الظهر فقضاهما بعد العصر ثم واظب عليهما ذكره الحجازي وبجواز
صلاة الوتر على الراحلة مع وجوبه عليه كما ذكره في شرح المهذب وعبارته كان من خصائصه
صلى الله عليه وسلم جواز فعل الواجب الخاص به على الراحلة وبالصلاة على الغائب
عند ابي حنيفة وبالقبلة في الصوم مع قوة الشهوة روى البخاري من حديث عائشة
قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل بعض ازواجه وهو صائم وكان املككم
لاربه قال الحافظ ابن حجر فاشارت بذلك الى ان الاباحة لمن يكون مالكا لنفسه دون من لا
يأمن الوقوع فيما يحرم قال وفي رواية حماد عند النسائي قال الاسود قلت لعائشة
أيباشر الصائم قالت لا قلت أليس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يباشر وهو صائم
قالت انه كان املككم لاربه قال وظاهر هذا انها اعتقدت خصوصية النبي صلى الله عليه
وسلم بذلك قاله القرطبي قال وهو اجتهاد منها ويدل على انها لا ترى بتحريمها ولا بكونها
من الخصائص ما رواه مالك في الموطأ ان عائشة بنت طلحة كانت عند عائشة فدخل
عليها زوجها وهو عبد الله بن عبد الرحمن بن ابي بكر فقالت له عائشة ما يمنعك ان تدنو
من اهلك فتلاعبها وتقبلها قال اقبلها وانا صائم قالت نعم واختص ايضا باباحة الوصال
في الصوم كما سيأتي وقال امام الحرمين هو قربة في حقه عليه السلام وان يأخذ
الطعام والشراب من مالكهما المحتاج اليهما اذا احتاج ويجب على صاحبهما البذل ويفدي
بمهجته مهجة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى النبي اولى بالمؤمنين
من انفسهم ولو قصده ظالم وجب على من حضره ان يبذل نفسه دونه صلى الله عليه
وسلم كما وقاه طلحة بنفسه يوم احد وباباحة النظر الى الاجنبيات وسيأتي في القسم
الرابع ان شاء الله تعالى حكم غيره عليه الصلاة والسلام واختص ايضا بجواز الخلوة بهن
قال في فتح الباري الذي وضح لنا بالادلة القوية ان من خصائصه صلى الله عليه وسلم
جواز الخلوة بالاجنبية والنظر اليها ويدل له قصة ام حرام بنت ملحان في دخوله
عليها ونومه عندها وتفليتها رأسه ولم يكن بينهما محرمية ولا زوجية انتهى ومنها
نكاح اكثر من اربع نسوة وكذلك الانبياء وفي الزيادة لنبينا على التسع خلاف ويجوز له
النكاح بلفظ الهبة من جهة المرأة قال تعالى وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي

واما من جهته صلى الله عليه وسلم فلا بد من لفظ الانكاح او التزويج على الاصح في اصل الروضة وحكاه الرافعي عن ترجيح الشيخ ابي حامد لظاهر قوله تعالى ان اراد النبي ان يستنكحها قال البيضاوي في قوله وامراة مومنة الاية اي اعلمنا لك حل امراة مؤمنة تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا ان اتفق ولذلك نكرها واختلف في ذلك والقائل به ذكر انها ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة الانصارية وام شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم قال وقرئ بالفتح اي لان وهبت او مدة ان وهبت كقولك اجلس ما دام زيد جالسا قال وفي قوله ان اراد النبي ان يستنكحها شرط للشرط الاول في استيجاب الحل فان هبتها نفسها منه لا توجب له الا ارادة نكاحها فانها جارية مجرى القبول قال والعدول عن الخطاب الى الغيبة بلفظ النبي مكررا ثم الرجوع اليه في قوله خالصة لك من دون المؤمنين ايذان بانه مما خص به لشرف نبوته وتقرير لاستحقاقه الكرامة لاجله انتهى وقال المفسرون في معنى خالصة ثلاثة اقوال احدها ان المراة اذا وهبت نفسها له لم يلزمه صداقها دون غيره من المؤمنين قاله انس بن مالك وابن المسيب والثاني ان له ان ينكحها بلا ولي ولا شهود دون غيره قاله قتادة والثالث خالصة لك ان تملك عقد نكاحها بلفظ الهبة دون المؤمنين قال وهذا قول الشافعي واصحابه وعن ابي حنيفة ينعقد النكاح بلفظ الهبة لغيره صلى الله عليه وسلم ايضا وكذا يجوز له عليه الصلاة والسلام النكاح بلا مهر ابتداء وانتهاء كما تقدم ان المراة اذا وهبت نفسها له عليه الصلاة والسلام لا يلزمه صداقها قال النووي اذا وهبت امراة نفسها له عليه الصلاة والسلام فتزوجها بلا مهر حل له ذلك ولا يجب عليه بعد ذلك مهرها بالدخول ولا بغير ذلك بخلاف غيره فانه لا يخلو نكاحه من وجوب مهر اما مسمى واما مهر المثل فالله اعلم وكذا يجوز له النكاح في حالة الاحرام قال النووي في شرح مسلم قال جماعة من اصحابنا انه صلى الله عليه وسلم كان له ان يتزوج في حال الاحرام وهو مما خص به دون الامة قال وهذا اصح الوجهين عند اصحابنا انتهى وكذا يجوز له النكاح بغير رضى المراة فلو رغب في نكاح امراة خلية لزمها الاجابة وحرم على غيره خطبتها او مزوجة وجب على زوجها طلاقها قال الغزالي ولعل السر فيه من جانب الزوج امتحان ايمانه بتكليف النزول عن اهله فانه صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه واهله وولده والناس اجمعين انتهى ويدل لذلك قصة زينب بنت جحش بنت عمته صلى الله عليه وسلم اميمة بنت عبد المطلب المنصوص عليها بقوله تعالى واذ تقول للذي انعم الله عليه اي بنعمة الاسلام وهي اجل النعم وانعمت عليه اي بالاعتاق بتوفيق الله لك وهو زيد بن حارثة الكلبي وكان من سبي الجاهلية فملكه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة واعتقه وتبناه وخطب له زينب فابت هي واخوها عبد الله ثم رضيا لما نزل قوله تعالى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة الاية وكان الرجل في الجاهلية وصدر من الاسلام اذا تبنى ولد غيره يدعوه الناس به ويرث ميراثه ويحرم عليه زوجته فنسخ الله تعالى التبني بقوله ادعوهم لابائهم وبهذه القصة لبيت الحكم بالقول والفعل فاوحى الله تعالى اليه ان زيدا سيطلقها وانه صلى الله عليه وسلم يتزوجها والقى في قلب زيد كراهتها فاراد فراقها فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني اريد ان افارق

صاحبتي قال ما لك أرابك منها شيء قال لا والله يا رسول الله ما رايت منها الا خيرا ولكنها تتعظم علي بشرفها وتؤذيني بلسانها فقال له صلى الله عليه وسلم امسك عليك زوجك واتق الله اي في امرها فلا تطلقها ضرارا او تعللا فلما قضى زيد منها وطرا ولم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها زوجها الله تعالى له كما قال تعالى زوجناكها والمعنى انه امره بتزوجها منه او جعلها زوجته بلا واسطة عقد ويؤيده انها كانت تقول لسائر نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تولى نكاحي وانتن زوجكن اولياؤكن وقيل ان زيدا كان السفير للتزويج وفي ذلك لزيد ابتلاء عظيم وشاهد بين على قوة ايمانه وقد علل تعالى تزويجه اياها بقوله لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اي في ان يتزوجوا زوجات من كانوا يتبنونه اذا فارقوهن وان هؤلاء الزوجات ليسن داخلات فيما حرم في قوله وحلائل ابنائكم واما قوله وتخفي في نفسك فمعناه علمك انه سيطلقها فعاتبه الله على هذا القدر في شيء اباحه له بان قال امسك مع علمه انه يطلق وهذا مروي عن علي ابن الحسين وعليه اهل التحقيق من المفسرين كالزهري وبكر بن العلاء والقاضي ابي بكر بن العربي وغيرهم والمراد بقوله وتخشى الناس انما هو في ارجاف المنافقين في تزويج نساء الابناء والنبي صلى الله عليه وسلم معصوم في الحركات والسكنات **ولبعض** المفسرين هنا كلام لا يليق بمنصب النبوة وقيل قوله واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه خطاب من الله تعالى او من الرسول عليه الصلاة والسلام لزيد فانه اخفى الميل اليها واظهر الرغبة عنها لما توهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد ان تكون من نسائه قال الجار الله وكم من شيء مباح يتحفظ الانسان منه ويستحيي من اطلاع الناس عليه فطموح قلب الانسان الى بعض مشتهياته من امراة وغيرها غير موصوف بالقبح في العقل ولا في الشرع وتناول المباح بالطريق الشرعي ليس بقبيح ايضا وهو خطبة زينب ونكاحها من غير استنزال زيد عنها ولا طلب اليه ولم يكن مستنكرا عندهم ان ينزل الرجل منهم عن امراته لصديقه ولا مستهجنا اذا نزل عنها ان ينكحها آخر فان المهاجرين حين دخلوا المدينة استهم الانصار بكل شيء حتى ان الرجل منهم اذا كانت له امراتان نزل عن احداهما وانكحها المهاجر فاذا كان الامر مباحا من جميع جهاته لم يكن فيه وجه من وجوه القبح انتهى وكذا يجوز له عليه الصلاة والسلام النكاح بلا ولي ولا شهود قال النووي المشهور الصحيح عند اصحابنا صحة نكاحه عليه الصلاة والسلام بلا ولي ولا شهود لعدم الحاجة الى ذلك في حقه عليه السلام **وهذا** الخلاف في غير زينب اما زينب فمنصوص عليها والله اعلم قال العلماء انما اعتبر الولي للمحافظة على الكفاءة وهو صلى الله عليه وسلم فوق الاكفاء وانما اعتبر الشهود لامن الجحود وهو صلى الله عليه وسلم لا يجحد ولو جحدت هي لم يرجع الى قولها بل قال العراقي في شرح المهذب تكون كافرة بتكذيبه وكان له صلى الله عليه وسلم تزويج المراة ممن شاء بغير اذنها واذن وليها **وله** اجبار الصغيرة من غير بناته وزوجه الله تعالى بزينب فدخل عليها بتزويج الله بغير عقد من نفسه وعبر في الروضة عن هذا بقوله وكانت المراة تحل له بتحليل الله تعالى **ومنها** انه اعتق امته صفية وجعل عتقها صداقها **وقد** اختلف في معناه فقيل انه اعتقها بشرط ان يتزوجها فوجب له عليها قيمتها وكانت معلومة فتزوجها بها ويؤيده قوله في رواية عبد العزيز بن صهيب سمعت انسا قال سبى صلى الله عليه وسلم صفية فاعتقها وتزوجها فقال ثابت لانس ما اصدقها قال نفسها

ثم اعتقها هكذا أخرجه البخاري في المغازي وفي رواية حماد عن ثابت وعبد العزيز عن أنس وصارت
صفية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تزوجها وجعل عتقها صداقها فقال عبد العزيز
لثابت يا أبا محمد أنت سألت أنسا ما أمهرها قال أمهرها نفسها فتبسم فهو ظاهر جدا في أن المجعول
مهرا هو نفس العتق والتأويل الأول لا بأس به فانه لا منافاة بينه وبين القواعد حتى لو
كانت القيمة مجهولة فان في صحة العقد بالشرط المذكور وجها عند الشافعية وقال آخرون
قوله أعتقها وتزوجها معناه أعتقها ثم تزوجها فلما لم يعلم أنه ساق لها صداقا قال أصدقها
نفسها أي لم يصدقها شيئا فيما أعلم ولم ينف أصل الصداق ومن ثم قال أبو الطيب الطبري من
الشافعية وابن المرابط من المالكية ومن تبعهم انه قول انس قاله ظنا من قبل نفسه ولم يرفعه
ويعارضه ما أخرجه الطبراني وأبو الشيخ من حديث صفية نفسها قالت أعتقني النبي صلى الله
عليه وسلم وجعل عتقي صداقي وهذا موافق لحديث انس وفيه رد على من قال ان انسا
قال بناء على ظنه ويحتمل ان يكون اعتقها بشرط انه ينكحها من غير مهر فلزمها الوفاء بذلك وهذا
خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم دون غيره ويحتمل انه اعتقها بغير عوض وتزوجها بغير مهر
في الحال ولا في المآل قال ابن الصلاح معناه ان العتق حل محل الصداق وان لم يكن صداقا قال
وهذا كقولهم الجوع زاد من لا زاد له قال وهذا الوجه أصح الأوجه وأقربها الى لفظ الحديث
وتبعه النووي في الروضة وممن جزم بان ذلك كان من الخصائص يحيى بن أكثم فيما أخرجه
البيهقي قال وكذا نقله المزني عن الشافعي قال وموضع الخصوصية انه اعتقها مطلقا وتزوجها
بغير مهر ولا شهود وهذا بخلاف غيره انتهى وقال النووي في شرح مسلم الصحيح الذي اختاره
المحققون انه اعتقها تبرعا بلا عوض ولا شرط ثم تزوجها برضاها من غير صداق والله أعلم
قاله شيخ الحافظ ابن حجر واختلف في انحصار طلاقه صلى الله عليه وسلم في الثلاث وعلى الحصر
قيل تحل له من غير محلل وقيل لا تحل أبدا وكان له نكاح المعتدة في أحد الوجهين قال النووي
الصحيح المنع انتهى ولا يجب عليه القسم فيما قاله طوائف من أهل العلم وبه جزم الاصطخري
من الشافعية والمشهور عندهم وعند الأكثرين الوجوب وفي حل الجمع له بين المرأة وعمتها
وخالتها وجهان لا اختها وامها وبنتها قالوا ومرجع غالب هذه الخصائص الى ان النكاح في حقه كالتسري
في حقنا وكان له عليه الصلاة والسلام ان يصطفي ما شاء من المغنم قبل القسمة من جارية
وغيرها وأبيح له القتال بمكة والقتل بها وجواز دخول مكة بغير احرام مطلقا ذكره ابن القاص
واستدل له بحديث انس عند الستة دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عام الفتح
وعلى رأسه المغفر وذلك من كونه عليه السلام كان مستور الرأس بالمغفر والمحرم يجب عليه
كشف رأسه وممن صرح بذلك جابر والزهري ومالك بانه لم يكن محرما وأبدى ابن دقيق العيد لستر
الرأس احتمالا فقال يحتمل ان يكون لعذر انتهى وتعقبه الشيخ ولي الدين بن العراقي فقال
هذا يرده تصريح جابر وغيره قال وهذا الاحتمال لا يأتي على موضع الخلاف المشهور لانه
عليه الصلاة والسلام كان خائفا من القتال متأهبا ومن كان كذلك فله الدخول عنده بلا احرام
بلا خلاف عندنا ولا عند أحد نعلمه وقد استشكل النووي في شرح المهذب ذلك لأن مذهب
الشافعي ان مكة فتحت صلحا خلافا لأبي حنيفة في قوله انها فتحت عنوة وحينئذ فلا خوف

ثم

ثم أجاب عنه بانه عليه السلام صالح أبا سفيان وكان لا يأمن غدر أهل مكة فدخلها صلحا وهو
متأهب للقتال ان غدروا انتهى وقد ذكرت ما في فتح مكة من المباحث في قصة فتحها من المقصد
الأول فان غيره صلى الله عليه وسلم اذا لم يكن خائفا فقال أصحابنا ان لم يكن ممن يتكرر
دخوله ففي وجوب الاحرام عليه قولان أصحهما عند أكثرهم انه لا يجب وقطع به بعضهم فان
تكرر دخوله كالحطابين ونحوهم فعليه خلاف مرتب وأولى بعدم الوجوب وهو المذهب
وقالت الحنابلة بوجوب الاحرام على الحائض وأصحاب الحاجات المتكررة وأوجبه المالكية في المشهور
عندهم على غير ذوي الحاجات المتكررة فأوجبه الحنفية مطلقا الا من كان داخل الميقات وقد
تحرر ان المشهور من مذهب الشافعي عدم الوجوب مطلقا ومن مذاهب الأئمة الثلاثة
الوجوب الا فيما يستثنى ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم انه كان يقضي بعلمه من غير
خلاف وان يقضي لنفسه ولولده وان يشهد لنفسه ولولده ولا يكره له الفتوى والقضاء في حال
الغضب كما ذكره النووي في شرح مسلم وقد قضى للزبير بشراج الحرة بعد ان أغضبه خصم الزبير
لعصمته صلى الله عليه وسلم فلا يقول في الغضب الا كما يقول في الرضى وكان له ان يدعو لمن
شاء بلفظ الصلاة وليس لنا ان نصلي الا على نبي أو ملك وكان له ان يقتل بعد الأمان وان
يلعن من شاء بغير سبب واستبعد ذلك وجعل الله تعالى شتمه ولعنته قربة للمشتوم
والملعون لدعائه صلى الله عليه وسلم قاله ابن القاص وردوه عليه حكاه الحجازي في مختصر
الروضة عن نقل الرافعي وكان يقطع الأراضي قبل فتحها لأن الله ملكه الأرض كلها وأفتى
الغزالي بكفر من عارض أولاد تميم الداري فيما أقطعهم وقال انه صلى الله عليه وسلم
كان يقطع أرض الجنة فأرض الدنيا أولى **القسم الرابع** فيما اختص به صلى الله عليه وسلم
من الفضائل والكرامات منها انه أول النبيين خلقا كما تقدم في أول هذا الكتاب وانه كان
نبيا وآدم بين الروح والجسد رواه الترمذي من حديث أبي هريرة ومنها انه أول من أخذ
عليه الميثاق كما مر ومنها انه أول من قال بلى يوم ألست بربكم رواه أبو سهل القطان
في جزء من أماليه ومنها ان آدم وجميع المخلوقات خلقوا لأجله رواه البيهقي وغيره ومنها
أن الله كتب اسمه الشريف على العرش وعلى كل سماء وعلى الجنان وما فيها رواه ابن عساكر
عن كعب الأحبار ومنها ان الله تعالى أخذ الميثاق على النبيين آدم فمن بعده أن يؤمنوا به
وينصروه قال تعالى وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول
مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال علي بن أبي طالب لم يبعث الله نبيا من آدم فمن بعده
الا أخذ عليه العهد في محمد صلى الله عليه وسلم لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ويأخذ
العهد بذلك على قومه ومنها انه وقع التبشير به في الكتب السالفة كما سيأتي ان شاء الله تعالى
ومنها انه لم يقع في نسبه من لدن آدم سفاح رواه البيهقي والطبراني في الأوسط وأبو نعيم
في الدلائل ومنها انه نكست الأصنام لمولده رواه الخرائطي في الهواتف وغيره ومنها
انه ولد مختونا مقطوع السرة رواه الطبراني وتقدم ما فيه من البحث في أول الكتاب
ومنها انه خرج نظيفا ما به قذر رواه ابن سعد ومنها انه وقع الى الأرض ساجدا رافعا
أصبعه كالمتضرع المبتهل رواه أبو نعيم من حديث ابن عباس ورأت أمه عند ولادته

ثم زخرج منها اخناءله قصور الشام وكذلك ترى امهات الانبياء رواه الامام احمد وكان مهده عليه الصلاة والسلام يتحرك بتحريك الملائكة كما ذكره ابن سبع في الخصائص وكان القمر يحدثه وهو في مهده ويميل حيث اشار اليه رواه ابن طغربل في النطق المفهوم وغيره وتكلم في المهد رواه الواقدي وابن سبع وظللته الغمامة في الحر رواه ابو نعيم والبيهقي ومال اليه فيء الشجرة اذ سبق اليه رواه البيهقي ومنها شق صدره الشريف رواه مسلم وغطه جبريل عند ابتداء الوحي ثلاث غطات عدّ ذلك بعضهم من خصائصه عليه السلام كما نقله الحافظ ابن حجر قال ولم ينقل عن احد من الانبياء انه جرى له عند ابتداء الوحي ومنها ان الله تعالى ذكره في القرآن عضوا عضوا فقلبه بقوله ما كذب الفؤاد ما رأى وقوله نزل به الروح الامين على قلبك ولسانه بقوله وما ينطق عن الهوى وقوله فانما يسرناه بلسانك وبصره بقوله ما زاغ البصر وما طغى ووجهه بقوله قد نرى تقلب وجهك في السماء ويده وعنقه بقوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك وظهره وصدره بقوله الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك واشتق اسمه من اسم الله المحمود ويشهد له ما اخرجه البخاري في تاريخه الصغير من طريق علي بن زيد قال كان ابو طالب يقول

وشق له من اسمه ليجله … فذو العرش محمود وهذا محمد

وهو مشهور لحسان بن ثابت وسمي احمد ولم يسم به احد قبله رواه مسلم واحمد من حديث علي اعطيت اربعا لم يعطهن احد قبلي وذكر منها سميت احمد ومنها انه صلى الله عليه وسلم كان يبيت جائعا ويصبح طاعما يطعمه ربه ويسقيه من الجنة كما سيأتي البحث فيه ان شاء الله تعالى في خصائصه صلى الله عليه وسلم من متعدد عبادته وكان يرى من خلفه كما يرى امامه رواه مسلم ويرى في الليل وفي الظلمة كما يرى بالنهار وفي الضوء رواه البيهقي وكان ريقه يعذب الماء الملح رواه ابو نعيم ويجزي الرضيع رواه البيهقي وكان صلى الله عليه وسلم اذا مشى في الصخر غاصت قدماه فيه كما هو مشهور قديما وحديثا على الالسنة ونطق به الشعراء في منظومهم والبلغاء في منثورهم مع اعتقاده بوجود اثر قدمي الخليل ابراهيم عليه افضل الصلاة والتسليم في حجر المقام المنوه في التنزيل في قوله تعالى فيه آيات بينات مقام ابراهيم البالغ تعيينه وانه اثره مبلغ التواتر القائل فيه ابو طالب

وموطئ ابراهيم في الصخر رطبة … على قدميه حافيا غير ناعل

ومما في البخاري من حديث ابي هريرة مرفوعا من معجزة تأثير ضرب موسى في الحجر ستا او سبعا اذ فر بثوبه لما اغتسل اذ ما خص نبي بشيء من المعجزات والكرامات الا ولنبينا صلى الله عليه وسلم مثله كما نبه العلماء مع ما يؤيد ذلك وهو وجود اثر حافر بغلته الشريفة على ما قيل في مسجد بطيبة حتى عرف المسجد بها بحيث يقال له مسجد البغلة وما ذاك الا من سيره السابق فيها ليكون ذلك اقوى في الآية واوضح في الدلالة على اتيانه عليه الصلاة والسلام بمثل الآية التي اوتيها الخليل في حجر المقام على وجه اعلا منه بل قال الزين بن بكار فيما نقله المجد الشيرازي في المغانم المطابة بعد ذكره لاثر حافر البغلة ومسجدها وفي شرقي هذا المسجد المذكور اثر كانه اثر مرفق يذكرون انه عليه الصلاة والسلام اتكأ عليه ووضع مرفقه عليه وعلى حجر آخر اثر الاصابع

ولله در الابوصيري حيث قال بياض في نسخة المصنف

وكان ابطه عليه الصلاة والسلام لا شعر عليه قاله القرطبي وكان ابيض غير متغير اللون كما ذكره الطبري وعده في الخصائص وذكره بعض الشافعية لحديث انس المتفق عليه انه صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه في الاستسقاء حتى يرى بياض ابطيه وقال الشيخ جمال الدين الاسنوي في المهمات ان بياض الابط كان من خواصه انتهى قال في شرح تقريب الاسانيد ومما ادعي من كون هذا من الخصائص فيه نظر اذ لم يثبت ذلك بوجه من الوجوه بل لم يرد ذلك بل لم يرد ذلك في شيء من الكتب المعتمدة والخصائص لا تثبت بالاحتمال ولا يلزم من ذكر انس وغيره بياض ابطيه ان لا يكون له شعر فان الشعر اذا نتف بقي المكان ابيض وان كان فيه اثر الشعر ولذلك ورد في حديث عبد الله بن اقرم الخزاعي انه صلى الله عليه وسلم قال كنت انظر الى عفرة ابطيه اذا سجد خرجه الترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجه وقد ذكر الهروي في الغريبين وابن الاثير في النهاية ان العفرة بياض ليس بالناصع ولكن كلون عفرة الارض وهو وجهها وهذا يدل على ان آثار الشعر هو الذي جعل المكان اعفر والا فلو كان خاليا عن نبات الشعر جملة لم يكن اعفر نعم الذي يعتقد فيه صلى الله عليه وسلم انه لم يكن لابطه رائحة كريهة بل كان نظيفا طيب الرائحة كما ثبت في الصحيح وكان عليه الصلاة والسلام يبلغ صوته وسمعه ما لا يبلغه صوت غيره وسمعه وكان تنام عينه ولا ينام قلبه رواه البخاري وما تثاءب قط كما رواه ابن ابي شيبة والبخاري في تاريخه من مرسل يزيد بن الاصم قال ما تثاءب النبي صلى الله عليه وسلم واخرج الخطابي من طريق مسلمة بن عبد الملك بن مروان قال ما تثاءب نبي قط ويؤيد ذلك ان التثاؤب من الشيطان رواه البخاري وما احتلم قط وكذلك الانبياء رواه الطبراني وكان عرقه اطيب من المسك رواه ابو نعيم وغيره واذا مشى مع الطويل طاله رواه البيهقي ولم يقع له ظل على الارض ولا رئي له ظل في شمس ولا قمر ويشهد له انه عليه الصلاة والسلام لما سأل الله ان يجعل في جميع اعضائه وجهاته نورا ختم بقوله واجعلني نورا وكان صلى الله عليه وسلم لا يقع على ثيابه ذباب قط نقله الفخر الرازي قال ولا يمتص دمه البعوض كما نقله الحجازي وغيره وما اذاه القمل قاله ابن سبع في الشفا والسبتي في اعذب الموارد ومنها انقطاع الكهنة عند مبعثه وحراسة السماء من استراق السمع والرمي بالشهب قال ابن عباس كانت الشياطين لا يحجبون عن السموات فكانوا يدخلونها ويأتون باخبارها فيلقون على الكهنة فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها فما منهم احد يريد استراق السمع الا رمي بشهاب وهو الشعلة من النار فلا يخطئ ابدا فمنهم من تقتله ومنهم من تحرق وجهه ومنهم من تخبله فيصير غولا يضل الناس في البراري وهذا لم يكن ظاهرا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكره احد قبل زمانه وانما ظهر في مبدا امره وكان ذلك اساسا لنبوته وقال معمر قلت للزهري اكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت افرأيت قوله تعالى وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع الآية قال غلظت وشدد امرها حين بعث محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن قتيبة ان الرجم كان قبل مبعثه ولكن لم يكن في شدة الحراسة بعد مبعثه وقيل ان النجم كان ينقض ويرمي الشيطان ثم يعود الى مكانه ذكره البغوي ومنها انه اتي بالبراق

انقطاع الكهنة

ليلة الاسراء وشرحه كما مر قبيل وكانت الانبياء انما تركبه عريانا ومنها انه اسري به صلى الله عليه
وسلم من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وعرج به الى المحل الاعلى واراه من اياته الكبرى
وحفظه في المعراج حتى ما زاغ البصر وما طغى واحضر الانبياء له وصلى بهم وبالملائكة اماما واطلعه
على الجنة والنار عرفت هذه للبيهقي ومنها انه راى الله تعالى بعينيه كما ياتي ذلك في مقصد
الاسراء ان شاء الله تعالى وجمع الله تعالى له بين الكلام والرؤية وكلمه تعالى في الرفيع الاعلى وكلم
موسى بالجبل ومنها ان الملائكة تسير معه حيث سار يمشون خلف ظهره وقاتلت معه كما مر
في غزوة بدر وحنين ومنها انه يجب علينا ان نصلي ونسلم عليه لاية ان الله وملائكته يصلون
على النبي ولم ينقل ان الامم المتقدمة كان يجب عليهم ان يصلوا على انبيائهم ومنها انه اوتي الكتاب
العزيز وهو امي لا يقرا ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة ومنها حفظ كتابه هذا من التبديل
والتحريف حتى سعى كثير من الملحدة والمعطلة لا سيما القرامطة في تغييره وتبديل محكمه
فما قدروا على اطفاء شيء من نوره ولا تغيير كلمة من كلمه ولا تشكيك المسلمين في حرف من حروفه
قال تعالى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الاية وكتابه يشتمل على ما اشتملت عليه
جميع الكتب جامعا اخبار القرون السالفة والامم البائدة والشرائع الداثرة مما كان لا يعلم منه
القطعة الواحدة الا الفذ من احبار اهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك ويسر الله تعالى حفظه
لمتعلميه وقربه على متحفظيه كما قال تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر وسائر الامم لا يحفظ كتبها الواحد
منهم فكيف بالجم الغفير على مرور السنين عليهم والقرآن متيسر حفظه للغلمان في اقرب مدة
ومنها انه نزل على سبعة احرف تسهيلا علينا وتيسيرا وشرفا ورحمة وخصوصية لفضلنا
ومنها كونه اية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا ومنها انه تعالى تكفل بحفظه فقال تعالى
انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون اي من التحريف والزيادة والتحريف والنقصان ونظيره
قوله تعالى في صفة القرآن لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقوله ولو كان من عند
غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فان قلت هذه الاية تنفي الاختلاف فيه وحديث انزل
القرآن على سبعة احرف المروي من جهة البخاري يثبته اجاب الجعبري في اول شرحه للشاطبية
بان المثبت اختلاف تغاير والمنفي اختلاف تناقض فموردهما مختلف انتهى فان قلت
فلم اشتغلت الصحابة بجمع القرآن في المصحف وقد وعد الله تعالى بحفظه وما حفظه الله تعالى
فلا خوف عليه فالجواب كما قال الرازي ان جمعهم للقرآن كان من اسباب حفظ الله تعالى
اياه فانه تعالى لما اراد حفظه قيضهم لذلك قال وقال اصحابنا وفي هذه الاية دلالة قوية
على ان البسملة اية من اول كل سورة لان الله تعالى قد وعد بحفظ القرآن والحفظ لا معنى له
الا ان يبقى مصونا عن التغيير ولما كان محفوظا عن الزيادة ولو جاز ان يظن بالصحابة انهم زادوا
لوجب ايضا ان يظن بهم النقصان وذلك يوجب خروج القرآن عن كونه حجة واختلف كيف
يحفظ القرآن فقال بعضهم حفظه بان جعله معجزا مباينا لكلام البشر بعجز الخلق عن الزيادة
فيه والنقصان منه لانهم لو زادوا فيه او نقصوا منه تغير نظم القرآن فيظهر لكل العقلاء ان هذا
ليس من القرآن وقال اخرون اعجز الخلق عن ابطاله وافساده بان قيض جماعة يحفظونه
ويدرسونه فيما بين الخلق الى آخر بقاء التكليف وقال اخرون المراد بالحفظ هو ان احدا لو حاول

التغيير

ان يغيره بحرف او نقطة لقال له اهل الدنيا هذا كذاب حتى ان الشيخ المهيب لو اتفق له تغيير
في حرف منه لقال الصبيان كلهم اخطات ايها الشيخ وصوابه كذا ولم يتفق لشيء من الكتب
مثل هذا الكتاب فانه لا كتاب الا وقد دخله التصحيف والتغيير والتحريف وقد صان الله تعالى
هذا الكتاب العزيز عن جميع التحريف مع ان دواعي الملحدة واليهود والنصارى متوفرة على ابطاله
وافساده وانقضى الان ثمانية وتسعون سنة وثمانمائة سنة وهو بحمد الله في زيادة من الحفظ
ومنها انه عليه السلام اختص باية الكرسي وبالمفصل وبالمثاني وبالسبع الطول كما في حديث
ابن عباس بلفظ واعطيت خواتيم سورة البقرة من كنوز العرش وخصصت بها دون الانبياء
واعطيت المثاني مكان التوراة والمئين مكان الانجيل والحواميم مكان الزبور وفضلت بالمفصل
رواه ابو نعيم في الدلائل وقال تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم وفي البخاري
من حديث ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم ام القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم
سائره واختلفوا لم سميت مثاني فعن الحسن وابن عباس وقتادة لانها تثنى في الصلاة فتقرا
في كل صلاة وقيل لانها مقسومة بين الله وبين العبد نصفين نصفها ثناء ونصفها دعاء كما في
حديث ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي
نصفين وقيل لانها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة وعن مجاهد لان الله تعالى
استثناها وادخرها لهذه الامة فما اعطاها غيرهم وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان السبع
المثاني هي السبع الطول اولها سورة البقرة واخرها سورة الانفال مع التوبة وقال
بعضهم سورة يونس بدل الانفال قال ابن عباس وانما سميت السبع الطول مثاني لان الفرائض
والحدود والامثال والخبر والعبر ثنيت فيها وقال طاوس القرآن كله مثاني قال الله تعالى
الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني وسمي القرآن مثاني لان القصص ثنيت فيه
والله اعلم ومنها انه اعطي مفاتيح الخزائن قال بعضهم وهي خزائن اجناس العالم ليخرج لهم
بقدر ما يطلبونه لذواتهم فكل ما ظهر من رزق العالم فان الاسم الالهي لا يعطيه الا عن محمد
صلى الله عليه وسلم الذي بيده المفاتيح كما اختص تعالى بمفاتيح الغيب فلا يعلمها الا هو
واعطى هذا السيد الكريم منزلة الاختصاص باعطائه مفاتيح الخزائن ومنها اوتي جوامع
الكلم فالكلم جمع كلمة وكلمات الله تعالى لا تنفد فالكلمة منه كلمات ولما علم جوامع الكلم
اعطي الاعجاز بالقرآن الذي هو كلام الله تعالى وهو المترجم عن الله فوقع الاعجاز في الترجمة التي
بين يديه فان المعاني المجردة عن المواد لا يتصور الاعجاز بها وانما الاعجاز ربط هذه المعاني بصور
الكلم القائم في نظم الحروف فهو لسان الحق وسمعه وبصره ومنها انه بعث الى الناس
كافة قال بعضهم وهو من الكفت وهو الضم قال تعالى الم نجعل الارض كفاتا اي نضم
الاحياء على ظهرها والاموات في بطنها كذلك ضمت شريعته صلى الله عليه وسلم جميع الناس
فلا يسمع احد به الا لزمه الايمان به ولما سمع الجن القرآن يتلى قالوا يا قومنا اجيبوا داعي الله
وامنوا به الاية فضمت شريعته الانس والجن وعمت رحمته التي ارسل بها العالم
قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فمن لم تنله رحمته فما ذلك من جهته وانما ذلك
من جهة القابل فهو كالنور الشمسي فاض شعاعه على الارض فمن استتر عنه في كن او ظل

جدار فهو الذي لم يقبل انتشار النور عليه وعدل عنه فلم ينسب الى الشمس من ذلك انتهى **فان قلت** ان نوحا كان مبعوثا الى اهل الارض بعد الطوفان فانه لم يبق الا من كان مؤمنا معه وقد كان مرسلا اليه وقد جاء في حديث جابر وغيره وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل احمر واسود وفي رواية الى الناس كافة **اجاب الحافظ ابن حجر** رحمه الله تعالى بان هذا العموم الذي حصل لنوح عليه السلام لم يكن في اصل بعثته وانما اتفق بالحادث الذي وقع وهو انحصار الخلق في الموجودين بعد هلاك سائر الناس وأما نبينا صلى الله عليه وسلم فعموم رسالته من اصل البعثة فثبت اختصاصه بذلك وأما قول اهل الموقف لنوح كما صح في حديث الشفاعة انه اول رسول الى اهل الارض فليس المراد به عموم بعثته بل اثبات اول ارساله وعلى تقدير ان يكون مرادا فهو مخصوص بتنصيصه سبحانه وتعالى في عدة ايات على ان ارسال نوح كان الى قومه ولم يذكر انه ارسل الى غيرهم **واستدل بعضهم** لعموم بعثته بكونه دعا على جميع من في الارض فاهلكوا بالغرق الا اهل السفينة ولو لم يكن مبعوثا اليهم لما اهلكوا لقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقد ثبت انه اول الرسل **واجيب** بجواز ان يكون غيره ارسل اليهم في اثناء مدة نوح وعلم نوح بانهم لم يؤمنوا فدعا على من لم يؤمن من قومه وغيرهم فاجيب وهذا الجواب حسن لكن لم ينقل ان نبيا في زمن نوح غيره **ويحتمل** ان يكون معنى الخصوصية لنبينا صلى الله عليه وسلم في ذلك بقاء شريعته الى يوم القيامة ونوح وغيره بصدد ان يبعث نبي في زمانه او بعده فينسخ بعض شريعته انتهى **وأما قول** بعض اليهود ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم انما هو مبعوث الى العرب خاصة ففاسد والدليل عليه انهم اي اليهود سلموا انه رسول صادق الى العرب فوجب ان يكون كلما يقوله حقا وقد ثبت بالتواتر انه كان يدعي انه رسول الى كل الناس فلو كذبوه فيه لزم التناقض اشار اليه صاحب المعالم **ومنها** نصره صلى الله عليه وسلم بالرعب من مسيرة شهر والشهر قدر ما قطع القمر درجات الفلك المحيط فهو اسرع قاطع لعموم رعبه في قلوب أعدايه فلا يقبل الرعب الا عدو مقصود ليفتنني السعيد من الشقي **ومفهوم هذا** انه لم يوجد لغيره النصر بالرعب في هذه المدة ولا في اكثر منها اما ما دونها فلا لكن لفظ رواية عمرو بن شعيب ونصرت على العدو بالرعب ولو كان بيني وبينهم مسيرة شهر والظاهر اختصاصه به مطلقا وانما جعل الغاية شهرا لانه لم يكن بين بلده عليه الصلاة والسلام وبين احد من أعدايه اكثر من شهر وهذه الخصوصية حاصلة له على الاطلاق حتى لو كان وحده بغير عسكر وهل هي حاصلة لامته من بعده فيه احتمال **ومنها** احلال الغنايم ولم تحل لاحد قبله وقد كان من تقدم على ضربين منهم من لم يؤذن له في الجهاد فلم يكن له مغانم ومنهم من اذن له فيه لكن كانوا اذا غنموا شيئا لم يحل لهم ان يأكلوه وجاءت نار فاحرقته قال بعضهم اعطي صلى الله عليه وسلم ما يوافق شهوة امته لان النفوس طالبة التلذذ بها لكونها حصلت لهم عن قهر منهم لتحصيلها وغلبة فلا يريدون ان يتنعم النعم بها في مقابلة ما قاسوه من الشدة والتعب **ومنها** جعل الارض له ولامته مسجدا وطهورا والمراد موضع سجوده اي لا يختص السجود منها بموضع دون غيره

فيكون

ويمكن ان يكون مجازا عن المكان المبني للصلاة وهو من مجاز التشبيه لانه لما جازت الصلاة في جميعها كانت كالمسجد في ذلك وقيل المراد جعلت لي الارض مسجدا وطهورا وجعلت لغيري مسجدا ولم تجعل له طهورا لان عيسى كان يسيح في الارض ويصلي حيث أدركته الصلاة **قاله ابن التين** ومن قبله الداودي وقيل انما ابيح لهم في موضع يتيقنون طهارته بخلاف هذه الامة فابيح لها في جميع الارض الا فيما يتيقنون نجاسته والاظهر ما قاله الخطابي وهو ان من قبله انما ابيحت لهم الصلوات في اماكن مخصوصة كالبيع والصوامع **ويؤيده** رواية عمرو بن شعيب بلفظ وكان من قبلي انما كانوا يصلون في كنائسهم وهذا نص في موضع النزاع فثبتت الخصوصية **ويؤيده** ما رواه البزار من حديث ابن عباس نحو حديث جابر وفيه ولم يكن من الانبياء احد يصلي حتى يبلغ محرابه **قاله في فتح الباري** **ومنها** ان معجزته عليه السلام مستمرة الى يوم القيامة ومعجزات ساير الانبياء انقرضت لوقتها فلم يبق الا خبرها والقران العظيم لم تزل حجته قاهرة ومعارضته ممتنعة **ومنها** انه اكثر الانبياء معجزة **قال القاضي عياض** اما كونها كثيرة فهذا القران وكله معجز واقل ما يقع الاعجاز فيه عند بعض ائمة المحققين بسورة انا اعطيناك الكوثر او اية في قدرها **وذهب** بعضهم الى ان كل اية منه كيف كانت معجزة وذهب اخرون الى ان كل جملة منتظمة منه معجزة وان كانت من كلمة او كلمتين قال القاضي والحق ما ذكرناه اولا لقوله تعالى قل فاتوا بسورة من مثله فهو اقل ما تحدى به مع ما ينصر هذا من نظر وتحقيق يطول بسطه واذا كان هذا ففي القران من الكلمات نحو من سبعة وسبعين الف كلمة ونيف على عدد بعضهم وعدد كلمات انا اعطيناك الكوثر عشر كلمات فيتجزأ القران على نسبة عدد انا اعطيناك الكوثر ازيد من سبعة الاف جزء كل واحد منها معجز في نفسه ثم اعجازه بوجهين طريق بلاغته وطريق نظمه فصار في كل جزء من هذا العدد معجزان فتضاعف العدد من هذا الوجه ثم فيه وجوه اعجاز اخر من الاخبار بعلوم الغيب فقد يكون في السورة الواحدة من هذه التجزية الاخبار عن اشياء من الغيب كل خبر منها بنفسه معجز فتضاعف العدد كرة اخرى **ثم وجوه الاعجاز** الاخرى التي ذكرناها توجب التضعيف هذا في حق القران فلا يكاد يأخذ العد معجزاته ولا يحوي الحصر براهينه **ومن ذلك انشقاق القمر وتسليم الحجر وحنين الجذع ونبع الماء من بين اصابعه** ولم يثبت لواحد من الانبياء مثل ذلك كما ذكره ابن عبد السلام وغيره وتقدم ما فيه من البيان **ومنها** انه خاتم الانبياء والمرسلين قال عليه السلام مثلي ومثل الانبياء قبلي كمثل رجل بنى بنيانا فاحسنه الا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة فانا تلك اللبنة وانا خاتم النبيين رواه البخاري ومسلم **ومنها** ان شرعه مؤيد الى يوم الدين وناسخ لجميع شرايع النبيين وانه اكثر الانبياء تابعا كما قال عليه السلام فاني ارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيامة رواه الشيخان من حديث ابي هريرة **ومنها** انه لو ادركه الانبياء لوجب عليهم اتباعه كما سيأتي في تفسيره ان شاء الله تعالى **ومنها** انه ارسل الى الجن اتفاقا **والملك**

خاتم النبيين

على ذلك قبل الاجماع الكتاب والسنة قال الله تعالى ليكون للعالمين نذيرا وقد اجمع المفسرون
على دخول الجن في هذه الآية وهو مدلول لفظها فلا يخرج عنه الا بدليل وان قيل ان الملائكة
خارجون من ذلك فلا يضر لان العام المخصوص حجة عند جمهور العلماء والاصوليين ولو بطل
الاستدلال بالعمومات المخصوصة لبطل الاستدلال باكثر الادلة وقال تعالى يا قومنا
اجيبوا داعي الله فامر بعضهم بعضا باجابته دليل على انه داع لهم وهو معنى بعثته اليهم الى
غير ذلك من الآيات واما السنة ففي صحيح مسلم من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال فضلت على الانبياء بست فذكر منها وارسلت الى الخلق كافة فانه يشمل
الجن والانس وحمله على الانس خاصة تخصيص بغير دليل فلا يجوز والكلام فيه كالكلام
في آية الفرقان فان قلت ان قوله قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم وما ارسلناك الا كافة
للناس ظاهر في اختصاص رسالته عليه السلام بالانس واحتمال غير ذلك عدول و[illegible]
كلها عن الظاهر فالجواب ان هذا انما يتمشى على مذهب الدقاق القائل بان مفهوم اللقب
حجة والناس من قبيل اللقب فان المسئلة المترجمة في الاصول بمفهوم اللقب لا تختص باللقب
بل الاعلام كلها كذلك لما لم تكن صفة والناس اسم جنس غير صفة فلا مفهوم له فهذه الآية
ليس فيها اصلا ما يفهم منه انه ليس رسولا الى غيرهم اي على مذهب الدقاق بل ولا يتم على مذهبه
التمسك بهذا المفهوم ايضا لان الدقاق انما يقول به حيث لم يظهر غرض آخر سواه في تخصيص
ذلك الاسم وحيث ظهر غرض لا يقال بالمفهوم بل يحمل التخصيص على ذلك الغرض والغرض
في الآية التعميم في جميع الناس وعدم اختصاص الرسالة ببعضهم فلا يلزم نفي الرسالة عن
غيرهم لا على مذهب الدقاق ولا على مذهب غيره وانما خاطب الناس لانهم الذين تغلب رؤيتهم
والخطاب معهم فمقصود الآية خطاب الناس والتعميم فيهم لا النفي عن غيرهم وهذا اذا قلنا
ان الناس لا يشمل الجن فان قلنا انه يشملهم فواضح والاختلاف فيه مبني على الخلاف في اشتقاق
الناس هل هو من النوس وهو الحركة او من الانس ضد الوحشة فاذا قلنا بالاول اطلق
على الفريقين ولكن استعماله في الانس اغلب بحيث اطلق فالمراد به ولد آدم واذا قلنا بالثاني
فلا لانا نبصر الجن ولا نانس بهم فدخول الجن في الآية اما ممتنع واما قليل فلا يحمل عليه وبهذا
يتبين ضعف الاستدلال بها لكنها لا تدل على خلافه واما قول الضحاك ومن تبعه
ان الرسل الى الجن منهم لقوله تعالى يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم فهو ظاهر
الآية لكن لم ينقل الضحاك ولا احد غيره باستمرار ذلك في هذه الملة وانما محل الخلاف في ذلك
في الملل المتقدمة خاصة واما في هذه الملة فنبينا صلى الله عليه وسلم هو المرسل اليهم
والى غيرهم ولم ينقل احد عن الضحاك ان رسل الجن منهم مطلقا ولا ينبغي ان ينسب اليه
ما يخالف الاجماع على ان الاكثرين لم تكن الرسل الا من الانس ولم يكن من الجن قط رسول
لكن لما جمعوا مع الجن في الخطاب صح ذلك ونظيره يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرجان
من الملح دون العذب وقيل الرسل من الجن رسل الرسل من بني آدم اليهم لا رسل الله لقوله
تعالى ولوا الى قومهم منذرين قاله بعض العلماء ومنها انه ارسل الى الملائكة في احد القولين
ورجحه السبكي قال تعالى تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا

ولا نزاع ان المراد من العبد هنا محمد عليه الصلاة والسلام والعالم ما سوى الله تعالى فيتناول
جميع المكلفين من الجن والانس والملائكة ويبطل بذلك قول من قال انه كان رسولا الى البعض
دون البعض لان لفظ العالمين يتناول جميع المخلوقات فتدل الآية على انه رسول الى جميع الخلق
ولو قيل لمدعي خروج الملائكة من هذا العموم اقم الدليل عليه ربما عجز عنه فانه يحتمل ان يكون
من الملائكة من انذره صلى الله عليه وسلم اما ليلة الاسراء واما غيرها لكن لا يلزم من الانذار
والرسالة اليهم في شيء خاص ان يكون بالشريعة كلها واذا قلنا ان الملائكة هم مؤمنو الجن
السماوية فاذا ركب هذا مع القول بعموم الرسالة للجن الذي قام الاجماع عليه لزم عموم
الرسالة اليهم لكن القول بان الملائكة من الجن قول شاذ والجمهور على ان العالمين في آية
الفرقان عام مخصوص بالانس والجن كما فسرها به حديث وارسلت الى الخلق كافة المروي في مسلم
وصرح الحليمي والبيهقي في الباب الرابع من شعب الايمان انه عليه السلام لم يرسل الى الملائكة
وفي الباب الخامس عشر بانفكاكهم من شرعه وفي تفسير الامام فخر الدين والبرهان النسفي
حكاية الاجماع في تفسير آية الفرقان على انه لم يكن رسولا اليهم كما حكاه العلامة الجلال المحلي
والله اعلم وعبارة النسفي ثم انهم قالوا هذه الآية تدل على احكام اولها ان قوله ليكون للعالمين
نذيرا يتناول جميع المكلفين من الجن والانس والملائكة لكنا اجمعنا على انه عليه السلام لم يكن رسولا
الى الملائكة بل يكون رسولا الى الجن والانس جميعا وهي عبارة الامام فخر الدين ايضا وقد تعقب
جلال المحلي العلامة كمال الدين بن ابي شريف فقال الامام البيهقي نقل ذلك عن الحليمي
فانه قال هذا معنى كلام الحليمي في قوله هذا اشعار بالتبري من عهدته وبتقدير ان لا اشعار
فيه فلم يصرح بانه مرضي عنده واما الحليمي فانه وان كان من اهل السنة فقد وافق المعتزلة
في تفضيل الملائكة على الانبياء وما نقله عنه موافق لقوله بافضلية الملائكة فلعله بناه عليه
واما ما ذكره من حكاية الرازي والنسفي للاجماع على انه عليه السلام لم يكن مرسلا اليهم فقد
وقع في نسخ من تفسير الرازي لكنا بينا بدل اجمعنا على ان قوله اجمعنا ليس صريحا في اجماع الامة
لان مثل هذه العبارة تستعمل لاجماع الخصمين المتناظرين بل لو صرح به لمنع فقد قال
الامام السبكي في قوله ليكون للعالمين نذيرا قال المفسرون كلهم في تفسيرها للانس والجن
وقال بعضهم والملائكة انتهى وبالجملة فالاعتماد على تفسير الرازي والنسفي في حكاية اجماع
انفرد بحكايته امر لا ينهض حجة على طريق علماء النقل لان مدرك نقل الاجماع من كلام الائمة
وحفاظ الامة كابن المنذر وابن عبد البر ومن فوقهما في الاطلاع كالائمة اصحاب المذاهب
المتبوعة ومن يلتحق بهم في سعة دائرة الاطلاع والحفظ والاتقان لحاملي السنة عند علماء
النقل ما يغني عن بسط الكلام فيها والاولى بهذه المسئلة التوقف عن الخوض فيها على وجه
يتضمن دعوى القطع في شيء من الجانبين انتهى ومنها انه ارسل رحمة للعالمين كما قال تعالى
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال السمرقندي يعني للجن والانس وقيل لجميع الخلق رحمة
للمؤمن بالهداية ورحمة للمنافق بالامان من القتل وقال ابن عباس رحمة للبر والفاجر لان
كل نبي اذا كذب اهلك الله من كذبه ومحمد صلى الله عليه وسلم اخر من كذبه الى الموت او القيامة
واما من صدقه فله الرحمة في الدنيا والآخرة فذاته عليه السلام رحمة تعم المؤمن والكافر

كما قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وقال عليه السلام انما انا رحمة مهداة رواه الدارمي والبيهقي من حديث ابي هريرة وسياتي في المقصد السادس مزيد لذلك ان شاء الله تعالى والله الموفق ومنها ان الله تعالى خاطب جميع الانبياء باسمائهم في القرآن فقال يا آدم يا نوح يا ابراهيم يا داود يا زكريا يا يحيى يا عيسى ولم يخاطب هو فيه الا يا ايها الرسول يا ايها النبي يا ايها المزمل يا ايها المدثر ومنها انه حرم على الامة نداؤه باسمه قال الله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا اي لا تجعلوا نداءه وتسميته كنداء بعضكم بعضا باسمه ورفع الصوت به والنداء وراء الحجرات ولكن قولوا يا رسول الله يا نبي الله مع التوقير والتواضع وخفض الصوت وقيل لا تقيسوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا في جواز الاعراض والمساهلة في الاجابة ومنها انه يحرم الجهر له بالقول قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون قال ابن عباس لما نزل قوله تعالى لا ترفعوا اصواتكم كان ابو بكر لا يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الا كاخي السرار وروي انه صلى الله عليه وسلم كان لا يسمع كلام عمر حتى يستفهمه مما يخفض صوته وكان ثابت بن قيس في اذنيه وقر وكان جهوريا فلما نزلت تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فتفقده ودعاه فقال يا رسول الله لقد انزلت عليك هذه الاية واني رجل جهير الصوت فاخاف ان يكون عملي قد حبط فقال عليه السلام لست هنا انك تعيش بخير وانك من اهل الجنة قال انس فكنا ننظر الى رجل من اهل الجنة يمشي بين ايدينا فلما كان يوم اليمامة في حرب مسيلمة رأى ثابت من المسلمين بعض الانكشاف وانهزمت طائفة منهم فقاتل حتى قتل ومنها انه يحرم نداؤه من وراء الحجرات قال الله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون اذ العقل يقتضي حسن الادب ومراعاة الحشمة ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم اي لكان الصبر خيرا لهم من الاستعجال لما فيه من حفظ الادب وتعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم الموجبين للثناء والثواب ومنها انه حبيب الله وجمع له بين المحبة والخلة وسياتي تحقيق ذلك وما فيه من المباحث في آخر المقصد السابع ان شاء الله تعالى ومنها انه تعالى اقسم على رسالته وبحياته وبلده وعصره كما سياتي في ذلك في المقصد السادس ان شاء الله تعالى ومنها انه كلم بجميع اصناف الوحي كما نقل عن عبد السلام وسبق تحقيقه في المبعث من المقصد الاول ومنها ان اسرافيل هبط عليه ولم يهبط على نبي قبله اخرج الطبراني من حديث ابن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لقد هبط علي ملك من السماء ما هبط على نبي قبلي ولا يهبط على احد بعدي وهو اسرافيل فقال انا رسول ربك امرني ان اخيرك ان شئت نبيا عبدا وان شئت نبيا ملكا فنظرت الى جبريل فاومى الي ان تواضع فلو اني قلت نبيا ملكا لسارت الجبال معي ذهبا ومنها انه سيد ولد ادم رواه مسلم من حديث ابي هريرة بلفظ انا سيد ولد ادم يوم القيامة وعند الترمذي من حديث ابي سعيد الخدري انا سيد ولد ادم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وانما قال ذلك اخبارا عما اكرمه الله تعالى به من الفضل والسودد وتحدثا بنعمة الله عليه واعلاما لامته ليكون ايمانهم به على حسبه وموجبه ولهذا اتبعه بقوله ولا فخر اي ان هذه الفضيلة

النبي

التي نلتها كرامة من الله لم انلها من قبل نفسي ولا بلغتها بقوتي فليس لي ان افتخر بها ومنها انه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر قال الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام من خصائصه انه اخبره الله تعالى بالمغفرة ولم ينقل انه اخبر احدا من الانبياء بمثل ذلك ويدل له قولهم في الموقف نفسي نفسي وقال ابن كثير في تفسيره هذه الاية يعني اية الفتح لم يشاركه فيها غيره وقد اخرج ابو يعلى والطبراني والبيهقي عن ابن عباس قال ان الله فضل محمدا على اهل السماء وعلى الانبياء قالوا فما فضله على اهل السماء قال ان الله تعالى قال لاهل السماء ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم وقال لمحمد انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقد كتب له براءة قالوا فما فضله على الانبياء قال ان الله تعالى قال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه وقال لمحمد وما ارسلناك الا كافة للناس فارسله الى الانس والجن ومنها انه اكرم الخلق على الله فهو افضل من كل المرسلين ومن جميع الملائكة المقربين وسياتي الجواب عن قوله عليه السلام في حديث ابن عباس عند مسلم ما ينبغي لعبد ان يقول انا خير من يونس بن متى ونحو ذلك من المقصد السادس ان شاء الله تعالى ومنها اسلام قرينه رواه مسلم من حديث ابن مسعود والبزار من حديث ابي هريرة وابن عباس ومنها انه لا يجوز عليه الخطأ كما ذكره ابن ابي هريرة والماوردي وقال قوم والنسيان حكاه النووي في شرح مسلم ومنها ان الميت يسأل عنه عليه الصلاة والسلام في قبره فعن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اما فتنة القبر فبي تفتنون وعني تسألون فاذا كان الرجل الصالح اجلس فيقال له ما هذا الرجل الذي كان فيكم فيقول محمد رسول الله الحديث رواه احمد والبيهقي ومنها انه حرم نكاح ازواجه من بعده قال تعالى وازواجه امهاتهم اي هن في الحرمة كالامهات فحرم نكاحهن بعده تكرمة له وخصوصية ولانهن ازواجه في الاخرة وهذا في غير المخيرات فمن اختارت منهن الدنيا ففي حلها للازواج طريقان احدهما رد الخلاف والثاني القطع بالحل واختاره الامام والغزالي والازواج التي توفي عنهن محرمات على غيره ابدا وفي جواز النظر وجهان اشهرهما المنع وثبت لهن حكم الامومة في احترامهن وطاعتهن وتحريم نكاحهن لا في جواز الخلوة والنظر والميراث ولا يتعدى ذلك الى غيرهن فلا يقال بناتهن اخوات المؤمنين على الاصح وقيل انما حرمن لانه عليه الصلاة والسلام حي في قبره ولهذا حكى الماوردي انه لا يجب عليهن عدة الوفاة وفي التي فارقها في الحياة كالمستعيذة والتي رأى بكشحها بياضا اوجه احدها يحرمن ايضا وهو الذي نص عليه الشافعي وصححه في الروضة لعموم الاية وليس المراد بمن من بعده بعدية الموت بل بعدية النكاح وقيل لا والثالث وصححه امام الحرمين والرافعي في الصغير تحريم المدخول بها فقط لما روي ان الاشعث بن قيس نكح المستعيذة في زمن عمر فهم برجمه فاخبر انها لم تكن مدخولا بها فكف وفي امة فارقها بعد وطئها اوجه ثالثها تحرم ان فارقها بالموت كمارية ولا تحرم ان باعها بالحيوة انتهى ومنها انه يجوز ان يقسم على الله به وليس ذلك لغيره قال ابن عبد السلام وهذا ينبغي ان يكون مقصورا على النبي صلى الله عليه وسلم لانه سيد ولد ادم وان لا يقسم على الله بغيره من الملائكة والانبياء لانهم

ليسوا في درجته وان يكون هذا مما خص به لعلو درجته ومرتبته انتهى ومنها انه يحرم
رؤية أشخاص ازواجه في الازر وكذا كشف وجوههن واكفهن لشهادة أو غيرها كما صرح به
القاضي عياض وعبارته فرض الحجاب مما اختصصن به فهو فرض عليهن بلا خلاف في الوجه
والكفين فلا يجوز لهن كشف ذلك في شهادة ولا غيرها ولا اظهار شخوصهن وان كن مستترات
الا ما دعت اليه ضرورة من براز ثم استدل بما في الموطأ ان حفصة لما توفي عمر سترها
النساء عن أن يرى شخصها وان زينب بنت جحش جعلت لها القبة فوق نعشها لتستر
شخصها انتهى قال الحافظ ابن حجر وليس فيما ذكره دليل على ما ادعاه من فرض ذلك عليهن
فقد كن بعد النبي صلى الله عليه وسلم يحججن ويطفن وكان الصحابة ومن بعدهم يسمعون
منهن الحديث وهن مستترات الابدان لا الاشخاص انتهى والله اعلم واما حكم نظر غيره
عليه السلام فني الروضة واصلها عن الاكثرين جواز النظر الى وجه حرة كبيرة اجنبية
وكفيها اذا لم يخف فتنة مع الكراهة وقوة كلام الشيخين الرافعي والنووي يقتضي رجحانه
وصوبه في المهمات لتصريح الرافعي في الشرح بان الاكثرين عليه لكن نقل ابن العراقي ان شيخه
البلقيني قال الترجيح بقوة المدرك والفتوى على ما في المنهاج وقد جزم به في التذريب
وقوة كلام الصغير تقتضي رجحانه وعلله باتفاق المسلمين على منع النساء من الخروج سافرات
ونقلا في الروضة واصلها هذا الاتفاق واقراه وعورض بنقل القاضي عياض عن العلماء مطلقا
انه لا يجب على المرأة ستر وجهها في الطريق وانما هو سنة وعلى الرجال غض البصر وحكاه
عنه النووي في شرح مسلم واقره قاله الشيخ نجم الدين بن قاضي عجلون في تصحيح
المنهاج والله اعلم وكان النكاح في حقه عليه الصلاة والسلام عبادة مطلقا كما قاله
السبكي وهو في حق غيره ليس بعبادة عندنا بل من المباحات والعبادة عارضة له
ومنها ان اولاد بناته ينسبون اليه قال عليه السلام في الحسن ان ابني هذا
سيد رواه ابو يعلى ومنها ان كل نسب وسبب منقطع يوم القيامة الا سببه ونسبه
قال عليه السلام كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة الا سببي ونسبي والنسب
بالولادة والسبب بالزواج قيل معناه ان امته ينتفعون بالنسبة اليه يوم القيمة
بخلاف امة غيره ومنها انه لا يتزوج على بناته فعن المسور بن مخرمة انه سمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم على المنبر يقول ان بني هشام بن المغيرة استاذنوني في ان ينكحوا
ابنتهم علي بن ابي طالب فلا اذن ثم لا اذن ثم لا اذن الا ان يحب ابن ابي طالب ان يطلق ابنتي
وينكح ابنتهم فانما ابنتي بضعة مني يريبني ما رابها ويؤذيني ما اذاها اخرجه الشيخان
وصححه الترمذي وعنه ان علي بن ابي طالب خطب بنت ابي جهل وعنده فاطمة بنت
النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان قومك يتحدثون انك لا تغضب لبناتك وهذا علي
ناكح ابنة ابي جهل قال المسور فقام النبي صلى الله عليه وسلم فسمعته حين تشهد
قال اما بعد فاني انكحت ابا العاص بن الربيع فحدثني فصدقني وان فاطمة بنت محمد
بضعة مني وانما اكره ان يفتنوها وانه والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله
عند رجل واحد ابدا قال فترك علي الخطبة اخرجه الشيخان واسم بنت ابي جهل عزة

جويرية اسلمت وبايعت وتزوجها عتاب بن اسيد ثم ابان بن سعيد بن العاص قال ابو داود
حرم الله تعالى على علي ان ينكح على فاطمة حياتها لقوله عز وجل وما اتاكم الرسول
فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وذكر الشيخ ابو علي السنجي في شرح التلخيص انه يحرم التزوج
على بنات النبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون ذلك خاصا بفاطمة رضي الله عنها وقد علل
عليه السلام بان ذلك يؤذيه واذا ايذاؤه صلى الله عليه وسلم حرام بالاتفاق وفي هذا تحريم
اذى من يتاذى النبي صلى الله عليه وسلم بتاذيه لان ايذاء النبي صلى الله عليه وسلم حرام اتفاقا
قليله وكثيره وقد جزم عليه السلام بانه يؤذيه ما آذى فاطمة فكل من وقع منه في حق فاطمة
شيء فتأذت به فهو يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم بشهادة هذا الخبر الصحيح وقد استشكل
اختصاص ذلك بفاطمة مع ان الغيرة على النبي صلى الله عليه وسلم أقرب الى خشية الافتتان
في الدين ومع ذلك فكان صلى الله عليه وسلم يستكثر من الزوجات وتوجد منهن الغيرة ومع ذلك
ما راعى صلى الله عليه وسلم ذلك في حقهن كما راعاه في حق فاطمة واجيب بان فاطمة
كانت اذ ذاك فاقدة من تركن اليه ممن يؤنسها ويزيل وحشتها من ام أو اخت بخلاف امهات
المؤمنين فان كل واحدة منهن كانت ترجع الى من يحصل لها معه ذلك وزيادة عليه وهو
زوجهن صلى الله عليه وسلم لما كان عنده من الملاطفة وتطييب القلوب وجبر الخواطر
بحيث ان كل واحدة منهن ترضى منه لحسن خلقه وجميل خلقه بجميع ما يصدر منه بحيث
لو وجد ما يخشى وجوده من الغيرة لزال عن قريب ومنها انه لا يجتهد في محرابه صلى الله
عليه وسلم يمنة ولا يسرة وافتى شيخ الاسلام ابو زرعة بن العراقي في شخص امتنع من الصلاة
الى محراب النبي صلى الله عليه وسلم وقال انا اجتهد واصلي بانه ان فعل ذلك مع الاعتراف
بانه على ما كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فهو ردة وان ذكر تاويلا بان قال ليس هو
الان على ما كان عليه في زمنه عليه السلام بل غير عما كان عليه فهذا اشبه احتمالا يحكم
بردته وان لم يكن هذا التاويل صحيحا ومنها ان من رآه في المنام فقد رآه حقا فان الشيطان
لا يتمثل به وفي رواية مسلم من رآني في المنام فسيراني في اليقظة او فكانما رآني في اليقظة لا يتمثل
الشيطان بي قال الحافظ ابن حجر ووقع عند الاسماعيلي فقد رآني في اليقظة بدل قوله فسيراني
ومثله عند ابن ماجة وصححه الترمذي من حديث ابن مسعود وفي رواية ابي قتادة عند
مسلم ايضا من رآني فقد رأى الحق وله ايضا من حديث جابر من رآني في المنام فقد رآني انه
لا ينبغي للشيطان ان يتمثل في صورتي وفي رواية من رآني في المنام فقد رآني فانه لا ينبغي
للشيطان ان يتشبه بي وفي حديث ابي سعيد عند البخاري فان الشيطان لا يتكونني اي لا يتكون
كوني فحذف المضاف ووصل المضاف اليه بالفعل وفي حديث ابي قتادة عند البخاري لا يتراءى
بالراء بوزن يتعاطى ومعناه لا يستطيع ان يتمثل بي يعني ان الله تعالى وان امكنه من التصور من
في اي صورة اراد فانه لا يمكنه من التصور في صورة النبي صلى الله عليه وسلم وقد ذهب
الى هذا جماعة فقالوا في الحديث ان محل ذلك اذا رآه الرائي على صورته التي كان عليها ومنهم
من ضيق الغرض في ذلك حتى قال لا بد ان يراه على صورته التي قبض عليها حتى يعتبر عدد
الشعرات البيض التي لم تبلغ عشرين شعرة وعن حماد بن زيد قال كان محمد يعني ابن سيرين

اذ اقتص عليه رجل انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم قال صف لي الذي رأيته فان وصف له
صفة لا يعرفها قال لم تره وسنده صحيح وقد أخرج الحاكم من طريق عاصم بن كليب حدثني
ابي قال قلت لابن عباس رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام قال صفه لي قال ذكرت
الحسن بن علي فشبهته به قال قد رأيته وسنده جيد لكن يعارضه ما اخرجه ابن ابي عاصم
من وجه آخر عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رآني في المنام فقد
رآني فاني ارى في كل صورة وفي سنده ابن التوأمة وهو ضعيف لاختلاطه وهو من رواية
من سمع منه بعد الاختلاط قال القاضي ابوبكر بن العربي رؤيته صلى الله عليه وسلم بصفته
المعلومة ادراك الذات الكريمة حقيقة وادراك الصفات ادراك المثال قال وقد شذ
بعض القدرية فقال الرؤيا لا حقيقة لها أصلا قال وقوله فسيراني معناه فسيرى تفسير
ما رأى لانه حق وغيب واما قوله فكانما رآني فهو تشبيه ومعناه انه لو رآني في اليقظة
لطابق ما رآه في المنام فيكون الاول حقا وحقيقة والثاني حقا وتمثيلا قال وهذا كله اذا رآه
على صورته المعروفة فان رآه على خلاف صفته فهي أمثال فان رآه مقبلا عليه مثلا فهو خير
للرائي وعلى العكس فبالعكس وقال القاضي عياض يحتمل ان يكون المراد بقوله فقد رآني او فقد
رأى الحق ان من رآه على صورته المعروفة في حياته كانت رؤياه حقا ومن رآه على غير صورته
كانت رؤيا تاويل انتهى وتعقبه النووي فقال هذا ضعيف بل الصحيح انه يراه حقيقة سواء
كانت على صفته المعروفة او غيرها انتهى وتعقبه شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر فقال
لم يظهر لي من كلام القاضي عياض ما ينافي ذلك بل ظاهر قوله انه يراه حقيقة في الحالين لكن
في الاولى تكون الرؤيا مما لا يحتاج الى تعبير والثانية مما يحتاج الى التعبير وقال بعضهم معناه
انه من رآه على صورته التي كان عليها ولا يلزم من قول من قال انه لا تكون رؤيته الا على صورته
المعلومة ان من رآه على غير صفته ان تكون رؤياه من اضغاث الاحلام ومن المعلوم انه يرى
في النوم على حالة تخالف حالته في الدنيا من الأحوال اللائقة ولو تمكن الشيطان بشيء من التمثيل
مما كان عليه أو ينسب اليه لعارض عموم قوله فان الشيطان لا يتمثل بي فالاولى ان تنزه رؤياه
وكذا رؤيا شيء منه او مما ينسب اليه عن ذلك فانه ابلغ في الحرمة واليق بالعصمة كما عصم
من الشيطان في يقظته فالصحيح في تأويل هذا الحديث ان مقصوده ان رؤيته في كل حالة
ليست باطلة ولا اضغاثا بل هي حق في نفسها ولو رئي على غير صورته فتصور تلك الصورة ليس
من الشيطان بل هو من قبل الله وهذا قول القاضي ابي بكر بن الطيب وغيره ويؤيده قوله فقد رأى
الحق اشار اليه القرطبي وقال ابن بطال قوله فسيراني في اليقظة يريد تصديق تلك الرؤيا
في اليقظة وصحتها وخروجها على الحق وليس المراد انه يراه في الآخرة لانه سيراه يوم القيامة
في اليقظة جميع امته من رآه في النوم ومن لم يره وقال المازري ان كان المحفوظ فكانما
رآني في اليقظة فمعناه ظاهر وان كان المحفوظ فسيراني في اليقظة احتمل ان يكون اراد أهل
عصره ممن لم يهاجر اليه فانه اذا رآه في المنام جعل ذلك علامة على انه يراه بعد ذلك في اليقظة
واوحى الله ذلك اليه صلى الله عليه وسلم وقيل معناه سيرى تأويل تلك الرؤيا في اليقظة وصحتها
وأجاب القاضي عياض باحتمال ان تكون رؤياه له في النوم على الصفة التي عرف بها

ومن

ووصفه الموجبة لكرامته في الآخرة وان يراه رؤية خاصة من القرب منه او الشفاعة له
بعلو الدرجة ونحو ذلك من الخصوصيات قال ولا يبعد ان يعاقب الله بعض المذنبين في القيامة
بمنع رؤية نبيه صلى الله عليه وسلم مدة وحمله ابن ابي جمرة على محمل آخر فذكر عن ابن عباس
او غيره انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فبقي بعد ان استيقظ متفكرا في هذا الحديث
فدخل على بعض امهات المؤمنين لعلها خالته ميمونة فاخرجت له المرآة التي كانت للنبي صلى الله
عليه وسلم فنظر فيها صورة النبي صلى الله عليه وسلم ولم ير صورة نفسه قال الغزالي
ليس معنى قوله فقد رآني انه رأى جسمي وبدني وانما المراد انه رأى مثالا صار ذلك المثال
آلة يتأدى بها المعنى الذي في نفسي اليه وكذلك قوله فسيراني في اليقظة ليس المراد انه يرى
جسمي وبدني قال والآلة تارة تكون حقيقية وتارة تكون خيالية والنفس غير المثال المتخيل
فما رآه من الشكل ليس هو روح المصطفى ولا شخصه بل هو مثال له على التحقيق قال ومثل ذلك
من يرى الله تعالى في المنام فان ذاته تعالى منزهة عن الشكل والصورة ولكن تنتهي تعريفاته
تعالى الى العبد بواسطة مثال محسوس من نور او غيره ويكون ذلك المثال آلة حقا في كونه
واسطة في التعريف فيقول الرائي رأيت الله تعالى في المنام لا يعني اني رأيت ذات الله تعالى
كما يقول في حق غيره وقال الغزالي ايضا في بعض فتاويه من رأى الرسول يعني في المنام
لم ير حقيقة شخصه المودع روضة المدينة وانما يرى مثاله لا شخصه ثم قال وذلك المثال
مثال روحه المقدسة عن الصورة والشكل وقال الطيبي المعنى من رآني في المنام بأي
صفة كنت فليستبشر وليعلم انه قد رأى الرؤيا الحق اي رؤية الحق لا الباطل وكذا قوله
فقد رآني فالشرط والجزاء اذا اتحدا دل على الغاية في الكمال اي فقد رآني رؤيا ليس بعدها
شيء والحاصل من الاجوبة انه على التشبيه والتمثيل ويدل عليه قوله فكانما رآني في اليقظة
ثانيها معناه سيرى في اليقظة تأويلها بطريق الحقيقة ثالثها انه خاص باهل عصره
ممن آمن به قبل ان يراه رابعها المراد انه يراه في المرآة التي كانت له ان امكنه
قال شيخ مشايخ الحفاظ ابن حجر وهذا من ابعد المحامل خامسها انه يراه يوم
القيامة بمزيد خصوصية لا مطلق من رآه حينئذ ممن لم يره في المنام والصواب
كما قدمناه في رؤيته عليه الصلاة والسلام التعميم على اي حالة رآه الرائي بشرط
ان يكون على صورته الحقيقية في وقت ما سواء كان في شبابه او رجوليته او كهوليته
او آخر عمره وقد يكون لما خالف ذلك تعبير يتعلق بالرائي كما قال بعض علماء التعبير ان من رآه
شيخا فهو غاية سلم ومن رآه شابا فهو غاية حرب وقال ابو سعيد احمد بن محمد بن نصر
من رآه نبيا على حاله وهيئته فذلك دليل على صلاح الرائي وكمال جاهه وظفره بمن عاداه
ومن رآه متغير الحال عابسا مثلا فذلك دال على سوء حال الرائي وقال العارف ابن ابي جمرة
من رآه في صورة حسنة فذاك حسن في دين الرائي وان كان في جارحة من جوارحه شين
او نقص فذاك خلل في الرائي من جهة الدين قال وهذا هو الحق وقد جرب ذلك فوجد
على هذا الاسلوب وبه تحصل الفائدة الكبرى في رؤياه حتى يتبين للرائي هل عنده خلل او لا
لانه عليه السلام نوراني مثل المرآة الصقيلة ما كان في الناظر اليها من حسن او غيره تصور

رؤية الله تعالى في المنام

فيها وفي ذلك انها على احسن حال لا نقص فيها وكذلك يقال في كلامه عليه السلام في النوم
انه يعرض على سنته فما وافقها فهو حق وما خالفها فالخلل في سمع الرائي فرؤيا الذات
الكريمة حق والخلل انما هو في سمع الرائي او بصره قال وهذا خير ما سمعته في ذلك انتهى
وقال بعضهم ليست رؤيته عليه السلام رؤيا عين انما يرى بالابصار وذلك لا يستدعي
حصر المرائي بل يرى من المشرق الى المغرب ومن الارض الى العرش فهي كما ترى الصور
في المراة المحاذية لها وليست الصور منتقلة الى جرم المراة وعين الناظر مقابلة جميع
الكائنات كالمراة والاختلاف في رؤيته صلى الله عليه وسلم بان يراه بعضهم شيخا واخر شابا
واخر ضاحكا واخر باكيا ترجع الى الرائين كاختلاف الصورة الواحدة في مرائي مختلفة الاشكال
والمقادير ففي الكبير يرى وجهه كبيرا وفي الصغيرة صغيرا وفي المعوجة معوجا وفي الطويلة
طويلا الى غير ذلك فالاختلاف راجع الى اختلاف اشكال المرائي لا الى وجه الرائي كذلك الراؤن
عليه الصلاة والسلام احوالهم بالنسبة اليه مختلفة فمن راه متبسما اليه دل على ان الرائي
متمسكا بسنته والله اعلم وقد اجاب الشيخ بدر الدين الزركشي عن سؤال رؤية جماعة له
صلى الله عليه وسلم في الان الواحد من اقطار متباعدة مع ان رؤيته صلى الله عليه وسلم حق
بانه صلى الله عليه وسلم سراج ونور الشمس في هذا العالم مثال نوره في العالمين وكما ان
الشمس يراها كل من في المشرق والمغرب في ساعة واحدة وبصفات مختلفة فكذلك النبي
صلى الله عليه وسلم ولله در القائل

كالبدر من اي النواحي جئته ❊ يهدي الى عينيك نورا ثاقبا

واما رؤيته صلى الله عليه وسلم في اليقظة بعد موته عليه السلام فقال
شيخنا لم يصل النبا ذلك عن احد من الصحابة ولا عن من بعدهم وقد اشتد حزن فاطمة عليه
صلى الله عليه وسلم حتى ماتت كمدا بعده بستة اشهر على الصحيح وبيتها مجاور لضريحه الشريف
ولم ينقل عنها رؤيته في المدة التي تاخرتها عنه وانما حكي عن بعض الصالحين حكايات عن
القسم كما هو في توثيق عرى الايمان للبارزي وبهجة النفوس لابي عبد الله بن ابي جمرة
وروض الرياحين للعفيف اليافعي وغيره من تصانيفه والشيخ صفي الدين بن ابي منصور
في رسالته وعبارة ابن ابي جمرة قد ذكر عن السلف والخلف الى هلم جرى عن جماعة كانوا
يصدقون بهذا الحديث يعني من راني في المنام فسيراني في اليقظة انهم راوه صلى الله عليه وسلم
في النوم فراوه بعد ذلك في اليقظة وسالوه عن اشياء كانوا منها متشوشين فاخبرهم
بتفريجها ونص لهم على الوجوه التي منها يكون منها فرجها فجاء الامر كذلك بلا زيادة ولا نقص
قال والمنكر لهذا لا يخلو اما ان يكون ممن يصدق بكرامات الاولياء او لا فان كان الثاني
فقد سقط البحث معه فانه يكذب بما اثبتته السنة بالدلائل الواضحة وان كان الاول
فهذه منها لان الاولياء يكشف لهم بخرق العادة عن اشيا في العالمين العلوي والسفلي
عديدة مع التصديق بذلك وقال ابن ابي منصور في رسالته ويقال ان الشيخ ابا العباس
ابن القسطلاني دخل مرة على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
اخذ الله بيدك يا احمد وعن الشيخ ابي السعود قال كنت ازور شيخنا ابا العباس وغيره

من شيوخ

من شيوخ مصر فلما انقطعت واشتغلت وفتح علي لم يكن لي شيخ الا النبي صلى الله عليه وسلم
وانه كان يصافحه عقب كل صلاة وقال الشيخ ابو العباس الحرار دخلت على النبي صلى الله
عليه وسلم مرة فوجدته يكتب مناشير للاولياء بالولاية قال وكتب لاخي محمد منهم منشورا
فقلت يا رسول الله فما تكتب لي كاخي فقال اتريد ان تكون فتهارا او هذه لغة اهل سبتة يعني
طرقيا وفهم عنه ان له مقاما غير هذا وقال حجة الاسلام الغزالي في كتاب المنقذ
من الضلال وهم يعني ارباب القلوب في يقظتهم يشاهدون الملائكة وارواح الانبياء
ويسمعون منهم اصواتا ويقتبسون منهم فوائد انتهى ورايت في كتاب المنح الالهية
في مناقب السادة الوفائية وعن سيدي علي بن سيدي محمد وفا انه قال
في بعض مساجده كنت وانا ابن خمس سنين اقرا القران على رجل يقال له الشيخ يعقوب
فاتيته يوما فرايت انسانا يقرا عليه سورة والضحى وصحبته رفيق له وهو يلوك
شدقيه بالامالة ورفيقه يضحك اعجابا فرايت النبي صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناما
وعليه قميص ابيض قطن ثم رايت القميص علي فقال لي اقرا فقرات عليه سورة الضحى
والم نشرح ثم غاب عني فلما بلغت احدى وعشرين سنة احرمت لصلاة الصبح بالقرافة
فرايت النبي صلى الله عليه وسلم قبالة وجهي فعانقني فقال لي واما بنعمة ربك فحدث
فاوتيت لسانه من ذلك الوقت انتهى واما ما حكاه الشيخ تاج الدين بن عطاء الله في لطائف
المنن عن الشيخ ابي العباس المرسي انه كان مع الشيخ ابي الحسن الشاذلي بالقيروان في ليلة الجمعة
سابع عشرين رمضان فذهب معه الى الجامع الحكاية الى ان قال ورايت رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو يقول يا علي طهر ثيابك من الدنس تحظ بمدد الله في كل نفس الى اخره
فيحتمل ان يكون مناما وكذا قول الشيخ القسطلاني كنت اقرا على ابي عبد الله محمد
ابن عمر بن يوسف القرطبي بالمدينة النبوية الشريفة فجئته يوما في وقت خلوة وانا يومئذ
حديث السن فخرج الي وقال من ادبك بهذا الادب وغاب عني فذهبت وانا منكسر
الخاطر فدخلت المسجد وقعدت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فبينا انا جالس في
تلك الحال واذا بالشيخ جاء الي وقال قم فقد جاء فيك شفيع لا يرد ونحوه ما حكاه السهروردي
في عوارف المعارف عن الشيخ عبد القادر الكيلاني انه قال ما تزوجت حتى
قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج وحكي عن السيد نور الدين الايجي
والد السيد عفيف الدين انه في بعض زياراته للنبي صلى الله عليه وسلم سمع جواب
سلامه من داخل القبر الشريف وعليك السلام يا ولدي وقال البدر حسن بن الاهدل
في مسالة الرؤية له ان وقوعها للاولياء قد تواترت باجناسها الاخبار وصار العلم بذلك
قويا انتفى عنه الشك ومما تواتر عليه اخبارهم لم يبق له شبهة فيه ولكن يقع لهم ذلك
في بعض غيبة حس وغموض طرف لورود حال لا تكاد تضبطها العبارة ومراتبهم
في الرؤية متفاوتة وكثيرا ما يغلط فيها رواتها فنقل ما تجده رواية صحيحة ممن يوثق به
واما من لم يوثق به فقد يكذب وقد يرى مناما او في غيبة حس فيظنه يقظة وقد يرى
خيالا ونورا فيظنه الرسول وقد يلبس عليه الشيطان فيجب التحرز في هذا الباب

وبالجملة فالقول برؤيته صلى الله عليه وسلم بعد موته بعين الراس يقظة يدرك فساده
باوايل العقول لاستلزامه خروجه عليه السلام والصلاة من قبره ومشيه في الاسواق
ومخاطبته للناس ومخاطبتهم له وخلو قبره عن جسده المقدس فلا يبقى منه فيه شيء بحيث
يزار مجرد القبر ويسلم على غايب اشار الى ذلك القرطبي في الرد على القايل بان الراي له في المنام
راي حقيقته ثم يراه كذلك في اليقظة قال وهذه جهالات لا يقول بشيء منها من له ادنى مسكة
من المعقول وملتزم شيء من ذلك مختل مخبول وقال القاضي ابو بكر بن العربي وشذ بعض الصالحين
فزعم انها تقع بعين الراس حقيقته وقال في فتح الباري بعد ان ذكر كلام ابن ابي جمرة وهذا مشكل
جدا ولو حمل على ظاهره لكان هولاء صحابة ولامكن بقاء الصحبة الى يوم القيامة انتهى وللشيخ
شيخ الطايفة المسلمية

ومن يدعي في هذه الدار انه ۞ يرى المصطفى حقا فقد فاه مشتطا ۞
ولكن بين النوم واليقظة التي ۞ تباشر هذا الامر مرتبة وسطا ۞

وقد حمل القاضي ابو بكر بن العربي القول بان الرؤية ... المنام بعين الراس غلو وحماقة
ويحكي ما ناسب لبعض المتكلمين وهو القول بانها مدركة بعينين في القلب وانه ضرب من المجاز
انتهى فلا يمتنع من الخواص ارباب القلوب القايمين بالمراقبة والتوجه على قدم الخوف بحيث
لا يسكنون لشيء مما يقع لهم من الكرامات فضلا عن التحدث بها لغير ضرورة مع السعي في التخلص
من الكدورات والاعراض عن الدنيا واهلها جملة وكون الواحد منهم يود انه يخرج من اهله
وماله وانه يرى النبي صلى الله عليه وسلم كالشيخ عبد القادر الكيلاني ان تتمثل صورته
صلى الله عليه وسلم في خاطره ويتصور في عالم سره وانه يكلمه بشرط استقرار ذلك وعدم
اضطرابه فان تزلزل او اضطرب كان لمة من الشيطان وليس ذلك خادشا في علو مناصبهم
لعدم عصمة غير الانبيا فقد قال العلامة ابن السبكي في جمع الجوامع تبعا لغيره وان الالهام
ليس بحجة لعدم الثقة بمن ليس معصوما بخواطره وحينئذ فمن قال ممن حكينا عنه او غيرهم
بان المراي هو المثال لا يمتنع حمله على هذا بل حمل كل من اطلق عليه هو اللايق وقريب منه قوله
صلى الله عليه وسلم اني رايت الجنة والنار مع مزيد استبعاده هناك ان يكون المراد بالرؤية
رؤية العلم ويحكى عن الشيخ ابي العباس المرسي انه قال لو حجب عني رسول الله صلى الله عليه
وسلم طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين وعلى هذا فيكون معنى قسيراني في اليقظة
اي يتصور مشاهدتي وينزل نفسه كالحاضر معي بحيث لا يخرج عن ادابه وسنته صلى الله عليه
وسلم بل يسلك منهاجه ويمشي على شريعته وطريقته ومنه قوله عليه الصلاة والسلام
في الاحسان ان تعبد الله كانك تراه ويحمل العموم فيمن راى على الموفقين واليه يشير قول
بعض المعتمدين اي من راني رؤية معظم لحرمتي ومشتاق لمشاهدتي وصل الى رؤية محبوبه
وظفر بكل مطلوبه وقريب منه قول شارح المصابيح او يراه في الدنيا حالة الذوق والانسلاخ
عن العوايق الجسمانية كما نقل ذلك عن بعض الصالحين انه راه في حالة الذوق والشوق وقد
قال الاهدل عقب الحكاية عن الشيخ ابي العباس المرسي وهذا فيه تجوز يقع مثله في كلام الشيوخ
وذلك ان المراد انه لم يحجب حجاب غفلة ونسيان لدوام المراقبة واستحضاره في الاعمال والاقوال

دلويره

ولم يره انه لم يحجب عن الروح الشخصية طرفة عين فذلك مستحيل والله اعلم انتهى ومما
اختص به عليه الصلاة والسلام التسمي باسمه ميمون ونافع في الدنيا والاخرة روينا ان مر
عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوقف عبدان بين يدي الله تعالى
فيامر بهما الى الجنة فيقولان ربنا بما استاهلنا الجنة ولم نعمل عملا تجازينا به الجنة فيقول الله
تعالى ادخلا الجنة فاني اليت على نفسي ان لا يدخل النار من اسمه احمد ولا محمد وروى ابو نعيم
عن نبيط بن شريط قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى وعزتي وجلالي
لا عذبت احدا تسمى باسمك في النار وعن علي بن ابي طالب قال ما من مايدة وضعت فحضر عليها
من اسمه احمد او محمد الا قدس الله ذلك المنزل كل يوم مرتين رواه ابو منصور الديلمي
وليس لاحد ان يتكنى بكنيته ابي القاسم سواء كان اسمه محمدا ام لا ومنهم من كره الجمع وجوز
الافراد ويشبه ان يكون هو الاصح قال النووي في هذه المسئلة مذهب الشافعي
منع مطلقا وجوزه مالك والثالث يجوز لمن ليس اسمه محمدا ومن جوز مطلقا خص النهي
بحياته صلى الله عليه وسلم وهو الاقرب انتهى ومنها انه يستحب الغسل لقراة حديثه
والتطيب ولا ترفع عنده الاصوات بل تخفض كما في حياته اذا تكلم فان كلامه المأثور بعد
موته في الرفعة مثل كلامه المسموع من لفظه الشريف وان يقرا على مكان مرتفع روينا
عن مطرف قال كان الناس اذا اتوا مالكا رحمه الله خرجت اليهم الجارية فتقول لهم يقول لكم
الشيخ تريدون الحديث او المسايل فان قالوا المسايل خرج اليهم في الوقت وان قالوا الحديث
دخل مغتسله فاغتسل وتطيب ولبس ثيابا جددا وتعمم ولبس ساجه والساج الطيلسان
وتلقى له منصة فيخرج يجلس عليها وعليه الخشوع ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ من حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن يجلس على تلك المنصة الا اذا حدث قال ابن ابي اويس
فقيل له في ذلك فقال احب ان اعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا احدث به
الا على طهارة متمكنا ويقال انه اخذ ذلك عن سعيد بن المسيب وقد كره قتادة وما لك
وجماعة التحديث على غير طهارة حتى كان الاعمش اذا كان على غير طهارة تيمم ولا شك ان حرمته
صلى الله عليه وسلم وتعظيمه وتوقيره بعد مماته وعند ذكره وذكر حديثه وسماع اسمه وسنته
كما كان في حياته والله اعلم ومنها انه يكره لقاري حديثه ان يقوم لاحد قال ابن الحاج
في المدخل لانه قلة ادب مع النبي صلى الله عليه وسلم وقلة احترام وعدم مبالاة ان يقطع
حديثه لاجل غيره فكيف لبدعة وقد كان السلف لا يقطعون حديثه ولا يتحركون وان اصابهم
الضرر في ابدانهم ويحتملون المشقة التي تنزل بهم اذ ذاك احتراما لحديث نبيهم صلى الله عليه
وسلم وحسبك ما وقع لمالك رحمه الله في لسع العقرب له سبع عشرة مرة وهو لم يتحرك
وتحمله للسعها توقيرا لجناب حديثه عليه الصلاة والسلام ان يكون يقرأ وهو يتحرك لقراءته
مع انه معذور فيها وقع به فكيف بالحركة والقيام اذ ذاك لا لضرورة بل للبدعة سيما اذا انضاف
الى ذلك ما لا ينبغي من الكلام المعتاد انتهى ملخصا ومنها انه تثبت الصحبة لمن اجتمع به
صلى الله عليه وسلم لحظة بخلاف التابعي مع الصحابي فلا يثبت الا بطول الاجتماع معه على الاصح
عند اهل الاصول والفرق عظم منصب النبوة ونورها فبمجرد ما يقع بصره على الاعرابي الجلف

ينطق بالحكمة ومنها ان اصحابه كلهم عدول لتعديل الكتاب والسنة فلا يبحث عن عدالة احد
منهم كما يبحث عن سائر الرواة قال تعالى خطابا للموجودين حينئذ وكذلك جعلناكم امة وسطا
اي عدولا وقال عليه الصلاة والسلام لا تسبوا اصحابي فوالذي نفسي بيده لو انفق احدكم مثل
احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وقال عليه الصلاة والسلام خير الناس قرني ثم الذين يلونهم
في ايات كثيرة واحاديث تقتضي القطع بتعديلهم وكذلك اجمع من يعتد به على ذلك سواء في
التعديل من لابس الفتنة منهم وغيره لوجوب حسن الظن بهم حملا لما لابسوا على الاجتهاد ونظرا
الى ما تمهد لهم من المآثر من امتثال اوامره عليه الصلاة والسلام وفتحهم الاقاليم وتبليغهم عنه
الكتاب والسنة وهدايتهم الناس مع مواظبتهم على الصلوات والزكوات وانواع القربات مع الشجاعة
والبراعة والكرم التي لم تكن في امة من الامم المتقدمة ولا يكون احد بعدهم مثلهم في ذلك
لخلو نظيره عليه الصلاة والسلام وافضلهم عند اهل السنة اجماعا ابوبكر ثم عمر واما
بعدهما فالجمهور على انه عثمان ثم علي وسنبين مزيدا لذلك ان شاء الله تعالى في المقصد السابع
ومنها ان المصلي يخاطبه بقوله السلام عليك ايها النبي ولا يخاطب غيره ومنها انه يجب
على من دعاه وهو في الصلاة ان يجيبه ويشهد له حديث سعيد بن المعلى كنت اصلي في المسجد
فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم اجبه وفيه الم يقل الله تعالى استجيبوا لله وللرسول
اذا دعاكم لما يحييكم فاجابته فرض يعصي المرء بتركها وهل تبطل الصلاة ام لا صرح جماعة من اصحابنا
الشافعية وغيرهم انها لا تبطل وفيه بحث لاحتمال ان تكون اجابته واجبة مطلقا سواء كان
المخاطب مصليا او غير مصل اما كونه يخرج بالاجابة فليس في الحديث ما يستلزمه فيحتمل ان تجب
الاجابة ولو خرج المجيب من الصلاة والى ذلك جنح بعض الشافعية والله اعلم ومنها
ان الكذب عليه ليس كالكذب على غيره ومن كذب عليه لم تقبل روايته ابدا وان تاب فيما ذكره
جماعة من المحدثين وقال عبد الرزاق اخبرنا معمر عن رجل عن سعيد بن جبير ان رجلا
كذب على النبي صلى الله عليه وسلم فبعث عليا والزبير فقال اذهبا فان ادركتماه فاقتلاه
وهذا حكى امام الحرمين عن ابيه ان من تعمد الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم يكفر
لكن لم يوافقه احد من الائمة على ذلك والحق انه فاحشة عظيمة وموبقة كبيرة ولكن لا يكفر
الا ان استحله وقال النووي لم ار له اي للقول في اصل المسئلة دليلا ويجوز ان يوجه
بان ذلك جعل تغليظا وزجرا بليغا عن الكذب عليه صلى الله عليه وسلم لعظم مفسدته
فانه يصير شرعا مستمرا الى يوم القيمة بخلاف الكذب على غيره والشهادة فان مفسدتهما
قاصرة ليست عامة ثم قال وهذا الذي ذكره هؤلاء الائمة ضعيف مخالف للقواعد الشرعية
والمختار القطع بصحة توبته وبشروطها المعروفة قال فهذا هو الجاري على قواعد الشرع
وقد اجمعوا على صحة رواية من كان كافرا فاسلم قال فهذا هو الجاري على قواعد الشرع وقد
اجمعوا على صحة رواية من كان كافرا قال واجمعوا على قبول شهادته ولا فرق بين الشهادة
والرواية في هذا قال شيخنا ويمكن ان يقال فيما اذا كان كذبه في وضع حديث وحمل عنه
ودون ان الاثم غير منفك عنه بل هو لاحق له ابدا فان من سن سنة سيئة عليه وزرها ووزر
من عمل بها الى يوم القيامة والتوبة حينئذ متعذرة ظاهرا وان وجد مجرد اسمها ومنها انه

من الذنوب كبيرها وصغيرها عمدها وسهوها وكذلك الانبيا ومنها انه لا يجوز عليه الجنون لانه نقص
ولا الاغماء الطويل الزمن فيما ذكره الشيخ ابو حامد في تعليقه وجزم به البلقيني في حواشي
الروضة وكذلك الانبياء ونبه السبكي على ان اغماءهم يخالف اغماء غيرهم وانما هو غلبة الاوجاع
للحواس الظاهرة دون القلب لانه قد ورد انه انما تنام اعينهم دون قلوبهم فاذا حفظت قلوبهم
وعصمت من النوم الذي هو اخف من الاغماء فمن الاغماء بطريق الاولى قال السبكي ولا يجوز
عليهم العمى لانه نقص ولم يعم نبي قط وما ذكر عن شعيب انه كان ضريرا فلم يثبت واما يعقوب
فحصلت له غشاوة وزالت انتهى قال الرازي في قوله تعالى وابيضت عيناه من الحزن لما قال
يا اسفى على يوسف غلبه البكاء وعند غلبة البكاء يكثر الماء في العين فتصير العين كانها ابيضت
من بياض ذلك الماء وقوله وابيضت عيناه من الحزن كناية من غلبة البكاء والدليل على صحة
هذا القول ان تاثير الحزن في غلبة البكاء لا في حصول العمى فلو حملنا الابيضاض على غلبة البكا
كان هذا التعليل حسنا ولو حملناه على العمى لم يحسن هذا التعليل فكان ما ذكرناه اولى
ثم قال واختلفوا فقال بعضهم انه كان قد عمي بالكلية فالله تعالى جعله بصيرا في هذا الوقت
وقال اخرون بل كان قد ضعف بصره من كثرة البكاء والاحزان بحيث صار يدرك ادراكا
ضعيفا فلما القوا القميص على وجهه وبشر بحياة يوسف عظم فرحه وانشرح صدره وزالت
احزانه فعند ذلك قوي بصره وزال النقصان عنه انتهى ومنها ان من سبه او انتقصه
قتل واختلف هل يتحتم قتله في الحال او يوقف على استتابته وهل الاستتابة واجبة
ام لا فمذهب المالكية يقتل حدا لا ردة ولا تقبل توبته ولا عذره ان ادعى سهوا او غلطا
وعبارة شيخهم خليل في مختصره وان سب نبيا او ملكا او عرض او لعنه او عابه او قذفه
او استخف بحقه او غير صفته او الحق به نقصا وان في دينه او خصلته او غض من مرتبته
او وفور علمه او زهده او اضاف له ما لا يجوز عليه او نسب له ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم
او قيل له بحق رسول الله فلعن وقال اردت العقرب قتل ولم يستتب حدا الا ان يسلم
الكافر او ان ظهر انه لم يرد ذمه بجهل او سكر او تهور وهذا قد ذكره القاضي عياض في الشفا
وغيره واستدلوا له بالكتاب والسنة والاجماع اما الكتاب فقوله تعالى ان الذين يؤذون الله
ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة واعد لهم عذابا مهينا واللعنة من الله هي ابعاد الملعون
عن رحمته واحلاله في وبيل عقوبته قال القاضي عياض وانما يستوجب اللعن من هو كافر
وحكم الكافر القتل والاذى هو الشر الخفيف فان زاد كان ضررا كذا قاله الخطابي وغيره
واطلاق الاذى في حقه تعالى انما هو على سبيل المجاز لتعذر الحقيقة فيه ويشهد لذلك
الحديث الالهي يا عبادي انكم لن تبلغوا ضري فتضروني وهذا بخلاف جانب الرسول فالاذى
في حقه تعالى وحق رسوله كفر بنص هذه الاية لان العذاب المهين انما يكون للكافر وكذلك
العذاب الاليم وقال تعالى قل ابالله واياته ورسوله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا قد كفرتم
بعد ايمانكم قال القاضي عياض قال اهل التفسير كفرتم بقولكم في رسول الله واما
السنة فروى ابو داود والترمذي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لنا بابن الاشرف
وفي اخرى من لكعب بن الاشرف اي من ينتدب لقتله فقد استعلن بعداوتنا وهجائنا وفي رواية انه

فانه يؤذي الله ورسوله قال القاضي عياض ووجه اليه من قتله غيلة دون دعوة بخلاف
غيره من المشركين وعلل بأذاه له فدل على ان قتله اياه لغير الاشراك بل للاذى وحديث
مصعب بن سعد عند ابي داود لما كان يوم الفتح امن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس
الا اربعة نفر فذكرهم ثم قال واما ابن ابي سرح فاختبأ عند عثمان بن عفان فلما دعى
رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الى البيعة جاء به حتى اوقفه على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يا نبي الله بايع عبد الله فرفع رأسه فنظر اليه ثلاثا كل ذلك يأبى فبايعه
بعد ثلاث ثم اقبل على اصحابه فقال اما كان فيكم رجل رشيد يقوم الى هذا حين كففت يدي
عن بيعته فيقتله فقالوا ما ندري يا رسول الله ما في نفسك الا اومأت الينا قال انه لا ينبغي
لنبي ان تكون له خائنة الاعين وفيه انه امر بقتل عبد الله بن خطل كان يقول الشعر يهجو به
النبي صلى الله عليه وسلم ويأمر جاريتيه ان تغنيا به وكذلك قتل جاريتيه قالوا وقد بينا انه
امر بقتل من آذاه ومن تنقصه ولكونه عليه السلام وهو مخير فيه فاختار القتل في بعضهم
وعفى عن بعضهم وبعد وفاته تعذر المعرفة بالعفو فبقي الحكم على عمومه في القتل لعدم
الاطلاع على العفو وليس لامته بعده ان يسقطوا حقه فانه لم يرد عنه الاذن في ذلك
واما الاجماع فقال القاضي عياض اجمعت الامة على قتل منتقصه من المسلمين وسابه
فقال ابن المنذر اجمع عوام اهل العلم على ان من سب النبي صلى الله عليه وسلم يقتل وممن قال
ذلك مالك بن انس والليث واحمد واسحق وهو مذهب الشافعي وقال الخطابي لا اعلم احدا من المسلمين
اختلف في وجوب قتله اذا كان مسلما وقال محمد بن سحنون اجمع العلماء على ان شاتم النبي صلى الله
عليه وسلم المتنقص له كافر والوعيد جار عليه بعذاب الله وحكمه عند الامة القتل ومن شك
في كفره وعذابه كفر انتهى ومذهب الشافعية ان ذلك ردة تخرج من الاسلام الى الكفر فهو
مرتد كافر قطعا لا نزاع في ذلك عند الجمهور من ائمتنا والمرتد يستتاب فان تاب والا قتل
وفي الاستتابة قولان اصحهما وجوبها لانه كان محترما بالاسلام وربما عرضت له شبهة فينبغي
ازالتها وقيل يستحب لانه غير مضمون الدم فان قلنا بالاول فيجب في الحال ولم يؤجل كغيره
وفي الصحيح حديث من بدل دينه فاقتلوه وفي قول يمهل ثلاثة ايام فان لم يتب فامر رجلا
كان او امرأة قتل وان اسلم صح اسلامه وترك لقوله تعالى فان تابوا واقاموا الصلاة الآية
وعن ابن عباس ايما مسلم سب الله او سب احدا من الانبياء فقد كذب برسول الله وهي ردة
يستتاب فان تاب والا قتل وايما معاهد سب الله او سب احدا من الانبياء فقد نقض العهد
فاقتلوه واجيب عما تقدم من ادلة المالكية فاما قوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله
الآية فليس فيه الا كفر مؤذيه عليه الصلاة والسلام اما كونه يقتل بعد التوبة والاسلام
فلا دلالة فيه اصلا واما ابن خطل فانما قتل ولم يستتب للكفر والزيادة فيه بالاذى مع
ما اجتمع فيه من موجبات القتل ولانه اتخذ الاذى ديدنا فلا يقاس عليه من فرطت منه فرطة
وقلنا بكفره بها وتاب ورجع الى الاسلام فالفرق واضح وكذلك قتل جاريتيه لانهما جعلتا ذلك
ديدنا مع ما قام بهما من صفة الكفر وقد روى البزار عن ابن عباس ان عقبة بن ابي معيط
نادى يا قريش ما لي اقتل من بينكم صبرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بكفرك وافترائك

على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له سببين في تحتم قتله وهذا في غاية الظهور فاما
قول الخطابي وغيره لا اعلم احدا من المسلمين اختلف في وجوب قتله اذا كان مسلما فمحمول
على التقييد بعدم التوبة واما سياق القاضي عياض لقصة الرجل الذي كذب على النبي صلى الله
عليه وسلم وانه بعث عليا والزبير ليقتلاه فليس يفيد غرضنا في هذا المقام لان الظاهر ان هذا
كذب فيه افساد وفتنة بين المؤمنين لاسيما ان كان كافرا فيكون من محاربي الله ورسوله
مع السعي في الارض بالفساد فيكون محتم القتل والا فليس مطلق الكذب عليه مما يوجب القتل
وكذا سياقه حديث ابن عباس هجت امرأة من خطمة النبي صلى الله عليه وسلم فقال من لي بها
فقال رجل من قومها انا يا رسول الله فنهض فقتلها فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال
لا ينتطح فيها عنزان اي لا يجري فيها خلف ولا نزاع فان في هذه الحكاية وتطايرها نطقا او افصاحا
لقيام الكفر بالمحكي عنهم والزيادة منه وقد اخبر عليه الصلاة والسلام انه لا عصمة لاحد
من الناس بعد دعوتهم الى الاسلام الا بالاسلام فكل منهم مهدر الدم الا من عصم نفسه
بالاسلام واما النافع له في مقام الاستدلال ذكر من طرأ عليه من المسلمين وصمة الارتداد
بالسب على القول بكونه ردة ثم رجع الى الاسلام وتاب وهذا هو محل النزاع وموضع الاستدلال
لكل من المتنازعين اما ذكر كافر اصلي بلغته دعوة النبي صلى الله عليه وسلم وامتنع من اجابته
ومحاربته بيده ولسانه فلا نزاع في اهدار دمه قطعا لاسيما وقد نقل عن هذه المرأة الكافرة انها
كانت تعيب الاسلام وتؤذي النبي صلى الله عليه وسلم وتحرض عليه فاجتمع فيها موجبات
القتل اجماعا وقد ذكر ابن حماسة القاضي عياض ان امره عليه الصلاة والسلام بقتل سابه
انما نقل عن الكفرة ولم ينقل انه عليه الصلاة والسلام قتل مسلما بسبه وانما كان ذلك
في اهل الكفر والعناد ولو نقل فلا يتعين كونه حدا الا احتمال ان يكون قتله كفرا وقد قال الله
تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فاعلمنا ان ما وراء الشرك
يجيز امكان المغفرة وقال تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا فان قلت هذا بالنظر الى ظلم
النفس وحقوق الله تعالى لا بالنظر الى حقوق العباد لان حقوق الله مبنية على المسامحة
وحقوق العباد مبنية على المشاحة وهذا حق النبي صلى الله عليه وسلم وليس لنا ان نسقط
خلافه هو صلى الله عليه وسلم فان له ذلك فالجواب لا بد لنا من نص على ذلك منه
عليه الصلاة والسلام كان يقول مثلا من سبني فاقتلوه ولا تقبلوا له توبة ولا رجوعا
عن سبه فان نقل اتبعناه ثم انه من جهة النظر ينبغي الحاق حقوق رسول الله صلى الله
عليه وسلم بحقوق الله فكما ان حقوقه تعالى مبناها على المسامحة كذلك حقوقه صلى الله عليه
وسلم فانه متخلق باخلاق الله تعالى ومما عد من خصائصه انه اذا قصده ظالم وجب
على من حضره ان يبذل نفسه دونه حكاه النووي في زيادة الروضة عن جماعة من الاصحاب
ومن خصائصه عليه السلام انه صلى الله عليه وسلم كان يخص من شاء بما شاء من الاحكام
كجعله شهادة خزيمة بشهادة رجلين روى ابو داود عن عمارة بن خزيمة بن ثابت عن عمه
وكان من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم ابتاع من اعرابي
فرسا فاستتبعه ليقبضه ثمن الفرس فاسرع النبي صلى الله عليه وسلم المشي وابطأ الاعرابي

فطفق رجال يعترضون الاعرابي يساومونه بالفرس ولا يشعرون ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد ابتاعه حتى زادوا على ثمنه فذكر الحديث فطفق الاعرابي يقول هلم شهيدا يشهد
اني قد بعتك فمن جاء من المسلمين يقول ويلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن ليقول الا الحق
حتى جاء خزيمة بن ثابت فاستمع المراجعة فقال انا اشهد انك قد بايعته الحديث وفيه قال
فجعل النبي صلى الله عليه وسلم شهادة خزيمة برجلين وفي البخاري من حديث زيد بن ثابت
قال فوجدتها مع خزيمة الذي جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين
وعند الحارث بن ابي اسامة في مسنده من حديث النعمان بن بشير ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اشترى من اعرابي فرسا فجحده الاعرابي فجاء خزيمة فقال يا اعرابي انا اشهد
عليك انك بعته فقال الاعرابي ان شهد علي خزيمة فاعطني الثمن فقال النبي صلى الله عليه وسلم
يا خزيمة انا لم نشهدك كيف تشهد قال انا اصدقك على خبر السماء الا اصدقك على ذا الاعرابي
فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين فلم يكن في الاسلام من تعدل
شهادته بشهادة رجلين غير خزيمة قال الخطابي هذا الحديث حمله كثير من الناس على غير
محمله وتذرع به قوم من اهل البدع الى استحلال الشهادة لمن عرف عندهم بالصدق على كل شيء
ادعاه وانما وجه الحديث انه صلى الله عليه وسلم حكم على الاعرابي بعلمه وجرت شهادة خزيمة
مجرى التوكيد لقوله والاستظهار على خصمه فصار في التقدير كشهادة اثنين في غيرها من القضايا
انتهى ومن ذلك ترخيصه في النياحة لام عطية روى مسلم عنها قالت لما نزلت هذه الآية
يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا ولا يعصينك في معروف قالت كان منه النياحة فقلت يا رسول الله
الا آل فلان فانهم كانوا اسعدوني في الجاهلية فلا بد لي من ان اسعدهم فقال الا آل فلان
قال النووي هذا محمول على الترخيص لام عطية في آل فلان خاصة وللشارع ان يخص من العموم
ما شاء ومن ذلك ترك الاحداد لاسماء بنت عميس اخرج ابن سعد عن اسماء بنت عميس قالت لما
اصيب جعفر بن ابي طالب قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم تسلبي ثلاثا ثم اصنعي ما شئت
ومن ذلك الاضحية بالعناق لابي بردة بن نيار رواه الشيخان من حديث البراء بن عازب
قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر فقال من صلى صلاتنا ونسك نسكنا
فقد اصاب السنة ومن نسك قبل الصلاة فتلك شاة لحم فقام ابو بردة بن نيار فقال يا
رسول الله لقد نسكت قبل ان اخرج الى الصلاة وعرفت ان اليوم يوم اكل وشرب فتعجلت
واكلت واطعمت اهلي وجيراني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك شاة لحم قال
فان عندي عناق جذعة هي خير من شاتي لحم فهل تجزي عني قال نعم ولن تجزي عن احد بعدك
ونيار بكسر النون وتخفيف المثناة التحتية واخره راء وقوله تجزي بفتح اوله غير مهموز اي
تغني والجذع بالجيم والذال المعجمة وفي هذا الحديث تخصيص ابي بردة باجزاء الجذع
من المعز في الاضحية لكن وقع في عدة احاديث التصريح بنظير ذلك لغير ابي بردة ففي حديث
عقبة بن عامر عند البيهقي ولا رخصة فيها لاحد بعدك قال البيهقي ان كانت هذه الزيادة محفوظة
كان هذا رخصة لعقبة كما رخص لابي بردة قال الحافظ ابن حجر وفي هذا الجمع نظر لان في كل منهما
صيغة عموم فايهما تقدم على الآخر انتفا الوقوع للثاني ويحتمل ان تكون خصوصية الاول

لنسخ

لنسخت ثبوت الخصوصية للثاني ولا مانع من ذلك لانه لم يقع في السياق استمرار المنع لغيره صريحا
وفي كلام بعضهم ان الذين ثبتت لهم الرخصة اربعة او خمسة واستشكل الجمع وليس بمشكل
فان الاحاديث التي وردت في ذلك ليس فيها التصريح بالنفي الا في قصة ابي بردة في الصحيح
وفي قصة عقبة بن عامر عند البيهقي واما ما عدا ذلك فاخرج ابو داود وصححه ابن حبان من حديث
زيد بن خالد ان النبي صلى الله عليه وسلم اعطاه عتودا جذعا فقال ضح به فقلت انه جذع افاضحي
قال ضح به وفي الاوسط للطبراني من حديث ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم اعطى سعد
ابن ابي وقاص جذعا من المعز فامره ان يضحي به واخرجه الحاكم من حديث عائشة وفي سنده
ضعف فلا منافاة بين ذلك وحديثي ابي بردة وعقبة لاحتمال ان يكون ذلك في ابتداء الامر
ثم تقرر الشرع بان الجذع من المعز لا يجزي واختص ابو بردة وعقبة بالرخصة في ذلك وان تعذر
الجمع بين حديث ابي بردة وحديث عقبة فحديث ابي بردة اصح مخرجا وان كان حديث عقبة عند
البيهقي من مخرج الصحيح والله اعلم ومن ذلك نكاح الرجل بما معه من القرآن فيما ذكره جماعة
ورد به حديث مرسل اخرجه سعيد بن منصور عن ابي النعمان الازدي قال زوج رسول الله
صلى الله عليه وسلم امراة على سورة من القرآن وقال لا يكون لاحد بعدك مهرا ومنها
انه كان يوعك كما يوعك رجلان لمضاعفة الاجر ومنها ان جبريل ارسل اليه ثلاثة ايام في مرضه
يسأله عن حاله ذكره البيهقي وغيره ومنها انه صلى الله عليه وسلم صلى عليه الناس افواجا
افواجا بغير امام وبغير دعاء الجنازة المعروف ذكره البيهقي وابن سعد وغيرهما وترك بلا دفن
ثلاثة ايام كما سيأتي وفرش له في لحده قطيفة والامران مكروهان في حقنا واظلمت الارض
بعد موته كما سيأتي ومنها انه لا يبلى جسده وكذلك الانبياء رواه ابو داود وابن ماجه
ومنها انه لا يورث فقيل لبقائه على ملكه وقيل لمصيره صدقة وبه قطع الروياني وحكي
وجهين في انه هل يصير وقفا على ورثته وانه اذا صار وقفا هل هو الواقف وجهان قال النووي
في زيادات الروضة الصواب الجزم بزوال ملكه وان تركه صدقة على المسلمين لا تختص به
الورثة انتهى وقال في الشرح الصغير المشهور انه صدقة وذكر الرافعي في قسم الفيء ان الخمس
كان له صلى الله عليه وسلم ينفق منه على نفسه ومصالحه ولم يكن يملكه ولا ينتقل الى ورثته
وقال في باب الخصائص انه ملكه ويجمع بينهما بان الجهة لا تنافي ما بين مملوكه وغير مملوكه
والخلاف جار في احدهما انتهى والله اعلم وعلى هذا فيباح له عليه الصلاة والسلام ان يوصي بجميع
ذلك للفقراء ويمضي ذلك بعد موته بخلاف غيره فانه لا يمضي مما اوصى به الا الثلث بعد موته
وكذلك الانبياء لا يورثون لما رواه النسائي من حديث الزبير مرفوعا انا معاشر الانبياء لا نورث
وعلى هذا فيجاب عن قوله تعالى وورث سليمان داود وقوله فهب لي من لدنك وليا يرثني بان المراد
ارث النبوة والعلم ومنها انه حي في قبره وكذلك الانبياء ولهذا قيل لا عدة على ازواجه
قيل ويصلي فيه باذان واقامة وقد حكى ابن زبالة وابن النجار ان الاذان ترك في ايام الحرة
ثلاثة ايام وخرج الناس وسعيد بن المسيب في المسجد قال سعيد فاستوحشت فدنوت
الى القبر فلما حضرت الظهر سمعت الاذان في القبر فصليت الظهر ثم مضى ذلك الاذان والاقامة
في القبر لكل صلاة حتى مضت الثلاث ليال ورجع الناس وعاد المؤذنون فسمعت اذا اقيم

كما سمعت الاذان في قبر النبي صلى الله عليه وسلم انتهى **وقد ثبت** ان الانبيآء يحجون ويلبون
فان قلت كيف يصلون ويحجون ويلبون وهم اموات في الدار الاخرة وليست دار عمل فالجواب
انهم كالشهداء بل افضل منهم والشهداء احيآء عند ربهم يرزقون فلا يبعد ان يحجوا ويصلوا
ونقول ان البرزخ ينسحب عليه حكم الدنيا في استكثارهم من الاعمال وزيادة الاجور وان
المنقطع في الاخرة انما هو التكليف وقد تحصل الاعمال من غير تكليف على سبيل التلذذ بها
ولهذا ورد انهم يسبحون ويقرءون القران ومن هذا سجود النبي صلى الله عليه وسلم وقت
الشفاعة وقد قال صاحب التلخيص ان ماله عليه السلام بعد موته قايم على نفقته وملكه
وهذه من خصايصه ونقل امام الحرمين عنه انه ما خلفه بقي على ما كان في حياته وكان ينفق منه
ابو بكر على اهله وخدمه وكان يرى انه باق على ملك النبي صلى الله عليه وسلم فان الانبياء احيآء
وهذا يقتضي اثبات الحيوة في احكام الدنيا وذلك زايد على حيوة الشهيد والذي صرح به
النووي زوال ملكه عليه السلام وانما تركه صدقة على جميع المسلمين لا يختص به ورثته
فان قلت القران ناطق بموته صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى انك ميت وانهم ميتون وقال
عليه الصلاة والسلام اني مقبوض وقال الصديق فان **محمدا** قد مات واجمع المسلمون
على اطلاق ذلك **اجاب** الشيخ تقي الدين السبكي بان ذلك الموت غير مستمر وانه صلى الله عليه
وسلم احيي بعد الموت ويكون انتقال الملك ونحوه مشروطا بالموت المستمر والا فالحياة الثانية
حيوة اخروية ولا شك انها اعلى واكمل من حيوة الشهيد وهي ثابتة للروح بلا اشكال
وقد ثبت ان اجساد الانبياء لا تبلى وعود الروح الى الجسد ثابت في الصحيح لساير الموتى فضلا
عن الشهداء فضلا عن الانبياء وانما النظر في استمرارها في البدن وفي ان البدن يصير حيا
كحالته في الدنيا او حيا بدونها وهي حيث شاء الله فان ملازمة الحيوة للروح امر عادي لا عقلي
فهذا مما يجوزه العقل فان صح به سمع اتبع وقد ذكره جماعة من العلماء ويشهد له صلاة موسى
في قبره فان الصلاة تستدعي جسدا حيا وكذلك الصفات المذكورة في الانبياء ليلة الاسراء
كلها صفات الاجسام ولا يلزم من كونها حيوة حقيقية ان تكون الابدان معها كما كانت في الدنيا
من الاحتياج الى الطعام والشراب وغير ذلك من صفات الاجسام التي نشاهدها بل يكون لها
حكم اخر فليس في العقل ما يمنع من اثبات الحيوة الحقيقية لهم واما الادراكات كالعلم والسماع
فلا شك ان ذلك ثابت لهم بل ولساير الموتى حكاه الشيخ زين الدين المراغي وقال انه مما يعتقد
وجوده وفي مثله يتنافس المتنافسون **ومنها** انه وكل بقبره ملك يبلغه صلاة المصلين عليه
رواه احمد والنساي والحاكم وصححه بلفظ ان لله ملايكة سياحين في الارض يبلغوني عن
امتي السلام وعند الاصبهاني عن عمارة ان لله ملكا اعطاه سمع العباد كلهم فما من احد
يصلي علي الا بلغنيها وتعرض اعمال امته عليه ويستغفر لهم روى ابن المبارك عن سعيد
ابن المسيب ليس من يوم الا ويعرض على النبي صلى الله عليه وسلم اعمال امته غدوة وعشيا
فيعرفهم بسيماهم واعمالهم **ومنها** ان منبره على حوضه كما في الحديث وفي رواية ومنبري
على ترعة من ترع الجنة واصل الترعة الروضة على المكان المرتفع خاصة فاذا كانت في
المطمين فهي روضة ولم يختلف احد من العلماء انه على ظاهره وانه حق محسوس موجود

فان

لان العقد رته صالحة لا عجز فيها وكلما اخبر به الصادق عليه السلام من امور الغيب فالايمان به واجب
ومنها انما بين منبره وقبره روضة من رياض الجنة رواه البخاري بلفظ ما بين بيتي ومنبري
وهذا احتمل الحقيقة والمجاز اما الحقيقة فبان يكون ما اخبر عنه صلى الله عليه وسلم بانه
من الجنة ان يكون منقطعا منها كما ان الحجر الاسود منها وكذلك النيل والفرات من الجنة وكذلك
الثمار الهندية من الورق التي هبط بها ادم عليه السلام من الجنة فاقتضت الحكمة ان يكون
في هذه الدار من مياه الجنة ومن ترابها ومن حجرها ومن فواكهها حكمة حكيم جليل **واما المجاز**
فبان يكون من اطلاق اسم المسبب على السبب فان ملازمة ذلك المكان للصلاة والعبادة
سبب في نيل الجنة **قاله** ابن ابي جمرة وهي معنى قول بعضهم لكون العبادة فيه تؤول
الى دخول العابد روضة الجنة وهذا فيه نظر اذ لا اختصاص في ذلك لتلك البقعة على غيرها
وفي كتاب بهجة النفوس لابن ابي جمرة ايضا حكاية قول ان تلك البقعة تنقل بعينها فتكون
في الجنة بعيني روضة من رياضها قال والاظهر الجمع بين الوجهين معا يعني احتمال كونها
تنقل الى الجنة وكون العمل فيها يوجب لصاحبه روضة في الجنة ويأتي مزيد لذلك في فصل
الزيارة من المقصد الاخير ان شاء الله تعالى **ومنها** انه صلى الله عليه وسلم انه اول من ينشق
عنه القبر وفي رواية مسلم **اول** من تنشق عنه الارض وهو اول من يفيق من الصعقة
قال عليه الصلاة والسلام انا اول من يرفع راسه بعد النفخة فاذا انا بموسى اخذ بقايمة
من قوايم العرش فلا ادري اقام قبلي ام جوزي بصعقة الطور رواه البخاري والظاهر انه
عليه السلام لم يكن عنده علم ذلك حتى اعلمه الله تعالى فقد اخبر عن نفسه الكريمة انه
عليه الصلاة والسلام اول من تنشق عنه القبر وهو اول من يجيز على الصراط رواه البخاري
من حديث ابي هريرة وانه يحشر في سبعين الف من الملايكة كما روي عن كعب الاحبار
ما من فجر يطلع الا نزل سبعون الف ملك يحفون بقبره عليه الصلاة والسلام يضربون
باجنحتهم حتى اذا امسوا عرجوا وهبط سبعون الف ملك حتى اذا انشقت عنه الارض
خرج في سبعين الف من الملايكة يوقرونه صلى الله عليه وسلم الحديث رواه ابن النجار
في تاريخ المدينة وانه يحشر راكب البراق رواه الحافظ السلفي كما ذكره الطبري **ويكسى
في الموقف اعظم الحلل من الجنة** رواه البيهقي بلفظ فاكسى حلة من الجنة لا يقوم لها
البشر ورواه كعب بن مالك بلفظ يحشر الناس يوم القيامة فاكون انا وامتي على تل
ويكسوني ربي حلة خضراء رواه الطبراني **وهو عند** ابن ابي شيبة بلفظ يحشر الناس
على تل وامتي على تل وعند الطبري ايضا من حديث ابن عمر فيرقى هو يعني محمدا صلى الله
عليه وسلم وامته على كوم فوق الناس وانه يقوم عن يمين العرش رواه ابن مسعود
عنه عليه الصلاة والسلام وفيه لا يقومه غيره يغبطه فيه الاولون والاخرون **ومنها**
انه يعطي المقام المحمود **وقال** مجاهد هو جلوسه على العرش وعن عبد الله بن سلام على الكرسي
ذكرهما البغوي وسياتي ما قيل في ذلك في ذكر تفضيله عليه السلام بالمقام المحمود
ان شاء الله تعالى **ومنها** انه يعطي الشفاعة العظمى في فصل القضاء بين اهل الموقف حين
يفزعون اليه بعد الانبياء والشفاعة في ادخال قوم الجنة بغير حساب وفي رفع درجات ناس

ما بين منبره وقبره

اول من تنشق عنه الارض

الشافع المحمود والشفاعة العظمى

في الجنة كما جوز النووي اختصاص هذه والتي قبلها به وَوَرَدَت الاحاديث به في النبي قبل
وسيأتي مزيد لذلك ان شاء الله تعالى في المقصد الاخير والله المعين ومنها انه صاحب لواء
الحمد يوم القيامة آدم فمن دونه تحته رواه البزار وانه اول من يقرع باب الجنة روى مسلم
من حديث المختار بن فلفل عن انس قال صلى الله عليه وسلم انا اكثر الناس تبعا يوم القيمة
وانا اول من يقرع باب الجنة وعنده ايضا عن انس قال صلى الله عليه وسلم اتي باب الجنة
يوم القيمة فاستفتح فيقول الخازن بك امرت فلا افتح لاحد قبلك ورواه الطبراني بزيادة
فيه قال فيقول الخازن فيقول لا افتح لاحد قبلك ولا اقوم لاحد بعدك وهذه خصوصية
اخرى له صلى الله عليه وسلم وبين ان خازن الجنة لا يقوم لاحد غيره صلى الله عليه وسلم فقيامه
عليه الصلاة والسلام فيه اظهار لمزيته ومرتبته ولا يقوم لاحد بعده بل خزنة الجنة يقومون
في خدمته وهو كالملك عليهم وقد اقامه الله تعالى في خدمة عبده ورسوله حتى مشى وفتح
له الباب ومنها انه صلى الله عليه وسلم اول من يدخل الجنة قال عليه السلام وانا اول
من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر رواه الترمذي
ومن خصايصه صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر في الجنة يسيل في حوضه مجراه على الدر والياقوت
وماؤه احلى من العسل وابيض من الثلج **ومنها الوسيلة** وهي اعلا درجة في الجنة
واما خصايص امته صلى الله عليه وسلم وزادها شرفا **فاعلم** انه لما اشاء سبحانه
وتعالى العالم على غاية من الاتقان وابرز جسد نبينا صلى الله عليه وسلم للعيان ظهرت
عنايته بامته الانسانية بحضوره وظهوره فيها وان كان العالم الانساني والناري كله
امته ولكن هولاء خصوص وصف بجعلهم خير امة اخرجت للناس وجعلهم ورثة الانبياء
واعطاهم الاجتهاد في نصب الاحكام فيحكمون بما ادى اليه اجتهادهم وكل من دخل في الانبيا
كعيسى او قد ردخوله كالخضر في زمان هذه الامة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم فانه لا يحكم
في العالم الا بما شرع محمد نبينا صلى الله عليه وسلم في هذه الامة **فاذا انزل سيدنا
عيسى عليه السلام** فانما يحكم بشريعة نبينا صلى الله عليه وسلم بالالهام او الاطلاع على الروح
المحمدي او بما شاء الله فياخذ عنه ما شرع الله له ان يحكم به في امته فلا يحكم في شي من تحريم
وتحليل الا بما كان يحكم به نبينا صلى الله عليه وسلم ولا يحكم بشريعته التي انزلت عليه
في اوان رسالته ودولته فهو عليه الصلاة والسلام تابع لنبينا صلى الله عليه وسلم
وقد نبه على ذلك الترمذي الحكيم في كتاب ختم الاولياء واغرب صاحب عنقا مغرب
وكذا الشيخ سعد الدين التفتازاني في شرح عقايد النسفي وصححه انه يصلي بالناس
ويومهم ويقتدي به المهدي لانه افضل فامامته اولى انتهى فهو عليه الصلاة والسلام
وان كان خليفة في الامة المحمدية فهو رسول ونبي كريم على حاله **فان قلت** قد ورد
في صحيح مسلم قوله صلى الله عليه وسلم ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا
فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية وان الصواب في معناه انه لا يقبل الجزية
ولا يقبل الا الاسلام او القتل وهذا خلاف ما هو حكم الشرع اليوم فان الكتابي اذا بذل
الجزية وجب قبولها ولم يجز قتله ولا اكراهه على الاسلام واذا كان كذلك فكيف يكون عيسى

عليه السلام حاكما بشريعة نبينا صلى الله عليه وسلم **فالجواب** انه لا خلاف ان عيسى
عليه السلام انما ينزل حاكما بهذه الشريعة المحمدية ولا ينزل نبيا برسالة مستقلة
وشريعة ناسخة بل هو حاكم من حكام هذه الامة **واما حكم الجزية** وما يتعلق به
فليس حكما مستمرا الى يوم القيامة بل هو مقيد بما قبل نزول عيسى وقد اخبر نبينا صلى الله
عليه وسلم بنسخه وليس عيسى عليه السلام هو الناسخ بل نبينا صلى الله عليه وسلم هو
المبين للنسخ فدل على ان الامتناع في ذلك الوقت من قبول الجزية هو شرع نبينا صلى الله
عليه وسلم **اشار اليه النووي** في شرح مسلم **فان قلت** ما المعنى في تغيير حكم
الشرع عند نزول عيسى عليه السلام في قبول الجزية **اجاب** ابن بطال بانا انما قبلناها
نحن لاحتياجنا الى المال وليس يحتاج عيسى عند خروجه الى مال لانه يفيض في ايامه المال
حتى لا يقبله احد فلا يقبل الا القتل او الايمان بالله وحده انتهى **واجاب الشيخ**
ولي الدين بن العراقي بان قبول الجزية من اليهود والنصارى لشبهة ما بايديهم من التوراة
والانجيل وتعلقهم بزعمهم بشرع قديم فاذا نزل عيسى عليه السلام زالت تلك الشبهة
بحصول معاينته فصاروا كعبدة الاوثان في انقطاع شبهتهم وانكشاف امرهم فعوملوا
معاملتهم في انه لا يقبل منهم الا الاسلام والحكم يزول بزوال علته **قال** وهذا معنى
حسن مناسب لم ار من تعرض له **قال** وهذا اولى مما ذكره ابن بطال انتهى وكذلك
من يقول من العلماء بنبوة الخضر وانه باق الى اليوم فانه تابع لاحكام هذه الملة **وكذلك
الياس** على ما صححه ابو عبد الله القرطبي انه حي ايضا **وليس** في الرسل من يتبعه رسول
له كان الا نبينا صلى الله عليه وسلم وكفى بهذا شرفا لهذه الامة المحمدية زادها الله تعالى
شرفا **فالحمد لله** الذي خصنا بهذه الرحمة واسبغ علينا هذه النعمة ومن علينا بما منحنا
من الفضايل الجمة ونوه بنا في كتابه العزيز بقوله كنتم خير امة **فتامل قوله كنتم**
اي في اللوح المحفوظ وقيل كنتم في علم الله **فينبغي** لمن هو من هذه الامة المحمدية ان يتخلق بالخلال
الزكية ليثبت له ما لهذه الامة الشريفة من الاوصاف المرضية ويتاهل لخطاب الخيرية
قال مجاهد كنتم خير امة اخرجت للناس اذا كنتم على الشرايط المذكورة اي تامرون بالمعروف
وتنهون عن المنكر وقيل انما صارت امة محمد صلى الله عليه وسلم خير امة لان المسلمين منهم
الكثر والامر بالمعروف والنهي عن المنكر فيهم افشى فقيل هذا لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
كما قال عليه الصلاة والسلام خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وهذا يدل
على ان اول هذه الامة افضل ممن بعدها **والى هذا ذهب معظم العلماء** وان من صحبه
صلى الله عليه وسلم وراه ولو مرة من عمره افضل من كل من ياتي بعده وان فضيلة
الصحبة لا يعدلها عمل هذا مذهب الجمهور وذهب ابو عمر بن عبد البر الى انه قد يكون فيمن
ياتي بعد الصحابة افضل ممن كان في جملة الصحابة وان قوله عليه الصلاة والسلام خير
الناس قرني ليس على عمومه بدليل ما يجمع القرن بين الفاضل والمفضول **وقد جمع**
قرنه عليه الصلاة والسلام جماعة من المنافقين المظهرين للايمان واهل الكباير الذين
اقام عليهم وعلى بعضهم الحدود **وقد روى** ابو امامة انه صلى الله عليه وسلم قال طوبي

فضيلة الصحابة على غيرهم

لمن رآني وآمن بي وفي مسند ابي داود الطيالسي عن محمد بن ابي حميد عن زيد بن
اسلم عن ابيه عن عمر قال كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال انبئوني
اي الخلق افضل ايمانا قلنا الملائكة قال وحق لهم بل غيرهم قلنا الانبياء قال وحق لهم
بل غيرهم ثم قال صلى الله عليه وسلم افضل الخلق ايمانا قوم في اصلاب الرجال يؤمنون
ولم يروني فهم افضل الخلق ايمانا وروي ان عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة كتب
الى سالم بن عبد الله ان اكتب الي بسيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لاعمل بها فكتب اليه
سالم ان عملت بسيرة عمر فانت افضل من عمر لان زمانك ليس كزمان عمر ولا رجالك
كرجال عمر قال وكتب الى فقهاء زمانه فكلهم كتب بمثل قول سالم قال ابو عمر فهذه
الاحاديث تقتضي مع تواتر طرقها وحسنها التسوية بين اول هذه الامة وآخرها
في فضل العمل الا اهل بدر والحديبية ومن تدبر هذا الباب بان له الصواب والله
يؤتي فضله من يشاء انتهى واسناد حديث ابي داود الطيالسي عن عمر ضعيف
فلا يحتج به لكن روى احمد والدارمي والطبراني عن ابي عبيدة يا رسول الله أحد
خير منا اسلمنا معك وجاهدنا معك قال قوم يكونون من بعدكم يؤمنون بي ولم يروني
واسناده حسن وصححه الحاكم والحق ما عليه الجمهور ان فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل
لمشاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم واما الآل فلهم فضيلة الصحابة على غيرهم كثيرة
متظاهرة لا نطيل بذكرها وسيأتي في تتمة مباحث ذلك في فضائل الصحابة من المقصد
السابع ان شاء الله تعالى وقد خص الله تعالى هذه الامة الشريفة بخصائص لم يؤتها
امة قبلهم ابان بها فضلهم والاخبار والآثار ناطقة بذلك فخرج ابو نعيم عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان موسى لما نزلت عليه التوراة وقرأها فوجد
فيها ذكر هذه الامة فقال يا رب اني اجد في الالواح امة هم الآخرون السابقون فاجعلها
امتي قال تلك امة احمد قال يا رب اني اجد في الالواح امة اناجيلهم في صدورهم يقرؤونها
ظاهرا فاجعلها امتي قال تلك امة احمد قال يا رب اني اجد في الالواح امة يأكلون الفيء
فاجعلها امتي قال تلك امة احمد قال يا رب اني اجد في الالواح امة يجعلون الصدقة
في بطونهم يؤجرون عليها فاجعلها امتي قال تلك امة احمد قال يا رب اني اجد في الالواح
امة اذا هم احدهم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة واحدة وان عملها كتبت له
عشر حسنات فاجعلها امتي قال تلك امة احمد قال يا رب اني اجد في الالواح امة
اذا هم احدهم بسيئة فلم يعملها لم تكتب وان عملها كتبت سيئة واحدة فاجعلها امتي
قال تلك امة احمد قال يا رب اني اجد في الالواح امة يؤتون العلم الاول والعلم
الآخر فيقتلون المسيح الدجال فاجعلها امتي قال تلك امة احمد قال يا رب فاجعلني
من امة احمد فاعطي عند ذلك خصلتين قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس
برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين قال رضيت يا رب وروى ابن ظفر
في النطق المفهوم عن ابن عباس رفعه قال موسى يا رب فهل في الامم اكرم عليك من امتي ظللت
عليهم الغمام وانزلت عليهم المن والسلوى فقال الله سبحانه وتعالى يا موسى اما علمت

الافضل

ان فضل امة محمد على سائر الامم كفضلي على جميع خلقي قال يا رب فارنيهم قال لن تراهم ولكن اسمعك
كلامهم فناداهم الله فقال يا امة احمد فاجابوا كلهم بصوت واحد لبيك اللهم لبيك وهم في اصلاب آبائهم وبطون
امهاتهم فقال سبحانه وتعالى صلاتي عليكم ورحمتي سبقت غضبي وعفوي سبق عذابي استجبت لكم
قبل ان تسألوني فمن لقيني منكم يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله غفرت له ذنوبه
قال صلى الله عليه وسلم فاراد الله ان يمن علي بذلك فقال وما كنت بجانب الطور اذ نادينا
اي امتك حتى اسمعنا موسى كلامهم ورواه قتادة وزاد فقال موسى يا رب ما احسن اصوات
امة محمد صلى الله عليه وسلم اسمعني مرة اخرى وفي الحلية لابي نعيم عن انس قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اوحى الله تعالى الى موسى نبي بني اسرائيل انه من لقيني وهو جاحد باحمد
ادخلته النار قال يا رب ومن احمد قال ما خلقت خلقا اكرم علي منه كتبت اسمه مع اسمي
في العرش قبل ان اخلق السموات والارض ان الجنة محرمة على جميع خلقي حتى يدخلها هو وامته
قال ومن امته قال الحامدون يحمدون صعودا وهبوطا وعلى كل حال يشدون اوساطهم ويطهرون
اطرافهم صائمون بالنهار رهبان بالليل اقبل منهم اليسير وادخلهم الجنة بشهادة ان لا اله
الا الله قال اجعلني نبي تلك الامة قال نبيها منها قال اجعلني من امة ذلك النبي قال
استقدمت واستأخر ولكن ساجمع بينك وبينه في دار الجلال وعن وهب بن منبه
قال اوحى الله تعالى الى شعيا اني باعث نبيا اميا افتح به آذانا صما وقلوبا غلفا واعينا عميا
مولده بمكة ومهاجره طيبة وملكه بالشام عبدي المتوكل المصطفى المرفوع الحبيب المنتخب المختار
لا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ويغفر رحيما بالمؤمنين يبكي للبهيمة المثقلة ويبكي
لليتيم في حجر الارملة ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال
للخنا لو يمر الى جنب السراج لم يطفئه من سكينته ولو يمشي على القصب الرعراع لم يسمع من تحت
قدميه ابعثه مبشرا ونذيرا الى ان قال واجعل امته خير امة اخرجت للناس امرا
بالمعروف ونهيا عن المنكر وتوحيدا لي وايمانا بي واخلاصا لي وتصديقا لما جاءت به رسلي
وهم رعاة الشمس والقمر طوبى لتلك القلوب والوجوه والارواح التي اخلصت لي الهمهم
التسبيح والتكبير والتحميد والتوحيد في مساجدهم ومجالسهم ومضاجعهم ومتقلبهم ومثواهم
ويصفون في مساجدهم كما تصف الملائكة حول عرشي هم اوليائي وانصاري انتقم بهم من اعدائي
عبدة الاوثان يصلون لي قياما وقعودا وركعا وسجدا ويخرجون من ديارهم واموالهم ابتغاء
مرضاتي الوفا ويقاتلون في سبيلي صفوفا اختم بكتابهم الكتب وبشريعتهم الشرائع وبدينهم
الاديان فمن ادركهم فلم يؤمن بكتابهم ويدخل في دينهم وشريعتهم فليس مني وهو مني بريء
واجعلهم افضل الامم واجعلهم امة وسطا شهداء على الناس اذا غضبوا هللوني واذا تنازعوا
سبحوني يطهرون الوجوه والاطراف ويشدون الثياب الى الانصاف ويهللون على التلال
والاشراف قربانهم دماؤهم واناجيلهم في صدورهم رهبانا بالليل ليوثا بالنهار طوبى لمن كان
معهم وعلى دينهم وشريعتهم وذلك فضلي اوتيه من اشاء وانا ذو الفضل العظيم رواه
ابو نعيم وقد ذكر الامام فخر الدين ان من كانت معجزاته اظهر يكون ثواب امته اقل قال
السبكي الا هذه الامة فان معجزات نبينا اظهر وثوابها اكثر من سائر الامم ومن خصائص

ومنها لجمم صح

هذه الامة احلال الغنائم ولم تحل لامة قبلها وجعلت لهم الارض مسجدا ولم تكن الامم تصلي الا في البيع والكنائس وجعل ترابها لهم طهورا وهو التيمم وفي رواية ابي امامة عند البخاري وجعلت الارض كلها لي ولامتي مسجدا وطهورا وفي رواية مسلم من حديث حذيفة وجعلت الارض كلها مسجدا وجعلت تربتها طهورا اذا لم نجد الماء ومن خصائص هذه الامة ايضا الوضوء فانه لم يكن الا للانبياء دون اممهم ذكره الحليمي واستدل بحديث البخاري ان امتي يدعون يوم القيمة غرا محجلين من اثار الوضوء لكن قال في فتح الباري وفيه نظر لانه ثبت في البخاري في قصة سارة عليها السلام مع الملك الذي اعطاها هاجر ان سارة لما هم الملك بالدنو منها قامت تتوضا وتصلي وفي قصة جريج الراهب ايضا انه قام فتوضا وصلى ثم كلم الغلام فالظاهر ان الذي اختصت به هذه الامة هو الغرة والتحجيل لا اصل الوضوء وقد صرح بذلك في رواية لمسلم عن ابي هريرة مرفوعا قال سيما ليست لاحد غيركم اي علامة وغاية التحجيل استيعاب العضدين والساقين والغرة غسل مقدمات الراس وصفحة العنق مع الوجه ومنها مجموع الصلوات الخمس ولم تجتمع لاحد غيرهم اخرج الطحاوي عن عبيد الله بن محمد بن عائشة قال ان ادم لما تيب عليه عند الفجر صلى ركعتين فصارت الصبح وفدي اسحق عند الظهر فصلى اربع ركعات فصارت الظهر وبعث عزير فقيل له كم لبثت قال يوما فرأى الشمس فقال او بعض يوم فصلى اربع ركعات فصارت العصر وغفر لداود عند المغرب فقام فصلى اربع ركعات فجهد فجلس في الثالثة فصارت المغرب ثلاثا واول من صلى العشاء الاخرة نبينا صلى الله عليه وسلم واخرج ابو داود في سننه وابن ابي شيبة في مصنفه والبيهقي في سننه عن معاذ بن جبل قال اخر رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العتمة ليلة حتى ظن الظان انه قد صلى ثم خرج فقال اعتموا بهذه الصلاة فانكم فضلتم بها على سائر الامم ولم تصلها امة قبلكم ومنها الاذان والاقامة ومنها البسملة قاله بعضهم فيما نقله الشيخ شهاب الدين الحلبي النحوي في تفسيره قال ولم ينزلها على احد من الامم قبلنا الا على سليمان بن داود فهي مما اختصت به هذه الامة انتهى ومنها التامين روى الامام احمد من حديث عائشة قالت بينا انا عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ استاذن رجل من اليهود فذكر الحديث وفيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انهم لم يحسدونا على شيء كما حسدونا على الجمعة التي هدانا الله لها وعلى قولنا خلف الامام امين قال الحافظ ابن حجر وهو حديث غريب لا اعرفه بهذه الالفاظ الا من هذا الوجه لكن لبعضه متابع حسن في التامين اخرجه ابن ماجة وصححه ابن خزيمة كلاهما من رواية سهيل بن ابي صالح عن ابيه عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما حسدتنا اليهود على شيء ما حسدتنا على السلام والتامين ومنها الاختصاص بالركوع عن علي قال اول صلاة ركعنا فيها العصر فقلت يا رسول الله ما هذا قال بهذا امرت رواه البزار والطبراني في الاوسط ووجه الاستدلال منه انه صلى الله عليه وسلم قبل ذلك الظهر وصلى قبل فرض الصلوات الخمس قيام الليل فكون الصلاة السابقة بلا ركوع قرينة لخلو صلاة الامم السالفة منه قاله بعض العلماء وقال وذكر جماعة من المفسرين في قوله تعالى واركعوا مع الراكعين ان مشروعية الركوع في الصلاة

خاص

خاص بهذه الملة وانه لا ركوع في صلاة بني اسرائيل ولهذا امرهم بالركوع مع امة محمد صلى الله عليه وسلم انتهى وهذا يعارضه قوله تعالى يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين المفسر بامرت بالصلاة في الجماعة بذكر اركانها مبالغة في المحافظة عليها قالوا وقدم السجود على الركوع اما لكونه كذلك في شريعتهم او للتنبيه على ان الواو لا توجب الترتيب وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعة لقوله امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما وبالسجود الصلاة لقوله وادبار السجود وبالركوع الخشوع والاخبات ومنها الصفوف في الصلاة كصفوف الملائكة رواه مسلم من حديث حذيفة ومنها تحية السلام لحديث عائشة السابق ومنها الجمعة قال صلى الله عليه وسلم نحن الاخرون السابقون يوم القيمة بيد انهم اوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذي فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فالناس لنا فيه تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد رواه البخاري ومنها ساعة الاجابة التي في الجمعة واختلف في تعيينها على اقوال تزيد على الثلاثين ذكرتها في لوامع الانوار في الادعية والاذكار ومنها اذا كان اول ليلة من شهر رمضان نظر الله اليهم ومن نظر اليه لم يعذبه ابدا وتزيين الجنة فيه وخلوف افواه الصائمين اطيب عند الله من ريح المسك وتستغفر لهم الملائكة في كل يوم وليلة حتى يفطروا واذا كان آخر ليلة غفر لهم جميعا رواه البيهقي باسناد لا باس به بلفظ اعطيت امتي في شهر رمضان خمسا لم يعطهن نبي قبلي الحديث وتستغفر لهم الحيتان حتى يفطروا رواه البزار وتصفد فيه مردة الشياطين رواه احمد والبزار ومنها السحور وتعجيل الفطر رواه الشيخان واباحة الاكل والشرب والجماع ليلا الى الفجر وكان محرما على من قبلنا بعد النوم وكذا كان في صدر الاسلام ثم نسخ ومنها ليلة القدر كما قاله النووي في شرح المهذب وهل صيام رمضان من خصائص هذه الامة ام لا ان قلنا ان التشبيه الذي دل عليه الكاف في قوله تعالى كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم على حقيقته فيكون رمضان كتب على من قبلنا وذكر ابن ابي حاتم عن ابن عمر رفعه صيام رمضان كتبه الله على الامم قبلكم وفي اسناده مجهول وان قلنا المراد مطلق الصيام دون قدره ووقته فيكون التشبيه واقعا على مطلق الصوم وهو قول الجمهور ومنها ان لهم الاسترجاع عند المصيبة قال سعيد بن جبير لقد اعطيت هذه الامة عند المصيبة ما لم تعط الانبياء عليهم السلام مثله انا لله وانا اليه راجعون ولو اعطيت الانبياء لاعطيه يعقوب عليه السلام اذ قال يا اسفى على يوسف ومنها ان الله تعالى رفع عنهم الاصر الذي كان على الامم قبلهم قال الله تعالى ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم اي ويخفف عنهم ما كلفوا به من التكاليف الشاقة كتعيين القصاص في العمد والخطاء وقطع الاعضاء الخاطئة وقطع موضع النجاسة وقتل النفس في التوبة وقد كان الرجل من بني اسرائيل يذنب الذنب فيصبح قد كتب على باب بيته ان كفارته ان تنزع عينيك فينزعها واصل الاصر الثقل الذي يأصر صاحبه اي يحبسه من الحراك لثقله ومنها ان الله احل لهم كثيرا مما شدد على من كان قبلهم ولم يجعل عليهم في الدين من حرج كما قال تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج اي ضيق بتكليف ما اشتد القيام به عليهم اشارة الى انه لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم في تركه

يعني من لم يستطع ان يصلي قايما فليصل قاعدا او اباح للصايم الفطر في السفر والعفو فيه
وقيل بان جعل لهم من كل ذنب مخرجا وفتح عليهم باب التوبة وشرع لهم الكفارات في حقوقه تعالى
والاروش والديات في حقوق العباد قاله البيضاوي وروي عن ابن عباس انه قال الحرج ما كان
على بني اسرايل من الاصر والشدايد وضعه الله عن هذه الامة وعن كعب اعطى الله هذه الامة
ثلثا لم يعطهن الا للانبيا جعلهم شهدا على الناس وما جعل عليهم في الدين من حرج وقال
ادعوني استجب لكم ومنها ان الله تعالى رفع عنهم المواخذة بالخطا والنسيان وما استكرهوا
عليه وحديث النفس وقد كان بنو اسرايل اذا نسوا شيئا مما امروا به او اخطاوا عجلت لهم
العقوبة فحرم عليهم شي من مطعم او مشرب على حسب ذلك الذنب وقد قال صلى الله عليه وسلم
ان الله وضع عن امتي الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه رواه احمد بن حسان والحاكم وابن ماجه
ومنها ان الاسلام وصف خاص بهم لا يشركهم فيه غيرهم الا الانبيا عليهم الصلاة والسلام
لقوله تعالى هو سماكم المسلمين من قبل ورضيت لكم الاسلام دينا اذ لو لم يكن خاصا بهم
لم يكن في الامتنان عليهم بذلك فايدة وقد يجاب بان رضى الاسلام دينا لهم وتسميه ابراهيم
اياهم بذلك لا ينفي اتصاف غيرهم به وغايته ذلك الاعلام بالانعام عليهم بما انعم به على غيرهم
من الفضايل وقيل لا يختص بهم بل يطلق على غيرهم ايضا وهو اسم لكل دين حق لغة وشرعا
كما اجاب به ابن الصلاح لقوله تعالى حكاية عن وصية يعقوب ولا تموتن الا وانتم مسلمون
فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين الى غير ذلك ولان الايمان اخص من الاسلام كما هو
مذهب كثير من العلما وليس خاصا بهذه الامة بل يوصف به كل من دخل في شريعة
مقرا بالله تعالى وبانبيايه كما قاله الراغب ومنها ان شريعتهم اكمل من جميع شرايع الامم
المتقدمة وهذا امر لا يحتاج الى بيانه لوضوحه وانظر الى شريعة موسى عليه السلام
فقد كانت شريعة جلال وقهر امروا بقتل نفوسهم وحرمت عليهم الشحوم وذوات الظفر
وغيرها من الطيبات وحرمت عليهم الغنايم وعجلت لهم من العقوبات ما عجل وحملوا من
الاصار والاغلال ما لم يحمله غيرهم وكان موسى عليه السلام من اعظم خلق الله هيبة ووقارا
واشدهم باسا وغضبا لله وبطشا باعدا الله فكان لا يستطاع النظر اليه وعيسى عليه
السلام كان في مظهر الجمال وكانت شريعته شريعة فضل واحسان وكان لا يقاتل
ولا يحارب وليس في شريعته قتال البتة والنصارى يحرم عليهم في دينهم القتال وهم به
عصاة فان الانجيل يامرهم ان من لطمك على خدك الايمن فادر له خدك الايسر ومن نازعك
ثوبك فاعطه رداءك ومن سخرك ميلا فامش معه ميلين ونحو هذا وليس في شريعتهم
مشقة ولا اصار ولا اغلال واما النصارى فابتدعوا تلك الرهبانية من قبل انفسهم ولم
تكتب عليهم واما نبينا صلى الله عليه وسلم فكان مظهر الكمال الجامع لتلك القوة والعدل
والشدة في الله واللين والرافة والرحمة فشريعته اكمل الشرايع وامته اكمل الامم واحوالهم
ومقاماتهم اكمل الاحوال والمقامات ولذلك تاتي شريعته بالعدل ايجابا له وفرضا وبالفضل
ندبا له واستحبابا وبالشدة في موضع الشدة وباللين في موضع اللين ووضع السيف
موضعه ووضع الندى موضعه فيذكر الظلم ويحرمه والعدل ويوجبه والفضل ويندب اليه

في بعض

في بعض اية كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فهذا عدله فمن عفا واصلح فاجره على الله
فهذا فضله انه لا يحب الظالمين فهذا تحريم للظلم وقوله وان عاقبتم فعاقبوا بمثل
ما عوقبتم به هذا ايجاب للعدل وتحريم للظلم ولين صبرتم لهو خير للصابرين ندب الى الفضل
وكذلك تحريم ما حرم على هذه الامة صيانة وحمية حرم عليهم كل خبيث وضار واباح لهم كل طيب
ونافع فتحريمه عليهم رحمة وعلى من كان قبلهم لم يخل من عقوبة كما اشرت اليه قريبا وهداها
لما ضلت عنه الامم قبلهم كيوم الجمعة كما ساذكره ان شا الله تعالى في مقصد عباداته عليه
السلام وتقدم ما يشهد له ووهب لهم من علمه وحلمه وجعلهم خير امة اخرجت للناس
وكمل لهم من المحاسن ما فرقه في الامم كما كمل لنبيهم من المحاسن ما فرقه في الانبيا قبله
وكمل في كتابهم من المحاسن ما فرقه في الكتب قبله وكذلك في شريعته ومنها ان الامة هم
المجتبون كما قال الله هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج وجعلهم شهدا على الناس
فاقامهم في ذلك مقام الرسل الشاهدين على اممهم اشار اليه ابن القيم ومنها انهم لا يجتمعون
على ضلالة رواه احمد في مسنده والطبراني في الكبير وابن ابي خيثمة في تاريخه عن ابي بصرة
الغفاري مرفوعا في حديث سالت ربي ان لا تجتمع امتي على ضلالة فاعطانيها ورواه ابن
ابي عاصم والطبراني ايضا من حديث ابي مالك الاشعري رفعه ان الله اجاركم من ثلاث
وذكر منها وان لا تجتمعوا على ضلالة قال شيخنا وبالجملة فهو حديث مشهور المتن ذو
اسانيد كثيرة وله شواهد متعددة في المرفوع وغيره ومنها ان اجماعهم حجة وان اختلافهم
رحمة وكان اختلاف من قبلهم عذابا روى البيهقي في المدخل في حديث من رواية سليمان
ابن ابي كريمة عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم واختلاف اصحابي لكم رحمة وجويبر ضعيف جدا والضحاك عن ابن عباس منقطع
وهو كما قال الحافظ ابن حجر حديث مشهور على الالسنة وقد اورده ابن الحاجب في المختصر
في مباحث القياس بلفظ اختلاف امتي رحمة للناس قال وكثر السوال عنه وزعم كثير
من الايمة انه لا اصل له لكن ذكره الخطابي في غريب الحديث مستطردا وقال
اعترض على هذا الحديث رجلان احدهما ماجن والاخر ملحد وهما اسحق الموصلي وعمرو
ابن بحر الجاحظ وقالا لو كان الاختلاف رحمة لكان الاتفاق عذابا قال ثم تشاغل الخطابي
برد هذا الكلام ولم يقع في كلامه شفا في عزو الحديث ولكنه اشعر بان له اصلا عنده
ومن حديث الليث بن سعد عن يحيى بن سعيد قال اهل العلم اهل توسعة وما
برح المفتون يختلفون فيحل هذا ويحرم هذا فلا يعيب هذا على هذا اشار اليه شيخنا
في المقاصد الحسنة ومنها ان الطاعون لهم شهادة ورحمة وكان على الامم عذابا
٢ ومنها انهم اذا شهد اثنان منهم لعبد بخير وجبت له الجنة وكان الامم السالفة اذا شهد
منهم مائة ومنها انهم اقل الامم عملا واكثرهم اجرا واقصرهم اعمارا
واوتوا العلم الاول والاخر واخر الامم فانفضحت الامم عندهم ولم يفتضحوا ومنها انهم اوتوا
الاسناد وهو خصيصة فاضلة من خصايص هذه الامة وسنة بالغة من السنن المؤكدة
وقد روينا من طريق ابي العباس الدغولي قال سمعت محمد بن حاتم بن المظفر يقول ان الله

قد اكرم هذه الامة وشرفها وفضلها بالاسناد وليس لاحد من الامم كلها قديمها وحديثها اسناد
انما هو صحف في ايديهم وقد خلطوا بكتبهم اخبارهم فليس عندهم تمييز بين ما نزل من التوراة
والانجيل وبين ما الحقوه بكتبهم من الاخبار التي اخذوها عن غير الثقات وهذه الامة
الشريفة زادها الله شرفا بنبيها انما تنقل الحديث عن الثقة المعروف في زمانه بالصدق
والامانة عن مثله حتى تتناهى اخبارهم ثم يبحثون اشد البحث حتى يعرفوا الاحفظ فالاحفظ
والاطول مجالسة لمن فوقه ممن كان اقصر مجالسة ثم يكتبون الحديث من عشرين وجها واكثر
حتى يهذبوه من الغلط والزلل ويضبطوا حروفه ويعدوه عدا فهذا من فضل الله
على هذه الامة فنستودع الله شكر هذه النعمة وغيرها من نعمه وقال ابو حاتم الرازي لم يكن
في امة من الامم منذ خلق الله تعالى آدم امناء يحفظون آثار الرسل الا في هذه الامة انتهى
ومنها انهم اوتوا الانساب والاعراب قال ابو بكر محمد بن احمد بلغني ان الله خص هذه
الامة بثلثة اشياء لم يعطها من قبلها الاسناد والانساب والاعراب انتهى وهو مروي
عن ابي علي الجياني ايضا ومنها انهم اوتوا تصنيف الكتب ذكره بعضهم ولا تزال الطائفة منهم ظاهرين
على الحق حتى ياتي امر الله رواه الشيخان ومنها ان فيهم اقطابا واوتادا ونجباء وابدالا
عن انس مرفوعا الابدال اربعون رجلا واربعون امراة كلما مات رجل ابدل الله رجلا مكانه
واذا ماتت امراة ابدل الله مكانها امراة رواه الخلال في كرامات الاولياء وروى الطبراني
في الاوسط بلفظ لن تخلوا الارض من اربعين رجلا مثل خليل الرحمن عليه السلام فبهم
يسقون وبهم ينصرون ما مات منهم احد الا ابدل الله مكانه آخر ورواه ابن عدي في كامله
بلفظ البدلاء اربعون اثنان وعشرون بالشام وثمانية عشر بالعراق كلما مات منهم احد ابدل الله
مكانه آخر فاذا جاء الامر قبضوا كلهم فعند ذلك تقوم الساعة وكذا يروي نحوه احمد في المسند
والخلال من حديث عبادة بن الصامت مرفوعا لا يزال في هذه الامة ثلثون مثل ابرهيم
خليل الرحمن كلما مات واحد منهم ابدل الله تعالى مكانه رجلا وفي لفظ الطبراني في الكبير بهم تقوم
الارض وبهم يمطرون وبهم ينصرون ولابي نعيم في الحلية عن ابن عمر رفعه خيار امتي في كل قرن
خمسمائة والابدال اربعون فلا الخمسمائة ينقصون ولا الاربعون كلما مات رجل ابدل الله
مكانه آخر وهم في الارض كلها وفي الحلية ايضا عن ابن مسعود رفعه لا تزال اربعون رجلا من امتي
قلوبهم على قلب ابراهيم يدفع الله بهم عن اهل الارض يقال لهم الابدال انهم لم يدركوها بصلاة
ولا بصوم ولا بصدقة قال فبم ادركوها يا رسول الله قال بالسخاء والنصيحة للمسلمين وعن
معروف الكرخي من قال اللهم ارحم امة محمد في كل يوم كتبه الله من الابدال وهو في الحلية بلفظ
من قال في كل يوم عشر مرات اللهم اصلح امة محمد اللهم فرج عن امة محمد اللهم ارحم امة محمد
كتب من الابدال وعن غيره قال من علامات الابدال انهم لا يولد لهم وروي في مرفوع معضل
علامات ابدال امتي انهم لا يلعنون شيئا ابدا وقال يزيد بن هرون الابدال هم اهل العلم
وقال الامام احمد ان لم يكونوا اصحاب الحديث فمن هم وفي تاريخ بغداد للخطيب عن الكتاني قال
النقباء ثلثمائة والنجباء سبعون والبدلاء اربعون والاخيار سبعة والعمد اربعة والغوث
واحد فمسكن النقباء المغرب ومسكن النجباء مصر ومسكن الابدال الشام والاخيار سياحون في الارض

والعمد

اشتمال الغرة وزيادة الماء

والعمد في زوايا الارض ومسكن الغوث مكة فاذا عرضت الحاجة من امر العامة ابتهل فيها
النقباء ثم النجباء ثم الابدال ثم الاخيار ثم العمد فان اجيبوا والا ابتهل الغوث فلا تتم مسألته
حتى تجاب دعوته انتهى ومنها انهم يدخلون قبورهم بذنوبهم ويخرجون منها بلا ذنوب
تمحص عنهم باستغفار المؤمنين لهم رواه الطبراني في الاوسط من حديث انس ولفظه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امتي امة مرحومة تدخل قبورها بذنوبها وتخرج
من قبورها لا ذنوب عليها تمحص عنها باستغفار المؤمنين ومنها انهم اختصوا في الآخرة بانهم
من تنشق عنهم الارض من الامم رواه ابو نعيم عن ابن عباس مرفوعا بلفظ وانا اول من تنشق
الارض عني وعن امتي ولا فخر ومنها انهم يدعون يوم القيمة غرا محجلين من آثار الوضوء رواه
البخاري والغرة بياض في وجه الفرس والتحجيل بياض في قوائمه وذلك مما يكسبه حسنا
فشبه صلى الله عليه وسلم النور الذي يكون يوم القيامة في اعضاء الوضوء بالغرة والتحجيل
ليبين ان هذا البياض في اعضاء الانسان مما يزينه لا مما يشينه يعني انهم اذا دعوا على رؤس
الاشهاد نودوا بهذا الوصف او كانوا على هذه الصفة ومنها انهم يكونون في الموقف على مكان
عال رواه ابن جرير وابن مردويه من حديث جابر مرفوعا بلفظ انا وامتي على كوم مشرفين
على الخلائق ما من الناس احد الا ود انه منا وما من نبي كذبه قومه الا ونحن نشهد انه بلغ
رسالة ربه وعند ابن مردويه من حديث كعب فاكون انا وامتي على تل ومنها ان لهم سيما
في وجوههم من اثر السجود قال تعالى سيماهم في وجوههم من اثر السجود وهل هذه العلامة
في الدنيا او في الآخرة فيه قولان احدهما انها في الدنيا قال ابن عباس في رواية ابن ابي طلحة
السمت الحسن وقال في رواية مجاهد ليس بالذي ترون ولكنه سمت الاسلام وسيماه وخشوعه
وقيل الصفرة في الوجه من اثر السهر فتحسبهم مرضى وما هم بمرضى والقول الثاني انه في الآخرة
يعني ان مواضع السجود من وجوههم تكون اشد بياضا يوم القيمة يعرفون بتلك العلامة انهم
سجدوا في الدنيا رواه العوفي عن ابن عباس وعن شهر بن حوشب تكون مواضع السجود من وجوههم
كالقمر ليلة البدر وقال عطاء الخراساني دخل في هذه الامة كل من حافظ على الصلوات الخمس
ومنها انهم يؤتون كتبهم بايمانهم رواه احمد والبزار ومنها ان نورهم يسعى بين ايديهم اخرجه
احمد باسناد صحيح ومنها ان لهم ما سعوا وما يسعى لهم وليس لمن قبلهم الا ما سعى قاله عكرمة
واما قوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى ففيها اجوبة احدها انها منسوخة روي ذلك
عن ابن عباس نسخها قوله تعالى واتبعناهم ذرياتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم فيجعل الولد الطفل
في ميزان ابيه ويشفع الله تعالى الآباء في الابناء والابناء في الآباء يدل لهذا قوله تعالى آباؤكم وابناؤكم
لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا الثاني انها مخصوصة بالكافر واما المؤمن فله ما سعى وما سعي له قاله
القرطبي وكثير من الاحاديث يدل على هذا القول وان المؤمن يصل اليه ثواب العمل الصالح
من غيره وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم من مات وعليه صيام صام عنه وليه
وقال صلى الله عليه وسلم للذي حج عن غيره حج عن نفسك ثم حج عن شبرمة وعن عائشة
انها اعتكفت عن اخيها عبد الرحمن واعتقت عنه وقال سعد للنبي صلى الله عليه وسلم ان امي
توفيت افانتصدق عنها قال نعم قال فاي الصدقة افضل قال سقي الماء وفي الموطا عن عبد الله

ابن ابي بكر عن عمته انها حدثته عن جدته انها جعلت على نفسها مشيا الى مسجد قبا فماتت ولم تقضه فافتى عبد الله بن عباس ابنها ان تمشي عنها **ومن** المفسرين من قال ان الانسان في الاية ابو جهل ومنهم من قال عقبة بن ابي معيط ومنهم من قال الوليد بن المغيرة ومنهم من قال اخبار عن شرع من قبلنا وقد دل شرعنا ان الانسان له سعيه وما سعي له ومنهم من قال الانسان بسعيه في الخير وحسن صحبته وعشرته اكتسب الاصحاب واسدى لهم الخير وتودد اليهم فصار ثوابهم له بعد موته من سعيه ومنهم من قال الانسان في الاية الحي دون الميت ومنهم من قال لم ينف في الاية انتفاع الرجل بسعي غيره وانما نفى ملكه لسعي غيره وبين الامرين فرق فقال الزمخشري في وان ليس للانسان الا ما سعى فان قلت اما صح في الاخبار الصدقة عن الميت والحج عنه قلت فيه جوابان احدهما ان سعي غيره لما لم ينفعه الا مبنيا على سعي نفسه وهو ان يكون مؤمنا مصدقا فكذلك كان سعي غيره كانه سعي نفسه لكونه تبعا له وقايما بقيامه والثاني ان سعي غيره لا ينفعه اذا عمله لنفسه ولكن اذا نواه له فهو في حكم الشرع كالنايب عنه والوكيل القايم مقامه والصحيح من الاجوبة ان قوله وان ليس للانسان الا ما سعى عام مخصوص لما تقدم من الاجوبة **وقد** اختلف العلماء في ثواب القراءة هل يصل الى الميت فذهب الاكثرون الى المنع وهو المشهور من مذهب الشافعي ومالك ونقل عن جماعة من الحنفية وقال كثير من الشافعية والحنفية يصل وبه قال احمد بن حنبل رحمه الله بعد ان قال القراءة على القبر بدعة بل نقل عن الامام احمد يصل الى الميت كل شي من صدقة وصلاة وحج واعتكاف وقراءة وذكر وغير ذلك **وقد ذكر** الشيخ شمس الدين محمد بن القطان العسقلاني ان وصول ثواب القراءة الى الميت من قريب او اجنبي هو الصحيح كما تنفعه الصدقة والدعاء والاستغفار بالاجماع **وقد** افتى القاضي حسين بان الاستيجار لقراءة القران على راس القبر جايز كالاستيجار للاذان وتعليم القران لكن قال الرافعي وتبعه النووي عود المنفعة الى المستاجر شرط في الاجارة فيجب عود المنفعة في هذه الاجارة الى المستاجر او ميته لكن المستاجر لا ينتفع بان يقرا الغير له ومشهور ان الميت لا يلحقه ثواب القراءة المجردة فالوجه تنزيل الاستيجار على صورة انتفاع الميت بالقراءة وذكروا له طريقين احدهما ان يعقب القراءة بالدعاء للميت فان الدعاء يلحقه والدعاء بعد القراءة اقرب الى الاجابة واكثر بركة والثاني ذكر الشيخ عبد الكريم الشالوسي انه ان نوى القاري بقراءته ان يكون ثوابها للميت لم يلحقه لكن لو قراه ثم جعل ما حصل من الاجر له فهذا دعاء بحصول ذلك الاجر للميت فينفع الميت **وقال** الرافعي وتبعه النووي في الوصية الذي يعتاد من قراءة القران على راس القبر قد ذكرنا في باب الاجارة طريقين في عود فايدتها الى الميت وعن القاضي ابي الطيب طريق ثالث وهو ان الميت كالحي الحاضر فيرجى له الرحمة ووصول البركة اذا اهدى الثواب له القاري وقال الشالوسي اذا نوى بقراءته ان يكون ثوابها للميت لم يلحقه اذ جعل ذلك قبل حصوله وتلاوته عبادة البدن فلا تقع عن الغير وان قرا ثم جعل ما حصل من الثواب للميت ينفعه اذ قد جعل من الاجر لغيره والميت يوجر بدعاء الغير لكن الطلاق ان الدعاء ينفع عن الغير اعترض عليه بعضهم بانه موقوف على الاجابة ويمكن ان يقال الدعاء للميت مستجاب كما اطلقوا اعتمادا على سعة فضل الله **وقال** الرافعي وتبعه النووي

يستوي

يستوي في الصدقة والدعاء الوارث والاجنبي قال الشافعي وفي وسع الله ان يثيب المتصدق ايضا وقال الاصحاب يستحب ان ينوي المتصدق الصدقة عن ابويه فان الله ينيلهما الثواب ولا ينقص من اجره شيا وذكر صاحب العدة انه لو ابنط عينا او حفر بيرا او غرس شجرا او وقف مصحفا في حال الحياة او فعل غيره بعد موته يلحق الثواب بالميت وقال الرافعي والنووي ان هذه الامور اذا صدرت من الحي فهي صدقات جارية يلحقه ثوابها بعد الموت كما ورد في الخبر ولا يختص الحكم بوقف المصحف بل يلحقه كل وقف **وهذا** القياس يقتضي جواز التضحية عن الميت فانها ضرب من الصدقة لكن في التهذيب انه لا يجوز التضحية عن الغير بغير امره وكذا عن الميت الا ان يكون اوصى به **وقد** روي عن علي او غيره من الصحابة انه كان يضحي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته وعن ابي العباس محمد بن اسحق السراج قال ختمت عن النبي صلى الله عليه وسلم سبعين ختمة واما اهدا القراءة الى رسول الله صلى الله عليه فلا يعرف فيه خبر ولا اثر وقد انكره جماعة منهم الشيخ برهان الدين الفزاري لان الصحابة لم يفعله احد منهم وحكى صاحب الروح ان من الفقهاء المتاخرين من استحبه ومنهم من راه بدعة قالوا والنبي صلى الله عليه وسلم غني عن ذلك فان له اجر كل من عمل خيرا من امته من غير ان ينقص من اجر العامل شي قال الشافعي ما من خير تعمله احد من امة النبي صلى الله عليه وسلم الا والنبي صلى الله عليه وسلم اصل فيه قال في تحقيق النصرة فجميع حسنات المسلمين واعمالهم الصالحة في صحايف نبينا صلى الله عليه وسلم بزيادة على ما له من الاجر مع مضاعفة لا يحصرها الا الله تعالى لان كل مهتد وعامل الى يوم القيمة يحصل له اجر ويتجدد لشيخه مثل ذلك الاجر ولشيخ شيخه مثلاه وللشيخ الثالث اربعة وللرابع ثمانية وهكذا تضعف كل مرتبة بعدد الاجور الحاصلة بعده الى النبي صلى الله عليه وسلم وبهذا يعلم تفضيل السلف على الخلف فاذا فرضت المراتب عشرة بعد النبي صلى الله عليه وسلم كان للنبي صلى الله عليه وسلم من الاجر الف واربعة وعشرون فاذا اهتدى بالعاشر حادي عشر صار اجر النبي صلى الله عليه وسلم الفين وثمانية واربعين وهكذا كلما زاد واحد يتضاعف ما كان قبله ابدا كما قاله بعض المحققين ولله در القايل هو سيدي محمد وفا

فلا حسن الا من محاسن حسنه ... ولا محسن الا له حسناته

وبهذا يجاب عن استشكال دعا القاري له صلى الله عليه وسلم بزيادة الشرف مع العلم بكماله عليه الصلاة والسلام في ساير انواع الشرف فكان الداعي لاحظ ان قبول قراءته يتضمن لحصول نظير اجره وهكذا حتى يكون للمعلم الاول وهو الشارع عليه الصلاة والسلام نظير جميع ذلك لا قربته **ومن ذلك** ما شرع عند روية الكعبة من قوله اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما فثمرة الدعاء بذلك عايدة على الداعي لاشتماله على طلب قبول القراءة وهذا كما قالوا في الصلاة عليه زاده الله شرفا لديه ان ثمرتها عايدة الى المصلي اشار لنحوه الحافظ بن حجر رحمه الله ومن خصايص هذه الامة انهم يدخلون الجنة قبل ساير الامم رواه الطبراني في الاوسط من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرفوعا حرمت الجنة على الانبياء حتى ادخلها وحرمت على الامم حتى تدخلها امتي ومنها انه يدخل الجنة منهم سبعون الفا بغير حساب رواه الشيخان وعند الطبراني والبيهقي في البعث ان ربي وعدني ان يدخل من امتي الجنة سبعين الفا

السراج

لاحساب عليهم واني سألت ربي المزيد فاعطاني مع كل واحد من السبعين الفا سبعين الفا
وبالجملة قد اختصت هذه الامة بما لم يعطه غيرها من الامم تكرمة لنبيها عليه الصلاة والسلام
وزيادة في شرفه وتفصيل فضلها وخصايصها يستدعي سفرا بل اسفارا وذلك فضل الله
يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم **المقصد الخامس عليه الصلاة والسلام**
عليه السلام بخصايص المعراج والاسرا وتعميمه بعموم لطايف التكريم في حضرة
التقريب بالمكالمة والمشاهدة والايات الكبرى اعلم منحني الله واياك الترقي في معراج
السعادات واوصلنا به اليه في خطاير الكرامات **ان قصة الاسراء والمعراج** من اشهر
المعجزات واظهر البراهين البينات واقوى الحجج المحكمات واصدق الانباء واعظم الايات
واصدق الانباء واعظم الايات واتم الدلالة على تخصيصه عليه الصلاة والسلام بعموم
الكرامات وقد اختلف العلماء في الاسرا هل هو اسراء واحد في ليلة واحدة يقظة او مناما
او اسرا ان كل واحد في ليلة واحدة يقظة او مناما او اسراان كل واحد في ليلة مرة
بروحه وبدنه يقظة ومرة مناما او يقظة بروحه وجسده من المسجد الحرام الى المسجد
الاقصى ثم مناما من المسجد الاقصى الى العرش او هي اربعة اسرات احتج القايلون بانه
رؤيا منام مع اتفاقهم ان رؤيا الانبياء وحي بقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة
للناس لان الرؤيا مصدر الحلمية واما البصرية فالروية بالتا وقد انكر ابن مالك والحريري
وغيرهما كما افاده الشيخ بدر الدين الزركشي ورود الرؤيا للبصرية ولحنوا المتنبي في قوله
ورؤياك احلا في العيون من الغمض **واجيب** بانه انما قال الرؤيا لوقوع ذلك في الليل
وسرعة تقضيه كانه منام وبان الرؤيا والرؤية واحدة كقربى وقربة ويشهد له قول
ابن عباس رضي الله عنهما في الاية كما عند البخاري هي رؤيا عين اريها صلى الله عليه وسلم
ليلة اسري به وزاد سعيد بن منصور عن سفيان في اخر الحديث وليس رؤيا منام ولم يصرح
في رواية البخاري بالمرئي وعن سعيد بن منصور ايضا من طريق ابي مالك قال هو ما اري
في طريقه الى بيت المقدس وهذا انما يستدل به على اطلاق لفظ الرؤيا على ما يرى بالعين
في اليقظة وهو يرد على من خطا المتنبي على انه اختلف المفسرون في هذه الاية فقيل
اي الرؤيا التي اريناك ليلة المعراج **قال البيضاوي** فعبر بالرؤيا بالرؤية وقيل رؤيا
عام الحديبية حين راى انه دخل مكة فصده المشركون وافتتن بذلك ناس وقيل
رؤيا وقعة بدر وسال ابن النقيب شيخه ابا العباس القرطبي عن الاية فقال الصحيح
انها رؤية عين يقظة اراه جبريل مصارع القوم ببدر فارى النبي صلى الله عليه وسلم مصارعهم
التي اراه جبريل فتسامعت به قريش واستسخروا منه واحتج القايلون بانه رؤيا منام ايضا
بقول عايشة ما فقدت جسده الشريف واجيب بان عايشة لم تحدث به عن مشاهدة لانها
لم تكن اذ ذاك زوجة ولا في سن من يضبط او لم تكن ولدت بعد على الخلاف في الاسراء متى كان
وقال التفتازاني اي ما فقد جسده عن الروح بل كان مع روحه وكان المعراج للجسد والروح
جميعا انتهى واحتج القايلون بانه بالجسد يقظة الى بيت المقدس والى السماء بالروح بقوله
تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى غاية الاسرى

الذي

الذي وقع التعجب به بعظيم القدرة والتمدح بتشريف النبي صلى الله عليه وسلم به واظهار
الكرامة له بالاسرا قالوا ولو كان الاسرا بجسده الى زايد على المسجد الاقصى لذكره فيكون ابلغ
في المدح **واجيب** بان حكمة التخصيص بالمسجد الاقصى سؤال قريش له عنه على سبيل
الامتحان عن مشاهدة وعرفوه من صفة بيت المقدس وقد علموا انه لم يسافر اليه فيجيبهم
بما عاين ويوافق ما يعلمونه فتقوم الحجة عليهم وكذلك وقع ولهذا لم يسالوه عن ما راى في السما
اذ لا عهد لهم بذلك وقال النووي في فتاويه وكان الاسرا به عليه الصلاة والسلام
مرتين مرة في المنام ومرة في اليقظة وذكر السهيلي تصحيح هذا المذهب عن شيخه
القاضي ابي بكر بن العربي وان مرة النوم توطية له وتيسير عليه كما كان مبتدا نبوته
الرؤيا الصادقة ليسهل عليه امر النبوة فانه امر عظيم تضعف عنه القوى البشرية
وكذلك الاسرا سهله عليه بالرؤيا لان هوله عظيم فجا في اليقظة على توطية وتقدمة
رفقا من الله بعبده وتسهيلا عليه وقد جوز بعض قايلي ذلك ان تكون قصة المنام
قبل المبعث لاجل قول شريك في روايته وذلك قبل ان يوحى اليه وسيأتي البحث في ذلك
ان شا الله تعالى واحتج القايلون بانه اربعة اسراات يقظة بتعدد الروايات في الاسراء
واختلاف ما يذكر فيها فبعضهم يذكر شيئا لم يذكره الاخر وبعضهم يسقط شيئا ذكره الاخر
واجيب بانه لا يدل على التعدد لان بعض الرواة قد يحذف بعض الخبر للعلم به او بنسيانه
وقد وقع في رواية عثمان بن القاسم بموحدة ثم مثلثة بوزن جعفر في روايته عن حفص بن عبد الرحمن
عند الترمذي والنساي لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم جعل يمر بالنبي ومعه
الواحد الحديث فان كان ذلك محفوظا كانت فيه قوة لمن ذهب الى تعدد الاسرا وانه وقع
بالمدينة ايضا غير الذي وقع بمكة قال في فتح الباري والذي يتحرر من هذه المسئلة ان الاسرا
الذي وقع بالمدينة ليس فيه مما وقع بمكة من استفتاح ابواب السماء بابا بابا ولا من لقاء الانبيا
كل واحد في سماء ولا المراجعة بفرض الصلوات لا المراجعة مع موسى فيما يتعلق بفرض الصلوات
ولا في طلب تخفيفها وسایر ما يتعلق بذلك وانما تكررت قضايا كثيرة سوى ذلك راها صلى الله
عليه وسلم فمنها بمكة البعض ومنها بالمدينة بعد الهجرة البعض ومعظمها في المنام والله اعلم
انتهى وقال بعض العارفين ان له صلى الله عليه وسلم اربعة وثلثين مرة الذي اسرى به
منها بجسده اسراء واحد والباقي بروحه رؤيا رآها وقال الحافظ ابن كثير من جعل كل رواية
خالفت الاخرى مرة على حدة فاثبت اسراات متعددة فقد ابعد واغرب وهرب الى غير مهرب
ولم يحصل على مطلب ولم ينقل ذلك عن احد من السلف ولو تعدد هذا التعدد لاخبر النبي
صلى الله عليه وسلم به امته ولنقله الناس على التعدد والتكرار انتهى فالحق انه اسراء واحد
بروحه وجسده يقظة في القصة كلها والى هذا ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين
وتواردت عليه ظواهر الاخبار الصحيحة ولا ينبغي العدول عن ذلك اذ ليس في العقل ما يحيله
قال الرازي قال اهل التحقيق الذي يدل على انه تعالى اسرى بروح محمد صلى الله عليه وسلم
وجسده من مكة الى المسجد الاقصى القران والخبر اما القران فهو قوله تعالى سبحان الذي
اسرى بعبده ليلا وتقرير الدليل ان العبد اسم للجسد والروح فوجب ان يكون الاسرا حاصلا بجميع

الجسد والروح ويدل عليه قوله تعالى ارايت الذي ينهي عبدا اذا صلى ولا شك ان المراد هنا
مجموع الروح والجسد وايضا قال سبحانه وتعالى في سورة الجن وانه لما قام عبد الله يدعوه
والمراد مجموع الروح والجسد وكذا هنا انتهى واحتجوا ايضا بظاهر قوله عليه الصلاة والسلام
اسري بي لان الأصل في الافعال ان تحمل على اليقظة حتى يدل دليل على خلافه بان ذلك لو كان
منا ما لما كانت فيه فتنة للضعفاء ولا استبعده الاغبياء وبان الدواب لا تحمل الارواح وانما تحمل
الأجسام وقد تواترت الاخبار بانه اسري به على البراق فان قلت ما الحكمة في كونه جعل الاسرا
ليلا **اجيب** بانه انما جعله ليلا تمكينا للتخصيص بمقام المحبة لانه تعالى اتخذه عليه السلام
حبيبا وخليلا والليل اخص زمان للمحبين لجمعهما فيه والخلوة بالحبيب متحققة بالليل
وقال ابن المنير ولعل تخصيص الاسراء بالليل ليزداد الذين امنوا ايمانا بالغيب وليفتتن
الذين كفروا زيادة على فتنتهم اذ الليل اخفى حالا من النهار قال ولعله لو عرج به نهارا
لفات المؤمن فضيلة الايمان بالغيب ولم يحصل ما وقع في الفتنة على من شقي وجحد وفي ذلك
حكم اخرى على طريقة أهل الاشارات ذكرها العلامة بن مرزوق ومنها انه قيل لان الله تعالى
لما محى اية الليل وجعل اية النهار مبصرة انكسر الليل فجبر بان اسري فيه بمحمد صلى الله عليه وسلم
وقيل افتخر النهار على الليل بالشمس فقيل له لا تفتخر ان كانت شمس الدنيا تشرق فيك فسيعرج
شمس الوجود في الليل الى السماء وقيل لانه صلى الله عليه وسلم سراج والسراج انما يوقد في الليل

وانشد بعضهم يقول

قلت يا سيدي ولم تؤثر الليل ✿ على بهجة النهار المنير ✿
قال لا استطيع تغيير رسمي ✿ هكذا الرسم في طلوع البدور ✿
انما زرت في الظلام لكيما ✿ يشرق الليل من اشعة نوري ✿

وقال بعض العارفين ان له صلى الله عليه وسلم أربعة وثلاثين مرة الذي اسري به منها
اسرا واحد بجسمه والباقي بروحه رؤيا رآها وقال الحافظ بن كثير من جعل كل رواية خالفت
الاخرى مرة على حدة فاثبت اسرات متعددة فقد أبعد واغرب وهرب الى غير مهرب ولم يحصل
على مطلب ولم ينقل ذلك عن أحد من السلف ولو تعدد هذا التعدد لاخبر النبي صلى الله عليه وسلم
امته ولنقله الناس على التعدد والتكرار انتهى فان قلت ايما أفضل ليلة الاسرآء او ليلة القدر
فالجواب كما قاله الشيخ ابو امامة بن النقاش ان ليلة الاسرا افضل في حق النبي صلى الله عليه
وسلم وليلة القدر افضل في حق الامة لانها لهم خير من عمل في ثمانين سنة لمن قبلهم واما
ليلة الاسرآء فلم يات في ارجحية العمل فيها صحيح ولا ضعيف ولذلك لم يعينها النبي صلى الله عليه
وسلم لاصحابه ولا عينها احد من الصحابة باسناد صحيح ولا صح الى الان والى ان تقوم الساعة فيها
شيء ومن قال فيها شيئا فانما قاله من كيسه لمرجح ظهر له استانس به ولهذا تقادمت الاقوال فيها
وتباينت ولم يثبت الامر فيها على شيء ولو تعلق بها نفع للامة ولو بذرة لبينه لهم نبيهم صلى الله عليه
وسلم انتهى فان قلت هل وقع الاسرآء لغيره صلى الله عليه وسلم من الانبياء **اجاب العارف
عبد العزيز المهدوي** بان مرتبة الاسراء بالجسم الى تلك الحضرات العلية لم يكن لاحد
من الانبياء الا لنبينا وانما قال تعالى اسري بعبده اشارة الى انه تعالى هو المسافر به

ليعلم ان الامر من عنده عز وجل هبة الهية وعناية ربانية سبقت له عليه السلام ما لم يخطر ببشر
ولا اختلج في ضميره فادخل بالمصاحبة في قوله بعبده ليفيد انه تعالى صحبه في مسراه صحبة
بالالطاف والعناية والاسعاف والرعاية ويشهد له قوله عليه السلام اللهم انت الصاحب في السفر
وتامل قوله تعالى يسيركم في البر والبحر وقوله اسري بعبده تلمح خصوصية الرسول عليه السلام
بالحق دون عموم الخلق وقرن سبحانه وتعالى التسبيح بهذا المسري لينفي بذلك عن قلب صاحب الوهم
ومن يحكم عليه خياله من أهل التشبيه والتجسيم ما يتخيله في حق الحق تعالى من الجهة والحد
والمكان ولهذا قال لنريه من اياتنا يعني ما ارى في تلك الليلة من عجايب الايات كانه يقول
تعالى ما اسريت به الا لرؤية الايات لا الي فاني لا يحدني مكان ونسبة الامكنة الي نسبة
واحدة فكيف اسري به الي وانا عنده وانا معه اين ما كان ولله در القايل شعر

سبحان من اسري اليه بعبده ✿ ليري الذي أخفاه من اياته ✿
لحضوره في غيبه وكسره ✿ في صحوه والمحو في اثباته ✿
ويري الذي عنه تكون سره ✿ في منحه ان شاءه وهباته ✿
ويزيد ما ابدي له من جوده ✿ بوجوده والفقد من حياته ✿
سبحانه من سيد ومهيمن ✿ في ذاته وسماته وصفاته ✿

واكده تعالى بقوله ليلا مع ان الاسرآء لا يكون في اللسان العربي الا ليلا لا نهارا ليرفع
الاشكال حتى لا يتخيل انه اسري بروحه فقط ويزيل من خاطر من يعتقد من الناس ان
الاسرآء ربما يكون نهارا فان القران وان كان نزل بلغة العرب فانه خاطب به الناس اجمعين
اصحاب اللسان وغيرهم وقال البيضاوي تبعا لصاحب الكشاف وفايدة الدلالة بتنكيره على
تقليل مدة الاسراء ولذلك قرئ من الليل او بعضه كقوله تعالى ومن الليل فتهجد به
وتعقبه القطب في حاشيته على الكشاف كما نبهت عليه في حاشية الشفا والمعاريج ليلة الاسرا
عشرة سبع الى السموات والثامن الى سدرة المنتهى والتاسع الى المستوى الذي سمع فيه
صريف الاقلام في تصاريف الاقدار **والعاشر** الى العرش والرفرف والرؤية وسماع الخطاب
بالمكافحة والكشف الحقيقي وقد وقع له عليه السلام في سني الهجرة العشر ما كان فيه مناسبا
لطيفة لهذه المعاريج العشرة ولهذا ختمت سني الهجرة بالوفاة وهي لقاء الحق جل جلاله
والانتقال من دار الغنى الى دار البقاء والعروج بالروح الكريمة الى المقعد الصدق والى الموعد
الحق والى الوسيلة وهي المنزلة الرفيعة كما ختمت معاريج الاسراء باللقاء والحلول بحظيرة
القدس وقد افاد الامام الذهبي ان الحافظ عبد الغني جمع احاديث الاسراء في جزء ولم يثبت
الوقوف عليها بعد الفحص وقد صنف الشيخ ابو اسحاق النعماني رحمه الله في الاسراء والمعراج كتابا
جامعا للاطناب بزيادات الرقايق والامتحان بنوافل الحقايق ولم اقف عليه خالد كتابي هذا
المفرد الشريف ورحمه الله تعالى شيخ الاسلام والحافظ الشهاب بن حجر العسقلاني فانه قد جمع
في كتابه الفتح كثيرا مما تشتت من طرق حديث الاسرا وغيره من الاحاديث مع تدقيق مباحث
فقهه والكشف على اسرار معاني كلمه وبدايع الفاظه وحكمه وكل من صنف في شيء من المنح
النبوية والمناقب المحمدية لا يستغني عن استجلاء معارف اللطايف من رياض عمامه ولا استشفا

من أدواء المشكلات بدوا اشفائه المبرء لمعضل الامراض فالله تعالي يفيض عليه وعلي سائر
علماء هذه الامة سجال رحمته ورضوانه ويسكنهم في بحبوحة جناته وقد وردت احاديث
الاسراء من حديث انس وابي بن كعب وجابر بن عبد الله وبريدة وسمرة بن جندب وابن
عباس وابن عمر وابن مسعود وبن عمرو وحذيفة بن اليمان وشداد بن اوس وصهيب وعلي بن
ابي طالب وعمر بن الخطاب ومالك بن صعصعة وابي امامة وابي ايوب وابي حبة وابي ذر وابي
سعيد الخدري وابي سفيان بن حرب وابي هريرة وعائشة واسما بنت ابي بكر وام هاني
وام سلمة وغيرهم وفي تفسير الحافظ بن كثير من ذلك ما يكفي ويشفي وبالجملة فحديث الاسرا
اجمع عليه المسلمون واعرض عنه الزنادقة الملحدون ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم
نوره ولو كره الكافرون وقد روي البخاري عن قتادة عن انس بن مالك بن صعصعة ان نبي الله
صلي الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة اسري به بينما انا نائم في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجعا
اذ اتاني ات فقد قال وسمعته يقول فشق ما بين هذه الي هذه فقلت للجارود وهو الي جنبي
ما يعني به قال من ثغرة نحره الي شعرته فاستخرج قلبي ثم اوتيت بطست من ذهب مملوءة
ايمانا فغسل قلبي ثم حشي ثم اعيد ثم اتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار ابيض فقال له
الجارود هو البراق يا ابا حمزة قال انس نعم يضع خطوه عند اقصي طرفه فحملت عليه
فانطلق بي جبريل حتي اتي السماء الدنيا فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قال ومن معك قال محمد
قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت فاذا فيها ادم فقال
هذا ابوك ادم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح
ثم صعد بي حتي اتي السماء الثانية فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد
قيل وقد ارسل اليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح لنا فلما خلصنا اذا يحيي وعيسي
وهما ابنا الخالة قال هذا يحيي وعيسي فسلم عليهما فسلمت فردا ثم قالا مرحبا بالاخ الصالح
والنبي الصالح ثم صعد بي الي السماء الثالثة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك
قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت اذا يوسف
قال هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي
حتي اتي السماء الرابعة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد
ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت اذا ادريس قال هذا ادريس
فسلم عليه فسلمت فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتي اتي السماء
الخامسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قال ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه
قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا هرون قال هذا هرون فسلم عليه فسلمت
عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتي اتي السماء السادسة فاستفتح
قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم فنعم المجيء جاء فلما خلصت
فاذا موسي قال هذا موسي فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح
والنبي الصالح فلما تجاوزت بكا قيل له ما يبكيك قال ابكي لان غلاما بعث بعدي يدخل الجنة
من امته اكثر ممن يدخلها من امتي ثم صعد الي السماء السابعة فاستفتح جبريل

قيل

قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجيء
جاء فلما خلصت فاذا ابراهيم قال هذا ابوك فسلم عليه قال فسلمت عليه فرد السلام
فقال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم رفعت الي سدرة المنتهي فاذا نبقها
مثل قلال هجر واذا ورقها مثل اذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهي واذا اربعة
انهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذا يا جبريل قال اما الباطنان فنهران في الجنة
واما الظاهران فالنيل والفرات ثم رفع لي البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون الف ملك
ثم اتيت باناء من خمر واناء من لبن واناء من عسل فاخذت اللبن فقال هي الفطرة التي انت عليها
وامتك ثم فرضت علي الصلاة خمسين صلاة كل يوم فرجعت فمررت علي موسي فقال بما امرت
قال امرت بخمسين صلاة كل يوم قال ان امتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم واني والله
قد جربت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل اشد المعالجة فارجع الي ربك فاساله التخفيف
لامتك فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الي موسي فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا
فرجعت الي موسي فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الي موسي فقال مثله فرجعت
فامرت بعشر صلوات كل يوم فقال مثله فرجعت فامرت بخمس صلوات كل يوم فرجعت الي موسي
فقال بما امرت قلت امرت بخمس صلوات كل يوم قال ان امتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم
واني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل اشد المعالجة فارجع الي ربك فاساله التخفيف
لامتك قال سالت ربي حتي استحييت ولكن ارضي واسلم قال فلما جاوزت نادي مناد امضيت
فريضتي وخففت عن عبادي وفي رواية له ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست
من ذهب ممتلي حكمة وايمانا فافرغه في صدري ثم اطبقه وفي رواية ثم شرق بك فحشي به صدري
ولغاديده وهي بلام مفتوحة وغين معجمة اي عروق حلقه وفي النهاية جمع لغدود وهي لحمة
عند اللهاة والشك في قوله وربما قال في الحجر عن قتادة كما بينه احمد عن عفان ولفظه بينما انا
في الحطيم وربما قال قتادة في الحجر والمراد بالحطيم هنا الحجر ووقع عند البخاري في اول بدء الخلق
بلفظ بينا انا عند البيت وهو اعم وفي رواية الزهري عن انس عن ابي ذر فرج سقف بيتي وانا
بمكة وفي رواية الواقدي باسانيده انه اسري به من شعب ابي طالب وفي حديث ام هاني عند
الطبراني انه بات في بيتها قالت ففقدته من الليل فقال ان جبريل اتاني والجمع بين هذه الاقوال
كما في فتح الباري انه بات في بيت ام هاني وبيتها عند شعب ابي طالب ففرج سقف بيته واضاف
البيت اليه لكونه كان يسكنه فنزل منه الملك فاخرجه من البيت الي المسجد فكان به مضطجعا
وبه اثر النعاس ثم اخذه الملك فاخرجه فاركبه البراق قال وقد وقع في مرسل الحسن
عند ابن اسحق ان جبريل اتاه فاخرجه الي المسجد فاركبه البراق وهو يؤيد هذا الجمع قال قيل
لم فرج سقف بيته عليه الصلاة والسلام ونزل منه الملك ولم يدخل عليه من الباب
مع قوله تعالي واتوا البيوت من ابوابها اجيب بان الحكمة في ذلك ان الملك انصب من السماء
انصبابة واحدة ولم يعرج علي شيء سواه مبالغة في المفاجاة وتنبيها علي ان الطلب وقع علي
غير ميعاد كرامة له عليه الصلاة والسلام وهذا بخلاف موسي عليه السلام فكانت كرامته
بالمناجاة عن ميعاد واستعداد بخلاف نبينا عليه الصلاة والسلام فانه حمل عنه الم

الا نتظار لا حمل عنه البراق الاعتذار ويؤخذ من هذا ان مقام نبينا عليه الصلاة والسلام بالنسبة
الى مقام موسى عليه السلام مقام المراد بالنسبة الى مقام المريد ويحتمل ان يكون توطية وتمهيدا
لكونه فرج عن صدره فاراه الملك بافراجه عن السقف ثم التام السقف على الفور كيفية
ما يصنع به لقرب له الامر في نفسه بالمثال المشاهد في بيته لطفا في حقه عليه الصلاة والسلام
وتثبيتا لبصره والله اعلم وقوله مضطجعا اذ في بدء الحلول بين النايم واليقظان وهو
محمول على ابتداء الحال ثم لما اخرج به الى باب المسجد فاركبه البراق استمر في يقظته واما
ما وقع في رواية شريك عنده ايضا فلما استيقظت فان قلنا بالتعدد فلا اشكال والا حمل
على ان المراد استيقظت يعني انه افاق مما كان فيه من شغل البال بمشاهدة الملكوت
ورجع الى العالم الدنيوي والمراد الافاقة البشرية من الغمرة الملكية وقوله اذ اتاني
جبريل عليه السلام وفي رواية شريك انه جاءه ثلاثة نفر قبل ان يوحى اليه وهو نايم في
المسجد الحرام فقال اولهم ايهم هو قال اوسطهم هو خيرهم فقال اخرهم خذوا خيرهم
وكانت تلك الليلة اي كانت القصة الواقعة تلك الليلة ما ذكر هنا فلم يرهم حتى اتوه ليلة
اخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه وكذلك الانبياء تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم
فلم يكلموه حتى احتملوه وقد انكر الخطابي قوله قبل ان يوحى اليه وكذا القاضي عياض والنووي
وعبارة النووي وقع في رواية شريك يعني هذه اوهام انكرها العلماء احدها قوله
قبل ان يوحى اليه وهو غلط لم يوافق عليه واجمع العلماء على ان فرض الصلوة كان ليلة الاسرا
فكيف يكون قبل الوحي انتهى فقد صرح هولاء بان شريكا تفرد بذلك لكن قال الحافظ بن حجر
في دعوى التفرد نظر فقد وافقه كثير بن خنيس بالمعجمة ونون مصغرا عن انس كما اخرجه
سعيد بن يحيى بن سعيد الاموي في كتاب المغازي من طريقه قال ولم يقع التعيين بين
المجيئين فيحمل على ان المجيء الثاني كان بعد الوحي وحينئذ وقع الاسراء والمعراج واذا كان بين
المجيئين مدة فلا فرق بين ان يكون تلك المدة ليلة واحدة او ليال او عدة سنين وبهذا
يرتفع الاشكال من رواية شريك ويحصل به الوفاق ان الاسرا كان في اليقظة بعد
البعثة وقبل الهجرة ويسقط تشنيع الخطابي وغيره بان شريكا خالف الاجماع في دعواه
ان المعراج كان قبل البعثة واقوى ما يستدل به على ان المعراج كان بعد البعثة قوله
في هذا الحديث نفسه ان جبريل قال لبواب السماء اذ قال له ابعث قال نعم فانه ظاهر
في ان المعراج كان بعد البعثة ووقع في رواية ميمون بن سياه عند الطبراني فاتاه جبريل
وميكائيل فقالا ايهم وكانت قريش تنام حول الكعبة فقال امرنا بسيدهم ثم ذهبا ثم جاوا
وهم ثلاثة وفي رواية مسلم سمعت قايلا يقول احد الثلاثة بين الرجلين فاتيت فانطلق
والمراد بالرجلين حمزة وجعفر وكان النبي صلى الله عليه وسلم نايما بينهما وقوله فقد
بالقاف والدال المهملة الثقيلة من ثغرة بضم المثلثة وسكون الغين المعجمة وهي الموضع
المنخفض الذي بين الترقوتين الى شعرته بكسر الشين المعجمة اي شعر العانة الشريفة
وفي رواية مسلم الى اسفل بطنه وفي رواية للبخاري الى مراق البطن وفي رواية شريك
عنده فشق جبريل ما بين نحره الى لبته بفتح اللام وتشديد الموحدة وهو موضع القلادة من الصدر

وقد

وقد انكر القاضي عياض في الشفا وقوع شق صدره الشريف ليلة الاسراء وقال انما كان وهو صبي
في بني سعد ولا انكار في ذلك كما قاله الحافظ ابو الفضل العسقلاني رحمه الله
فقد تواردت الروايات به وثبت شق الصدر ايضا عند البعثة كما اخرجه ابو نعيم في الدلايل ولكل
منها حكمة فالاول وقع فيه من الزيادة كما عند مسلم من حديث انس فاخرج علقة فقال
هذا حظ الشيطان منك وكان هذا في زمن الطفولية فنشا على اكمل الاحوال من العصمة
من الشيطان ولعل هذا الشق كان سببا في اسلام قرينه المروي عند البزار من حديث
ابن عباس ويحتمل ان يكون اشارة الشيطان المعبر عنه كالعقرب الذي اراد ان يقطع عليه صلاته
فامكنه الله منه واما شق الصدر عند المبعث فلزيادة الكرامة وليتلقى ما يوحى اليه بقلب قوي
على اكمل الاحوال من التطهير واما شقه عند ارادة العروج الى السماء فللتاهب وللترقي الى الملا
الاعلى والثبوت في المقام الاسنى والتقوي لاستجلاء الاسماء الحسنى ولهذا لما لم يتفق لموسى عليه
السلام مثل هذا النبي لم تتفق له الرؤية وكيف يثبت الرجل لما لم يثبت له الجبل ويحتمل ان يكون
الحكمة في هذا الغسل لتقع له المبالغة في الاسباغ بحصول المرة الثالثة كما تقرر في شرعه
عليه الصلاة والسلام ثم ان جميع ما ورد من شق الصدر واستخراج القلب وغير ذلك من الامور
الخارقة للعادة مما يجب التسليم له دون التعرض لصرفه عن حقيقته لصلاحية القدرة فلا
يستحيل شيء من ذلك قال العارف بن ابي جمرة فيه دليل على ان قدرة الله عز وجل لا يعجزها
ممكن ولا تتوقف لعدم شيء ولا لوجوده وليست مربوطة بالعادات الا حيث شاءت القدرة
لا نرى علينا ما نعهده ويعرف ان البشر مهما شق بطنه كله واخرج القلب مات ولم يعش وهذا النبي
صلى الله عليه وسلم قد شق على بطنه المكرم حتى اخرج القلب فغسل وقد شق بطنه كذلك
ايضا وهو صغير وشق قلبه واخرجت منه نزغة الشيطان ومعلوم ان القلب مهما وصل له
الجرح مات صاحبه وهذا النبي صلى الله عليه وسلم شق بطنه في هاتين المرتين ولم ينله الم ذلك
ولم يمت لان اراد الله تعالى ان لا يؤثر ما اجرى به العادة ان يؤثر موت صاحبها فابطل تلك
العادة وقد رمي ابراهيم عليه السلام في النار فلم تحرقه وكانت عليه بردا وسلاما انتهى
وقد حصل من شق صدره الكريم اكرامه عليه الصلاة والسلام تحقيق ما اوتي من الصبر
فهو من جنس ما اكرم به اسماعيل الذبيح بتحقيق صبره على مقدمات الذبح شده او كتفاه وتله
للجبين واهوى بالمدية بمقالة القول فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين ووفى بما وعده الله
فاكرمه الله بالثناء على صبره الى الابد ولا مرية بان الذي حصل من صبر نبينا صلى الله عليه
وسلم على شق الصدر اشد واجل لان تلك مقدمات وهذه نتيجة وتلك معاريض وهذه
حقيقة والمنحر فقتل وما اصابه من اسماعيل الا صورة القتل لا فعله وشق صدر نبينا
عليه الصلاة والسلام واستخراج قلبه ثم شقه ثم كذا ثم كذا افعال عديدة وقعت كلها في كن
انخرقت العادة بمعاونة الحيوة فهذا الابتلاء اعظم من ابتلاء الذبيح بما ذكر فان قلنا انما يتحقق الصبر
ان لو كان هناك مشقة فلعل العادة لما انخرقت في ابقاء الحيوة انخرقت في رفع المشاق وحمل
الالام اجيب بانه ورد في حديث شق صدره فاقبل وهو منتقع اللون او ممتقع بالميم
بدل النون وهو يدل على ان الصبر على مشقة المعالجة المذكورة محقق قال القاضي عياض واصل

انتقع صار كلون النقع والنقع الغبار وهو شبيه بلون الاموات وهذا يدل على غاية المشقة
واما قول ابن الجوزي فشقه وما شق عليه فيحمل على انه صبر صبر من لم يشق عليه انتهى
وكذلك الابتلاء ايضا من حيث السن فان ذلك وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم بعيد ما فطم
وايضا فانه كان منفردا عن امه وبعيدا من ابيه واختطف من بين الاطفال وفعل به ما فعل
من الافعال تسهيلا لما يلقاه في المآل وتعظيما لما يناله على الصبر من الثواب والثناء ولهذا
لما شج وجرح وكسرت رباعيته قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون زاده الله شرفا وقوله
ثم اتيت بطشت من ذهب انما اتي بالطست لانه اشهر الات الغسل عرفا **فان قلت** ان استعمال
الذهب حرام في شرعه عليه الصلاة والسلام فكيف استعمل الطست الذهب هنا **اجاب العارف**
ابن ابي جمرة بان تحريم الذهب انما هو لاجل الاستمتاع به في هذه الدار واما في الاخرة فهو للمؤمنين
خالصا لقوله عليه الصلاة والسلام هو لهم في الدنيا وهو لنا في الاخرة قال ثم ان الاستمتاع بهذا
الطست لم يحصل منه عليه الصلاة والسلام وانما كان غيره هو السابق له والمتناول لما كان فيه
حق وضعه في القلب المبارك فلو كان الطست من هناك وكونه كان من ذهب دال على ترفيع
المقام فانتفى التعارض بدليل ما قررناه انتهى وتعقبه الحافظ بن حجر بانه لا يكفي ان يقال ان
المستعمل له ممن لم يحرم عليه ذلك من الملائكة لو كان قد حرم عليه استعماله لنزه ان يستعمله
غيره في امر يتعلق ببدنه المكرم ويمكن ان يقال ان تحريم استعماله مخصوص باحوال الدنيا
وما وقع في تلك الليلة كان الغالب انه من احوال الغيب فيلحق باحكام الاخرة ولعل ذلك قبل
ان يحرم استعمال الذهب في هذه الشريعة وتظهر هنا مناسبات منها انه من اواني الجنة
ومنها انه لا تاكله النار ولا التراب ومنها انه لا يلحقه الصدى ومنها انه اثقل الجواهر فناسب قلبه
عليه الصلاة والسلام لانه من اواني احوال الجنة ولا تاكله النار ولا التراب ان الله حرم على الارض
ان تاكل اجساد الانبياء ولا يلحقه الصدى وانه اثقل من كل قلب حدل به وفيه مناسبة اخرى
وهي ثقل الوحي فيه انتهى **قلت** قوله ولعل ذلك قبل ان يحرم استعمال الذهب في هذه الشريعة
قد جزم به في اول الصلاة من كتابه فتح الباري بان التحريم انما وقع بالمدينة وقال السهيلي وان
وجه ان نظر الى لفظ الذهب ناسب من جهة اذهاب الرجس عنه ولكونه وقع عند الذهاب الى
ربه وان نظر الى معناه فلوضاءته ونقائه وصفائه انتهى والمراد بقوله ملئ حكمة وايمانا ان الطست
جعل فيها شيء يحصل به كمال الايمان والحكمة فسمي حكمة وايمانا مجازا او يحتمل ان يكون على حقيقته
وتجسيد المعاني جائز كما ان سورة البقرة تجيء يوم القيمة كانها ظلة والموت في صورة كبش
وكذلك وزن الاعمال وغير ذلك وقال البيضاوي لعل ذلك من باب التمثيل اذ تمثيل المعاني قد
وقع كثيرا كما مثلت له صلى الله عليه وسلم الجنة والنار في عرض الحائط وفائدته كشف المعنوي بالمحسوس
وقال العارف ابن ابي جمرة فيه دليل على ان الايمان والحكمة جواهر محسوسات لا معاني لانه
عليه الصلاة والسلام قال عن الطست انه اتي به مملوء حكمة وايمانا ولا يقع الخطاب الا على
ما يفهم ويعرف والمعاني ليس لها اجسام حتى تملأ وانما يمتلئ الاناء بالاجسام والجواهر وهذا نص
من الشارع عليه الصلاة والسلام بضد ما ذهب اليه المتكلمون في قولهم ان الايمان والحكمة اعراض
والجمع بين الحديث وما ذهبوا اليه هو ان حقيقة اعيان المخلوقات التي ليس للحواس اليها ادراك

ولا

ولا من النبوة اخبار عن حقيقتها غير محققة وانما هو غلبة ظن لان للعقل بالاجماع من اهل العقل
المريدين بالتوفيق حدا يقف عنده ولا يتسلط فيما عدا ذلك ولا يقدر ان يصل اليه فهذا وما اشبهه
منها لانهم تكلموا على ما ظهر لهم من الاعراض الصادرة عن هذه الجواهر التي ذكرها الشارع
عليه الصلاة والسلام في الحديث ولم يكن للعقل قدرة ان يصل الى هذه الحقيقة التي اخبر بها
عليه الصلاة والسلام فيكون الجمع بينهما ان يقال ما قاله المتكلمون حق لانه الصادر عن الجواهر
وهو الذي يدرك بالعقل والحقيقة ما ذكر عليه الصلاة والسلام في الحديث ولهذا نظاير كثيرة
بين المتكلمين واثار النبوة ويقع الجمع بينهما على الاسلوب الذي قررناه او ما اشبهه ثم مثله
بمجيء الموت في هيئة كبش املح ثم بالاذكار والتلاوة ثم قال لان ما ظهر منها هنا معان ويوجد
يوم القيمة جواهر محسوسات لانها توزن ولا يوزن في الميزان الا الجواهر قال وفي ذلك دليل
لاهل الصوفة واصحاب المعاملات والتحقيق القايلين بانهم يرون قلوبهم وقلوب اخوانهم وايمانهم
وايمان اخوانهم باعين بصايرهم جواهر محسوسات فمنهم من يعاين ايمانه مثل المصباح ومنهم
من يعاينه مثل الشمعة ومنهم من يعاينه مثل المشعل وهو اقواها ويقولون بانه لا يكون
المحقق محققا حتى يعاين قلبه بعين بصيرته كما يعاين كفه بعين بصره فيعرف الزيادة فيه
من النقصان فان قيل ما الحكمة في شق صدره الشريف ثم ملئ ايمانا وحكمة ولم لم يوجد الله
تعالى ذلك فيه من غير ان يفعل به ما فعل **اجاب العارف** بن ابي جمرة بانه عليه الصلاة
والسلام لما اعطي كثرة الايمان والحكمة وقوي التصديق اذ ذاك اعطي برؤية شق البطن والقلب
عدم الخوف مع جميع العادات الجارية بالهلاك فحصلت له عليه الصلاة والسلام قوة الايمان
من ثلثة اوجه بقوة التصديق وبالمشاهدة وعدم الخوف من العادات المهلكات فكمل له
عليه الصلاة والسلام بذلك ما اريد منه من قوة الايمان بالله عز وجل وعدم الخوف مما سواه
ولاجل ما اعطيه مما اشرنا اليه كان عليه الصلاة والسلام في العالمين اشجعهم وابينهم واعلاهم
حالا ومقالا ففي العلوي كان كما اخبر عليه الصلاة والسلام ان جبريل لما وصل معه الى مقامه
قال ها انت وربك هذا مقامي لا اتعداه فزج في النور زجة ولم يتواد ولم يلتفت فكان
هناك في الحضرة كما اخبر عنه ربه عز وجل بقوله ما زاغ البصر وما طغى واما حاله عليه
الصلاة والسلام في هذا العالم فكان اذا احمي الوطيس في الحرب ركض بغلته في نحر العدو وهم
شاكين في سلاحهم ويقول انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب نزل في العناية بتطهير
قلبه المقدس وافراغ الايمان والحكمة فيه اشارة الى مذهب اهل السنة في ان محل العقل
ونحوه من اسباب الادراكات كالنظر والفكر انما هو القلب لا الدماغ خلافا للمعتزلة والفلا
واما الحكمة في غسل قلبه المقدس بماء زمزم فقيل لان ماء زمزم يقوي القلب ويسكن الروع
قال الحافظ الزين العراقي ولذلك غسل قلبه عليه الصلاة والسلام ليلة الاسراء ليقوى
على رؤية الملكوت واستدل شيخ الاسلام البلقيني بغسل قلبه الشريف به على انه افضل
من ماء الكوثر قال لانه لم يكن يغسل قلبه المكرم الا بافضل المياه واليه يومي قول العارف
ابن ابي جمرة في كتابه بهجة النفوس واما قوله عليه الصلاة والسلام فغسل صدري فالظاهر
ان المراد به القلب كما في الرواية الاخرى وقد يحتمل ان تحمل هذه الرواية على ظاهرها ويقع الجمع

محل العقل القلب لا الدماغ خلافا للمعتزلة والفلاسفة

بان يقال أخبر عليه الصلاة والسلام مرة بغسل صدره الشريف ولم يتعرض لذكر قلبه
وأخبر مرة بغسل قلبه ولم يتعرض لذكر صدره فيكون الغسل قد حصل فيهما معا
مبالغة في تنظيف المحل المقدس ولا شك ان المحل الشريف كان طاهرا مطهرا وقابلا لجميع
ما يلقى اليه من الخير وقد غسل اولا وهو عليه الصلاة والسلام طفل وأخرجت من قلبه
نزغة الشيطان وانما كان ذلك اعظاما وتاهبا لما يلقى هناك وقد جرت الحكمة بذلك في غير
ما موضع مثل الوضوء للصلاة لمن كان متنظفا لان الوضوء في حقه انما هو اعظام وتاهب للوقوف
بين يدي الله تعالى ومناجاته فلذلك غسل جوفه الشريف هنا وقد قال تعالى ومن يعظم
شعائر الله فانها من تقوى القلوب فكان الغسل له عليه الصلاة والسلام من تعظيم
شعائر الله واشارة لامته بالفعل بتعظيم شعائر الله كما نص عليه بالقول واما قوله
ثم اتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار ابيض يضع خطوه عند اقصى طرفه فحملت عليه
فانطلق بي جبريل حتى السماء الدنيا وفي رواية عنده في الصلاة ثم أخذ بيدي فعرج بي الى السماء
فظاهره انه استمر على البراق حتى عرج الى السماء قال العارف بن ابي جمرة افاد ذلك انهم
كانوا يمشون في الهواء وقد جرت العادة بان البشر لا يمشي في الهوى سيما وكان راكبا على دابة
من ذوات الاربع لكن لما ان شاءت القدرة ذلك كان فكما يسخر الله تعالى لخير الارض يمشون عليها
كذلك يمشيهم في الهوا وكل ذلك يبعد رتبة لا ترتبط قدرته تعالى بعادة جارية وقد سئل عليه الصلاة
والسلام حين اخبر عن الاشقيا والذين يمشون على وجوههم يوم القيامة كيف يمشون فقال
عليه الصلاة والسلام الذي امشاهم في الدنيا على اقدامهم قادر ان يمشيهم يوم القيامة على
وجوههم انتهى وقد استدل بعضهم بهذا الحديث على ان المعراج كان في ليلة غير ليلة الاسرا
الى بيت المقدس لكون الاسرا اليه لم يذكر هنا فاما المعراج ففي غير هذه الرواية من الاخبار
انه لم يكن على البراق بل رقي في المعراج وهو السلم كما وقع التصريح به في حديث عند ابن اسحق
والبيهقي في الدلائل كما سياتي ان شاء الله تعالى ويمكن ان يقال لما وقع هنا اختصار من الراوي
والاتيان بثم المقتضية للتراخي لا ينافي وقوع الاسراء بين الامرين المذكورين وهما الاطباق
والعروج وحاصله ان بعض الرواة ذكر من لم يذكره الاخر وثابت البناني قد حفظ الحديث
في روايته عند مسلم انه اتى بيت المقدس فصلى فيه ثم عرج الى السماء كما سياتي ان شاء الله
تعالى وقد قيل في الحكمة في الاسراء به راكبا مع القدرة على طي الارض له الاشارة الى ان
ذلك وقع تانيسا له بالعادة في مقام خرق العادة لان العادة جرت ان الملك اذا استدعى
من يختص به بعث اليه بمركوب سني يحمله عليه في وفادته اليه وفي كلام بعض اهل الاشارات
لما كان صلى الله عليه وسلم ثمرة شجرة الكون ودرة صدفة الوجود وسر معنى كلمة كن ولم يكن
بد من عرض هذه الثمرة بين يدي مثمرها وزفها الى حضرة قربته والطواف بها على ندمان حضرته
أرسل اليه اعز خدام الملك عليه فلما ورد عليه قادما واتاه على فراشه نائما فقال قم يا نائم
قد هيئت لك الغنائم قال يا جبريل الى اين قال يا محمد ارفع الاين من البين انما انا رسول القدم
ارسلت اليك لاكون من جملة الخدم يا محمد انت مراد الارادة الكل مراد لاجلك وانت مراد لاجله
أنت صفوة كاس المحبة انت درة هذه الصدفة انت شمس المعارف انت بدر اللطائف ما مدت

الدار

الدار الا لاجلك ما هيئ ذلك الجلي الا لوصلك ما روق كاس المحبة الا لشربك فقال عليه السلام
يا جبريل فالكريم يدعوني اليه فما الذي يفعل بي قال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر
قال يا جبريل هذا لي فما لعيالي ذا العيال قال ولسوف يعطيك ربك فترضى قال يا جبريل
الان طاب قلبي ها انا ذاهب الى ربي ثم قال جبريل يا محمد انما جئت اليك لاكون خادم دولتك
وحاجب حاشيتك وحامل غاشيتك وجئ بالمركوب اليك لاظهار كرامتك لان من عادات الملوك
اذا استزاروا حبيبا او استدعوا قريبا وارادوا اظهار اكرامه واحترامه ارسلوا اخص خدامهم
واعز نوابهم لنقل اقدامهم فجيناك على رسم عادة الملوك واداب السلوك ومن اعتقد انه يوصل
اليه بالخطا فقد وقع في الخطا ومن ظن انه محجوب بالغطا فقد حرم العطا والحكمة في كون البراق دابة
دون البغل وفوق الحمار ابيض ولم يكن على شكل الفرس اشارة الى ان الركوب كان في سلم وامن
لا في حرب وخوف او لاظهار المعجزة بوقوع الاسراع الشديد بدابة لا توصف بذلك في العادة
وذكر بقوله ابيض باعتبار كونه مركوبا او عطفا على لفظ البراق واختلف في تسميته بذلك فقيل
من البريق وقال القاضي عياض لكونه ذا لونين يقال شاة برقاء اذا كان في خلال صوفها الابيض
طاقات سود وقيل من البرق لانه وصف بسرعة السير ويحتمل ان لا يكون مشتقا ووصفه بانه
يضع خطوه عند اقصى طرفه بسكون الراء وبالفاء اي يضع رجله عند منتهى ما يرى بصره
وقال ابن المنير يقطع ما انتهى اليه بصره في خطوة واحدة قال فعلى هذا يكون قطع من الارض
الى السماء في خطوة واحدة لان بصر الذي في الارض يقع على السماء فبلغ اعلى السموات في سبع خطوات
انتهى وفي حديث ابن مسعود عند ابي يعلى والبزار كما افاده في الفتح اذا اتى على جبل ارتفعت
رجلاه واذا هبط ارتفعت يداه وفي رواية لابن سعد عن الواقدي باسانيده له جناحان
قال الحافظ ابن حجر ولم ارها لغيره وعند الثعلبي بسند ضعيف عن ابن عباس في صفة البراق
له خد كخد الانسان وعرف كعرف الفرس وقوائم كالابل واظلاف وذنب كالبقر وكان صدره
ياقوتة حمراء وفي رواية ابن مسعود في شرف المصطفى كان الذي امسك بركابه جبريل وبزمام
البراق ميكائيل وفي رواية معمر عن قتادة عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى بالبراق
ليلة اسري به مسرجا ملجما فاستصعب عليه فقال له جبريل ما حملك على هذا ما ركبك خلق قط
اكرم على الله منه قال فارفض عرقا أخرجه الترمذي وقال حسن غريب وصححه ابن حبان وذكر ابن
اسحاق عن قتادة انه لما شمس وضع جبريل عليه السلام يده على معرفته وقال اما تستحي
وذكر نحوه لكنه مرسل لانه لم يذكر انسا وفي رواية وثيمة عند ابن اسحق نفست حتى لصقت
بالارض فاستويت عليها وفي رواية للنسائي وابن مردويه من طريق يزيد بن ابي مالك عن انس
نحوه موقوفا وزاد وكانت تسخر للانبياء قبله ونحوه في حديث ابي سعيد عند ابن اسحق
وفيه دلالة على ان البراق كان معدا لركوب الانبياء خلافا لمن نفى ذلك كابن دحية واول قول
جبريل فما ركبك اكرم على الله منه اي ما ركبك احد قط فكيف يركبك اكرم منه فيكون مثل قول
امرئ القيس على لاحب لا يهتدى بمناره فيفهم ان له منارا لا يهتدى به وليس المراد الا انه لا منار له
البته فكيف يهتدى به فتامله وقد جزم السهيلي بان البراق انما استصعب عليه لبعد ركوب
الانبياء قبله وقال النووي قال محققو صاحب العين وتبعه صاحب التحرير كان الانبياء يركبونه

البراق قال وهذا يحتاج الى نقل صحيح انتهى وقد نقله ثم النقل بذلك قال في الفتح ويؤيده
ما عند الله فربطته بالحلقة التي تربط بها الانبياء انتهى فليتأمل فانه ليس فيه فربطته بالحلقة
التي يربطه بها الانبياء وانما قال يربط بها الانبياء وسكت عن ذكر المربوط ما هو فيحتمل كما قال ابن المنير
ان يكون غير البراق ويحتمل ان يريد ارتباط الانبياء انفسهم بتلك الحلقة اي تمسكهم بها ويكون من
جنس العروة الوثقى انتهى لكن وقع التصريح بذلك في حديث ابي سعيد عند البيهقي ولفظه
فاوثقت دابتي بالحلقة التي كانت الانبياء تربطها فيه وقد وقع عند ابن اسحق من رواية
وثيمة في ذكر الاسرا فاستصعب البراق وكانت بعيدة العهد بركوبهم لم تكن ركبت في الفترة
وفي مغازي ابن عائذ من طريق الزهري عن سعيد بن المسيب قال البراق هي الدابة
التي كان يزور ابراهيم عليها اسماعيل وعلى هذا فلا يكون ركوب البراق من خصائصه صلى الله
عليه وسلم نعم قيل ركوبه مسرجا ملجما لم يرد لغيره من الانبياء عليهم السلام **فان قلت**
ما وجه استصعاب البراق عليه **اجيب** بانه تنبيه على انه لم يذلل قبل ذلك ان قلنا
انه لم يركبه احد قبله او لبعد العهد بركوبه ان قلنا انه ركب قبله ويحتمل ان يكون استصعابا
تيها وزهوا بركوبه صلى الله عليه وسلم عليه واراد جبريل بمحمد تستصعب استنطاقه بلسان
الحال انه لم يقصد الصعوبة وانما تاه لمكان الرسول عليه الصلاة والسلام منه ولهذا قال
فارفض عرقا فكانه اجاب بلسان الحال متبرئا من الاستصعاب وعرق من خجل العتاب ومثل
هذا رجفة الجبل به حتى قال له اثبت فانما عليك نبي وصديق وشهيدان فانها هزة الطرب
لا هزة الغضب وكذلك البراق لما قال له جبريل اسكن فما ركبك احد اكرم على الله منه
فاستقر وخجل من ظاهر الاستصعاب وتوجه الخطاب فعرق حتى عرق ووقع في حديث
حذيفة عند الامام احمد قال اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبراق فلم يزل على ظهره
هو وجبريل حتى انتهيا الى بيت المقدس ولهذا لم يسنده حذيفة عن النبي صلى الله عليه
وسلم فيحتمل انه قاله عن اجتهاد ويحتمل ان يكون قوله هو وجبريل يتعلق بمرافقته
في السير لا في الركوب وقال ابن دحية معناه وجبريل قائد او سائق او دليل قال وانما
جزمنا بذلك لان قصة المعراج كانت كرامة للنبي صلى الله عليه وسلم فلا مدخل لغيره
فيها **وقد تعقب** الحافظ ابن حجر التاويل المذكور بان في صحيح ابن حبان من حديث ابن مسعود
ان جبريل حمله على البراق رديفا له وفي رواية الحارث في مسنده اتي بالبراق فركبه خلف
جبريل فسار بهما فهذا صريح في ركوبه معه فالله اعلم انتهى **وقد وقع** في غير هذه الروايات
بيان ما راه ليلة الاسراء فمن ذلك ما وقع في حديث شداد بن اوس عند البزار والطبراني
وصححه البيهقي في الدلائل انه اول ما اسري به مر بارض ذات نخل فقال له جبريل انزل
فصل فصلى فقال صليت بيثرب ثم بارض بيضاء فقال انزل فصل فصلى فقال صليت بمدين
ثم مر ببيت لحم فقال انزل فصل فنزل فصلى فقال صليت حيث ولد عيسى **وفي حديث انس**
عند البيهقي في الدلائل لما جاء جبريل بالبراق اليه صلى الله عليه وسلم فكانها ازخت اذنيها
فقال لها جبريل مه يا براق فوالله ما ركبك مثله فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا
هو بعجوز على جنب الطريق فقال ما هذا يا جبريل قال سر يا محمد فسار ما شاء الله ان يسير

فاذا هو

في المعراج من الزوائد الآتية

فاذا هو بشيخ يدعوه متنحيا عن الطريق يقول هلم يا محمد فقال له جبريل سر يا محمد وانه من جماعة
فسلموا عليه فقالوا السلام عليك يا اول السلام عليك يا اخر السلام عليك يا حاشر فقال له جبريل
اردد عليهم السلام فرد الحديث وفي اخره فقال له جبريل اما العجوز التي رايت بجانب الطريق فلم
يبق من الدنيا الا ما بقي من عمر تلك العجوز والذي دعاك ابليس والعجوز الدنيا اما لو اجبتها
لاختارت امتك الدنيا على الاخرة واما الذي سلموا عليك فابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام
قال الحافظ عماد الدين بن كثير في الفاظه نكارة وغرابة وفي رواية انه مر بموسى عليه السلام
وهو يصلي في قبره قال انس ذكر كلمة فقال اشهد انك رسول الله ولا مانع ان الانبياء عليهم
السلام يصلون في قبورهم لانهم احياء عند ربهم يرزقون فهم يتعبدون بما يجدونه من دواعي
انفسهم لا بما يلزمون به كما يلهم اهل الجنة الذكر وسياتي الاشارة لذلك في حجة الوداع ان شاء الله
تعالى وفي حديث ابي هريرة عند الطبراني والبزار انه عليه الصلاة والسلام مر على قوم
يزرعون ويحصدون في يوم كلما حصدوا عاد كما كان فقال لجبريل عليه السلام ما هذا
قال هولاء المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنة الى سبع مائة ضعف وما انفقوا
من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ثم اتى على قوم ترضخ رؤسهم بالصخر كلما رضخت عادت
كما كانت ولا يفتر عنهم من ذلك شيء فقال ما هذا يا جبريل قال هولاء الذين تتثاقل رؤسهم
عن الصلوة المكتوبة ثم اتى على قوم على اقبالهم رقاع وعلى ادبارهم رقاع يسرحون كما تسرح
الانعام يأكلون الضريع والزقوم ورضف جهنم فقال ما هولاء يا جبريل قال هولاء الذين لا يؤدون
زكاة اموالهم وما ظلمهم الله وما الله بظلام للعبيد ثم اتى على قوم بين ايديهم لحم نضيج في قدور
ولحم اخر نيء في قدر خبيث فجعلوا ياكلون من النيء الخبيث ويدعون النضيج قال جبريل هذا
الرجل من امتك تكون عنده المراة الحلال الطيب فياتي امراة خبيثة فيبيت حتى يصبح
والمراة تقوم من عند زوجها حلالا طيبا فتاتي رجلا خبيثا فتبيت عنده حتى تصبح ثم اتى
على رجل قد جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها فقال ما هذا يا جبريل قال
هذا الرجل من امتك تكون عليه امانات الناس لا يقدر على ادائها وهو يريد ان يحمل عليها ثم اتى
على قوم تقرض السنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم
من ذلك شيء قال ما هذا يا جبريل قال هولاء خطباء الفتنة قال ثم اتى على جحر صغير يخرج منه
ثور عظيم فجعل الثور يريد ان يرجع من حيث خرج فلا يستطيع فقال ما هذا يا جبريل قال
هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع ان يردها ثم اتى على واد فوجد
ريحا طيبة باردة وريح مسك وسمع صوتا فقال ما هذا يا جبريل قال هذا صوت الجنة تقول
رب اتني بما وعدتني فقد كثرت غرفي واستبرقي وحريري وسندسي وعبقريي ولؤلؤي ومرجاني
وفضتي وذهبي واكوابي وصحافي واباريقي ومراكبي وعسلي ومائي ولبني وخمري فاتني بما
وعدتني قال لك كل مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة ومن امن بي وبرسلي وعمل صالحا ولم يشرك
بي ولم يتخذ من دوني اندادا ومن خشيني فهو امن ومن سالني اعطيته ومن اقرضني جزيته
ومن توكل علي كفيته انني انا الله لا اله الا انا لا اخلف الميعاد قد افلح المؤمنون وتبارك الله احسن
الخالقين قالت رضيت ثم اتى على واد فسمع صوتا منكرا ووجد ريحا منتنة فقال ما هذا يا جبريل قال

صوت جهنم تقول رب ائتني بما وعدتني فقد كثرت سلاسلي واغلالي وسعيري وحميمي وضريعي وغساقي وعذابي وقد بعد قعري واشتد حري فائتني بما وعدتني قال لك كل مشرك ومشركة وكافر وكافرة وكل جبار لا يؤمن بيوم الحساب قالت قد رضيت قال فسرنا حتى اتينا بيت المقدس وفي رواية ابي سعيد عند البيهقي دعاني داع عن يميني انظرني اسالك فلم اجبه ثم دعاني آخر عن يساري كذلك فلم اجبه وفيه اذا امراة حاسرة عن ذراعيها وعليها من كل زينة خلقها الله تعالى فقالت يا محمد انظرني اسالك فلم التفت اليها وفيه ان جبريل قال له اما الداعي الاول فهو داعي اليهود ولو اجبته لتهودت امتك واما الثاني فداعي النصارى ولو اجبته لتنصرت امتك واما المراة فالدنيا وفيه انه صعد الى السماء الدنيا فراى فيها آدم وانه راى اخونة عليها لحم طيب ليس عليها احد واخرى عليها لحم منتن عليها ناس ياكلون قال جبريل هولاء الذين يتركون الحلال وياكلون الحرام وفيه انه مر بقوم بطونهم امثال البيوت كلما نهض احدهم خر وان جبريل قال له هم اكلة الربا وانه مر بقوم مشافرهم كالابل يلتقمون جمرا فيخرج من اسافلهم وان جبريل قال هولاء الذين ياكلون اموال اليتامى وانه مر بنساء تعلقن بثديهن فانهن الزواني وانه مر بقوم يقطع من جنوبهم اللحم فيطعمون وانهم الهمازون اللمازون وفي حديث ابي هريرة عند البزار والحاكم انه صلى ببيت المقدس مع الملائكة وانه اتي هناك بارواح الانبياء فاثنوا على الله وفيه قول ابراهيم لقد فضلكم محمد وفي رواية عبد الرحمن بن هشام ثم بعث له آدم فمن دونه فامهم تلك الليلة وفي حديث ام هاني عند ابي يعلى ونشر لي رهط من الانبياء منهم ابراهيم وموسى وعيسى وفي رواية ابي سلمة ثم حانت الصلاة فاممتهم اخرجه مسلم وفي حديث ابي امامة عند الطبراني في الاوسط ثم اقيمت الصلاة فتدافعوا حتى قدموا محمدا صلى الله عليه وسلم وفي رواية ثابت البناني عن انس عند مسلم قال فربطه يعني البراق بالحلقة وهي باسكان اللام على الاشهر التي تربط به الانبيا بضمير المذكر اعادة على معنى الحلقة وهي الشيء والمراد حلقة باب مسجد بيت المقدس قاله صاحب التحرير قال عليه الصلاة والسلام ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة اي اخترت اللبن الذي عليه بني الخلقة وبه نبت اللحم ونشز العظم واخترته لانه الحلال الدائم في دين الاسلام بخلاف الخمر فحرام فيما يستقر عليه الامر وقال النووي المراد بالفطرة هنا الاسلام والاستقامة قال ومعناه والله اعلم اخترت علامة الاسلام والاستقامة قال وجعل اللبن علامة لكونه سهلا طيبا طاهرا سائغا للشاربين سليم العاقبة واما الخمر فانها ام الخبائث وجالبة الانواع لشر في الحال والمال انتهى وقال القرطبي يحتمل ان يكون سبب تسمية اللبن فطرة لكونه اول شيء يدخل جوف المولود ويشق امعاءه والسر في ميل النبي صلى الله عليه وسلم له دون غيره لكونه كان مالوفا له اولا انتهى واذا الانت الخمرة مباحة لانها انما حرمت بالمدينة والاسرا كان بمكة فما وجه تجنبه عليه الصلاة والسلام لاحد المباحين ومواجهة عدوله صوابا وعد الآخر خطاء وهما سوا في الاباحة فيحتمل ان يكون توقفا تورعا وتعريضا بانها ستحرم وانه لما وافق الصواب في علم الله تعالى قال له جبريل اصبت الفطرة او اصبت اصاب الله بك كما روي واذا قلنا بانها كانت من خمر الجنة فيكون سبب تجنبها

صورتها

صورتها ومعناها ما فات الخمر المحرمة اي في علم الله وذلك ابلغ في الورع ويستفاد منه من اتخاذ مزما الرمان او غيره لونا قراحا مثلا وصبا به الخمر في الصورة وتلقيه بالهيئات التي يتعاطاها اهل الشهوات من الاجتماعات والآلات فهذا في منكرا وان كان لا يحد عليها وينظر فيما يعمله كثير من فقراء اليمن وغيرهم بمكة المشرفة وجدة وغيرهما من تعاطي قشر البن ويسمونه بالقهوة وهي اسم من اسماء الخمر وفي حديث ابن عباس عند احمد فلما اتى المسجد الاقصى قام يصلي فلما انصرف جيء بقدحين في احدهما لبن وفي الآخر عسل فاخذ اللبن وفي رواية البزار بثلاثة اواني وان الثالث كان خمرا وان ذلك وقع ببيت المقدس وان الاول كان ماء ولم يذكر العسل وفي حديث شداد بن اوس فصليت من المسجد حيث شاء الله واخذني من العطش اشد ما اخذني فاتيت باناءين احدهما لبن والآخر عسل ثم هداني الله فاخذت اللبن فقال شيخ بين يدي يعني لجبريل اخذ صاحبك الفطرة وقد كان اتيانه بالآواني مرتين مرة عند فراغه من الصلاة ومرة عند وصوله الى سدرة المنتهى ورؤية الانهار الاربعة وممن صرح بانه كان مرتين الحافظ عماد الدين بن كثير وعلى هذا فيكون تكرار جبريل عليه السلام للتصويب حيث اختار اللبن تاكيدا للتحذير مما سواه وقد انكر حذيفة ربط البراق بالحلقة فروى احمد والترمذي من حديث حذيفة قال يحدثون انه ربطه خاف ان يفر منه وقد سخره له عالم الغيب والشهادة وكذا انكر حذيفة ايضا صلاته عليه السلام ببيت المقدس وتعقبه ابن كثير والبيهقي بان المثبت مقدم على النافي يعني من اثبت ربط البراق والصلاة في بيت المقدس معه زيادة علم على من نفى ذلك فهو اولى بالقبول ووقع في رواية بريدة عند البزار لما كان ليلة اسري به فاتى جبريل الصخرة التي ببيت المقدس فوضع اصبعه فيها فخرقها فشد بها البراق ونحوه للترمذي وفي حديث ابي سعيد عند البيهقي حتى اتيت بيت المقدس فاوثقت دابتي بالحلقة التي كانت الانبياء تربطها فيه فدخلت انا وجبريل بيت المقدس فصلى كل واحد منا ركعتين وفي رواية ابن مسعود نحوه وزاد ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين ما بين قائم وراكع وساجد ثم اذن مؤذن فاقيمت الصلاة فقمنا صفوفا ننتظر من يؤمنا فاخذ بيدي جبريل فقدمني فصليت بهم وفي حديث ابن مسعود ايضا عند مسلم وحانت الصلاة فاممتهم وفي حديث ابن عباس عند احمد فلما اتى صلى الله عليه وسلم الاقصى قام يصلي فاذا النبيون اجمعون يصلون معه وعن ابي سعيد ثم سار حتى اتى بيت المقدس فنزل فربط فرسه الى صخرة ثم دخل فصلى مع الملائكة فلما قضيت الصلاة قالوا يا جبريل من هذا معك قال هذا محمد رسول الله خاتم النبيين قالوا وقد ارسل اليه قال نعم قالوا حياه الله من اخ وخليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ثم لقوا ارواح الانبيا فاثنوا على ربهم فقال ابراهيم عليه السلام الحمد لله الذي اتخذني خليلا واعطاني ملكا عظيما وجعلني امة قانتا يؤتم بي وانقذني من النار وجعلها علي بردا وسلاما ثم ان موسى عليه السلام اثنى على ربه فقال الحمد لله الذي كلمني تكليما واصطفاني وانزل علي التوراة وجعل هلاك فرعون ونجاة بني اسرائيل على يدي وجعل من امتي قوما يهدون بالحق وبه يعدلون ثم ان داود عليه السلام اثنى على ربه فقال الحمد لله الذي جعل لي ملكا عظيما وعلمني الزبور والان لي الحديد وسخر لي الجبال يسبحن معي والطير واتاني الحكمة وفصل الخطاب ثم ان سليمان عليه السلام

اختلاف في ربط البراق وصلوته في المسجد الاقصى

دعاء الانبياء عليهم السلام

أثنى على ربه فقال الحمد لله الذي سخر لي الرياح وسخر لي الشياطين يعملون لي ما شئت من محاريب
وتماثيل وعلمني منطق الطير وآتاني من كل شيء فضلا وسخر لي جنود الشياطين والإنس والطير
وآتاني ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي وجعل ملكي ملكا طيبا ليس فيه حساب ثم إن عيسى عليه السلام
أثنى على ربه فقال الحمد لله الذي جعلني كلمته وجعلني مثل آدم خلقه من تراب ثم قال له
كن فيكون وعلمني الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وجعلني أخلق من الطين كهيئة الطير
فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وجعلني أبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله ورفعني
وطهرني وأعاذني وأمي من الشيطان الرجيم فلم يكن للشيطان علينا سبيل قال وإن محمدا
صلى الله عليه وسلم أثنى على ربه فقال كلكم أثنى على ربه وأنا أثني على ربي الحمد لله
الذي أرسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وأنزل علي الفرقان فيه تبيان كل شيء
وجعل أمتي أمة وسطا وجعل أمتي هم الأولون وهم الآخرون وشرح لي صدري ووضع عني
وزري ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فقال إبراهيم بهذا فضلكم محمد ثم ذكر أنه عرج به
إلى السماء الدنيا ومن سماء إلى سماء وذكره القاضي عياض في الشفاء مختصرا من حديث أبي هريرة من غير
عزو ورواه البيهقي من حديث أبي سعيد الخدري وهذا لفظه وفي رواية ابن أبي حاتم في تفسيره
عن أنس فلما بلغ بيت المقدس فبلغ المكان الذي يقال له باب محمد أتى إلى الحجر الذي به فغمزه
جبريل بإصبعه فثقبه ثم ربطها ثم صعد فلما استويا في صرحة المسجد قال جبريل يا محمد هل سألت
ربك أن يريك الحور العين قال نعم فانطلق إلى أولئك النسوة فسلم عليهن قال فسلمت عليهن
فرددن علي السلام فقلت من أنتن فقلن خيرات حسان نساء قوم أبرار نقوا فلم يدرنوا وأقاموا
فلم يظعنوا وخلدوا فلم يموتوا قال ثم انصرفت فلم ألبث إلا يسيرا حتى اجتمع ناس كثير ثم أذن مؤذن
وأقيمت الصلاة قال فقمنا صفوفا ننتظر من يؤمنا فأخذ بيدي جبريل عليه السلام فقدمني فصليت
بهم فلما انصرفت قال لي جبريل أتدري من صلى خلفك قلت لا قال صلى خلفك كل نبي بعثه الله
قال القاضي عياض يحتمل أن يكون صلى الله عليه وسلم صلى بالأنبياء جميعا في بيت المقدس
ثم صعد منهم إلى السماء من ذكر أنه عليه الصلاة والسلام رآه ويحتمل أن يكون صلى بهم بعد
أن هبط من السماء فهبطوا أيضا والأظهر أن صلاته بهم ببيت المقدس كان قبل العروج انتهى
وقال ابن كثير صلى بهم ببيت قبل العروج وبعده فإن في الحديث ما يدل على ذلك ولا مانع منه
انتهى وقد اختلف في هذه الصلاة هل هي فرض أو نفل وإذا قلنا إنها فرض فأي صلاة هي قال
بعضهم الأقرب أنها الصبح ويحتمل أن تكون العشاء وإنما يأتي على قول من قال إنه صلى بهم قبل عروجه
إلى السماء وأما على قول من قال إنه صلى بهم بعد العروج فتكون الصبح قال ابن كثير ومن الناس من يزعم
أنه أمهم في السماء والذي تظافرت به الروايات أنه ببيت المقدس والظاهر أنه بعد رجوعه إليه
لأنه لما مر بهم في منازلهم جعل يسأل جبريل عنهم واحدا واحدا وهو يخبره بهم قال وهذا هو
اللائق لأنه أولا كان مطلوبا إلى الجناب العلوي ليفرض الله عليه وعلى أمته ما يشاء ثم لما فرغ مما أريد به
اجتمع هو وإخوانه من النبيين ثم أظهر شرفه عليهم بتقديمه في الإمامة وفي رواية ابن إسحق
أنه عليه الصلاة والسلام قال لما فرغت مما كان في بيت المقدس أتي بالمعراج ولم أر قط شيئا أحسن منه
وهو الذي يمد إليه الميت عينيه إذا احتضر فأصعدني صاحبي فيه حتى انتهى بي إلى باب من أبواب السماء

وفي

وفي رواية كعب فوضعت له مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب حتى عرج هو وجبريل وفي شرف
المصطفى أنه أتي بالمعراج من جنة الفردوس وأنه منضد عن يمينه ملائكة وعن يساره ملائكة
وفي رواية أبي سعيد عند البيهقي ثم أتيت بالمعراج الذي تعرج عليه أرواح بني آدم فلم تر
الخلائق أحسن من المعراج أما رأيت الميت حين يشق بصره طامحا إلى السماء فإن ذلك عجبه
بالمعراج وقد تقدم في حديث البخاري السابق فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح
قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم ولم يقل جبريل
عليه السلام أنا جبريل قيل إنما سمى نفسه فقال جبريل لأن لفظ أنا فيه إشعار بالعظمة وفي
الكلام السائر أول من قال أنا إبليس فشقي وأيضا فقوله أنا مبهمة لا فتفتقر الضمير إلى العود
فهي غير كافية في البيان وعلى هذا فينبغي للمستأذن إذا قيل له من أنت لا يقول أنا بل يقول
فلان وفي رواية للبخاري ومسلم فعرج وهو بفتح العين بمعنى صعد وفي حديث
أبي سعيد عند البيهقي إلى باب من أبواب السماء يقال له باب الحفظة وعليه ملك يقال له
إسماعيل تحت يده اثنا عشر ألف ملك وفي رواية شريك عند البخاري أيضا ثم عرج به إلى السماء
الدنيا فضرب بابا من أبوابها فناداه أهل السماء الدنيا من هذا قال جبريل قالوا ومن معك
قال محمد قالوا وقد بعث قال نعم قالوا فمرحبا وأهلا فيستبشر به أهل السماء لا يعلم أهل السماء
بما يريد الله به في الأرض حتى يعلمهم أي على لسان من شاء كجبريل ووقع في هذه الرواية
أنه رأى في سماء الدنيا النيل والفرات عنصرهما وظاهره يخالف حديث مالك بن صعصعة
فإن فيه بعد ذكر سدرة المنتهى فإذا في أصلها أربعة أنهار ويجمع بأن أصل نبعهما من تحت
سدرة المنتهى ومقرهما في السماء الدنيا ومنها ينزلان إلى الأرض ووقع في هذه الرواية أيضا
ثم مضى به في سماء الدنيا فإذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد وأنه الكوثر وهو مما
استشكل من رواية شريك فإن الكوثر من الجنة والجنة فوق السماء السابعة ويحتمل أن
يكون تقديره ثم مضى في السماء الدنيا إلى السابعة فإذا هو بنهر ثم إن في قوله في الحديث
افتح دلالة على أنه صادف أبواب السماء مغلقة والحكمة في ذلك والله أعلم التنويه بقدره عليه
الصلاة والسلام وتحقق أن السموات لم تفتح أبوابها إلا من أجله ولو وجدها مفتوحة لم يعلم
أنها فتحت لأجله فلما فتحت له تحقق عليه الصلاة والسلام أن المحل مصون وأن فتحه لكرامته
وتبجيله وأما قوله في حديث أرسل إليه وفي رواية وقد بعث إليه فيحتمل أن يكون استفهم
عن الإرسال إليه للعروج إلى السماء وهو الأظهر لقوله إليه لأن أصل بعثته قد اشتهر
في الملكوت الأعلى وقيل سألوا تعجبا من نعمة الله عليه بذلك واستبشارا به وقد علموا
أن بشرا لا يترقى إلا بإذن من الله تعالى وأن جبريل لا يصعد بمن لم يرسل إليه وقيل إن السائل
أراد الاطلاع على نعمة عليه أنه معروف عند الملأ الأعلى لأنهم قالوا أو بعث إليه أو أرسل إليه
فدل على أنهم كانوا يعرفون أن ذلك سيقع له وإلا لكانوا يقولون ومن محمد مثلا ولذلك أجابوا
بقولهم مرحبا به ولنعم المجيء جاء وكلامهم بهذه الصيغة أدل دليل على ما ذكرناه في معرفتهم
بجلالته وتحقيق رسالته ولأن هذا الحد يكون من حسن الخطاب والترفيع على المعروف
من عادة العرب وأما قوله من معك فيشعر بأنهم أحسوا به عليه الصلاة والسلام وإلا لكان

السؤال بلفظ أمعك أحد وهذا الاحساس لما بمسنا هدة لكون السماء شفافة واما بأمر معنوي
كزيادة انوار ونحوها قاله الحافظ بن حجر ولعله اخذه من كلام العارف ابن ابي جمرة حيث
قال في بهجته الثاني ان يكون سؤالهم له لما راوا اوجين زاد الله عليهم من زيادة الانوار
وغيرها من المآثر الحسان زيادة على ما يعهدونه بينه قال وهذا هو الاظهر كانهم قالوا
من الشخص الذي من اجله هذه الزيادة التي معك فأخبرهم بما ارادوا وهو تعيين الشخص
باسمه حتى عرفوه انتهى وقد قال بعض العلماء في قوله تعالى لقد راى من آيات ربه
الكبرى انه راى صورة ذاته المباركة في الملكوت فاذا هو عروس المملكة واما قولهم مرحبا
به ولنعم المجيء جاء فيحتمل ان يكونوا قالوه لما علموه من بركاته عليه السلام التي سبقته
للسماء مبشرة بقدومه وفيه تقديم وتاخير والتقدير مرحبا ونعم المجيء مجيئه واما لم يقل
الخازن مرحبا بك بصيغة الخطاب بل قال بصيغة الغيبة لانه حياه قبل ان يفتح الباب
وقبل ان يصدر من النبي صلى الله عليه وسلم خطاب ويحتمل ان يكون حياه بصيغة الغيبة
تعظيما له لان هاء الغيبة ربما كانت افخم من كاف الخطاب واما قوله في الحديث فاذا رجل قاعد
على يمينه اسودة وعلى يساره اسودة اذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله
بكى فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قلت لجبريل من هذا قال هذا ادم وهذه
الاسودة عن يمينه وشماله نسم بنيه فاهل اليمين منهم اهل الجنة والاسودة التي عن
شماله اهل النار فاذا نظر عن يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى فالاسودة بوزن
ازمنة بمعنى الاشخاص والنسم بالنون والسين المهملة المفتوحتين جمع نسمة وهي الروح
وقد قال القاضي عياض جاء ان ارواح الكفار في سجين وان ارواح المؤمنين منعمة في الجنة
يعني فكيف تكون مجتمعة في سماء الدنيا واجاب بانه يحتمل انها تعرض على ادم اوقاتا
فوافق عرضها مرور النبي صلى الله عليه وسلم ويدل على ان كونهم في النار انما هو في اوقات
دون اوقات قوله تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا واعترض بان ارواح الكفار لا تفتح
لها ابواب السماء كما هو نص القرآن والجواب ما ابداه هو احتمالا ان الجنة كانت في جهة
يمين ادم والنار في جهة شماله وكان يكشف له عنهما ولا يلزم من رؤية ادم لها وهو في السماء
ان تفتح لها ابواب السماء ولا تلجها وفي حديث ابي هريرة عند البزار فاذا عن يمينه
باب يخرج منه ريح طيبة وعن شماله باب يخرج منه ريح خبيثة اذا نظر عن يمينه استبشر
واذا نظر عن شماله حزن وهذا لو صح لكان المصير اليه اولى من جميع ما تقدم
ولكن سنده ضعيف قاله الحافظ بن حجر واما قوله في الحديث ثم صعد بي حتى اتى السماء
الثانية فقيل من هذا قال جبريل قال ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم
قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصنا اذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة قال هذا
يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت فردا ثم قالا مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح الى قوله
ثم صعد بي الى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك
قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا ابراهيم
قال هذا ابوك ابراهيم فسلم عليه قال فسلمت عليه فرد السلام وقال مرحبا بالابن الصالح

والنبي الصالح فهذه الرواية موافقة لرواية ثابت عن انس عند مسلم ان في السماء الاولى ادم
وفي الثانية يحيى وعيسى وفي الثالثة يوسف وفي الرابعة ادريس وفي الخامسة هرون
وفي السادسة موسى وفي السابعة ابراهيم وخالف ذلك ابن شهاب الزهري في روايته
عن انس عن ابي ذر كما في اول الصلاة من البخاري ايضا انه لم يثبت كيف منازلهم وقال
فيه وابراهيم في السماء السادسة وفي رواية شريك عن انس ان ادريس في الثانية وهرون
في الرابعة واخر في الخامسة لم احفظ اسمه وابراهيم في السادسة وموسى في السابعة
بتفضيل كلام الله وسياقه يدل على انه لم يضبط منازلهم ايضا كما صرح به الزهري ورواية
من ضبط اولى ولا سيما مع اتفاق قتادة وثابت وقد وافقهما يزيد بن ابي مالك عن انس الا انه
خالف في ادريس وهرون فقال هرون في الرابعة وادريس في الخامسة ووافقهم ابو سعيد
الا ان في روايته يوسف في الثانية والمشهور في الروايات ان الذي في السابعة هو ابراهيم
واكد ذلك في حديث مالك بن صعصعة بانه كان مسندا ظهره الى البيت المعمور ومع التعدد
لا اشكال ومع الاتحاد فقد جمع بان موسى كان حالة العروج في السادسة وابراهيم في السابعة
على ظاهر حديث مالك بن صعصعة وعند الهبوط كان موسى في السابعة لانه لم يذكر في القصة
ان ابراهيم كلمه في شيء مما يتعلق بما فرض على امته من الصلاة كما كلمه موسى عليه السلام والسماء
السابعة هي اول شيء انتهى اليه حالة الهبوط فناسب ان يكون موسى بها لانه هو الذي خاطبه
في ذلك كما ثبت في جميع الروايات ويحتمل ان يكون لقي موسى في السادسة فاصعد معه الى السابعة
تفضيلا له على غيره من اجل كلام الله تعالى وظهرت فائدة ذلك في كلامه مع نبينا فيما يتعلق بامر
امته في الصلاة قاله في فتح الباري وقال ان النووي اشار الى شيء من ذلك وفي رواية شريك
عن انس في قصة موسى لم اظن ان يرفع احد علي قال ابن بطال فهم موسى عليه السلام من
اختصاصه بكلام الله تعالى له في الدنيا دون غيره من البشر لقوله تعالى اني اصطفيتك على
الناس برسالاتي وبكلامي ان المراد بالناس هنا البشر كلهم وانه استحق بذلك ان لا يرفع عليه احد
فلما فضل الله تعالى محمدا عليهما الصلاة والسلام بما اعطاه من المقام المحمود وغيره ارتفع على موسى
وغيره بذلك وفي حديث ابي سعيد قال موسى يزعم بنو اسرائيل اني اكرم على الله وهذا اكرم
على الله مني زاد الاموي في روايته ولو كان هذا وحده هان ولكن معه امته وهم افضل الامم
عند الله وفي حديث مالك بن صعصعة فلما جاوزته بكى موسى فنودي ما يبكيك قال رب
هذا غلام بعثته بعدي يدخل من امته الجنة اكثر مما يدخل من امتي ولم يكن بكاء موسى عليه السلام
حسدا معاذ الله فان الحسد في ذلك العالم منزوع من احاد المؤمنين فكيف بمن اصطفاه الله
تعالى بل كان اسفا على ما فاته من الاجر الذي يترتب عليه رفع الدرجة بسبب ما وقع من امته
من كثرة المخالفة المقتضية لتنقيص اجورهم المستلزمة لتنقيص اجوره لان لكل نبي مثل اجر
كل من اتبعه ولهذا كان من اتبعه في العدد دون من اتبع نبينا صلى الله عليه وسلم مع طول
مدتهم بالنسبة لمدة هذه الامة وقال العارف ابن ابي جمرة قد جعل الله تعالى في قلوب
انبيائه عليهم السلام الرأفة والرحمة لاممهم وركبهم على ذلك وقد بكى نبينا صلى الله عليه وسلم
فقيل له ما يبكيك قال هذه رحمة وانما يرحم الله من عباده الرحماء والانبياء عليهم السلام قد اخذوا

من رحمة الله أو خوف تعذيب فكانت الرحمة في قلوبهم لعباد الله اكثر من غيرهم فلاجل ما كان لموسى
عليه السلام من الرحمة واللطف بكا اذ ذاك رحمة منه لامته لان هذا وقت افضال وجود
وكرم فرجا لعل ان يكون وقت القبول والافضال فيرحم الله امته ببركة هذه الساعة فان قال
قايل كيف يكون هذا وامته لا تخلوا من قسمين قسم مات على الايمان وقسم مات على الكفر
فالذي مات على الايمان لابد له من دخول الجنة والذي مات على الكفر لم يدخل الجنة ابدا فبكاؤه
لاجل ما ذكر لا يسوغ لان الحكم فيهم قد مضى وتقدم قيل ان الله تعالى قدر قدرة على قسمين فقدر
قدرا وقدر ان ينفذ على كل الاحوال وقدر ان لا ينفذ على كل الاحوال ويكون رفعه بسبب دعا
أو صدقة أو غير ذلك فلاجل ما ركب في موسى عليه السلام من اللطف والرحمة بالامة طمع
لعل ان يكون مما انفق لامته من القدر الذي قدره الله تعالى وقدر ارتفاعه بسبب الدعا
والتضرع اليه وهذا وقت يرجى فيه التعطف والاحسان من الله تعالى لانه وقت اسرى فيه
بالحبيب الكريم ليخلع عليه خلع القرب والفضل العميم فطمع الكليم لعل ان يلحق لامته من هذا
الخير العظيم وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم ان لله نفحات فتعرضوا النفحات الله وهذه
نفحة من النفحات فتعرض لها موسى فكان امر قد قدر والاسباب لا تؤثر الا بما سبقت القدرة
بانها فيه تؤثر وما كان قضا نافذا لا ترده الاسباب حتم قد لزم وفي بكايه عليه السلام
وجه آخر وهو البشارة لنبينا صلى الله عليه وسلم وادخال السرور عليه وذلك قد موسى عليه
السلام الذي هو اكثر الانبياء اتباعا ان الذين يدخلون الجنة من امة محمد صلى الله عليه وسلم
اكثر مما يدخلها من امتي واما قول موسى عليه السلام لان غلاما ولم يقل فتى فذلك من التبليغ
فاشارة الى صغر سنه بالنسبة اليه وقال الخطابي العرب تسمي الرجل المستجمع السن غلاما
ما دامت فيه بقية من القوة وفي القاموس والغلام الطار الشارب والكهل ضد قال في فتح الباري
ويظهر لي ان موسى عليه السلام اشار الى ما انعم الله به على نبينا من استمرار القوة في الكهولة
الى ان دخل في اول سن الشيخوخة ولم يدخل على بدنه هرم ولا اعتراه في قوته نقص حتى
ان الناس في قدومه المدينة لما راوه مردفا ابا بكر اطلقوا عليه اسم الشاب وعلى ابي بكر اسم
الشيخ مع كونه عليه الصلاة والسلام في العمر اسن من أبي بكر والله أعلم وقد ذكرت ذلك في الجز
من المقصد الاول وقد وقع في حديث ابي هريرة عند الطبري في ذكر ابراهيم فاذا هو برجل
اشمط جالس عند باب الجنة على كرسي وفي رواية مسلم من حديث ثابت عن انس ثم عرج بنا
الى السماء السابعة فاذا انا بابراهيم صلى الله عليه وسلم مسندا ظهره الى البيت المعمور واذا هو
يدخله كل يوم سبعون الف ملك ثم لا يعودون اليه وفيه فاذا انا بيوسف واذا هو قد اعطي
شطر الحسن وفي حديث ابي سعيد عند البيهقي وابي هريرة عند الطبراني فاذا انا برجل
أحسن ما خلق الله قد فضل الناس بالحسن كالقمر ليلة البدر على سائر الكواكب وهذا ظاهره
ان يوسف عليه السلام كان احسن من جميع الناس لكن روى الترمذي من حديث انس ما بعث الله
نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم احسنهم وجها واحسنهم صوتا فعلى هذا يحمل
حديث المعراج على ان المراد غير النبي صلى الله عليه وسلم ويؤيده قول من قال ان المتكلم
لا يدخل في عموم خطابه وحمل ابن المنير حديث الباب على ان المراد ان يوسف اعطي شطر الحسن

الذي

الذي اوتيه نبينا صلى الله عليه وسلم واما قول الحديث عن ادريس ثم قال مرحبا بالاخ الصالح
والنبي الصالح فيحمل على اخوة النبوة والاسلام لانها تجمع الوالد والولد وقال ابن المنير
وفي طريق شاذة مرحبا بالابن الصالح وهذه من الغياس لانه جده الاعلى وقيل ان ادريس
الذي ليس هو الجد المشهور ولكنه الياس فان كان كذلك ارتفع الاشكال فان قلت
لم كان هؤلاء الانبياء عليهم السلام في السموات دون غيرهم من الانبياء وما وجه اختصاص
كل واحد منهم بسماء تخصه ولم كان في السماء الثانية بخصوصها اثنان اجيب عن الاقتصار على
هؤلاء دون غيرهم من الانبياء بانهم امروا بملاقات نبينا صلى الله عليه وسلم فمنهم من ادركه
في اول وهلة ومنهم من تاخر فلحقه ومنهم من فاته وقيل اشارة الى ما سيقع له صلى الله عليه
وسلم مع قومه من نظير ما وقع لكل منهم فاما آدم عليه السلام فوقع التنبيه بما وقع له من
الخروج من الجنة الى الارض بما سيقع لنبينا صلى الله عليه وسلم من الهجرة الى المدينة والجامع
بينهما ما حصل لكل منهما من المشقة وكراهة فراق ما الفه من الوطن ثم كان عاقبة كل منهما
ان يرجع الى وطنه الذي خرج منه وبعيسى ويحيى على ما وقع له اول الهجرة من عداوة اليهود
وتماليهم على البغي عليه وارادتهم السوء به وبيوسف بما وقع له مع اخوته على ما وقع لنبينا عليه
الصلاة والسلام من قريش في نصبهم الحرب له وارادتهم هلاكه وكانت العاقبة له وقد اشار
عليه الصلاة والسلام الى ذلك يوم الفتح بقوله لقريش اقول كما قال يوسف لا تثريب عليكم
اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين اذهبوا فانتم الطلقا اي العتقا وبادريس على رفيع
منزلته عند الله تعالى وبهرون على ان قومه رجعوا الى محبته بعد ان اذوه وبموسى
على رفيع منزلته عند الله تعالى ما وقع له من معالجة قومه وقد اشار الى ذلك عليه الصلاة
والسلام بقوله لقد اوذي موسى باكثر من هذا فصبر وبابراهيم في استناده الى البيت المعمور
بما ختم له صلى الله عليه وسلم في آخر عمره من اقامة منسك الحج وتعظيم البيت الحرام واجاب
العارف ابن ابي جمرة عن وجه اختصاص كل واحد منهم بسماء بان الحكمة في كون آدم في السماء
الدنيا لانه اول الانبياء واول الآباء وهو الاصل ولاجل تانيس البنوة بالابوة واما عيسى فانما
كان في السماء الثانية لانه اقرب الانبياء الى النبي صلى الله عليه وسلم ولا تنسخ شريعته ويحكم بها
ولهذا قال عليه الصلاة والسلام انا اولى الناس بعيسى فكان في الثانية لاجل هذا المعنى وانما
كان يحيى عليه السلام معه هناك لانه ابن خالته وهما كالشيء الواحد فلاجل التزام احدهما
بالآخر كانا هناك معا وانما كان يوسف عليه السلام في السماء الثالثة لان على حسنه
تدخل امة محمد صلى الله عليه وسلم الجنة فاري له هناك لكي يكون ذلك بشارة له عليه
الصلاة والسلام فيسر بذلك وانما كان ادريس عليه السلام في السماء الخامسة لانه
ملازم لموسى عليه السلام في السماء السادسة لان لموسى مزية وحرمة ومن كونه كليما واختص
بالشيا لم تكن لهرون فلاجل هذا المعنى لم يكن معه في السادسة وانما كان موسى عليه السلام
في السماء السادسة لاجل ما اختص به من الفضايل ولانه الكليم وهو اكثر الانبياء اتباعا بعد نبينا
صلى الله عليه وسلم وانما كان ابراهيم عليه السلام في السماء السابعة لانه الخليل والاب
الخير فناسب ان يتجدد للنبي صلى الله عليه وسلم بلقيته انس لتوجهه بعده الى عالم آخر وهو

السابعة لان هناك فوق ... / فلا يرض على ما ادري فانما كان هو ... / في السماء

اختراق الحجب وابعثنا انه الخليل ولاحد افضل من الخليل الا الحبيب والحبيب هنا هو قد علا ذلك
المقام فكان الخليل فوق الكل لاجل خلته وفضله وارتفع الحبيب فوق الكل لاجل ما اختص به
مما زاد به عليهم قال الله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم
درجات فحصل لهم الكمال والدرجة الرفيعه ونعم درجة الرسالة والنبوة ورفع بعضهم فوق
بعض بمقتضى الحكمة برفعها المرفوع دون تنقيص بالمنزول انتهى فليتامل وقد اختلف في رؤية
نبينا صلى الله عليه وسلم لهؤلاء الانبياء عليهم السلام فحمله بعضهم على رؤية ارواحهم الا
عيسى لما ثبت انه رفع بجسده وقد قيل في ادريس ايضا ذلك واما الذين صلوا امامه في بيت
المقدس فيحتمل الارواح خاصة ويحتمل الاجساد بارواحها وقد يحتمل ان يكون عليه الصلاة
والسلام عاين كل واحد منهم في قبره في الارض على الصورة التي اخبر بها من الموضع الذي ذكر
انه عاينه فيه فيكون الله عز وجل قد اعطاه من القوة في البصر والبصيرة ما ادركه به ذلك
ويشهد له رؤيته عليه الصلاة والسلام الجنة والنار في عرض الحائط وهو محتمل لان يكون
عليه الصلاة والسلام رآهما من ذلك الموضع او مثل له صورتهما في عرض الحائط والقدرة
صالحة لكليهما وقيل يحتمل ان يكون الله سبحانه وتعالى لما اراد الاسراء بنبينا عليه الصلاة
والسلام رفعهم من قبورهم لتلك المواضع اكراما لنبيه صلى الله عليه وسلم وتعظيما حتى يحصل
له من قبلهم ما اشرنا اليه من الانس والبشارة وغير ذلك مما لم نشر اليه ولا نعلمه نحن وكل هذه
الوجوه محتملة ولا ترجيح لاحدها على الآخر اذ القدرة صالحة لكل ذلك انتهى **واما قوله**
في الحديث ثم رفعت لي سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها مثل اذان
الفيلة قال هذه سدرة المنتهى واذا اربعة انهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت
ما هذا يا جبريل قال اما الباطنان فنهران في الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات وفي رواية
عند البخاري ايضا فاذا في اصلها اي سدرة المنتهى اربعة انهار وعند مسلم يخرج من اصلها
وعنده ايضا من حديث ابي هريرة اربعة انهار من الجنة النيل والفرات وسيحان وجيحان
فيحتمل ان تكون سدرة المنتهى مغروسة في الجنة والانهار تخرج من اصلها فيصح انها من الجنة
ووقع في حديث شريك كما عند البخاري في التوحيد انه رأى هذين النهرين عند سدرة
المنتهى مع نهري الجنة ورآهما في السماء الدنيا دون نهري الجنة واراد بالعنصر عنصر انتشارهما
بسماء الدنيا كذا قاله ابن دحية ووقع في حديث شريك ايضا ومضى به السماء واذا هو بنهر آخر عليه
قصر من لؤلؤ وزبرجد فضرب بيده فاذا هو مسك اذفر فقال ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر
الذي خبأ لك ربك **وروى** ابن ابي حاتم عن انس انه عليه الصلاة والسلام بعد ان رأى ابراهيم
قال ثم انطلق بي على ظهر السماء السابعة حتى انتهى الى نهر عليه خيام الياقوت واللؤلؤ والزبرجد
وعليه طير اخضر انعم طير رأيت قال جبريل هذا الكوثر الذي اعطاك الله فاذا فيه آنية الذهب والفضة
تجري على رضراض من الياقوت والزمرد ماؤه اشد بياضا من اللبن فأخذت من آنيته فاغترفت
من ذلك الماء فشربت فاذا هو احلى من العسل واشد رائحة من المسك **وفي** حديث ابي سعيد
عند البيهقي فاذا فيها عين تجري يقال لها السلسبيل فينشق منها نهران احدهما الكوثر والآخر
يقال له نهر الرحمة وسيأتي مزيد لما ذكرناه من الكوثر في المقصد الاخير ان شاء الله تعالى **وقد**

وقع

وقع في حديث ثابت عن انس عند مسلم ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى واذا ورقها كآذان الفيلة
واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من امر الله عز وجل ما غشي تغيرت فما احد من خلق الله
يستطيع ان ينعتها من حسنها وقد جاء في حديث ابن مسعود عند مسلم ايضا بيان سبب تسميتها
بسدرة المنتهى وانها ينتهي ما يعرج من الارض فيقبض منها ومعنى قول ابن ابي جمرة لان اليها
تنتهي الاعمال ومن هناك ينزل الامر وتتلقى الاحكام وعندها تقف الحفظة وغيرهم ولا
يتعدونها فكانت منتهى لان اليها ينتهي ما يصعد من السفلي وما ينزل من العالم العلوي
من امر العلي **وقال** النووي لان علم الملائكة ينتهي اليها ولم يجاوزها احد الا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولا يعارض قوله في حديث ابن مسعود هذا انها في السادسة ما دل
عليه بقية الاخبار انه وصل اليها بعد ان دخل في السماء السابعة لانه يحمل على ان اصلها
في السماء السادسة واغصانها وفروعها في السابعة وليس في السادسة الا اصل ساقها
قاله في فتح الباري **وفي** حديث ابي ذر عند البخاري في الصلاة فغشيها الوان لا ادري
ما هي وفي حديث ابن مسعود المذكور عند مسلم قال الله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى
قال فراش من ذهب وفي حديث يزيد بن ابي مالك عن انس جراد من ذهب **قال** البيضاوي
وذكر الفراش وقع على سبيل التمثيل لان من شأن الشجر ان يسقط عليها الجراد وشبهه
وجعلها من الذهب حقيقة والقدرة صالحة لذلك وفي حديث ابي سعيد وابن عباس تغشاها
الملائكة وفي حديث علي على كل ورقة منها ملك **وفي** رواية ثابت عن انس عند مسلم فلما غشيها
من امر الله ما غشي تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها وفي رواية حميد عن انس
عند ابن مردويه نحوه لكن قال تحولت ياقوتا ونحو ذلك قال ابن دحية واختير السدرة دون
غيرها لان فيها ثلاثة اوصاف ظل مديد وطعم لذيذ ورائحة ذكية فكانت بمنزلة الايمان
الذي يجمع القول والعمل والنية فالظل بمنزلة النية والرائحة بمنزلة القول **وقال**
العارف ابن ابي جمرة وهل الشجرة مغروسة في شيء ام لا يحتمل الوجهين معا لان القدرة
صالحة لكليهما فكما جعل الله تعالى في هذه الدار مقرا للشجر كذلك يجعل الهواء لتلك مقرا وكما
رجع صلى الله عليه وسلم يمشي في الهواء كما يمشي في الارض ولان بالقدرة استقرت الارض
مع انها على الماء فلا مانع من ان تكون الشجرة في الهواء ويحتمل ان تكون مغروسة بارض وان تكون من
تراب الجنة والله قادر على ما يشاء **واما** قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث ثم اتيت بآناء من خمر
واناء من لبن واناء من عسل فاخذت اللبن فقال هي الفطرة التي انت عليها فيدل على انه عرض
عليه الآنية مرتين مرة ببيت المقدس ومرة عند وصوله سدرة المنتهى ورؤيته الانهار الاربعة
فاما الاختلاف في عدد الآنية وما فيها فيحمل على ان بعض الرواة ذكر ما لم يذكره الآخر ومجموعها اربعة
اواني فيها اربعة اشياء من الانهار الاربعة التي رآها تخرج من اصل سدرة المنتهى ووقع في حديث
ابي هريرة عند الطبري سدرة المنتهى يخرج من اصلها انهار من ماء غير آسن ومن لبن لم يتغير
طعمه ومن خمر لذة للشاربين ومن عسل مصفى فلعله عرض عليه من كل نهر اناء وجاء عن كعب
ان نهر العسل نهر النيل ونهر اللبن نهر جيحان ونهر الخمر نهر الفرات ونهر الماء نهر سيحان ولنهر النيل
فضائل ولطائف افردها بالتاليف غير واحد من الائمة ووقع في بعض الطرق انه صلى الله عليه

وسلم صلى بالانبياء في السموات واما قوله عليه السلام في الحديث ثم رفع الى البيت المعمور فمعناه
اظهار به وقد يحتمل ان يكون المراد الرفوع والروية معًا لانه قد يكون بينه وبين البيت المعمور
نحو البرجين لا يقدر على دراكه فرفع اليه وامه في بصره وبصيرته حتى راه **وروى الطبري**
من حديث سعيد بن ابي عروبة عن قتادة قال ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
البيت المعمور مسجد في السماء بحذاء الكعبة لو خر لخر عليها يدخله سبعون الف ملك كل يوم اذا
خرجوا منه لم يعودوا وفي هذا دليل على عظيم قدرة الله تعالى وانه لا يعجزه شيء ممكن لان هذا
البيت المعمور يصلي فيه كل يوم هذا العدد العظيم منذ خلق الله تعالى الخلق الى الابد ثم طائفة
هذا اليوم لا ترجع اليه ابدا ومع انه قد روي انه ليس في السموات موضع شبر الا وملك واضع
جبهته هناك ساجدا ثم البحار وما من قطرة الا وبها ملك موكل فاذا كانت السموات والارض
والبحار هكذا فهو اكثر الملائكة الذين يدخلون البيت المعمور هذا من عظيم القدرة التي لا يشبهها
شيء **وفي هذا** دليل على ان الملائكة اكثر المخلوقات لانه اذا كان سبعون الف ملك كل يوم تصلي
في البيت المعمور وعلى ما تقدم ثم لا يعودون مع ان الملائكة في السموات والارض والبحار **وفي** خبر
ابي هريرة عند ابن مردويه وابن ابي حاتم ان في السماء نهرا يقال له الحيوان يدخله جبريل
كل يوم فينغمس ثم يخرج فينتفض فيخرج عنه سبعون الف قطرة يخلق الله من كل قطرة ملكا
فهم الذين يصلون فيه اي في البيت المعمور ثم لا يعودون اليه واسناده ضعيف **وفي** الامام
فخر الدين الرازي عند تفسير قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون انه روي عن عطاء ومقاتل والضحاك
عن ابن عباس انه قال ان عن يمين العرش نهرا من نور مثل السموات السبع والارضين السبع
والبحار السبع يدخل فيه جبريل عليه السلام كل سحر ويغتسل فيه فيزداد نورا الى نوره
وجمالا الى جماله ثم ينتفض فيخلق الله تعالى من كل نقطة تقع من ريشه كذا وكذا الف ملك
يدخل منهم كل يوم سبعون الفا ثم لا يعودون اليه الى ان تقوم الساعة **وقد روي** ان لله ملائكة
يسبحون الله تعالى فيخلق الله تعالى بكل تسبيحة ملكا هذا اما عدا الملائكة التي للتعبد واما الملائكة
الموكلين بالنبات والارزاق والحفظة والملك الموكل بتصوير ابن آدم والملائكة الذين ينزلون في الليل
والملائكة الذين يكتبون الناس يوم الجمعة وخزنة الجنة والملائكة الذين يتعاقبون والذين يؤمنون
على قراءة المصلي والذين يقولون ربنا ولك الحمد والذين يدعون لمنتظر الصلاة والذين يلعنون من هجرت
فراش زوجها **وروي** ان في السماء الدنيا وهي من موج ودخان ملائكة خلقوا من نار وريح عليهم ملك
يقال له الرعد وهو ملك موكل بالسحاب والمطر يقولون سبحان ذي الملك والملكوت وفي السماء الثانية
ملائكة على الوان شتى رافعين اصواتهم يقولون سبحان ذي العزة والجبروت وان فيها ملكا نصف جسده
من نار ونصف جسده من ثلج فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفي النار وهو يقول يا من الف بين الثلج
والنار الف بين قلوب عبادك وان في الثالثة وهي من حديد ملائكة ذوو اجنحة ووجوه شتى واصوات
شتى رافعوا اصواتهم بالتسبيح يقولون سبحانك انت الله الحي الذي لا يموت وهم صفوف قيام كانهم
بنيان مرصوص لا يعرف احدهم لون صاحبه من خشية الله وان في الرابعة وهي من نحاس ملائكة
يضعفون على ملائكة الثالثة وكذلك كل سماء اكثر عددا من السماء التي تليها وان ملائكة السماء الرابعة
قيام وركوع وسجود على الوان شتى من العبادة يبعث الله الملك منهم الى الامر من اموره فينطلق

فينزل

ثم ينصرف فلا يعرف صاحبه الذي الى جنبه من شدة البكاء وهم يقولون سبوح قدوس ربنا الرحمن
الذي لا اله الا هو وان في الخامسة وهي فضة ملائكة يزيدون على ملائكة الاربع سموات وهم سجود
وركوع لم يرفعوا ابصارهم الى يوم القيامة فاذا كان يوم القيامة قالوا ربنا لم نعبدك حق عبادتك
وان في السادسة وهي من ذهب جند الله الاعظم الكروبيون لا يحصي عددهم الا الله تعالى وعليهم ملك
له سبعون الف ملك جنده ولكل ملك منهم جنوده سبعون الف ملك وهم الذين يبعثهم الله في اموره
الى اهل الدنيا رافعون اصواتهم بالتسبيح والتهليل وان في السابعة وهي من ياقوتة حمراء من الملائكة
ما يزيدون على ما تقدم وعليهم ملك مقدم على سبع ماية الف ملك منهم جنود مثل قطر السماء وثرى
الثرى والرمل والسهل وعدد الحصى والورق وعدد كل خلق السموات والارض ويخلق الله تعالى
في كل يوم ما يشاء وما يعلم جنود ربك الا هو وان حملة العرش لكل ملك منهم وجوه شتى واعين شتى
في جسده ولا يشبه بعضها بعضا رافعة اصواتهم بالتهليل ينظرون الى العرش لا يفترون لو ان
الملك منهم نشر جناحيه لطبق الدنيا بريشة من جناحه لا يعلم عددهم الا الله **وحملة العرش**
ثمانية يتجاوبون بصوت حسن رخيم تقول اربعة منهم سبحانك وبحمدك على حلمك بعد علمك وتقول
اربعة سبحانك وبحمدك على عفوك بعد قدرتك **وقد روى** الطبراني من حديث ابن عباس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل على اي شيء انت قال على الريح والجنود قال وعلى اي شيء
ميكائيل قال على النبات والقطر قال وعلى اي شيء ملك الموت قال على قبض الارواح الحديث وفيه
محمد بن عبد الرحمن بن ابي ليلى وقد ضعف لسوء حفظه ولم يترك **وروى** الترمذي من حديث
ابي سعيد مرفوعا وزيراي من اهل السماء جبريل وميكائيل الحديث **وروى** النقاش ان اسرافيل
اول من سجد من الملائكة وانه جوزي بولاية اللوح المحفوظ وفي كتاب العظمة لابي الشيخ بن حيان
من ذلك العجب العجاب وعندي منه الجزء الثاني **وقد** وقعت من غير رواية البخاري هنا زيادات
فمنها ما وقع في رواية ابي سعيد الخدري عند البيهقي في دلائله ثم صعدت الى السماء السابعة
فاذا ابراهيم الخليل ساند ظهره الى البيت المعمور كاحسن الرجال ومعه نفر من قومه فسلمت
عليه وسلم علي واذا امتي شطرين شطر عليهم ثياب بيض كانهم القراطيس وشطر عليهم ثياب رمدة
قال فدخلت البيت المعمور ودخل معي الذين عليهم الثياب البيض وحجب الآخرون الذين عليهم ثياب
رمدة فصليت انا ومن معي في البيت المعمور وفي رواية الطبراني فاذا هو برجل اشمط جالس
عند باب الجنة على كرسي وعنده قوم جلوس بيض الوجوه امثال القراطيس وقوم في الوانهم شيء
فدخلوا نهرا فاغتسلوا فيه فخرجوا وقد خلص من الوانهم شيء ثم دخلوا نهرا آخر فاغتسلوا فيه وقد خلص
الوانهم وصارت مثل الوان البيض الوجوه فقال من هذا ومن هؤلاء الذين في الوانهم شيء وما هذه
الانهار التي دخلوا فيها فجاؤوا وقد صفت الوانهم قال هذا ابوك ابراهيم اول من شمط على الارض واما هؤلاء
البيض الوجوه فقوم لم يلبسوا ايمانهم بظلم واما هؤلاء الذين في الوانهم شيء فقوم خلطوا عملا صالحا
وآخر سيئا فتابوا فتاب الله عليهم واما الانهار فاولها رحمة الله والثاني نعمة الله والثالث وسقاهم ربهم
شرابا طهورا وفي رواية البخاري في الصلاة ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى اسمع فيه صريف الاقلام
الحديث والمستوى المصعد وصريف الاقلام بفتح الصاد المهملة تصويتها حالة الكتابة والمراد ما تكتبه
الملائكة من اقضية الله تعالى والقدر المكتوب قديم وانما الكتابة حادثة وظاهر الاخبار ان اللوح المحفوظ

فرغ من كتابته وجف القلم بما فيه قبل خلق السموات والارض فانما هذه الكتابة في صحف الملايكة
كالفروع المنتسخة من الاصل وفيها الاثبات والمحو على ما ذكر في الاثر ومن ذكر ابن القيم ان
الاقلام اثنا عشر قلما وانها متفاوتة من الرتب فاعلاها واجلها قدرا قلم القدر السابق الذي
كتب الله به مقادير الخلايق كما في سنن ابي داود عن عبادة بن الصامت قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ان اول ما خلق الله تعالى القلم قال له اكتب قال رب وما اكتب قال اكتب
مقادير كل شي حتى تقوم الساعة فهذا القلم اول الاقلام واجلها وقد قال غير واحد من اهل التفسير
انه القلم الذي اقسم الله به والقلم الثاني قلم الوحي والثالث قلم التوقيع عن الله ورسوله والرابع
قلم طب الابدان يحفظ به صحتها والخامس قلم التوقيع عن الملوك ونوابهم وبه تساس الممالك والسادس
قلم الحساب وهو الذي ينضبط به الاموال مستخرجها ومصروفها ومقاديرها وهو قلم الارزاق
والسابع قلم الحكم الذي يثبت به الحقوق وينفذ به القضايا والثامن قلم الشهادة الذي يحفظ به الحقوق
والتاسع قلم التعبير وهو كاتب وحي المنام وتفسيره وتعبيره والعاشر قلم تواريخ العالم ووقايعه
والحادي عشر قلم اللغة وتفاصيلها والثاني عشر القلم الجامع فهو قلم الرد على المبطلين ودفع شبه
المحرفين فهذه الاقلام التي بها انتظام مصالح العالم قال ويكفي في جلالة القلم انه لم تكتب كتب الله
الا به وانه تعالى اقسم به في كتابه انتهى ملخصا من كتاب اقسام القران وقد وقع في رواية ابي ذر من
الزيادة ايضا عند مسلم وغيره ثم دخلت الجنة فاذا فيها جنابذ اللولو واذا ترابها المسك الحديث
والجنابذ بالجيم ثم النون المفتوحتين ثم الف موحدة ثم ذال معجمة هي القباب ويويده ما في التفسير
من البخاري من حديث قتادة عن انس لما عرج به صلى الله عليه وسلم قال اتيت على نهر حافتاه قباب
اللولو واما ما في كتاب الصلاة من البخاري واذا فيها حبايل اللولو بالمهملة والموحدة وآخره لام
فقال القاضي عياض وغيره هو تصحيف وفي حديث الامام احمد من رواية حذيفة فتحت لهما
ابواب السما قال فرايت الجنة والنار وفي حديث ابي سعيد انه عرضت علي الجنة وان رمانها
كانه الدلا واذا طيرها كانه البخت وانه عرضت عليه النار فاذا هي لو طرح فيها الحجارة والحديد
لاكلتها ووقع عند مسلم من طريق همام عن قتادة عن انس بينا انا اسير في الجنة اذا انا بنهر
حافتاه قباب الدر المجوف واذا طينته مسك اذفر فقال جبريل هذا الكوثر وفي رواية ابي عبيدة
ابن عبد الله بن مسعود عن ابيه ان ابراهيم عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا بني انك
لاق ربك الليلة وان امتك آخر الامم واضعفها فان استطعت ان تكون حاجتك في امتك فافعل
ووقع في حديث ابي سعيد الخدري عند البيهقي ثم صعد بي الى السما السابعة قال ثم رفعت
الى سدرة المنتهى فاذا كل ورقة منها تغطي هذه الامة واذا فيها عين تجري يقال لها السلسبيل
فينشق منها نهران احدهما الكوثر والآخر يقال له الرحمة فاغتسلت فيه فغفر لي ما تقدم من ذنبي
وما تاخر ثم رفعت الى الجنة فاستقبلتني جارية فقلت لمن انت يا جارية قالت لزيد بن حارثة
وفيه واذا رمانها كانه الدلا عظما ثم عرضت على النار فاذا فيها غضب الله وزجره ونقمته لو طرح
فيها الحجارة والحديد لاكلتها ثم اغلقت دوني وفي الطبراني من حديث عايشة لما كان ليلة اسري بي
الى السما ادخلت الجنة فوقفت على شجرة من اشجار الجنة لم ار في الجنة شجرة احسن منها
ولا ابيض منها ولا اطيب منها ثمرة فتناولت ثمرة من ثمرها فاكلتها فصارت نطفة في صلبي فلما

هبطت الى الارض واقعت خديجة فحملت بفاطمة وهو حديث ضعيف وفيه التصريح بالاسرا كان
قبل ولادة فاطمة وهي ولدت قبل النبوة بسبع سنين وهي ولا ريب ان الاسرا كان بعد النبوة
وذكر ابو الحسن بن غالب فيما تكلم فيه على احاديث الحجب السبعين والسبعماية والسبعين الف
وعزاها لابي الربيع بن سبع في شفاء الصدور من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال بعد ان ذكر منه احاديث الاسرا كما ورد في الامهات اتاني جبريل وكان السفير بي الى
ان انتهى الى مقام ثم وقف عند ذلك فقلت يا جبريل في مثل هذا المقام يترك الخليل خليله فقال
ان تجاوزته احترقت بالنور فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل هل لك من حاجة الى ربك
فقال يا محمد سل الله لي ان ابسط جناحي على الصراط لامتك حتى يجوزوا عليه قال النبي صلى الله
عليه وسلم ثم زج بي في النور زجا فخرقت سبعين الف حجاب ليس فيها حجاب يشبه حجابا وانقطع
عني حس كل ملك وانسي فلحقني عند ذلك استيحاش فعند ذلك نادى مناد بلغة ابي بكر قف
ان ربك يصلي فبينا انا اتفكر في ذلك فاقول هل سبقني ابو بكر فاذا النداء من العلي الاعلى ادن
يا خير البرية ادن يا احمد ادن يا محمد ليدن الحبيب فادناني ربي حتى كنت كما قال تعالى ثم دنى فتدلى
فكان قاب قوسين او ادنى قال وسالني ربي فلم استطع ان اجيبه فوضع يده بين كتفي بلا
تكييف ولا تحديد فوجدت بردها فاورثني علم الاولين والآخرين وعلمني علوما شتى فعلم
أخذ علي كتمانه اذ علم انه لا يقدر على حمله احد غيري وعلم خيرني فيه وعلمني القران فكان
جبريل عليه السلام يذكرني به وعلم امرني بتبليغه الى العام والخاص من امتي قال ولقد عاجلت
جبريل عليه السلام في اية نزل بها فعاتبني ربي وانزل علي ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى
اليك وحيه وقل رب زدني علما ثم قلت اللهم انه لما لحقني استيحاش قبل قدومي عليك سمعت
مناديا ينادي بلغة تشبه لغة ابي بكر فقال لي قف فان ربك يصلي فعجبت من هاتين هل سبقني
ابو بكر الى هذا المقام وان ربي لغني عن ان يصلي فقال تعالى انا الغني عن ان اصلي لاحد
وانما اقول سبحاني سبقت رحمتي غضبي اقرا يا محمد هو الذي يصلي عليكم وملايكته ليخرجكم
من الظلمات الى النور وكان بالمومنين رحيما فصلاتي رحمة لك ولامتك واما امر صاحبك يا محمد
فان اخاك موسى كان انسه بالعصى فلما اردنا كلامه قلنا وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي
وشغل بذكر العصا عن عظيم الهيبة وكذلك انت يا محمد لما كان انسك بصاحبك ابي بكر وانك
خلقت وهو من طينة واحدة وهو انيسك في الدنيا والآخرة خلقنا ملكا على صورته يناديك بلغته
ليزول عنك الاستيحاش لئلا يلحقك من عظيم الهيبة ما يقطعك عن فهم ما يراد منك ثم قال الله
تعالى واين حاجة جبريل فقلت اللهم انك اعلم فقال له يا محمد قد اجبته فيما سال ولكن فيمن احبك
وصحبك وفي رواية فتقدمت وجبريل على اثري حتى انتهى بي الى حجاب فراش الذهب فحرك الحجاب
فقيل من هذا قال انا جبريل ومعي محمد صلى الله عليه وسلم قال الملك الله اكبر فاخرج يده من تحت
الحجاب فاحتملني فوضعني بين يديه في اسرع من طرفة عين وغلظ الحجاب مسيرة مايتي عام
فقال تقدم يا محمد فمضيت فانطلق بي الملك في اسرع من طرفة عين الى حجاب اللولو فحرك الحجاب
فقال الملك من وراء الحجاب من هذا قال انا فلان صاحب حجاب الذهب وهذا محمد صلى الله عليه
وسلم رسول رب العزة معي فقال الله اكبر فاخرج يده من تحت الحجاب فاحتملني حتى وضعني بين

يديه فلم ازل كذلك من حجاب الى حجاب حتى جاوزني سبعين حجابا غلظ كل حجاب مسيرة خمسمائة عام ثم دلي لي رفرف أخضر يغلب نوره ضوء الشمس فالتمع بصري ووضعت على ذلك الرفرف ثم احتملني حتى وصلت الى العرش فابصرت امرا عظيما لا تناله الالسن ثم تدلى الي قطرة من العرش فوقعت على لساني فما ذاق الذائقون شيئا قط احلى منها فانبأني الله بنبأ الاولين والاخرين ونور قلبي وغشي نور عرشه بصري فلم ار شيئا فجعلت أرى بقلبي ولا ارى بعيني وارى من خلفي ومن بين كتفي كما ارى امامي الحديث والذي قبله في كتاب الشفا كما ذكره ابن غالب والشهادة في ذلك عليه وتكثير الحجب لم ترد في طريق صحيح ولم يصح في ذلك غير ما في مسلم حجابه النور والرفرف البساط وقيل انه في الاصل ما كان من الديباج وغيره رقيق حسن الصنعة ثم اتسع فيه

واعلم انما ذكر في هذا المحل الرفيع من الحجب فهو في حق المخلوق لا في حق الخالق عز وجل والله سبحانه وتعالى منزه عما يحجبه اذ الحجب انما تحيط بمقدر محسوس فالخلق كلهم محجوبون عنه تعالى بمعاني الاسماء والصفات والافعال وسائر المخلوقات من معاني الانوار والظلمات كل له مقام من الحجب معلوم وحظ من الادراك والمعرفة مقسوم واقرب الخلق الى الله تعالى الملائكة الحافون والكروبيون وهم محجوبون بنور المهابة والعظمة والكبرياء والجلال والقدس والقيومية حجب الذات بالصفات وهم في الحجب عنه طبقات مختلفات كل على مقام معلوم ودرجات وبالجملة فالمخلوقات كلها لما كانت حجابا عن الخالق فقوم حجبوا برؤية النعم عن المنعم وبرؤية الاحوال عن المحول وبرؤية الاسباب عن المسبب وقوم حجبوا بالعلم عن العلم وبالفهم عن الفهم وبالعقل عن العقل وذلك كله من معنى حجاب النعم عن المنعم والمواهب عن الوهاب وقوم حجبوا بالشهوات المباحة وقوم بالشهوات المحرمات والمعاصي والسيئات وقوم حجبوا بالمال والبنين وزينة الحياة الدنيا اللهم لا تحجب قلوبنا عنك في الدنيا ولا ابصارنا في الاخرة يا كريم وفي الصحيح عن انس قال عرج بي جبريل الى سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة جل جلاله فتدلى حتى كان منه قاب قوسين او ادنى فاوحى اليه ما اوحى الحديث وهذا الدنو والتدلي المذكور في هذا الحديث وغيره من احاديث المعراج غير الدنو والتدلي في قوله تعالى في سورة النجم ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى وان اتفقا في اللفظ فان الصحيح ان المراد في الاية جبريل لانه الموصوف بما ذكر من اول السورة الى قوله ولقد راه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى هكذا فسره النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح قالت عائشة رضي الله عنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الاية فقال ذاك جبريل لم اره في صورته التي خلق عليها الا مرتين ولفظ القرآن لا يدل على غير ذلك من وجوه احدها انه قال علمه شديد القوى وهذا جبريل الذي وصفه بالقوة في سورة التكوير الثاني انه قال ذو مرة اي حسن الخلق وهو الكريم الذي في سورة التكوير الثالث انه قال فاستوى وهو بالافق الاعلى وهو ناحية السماء العليا وهذا استواء جبريل عليه السلام واما استواء الرب جل جلاله فعلى عرشه الرابع انه قال ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى فهذا دنو جبريل وتدليه الى الارض حيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم واما الدنو والتدلي في حديث المعراج فرسول الله صلى الله عليه وسلم كان فوق السموات فهناك دنى الجبار منه وتدلى الخامس انه قال ولقد راه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى والذي عند سدرة

المنتهى قطعا هو جبريل وبهذا فسره النبي صلى الله عليه وسلم فقال ذاك جبريل السادس ان مفسر الضمير في قوله ولقد راه وفي قوله ثم دنى فتدلى وفي قوله فاستوى وفي قوله وهو بالافق الاعلى واحد فلا يجوز ان تخالف بين المفسرين من غير دليل السابع انه سبحانه اخبر ان هذا الذي دنا فتدلى كان بالافق الاعلى وهو افق السماء بل تحتها فدنى من الارض فتدلى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ودنو الرب تبارك وتعالى وتدليه على ما في حديث شريك كان فوق العرش لا الى الارض ثم نفى سبحانه وتعالى عن نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله سبحانه ما زاغ البصر وما طغى بعض ما يراه الذي لا ادب له بين يدي الملوك والعظماء من التفاته يمينا وشمالا ومجاوزة بصره لما بين يديه واخبر عنه بكمال الادب في ذلك المقام وفي تلك الحضرة اذ لم يلتفت جانبا ولا مد بصره الى غير ما اري من الايات وما هناك من العجائب بل قام مقام العبد الذي اوجب ادبه اطراقه واقباله على ما اريه دون التفاته الى غيره ودون تطلعه الى ما لم يره مع ما في ذلك من ثبات الجأش وسكون القلب وطمأنينته وهذا غاية الكمال وقال في معراج السالكين وفي هذه الاية اسرار عجيبة هي من غوامض الاداب اللائقة باكمل البشر صلوات الله وسلامه عليه تواطأ هناك بصره وبصيرته وتوافقا وتصادقا فيما شاهده بصره فالبصيرة مواطئة له وما شاهده ببصيرته فهو ايضا حق مشهود بالبصر فتواطأ في حقه اي ما كذب الفؤاد ما راه ببصره ولهذا قرأها هشام وابو جعفر ما كذّب الفؤاد ما راى بتشديد الذال اي لم يكذب القلب البصر بل صدقه وواطأه بصحة الفؤاد والبصر وكون المرئي المشاهد بالبصر والبصيرة حقا وقرأ الجمهور ما كذب الفؤاد بالتخفيف وهو متعد وما ارى مفعوله اي ما كذب قلبه ما رأت عيناه بل واطأه ووافقه فلمواطأة قلبه لقالبه وظاهره لباطنه وبصره لبصيرته لم يكذب الفؤاد البصر ولم يتجاوز البصر حده فيطغى ولم يمل عن المرئي فيزيغ بل اعتدل البصر على المرئي ما جاوزه ولا مال عنه كما اعتدل القلب في الاقبال على الله تعالى والاعراض عما سواه فانه اقبل على الله تعالى بكليته واعرض عما سواه بكليته وللقلب زيغ وطغيان كما ان للبصر زيغا وطغيانا وكلاهما منتف عن قلبه وبصره فلم يزغ قلبه التفاتا عن الله الى غيره ولم يطغ بمجاوزته مقامه الذي اقيم فيه وهذا غاية الكمال والادب مع الله تعالى الذي لا يلحقه فيه سواه فان عادة النفوس اذا اقيمت في مقام عال رفيع ان تتطلع الى ما هو اعلا منه وفوقه الا ترى ان موسى عليه السلام لما اقيم مقام التكليم والمناجاة طلبت نفسه الرؤية ونبينا صلى الله عليه وسلم لما اقيم في ذلك المقام وفاه حقه ولم يلتفت بصره ولا قلبه الى غير ما اقيم فيه البتة ولاجل هذا ما عاقه عائق ولا وقف به مراد حتى جاوز السموات السبع فلم يعقه اراده ولم تقف به دون كمال العبودية همة ولهذا كان مركوبه في مسراه يسبق خطوه الطرف فيضع قدمه عند منتهى طرفه مشاكلا لحال راكبه وبعد شأوه الذي سبق به العالم اجمع في سيره فكان قدم البراق لا يتخلف عن موضع نظره كما كان قدمه صلى الله عليه وسلم لا يتاخر عن محل معرفته فلم يزل صلى الله عليه وسلم في خفارة كمال ادبه مع الله سبحانه وتكميل مرتبة عبوديته له حتى خرق حجب السموات وجاوز السبع الطباق وجاوز سدرة المنتهى ووصل الى محل من القرب سبق به الاولين والاخرين فانصبت اليه هناك اقسام القرب انصبابا وانقشعت عنه سحائب الحجب ظاهرا وباطنا حجابا حجابا واقيم مقاما غبطه به الاولون والاخرون واستقام

هناك على صراط مستقيم من كمال ادبه مع الله تعالى ما زاغ البصر وما طغى فاقامه في هذا العالم
على اقوم صراط على الحق والهدى واقسم بكلامه القديم على ذلك في الذكر الحكيم فقال يس والقرآن الحكيم
انك لمن المرسلين على صراط مستقيم فاذا كان يوم المعاد اقامه على الصراط فسأل السلامة لاتباعه
واهل سنته حتى يجوزوا الى جنات النعيم وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم
ثم ان ما ذكر هنا من القرب والدنو المراد به تاكيد المحبة والعزة ورفع المنزلة والرتبة قال
جعفر الصادق لما قرب الحبيب من الحبيب غاية القرب نالته غاية الهيبة فلاطفه الحق تعالى بغاية
اللطف وذلك قوله جل جلاله فاوحى الى عبده ما اوحى اي كان ما كان وجرى ما جرى وقال الحبيب
للحبيب ما يقول الحبيب للحبيب والطف به الطاف الحبيب للحبيب فخفي السر ولم يطلع عليه احد
ولم يعلم احد ما اوحى الا الذي اوحى وقال غيره في قوله فاوحى الى عبده ما اوحى ابهمه لعظمه
فان الابهام قد يقع للتعظيم فهو مبهم لا نطلع عليه بل نتعبد بالايمان به وقيل بل هو مفسر بالاخبار
الواردة قال سعيد بن جبير اوحى الله تعالى اليه صلى الله عليه وسلم الم اجدك يتيما فآويتك
الم اجدك ضالا فهديتك الم اجدك عائلا فاغنيتك الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك
الذي انقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك وقيل اوحى الله تعالى اليه ان الجنة حرام على الانبياء حتى تدخلها
يا محمد وعلى الامم حتى تدخلها امتك ذكره الثعلبي والقشيري وقيل اوحى الله اليه خصصتك بحوض
الكوثر فكل اهل الجنة اضيافك بالماء ولهم الخمر واللبن والعسل ذكره القشيري وذكر ايضا انه اوحى
اليه ما اوحى الى الرسل لقوله تعالى ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك وقيل اوحى الله اليه
الصلوات الخمس ذكره النقاش وفي رواية ابي سعيد الخدري عند البيهقي ان الله تعالى قال له
صلوات الله وسلامه عليه سل فقال انك اتخذت ابراهيم خليلا واعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى
تكليما واعطيت داود ملكا عظيما والنت له الحديد وسخرت له الجبال واعطيت سليمان ملكا عظيما
وسخرت له الانس والجن والشياطين وسخرت له الرياح واعطيته ملكا لا ينبغي لاحد من بعده
وعلمت عيسى التوراة والانجيل وجعلته يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى باذنك واعذته وامه
من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما سبيل فقال ربه تعالى قد اتخذتك حبيبا فهو مكتوب
في التوراة حبيب الرحمن وارسلتك الى الناس كافة بشيرا ونذيرا وشرحت لك صدرك
ووضعت عنك وزرك ورفعت لك ذكرك فلا اذكر الا ذكرت معي وجعلت امتك خير امة
اخرجت للناس وجعلت امتك امة وسطا وجعلت امتك هم الاولون وهم الآخرون وجعلت
امتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا انك عبدي ورسولي وجعلت من امتك اقواما قلوبهم
اناجيلهم وجعلتك اول النبيين خلقا وآخرهم بعثا واولهم يقضى له واعطيتك سبعا من المثاني
لم اعطها نبيا قبلك واعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت عرشي لم اعطها نبيا قبلك
واعطيتك الكوثر واعطيتك ثمانية اسهم الاسلام والهجرة والجهاد والصلاة والصدقة وصوم
رمضان والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وجعلتك فاتحا وخاتما وفي اسناده ابو جعفر الرازي
ضعفه بعضهم وقال ابو زرعة متهم وقال ابن كثير الاظهر انه سيئ الحفظ وذكر الفخر الرازي
عن والده قال سمعت ابا القاسم سليمان الانصاري يقول لما وصل محمد صلى الله عليه وسلم
الى الدرجات العالية والمراتب الرفيعة في المعراج اوحى الله تعالى اليه يا محمد بم اشرفك قال

يا رب بنسبتي اليك بالعبودية فانزل الله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده فسماه تعالى بهذا
الاسم لتحققه صلى الله عليه وسلم بالاسم الاعظم واتصافه بجميع صفاته فلا يصلح هذا الاسم
الحقيقة الا له عليه الصلاة والسلام وللاقطاب من بعده بتبعيته لا بالحقيقة وان اطلق
على غيره مجازا وبرحم الله الا وبب برهان الدين القيراطي فلقد اجاد حيث قال

ودعتني بالعبد يوما فقال لي قد دعته باشرف الاسماء

ولبعض اهل الاشارات كان الله تعالى قال له يا محمد قد اعطيتك نورا تنظر به جمالي وسمعا
تسمع به كلامي يا محمد اني اعرفك بلسان الحال معنى عروجك الي يا محمد ارسلتك الى الناس
شاهدا ومبشرا ونذيرا والشاهد مطالب بحقيقة ما يشهد به فاريتك جنتي لتشاهد ما اعددت
فيها لاوليائي واريتك ناري لتشاهد ما اعددت فيها لاعدائي ثم اشهدتك جلالي واكشف لك عن جلالي
لتعلم اني منزه في كمالي عن الشبيه والنظير والوزير والسوير فرآه صلى الله عليه وسلم بالبصر
الذي تراه من غير ادراك ولا احاطة فردا صمدا لا في شيء ولا من شيء ولا قائما بشيء ولا محتاجا
ولا مفتقرا الى شيء ليس كمثله شيء فلما كلمه شفاها وشاهده كفاحا قيل له يا محمد لا بد
لهذه الخلوة من سر لا يذاع ورمز لا يشاع فاوحى الى عبده ما اوحى فكان سرا من سر
لم يقف عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل وانشد لسان الحال

بين المحبين سر ليس يفشيه قول ولا قلم في الكون يحكيه

سر يمازجه انس يقابله نور تحير في بحر من التيه

ولما انتهى الى العرش تمسك العرش باذياله وناداه بلسان حاله يا محمد انت في صفاء وقتك
آمنا من مقتك اشهدك جمال احديته واطلعك على جلال صمديته وانا الظمآن اليه اللهفان
عليه المتحير فيه لا ادري من اي وجه آتيه جعلني اعظم خلقه فكنت اعظمهم منه هيبة
واكثرهم فيه حيرة واشدهم منه خوفا يا محمد خلقني فكنت ارعد لهيبة جلاله فكتب على قائمتي
لا اله الا الله فازددت لهيبة اسمه ارتعاشا واد ارتعاشا فكتب محمد رسول الله فسكن لذلك قلقي
وهدأ روعي فكان اسمك لقاحا لقلبي وطمأنينة لسري فهذه بركة اسمك علي فكيف اذا وقع
جميل نظرك الي يا محمد انت المرسل رحمة للعالمين ولا بد لي من نصيب من هذه الرحمة
ونصيبي يا حبيبي ان تشهد لي بالبراءة مما نسبه اهل الزور الي وتقوله اهل الغرور علي
زعموا اني اسع من لا مثل له واحيط بمن لا كيفية له يا محمد من لا حد لذاته ولا عد لصفاته
كيف يكون مفتقرا الي او محمولا علي اذا كان الرحمن اسمه والاستواء صفته وصفته متصلة
بذاته فكيف يتصل بي او ينفصل عني يا محمد وعزته لست بالقريب منه وصلا ولا
بالبعيد عنه فصلا ولا بالمطيق له حملا اوجدني منه رحمة وفضلا ولو محقني لكان عدلا منه
وعدلا يا محمد انا محمول قدرته ومعمول حكمته فاجاب لسان حال سيدي زاده الله فضلا
وشرفا لديه وصلوات الله وسلامه عليه ايها العرش اليك عني انا مشغول عنك
فلا تكدر علي صفوتي ولا تشوش علي خلوتي فما اعاره صلى الله عليه وسلم منه طرفا ولا قرأ
من مسطوره حرفا ما اوحى اليه حرفا ما زاغ البصر وما طغى وورد في بعض الاخبار الا سندا
حما ذكره العلامة ابن مرزوق في شرحه لبردة المديح انه صلى الله عليه وسلم لما كان ليلة

تعالى قال قوسين قال اللهم انك عذبت الامم بعضهم بالحجارة وبعضهم بالخسف وبعضهم
بالمسخ فما انت فاعل بامتي قال انزل عليهم الرحمة وابدل سيئاتهم حسنات ومن دعاني منهم
لبيته ومن سالني اعطيته ومن توكل علي كفيته وفي الدنيا استر على العصاة وفي الاخرة
اشفعك فيهم ولولا ان الحبيب يحب معاتبة حبيبه لما حاسبت امتك ولما اراد صلى الله عليه
وسلم الانصراف قال يا رب لكل قادم من سفره تحفة فما تحفة امتي قال الله تعالى انا لهم
ما عاشوا وانا لهم اذا ماتوا وانا لهم في القبور وانا لهم في النشور واعلم انه قد اختلف العلما
قديما وحديثا في رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه تعالى ليلة الاسرا فروى البخاري من حديث
مسروق قال قلت لعايشة يا امتاه هل راى محمد ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت اين انت
من ثلاث من حدثكهن فقد كذب من حدثك ان محمدا راى ربه فقد كذب ثم قرات لا تدركه الابصار
وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب
ومن حدثك انه يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرات وما تدري نفس ماذا تكسب غدا ومن حدثك
انه كتم فقد كذب ثم قرات يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك الاية ولكنه راى جبريل
في صورته مرتين وفي رواية مسلم من حدثك ان محمدا راى ربه فقد اعظم الفرية وقولها
قف شعري اي قام من الفزع لما حصل عندها من هيبة الله واعتقدته من تنزيهه واستحالة
وقوع ذلك قال النووي تبعا لغيره لم تنف عايشة وقوع الرؤية بحديث مرفوع ولو كان معها
لذكرته وانما اعتمدت الاستنباط على ما ذكرته من ظاهر الاية وقد خالفها غيرها من الصحابة
والصحابي اذا قال قولا وخالفه غيره منهم لم يكن ذلك القول حجة اتفاقا انتهى قال الحافظ
ابو الفضل العسقلاني جزمه بان عايشة لم تنف الرؤية بحديث مرفوع تبع ابن خزيمة وهو عجيب
فقد ثبت ذلك عنها في صحيح مسلم الذي شرحه الشيخ فعنده من طريق داود بن ابي هند
عن الشعبي عن مسروق في الطريق المذكورة قال مسروق وكنت متكيا فجلست فقلت الم
يقل الله ولقد راه نزلة اخرى فقالت انا اول هذه الامة سال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن هذا فقلت يا رسول الله هل رايت ربك فقال لا انما رايت جبريل منهبطا ثم احتجاج عايشة
رضي الله عنها بالاية خالفها فيه ابن عباس فاخرج الترمذي من طريق الحكم بن ابان
عن عكرمة عن ابن عباس قال راى محمد ربه قلت اليس يقول الله لا تدركه الابصار
قال ويحك ذاك اذا تجلى بنوره الذي هو نوره وقد راى ربه مرتين وقال القرطبي
الابصار في الاية جمع محلى بالالف واللام فيقبل التخصيص وقد ثبت ذلك سمعا في قوله
تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فيكون المراد الكفار بدليل قوله تعالى في الاية الاخرى
وجوه يومئذ ناضرة وان جازت في الاخرة جازت في الدنيا لتساوي الوقتين بالنسبة
الى المرئي انتهى وهو استدلال جيد وقال القاضي عياض رؤية الله تعالى جايزة عقلا
وليس في العقل ما يحيلها والدليل على جوازها سؤال موسى عليه السلام ثم قال وليس في الشرع
دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها اذ كل موجود فرؤيته جايزة غير مستحيلة ولا حجة
لمن استدل على منعها بقوله تعالى لا تدركه الابصار لاختلاف التاويلات في الاية انتهى وقد
روى ابن ابي حاتم بسنده عن اسمعيل بن علية في تاويل هذه الاية قال هذا في الدنيا

وقالوا

وقال آخرون من المعتزلة بمقتضى ما فهموه من هذه الاية انه لا يرى في الدنيا ولا في الاخرة
فخالفوا اهل السنة والجماعة في ذلك مع ما ارتكبوه من الجهل بما دل عليه كتاب الله وسنة
رسوله صلى الله عليه وسلم اما الكتاب فقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة
وقوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قال الامام الشافعي رحمه الله فدل هذا على ان
المؤمنين لا يحجبون عنه تبارك وتعالى واما السنة فقد تواترت الاخبار عن ابي سعيد
وابي هريرة وانس وجرير وصهيب وبلال وغير واحد من الصحابة عن النبي صلى الله عليه
وسلم ان المؤمنين يرون الله في الدار الاخرة في العرصات وفي روضات الجنات جعلنا الله
منهم وقيل المنفي في الاية ادراك العقول قال الحافظ ابن كثير وهو غريب جدا وخلاف
ظاهر الاية وقال آخرون لا منافاة بين اثبات الرؤية ونفي الادراك فان الادراك اخص من
الرؤية ولا يلزم من نفي الاخص انتفاء الاعم ثم اختلف هؤلاء في الادراك المنفي ما هو فقيل
معرفة الحقيقة فان هذا لا يعلمه الا هو وان راه المؤمنون كما ان من راى القمر فانه لا يدرك
حقيقته وكنهه وماهيته فالعظيم اولى بذلك وله المثل الاعلى وقال آخرون المراد بالادراك
الاحاطة قالوا ولا يلزم من عدم الاحاطة عدم الرؤية كما لا يلزم من عدم الاحاطة بالعلم
عدم العلم وفي صحيح مسلم لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك ولا يلزم منه
عدم الثنا فكذلك هذا وروى ابن ابي حاتم عن ابي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم في قوله لا تدركه الابصار قال لو ان الجن والانس والشياطين والملايكة منذ
خلقوا الى ان فنوا صفوا صفا واحدا ما احاطوا بالله ابدا قال ابن كثير غريب لا يعرف
الا من هذا الوجه ولم يروه احد من اصحاب الكتب الستة والله اعلم وحكى نسب لامام الحرمين
في لمع الادلة انه قال من اصحابنا من قال ان الرب تعالى يرى ولا يدرك لان الادراك ينبي
عن الاحاطة ودرك الغاية والرب جل جلاله تقدس عن الغاية والنهاية ثم قال فان احتجوا
بقوله تعالى في جواب موسى عليه السلام لن تراني وزعموا ان لن تفيد النفي على التابيد قلنا
هذه الاية اوضح الادلة على جواز الرؤية فانها لو كانت مستحيلة لكان معتقد جواز الرؤية
ضالا او كافرا وكيف يعتقد ما لا يجوز على الله من اصطفاه الله لرسالته واختاره لنبوته
وخصه بكرامته وشرفه بتكليمه وجعله افضل اهل زمانه وايده ببرهانه وكيف يجوز
على الانبياء الريب في امر يتعلق بعلم الغيب فيجب حمل الاية على ان ما اعتقده موسى عليه
السلام جوازه جايز لكن ظن ان من اعتقد جوازه ناجز فرجع النفي في الجواب الى الانجاز
وما سال موسى عليه السلام ربه في الحال فصرف النفي اليه والجواب يدل على قضية الخطاب
انتهى وقال البيضاوي من هذه الاية دليل على ان رؤيته تعالى جايزة في الجملة لان طلب
المستحيل من الانبيا محال وخصوصا ما يقتضي الجهل بالله ولذلك رده بقوله لن تراني
دون لن ارى انتهى ونقل القاضي عياض عن ابي بكر الهذلي في الاية ان المراد ليس لبشر
ان يطيق ان ينظر الي في الدنيا وانه من نظر الي مات قال وقد رايت لبعض السلف والمتاخرين
ما معناه ان رؤيته تبارك وتعالى في الدنيا ممتنعة لضعف تركيب اهل الدنيا وقواهم وكونها
متغيرة عرضا للافات والفنا فلم تكن لهم قوة على الرؤية فاذا كان في الاخرة وركبوا تركيبا

آخرون ثم قوي ثانية باقية واتم انوار ابصارهم وقلوبهم قووا بها على الرؤية قال وقد رايت
نحو هذا لمالك بن انس رحمه الله قال لم ير في الدنيا لانه باق ولا يرى الباقي بالفاني فاذا كان
في الآخرة ورزقوا ابصارا باقية رأوا الباقي بالباقي وهذا كلام حسن مليح وليس فيه
دليل على الاستحالة الا من حيث ضعف القدرة فاذا قوى الله تعالى من شاء من عباده
واقدره على حمل اعباء الرسالة لم يمتنع في حقه انتهى والاستثناء في قوله الا من حيث
ضعف القوة ينبغي ان يكون منقطعا على معنى لكن من حيث ضعف القوة والا فضعف القوة
قصاراه ان يكون مانعا اي امتنع من جهة ضعف القوة لا من جهة كونه مستحيلا ويدل على هذا
قوله فاذا قوى الله تعالى من شاء من عباده واقدره على حمل اعباء الرؤية لم يمتنع في حقه
وقد وقع في صحيح مسلم ما يؤيد هذه التفرقة في حديث مرفوع فيه واعلموا انكم لن تروا ربكم
حتى تموتوا واخرجه ابن خزيمة ايضا من حديث ابي امامة ومن حديث عبادة بن الصامت
وفي تفسير ابن كثير ان في بعض كتب الله المتقدمة ان الله تعالى قال لموسى لما ساله الرؤية
يا موسى انه لا يراني حي الا مات فان جازت الرؤية في الدنيا عقلا فقد امتنعت سمعا لكن من اثبتها
للنبي صلى الله عليه وسلم له ان يقول ان المتكلم لا يدخل في عموم كلامه وقد جزم القشيري في الرسالة
بانها لا تجوز في الدنيا على جهة الكرامة وادعى حصول الاجماع عليه وحكى القاضي عياض امتناعها
في الدنيا في جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين وقال القشيري ايضا سمعت الامام ابا بكر
ابن فورك يحكي عن ابي الحسن الاشعري في ذلك قولين في كتاب الرؤية الكبير انتهى وقد ذهبت عائشة
وابن مسعود الى انه عليه الصلاة والسلام لم ير ربه ليلة الاسراء واختلف عن ابي ذر وذهب
جماعة الى اثباتها وحكى عبد الرزاق عن معمر عن الحسن انه حلف ان محمدا رأى ربه واخرج ابن
خزيمة عن عروة بن الزبير اثباتها وبه قال سائر اصحاب ابن عباس وجزم به كعب الاحبار
والزهري وصاحبه معمر وآخرون وهو قول الاشعري وغالب اتباعه ثم اختلفوا هل رآه بعينه
او بقلبه وجاءت عن ابن عباس اخبار مطلقة واخرى مقيدة فيجب حمل مطلقها على مقيدها
فمن ذلك ما اخرجه النسائي باسناد صحيح وصححه الحاكم ايضا من طريق عكرمة عن ابن عباس
قال اتعجبون ان تكون الخلة لابراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد ومنها ما اخرجه مسلم من
طريق ابي العالية عن ابن عباس في قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى ولقد رآه نزلة اخرى
قال رأى ربه بفؤاده مرتين وله من طريق عطاء عن ابن عباس قال رآه بقلبه واصرح
من ذلك ما اخرجه ابن مردويه من طريق عطاء ايضا عن ابن عباس قال لم يره رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعينه وانما رآه بقلبه وعلى هذا فيمكن الجمع بين اثبات ابن عباس ونفي عائشة
بان يحمل نفيها على رؤية البصر واثباته على رؤية القلب لكن روى الطبراني في الاوسط باسناد
رجاله رجال الصحيح خلا جهور بن منصور الكوفي وجهور بن منصور ذكره ابن حبان في الثقات
عن ابن عباس انه كان يقول ان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه مرتين مرة ببصره ومرة
بفؤاده ثم المراد برؤية الفؤاد رؤية القلب لا مجرد حصول العلم لانه صلى الله عليه وسلم كان
عالما بالله على الدوام بل مراد من اثبت له انه رآه بقلبه ان الرؤية التي حصلت له خلقت له
في قلبه كما خلق الرؤية بالعين لغيره والرؤية لا يشترط لها شيء مخصوص عقلا ولو جرت العادة

خلقها

خلقها في العين وروى ابن خزيمة باسناد قوي عن انس قال رأى محمد ربه وفي مسلم من حديث
ابي ذر انه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال نور اني اراه اي حجابه نور فكيف
اراه ومعناه ان النور منعني من الرؤية وعند احمد قال رأيت نورا ومن المستحيل ان تكون
ذات الله تعالى نورا اذ النور من جملة الاجسام والله تعالى يتعالى عن ذلك وعند ابن خزيمة
عنه قال رآه بقلبه ولم يره بعينه وبهذا يتبين مراده في حديث ابي ذر بذكر النور اي ان
النور حال بينه وبين رؤيته له ببصره وجنح ابن خزيمة في كتاب التوحيد الى ترجيح الاثبات واطنب
في الاستدلال بما يطول ذكره وحمل ما ورد عن ابن عباس على ان الرؤية وقعت مرتين مرة بقلبه
ومرة بعينه ومما يعزى للاستاذ عبد العزيز المهدوي انه صلى الله عليه وسلم لما رجع من
الاسرا اخبر العوالم من حيث فلكهم ومراتبهم ومنعا كل واحد من كاسه وعلى قدر عقله فخاطب
الكفار وهم آخر العوالم بما رأى في الطريق وما كان في المسجد الاقصى على العيان وبما يعرفون لانهم
في فلك الاجسام حتى صدقوا بالاسراء ثم ارتقى حتى حدث عن فلك السماء وكذلك في كل سماء
واخبر عن ما شاهد ورأى كل ملك وما يليق ان يحدث به اعني الصحابة كلا على قدر مرتبته
بلا ضيق ولا مزاحم الى السماء السابعة ولما وصل مقام جبريل تحدث عن الافق المبين وعما فوق
الى الله نور والى التدلي الى موضع الاجابة حضرة اسقاط الصور والخلق فاخبر بذلك اصحابه
فمنهم من قال رأى جبريل بالافق المبين وبالافق الاعلى وصدق ومنهم من قال برؤية الفؤاد
والبصيرة وصدق ونفى عائشة ومن معها ومنهم من قال بعيني راسه رأى وصدق فكل
اخبر بما حدثه صلى الله عليه وسلم من مقامه وسقاه من كاسه وما يليق به فاذا فتح هذا
المعراج عرفت الاسرا ومقامات الرؤية والقائلين بذلك واختلافهم وقولهم الجميع الحق انتهى
وممن اثبت الرؤية لنبينا صلى الله عليه وسلم الامام احمد فروى الخلال في كتاب السنة
عن المروزي قلت لاحمد انهم يقولون ان عائشة قالت من زعم ان محمدا رأى ربه فقد اعظم على
الله الفرية فباي شيء يدفع قولها قال بقول النبي صلى الله عليه وسلم رأيت ربي قول النبي
صلى الله عليه وسلم اكبر من قولها وقد انكر صاحب الهدي على من زعم ان احمد قال رأى ربه
بعيني راسه وهذا من تصرف الحاكي فان نصوصه موجودة انتهى وقد رجح القرطبي في المفهم
قول الوقف في هذه المسئلة وعزاه لجماعة من المحققين وقواه بانه ليس في الباب دليل
قاطع وغاية ما استدل به الطائفتان ظواهر متعارضة قابلة للتاويل قال وليست المسالة
من العمليات فيكتفى فيها بالادلة الظنية وانما هي من المعتقدات فلا يكتفى فيها الا بالدليل القطعي
والله اعلم واما قوله في الحديث ثم فرضت علي الصلاة خمسين صلاة كل يوم ففي رواية ثابت
البناني عن انس عند مسلم ففرض الله علي خمسين صلاة كل يوم وليلة ونحوه في رواية مالك
ابن صعصعة عند البخاري ايضا ويحتمل ان يقال ذكر الفرض عليه يستلزم الفرض على الامة
وبالعكس الا ما يستثنى من خصائصه وفي حديث ثابت عن انس عند مسلم فنزلت الى موسى
فقال ما فرض ربك على امتك قلت خمسين صلاة قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان
امتك لا يطيقون ذلك فاني قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت الى ربي فقلت يا رب
خفف عن امتي فحط عني خمسا فرجعت الى موسى فقلت حط عني خمسا فقال ان امتك لا يطيقون

ذلك فارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان امتك لا يطيقون ذلك فاني قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت الى ربي فقلت يا رب خفف عن امتي فحط عني خمسا فرجعت الى موسى فقلت حط عني خمسا فقال ان امتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فاسأله التخفيف قال فلم ازل ارجع بين ربي تعالى وبين موسى حتى قال يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا فان عملها كتبت سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته فقال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فقلت لقد رجعت الى ربي حتى استحييت منه وفي رواية النسائي عن انس فقيل لي اني يوم خلقت السموات والارض فرضت عليك وعلى امتك خمسين صلاة فقم بها انت وامتك ثم ذكر مراجعته مع موسى وفيه فانه فرض على بني اسرائيل صلاتان فما قاموا بهما وقال في آخره فخمس بخمسين فقم بها انت وامتك قال فعرفت انها عزمة من الله فرجعت فقال ارجع فلم ارجع فان قلت لم قال موسى عليه السلام لنبينا صلى الله عليه وسلم ان امتك لا يطيقون ذلك ولم يقل انك وامتك لا يطيقون اجيب لان العجز مقصور على الامة لا يتعداهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فهو لما رزقه الله تعالى من الكمال يطيق ذلك فاكثر منه وكيف لا وقد جعلت قرة عينه في الصلاة قال العارف ابن ابي جمرة والحكمة في تخصيص فرض الصلاة بليلة الاسرا انه صلى الله عليه وسلم لما عرج به رأى في تلك الليلة تعبد الملائكة وان منهم القائم فلم يقعد والراكع فلم يسجد والساجد فلا يقعد فجمع الله تعالى له ولامته تلك العبادة كلها في ركعة يصليها العبد بشرائطها من الطمأنينة والاخلاص وقد وقع من موسى عليه السلام من العناية بهذه الامة في امر الصلاة ما لم يقع لغيره ووقعت الاشارة لذلك كله في حديث ابي هريرة عند الطبراني والبزار قال صلى الله عليه وسلم كان موسى اشدهم علي حين مررت وخيرهم لي حين رجعت وفي حديث ابي سعيد فاقبلت راجعا فمررت بموسى ونعم الصاحب كان لكم فسألني كم فرض عليك ربك الحديث قال السهيلي واما اعتناء موسى عليه السلام بهذه الامة والحاحه على نبيها ان يشفع لها ويسأل التخفيف عنها فلقوله تعالى والله اعلم حين قضي اليه الامر بجانب الغربي ورأى صفات محمد صلى الله عليه وسلم في الالواح وجعل يقول اني اجد في الالواح امة صفتهم كذا اللهم اجعلهم امتي فيقال له تلك امة محمد وهو حديث مشهور وقد تقدم ذكره في خصائص هذه الامة قال فكان اشفاقه عليهم واعتناؤه بامرهم كما يعتني بالقوم من هو منهم لقوله اللهم اجعلني منهم انتهى وقال القرطبي الحكمة في امر موسى بمراجعة النبي صلى الله عليه وسلم في امر الصلوات يحتمل ان يكون لكون امة موسى عليه السلام كلفت من الصلوات ما لم يكلف به غيرها من الامم قبلها فثقلت عليهم فاشفق موسى على امة محمد صلى الله عليه وسلم مثل ذلك ويشير اليه قوله اني قد جربت الناس قبلك انتهى ووقع في كلام بعض اهل الاشارات لما تمكنت نار المحبة من قلب موسى عليه السلام اضاءت له انوار نور الطور فاسرع اليها ليقتبس فاحتبس فلما نودي في النادي اشتاق الى المناجاة فكان يطوف في بني اسرائيل من يحملني رسالة الى ربي ومراده ان يطول المناجاة مع الحبيب فلما مر عليه نبينا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ردده في امر الصلاة ليسعد برؤية حبيب

الحبيب وقال آخر لما سأل موسى عليه السلام الرؤية ولم تحصل له البغية بقي الشوق يتعلق بالامل يعلله فلما تحقق ان سيدنا محمدا الحبيب منح الرؤية وفتح له باب المزية اكثر السؤال ليسعد برؤية من قد رأى كما قيل وانشد يقول

واستنشق الارواح من نحو ارضكم ... لعلي اراكم او ارى من يراكم
واسأل عمن لاقيت عنكم عساكم ... تجودون لي بالعطف منكم عساكم
وانتم خيالي ان حييت وان امت ... فيا حبذا ان مت عبد هواكم

وقال آخر

وانما السر في موسى يردده ... ليجتلي حسن ليلى حين يشهده
يبدو سناها على وجه الرسول فيا ... لله در رسول حين اشهده

وقال آخر

يرنو ودلال لما كذب الفؤاد بما رأى بين عينيه ... وسرى فاوحى الى عبده ما اوحى قلبه وادنيه

فلما اجتاز بموسى عليه السلام قال بلسان حاله منشدا

يا واردا من اهيل الحي يخبرني ... عن جيرتي شنف الاسماع بالخبر
ناشدتك الله يا راوي حديثهم ... حدث فقد ناب سمعي اليوم عن بصري

فاجاب بلسان حال نبينا صلى الله عليه وسلم

ولقد خلوت مع الحبيب وبيننا ... سر ارق من النسيم اذا سرى
واباح طرفي نظرة املتها ... فغدوت معروفا وكنت منكرا

فكل قوم يحظون بمذهبهم وقد علم كل اناس مشربهم والله تعالى بفضله واحسانه يروي السجام سحائب عفوه ورضوانه على العارف الرباني عبد الرحمن السلمي فلقد اجاد اذ افاد بما افرده من لطائف المعراج حسبما جمعه من كلام اهل الاشارات باقوم منها وقد استدل العلماء بقوله في الحديث فهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فتلك خمسون على عدم فرضية ما زاد على الصلوات الخمس كالوتر وعلى دخول النسخ قبل الفعل قال ابن بطال وغيره الا ترى انه عز وجل نسخ الخمسين بالخمس قبل ان تصلى ثم تفضل عليهم بان اكمل لهم الثواب وتعقبه ابن المنير فقال هذا ذكره طوائف من الاصوليين والشراح وغيرهم وهو مشكل على من اثبت النسخ قبل الفعل كالاشاعرة او منعه كالمعتزلة لكونهم اتفقوا جميعا على ان النسخ لا يتصور قبل البلاغ وحديث الاسرا وقع فيه النسخ قبل البلاغ فهو مشكل عليهم جميعا انتهى فان اراد قبل البلاغ لكل احد فممنوع وان اراد قبل البلاغ الى بعض الامة فمسلم لكن قد يقال ليس هو بالنسبة اليهم نسخا لكن هو نسخ بالنسبة الى النبي صلى الله عليه وسلم لانه كلف بذلك قطعا ثم نسخ بعد ان بلغه وقبل ان يفعله فالمسألة صحيحة التصوير في حقه صلى الله عليه وسلم ولما رجع صلى الله عليه وسلم من سفر الاسراء مر في بعض طريقه بعير قريش يحمل طعاما فيها جمل عليه غرارتان غرارة سوداء وغرارة بيضاء فلما حاذوا بالعير نفرت منه واستدارت وانصرع ذلك البعير وفي رواية اضلوا بعيرا لهم قد جمعه فلان قال صلى الله عليه وسلم فسلمت عليهم فقال بعضهم هذا صوت محمد ثم اتى مكة قبل الصبح

واخبر قومه بارائي وقال طرآن من آية ما اقول لكم اني مررت بعيركم في مكان كذا وكذا وقد
اضلوا بعيرا لهم فجمعه فلان فان مسيرهم ينزلون مكان كذا وكذا ويأتونكم يوم كذا وكذا
يقدمهم جمل ادم عليه مسح اسود وغرارتان فلما كان ذلك اليوم اشرف الناس ينظرون حتى
اذا كان قريب من نصف النهار اقبلت العير ويقدمهم ذلك الجمل الذي وصفه عليه الصلاة
والسلام **وفي** رواية سالوه اية فاخبرهم بقدوم العير يوم الاربعاء فلما كان ذلك اليوم لم تقدم
حتى كادت الشمس ان تغرب فدعا الله تعالى فحبس الشمس حتى قدموا كما وصف وعن عائشة
لما اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم الى المسجد الاقصى اصبح يحدث الناس بذلك فارتد ناس
كانوا آمنوا وسعى رجال من المشركين الى ابي بكر فقالوا هل لك الى صاحبك يزعم انه اسري به
الليلة الى بيت المقدس قال وقد قال ذلك قالوا نعم قال لئن كان قال ذلك لقد صدق قالوا تصدقه
انه ذهب الى بيت المقدس وجاء قبل ان يصبح فقال نعم اني لاصدقه فيما هو ابعد من ذلك
بخبر السماء في غدوة وروحة فلذلك سمي الصديق رواه الحاكم في المستدرك وابن اسحق
وزاد ثم اقبل حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله حدثت هؤلاء انك
جئت بيت المقدس هذه الليلة قال نعم قال يا نبي الله صفه لي فاني قد جئته قال الحسن فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع لي حتى نظرت اليه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصفه لابي بكر فيقول له ابو بكر صدقت اشهد انك رسول الله كلما وصف له منه شيء وقول ابي بكر
صفه لي لم يكن عن شك فانه صدقه من اول وهلة ولكنه اراد اظهار صدق مخبره عليه السلام
لقومه فانهم كانوا يثقون بابي بكر فاذا طابق خبره عليه السلام ما كان يعلم ابو بكر وصدقه
كان حجة ظاهرة عليهم وفي رواية البخاري فجلى الله لي بيت المقدس اي كشف الحجب بيني
وبينه حتى رايته وفي رواية مسلم فسالوني عن اشياء لم اثبتها فكربت كربا شديدا لم اكرب
مثله قط فرفعه الله لي انظر اليه ما يسالوني عن شيء الا انباتهم به فيحتمل ان يكون حمل الى ان
وضع بحيث يراه ثم اعيد وفي حديث ابن عباس عند احمد والبزار فجيء بالمسجد وانا انظر اليه
حتى وضع عند دار عقيل فنعته وانا انظر اليه وهذا ابلغ في المعجزة ولا استحالة فيه فقد
احضر عرش بلقيس في طرفة عين **واما** ما وقع في حديث ام هانئ عند ابن سعد فمثل الي
بيت المقدس وطفقت اخبرهم فان ثبت احتمل ان يكون المراد مثل قريبا منه كما قيل في حديث
اريت الجنة والنار ويؤيده قوله جيء بالمسجد بمثاله وفي حديث ام هانئ المذكور انهم قالوا له انعت
البيت واعدها بابا بابا وعند ابي يعلى ان الذي ساله عن صفة بيت المقدس هو المطعم بن عدي
والد جبير بن مطعم واشار ابن ابي جمرة الى ان الحكمة في الاسراء الى بيت المقدس اظهار الحق
للمعاند لانه لو عرج به من مكة الى السماء لم يجد لمعاندة الاعداء سبيلا الى البيان
والايضاح حيث سالوه عن جزئيات من بيت المقدس كانوا ابصروها وعلموا انه لم يكن راها
قبل ذلك فلما اخبرهم بها حصل التحقيق انه اسري به الى بيت المقدس واذا صح البعض لزم
تصديق الباقي فكان ذلك سببا لقوة ايمان المؤمنين وزيادة في شقاء من عاند وجحد من الكافرين

المقصد الثالث فيما ورد في اي التنزيل من تعظيم قدره عليه السلام ورفعة
ذكره وشهادته تعالى له بصدق نبوته وثبوت بعثته وقسمه تعالى على تحقيق رسالته

وعلو

وعلو منصبه الجليل ومكانته ووجوب طاعته واتباع سنته واخذه تعالى له الميثاق
على سائر النبيين فضلا ومنة ليؤمنن به ان ادركوه ولينصرنه والتنويه به في الكتب السالفة
كالتوراة والانجيل بانه صاحب الرسالة والتبجيل وغير ذلك **اعلم** انه لا سبيل لنا
ان نستوعب الآيات الدالة على ذلك وحاصلها من التصريح والاشارة الى علو محله الرفيع ومرتبته
ووجوب المبالغة في حفظ الادب معه وكذلك الآيات التي فيها ثناؤه تعالى عليه واظهار
عظيم شانه لديه وقسمه تعالى بحياته ونداؤه بالرسول والنبي ولم يناد باسمه بخلاف غيره
من الانبياء فناداهم باسمائهم الى غير ذلك مما يشير الى انافة قدره العلي عنده وانه لا احد
يساوي مجده ومن تامل القرآن العظيم وجده طافحا بتعظيم الله تعالى لنبيه صلى الله
عليه وسلم ورحم الله ابن خطيب الاندلس حيث قال

مدحتك آيات الكتاب فما عسى ... يثني على علياك نظم مديحي
واذا كتاب الله اثنى مفصحا ... كان القصور قصار كل فصيح

وهذا المقصد اكرمك الله يشتمل على عشرة انواع **النوع** الاول في آيات تتضمن تعظيم
قدره ورفعة ذكره وجليل رتبته وعلو درجته على الانبياء وتشريف منزلته قال
الله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله قال المفسرون يعني موسى
عليه السلام كلمه بلا واسطة وليس نصا في اختصاص موسى بالكلام فقد ثبت انه تعالى
كلم نبينا ايضا كما مر فان قلت اذا ثبت انه عليه الصلاة والسلام كلمه ربه وقام به هذا الوصف
فلم لم يشتق له من الكلام اسم كما اشتق منه لموسى اجيب بان اعتبار المعنى قد يكون لتصحيح
الاشتقاق كاسم الفاعل فيطرد بمعنى ان كل من قام به ذلك الوصف اشتق له منه اسم وجوبا
وقد يكون للترجيح فقط كالكليم والقارورة فلا يطرد وحينئذ فلا يلزم في كل من قام به
ذلك الوصف ان يشتق له منه اسم كما حققه القاضي عضد الدين وهذا ملخصه وتحريره
كما قاله المولى سعد الدين التفتازاني انتهى ورفع بعضهم درجات يعني محمدا صلى الله
عليه وسلم رفعه الله تعالى من ثلاثة اوجه بالذات في المعراج وبالسيادة على جميع البشر
وبالمعجزات لانه عليه الصلاة والسلام اوتي من المعجزات ما لم يؤته نبي قبله **قال**
الزمخشري وفي هذا الابهام من تفخيم فضله واعلاء قدره ما لا يخفى لما فيه من الشهادة
على انه العلم الذي لا يشتبه والمتميز الذي لا يلتبس انتهى وقد بينت هذه الآية وكذا قوله
تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض ان مراتب الرسل والانبياء متفاوتة خلافا
للمعتزلة القائلين بانه لا فضل لبعضهم على بعض وفي هاتين الآيتين رد عليهم **وقال**
قوم آدم افضل لحق الابوة وتوقف بعضهم فقال السكوت افضل والمعتمد الذي عليه
جماهير السلف والخلف ان الرسل افضل من الانبياء وكذلك الرسل بعضهم افضل من بعض
بشهادة هاتين الآيتين وغيرهما قال بعض اهل العلم فيما حكاه القاضي عياض والتفضيل
المراد لهم هنا في الدنيا وذلك بثلاثة احوال ان تكون آياته ومعجزاته اظهر واشهر او تكون امته
ازكى واكثر او يكون في ذاته افضل واظهر وفضله في ذاته راجع الى ما خصه الله تعالى به
من كرامته واختصاصه من كلام او خلة او رؤية او ما شاء الله من الطافه وتحف ولايته

اطلعني الله واياك على اسرار التنزيل ومنحنا بلطفه تبصرة تهدينا الى سواء السبيل

الكليم

واختصاصه انتهى **فلا مرية** ان ايات نبينا صلى الله عليه وسلم ومعجزاته اظهر وابهر واكثر وابقى واقوى ومنصبه اعلى ودولته اعظم واوفر وذاته افضل واطهر وخصوصياته على جميع الانبياء اشهر من ان تذكر فدرجته ارفع من درجات جميع المرسلين وذاته ازكى وافضل من ساير المخلوقين وتامل حديث الشفاعة في المحشر وانتهايها اليه وانفراده هنالك بالسودد كما قال صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم واول من تنشق عنه الارض يوم القيمة رواه ابن ماجة **وفي** حديث انس عند الترمذي انا اكرم ولد آدم يوم القيمة على ربي ولا فخر لكن هذا لا يدل على كونه افضل من آدم بل من اولاده فالاستدلال بذلك على مطلق افضليته عليه الصلاة والسلام على الانبيا كلهم ضعيف واستدل الشيخ سعد الدين التفتازاني لمطلق افضليته عليه الصلاة والسلام بقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس قال لانه لا شك ان خيرية الامة بحسب كمالهم في الدين وذلك تابع لكمال نبيهم الذي يتبعونه واستدل له الفخر الرازي في المعالم بانه تعالى وصف الانبيا بالاوصاف الحميدة ثم قال لمحمد صلى الله عليه وسلم اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فامره ان يقتدي باثرهم فيكون اتيانه به واجبا والا فيكون تاركا للامر فاذا اتى بجميع ما اتوا به من الخصال الحميدة فقد اجتمع فيه ما كان متفرقا فيهم فيكون افضل منهم وبان دعوته عليه الصلاة والسلام في التوحيد والعبادة وصلت الى اكثر بلاد العالم بخلاف ساير الانبياء فوجب ان يكون افضل من ساير الانبياء انتهى **وقد** روى الترمذي عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم يوم القيمة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي آدم فمن سواه الا تحت لوائي وفي حديث ابي هريرة مرفوعا عند البخاري انا سيد الناس يوم القيمة وهذا يدل على انه افضل من آدم عليه السلام ومن كل اولاده وذكر البيهقي في فضايل الصحابة انه ظهر علي بن ابي طالب من البعد فقال صلى الله عليه وسلم هذا سيد العرب فقالت عايشة الست بسيد العرب فقال انا سيد العالمين وهو سيد العرب وهذا يدل على انه افضل الانبياء بل افضل خلق الله كلهم وقد روى هذا الحديث الحاكم في صحيحه عن ابن عباس لكن بلفظ انا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب وقال انه صحيح ولم يخرجاه وله شاهد من حديث عروة عن عايشة وساقه من طريق احمد بن عبيد بن ناصح حدثنا الحسين بن علوان وهما ضعيفان عن هشام بن عروة عن ابيه بلفظ ادعوا الي سيد العرب قالت فقلت يا رسول الله الست سيد العرب قال وذكره وكذا اورده من حديث عمر بن موسى الوجيهي وهو ضعيف ايضا عن ابي الزبير عن جابر مرفوعا ادعوا الي سيد العرب فقالت عايشة الست بسيد العرب وذكره قال شيخنا وكلها ضعيفة بل جنح الذهبي على ذلك الحكم بالوضع انتهى **ولم** يقل صلى الله عليه وسلم انا سيد الناس عجبا وافتخارا على من دونه حاشاه الله من ذلك وانما قاله عليه السلام اظهارا لنعمة الله تعالى عليه واعلاما للامة بقدر امامهم ومتبوعهم عند الله تعالى وعلو منزلته لديه لتعرف نعمة الله عليه وعليهم وكذلك العبد اذا لاحظ ما هو فيه من فيض المدد وشهده من عين المنة ومحض الجود وشهد مع ذلك فقره الى ربه في كل لحظة وعدم استغنائه عنه طرفة عين انشا له ذلك في قلبه سحايب السرور فاذا انبسطت هذه السحايب في سماء قلبه وامتلات افقه بها امطرت عليه وابل الطرب بما هو فيه من لذايذ السرور فان لم يصبه وابل

فظهر ان انتفاع اهل الدنيا بدعوته صلى الله عليه وسلم اكمل من انتفاع ساير الامم بدعوة ساير الانبياء

الى الحكم

فظل وحينئذ يجري على لسانه الافتخار من غير عجب ولا فخر بل فرح بفضل الله وبرحمته كما قال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا فالافتخار على ظاهره والافتقار والانكسار في باطنه ولا ينافي احدهما الآخر والى هذا المعنى يشير قول العارف الرباني سيدي علي الوفي في قصيدة له التي اولها

من انت مولاه حاشا ... علاه ان يتلاشا

والله يا روح قلبي ... لا مات من بك عاشا

قوم لهم انت ساق ... لا يرجعون عطاشا

عبد له بك عز ... فكيف لا يتحاشا

حاشا وفالك يعني ... من انت مولاه حاشا

فان قلت ما الجمع بين هاتين الآيتين وبين قوله تعالى قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون والحديث الثابت في الصحيحين عن ابي هريرة قال استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود فقال اليهودي في قسم والذي اصطفى موسى على العالمين فرفع المسلم يده فلطم اليهودي فقال اي خبيث وعلى محمد فجاء اليهودي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتكى على المسلم فقال صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني على الانبياء وفي رواية لا تفضلوا بين الانبياء وحديث ابي سعيد عند البخاري ومسلم انه صلى الله عليه وسلم قال لا تخيروا بين الانبياء وحديث ابن عباس عند البخاري ومسلم مرفوعا ما ينبغي لعبد ان يقول انا خير من يونس بن متى وحديث ابي هريرة عند الشيخين ومن قال انا خير من يونس ابن متى فقد كذب **اجاب** العلماء بان قوله قل لا نفرق بين احد منهم يعني في الايمان بما انزل اليهم والتصديق بهم والايمان بانهم رسل الله وانبياؤه والتسوية بينهم في هذا لا يمنع ان يكون بعضهم افضل من بعض واجابوا عن الاحاديث باجوبة فقال بعضهم ان نعتقد ان الله فضل بعضهم على بعض على الجملة ونكف عن الخوض في تفصيل التفضيل بآرائنا **قال** ابن ظفر فان اراد هذا القايل انا نكف عن الخوض في تفصيل التفضيل بآرائنا فصحيح وان اراد انا لا نذكر في ذلك ما فهمناه من كتاب الله تعالى وروي لنا من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلبهم **وقال آخر** نفضل من رفع الله درجته بخصايص الحظوة والتي لا نخوض في تفضيل بعضهم على بعض في سياسة المنذرين والصبر على الدين والنهضة في اداء الرسالة والحرص على هدى الضلال فان كلا منهم قد بذل في ذلك وسعه الذي لا يكلف الله تعالى اكثر منه **وقال آخر** ما ذكره القاضي عياض ان نهيه عليه الصلاة والسلام عن التفضيل كان قبل ان يعلم انه سيد ولد آدم فنهى عن التفضيل اذ يحتاج الى توقيف وان من فضل بلا علم فقد كذب **قال** الحافظ عماد الدين بن كثير وفي هذا نظر لعله من جهة معرفة التاريخ ولعل وجه النظر من جهة معرفة المتقدم تاريخا من ذلك ثم رايت في تاريخ ابن كثير ان وجه النظر من جهة ان هذا في رواية ابي سعيد وابي هريرة وما هاجر ابو هريرة الا عام خيبر متاخرا فيبعد انه لم يعلم بهذا الا بعد هذا **وقال آخر** انما قاله صلى الله عليه وسلم على طريق التواضع ونفي التكبر والعجب قال القاضي عياض وهذا لا يسلم من الاعتراض

الوفي

وقيل لا يفضل بينهم تفضيلا يؤدي الى تنقيص بعضهم او الغض منه وقيل يفضل بمنع التفضيل
في حق النبوة والرسالة فان الانبياء عليهم السلام فيهما على حد واحد لا تتفاضل وانما التفاضل في زيادة
الاحوال والخصوص والكرامات والرتب واما النبوة في نفسها فلا تتفاضل وانما التفاضل بامور اخر
زائدة عليها وكذلك منهم رسل واولوا عزم انتهى وهذا قريب من القول الثاني وقال ابن ابي جمرة
في حديث يونس يريد بذلك نفي التكييف والتحديد على ما قاله بن خطيب الري لانه قد وجدت
الفضيلة بينهما في عالم الحس لان النبي صلى الله عليه وسلم اسري به الى فوق السبع الطباق
ويونس نزل به الى قعر البحر وقد قال عليه الصلاة والسلام انا سيد ولد آدم يوم القيمة
وقال عليه السلام آدم ومن دونه تحت لوائي وقد اختص صلى الله عليه وسلم بالشفاعة
الكبرى التي لم تكن لغيره من الانبياء عليهم السلام فهذه الفضيلة وجدت بالضرورة فلم
يبق ان يكون قوله عليه الصلاة والسلام لا تفضلوني على يونس بن متى الا بالنسبة الى القرب
من الله سبحانه والبعد فمحمد صلوات الله وسلامه عليه وان اسري به لفوق السبع الطباق
واخترق الحجب ويونس عليه السلام وان نزل به لقعر البحر فهما بالنسبة الى القرب والبعد
من الله سبحانه وتعالى على حد واحد انتهى وهو مروي عن امام دار الهجرة مالك بن انس وغيره
نحوه لامام الحرمين وقال ابن المنير ان قلت ان لم يفضل على يونس باعتبار استواء الجهتين
بالنسبة الى وجود الحق تعالى فقد فضله باعتبار تفاوت الجهتين في تفضيل الحق فانه تعالى
فضل الملا الاعلى على الحضيض الادنى فكيف لا تفضله عليه الصلاة والسلام على يونس وان لم
يكن التفضيل بالمكان فهو بالمكانة بلا اشكال ثم قال قلت لم ينه عن مطلق التفضيل وانما نهى
عن تفضيل مقيد بالمكان يفهم منه القرب المكاني فعلى هذا يحمل جمعا بين القواعد انتهى ده
واختلف هل البشر افضل من الملائكة فقال جمهور اهل السنة والجماعة خواص بني آدم
وهم الانبياء افضل من خواص الملائكة وهم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وحملة
العرش والمقربون والكروبيون والروحانيون وخواص الملائكة افضل من عوام بني آدم قال
التفتازاني بالاجماع بل بالضرورة وعوام بني آدم افضل من عوام الملائكة فالمسجود له افضل
من الساجد فاذا ثبت تفضيل الخواص على الخواص ثبت تفضيل العوام على عوام الملائكة
خدم عمال الخير والمخدوم له فضل على الخادم ولان المؤمنين ركب فيهم الهوى والعقل مع
تسلط الشيطان عليهم بوسوسته والملائكة ركب فيهم العقل دون الهوى ولا سبيل للشيطان
عليهم فالانسان كما قاله في شرح العقائد يحصل الفضائل والكمالات العلمية مع وجود العوائق
والموانع من الشهوة والغضب وسنوح الحاجات الضرورية الشاغلة عن اكتساب الكمالات
ولا شك ان العبادة وكسب الكمال مع الشواغل والصوارف اشق وادخل في الاخلاص فتكون
افضل والمراد بعوام بني آدم هنا الصلحاء لا الفسقة كما نبه عليه العلامة كمال الدين بن ابي شريف
المقدسي قال ونص عليه البيهقي في الشعب وذهبت المعتزلة والفلاسفة وبعض الاشاعرة
الى تفضيل الملائكة وهو اختيار القاضي ابي بكر بن الباقلاني وابي عبد الله الحليمي وتمسكوا بوجوه
اولها ان الملائكة ارواح مجردة كاملة بالفعل مبراة عن مبادي الشرور والآفات كالشهوة
والغضب وعن ظلمات الهيولى والصورة قوية على الافعال العجيبة عالمة بالكوائن ماضيها

وعبارة تكملة الناس قديما وحديثا في الملائكة والبشر فذهب الذاهبون الا ان الرسل من البشر افضل من الرسل من الملائكة والاولياء من البشر افضل من الاولياء من الملائكة انتهى صح

وآتيها من غير غلط والجواب ان مبنى ذلك على الاصول الفلسفية دون الاصول الاسلامية
الثاني ان الانبياء مع كونهم افضل البشر يتعلمون ويستفيدون منهم بدليل قوله تعالى علمه
شديد القوى وقوله تعالى نزل به الروح الامين على قلبك ولا شك ان المعلم افضل من المتعلم
والجواب ان التعليم من الله تعالى والملائكة انما هم مبلغون الثالث انه اطرد في الكتاب
والسنة تقديم ذكرهم على ذكر الانبياء وما ذلك الا لتقدمهم في الشرف والرتبة والجواب
ان ذلك لتقدمهم في الوجود او لان وجودهم اخفى فالايمان بهم اقوى وبالتقديم اولى الرابع قوله
تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون فان اهل اللسان يفهمون من ذلك
افضلية الملائكة من عيسى اذ القياس في مثله الترقي من الادنى الى الاعلى يقال لا يستنكف
من هذا الامر الوزير ولا السلطان ولا يقال السلطان ولا الوزير ثم لا قائل بالفضل بين
عيسى عليه السلام وغيره من الانبياء عليهم السلام والجواب ان النصارى استعظموا المسيح
بحيث يترفع من ان يكون عبدا من عباد الله بل ينبغي ان يكون ابنا له لانه مجرد لا اب له وكان
يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى بخلاف سائر العباد من بني آدم فرد عليهم لا يستنكف من
ذلك المسيح ولا من هو اعلا منه في هذا المعنى وهم الملائكة الذين لا اب لهم ولا ام ويقدرون
باذن الله على افعال اقوى واعجب من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى فالترقي والعلو
انما هو في امر التجرد واظهار الآثار القوية لا في مطلق الشرف والكمال فلا دلالة على افضلية
الملائكة انتهى ثم ان الملائكة بعضهم افضل من بعض وافضلهم الروح الامين جبريل المرتضى
من رب العالمين المقول فيه من ذي العزة انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش
مكين مطاع ثم امين فوصفه بسبع صفات وهو افضل الملائكة الثلاثة الذين هم افضل الملائكة
على الاطلاق وهم ميكائيل واسرافيل وعزرائيل وكذلك الرسل افضل من الانبياء وكذلك
الرسل بعضهم افضل من بعض ومحمد افضل الانبياء والرسل كما تقدم واول الانبياء آدم
فاخرهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فاما نبوة آدم فبالكتاب الدال على انه قد امر ونهي
مع القطع بانه لم يكن في زمنه نبي آخر فهو بالوحي لا غير وكذا السنة والاجماع فانكار نبوته
على ما نقل عن البعض يكون كفرا وقد اختلف في عدد الانبياء والمرسلين والمشهور
في ذلك ما في حديث ابي ذر عند ابن مردويه في تفسيره قال قلت يا رسول الله كم الانبياء
قال مائة الف واربعة وعشرون الفا قلت يا رسول الله كم الرسل منهم قال ثلثمائة وثلاثة
عشر جم غفير قلت يا رسول الله من كان اولهم قال آدم ثم قال يا ابا ذر اربعة سريانيون
آدم وشيث ونوح وخنوخ وهو ادريس وهو اول من خط بالقلم واربعة من العرب هود
وصالح وشعيب ونبيك يا ابا ذر واول نبي من بني اسرائيل موسى وآخرهم عيسى واول
النبيين آدم وآخرهم نبيك وقد روى هذا الحديث بطوله الحافظ ابو حاتم بن حبان في كتابه
الانواع والتقاسيم وقد وسمه بالصحيح وخالفه ابن الجوزي فذكره في الموضوعات واتهم به
ابراهيم بن هشام قال الحافظ بن كثير ولا شك انه قد تكلم فيه غير واحد من ائمة الجرح والتعديل
من اجل هذا الحديث فالله اعلم وروى ابو يعلى عن انس مرفوعا كان فيمن خلا من اخواني
من الانبياء ثمانية الاف نبي ثم كان عيسى بن مريم ثم كنت انا والذي نص الله تعالى على اسمائهم

في القرآن آدم وادريس ونوح وهود وصالح وابراهيم ولوط واسماعيل واسحق ويعقوب
ويوسف وايوب وشعيب وموسى وهرون ويونس وداود وسليمان والياس واليسع
وزكريا ويحيى وعيسى وكذا ذو الكفل عند كثير من المفسرين والله اعلم وقال الله تعالى
ورفعنا لك ذكرك **وروى** ابن جرير من حديث ابي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اتاني جبريل عليه السلام فقال ان ربي وربك يقول تدري كيف رفعت ذكرك قلت
الله اعلم قال اذا ذكرت ذكرت معي وذكره الطبراني وصححه ابن حبان **وروينا** عن الامام
الشافعي قال انبا ابن عيينة عن ابن ابي نجيح معناه لا اذكر الا ذكرت معي اشهد ان لا اله الا الله
واشهد ان محمدا رسول الله قال الامام الشافعي يعني والله اعلم ذكره عند الايمان بالله والاذان
قال ويحتمل ذكره عند تلاوة الكتاب وعند العمل بالطاعة والوقوف عن المعصية انتهى وقيل
رفعه بالنبوة قاله يحيى بن آدم وعن ابن عطا جعلتك ذكرا من ذكري فمن ذكرك ذكرني
وعنه ايضا جعلت تمام الايمان بذكري معك **وعن** جعفر بن محمد الصادق لا يذكرك احد بالرسالة
الا ذكرني بالربوبية قال البيضاوي واي رفع مثل ان قرن اسمه باسمه في كلمتي الشهادة
وجعل طاعته طاعته انتهى يشير الى قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله والله ورسوله
احق ان يرضوه ومن يطع الله ورسوله واطيعوا الله ورسوله واطيعوا الله والرسول وقول
قتادة رفع الله ذكره في الدنيا والاخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة الا يقول
اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله انتهى فهو مذكور رفعه في الشهادة والتشهد
ومقرون ذكره بذكره في القرآن والخطب والاذان ويؤذن باسمه في موقف القيامة
واخرج ابو نعيم في الحلية عن ابي هريرة رفعه لما نزل آدم عليه السلام بالهند استوحش
فنزل جبريل عليه السلام فنادى بالاذان الله اكبر الله اكبر مرتين اشهد ان لا اله الا الله
مرتين اشهد ان محمدا رسول الله مرتين الحديث وكتب اسمه الشريف على العرش وعلى كل سماء
وعلى الجنان وما فيها رواه ابن عساكر واخرج البزار عن ابن عمر مرفوعا لما عرج بي الى السماء ما مررت
بسماء الا وجدت اسمي فيها مكتوب محمد رسول الله وفي الحلية عن ابن عباس رفعه ما في الجنة
شجرة عليها ورقة الا مكتوب عليها لا اله الا الله محمد رسول الله واخرج الطبراني من حديث جابر
مرفوعا كان نقش خاتم سليمان بن داود عليهما السلام لا اله الا الله محمد رسول الله وعزاه الحافظ
ابن رجب في كتاب احكام الخواتيم لابي الحسن علي الخالدي وقال انه باطل موضوع وشق اسمه
الكريم من اسمه تعالى كما قال حسان رضي الله عنه

وشق له من اسمه ليجله ❊ فذو العرش محمود وهذا محمد

وسماه من اسمائه الحسنى بنحو سبعين اسما كما بينت ذلك في اسمائه صلوات الله وسلامه
عليه وصلى عليه في ملائكته وامر المؤمنين بالصلاة عليه فقال تعالى ان الله وملائكته
يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما فاخبر عباده بمنزلة نبيه
عنده في الملا الاعلى بانه يثني عليه عند الملائكة المقربين وان الملائكة تصلي عليه
ثم امر العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه فيجتمع الثناء عليه من اهل العالمين العلوي
والسفلي جميعا **وكتبه** نبيا وآدم بين الروح والجسد وختم به النبوة والرسالة واعلن

بذكره

بذكره الكريم في الاولين والآخرين ونوه بقدره الرفيع حين اخذ الميثاق على جميع النبيين وجعل
ذكره في فواتح الرسائل وخواتمها وشرف به المصاقع على المنابر وزين بذكره ارباب الاقلام
والمحابر ونشر ذكره في الآفاق شرقا وغربا برا وبحرا حتى في السموات السبع وعند المستوى
وصريف الاقلام والعرش والكرسي وسائر الملائكة المقربين من الكروبيين والروحانيين
العلويين والسفليين وجعله في قلوب المؤمنين بحيث يستطيبون ذكره فترتاح ارواحهم
وربما يميل من طرب سماع اسمه اشباحهم **كما قال**

واذا ذكرتكموا اميل كانني ❊ من طيب ذكركموا سقيت الراحا

كانه تعالى يقول اهل الوجود كلهم من اتباعك كلهم يثنون عليك ويصلون عليك ويحفظون سنتك
بل ما من فريضة من فرائض الصلاة الا ومعها سنة فهم متمسكون في الفريضة بامري وفي
السنة بامرك وجعلت طاعتي طاعتك وبيعتي بيعتك فالقراء يحفظون الفاظ منشورك والمفسرون
يفسرون معاني فرقانك والوعاظ يبلغون بليغ وعظك والملوك والسلاطين يقفون في خدمتك
ويسلمون من وراء الباب عليك ويمسحون وجوههم بتراب روضتك ويرجون شفاعتك
فشرفك باق الى ابد الآبدين والحمد لله رب العالمين **وقال** تعالى طه ما انزلنا عليك القرآن
لتشقى اعلم ان للمفسرين في طه قولين احدهما انها من حروف التهجي والثاني انها كلمة مفيدة
وعلى القول الاول قيل معناها يا مطمع الشفاعة للامة ويا هادي الخلق الى الملة وقيل الطاء
في الحساب بتسعة والها بخمسة فالجملة اربعة عشر ومعناه يا ايها البدر وهذه الاقوال
لا يجب ان يعتمد عليها اذ هي كما قاله المحققون من بدع التفسير ومثلها قول الواسطي فيما حكاه
القاضي عياض في الشفا اراد يا طاهر يا هادي واما على قول من قال انها كلمة مفيدة ففيه وجهان
احدهما ان معناه يا رجل وهو مروي عن ابن عباس والحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة
وعكرمة قال سعيد بن جبير بلسان النبطية وقال قتادة بلسان السريانية وقال عكرمة
بلسان الحبشة وقال البيضاوي ان صح ان معناه يا رجل فلعل اصله يا هذا فتصرفوا فيه
بالقلب والاختصار انتهى قال الكلبي لو قلت في عك يا رجل لم يجب حتى يقول طه وقال السدي
معناه طه يا فلان وقال الزمخشري لعل عكا تصرفوا في يا هذا كانهم في لغتهم قالبون اليا طا
فقالوا في يا طا واختصروا هذا فاقتصروا على ها واثر الصنعة ظاهر لا يخفى في البيت المستشهد

ان السفاهة طه في خلائقكم ❊ لا قدس الله اخلاق الملاعين

انتهى قال في البحر وكان قد قدم ان طه في لغة عك في معنى يا رجل ثم تحرص وحرر على عك
بانه يقوله نحوي وهو انهم قلبوا اليا طا وهذا لا يوجد في لسان العرب قلب يا التي للندا
طا وكذلك حذف اسم الاشارة في الندا واقرت ها التي للتنبيه انتهى وقيل معناه يا انسان
وقرئ طه باسكان الهاء على انه امر له صلى الله عليه وسلم بان يطا الارض بقدميه
وقد روي انه صلى الله عليه وسلم كان يقوم في تهجده على احدى رجليه فامر ان يطا الارض بقدميه
معا وان الاصل طا فقلبت همزته هاء كما قالوا هياك في اياك وهرقت في ارقت ويجوز ان يكون
الاصل من وطئ على ترك الهمزة فيكون اصله طا يا رجل ثم اثبتت الهاء فيها للوقف وعلى هذا
يحتمل ان يكون اصل طه طا ها والالف مبدلة من الهمزة والهاء كناية عن الارض لكن يرد ذلك

كبتها على صورة الحرف وَ اما قوله تعالى ما انزلنا عليك القرآن لتشقى فذكروا في سبب نزولها
امورا احدها ان اباجهل والوليد بن المغيرة ومطعم بن عدي قالوا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم انك لتشقى حيث تركت دين آبائك فقال صلى الله عليه وسلم بل بعثت رحمة
للعالمين وانزل الله تعالى هذه الآية ردا عليهم وتعريفا له صلى الله عليه وسلم بان دين الاسلام
والقرآن هو السلم الى نيل كل فوز والسبب في ادراك كل سعادة وما فيه الكفرة هو الشقا
ثانيها انه صلى الله عليه وسلم صلى بالليل حتى تورمت قدماه فقال له جبريل
ابق على نفسك فان لها عليك حقا اي ما انزلناه عليك لتنهك نفسك بالعبادة وتذيقها المشقة
وما بعثت الا بالحنيفية السمحة وروي انه كان اذا قام من الليل ربط صدره بحبل حتى
لا ينام وقال بعضهم كان يسهر طول الليل وتعقب بانه بعيد لانه صلى الله عليه وسلم
ان فعل شيئا من ذلك فلا بد وان يكون قد فعله بامر الله تعالى واذا فعله عن امره فهو من
باب السعادة لا من باب الشقاوة ثالثها قال بعضهم يحتمل ان يكون المراد لا تشق نفسك
وتعذبها بالاسف على كفر هولاء فانما انزلنا عليك القرآن لتنبغي شقيا بل تصير معظما مكرما
زاده الله تعالى تعظيما وتكريما وتشريفا قال تعالى انا اعطيناك الكوثر السورة قال الامام
فخر الدين الخطيب في هذه السورة كثير من الفوائد منها انها كالمتممة لما قبلها من السور وذلك
لان الله تعالى جعل سورة والضحى في مدح نبينا صلى الله عليه وسلم وتفصيل احواله فذكر
في اولها ثلاثة اشيا متعلقة بنبوته وهي قوله ما ودعك ربك وما قلى وللآخرة خير لك من الاولى
ولسوف يعطيك ربك فترضى ثم ختمها بذكر ثلاثة احوال فيما يتعلق بالدنيا وهي قوله تعالى
الم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا اي عن علم الحكم والاحكام فهدى ووجدك عائلا فاغنى
ثم ذكر في سورة الم نشرح انه تعالى شرفه عليه السلام بثلاثة اشيا وهي الم نشرح لك
صدرك اي لم نفسحه حتى وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق ووضعنا عنك وزرك اي عناك
الثقيل الذي انقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك وهكذا سورة سورة حتى قال انا اعطيناك
الكوثر اي اعطيناك هذه المناقب المتكاثرة التي كل واحد منها اعظم من ملك الدنيا بحذافيرها
واذا انعمنا عليك بهذه النعم فاشتغل بطاعتنا ولا تبال بقولهم ان الاشتغال بالعبادة اما ان
يكون بالنفس وهو قوله فصل لربك واما بالمال وهو قوله وانحر وتامل قوله انا اعطيناك
فكيف ذكره بلفظ الماضي ولم يقل سنعطيك ليدل على ان هذا الاعطاء حصل في الزمان الماضي قال
عليه السلام كنت نبيا وادم بين الروح والجسد ولا شك ان من كان في الزمان الماضي عزيزا مرعي
الجانب اشرف ممن سيصير لذلك كانه تعالى يقول يا محمد قد هيأنا اسباب سعادتك قبل دخولك في هذا
الوجود فكيف امرك بعد وجودك واشتغالك بعبوديتنا ايها العبد الكريم انا لم نعطك هذا الفضل
العظيم لاجل طاعتك وانما اخترناك بمجرد فضلنا واحساننا من غير موجب واختلف المفسرون
في تفسير الكوثر على وجوه منها انه نهر في الجنة وهذا هو المشهور المستفيض عند السلف والخلف
فروى انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا انا اسير في الجنة اذا انا بنهر حافتاه قباب
الدر المجوف قلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي اعطاك ربك فاذا طينه مسك اذفر رواه البخاري
وقيل الكوثر الاولاد لان هذه السورة انما نزلت ردا على من عابه عليه الصلاة والسلام بعدم

قوله ما انزلنا عليك القرآن لتشقى [illegible]

الاولاد فالمعنى انه يعطيه نسلا يبقون على ممر الزمان فانظر كم قتل من اهل البيت ثم العالم
ممتلئ منهم ولم يبق ذكر لبني امية في الدنيا غيره وقيل الكوثر الخير الكثير وقيل النبوة وهي
الخير الكثير وقيل علماء امته وقيل الاسلام ولا ريب انها من الخير الكثير فالعلماء ورثة الانبياء
كما رواه احمد وابو داود والترمذي واما علماء امتي كانبياء بني اسرائيل فقال الحافظ ابن حجر
ومن قبله الدميري والزركشي انه لا اصل له نعم روى ابو نعيم في فضل العالم العفيف
بسند ضعيف عن ابن عباس رفعه اقرب الناس من درجة النبوة اهل العلم والجهاد وقيل
الكوثر كثرة الاتباع والاشياع وعن بعضهم المراد بالكوثر العلم وحمله عليه اولى لوجوه احدها
ان العلم هو الخير الكثير والثاني اما ان يحمل الكوثر على نعم الآخرة او على نعم الدنيا والاول
غير جائز لانه قال انا اعطيناك والجنة سيعطيها لا انه اعطاها فوجب حمل الكوثر على ما وصل
اليه في الدنيا واشرف الامور الواصلة اليه في الدنيا هو العلم والنبوة فوجب حمل اللفظ على
العلم والثالث انه لما قال انا اعطيناك الكوثر قال عقبه فصل لربك وانحر والشيء الذي
يتقدم على العبادة هو المعرفة ولان الفاء في قوله فصل للتعقيب ومعلوم ان الموجب للعبادة
ليس الا العلم وقيل الكوثر الخلق الحسن وعن ابن عباس جميع نعم الله تعالى على نبيه صلى الله عليه
وسلم وبالجملة فليس حمل الآية على بعض هذه النعم اولى من حملها على الباقي فوجب حملها على الكل
ولذا روى سعيد بن جبير لما روى هذا القول عن ابن عباس قال له بعضهم ان ناسا يزعمون انه
نهر في الجنة فقال سعيد النهر الذي في الجنة من الخير الذي اعطاه الله اياه قال الامام فخر الدين
ابن الخطيب قال بعض العلماء ظاهر قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر يقتضي انه تعالى قد اعطاه ذلك
الكوثر فيجب ان يكون محمولا على ما آتاه الله من النبوة والقرآن والذكر العظيم والنصر على الاعداء
واما الحوض وسائر ما اعد له من الثواب فهو وان جاز ان يقال انه داخل فيه لانه ثبت بحكم
وعد الله فهو كالواقع الا ان الحقيقة ما قدمناه لان ذلك وان اعد له فلا يصح ان يقال على الحقيقة
انه اعطاه الكوثر في حال نزول هذه السورة بمكة ويحتمل ان يجاب عنه بان من اقر لولده الصغير بشيء
له يصح ان يقال اعطاه ذلك الشيء مع ان الصبي في ذلك الحال ليس اهلا للتصرف انتهى وقد روينا
في صحيح مسلم من حديث انس بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين اظهرنا اذ غفي
اغفاءة ثم رفع راسه متبسما فقلنا ما يضحكك اضحك الله سنك يا رسول الله قال نزلت علي آنفا
سورة فقرا بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك
هو الابتر قال اتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله اعلم قال فانه نهر وعدنيه ربي عليه خير كثير
وهو حوض ترد عليه امتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم فيختلج العبد منهم فاقول رب انه
من امتي فيقول انك لا تدري ما احدثوا بعدك وهذا تفسير صريح منه صلى الله عليه وسلم بان المراد
بالكوثر هنا الحوض فالمصير اليه اولى وهذا هو المشهور كما تقدم فسبحان من اعطاه هذه الفضائل
العظيمة وشرفه بهذه الخصال العميمة وحباه بما افاضه عليه من نعمه الجسيمة وقد جرت
عادة الله مع انبيائه عليهم السلام ان يناديهم باسمائهم الاعلام نحو يا آدم اسكن يا نوح اهبط يا موسى
اني انا الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك واما نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فناداه بالوصف
الشريف من الانباء والارسال فقال يا ايها النبي يا ايها الرسول ولله در القائل

فدعا جميع الرسل كلا باسمه ودعاك وحدك بالرسول وبالنبي
قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام ولا يخفى على احد ان السيد اذا دعا عبيده بافضل
ما اوجد لهم من الاوصاف العلية والاخلاق السنية ودعا آخرين باسمائهم الاعلام التي لا تشعر
بوصف من الاوصاف ولا بخلق من الاخلاق ان منزلة من دعاه بافضل الاسماء والاوصاف
اعز عليه واقرب اليه ممن دعاه باسمه العلم وهذا معلوم بالعرف ان من دعي بافضل اوصافه
واخلاقه كان ذلك مبالغة في تعظيمه واحترامه انتهى وانظر ما في نحو قوله تعالى واذ قال
ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة من ذكر الرب تعالى واضافته اليه صلى الله عليه
وسلم وما في ذلك من التنبيه على شرفه واختصاصه بخطابه وما في ذلك من الاشارة
اللطيفة وهي ان المقبل عليه بالخطاب له الحظ الاعظم والقسم الاوفر من الجملة المخبر بها
اذ هو في الحقيقة اعظم خلفائه الا ترى الى عموم رسالته ودعاته وجعله افضل انبيائه اماهم
ليلة اسرائه وجعل آدم فمن دونه يوم القيمة تحت لوائه فهو المقدم في ارضه وسمائه وفي
داري تكليفه وجزائه **وبالجملة** فقد تضمن الكتاب العزيز من التصاريح بجليل رتبته وتعظيم
قدره وعلو منصبه ورفعة ذكره ما يقضي بانه استولى على اقصى درجات التكريم وتكفي اخباره
تعالى بالعفو عنه ملاطفة قبل ذكر العتاب في قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم وتقديم ذكره
على الانبياء تعظيما له مع تأخره عنهم في الزمان في قوله تعالى ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى
وعيسى بن مريم واخباره بتمني اهل النار طاعته في قوله تعالى يوم تقلب وجوههم في النار
يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا وهذا بحر لا ينفد وقطر لا يعد

النوع الثاني

في اخذ الله تعالى له الميثاق على النبيين فضلا ومنة ليؤمنن به ان ادركوه ولينصرنه قال الله
تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم
لتؤمنن به ولتنصرنه الآية اخبر تعالى انه اخذ ميثاق كل نبي بعثه من لدن آدم عليه السلام
الى محمد صلى الله عليه وسلم ان يصدق بعضهم بعضا قاله الحسن وطاوس وقتادة وقيل
معناه انه تعالى اخذ الميثاق من النبيين واممهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الامم وعن علي
ابن ابي طالب وابن عباس ما بعث الله نبيا من الانبياء الا اخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد صلى الله
عليه وسلم وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه وما قاله قتادة والحسن وطاوس لا يضاده ما قاله
علي وابن عباس ولا ينفيه بل يستلزمه ويقتضيه وقيل معناه ان الانبياء عليهم السلام كانوا
يأخذون الميثاق من اممهم بانه اذا بعث محمد صلى الله عليه وسلم ان يؤمنوا به وان ينصروه
واحتج له بان الذين اخذ الله منهم الميثاق يجب عليهم الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم عند مبعثه
وكان الانبياء عند مبعث محمد صلى الله عليه وسلم من جملة الاموات والميت لا يكون مكلفا
فتعين ان يكون الميثاق مأخوذا على الامم قالوا ويؤكد هذا انه تعالى حكم على الذين اخذ عليهم
الميثاق انهم لو تولوا لكانوا فاسقين وهذا الوصف لا يليق بالانبياء وانما يليق بالامم واجيب
بان يكون المراد من الآية ان الانبياء لو كانوا في الحياة لوجب عليهم الايمان بمحمد صلى الله عليه
وسلم ونظيره قوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك وقد علم الله تعالى انه لا يشرك قط ولكن
خرج هذا الكلام على سبيل التقدير والفرض وقال تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل

لاخذنا

لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين وقال في الملائكة ومن يقل منهم اني اله من دونه
فذلك نجزيه جهنم مع انه تعالى اخبر عنهم بانهم لا يسبقونه بالقول وبانهم يخافون ربهم من فوقهم
فكل ذلك خرج على سبيل الفرض والتقدير واذا انزلت هذه الآية على ان الله تعالى اوجب
على جميع الانبياء ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم لو كانوا في الحياة وانهم لو تركوا ذلك
لصاروا في زمرة الفاسقين فلان يكون الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم واجبا على اممهم
من باب اولى فكان صرف هذا الميثاق الى الانبياء اقوى في تحصيل المقصود وقال السبكي
في هذه الآية انه عليه السلام على تقدير مجيئه في زمانهم يكون مرسلا اليهم فتكون نبوته
ورسالته عامة لجميع الخلق من زمن آدم الى يوم القيامة وتكون الانبياء واممهم كلهم
من امته ويكون قوله عليه السلام وبعثت الى الناس كافة لا يختص به الناس من زمانه
الى يوم القيمة بل يتناول من قبلهم ايضا وانما اخذ لهم المواثيق على الانبياء ليعلموا انه المقدم
عليهم وانه نبيهم ورسولهم وفي اخذ المواثيق وهي في معنى الاستحلاف ولذلك دخلت لام
القسم في لتؤمنن به ولتنصرنه لطيفة وهي كانها ايمان البيعة التي تؤخذ للخلفاء ولعل ايمان
الخلفاء اخذت من هنا فانظر هذا التعظيم للنبي صلى الله عليه وسلم من ربه تعالى فاذا عرف
هذا فالنبي صلى الله عليه وسلم نبي الانبياء ولهذا ظهر ذلك في الآخرة جميع الانبياء تحت
لوائه وفي الدنيا كذلك ليلة الاسرا صلى بهم ولو اتفق مجيئه في زمن آدم ونوح وابراهيم
وموسى وعيسى وجب عليهم وعلى اممهم الايمان به ونصرته وبذلك اخذ الله الميثاق عليهم
فنبوته عليهم ورسالته اليهم معنى حاصل له وانما امره يتوقف على اجتماعهم معه فتاخر ذلك
لامر راجع الى وجودهم لا الى عدم اتصافهم بما يقتضيه وفرق بين توقف الفعل على قبول المحل
وتوقفه على اهلية الفاعل فهنا لا توقف من جهة الفاعل ولا من جهة ذات النبي صلى الله
عليه وسلم الشريفة وانما هو من جهة وجود العصر المشتمل عليه فلو وجد في عصرهم لزمهم
اتباعه بلا شك ولهذا ياتي عيسى عليه السلام في آخر الزمان على شريعته وهو نبي كريم
على حاله لا كما يظن بعض الناس انه ياتي واحدا من هذه الامة نعم هو واحد من هذه الامة
لما قلنا من اتباعه للنبي صلى الله عليه وسلم وانما يحكم بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
بالقرآن والسنة وكلما فيهما من امر ونهي فهو متعلق به كما يتعلق بسائر الامة وهو نبي كريم
على حاله لم ينقص منه شيء وكذلك لو بعث النبي صلى الله عليه وسلم في زمانه او في زمن موسى
وابراهيم ونوح وآدم كانوا مستمرين على نبوتهم ورسالتهم الى اممهم والنبي صلى الله عليه
وسلم نبي عليهم ورسول الى جميعهم فنبوته ورسالته اعم واشمل واعظم ومتفق مع شرائعهم
في الاصول لانها لا تختلف وتقدم شريعته صلى الله عليه وسلم فيما عساه يقع الاختلاف
فيه من الفروع اما على سبيل التخصيص واما على سبيل النسخ او لا نسخ ولا تخصيص بل تكون
شريعة النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الاوقات بالنسبة الى اولئك الامم مما جاءت به
انبياؤهم وفي هذا الوقت بالنسبة الى هذه الامة الشريعة والاحكام تختلف باختلاف الاشخاص
والاوقات وبهذا بان لنا معنى حديثين كانا خفيا عنا احدهما قوله صلى الله عليه وسلم بعثت
الى الناس كافة كنا نظن انه من زمانه الى يوم القيامة فبان انه جميع الناس اولهم وآخرهم

والثاني قوله صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد كما نظن انه بالعلم فبان انه زايد على ذلك وانما يفترق الحال بين ما بعد وجود جسده صلى الله عليه وسلم وبلوغه الاربعين وما قبل ذلك بالنسبة الى المبعوث اليهم وتاهلهم لسماع كلامه لا بالنسبة اليه ولا اليهم لو تاهلوا قبل ذلك وتعليق الاحكام على الشروط قد تكون بحسب المحل القابل وقد يكون بحسب الفاعل المتصرف فههنا التعليق انما هو بحسب المحل القابل وهو المبعوث اليهم وقبولهم سماع الخطاب والجسد الشريف الذي يخاطبهم بلسانه وهذا كما يوكل الاب رجلا في تزويج ابنته اذا وجدت كفوا فالتوكيل صحيح وذلك الرجل اهل للوكالة ووكالته ثابتة وقد يحصل توقف التصرف على وجود الكفو ولا يوجد الا بعد مدة وذلك لا يقدح في صحة الوكالة واهلية التوكيل انتهى

النوع الثالث في وصفه تعالى له عليه السلام بالشهادة وشهادته له بالرسالة قال الله تعالى حكاية عن ابراهيم واسمعيل عند بناء البيت الحرام ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم فاستجاب الله دعاءهما وبعث في اهل مكة منهم رسولا بهذه الصفة من ولد اسماعيل الذي دعا مع ابراهيم عليهما السلام بهذا الدعا فان قلت من اين علم ان الرسول هنا المراد به محمد صلى الله عليه وسلم فالجواب من وجوه احدها اجماع المفسرين وهو حجة الثاني قوله عليه السلام انا دعوة ابراهيم وبشارة عيسى قالوا واراد بالدعوة هذه الاية وبشارة عيسى ونبي ما ذكر في سورة الصف من قوله ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد **الثالث ان ابراهيم** انما دعا بهذا الدعا بمكة لذريته الذين كانوا بها وبما حولها ولم يبعث الله تعالى الى من بمكة الا محمد صلى الله عليه وسلم وقد امتن الله تعالى على المؤمنين ببعث هذا النبي منهم على هذه الصفة فقال تعالى لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة الاية فليس لله منة على المؤمنين اعظم من ارساله محمدا صلى الله عليه وسلم يهدي الى الحق والى صراط مستقيم وانما كانت النعمة على هذه الامة بارساله اعظم النعم لان النعمة به صلى الله عليه وسلم تمت بها مصالح الدنيا والاخرة وكمل بسببها دين الله الذي رضيه لعباده وقوله من انفسهم يعني انه بشر مثلهم وانما امتاز عليهم بالوحي وقرئ في الشواذ انفسهم بفتح الفاء يعني من اشرفهم لانه من بني هاشم وبنو هاشم افضل قريش وقريش افضل العرب والعرب افضل من غيرهم ثم قيل لفظ المؤمنين عام ومعناه خاص في العرب لانه ليس حي من احياء العرب الا وقد ولده وخص المؤمنين بالذكر لانهم المنتفعون به اكثر فالمنة عليهم اعظم **فان قلت** هل العلم بكونه صلى الله عليه وسلم بشرا ومن العرب شرط في صحة الايمان او هو من فروض الكفاية **اجاب الشيخ** ولي الدين ابن العراقي بانه شرط في صحة الايمان قال فلو قال شخص اومن برسالة محمد الى جميع الخلق ولكن لا ادري هل هو من البشر او الملائكة او الجن او لا ادري هل هو من العرب او العجم فلا شك في كفره لتكذيبه القرآن وجحده ما تلقته قرون الاسلام خلفا عن سلف وصار معلوما بالضرورة عند الخاص والعام ولا اعلم في ذلك خلافا فلو كان غبيا لا يعرف ذلك وجب تعليمه اياه فان

جحده

جحده بعد ذلك حكمنا بكفره انتهى فان قلت هل هو عليه السلام باق على رسالته الى الان اجاب ابو المعين النسفي بان الاشعري قال انه عليه الصلاة والسلام الان في حكم الرسالة وحكم الشيء يقوم مقام اصل الشيء الا ترى ان العدة تدل على ما كان من احكام النكاح انتهى وقال غيره ان النبوة والرسالة باقية بعد موته عليه السلام حقيقة كما يبقى وصف الايمان للمؤمن بعد موته لان المتصف بالنبوة والرسالة والايمان هو الروح وهي باقية لا تتغير بموت البدن انتهى **وتعقب** بان الانبياء احياء في قبورهم فوصف النبوة باق للجسد والروح معا وقال القشيري كلام الله تعالى لمن اصطفاه ارسلتك او بلغ عني وكلامه تعالى قديم فهو عليه الصلاة والسلام قبل ان يوجد كان رسولا وفي حال نومه والى الابد رسول لبقاء الكلام وقدمه واستحالة البطلان على الارسال الذي هو كلام الله تعالى **ونقل السبكي** في طبقاته عن ابن فورك انه قال انه عليه السلام حي في قبره رسول الله ابد الاباد على الحقيقة لا المجاز انتهى وقال تعالى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين والمراد بالاميين العرب تنبيها لهم على قدر هذه النعمة وعظمها حيث كانوا اميين لا كتاب لهم وليس عندهم شيء من اثار النبوات كما عند اهل الكتاب فمن الله تعالى عليهم بهذا الرسول وبهذا الكتاب حتى صاروا افضل الامم واعلمهم وعرفوا ضلالة من ضل قبلهم من الامم وفي كونه عليه السلام منهم فائدتان احدهما ان هذا الرسول كان نبيا اميا كامته المبعوث اليهم لم يقرأ كتابا قط ولم يخطه بيمينه كما قال تعالى ولا خرج عن ديار قومه فاقام عند غيرهم حتى تعلم منهم بل لم يزل اميا بين امة امية لا يكتب ولا يقرا حتى بلغ الاربعين من عمره ثم جاء بعد ذلك بهذا الكتاب المبين وهذه الشريعة الباهرة وهذا الدين القويم الذي اعترف حذاق اهل الارض ونظارها انه لم يقرع العالم ناموس اعظم منه وفي هذا برهان عظيم على صدقه عليه السلام **الفائدة الثانية** التنبيه على ان المبعوث اليهم وهم الاميون خصوصا اهل مكة يعرفون نسبه وشرفه وصدقه وامانته وعفته وانه نشا بينهم معروفا بذلك وانه لم يكذب قط فكيف كان يدع الكذب على الناس ثم يفتري الكذب على الله عز وجل هذا هو الباطل ولذلك سال هرقل عن هذه الاوصاف واستدل بها على صدقه فيما ادعاه من النبوة والرسالة وقد قال الله تعالى خطابا له فانهم لا يكذبونك ويروى ان رجلا قال والله يا محمد ما كذبتنا قط فنتهمك اليوم ولكنا ان نتبعك نتخطف من ارضنا فنزلت هذه الاية رواه ابو صالح عن ابن عباس وعن مقاتل كان الحارث بن عامر يكذب النبي صلى الله عليه وسلم في العلانية فاذا خلا مع اهل بيته قال ما محمد من اهل الكذب وروي ان المشركين كانوا اذا راوه عليه السلام قالوا انه لنبي وعن علي قال قال ابو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله الاية والمعنى انهم ينكرون مع العلم بصحته اذ الجحد بمعنى الانكار مع العلم فان قلت فما الجمع بين هذا وبين قوله تعالى ولقد كذبت رسل من قبلك **اجيب** بانه على طريق الجحد وهو يختلف باختلاف احوالهم في الجهل فمنهم من وقع منه ذلك لجهله بحيث علم امن ومنهم من علم وانكر كفرا وعنادا فلا تعارض وروي ان ابا جهل لقيه صلى الله عليه وسلم فصافحه فقيل له اتصافحه فقال والله اني لاعلم انه نبي ولكن متى كنا تبعا

كابي جهل فيكون المراد بقوله فانهم لا يكذبونك قوما مخصوصين منهم لا كلهم فحينئذ م

لبني عبد مناف فانزل الله الاية رواه ابن ابي حاتم والقران كله مملوء بالايات الدالة على صدق
هذا الرسول الكريم وتحقيق رسالته وكيف يليق بكمال الله تعالى ان يقر من يكذب عليه اعظم الكذب
ويخبر عنه بخلاف ما الامر عليه ثم ينصره على ذلك ويؤيده ويعلي كلمته ويرفع شانه ويجيب
دعوته ويهلك عدوه ويظهر على يديه من الايات والبراهين والادلة ما يضعف عن مثله قوى
البشر وهو مع ذلك كاذب عليه مفتر ساع في الارض بالفساد ومعلوم ان شهادته سبحانه
على كل شيء وحكمته وعزته وكماله المقدس يابى ذلك كل الاباء ومن ظن ذلك به وجوزه عليه
فهو من ابعد الخلق عن معرفته ان عرف منه بعض صفاته كصفة القدرة وصفة المشيئة
والقران كله مملوء من هذه الطريق وهي طريق الخاصة بل خاصة الخاصة الذين يستدلون بالله
على افعاله وما يليق به ان يفعله وما لا يفعله واذا تدبرت القران رايته ينادي على ذلك ويبديه
ويعيده لمن له فهم وقلب واع عن الله تعالى قال الله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا
منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من احد عنه حاجزين افتراه سبحانه وتعالى يخبر
ان كماله وحكمته وقدرته تابى ان يقر من تقول عليه بعض الاقاويل بل لا بد ان يجعله عبرة لعباده
كما جرت بذلك سنته في المتقولين عليه وقال تعالى ام يقولون افترى على الله كذبا فان يشا الله
يختم على قلبك هنا انتهى جواب الشرط ثم اخبر خبرا جازما غير معلق انه يمحوا الباطل ويحق الحق
وقال تعالى وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء فاخبر ان من نفى عنه
الارسال والكلام لم يقدره حق قدره ولا عرفه كما ينبغي ولا عظمه كما ينبغي فكيف من ظن انه
ينصر الكاذب المفتري عليه ويؤيده ويظهر على يديه الايات والادلة وهذا في القران كثير يستدل
بكماله المقدس واوصافه وجلاله على صدق رسوله وعلى وعده ووعيده ويدعوا عباده الى ذلك
وقال تعالى لمن طلب اية تدل على صدق رسوله اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في
ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم يعلم ما في السموات والارض
والذين امنوا بالباطل وكفروا بالله اولئك هم الخاسرون فاخبر سبحانه ان الكتاب الذي انزله
يكفي من كل اية ففيه الحجة والدلالة على انه من الله وان الله سبحانه ارسل به رسوله وفيه
بيان ما يوجب لمن اتبعه السعادة وينجيه من العذاب ثم قال قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا
يعلم ما في السموات والارض فاذا كان سبحانه عالما بجميع الاشياء كانت شهادته اصدق شهادة
واعدلها فانها شهادة بعلم تام محيط بالمشهود به وهو سبحانه وتعالى يذكر علمه عند شهادته
وقدرته وملكه عند مجازاته وحكمته عند خلقه وامره ورحمته عند ذكر ارسال رسله
وحلمه عند ذنوب عباده فتامل ورود اسمائه الحسنى في كتابه وارتباطها بالخلق والامر
والثواب والعقاب انتهى وقال تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله
باذنه وسراجا منيرا اي شاهدا على الوحدانية وشاهدا في الدنيا باحوال بالطاعة والمعصية
والصلاح والفساد وشاهدا على الخلق يوم القيمة كما قال تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا
كانه تعالى يقول يا ايها المشرف من قبلنا انا ارسلناك شاهدا بوحدانيتنا وشاهدا بكمال فردانيتنا
تبشر عبادنا عنا وتحذرهم مخالفة امرنا وتعلمهم مواضع الخوف منا وداعيا الخلق الينا وسراجا
يستضيئون بك وشمسا تبسط شعاعك على جميع من صدقك وامن بك ولا يصل الينا الا من

يديه هم

الآخرة من الجنة والنار والميزان والصراط وشاهدا في الآخرة باحوال الدنيا صح

اتبعك

اتبعك وخدمك وقدمك فبشره بفضلنا وطولنا عليهم واحساننا اليهم ولما كان الله تعالى قد
جعله عليه السلام شاهدا على الوحدانية والشاهد لا يكون مدعيا فالله تعالى لم يجعل
النبي في مسالة الوحدانية مدعيا لها لان المدعي من يقول شيئا على خلاف الظاهر والوحدانية
اظهر من الشمس والنبي صلى الله عليه وسلم كان داعيا ادعا النبوة فجعل الله تعالى
نفسه شاهدا له في مجازاته كونه شاهدا لله تعالى فقال سبحانه والله يعلم انك لرسوله
ومن هذا قوله تعالى ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم
ومن عنده علم الكتاب واستشهد على رسالته بشهادة الله له وكذلك قوله تعالى قل اي
اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وقوله لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه
والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا او قوله والله يعلم انك لرسوله وقوله محمد رسول الله
فهذا امنه كله تعالى شهادة لرسوله قد اظهرها وبينها وبين صحتها غاية البيان بحيث قطع
العذر بينه وبين عباده واقام الحجة عليهم بكونه سبحانه شاهدا لرسوله وقال
تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا فيظهره
ظهورين ظهورا بالحجة والبيان وظهورا بالنصر والغلبة والتاييد حتى يظهره على مخالفيه
ويكون منصورا ومن شهادته تعالى ايضا ما اودعه في قلوب عباده من التصديق الجازم
واليقين الثابت والطمانينة بكلامه ووحيه فان الله تعالى فطر القلوب على قبول الحق
والانقياد له والطمانينة والسكون اليه ومحبته وفطرها على بغض الكذب والباطل والنفور
عنه وعدم السكون اليه ولو تركت الفطر على حالها لما اثرت على الحق سواه ولما سكنت
الا اليه ولا اطمانت الا به ولا احبت غيره ولهذا ندب الحق سبحانه الى تدبر القران فان كل
من تدبره اوجب له علما ضروريا ويقينا جازما انه حق بل احق كل حق واصدق كل صدق فقال
تعالى افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها فلو رفعت الاقفال عن القلوب لباشرتها
حقايق القران واستنارت فيها مصابيح الايمان وعلمت علما ضروريا كسائر الامور الوجدانية
كاللذة والالم انه من عند الله تكلم به حقا وبلغه رسوله جبريل الى رسوله محمد صلى الله
عليه وسلم فهذا الشاهد في القلب من اعظم الشواهد انتهى ملخصا من مدارج السالكين
وقال تعالى قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا ففي هذه الاية دلالة على انه صلى الله
عليه وسلم مبعوث الى كافة الثقلين وقالت العيسوية من اليهود وهم اتباع عيسى الاصبهاني
ان محمدا صادق مبعوث الى العرب غير مبعوث الى بني اسرائيل ودليلنا على ابطال قولهم
هذه الاية لان قوله تعالى يا ايها الناس خطاب يتناول كل الناس ثم قال اني رسول الله اليكم
جميعا وهذا يقتضي كونه مبعوثا الى جميع الناس وايضا فلانا نعلم بالتواتر انه كان يدعي
انه مبعوث الى الثقلين فاما ان نقول انه كان رسولا حقا او ما كان كذلك فان كان رسولا
حقا امتنع الكذب عليه ووجب الجزم بكونه صادقا في كل ما يدعيه فلما ثبت بالتواتر وبظاهر
هذه الاية انه كان يدعي كونه مبعوثا الى جميع الثقلين وجب كونه صادقا وذلك يبطل قول
من يقول انه كان مبعوثا الى العرب فقط لا الى بني اسرائيل واذا ثبت هذا فقوله
قوله تعالى يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا من الناس من يقول انه عام دخله

بينة

يشهد

برسول الله ما وجع غير اني اذا لم اراك استوحشت وحشة عظيمة حتى القاك فذكرت
الاخرة بحيث لا اراك هناك لاني ان دخلت الجنة فانت تكون في درجات النبيين وان انا المراد دخل الجنة
فحينئذ لا اراك ابدا فنزلت هذه الاية وذكر ابن ابي حاتم عن ابي الضحى عن مسروق قال
اصحاب محمد برسول الله ما ينبغي لنا ان نفارقك فانك لو قدمت لرفعت فوقنا ولم نرك فانزل الله
الاية وذكر عن عكرمة مرسلا قال اتى فتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله ان لنا منك
نظرة في الدنيا ويوم القيامة لا نراك فانك في الجنة في الدرجات العلا فانزل الله هذه الاية
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انت معي في الجنة وذكر ايضا فيها روايات اخر ان الفتى
ان شاء الله تعالى في مقصد محبته عليه السلام لكن قال المحققون لا تنكر صحة هذه الروايات
الا ان سبب نزول هذه الاية يجب ان يكون شيئا اعظم من ذلك وهو الحث على الطاعة والترغيب
فيها فانا نعلم ان خصوص السبب لا يقدح في عموم اللفظ فهذه الاية عامة في حق جميع المكلفين
وهو ان كل من اطاع الله واطاع الرسول فقد فاز بالدرجات العالية والمراتب الشريفة عنده
تعالى ثم ان ظاهر قوله تعالى ومن يطع الله والرسول انه يكفي الاكتفاء بالطاعة الواحدة لان اللفظ
الدال على الصفة يكفي في جانب الثبوت حصول ذلك المسمى مرة واحدة لكن لا بد ان يحمل على غير ظاهره
وان تحمل الطاعة على فعل المامورات وترك جميع المنهيات اذ لو حملناه على الطاعة الواحدة لدخل
فيه الفساق والكفار لانهم قد اتوا بالطاعة الواحدة قال الرازي قد ثبت في اصول الفقه
ان الحكم المذكور عقيب الصفة مشعر بكون ذلك الحكم معللا بذلك الوصف واذا ثبت هذا فنقول
قوله من يطع الله اي في كونه الهادي معرفته والاقرار بجلاله
وعزته وجبرياته وصمدانيته فصارت هذه الاية تنبيها على امرين عظيمين من احوال المعاد
فالاول ان منشا جميع السعادات يوم القيامة اشراق الروح بانوار معرفة الله فكل من كانت
هذه الانوار في قلبه اكثر وصفاؤها اقوى كان الى السعادات اقرب والى الفوز بالنجاة اوصل
والثاني ان الله تعالى ذكر في الاية السابقة وعد اهل الطاعة بالاجر العظيم والثواب
الجزيل ثم ذكر في هذه الاية وعدهم بكونهم مع النبيين وليس المراد ان يكون من اطاع الله
واطاع الرسول مع النبيين والصديقين كون الكل في درجة واحدة لان هذا يقتضي التسوية
في الدرجة بين الفاضل والمفضول وذلك لا يجوز فالمراد كونهم في الجنة بحيث يتمكن كل واحد منهم
من رؤية الاخر وان بعد المكان لان الحجاب اذا زال شاهد بعضهم بعضا واذا ارادوا الرؤية
والتلاقي قدروا على ذلك فهذا هو المراد من هذه المعية وقد ثبت وصح عنه صلى الله
عليه وسلم انه قال المرء مع من احب وثبت ايضا انه قال ان بالمدينة اقواما لا سرتم
مسيرا ولا نزلتم منزلا الا وهم معكم حبسهم العذر فالمعية والصحبة الحقيقية انما هي
بالسر والروح لا بمجرد البدن فهي بالقلب لا بالقالب ولهذا كان النجاشي معه صلى الله عليه
وسلم ومن اقرب الناس اليه وهو بين النصارى بارض الحبشة وعبد الله بن ابي من ابعد
الخلق عنه وهو معه في المسجد وذلك ان العبد اذا اراد بقلبه امرا من طاعة او معصية
او شخص من الاشخاص فهو بارادته ومحبته معه لا يفارقه فالارواح تكون مع الرسول
صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم وبينها وبينهم من المسافة الزمانية والمكانية

بعظيم وقال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم
وهذه الاية الشريفة تسمى اية المحبة قال بعض السلف ادعى قوم محبة الله فانزل الله
اية المحبة قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني وقال يحببكم الله اشارة الى دليل المحبة
وثمرتها وفائدتها فدليلها وعلامتها اتباع الرسول وفائدتها وثمرتها محبة المرسل لكم
فما لم تحصل المتابعة فلا محبة لكم حاصلة ومحبته لكم منتفية فجعل سبحانه اتباع رسوله
صلى الله عليه وسلم مشروطا بمحبتهم لله وشرطا لمحبة الله لهم ووجود المشروط ممتنع
بدون وجود تحقق شرطه فعلم انتفاء المحبة عند انتفاء المتابعة فانتفاء محبتهم لله
لازم لانتفاء المتابعة لرسوله وانتفاء المتابعة ملزوم لانتفاء محبة الله لهم فيستحيل
حينئذ ثبوت محبتهم لله وثبوت محبة الله لهم بدون المتابعة لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ودل على ان متابعة الرسول هي حب الله ورسوله وطاعة امره ولا يكفي ذلك
في العبودية حتى يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما فلا يكون شيء احب اليه من الله
ورسوله ومتى كان عنده شيء احب اليه منهما فهذا هو الشرك الذي لا يغفر لصاحبه
البتة ولا يهديه الله قال الله تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم
واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله
وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره والله لا يهدي القوم الفاسقين فكل من قدم
طاعة احد من هؤلاء على طاعة الله ورسوله او قول احد منهم على قول الله ورسوله او مرضاة
احد على مرضاة الله ورسوله او خوف احد منهم ورجاءه والتوكل عليه على خوف الله ورجائه
والتوكل عليه او معاملة احدهم على معاملة الله ورسوله فهو ممن ليس الله ورسوله احب اليه
مما سواهما وان قاله بلسانه فهو كذب منه واخبار بما ليس هو عليه انتهى ملخصا من كتاب
المدارج وسياتي مزيد لذلك ان شاء الله تعالى في مقصد محبته عليه السلام وقال تعالى
فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون اي الى
الصراط المستقيم فجعل رجاء الاهتداء اثر الامرين الايمان بالرسول واتباعه تنبيها على ان
من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو في الضلال فكل ما اتى به الرسول عليه السلام
يجب علينا الا ما خصه الدليل وقال تعالى فامنوا بالله ورسوله والنور الذي انزلنا يعني
القران فالايمان به صلى الله عليه وسلم واجب متعين لا يتم ايمان الا به ولا يصح اسلام الا معه
قال الله تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا اي ومن لم يؤمن
بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا وقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك ‎فهو من الكافرين
فيما شجر بينهم الاية معناه فوربك كقوله فوربك لنسالنهم اجمعين ولا مزيدة للتاكيد
لمعنى القسم كما في لئلا يعلم ولا يؤمنون جواب القسم اقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة انه لا يؤمن
احد حتى يحكم الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع اموره ويرضى بجميع ما حكم به وينقاد له
ظاهرا وباطنا وسواء كان الحكم بما يوافق اهواءهم او يخالفها كما ورد في الحديث والذي نفسي
بيده لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به وهذا يدل على ان من لم يرض بحكم
الرسول صلى الله عليه وسلم لا يكون مؤمنا وعلى انه لا بد من حصول الرضى بحكمه في القلب

هو النعمة العظمى هو الرحمة التي تجلى بها الرحمن في السر والجهر
فبيانه عليه السلام ونفعه رحمة ودعاؤه واستغفاره رحمة فرزق ذلك من قبله
وحرمه من رده فان قلت كيف كان رحمة وقد جاء بالسيف واستباحة الاموال
فالجواب من وجهين احدهما انه انما جاء بالسيف لمن استكبر وعاند ولم يتفكر
ولم يتدبر ومن اوصاف الله تعالى الرحمن الرحيم ثم هو منتقم من العصاة وقد قال
تعالى ونزلنا من السماء ماء مباركا ثم قد يكون سببا للفساد وثانيهما ان كل نبي من الانبيا
قبل نبينا اذا كذبه قومه اهلك الله المكذبين بالخسف والمسخ والغرق وقد اخر الله تعالى
عذاب من كذب نبينا الى الموت او الى القيامة لا يقال انه تعالى قال قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم
وقال ليعذب الله المنافقين لانا نقول تخصيص العام لا يقدح فيه وفي الشفا للقاضي عياض
يحكى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل هل اصابك من هذه الرحمة شيء قال نعم
كنت اخشى العاقبة فامنت لثناء الله تعالى علي بقوله عز وجل ذي قوة عند ذي العرش
مكين مطاع ثم امين انتهى وذكره السمرقندي في تفسيره بلفظ وذكر ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال لجبريل لقول الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فهل اصابك من هذه
الرحمة شيء قال نعم اصابني من هذه الرحمة شيء كنت اخشى عاقبة الامر فامنت بك لثناء الله
تعالى علي في قوله ذي قوة عند ذي العرش مكين وهذا يقتضي ان محمدا صلى الله عليه
وسلم افضل من جبريل وهو الذي عليه الجمهور خلافا لمن زعم ان جبريل افضل واستدل
بان الله تعالى وصف جبريل بسبعة اوصاف من صفات الكمال في قوله وانه لقول رسول
كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين ووصف محمدا صلى الله عليه وسلم
بقوله وما صاحبكم بمجنون ولو كان محمد صلى الله عليه وسلم مساويا لجبريل في صفات الفضل
ومقاربا له لكان وصف محمدا بمثل ذلك واجيب بانا متفقون على ان لمحمد صلى الله عليه
وسلم فضائل اخرى سوى ما ذكر في هذه الاية وعدم ذكر الله تعالى لتلك الفضائل هنا لا يدل
على عدمها بالاجماع واذا ثبت ان لمحمد صلى الله عليه وسلم فضائل اخر زائدة فيكون افضل من
جبريل وبالجملة فانفراد احد الشخصين بالوصف لا يدل البتة على انتفاء تلك الاوصاف عن الثاني
واذا ثبت بالدليل القرآني انه صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين والملائكة من جملة العالمين
وجب ان يكون افضل منهم والله اعلم وقال تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله
وخاتم النبيين هذه الاية نص في انه لا نبي بعده واذا كان لا نبي بعده فلا رسول بطريق الاولى
لان مقام الرسالة اخص من مقام النبوة فان كل رسول نبي ولا ينعكس كما قدمنا في اسمائه
الشريفة من المقصد الثاني وبذلك وردت الاحاديث عنه صلى الله عليه وسلم فروى احمد
من حديث ابي بن كعب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال مثلي في النبيين كمثل رجل بنى دارا
فاحسنها واكملها وترك فيها موضع لبنة لم يضعها فجعل الناس يطوفون بالبنيان ويعجبون منه
ويقولون لو تم موضع هذه اللبنة فانا في النبيين موضع تلك اللبنة رواه الترمذي بمعناه
عن ابي عامر العقدي وقال حديث حسن صحيح وفي حديث انس بن مالك مرفوعا ان الرسالة
والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي رواه الترمذي وغيره وفي حديث جابر مرفوعا

مثلي

مثلي ومثل الانبياء كمثل رجل بنى دارا فاكملها واحسنها الا موضع لبنة فكان من دخلها
ونظر اليها قال ما احسنها الا موضع هذه اللبنة فانا موضع اللبنة ختم بي الانبياء
عليهم السلام رواه ابو داود الطيالسي وكذا البخاري ومسلم وفي حديث ابي سعيد
الخدري فجئت انا فاتممت تلك اللبنة رواه مسلم وفي حديث ابي هريرة عند مسلم
وارسلت الى الخلق كافة وختم بي النبيون فمن تشريف الله تعالى له صلى الله عليه
وسلم ختم الانبياء والمرسلين به واكمال الدين الحنيف له وقد اخبر الله في كتابه
ورسوله في السنة المتواترة عنه انه لا نبي بعده ليعلموا ان كل من ادعى هذا
المقام بعده فهو كذاب افاك دجال ضال مضل ولو تخرق وشعبذ واتى بانواع السحر
والطلاسم والنيرنجيات فكلها محال وضلالة عند اولي الالباب ولا يقدح في هذا نزول
عيسى بن مريم عليه السلام بعده لانه اذا انزل كان على دين نبينا صلى الله عليه وسلم
ومنهاجه مع ان المراد انه اخر من نبئ قال ابو حيان من ذهب الى ان النبوة مكتسبة
لا تنقطع او الى ان الولي افضل من النبي فهو زنديق يجب قتله والله اعلم النوع
الرابع في التنويه انه صلى الله عليه وسلم في الكتب السالفة كالتوراة والانجيل بانه
صاحب الرسالة والتبجيل قال الله تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه
مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل وهذا يدل على انه لو لم يكن مكتوبا لكان ذكر هذا الكلام
من اعظم المنفرات لليهود والنصارى عن قبول قوله لان الاصرار على الكذب والبهتان
من اعظم المنفرات والعاقل لا يسعى فيما يوجب نقصان حاله وينفر الناس عن قبول مقاله
فلما قال لهم عليه السلام هذا دل على ان ذلك النعت كان مذكورا في التوراة والانجيل
وذلك من اعظم الدلائل على صحة نبوته لكن اهل الكتاب كما قال الله تعالى يكتمون الحق وهم
يعلمون ويحرفون الكلم عن مواضعه الا فهم قاتلهم الله قد عرفوا محمدا صلى الله عليه وسلم
كما عرفوا ابناءهم ووجدوه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل لكنهم حرفوهما وبدلوهما
ليطفئوا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون فلا بل نبوة نبينا
في كتابيهما بعد تحريفهما طافحة واعلام شرائعه ورسالته فيهما لائحة وكيف يغني عنهم
الكاتم وهذا اسم النبي صلى الله عليه وسلم بالسريانية مشفحا فمشفح محمد بغير شك
واعتباره انهم يقولون شفحا لاهيا اذا ارادوا ان يقولوا الحمد لله واذا كان الحمد شفحا
فمشفح محمد ولان الصفات التي اخبروا بها نبي وفاق لاحواله وزمانه ومخرجه ومبعثه
وشريعته صلى الله عليه وسلم فليدلونا على من هذه الصفات له ومن خرجت له الامم
من بين يديه فانقادت له واستجابت لدعوته ومن صاحب الجمل الذي هلكت بابل
واصنامها به على انا لو لم نات بهذه الا نبارق القصص من كتبهم الوكيل فيها او دع الله عز وجل
القرآن دليل على ذلك وفي تركهم جحد ذلك وانكاره وهو يقرعهم به دليل على اعترافهم له
بانه يقول الذين يتبعون الرسول الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل
ويقول لحكاية عن المسيح اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا
برسول ياتي من بعدي اسمه احمد ويقول يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون

الحق وانتم تعلمون ويقول الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وكانوا يقولون
لمخالفيهم عند القتال هذا نبي قد اظل مولده ويذكرون من صفته ما يجدونه في كتابهم
فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به حسدا او خوفا على الرياسة ويحتمل انهم كانوا يظنونه انه
من بني اسرائيل فلما بعثه الله من العرب من نسل اسمعيل عظم ذلك عليهم واظهروا
التكذيب فلعنة الله على الكافرين وقد كان صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى اتباعه
وتصديقه فكيف يجوز ان يحتج بباطل من الحجج بل يحتج بما عندهم وما في ايديهم
ويقول من علامة نبوتي او صدقي انكم تجدونني عندكم مكتوبا وهم لا يجدونه كما ذكر
او ليس ذلك مما يزيدهم عنه بعدا وقد كان غنيا ان يدعوهم بما ينفرهم ويستميلهم بما
يوحشهم وكم اسلم من علمائهم كعبد الله بن سلام وتميم الداري وكعب وقد
وقفوا منه على مثل هذه الدعاوي وقد روى ابن عساكر في تاريخ دمشق من طريق محمد
بن حمزة بن عبد الله بن سلام عن جده عبد الله بن سلام انه لما سمع بمخرج النبي
صلى الله عليه وسلم بمكة خرج فلقيه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انت ابن سلام
عالم اهل يثرب قال نعم قال ناشدتك الله الذي انزل التوراة هل تجد صفتي في كتاب الله
قال انسب ربك يا محمد فارتج النبي صلى الله عليه وسلم فقال له جبريل قل هو الله احد
الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد فقال ابن سلام اشهد انك رسول الله
وان الله مظهرك ومظهر دينك على الاديان واني لاجد صفتك في كتاب الله يا ايها النبي
انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ
ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا تجزي بالسيئة مثلها ولكن يعفو ويصفح ولكن
يقبضه الله حتى تستقيم به الملة المعوجة حتى يقولوا لا اله الا الله ويفتح به اعينا
عميا واذانا صما وقلوبا غلفا وقوله ليس بفظ ولا غليظ موافق لقوله تعالى فبما رحمة
من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ولا يعارض قوله واغلظ
عليهم لان النبي محمول على طبعه الكريم الذي جبل عليه والامر محمول على المعالجة او النفي
بالنسبة الى المؤمنين والامر بالنسبة للكفار والمنافقين كما هو مصرح به في نفس الاية
وقلوبا غلفا اي مغشاة مغطاة واحدها اغلف ومنه غلاف السيف ونحوه واخرج
البيهقي وابو نعيم عن ام الدرداء امراة ابي الدرداء قالت قلت لكعب كيف تجدون صفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة قال نجده موصوفا فيها محمد رسول الله اسمه
المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق واعطي المفاتيح ليبصر الله به اعينا
عورا ويسمع به اذانا صما ويقيم به السنة معوجة حتى يشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له يعين المظلوم ويمنعه من ان يستضعف وفي البخاري عن عطاء بن يسار
قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص قلت اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال اجل والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القران يا ايها النبي انا
ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل
ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح

ولن

ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله ويفتح به اعينا عميا
واذانا صما وقلوبا غلفا وعند ابن اسحق ولا صخب في الاسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال
للخنا اسدده لكل جميل واهب له كل خلق كريم ثم اجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى
ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته
والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته واحمد اسمه اهدي به بعد الضلالة واعلم
به بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة واسمي به بعد النكرة واغني به بعد العيلة واجمع به
بعد الفرقة واولف به بين قلوب مختلفة واهواء متشتتة وامم متفرقة واجعل امته
خير امة اخرجت للناس واخرج البيهقي عن ابن عباس قال قدم الجارود فاسلم فقال
والذي بعثك بالحق لقد وجدت وصفك في الانجيل ولقد بشر بك ابن البتول واخرج ابن سعد
قال لما امر ابراهيم باخراج هاجر حمل على البراق فكان لا يمر بارض عذبة سهلة الا قال
انزل ههنا يا جبريل فيقول لا حتى اتى مكة فقال جبريل انزل يا ابراهيم قال حيث لا ضرع
ولا زرع قال نعم ههنا يخرج النبي الذي من ذرية ابنك الذي تتم به الكلمة العليا
وفي التورية مما اختاروه بعد الحذف والتحريف والتبديل مما ذكره ابن ظفر في البشر
وابن قتيبة في اعلام النبوة تجلى الله من سيناء واشرق من ساعير واستعلن من جبال
فاران فسيناء هو الجبل الذي كلم الله فيه موسى وساعير هو الذي كلم الله فيه عيسى
وظهرت فيه نبوته وجبال فاران وهو اسم عبراني وليست الفه الاولى همزة هي جبال بني
هاشم الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحنث في احدها وفيه فاتحة الوحي وهو
احد ثلاثة اجبال احدها ابو قبيس والمقابل له قعيقعان الى بطن الوادي والثالث
الشرقي فاران ومعنى الذي يلي قعيقعان الى بطن الوادي هو شعب بني هاشم وفيه
مولده صلى الله عليه وسلم على احد الاقوال قال ابن قتيبة وليس بهذا غموض لان مجيء الله
من سيناء انزاله التوراة على موسى عليه السلام بطور سيناء ويجب ان يكون اشراقه
من ساعير انزاله على المسيح الانجيل وكان المسيح يسكن من ساعير ارض الخليل بقرية
تدعى ناصرة وباسمها سمي من اتبعه نصارى وكما وجب ان يكون اشراقه من ساعير انزاله
على المسيح فكذلك يجب ان يكون استعلانه من جبال فاران انزاله القران على محمد صلى الله
عليه وسلم وهي جبال مكة وليس بين المسلمين واهل الكتاب في ذلك خلاف في ان فاران
هي مكة وان ادعى انها غير مكة قلنا اليس في التوراة ان الله اسكن هاجر واسماعيل فاران
وقلنا دلونا على الموضع الذي استعلن الله منه واسمه فاران والذي انزل عليه كتابا
بعد المسيح اوليس استعلن الله منه وعلن بمعنى واحد وهو ما ظهر وانكشف فهل تعلمون
دينا ظهر ظهور الاسلام وفشا في مشارق الارض ومغاربها فشوه وفي التورية ايضا
مما ذكره ابن ظفر بل خطابا لموسى والمراد به الذين اختارهم لميقات ربه الذين اخذتهم الرجفة
حفظوا شأن بني اسرائيل عموما والله ربك يقيم نبيا من اخوتك فاستمع له كالذي سألت ربك
في حوريب يوم الاجتماع حين قلت لا اعود اسمع صوت الله ربي لئلا اموت فقال الله لي نعم ما قالوا
وسأقيم لهم نبيا مثلك من اخوتهم واجعل كلامي في فمه فيقول لهم كل شيء امرته وايما رجل

جبال الثلاثة
للجبال

اختلافهم

النبي

استعلن
فشا فشو

لم يطع من تكلم باسمي فاني انتقم منه قال وفي هذا الكلام ادلة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فقوله نبيا من اخوتهم وموسى وقومه من بني اسحق واخوتهم بنو اسماعيل ولو كان هذا النبي الموعود به من بني اسحق لكان من انفسهم لا من اخوتهم واما قوله نبي مثلك وقد قال في التوراة لا يقوم في بني اسرائيل احد مثل موسى وفي ترجمة اخرى مثل موسى لا يقوم في بني اسرائيل ابدا فقد ذهبت اليهود الى ان هذا النبي الموعود به هو يوشع بن نون وذلك باطل لان يوشع لم يكن كفوا لموسى عليهما السلام بل كان خادما له في حياته ومؤكدا لدعوته بعد وفاته فتعين ان يكون المراد به محمدا صلى الله عليه وسلم فانه كفو موسى لانه فائقه مماثلة في نصب الدعوة والتحدي بالمعجزة وشرع الاحكام واجراء النسخ على الشرائع السالفة وقوله تعالى اجعل كلامي في فمه فانه واضح في ان المقصود به محمد صلى الله عليه وسلم لان معناه اوحي اليه بكلامي فينطق به على ما سمعه ولا انزل صحفا ولا الواحا لانه امي يحسن ان يقرأ المكتوب **وفي الانجيل** ما ذكره ابن ظفر في الدر المنظم قال يوحنا في انجيله عن المسيح انه قال انا اطلب لكم من الاب ان يعطيكم فارقليطا اخر يثبت معكم الى الابد روح الحق الذي لن يطيق العالم ان يقبلوه وهو عند ابن ظفر بلفظ ان احببتموني فاحفظوا وصيتي وانا اطلب الى ابي فيعطيكم فارقليطا اخر يكون معكم الدهر كله قال فهذا تصريح بان الله سيبعث اليهم من يقوم مقامه وينوب في تبليغ رسالة ربه وسياسة خلقه منابه وتكون شريعته باقية مخلدة ابدا فهل هذا الا محمد صلى الله عليه وسلم انتهى ولم يذكر فصول الفارقليط كما افاده ابن ظفر بل سوى يوحنا دون غيره من نقلة الاناجيل وقد اختلف النصارى في تفسير الفارقليط فقيل هو الحامد وقيل المخلص فان وافقناهم على انه المخلص افضى بنا الامر الى ان المخلص رسول يأتي لخلاص العالم وذلك من غرضنا لان كل نبي مخلص لامته من الكفر ويشهد له قول المسيح في الانجيل اني جئت لخلاص العالم **فاذا ثبت** ان المسيح هو الذي وصف نفسه بانه مخلص العالم وهو الذي سأل الاب ان يعطيهم فارقليطا اخر ففي مقتضى اللفظ ما يدل على انه تقدم فارقليط اول حتى يأتي فارقليط اخر وان تنزلنا معهم على القول انه الحامد فاي لفظ اقرب الى احمد ومحمد من هذا قاله ابن ظفر وفي الانجيل مما ترجموه ما يدل على ان الفارقليط الرسول فانه قال ان هذا الكلام الذي تسمعونه ليس هو لي بل الاب الذي ارسلني بهذا الكلام لكم واما الفارقليط روح القدس الذي يرسله ابي باسمي فهو يعلمكم كل شيء وهو يذكركم كلما قلته لكم فهل بعد هذا بيان لبس هذا صريح في ان الفارقليط رسول يرسله الله وهو روح القدس وهو يصدق بالمسيح ويظهر اسمه انه رسول حق من الله وليس باله وهو يعلم الخلق كل شيء ويذكرهم كلما قاله المسيح عليه السلام لهم وكلما امرهم به من توحيد الله واما قوله ابي فهذه اللفظة مبدلة محرفة وليست منكرة الاستعمال عند اهل الكتابين اشارة الى الرب سبحانه وتعالى لانها عندهم لفظة تعظيم يخاطب بها المتعلم معلمه الذي يستمد منه العلم ومن المشهور مخاطبة النصارى عظماء دينهم بالاباء الروحانية ولم تزل بنوا اسرائيل وبنوا عيصوا يقولون نحن ابناء الله لسوء فهمهم عن الله تعالى واما قوله يرسل ابي باسمي فهو اشارة الى شهادة المصطفى صلى الله عليه وسلم

له بالصدق والرسالة وما تضمنه القرآن من مدحه عما افتري في امه **وفي ترجمة اخرى** للانجيل انه قال الفارقليط اذا جاء وبخ العالم على الخطيئة ولا يقول من تلقاء نفسه ما يسمع يكلمهم به ويسوسهم بالحق ويخبر بالحوادث وهو عند ابن ظفر بلفظ فاذا جاء روح الحق فليس ينطق من عنده بل يتكلم بكلما يسمع ويخبركم بما يأتي وهو يمجدني لانه يأخذ مما هو لي ويخبركم فقوله ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكلما يسمع ويخبركم بما يأتي وفي الرواية الاخرى ولا يقول من تلقاء نفسه بل يتكلم بكل ما يسمع اي من الله الذي ارسله وهذا كما قال الله تعالى في حقه صلى الله عليه وسلم وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وقوله وهو يمجدني فلم يمجده حق تمجيده الا محمد صلى الله عليه وسلم لانه وصفه بانه رسول الله وبرأه وبرأ امه عليهما السلام مما نسب اليهما وامر امته بذلك قال ابن ظفر فمن ذا الذي وبخ العلماء على كتمان الحق وتحريف الكلم عن مواضعه وبيع الدين بالثمن البخس ومن الذي انذر بالحوادث واخبر بالغيوب الا محمد صلى الله عليه وسلم ولله در ابي محمد عبد الله الشقراطسي حيث قال في قصيدته المشهورة حيث قال

توراة موسى اتت عنه فصدقها * انجيل عيسى بحق غير مفتعل
اخبار احبار اهل الكتب قد وردت * عما راوا وروا في الاعصر الاول

ويعجبني قول العارف الرباني ابي عبد الله بن النعمان حيث قال

هذا النبي محمد جاءت به * توراة موسى للانام تبشر
وكذاك انجيل المسيح موافق * ذكر الاحمد معرب ومذكر

ورحم الله ابن جابر حيث قال

لبعثته في كل جيل علامة * على ما جلته الكتب من ازمن الاول
فجاء به انجيل عيسى باخر * كما قد مضت توراة موسى باول

وفي الدلائل للبيهقي عن الحاكم بسند لا بأس به عن ابي امامة الباهلي عن هشام بن العاص الاموي قال بعثت انا ورجل اخر الى هرقل صاحب الروم ندعوه الى الاسلام فذكر الحديث وانه ارسل اليهما ليلا قال فدخلنا عليه فدعا بشيء كهيئة الربعة العظيمة مذهبة فيها بيوت صغار عليها ابواب ففتح واستخرج خرقة سوداء فنشرها فاذا فيها صورة حمراء واذا رجل ضخم العينين عظيم الاليتين لم ار مثل طول عنقه واذا له ضفيرتان احسن ما خلق الله تعالى قال اتعرفون هذا قلنا لا قال هذا آدم عليه السلام ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه خرقة سوداء واذا فيها صورة بيضاء احمر العينين ضخم الهامة حسن اللحية فقال اتعرفون هذا قلنا لا قال هذا نوح عليه السلام قال ثم فتح بابا آخر واخرج خرقة فاذا فيها صورة بيضاء فاذا فيها والله رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتعرفون هذا قلنا نعم محمد رسول الله وبكينا والله انه قام قائما ثم جلس وقال آلله انه هو قلنا نعم انه لهو كانك تنظر اليه فامسك ساعة ينظر اليها ثم قال اما والله انه لآخر البيوت ولكني عجلته لكم لانظر ما عندكم الحديث وفيه ذكر صور الانبياء ابراهيم وموسى وعيسى وسليمان وغيرهم قال فقلنا له من اين لك هذه الصور فقال ان آدم عليه السلام سأل ربه ان يريه الانبياء من ولده فانزل عليه

سورتهم فكان في خزانة آدم عليه السلام عند مغرب الشمس فاستخرجها ذو القرنين من مغرب
الشمس فدفعها الى دانيال **وفي زبور داود** عليه السلام في مزمور أربعة وأربعين
فاضت النعمة من شفتيك من اجل هذا بارك الله الى الابد تقلد ايها الجبار السيف فان
شرايعك وسننك مقرونة بهيبة يمينك وسهامك مسنونة وجميع الامم يخرون تحتك
فهذا المزمور نبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم فالنعمة التي فاضت من شفتيه هي القول الذي
بعثوله وهو الكتاب الذي انزل عليه والسنة التي سنها وفي قوله تعالى سيفك ايها الجبار دلالة
على انه النبي العربي اذ ليس يتقلد السيف امة من الامم سوى العرب فكلهم يتقلدونها على
عواتقهم وفي قوله فان شرايعك وسننك نص صريح انه صاحب شريعة وسنة وانها تقوم
بسيفه والجبار الذي يجبر الخلق بالسيف على الحق ويصرفهم عن الكفر جبرا وعن وهب بن منبه
قال قرات في بعض الكتب القديمة قال الله تبارك وتعالى وعزتي وجلالي لانزلن على جبال العرب
نورا يملا ما بين المشرق والمغرب ولاخرجن من ولد اسماعيل نبيا عربيا اميا يؤمن به عدد
نجوم السماء ونبات الارض كلهم يؤمن بي ربا وبه رسولا يكفرون بملل ابائهم ويفرون منها
قال موسى سبحانك وتقدست اسماؤك لقد كرمت هذا النبي وشرفته فقال الله يا موسى
اني انتقم من عدوه في الدنيا والاخرة واظهر دعوته على كل دعوة واذل من خالف شريعته
بالعدل زينته وللقسط اخرجته وعزتي لاستنقذن به امما من النار فتحت الدنيا بابراهيم
وختمتها بمحمد فمن ادركه ولم يؤمن به ولم يدخل في شريعته فهو من الله بري ذكره ابن ظفر
وغيره **النوع الخامس** في ايات تتضمن اقسامه تعالى على تحقيق رسالته وثبوت ما اوحى الله
من اياته وعلو رتبته الرفيعة ومكانته وهذا النوع اعزك الله لخصت اكثره من كتاب اقسام
القران للعلامة ابن القيم مع زيادات من فوايد الفوايد فاعلم انه تعالى اقسم بامور على امور
وانما اقسم بنفسه الموصوفة بصفاته واياته المستلزمة لذاته وصفاته واقسامه ببعض
مخلوقاته دليل على انه من عظيم اياته ثم انه تعالى تارة يذكر جواب القسم وهو الغالب وتارة
يحذفه وتارة يقسم على ان القران حق وتارة على ان الجزاء والوعد والوعيد فالاول لقوله تعالى
يس والقران الحكيم انك لمن المرسلين **والثالث** لقوله والذاريات ذروا الى قوله وان الدين
لواقع **وهذه الامور الثلاثة** متلازمة فمتى ثبت ان الرسول حق ثبت ان القران حق
وثبت المعاد ومتى ثبت ان القران حق ثبت صدق الرسول الذي جاء به ومتى ثبت ان الوعد
والوعيد حق ثبت صدق الرسول الذي جاء به وفي هذا النوع خمسة فصول **الفصل**
الاول في قسمه تعالى على ما خصه من الخلق العظيم قال الله تعالى ن والقلم وما يسطرون
ما انت بنعمة ربك بمجنون وان لك لاجرا غير ممنون وانك لعلى خلق عظيم ن من اسماء الحروف
كالم والمص وق واختلف فيها فقيل هي اسماء للقران وقيل اسماء للسور وقيل اسماء الله
ويدل عليه ان عليا رضي الله عنه كان يقول يا كهيعص يا حمعسق كما قيل ولعله اراد يا منزلها
وقيل انه سر استاثر الله بعلمه وقد روي عن الخلفاء الاربعة وغيرهم من الصحابة ما يقرب
منه ولعلهم ارادوا انها اسرار بين الله ورسوله لم يقصد بها افهام غيره اذ يبعد الخطاب
بما لا يفيد وقيل المراد بقوله تعالى ن هنا نون اسم الحوت وهل المراد به الجنس او البهموت وهو

الذي

وتارة على ان الرسول حق صح

فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقران كريم والثاني لقوله تعالى صح

وجاء من الفضل العميم صح

الذي عليه الارض وقيل المراد بها الدواة وهو مروي عن ابن عباس ويكون هذا قسما بالدواة
والقلم فان المنفعة بهما بسبب الكتابة عظيمة فان التفاهم تارة يحصل بالنطق وتارة بالكتابة
وقيل ان نون لوح من نور تكتب فيه الملائكة ما يامرهم به رواه معاوية بن قرة مرفوعا
اقسم تعالى بالكتاب وآلته وهو القلم الذي هو احدى اياته واول مخلوقاته الذي جرى به
قدره وشرعه وكتب به الوحي وقيد به الدين واثبتت به الشريعة وحفظت به العلوم
وقامت به مصالح العباد في المعاش والمعاد واقام في الناس ابلغ خطيب وافصحه وانفعه لهم وانصحه
وواعظا تشفي مواعظه القلوب من السقم وطبيبا يبري باذن باريه من انواع الالم على تنزيه
نبيه ورسوله محمد المحمود في افعاله واقواله مما غمصته اعداؤه الكفرة به وتكذيبهم له
بقوله تعالى ما انت بنعمة ربك بمجنون وكيف يرمى بالجنون من اتى بما عجزت العقلاء قاطبة
عن معارضته وكلت عن مماثلته وعرفهم من الحق ما لا تهتدي اليه عقولهم بحيث اذعنت له
عقول العقلاء وخضعت له الباب الالباء وتلاشت في جنب ما جاء به بحيث لم يسعها الا التسليم
له والانقياد والاذعان طايعة مختارة فهو الذي كمل عقولها كما يكمل الطفل برضاع الثدي
ثم اخبر تعالى عن كمال حالتي نبيه صلى الله عليه وسلم في دنياه واخرته فقال وان لك لاجرا
غير ممنون اي ثوابا غير منقطع بل هو دايم مستمر ونكر الاجر للتعظيم اي اجرا عظيما لا يدركه
الوصف ولا يناله التعبير ثم اثنى بما منحه فقال وانك لعلى خلق عظيم وهذه اعظم ايات نبوته
ورسالته ولقد سالت عايشة رضي الله عنها عن خلقه صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه
القران ومن ثم قال ابن عباس وغيره اي على دين عظيم وسمي الدين خلقا لان الخلق هيئة مركبة
من علوم صادقة وارادات زاكية واعمال ظاهرة وباطنة موافقة للعدل والحكمة والمصلحة
واقوال مطابقة للحق تصدر تلك الاقوال والاعمال عن تلك العلوم والارادات فتكتسب
النفس بها اخلاقا هي ازكى الاخلاق واشرفها وافضلها وهذه كانت اخلاقه صلى الله عليه وسلم
المقتبسة من القران فكان كلامه مطابقا للقران تفصيلا وتبيينا وعلومه علوم القران وارا
دته واعماله ما اوجبه وندب اليه القران واعراضه وتركه لما منع منه القران ورغبته فيما رغب
فيه وزهده فيما زهد فيه وكراهته لما كرهه ومحبته لما احبه وسعيه في تنفيذ اوامره
فترجمت ام المؤمنين لكمال معرفتها بالقران وبالرسول وحسن تعبيرها عن هذا كله
بقولها كان خلقه القران وفهم السايل عنها هذا المعنى فاكتفى به واشتفى ولما وصفه
تعالى بانه على خلق عظيم قال فستبصر ويبصرون بايكم المفتون اي فسترى يا محمد
ويرى المشركون كيف عاقبة امرك فانك تصير معظما في القلوب ويصيرون اذلاء مغلوبين
وتستولي عليهم بالقتل والنهب **الفصل الثاني** في قسمه تعالى على ما انعم
عليه واظهره من قدره العلي لديه قال الله تعالى والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك
وما قلى السورة اقسم تعالى على انعامه على رسوله صلى الله عليه وسلم واكرامه له واعطائه
ما يرضيه وذلك متضمن لتصديقه فهو قسم على صحة نبوته وعلى جزائه في الاخرة فهو قسم
على النبوة والمعاد واقسم تعالى بايتين عظيمتين من اياته دالتين على ربوبيته ووحدانيته
وحكمته ورحمته وهما الليل والنهار وفسر بعضهم كما حكاه الامام فخر الدين الضحى بوجه

كله صح

ولا استبعاد

صلى الله عليه وسلم والليل لشعره قال ولا استبعاد فيه وتامل مطابقة هذا القسم
وهو نور الضحى الذي يوافي بعد ظلام الليل للمقسم عليه وهو نور الوحي الذي وافاه بعد
احتباسه عنه حتى قال اعداوه ودع محمدا ربه فاقسم بضوء النهار بعد ظلمة الليل وعلى
ضوء الوحي ونوره بعد ظلمة احتباسه واحتجابه وايضا فان الذي اقتضت رحمته ان لا يترك عباده
في ظلمة الليل سرمدا بل هداهم بضوء النهار الى مصالحهم ومعايشهم لا يتركهم في ظلمة
الجهل والغي بل يهديهم بنور الوحي والنبوة الى مصالح دنياهم واخرتهم فتامل حسن ارتباط
المقسم به بالمقسم عليه وتامل هذه الجزالة والرونق الذي على هذه الالفاظ والجلالة التي
على معانيها ونفي سبحانه ان يكون ودع نبيه او قلاه فالتوديع الترك والقلا البغض اي ما تركك
منذ اعتنى بك ولا ابغضك منذ احبك وحذف الكاف في قلا اكتفا بكاف ودعك ولان رؤس الايات
بالياء فاوجب اتفاق الفواصل حذفها وهذا يعم كل احواله وان كل حالة يرقيه اليها خير له
مما قبلها كما ان الدار الاخرة هي خير له مما قبلها ثم وعده بما تقر به عينه وتفرح به نفسه وينشرح
به صدره وهو انه يعطيه فيرضى وهذا يعم ما يعطيه من القران والهدى النصر والظفر باعدايه
يوم بدر وفتح مكة ودخول الناس في الدين افواجا والغلبة على بني قريظة والنضير واجلاهم
عساكره وسراياه في بلاد العرب وما فتح على خلفايه الراشدين في اقطار الارض من المداين
وما قذف في قلوب اعدايه من الرعب ولنشر الدعوة ورفع ذكره واعلا كلمته وما يعطيه
بعد مماته وما يعطيه في موقف القيامة من الشفاعة والمقام المحمود وما يعطيه في الجنة
من الوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر قال ابن عباس يعطيه الف قصر من لولو ابيض ترابها
المسك وفيها ما يليق بها وبالجملة فقد دلت هذه الاية على انه تعالى يعطيه عليه السلام كلما
يرضيه واما ما يغتر به الجهال من انه لا يرضى وواحد من امته في النار او لا يرضى ان يدخل احد
من امته النار فهو من غرور الشيطان لهم ولعبه بهم فانه صلوات الله وسلامه عليه يرضى
بما يرضى به ربه تبارك وتعالى وهو سبحانه يدخل النار من يستحقها من الكفار والعصاة ثم يحد
لرسوله صلى الله عليه وسلم حدا يشفع فيهم كما ثبت في الصحيح المعتمد الخبر ان شا الله تعالى
ورسوله عليه السلام اعرف بحقه من ان يقول لا ارضى ان تدخل احدا من امتي النار او تدعه
فيها بل ربه تبارك وتعالى ياذن له فيشفع فيمن شاء الله ان يشفع فيه ولا يشفع في غير من
اذن له ورضيه ثم ذكر سبحانه نعمه عليه من ايوايه بعد يتمه قال الزجاج كنت يتيما فاوى
وذهب بعضهم الى ان معنى اليتيم من قولهم درة يتيمة اي لم يجد لك واحدا في قريش عديم
النظير فاواك اليه واغناك بعد الفقر ثم امره سبحانه ان يقابل هذه النعم الثلاث بما يليق
بها من الشكر فنهاه ان يقهر اليتيم وان ينهر السايل وان يكتم النعمة بل يحدث بها فان من شكر
النعمة التحدث بها وقيل المراد بالنعمة النبوة والتحدث بها تبليغها

الفصل الثالث

في قسمه تعالى على تصديقه عليه السلام فيما اتى به من وحيه وكتابه وتنزيهه عن الهوى
في خطابه قال الله تعالى والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى اقسم تعالى
بالنجم على تنزيه رسوله وبراته مما نسبه اليه اعداوه من الضلال والغي واختلف المفسرون
في المراد بالنجم باقاويل معروفة منها النجم على ظاهره ويكون اللام للتعريف العهدي في قوله والتعريف

الخنس

الخنس في احد وعشرين النجوم التي يهتدى بها واصل الثريا اذا سقطت وغابت وهو مروي عن ابن عباس
في رواية علي بن ابي طالب وعطية والعرب اذا اطلقت النجم تريد به الثريا وعن ابن عباس
في رواية عكرمة النجوم التي ترمى بها الشياطين اذا سقطت في اثارها عند استراق السمع
وهذا قول الحسن وعن السدي الزهري وعن الحسن النجوم اذا سقطت يوم القيمة وقيل النجم
النبت الذي لا ساق له وهوى اي سقط على الارض وقيل القران رواه الكلبي عن ابن عباس
لانه نزل نجوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول مجاهد ومقاتل والضحاك وقال
جعفر بن محمد بن علي بن الحسين هو محمد صلى الله عليه وسلم اذا هوى اذا نزل من السماء
ليلة المعراج والظاهر الاقوال كما قاله ابن القيم انها النجوم التي ترمى بها الشياطين ويكون سبحانه
قد اقسم بهذه الاية الظاهرة المشاهدة التي نصبها الله تعالى اية وحفظا للوحي من استراق
الشياطين على ان ما اتى به رسوله حق وصدق لا سبيل للشيطان ولا طريق له اليه بل قد
حرس بالنجم اذا هوى رصدا بين يدي الوحي وحرسا له وعلى هذا فالارتباط بين المقسم به
والمقسم عليه في غاية الظهور وفي المقسم به دليل على المقسم عليه وليس بالبين تسمية
القران عند نزوله بالنجم اذا هوى ولا تسمية نزوله هويا ولا عهد في القران بذلك
فيحمل هذا اللفظ عليه وليس بالبين تخصيص هذا القسم بالثريا وحدها اذا غابت وليس
بالبين ايضا القسم بالنجوم عند انتثارها يوم القيمة بل هذا انما يقسم الرب عليه ويدل
عليه باياته فلا يجعله نفسه دليلا لعدم ظهوره للمخاطبين ولا سيما منكروا البعث
فانه سبحانه انما يستدل بما لا يمكن جحده ولا المكابرة فيه ثم انه بين المقسم به والمقسم
عليه ما لا يخفى فان قلنا ان المراد النجوم التي هي للاهتداء فالمناسبة ظاهرة
وان قلنا ان المراد الثريا فلانه اظهر النجوم عند الرائي لانه لا يشتبه بغيره
في السما بل هو ظاهر لكل احد والنبي صلى الله عليه وسلم تميز عن الكل بما منح من الايات
البينات ولان الثريا اذا ظهرت من المشرق حان ادراك الثمار واذا ظهرت من المغرب
قرب او اخر الخريف فتقل الامراض والنبي صلى الله عليه وسلم لما ظهر قل الشرك
والامراض القلبية وان قلنا ان المراد بها القران فهو استشهاد بمعجزته صلى الله
عليه وسلم على صدقه وبراته وانه ما ضل ولا غوى وان قلنا ان المراد النبات فالنبات
به ثبات القوى الجسمانية وصلاحها والقوى العقلية اولى بالصلاح وذلك بالرسل وايضاح
السبل وتامل كيف قال تعالى ما ضل صاحبكم ولم يقل ما ضل محمد تاكيدا لاقامة الحجة
عليهم بانه صاحبهم وهم اعلم الخلق به وبحاله واقواله واعماله وانهم لا يعرفونه بكذب
ولا غي ولا ضلال ولا ينقمون عليه امرا واحدا قط وقد نبه تعالى على هذا المعنى بقوله
عز وجل ام لم يعرفوا رسولهم ثم نزه نطق رسوله صلى الله عليه وسلم ان يصدر عن
هوى فقال تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ولم يقل ينطق بالهوى لان
نفي نطقه عن الهوى ابلغ فانه يتضمن ان نطقه لا يصدر عن هوى واذا لم يصدر عن هوى
فكيف ينطق به فيتضمن نفي الامرين نفي الهوى عن مصدر النطق ونفيه عن النطق
نفسه فنطقه بالحق ومصدره الهدى والرشاد لا الغي والضلال ثم قال تعالى ان هو الا وحي

يوحي فاعاد الضمير عن المصدر المفهوم من الفعل اي ما نطقه الا وحي يوحي وهذا احسن من جعل الضمير عائدا الي القران فان نطقه بالقران والسنة وان كلها وحي يوحي قال الله تعالي وانزلنا عليك الكتاب والحكمة وهما القران والسنة وذكر الاوزاعي عن حسان بن عطية قال كان جبريل ينزل علي رسول الله صلي الله عليه وسلم بالسنة كما ينزل عليه بالقران يعلمه اياها ثم اخبر تعالي عن وصف من علمه الوحي والقران بما يعلم انه مضاد لاوصاف الشيطان معلم الضلال والغواية فقال علمه شديد القوي وهو جبريل اي قواه العلمية والعملية كلها شديدة ولا شك ان مدح المعلم مدح للمتعلم فلو قال علمه جبريل ولم يصفه لم يحصل للنبي صلي الله عليه وسلم به فضيلة ظاهرة وهذا نظير قوله تعالي ذي قوة عند ذي العرش مكين كما سياتي البحث فيه ان شا الله تعالي ثم اخبر سبحانه وتعالي عن تصديق فواده لما راته عيناه وان القلب صدق العين وليس كمن راي شيا علي خلاف ما هو به فكذب فواده بصره بل ما راه ببصره صدقه الفواد وعلم انه كذلك وفي حديث قصة الاسرا مزيد لما ذكرته هنا والله اعلم والموفق والمعين **وقال تعالي** فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس الي قوله وما هو بقول شيطان رجيم اي لا اقسم اذ الامر اوضح من ان يحتاج الي قسم او اقسم ولا مزيدة للتاكيد وهذا قول اكثر المفسرين بدليل قوله تعالي وانه لقسم لو تعلمون عظيم قال الزمخشري والوجه ان يقال هي للنفي اي انه لا يقسم بالشي الا اعظاما له فكانه بادخال حرف النفي يقول ان اعظامي به كلا اعظام يعني انه يستاهل فوق ذلك **اقسم سبحانه** وتعالي بالنجوم في احوالها الثلاثة من طلوعها وجريانها وغروبها وبانصرام الليل واقبال النهار عقيبه من غير فصل فذكر سبحانه حالة ضعف هذا وادباره وحالة قوة هذا وتنفسه واقباله يطرد ظلمة الليل بتنفسه فكلما تنفس هرب الليل وادبر بين يديه وذلك من اياته ودلائل ربوبيته ان القران قول رسول كريم وهو هنا جبريل لانه ذكر صفته قطعا بعد ذلك بما يعينه به واما الرسول الكريم في الحاقة فهو محمد صلي الله عليه وسلم فاضافه الي الرسول الملكي تارة والي البشري اخري واضافته اليهما اضافة تبليغ لا اضافة انشا من عندهما ولفظ الرسول يدل علي ذلك فان الرسول هو الذي يبلغ كلام من ارسله فهذا صريح في انه كلام من ارسله جبريل ومحمد صلي الله عليهما وسلم فجبريل تلقاه عن الله ومحمد صلي الله عليه وسلم عن جبريل وقد وصف الله تعالي رسوله الملكي في هذه السورة بانه كريم يعطي افضل العطايا وهي العلم والمعرفة والهداية والبر والارشاد وهذا غاية الكرم ذي قوة كما قال في النجم علمه شديد القوي فيمنع الشياطين ان تدنو منه وان يزيدوا فيه او ينقصوا منه وروي انه رفع قريات قوم لوط علي قوادم جناحه حتي سمع اهل السما نباح كلابها واصوات نبيها عند ذي العرش مكين اي متمكن المنزلة وهذه العندية عندية الاكرام والتشريف والتعظيم مطاع في ملايكة الله المقربين يصدرون عن امره ويرجعون الي رايه امين علي وحي الله ورسالاته فقد عصمه الله من الخيانة والزلل فهذه خمس صفات تتضمن تزكية سند القران وانه سماع محمد صلي الله عليه وسلم من جبريل

الموجه
ان اعطائي باسائي

بقوته

وسماع

وسماع جبريل من رب العالمين فناهيك بهذا السند علوا وجلالة فقد تولي الله تزكيته بنفسه ثم نزه رسوله البشري وزكاه مما يقول فيه اعداوه فقال وما صاحبكم بمجنون وهذا امر يعلمونه ولا يشكون فيه وان قالوا بالسنتهم خلافه فهم يعلمون انهم كاذبون ثم اخبر عن رويته صلي الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام وهذا يتضمن انه ملك موجود في الخارج يري بالعيان ويدرك بالبصر خلافا لقوم فحقيقته عندهم انه خيال موجود في الاذهان لا في العيان وهذا مما خالفوا فيه جميع الرسل واتباعهم وخرجوا عن جميع الملل ولهذا كان تقرير روية النبي صلي الله عليه وسلم لجبريل اهم من تقرير رويته لربه تبارك وتعالي وان رويته عليه السلام لجبريل هي اصل الايمان الذي لا يتم الا باعتقادها ومن انكرها كفر قطعا واما رويته لربه تعالي فغايتها ان تكون مسالة نزاع لا يكفر جاحدها بالاتفاق وقد صرح جماعة من الصحابة بانه لم يره فحن الي تقرير رويته لجبريل احوج منا الي تقرير رويته لربه تعالي وان كانت روية الرب سبحانه اعظم من روية جبريل فان النبوة لا تتوقف ثبوتها عليها البتة ثم نزه تعالي رسوليه كليهما صلي الله عليهما وسلم احدهما بطريق النطق والثاني بطريق اللزوم عما يضاد مقصود الرسالة من الكتمان الذي هو الضنة والبخل والتبديل والتغيير الذي يوجب التهمة فقال وما هو علي الغيب بضنين فان الرسالة لا يتم مقصودها الا بامرين اداوها من غير كتمان وادايها علي وجهها من غير زيادة ولا نقصان والقراتان كالايتين فتضمنت احداهما وهي قراة الضاد تنزيهه عن البخل فان الضنين البخيل يقال ضننت به اضن بوزن بخلت ابخل ومعنا وقال ابن عباس ليس بخيل بما انزل الله وقال مجاهد لا يضن عليهم بما يعلم واجمع المفسرون علي ان الغيب هاهنا القران والوحي قال الفرا يقول تعالي يانه غيب من السما وهو منفوس فيه فلا يضن به عليكم وهذا معني حسن جدا فان عادة النفوس الشح بالشي النفيس ولا سيما عن من لا يعرف قدره ومع هذا فالرسول صلي الله عليه وسلم لا يبخل عليكم بالوحي الذي هو انفس شي واجله وقال ابو علي الفارسي المعني ياتيه الغيب فيبينه ويخبر به ويظهره ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ما عنده ويخفيه حتي ياخذ عليه حلوانا **واما قراة من قرا** بظنين بالظا فمعناه المتهم يقال ظننت زيدا بمعني اتهمته وليس هو من الظن الذي هو الشعور والادراك فان ذلك يتعدي الي مفعولين والمعني وما هذا الرسول علي القران بمتهم بل هو امين فيه لا يزيد فيه ولا ينقص منه وهذا يدل علي ان الضمير فيه يرجع الي محمد صلي الله عليه وسلم **لانه قد تقدم وصف الرسول الملكي** بالامانة ثم قال وما صاحبكم بمجنون ثم قال وما هو اي وما صاحبكم بمتهم ولا بخيل فنفي سبحانه عن رسوله صلي الله عليه وسلم ذلك كله وزكي سند القران اعظم تزكية والله يقول الحق وهو يهدي السبيل **وقال تعالي فلا اقسم** بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول رسول كريم الاية اقسم تعالي بالاشيا كلها ما يبصر منها وما لم يبصر وهذا اعم قسم وقع في القران فانه يعم العلويات والسفليات والدنيا والاخرة وما يري وما لا يري ويدخل في ذلك الملايكة كلهم والجن والانس والعرش والكرسي وكل مخلوق وذلك كله

من ايات قدرته وربوبيته ففي ضمن هذا القسم ان كل ما يرى وما لا يرى اية ودليل على صدق رسوله صلى الله عليه وسلم وانما جاء به هو من عند الله تعالى وهو كلامه تعالى لا كلام شاعر ولا مجنون ولا كاهن وانه حق ثابت كما ان سائر الموجودات مما يرى منها وما لا يرى حق كما قال تعالى فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون فكأنه سبحانه وتعالى يقول انه اي القران حق كما ان ما تشاهدونه من الخلق وما لا تشاهدونه حق موجود ويكفي الانسان مع جميع ما يبصره وما لا يبصره نفسه ومبدا خلقه ونشأته وما يشاهده من احواله ظاهرا وباطنا ففي ذلك ابين دلالة على وحدانية الرب وثبوت صفاته وصدق ما اخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم ومن لم يباشر قلبه ذلك حقيقة لم يخالط بشاشة الايمان قلبه ثم اقام سبحانه البرهان القاطع على صدق رسوله وانه لم يتقول عليه فيما قاله وانه لو تقول عليه وافترى عليه واضل عباده واستباح دماء من كذبه وحريمهم واموالهم فكيف يليق باحكم الحاكمين واقدر القادرين ان يقر على ذلك بل كيف يليق به ان يؤيده وينصره ويعليه ويظهره ويظفره بهم يسفك دماءهم ويستبيح اموالهم واولادهم ونساءهم قائلا ان الله امرني بذلك واباحه لي كيف يليق به ان يصدقه بانواع التصديق كلها فيصدقه باقراره وبالايات المستلزمة لصدقه ثم يصدقه بانواعها كلها على اختلافها فكل اية على انفرادها مصدقة بها ثم يقيم الدلالة القاطعة على ان هذا قوله وكلامه فيشهد له باقراره وفعله وقوله فمن اعظم المحال وابطل الباطل وابين البهتان ان يجوز على احكم الحاكمين ان يفعل ذلك والمراد بالرسول الكريم هنا محمد صلى الله عليه وسلم كما قدمته لانه لما قال انه لقول رسول كريم **ذكر بعده** انه ليس بقول شاعر ولا كاهن والمشركون ما كانوا يصفون جبريل عليه السلام بالسحر والكهانة **ومن ذلك قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم** وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقران كريم في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون قيل المراد بالكتاب المكنون اللوح المحفوظ قال ابن القيم والصحيح انه الكتاب الذي بايدي الملائكة وهو المذكور في قوله تعالى في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بايدي سفرة كرام بررة قال مالك احسن ما سمعت في هذه انها مثل الذي في عبس قال ومن المفسرين من قال ان المراد ان المصحف لا يمسه الا طاهر والاول ارجح لان الاية سيقت تنزيها للقران ان تتنزل به الشياطين وان محله لا يصل اليه كما قال تعالى وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون وايضا فان قوله لا يمسه بالرفع فهذا خبر لفظا ومعنى ولو كان نهيا لكان مفتوحا ومن حمل الاية على النهي احتاج الى صرف الخبر عن ظاهره الى معنى النهي والاصل في الخبر والنهي حمل كل منهما على حقيقته وليس هنا موجب يوجب صرف الكلام عن الخبر الى النهي انتهى ملخصا وهذا الذي قاله ابن القيم قد تمسك به جماعة منهم داود بانه يجوز مس المصحف للمحدث **وقد اجاب ابن الرفعة** في الكفاية عن ادلتهم المزخرفة **فقال** ما نصه القران لا يصح مسه فعلم ان المراد به الكتاب الذي هو اقرب المذكورين ولانه يتوجه النهي الى اللوح المحفوظ لانه غير منزل ومسه غير ممكن ولا يمكن ان يكون المراد بالمطهرين الملائكة لانه قد نفى واثبت فكانه قال يمسه المطهرون ولا يمسه غير المطهرين والسماء ليس فيها غير مطهر بالاجماع فعلم

لما اقره ولعاجله بالاهلاك لان كمال علمه وقدرته وحكمته تابى ان يقر من تقول عليه وافترى

انه اراد المطهرين من الادميين ويتعين ذلك ما روي انه عليه السلام قال في كتاب عمرو بن حزم المروي في الدارقطني وغيره ولا يمس القران الا وانت على طهر ثم قال فان قيل قد قال الواحدي ان اكثر اهل التفسير على ان المراد اللوح المحفوظ وان المطهرين الملائكة ثم لو منع ما قلتم لم يكن فيها دليل لان قوله لا يمسه بضم السين ليس بنهي عن المراد ولو كان نهيا لكان بفتح السين فهو اذا خبر قلنا اما قول اكثر المفسرين فهو معارض بقول الباقين والمرجع الى الدليل واما كون المراد بالاية الخبر فجوابه انا نقول اللفظ لفظ الخبر ومعناه النهي وهو كثير في القران قال الله تعالى لا تضار والدة بولدها والمطلقات يتربصن انتهى **واجاب** العلامة البساطي في شرح المختصر للشيخ خليل بانه يمسه مجزوم وضم السين لاجل الضمير كما صرح به جماعة وقالوا انه مذهب البصريين ومنهم ابن الحاجب في شافيته انتهى وقد ذكر هذا العلامة شهاب الدين احمد بن يوسف بن محمد بن مسعود الحلبي المشهور بالسمين مع زيادة ايضاح وفوائد فقال في لا هذه وجهان **الثاني** انها ناهية والفعل بعدها مجزوم لانه لو فك عن الادغام لظهر ذلك فيه كقوله تعالى لا يمسهم سوء ولكنه ادغم ولما ادغم حرك اخره بالضمة لاجل هاء ضمير المذكر الغائب ولم يحفظ سيبويه في نحو هذا الا الضم وفي الحديث انا لم نرده عليك الا انا حرم وان كان القياس جواز فتحه تخفيفا قال وبهذا الذي ذكرته يظهر فساد رد من رد بانه لو كان نهيا لكان يقال لا يمسه بالفتح لانه خفي عليه جواز ضم ما قبل الها في هذا النحو لاسيما على راي سيبويه فانه لا يجيز غيره

الفصل الرابع في قسمه تعالى على تحقيق رسالته

قال الله سبحانه وتعالى يس والقران الحكيم انك لمن المرسلين الاية **اعلم** ان كل سورة بدا الله تعالى فيها بحروف التهجي كان في اوائلها الذكر او الكتاب او القران الا نون قران في ذكر هذه الحروف في اوائل السور امور لا تدرك على انها غير خالية عن الحكمة لكن علم الانسان لا يصل اليها الا ان كشف الله له سر ذلك **واختلف** المفسرون في معنى يس على اقوال **احدها** انه انسان بلغة طي وهذا قول ابن عباس والحسن وعكرمة والضحاك وسعيد بن جبير وقيل بلغة الحبشة وقيل بلغة كلب وحكى الكلبي انها بالسريانية قال الامام فخر الدين وتقريره هو ان تصغير انسان انيسين وكانه حذف الصدر منه واخذ العجز وقال ياسين وعلى هذا فيكون الخطاب مع محمد صلى الله عليه وسلم ويدل عليه قوله تعالى انك لمن المرسلين **ونقضه** ابو حيان بان الذي نقل عن العرب في تصغير انسان انيسيان بياء بعدها الف فدل على ان اصله انسيان لان التصغير يرد الاشياء الى اصولها ولا يعلم انهم قالوا في تصغيره انيسين وعلى تقدير انه يصغر كذلك فلا يجوز ذلك الا ان يبنى على الضم لانه منادى مقبل عليه ومع ذلك فلا يجوز لانه تحقير ويمتنع ذلك في حق النبوة انتهى قال السمين وهذا الاعتراض الاخير صحيح فقد نصوا على ان التصغير لا يدخل في الاسماء المعظمة شرعا وكذلك يحكى ان ابن قتيبة لما قال في المهيمن انه مصغر من مؤمن والاصل مؤيمن فابدلت الهمزة هاء قيل له هذا يقرب من الكفر فليتق الله قائله انتهى **وقيل** معنى يس يا محمد قاله ابن الحنفية والضحاك وقيل يا رجل قاله ابن العالية **وقيل** هو اسم من اسماء القران قاله قتادة عن ابي بكر الوراق يا سيد البشر وعن جعفر

ناصية لم يثبته

امور تدرك

الصادق انه اراد يا سيد مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه من تعظيمه وتمجيده
ما لا يخفى وعن طلحة عن ابن عباس انه قسم اقسم الله به وهو من اسمائه وعن كعب
اقسم الله به قبل ان يخلق السموات والارض بالفي عام يا محمد انك لمن المرسلين وهو رد (ثم قال والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين صح)
على الكفار حيث قالوا لست مرسلا فاقسم الله تعالى باسمه وكتابه انه لمن المرسلين بوحيه
الى عباده وعلى طريق مستقيم من ايمانه اي طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق قال
النقاش لم يقسم الله تعالى لاحد من انبيائه بالرسالة في كتابه الا له صلى الله عليه وسلم

الفصل الخامس في قسمه تعالى بمدة حياته صلى الله عليه وسلم وعصره

وبلده قال الله تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون العمر والعمر واحد ولكنه في القسم يفتح
لكثرة الاستعمال فاذا اقسموا قالوا لعمرك القسم قال النحويون ارتفع قوله لعمرك بالابتداء
والخبر محذوف والمعنى قسمي فحذف الخبر لان في الكلام دليلا عليه وباب القسم يحذف منه
الفعل نحو تالله لافعلن والمعنى احلف بالله فيحذف احلف لعلم المخاطب بانك حالف قال الزجاج
من قال لعمر الله كانه حلف ببقاء الله ومن ثم قال المالكية والحنفية ينعقد بها اليمين لان بقاء الله
من صفات ذاته وعن مالك لا يعجبني الحلف بذلك وقال الامام الشافعي واسحق لا يكون يمينا
الا بالنية وعن احمد كالمذهبين والراجح عنه كالشافعي واختلف فيمن المخاطب في الاية
على قولين احدهما ان الملائكة قالت للوط عليه السلام لما وعظ قومه وقال هؤلاء بناتي لعمرك
انهم لفي سكرتهم يعمهون اي يتحيرون فكيف يعقلون قولك ويلتفتون الى نصيحتك والثاني
ان الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانه تعالى اقسم بحياته وفي هذا تشريف
عظيم ومقام رفيع وجاه عريض قال ابن عباس ما خلق الله وما ذرا وما برا نفسا اكرم
عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعت الله اقسم بحياة احد غيره قال الله تعالى لعمرك
انهم لفي سكرتهم يعمهون يقول وحياتك وعمرك وبقائك في الدنيا انهم لفي سكرتهم يعمهون رواه
ابن جرير ومراده بقوله وما سمعت الله المتلو في الكتب المنزلة ورواه البغوي في تفسيره
بلفظ وما اقسم الله بحياة احد الا بحياته وما اقسم بحياة احد غيره وذلك يدل على انه اكرم
خلق الله على الله وعلى هذا فيكون قسمه تعالى بحياة محمد صلى الله عليه وسلم كلاما معترضا
في قصة لوط قال القرطبي واذا اقسم الله تعالى بحياة نبيه فانما اراد بيان التصريح لنا
انه يجوز لنا ان نحلف بحياته وقد قال الامام احمد فيمن اقسم بالنبي صلى الله عليه وسلم ينعقد
به يمينه وتجب الكفارة بالحنث واحتج بكونه صلى الله عليه وسلم احد ركني الشهادة
وقال ابن جرير واستدل من جوز الحلف به عليه الصلاة والسلام بان ايمان المسلمين
جرت من عهده صلى الله عليه وسلم ان يحلفوا به صلى الله عليه وسلم حتى ان اهل
المدينة الى يومنا هذا اذا جاء صاحبه وقال احلف لي بحق ما حواه صاحب هذا القبر
وبحق ساكن هذا القبر يعني النبي صلى الله عليه وسلم وقال تعالى لا اقسم بهذا
البلد وانت حل بهذا البلد الاية اقسم تعالى بالبلد الامين وهو مكة ام القرى بلده
عليه السلام وقيده بحلوله عليه السلام فيه اظهارا لمزيد فضله واشعارا بان شرف
المكان بشرف اهله قاله البيضاوي ثم اقسم بالوالد وما ولد وهو فيهما نبيل ابراهيم

واسمعيل

واسمعيل وما ولد محمد صلى الله عليه وسلم وعلى هذا فتتضمن السورة القسم به في موضعين
وقيل المراد به آدم وذريته وهو قول الجمهور من المفسرين وانما اقسم تعالى بهم لانهم
اعجب خلق الله على وجه الارض لما فيهم من البيان والنطق واستخراج العلوم وفيهم الانبياء
والدعاة الى الله تعالى والانصار لدينه وكل ما في الارض من مخلوق خلق لاجلهم وعلى هذا
فقد تضمن القسم اصل المكان واصل السكان فمرجع البلاد الى مكة ومرجع العباد الى ادم
وقوله وانت حل هو من الحلول ضد الظعن فيتضمن اقسامه تعالى المشتمل على عبده
ورسوله فهو خير البقاع واشتمل على خير العباد فقد جعل الله تعالى بيته هدى للناس
ونبيه اماما وهاديا لهم وذلك من اعظم نعمه واحسانه الى خلقه وقيل المعنى وانت
مستحل قتلك واخراجك من هذا البلد الامين الذي يامن فيه الطير والوحش وقد استحل
فيه قومك حرمتك وهذا مروي عن شرحبيل بن سعد وعن قتادة وانت حل اي لست
باثم وحلال لك ان تقتل بمكة من شئت وذلك ان الله تعالى يفتح عليه مكة واحلها وما فتحت
على احد قبله فاحل ما شاء وحرم ما شاء فقتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة وغيره (بهذا البلد صح)
وحرم دار ابي سفيان فان قلت هذه السورة مكية وانت حل اخبار عن الحالة الواقعة
التي ذكرت في اخر مدة هجرته الى المدينة فكيف الجمع بين الامرين اجيب بانه قد يكون
اللفظ للحال والمعنى مستقبل كقوله تعالى انك ميت وانهم ميتون وعلى كل حال فهذا
متضمن للقسم ببلد رسوله عليه السلام ولا يخفى ما فيه من زيادة التعظيم وقد روي
ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم بابي انت وامي يا رسول الله
لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان اقسم بحياتك دون سائر الانبياء ولقد بلغ من فضيلتك
عنده ان اقسم بتراب قدميك فقال لا اقسم بهذا البلد وقال تعالى والعصر
ان الانسان لفي خسر اختلف في تفسير العصر على اقوال فقيل هو الدهر لانه مشتمل
على الاعاجيب لانه يحصل فيه السراء والضراء والصحة والسقم وغير ذلك وذكر العصر الذي
بمضيه ينقضي عمرك فاذا لم يكن في مقابلته كسب صار ذلك عين الخسران ولله در القائل

انا لنفرح بالايام نقطعها ... وكل يوم مضى نقص من الاجل

وفي تفسير الامام فخر الدين والبيضاوي وغيرهما انه قسم بزمان الرسول صلى الله عليه وسلم
قال الامام الرازي واحتجوا له بقوله صلى الله عليه وسلم انما مثلكم ومثل من كان قبلكم مثل رجل
استاجر اجراء فقال من يعمل من الفجر الى الظهر بقيراط فعملت اليهود ثم قال من يعمل لي من الظهر
الى العصر بقيراط فعملت النصارى ثم قال من يعمل لي من العصر الى المغرب بقيراطين فعملتم
فغضبت اليهود والنصارى وقالوا نحن اكثر عملا واقل اجرا فقال الله تعالى وهل نقصتكم من اجركم
شيئا قالوا لا قال فذلك فضلي اوتيه من اشاء فكنتم اقل عملا واكثر اجرا رواه البخاري قالوا فهذا
الحديث دل على ان العصر هو عصره الذي هو فيه فيكون على هذا اقسم تعالى بزمانه في هذه الاية
وبمكانه في قوله وانت حل بهذا البلد وبعمره في قوله لعمرك فكانه قال وعصره وبلده وعمره
وذلك كله كالظرف له فاذا وجب تعظيم الظرف فكيف حال المظروف قال ووجه القسم كانه تعالى
قال ما اعظم خسرانهم اذ اعرضوا عنك

النوع السادس في وصفه تعالى له

عليه الصلاة والسلام بالنور والسراج المنير اعلم ان الله تعالى قد وصف رسوله صلى الله
عليه وسلم بالنور في قوله تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وقيل المراد القرآن
ووصفه عليه السلام ايضا بالسراج المنير في قوله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا
وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا والمراد كونه هاديا مبينا كالسراج يري الطريق ويبين
الهدى والرشاد وفيما انه اقوى واتم وانفع منها فنور الشمس في عالم الاجسام تفيد النور لغيرها
ولا تستفيده من غيرها فكذا نفس النبي صلى الله عليه وسلم تفيد الانوار العقلية لسائر
الانفس البشرية وكذلك وصف الله الشمس بانها سراج حيث قال وجعل فيها سراجا وقمرا
منيرا وكما وصف الله تعالى رسوله بانه نور وصف نفسه المقدسة به لكن فقال الله نور السموات
والارض فليس فيهما نور الا الله ونوره القدسي هو سر الوجود والحياة والجمال والكمال
وهو الذي اشرق على العالم فاشرق على العوالم الروحانية وهم الملائكة فصارت شموسا
منيرة تستمد منها من دونها بجود الله ثم سري النور الى عالم النفوس الانسانية ثم طرحته
النفوس على صفحات الجسوم فليس في الوجود الا نور الله الساري الى الشيء منه بقدره فبقوله
وسع استعداده ورحب تلقيه والنور في الاصل كيفية تدركها الباصرة اولا وبوساطتها
سائر المبصرات كالكيفية الفائضة من النيرين الشمس والقمر على الاجرام الكثيفة المحاذية لهما
وهو بهذا المعنى لا يصح اطلاقه على الله الا بتقدير مضاف كقولك زيد كرم بمعنى ذو كرم
او بمعنى منور السموات والارض فانه تعالى نورهما بالكواكب وما يفيض عنها من الانوار والملائكة
والانبياء او من قولهم للرئيس الفائق بالتدبير نور القوم لانهم يهتدون به في الامور ويؤيد
هذا التاويل قراءة علي بن ابي طالب وزيد بن علي وغيرهما نور فعلا ماضيا والارض بالنصب
وقوله مثل نوره اي مثل هداه سبحانه وتعالى واضاف النور الى السموات والارض اما دلالة
على سعة اشراقه وفشو اضاءته حتى تضيء له السموات والارض واما لارادة اهل السماء والارض
وانهم يستضيئون به وعن مقاتل اي مثل الايمان في قلب محمد كمشكاة فيها مصباح فالمشكاة
نظير صدر عبد الله والزجاجة نظير جسد محمد صلى الله عليه وسلم والمصباح نظير
الايمان والنبوة في قلب محمد وعن غيره المشكاة نظير ابراهيم والزجاجة نظير اسماعيل عليهما
السلام والمصباح جسد محمد صلى الله عليه وسلم والشجرة النبوة والرسالة وعن ابي سعيد
الخدري المشكاة جوف محمد صلى الله عليه وسلم والزجاجة قلبه والمصباح النور الذي جعل الله
في قلب محمد صلى الله عليه وسلم وعن كعب بن جبير النور الثاني هنا محمد صلى الله عليه وسلم
وعن سهل بن عبد الله مثل نور محمد اذ كان مستودعا في الاصلاب كمشكاة صفتها كذا وكذا
واراد بالمصباح قلبه وبالزجاجة صدره اي كانه كوكب دري لما فيه من الايمان والحكمة توقد
من شجرة مباركة اي من نور ابراهيم وضرب المثل بالشجرة المباركة وقوله تعالى يكاد
زيتها يضيء اي يكاد نبوة محمد تبين للناس قبل كلامه حكى هذا القول الاخير القاضي ابو الفضل
اليحصبي والفخر الرازي لكنه عن كعب الاحبار وعن الضحاك يكاد محمد يتكلم بالحكمة قبل الوحي قال
عبد الله بن رواحة

لو لم تكن فيه آيات مبينة ❊ كانت بديهته تنبيك بالخبر

من نور الشمس واذا كان كذلك وجب ان يكون نفسه المقدسة اعظم في النورانية من الشمس فكما ان الشمس

الخازن

لكن

لكن التفسير الاول في هذه الاية هو المختار لانه تعالى ذكر قبل هذه الاية ولقد انزلنا اليك آيات
مبينات فاذا كان المراد بقوله مثل نوره اي مثل هداه كان ذلك مطابقا لما قبله واختلفوا
في هذا التشبيه اهو مشبه جملة بجملة لا تقصد فيها الى تشبيه جزء بجزء ومقابلة شيء بشيء
او مما قصد به ذلك اي مثل نور الله الذي هو هداه واتقانه صنعه كل مخلوق وبراهينه
الساطعة على الجملة كهذه الجملة من النور الذي تتخذونه اسم على هذه الصفة التي هي ابلغ
صفات النور الذي بين ايدي الناس اي مثل نور الله في الوضوح كهذا الذي هو منتهاكم
ايها البشر وقيل هو من التشبيه المفصل المقابل جزءا بجزء وقد رده على تلك الاقوال
الثلاثة اي مثل نوره في محمد صلى الله عليه وسلم او في المؤمنين او في القرآن والايمان
كمشكاة والمشكاة هو الرسول او صدره والمصباح هو النبوة وما يتصل بها من علمه وهداه
والزجاجة قلبه والشجرة المباركة الوحي والملائكة رسل الله اليه وشبه المفصل به بالزيت
وهو الحجج والبراهين والآيات التي تضمنها الوحي وعلى قول المؤمنين فالمشكاة صدره والمصباح
الايمان والعلم والزجاجة قلبه والشجرة القرآن وزيتها هو الحجج والحكمة التي تضمنها وعلى قول
الايمان والقرآن اي مثل الايمان والقرآن في صدر المؤمنين في قلبه كمشكاة واما الضمير
على قول المؤمنين في قراءة ابي المذكورة في بعض التفاسير ففيه اشكال من حيث الافراد
وعن ابي هو عائد على المؤمنين وفي قراءته مثل نور المؤمنين وفي رواية عنه مثل نور
من آمن به وعن الحسن يعود على القرآن والايمان

النوع السابع في آيات تتضمن وجوب طاعته

واتباع سنته قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله
وقال تعالى واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وقال تعالى قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا
فان الله لا يحب الكافرين قال عياض فجعل طاعته طاعة رسوله وقرن طاعته بطاعته ووعد
على ذلك بجزيل الثواب واوعد على مخالفته بسوء العقاب وقال تعالى من يطع الرسول
فقد اطاع الله يعني من اطاع الرسول لكونه رسولا مبلغا الى الخلق احكام الله فهو في الحقيقة
ما اطاع الا الله وذلك في الحقيقة لا يكون الا بتوفيق الله ومن تولى فما ارسلناك عليهم
حفيظا فمن اعماه الله عن الرشد واضله عن الطريق فان احدا من الخلق لا يقدر على اسلامه
وهذه الآية من اقوى الادلة على ان الرسول معصوم في جميع الاوامر والنواهي وفي كل
ما يبلغه عن الله لانه لو اخطا في شيء منها لم تكن طاعته طاعة الله وايضا وجب ان يكون
معصوما في جميع افعاله لانه تعالى امر بمتابعته في قوله واتبعوه والمتابعة عبارة عن الاتيان
بمثل فعل الغير فيثبت ان الانقياد له في جميع اقواله وافعاله الا ما خصه الدليل طاعة لله
وانقياد لحكم الله تعالى قال الله تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين
انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين الآية وهذا عام في المطيعين
من اصحاب الرسول ومن بعدهم وعام في المعية في هذه الدار وان فاتت فيها معية الابدان
وقد ذكروا في سبب نزول هذه الآية ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فاتاه يوما وقد تغير وجهه
ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حاله فقال

القاضي

الاتيان

برسول الله لما دخل غيرا بي اذا رايتك استغنتك واستوحشت وحشة عظيمة حتى اراك فذكرت
الاخرة بحيث لا اراك هناك لاني ان دخلت الجنة فانت تكون في درجات النبيين وان انا ادخل الجنة
فحينئذ لا اراك ابدا فنزلت هذه الاية وذكر ابن ابي حاتم عن ابي الضحى عن مسروق قال قال
اصحاب محمد برسول الله ما ينبغي لنا ان نفارقك فانك لو قبضت لرفعت فوقنا ولم نرك فانزل الله
الاية وذكر عن عكرمة مرسلا قال اتى فتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله ان لنا منك
نظرة في الدنيا ويوم القيامة لا نراك فانك في الجنة في الدرجات العلا فانزل الله هذه الاية
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انت معي في الجنة وذكر ايضا فيها روايات اخر ان في
ان شاء الله تعالى في مقصد محبته عليه السلام لكن قال المحققون لا تنكر صحة هذه الروايات
الا ان سبب نزول هذه الاية يجب ان يكون شيا اعظم من ذلك وهو الحث على الطاعة والترغيب
فيها فانا نعلم ان خصوص السبب لا يقدح في عموم اللفظ فهذه الاية عامة في حق جميع المكلفين
وهو ان كل من اطاع الله واطاع الرسول فقد فاز بالدرجات العالية والمراتب الشريفة عنده
تعالى ثم ان ظاهر قوله تعالى ومن يطع الله والرسول انه يكفي الاكتفا بالطاعة الواحدة لان اللفظ
الدال على الصفة يكفي في جانب الثبوت حصول ذلك المسمى مرة واحدة لكن لا بد ان يحمل على غير ظاهره
وان تحمل الطاعة على فعل المامورات وترك جميع المنهيات اذ لو حملناه على الطاعة الواحدة لدخل
فيه الفساق والكفار لانهم قد ياتوا بالطاعة الواحدة **قال الرازي قد ثبت في اصول الفقه**
ان الحكم المذكور عقب الصفة مشعر بكون ذلك الحكم معللا بذلك الوصف واذا ثبت هذا فنقول
قوله من يطع الله اي في كونه الها اي معرفته والاقرار بجلاله
وعزته وجبريائه وصمديته فصارت هذه الاية تنبيها على امرين عظيمين من احوال المعاد
فالاول ان منشا جميع السعادات يوم القيمة اشراق الروح بانوار معرفة الله فكل من كانت
هذه الانوار في قلبه اكثر وصفاء وظهورا كان الى السعادات اقرب والى الفوز بالنجاة اوصل
والثاني ان الله تعالى ذكر في الاية السابقة وعد اهل الطاعة بالاجر العظيم والثواب
الجزيل ثم ذكر في هذه الاية وعدهم بكونهم مع النبيين وليس المراد ان يكون من اطاع الله
واطاع الرسول مع النبيين والصديقين كون الكل في درجة واحدة لان هذا يقتضي التسوية
في الدرجة بين الفاضل والمفضول وذلك لا يجوز فالمراد كونهم في الجنة بحيث يتمكن كل واحد منهم
من رؤية الاخر وان بعد المكان لان الحجاب اذا زال شاهد بعضهم بعضا واذا ارادوا الرؤية
والتلاقي قدروا على ذلك فهذا هو المراد من هذه المعية **وقد ثبت وصح عنه** صلى الله
عليه وسلم انه قال المرء مع من احب وثبت ايضا انه قال ان بالمدينة اقواما لا سرتم
مسيرا ولا نزلتم منزلا الا وهم معكم حبسهم العذر فالمعية والصحبة الحقيقية انما هي
بالسر والروح لا بمجرد البدن فهي بالقلب لا بالقالب ولهذا كان النجاشي معه صلى الله عليه
وسلم ومن اقرب الناس اليه وهو بين النصارى بارض الحبشة وعبد الله بن ابي من ابعد
الخلق عنه وهو معه في المسجد وذلك ان العبد اذا اراد بقلبه امرا من طاعة او معصية
او شخص من الاشخاص فهو بارادته ومحبته معه لا يفارقه فالارواح تكون مع الرسول
صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم وبينها وبينهم من المسافة الزمانية والمكانية

نوع عظيم **وقال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني** يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم
وهذه الاية الشريفة تسمى اية المحبة قال بعض السلف ادعى قوم محبة الله فانزل الله
اية المحبة قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني وقال يحببكم الله اشارة الى دليل المحبة
وثمرتها وفائدتها فدليلها وعلامتها اتباع الرسول وفائدتها وثمرتها محبة المرسل لكم
فما لم تحصل المتابعة فلا محبة لكم حاصلة ومحبته لكم منتفية فجعل سبحانه اتباع رسوله
صلى الله عليه وسلم مشروطا بمحبتهم لله وشرطا لمحبة الله لهم ووجود المشروط ممتنع
بدون وجود تحقق شرطه فعلم انتفاء المحبة عند انتفاء المتابعة فانتفاء محبتهم لله
لازم لانتفاء المتابعة لرسوله وانتفاء المتابعة ملزوم لانتفاء محبة الله لهم فيستحيل
حينئذ ثبوت محبتهم لله وثبوت محبة الله لهم بدون المتابعة لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ودل على ان متابعة الرسول هي حب الله ورسوله وطاعة امره ولا يكفي ذلك
في العبودية حتى يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما فلا يكون شيء احب اليه من الله
ورسوله ومتى كان عنده شيء احب اليه منهما فهذا هو الشرك الذي لا يغفر لصاحبه
البتة ولا يهديه الله قال الله تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم
واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله
وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره والله لا يهدي القوم الفاسقين فكل من قدم
طاعة احد من هولاء على طاعة الله ورسوله او قول احد منهم على قول الله ورسوله او مرضاة
احد على مرضاة الله ورسوله او خوف احد منهم ورجاءه والتوكل عليه على خوف الله ورجائه
والتوكل عليه او معاملة احدهم على معاملة الله ورسوله فهو ممن ليس الله ورسوله احب اليه
مما سواهما وان قاله بلسانه فهو كذب منه واخبار بما ليس هو عليه انتهى ملخصا من كتاب
المدارج وسياتي مزيد لذلك ان شاء الله تعالى في مقصد محبته عليه السلام وقال تعالى
فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون اي الى
الصراط المستقيم فجعل رجاء الاهتداء اثر الامرين الايمان بالرسول واتباعه تنبيها على ان
من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو في الضلال فكل ما اتى به الرسول عليه السلام
يجب علينا الا ما خصه الدليل وقال تعالى فامنوا بالله ورسوله والنور الذي انزلنا يعني
القران فالايمان به صلى الله عليه وسلم واجب متعين لا يتم ايمان الا به ولا يصح اسلام الا معه
قال الله تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا اي ومن لم يؤمن
بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا وقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك
فيما شجر بينهم الاية معناه فوربك كقوله فوربك لنسالنهم اجمعين ولا مزيدة للتاكيد
لمعنى القسم كما في لئلا يعلم ولا يؤمنون جواب القسم اقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة انهم لا يؤمنون
احد حتى يحكم الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع اموره ويرضى بجميع ما حكم به وينقاد له
ظاهرا وباطنا وسواء كان الحكم بما يوافق اهواءهم او يخالفها كما ورد في الحديث والذي نفسي
بيده لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به وهذا يدل على ان من لم يرض بحكم
الرسول صلى الله عليه وسلم لا يكون مؤمنا وعلى انه لا بد من حصول الرضى بحكمه في القلب

فهو من الكافرين

مطلب لا يجوز تخصيص النص بالقياس

وذلك بان يحصل الجزم واليقين في القلب بان الذي يحكم به عليه السلام هو الحق والصدق فلا بد من الانقياد باطنا وظاهرا وسياتي مزيد بيان لذلك ان شاء الله تعالى في مقصد محبته عليه الصلاة والسلام ثم ان ظاهر هذه الاية يدل على انه لا يجوز تخصيص النص بالقياس لانه يدل على انه يجب متابعته قوله وحكمه وانه لا يجوز العدول عنه الى غيره وقوله ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت مشعر بذلك لانه متى خطر بقلبه قياس يقتضي ضد مدلول النص فهناك يحصل الحرج في النفس فبين تعالى انه لا يكمل ايمانه الا بعد ان لا يلتفت الى ذلك الحرج ويسلم الى النص تسليما كليا قاله الامام فخر الدين ويجوز عنده تخصيص الكتاب والسنة بالقياس وبه صرح العلامة التاج بن السبكي في جمع الجوامع **النوع الثامن فيما يتضمن الادب معه صلى الله عليه وسلم** قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله فمن الادب ان لا يتقدم بين يديه بامر ولا نهي ولا اذن ولا تصرف حتى يامر هو وينهى وياذن كما امر الله تعالى بذلك في هذه الاية وهذا باق الى يوم القيامة لم ينسخ فالتقدم بين يدي سنته بعد وفاته كالتقدم بين يديه في حياته لا فرق بينهما عند ذي عقل سليم قال مجاهد لا تفتاتوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء حتى يقضيه على لسانه وقال الضحاك لا تقضوا امرا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال غيره لا تامروا حتى يامر ولا تنهوا حتى ينهى **وانظر** ادب الصديق رضي الله عنه معه عليه الصلاة والسلام في الصلاة ان تقدم بين يديه كيف تاخر وقال ما كان لابن ابي قحافة ان يتقدم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف اورثه مقامه والامامة بعده فكان ذلك التاخر الى خلفه وقد اوما اليه ان اثبت مكانك سعيا الى قدام بكل خطوة الى وراء مراحل الى قدام تتقطع فيها اعناق المطي **ومن الادب معه** صلى الله عليه وسلم ان لا ترفع الاصوات فوق صوته كما قال تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض قال الرازي افاد انه ينبغي ان لا يتكلم المؤمن عنده صلى الله عليه وسلم كما يتكلم العبد عند سيده لان العبد داخل في قوله تعالى كجهر بعضكم لبعض لانه للعموم فلا ينبغي ان يجهر المؤمن للنبي صلى الله عليه وسلم كما يجهر العبد للسيد والا كان قد جهر له كما يجهر بعضكم لبعض قال ويؤيد ما ذكرناه قوله تعالى النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم والسيد ليس اولى عند عبده من نفسه حتى لو كانا في مخمصة ووجد العبد ما لو لم ياكله لمات لا يجب عليه بذله لسيده ويجب البذل للنبي صلى الله عليه وسلم ولو علم العبد ان بموته ينجو سيده لا يلزمه ان يلقي نفسه في التهلكة لانجاء سيده ويجب لانجاء النبي صلى الله عليه وسلم وكما ان العضو الرئيس اولى بالرعاية من غيره لان عند خلل القلب مثلا لا يبقى لليدين والرجلين استقامة فلو حفظ الانسان نفسه وترك النبي صلى الله عليه وسلم لهلك هو ايضا بخلاف العبد والسيد انتهى واعلم ان في الرفع والجهر استخفافا قد يؤدي الى الكفر المحبط وذلك اذا انضم اليه قصد الاهانة وعدم المبالاة وروي ان ابا بكر لما نزلت هذه الاية قال والله يا رسول الله لا اكلمك الا كاخي السرار وان عمر كان اذا حدثه حدثه كاخي السرار ما كان يسمع النبي صلى الله عليه وسلم بعد هذه الاية حتى يستفهمه وقد روي ان ابا جعفر امير المؤمنين ناظر مالكا في مسجد رسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم فقال له مالك يا امير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فان الله عز وجل ادب قوما فقال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الاية ومدح قوما فقال ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله الاية وذم قوما فقال ان الذين ينادونك من وراء الحجرات الاية وان حرمته ميتا كحرمته حيا فاستكان لها ابو جعفر واذا كان رفع الاصوات فوق صوته موجبا لحبوط الاعمال فما الظن برفع الاراء ونتائج الافكار على سنته وما جاء به ومن الادب معه صلى الله عليه وسلم ان لا يجعل دعاؤه كدعاء بعضنا بعضا قال تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وفيه قولان للمفسرين احدهما انكم لا تدعوه باسمه كما يدعو بعضكم بعضا بل قولوا يا رسول الله يا نبي الله مع التوقير والتواضع فعلى هذا المصدر مضاف الى المفعول اي دعاءكم الرسول والثاني ان المعنى لا تجعلوا دعاءه لكم بمنزلة دعاء بعضكم بعضا ان شاء اجاب وان شاء ترك بل اذا دعاكم لم يكن لكم بد من اجابته ولم يسعكم التخلف عنها البتة فان المبادرة الى اجابته واجبة والمراجعة بغير اذنه محرمة فعلى هذا المصدر مضاف الى الفاعل اي دعاؤه اياكم وقد تقدم في الخصائص من المقصد الرابع عن مذهب الشافعي ان الصلاة لا تبطل باجابته صلى الله عليه وسلم **ومن الادب** معه صلى الله عليه وسلم انهم اذا كانوا معه على امر جامع من خطبة او جهاد او رباط لم يذهب احد منهم مذهبا في حاجة له حتى يستاذنه كما قال تعالى انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستاذنوه فاذا كان هذا مذهبا مقيدا لحاجة عارضة لم يوسع لهم فيه الا باذنه فكيف بمذهب مطلق في تفاصيل الدين اصوله وفروعه دقيقه وجليله هل يشرع الذهاب اليه بدون استئذانه فاسالوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون **ومن الادب معه** صلى الله عليه وسلم ان لا يستشكل قوله بل تستشكل الاراء لقوله ولا يعارض نصه بقياس بل تهدر الاقيسة وتلقى لنصوصه ولا يحرف كلامه عن حقيقته لخيال مخالف تسميه اصحابه معقولا نعم هو مجهول وعن الصواب معزول ولا يوقف قبول ما جاء به على موافقة احد فكل هذا من قلة الادب معه وهو عين الجراة وراس الادب معه صلى الله عليه وسلم كمال التسليم له والانقياد لامره وتلقي خبره بالقبول والتصديق دون ان يحمله معارضة خيال باطل يسميه معقولا او يسميه شبهة او شكا او يقدم عليه اراء الرجال وزبالات اذهانهم فيوحد التحكيم والتسليم والانقياد والاذعان كما وحد المرسل بالعبادة والخضوع والذل والانابة والتوكل فهما توحيدان لا نجاة للعبد من عذاب الله الا بهما توحيد المرسل وتوحيد متابعة الرسول فلا يحاكم الى غيره ولا يرضى بحكم غيره انتهى ملخصا من المدارج والقران مملو بالايات المرشدة الى الادب معه صلى الله عليه وسلم فلتراجع **النوع التاسع في ايات تتضمن رده تعالى** بنفسه المقدسة على عدوه صلى الله عليه وسلم ترفيعا لشانه قال الله تعالى ن والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة ربك بمجنون لما قال المشركون يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون اجاب تعالى عنه عدوه بنفسه من غير واسطة وهكذا سنة الاحباب فان الحبيب اذا سمع من يسب حبيبه تولى بنفسه جوابه فههنا تولى الحق سبحانه جوابهم بنفسه منتصرا له لان نصرته تعالى

له اتم من تعزيته وارفع لمنزلته ورده ابلغ من رده واثبت في ديوان مجده فاقسم تعالى
بما اقسم به من عظيم اياته على تنزيه رسوله وحبيبه وخليله مما غمصته اعداوه الكفرة به
وتكذيبهم له بقوله ما انت بنعمة ربك بمجنون وسيعلم اعداوه المكذبون له انهم المفتون
هو اوهم وقد علموهم والعقلا ذلك في الدنيا ويزداد علمهم به في البرزخ وينكشف ويظهر
كل الظهور في الاخرة بحيث يتساوى الخلق كلهم في العلم به وقال تعالى وما صاحبكم بمجنون
ولما راى العاصي بن وايل السهمي النبي صلى الله عليه وسلم يخرج من المسجد وهو يدخل
فالتقيا عند باب بني سهم وتحدثا واناس من صناديد قريش جلوس في المسجد فلما دخل
العاص قالوا له من ذا الذي كنت تحدث معه قال ذلك الابتر يعني النبي صلى الله عليه
وسلم وكان قد توفي ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة فرد الله تعالى عليه
وتولى جوابه بقوله ان شانئك هو الابتر اي عدوك ومبغضك هو الذليل الحقير ولما
قالوا افترى على الله كذبا قال الله تعالى بل الذين لا يؤمنون بالاخرة في العذاب والضلال
البعيد ولما قالوا لست مرسلا اجاب الله تعالى عنه فقال يس والقران الحكيم انك
لمن المرسلين ولما قالوا اينا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون رد الله عليهم فقال بل جا بالحق
وصدق المرسلين فصدقه ثم ذكر وعيد خصمايه فقال انكم لذايقوا العذاب الاليم ولما
قالوا ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون رد تعالى عليهم بقوله وما علمناه الشعر
وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقران مبين ولما حكى الله عنهم قولهم ان هذا الا افك افتراه
واعانه عليه قوم اخرون سماهم الله تعالى كاذبين بقوله فقد جاو ظلما وزورا وقال
قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض ولما قالوا يلقيه الشيطان قال الله تعالى
وما تنزلت به الشياطين الاية ولما تتلى عليهم ايتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء
لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين قال الله تعالى تكذيبا لهم قل لين اجتمعت الانس
والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله **ولما قال الوليد** بن المغيرة ان هذا
الا سحر يوثر ان هذا الا قول البشر قال الله تعالى كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول
الا قالوا ساحر او مجنون تسلية له عليه السلام ولما قالوا انه محمد قلاه ربه فرد الله تعالى
عليهم بقوله ما ودعك ربك وما قلى **ولما قالوا ما لهذا الرسول** ياكل الطعام ويمشي
في الاسواق قال تعالى وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون
في الاسواق ولما حسدته اعداء الله اليهود على كثرة النكاح والزوجات وقالوا ما همته
الا النكاح رد الله تعالى عليهم عن رسوله ونافح عنه فقال ام يحسدون الناس على ما اتاهم الله
من فضله فقد اتينا ال ابرهيم الكتاب والحكمة واتيناهم ملكا عظيما **ولما استبعدوا** ان يبعث
الله رسولا من البشر بقولهم الذي حكاه الله تعالى عنهم وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم
الهدى الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا وجهلوا ان التجانس يورث التوانس وان التخالف
يورث التباين قال الله تعالى قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم
من السما ملكا رسولا اي لو كانوا ملائكة لوجب ان يكون رسولهم من الملائكة لكن لما كان
اهل الارض من البشر وجب ان تكون رسلهم من البشر فلاجل هذه الكرامة وقد كانت الانبيا

انما

انما يدافعون عن انفسهم ويردون على اعدائهم لقول نوح عليه السلام يا قوم ليس بي ضلالة
وقول هود ليس بي سفاهة واشباه ذلك

النوع العاشر

ازالة الشبهات

عن ايات وردت في حقه عليه السلام متشابهات قال الله تعالى ووجدك ضالا فهدى
اعلم انه قد اتفق العلما على انه صلى الله عليه وسلم ما ضل لحظة واحدة قط وهل هو جايز
عقلا على الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم قبل النبوة قالت المعتزلة هو غير جايز
عقلا لما فيه من التنفير وعند اصحابنا انه جايز في العقول ثم يكرم الله من اراده بالنبوة
الا ان الدليل السمعي قام على ان هذا الجايز لم يقع قال الله تعالى ما ضل صاحبكم وما غوى
قاله الامام فخر الدين وقال الامام ابو الفضل اليحصبي في الشفا والصواب انهم معصومون
قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته والتشكك في شي من ذلك وقد تعاضدت الاخبار
والاثار عن الانبياء بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا ونشاتهم على التوحيد والايمان
بل على اشراق انوار المعارف ونفحات الطاف السعادة ولم ينقل احد من اهل الاخبار
ان احدا نبي واصطفي ممن عرف بكفر واشراك قبل ذلك ومستند هذا الباب النقل
ثم قال وقد استبان لك بما قررناه ما هو الحق من عصمته صلى الله عليه وسلم عن الجهل
بالله وصفاته او كونه على حالة تنافي العلم بشي من ذلك كله بجملة بعد النبوة عقلا
واجماعا وقبلها سمعا ونقلا ولا بشي مما قررناه من امور الشرع واداه عن ربه من الوحي
قطعا عقلا وشرعا وعصمته عن الكذب وخلف القول منذ نباه الله وارسله قصدا
او غير قصد واستحالة ذلك عليه شرعا واجماعا ونظرا وبرهانا وتنزيهه عنه قبل
النبوة قطعا وتنزيهه عن الكباير اجماعا وعن الصغاير تحقيقا وعن استدامة السهو
والغفلة واستمرار الغلط والنسيان عليه فيما شرعه للامة وعصمته في كل حالاته
من رضاء وغضب وجد ومزح مما يجب لك ان تتلقاه باليمين وتشد عليه يد الضنين
فان من يجهل ما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم او يجوز او يستحيل عليه ولا يعرف
صور احكامه لا يامن ان يعتقد في بعضها خلاف ما هي عليه ولا ينزهه عما لا يجوز ان يضاف
اليه فيهلك من حيث لا يدري ويسقط في هوة الدرك الاسفل من النار اذ ظن الباطل
به واعتقاد ما لا يجوز عليه يحل بصاحبه دار البوار وقد استدل بعض الايمة على عصمتهم
من الصغاير بالمصير الى امتثال افعالهم واتباع اثارهم وسيرهم مطلقا وجمهور الفقها
على ذلك من اصحاب مالك والشافعي وابي حنيفة من غير قرينة بل مطلقا عند بعضهم
وان اختلفوا في حكم ذلك فلو جوزنا عليهم الصغاير لم يمكن الاقتداء بهم في افعالهم
اذ ليس كل فعل من افعاله يتميز مقصده من القربة والاباحة والحظر والمعصية
انتهى واختلف في تفسير هذه الاية على وجوه كثيرة احدها اي وجدك ضالا عن معالم
النبوة وهو مروي عن ابن عباس والحسن والضحاك وشهر بن حوشب ويؤيده قوله
تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان اي ما كنت تدري قبل الوحي ان تقرا القران
ولا كيف تدعو الخلق الى الايمان قاله السمرقندي وقال بكر القاضي ولا الايمان الذي
هو الفرايض والاحكام فقد كان عليه السلام قبل مؤمنا بتوحيده ثم نزلت الفرايض

التي لم يكن يدريها قبل فازداد بالتكليف ايمانا وسيأتي آخر هذا النوع مزيد لذلك
ان شاء الله تعالى **الثاني** من معنى قوله تعالى ضالا ما روي مرفوعا مما ذكره الامام
فخر الدين انه قال عليه السلام ضللت عن جدي عبد المطلب وانا صبي حتى كاد الجوع
يقتلني فهداني الله **الثالث** يقال ضل الماء في اللبن اذا صار مغمورا فمعنى الآية
كنت مغمورا بين الكفار بمكة فقواك الله حتى اظهرت دينه **الرابع** تسمى الشجرة الفريدة
في الفلاة ضالة كانه تعالى يقول كانت تلك البلاد كالمفازة ليس شجرة تحمل ثمر الايمان
بالله تعالى ومعرفته الا انت فانت شجرة فريدة في مفازة الجهل **الخامس** قد يخاطب
السيد والمراد قومه اي وجد قومك ضالين فهداهم بك وبشرعك **السادس** اي محبا
لمعرفتي وهو مروي عن ابن عطاء والضال المحب كما قال تعالى انك لفي ضلالك القديم اي
محبتك القديمة ولم يريدوا هاهنا في الدين اذ لو قالوا ذلك في نبي الله لكفروا **السابع**
اي وجدك ناسيا فذكرك وذلك ليلة المعراج نسي ما يجب ان يقال بسبب الهيبة فهداه
تعالى الى كيفية الثناء حتى قال لا احصي ثناء عليك **الثامن** اي وجدك بين اهل ضلال
فعصمك من ذلك وهداك للايمان والى ارشادهم **التاسع** اي وجدك متحيرا في بيان
ما انزل اليك فهداك لبيانه لقوله وانزلنا اليك الذكر وهذا مروي عن الجنيد **العاشر**
عن علي انه صلى الله عليه وسلم قال ما هممت بشيء مما كان اهل الجاهلية يعملون به غير مرتين
كل ذلك يحول الله بيني وبينما اريد ثم ما هممت بعدهما بشيء حتى اكرمني الله برسالته قلت ليلة
لغلام من قريش كان يرعى باعلا مكة لو حفظت لي غنمي حتى ادخل مكة فاسمر بها كما يسمر
الشباب فخرجت حتى اتيت اول دار من دور مكة سمعت عزفا بالدفوف والمزامير فجلست انظر
اليهم فضرب الله على اذني فنمت فما ايقظني الا مس الشمس ثم قلت ليلة اخرى مثل ذلك
فضرب الله على اذني فما ايقظني الا مس الشمس ثم ما هممت بعدهما بسوء حتى اكرمني الله برسالته
واما قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك فقد احتج بها جماعة من الفقهاء
والمحدثين والمتكلمين المجوزين للصغائر على الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين
وبظواهر كثيرة من القرآن والحديث ان التزموا ظواهرها افضت بهم كما قال القاضي عياض الى
تجويز الكبائر وخرق الاجماع وما لا يقول به مسلم فكيف وكل ما احتجوا به مما اختلف المفسرون
في معناه وتقابلت الاحتمالات في مقتضاه وجاءت اقاويل فيها للسلف بخلاف ما التزموه
من ذلك فاذا لم يكن مذهبهم اجماعا وكان الخلاف فيما احتجوا به قديما وقامت الدلالة
على خطا قولهم وصحة غيره وجب تركه والمصير الى ما صح انتهى وقد اختلف في هذه الآية
فقال اهل اللغة الاصل فيه ان الظهر اذا اثقله الحمل سمع له نقيض كنقيض المحامل والرحال
وهذا مثل لما كان يثقل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من اوزاره وقيل المراد منه
تخفيف اعباء النبوة التي يثقل الظهر القيام بامرها وحفظ موجباتها والمحافظة على حقوقها فسهل
ذلك عليه وحط عنه ثقلها بان يسرها عليه حتى تيسرت له وقيل الوزر ما كان يكرهه
من تغييرهم لسنة الخليل عليه السلام وكان لا يقدر على منعهم الى ان قواه الله تعالى وقال
اتبع ملة ابراهيم وقيل معناه عصمناك عن الوزر الذي انقض ظهرك لو كان ذلك الذنب حاصلا

فسمي

فسمي العصمة وضعا مجازا ومن ذلك ما في الحديث انه عليه السلام يحضر وليمة فيها دف
ومزامير قبل البعثة فضرب الله على اذنه فما ايقظه الا حر الشمس من الغد وقيل شغل (نقل)
سرك وحيرتك وطلب شريعتك حتى شرعنا لك ذلك وقيل معناه خففنا عليك ما حملت بحفظنا
لما استحفظت وحفظ عليك ومعنى انقض اي كاد ينقضه قال القاضي فيكون المعنى على من جعل
ذلك قبل النبوة اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بامور فعلها قبل نبوته وحرمت عليه بعد
النبوة فعدها اوزارا وثقلت عليه واشفق منها وقيل انها ذنوب امته صارت كالوزر عليه
فامنه الله تعالى من عذابهم في العاجل بقوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم ووعده الشفاعة
في الآجل واما قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال ابن عباس اي انك مغفور لك
غير مؤاخذ بذنب ان لو كان وقال بعضهم اراد غفران ما وقع وما لم يقع اي انك مغفور لك
وقيل المراد ما كان من سهو وغفلة وتاويل حكاه الطبري واختاره القشيري وقيل
ما تقدم لابيك آدم وما تاخر من ذنوب امتك حكاه السمرقندي والسلمي عن ابن عطاء
وقيل المراد امته وقيل المراد بالذنب ترك الاولى كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين
وترك الاولى ليس بذنب لان الاولى وما يقابله مشتركان في اباحة الفعل وقال السبكي
قد تاملتها يعني الآية مع ما قبلها وما بعدها فوجدتها لا تحتمل الا وجها واحدا وهو تشريف
النبي صلى الله عليه وسلم من غير ان يكون هناك ذنب ولكنه اريد ان يستوعب في الآية
جميع انواع النعم من الله على عباده الاخروية وجميع النعم الاخروية شيئان سلبية وهو
غفران الذنوب وثبوتية وهي لا تتناهى اشار اليها بقوله ويتم نعمته عليك وجميع النعم
الدنيوية شيئان دينية اشار اليها بقوله ويهديك صراطا مستقيما ودنيوية وهي قوله
وينصرك الله نصرا عزيزا فانتظم بذلك تعظيم قدر النبي صلى الله عليه وسلم باتمام انواع
نعم الله تعالى عليه المتفرقة في غيره ولهذا جعل ذلك غاية الفتح المبين الذي عظمه
وفخمه باسناده اليه بنون العظمة وجعله خاصا بالنبي صلى الله عليه وسلم بقوله لك
وقد سبق الى نحو هذا ابن عطية فقال وانما المعنى التشريف بهذا الحكم ولم تكن ذنوب
البتة قال وعلى تقدير الجواز لا شك ولا ارتياب انه لم يقع منه صلى الله عليه وسلم وكيف
يتخيل خلاف ذلك وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى واما الفعل فاجماع الصحابة على اتباعه
والتاسي به في كل ما يفعله من قليل او كثير او صغير او كبير لم يكن عندهم في ذلك توقف
ولا بحث حتى اعماله في السر والخلوة يحرصون على العلم بها وعلى اتباعها علم بهم او لم يعلم
ومن تامل احوال الصحابة معه صلى الله عليه وسلم استحيا من الله ان يخطر بباله خلاف
ذلك انتهى **واما قوله تعالى يا ايها النبي اتق الله** ولا تطع الكافرين والمنافقين فلا يمترى
انه صلى الله عليه وسلم اتقى الخلق والامر بالشيء لا يكون الا عند عدم اشتغال المامور به (بالمامور)
اذ لا يصلح ان يقال للجالس اجلس ولا للساكت اسكت ولا يجوز عليه ان لا يبلغ ولا ان يخالف
امر ربه ولا ان يشرك ولا ان يطيع الكافرين والمنافقين حاشاه الله من ذلك وانما امره (الكاذبين)
تعالى بتقوى توجب استدامة الحضور واجاب بعضهم عن هذا ايضا بانه صلى الله عليه
وسلم كان يزداد علمه ومرتبته حتى كان حاله عليه السلام فيما مضى بالنسبة الى

ما هو فيه تركا للافضل فكان له في كل ساعة ترقي تتجدد وقيل المراد دم على التقوى
فانه يصح ان يقال للجالس اجلس ههنا الى ان اتيك وللساكت قد اصبت فاسكت تسلم
اي دم على ما انت عليه وقيل الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته ويدل
عليه قوله تعالى ان الله كان بما تعملون خبيرا ولم يقل بما تعمل واما قوله فلا تطع المكذبين
فاعلم انه تعالى لما ذكر ما عليه الكفار في امره صلى الله عليه وسلم ونسبته الى ما نسبوه
اليه مع ما انعم الله به عليه من الكمال في امر الدين والخلق العظيم اتبعه بما يقوي قلبه
ويدعوه الى التشدد مع قومه وقوى قلبه بذلك مع قلة العدد وكثرة الكفار فان هذه
السورة من اوائل ما نزل فقال فلا تطع المكذبين والمراد رؤساء الكفار من اهل مكة
وذلك انهم دعوه الى دينهم فنهاه الله ان يطيعهم وهذا من الله تهييج للتشدد في مخالفتهم
واما قوله تعالى فان كنت في شك مما انزلنا اليك فسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك
الآية فاعلم ان المفسرين اختلفوا فيمن الخطاب بهذا فقال قوم المخاطب به النبي صلى الله عليه
وسلم وقال آخرون المخاطب به غيره واما من قال بالاول فاختلفوا على وجوه الاول
ان الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم في الظاهر والمراد غيره كقوله تعالى اذا طلقتم
النساء وكقوله لئن اشركت ليحبطن عملك وكقوله لعيسى بن مريم عليهما السلام أانت قلت
للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله ومثل هذا معتاد فان السلطان اذا كان له
امير وكان تحت راية ذلك الامير جمع فاذا اراد ان يأمر الرعية بامر مخصوص فانه
لا يوجه خطابه اليهم بل يوجهه الى ذلك الامير ليكون ذلك اقوى تأثيرا في قلوبهم الثاني
قال الفراء علم الله تعالى ان رسوله صلى الله عليه وسلم غير شاك ولكن هذا كما يقول
الرجل لولده ان كنت ابني فبرني ولعبده ان كنت عبدي فاطعني الثالث انه يقال لضيق
الصدر شاك يقول ان ضقت ذرعا بما تعاني من تعنتهم واذاهم فاصبر واسأل الذين يقرؤن
الكتاب من قبلك كيف صبر الانبياء على اذى قومهم وكيف كان عاقبة امرهم من النصر فالمراد
تحقيق ذلك والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة وان القرآن مصدق لما فيه او تهييج الرسول
عليه السلام وزيادة تثبيته او يكون على سبيل الفرض والتقدير لامكان وقوع الشك
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية والله لا اشك ولا اسأل واما الوجه
الثاني وهو ان المخاطب غيره صلى الله عليه وسلم فتقريره ان الناس كانوا في زمانه
عليه السلام فرقا ثلاثة المصدقون له والمكذبون له والمتوقفون في امره الشاكون فيه
فخاطبهم الله تعالى بهذا الخطاب فقال فان كنت في شك ايها الانسان مما انزلنا اليك من الهدى
على لسان نبينا صلى الله عليه وسلم فاسأل اهل الكتاب ليدلوك على صحة نبوته وهذا مثل
قوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم ويا ايها الانسان انك كادح واذا مس الانسان ضر
فان المراد بالانسان هنا هم لا انسان بعينه فكذا هنا ولما ذكر الله تعالى لهم ما يزيل ذلك الشك
عنهم حذرهم من ان يلحقوا بالقسم الثاني وهم المكذبون فقال ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله
فتكون من الخاسرين الى قوله تعالى والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق
فلا تكونن من الممترين اي في انهم يعلمون ذلك او يكون المراد قل لمن امترى يا محمد لا تكونن

من الممترين

من الممترين وانه صلى الله عليه وسلم مخاطب به غيره وقيل غير ذلك واما قوله تعالى ولو شاء الله
لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين قال القاضي عياض لا يلتفت الى قول من قال
لا تكونن ممن يجهل ان الله تعالى لو شاء لجمعهم على الهدى اذ فيه اثبات الجهل بصفة من صفات
الله وذلك لا يجوز على الانبياء والمقصود وعظهم ان لا يتشبهوا في امورهم بسمات الجاهلين
وليس في الآية دليل على كونه على تلك الصفة التي نهاه عن الكون عليها فامره صلى الله عليه
وسلم بالتزام الصبر على اعراض قومه ولا يحرج عند ذلك فيقارب حال الجاهل بشدة التحسر
حكاه ابو بكر بن فورك وقيل معنى الخطاب لامته عليه السلام اي فلا تكونوا من الجاهلين حكاه — تكونن
ابو محمد مكي قال ومثله في القرآن كثير وكذلك قوله تعالى وان تطع اكثر من في الارض
فالمراد غيره كما قال ان تطيعوا الذين كفروا او قوله تعالى فان يشأ الله يختم على قلبك ولئن اشركت
ليحبطن عملك وما اشبه ذلك فالمراد غيره وان هذه حال من اشرك والنبي صلى الله عليه
وسلم لا يجوز عليه هذا والله تعالى ينهاه عما يشاء ويأمره بما يشاء كما قال تعالى ولا تطرد
الذين يدعون ربهم الآية وما طردهم عليه السلام وما كان من الظالمين واما قوله تعالى
وان كنت من قبله لمن الغافلين فليس بمعنى قوله والذين هم عن آياتنا غافلون وانما المعنى
لمن الغافلين عن قصة يوسف اذ لم يخطر ببالك ولم يقرع سمعك قط فلا تعلمها الا بوحينا
واما قوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله الآية فمعناه يستخفنك
غضب يحملك على ترك الاعراض عنهم والنزغ ادنى حركة تكون كما قاله الزجاج فامره الله
تعالى انه متى تحرك عليه غضب على عدوه او رام الشيطان من اغوائه به وخواطر اداني
وساوسه ما لم يجعل له سبيل اليه ان يستعيذ به تعالى منه فيكفي امره ويكون سبب تمام
عصمته اذ لم يسلط عليه باكثر من التعرض له ولم يجعل له قدرة عليه وكذلك لا يصح
ان يتصور له الشيطان في صورة الملك ويلبس عليه لا في اول الرسالة ولا بعدها بل لا يشك
النبي ان ما يأتيه من الله هو الملك ورسوله حقيقة اما بعلم ضروري يخلقه الله له او ببرهان
يظهره لديه كما قدمنا في المقصد الاول وعند البعثة لتتم كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل
لكلماته واما قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان
في امنيته الآية فاحسن ما قيل فيها ما عليه جمهور المفسرين ان التمني المراد به هنا التلاوة
والقاء الشيطان فيها اشغاله بخواطر واذكار من امور الدنيا للتالي حتى يدخل عليه الوهم — واذكار من
والنسيان فيما تلاه او يدخل غير ذلك على افهام السامعين من التحريف وسوء التأويل
ما يزيله الله وينسخه ويكشف لبسه ويحكم آياته قاله القاضي عياض وقد تقدم في المقصد
الاول مزيد لذلك قال في الشفاء واما قوله عليه السلام حين نام عن الصلاة يوم الوادي
ان هذا واد به شيطان فليس فيه ذكر تسلطه عليه ولا وسوسته له بل ان كان بمقتضى ظاهره
فقد بين امر ذلك الشيطان بقوله ان الشيطان اتى بلالا فلم يزل يهديه كما يهدى الصبي حتى نام
فاعلم ان تسلط الشيطان في ذلك الوادي انما كان على بلال الموكل بكلاءة الفجر هذا ان جعلنا قوله
ان هذا واد به شيطان تنبيها على سبب النوم عن الصلاة واما ان جعلناه تنبيها على الرحيل
عن الوادي وعلة لترك الصلاة به وهو دليل مساق حديث زيد بن اسلم فلا اعتراض به في هذا

الباب لبيانه وارتفاع اشكاله واما قوله تعالى عبس وتولى ان جاءه الاعمى الايات فليس فيها اثبات ذنب له عليه الصلاة والسلام بل اعلام الله ان ذلك المتصدي له ممن لا يتزكى وان الصواب والاولى كان لو كشف له حال الرجلين لاختار الاقبال على الاعمى وفعل النبي صلى الله عليه وسلم لما فعل وتصديه لذلك الكافر كان طاعة لله وتبليغا عنه واستئلافا له كما شرعه الله له لا معصية ولا مخالفة له وما قصه الله عليه من ذلك اعلام بحال الرجلين وتوهين امر الكافر عنده والاشارة الى الاعراض عنه بقوله وما عليك الا يزكى اي ليس عليك بأس في ان لا يزكى بالاسلام اي لا يبلغن بك الحرص على اسلامهم ان تعرض عمن اسلم بالاشتغال بدعوتهم ان عليك الا البلاغ وقد كان ابن ام مكتوم يستحق التأديب والزجر لانه وان فقد بصره كان يسمع مخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم لاولئك الكفار وكان يعرف بواسطة استماع تلك الكلمات شدة اهتمامه عليه الصلاة والسلام بشأنهم فكان اقدامه على قطع كلامه عليه الصلاة والسلام ايذاء له عليه الصلاة والسلام وذلك معصية عظيمة فثبت ان فعل ابن ام مكتوم كان ذنبا ومعصية وان الذي فعله الرسول صلى الله عليه وسلم كان هو الواجب المتعين وقد كان عليه الصلاة والسلام مأذونا له في تأديب اصحابه لكن ابن ام مكتوم بسبب عمايه استحق مزيد الرفق واما قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم الاية فروى ابن ابي حاتم عن مسعر عن عون قال هل سمعتم بمعاتبة احسن من هذا بدأ بالعفو قبل المعاتبة وكذا قال مورق العجلي وغيره وقال قتادة عاتبه كما تسمعون ثم انزل التي في سورة النور فرخص له في ان يأذن لهم ان شاء فقال تعالى فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم ففوض الامر الى رأيه عليه الصلاة والسلام وقال عمرو بن ميمون اثنتان فعلهما الرسول صلى الله عليه وسلم لم يؤمر فيهما بشيء اذنه للمنافقين واخذه الفدى من الاسرى فعاتبه الله كما تسمعون واما قول بعضهم ان هذه الاية تدل على انه وقع من الرسول ذنب لانه تعالى قال عفا الله عنك والعفو يستدعي سالفة ذنب وقوله الاخرى اذنت لهم استفهام بمعنى الانكار فاعلم انا لا نسلم ان قوله تعالى عفا الله عنك يوجب ذنبا ولم لا يقال ان ذلك يدل على مبالغة الله تعالى في توقيره وتعظيمه كما يقول الرجل لغيره اذا كان عظيما عنده عفى الله عنك ما صنعت في امري ورضي عنك ما جوابك عن كلامي وعافاك الله الا عرفت حقي فلا يكون غرضه منه من هذا الكلام الا زيادة التبجيل والتعظيم وليس عفا هنا بمعنى غفر بل كما قال صلى الله عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق ولم تجب عليهم قط اي لم يلزمكم ذلك ونحوه للقشيري قال وانما يقول العفو لا يكون الا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب قال ومعنى عفا الله عنك اي لم يكن منك ذنبا واما الجواب عن الثاني فيقال اما ان يكون صدر من الرسول صلى الله عليه وسلم ذنب ام لا فان قلنا لا امتنع على هذا التقدير ان يكون قوله لم اذنت لهم انكارا عليه وان قلنا انه قد صدر عنه ذنب وحاشاه الله من ذلك فقوله عفا الله عنك يدل على حصول العفو وبعد حصول العفو يستحيل ان يتوجه الانكار عليه فثبت انه على جميع التقادير يمتنع ان يكون ان قوله لم اذنت لهم يدل على كون الرسول مذنبا وهذا الجواب شاف كاف قاطع وعند هذا يحمل قوله لم اذنت لهم على ترك الاولى والاكمل بل لم يعد هذا اهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب الى ذلك

قال

قال نفطويه ذهب ناس الى ان النبي صلى الله عليه وسلم معاتب بهذه الاية وحاشاه من ذلك بل كان مخيرا فلما اذن لهم اعلمه الله انه لو لم يأذن لهم لقعدوا لنفاقهم وانه لا حرج عليه في الاذن لهم واما قوله تعالى في اسارى بدر ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة الى قوله عظيم فروى مسلم من افراده من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لما هزم الله المشركين يوم بدر وقتل منهم سبعون واسر سبعون استشار النبي صلى الله عليه وسلم ابا بكر وعمر وعليا فقال ابو بكر يا نبي الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والاخوان واني ارى ان تأخذ منهم الفدية فيكون ما اخذنا منهم قوة لنا على الكفار وعسى ان يهديهم الله فيكونوا لنا عضدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ترى يا ابن الخطاب قال قلت والله ما ارى ما رأى ابو بكر ولكن ارى ان تمكنني من فلان قريب لعمر فاضرب عنقه وتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه وتمكن حمزة من فلان اخيه فيضرب عنقه حتى يعلم الله انه ليس في قلوبنا موادة للمشركين فهوي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ابو بكر ولم يهو ما قلت فأخذ منهم الفداء فلما كان من الغد غدوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو قاعد وابو بكر الصديق وهما يبكيان فقلت يا رسول الله اخبرني ماذا يبكيك انت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد تباكيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم ابكي للذي عرض علي اصحابك من الفداء لقد عرض علي عذابكم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة فانزل الله تعالى ما كان للنبي ان يكون له اسرى الى قوله عظيم وقوله حتى يثخن في الارض اي يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولي اهله وليس في هذا الزام ذنب للنبي صلى الله عليه وسلم بل فيه بيان ما خص به وفضل من بين سائر الانبياء عليهم السلام فكأنه قال ما كان هذا لنبي غيرك كما قال عليه الصلاة والسلام احلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي **واما قوله تعالى تريدون عرض الدنيا** فقيل المراد بالخطاب من اراد ذلك منهم وتجرد غرضه لعرض الدنيا وحده والاستكثار منها وليس المراد بهذا النبي صلى الله عليه وسلم ولا علية اصحابه بل قد روي عن الضحاك انها نزلت حين انهزم المشركون يوم بدر واشتغل الناس بالسلب وجمع الغنائم عن القتال حتى خشي عمر ان يعطف عليهم العدو ثم قال لولا كتاب من الله سبق فاختلف المفسرون في معنى هذه الاية فقيل معناها لولا انه سبق مني ان لا اعذب احدا الا بعد النهي لعذبتكم فهذا ينفي ان يكون امر الاسرى معصية وقيل لولا ايمانكم بالقرآن وهو الكتاب السابق فاستوجبتم به الصفح لعوقبتم على الغنائم وقيل لولا انه سبق في اللوح المحفوظ انها حلال لكم لعوقبتم وهذا كله ينفي الذنب والمعصية لان من فعل ما احل له لم يعص الله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا وقيل بل كان عليه الصلاة والسلام قد خير في ذلك وقد روي عن علي قال جاء جبريل عليه السلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال خير اصحابك في الاسارى ان شاؤوا القتل وان شاؤوا الفداء على ان يقتل منهم عام المقبل مثلهم فقالوا الفداء ويقتل منا وهذا دليل على انهم لم يفعلوا الا ما اذن لهم فيه لكن بعضهم مال الى اضعف الوجهين مما كان الاصلح غيره من الاثخان والقتل فعوتبوا على ذلك وبين لهم ضعف اختيارهم وتصويب اختيار غيرهم وكلهم غير عصاة ولا مذنبين

قال القاضي بكر بن العلاء اخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الاية ان تاويله
وافق ما كتب له من احلال الغنايم والفداء وقد كان قبل هذا فادا في سرية عبد الله بن
جحش التي قتل فيها ابن الحضرمي بالحكم بن كيسان وصاحبه فما عتب الله ذلك عليهم وذلك قبل
بدر بازيد من عام فهذا كله يدل على ان فعل النبي صلى الله عليه وسلم في شان الاسارى
كان على تاويل وبصيرة على ما تقدم قبل مثله فلم ينكره الله عليه لكن الله تعالى اراد
لعظم امر بدر وكثرة اسراها والله اعلم اظهار نعمته وتاكيد منته بتعريفهم ما كتبه في اللوح المحفوظ
من حل ذلك لا على وجه عتاب وانكار وتذنيب قاله القاضي عياض واما قوله تعالى
لولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات
الاية فالمعنى لولا ان ثبتناك لقاربت ان تميل الى اتباع مرادهم لكن ادركتك عصمتنا
فمنعت ان تقرب فضلا عن ان تركن اليهم وهو صريح في انه صلى الله عليه وسلم ما هم باجابتهم
مع قوة الداعي اليها فالعصمة بتوفيق الله وحفظه ولو قاربت لاذقناك ضعف الحياة وضعف
الممات اي ضعف ما نعذب به من الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطا الخطير اخطر
وقد اعاذه من الدنو الى اعدابه بذرة من قلبه ومما يعزى للحريري مما يؤيد ذلك قوله

اتحوي هذا العصر ما هي لفظة جرت في لساني جرهم وثمود
اذا استعملت في صورة الجحد اثبتت وان اثبتت قامت مقام جحود

وسر الاول وهو النفي المثبت بنحو فذبحوها وما كادوا يفعلون وقد فعلوا والثاني وهو
الثبوت المنفي بنحو قوله تعالى لقد كدت تركن قالوا وهو صلى الله عليه وسلم بنت قوله
ولم يركن واما قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا
منه الوتين فالمعنى لو افترى علينا بشيء من عند نفسه لاخذنا بيمينه وقطعنا نياط قلبه
واهلكناه وقد اعاذه الله من التقول عليه فان قلت لا مرية انه يعني للمحب في لصاحب
المحاسن والاحسان العظيم ما لا يعني لغيره ويسامح بما لا يسامح به غيره كما قال الشاعر

واذا الحبيب اتى بذنب واحد جاءت محاسنه بالف شفيع

ولا شك ان نبينا صلى الله عليه وسلم هو الحبيب الاعظم ذو المحاسن والاحسان الاكبر
فما هذه العقوبة المضاعفة والتهديد الشديد الوارد انه وقع منه ما يكره وكم من ركن
الى اعدايه ومتقول عليه من قبل نفسه لم يعبا به كارباب البدع ونحوهم فالجواب انه
لا تنافي بين الامرين فان من كملت عليه نعمة الله واختصه منها بما لم يختص به غيره
واعطاه منها ما لم يعط غيره بالانعام وخصه بمزيد القرب والاكرام اقتضت حالته
من حفظ مرتبة القرب والولاية والاختصاص ان تراعي مرتبته من ادنى مشوش
وقاطع فلشدة الاعتناء به ومزيد تقريبه واتخاذه لنفسه واصطفائه على غيره
يكون حقوق وليه وسيده عليه اتم ونعمه عليه اكمل فالمطلوب منه فوق المطلوب من غيره
فهو اذا اغفل او اخل بمقتضى مرتبته نبه بما لم ينبه عليه البعيد مع كونه يسامح بما لا
يسامح به ذلك ايضا فيجتمع في حقه الامران واذا اردت معرفة اجتماعهما وعدم تناقضهما
فالواقع شاهد بذلك فان الملك يسامح خاصته واولياءه بما لا يسامح به من ليس في منزلتهم

ويؤاخذهم

ويؤاخذهم بما لم يؤاخذ به غيرهم وانت اذا كان لك عبدان او ولدان احدهما احب اليك واكرم
واقرب الى قلبك واعز عليك عاملته بهذين الامرين واجتمع في حقه المعاملتان بحسب
قربه منك وحبك له وعزته فاذا نظرت الى اكمال احسانك اليه واتمام نعمتك عليه اقتضت
معاملته بما لا تعامل به من دونه من التنبيه وعدم الاهمال واذا نظرت الى محبته لك
وطاعته وخدمته وكمال عبوديته ونصحه وهبت له وسامحته وعفوت عنه بما لا تفعله
مع غيره فالمعاملتان بحسب ما بينك وبينه وقد ظهر اعتبار هذا المعنى في الشرع حيث
جعل حد من انعم عليه بالتزويج اذا تعداه الى الزنا الرجم وحد من لم يعطه هذه النعمة الجلد
وكذلك ضاعف الحد على الحر الذي قد ملكه نفسه واتم عليه نعمته ولم يجعله مملوكا لغيره
وجعل حد العبد المنقوص بالرق الذي لم تحصل له هذه النعمة نصف ذلك فسبحان من بهرت
حكمته في خلقه

فلله سر تحت كل لطيفة فاخو البصاير غايص يتعلق

انتهى ملخصا واما قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان فقيل معناه
ما كنت تدري الايمان على التفصيل الذي شرع لك في القران وقال ابو العالية هو بمعنى الدعوة
الى الايمان لانه كان قبل الوحي لا يقدر ان يدعو الى الايمان بالله تعالى وقيل معناه انه ما كان
يعرف الايمان حين كان في المهد وقبل البلوغ حكاه الماوردي والواحدي والقشيري وقيل
انه من باب حذف المضاف اي ما كنت تدري اهل الايمان اي من الذي يؤمن ابو طالب او العباس
او غيرهما وقيل المراد به شرايع الايمان ومعالمه وهي كلها ايمان وقد سمى الصلاة ايمانا
بقوله وما كان الله ليضيع ايمانكم اي صلاتكم الى بيت المقدس فيكون اللفظ عاما والمراد الخصوص
قاله ابن قتيبة وابن خزيمة وقد اشتهر في الحديث انه صلى الله عليه وسلم كان يوحد الله ويبغض
الاوثان ويحج ويعتمر وروى ابو نعيم وابن عساكر عن علي قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم
هل عبدت وثنا قط قال لا قالوا هل شربت خمرا قط قال لا وما زلت اعرف ان الذي هم عليه كفر
وما كنت ادري ما الكتاب ولا الايمان وعن عايشة كانت قريش ومن دان دينها وهم الحمس يقفون
بالمزدلفة ويقولون نحن اهل الحرم رواه الشيخان وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الجاهلية يقف بعرفات دونهم توفيقا من الله رواه البيهقي وابو نعيم من حديث جبير بن مطعم
وقد ورثت العرب لم يزالوا على بقايا من دين اسمعيل كحج البيت والختان والغسل من الجنابة
وكان عليه السلام يبغض الاوثان ويعيبها ولا يعرف شرايع الله التي شرعها لعباده على لسانه
فذلك قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولم يرد الايمان الذي هو الاقرار بالله لان
اباءه الذين ماتوا على الشرك كانوا مؤمنين بالله ويحجون مع شركهم انتهى والله اعلم

الفصل السابع في وجوب محبته واتباع سنته والاهتداء بهديه
وطريقته وفرض محبة اله واصحابه وقرابته وعترته وحكم الصلاة والتسليم عليه زاده الله فضلا
وشرفا لديه وفيه ثلاثة فصول الاول في وجوب محبته واتباع سنته والاقتداء بهديه
وسيرته صلى الله عليه وسلم اعلم ان المحبة كما قال صاحب المدارج هي المنزلة التي فيها تنافس
المتنافسون واليها يشخص العاملون والى علمها شمر السابقون وعليها تفانى المحبون وبروح

نسيمها تروّح العابدون فهي قوت القلوب وغذاء الارواح وقرة العيون وهي الحياة التي من حرمها
فهو من جملة الاموات والنور الذي من فقده ففي بحار الظلمات والشفاء الذي من عدمه
حلت بقلبه جميع الاسقام واللذة التي لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام وهي روح الايمان
والاعمال والمقامات والاحوال التي متى خلت منها فهي كالجسد الذي لا روح فيه تحمل اثقال
السائرين الى بلد لم يكونوا بالغيه الا بشق الانفس وتوصلهم الى منازل لم يكونوا بدونها ابدا
واصليها وتبوئهم من مقاعد الصدق الى مقامات لم يكونوا لولا هي داخليها وهي مطايا
القوم التي سراهم في ظهورها دائما الى الحبيب وطريقهم الاقوم الذي يبلغهم الى منازلهم
الاولى من قريب تالله لقد ذهب اهلها بشرف الدنيا والآخرة اذ لهم من معية محبوبهم
اوفر نصيب وقد قدر الله يوم قدر مقادير الخلائق بمشيئته وحكمته البالغة ان المرء مع من احب
فيا لها نعمة على المحبين سابغة لقد سبق القوم السعاة وهم على ظهور الفرش نائمون ولقد
تقدموا الركب بمراحل وهم في سيرهم واقفون

من لي بمثل سيرك المدلل ٭ تمشي رويدا وتجي في الاول

اجابوا مؤذن الشوق اذ نادى بهم حي على الفلاح وبذلوا انفسهم في طلب الوصول الى محبوبهم
وكان بذلهم بالرضى والسماح وواصلوا اليه المسير بالادلاج والغدو والرواح ولقد حمدوا
عند الوصول مسراهم وانما يحمد القوم السرى عند الصباح وقد اختلفوا في المحبة
وعباراتهم وان كثرت فليست في الحقيقة ترجع الى اختلاف مقال وانما هي اختلاف احوال
واكثرها يرجع الى ثمراتها دون حقيقتها وقد قال بعض المحققين حقيقة المحبة عند اهل
المعرفة من المعلومات التي لا تحد وانما يعرفها من قامت به وجدانا لا يمكن التعبير عنه وهذا
قول صاحب مدارج السالكين تبعا لغيره المحبة لا تحد بحد اوضح منها فالحدود لا تزيدها الا
خفاء وجفاء فحدها وجودها ولا توصف المحبة بوصف اظهر من المحبة وانما يتكلم الناس في اسبابها
وموجباتها وعلاماتها وشواهدها وثمراتها واحكامها فحدودهم ورسومهم دارت على هذه الستة
وتنوعت بهم العبارات وكثرت الاشارات بحسب الادراك والمقام والحال وقد وضعوا
لمعناها حرفين مناسبين للمسمى غاية المناسبة الحاء التي هي من اقصى الحلق والباء الشفهية
التي هي نهايته فللحاء الابتداء وللباء الانتهاء وهذا شأن المحبة وتعلقها بالمحبوب فان ابتداءها
منه وانتهاءها اليه واعطوا الحب حركة الضم التي هي اشد الحركات واقواها مطابقة لشدة
حركة مسماه وقوتها واعطوا الحب وهو المحبوب حركة الكسر لخفتها من الضمة وخفة المحبوب
وذكره على قلوبهم والسنتهم فتأمل هذا اللفظ والمطابقة والمناسبة العجيبة بين الالفاظ
والمعاني تطلعك على قدر هذه اللغة وان لها شأنا ليس لسائر اللغات وهذه بعض رسوم
وحدود قيلت في المحبة بحسب آثارها وشواهدها والكلام على ما يحتاج الى الكلام منها
فمنها موافقة الحبيب في المشهد والمغيب وهذا موجبها ومقتضاها ومنها محو المحب لصفاته
واثبات المحبوب لذاته وهذا من احكام الفناء في المحبة وهو ان تمحى صفات المحب وتفنى
في صفات محبوبه وذاته وهذا يستدعي بيانا اتم من هذا لا يدركه الا من افناه وارد المحبة
عنه واخذه منه ومنها استقلال الكثير من نفسك واستكثار القليل من حبيبك وهو ايضا

وهو

وهو ايضا من احكامها وموجباتها وشواهدها فالمحب الصادق لو بذل لمحبوبه جميع ما يقدر
عليه لاستقله واستحيا منه ولو ناله من محبوبه ايسر شيء لاستكثره واستعظمه ومنها
استكثار القليل من جنايتك واستقلال الكثير من طاعتك وهو قريب من الاول لكن هذا مخصوص
بما من المحب ومنها معانقة الطاعة ومباينة المخالفة وهو لسهل بن عبد الله وهو ايضا حكم
المحبة وموجبها ومنها ان تهب كلك لمن احببت فلا يبقى لك منك شيء وهو لسيدنا ابي عبد الله
القرشي وهو ايضا من موجبات المحبة واحكامها والمراد ان تهب ارادتك وعزمك وافعالك
ونفسك ومالك ووقتك لمن تحبه وتجعلها حبسا في مرضاته ومحابه ولا تأخذ منها لنفسك
الا ما اعطاكه فتأخذه منه له ومنها ان تمحو من القلب ما سوى المحبوب وكمال المحبة
يقتضي ذلك فانه ما دامت في القلب بقية لغيره ومسكن لغيره فالمحبة مدخولة ومنها
ان تغار على المحبوب ان يحبه مثلك وهو للشبلي ومراده احتقارك لنفسك واستصغارها
ان يكون مثلك يحبه ومنها غض طرف المحب عن ما سوى المحبوب غيرة وعن المحبوب هيبة
وهذا يحتاج الى ايضاح اما الاول فظاهر واما الثاني فان غض طرف القلب عن المحبوب مع
كمال محبته كالمستحيل ولكن عند استيلاء سلطان المحبة يقع مثل هذا وذلك من علامات المحبة
المقارنة للهيبة والتعظيم ومنها ميلك الى الشيء بكليتك ثم ايثارك له على نفسك وروحك
ومالك ثم موافقتك له سرا وجهرا ثم علمك بتقصيرك في حبه قال الجنيد سمعت الحارث
المحاسبي يقول ذلك ومنها سكر لا يصحو صاحبه الا بمشاهدة محبوبه ثم السكر الذي
يحصل عند المشاهدة لا يوصف وانشد بعضهم

فاسكر القوم دور الكاس بينهم ٭ لكن سكري نشا من رؤية الساقي

ومنها سفر القلب في طلب المحبوب ولهج اللسان بذكره على الدوام اما سفر القلب في طلبه
فهو الشوق الى لقائه واما لهج اللسان بذكره فلا ريب ان من احب شيئا اكثر من ذكره ومنها
الميل الى ما يوافق الانسان كحب الصور الجميلة والاصوات الحسنة وغير ذلك من الملاذ
التي لا يخلو كل طبع سليم عن الميل اليها لموافقتها له او لاستلذاذه بادراكه بحاسة او
يكون حبه لذلك لموافقته له من جهة احسانه اليه وانعامه عليه فقد جبلت القلوب على حب
من احسن اليها كما رواه ابو نعيم في الحلية وابو الشيخ وغيرهما واذا كان الانسان يحب من منحه
في دنياه مرة او مرتين معروفا فانيا منقطعا او استنقذه من هلكة او مضرة لا تدوم فما
بالك بمن منحه منحا لا تبيد ولا تزول ووقاه من العذاب الاليم ما لا يفنى ولا يحول واذا كان
المرء يحب غيره على ما فيه من صورة جميلة وسيرة حميدة فكيف بهذا النبي الكريم
والرسول العظيم الجامع لمحاسن الاخلاق والتكريم المانح لنا جوامع المكارم والفضل العميم
فقد اخرجنا الله به من ظلمات الكفر الى نور الايمان وخلصنا به من نار الجهل الى جنات
المعارف والايقان فهو السبب لبقاء مهجنا البقاء الابدي في النعيم السرمدي فأي
احسان اجل قدرا واعظم خطرا من احسانه الينا فلا منة وحياته لاحد بعد الله
كما له علينا ولا فضل لبشر كفضله لدينا فكيف ننهض ببعض شكره او نقوم من واجب
حقه بمعشار عشره فقد منحنا الله به منح الدنيا والآخرة واسبغ علينا نعمه باطنة

وظاهره فاستحق ان يكون حظه من محبتنا له اوفى وازكى من محبتنا لانفسنا واولادنا
واهلينا واموالنا والناس اجمعين بل لو كان في كل منبت شعرة منا محبة تامة له صلوات الله
وسلامه عليه لكان ذلك بعض ما يستحقه علينا وقد روى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من والده وولده رواه البخاري وقدم
الوالد للاكثرية لان كل احد له والد من غير عكس وفي رواية النسائي تقديم الولد على الوالد
وذلك لمزيد الشفقة وزاد في رواية عبد العزيز بن صهيب والناس اجمعين وفي صحيح
ابن خزيمة من اهله وماله بدل من والده وولده وذكر الوالد والولد ادخل في المعنى لانهما اعز على
العاقل من الاهل والمال بل ربما يكونان اعز من نفسه ولذا لم يذكر النفس في حديث ابي
هريرة وذكر النفس بعد الوالد والولد من عطف العام على الخاص قال الخطابي والمراد
بالمحبة هنا حب الاختيار لا حب الطبع وقال النووي فيه تلميح الى قضية النفس الامارة
والمطمئنة فان من رجح جانب المطمئنة كان حبه للنبي صلى الله عليه وسلم راجحا ومن رجح
جانب الامارة كان حكمه بالعكس وفي كلام القاضي عياض ان ذلك شرط في صحة الايمان
لانه حمل المحبة على معنى التعظيم والاجلال وتعقبه صاحب المفهم بان ذلك ليس مرادا
هنا لان اعتقاد الاعظمية ليس مستلزما للمحبة اذ قد يجد الانسان اعظام شيء مع
خلوه من محبته قال فعلى هذا من لم يجد من نفسه ذلك الميل لم يكمل ايمانه والى هذا يومي
قول عمر في الحديث الذي رواه البخاري في الايمان والنذور من حديث عبد الله بن هشام
ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم لانت يا رسول الله احب الي
من كل شيء الا نفسي التي بين جنبي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لن يؤمن احدكم حتى
اكون احب اليه من نفسه فقال عمر والذي انزل عليك الكتاب لانت احب الي من نفسي
التي بين جنبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الان يا عمر فهذه المحبة ليست باعتقاد
الاعظمية فقط فانها كانت حاصلة لعمر قبل ذلك قطعا وفي رواية فقال النبي صلى الله عليه
وسلم لا والذي نفسي بيده حتى اكون احب اليك من نفسك قال بعض الزهاد تقدير الكلام
لا تصدق في حبي حتى تؤثر رضاي على هواك وان كان فيه الهلاك واما توقف عمر في اول
امره واستثناؤه نفسه فلان حب الانسان نفسه طبع وحب غيره اختيار بتوسط الاسباب
وانما اراد عليه السلام منه حب الاختيار اذ لا سبيل الى قلب الطباع وتغييرها عما جبلت عليه
وعلى هذا فجواب عمر اولا كان بحسب الطبع ثم تامل فعرف بالاستدلال ان النبي صلى الله
عليه وسلم احب اليه من نفسه لكونه السبب في نجاتها من المهلكات في الدنيا والاخرة
فاخبر بما اقتضاه الاختيار فلذلك حصل الجواب بقوله الان يا عمر اي الان عرفت فنطقت
بما يجب واذا كان هذا شان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عبد الله ورسوله في محبتنا له
ووجوب تقديمها على محبة انفسنا واولادنا ووالدينا والناس اجمعين فما الظن بمحبة الله
تعالى ووجوب تقديمها على محبة ما سواه ومحبة الله تعالى تختص عن محبة غيره في قدرها
وصفتها وافراده سبحانه وتعالى فان الواجب له من ذلك ان يكون احب الى العبد من ولده
ووالده بل من سمعه وبصره ونفسه التي بين جنبيه فيكون الهه الحق ومعبوده احب اليه

من ذلك

من ذلك كله والشيء قد يحب من وجه دون وجه وقد يحب لغيره وليس شيء يحب لذاته من كل
وجه الا الله تعالى وحده ولا تصلح الالوهية الا له تعالى والتاله هو المحبة والطاعة والخضوع
ومن علامات الحب المذكور لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعرض الانسان على نفسه
انه لو خير بين فقد غرض من اغراضه او فقد رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ان لو كانت
ممكنة فان كان فقدها ان لو كانت ممكنة اشد عليه من فقد شيء من اغراضه فقد اتصف
بالاحبية المذكورة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومن لا فلا قال القرطبي كل من امن
بالنبي صلى الله عليه وسلم ايمانا صحيحا لا يخلو عن وجدان شيء من تلك المحبة الراجحة غير
انهم متفاوتون فمنهم من اخذ من تلك المرتبة بالحظ الاوفى ومنهم من اخذ بالحظ الادنى كمن
كان مستغرقا في الشهوات محجوبا في الغفلات في اكثر الاوقات لكن الكثير منهم اذا ذكر النبي صلى الله
عليه وسلم اشتاق الى رؤيته بحيث يؤثرها على اهله وماله وولده ويبذل نفسه في الامور
الخطيرة ويجد رجحان ذلك من نفسه وجدانا لا تردد فيه وقد شوهد من هذا الجنس من
يؤثر زيارة قبره ورؤية مواضع اثاره على جميع ما ذكرنا لما وقر في قلوبهم من محبته غير ان ذلك
سريع الزوال لتوالي الغفلات انتهى فكل مسلم في قلبه محبة الله ورسوله لا يدخل في الاسلام
الا بها والناس متفاوتون في محبته صلى الله عليه وسلم بحسب استحضارهم ما وصل اليهم من جهته
عليه الصلاة والسلام من النفع الشامل لخير الدارين والغفلة عن ذلك ولا شك ان حظ الصحابة
رضي الله عنهم في هذا المعنى اتم لان هذا ثمرة المعرفة وهم بها اعلم وقد روى ابن اسحاق كما
حكاه في الشفا ان امراة من الانصار قتل ابوها واخوها وزوجها يوم احد مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا خيرا هو بحمد الله كما تحبين
فقالت ارونيه حتى انظر اليه فلما راته قالت كل مصيبة بعدك جلل تعني صغيرة وروى
البيهقي في دلائله وذكره صاحب الكتاب بلفظه لما قيل يوم احد قتل محمد عليه السلام وكثرت
الصوارخ بالمدينة خرجت امراة من الانصار فاستقبلت باخيها وابيها وزوجها وابنها قتلى
لا تدري بايهم استقبلت اولا وكلما مرت بواحد منهم صريعا قالت من هذا قالوا اخوك وابوك
وزوجك وابنك قالت فما فعل النبي صلى الله عليه وسلم فيقولون امامك حتى ذهبت الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاخذت بناحية ثوبه ثم جعلت تقول بابي انت وامي يا رسول الله لا ابالي
اذا سلمت من عطب وكذلك روى ابن ابي الدنيا بنحوه مختصرا وقال عمرو بن العاص ما كان
احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال علي بن ابي طالب كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم احب الينا من اموالنا واولادنا وابائنا وامهاتنا ومن الماء البارد على الظما ولما
اخرج اهل مكة زيد بن الدثنة بفتح الدال وكسر المثلثة وتشديد النون من الحرم ليقتلوه
قال له ابو سفيان بن حرب انشدك بالله يا زيد اتحب ان محمدا الان عندنا مكانك تضرب عنقه
وانك في اهلك فقال زيد والله ما احب ان محمدا الان في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة واني
جالس في اهلي فقال ابو سفيان ما رايت احدا من الناس يحب احدا كحب اصحاب محمد محمدا
وروي مما ذكره القاضي عياض ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
لانت احب الي من اهلي ومالي واني لاذكرك فما اصبر حتى اجيء فانظر اليك واني ذكرت موتي وموتك

فعرفت انك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وان دخلتها لا اراك فانزل الله تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا فدعا به فقرأها عليه قال وفي حديث آخر كان رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم ينظر اليه لا يطرف فقال ما بالك فقال بابي انت وامي اتمتع من النظر اليك فاذا كان يوم القيامة رفعك الله بتفضيله فانزل الله الآية وذكره البغوي في تفسيره بلفظ نزلت هذه الآية في ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فاتاه ذات يوم وقد تغير لونه يعرف الحزن في وجهه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غير لونك فقال يا رسول الله ما بي مرض ولا وجع غير اني اذا لم اراك استوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم ذكرت الآخرة فاخاف ان لا اراك لانك ترفع مع النبيين واني ان دخلت الجنة في منزلة ادنى من منزلتك وان لم ادخل الجنة لا اراك ابدا فنزلت هذه الآية وكذا ذكره الواحدي في أسباب النزول وعزاه للكلبي عن ثوبان وقال قتادة قال بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كيف يكون الحال في الجنة وانت في الدرجات العلى ونحن اسفل منك فكيف نراك فانزل الله الآية وذكره ابن ظفر في ينبوع الحياة بلفظ ان الشعبي قال ان رجلا من الانصار اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له والله لانت يا رسول الله احب الي من نفسي ومالي وولدي واهلي ولولا اني آتيك فاراك لرايت ان اموت او قال ان سوف اموت وبكى الانصاري فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ابكاك قال بكيت اذ ذكرت انك ستموت ونموت فترفع مع النبيين ونكون نحن ان دخلنا الجنة دونك فلم يخبر النبي صلى الله عليه وسلم بشيء اي لم يرجع اليه بقول فانزل الله الآية قال وذكر مقاتل بن سليمان مثل هذا وقال هو عبد الله بن زيد بن عبد ربه الانصاري الذي رأى الاذان وذكر ايضا ان عبد الله بن زيد هذا كان يعمل في جنة له فاتاه ابنه فاخبره ان النبي صلى الله عليه وسلم توفي فقال اللهم اذهب بصري حتى لا ارى بعد حبيبي محمد احدا فكف بصره واعلم انه لا يمكن ان يجتمع في القلب حبان فان المحبة الصادقة تقتضي توحيد المحبوب فليختر لنفسه احدى المحبين فانهما لا يجتمعان في القلب والانسان عند محبوبه كائنا ما كان كما قيل

انت القتيل باي من احببته ۝ فاختر لنفسك في الهوى من تصطفي

وليعض الحكماء كما ان الجسد لا يتسع لسنخين فكذلك القلب لا يتسع لحبيبين فكذلك لا تقبل على من تهواه اعراضك عن كل شيء سواه فمن داهن في المحبة او داجى فتعرض لمدي الغير او داجا **فمحبة الرسول** عليه السلام بل تقديمه في الحب على الانفس والآباء والابناء لا يتم الايمان الا بها اذ محبته من محبة الله وقد حكى عن ابي سعيد الخراز مما ذكره القشيري في رسالته انه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت يا رسول الله اعذرني فان محبة الله شغلتني عن محبتك فقال لي يا مبارك من احب الله فقد احبني وقيل ان ذلك وقع لامرأة من الانصار رحمة صلى الله عليه وسلم يقظة ۝ ولابن ابي المجد ۝

الا يا محب المصطفى زد صبابة ۝ وضمخ لسان الذكر منك بطيبه ۝

ولا تعبأن بالمبطلين فانما ۝ علامة حب الله حب حبيبه ۝

وكذلك كل حب في الله ولله كما في الصحيحين عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره ان يعود في الكفر كما يكره ان يقذف في النار فعلق ذوق الايمان بالرضا بالله ربا وعلق وجدان حلاوته بما هو موقوف عليه ولا يتم الا به وهو كونه سبحانه احب الاشياء الى العبد هو ورسوله **فمن رضي بالله ربا** رضيه الله له عبدا ومعنى حلاوة الايمان استلذاذ الطاعات وتحمل المشقات في الدين وايثار ذلك على اعراض الدنيا ومحبة العبد لله تحصل بفعل طاعته وترك مخالفته وكذلك الرسول قاله النووي **وقال غيره** معناه ان من استكمل الايمان علم ان حق الله ورسوله آكد عليه من حق والده وولده وجميع الناس لان الهدى من الضلال والخلاص من النار انما كان بالله على لسان رسوله وفي قوله عليه الصلاة والسلام حلاوة الايمان استعارة تخييلية فانه شبه رغبة المؤمن في الايمان بشيء حلو واثبت له لازم ذلك الشيء واضافه اليه وفيه تلميح الى قصة المريض والصحيح لان المريض الصفراوي يجد طعم العسل مرا والصحيح يذوق حلاوته على ما هي وكلما نقصت الصحة شيئا ما نقص ذوقه بقدر ذلك **وقال العارف** ابن ابي جمرة واختلف في الحلاوة المذكورة هل هي محسوسة او معنوية فحملها قوم على المعنى وهم الفقهاء وحملها قوم على المحسوس وابقوا اللفظ على ظاهره من غير ان يتناولوه وهم اهل الصفة او قال الصوفية قال والصواب معهم في ذلك والله اعلم لان ما ذهبوا اليه ابقوا به لفظ الحديث على ظاهره من غير تاويل قال ويشهد الى ما ذهبوا اليه احوال الصحابة والسلف الصالح واهل المعاملات فانه حكي عنهم انهم وجدوا الحلاوة محسوسة فمن ذلك حديث بلال حين صنع ما صنع في الرمضا اكراها على الكفر وهو يقول احد احد فمزج مرارة العذاب بحلاوة الايمان وكذلك ايضا عند موته اهله يقولون واكرباه وهو يقول واطرباه غدا القى الاحبة محمدا وحزبه فمزج مرارة الموت بحلاوة اللقاء وهي حلاوة الايمان **ومنها** حديث الصحابي الذي سرق فرسه بليل وهو في الصلاة فراى السارق حين اخذه فلم يقطع لذلك صلاته فقيل له في ذلك فقال ما كنت فيه الذ من ذلك وما ذاك الا للحلاوة التي وجدها محسوسة في وقته ذلك **ومنها** حديث الصحابيين الذين جعلهما صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه من قبل العدو وقد اقبل قرنهما فقبل الجاسوس القوس ورمى الصحابي فاصابه فبقي على صلاته ولم يقطعها ثم رماه ثانية فاصابه فلم يقطع لذلك صلاته ثم رماه ثالثة فاصابه فعند ذلك ايقظ صاحبه وقال لولا اني خفت على المسلمين ما قطعت صلاتي ولولا ذاك الا لشدة ما وجد فيها من الحلاوة حتى اذهب عنه ما يجد من الم السلاح **قال ومثل هذا** حكي عن كثير من اهل المعاملات انتهى وحديث هذين الصحابيين ذكره البخاري في صحيحه في باب من لم ير الوضوء الا من المخرجين بلفظ ويذكر عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في غزوة ذات الرقاع فرمي رجل بسهم فنزفه الدم فركع وسجد ومضى في صلاته وقد وصله ابن اسحق في المغازي قال حدثني صدقة بن يسار عن عقيل عن جابر عن ابيه مطولا واخرجه احمد وابو داود والدارقطني وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم كلهم من طريق ابن اسحاق

قال في فتح الباري وشيخه صدقة ثقة وعقيل بفتح العين لا أعرف راويا عنه غير
صدقة وهذا الذي جزم به البخاري او لكونه اختصره او للخلاف في ابن اسحق وأخرجه
البيهقي في الدلائل من وجه آخر وسمى احدهما عباد بن بشر الأنصاري وحماد بن ياسر
المهاجري والسورة الكهف وانما قال خمسا وسبعين لم ينقل عمن لم يحفظ وقوله
وأن يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما دليل على انه لا بأس بهذه التثنية واما
قوله للذي خطب فقال ومن يعصهما بئس الخطيب انت فليس من هذا لان المراد في الخطب
الايضاح واما هنا فالمراد الايجاز في اللفظ ليحفظ ويدل عليه ان النبي صلى الله عليه وسلم
حيث قاله في موضع آخر قال ومن يعصهما فلا يضر الا نفسه وقيل انه من الخصائص فيمتنع
من غير النبي صلى الله عليه وسلم ولا يمتنع منه لان غيره اذا جمع اوهم اطلاق التسوية
بخلافه هو فان منصبه لا يتطرق اليه ايهام ذلك والى هذا مال ابن عبد السلام ومن
محاسن الاجوبة في الجمع بين هذا الحديث وقصة الخطيب ان تثنية الضمير هنا للايماء
الى ان المعتبر هو المجموع المركب من المحبتين لا كل واحدة منهما فانها وحدها لاغية
اذا لم ترتبط بالاخرى فمن يدعي حب الله مثلا ولا يحب رسوله لا ينفعه ذلك ويشير
اليه قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فاوقع متابعته مكتنفة
بين قطري محبة العباد لله ومحبة الله للعباد واما امر الخطيب بالافراد فلان كل واحد
من العصيانين مستقل باستلزام الغواية اذ العطف في تقدير التكرير والاصل استقلال
كل من المعطوفين في الحكم ويشير اليه قوله تعالى واطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر
منكم فاعاد اطيعوا في الرسول ولم يعده في اولي الامر لانهم لا استقلال لهم في الطاعة
كاستقلال الرسول انتهى ملخصا من كلام البيضاوي والطيبي كما حكاه في فتح الباري
وفي الصحيح ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا قال في المدارج
فاخبر ان للايمان طعما وان القلب يذوقه كما يذوق الفم طعم الطعام والشراب وقد عبر النبي
صلى الله عليه وسلم عن ادراك حقيقة الايمان والاحسان وحصوله للقلب ومباشرته
له بالذوق تارة وبالطعام والشراب اخرى وبوجد الحلاوة تارة كما قال ذاق وقال ثلاث
من كن فيه وجد حلاوة الايمان ولما نهاهم عن الوصال قالوا انك تواصل فقال لست كهيئتكم
اني اطعم واسقى وقد غلط حجاب من ظن ان هذا طعام وشراب حسي للفم وسيأتي تحقيق
الكلام في هذا ان شاء الله تعالى في الصوم من مقصد عباداته عليه الصلاة والسلام والمقصود
ان ذوق حلاوة الايمان امر يجده القلب تكون نسبته اليه كذوق حلاوة الطعام الى الفم
وذوق حلاوة الجماع الى اللذة كما قال عليه الصلاة والسلام حتى تذوقي عسيلته ويذوق
عسيلتك وللايمان طعم وحلاوة يتعلق بهما ذوق ووجد ولا تزول الشبه والشكوك الا اذا
وصل العبد الى هذه الحال فباشر الايمان قلبه حقيقة المباشرة فيذوق طعمه ويجد حلاوته
وقال العارف الكبير تاج الدين بن عطاء الله رضي يعني في هذا الحديث اشارة الى ان القلوب
السليمة من امراض الغفلة والهوى تتنعم بملذوذات المعاني كما تتنعم النفوس بملذوذات
الاطعمة وانما ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا لانه لما رضي بالله ربا استسلم له وانقاد لحكمه والقى قياده

الصحابي ع
ومن لا يعقل ع
ثم
نيا

اليه

اليه فوجد لذاذة العيش وراحة التفويض ولما رضي بالله ربا كان له الرضى من الله واذا كان
له الرضى من الله اوجده الله حلاوة ذلك ليعلم ما من به عليه وليعرف احسان الله عليه
ولما سبقت لهذا العبد العناية خرجت له العطايا من خزائن المنن فلما واصلته امداد الله
وانواره عوفي قلبه من الامراض والاسقام فكان سليم الادراك فادرك لذاذة الايمان
وحلاوته لصحة ادراكه وسلامة ذوقه وقوله صلى الله عليه وسلم وبالاسلام دينا
لانه اذا رضي بالاسلام دينا فقد رضي بما رضي به المولى ولازم من رضي بمحمد نبيا ان يكون له
وليا وان يتأدب بآدابه ويتخلق باخلاقه زهدا في الدنيا وخروجا عنها وصفحا عن الجناة
وعفوا عمن اساء اليه الى غير ذلك من تحقيق المتابعة قولا وفعلا واخذا وتركا وحبا
وبغضا فمن رضي بالله استسلم له ومن رضي بالاسلام عمل له ومن رضي بمحمد صلى الله
عليه وسلم تابعه ولا يكون واحد منها الا بكلها اذ محال ان يرضى بالله ربا ولا يرضى بالاسلام
دينا ولا يرضى بمحمد نبيا وتلازم ذلك بين لا خفاء به انتهى ملخصا اعلم ان محبة الله
على قسمين فرض وندب فالفرض المحبة التي تبعث على امتثال الاوامر والانتهاء عن المعاصي
والرضى بما يقدره فمن وقع في معصية من فعل محرم او ترك واجب فلتقصيره في محبة الله
حيث قدم هوى نفسه والتقصير يكون مع الاسترسال في المباحات والاستكثار منها فيورث
الغفلة المقتضية للتوسع في الرجاء فيقدم على المعصية والندب ان يواظب على النوافل ويجتنب
الوقوع في الشبهات فالمتصف بذلك في عموم الاوقات والاحوال نادر وفي البخاري من حديث
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه تعالى انه قال ما تقرب الي
عبدي بمثل اداء ما افترضته عليه وفي رواية بشيء احب الي من اداء ما افترضته عليه
ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به
وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر
وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لاعطينه ولئن استعاذني لاعيذنه وما ترددت
عن شيء انا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت واكره مساءته ويستفاد
من قوله وما تقرب الي عبدي بشيء احب الي من اداء الفرائض ان الفرائض احب الاعمال الى الله تعالى
وعلى هذا فقد استشكل كون النوافل تنتج المحبة ولا تنتجها الفرائض واجيب بان المراد
من النوافل اذا كانت مع الفرائض مشتملة عليها ومكملة لها ويؤيده ان في رواية ابي امامة
ابن آدم انك لن تدرك ما عندي الا باداء ما افترضته عليك او يجاب بان الاتيان بالنوافل
لمحض المحبة لا لخوف العقاب على الترك بخلاف الفرائض وقال الفاكهاني معنى الحديث انه اذا ادى
الفرائض وداوم على اتيان النوافل من صلاة وصيام وغيرهما افضى به ذلك الى محبة الله
تعالى وقد استشكل ايضا كيف يكون الباري جل وعلا سمع العبد وبصره الخ واجيب
باجوبة منها انه ورد على سبيل التمثيل والمعنى كنت سمعه وبصره في ايثاره امري فهو
يحب طاعتي ويؤثر خدمتي كما يحب هذه الجوارح ومنها ان المعنى كنت له في النصرة كسمعه
وبصره ويده ورجله في المعاونة على عدوه ومنها انه على حذف مضاف اي كنت حافظ سمعه
الذي يسمع به فلا يسمع الا ما يحل سماعه وحافظ بصره كذلك الى آخره قاله الفاكهي

ومنها ان المعنى ان كليته مشغولة بي فلا يصغي بسمعه الا الى ما يرضيني ولا يبصر الا ما امرته به

قال ويحتمل معنى آخر ادق من الذي قبله وهو ان يكون بمعنى مسموعه لان المصدر قد جاء
بمعنى المفعول مثل فلان املي بمعنى مأمولي والمعنى انه لا يسمع الا ذكري ولا يلتذ الا بتلاوة
كتابي ولا يأنس الا بمناجاتي ولا ينظر الا في عجائب ملكوتي ولا يمد يده الا فيما فيه رضاي
ورجله كذلك وقال غيره اتفق العلماء ممن يعتد بقوله على ان هذا مجاز وكناية عن نصرة
العبد وتاييده واعانته حتى كانه سبحانه ينزل عنده منزلة الآلات التي يستعين بها
ولهذا وقع في رواية فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي قال والاتحادية زعموا انه
على حقيقته وان الحق عين العبد تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقال الخطابي عبر بذلك
عن سرعة اجابة الدعاء والنجح في الطلب وذلك ان مساعي الانسان كلها انما تكون بهذه
الجوارح المذكورة وعن ابي عثمان الحيري احد ائمة الطريق قال معناه كنت اسرع الى قضاء
حوائجه من سمعه في الاستماع وعينه في النظر ويده في اللمس ورجله في المشي كذا اسنده
عنه البيهقي في الزهد وحمله بعض اهل الزيغ على ما يدعونه من ان العبد اذا لازم العبادة
الظاهرة والباطنة حتى تصفى من الكدورات انه يصير في معنى الحق تعالى الله عن ذلك
وانه يفنى عن نفسه جملة حتى يشهد ان الله هو الذاكر لنفسه الموحد لنفسه المحب لنفسه
وان هذه الاسباب والرسوم تصير عدما صرفا وعلى الاوجه كلها فلا متمسك فيه للاتحادية
ولا القائلين بالوحدة المطلقة لقوله في بقية الحديث ولئن سألني زاد في رواية عبدي
الواحد عندي انتهى ملخصا وقال العلامة ابن القيم تضمن هذا الحديث الشريف الالهي
الذي حرام على غليظ الطبع كثيف القلب فهم معناه والمراد به حصر اسباب محبته في امرين
اداء فرائضه والتقرب اليه بالنوافل وان المحب لا يزال يكثر من النوافل حتى يصير محبوبا
لله فاذا صار محبوبا لله اوجبت محبة الله له محبة اخرى منه لله فوق الاولى فشغلت هذه
المحبة قلبه عن الفكرة والاهتمام بغير محبوبه وملكت عليه روحه ولم يبق فيه سعة
لغير محبوبه البتة فصار ذكر محبوبه وحبه ومثله الاعلى مالكا لزمام قلبه مستوليا على روحه
استيلاء المحبوب على محبه الصادق في محبته التي قد اجتمعت قوى حبه كلها له ولا ريب
ان هذا المحب ان سمع سمع بمحبوبه وان ابصر ابصر به وان نظر نظر به وان مشى مشى به
فهو في قلبه ونفسه وانيسه وصاحبه والباء هنا باء المصاحبة وهي مصاحبة لا نظير لها
ولا تدرك بمجرد الاخبار عنها والعلم بها فالمسألة حالية لا علمية محضة قال ولما حصلت الموافقة
من العبد لربه في محابه حصلت موافقة الرب لعبده في حوائجه ومطالبه فقال ولئن سألني
لاعطينه ولئن استعاذني لاعيذنه اي كما وافقني في مرادي بامتثال اوامري والتقرب
الي بمحابي فانا اوافقه في رغبته ورهبته فيما يسألني ان افعله به ويستعيذني ان
يناله وقوي امر هذه الموافقة من الجانبين حتى اقتضى تردد الرب سبحانه في اماتة عبده
لانه يكره الموت والرب تعالى يكره ما يكره عبده ويكره مساءته فمن هذه الجهة يقتضي ان لا يميته
ولكن مصلحته في اماتته فانه ما اماته الا ليحييه ولا امرضه الا ليصحه ولا افقره الا ليغنيه
ولا منعه الا ليعطيه ولم يخرج من الجنة في صلب ابيه الا ليعيده اليها على احسن احواله
فهذا هو الحبيب على الحقيقة لا سواه انتهى وقال الخطابي التردد في حق الله غير جائز والبداء

لقوله
عبد الواحد عبدي كذا

عليه

عليه في الامور غير سائغ ولكن له تاويلان احدهما ان العبد قد يشرف على الهلاك في ايام
عمره من داء يصيبه وفاقة تنزل به فيدعو الله فيشفيه منها ويدفع عنه مكروهها
فيكون ذلك من فعله كتردد من يريد امرا ثم يبدو له فيه فيتركه ويعرض عنه ولا بد له
من لقائه اذا بلغ الكتاب اجله لان الله تعالى قد كتب الفنا على خلقه واستاثر بالبقا لنفسه
والثاني ان يكون معناه ما رددت رسلي في شيء انا فاعله كترديدي اياهم في نفس المؤمن
كما روي في قصة موسى عليه السلام وما كان من لطمه عين ملك الموت وتردده اليه
مرة بعد اخرى قال وحقيقة المعنى على الوجهين عطف الله على العبد ولطفه به
وشفقته عليه وقال الكلاباذي ما حاصله انه عبر عن صفة الفعل بصفة الذات
يعني باعتبار متعلقها اي عن الترديد بالتردد وجعل متعلق الترديد اختلاف احوال
العبد من ضعف ونصب الى ان تنتقل محبته في الحياة الى محبة الموت فيقبض على ذلك
قال وقد يحدث الله في قلب عبده من الرغبة فيما عنده والشوق اليه والمحبة للقائه
ما يشتاق معه الى الموت فضلا عن ازالة الكراهة عنه انتهى وبالجملة فلا حياة للقلب
الا بمحبة الله ومحبة رسوله ولا عيش الا عيش المحبين الذين قرت اعينهم بحبيبهم وسكنت
نفوسهم اليه واطمانت قلوبهم به واستانسوا بقربه وتنعموا بمحبته ففي القلب طاقة لا يسدها
الا محبة الله ورسوله ومن لم يظفر بذلك فحياته كلها هموم وغموم وآلام وحسرات قال
صاحب المدارج ولن يصل العبد الى هذه المنزلة العلية والمرتبة السنية حتى يعرف الله
تعالى ويهتدي اليه بطريق توصله اليه ويخرق ظلمات الطبع باشعة البصيرة فيقوم
بقلبه شاهد من شواهد الآخرة فينجذب اليها بكليته ويزهد في التعلقات الفانية
ويتدارك في تصحيح التوبة والقيام بالمامورات الظاهرة والباطنة وترك المنهيات
الظاهرة والباطنة ثم يقوم حارسا على قلبه فلا يسامحه بخطرة يكرهها الله تعالى ولا
بخطرة فضول لا تنفعه فيصفو لذلك قلبه بذكر ربه ومحبته والانابة اليه ويخرج من
بين بيوت طبعه ونفسه الى فضاء الخلوة بربه وذكره كما قال

واخرج من بين البيوت لعلني ... احدث عنك النفس بالسر خاليا

فحينئذ يجتمع قلبه وخواطره وحديث نفسه على ارادة ربه وطلبه والشوق اليه
فاذا صدق في ذلك رزق محبة الرسول واستولت روحانيته على قلبه فجعله امامه
واستاذه ومعلمه وشيخه وقدوته كما جعله الله نبيه ورسوله وهاديه فيطالع سيرته
ومبادي اموره وكيفية نزول الوحي عليه ويعرف صفاته واخلاقه وآدابه وحركاته
وسكونه ويقظته ومنامه وعبادته ومعاشرته لاهله واصحابه الى غير ذلك مما
منحه الله تعالى مما ذكرت بعضه حتى يصير كانه معه من بعض اصحابه فاذا رسخ في قلبه
ذلك فتح عليه فهم الوحي المنزل عليه من ربه بحيث اذا قرا السورة شاهد قلبه
ماذا انزلت فيه وماذا اريد بها وحظه المختص به منها من الصفات والاخلاق والافعال
المذمومة فيجتهد في التخلص منها كما يجتهد في الشفاء من المرض المخوف ولمحبة
الرسول عليه الصلاة والسلام علامات اعظمها الاقتداء به واستعمال سنته وسلوك

ايام
محبة الموت
بمحبتهم
الملهيات
حاشا

طريقته والاهتداء بهديه وسيرته والوقوف مع ما حدّ لنا من شريعته قال الله تعالى قل
ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فجعل تعالى متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم
آية محبة العبد ربه وجعل جزاء العبد على حسن متابعة الرسول محبة الله تعالى وقد قال
الحكيم وهو محمود الوراق كما افاده المحاسبي في كتاب القصد والرجوع

تعصي الاله وانت تظهر حبه ... هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته ... ان المحب لمن يحب مطيع

وهذه المحبة تنشأ من مطالعة العبد منة الله عليه من نعمه الظاهرة والباطنة فبقدر
مطالعة ذلك تكون قوة المحبة ومن أعظم مطالعة منة الله على عبده منة تأهله لمحبته
ومعرفته ومتابعة حبيبه صلى الله عليه وسلم وأصل هذا نور يقذفه الله تعالى في قلب
العبد فاذا دار ذلك النور اشرقت له ذاته فراى في نفسه وما اهلت له من الكمالات
والمحاسن فعلت به همته وقويت عزيمته وانقشعت عنه ظلمات نفسه وطبعها لان النور
والظلمة لا يجتمعان الا ويطرد احدهما الاخر فوقعت الروح حينئذ بين الهيبة والانس
الى الحبيب الاول

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ... ما الحب الا للحبيب الاول
كم منزل في الارض يألفه الفتى ... وحنينه ابدا لاول منزل

وبحسب هذا الاتباع توجب المحبة والمحبوبية معا ولا يتم الامر الا بهما فليس الشأن ان تحب الله
بل الشأن ان يحبك الله ولا يحبك الا اذا اتبعت حبيبه ظاهرا وباطنا وصدقته خبرا واطعته
امرا واجبته دعوة وآثرته طوعا وفنيت عن حكم غيره بحكمه وعن محبة غيره من الخلق
وعن طاعة غيره بطاعته وان لم يكن كذلك فلا تتعنّ فلست على شيء وتأمل قوله تعالى
فاتبعوني يحببكم الله اي الشأن في ان الله يحبكم لا في انكم تحبونه وهذا لا تنالوه الا باتباع
الحبيب وقال المحاسبي في كتاب القصد والرجوع وعلامة محبة العبد لله عز وجل اتباع
مرضات الله والتمسك بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا ذاق العبد حلاوة
الايمان ووجد طعمه ظهرت ثمرة ذلك على جوارحه ولسانه فاستحلى اللسان ذكر الله تعالى
وما والاه واسرعت الجوارح الى طاعة الله فحينئذ يدخل حب الايمان في القلب كما يدخل
حب الماء البارد الشديد برده في اليوم الشديد الحر للظمآن الشديد عطشه فيرتفع عنه
تعب الطاعة لاستلذاذه بها بل تبقى الطاعات غذاء لقلبه وسرورا له وقرة عين في حقه
ونعيما لروحه يلتذ بها اعظم من اللذات الجسمانية فلا يجد في اوراد العبادة كلفة وفي الترمذي
عن انس مرفوعا ومن احيا سنتي فقد احبني ومن احبني كان معي في الجنة وعن ابن عطاء
من الزم نفسه آداب السنة نور الله قلبه بنور المعرفة ولا مقام اشرف من مقام متابعة
الحبيب في اوامره وافعاله واخلاقه وقال ابو اسحق الرقي من اقران الجنيد علامة
محبة الله ايثار طاعته ومتابعة نبيه صلى الله عليه وسلم وعن غيره لا يظهر على احد شيء
من نور الايمان الا باتباع السنة ومجانبة البدعة فاما من اعرض عن الكتاب والسنة
ولم يتلق العلم من مشكاة الرسول عليه الصلاة والسلام عن ربه تعالى فالعلم اللدني نوعان

لدني رحماني ولدني شيطاني والمحك هو الوحي ولا وحي بعد الرسول صلى الله عليه وسلم واما
قصة موسى مع الخضر فالتعلق بها في تجويز الاستغناء عن الوحي بالعلم اللدني الحاد وكفر
يخرج عن الاسلام موجب لاراقة الدم والفرق ان موسى عليه السلام لم يكن مبعوثا الى الخضر
ولم يكن الخضر مأمورا بمتابعته ولو كان مأمورا بها لوجب عليه ان يهاجر الى موسى ويكون
معه ولهذا قال له انت موسى نبي بني اسرائيل قال نعم ومحمد صلى الله عليه وسلم مبعوث
الى جميع الثقلين فرسالته عامة للجن والانس في كل زمان ولو كان موسى وعيسى حيين
لكانا من اتباعه فمن ادعى انه مع محمد كالخضر مع موسى او جوز ذلك لاحد من الامة فليجدد
اسلامه وليتشهد بشهادة الحق فانه مفارق لدين الاسلام بالكلية فضلا عن ان يكون
من خاصة اولياء الله تعالى وانما هو من اولياء الشيطان وخلفائه ونوابه والعلم
اللدني الرحماني هو ثمرة العبودية والمتابعة لهذا النبي الكريم عليه ازكى الصلوة واتم
التسليم وبه يحصل الفهم في الكتاب والسنة بأمر يختص به صاحبه كما قال علي بن ابي
طالب وقد سئل هل خصكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء دون الناس فقال لا
الا فهما يؤتيه الله عبدا في كتابه فهذا هو العلم اللدني الحقيقي فاتباع هذا النبي الكريم
حياة القلوب ونور البصائر وشفاء الصدور ورياض النفوس ولذة الارواح وانس
المستوحشين ودليل المتحيرين ومن علامات محبته ان يرضى مدعيها بما شرعه حتى
لا يجد في نفسه حرجا مما قضى قال الله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر
بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما فسلب اسم الايمان عمن وجد
في صدره حرجا من قضائه ولم يسلم له قال شيخ المحققين وامام العارفين تاج الدين بن
عطاء الله الشاذلي اذاقنا الله حلاوة مشربه في هذه الآية دلالة على ان الايمان الحقيقي
لا يحصل الا لمن حكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم على نفسه قولا وفعلا واخذا وتركا
وحبا وبغضا ويشتمل ذلك على حكم التكليف وحكم التعريف والتسليم والانقياد على كل مؤمن
في كليهما فاحكام التكليف الاوامر والنواهي المتعلقة باكتساب العباد واحكام التعريف
هو ما اورده عليك من فهم المراد فتبين من هذا انه لا يحصل لك حقيقة الايمان الا
بالامرين الامتثال لامره والاستسلام لقهره ثم انه سبحانه لم يكتف بنفي الايمان عمن لم
يحكم ووجد الحرج في نفسه حتى اقسم على ذلك بالربوبية الخاصة برسوله صلى الله عليه
وسلم رأفة وعناية وتخصيصا ورعاية لانه لم يقل فلا والرب وانما قال فلا وربك لا يؤمنون
حتى يحكموك فيما شجر بينهم ففي ذلك تأكيد بالقسم وتأكيد في القسم علما منه سبحانه
بان النفوس منطوية على حب الغلبة ووجود النصرة سواء كان الحق عليها او لها وفي ذلك
اظهار لعنايته برسوله صلى الله عليه وسلم اذ جعل حكمه حكمه وقضاءه قضاءه فاوجب على
العباد الاستسلام لحكمه والانقياد لامره ولم يقبل منهم الايمان بالهيته حتى يذعنوا
لاحكام رسوله صلى الله عليه وسلم لانه كما وصفه به ربه وما ينطق عن الهوى ان هو
الا وحي يوحى فحكمه حكم الله وقضاؤه قضاء الله كما قال ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله
واكد ذلك بقوله يد الله فوق ايديهم وفي الآية اشارة اخرى الى تعظيم قدره وتفخيم امره

بدعواه علم الدنيا وبيته نهى عن لدن
النفس والشيطان وانما يكون
العلم لدنيا اذا حاصلا بمتابعة
به الرسول عليه الصلوة والسلام

صلى الله عليه وسلم وفي قوله تعالى وربك فاضاف نفسه اليه كما قال في الاية الاخرى
كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا فاضاف الحق سبحانه نفسه الى محمد صلى الله عليه
وسلم واضاف زكريا اليه ليعلم العباد فرق ما بين المنزلتين وتفاوت ما بين المرتبتين
ثم انه تعالى لم يكتف بالتحكيم الظاهر فيكونوا به مومنين بل اشترط فقد ان الحرج وهو الضيق
من نفوسهم في احكامه صلى الله عليه وسلم سواء كان الحكم بما يوافق اهواءهم او يخالفها وانما
تضيق النفوس لفقدان الانوار ووجود الاغيار فعنه يكون الحرج وهو الضيق والمومنون ليسوا
كذلك اذ نور الايمان ملأ قلوبهم فاتسعت وانشرحت فكانت واسعة بنور الواسع العليم
ممدودة بوجود فضله العظيم مهيأة لواردات احكامه مفوضة له في نقضه وابرامه
انتهى وقال سهل بن عبد الله من لم ير ولاية الرسول عليه في جميع الاحوال ويرى نفسه
في ملكه لم يذق حلاوة سنته لانه صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب
اليه من نفسه ورويناعن سيدنا العارف الكبير ابي عبد الله القرشي انه قال حقيقة
المحبة ان تهب كلك لمن احببت ولا يبقى لك منك شيء انتهى فمن آثر هذا النبي الكريم على نفسه
كشف الله له عن حضرة قدسه ومن كان معه بلا اختيار ظهرت له خفايا حقايق اسرار
انسه ومن علامات محبته عليه الصلاة والسلام نصر دينه بالقول والفعل والذب عن شريعته
والتخلق باخلاقه في الجود والايثار والحلم والصبر والتواضع وغيرها مما ذكرته في اخلاقه
العظيمة وتقدم في كلام العارف ابن عطاء الله مزيد لذلك فرتبتا فمن جاهد نفسه على ذلك
وجد حلاوة الايمان ومن وجدها استلذ الطاعات وتحمل المشاق في الدين واثره لك
على اغراض الدنيا ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم التسلي عن المصايب فان المحب
يجد في لذة المحبة ما ينسيه المصايب ولا يجد من مسها ما يجد غيره حتى كانه قد اكتسى
طبيعة ثانية ليست طبيعة الخلق بل يقوى سلطان المحبة حتى يلتذ بكثير من المصايب
اعظم من التذاذه الخلي بحظوظه وشهواته والذوق والوجود شاهد بذلك فكرب المحبة
ممزوج بالحلاوة فاذا افقد تلك الحلاوة اشتاق الى ذلك الكرب كما قيل
تشكى المحبون الصبابة ليتني ۞ تحملت ما يلقون من بينهم وحدي
فكانت لقلبي لذة الحب كلها ۞ فلم يلقها قبلي محب ولا بعدي
ومن علامات محبته عليه الصلاة والسلام كثرة ذكره فمن احب شيئا اكثر من ذكره
وبعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب ولا خر ذكر المحبوب على عدد الانفاس ولغيره ثلاث
علامات ان يكون كلامه ذكر المحبوب وصمته فكرا فيه وعمله طاعة له وقال المحاسبي علامة
المحبين كثرة الذكر للمحبوب على طريق الدوام لا ينقطعون ولا يملون ولا يفترون وقد
اجمع الحكماء على ان من احب شيئا اكثر من ذكره فذكر المحبوب هو الغالب على قلوب المحبين
لا يريدون به بدلا ولا يبغون عنه حولا ولو قطعوا عن ذكر محبوبهم لفسد عليهم عيشهم وما تلذذ
المتلذذون بشيء الذ من ذكر المحبوب انتهى فالمحبون قد اشتغلت قلوبهم بلزوم ذكر المحبوب
عن اللذات وانقطعت اوهامهم عن عارض دواعي الشهوات وزفت الى معادن الذخاير
وبغية الطلبات وربما تزايد وجد المحب وهاج الحنين وباح الانين وتحركت المواجيد

وتغير

وتغير اللون واستيلت الجوارح وفتر البدن واقشعر الجلد وربما صاح وربما بكا
وربما شهق وربما وله وربما سقط
اذا اباح ذمم المهجور هاجره ۞ باح المحب بما تخفي ضمايره
اكتم الحب صب باح مدمعه ۞ لما جرى بالذي تخفي سرايره
كانما قلبه اجفان مقلته ۞ ودمعه من اماقيه خواطره
يا جيرة الجذع هل لا جيرة لفتى ۞ عليه في حكمه قد جار جايره
آه وكم لي على خطب الهوى خطب ۞ من الغرام به تعلو منابره
مهفهف البج بدر على غصن ۞ تخفى البدور اذا لاحت بوادره
مطرز الخد بالريحان في ضرج ۞ مورد آسه تزهو ازاهره
مكمل الخلق ما تحصى محاسنه ۞ منفرد الحسن قد قلت نظايره
وربما زاد الوجد على المحب فقتله اول نقد من اثمان المحبة بذل الروح فما للمفلس الجبان
وسومها بدم المحب يباع وصلهم تالله ما هزلت فيستامها المفلسون ولا كسدت فيبيعها
بالنسيئة المعسرون لقد اقيمت للعرض في سوق من يزيد فلم يرض لها بثمن دون
بذل النفوس فتاخر البطالون وقام المحبون ينظرون ايهم يصلح ان يكون ثمنا فدارت السلعة
بينهم ووقعت في يد اذلة على المومنين اعزة على الكافرين جلا قلوبنا وشفا صدورنا
وحلاوة السنتنا في جميع الحالات على اختلاف الاوقات والساعات يتشرف بذكره في جميع
العبادات وفي الجمع والجماعات والخطب والصلوات وساير التقلبات والتصرفات حتى في الطاعات
والمبايعات وعقود المصالحات واستفتاح المعاهدات والمخاطبات وخصوصا عند الاذكار
والدعوات فانه باب الاجابات ومن علامات محبته عليه الصلاة والتسليم
تعظيمه عند ذكره واظهار الخشوع والخضوع والانكسار مع سماع اسمه فكل من احب شيئا
خضع له كما كان كثير من الصحابة بعده اذا ذكروه خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا
وكذلك كان كثير من التابعين فمن بعدهم يفعلون ذلك محبة وشوقا وتهيبا وتوقيرا
قال ابو ابراهيم التجيبي واجب على كل مومن متى ذكره او ذكر عنده ان يخضع ويخشع
ويتوقر ويسكن من حركته ويأخذ في هيبته واجلاله بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه
ويتادب بما ادبنا الله به وكان ايوب السختياني اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى
حتى نرحمه وكان جعفر بن محمد كثير الدعابة والتبسم فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه
وسلم اصفر لونه وكان عبد الرحمن بن القسم اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ينظر الى لونه
كانه قد نزف منه الدم وقد جف لسانه في فمه هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
عبد الله بن الزبير اذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع
وكان الزهري من اهنا الناس واقربهم فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم فكانه
ما عرفته ولا عرفك وكان صفوان بن سليم من المتعبدين المجتهدين فاذا ذكر عنده
النبي صلى الله عليه وسلم بكى فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه وكان
قتادة اذا سمع الحديث اخذه العويل والزويل اشار الى ذلك القاضي عياض ومن علامات

فذكره عليه الصلاة والسلام مع

والزويل مع

محبته صلى الله عليه وسلم كثرة الشوق الى لقائه اذ كل حبيب يحب لقاء حبيبه و لبعضهم
المحبة الشوق الى المحبوب وعن معروف الكرخي المحبة ارتياح الذات لمشاهدة الصفات
او مشاهدة اسرار الصفات فيرى بلوغ السول و لو بمشاهدة الرسول و لهذا كان الصحابة
رضي الله عنهم اذا اشتد بهم الشوق و ازعجتهم لواعج المحبة قصدوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم و استشفوا بمشاهدته وتلذذوا بالجلوس تجاهه اليه والتبرك به صلى الله
عليه وسلم وعن عبدة بنت خالد بن معدان ما كان خالد ياوي الى فراش الا وهو يذكر من
شوقه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى اصحابه من المهاجرين والانصار يسميهم
ويقول هم اصلي وفصلي واليهم يحن قلبي طال شوقي اليهم فعجل رب قبضي اليك حتى يغلبه
النوم ولما احتضر بلال نادت امراته واحزناه فقال واطرباه غدا القى الاحبة محمدا وصحبه
اذا ذاق القلب طعم المحبة اشتاق وتاججت نيران الحب والطلب في قلبه و يجد صبره
عن محبوبه من اعظم كبايره كما قيل

والصبر يحمد في المواطن كلها ۔ الا عليك فانه لا يحمد

وعن زيد بن اسلم خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة يحرس فراى مصباحا في بيت
واذا عجوز تنفش صوفا و تقول

على محمد صلاة الابرار ۔ صلى عليه الطيبون الاخيار
قد كنت قواما بكا بالاسحار ۔ يا ليت شعري والمنايا اطوار
هل تجمعني وحبيبي الدار

تعني النبي صلى الله عليه وسلم فجلس عمر يبكي ثم قام الى باب خيمتها فقال السلام عليكم
ثلاث مرات فقال لها اعيدي علي قولك فاعادته بصوت حزين فبكا وقال لها وعمر
لا تنسيه يرحمك الله فقالت وعمر فاغفر له يا غفار وحكي انه روئت امراة مسرفة
على نفسها بعد موتها فقيل لها ما فعل الله بك قالت غفر لي قيل بماذا قالت بمحبتي لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وشهوتي النظر اليه فنوديت من اشتهى النظر الى حبيبنا نستحيي ان نذله
بعتابنا بل نجمع بينه وبين من يحبه ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم حب القران
الذي اتى به واهتدى به وتخلق به واذا اردت ان تعرف ما عندك وعند غيرك من محبة
الله ورسوله فانظر محبة القران من قلبك والتذاذك بسماعه اعظم من التذاذ اصحاب
الملاهي والغنا المطرب بسماعهم فانه من المعلوم ان من احب محبوبا كان كلامه وحديثه
احب شيء اليه كما قيل

ان كنت تزعم حبي فلم هجرت كتابي ۔ اما تاملت ما فيه من لذيذ خطابي

ويروى ان عثمان بن عفان رضي الله عنه قال لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام الله
وكيف يشبع المحب من كلام محبوبه وهو غاية مطلوبه قال النبي صلى الله عليه وسلم
لعبد الله بن مسعود اقرا علي قال اقرا عليك وعليك انزل فقال اني احب ان اسمعه
من غيري فاستفتح وقرا سورة النسا حتى بلغ فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد
وجينا بك على هولاء شهيدا قال حسبك فرفع راسه فاذا عينا رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم تذرفان من البكاء رواه البخاري وهذا يجده من سماع الكتاب العزيز باذن قلبه قال الله
تعالى واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق قال
صاحب عوارف المعارف اذا اقنا الله حلاوة مشربه هذا السماع هو السماع الحق الذي لا يختلف
فيه اثنان من اهل الايمان محكوم لصاحبه بالهداية وهذا سماع ترد حرارته على برد اليقين
فتفيض العين بالدمع لانه تارة يثير حزنا والحزن حار وتارة يثير شوقا والشوق حار
وتارة يثير ندما والندم حار فاذا اثار السماع هذه الصفات من صاحب قلب مملوء
ببرد اليقين ابكى واد مع لان الحرارة والبرودة اذا اصطدمتا عصرتا ماء فاذا الم
السماع بالقلب تارة يخف الالم فيظهر اثره في الجسد ويقشعر منه الجلد قال الله
تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم وتارة يعظم وقعه ويتصوب اثره الى
نحو الدماغ وتند فق منه العين بالدمع وتارة يتصوب اثره الى الروح فيتموج منه الروح
موجا يكاد يضيق عنه نطاق القالب فيكون من ذلك الصياح والاضطراب وهذه كلها
احوال يجدها اربابها من اصحاب الحال وقد كان ابن عمر رضي الله عنهما ربما مر باية
في ورده فتخنقه العبرة ويسقط ويلزم البيت اليوم واليومين حتى يعاد ويحسب
مريضا وقد كان الصحابة اذا اجتمعوا وفيهم ابو موسى يقولون يا ابا موسى ذكرنا ربنا
فيقرا وهم يستمعون فللمحبين السماع القراني من الوجد والذوق واللذة والحلاوة والسرور
اضعاف ما للمحبين السماع الشيطاني فاذا رايت الرجل ذوقه ووجده وطربه ونشاته
في سماع الابيات دون سماع الايات وفي سماع الالحان دون سماع القران كما قيل تقرا عليك
الختمة وانت جامد كالحجر وبيت من الشعر ينشد تميل كالنشوان فاعلم ان هذه من اقوى
الادلة على فراغ قلبه من محبة الله ورسوله اذ ام الله تعالى لنا حلاوة محبته ولا سلك
بنا في غير سبيل سنته بمنه ورحمته ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم محبة
سنته وقراة حديثه فان من دخلت حلاوة الايمان في قلبه اذا سمع كلمة من كلام الله
او من حديث رسوله صلى الله عليه وسلم تشربتها روحه وقلبه ونفسه ويقول

اسمع منك نسيما لست اعرفه ۔ اظن لميا جرت فيك اردانا

فتعمه تلك الكلمة وتشمله فتصير كل شعرة منه سمعا وكل ذرة منه بصرا فيسمع الكل
بالكل ويبصر الكل بالكل ويقول

لي حبيب خياله نصب عيني ۔ سره في ضماري مدفون
ان تذكرته فكلي قلوب ۔ او تاملته فكلي عيون

فحينئذ يستنير قلبه وتشرق سره وتتلاطم عليه امواج التحقيق عند ظهور البراهين
ويرتوي برى عطف محبوبه الذي لا شيء اروى لقلبه من عطفه عليه ولا شيء اشد
للهيبه وحريقه من اعراضه عنه ولهذا كان عذاب اهل النار باحتجاب ربهم عنهم
اشد عليهم من العذاب الجسماني كما ان نعيم اهل الجنة برؤيته تعالى وسماع خطابه
ورضاه اعظم لهم من النعيم الجسماني لا حرمنا الله ذوق حلاوة هذا المشرب
ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم ان يلتذ محبه بذكره الشريف ويطرب عنه

سماع اسمه المنيف وقد يوجب له ذلك سكرا يستغرق قلبه وروحه وسمعه وسبب
هذا السكر اللذة القاهرة للعقل وسبب اللذة ادراك المحبوب عليه الصلاة والسلام
فاذا كانت المحبة قوية وادراك هذا المحبوب قويا كانت اللذة بادراكه تابعة لقوة
هذين الامرين فان كان العقل قويا مستحكما لم يتغير لذلك وان كان ضعيفا احدث
السكر المخرج له عن حكمه وقد حد السكر بانه سقوط التمالك في الطرب كانه يبقى
في السكران بقية يلتذ بها ويطرب فلا يتمالك صاحبها ولا يقدر ان يغني معها وقد يكون
سبب السكر قوة الفرح بادراك المحبوب بحيث يختلط كلامه وتتغير افعاله
بحيث يزول عقله ويعربد اعظم من عربدة شارب الخمر وربما قتله سكر هذا الفرح
بسبب طبيعي وهو انبساط دم القلب وهلة واحدة انبساطا غير معتاد والدم هو
حامل الحار الغريزي فيبرد القلب بسبب انبساط الدم عنه فيحدث الموت ومن هذا قول
سكران الفرح بوجود راحلته في المفازة بعد ان استشعر الموت اللهم انت عبدي وانا
ربك اخطا من شدة فرحه وسكرة الفرح فوق سكرة الشراب فصور في نفسك حال فقير
معدم كاشق للدنيا اشد العشق ظفر بكنز عظيم فاستولى عليه آمنا مطمئنا كيف تكون
سكرته او غاب عنه غلامه بمال عظيم مدة سنين حتى اضر به العدم فقدم عليه من غير
انتظار له بماله كله وقد كسب اضعافه ومن اقوى اسباب ما نحن فيه سماع الاصوات
المطربة بالانشادات بالصفات النبوية المعربة المغربة اذا صادفت محلا قابلا فلا
تسال عن سكرة السامع وهذا السكر يحدث عندها من جهتين احدهما انها في نفسها
توجب لذة قوية يغمر منها العقل الثانية انها تحرك النفس الى نحو محبوبها وجهته
فيحصل بتلك الحركة والشوق والطلب مع التخيل للمحبوب واحضاره في النفس وادنا صورته
الى القلب واستيلائها على الفكر لذة عظيمة تغمر العقل فتجتمع لذة الالحان ولذة الاشجان
فتسكر الروح سكرا عجيبا الطيب والذ من سكر الشراب ويحصل به نشاة الذ من نشاة
الشراب وقد ذكر الامام احمد وغيره ان الله تعالى يقول لداود مجدني بذلك الصوت الذي
كنت تمجدني به في الدنيا فيقول كيف وقد اذهبته فيقول انا ارده عليك فيقوم عند
ساق العرش ويمجده فاذا سمع اهل الجنة صوته استفرغ نعيم اهل الجنة واعظم من ذلك
اذا سمعوا كلام الرب جل جلاله وخطابه لهم فاذا انضاف الى ذلك رؤية وجهه الكريم
الذي يغنيهم لذة رؤيته عن الجنة ونعيمها فامر لا تدركه العبارة ولا تحيط به الاشارة
وهذه قصة لا تلج كل اذن وصبب لا يحيى به كل ارض وعين لا يشرب منها كل وارد
وسماع لا يطرب عليه كل سامع ومائدة لا يجلس عليها طفيلي اشار اليه في المدارج
فمن اتصف بهذه العلامات التي ذكرتها فهو كامل المحبة لله ورسوله ومن خالف بعضها
فهو ناقص المحبة ولا يخرج عن اسمها بدليل قوله عليه الصلاة والسلام للذي حده في الخمر
لما لعنه بعضهم وقال ما اكثر ما يؤتى به فقال صلى الله عليه وسلم لا تلعنوه فانه يحب الله
ورسوله فاخبر انه يحب الله ورسوله مع ما صدر منه وفيه الرد على من زعم ان مرتكب
الكبيرة كافر لثبوت النهي عن لعنه وثبوت الامر بالدعاء له وفيه انه لا تنافي بين ارتكاب

صفة

النهي

النهي وثبوت محبة الله ورسوله في قلب المرتكب وان من تكررت منه المعصية لا تنزع منه
محبة الله ورسوله ويحتمل ان يكون استمرار ثبوت محبة الله ورسوله في قلب العاصي مقيدا
بما اذا ندم على وقوع المعصية او اذا اقيم عليه الحد فكفر عنه الذنب المذكور بخلاف
من لم يقع منه ذلك فانه تخشى بتكرار الذنب ان يطبع على قلبه حتى يسلب منه ذلك
اسال الله العفو والثبات على محبته وسلوك سنته بمنه ورحمته **تنبيه** والخليل
مشتق من الخلة بالفتح وهي الحاجة او من الخلة بالضم وهي المودة الكاملة او من الخلل
قال ثعلب سمي خليلا لان مودته تتخلل القلب وانشد

قد تخللت مسلك الروح مني ... وبذا سمي الخليل خليلا

وقال الراغب الخلة بالفتح الاختلال العارض للنفس اما لشهوتها لشيء او لحاجتها اليه ولهذا
فسر الخلة بالحاجة والخلة بالضم المودة اما لانها تتخلل النفس او تتوسطها واما لانها
تحل النفس فتؤثر فيها تاثير السهم في الرمية واما لفرط الحاجة اليها **تنبيه** وقد اختلف
العلماء ايما ارفع درجة المحبة او درجة الخلة فحكى القاضي عياض ان بعضهم جعلهما سواء
فلا يكون الحبيب الا خليلا ولا الخليل الا حبيبا لكنه خص ابراهيم بالخلة ومحمدا صلى الله
عليه وسلم بالمحبة وبعضهم قال درجة الخلة ارفع واحتج بقوله عليه الصلاة والسلام
لو كنت متخذا خليلا غير ربي فلم يتخذه وقد اطلق المحبة لفاطمة وابنيها واسامة انتهى
وهذا هو الظاهر من المعنى الاخص لان المحبة ماخوذة من معنى الخلة لكن يرد ما روي
في قصة الاسراء في مناجاته صلى الله عليه وسلم لربه تعالى حيث قال له تعالى يا محمد
سل فقال يا رب انك اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما فقال له تعالى الم اعطك خيرا
من هذا الى قوله واتخذتك حبيبا او ما في معناه رواه البيهقي بنحوه وهذا يعطي ان
درجة المحبة ارفع وقد احتج من قال بتفضيل مقام المحبة على الخلة بفروق كثيرة
ذكر القاضي عياض في الشفا منها نقلا عن الامام ابي بكر بن فورك عن بعض المتكلمين
نبذة **منها** ان الخليل يصل بالواسطة من قوله تعالى وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات
والارض والحبيب يصل اليه به من قوله فكان قاب قوسين او ادنى **ومنها** ان الخليل
قال ولا تخزني والحبيب قيل له يوم لا يخزي الله النبي **ومنها** ان الخليل قال في المحنة
حسبي الله والحبيب قيل له يا ايها النبي حسبك الله **ومنها** ان الخليل هو الذي تكون مغفرته
في حد الطمع من قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين والحبيب الذي مغفرته
في حد اليقين من قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر **وفي كتابه** تحفة السامع
والقاري بختم صحيح البخاري وجوه اخرى غير ما حكاه القاضي عياض وفي كلها نظر واضح
كما بينته في حاشيتي على الشفا وذلك ان مقتضى الفرق بين الشيئين ان يكون في حد ذاتيهما
بغير اعتبار من لوحظ خليل وحبيب وما حكاه القاضي عياض وذكرته في التحفة يقتضي
تفضيل ذات محمد صلى الله عليه وسلم على ذات ابراهيم عليهما الصلاة والسلام لا بقال
باعتبار ثبوت وصف الخلة له فيلزم ذلك لانا نقول كل منهما ثابت له وصف الخلة والمحبة
اذ لا يسلب عن ابراهيم عليه السلام وصف المحبة لا سيما والخلة اخص من المحبة ولا يسلب

كتابه

عن نبينا صلى الله عليه وسلم وصف الخلة لا سيما وقد ثبت في حديث ابي هريرة قول الله تعالى له اني اتخذتك خليلا وقد قام الاجماع على فضل نبينا صلى الله عليه وسلم على جميع الانبياء بل هو أفضل خلق الله مطلقا واما قوله ان الخليل يصل بالواسطة فلا يبعد عرضا في هذا المقام الذي هو بصدده وليس المراد به قطعا الا الوصول الى المعرفة اذ الوصول الحسي يمتنع على الله تعالى واما قوله والحبيب يصل اليه به فالوصول الى الله تعالى لا يكون الا به حبيبا كان او خليلا واما قوله الخليل هو الذي تكون مغفرته في حد الطمع الى آخره فانه لا يصح انه يكون على جهة التفسير للخليل ولا تعلق له بمعناه وقصارى ما ذكره انه يعطي تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على ابراهيم عليه الصلاة والسلام في الجملة مع انه من غير نظر الى ما جعله علة معنوية في ذلك من وصف المحبة والخلة والحق ان الخلة اعلا واكمل وأفضل من المحبة قال ابن القيم واما ما يظنه بعض الغالطين ان المحبة اكمل من الخلة وان ابراهيم خليل الله ومحمد حبيب فمن جهله فان المحبة عامة والخلة خاصة والخلة نهاية المحبة قال وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى اتخذه خليلا ونفى ان يكون له خليل غيره مع اخباره بحبه لعائشة ولابيها ولعمر بن الخطاب رضي الله عنه وغيرهم وايضا فانه تعالى يحب التوابين ويحب المتطهرين ويحب الصابرين ويحب المحسنين ويحب المتقين ويحب المقسطين وخلته خاصة بالخليلين قال وانما هذا من قلة العلم والفهم عن الله ورسوله انتهى وقال الشيخ بدر الدين الزركشي في شرحه لبردة الابوصيري وزعم بعضهم ان المحبة افضل من الخلة وقال محمد حبيب الله وابراهيم خليل الله وضعف بان الخلة خاصة وهو توحد المحب والمحبة عامة قال الله تعالى ان الله يحب التوابين قال وقد صح ان الله اتخذ نبينا خليلا فقال ان الله اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا انتهى

في حكم الصلاة عليه والتسليم فرضية وفضيلة وصفة ومحلا قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما قال ابو العالية معنى صلاة الله على نبيه ثناؤه عليه عند الملائكة ومعنى صلاة الملائكة عليه الدعا قال في فتح الباري وهذا اولى الاقوال فيكون معنى صلاة الله تعالى عليه ثناؤه عليه وتعظيمه وصلاة الملائكة وغيرهم طلب ذلك له من الله تعالى والمراد طلب الزيادة لا طلب اصل الصلاة وعن ابن عباس ان معنى صلاة الملائكة الدعا بالبركة وروى ابن ابي حاتم عن مقاتل بن حيان قال صلاة الله مغفرته وصلاة الملائكة الاستغفار وقال الضحاك بن مزاحم صلاة الله رحمته وفي رواية عنه مغفرته وصلاة الملائكة الدعا اخرجهما اسمعيل القاضي عنه وكانه يريد الدعا بالمغفرة ونحوها وقال المبرد الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة رقة تبعث على استدعاء الرحمة وتعقب بان الله غاير بين الصلاة والرحمة في قوله سبحانه اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وكذلك فهم الصحابة المغايرة من قوله تعالى صلوا عليه وسلموا تسليما حتى سألوا عن كيفية الصلاة مع تقدم ذكر الرحمة في تعليم السلام حيث جاء بلفظ السلام عليك ايها النبي ورحمة الله

وبركاته واقرهم النبي صلى الله عليه وسلم فلو كانت الصلاة بمعنى الرحمة لقال لهم قد علمتم ذلك في السلام وجوز الحليمي ان تكون الصلاة بمعنى السلام عليه وفيه نظر وقيل صلاة الله على خلقه تكون خاصة وتكون عامة فصلاته على انبيائه هي ما تقدم من الثناء والتعظيم وصلاته على غيرهم الرحمة فهي التي وسعت كل شيء وحكى القاضي عياض عن بكر القشيري انه قال الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من الله تشريف وزيادة تكرمة وعلى من دون النبي رحمة وبهذا يظهر الفرق بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين ساير المؤمنين حيث قال تعالى في سورة الاحزاب ان الله وملائكته يصلون على النبي وقال قبل ذلك في السورة المذكورة هو الذي يصلي عليكم وملائكته ومن المعلوم ان القدر الذي يليق بالنبي صلى الله عليه وسلم من ذلك ارفع مما يليق بغيره والاجماع منعقد على ان في هذه الاية من تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم والتنويه به ما ليس في غيرها وقال الحليمي في الشعب معنى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم تعظيمه فمعنى قولنا اللهم صل على محمد اعظم محمدا والمراد تعظيمه في الدنيا باعلاء ذكره واظهار دينه وابقاء شريعته وفي الآخرة باجزال مثوبته وتشفيعه في امته وابداء فضيلته بالمقام المحمود وعلى هذا فالمراد بقوله تعالى صلوا عليه ادعوا ربكم بالصلاة عليه انتهى ولا يعكر عليه عطف آله وازواجه وذريته عليه فانه لا يمتنع ان يدعا لهم بالتعظيم اذ تعظيم كل احد بحسب ما يليق به وما تقدم عن ابي العالية اظهر فانه يحصل به استعمال لفظ الصلاة بالنسبة الى الله والى ملائكته والى المؤمنين المامورين بذلك بمعنى واحد ويؤيده انه لا خلاف في جواز الترحم على غير الانبياء واختلف في جواز الصلاة على غير الانبياء ولو كان معنى قولنا اللهم صل على محمد ارحم محمدا او ترحم على محمد جاز لغير الانبياء وكذا لو كان بمعنى البركة وكذلك الرحمة لسقط الوجوب في التشهد عند من يوجبه بقول المصلي في التشهد السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته ويمكن الانفصال عنه بان ذلك وقع بطريق التعبد فلا بد من الاتيان به ولو سبق الاتيان بما يدل عليه فان قلت في اي وقت وقع الامر بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فالجواب كما قاله ابو ذر الهروي انه وقع في السنة الثانية من الهجرة وقيل في ليلة الاسرى وقيل ان شهر شعبان شهر الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم لان اية الصلاة يعني ان الله وملائكته يصلون على النبي نزلت فيه والله أعلم قال الحليمي والمقصود بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم التقرب الى الله تعالى بامتثال امره تعالى وقضاء حق النبي صلى الله عليه وسلم علينا وتبعه ابن عبد السلام فقال في الباب الثامن من كتابه المسمى بشجرة المعارف ليست صلاتنا على النبي صلى الله عليه وسلم شفاعة له فان مثلنا لا يشفع لمثله ولكن الله امرنا بمكافاة من احسن الينا فان عجزنا عنها كافاناه بالدعاء فارشدنا الله لما علم عجزنا عن مكافاة نبينا الى الصلاة عليه وذكر نحوه عن الشيخ ابي محمد المرجاني وقال ابن العربي فايدة الصلاة عليه ترجع الى الذي يصلي عليه لدلالة ذلك على نصوح العقيدة وخلوص النية واظهار المحبة والمداومة على الطاعة والاحترام للواسطة الكريمة صلى الله عليه وسلم واختلف

في حكم الصلاة عليه صلوات الله وسلامه عليه على اقوال احدها انها تجب في الجملة
بغير حصر لكن اقل ما يحصل به الاجزاء مرة الثاني يجب الاكثار منها من غير تقييد
بعدد قاله القاضي ابو بكر بن بكير من المالكية وعبارته كما قاله القاضي عياض افترض الله
تعالى على خلقه ان يصلوا على نبيه صلى الله عليه وسلم ويسلموا تسليما ولم يجعل ذلك
لوقت معلوم فالواجب ان يكثر المرء منها ولا يغفل عنها الثالث يجب كلما ذكر قاله
الطحاوي وجماعة من الحنفية والحليمي وجماعة من الشافعية وقال ابن العربي من المالكية
انه الاحوط وكذا قاله الزمخشري واستدلوا لذلك بحديث من ذكرت عنده فلم يصل
علي فمات فدخل النار فابعده الله اخرجه ابن حبان من حديث ابي هريرة وحديث
رغم انف من ذكرت عنده فلم يصل علي رواه الترمذي من حديث ابي هريرة وصححه
الحاكم وحديث شقي عبد ذكرت عنده فلم يصل علي اخرجه الطبراني من حديث جابر
لان الدعاء بالرغم والابعاد والشقا يقتضي الوعيد والوعيد على الترك من علامات الوجوب
ومن حيث المعنى ان فائدة الامر بالصلاة عليه مكافاته على احسانه واحسانه مستمر
فيتاكد اذا ذكر واستدلوا ايضا بقوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم
بعضا فلو كان اذا ذكر لا يصلى عليه كان كآحاد الناس واجاب من لم يوجب ذلك
باجوبة منها انه قول لا يعرف عن احد من الصحابة والتابعين فهو قول مخترع ولو كان
ذلك على عمومه للزم المؤذن اذا اذن وكذا سامعه وللزم القاري اذا مر باية فيها ذكر
ذكره عليه السلام في القرآن وللزم الداخل في الاسلام اذا تلفظ بالشهادتين ولكان
في ذلك من المشقة والحرج ما جاءت الشريعة المطهرة السمحة بخلافه ولكان الثناء على الله
تعالى كلما ذكر احق بالوجوب ولم يقولوا به وقد اطلق القدوري وغيره من الحنفية ان القول
بوجوب الصلاة كلما ذكر مخالف للاجماع المنعقد قبل قائله لانه لا يحفظ عن احد من الصحابة
انه خاطب النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله صلى الله عليك ولانه لو كان كذلك
لما تفرغ لعبادة اخرى واجابوا عن الاحاديث بانها خرجت مخرج المبالغة في تاكيد
ذلك بتكرير ذكره صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد انتهى ملخصا والله اعلم الرابع
في كل مجلس مرة ولو تكرر ذكره مرارا حكاه الزمخشري الخامس في كل دعاء حكاه ايضا
السادس انها من المستحبات وهو قول ابن جرير الطبري وادعى الاجماع على ذلك
واحتج على ذلك مع ورود صيغة الامر بذلك بالاتفاق من جميع المتقدمين والمتاخرين
من علماء الامة على ان ذلك غير مستلزم فرضيتها حتى يكون تاركه لذلك عاصيا فدل
على ان الامر فيه للندب ويحصل الامتثال لمن قاله ولو كان خارج الصلاة قال في فتح
الباري وما ادعاه من الاجماع معارض بدعوى غيره الاجماع على مشروعية ذلك في الصلاة
قال في فتح الباري اما بطريق الوجوب واما بطريق الندب ولا يعرف عن السلف لذلك
مخالف الا ما اخرجه ابن ابي شيبة والطبري عن ابراهيم النخعي انه كان يرى ان قول
المصلي في التشهد السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته يجزي عن الصلاة ومع ذلك
انما ادعى اجزاء السلام عن الصلاة السابع تجب في العمر مرة في الصلاة او غيرها ككلمة

وطلبه دون حق من اعتاد ترك الصلاة عليه دينا وبالجملة فلا دلالة على وجوب تكرر ذلك

التوحيد قاله ابو بكر الرازي من الحنفية الثامن تجب في الصلاة من غير تعيين المحل
ونقل ذلك عن ابي جعفر الباقر التاسع تجب في التشهد وهو قول الشعبي واسحق
ابن راهويه العاشر تجب في القعود آخر الصلاة بين قول التشهد وسلام التحلل
قاله الامام الشافعي ومن تبعه واستدل لذلك بما رواه اصحاب السنن وصححه الترمذي
وابن ماجه وابن خزيمة والحاكم عن ابي مسعود البدري انهم قالوا يا رسول الله اما السلام
عليك فقد عرفناه فكيف نصلي عليك اذا نحن صلينا في صلاتنا فقال قولوا اللهم صل على محمد
وعلى آل محمد الحديث ومعنى قولهم اما السلام عليك فقد عرفناه هو الذي في التشهد
الذي كان قد علمهم اياه كما يعلمهم السورة من القرآن وفيه السلام عليك ايها النبي
ورحمة الله وبركاته ورواه الشافعي في مسنده عن ابي هريرة بمثله وقد احتج
بهذه الزيادة جماعة من الشافعية منهم ابن خزيمة والبيهقي لايجاب الصلاة عليه
صلى الله عليه وسلم في التشهد بعد التشهد وقبل السلام وقال الشافعي في الام
فرض الله الصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله ان الله وملائكته يصلون
على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ولم يكن فرض الصلاة عليه في موضع
اولى منه في الصلاة ووجدنا الدلالة عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك اخبرنا ابراهيم
ابن محمد حدثنا صفوان بن سليم عن ابي سلمة بن عبد الرحمن عن ابي هريرة انه قال
يا رسول الله كيف نصلي عليك يعني في الصلاة قال تقولون اللهم صل على محمد وآل محمد
كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم الحديث قال الشافعي فلما روي ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان يعلمهم التشهد في الصلاة وروي انه علمهم كيف يصلون عليه في الصلاة لم يجز
ان نقول التشهد في الصلاة واجب والصلاة عليه فيه غير واجبة وقد تعقب بعض
المخالفين هذا الاستدلال من اوجه احدها ضعف ابراهيم بن محمد بن ابي يحيى
والكلام فيه مشهور الثاني على تقدير صحته فقوله في الاول يعني في الصلاة لم يصرح
بالقائل الثالث قوله في الثاني انه كان يقول في الصلاة وان كان ظاهره ان المراد
الصلاة المكتوبة لكنه يحتمل ان يكون المراد بقوله في الصلاة اي في صفة الصلاة
عليه وهو احتمال قوي لان اكثر الطرق عن كعب بن عجرة يدل على ان السؤال وقع عن صفة
الصلاة لا عن محلها الرابع ليس في الحديث ما يدل على تعين ذلك في التشهد خصوصا
بينه وبين السلام وقد اطنب قوم من متأخري المالكية وغيرهم في التشنيع على الشافعي
في اشتراطه ذلك في الصلاة وزعم انه تفرد بذلك وحكى الاجماع على خلافه منهم
ابو جعفر الطبري والطحاوي وابن المنذر والخطابي وحكى القاضي عياض في الشفا
مقالاتهم وقد عيب منه غير واحد وقالوا لو كان ينبغي سكوتهم عنها لان مبنى التشنيع
على كمال المبالغة في تعظيمه صلى الله عليه وسلم وما آل حقوقه والقول بوجوب الصلاة
عليه في الصلاة من غرض المبالغة في تعظيمه وقد استحسن هو القول بطهارة فضلاته
مع ان الاكثر على خلافه لكنه استجاده لما فيه من الزيادة في تعظيمه وكيف ينكر القول
بوجوب الصلاة عليه وهي من جنس الصلاة ومقتضياتها واذا شرع السلام فيها

البدري

اخبرنا ابراهيم بن محمد حدثني سعد بن اسحق بن كعب بن عجرة عن عبد الرحمن بن ابي ليلى عن كعب بن عجرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول في الصلاة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم الحديث صح

وقد عاب عليه

على نفس المصلي وعلى عباد الله الصالحين فكيف لا تجب الصلاة على سيد المرسلين وقد انتصر
جماعة كثيرة من العلماء الاعلام للامام الشافعي كالحافظ عماد الدين بن كثير والعلامة ابن الهمام
وشيخ الاسلام والحافظ ابو الفضل بن حجر وتلميذه شيخنا الحافظ وغيرهم ممن يطول عدهم
واستدلوا لذلك بادلة نقلية ونظرية وردوا دعوى الشذوذ فنقلوا القول بالوجوب
عن جماعة من الصحابة منهم ابن مسعود وابو مسعود البدري وجابر بن عبد الله ونقله اصحاب
الشافعي عن عمر بن الخطاب وابنه عبد الله ومن التابعين الشعبي فيما رواه البيهقي
كما سيأتي وكذا ابو جعفر الباقر ومقاتل واخرج الحاكم بسند قوي عن ابن مسعود قال
يتشهد الرجل ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدعو لنفسه قال الحافظ ابن حجر وهذا
اقوى شيء يحتج به للشافعي فان ابن مسعود ذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم علمهم التشهد
في الصلاة وانه قال ثم ليتخير من الدعاء ما شاء فلما ثبت عن ابن مسعود الامر بالصلاة عليه
قبل الدعاء دل على انه اطلع على زيادة ذلك بين التشهد والدعاء واندفعت حجة من تمسك
بحديث ابن مسعود في دفع ما ذهب اليه الشافعي مثل ما ذكره القاضي قال وهذا عياض
تشهد ابن مسعود الذي علمه له النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيه ذكر الصلاة عليه
وفي جزء الحسن بن عرفة مرفوعا واخرج المعمري في عمل يوم وليلة عن ابن عمر بسند جيد
قال لا تكون صلاة الا بقراءة وتشهد وصلاة علي واخرج البيهقي في الخلافيات بسند قوي
عن الشعبي وهو من كبار التابعين قال كنا نعلم التشهد فاذا قال واشهد ان محمدا عبده
ورسوله يحمد ربه ويثني عليه ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسأل حاجته
وفي حديث ابي جعفر عن ابن مسعود مرفوعا من صلى صلاة لم يصل فيها علي وعلى
اهل بيتي لم تقبل منه قال الدارقطني الصواب انه من قول ابي جعفر محمد بن علي
ابن الحسين لو صليت صلاة لم اصل فيها على النبي صلى الله عليه وسلم ولا على اهل
بيته لرأيت انها لا تتم لكن رواه عن ابي جعفر جابر الجعفي وهو ضعيف كذا في الشفا
وقد وافق الامام الشافعي من فقهاء الامصار احمد في احدى الروايتين عنه وعمل به
اخيرا كما حكاه عنه ابو زرعة الدمشقي فيما ذكره الحافظ ابن كثير واوجب اسحق بن
راهويه الاعادة على من تعمد تركها دون النسيان والسهو وعن احمد انها تبطل بتركها
عمدا او سهوا وعليه اكثر الصحابة حتى ان بعض ائمة الحنابلة اوجب ان يقال في الصلاة
عليه صلى الله عليه وسلم كما علمهم ان يقولوا لما سألوه كما ذكره ابن كثير ووافق الخرقي
اسحق في التقييد بالعمد دون السهو والخلاف ايضا عند المالكية كما ذكره ابن الحاجب
في سنن الصلاة ثم قال على الصحيح فقال شارحه ابن عبد السلام يريد ان في وجوبها
قولين وهو ظاهر كلام الامام ابن المواز وبه صرح عنه ابن القصار وعبد الوهاب
كما في الشفا بلفظ انه يراها فريضة في الصلاة كقول الشافعي قال وحكى ابو يعلى
العبدي المالكي عن المذهب فيها ثلاثة اقوال في الصلاة الوجوب والسنة والندب
ورأيت مما عزي للقاضي ابو بكر ابن العربي في سراج المريدين قال ابن المواز والشافعي
يريان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من فرائض الصلوة وهو الصحيح انتهى

وقد

وقد يلزم القائل من الحنفية بوجوب الصلاة عليه كلما ذكر كالطحاوي ونقله السروجي في شرح
الهداية عن اصحاب المحيط والعقد والتحفة من كتبهم ان يقول في التشهد بوجوبها لتقدم
ذكره صلى الله عليه وسلم في اخر التشهد في قوله واشهد ان محمدا رسول الله لكن لهم ان
يلتزموا ذلك ولا يجعلونه شرطا في صحة الصلاة ولم يخالف الشافعي احد من اصحابه في ذلك
بل قال بعض اصحابنا بوجوب الصلاة على الآل كما حكاه البندنيجي والدارمي ونقله امام
الحرمين والغزالي قولا عن الشافعي قال الحافظ ابن كثير والصحيح انه وجه على ان الجمهور
على خلافه وللقول بوجوبه ظواهر الحديث واما مخالفة الخطابي من اصحاب الشافعي فلا يعبأ بها
لمقتضى الامر المحمول على الوجوب اجماعا واولى احوال الصلوة ولا مانع من احتمال كونه
مراده واما قوله ولا اعلم له فيها قدوة فيقال عليه لا ريب ان الشافعي قدوة تقلد
والمقام مقام اجتهاد فلا افتقار له فيه الى غيره واما قوله في الشفا والدليل على انها
ليست من فروض الصلاة عمل السلف الصالح قبل الشافعي واجماعهم عليه فغير متلق
لانه ان اراد بالعمل الاعتقاد فيحتاج الى نقل صريح عنهم بان ذلك ليس بواجب واني يوجد
ذلك واما قوله وقد شنع الناس عليه يعني الشافعي في هذه المسألة جدا فلا معنى له
واي شناعة في ذلك ولم يخالف فيه نصا ولا اجماعا ولا قياسا ولا مصلحة راجحة بل القول
بذلك من محاسن مذهبه ولا ريب ان القائل بجواز ترك الصلاة على افضل خلق الله
في الصلاة التي هي رأس العبادات المطلوب فيها الخضوع واستحضار شارعها والثناء
عليه اولى بالتشنيع واما نقله الاجماع فقد تقدم ما فيه واما قوله ان الشافعي
اختار تشهد ابن مسعود فلم يقل به احد والشافعي انما اختار تشهد ابن عباس كما سيأتي
ان شاء الله تعالى في مقصد عباداته صلى الله عليه وسلم وقد استدل للوجوب بما اخرجه
ابو داود والنسائي والترمذي وصححه وكذا ابن خزيمة وابن حبان والحاكم من حديث
فضالة بن عبيد قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته لم يحمد الله
ولم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال عجل هذا ثم دعاه فقال اذا صلى احدكم
فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بما شاء
قلت ومما يعد من كرامات امامنا الشافعي وسره الساري ان القاضي عياض
ساق هذا الحديث بسنده من طريق الترمذي من غير ان يطعن في سنده بعد قوله
فصل في المواطن التي تستحب فيها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ويرغب
من ذلك في تشهد الصلاة وذلك بعد التشهد وقبل الدعاء وهذا الحديث كما ترى
من اعظم الادلة لنا فان قال قائل ليس لكم فيه دلالة لانه قال فيه سمع رجلا يدعو
في صلاته ولم يقل في تشهده يجاب بانه يلزم على هذا ان القاضي عياض ساقه
في غير محله لانه عقد الفصل كما قدمته لبيان مواطن استحباب الصلاة ثم قال
ومن ذلك في تشهد الصلاة وفي مصابيح البغوي من حديث فضالة بن عبيد
ما يدل على انه كان في التشهد ولفظه قال دخل رجل فقال اللهم اغفر لي
وارحمني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجلت ايها المصلي اذا صليت

فقعدت فاحمد الله بما هو اهله وصل على ثم ادعه وفي قوله عجلت استلواح فوات الكمال
عن الحنفية المجزية اذ لو كانت مجزية لما حسن اللوم والتعليم بصيغة الامر فان قيل
انه في مقام تعليم المستحبات اذ لو كان في الواجبات لامره بالاعادة كما امر المسيء صلاته
يجاب بان في قوله هذا غنية عن الامر بالاعادة لانه حيث علمه ما هو الواجب علم قطعا
انه لم يات به او لم يعلم يكن اتيا به فوجب اعادته وهم اهل الفهم والعرفان فان قال ان قوله
فقعدت يحتمل ان يكون عطفا على مقدر تقديره اذا صليت وفرغت وقعدت للدعاء
فاحمد الله يجاب بان الاصل عدمه وانما هو عطف على المذكور اي اذا كنت في الصلاة
فقعدت للتشهد فاحمد الله اي اثن عليه بقولك التحيات لله الى اخره والله اعلم وقال
الجرجاني من الحنفية وغيره لو كانت فرضا للزم تاخير البيان عن وقت الحاجة لانه عليه
السلام علمهم التشهد وقال فليتخير من الدعا ما شاء ولم يذكر الصلاة عليه واجيب
باحتمال ان لا تكون فرضت حينئذ وقال الحافظ زين الدين العراقي في شرح الترمذي
قد ورد هذا في الصحيح بلفظ ثم ليتخير وثم للتراخي فدل على انه كان هناك شيء بين
التشهد والدعاء انتهى وقد اطنب الشيخ ابو امامة بن النقاش في تفسيره في الانتصار
للشافعي في هذه المسئلة بما يطول ذكره فالله تعالى يثيبه على قصده الجميل واما
صفة الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فعن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال لقيني
كعب بن عجرة فقال الا اهدي لك هدية ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج علينا
فقلنا يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم فكيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد
وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد
وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد رواه البخاري ومسلم
والترمذي وابو داود والنسائي فان قلت كيف يطابق قوله اللهم صل على محمد
قوله كما صليت على آل ابراهيم اجاب القاضي عياض بان الآل مقحم كما في قوله عليه السلام
في ابي موسى انه اعطي مزمارا من مزامير آل داود ولم يكن له آل مشهور بحسن الصوت
وقد روى هذا الحديث ابن ابي حاتم بلفظ لما نزلت ان الله وملائكته يصلون على النبي
يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما قال قلنا يا رسول الله فكيف الصلاة عليك
قال قولوا اللهم صل على محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد
وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد قال عبد الرحمن بن ابي ليلى
ويقول وعلينا معهم وعن ابي حميد الساعدي انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك قال
قولوا اللهم صل على محمد وازواجه وذريته كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وازواجه
وذريته كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد رواه الامام احمد وعن ابي مسعود الانصاري
قال اتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير
ابن سعد امرنا الله ان نصلي عليك فكيف نصلي عليك قال فسكت رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى تمنينا انه لم يسأله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد
وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل

عليك

وعلى آل محمد

ابراهيم

ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم رواه مالك ومسلم وغيرهما
فان قلت ما موقع التشبيه في قوله كما صليت على ابراهيم مع ان المقرر ان المشبه
دون المشبه به والواقع هنا عكسه لان محمدا صلى الله عليه وسلم وحده افضل من آل
ابراهيم ومن ابراهيم ولا سيما وقد اضيف اليه آل محمد وقضيته كونه افضل ان تكون
الصلوة المطلوبة افضل من كل صلاة حصلت او تحصل لغيره فقد اجاب العلماء عنه
باجوبة كثيرة منها انه عليه السلام قال ذلك قبل ان يعلم انه افضل من ابراهيم
وقد اخرج مسلم من حديث انس ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا خير البرية
قال ذاك ابراهيم وتعقب بانه لو كان كذلك لغير صفة الصلاة عليه بعد ان علم انه
افضل ومنها انه قال ذلك تواضعا وشرع ذلك لامته ليكتسبوا بذلك الفضيلة
ومنها ان التشبيه انما هو لاصل الصلاة باصل الصلاة لا للقدر بالقدر فهو كقوله
تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح وهو كقول القائل احسن الى ولدك كما احسنت
الى فلان وتريد بذلك اصل الاحسان لا قدره ومنه قوله تعالى واحسن كما احسن الله
اليك ورجح هذا القول القرطبي في المفهم ومنها ان قوله صل على محمد مقطوع عن التشبيه
فيكون التشبيه متعلقا بقوله وعلى آل محمد وتعقب بان غير الانبياء لا يمكن ان يساووا
الانبياء فكيف تطلب لهم صلاة مثل الصلاة التي وقعت لابراهيم والانبياء من آله
ويمكن الجواب عنه بان المطلوب الثواب الحاصل لهم لا جميع الصفات التي كانت سببا
للثواب وقد نقل العمراني في البيان عن الشيخ ابي حامد انه نقل هذا الجواب عن نص
الشافعي واستبعد ابن القيم صحة ذلك عن الشافعي لانه مع فصاحته ومعرفته
بلسان العرب لا يقول هذا الكلام المستلزم هذا التركيب الركيك البعيد من كلام
العرب كذا قال وتعقبه الحافظ بن حجر فقال ليس التركيب المذكور ركيكا بل التقدير
اللهم صل على محمد وصل على آل محمد كما صليت الى اخره فلا يمتنع تعلق التشبيه بالجملة
الثانية ومنها رفع المقدمة المذكورة اولا وهي ان المشبه به يكون ارفع من المشبه
وان ذلك ليس مطردا بل قد يكون التشبيه بالمثل بل بالدون كما في قوله تعالى مثل نوره
كمشكاة واين يقع نور المشكاة من نوره تعالى ولكن لما كان المراد من المشبه به ان يكون
شيئا ظاهرا واضحا للسامع حسن تشبيه النور بالمشكاة وكذا هنا لما كان تعظيم ابراهيم
وآل ابراهيم بالصلاة عليهم مشهورا واضحا عند جميع الطوائف حسن ان يطلب لمحمد وآل
محمد بالصلوة عليهم مثل ما حصل لابراهيم وآل ابراهيم ويؤيد ذلك ختم الطلب المذكور
بقوله في العالمين اي كما اظهرت الصلاة على ابراهيم وعلى آل ابراهيم في العالمين ولهذا
لم يقع في العالمين الا في ذكر ابراهيم دون ذكر آل محمد على ما وقع في الحديث الذي ورد
فيه وهو حديث ابي مسعود الانصاري الذي ذكرته وهذا معنى قول الطيبي وليس
التشبيه المذكور من باب الحاق الناقص بالكامل لكن من باب الحاق ما لم يشتهر بما اشتهر
وقال النووي احسن الاجوبة ما نسب الى الشافعي ان التشبيه لاصل الصلاة
باصل الصلاة او للمجموع بالمجموع وقال ابن القيم بعد ان زيف اكثر الاجوبة الا تشبيه

المجموع بالمجموع واحسن منه ان يقال هو صلى الله عليه وسلم من آل ابراهيم وقد ثبت
ذلك عن ابن عباس في تفسير قوله ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران
على العالمين قال محمد من آل محمد فكانه امرنا ان نصلي على محمد وعلى آل محمد خصوصا بقدر
ما صلينا عليه مع ابراهيم وآل ابراهيم عموما فيحصل لآله ما يليق بهم ويبقى الباقي كله له
وذلك القدر زائد على ما لغيره من آل ابراهيم وتظهر حينئذ فائدة التشبيه وان المطلوب
بهذا اللفظ افضل من المطلوب بغيره من الالفاظ وقال الحليمي سبب هذا التشبيه
ان الملائكة قالت في بيت ابراهيم رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت انه حميد مجيد
وقد علم ان محمدا وآل محمد من اهل بيت ابراهيم فكانه قال اجب دعاء الملائكة الذين قالوا
ذلك في محمد وآل محمد كما اجبتها عندما قالوها في آل ابراهيم الموجودين حينئذ ولذلك ختم
بما ختم به الآية وهو قوله انك حميد مجيد ومما يعزى للعارف الرباني ابي محمد المرجاني
انه قال وسر قوله صلى الله عليه وسلم كما صليت على ابراهيم وكما باركت على آل ابراهيم
ولم يقل كما صليت على موسى لان موسى عليه السلام كان التجلي له بالجلال فخر موسى
صعقا والخليل ابراهيم كان التجلي له بالجمال لان المحبة والخلة من آثار التجلي بالجمال
فلهذا امرهم صلى الله عليه وسلم ان يصلوا عليه كما صلى على ابراهيم ليسالوا له التجلي
بالجمال وهذا لا يقتضي التسوية فيما بينه وبين الخليل صلوات الله وسلامه عليهما
لانه انما امرهم ان يسالوا له التجلي بالوصف الذي تجلى به للخليل عليه السلام فالذي
يقتضيه الحديث المشاركة في الوصف الذي هو التجلي بالجمال ولا يقتضي التسوية في المقامين
ولا في الرتبتين فان الحق سبحانه يتجلى بالجمال للشخصين بحسب مقاميهما وان اشتركا
في وصف التجلي بالجمال فيتجلى لكل واحد منهما بحسب مقامه عنده ورتبته منه ومكانته
فيتجلى للخليل عليه السلام بالجمال بحسب مقامه ويتجلى لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
بالجمال بحسب مقامه فعلى هذا يفهم الحديث والله اعلم انتهى فان قلت ما المراد بآل
محمد في هذا الحديث فالجواب ان الراجح انهم من حرمت عليهم الصدقة كما نص عليه الشافعي
واختاره الجمهور ويؤيده قوله عليه السلام للحسن بن علي انا آل محمد لا تحل لنا الصدقة
وقيل المراد بآل محمد ازواجه وذريته وقيل المراد بهم جميع الامة امة الاجابة حكاه
ابو الطيب الطبري عن بعض الشافعية ورجحه النووي في شرح مسلم وقيده القاضي
حسين بالاتقياء منهم وعليه يحمل كلام من اطلق ويؤيده ما رواه تمام في فوائده والديلمي
عن انس قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من آل محمد فقال كل تقي من امة محمد
زاد الديلمي ثم قرأ ان اولياؤه الا المتقون واسنادهما ضعيف لكن ورد ما يشهد لذلك
في الصحيحين كحديث ان آل ابي فلان ليسوا لي باولياء انما وليي الله وصالح المؤمنين وقد
استدل العلماء بتعليمه صلى الله عليه وسلم لاصحابه هذه الكيفية بعد سوالهم عنها
بانها افضل كيفيات الصلاة عليه لانه لا يختار لنفسه الا الاشرف الافضل ويترتب
على ذلك لو حلف ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم افضل الصلاة فطريق البر ان ياتي
بذلك هكذا صوبه النووي في الروضة بعد ذكر حكاية الرافعي عن المروزي انه قال

ابراهيم

انتهى الخصائص

كبيرا وافضل كلما ذكره الذاكرون وكلما سهى عن ذكره الغافلون قال النووي وكانه اخذ ذلك
من كون الشافعي ذكر هذه الكيفية يعني في خطبة الرسالة ولكن بلفظ غفل بدل سهى
وقال الاوزاعي ابراهيم المذكور كثير النقل من تعليقة القاضي حسين ومع ذلك
فالقاضي قال في طريق البر ان يقول اللهم صل على محمد كما هو اهله ويستحقه وكذا نقله
البغوي في تعليقه ولو جمع بينها فقال ما في الحديث واضاف اليه اثر الشافعي وما قاله
القاضي لكان اشمل ولو قيل انه يعمد الى جميع ما اشتملت عليه الروايات الثابتة
فيستعمل منها ذكرا يحصل به البر لكان حسنا وعن ابن مسعود رضي الله عنهما ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اذا تشهد احدكم في الصلاة فليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد
وارحم محمدا وآل محمد كما صليت وباركت وترحمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد
رواه الحاكم وقد يستدل بهذا الحديث من ذهب الى جواز الترحم على النبي صلى الله
عليه وسلم كما هو قول الجمهور ويعضده حديث الاعرابي الذي قال اللهم ارحمني ومحمدا
ولا ترحم معنا احدا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد تحجرت واسعا وحكى القاضي
عياض عن جمهور المالكية منعه قال واجازه ابو محمد بن ابي زيد انتهى وتقدم البحث
ما في ذلك من البحث انشاء الله تعالى في المقصد التاسع عند الكلام على التشهد وعن
سلامة الكندي ان عليا كان يعلم الناس هذا الدعاء وفي لفظ يعلم الناس الصلاة على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيقول اللهم داحي المدحوات وبارئ المسموكات اجعل شرائف
صلواتك ونوامي بركاتك ورافة تحننك على محمد عبدك ورسولك الفاتح لما اغلق
والخاتم لما سبق والمعلن الحق بالحق والدامغ جيشات الاباطيل كما حمل فاضطلع بامرك
بطاعتك مستوفزا في مرضاتك واعيا لوحيك حافظا لعهدك ماضيا على نفاذ امرك
حتى اورى قبسا لقابس آلاء الله تصل باهله اسبابه به هديت القلوب بعد خوضات الفتن
والاثم وابهج موضحات الاعلام ونائرات الاحكام ومنيرات الاسلام فهو امينك
المامون وخازن علمك المخزون وشهيدك يوم الدين وبعيثك نعمة ورسولك بالحق
رحمة اللهم افسح له في عدنك واجزه مضاعفات الخير من فضلك مهنات له غير
مكدرات من فوز ثوابك المحلول وجزيل عطائك المعلول اللهم اعل على بناء الناس بناءه
واكرم مثواه لديك ونزله واتمم له نوره واجزه من ابتعاثك له مقبول الشهادة مرضي
المقالة ذا منطق عدل وخطة فصل وبرهان عظيم حديث موقوف رواه الطبراني
قال الحافظ ابن كثير في سنده نظر قال وقال شيخنا الحافظ ابو الحجاج المزي سلامة الكندي
هذا ليس بمعروف ولم يدرك عليا كذا قال وقوله داحي المدحوات اي باسط الارضين
وكل شيء بسطته ووسعته فقد دحوته وبارئ المسموكات اي خالق السموات وكل شيء
رفعته واعليته فقد سمكته والدامغ جيشات الاباطيل اي المهلك لما نجم وارتفع منها
وفار واصل الدمغ من الدماغ دمغه اصاب دماغه وجيشات من جاش اذا ارتفع
واضطلع افتعل من الضلاعة وهو القوة واورى قبسا لقابس اي اظهر نورا من الحق
لطالبه وآلاء الله نعم الله تصل باهله اي اهل ذلك القبس وهو الاسلام والحق اسبابه

موضحات

عذبك

واهله المؤمنون وبه هديت القلوب بعد خوضات الفتن والاثم اي هديت بعد الكفر
والفتن لموضحات الاعلام وناثرات والمنيرات الواضحات يقال نار الشيء فانار اذا وضح
وشهيدك يوم الدين يريد الشاهد على امته يوم القيمة وبعيثك نعمة اي مبعوثك
فعيل بمعنى مفعول وافسح له اي وسع له وفي عدنك اي جنتك جنة عدن والمعلول
من العلل وهو الشرب بعد الشرب يريد ان عطاه مضاعف كانه يعل به عباده والعالين
اي يعطيهم عطاء بعد عطاء واعل على بناء الناس وفي رواية البناءين اي ارفع فوق اعمال
العاملين عمله واكرم مثواه اي منزله ونزله رزقه والخلة بضم الخاء المعجمة الامر والقصة
والفضل القطع وعن عبد الله بن مسعود قال اذا صليتم على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاحسنوا الصلاة عليه فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه قال فقالوا له علمنا
قال قولوا اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم
النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه
به الاولون والاخرون اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد
وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد حديث موقوف
رواه ابن ماجة وعن رويفع بن ثابت الانصاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من صلى على محمد وقال اللهم انزله المقعد المقرب عندك يوم القيمة وجبت له
شفاعتي رواه الطبراني قال ابن كثير واسناده حسن ولم يخرجوه وعن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان يكتال بالمكيال الاوفى
اذا صلى علينا اهل البيت فليقل اللهم صل على محمد النبي الامي وازواجه امهات المؤمنين
وذريته واهل بيته كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد رواه ابو داود وعن طاوس
سمعت ابن عباس يقول اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى وارفع درجته العليا واعطه
سؤله في الاخرة والاولى كما اتيت ابراهيم وموسى رواه اسماعيل القاضي قال ابن كثير
واسناده جيد قوي صحيح واما المواطن التي تشرع فيها الصلاة عليه صلى الله عليه
وسلم فمنها التشهد الاخير وهي واجبة فيه كما قدمنا وفي وجوبها في التشهد الاول قولان
اظهرهما المنع لبنائه على التخفيف بل هي سنة وفي استحباب الصلاة على الآل في التشهد الاول
قولان وفي وجوبها في الاخير رايان اصحهما المنع بل هي سنة تابعة واقلها اللهم صل على محمد
وكذا صلى الله على محمد واقلها على الآل وآله وقال في الكفاية باعادة على ومنها خطبة
الجمعة وكذا غيرها من الخطب ولا يصح خطبتا الجمعة الا بها لانها عبادة وذكر الله فيها شرط
فوجب ذكر الرسول فيها كالاذان والصلاة وهذا مذهب الشافعي واحمد ومنها
عقب اجابة المؤذن لما رواه الامام احمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فانه
من صلى علي واحدة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة
في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون انا هو فمن سال الله لي الوسيلة
حلت عليه الشفاعة واخرجه مسلم وابو داود والترمذي والنسائي من حديث

الصلاة عليه

كعب بن علقمة وذكره بلفظ الرجاء وان كان متحقق الوقوع ادبا وارشادا او تعليما منه
وتذكيرا بالخوف وتفويضا الى الله بحسب مشيئته وليكون الطالب للشيء بين الرجاء والخوف
وقوله حلت عليه شفاعتي اي وجبت وقيل غشيته ونزلت به تنبيه
قال شيخنا في المقاصد الحسنة حديث الدرجة الرفيعة المدرج فيما يقال بعد الاذان
لم اره في شيء من الروايات واصل الحديث عند احمد والبخاري والاربعة عن جابر
مرفوعا من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة
آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي
يوم القيمة قال وكان من زادها اغتر بما وقع في بعض نسخ الشفا في حديث المشار اليه
لكن مع زيادتها في هذه النسخة المعتمدة علم عليها كاتبها بما يشير الى الشك فيها ولم
ارها في سائر نسخ الشفا بل في الشفا عنده ما فضلا في مكان آخر ولم يذكر فيه حديثا
مرفوعا وهو دليل لغلطها انتهى والله اعلم ومنها اول الدعاء واوسطه وآخره لما روى
احمد من حديث جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تجعلوني كقدح الراكب فان الراكب
يملأ قدحه ثم يضعه ويرفع متاعه فان احتاج الى شراب شربه او الوضوء توضأ والا اهراقه
ولكن اجعلوني في اول الدعاء واوسطه وآخره ومنها وهو من آكدها عقب دعاء القنوت
لما رواه احمد واهل السنن وابن خزيمة وابن حبان والحاكم من حديث ابي الحوراء
عن الحسن بن علي قال علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات اقولهن في الوتر
اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما اعطيت
وقني شر ما قضيت فانك تقضي ولا يقضى عليك انه لا يذل من واليت تباركت ربنا وتعاليت
وزاد النسائي في سننه وصلى الله على النبي محمد وسياتي في المقصد التاسع البحث في ذلك
ان شاء الله تعالى ومنها اثناء تكبيرات العيد لما روى اسماعيل القاضي ان ابن مسعود
وابا موسى وحذيفة خرج عليهم الوليد بن عقبة فقال ان هذا العيد قد دنا فكيف التكبير
فيه فقال عبد الله تبدا او تكبر تكبيرة تفتتح بها الصلوة وتحمد ربك وتصلي على النبي صلى الله
عليه وسلم ثم تدعو وتكبر وتفعل مثل ذلك ثم تكبر وتفعل مثل ذلك ثم تكبر وتفعل
مثل ذلك ثم تكبر وتفعل مثل ذلك ثم تقرا ثم تكبر وتركع ثم تقوم فتكبر وتحمد ربك وتصلي
على النبي صلى الله عليه وسلم ثم تدعو وتكبر وتفعل مثل ذلك ثم تركع فقال حذيفة وابو موسى
صدق ابو عبد الرحمن قال ابن كثير اسناده صحيح ومنها عند دخول المسجد والخروج
منه لما رواه احمد عن فاطمة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد
صلى على محمد ثم قال اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرج صلى على محمد ثم قال
اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب فضلك ومنها في صلاة الجنازة فان السنة
ان يقرا الفاتحة بعد احدى التكبيرات وبعد الاولى اولى وان يصلي على النبي صلى الله
عليه وسلم بعد الثانية ويدعو للميت بعد الثالثة وبعد الرابعة يقول اللهم لا تحرمنا
اجره ولا تفتنا بعده وفي ذلك احاديث رواه الشافعي والنسائي ومنها عند التلبية
لما رواه الشافعي والدارقطني عن القاسم بن محمد بن ابي بكر الصديق قال كان يامر

عن

الرجل

اذا فرغ من تلبيته ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم على كل حال ومنها عند الصفا
والمروة لما روى اسمعيل القاضي عن عمر بن الخطاب انه قال اذا قدمتم فطوفوا بالبيت
سبعا وصلوا عند المقام ركعتين ثم ائتوا الصفا وقوموا عليه من حيث ترون البيت
فكبروا سبع تكبيرات تكبيرا بين حمد وثناء وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ومسئلة
لنفسك وعلى المروة مثل ذلك قال ابن كثير اسناده حسن جيد قوي ومنها عند
الاجتماع والتفرق لما روى الترمذي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيه الا كان عليهم ترة فان شاء
عذبهم وان شاء غفر لهم وروى اسمعيل القاضي عن ابي سعيد قال ما من قوم يقعدون
ثم يقومون ولا يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم الا كان عليهم حسرة وان دخلوا الجنة
لما يرون من الثواب ومنها عند الصباح والمسا لما روى الطبراني من حديث ابي الدرداء
مرفوعا من صلى علي حين يصبح عشرا وحين يمسي عشرا ادركته شفاعتي يوم القيمة
ومنها عند الوضوء لحديث ابن ماجة عن سهل بن سعد قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا وضوء لمن لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم ومنها عند
طنين الاذن لحديث ابي رافع عند ابن السني مرفوعا اذا طنت اذن احدكم فليذكرني
وليصل علي وليقل ذكر الله من ذكرني بخير ومنها عند نسيان الشي لحديث ابي موسى
المديني بسند فيه ضعف عن انس يرفعه اذا نسيتم شيا فصلوا علي تذكروه انشاء الله تعالى
ومنها عند العطاس كما ذهب اليه ابو موسى المديني وجماعة ونازعهم في ذلك اخرون
وقالوا هذا موطن يفرد فيه ذكر الله تعالى كالاكل والشرب والوقاع ونحو ذلك ومنها
عند زيارة قبره الشريف لحديث ابي داود عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما من احد يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام وروى ابن عساكر
من صلى علي عند قبري سمعته وورد الامر بالاكثار منها يوم الجمعة
وليلتها فعن اوس بن اوس الثقفي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من افضل
ايامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فاكثروا علي من الصلاة
فيه فان صلاتكم معروضة علي قالوا يا رسول الله وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد ارمت
يعني وقد بليت قال ان الله حرم على الارض ان تاكل اجساد الانبياء رواه احمد وابو داود
والنسائي وقد صحح هذا الحديث ابن خزيمة وابن حبان والدارقطني قال الحافظ ابن كثير
وقد روى البيهقي من حديث ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم الامر بالاكثار من الصلاة
عليه ليلة الجمعة ويوم الجمعة لكن في اسناده ضعف فان قلت ما الحكمة في خصوصية الاكثار
من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وليلتها اجاب ابن القيم بان رسول الله
صلى الله عليه وسلم سيد الانبياء ويوم الجمعة سيد الايام فللصلاة عليه فيه مزية
ليست لغيره مع حكمة اخرى وهي ان كل خير نالته امته في الدنيا والاخرة فانما نالته على يده
صلى الله عليه وسلم فجمع الله لامته به بين خيري الدنيا والاخرة واعظم كرامة تحصل لهم
فانها تحصل يوم الجمعة فان فيه بعثهم الى منازلهم وقصورهم في الجنة وهو يوم المزيد لهم

اذا دخلوا الجنة وهو عيد لهم في الدنيا ويوم فيه يسعفهم الله تعالى بطلباتهم وحوائجهم ولا يرد
سائلهم وهذا كله انما عرفوه وحصل لهم بسببه وعلى يده فمن شكره وحمده واداء القليل
من حقه صلى الله عليه وسلم ان يكثر من الصلاة عليه في هذا اليوم وليلته واما
فضيلة الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فقد ورد الترغيب بها في احاديث
قوية لم يخرج البخاري منها شيا فمنها ما اخرجه مسلم من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشرا وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة فلم يجد احدا يتبعه فاتاه عمر بمطهرة من خلفه
فوجد النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا فتنحى عنه حتى رفع النبي صلى الله عليه وسلم
راسه فقال احسنت يا عمر حين وجدتني ساجدا فتنحيت عني ان جبريل اتاني فقال من صلى
عليك من امتك واحدة صلى الله عليه عشرا ورفعه عشر درجات رواه الطبراني قال
ابن كثير وقد اختار هذا الحديث الحافظ الضياء المقدسي في كتابه المستخرج على الصحيحين
وعن ابي طلحة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والسرور يرى في وجهه
فقالوا يا رسول الله انا لنرى السرور في وجهك فقال انه اتاني الملك فقال يا محمد
اما يرضيك ان ربك عز وجل يقول انه لا يصلي عليك احد من امتك الا صليت عليه عشرا
ولا يسلم عليك احد من امتك الا سلمت عليه عشرا قال بلى رواه الدارمي واحمد
وابن حبان والحاكم والنسائي واللفظ له وعن عامر بن ربيعة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من صلى علي صلاة لم تزل الملائكة تصلي عليه ما صلى علي فليقل عبد من ذلك
او ليكثر رواه احمد وابن ماجة من حديث شعبة وعن عبد الله بن عمرو بن العاص من صلى
على رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة صلى الله عليه وملائكته بها سبعين صلاة فليقل
عبد من ذلك او ليكثر رواه احمد والتخيير بعد الاعلام بما فيه الخيرة في المخير فيه على جهة
التحذير من التفريط في تحصيله وهو قريب من معنى التهديد وروى الترمذي عن ابي
ابن كعب قال يا رسول الله اني اكثر الصلاة عليك فكم اجعل لك من صلاتي قال ما شئت
قلت الربع قال ما شئت وان زدت فهو خير لك قلت فالنصف قال ما شئت وان زدت فهو خير
لك قلت فالثلثين قال ما شئت وان زدت فهو خير لك قلت اجعل لك صلاتي كلها قال اذا
تكفى همك ويغفر ذنبك ثم قال هذا حديث حسن فهذا ما يتعلق بالصلاة واما السلام
فقال النووي بكراهة افراد الصلاة عن السلام واستدل بورود الامر بهما معا في الاية
يعني قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه
وسلموا تسليما وتعقبوه بان النبي صلى الله عليه وسلم علم اصحابه التسليم قبل
تعليم الصلاة كما هو مصرح به في قولهم يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف
نصلي عليك وقوله عليه الصلوة والسلام بعد ان علمهم الصلاة والسلام كما قد علمتم فافرد
التسليم مرة قبل الصلاة عليه لكن قال في فتح الباري انه يكره ان يفرد الصلاة ولا يسلم اصلا
اما لو صلى في وقت وسلم في وقت آخر فانه يكون ممتثلا وقال ابو محمد الجويني من اصحابنا
السلام بمعنى الصلاة فلا يستعمل في الغايب ولا يفرد به غير الانبياء فلا يقال علي عليه السلام

سوآء في هذا الاحيا والاموات واما الحاضر فيخاطب به فيقال سلام عليك او عليكم او السلام
عليك او عليكم وهذا مجمع عليه انتهى وقد جرت عادة بعض النساخ ان يفردوا عليًّا
وفاطمة رضي الله عنهما بالسلام فيقولوا عليه او عليها السلام من دون سائر الصحابة
في ذلك وهذا وان كان معناه صحيحا لكن ينبغي ان يساوى بين الصحابة رضي الله عنهم
في ذلك فان هذا من باب التعظيم والتكريم والشيخان وعثمان اولى بذلك منهما اشار اليه
ابن كثير **واما الصلاة على غير النبي** صلى الله عليه وسلم فاختلف فيه واخرج
البيهقي بسند واه من حديث بريدة رفعه لا تتركن في التشهد الصلاة عليّ
وعلى انبياء الله واخرج الطبراني من حديث ابن عباس رفعه اذا صليتم علي فصلوا
على انبياء الله فان الله بعثهم كما بعثني وثبت عن ابن عباس اختصاص ذلك بالنبي صلى الله
عليه وسلم اخرجه ابن ابي شيبة من طريق عثمان عن عكرمة عنه قال ما اعلم الصلوة تنبغي
على احد من احد الا على النبي صلى الله عليه وسلم وسنده صحيح وحكى القول به عن مالك
وجاء نحوه عن عمر بن عبد العزيز وقال سفيان يكره ان يصلى الا على نبي وعن بعض شيوخ
مذهب مالك لا يجوز ان يصلى الا على محمد قالوا وهذا غير معروف عن مالك وانما قال اكره
الصلاة على غير الانبياء وما ينبغي لنا ان نتعدى ما امرنا به وخالفه يحيى بن يحيى فقال
لا بأس به واحتج بان الصلاة دعاء بالرحمة فلا يمنع الا بنص او اجماع **واما الصلاة
على غير الانبيا** فان كان على سبيل التبعية كما تقدم في الحديث اللهم صل على محمد وآل محمد
ونحوه فهذا جائز بالاجماع وانما وقع النزاع فيما اذا افرد غير الانبياء بالصلاة عليهم فقال
قائلون بجواز ذلك واحتجوا بقوله تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته وبقوله اولئك عليهم
صلوات من ربهم ورحمة وبقوله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم
وبحديث عبد الله بن ابي اوفى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتاه قوم
بصدقتهم قال اللهم صل عليهم فاتاه ابي بصدقته فقال اللهم صل على آل ابي اوفى اخرجه
الشيخان وقال الجمهور من العلماء لا يجوز افراد غير الانبياء بالصلاة لان هذا قد صار
شعارا للانبياء اذا ذكروا فلا يلحق غيرهم فلا يقال ابو بكر صلى الله عليه وسلم او قال
علي صلى الله عليه وسلم وان كان المعنى صحيحا كما لا يقال قال محمد عز وجل وان كان
عزيزا جليلا لان هذا من شعار ذكر الله عز وجل وحملوا ما ورد في ذلك على الدعاء لهم ولهذا لم يثبت شعار الآل ايضا وقد وقع في الصلوة
على غير الانبيا وقد صار من شعار اهل الاهواء يصلون على من يعتقدون فيهم فلا يقتدى
بهم في ذلك ثم اختلف المانعون من ذلك هل هو من باب التحريم او كراهة التنزيه
او خلاف الاولى على ثلاثة اقوال حكاها النووي في كتاب الاذكار ثم قال والصحيح
الذي عليه الاكثرون انه مكروه كراهة تنزيه لانه شعار اهل البدع وقد نهينا عن شعارهم

الفصل الثالث في ذكر محبة اصحابه عليه السلام وآله

وقرابته واهل بيته وذريته قال الطبري اعلم ان الله تعالى لما اصطفى نبيه
صلى الله عليه وسلم على جميع من سواه وخصه بما عمه به من فضله اليانع وحباه اعلى
مراتب الكرامة وجعل من انتمى اليه نسبا او نسبة ورفع من انطوى قلبه نصرة ومحبة والزم مودة قربا

من الكتاب والسنة على الدعاء لهم ولهذا لم يثبت شعار الآل ايضا ووقع هذا مسلكا حسن وقال الآخر لا يجوز ذلك

لا قربائه ... فمن محبته محبة اهل بيته المطهر وذريته فقال تعالى قل لا اسالكم عليه اجرا
الا المودة في القربى ويروى انها لما نزلت قالوا يا رسول الله من قرابتك هؤلاء قال علي
وفاطمة وابناهما وقال تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا
وقد اختلف في المراد باهل البيت في هذه الاية فروى ابن ابي حاتم عن عكرمة عن
ابن عباس قال نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم وروى ابن جرير عن عكرمة انه كان
ينادي في السوق انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت قال نزلت في نساء النبي
صلى الله عليه وسلم قال الحافظ ابن كثير وهذا يعني ما في هذه الاية نص في دخول
ازواجه صلى الله عليه وسلم لانهن سبب نزول هذه الاية وسبب النزول
داخل فيه قولا واحدا اما وحده على قول او مع غيره على الصحيح وقيل المراد النبي
صلى الله عليه وسلم قال عكرمة من شاء باهلته انها نزلت في شان النبي صلى الله
عليه وسلم وان كان المراد انهن كن سبب النزول دون غيرهن ففي هذا نظر
فانه قد ورد في ذلك احاديث تدل على ان المراد اعم من ذلك فروى الامام احمد عن
واثلة بن الاسقع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ومعه علي وحسن وحسين
آخذ كل واحد منهما بيده حتى دخل فادنى عليا وفاطمة فاجلسهما بين يديه واجلس حسنا
وحسينا كل واحد منهما على فخذه ثم لف عليهم ثوبه او قال كساءه ثم تلا هذه الاية انما يريد
الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وقال اللهم هؤلاء اهل بيتي واهل بيتي
احق زاد في رواية ابن جرير فقلت وانا يا رسول الله من اهلك قال وانت من اهلي
قال واثلة وانها من ارجى ما ارتجي وعن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان في بيتها اذ جاءت فاطمة ببرمة فيها خزيرة فدخلت عليه بها فقال ادعي
زوجك وابنيك قالت فجاء علي وحسن وحسين فدخلوا عليه فجلسوا ياكلون من
الخزيرة وتحته كساء قالت وانا في الحجرة اصلي فانزل الله عز وجل هذه الاية انما
يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا قالت فاخذ فضل الكساء
فغشاهم به ثم اخرج يده الشريفة فالوى بها الى السماء ثم قال اللهم هؤلاء اهل
بيتي وخاصتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالت فادخلت راسي البيت
فقلت وانا معكم يا رسول الله فقال انك الى خير انك الى خير رواه احمد وفي اسناده
من لم يسم وبقية اسناده ثقات وقوله وخاصتي بالتشديد اي خاصتي وعن ابي
سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت هذه الاية في خمسة في
وفي علي وحسن وحسين وفاطمة انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت
ويطهركم تطهيرا رواه ابن جرير ورواه احمد في المناقب والطبراني وعن زيد بن ارقم
قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد
ايها الناس انما انا بشر مثلكم يوشك ان ياتيني رسول ربي فاجيبه واني تارك فيكم الثقلين
اولهما كتاب الله عز وجل فيه الهدى والنور فتمسكوا بكتاب الله عز وجل وخذوا به
وحث فيه ورغب فيه ثم قال واهل بيتي اذكركم الله عز وجل في اهل بيتي ثلاث مرات

فقيل لزيد من اهل بيته اليس نساؤه من اهل بيته قال بلى ان نساءه من اهل بيته ولكن اهل
بيته من حرم عليهم الصدقة بعده قال ومن هم قال هم آل علي وآل جعفر وآل عقيل
وآل عباس قال كل هؤلاء حرم عليهم الصدقة قال نعم خرجه مسلم والثقل محركة كل
انما هو كل شيء نفيس مصون قال ومنه الحديث اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله
وعترتي والعترة بكسر المهملة وسكون المثناة الفوقية والاخذ بهذا الحديث اخرى
ولبين المراد بالاهل الازواج فقط بل هم مع آله كما لا يشك من تدبر القرآن ان نساء
النبي صلى الله عليه وسلم داخلات في الآية الكريمة فان سياق الكلام معهن ولهذا
قال بعد هذا كله واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة وهذا اختيار ابن عطية
بعد ان نقل ان الجمهور على انهم علي وفاطمة والحسن والحسين قال وحجة الجمهور قوله
تعالى عنكم ويطهركم بالميم ولو كان للنساء خاصة لكان عنكن واجيب بان الخطاب بلفظ
التذكير وقع على سبيل التغليب فيكون المراد به كالمراد بالآل في حديث كيفية الصلاة
عليه السابق والله اعلم ولله در القائل حيث قال ذكره على قول من فرض بدلا قدمته مع غيره قريبا في الفصل السابق

يا آل بيت رسول الله حبكم ** فرض من الله في القرآن انزله
يكفيكم من عظيم الفخر انكم ** من لم يصل عليكم لا صلاة له

واخرج احمد عن ابي سعيد معنى حديث ابن زيد بن ارقم السابق مرفوعا بلفظ اني اوشك
ان ادعى فاجيب واني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي كتاب الله حبل ممدود من السماء
الى الارض وعترتي اهل بيتي وان اللطيف الخبير اخبرني انهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض
فانظروا بما تخلفوني فيهما وعترة الرجل كما قال الجوهري اهله ونسله ورهطه الادنون
اي الاقارب وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال ايها الناس ارقبوا محمدا في اهل بيته
رواه البخاري والمراقبة للشيء المحافظة عليه يقول احفظوهم فلا تؤذوهم وقال ابو بكر
الصديق رضي الله عنه كما في البخاري ايضا لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الي
ان اصل من قرابتي وهذا قاله على سبيل الاعتذار لفاطمة عن منعه اياها ما طلبته
من تركة النبي صلى الله عليه وسلم وقد جرى منه على موجب الايمان لانه عليه السلام
شرط الاحبية فيه على النفس والمال والولد كما ذكرته في الفصل الاول من هذا المقصد
انه صلى الله عليه وسلم اثبت لاقاربه ما اثبت لنفسه من ذلك فقال من احبهم فبحبي
احبهم وحثنا على ذلك شفقة منه علينا صلوات الله وسلامه عليه وعليهم ولقد
احسن القائل حيث قال

رأيت ولائي آل طه فريضة ** على رغم اهل البعد يورثني القربى
فما طلب المبعوث اجرا على الهدى ** بتبليغه الا المودة في القربى

وفي الترمذي وقال حديث حسن غريب احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه واحبوني بحب الله
واحبوا اهل بيتي بحبي وفي المناقب لاحمد من ابغض اهل البيت فهو منافق وروي عن ابن سعد
من صنع الى احد من اهل بيتي معروفا فعجز عن مكافاته في الدنيا فانا المكافي له في القيامة
والمراد بالقرابة من ينتسب الى جده الاقرب وهو عبد المطلب ممن صحب النبي

صلى

صلى الله عليه وسلم منهم او رآه من ذكر او انثى وهم علي واولاده الحسن والحسين ومحسن
وام كلثوم من فاطمة رضي الله عنها وجعفر واولاده عبد الله وعون ومحمد ويقال
انه كان لجعفر بن ابي طالب ابن اسمه احمد وعقيل بن ابي طالب وولده مسلم بن عقيل
وحمزة بن عبد المطلب واولاده يعلى وعمارة وامامة والعباس بن عبد المطلب
واولاده الذكور العشرة وهم الفضل وعبد الله وقثم وعبيد الله والحرث ومعبد
وعبد الرحمن وكثير وعون وتمام وفيه يقول العباس رضي الله عنه شعر

تموا بتمام فصاروا عشرة ** يا رب فاجعلهم كراما بررة

ويقال ان لكل واحد منهم رؤية وكان له من الاناث ام حبيبة وآمنة وصفية واكثرهم ذريته
من لبابة ام الفضل ومعتب بن ابي لهب والعباس بن ابي لهب وكان زوج آمنة بنت
العباس وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب واخته ضباعة وكانت زوج المقداد
ابن الاسود وابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وابناه المغيرة والحرث وهذا ابن الحرث
له رؤية وكان يلقب ببة بموحدتين الثانية ثقيلة واميمة واروى وعاتكة وصفية
بنات عبد المطلب اسلمت صفية وصحبت وفي الباقيات خلاف وفي البخاري من حديث
سعد بن ابي وقاص ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي انت مني بمنزلة هارون
من موسى الا انه لا نبي بعدي وفي لفظ اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى
اي نازلا مني منزلة هارون من موسى والباء زائدة وقال الطيبي معنى الحديث انت
متصل بي نازل مني منزلة هارون من موسى وفيه تشبيه ووجه الشبه مبهم بينه بقوله الا انه لا نبي
بعدي فعرف ان الاتصال بينهما ليس من جهة النبوة بل من جهة ما دونها وهو الخلافة
ولما كان هارون المشبه به انما كان خليفة في حياة موسى دل ذلك على تخصيص خلافة علي
للنبي صلى الله عليه وسلم بحياته والله اعلم واما ما استدل به من هذا الحديث على استحقاقه
للخلافة دون غيره من الصحابة فان هارون كان خليفة موسى فاجيب بان هارون
لم يكن خليفة موسى الا في حياته لا بعد موته لانه مات قبل موسى باتفاق اشار الى ذلك
الخطابي واما حديث الترمذي والنسائي من كنت مولاه فعلي مولاه فقال الشافعي
يعني بذلك ولاء الاسلام كقوله تعالى ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم
وقول عمر لعلي اصبحت مولى كل مؤمن اي ولي كل مؤمن وطرق هذا الحديث كثيرة جدا
استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد وكثير من اسانيدها صحاح وحسان وروي انه صلى الله
عليه وسلم قال من آذى عليا فقد آذاني خرجه احمد واخرج المخلص الذهبي من احب
عليا فقد احبني وقد ذكر النقاش ان قوله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل
لهم الرحمن ودا نزل في علي وقال محمد بن الحنفية لا تجد مؤمنا الا وهو يحب عليا
واهل بيته قال ابو حيان في البحر ومن الغريب ما انشدنا الامام اللغوي رضي الدين
ابو عبد الله محمد بن علي بن يوسف الانصاري الشاطبي لزينبا ابن اسحق النصراني الرسعني

عدي وتيم لا احاول ذكرهم ** بسوء ولكني محب لهاشم
وما تعتريني في علي ورهطه ** اذا ذكروا في الله لومة لائم

يقولون ما بال النصارى تحبهم ۔ واهل النهى من أعرب وأعاجم
فقلت لهم اني لأحسب حبهم ۔ سرى في قلوب الخلق حتى البهائم

وقالت عائشة رضي الله عنها كانت فاطمة احب النساء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجها علي احب الرجال اليه رواه الترمذي وفي البخاري ان فاطمة بضعة مني فمن اغضبها اغضبني والبضعة بفتح الموحدة وحكى ضمها وكسرها ايضا وسكون المعجمة اي قطعة لحم واستدل به السهيلي على ان من سبها فانه يكفر وفي الترمذي من حديث اسامة بن زيد وقال حسن غريب انه صلى الله عليه وسلم قال في حسن وحسين اللهم اني احبهما فاحبهما واحب من يحبهما واخرجه مسلم من حديث ابي هريرة في الحسن خاصة زاد ابو حاتم السلفي فما كان احد احب الي من الحسن بعد ما قال صلى الله عليه وسلم ما قال وفي حديث ابي هريرة ايضا عند الحافظ السلفي قال ما رايت الحسن بن علي قط الا فاضت عيناي دموعا وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوما وانا في المسجد فاخذ بيدي واتكا علي حتى جئنا سوق قينقاع فنظر فيه ثم رجع فجلس في المسجد ثم قال ادعوا ابني قال فاتى الحسن بن علي يشتد حتى وقع في حجره فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح فمه ثم يدخل فمه في فمه ويقول اللهم اني احبه فاحبه واحب من يحبه ثلاث مرات وفي الترمذي من حديث انس انه صلى الله عليه وسلم كان يضمهما اليه ويشمهما وقال من احبني واحب هذين واباهما وامهما كان معي في درجتي يوم القيمة رواه احمد وقال الترمذي كان معي في الجنة وقال حديث غريب وليس المراد بالمعية هنا المعية من حيث المقام بل من جهة رفع الحجاب وتقدم نحوه في قوله تعالى فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين في المقصد السادس وفي حديث ابي زهير بن الارقم رجل من الازد انه صلى الله عليه وسلم قال في الحسن من احبني فليحبه فليبلغ الشاهد الغايب وفي البخاري هما ريحانتاي ٢
من الدنيا وكان عليه الصلاة والسلام يمص لسان الحسن او شفته رواه احمد وعن عقبة بن الحارث قال رايت ابا بكر وحمل الحسن وهو يقول بابي شبيه بالنبي ليس شبيها بعلي وعلي يضحك وعن محمد بن سيرين عن انس كان يعني الحسين اشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم رواهما البخاري وعنده من رواية الزهري عن انس لم يكن احد اشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم من الحسن بن علي وهذا قد يعارضه قول علي في صفة النبي صلى الله عليه وسلم لم ار قبله ولا بعده مثله اخرجه الترمذي في الشمايل كما تقدم في المقصد الثالث واجيب بان يحمل النفي على عموم الشبه والمثبت على معظمه وقول انس لم يكن احد اشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم من الحسن بن علي قد يعارض رواية ابن سيرين عنه السابقة كان الحسين يعني بالباء اشبههم بالنبي صلى الله عليه وسلم ويمكن الجمع بان يكون انس قال ما وقع في رواية الزهري في حياة الحسن لانه يومئذ كان اشد

شبهها

شبها بالنبي صلى الله عليه وسلم من اخيه الحسين واما ما وقع في رواية ابن سيرين فكان بعد ذلك او المراد بمن فضل عليه الحسين في الشبه كان من عدا الحسن ويحتمل ان يكون كل منهما كان اشد شبها به في بعض اعضايه فقد روى الترمذي وابن حبان من طريق هاني بن هاني عن علي قال الحسن اشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين الراس الى الصدر والحسين اشبه النبي صلى الله عليه وسلم ما كان اسفل من ذلك وقد عدوا من كان له شبه بالنبي صلى الله عليه وسلم سوى الحسن والحسين وجعفر ابن ابي طالب وقد قال عليه السلام لجعفر اشبهت خلقي وخلقي قال الترمذي حسن صحيح وابنه عبد الله بن جعفر وقثم بن العباس بن عبد المطلب وابو سفيان بن الحرث ابن عبد المطلب ومسلم بن عقيل بن ابي طالب ومن غير بني هاشم السايب بن يزيد المطلبي الجد الاعلى للامام الشافعي وعبد الله بن عامر بن كريز بضم الكاف وفتح الراء وكابس بن ربيعة رجل من اهل البصرة وجه اليه معاوية وقبل بين عينيه واقطعه قطيعة وكان انس اذا راه بكى وهو كان عشرة ونظمهم شيخ الاسلام الحافظ ابو الفضل ابن حجر فقال

شبه النبي لعشر سايب وابي ۔ سفيان والحسنين الطاهرين هما
وجعفر وابنه ثم ابن عامرهم ۔ ومسلم كابس يتلوه مع قثما

وعد ثم بعضهم ستة وعشرين وممن كان يشبهه ايضا فاطمة ابنته وابراهيم ولده وولد جعفر بن عبد الله السابق ذكره واخوه عون وكان يشبهه ايضا من اهل البيت غير هؤلاء ابراهيم ابن الحسين بن الحسن بن علي بن ابي طالب ويحيى بن القاسم بن محمد بن جعفر بن محمد ابن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب وكان يقال له الشبيه قال الشريف محمد ابن سعد النسابة في الزورة لا نسبة لمشهد السيدة نفيسة انه كان ليحيى هذا في موضع خاتم النبوة شامة قدر بيضة الحمام تشبه خاتم النبوة وكان اذا دخل الحمام وراه الناس صلوا على النبي صلى الله عليه وسلم وازدحموا عليه يقبلون ظهره تبركا وكذا وصف بالشبه القاسم بن عبد الله بن محمد بن عقيل بن ابي طالب وعلي بن علي بن عباد بن رفاعة الرافعي شيخ بصري من اتباع التابعين والمراد بالشبه في البعض والا فتمام حسنه صلى الله عليه وسلم منزه عن الشريك كما قال الابوصيري رحمه الله واجاد حيث قال

منزه عن شريك في محاسنه ۔ فجوهر الحسن فيه غير منقسم

كما اشرت اليه في اول المقصد الثالث وقد اطلت المقال وانما جرني الى ذلك ذكر حمل الصديق للحسن على عاتقه المشعر بالاكرام من افضل البشر بعد النبيين لاهل البيت المحمدي وحملهم على الاعناق لا سيما مع قوله رضي الله عنه لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الي ان اصل من قرابتي فلما تضمن الحديث ذكر الشبه الكريم جرى الكلام اليه وهذا وقع لي كثيرا في هذا المجموع لكنه لا يخلو عن فرايد الفوايد وقد روي انه صلى الله عليه وسلم قال العباس بن عبد المطلب مني وانا منه لا تؤذوا العباس فتؤذوني من سب العباس فقد سبني اخرجه البغوي في معجمه وقال صلى الله عليه وسلم للعباس

ايضا والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ولرسوله ثم قال ايها الناس
من آذى عمي فقد آذاني فانما عم الرجل صنو ابيه رواه الترمذي وقال حسن صحيح وفي قوله
لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم الاشارة الى الايمان الحقيقي المنجي وهو التصديق القلبي
وبين المحبة والايمان ارتباط من جهة ان المحبة ميل القلب الى المحبوب والايمان التصديق القلبي
فيجتمعان في القلب ويجعلهما متلازمين فيلزم من نفي احدهما نفي الآخر ثم علل هذه المحبة
بكونها لله ولرسوله فلا عبرة بمحبة تكون لغير ذلك ثم جعل اذاه كاذى نفسه [illegible]
ثم عظم مكانته بتنزيله منزلة الاب فكما انه يجب على الولد تعظيم والده والقيام بحقوقه
فكذلك عمه فقال انما عم الرجل صنو ابيه وهو بكسر الصاد المهملة وسكون النون اي مثل
ابيه قال ابن الاثير واصله ان تطلع نخلتان من عرق واحد يريد ان اصل العباس واصل ابي واحد
انتهى **وجلله** عليه السلام وبنيه بكسائه ثم قال اللهم اغفر للعباس ولولده مغفرة
ظاهرة وباطنة لا تغادر ذنبا اللهم احفظه في ولده رواه الترمذي وقال حسن
غريب وزاد ابن البشري في روايته ان بنيه الذين جللوا بالكساء كانوا ستة الفضل
وعبد الله وعبيد الله وقثم ومعبد وعبد الرحمن قال وعظام بسملة لسود الخطة
بحجرة وقال اللهم ان هؤلاء اهل بيتي وعترتي فاسترهم من النار كستري اياهم بهذه الشملة
قال فما بقي في البيت مدرة ولا باب الا امنت وقد روي انه صلى الله عليه وسلم قال للفضل
ابن ابي طالب اني احبك حبا لقرابتك مني وحبا لما كنت اعلم من حب عمي لك قال الحكيم
اخرجه ابو عمر والبغوي وروى الدارقطني انه صلى الله عليه وسلم قال يوم حنين لابي سفيان
ابن الحارث خير اهلي واخرج الحاكم وصححه عن ابي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لا يبغضنا اهل البيت احد الا ادخله الله النار **واعلم** انه قد اشتهر
استعمال اربعة الفاظ يوصفون بها الاولى آله عليه السلام والثانية اهل بيته والثالثة
ذوو القربى والرابعة عترته فاما الاولى فذهب قوم الى انهم هم اهل بيته وقال
آخرون هم الذين حرمت عليهم الصدقة وعوضوا عنها خمس الخمس وقال قوم من دان
بدينه وتبعه فيه واما اللفظة الثانية وهي اهل بيته فقيل من ناسبه الى جده الادنى
وقيل من اجتمع معه في رحم وقيل من اتصل به بنسب او سبب واما اللفظة الثالثة
وهي ذوو القربى فروى الواحدي في تفسيره بسنده عن ابن عباس قال لما
نزل قوله تعالى قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى قالوا يا رسول الله من هؤلاء
الذين امرنا الله تعالى بمودتهم قال علي وفاطمة وابناهما واما اللفظة الرابعة
وهي عترته فقيل العشيرة وقيل الذرية فاما العشيرة فهي الاهل الادنون واما
الذرية فنسل الرجل فاولاد بنت الرجل ذريته ويدل عليه قوله تعالى ومن ذريته
داود الى قوله وعيسى ولم يتصل عيسى بابراهيم الا من جهة امه مريم **فهذه** الذرية
الطاهرة قد خصوا بمزايا التشريف وعموا بواسطة السيدة فاطمة بفضل منيف والتحلي
بردآء الشرف وحبوا بمزيد الاكرام والتحف وقد وقع الاصطلاح على اختصاصهم من بين
ذوي الشرف كالعباسيين والجعافرة بالشطفة الخضراء لمزيد شرفهم والسبب في ذلك

كما قيل ان المأمون اراد ان يجعل الخلافة في بني فاطمة فاتخذ لهم شعار الخضرة والبسهم ثيابا خضرا
لكون السواد شعار العباسيين والبياض شعار سائر المسلمين في جمعهم ونحوها والاحمر
مختلف في كراهته والاصفر شعار اليهود باخره ثم انثنى عزمه عن ذلك ورد الخلافة
لبني العباس فبقي ذلك شعار الاشراف والعلويين من الزهراء لكنهم اختصروا الثياب
الى قطعة من ثوب اخضر توضع على عمائمهم شعارا لهم ثم انقطع ذلك الى اواخر القرن الثامن
قال في حوادث سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة من انباء الغمر بابناء العمر وفيها امر السلطان
الاشرف ان يمتازوا بعصائب خضر على العمائم ففعلوا ذلك بمصر والشام وغيرهما وفي ذلك
يقول الاديب ابو عبد الله بن جابر الاندلسي حيث قال

جعلوا لابناء الرسول علامة ... ان العلامة شان من لم يشهر
نور النبوة في كريم وجوههم ... يغني الشريف عن الطراز الاخضر

وللاديب شمس الدين المزين الدمشقي

اطراف تيجان اتت من سندس ... خضر باعلام على الاشراف
والاشرف السلطان خصصهم بها ... شرفا ليفرقهم من الاطراف

والاشرف هو شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون **واما اصحابه رضوان الله
عليهم** فقال الله سبحانه وتعالى محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم
الى آخر السورة لما اخبر تعالى ان سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم رسوله حقا من غير
شك ولا ريب فقال محمد رسول الله وهذا مبتدأ وخبر وقال البيضاوي وغيره جملة
مبينة للمشهود به يعني قوله تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى الى وكفى بالله شهيدا
قال ويجوز ان يكون رسول الله صفة ومحمد خبر محذوف انتهى وهذه الآية مشتملة على وصف
جميل ثم ثنى بالثناء على اصحابه فقال والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم كما قال تعالى فسوف
يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين فوصفهم بالشدة والغلظة
على الكفار والرحمة والبر بالاخيار ثم اثنى عليهم بكثرة الاعمال مع الاخلاص التام فمن نظر اليهم
اعجبه سمتهم وهديهم لخلوص نياتهم وحسن اعمالهم قال مالك بلغني ان النصارى كانوا
اذا رأوا الصحابة الذين فتحوا الشام يقولون والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا
وصدقوا فان هذه الامة المحمدية خصوصا الصحابة لم يزل ذكرهم معظما في الكتب كما قال سبحانه
وتعالى هنا ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطأه اي فراخه فآزره
اي شده وقواه فاستغلظ شب وطال فاستوى على سوقه يعجب الزراع قوته وغلظه
وحسن منظره فكذلك اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم آزروه ونصروه وايدوه فهم معه
كالشطء مع الزرع ليغيظ بهم الكفار ومن هذه الآية انتزع الامام مالك رحمه الله
في رواية عنه تكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة لانهم يغيظونهم ومن غاظ الصحابة
فهو كافر وقد وافقه على ذلك جماعة من العلماء والاحاديث في فضائل الصحابة كثيرة
ويكفي ثناء الله تعالى عليهم ورضاه عنهم وقد وعدهم الله مغفرة واجرا عظيما ووعد الله
حق وصدق لا يخلف ولا مبدل لكلماته وهو السميع العليم ومن في قوله منهم لبيان الجنس

واختلف في تعريف الصحابي فقيل من صحب النبي صلى الله عليه وسلم او رآه من المسلمين واليه ذهب البخاري وسبقه اليه شيخه ابن المديني وعبارته كما قال شيخنا من صحب النبي صلى الله عليه وسلم او رآه ولو ساعة من نهار فهو من اصحابه انتهى وهذا هو الراجح والتقييد بالاسلام يخرج من صحبه او رآه من الكفار ولو اتفق اسلامه بعد موته لكن يرد على التعريف من صحبه او رآه مؤمنا به ثم ارتد بعد ذلك ولم يعد الى الاسلام كعبيد الله بن جحش فانه ليس بصحابي اتفاقا وكذلك ابن خطل وربيعة بن امية ابن خلف الجمحي وهو ممن اسلم في الفتح وشهد حجة الوداع وحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته ثم لحقه الخذلان والعياذ بالله في خلافة عمر فلحق بالروم وتنصر بسبب شيء اغضبه وقد اخرج له احمد في مسنده واخراجه له مشكل ولعله لم يقف على قصة ارتداده فينبغي ان يزاد في التعريف ومات على ذلك فلو ارتد ثم عاد الى الاسلام لكنه لم ير النبي صلى الله عليه وسلم ثانيا بعد عوده فالصحيح انه معدود في الصحابة لاطباق المحدثين على عد الاشعث بن قيس ونحوه ممن وقع له ذلك واخراجهم احاديثهم في المسانيد لكن قال الحافظ زين الدين العراقي ان في ذلك نظرا كبيرا فان الردة محبطة للعمل عند ابي حنيفة ونص عليه الشافعي في الام وان كان الرافعي قد حكى عنه انها انما تحبط بشرط اتصالها بالموت وحينئذ فالظاهر انها محبطة للصحبة المتقدمة اما من رجع الى الاسلام في حياته صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن ابي سرح فلا مانع من دخوله في الصحبة بدخوله الثاني في الاسلام وهل يشترط في الرائي ان يكون بحيث يميز ما رآه او يكتفي بمجرد حصول الرؤية قال الحافظ ابن حجر محل نظر وعمل من صنف في الصحابة يدل على الثاني فانهم ذكروا مثل محمد بن ابي بكر الصديق وانما ولد قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بثلاثة اشهر وايام كما ثبت في الصحيح ان امه اسماء بنت عميس ولدته في حجة الوداع قبل ان تدخل مكة وذلك في اواخر ذي القعدة سنة عشر من الهجرة ومنهم من بالغ فكان لا يعد في الصحابة الا من صحب الصحبة العرفية وروي عن سعيد بن المسيب انه كان لا يعد في الصحابة الا من اقام مع النبي صلى الله عليه وسلم سنة فصاعدا او غزا معه غزوة فصاعدا والعمل على خلاف هذا القول ومنهم من اشترط في ذلك ان يكون حين اجتماعه به بالغا وهو مردود ايضا لانه يخرج مثل الحسن بن علي ونحوه من احداث الصحابة واما التقييد بالرؤية فالمراد به عند عدم المانع منها كابن ام مكتوم الاعمى فهو صحابي جزما فالاحسن ان يعبر باللقي بدل الرؤية قال الحافظ زين الدين العراقي وظاهر من راى النبي هل المراد رآه في حال نبوته او اعم من ذلك حتى يدخل من رآه قبل النبوة ومات قبل النبوة على دين الحنيفية كزيد بن عمرو بن نفيل فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم انه يبعث امة وحده وقد ذكره في الصحابة ابو عبد الله بن منده وكذلك لو رآه قبل النبوة ثم غاب عنه وعاش الى بعد البعثة واسلم ثم مات ولم يره ولم ار من تعرض لذلك ويدل على ان المراد رآه بعد نبوته انهم ترجموا في الصحابة لمن ولد للنبي صلى الله عليه وسلم كابراهيم وعبد الله

اعصه

حالة

ومن
الصحابة

ولم يترجموا لمن ولد قبل النبوة ومات قبلها كالقاسم انتهى وهل يختص جميع ذلك ببني آدم ام يعم غيرهم من العقلاء محل نظر اما الجن فالراجح دخولهم لان النبي صلى الله عليه وسلم بعث اليهم قطعا وهم مكلفون فيهم العصاة والطايعون فمن عرف اسمه منهم لا ينبغي التردد في ذكره في الصحابة وان كان ابن الاثير عاب على ابي موسى فلم يستند في ذلك الى حجة واما الملايكة فيتوقف عدهم في ذلك على ثبوت البعثة اليهم فان فيه خلافا بين الاصوليين حتى نقل بعضهم الاجماع على ثبوته وعكس بعضهم وهذا كله فيمن رآه في قيد الحيوة الدنيوية اما من رآه بعد موته وقبل دفنه فالراجح انه ليس صحابيا والا لعد من اتفق انه يرى جسده المكرم وهو في قبره المعظم ولو في هذه الاعصار وكذلك من كشف له من الاولياء عنه صلى الله عليه وسلم فرآه كذلك على طريق الكرامة كما قدمت مباحثه في خصوصياته عليه السلام من المقصد الرابع اذ حجة من اثبت الصحبة لمن رآه قبل دفنه انه مستمر الحيوة وهذه الحيوة ليست دنيوية وانما هي اخروية لا تتعلق بها احكام الدنيا واما من رآه في المنام وان كان قد رآه حقا فذلك فيما يرجع الى الامور المعنوية لا الاحكام الدنيوية فلذلك لا يعد صحابيا ولا يجب عليه ان يعمل بما امره به في تلك الحالة وقد اجمع جمهور العلماء من السلف والخلف على انهم خير خلق الله وافضلهم بعد النبيين وخواص الملايكة المقربين لما روى البخاري من حديث عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم وفي حديث عمران فلا ادري اذكر بعد قرنه مرتين او ثلاثا قال في فتح الباري والقرن اهل زمان واحد متقارب اشتركوا في امر من الامور المقصودة ويطلق على مدة من الزمان واختلفوا في تحديدها من عشرة اعوام الى مائة وعشرين لكن لم ار من صرح بالتسعين ولا بمائة وعشرة وما عدا ذلك فقد قال به قايل وقال صاحب المحكم هو القدر المتوسط من اعمار اهل كل زمن وهذا اعدل الاقوال والمراد بقرن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الصحابة وتقدم في اول المقصد الاول حديث بعثت من خير قرون بني آدم وفي رواية بريدة عند احمد خير هذه الامة القرن الذي بعثت فيهم وقد ضبط الايمة من الغلط آخر من مات من الصحابة على الاطلاق بلا خلاف ابو الطفيل عامر بن واثلة الليثي كما جزم به مسلم في صحيحه وكان موته سنة مائة على الصحيح وقيل سنة سبع ومائة وقيل سنة عشر ومائة وهو الذي صححه الذهبي وهو مطابق لقوله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بشهر على راس مائة سنة لا يبقى على وجه الارض ممن هو عليها اليوم احد وفي رواية مسلم ارايتكم ليلتكم هذه فانه ليس من نفس منفوسة ياتي عليها مائة سنة واما ما ذكره عكراش ابن ذويب عاش بعد يوم الجمل مائة سنة فذاك غير صحيح وان صح حملناه على انه استكمل المائة بعد الجمل لا انه بقي بعدها مائة سنة كما نص عليه الايمة واما ما ذكره بعضهم من امر بابا رتن ونحوه فان ذلك لا يروج على من له ادنى مسكة من العقل كما قاله الايمة واما آخر الصحابة موتا بالاضافة الى النواحي فقد افردهم ابن منده واما قوله ثم الذين يلونهم فهم اهل القرن الذي بعدهم وهم التابعون ثم الذين يلونهم وهم اتباع التابعين واقتضى هذا الحديث ان تكون الصحابة افضل من التابعين والتابعون افضل من اتباع

عمران بن حصين ... انتهى قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ... قال
ثم الذين يلونهم صح

التابعين لكن هل هذه الفضيلة بالنسبة الى المجموع او الافراد والذي ذهب اليه
ابن عبد البر هو الاول كما قدمت ذلك في خصايص هذه الامة من المقصد الرابع واحتج له
بسوي ما تقدم من حديث مثل امتي مثل المطر لا يدري اخره خير ام اوله قال الحافظ ابن حجر
وهو حديث حسن له طرق وقد يرتقي بها الى درجة الصحة وقد روى ابن ابي شيبة
من حديث عبد الرحمن بن جبير بن نفير احد التابعين باسناد حسن قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليدركن المسيح اقواما انهم لمثلكم او خير ثلاثا ولن يخزي الله امة
انا اولها والمسيح اخرها وروى ابو داود والترمذي من حديث ابي ثعلبة رفعه
تاتي ايام للعامل فيهن اجر خمسين قيل منهم او منا يا رسول الله قال بل منكم وهو شاهد
لحديث مثل امتي مثل المطر لكن حديث للعامل منهم اجر خمسين منكم لا يدل على افضلية
غير الصحابة على الصحابة لان مجرد زيادة الاجر لا يستلزم ثبوت الافضلية المطلقة
وايضا الاجر انما يقع تفاضله بالنسبة الى ما يماثله في ذلك العمل فاما ما فاز به من شاهد
النبي صلى الله عليه وسلم من فضيلة المشاهدة فلا يعدله فيها احد ولا ريب ان من
قاتل معه او في زمانه بامره او انفق شيا من ماله لا يعدله احد في الفضل بعد
كائنا من كان قال الله تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة
من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكذلك من ضبط الشرع المتلقى عنه وبلغه لمن بعده
فيحمل النزاع بمحض فيمن لم يحصل له الا مجرد المشاهدة وقد ظهر انه فاز بالمرتبة به
من لم يحصل له ذلك وبهذا امكن تاويل الاحاديث المتقدمة ثم ان الصحابة على ثلاث اصناف
الاول المهاجرون الثاني الانصار وهم الاوس والخزرج وحلفاؤهم ومواليهم الثالث
من اسلم يوم الفتح قال ابن الاثير في الجامع والمهاجرون افضل من الانصار وهذا على
سبيل الاجمال واما على سبيل التفصيل فان جماعة من سباق الانصار افضل من جماعة
من متاخري المهاجرين واما سباق المهاجرين فافضل من سباق الانصار ثم هم بعد ذلك متفاوتون
فرب متاخر في الاسلام افضل من متقدم عليه مثل عمر بن الخطاب وبلال بن رباح وقد ذكر
العلماء للصحابة ترتيبا على طبقات وممن قسمهم كذلك الحاكم في علوم الحديث الطبقة الاولى
قوم اسلموا بمكة اول البعث وهم سباق المسلمين مثل خديجة بنت خويلد وعلي بن ابي
طالب وابي بكر الصديق وزيد بن حارثة وبقية العشرة وقد تقدم الخلاف في اول
من اسلم في المقصد الاول الطبقة الثانية اصحاب دار الندوة بعد اسلام عمر
ابن الخطاب حمل النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين الى دار الندوة فاسلم لذلك
جماعة من اهل مكة الطبقة الثالثة الذين هاجروا الى الحبشة فرارا بدينهم من اذى
المشركين اهل مكة منهم جعفر بن ابي طالب وابو سلمة بن عبد الاسد الطبقة
الرابعة اصحاب العقبة الاولى وهم سباق الانصار الى الاسلام وكانوا ستة
واصحاب العقبة الثانية من العام المقبل وكانوا اثني عشر وقد تقدمت اسماء اهل
العقبتين في المقصد الاول الطبقة الخامسة اصحاب العقبة الثالثة
وكانوا سبعين من الانصار منهم البراء بن معرور وعبد الله بن عمرو بن حرام وسعد

ابن

ابن عبادة وسعد بن الربيع وعبد الله بن رواحة الطبقة السادسة المهاجرين
الذين وصلوا الى النبي صلى الله عليه وسلم بعد هجرته وهو بقبا قبل ان يبني المسجد
وينتقل الى المدينة الطبقة السابعة اهل بدر الكبرى قال صلى الله عليه وسلم
لعمر في قصة حاطب بن ابي بلتعة وما يدريك لعل الله اطلع على هذه العصابة من اهل
بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم رواه مسلم الطبقة الثامنة الذين
هاجروا بين بدر والحديبية الطبقة التاسعة اهل بيعة الرضوان الذين
بايعوا بالحديبية تحت الشجرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار
ان شاء الله من اصحاب الشجرة احد رواه مسلم الطبقة العاشرة الذين هاجروا
بعد الحديبية وقبل الفتح كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص ومثل بعضهم بابي هريرة
لكن قال الحافظ الزين العراقي لا يصح التمثيل به فانه هاجر قبل الحديبية عقب خيبر
بل في اوايلها الطبقة الحادية عشر الذين اسلموا يوم الفتح وهم خلق كثير
فمنهم من اسلم طايعا ومنهم من اسلم كارها ثم حسن اسلام بعضهم والله اعلم بهم الطبقة
الثانية عشر صبيان ادركوا النبي صلى الله عليه وسلم وراوه يوم الفتح وبعده
في حجة الوداع وغيرها كالسايب بن يزيد ثم انقطعت الهجرة بعد الفتح على الصحيح
من الاقوال واما عدة اصحابه صلى الله عليه وسلم فمن رام حصر ذلك رام امرا
بعيدا ولا يعلم حقيقة ذلك الا الله تعالى لكثرة من اسلم من اول البعثة الى ان مات
النبي صلى الله عليه وسلم وتفرقهم في البلدان والبوادي وقد روى البخاري ان كعب
ابن مالك قال في قصة تخلفه عن غزوة تبوك واصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم كثير لا يجمعهم كتاب حافظ يعني الديوان لكن قد جا ضبطهم في بعض مشاهده كتبوك
وقد ورد انه سار عام الفتح في عشرة الاف وفي الاكليل اثنا عشر الفا من المقاتلة والى
حنين في اثني عشر الفا والى حجة الوداع في تسعين الفا وقد روي انه قبض عن مائة الف
واربعة وعشرين الفا والله اعلم بحقيقة ذلك ثم انه افضلهم على الاطلاق عند اهل السنة
اجماعا ابو بكر ثم عمر رضي الله عنهما عن ابن عمر قال كنا نخير بين الناس في زمان رسول الله
فنخير ابا بكر ثم عمر ثم عثمان بن عفان رواه البخاري وفي رواية عبيد الله بن عمر عن نافع
كنا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نعدل بابي بكر احدا ثم عمر ثم عثمان ثم نترك
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فلا نفاضل بينهم رواه البخاري ايضا وقوله لا نعدل
بابي بكر اي لا نجعل له مثلا ولابي داود من طريق سالم عن ابن عمر كنا نقول ورسول الله
صلى الله عليه وسلم حي افضل امة النبي صلى الله عليه وسلم بعده ابو بكر ثم عمر ثم عثمان
زاد الطبراني في رواية فيسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فلا ينكره وروى
خيثمة بن سليمان في فضايل الصحابة من طريق سهيل بن ابي صالح عن ابيه عن ابن عمر
كنا نقول اذا ذهب ابو بكر وعمر وعثمان استوى الناس فيسمع النبي صلى الله عليه وسلم
ذلك فلا ينكره وفي ذلك تقديم عثمان بعد ابي بكر وعمر واهل السنة على ان عليا بعد عثمان
وذهب بعض السلف الى تقديم علي على عثمان وممن قال به سفيان الثوري وقيل لا يفضل احد

خرجا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم

والى تبوك في سبعين الفا
وقيل مائة الف وارجعين الفا

لعله دار الخيزران بالصفا

علي الآخر ونقل ذلك عن مالك في المدونة وتبعه جماعة منهم يحيى بن القطان وقال ابن
معين من قال ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وعرف لعلي سابقته وفضله فهو صاحب سنة
ولا شك ان من اقتصر على عثمان ولم يعرف لعلي فضله فهو مذموم وقد ادعى ابن
عبد البر ان حديث الاقتصار على الثلاثة ابي بكر وعمر وعثمان خلاف قول اهل السنة
ان عليا افضل الناس بعد الثلاثة وتعقب بانه لا يلزم من سكوتهم اذ ذاك عن تفضيله
عدم تفضيله فالمقطوع به بين اهل السنة والجماعة بافضلية ابو بكر ثم عمر ثم اختلفوا
فيمن بعدهما فالجمهور على تقديم عثمان وعن مالك الوقف والمسئلة اجتهادية ومستندها
ان هؤلاء الاربعة اختارهم الله لخلافة نبيه واقامة دينه فمنزلتهم عنده بحسب
ترتيبهم في الخلافة وقال الامام ابو منصور البغدادي اصحابنا مجمعون على ان افضلهم
الخلفاء الاربعة ثم الستة تمام العشرة يعني طلحة والزبير وسعدا وسعيدا وعبد الرحمن
ابن عوف وابا عبيدة عامر بن الجراح وقد روى الترمذي عن سعيد بن زيد انه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة في الجنة ابو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعلي والزبير [وعثمان في الجنة صح]
وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وابو عبيدة بن الجراح وسعد بن ابي وقاص وعد هؤلاء التسعة
وسكت عن العاشر فقال القوم ننشدك الله من العاشر قال نشدتموني بالله سعيد بن زيد
في الجنة يعني نفسه وعن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه انه خرج الى المسجد فسأل كان النبي
صلى الله عليه وسلم فقالوا اوجه ههنا فخرجت في اثره حتى دخل بئر اريس فجلست عند الباب [عن صح]
وبابها من جريد حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته فتوضأ فقمت اليه فاذا هو
جالس على بئر اريس وتوسط قفها فجلست عند الباب فقلت لاكونن بوابا للنبي صلى الله عليه
وسلم اليوم فجاء ابو بكر فدفع الباب فقلت من هذا فقال ابو بكر فقلت على رسلك ثم ذهبت
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت هذا ابو بكر يستأذن فقال ائذن له وبشره
بالجنة فاقبلت حتى قلت لابي بكر ادخل ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبشرك بالجنة
فدخل ابو بكر فجلس عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم معه في القف ودلى رجليه
في البئر كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكشف عن ساقيه ثم رجعت فجلست
وقد تركت اخي يتوضأ ويلحقني فقلت ان يرد الله بفلان خيرا يريد اخاه يأت به فاذا انسان
يحرك الباب فقلت من هذا فقال عمر بن الخطاب فقلت على رسلك ثم جئت الى النبي صلى الله عليه
وسلم فقلت هذا عمر بن الخطاب يستأذن فقال ائذن له وبشره بالجنة فجئت وقلت
ادخل ويبشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة فجلس مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم في القف عن يساره ودلى رجليه في البئر فرجعت فجلست وقلت ان يرد الله
بفلان خيرا يأت به فجاء انسان فحرك الباب فقلت من هذا فقال عثمان فقلت على رسلك [بن عفان صح]
وجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال ائذن له وبشره بالجنة
على بلوى تصيبه فجئت فقلت ادخل ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبشرك بالجنة
على بلوى تصيبك فدخل فوجد القف قد ملئ فجلس وجاهه من الشق الآخر قال شريك
قال سعيد بن المسيب فأولتها قبورهم رواه احمد ومسلم وابو حاتم واخرجه البخاري

واخرج

واخرج ابو داود نحوه عن ابي سلمة عن نافع عن عبد الحارث الخزاعي قال دخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم حائطا من حوائط المدينة فقال لبلال امسك علي الباب فجاء ابو بكر
يستأذن فذكر نحوه قال الطبري وفي حديث ان نافع بن الحارث هو الذي كان يستأذن
وهذا يدل على تكرر القصة لكن صوب الحافظ شيخ الاسلام بن حجر عدم التعدد وان هذا
عن ابي موسى ووهم القول بغيره وما انشد للقشيري شعر حيث قال

لقد بشر الهادي من الصحب زمرة ... بجنات عدن كلهم فضله اشتهر
سعيد زبير سعد طلحة عامر ... ابو بكر عثمان بن عوف علي عمر

ولابي الوليد بن الشحنة

اسامي عشر رسول الله بشرهم ... بجنة الخلد عمن زانها وعمر
سعد سعيد علي عثمان طلحة ابو ... بكر ابن عوف ابن جراح الزبير عمر

فان قلت من اعتقد في الخلفاء الاربعة الافضلية على الترتيب المعلوم ولكن محبته
لبعضهم تكون اكثر هل يكون اثما به ام لا اجاب الشيخ الولي العراقي ان المحبة
قد تكون لامر ديني وقد تكون لامر دنيوي فالمحبة الدينية لازمة للافضلية فمن كان
افضل كانت محبتنا الدينية له اكثر فمتى اعتقدنا في واحد منهم انه افضل ثم احببنا غيره
من جهة الدين اكثر كان تناقضا نعم ان احببنا غير الافضل اكثر من محبة الافضل لامر دنيوي
كقرابة واحسان ونحوه فلا تناقض في ذلك ولا امتناع فمن اعترف بان افضل هذه
الامة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي لكنه احب عليا اكثر
من ابي بكر مثلا فان كانت المحبة المذكورة محبة دينية فلا معنى لذلك اذ المحبة
الدينية لازمة للافضلية كما قررناه وهذا لم يعترف بافضلية ابي بكر الا بلسانه
واما بقلبه فهو مفضل لعلي لكونه احبه محبة دينية زائدة على محبة ابي بكر وهذا
لا يجوز وان كانت المحبة المذكورة محبة دنيوية لكونه من ذرية علي ولغير ذلك من
المعاني فلا امتناع فيه والله اعلم انتهى وقد روى الطبري في الرياض وعزاه للملا
في سيرته عن انس مرفوعا ان الله افترض عليكم حب ابي بكر وعمر وعثمان وعلي
كما افترض الصلاة والزكاة والصوم والحج فمن انكر فضلهم فلا تقبل منه الصلاة ولا
الزكاة ولا الصوم ولا الحج واخرج الحافظ السلفي في مشيخته من حديث
انس مرفوعا حب ابي بكر واجب على امتي واخرج الانصاري عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال يا ابا بكر ليت اني لقيت اخواني فقال ابو بكر يا رسول الله نحن اخوانك
قال لا انتم اصحابي اخواني الذين لم يروني وصدقوا بي واحبوني حتى اني لاحب
الى احدهم من ولده ووالده قالوا يا رسول الله انا نحن اخوانك قال لا انتم اصحابي الا تحب
يا ابا بكر قوما احبوك بحبي اياك قال فاحبهم ما احبوك بحبي اياك فمحبة من احبه الرسول
عليه السلام كآل بيته واصحابه رضي الله عنهم علامة على محبة رسول الله صلى الله
عليه وسلم كما ان محبته عليه السلام علامة على محبة الله تعالى وكذلك عداوة من عاداهم
وبغض من ابغضهم وسبهم فمن احب شيئا احب من يحب وابغض من يبغض قال الله

تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله فالنبي
عليه الصلاة والسلام واصحابه وأولاده وأزواجه من الواجبات المتعينات وبغضهم
من الموبقات المهلكات ومن محبتهم وجوب توقيرهم وبرهم والقيام بحقوقهم والاقتداء
بهم بأن يمشي على سننهم وآدابهم وأخلاقهم والعمل بأقوالهم مما ليس للعقل فيه مجال وحسن
الثناء عليهم بأن يذكروا بأوصافهم الجميلة على قصد التعظيم فقد اثنى عليهم الله تعالى في الكتاب
المجيد ومن اثنى الله عليه فهو واجب الثناء والاستغفار لهم قالت عائشة أمروا أن
يستغفروا لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبوهم رواه مسلم وقال سهل
المستغفر لهم عائدة عليه قال سهل بن عبد الله التستري لم يؤمن بالرسول صلى الله
عليه وسلم من لم يوقر أصحابه ولم يعز أوامره ومما يجب أيضا الإمساك عما شجر بينهم
أي وقع بينهم من الاختلاف والاضطراب عن أخبار المؤرخين وجهلة الرواة وضلال
الشيعة والمبتدعين القادحة في أحد منهم قال صلى الله عليه وسلم إذا ذكر أصحابي
فأمسكوا رواه وأن يلتمس لهم مما نقل من ذلك فيما كان بينهم من الفتن
أحسن التأويلات ويخرج لهم أصوب المخارج إذ هم أهل ذلك كما هو مشهور في مناقبهم
ومعدود من مآثرهم مما يطول إيراد بعضه وما وقع بينهم من المنازعات والمحاربات
فله محامل وتأويلات فسبهم والطعن فيهم إذا كان مما يخالف الأدلة القطعية ككفر
كقذف عائشة رضي الله عنها وإلا فبدعة وفسق قال عليه الصلاة والسلام يا أيها الناس
احفظوني في أحبابي وأصهاري وأصحابي لا يطالبنكم الله بمظلمة أحد منهم فإنها ليست
مما يوهب رواه الخلعي وقال عليه الصلاة والسلام الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا
من بعدي من أحبهم فقد أحبني ومن أبغضهم فقد أبغضني ومن آذاهم فقد آذاني
ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه رواه الخلعي والذهبي
وهذا الحديث كما قال بعضهم خرج مخرج الوصية بأصحابه على طريق التأكيد والترغيب
في حبهم والترهيب عن بغضهم وفيه إشارة إلى أن حبهم من الإيمان وبغضهم كفر لأنه إذا كان
بغضهم بغضه كان كفرا بلا نزاع للحديث السابق لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه
من نفسه وهذا يدل على كمال قربهم منه بتنزيلهم منزلة نفسه حتى كأن أذاهم واقع عليه
وواصل إليه صلى الله عليه وسلم والغرض الهدف الذي يرمى فيه فهو نهي عن رميهم
كالغرض أي لا تتخذوهم غرضا ترموهم بالكلام كما يرمى الهدف بالسهام وفي رواية ذلك يتخذ بالحرم الله منه وما ذاك إلا لشدة الحرمة وروي مرفوعا من سب أحدا
من أصحابي فاجلدوه أخرجه تمام في فوائده وقال مالك بن أنس وغيره فيما ذكره القاضي
عياض من أبغض الصحابة فليس له في فيء المسلمين حق قال ونزع بآية الحشر والذين
جاؤوا من بعدهم وقال من غاظه أصحاب محمد فهو كافر قال تعالى ليغيظ بهم الكفار والله أعلم

المقصد الثامن في طبه صلى الله عليه وسلم لذوي الأمراض

وتعبيره الرؤيا وإنبائه بالأنباء المغيبات اعلم أنه لا سبيل لأحد إلى الإحاطة بنقطة
من بحار معارفه أو قطرة مما أفاضه الله تعالى عليه من سحائب عوارفه وأنت إذا تأملت
ما منحه الله تعالى به من جوامع الكلم وخصه به من بدائع الحكم وحسن سيرته وحكم حديثه

وإنبائه بأنباء القرون السالفة والأمم البائدة والشرائع الدائرة كقصص الأنبياء مع قومهم
وخبر موسى مع الخضر ويوسف مع إخوته وأصحاب الكهف وذي القرنين وأشباه ذلك
وبدء الخلق وأخبار الدار الآخرة ومما في التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وموسى
وإظهاره أحوال الأنبياء وأممهم وأسرار علومهم ومستودعات سيرهم وإعلامه بمكتوم شرائعهم
ومضمنات كتبهم وغير ذلك مما صدقه فيه العلماء بها ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها
بل أذعنوا لذلك فضلا عما أفاضه من العلم ومحاسن الآداب والشيم والمواعظ والحكم
والتنبيه على طرق الحجج العقليات والرد على فرق الأمم ببراهين الأدلة الواضحات إلى فنون
العلوم التي اتخذ أهلها كلامه فيها قدوة وإشاراته حجة كاللغة والمعاني والبيان والعربية
وقوانين الأحكام الشرعية والسياسات العقلية ومعارف عوارف الحقائق القلبية
إلى غير ذلك من ضروب العلوم وفنون المعارف الشاملة لمصالح أمته كالطب والعبادة
والحساب وغير ذلك مما لا يعد ولا يحد فتيقنت بأن مجال هذا الباب في حقه عليه السلام
ممتد ينقطع دون نفاده الأدلاء وأن بحر علمه ومعارفه زاخر لا تكدره الدلاء وهذا
المقصد أعزك الله يشتمل على ثلاثة فصول

الفصل الأول

في طبه صلى الله عليه وسلم لذوي الأمراض والعاهات اعلم أنه قد ثبت أنه صلى الله
عليه وسلم كان يعود من مرض من أصحابه حتى لقد عاد غلاما كان يخدمه من أهل
الكتاب وعاد عمه وهو مشرك وعرض عليهما الإسلام فأسلم الأول وكان يهوديا
كما روى البخاري وأبو داود من حديث أنس أن غلاما من اليهود كان يخدم النبي صلى
الله عليه وسلم فمرض فعاده صلى الله عليه وسلم فقعد عند رأسه فقال أسلم
فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال أطع أبا القاسم فأسلم فخرج صلى الله عليه وسلم
وهو يقول الحمد لله الذي أنقذه من النار وكان صلى الله عليه وسلم يدنو من المريض
ويجلس عند رأسه ويسأل عن حاله ويقول كيف تجدك وفي حديث جابر عند البخاري
ومسلم والترمذي وأبي داود قال مرضت فأتاني رسول الله صلى الله عليه
وسلم يعودني وأبو بكر وهما ماشيان فوجداني أغمي علي فتوضأ النبي صلى الله عليه
وسلم ثم صب وضوءه علي فأفقت فإذا النبي صلى الله عليه وسلم وعند أبي داود
فنفخ في وجهي فأفقت وفيه أنه صلى الله عليه وسلم قال يا جابر لا أراك ميتا من وجعك
هذا وفي حديث أبي موسى عند البخاري مرفوعا أطعموا الجائع وعودوا المريض وذكره
الكاني وعنده من رواية البراء أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع وذكر منها
عيادة المريض وعند مسلم خمس تجب للمسلم على المسلم فذكرها منها قال ابن بطال
يحتمل أن يكون الأمر على الوجوب بمعنى الكفاية كإطعام الجائع وفك الأسير ويحتمل أن يكون
للندب على التواصل والألفة وعن الطبري يتأكد في حق من ترجى بركته ويسن فيمن يراعي
حاله ويباح فيما عدا ذلك واستدل بعموم قوله عودوا المريض على مشروعية العيادة
في كل مرض لكن استثنى بعضهم الأرمد لكون عائده يرى ما لا يراه هو ورد بأنه قد جاء
في عيادة الأرمد بخصوصها حديث زيد بن أرقم قال عادني رسول الله صلى الله عليه

وسلم من وجع كان بعيني رواه ابو داود وصححه الحاكم واما ما أخرجه البيهقي والطبراني مرفوعا ثلاثة لا يعاد صاحبهن الرمد والدمل والضرس فصحح البيهقي انه موقوف على يحيى ابن ابي كثير ويوخذ من اطلاقه ايضا عدم التقييد بزمان يمضي من ابتداء مرضه وهو قول الجمهور وجزم الغزالي في الاحياء بانه لا يعاد الا بعد ليال ثلاث واستند الى حديث اخرجه ابن ماجه عن انس كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يعود مريضا الا بعد ثلاثة وهذا حديث ضعيف تفرد به مسلمة بن علي وهو متروك وقال ابو حاتم هو حديث باطل ولا نطيل بايراد ما ورد في فضل العيادة ويكفي حديث ابي هريرة مما حسنه الترمذي مرفوعا من عاد مريضا ناداه مناد من السماء طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا لهذا لفظ ابن ماجه وفي سنن ابي داود عن انس مرفوعا من توضأ فاحسن الوضوء وعاد اخاه المسلم محتسبا بوعد من جهنم مسيرة سبعين خريفا وفي حديث ابي سعيد عند ابن حبان في صحيحه مرفوعا خمس من عملهن في يوم كتبه الله من اهل الجنة من عاد مريضا وشهد جنازة وصام يوما وراح الى المسجد (الجمعة) واعتق رقبة وعند احمد عن كعب مرفوعا من عاد مريضا خاض في الرحمة فاذا جلس عنده استنقع فيها زاد الطبراني واذا قام من عنده فلا يزال يخوض فيها حتى يرجع من حيث خرج ولم يكن صلى الله عليه وسلم يخص يوما من الايام بعيادة المريض ولا وقتا من الاوقات وترك العيادة يوم السبت مخالف للسنة ابتدعه يهودي طبيب لملك قد مرض والزمه بملازمته فاراد يوم الجمعة ان يمضي لسبته فمنعه فخاف على استحلال سبته ومن سفك دمه فقال له ان المريض لا يدخل عليه يوم السبت فتركه الملك ثم اشيع ذلك فصار كثير من الناس يعتمده ومن الغريب ما نقله ابن الصلاح عن الفراوي ان العيادة تستحب في الشتا ليلا وفي الصيف نهارا وينبغي اجتناب التطبب باعداء الدين من يهودي او نحوه فانه مقطوع بغشه لا سيما ان كان المريض كبيرا في دينه او علمه خصوصا ان كان هذا العدو يهوديا لان قاعدة دينهم ان من نصح منهم مسلما فقد خرج عن دينه وان من استحل السبت فهو مهدر الدم عندهم حلال لهم سفك دمه ولا ريب ان من خاطر بنفسه يخشى عليه ان يدخل في عموم النهي فيمن قتل نفسه بشيء وقد كثر الضرر في هذا الزمن باهل الذمة فلا حول ولا قوة الا بالله والله تعالى يرحم القايل **حيث قال**

لعن النصارى واليهود لانهم ... بلغوا بمكرهم بنا الآمالا
خرجوا اطبا وحسابا لكي ... يتقسموا الارواح والاموالا

وما كان يفعله عليه الصلاة والسلام ويامر به تطييب نفوس المرضى وتقوية قلوبهم ففي حديث ابي سعيد الخدري قال صلى الله عليه وسلم اذا دخلتم على مريض فنفسوا له في اجله فان ذلك يطيب نفسه يريد مثل ان يقول له لا باس عليك طهور ان شاء الله تعالى ووجهك الان حسن وما اشبه ذلك وقد يكون من هذا ان يذكر له الاجر الذي اعده الله عليه في مرضه وان المرض كفارة فربما اصلح ذلك قلبه وامنه

من خوف

ولعل الحكمة في ذلك ان المريض يتضرر بطول الليل في الشتا وبطول النهار في الصيف فيحصل له بالعيادة استرواح

ينبغي اجتناب التطبب باعداء الدين من يهودي او نحوه فانه مقطوع بغشه

من خوف زلل ونحوه وقال بعضهم في هذا الحديث نوع شريف جدا من اشرف انواع العلاج وهو الارشاد الى ما يطيب نفس العليل من الكلام الذي تقوى به الطبيعة وتنبعث به الحرارة الغريزية وتساعد على دفع العلة او تخفيفها الذي هو غاية تاثير الطبيب وفي تفريح نفس المريض وتطييب قلبه وادخال السرور عليه تاثير عجيب في شفاء علته وخفتها فان الارواح والقوى تقوى بذلك فتساعد الطبيعة على دفع الموذي وقد شاهد الناس كثيرا من المرضى تنتعش قواهم بعيادة من يحبونه ويعظمونه ورويتهم لهم ولطفهم بهم ومكالمتهم اياهم قاله في الهدي وكان صلى الله عليه وسلم يسال المريض عن شكواه وكيف يجده وعما يشتهيه فان اشتهى شيئا وعلم انه لا يضره امر له به ويضع يده على جبهته وربما وضعها بين ثدييه ويدعو له ويصف له ما ينفعه في علته وربما توضأ وصب على المريض من وضوئه كما في حديث جابر المتقدم وربما كان يقول للمريض لا باس عليك طهور ان شاء الله وربما كان يقول كفارة وطهور وقالت عايشة كان صلى الله عليه وسلم اذا عاد مريضا يضع يده على المكان الذي يالم ثم يقول بسم الله رواه ابو يعلى بسند حسن واخرج الترمذي من حديث ابي امامة بسند لين رفعه تمام عيادة المريض ان يضع احدكم يده على جبهته فيسال كيف هو وعند ابن السني بلفظ كيف اصبحت او كيف امسيت **واذا علمت هذا** فاعلم ان المرض نوعان مرض القلوب ومرض الابدان فاما طب القلوب ومعالجتها فخاص بما جاء به الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عن ربه تعالى لا سبيل الى حصوله الا من جهته فان صلاح القلوب ان تكون عارفة بربها وفاطرها وباسمايه وصفاته وافعاله واحكامه وان تكون موثرة لرضاه ومحابه متجنبة لمناهيه ومساخطه ولا صحة لها ولا حياة البتة الا بذلك ولا سبيل الى تلقي ذلك الا من جهة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم **واما طب الاجساد** فمنه ما جاء في المنقول عنه صلى الله عليه وسلم ومنه ما جاء عن غيره لانه صلى الله عليه وسلم انما بعث هاديا وداعيا الى الله والى جنته ومعرفا بالله ومبينا للامة مواقع رضاه وامرا لهم بها ومواقع سخطه وناهيا لهم عنها ومخبرهم اخبار الانبياء والرسل واحوالهم مع اممهم واخبار تخليق العالم وامر المبدأ والمعاد وكيفية شقاوة النفوس وسعادتها واسباب ذلك واما طب الاجساد فجاء من تكميل شريعته ومقصودا لغيره بحيث انما يستعمل عند الحاجة اليه فاذا قدر على الاستغناء عنه كان صرف الهمم الى علاج القلوب وحفظ صحتها ودفع اسقامها وحميتها مما يفسدها هو المقصود باصلاح الجسد واصلاح الجسد بدون اصلاح القلب لا ينفع وفساد البدن مع اصلاح القلب مضرته يسيرة جدا وهي مضرة زايلة تعقبها المنفعة الدايمة التامة **واذا علمت هذا** فاعلم ان ضرر الذنوب في القلوب كضرر السموم في الابدان على اختلاف درجاتها في الضرر وهل في الدنيا والاخرة شر وداء الا وسببه الذنوب والمعاصي فللمعاصي من الاثار القبيحة المذمومة والمضرة بالقلب والبدن والدنيا والاخرة ما لا يعلمه الا الله فمنها حرمان العلم فان العلم نور يقذفه الله في القلب والمعصية

ونطفي ذلك النور وللامام الشافعي رضي الله عنه

شكوت الى وكيع سوء حفظي ... فارشدني الى ترك المعاصي

وقال اعلم بان العلم نور ... ونور الله لا يؤتاه عاصي

ومنها حرمان الرزق ففي المسند ان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ومنها وحشة يجدها العاصي في قلبه بينه وبين الله لا يوازنها ولا يقارنها لذة اصلا ومنها تعسير اموره عليه فلا يتوجه لامر الا يجده مغلقا دونه او متعسرا عليه ومنها ظلمة يجدها في قلبه حقيقة يحس بها كما يحس بظلمة الليل البهيم اذا ادلهم وكلما قويت الظلمة ازدادت حيرته حتى يقع في البدع والضلالات والامور المهلكة وهو لا يشعر ثم تقوى هذه الظلمة حتى تعلو الوجه وتصير سوادا فيه يراه كل احد ومنها انها توهن القلب والبدن ومنها حرمان الطاعة وتقصير العمر ومحق البركة ولا يمتنع زيادة العمر ونقصه باسباب وقيل تاثير المعاصي في محق العمر انما هو بان حقيقة الحيوة هي حياة القلب فليس عمر المرء الا اوقات حياته بالله فتلك ساعات عمره فالبر والتقوى والطاعة تزيد في هذه الاوقات التي هي حقيقة عمره ولا عمر له سواها وبالجملة فالعبد اذا اعرض عن الله واشتغل بالمعاصي ضاعت عليه ايام حياته الحقيقية ومنها ان المعصية تورث الذل ومنها انها تفسد العقل فان للعقل نورا والمعصية تطفئ نور العقل ومنها انها تزيل النعم وتحل النقم فما زالت عن العبد نعمة الا بذنب ولا حلت نقمة الا بذنب وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وقد احسن القائل

اذا كنت في نعمة فارعها ... فان المعاصي تزيل النعم

وحطها بطاعة رب العباد ... فرب العباد سريع النقم

ومن عقوباتها انها تستجلب مواد هلاك العبد في دنياه وآخرته فان الذنوب هي امراض متى استحكمت قتلت ولا بد وكما ان البدن لا يكون صحيحا الا بغذاء يحفظ قوته واستفراغ يستفرغ المواد الفاسدة والاخلاط الردية التي متى غلبت عليه افسدته وحمية يمتنع بها من تناول ما يؤذيه ويخشى ضرره فكذلك القلب لا تتم حياته الا بغذاء من الايمان والاعمال الصالحة يحفظ قوته واستفراغ بالتوبة النصوح تستفرغ المواد الفاسدة والاخلاط الردية وحمية توجب له حفظ الصحة وتجنب ما يضادها وهي عبارة عن ترك استعمال ما يضاد الصحة والتقوى اسم متناول لهذه الامور الثلاثة فما فات منها فات من التقوى بقدره واذا تبين هذا فالذنوب مضادة لهذه الامور الثلاثة فانها تستجلب المواد المؤذية وتوجب التخليط المضاد للحمية وتمنع الاستفراغ بالتوبة النصوح فانظر الى بدن عليل قد تراكمت عليه الاخلاط ومواد المرض وهو لا يستفرغها ولا يحتمي لها كيف تكون صحته وبقاؤه وقد احسن القائل حيث قال

جسمك بالحمية حصنته ... مخافة من الم طاري

وكان اولى بك ان تحتمي ... عن المعاصي خشية النار

فمن حفظ القوة بامتثال الاوامر واستعمل الحمية باجتناب النواهي واستفرغ التخاليط بالتوبة النصوح لم يدع للخير مطلبا ولا للشر مهربا وفي حديث انس الا ادلكم على دائكم

ودوائكم الا ان داءكم الذنوب ودواءكم الاستغفار فقد ظهر لك ان طب القلوب ومعالجتها لا سبيل الى معرفته الا من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم بواسطة الوحي

واما طب الاجساد فغالبه يرجع الى التجربة ثم هو نوعان نوع لا يحتاج الى فكر ونظر بل فطر الله على معرفته الحيوانات مثل ما يدفع الجوع والعطش والبرد والتعب وهذا لا يحتاج فيه الى معالجة طبيب ونوع يحتاج الى الفكر والنظر كدفع ما يحدث في البدن مما يخرجه عن الاعتدال وهو اما الى حرارة او برودة وكل منهما اما الى رطوبة او يبوسة او الى ما يتركب منهما وغالب ما يقاوم الواحد منها بضده والدفع قد يقع من خارج البدن وقد يقع من داخله وهو اعسرهما والطريق الى معرفته بتحقيق السبب والعلامة فالطبيب الحاذق هو الذي يسعى في تفريق ما يضر بالبدن جمعه او عكسه وفي تنقيص ما يضر بالبدن زيادته او عكسه ومدار ذلك على ثلاثة اشياء حفظ الصحة والاحتماء عن المؤذي واستفراغ المادة الفاسدة وقد اشير الى الثلاثة في القرآن

فالاول في قوله تعالى فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر وذلك ان السفر مظنة التعب وهو من مغيرات الصحة فاذا وقع فيه الصيام ازداد فابيح الفطر وكذلك القول في المرض والثاني وهو الحمية من قوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم فانه استنبط منه جواز التيمم عند خوف استعمال الماء البارد وقال تعالى في آية الوضوء وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فاباح للمريض العدول عن الماء الى التراب حمية له ان يصيب جسده ما يؤذيه وهو تنبيه على الحمية عن كل مؤذ له من داخل او خارج والثالث من قوله تعالى او به اذى من راسه ففدية فانه اشير بذلك الى جواز حلق الراس الذي منع منه المحرم لاستفراغ الاذى الحاصل من البخار المحتقن في الراس تحت الشعر لانه اذا حلق راسه تفتحت المسام فخرجت تلك الابخرة منها فهذا الاستفراغ يقاس عليه كل استفراغ يؤذي انحباسه فقد ارشد سبحانه وتعالى عباده الى اصول الطب الثلاثة ومجامع قواعده وفي الصحيحين من حديث عطاء عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انزل الله

نحو
بلفظ ان الله لم ينزل

داء الا انزل له شفاء واخرجه النسائي وصححه ابن حبان والحاكم عن ابن مسعود بلفظ ان الله لم ينزل داء الا انزل له شفاء فتداووا وعند احمد من حديث انس ان الله حيث خلق الداء خلق الدواء فتداووا وعند البخاري في الادب المفرد واحمد واصحاب السنن وصححه الترمذي وابن خزيمة والحاكم عن اسامة بن شريك رفعه تداووا يا عباد الله فان الله لم يضع داء الا وضع له شفاء الا داء واحدا وهو الهرم وفي لفظ الا السام وهو بمهملة مخففا الموت يعني الا داء الموت اي المرض الذي قدر على صاحبه الموت فيه واستثناء الهرم في الرواية الاولى اما لانه جعله شبيها بالموت والجامع بينهما نقص الصحة او لقربه من الموت وافضائه اليه ويحتمل ان يكون الاستثناء منقطعا والتقدير لكن الهرم لا دواء له ولابي داود عن ابي الدرداء رفعه ان الله جعل لكل داء دواء

فتداووا ولا تتداووا بحرام رواه أبو داود وفي البخاري إن الله تعالى لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم
فلا يجوز التداوي بالحرام وروى مسلم عن جابر مرفوعا لكل داء دواء فإذا أصيب
دواء الداء برأ بإذن الله تعالى فالشفاء متوقف على إصابة الدواء الداء بإذن الله
تعالى وذلك أن الدواء قد تحصل معه مجاوزة الحد في الكيفية والكمية فلا ينجع بل
ربما أحدث داء آخر وفي رواية علي عند الحميدي في كتابه المستخرج بطب أهل البيت
ما من داء إلا وله دواء فإذا كان كذلك بعث الله عز وجل ملكا ومعه ستر فجعله
بين الداء والدواء فكلما شرب المريض من الدواء لم يقع على الداء فإذا أراد الله برءه
أمر الملك فرفع الستر ثم يشرب المريض الدواء فينفعه الله تعالى به وفي حديث
ابن مسعود رفعه إن الله لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله
رواه أبو نعيم وغيره وفيه إشارة إلى أن بعض الأدوية لا يعلمها كل أحد وأما قوله
لكل داء دواء فيجوز أن يكون على عمومه حتى يتناول الأدواء القاتلة والأدواء التي لا يمكن لطبيب
معرفتها ويكون الله قد جعل لها أدوية تبرئها ولكن طوى علمها عن البشر ولم يجعل لهم إليها سبيلا
لأنه لا علم للخلق إلا ما علمهم الله ولهذا علق صلى الله عليه وسلم الشفاء على مصادفة الدواء للداء
وقد يقع لبعض المرضى أنه تداوى من دائه فبرئ ثم يعتريه بعد ذلك الداء بعينه
فلا ينجع والسبب في ذلك الجهل بصفة من صفات الدواء فرب مرضين تشابها ويكون
أحدهما مركبا لا ينجع فيه ما ينجع في الذي ليس مركبا فيقع الخطأ من هناك وقد يكون متحدا
لكن يريد الله أن لا ينجع وهنا تخضع رقاب الأطباء وفي مجموع ما ذكرناه من الأحاديث
الإشارة إلى إثبات الأسباب وأن ذلك لا ينافي التوكل كما لا ينافيه دفع الجوع والعطش
بالأكل والشرب وكذلك تجنب المهلكات والدعاء بطلب الشفاء ودفع المضار وغير ذلك
وقد سئل الحارث بن أسد المحاسبي في كتاب القصد من تأليفه هل يتداوى المتوكل
قال نعم قيل له من أين ذلك قال من وجود ذلك عن سيد المتوكلين الذي لم يلحقه
لاحق ولا سبقه في التوكل سابق محمد خير البرية صلى الله عليه وسلم قيل له ما تقول
في خبر النبي صلى الله عليه وسلم من استرقى واكتوى برئ من التوكل قال برئ
من توكل المتوكلين الذين ذكرهم في حديث آخر فقال يدخل الجنة من أمتي سبعون
ألفا بغير حساب وأما سواهم من المتوكلين فمباح لهم الدواء والاسترقاء فجعل المحاسبي
التوكل بعضه أفضل من بعض وقال في التمهيد إنما أراد بقوله برئ من التوكل
إذا استرقى الرقى المكروهة في الشريعة أو اكتوى وهو يعلق رغبته في الشفاء بوجود
الكي وكذلك قوله لا يسترقون الرقى المخالفة للشريعة ولا يكتوون وقلوبهم متعلقة
بنفع الكي ومعرضة عن فضل الله تعالى وأن الشفاء من عنده وأما إذا فعل ذلك
على ما جاء في الشريعة وكان ناظرا إلى رب الدواء وتوقع الشفاء من الله تعالى وقصد بذلك
استعادة بدنه إذا ضعف لله وإتعاب نفسه وكدها في خدمة ربه فتوكله باق على حاله لا ينقص
منه الدواء شيئا استنادا إلى فعل سيد المتوكلين إذ عمل بذلك في نفسه وفي غيره انتهى
فقد تبين أن التداوي لا ينافي التوكل بل لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب

وكدها

التي نصبها الله تعالى مقتضيات لمسبباتها قدرا وشرعا وأن تعطيلها يقدح في نفس التوكل
كما يقدح في الأمر والحكمة وحكى ابن القيم أنه ورد في خبر إسرائيلي أن الخليل عليه السلام
قال يا رب ممن الداء قال مني قال فممن الدواء قال مني قال فما بال الطبيب قال رجل
أرسل الدواء على يديه قال وفي قوله صلى الله عليه وسلم لكل داء دواء تقوية لنفس المريض
والطبيب وحث على طلب ذلك الدواء والتفتيش عليه فإن المريض إذا استشعرت نفسه
أن لدائه دواء يزيله تعلق قلبه بروح الرجاء وبرد من حرارة اليأس وانفتح له باب الرجاء
وقويت نفسه وانبعثت حرارته الغريزية وكان ذلك سببا لقوة الأرواح الحيوانية
والنفسانية والطبيعية ومتى قويت هذه الأرواح قويت القوى التي هي حاملة لها
فقهرت المرض ودفعته انتهى فإن قلت ما المراد بالإنزال في قوله في الأحاديث السابقة
إلا أنزل له دواء وفي الرواية الأخرى شفاء فالجواب أنه يحتمل أن يكون عبر بالإنزال
عن التقدير ويحتمل أن يكون المراد إنزال علم ذلك على لسان الملك للنبي صلى الله عليه
وسلم وأين يقع طب حذاق الأطباء الذي غايته أن يكون مأخوذا من قياس أو منام أو
حدس وتجربة من الوحي الذي يوحيه الله تعالى إلى رسوله صلى الله عليه وسلم
بما ينفعه ويضره فنسبة ما عند حذاق الأطباء من الطب إلى هذا الوحي كنسبة
ما عندهم من العلوم إلى ما جاء به صلى الله عليه وسلم بل ههنا من الأدوية
التي تشفي من الأمراض ما لم يهتد إليه عقول أكابر الأطباء ولم تصل إليها علومهم
وتجربتهم وأقيستهم من الأدوية القلبية والروحانية وقوة القلب واعتماده على الله
تعالى والتوكل عليه والانكسار بين يديه والصدقة والصلاة والدعاء والتوبة
والاستغفار والإحسان إلى الخلق والتفريج عن المكروب فإن هذه الأدوية
قد جربتها الأمم على اختلاف أديانها ومللها فوجدوا لها من التأثير في الشفاء
ما لا يصل إليه علم أعلم الناس من الأطباء وقد جربت ذلك والله مرات فوجدته يفعل
ما لا تفعله الأدوية الحسية ولا ريب أن طب النبي صلى الله عليه وسلم متيقن البرء
لصدوره عن الوحي ومشكاة النبوة وطب غيره أكثره حدس أو تجربة وقد يتخلف الشفاء
عن بعض من يستعمل طب النبوة وذلك لمانع قام بالمستعمل من ضعف اعتقاد
به وتلقيه بالقبول وأظهر الأمثلة في ذلك القرآن الذي هو شفاء لما في الصدور ومع ذلك
فقد لا يحصل لبعض الناس شفاء صدره لقصوره في الاعتقاد والتلقي بالقبول
بل لا يزيد المنافق إلا رجسا إلى رجسه ومرضا إلى مرضه فطب النبوة لا يناسب
إلا الأبدان الطيبة كما أن شفاء القرآن لا يناسب إلا الأرواح الطيبة والقلوب الحية
فإعراض الناس عن طب النبوة كإعراضهم عن الاستشفاء بالقرآن الذي هو الشفاء النافع
وكان علاجه صلى الله عليه وسلم للمرض على ثلاثة أنواع أحدها بالأدوية الإلهية
الروحانية والثاني بالأدوية الطبيعية والثالث بالمركب من الأمرين **النوع الأول**
في طبه عليه السلام اعلم أن الله تعالى لم ينزل من السماء شفاء قط أعم ولا أنفع ولا أعظم
ولا أنجع في إزالة الداء من القرآن فهو للداء شفاء ولصدأ القلوب جلاء قال الله تعالى

بالأدوية الإلهية

وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولفظة من كما قال الامام فخر الدين ليست
للتبعيض بل للجنس والمعنى وننزل من هذا الجنس الذي هو القرآن شفاء من الامراض
الروحانية وشفاء ايضا من الامراض الجسمانية اما كونه شفاء من الامراض الروحانية
فظاهر وذلك لان المرض الروحاني نوعان الاعتقادات الباطلة واشدها فسادا الاعتقادات
الفاسدة في الالهيات والنبوات والمعاد والقضاء والقدر والقرآن مشتمل على دلائل
المذهب الحق في هذه المطالب وابطال المذاهب الباطلة ولما كان اقوى الامراض
الروحانية هو الخطا في هذه المطالب والقرآن مشتمل على الدلائل الكاشفة عما
في هذه المذاهب الباطلة من العيوب لا جرم كان القرآن شفاء من هذا النوع من
المرض الروحاني واما الاخلاق المذمومة فالقرآن مشتمل على تفصيلها وتعريفها
وما فيها من المفاسد والارشاد الى الاخلاق الفاضلة والاعمال المحمودة فكان القرآن
شفاء من هذا النوع من المرض فثبت ان القرآن شفاء من جميع الامراض الروحانية
واما كونه شفاء من الامراض الجسمانية فلان التبرك بقراءته تدفع كثيرا من الامراض واذا
اعتبر الجمهور من الفلاسفة واصحاب الطلسمات بان لقراءة الرقى المجهولة والعزائم
التي لا يفهم منها شيئا آثارا عظيمة في تحصيل المنافع ودفع المفاسد افلا تكون قراءة
القرآن العظيم المشتمل على ذكر جلال الله تعالى وكبريائه وتعظيم الملائكة المقربين
وتحقير المردة والشياطين سببا لحصول النفع في الدين والدنيا ويتايد ما ذكرناه
بما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله ونقل
عن الشيخ ابي القاسم القشيري رحمه الله ان ولده مرض مرضا شديدا حتى اشرف منه
على الموت واشتد عليه الامر قال فرايت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فشكوت اليه
ما بولدي فقال اين انت من آيات الشفاء فانتبهت فافكرت فيها فاذا هي في ستة مواضع
من كتاب الله وهي قوله تعالى ويشف صدور قوم مؤمنين وشفاء لما في الصدور يخرج
من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة
للمؤمنين واذا مرضت فهو يشفين قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء قال فكتبتها
ثم حللتها بالماء وسقيته اياها فكانما نشط من عقال او كما قال وانظر رقية اللديغ
بالفاتحة وما فيها من السر البديع والبرهان الرفيع وتامل قوله عليه السلام في بعض
ادعيته وان تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي وشفاء صدري اي فيكون له بمنزلة
الدواء الذي يستاصل الداء ويعيد البدن الى صحته واعتداله وفي حديث علي عند
ابن ماجه مرفوعا خير الدواء القرآن وها هنا امر ينبغي ان يتفطن له نبه عليه ابن القيم
وهو ان الآيات والاذكار والادعية التي يستشفى بها ويرقى بها هي في نفسها نافعة
شافية ولكن يستدعي قبول المحل وقوة همة الفاعل وتاثيره فمتى تخلف الشفاء كان لضعف
تاثير الفاعل او لعدم قبول المحل المنفعل او لمانع قوي فيه يمنع ان ينجع فيه الدواء كما
يكون ذلك في الادوية الحسية فان عدم تاثيرها قد يكون لعدم قبول الطبيعة لذلك الدواء
وقد يكون لمانع قوي يمنع من اقتضائه اثره فان الطبيعة اذا اخذت الدواء بقبول تام

ابات الشفا

كان

كان انتفاع البدن به بحسب ذلك القبول وكذلك القلب اذا اخذ الرقى والتعاويذ بقبول
تام وكان للراقي نفس فعالة وهمة مؤثرة اثر في ازالة الداء وكذلك الدعاء فانه
من اقوى الاسباب في دفع المكروه وحصول المطلوب ولكن قد يتخلف اثره عنه
اما لضعفه في نفسه بان يكون دعاء لا يحبه الله لما فيه من العدوان واما لضعف
القلب وعدم اقباله على الله وجمعيته عليه وقت الدعاء واما لحصول المانع من الاجابة
من اكل الحرام والظلم ورين الذنوب على القلوب واستيلاء الغفلة والسهو واللهو
وقد روى الحاكم حديث واعلموا ان الله لا يقبل دعاء من قلب غافل لاه وهو من انفع
الادوية الدعاء وهو عدو البلاء يدافعه ويعالجه ويمنع نزوله ويرفعه او يخففه
اذا نزل وهو سلاح المؤمن واذا اجتمع الدعاء حضور القلب والجمعية بالكلية
على المطلوب وصادف وقتا من اوقات الاجابة كثلث الليل الاخير مع الخشوع
والانكسار والذل والتضرع واستقبال القبلة والطهارة ورفع اليدين والبداءة
بالحمد والثناء على الله تعالى والصلاة والتسليم على سيدنا محمد بعد التوبة والاستغفار
والصدقة والالحاح في المسئلة واكثر التملق والدعاء والتوسل اليه باسمائه وصفاته
والتوجه اليه بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فان هذا الدعاء لا يكاد يرد ابدا لا سيما
ان دعا بالادعية التي اخبر صلى الله عليه وسلم انها مظنة الاجابة او انها متضمنة
للاسم الاعظم ولا خلاف في مشروعية الفزع الى الله تعالى والالتجاء اليه في كل
ما ينوب الانسان واما الرقى فاعلم ان الرقى بالمعوذات وغيرها من اسماء الله تعالى
هو الطب الروحاني واذا كان على لسان الابرار من الخلق حصل الشفاء باذن الله تعالى
لكن لما عز هذا النوع فزع الناس الى الطب الجسماني وفي البخاري من حديث
عائشة انه صلى الله عليه وسلم كان ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه
بالمعوذات وهي الفلق والناس والاخلاص فيكون من باب التغليب او المراد الفلق
والناس وكذلك كل ما ورد من التعويذ في القرآن كقوله تعالى وقل رب اعوذ بك من
همزات الشياطين واما ما اخرجه الامام احمد وابو داود والنسائي من حديث ابن مسعود
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكره عشر خصال فذكر منها الرقى الا بالمعوذات
ففي سنده عبد الرحمن بن حرملة قال البخاري لا يصح حديثه وعلى تقدير صحة
حديثه فهو منسوخ بالاذن في الرقية بالفاتحة واما حديث ابي سعيد عند
النسائي كان صلى الله عليه وسلم يتعوذ من الجان وعين الانسان حتى نزلت المعوذتان
فاخذ بهما وترك ما سواهما وحسنه الترمذي فلا يدل على المنع من التعوذ بغيرهما
من السورتين بل على الاولوية ولا سيما مع ثبوت التعوذ بغيرهما وانما اجتزا بهما لما اشتملتا
عليه من جوامع الاستعاذة من كل مكروه جملة وتفصيلا وقد اجمع العلماء على جواز
الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط ان يكون بكلام الله تعالى او باسمائه وصفاته وباللسان
العربي او بما يعرف معناه من غيره وان يعتقد ان الرقية لا تؤثر بذاتها بل بتقدير الله
تعالى واختلفوا في كونها شرطا والراجح انه لا بد من اعتبارها وفي صحيح مسلم من حديث

عوف بن مالك كنا نرقي في الجاهلية فقلنا يا رسول الله كيف ترى في ذلك فقال اعرضوا
علي رقاكم لا بأس بالرقا اذا لم يكن فيها شرك وله من حديث جابر نهى رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن الرقا فجاء آل عمرو بن حزم فقالوا يا رسول الله انه كانت عندنا رقية
نرقي بها من العقرب قال فعرضوا عليه قال ما ارى بأسا من استطاع ان ينفع اخاه
فلينفعه وقد تمسك قوم بهذا العموم فاجازوا كل رقية جربت منفعتها ولو لم يعقل
معناها لكن دل حديث عوف انه مهما كان من الرقا يؤدي الى الشرك يمنع وما لا يعقل
معناه لا يؤمن ان يؤدي الى الشرك فيمنع احتياطا والشرط الاخير لا بد منه وقال
قوم لا يجوز الرقية الا من العين واللدغة لحديث عمران بن الحصين لا رقية الا من عين
او حمة واجيب بان معنى الحصر فيه انهما اصل كلما يحتاج الى الرقية فيلتحق بالعين
جواز من به خبل او مس او نحو ذلك لاشتراكها في كونها ينشآن عن احوال
شيطانية من انس او جن ويلتحق بالسم كل ما عرض للبدن من قرح ونحوه من
المواد السمية وقد وقع عند ابي داود من حديث انس مثل حديث عمران وزاد
او دم وفي مسلم من حديث انس ايضا رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرقا
من العين والحمة والنملة وفي حديث آخر والاذن ولابي داود من حديث الشفا
بنت عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لها الا تعلمين هذه يعني حفصة رقية
النملة والنملة قروح تخرج الى الجنب وغيره من الجسد وقيل المراد بالحصر يعني الافضل
اي لا رقية انفع كما قيل لا سيف الا ذو الفقار وقال قوم المنهي عنه من الرقا ما يكون
قبل وقوع البلاء والمأذون فيه ما كان بعد وقوعه ذكره ابن عبد البر والبيهقي وغيرهما
وروى ابو داود وابن ماجه وصححه الحاكم عن ابن مسعود رفعه ان الرقا والتمائم
والتولة شرك والتمائم جمع تميمة وهي خرزة او قلادة تعلق في الراس كانوا في الجاهلية
يعتقدون ان ذلك يدفع الآفات والتولة بكسر المثناة وفتح الواو واللام مخففا شيء
كانت المراة تجلب به محبة زوجها وهو ضرب من السحر وانما كان ذلك من الشرك
لانهم ارادوا دفع المضار وجلب المنافع من عند غير الله ولا يدخل في ذلك ما كان
باسماء الله وكلامه فقد ثبت في الاحاديث استعمال ذلك قبل وقوعه كما سيأتي ان شاء الله
تعالى ولا خلاف في مشروعية الفزع الى الله تعالى والالتجاء اليه سبحانه في كل ما وقع
وما يتوقع وقال بعضهم المنهي عنه من الرقا هو الذي يستعمله المعزم وغيره ممن يدعي
تسخير الجن له فيأتي بامور مشتبهة مركبة من حق وباطل يجمع الى ذكر الله تعالى واسمائه
ما يشوبه من ذكر الشياطين والاستعانة بهم والتعوذ بمردتهم ويقال ان الحية لعداوتها
للانسان بالطبع تصادق الشياطين لكونهم اعداء بني آدم فاذا عزم على الحية باسماء
الشياطين اجابت وخرجت من مكانها وكذلك اللديغ اذا رقي بتلك الاسماء سالت سمومها
من بدن الانسان فلذلك كره من الرقا ما لم يكن بذكر الله واسمائه خاصة وباللسان العربي
الذي يعرف معناه ليكون بريا من شوب الشرك وعلى كراهة الرقا بغير كتاب الله علماء الامة
وقال الطبري الرقا ثلاثة اقسام احدها ما كان يرقى به في الجاهلية مما لا يعقل معناه

رقية م

فيجب

فيجب اجتنابه لئلا يكون فيه شرك او يؤدي الى الشرك الثاني ما كان بكلام الله
او باسمائه فيجوز فان كان ماثورا فيستحب الثالث ما كان باسماء غير الله من ملك او صالح
او معظم من المخلوقات كالعرش قال فهذا ليس من الواجب اجتنابه ولا من المشروع
الذي يتضمن الالتجاء الى الله تعالى والتبرك باسمائه فيكون تركه اولى الا ان يتضمن تعظيم
المرقى به فينبغي ان يجتنب كالحلف بغير الله تعالى وقال الربيع سألت الشافعي عن الرقية
فقال لا بأس ان يرقى بكتاب الله وبما يعرف من ذكر الله قلت ايرقي اهل الكتاب اهل السنة
قال نعم اذا رقوا بما يعرف من كتاب الله وذكر الله انتهى وفي الموطا ان ابا بكر قال
لليهودية التي كانت ترقي عائشة ارقيها بكتاب الله وقال النووي وقال القاضي عياض
واختلف قول مالك في رقية اليهودي والنصراني للمسلم وبالجواز قال الشافعي رحمه الله
وروى ابن وهب عن مالك كراهة الرقية بالحديدة والملح وعقد الخيط والذي يكتب
خاتم سليمان وقال لم يكن ذلك من امر الناس القديم رقية الذي يصاب بالعين
روى مسلم عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العين حق ولو كان
شيء سابق القدر لسبقته العين ايجي الاصابة بالعين شيء ثابت موجود وهو من جملة ما تحقق
كونه قال المازري اخذ الجمهور بظاهر الحديث وانكره طوائف من المبتدعة لغير
معنى لان كل شيء ليس محالا في نفسه ولا يؤدي الى قلب حقيقة ولا افساد دليل
فهو من مجوزات العقول فاذا اخبر الشارع بوقوعه لم يكن لانكاره معنى وهل من
فرق بين انكارهم هذا وانكارهم ما يخبر به من امور الآخرة وقد استشكل بعض
الناس هذه الاصابة فقال كيف تعمل العين من بعد حتى يحصل الضرر للمعيون
واجيب بان طبايع الناس تختلف فقد يكون ذلك من سم يصل من عين العاين في الهوا
الى بدن المعيون وقد نقل عن بعض من كان معيانا انه قال اذا رايت شيئا يعجبني
وجدت حرارة تخرج من عيني ويقرب ذلك بالمراة الحائض تضع يدها في اناء اللبن
فيفسد ولو وضعتها بعد طهرها لم يفسد ومن ذلك ان الصحيح قد ينظر الى العين الرمدة
فيرمد وقال المازري زعم بعض الطبايعيين ان العاين تنبعث من عينه قوة سمية
تتصل بالمعين فيهلك او يفسد وهو كاصابة السم من نظر الافاعي واشار الى منع
الحصر في ذلك مع تجويزه وان الذي يتمشى على طريقة اهل السنة ان العين انما تضر
عند نظر العاين بعادة اجراها الله تعالى ان يحدث الضرر عند مقابلة شخص لآخر
وهل ثم جواهر خفية او لا هو امر محتمل لا يقطع باثباته ولا نفيه ومن قال ممن ينتمي
الى الاسلام من اصحاب الطبايع بالقطع بان جواهر لطيفة غير مرئية تنبعث من العاين
فتتصل بالمعيون وتتخلل مسام جسمه فيخلق الباري الهلاك عندها كما يخلق الهلاك
عند شرب السم فقد اخطا بدعوى القطع ولكنه جايز ان تكون عادة ليست ضرورة
ولا طبيعة انتهى وهو كلام سديد يدل ليس المراد بالتاثير المعنى الذي تذهب اليه
الفلاسفة بل ما اجرى الله به العادة من حصول الضرر للمعيون وقد اخرج البزار
بسنده عن جابر رفعه اكثر من يموت بعد قضاء الله وقدره بالنفس قال الراوي

يعني العين وقد أجرى الله تعالى العادة بوجود كثير من القوى والخواص في الأجسام
والأرواح كما يحدث لمن ينظر إليه من يحتشمه من الخجل فيرى في وجهه حمرة شديدة
لم تكن قبل ذلك وكذلك الاصفرار عند رؤية من يخافه وكثير من الناس يسقم بمجرد
النظر إليه ويضعف قواه وكل ذلك بواسطة ما خلق الله تعالى في الأرواح من التأثيرات
ولشدة ارتباطها بالعين وليست هي المؤثرة وإنما التأثير للروح والأرواح مختلفة
في طبائعها وكيفياتها وخواصها فمنها ما يؤثر في البدن بمجرد الرؤية من غير اتصال به
لشدة خبث تلك الروح وكيفيتها الخبيثة والحاصل أن التأثير بإرادة الله تعالى وخلقه
ليس مقصورا على الاتصال الجسماني بل يكون تارة به وتارة بالمقابلة وأخرى بمجرد
الرؤية وأخرى بتوجه الروح كالذي يحدث من الأدعية والرقى والالتجاء إلى الله تعالى
وتارة يقع ذلك بالتوهم والتخيل كالذي يخرج من عين العائن سهم معنوي إن صادف
البدن لا وقاية له أثر فيه وإلا لم ينفذ السهم بل ربما رد على صاحبه كالسهم الحسي
سواء انتهى ملخصا من فتح الباري وغيره قال ابن القيم والغرض العلاج النبوي
لهذه العلة فمن التعوذات والرقى الإكثار من قراءة المعوذتين والفاتحة وآية الكرسي
ومنها التعوذات النبوية نحو أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل
عين لامة ونحو أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق
وذرأ وبرأ ومن شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها ومن شر ما ذرأ في الأرض
ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر طوارق الليل والنهار إلا طارقا يطرق بخير
يا رحمن وإذا كان يخشى ضرر عينه وإصابتها للمعين فليدفع شرها بقوله اللهم بارك
عليه كما قال صلى الله عليه وسلم لعامر بن ربيعة لما عان سهل بن حنيف ألا بركت عليه
ومما يدفع به إصابة العين قول ما شاء الله لا قوة إلا بالله ومنها رقية جبريل للنبي صلى الله
عليه وسلم كما رواه مسلم بسم الله أرقيك من شر كل شيء يؤذيك من شر كل نفس
أو عين حاسد الله يشفيك بسم الله أرقيك وعنده أيضا من حديث عائشة كان جبريل
يرقي النبي صلى الله عليه وسلم إذا اشتكى بسم الله يبريك ومن كل داء يشفيك ومن شر
حاسد إذا حسد ومن شر كل ذي عين وأخرج مسلم من حديث ابن عباس رفعه العين
حق ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين وإذا استغسلتم فاغسلوا وظاهر الأمر
الوجوب وحكى المازري فيه خلافا وصحح الوجوب وقال متى خشي الهلاك وكان اغتسال
العائن مما جرت العادة بالشفاء به فإنه يتعين وقد تقرر أنه يجبر على بذل الطعام
للمضطر وهذا أولى ولم يبين في حديث ابن عباس صفة الاغتسال قاله الحافظ ابن حجر
وقد وقعت في حديث سهل بن حنيف عند أحمد والنسائي أن أباه حدثه أن النبي صلى الله
عليه وسلم خرج وساروا معه نحو ماء حتى إذا كانوا بشعب الخرار من الجحفة اغتسل
سهل بن حنيف وكان أبيض حسن الجسم والجلد فنظر إليه عامر بن ربيعة فقال
ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة فلبط سهل أي صرع وسقط إلى الأرض فأتي رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال هل تتهمون من أحد قالوا عامر بن ربيعة فدعا عامرا فتغيظ

عليه

عليه فقال علام يقتل أحدكم أخاه هلا إذا رأيت ما يعجبك بركت ثم قال اغتسل له
فغسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلة إزاره في قدح ثم يصب
ذلك الماء عليه رجل من خلفه على رأسه وظهره ثم يكفأ القدح ففعل ذلك فراح سهل
مع الناس ليس به بأس قال المازري المراد بداخلة الإزار الطرف المتدلي الذي
يلي حقوه الأيمن قال وظن بعضهم أنه كناية عن الفرج انتهى وزاد القاضي عياض أن المراد
ما يلي جسده من الإزار من الجسد وقيل أراد وركيه إذ هو معقد الإزار وفي نسخة حا
خزي بخط شيخنا الحافظ أبي الخير السخاوي قال ابن بكير أراه عنى مالك أنه طرف
من الثوب الذي يلي الجلد وقال ابن الأثير في النهاية كان من عادتهم أن الإنسان إذا
أصابته عين من أحد جاء إلى العائن بقدح فيه ماء فيدخل كفه فيه فيتمضمض ثم يمجه
في القدح ثم يغسل وجهه فيه ثم يدخل يده اليسرى فيصب على مرفقه الأيمن
ثم يدخل يده اليمنى فيصب على مرفقه الأيسر فيصب على ركبته اليمنى ثم يدخل
يده اليمنى فيصب على ركبته اليسرى ثم يغسل داخلة إزاره ولا يوضع القدح
بالأرض ثم يصب ذلك الماء المستعمل على رأس المصاب بالعين من خلفه صبة واحدة
فيبرأ بإذن الله تعالى انتهى قال المازري وهذا المعنى مما لا يمكن تعليله ومعرفة
وجهه من جهة العقل فلا يرد لكونه لا يعقل معناه وقال ابن العربي إن توقف فيه
متشرع قلنا له قل الله ورسوله أعلم وقد عضدته التجربة وصدقته المعاينة
أو متفلسف فالرد عليه أظهر لأن عنده أن الأدوية تفعل بقواها وقد تفعل
بمعنى لا يدرك ويسمون ما هذا سبيله الخواص قال ابن القيم ومن علاج ذلك
والاحتراز منه ستر محاسن من يخاف عليه العين بما يردها عنه كما ذكره البغوي
في كتاب شرح السنة أن عثمان بن عفان رأى صبيا مليحا فقال دسموا نونته
لئلا تصيبه العين ثم قال في تفسيره ومعنى دسموا نونته أي سودوا نونته
والنونة النقرة التي تكون في ذقن الصغير وذكر عن عبد الله الساجي أنه كان
في بعض أسفاره للحج أو الغزو على ناقة فارهة فكان في الرفقة رجل عائن قلما نظر
إلى شيء إلا أتلفه فقيل لأبي عبد الله احفظ ناقتك من العائن فقال ليس له إلى
ناقتي سبيل فأخبر العائن بقوله فتحين غيبة أبي عبد الله فجاء إلى رحله فنظر
إلى الناقة فاضطربت وسقطت فجاء أبو عبد الله فأخبر أن العائن قد عانها وهي كما ترى
فقال دلوني عليه فوقف عليه وقال بسم الله حبس حابس وحجر يابس وشهاب قابس
رددت عين العائن عليه وعلى أحب الناس إليه فارجع البصر هل ترى من فطور ثم
ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير فخرجت حدقتا العائن وقامت
الناقة لا بأس بها انتهى وفي حديث هذا الباب من الفوائد أن العائن إذا عرف يقضى
عليه بالاغتسال وأن الاغتسال من النشرة النافعة وأن العين تكون مع الإعجاب
ولو بغير حسد ولو من الرجل المحب ومن الرجل الصالح وأن الذي يعجبه الشيء يبادر
إلى الدعاء للذي يعجبه بالبركة ويكون ذلك رقية منه فإن الإصابة بالعين قد تقتل

وقيل اراد موضع الازار منه

٣ يده اليمنى ثم يدخل يده اليمنى فيصب على يده اليسرى ثم يدخل يده اليسرى فيصب على
٤ ثم يدخل يده اليسرى فيصب على قدمه اليمنى ثم يدخل يده اليمنى فيصب على قدمه اليسرى ثم يدخل يده اليسرى

بلغ التصحيح
النقبة

وقد اختلف في جريان القصاص بذلك فقال القرطبي لو أتلف العائن شيئا ضمنه ولو قتل
فعليه القصاص او الدية اذا تكرر ذلك منه بحيث يصير عادة وهو في ذلك كالساحر
عند من لا يقتله كفرا انتهى ولم تتعرض الشافعية للقصاص في ذلك بل منعوه
وقالوا انه لا يقتل غالبا ولا يعد مهلكا وقال النووي في الروضة ولا دية فيه ولا
كفارة لان الحكم انما يترتب على منضبط عام دون ما يختص ببعض الناس في بعض
الاحوال مما لا انضباط له كيف ولم يقع منه فعل اصلا وانما غايته حسد وتمن لزوال
النعمة وايضا فالذي ينشأ عن الاصابة بالعين حصول مكروه لذلك الشخص ولا يتعين
ذلك المكروه في زوال الحياة فقد يحصل له مكروه بغير ذلك من اثر العين انتهى
قال الحافظ ابن حجر ولا يعكر عليه الا الحكم بقتل الساحر فانه في معناها والفرق بينهما
عسر ونقل ابن بطال عن بعض اهل العلم انه ينبغي للامام منع العائن اذا عرف بذلك
من مداخلة الناس وان يلزم بيته فان كان فقيرا رزقه ما يقوم به فان ضرره اشد
من ضرر المجذوم الذي منعه عمر من مخالطة الناس واشد من ضرر الثوم الذي
منع الشارع آكله من حضور الجماعة قال النووي وهذا القول صحيح متعين لا يعرف
عن غيره تصريح بخلافه **ذكر رقيته صلى الله عليه وسلم** التي كان يرقي بها
عن عبد العزيز قال دخلت انا وثابت على انس بن مالك فقال ثابت يا ابا حمزة
اشتكيت فقال انس الا ارقيك برقية رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بلى
قال قل اللهم رب الناس مذهب الباس اشف انت الشافي لا شافي الا انت شفاء
لا يغادر سقما رواه البخاري وقوله اذهب الباس بغير همزة للمواخاة واصله
الهمز وفي قوله لا شافي الا انت اشارة الى ان كل ما يقع من الدواء والتداوي ان لم
يصادف تقدير الله والا فلا ينجع وقوله لا يغادر بالغين المعجمة اي لا يترك وفي البخاري
ايضا عن مسروق عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعوذ بعض اهله
ويمسح بيده اليمنى ويقول اللهم رب الناس اذهب الباس واشفه وانت الشافي
لا شفاء الا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما وقوله يمسح بيده اي على الوجع وقوله
الا شفاؤك بالرفع بدل من موضع لا شفاء وعن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يرقي يقول امسح الباس رب الناس بيدك الشفاء لا كاشف له الا انت رواه
البخاري ايضا وفي صحيح مسلم عن عثمان بن ابي العاص انه شكا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وجعا يجده في جسده منذ اسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل بسم الله ثلاثا وقل سبع مرات اعوذ بعزة الله
وقدرته من شر ما اجد واحاذر وانما كرره ليكون انجع وابلغ كتكرار الدواء لاخراج المادة
ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من الفزع والارق المانع من النوم عن بريدة
قال شكا خالد الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما انام الليل من الارق
فقال صلى الله عليه وسلم اذا اويت الى فراشك فقل اللهم رب السموات السبع
وما اظلت ورب الارضين وما اقلت ورب الشياطين وما اضلت كن لي جارا من شر

خلقك

خلقك كلهم جميعا ان يفرط علي احد منهم او يبغي علي عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك
رواه الترمذي **ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من حر المصيبة ببرد الرجوع
الى الله تعالى** في المسند مرفوعا ما من احد تصيبه مصيبة فيقول انا لله وانا
اليه راجعون اللهم اجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها الا اجره الله في مصيبته
واخلف له خيرا منها قال في الهدي النبوي وهذه الكلمة من ابلغ علاج المصاب
وانفعه له في عاجلته وآجلته فانها تتضمن اصلين عظيمين اذا تحقق العبد
بمعرفتهما تسلى عن مصيبته احدهما ان العبد واهله وماله ملك لله عز وجل
حقيقة وقد جعله عند العبد عارية فاذا اخذه منه فهو كالمعير يأخذ متاعه
من المستعير والثاني ان مصير العبد ومرجعه الى الله تعالى ولا بد ان يخلف
الدنيا وراء ظهره ويجيء ربه فردا كما خلقه اول مرة بلا اهل ولا مال ولا عشيرة
ولكن بالحسنات والسيئات فاذا كانت هذه بداية العبد ونهايته فكيف يفرح
بموجود او يأسى على مفقود ففكره في عباده من اعظم علاج هذا الداء قال مبدأه ومعاده
ومن علاجه ان يطفي نار مصيبته ببرد التأسي باهل المصائب وانه لو فتش
العالم لم ير فيه الا مبتلى اما بفوات محبوب او حصول مكروه وان سرور الدنيا
احلام نوم او ظل زائل ان اضحكت قليلا ابكت كثيرا وان سرت يوما ساءت دهرا
وان متعت قليلا منعت طويلا وما ملأت دارا حبرة الا ملأتها عبرة ولا سرته بيوم
سرور الا خبأت له يوم شرور وقال ابن مسعود لكل فرحة ترحة وما ملئ بيت فرحا
الا ملئ ترحا **ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من داء الهم والكرب بدواء التوجه
الى الرب** عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول عند الكرب
لا اله الا الله العظيم الحليم لا اله الا الله رب العرش العظيم لا اله الا الله رب السموات
ورب العرش الكريم رواه الشيخان وقوله عند الكرب اي عند حلول الكرب وعند مسلم
كان يدعو بهن ويقولهن عند الكرب وعنده ايضا كان اذا حزبه امر وهو بفتح المهملة
وبالزاي وبالموحدة اي هجم عليه او غلبه قال الطبري معنى قول ابن عباس يدعو
انما هو تهليل وتعظيم يحتمل امرين احدهما ان المراد تقديم ذلك قبل الدعاء كما عند
عبد بن حميد كان اذا حزبه امر قال فذكر الذكر المأثور وزاد ثم دعا قال الطبري
ويؤيده ما روى الاعمش عن ابراهيم قال كان يقال اذا بدأ الرجل بالثناء قبل الدعاء
استجيب له واذا بدأ بالدعاء قبل الثناء كان على الرجاء ثانيهما ما اجاب به ابن عيينة
وقد سئل عن الحديث الذي فيه اكثر ما كان يدعو به النبي صلى الله عليه وسلم بعرفة
لا اله الا الله وحده لا شريك له فقال سفيان هو ذكر وليس فيه دعاء ولكن قال النبي
صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل من شغله ذكري عن مسألتي اعطيته افضل
ما اعطي السائلين وقال امية بن ابي الصلت في مدح عبد الله بن جدعان

أأذكر حاجتي أم قد كفاني ۞ حياؤك ان شيمتك الحياء
اذا اثنى عليك المرء يوما ۞ كفاه من تعرضك الثناء

فهذا مخلوق حين نسب الى الكرم اكتفى بالثناء عن السؤال فكيف بالخالق ثم ان حديث
ابن عباس هذا كما قاله ابن القيم قد اشتمل على توحيد الالهية والربوبية ووصف الرب
سبحانه بالعظمة والحلم وهاتان الصفتان مستلزمتان لكمال القدرة والرحمة والاحسان
والتجاوز ووصفه بكمال ربوبيته الشاملة العالم العلوي والسفلي والعرش الذي هو
سقف المخلوقات واعظمها والربوبية التامة تستلزم توحيده وانه الذي لا تنبغي
العبادة والحب والخوف والرجا والاجلال والطاعة الا له وعظمته المطلقة تستلزم
اثبات كل كمال له وسلب كل نقص وتمثيل عنه وحلمه يستلزم كمال رحمته واحسانه
الى خلقه فعلم القلب ومعرفته بذلك توجب محبته واجلاله وتوحيده فيحصل له من
الابتهاج واللذة والسرور ما يدفع عنه الم الكرب والهم والغم وانت تجد المريض اذا
ورد عليه ما يسره ويفرحه ويقوي نفسه كيف تقوى الطبيعة على دفع المرض الحسي
فحصول هذا الشفا للقلب اولى واحرى ثم اذا قابلت بين ضيق الكرب وسعة هذه
الاوصاف التي تضمنها هذا الحديث وجدته في غاية المناسبة لتفريج هذا الضيق
وخروج القلب منه الى سعة البهجة والسرور وانما يصدق هذه الامور من اشرقت
فيه انوارها وباشر قلبه حقايقها قال ابن بطال حدثني ابو بكر الرازي قال كنت
باصبهان عند ابي نعيم فقال له شيخ ان ابا بكر بن علي قد سعى به عند السلطان
فسجن فرايت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وجبريل عن يمينه يحرك شفتيه
بالتسبيح لا يفتر فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم قل لابي بكر بن علي يدعو بدعاء
الكرب الذي في صحيح البخاري حتى يفرج الله عنه قال فاصبحت فاخبرته فدعا به
فلم يلبث الا قليلا حتى اخرج وفي حديث علي عند النساي وصححه الحاكم لقنني رسول الله
هذه الكلمات وامرني ان نزل بي كرب او شدة ان اقولها لا اله الا الله الكريم العظيم
سبحان الله تبارك الله رب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين وفي لفظ الحليم الكريم
في الاول وفي لفظ لا اله الا الله وحده لا شريك له العليم العلي العظيم لا اله الا الله
وحده لا شريك له الحليم الكريم وفي لفظ لا اله الا الله الحليم الكريم سبحانه تبارك
وتعالى رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين اخرجها كلها النساي وروى الترمذي
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اهمه الامر رفع طرفه
الى السما فقال سبحان الله العظيم واذا اجتهد في الدعا قال يا حي يا قيوم وعنده
ايضا من حديث انس انه صلى الله عليه وسلم كان اذا حزبه امر قال يا حي يا قيوم
برحمتك استغيث قال العلامة ابن القيم وفي تاثير قوله يا حي يا قيوم برحمتك
استغيث في دفع هذا البلا مناسبة بديعة فان صفة الحياة متضمنة لجميع صفات
الكمال مستلزمة لها وصفة القيومية متضمنة لجميع صفات الافعال ولهذا كان
اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به اجاب واذا سيل به اعطى هو اسم الحي القيوم
والحياة التامة تضاد جميع الالام والاسقام ولهذا لما كملت حياة اهل الجنة لم يلحقهم
هم ولا غم ولا حزن ولا شي من الافات فللتوسل بصفة الحياة والقيومية له تاثير

الكريم
وحلمه
صلى الله عليه وسلم
الدائم

في ازالة

في ازالة ما يضاد الحياة ويضر بالافعال فلهذا الاسم الحي القيوم تاثير عظيم خاص في اجابة
الدعوات وكشف الكربات ولهذا كان صلى الله عليه وسلم اذا اجتهد في الدعا قال يا حي
يا قيوم وروى ابو داود عن ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال دعوات المكروب اللهم رحمتك ارجوا فلا تكلني الى نفسي طرفة عين واصلح
شاني كله لا اله الا انت وفي هذا الدعا كما قاله في زاد المعاد من تحقيق الرجا لمن الخير كله
بيده والاعتماد عليه وحده وتفويض الامر اليه والتضرع اليه ان يتولى اصلاح شانه
ولا يكله الى نفسه والتوسل اليه بتوحيده ما له تاثير في دفع هذا الدا وكذا قوله
في حديث اسما بنت عميس عند ابي داود ايضا مرفوعا كلمات الكرب الله الله ربي لا اشرك به
شيا وفي مسند الامام احمد من حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
ما اصاب عبدا هم ولا حزن فقال اللهم اني عبدك ابن عبدك ابن امتك ناصيتي بيدك
ماض في حكمك عدل في قضاوك اسالك بكل اسم هو لك سميت به نفسك او انزلته
في كتابك او علمته احدا من خلقك او استاثرت به في علم الغيب عندك ان تجعل القران
العظيم ربيع قلبي ونور صدري وجلا حزني وذهاب همي الا اذهب الله حزنه وهمه
وابدله مكانه فرحا وانما كان هذا الدعا بهذه المنزلة لاشتماله على الاعتراف بعبودية الداعي
وعبودية اباييه وامهاته وان ناصيته بيده يصرفها كيف يشا واثبات القدر وان احكام
الرب تعالى نافذة في عبده ماضية فيه لا انفكاك له عنها ولا حيلة له في دفعها وانه سبحانه
وتعالى عدل في هذه الاحكام غير ظالم لعبده ثم توسله باسما الرب تعالى التي سمى بها
نفسه ما علم العباد منها وما لم يعلموا ومنها ما استاثر به في علم الغيب عنده فلم يطلع عليه
ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا وهذه الوسيلة اعظم الوسايل واحبها الى الله واقربها تحصيلا
للمطلوب ثم سواله ان يجعل القران لقلبه ربيعا كالربيع الذي يرتع فيه الحيوان وان يجعله
لصدره كالنور الذي هو مادة الحياة وبه يتم معاش العباد وان يجعله شفا همه وغمه
فيكون بمنزلة الدوا الذي يستاصل الدا ويعيد البدن الى صحته واعتداله وان يجعله
لحزنه كالجلا الذي يجلو الطبوع والاصدية وغيرها فاذا صدق العليل في استعمال
هذا الدوا اعقبه شفا تاما وفي سنن ابي داود عن ابي سعيد الخدري قال دخل
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم المسجد فاذا هو برجل من الانصار يقال له
ابو امامة فقال يا ابا امامة ما لي اراك في المسجد في غير وقت الصلوة فقال هموم
لزمتني وديون يا رسول الله فقال الا اعلمك كلاما اذا انت قلته اذهب الله عز وجل
همك وقضى دينك قال قلت بلى يا رسول الله قال قل اذا اصبحت واذا امسيت
اللهم اني اعوذ بك من الهم والحزن واعوذ بك من العجز والكسل واعوذ بك من الجبن
والبخل واعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال قال ففعلت ذلك فاذهب الله همي
وقضى عني ديني فقد تضمن هذا الحديث الاستعاذة من ثمانية اشيا كل اثنين منها قرينان
مزدوجان فالهم والحزن اخوان والعجز والكسل اخوان والجبن والبخل اخوان وضلع الدين
وغلبة الرجال اخوان فحصلت الاستعاذة من كل شر وفي سنن ابي داود ايضا عن ابن

دعوات الكرب
العظيم

عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لزم الاستغفار جعل الله له من كل
هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب وانما كان الاستغفار له تاثير
في دفع الهم والضيق لانه قد اتفق أهل الملل وعقلاء كل امة ان المعاصي والفساد
توجبان الهم والغم والحزن وضيق الصدر وامراض القلب واذا كان هذا تاثير الذنوب
والاثام في القلب فلا دواء لها الا التوبة والاستغفار وعن ابن عباس عن النبي صلى الله
عليه وسلم من كثرت همومه فليكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله وثبت في الصحيحين
انها كنز من كنوز الجنة وفي الترمذي انها باب من ابواب الجنة وفي بعض الاثار انه ما ينزل
ملك من السماء ولا يصعد الا بلا حول ولا قوة الا بالله وروى الطبراني من حديث ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما كربني امر الا تمثل لي جبريل فقال يا محمد قل توكلت
على الحي الذي لا يموت والحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي
من الذل وكبره تكبيرا وفي كتاب ابن السني من حديث ابي قتادة عن النبي صلى الله عليه
وسلم من قرا اية الكرسي وخواتم سورة البقرة عند الكرب اغاثه الله عز وجل وعنده
ايضا من حديث سعد بن ابي وقاص قال صلى الله عليه وسلم اني لا اعلم كلمة لا يقولها
مكروب الا فرج الله عنه كلمة اخي يونس فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك
اني كنت من الظالمين وعند الترمذي لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط الا استجيب له
وروى الديلمي في مسند الفردوس عن جعفر بن محمد يعني الصادق قال حدثني ابي
عن جدي انه صلى الله عليه وسلم كان اذا احزبه امر دعا بهذا الدعاء اللهم احرسني
بعينك التي لا تنام واكنفني بكنفك الذي لا يرام وارحمني بقدرتك علي فلا اهلك وانت
رجائي فكم من نعمة انعمت بها علي قل لك بها شكري وكم من بلية ابتليتني بها قل لك بها
صبري فيا من قل عند نعمته شكري فلم يحرمني ويا من قل عند بليته صبري فلم يخذلني
ويا من راني على الخطايا فلم يفضحني يا ذا المعروف الذي لا ينقضي ابدا ويا ذا النعماء
التي لا تحصى عددا اسالك ان تصلي على محمد وعلى ال محمد وبك ادرا في نحور الاعداء
والجبارين اللهم اعني على ديني بالدنيا وعلى اخرتي بالتقوى واحفظني فيما غبت عنه
ولا تكلني الى نفسي فيما حضرته يا من لا تضره الذنوب ولا ينقصه العفو هب لي
ما لا ينقصك واغفر لي ما لا يضرك انك انت الوهاب اسالك فرجا قريبا وصبرا جميلا
ورزقا واسعا والعافية من البلاء وشكر العافية وفي رواية واسالك تمام العافية
واسالك دوام العافية واسالك الشكر على العافية واسالك الغنى عن الناس ولا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من داء الفقر
عن ابن عمر ان رجلا قال يا رسول الله ان الدنيا ادبرت عني وتولت قال له اين انت
من صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبه يرزقون قل عند طلوع الفجر سبحان الله وبحمده
سبحان الله العظيم استغفر الله مائة مرة تاتيك الدنيا صاغرة فولى الرجل فمكث ثم عاد
فقال يا رسول الله لقد اقبلت علي الدنيا فما ادري اين اضعها رواه الخطيب في رواة
مالك ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من داء الحريق عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رايتم الحريق فكبروا فان التكبير تطفئه رواه
الطبراني في الدعاء وابن عساكر فان قلت ما وجه الحكمة في اطفاء الحريق بالتكبير فاجاب
صاحب زاد المعاد بانه لما كان الحريق سببه النار وهو مادة الشيطان التي خلق منها
وكان فيه من الفساد العام ما يناسب الشيطان بمادته وفعله وكان للشيطان اعانة عليه
وتنفيذ له وكانت النار تطلب بطبعها العلو والفساد وهما هدي الشيطان والبهائم وهو
وبهما يهلك بني ادم فالنار والشيطان كل منهما يريد العلو في الارض والفساد وكبرياء الله
تعالى تقمع الشيطان وفعله فلهذا كان تكبير الله تعالى له اثر في اطفاء الحريق فان كبرياء الله تعالى
لا يقوم لها شيء فاذا كبر المسلم ربه اثر تكبيره في خمود النار التي هي مادة الشيطان
وقد جربنا نحن وغيرنا هذا فوجدناه كذلك انتهى ولقد جربت ذلك بطيبة في سنة خمس
وتسعين وثمانمائة فوجدت له اثرا عظيما لم اجده لغيره ولقد شاع وذاع رؤية طيور
بحريق طيبة الواقع في ثالث عشر رمضان سنة ست وثمانين وثمانمائة معلنة بالتكبير
وفيه يقول قاضي القضاة شمس الدين السخاوي
فظن كل باه النار تحرقه ... فما ترى من حواها غير منهزم
فجاءت الطير منها باجنحة ... عن البيوت زواها غير منثلم
وقال ايضا في قصيدة اخرى
فكل شخص تولى خايفا حذرا
فجاءت الطير للنيران تطردها ... عن البيوت ولا يخفى لمن بصرا
ذكر ما كان عليه السلام يطب به من داء الصرع في الصحيحين ان امراة اتت النبي
صلى الله عليه وسلم فقالت اني اصرع واني انكشف فادع الله لي الا انكشف فدعا لها
قال العلامة ابن القيم الصرع صرعان صرع من الارواح الخبيثة الارضية وصرع من
الاخلاط الرديئة والثاني هو الذي تتكلم فيه الاطباء واما علاج صرع الارواح فيكون بامرين
امر من جهة المصروع وامر من جهة المعالج فالذي من جهة المصروع يكون بقوة نفسه
وصدق توجهه الى فاطر هذه الارواح وبارئها والتعوذ الصحيح الذي قد تواطا عليه
القلب واللسان فان هذا نوع محاربة والمحارب لا يتم له الانتصاف من عدوه بالسلاح
الا بامرين ان يكون السلاح صحيحا في نفسه جيدا وان يكون الساعد قويا والثاني من جهة
المعالج بان يكون فيه هذان الامران ايضا حتى ان من المعالجين من يكتفي بقوله اخرج منه
او يقول بسم الله او يقول لا حول ولا قوة الا بالله قال وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم
يقول اخرج عدو الله انا رسول الله وكان بعضهم يعالج ذلك باية الكرسي ويامر بكثرة قراءة
المصروع ومن يعالجه بها وبقراءة المعوذتين قال ومن حدث له الصرع وله خمس وعشرون
سنة وخصوصا بسبب دماغي ايس من برئه وكذلك اذا استمر به الى هذا السن قال
فهذه المراة التي جاء الحديث انها كانت تصرع وتتكشف يجوز ان يكون صرعها من هذا النوع
فوعدها صلى الله عليه وسلم بصبرها على هذا المرض بالجنة ولقد جربت الاقسام بالنبي
صلى الله عليه وسلم مع قوله تعالى محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار الى اخر
سورة الفتح في ابنتين صغيرتين صرعتا فشفيتا ومن الغريب قصة غزال الحبشية

يقمع الشيطان وفعله فلهذا كان تكبير الله تعالى له اثر في اطفاء الحريق فان كبرياء الله تعالى

ومنه حديث ادرك بنتيك فقد احترق

لي فقال ان شئت صبرت ولك الجنة
وان شئت دعوت الله لك ان يعافيك
فقالت اصبر قالت فاني اكشف فادع الله

فذلك

حادثتنا لما صرعت بذريا الحجاز الشريف واستغثت به صلى الله عليه وسلم فجئ الى بمارعها
في المنام بامره صلى الله عليه وسلم فوبخته واقسم لا يعود اليها فاستيقظت وما بها قلبة
ومن ثم لم يعد اليها فيسر لحمد ذكر دواية عليه الصلاة والسلام من داء السحر
قال النووي السحر حرام وهو من الكبائر بالاجماع وقد يكون كفرا وقد لا يكون كفرا بل معصية
كبيرة فان كان فيه قول او فعل يقتضي الكفر كفر والا فلا واما تعليمه وتعلمه فحرام وان لم
يكن فيه ما يقتضي الكفر عزر فاعله واستتيب منه ولا يقتل عندنا وان تاب قبلت
توبته وقال مالك الساحر كافر يقتل بالسحر ولا يستتاب ولا تقبل توبته بل يتحتم قتله
والمسئلة مبنية على الخلاف في قبول توبة الزنديق لان الساحر عنده كافر كما ذكرناه
وعندنا ليس بكافر وعندنا تقبل توبة المنافق والزنديق قال القاضي عياض وبقول
مالك قال احمد بن حنبل وهو مروي عن جماعة من الصحابة والتابعين قال اصحابنا
فاذا قتل الساحر بسحره انسانا واعترف انه مات بسحره وانه يقتل غالبا لزمه القصاص
وان قال مات به ولكنه قد يقتل وقد لا يقتل فلا قصاص وتجب الدية والكفارة وتكون
الدية في ماله لا على عاقلته لان العاقلة لا تحمل ما ثبت باعتراف الجاني قال اصحابنا ولا يتصور
ثبوت القتل بالسحر بالبينة وانما يتصور باعتراف الساحر انتهى واختلف في السحر فقيل هو تخييل
فقط ولا حقيقة له وهو اختيار ابي جعفر الاسترابادي من الشافعية وابي بكر الرازي
من الحنفية وطائفة قال النووي الصحيح ان له حقيقة وبه قطع الجمهور وعليه عامة
العلماء ويدل عليه الكتاب والسنة الصحيحة المشهورة قال شيخ الاسلام ابو الفضل
العسقلاني لكن محل النزاع هل يقع بالسحر انقلاب عين اولا فمن قال انه تخييل فقط منع
ذلك والقائلون بان له حقيقة اختلفوا هل له تاثير فقط بحيث يغير المزاج فيكون نوعا من
الامراض او ينتهي الى الاحالة بحيث يصير الجماد حيوانا مثلا وعكسه فالذي عليه الجمهور
هو الاول وقال المازري جمهور العلماء على اثبات السحر وان العقل لا ينكر ان الله قد يخرق
العادة عند نطق الساحر بكلام ملفق وتركيب اجسام او مزج بين قوى على ترتيب مخصوص
ونظير ذلك ما وقع من حذاق الاطباء من مزج بعض العقاقير ببعض حتى ينقلب الضار منها
بمفرده فيصير بالتركيب نافعا وقيل لا يزيد تاثير السحر على ما ذكر الله في قوله يفرقون به
بين المرء وزوجه لكون المقام مقام تهويل فلو جاز ان يقع به اكثر من ذلك لذكره قال
المازري والصحيح من جهة العقل ان يقع به اكثر من ذلك قال والآية ليست نصا في منع الزيادة
ولو قلنا انها ظاهرة في ذلك ثم قال والفرق بين السحر والمعجزة والكرامة ان السحر يكون بمعاناة
اقوال وافعال حتى يتم للساحر ما يريد والكرامة لا تحتاج الى ذلك انما تقع غالبا اتفاقا واما المعجزة
فتمتاز عن الكرامة بالتحدي ونقل امام الحرمين الاجماع على ان السحر لا يقع الا من فاسق وان
الكرامة لا تظهر على فاسق ونقل نحوه النووي في زيادة الروضة عن المتولي وينبغي ان يعتبر
حال من يقع منه الخارق فان كان متمسكا بالشريعة متجنبا للموبقات فالذي يظهر على يديه
من الخوارق كرامة والا فهو سحر وقال القرطبي السحر حيل صناعية يتوصل اليها بالاكتساب
غير انها لدقتها لا يتوصل اليها الا آحاد الناس ومادته الوقوف على خواص الاشياء والعلم بوجوه

تركيب

تركيبها واوقاتها واكثرها تخييلات بغير حقيقة وايهامات بغير ثبوت فيعظم عند من لا يعرف
ذلك كما قال تعالى عن سحرة فرعون وجاؤا بسحر عظيم مع ان حبالهم وعصيهم لم يخرجوا عن
كونها حبالا وعصيا وقال ابو بكر الرازي في الاحكام اخبر الله تعالى ان الذي ظنه موسى
انها تسعى لم يكن سعيا وانما كان تخييلا وذلك ان عصيهم كانت مجوفة قد ملئت زيبقا
وكذلك الحبال كانت من ادم محشوة زيبقا وقد حفروا قبل ذلك اسرابا وجعلوا لها
آزاجا وملؤها نارا فلما طرحت على ذلك الموضع وحمي الزيبق حركها لان من شان الزيبق
اذا اصابته النار ان يطير فلما اثقلته كثافة الحبال والعصي صارت تتحرك بحركته فظن
من رآها انها تسعى لم تكن تسعى حقيقة انتهى قال القرطبي والحق ان لبعض اصناف
السحر تاثيرا في القلوب كالحب والبغض والقاء الخير والشر وفي الابدان بالالم والسقم
وانما المنكر ان ينقلب الجماد حيوانا او عكسه بسحر الساحر وقد ثبت في البخاري من حديث
عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سحر حتى انه كان ليخيل اليه
انه يفعل الشيء وما فعله حتى اذا كان ذات ليلة عند عائشة دعا ودعا ثم قال
يا عائشة اشعرت ان الله افتاني فيما استفتيته فيه اتاني رجلان فقعد احدهما عند
راسي والآخر عند رجلي فقال احدهما لصاحبه ما بال الرجل قال مطبوب قال ومن طبه
قال لبيد بن الاعصم قال في اي شيء قال في مشط ومشاطة وجف طلع نخلة ذكر قال
واين هو قال في بئر ذروان فاتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس من اصحابه
فجاء فقال يا عائشة كان ماءها نقاعة الحناء وكان رؤس نخلها رؤس الشياطين فقلت
يا رسول الله افلا استخرجته قال قد عافاني الله فكرهت ان اثير على الناس فيه
شرا وفي حديث ابن عباس عند البيهقي في الدلائل بسند ضعيف في آخر قصة السحر
الذي سحر به النبي صلى الله عليه وسلم انهم وجدوا وترا فيه احدى عشرة عقدة وانزلت
سورة الفلق والناس فجعل كلما قرا آية انحلت عقدة واخرجه ابن سعد بسند آخر
منقطع عن ابن عباس ان عليا وعمارا لما بعثهما النبي صلى الله عليه وسلم لاستخراج السحر
وجدا طلعة فيها احدى عشرة عقدة فذكر نحوه وفي رواية ذكرها في فتح الباري فنزل
رجل فاستخرجه وانه وجد في الطلعة تمثالا من شمع تمثال رسول الله صلى الله عليه
وسلم واذا فيه ابر مغروزة واذا وتر فيه احدى عشرة عقدة فنزل جبريل بالمعوذتين
فكلما قرا آية انحلت عقدة وكلما نزع ابرة وجد لها الما ثم يجد بعدها راحة وقد بين
الواقدي السنة التي وقع فيها السحر كما اخرجه عنه ابن سعد بسند له الى عمر بن الحكم
مرسل قال لما رجع صلى الله عليه وسلم من الحديبية في ذي الحجة ودخل المحرم سنة سبع
جاءت رؤساء اليهود الى لبيد بن الاعصم وكان حليفا في بني زريق وكان ساحرا فقالوا انت اسحرنا
وقد سحرنا محمدا فلم يصنع شيئا ونحن نجعل لك جعلا على ان تسحره لنا سحرا ينكاه فجعلوا له
ثلاثة دنانير ووقع في رواية ابي ضمرة عند الاسماعيلي فاقام اربعين ليلة وفي رواية
وهيب عن هشام عند احمد ستة اشهر ويمكن الجمع بان تكون الستة اشهر من ابتداء تغير
مزاجه والاربعين يوما من استحكامه وقال السهيلي لم اقف في شيء من الاحاديث

فاقام بها بعد نفثه في رواية البخاري ايضا
فاتى البئر حتى استخرجه فقال هذه البئر التي
اريتها قالت عائشة افلا تنشرت قال اما
الله فقد شفاني واكره ان اثير على الناس شرا ام

المشهورة على قدر المدة التي مكث صلى الله عليه وسلم فيها في السحر حتى ظفرت به في جامع معمر
عن الزهري أنه لبث سنة قال الحافظ ابن حجر وقد وجدناه موصولا باسناد الصحيح فهو المعتمد
وقال المازري انكر بعض المبتدعة هذا الحديث وزعموا انه يحط منصب النبوة ويشكك فيها
قال وكل ما ادى الى ذلك فهو باطل وزعموا ان تجويز هذا يعدم الثقة بما شرعوه من الشرائع
اذ يحتمل على هذا ان يخيل اليه انه يرى جبريل وليس هو ثم وانه يوحي اليه بشيء ولم يوح اليه
بشيء قال المازري وهذا كله مردود لان الدليل قد قام على صدق النبي صلى الله عليه وسلم
فيما يبلغه عن الله تعالى وعلى عصمته في التبليغ والمعجزات شاهدات بتصديقه فتجويز
ما قام الدليل على خلافه باطل واما ما يتعلق ببعض امور الدنيا التي لم يبعث لاجلها ولا كانت
الرسالة من اجلها فهو في ذلك عرضة لما يعرض للبشر كالامراض فغير بعيد ان يخيل اليه في امر
من امور الدنيا ما لا حقيقة له مع عصمته عن مثل ذلك في امور الدين انتهى وقال غيره
لا يلزم من انه كان يظن انه فعل الشيء ولم يكن فعله ان يجزم بفعله ذلك وانما يكون ذلك
من جنس الخاطر يخطر ولا يثبت فلا يبقى على هذا للملحد حجة وقال القاضي عياض يحتمل ان يكون
المراد بالتخيل المذكور انه يظهر له من نشاطه ما الفه من سابق عادته من الاقتدار على
الوطء فاذا دنا من المرأة فتر عن ذلك كما هو شأن المعقود ويكون قوله في الرواية الاخرى
حتى كاد ينكر بصره اي صار كالذي ينكر بصره بحيث انه اذا راى الشيء يخيل انه على
غير صفته فاذا تامله عرف حقيقته ويؤيد جميع ما تقدم انه لم ينقل عنه في خبر من الاخبار
انه قال قولا فكان بخلاف ما اخبر به قال بعضهم وقد سلك النبي صلى الله عليه وسلم
في هذه القضية مسلكي التفويض وتعاطي الاسباب ففي اول الامر فوض وسلم لامر ربه
واحتسب الاجر في صبره على بلائه ثم لما تمادى ذلك وخشي من تماديه ان يضعفه
عن فنون عبادته جنح الى التداوي فقد اخرج ابو عبيد من مرسل عبد الرحمن بن ابي
ليلى قال احتجم النبي صلى الله عليه وسلم على راسه يعني حين طب ثم جنح الى الدعاء وكل
من المقامين غاية في الكمال وقال ابن القيم من انفع الادوية واقوى ما يوخذ من النشرة
مقاومة للسحر الذي هو من تاثيرات الارواح الخبيثة بالادوية الالهية من الذكر والدعاء
والقراءة فالقلب اذا كان ممتلئا من الله معمورا بذكره وله ورد من الذكر والدعاء والتوجه
لا يخل به كان ذلك من اعظم الاسباب المانعة من اصابة السحر له قال
وسلطان تاثير السحر هو في القلوب الضعيفة ولهذا غالب ما يؤثر في النساء والصبيان
والجهال لان الارواح الخبيثة انما تتسلط على ارواح تلقاها مستعدة لما يناسبها انتهى
ملخصا ويعكر عليه حديث الباب وجواز السحر على النبي صلى الله عليه وسلم مع عظيم مقامه
وصدق توجهه وملازمة ورده ولكن يمكن الانفصال عن ذلك بان الذي ذكره محمول
على الغالب وانما وقع به صلى الله عليه وسلم لبيان تجويز ذلك عليه واما ما يعالج به من النشرة
المقاومة للسحر فذكر ابن بطال ان في كتب وهب بن منبه ان ياخذ سبع ورقات من سدر
اخضر فيدقه بين حجرين ثم يضربه ذلك بالماء ويقرا فيه آية الكرسي والقلاقل ثم يحسو منه
ثلاث حسوات ثم يغتسل به فانه يذهب عنه ما كان به وهو جيد للرجل اذا حبس عن اهله

ومن

قدمة

وممن صرح بجواز النشرة المزني عن الشافعي وابو جعفر الطبري وغيرهما انتهى وقال
ابن الحاج في المدخل كان الشيخ ابو محمد المرجاني اكثر مداواته بالنشرة يعملها لنفسه
ولاولاده ولاصحابه فيجدون على ذلك الشفاء اخبره رحمه الله ان النبي صلى الله عليه
وسلم اعطاها له في المنام وقال انه مرة راى النبي صلى الله عليه وسلم قال له
كما تعلم ما عمل معك ومع اصحابك في هذه النشرة نقله عن خادمه وهي هذه لقد
جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم الى آخر السورة وننزل
من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين لو انزلنا هذا القرآن على جبل الى آخر السورة
وسورة الاخلاص والمعوذتين ثم يكتب اللهم انت المحيي وانت المميت وانت الخالق وانت
البارئ وانت المبلي وانت المعافي وانت الشافي خلقتنا من ماء مهين وجعلتنا في قرار
مكين الى قدر معلوم اللهم اسالك باسمائك الحسنى وصفاتك العلا يا من بيده الابتلاء
والمعافاة والشفاء والدواء واسالك بمعجزات نبيك محمد صلى الله عليه وسلم وبركات خليلك
ابراهيم عليه السلام وحرمة كليمك موسى عليه السلام اللهم اشفه **ذكر رقية
تنفع لكل شكوى** عن ابي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من اشتكى منكم شيئا فليقل ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك امرك
في السماء والارض كما رحمتك في السماء فاجعل رحمتك في الارض واغفر لنا حوبنا وخطايانا
انت رب الطيبين انزل رحمة من عندك وشفاء من شفائك على هذا الوجع فيبرأ
باذن الله رواه ابو داود في سننه **رقيته عليه الصلاة والسلام من الصداع**
روى الحميدي في الطب عن يونس بن يعقوب عن عبد الله قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يتعوذ من الصداع بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله الكبير واعوذ
بالله العظيم من شر كل عرق نعار ومن شر حر النار ورواه ابن السني من حديث
ابن عباس رضي الله عنهما **واصابت** اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما ورم في راسها
فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على ذلك من فوق الثياب فقال بسم الله
اذهب عنها سوءه وفحشه بدعوة نبيك الطيب المبارك المكين عندك بسم الله صنع ذلك
ثلاث مرات وامرها ان تقول ذلك فقالت ثلاثة ايام فذهب الورم رواه الشيخ
ابن النعمان بسنده والبيهقي **رقيته صلى الله عليه وسلم من وجع الضرس**
روى البيهقي ان عبد الله بن رواحة شكى الى النبي صلى الله عليه وسلم وجع ضرسه
فوضع صلى الله عليه وسلم يده على خده الذي فيه الوجع وقال اللهم اذهب عنه
سوء ما يجد وفحشه بدعوة نبيك المبارك المكين عندك سبع مرات فشفاه الله قبل
ان يبرح وروى الحميدي ان فاطمة رضي الله عنها اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم
تشكو ما تلقى من ضربان الضرس فادخل سبابته اليمنى فوضعها على السن الذي يالم
فقال بسم الله وبالله اسالك بعزك وجلالك وقدرتك على كل شيء فان مريم لم تلد غير
عيسى من روحك وكلمتك ان تكشف ما تلقى فاطمة بنت خديجة من الضر كله فسكن
ما بها **ومن** العجيب ما شاع وذاع عن شيخنا المحب الطبري امام مقام الخليل بمكة

عندم

وراتبه يفعله غير مرة ويضع يده على راس الموجوع ضرسه ويسأل عن اسمه واسم امه
وعن المدة التي يريد الالم ان لا يألمه فيها فيقول سبع سنين او تسع سنين مثلا بالوتر
فلو اخبر برفع يده الاول وقد سكن الالم ويمكث المدة المذكورة لا يألمه كما استبيح ذلك واستهر
وماجرب ان يكتب الخد الذي يلي الوجع بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الذي انشأكم وجعل
لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون وان شاء كتب وله ما سكن في الليل والنهار وهو
السميع العليم **رقية حصر البول** روى النسائي عن ابي الدرداء انه اتاه رجل يذكر
ان اباه احتبس بوله فاصابه حصاة البول فعلمه رقية سمعها من رسول الله صلى الله عليه
وسلم ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك امرك في السماء والارض كما رحمتك في السماء
فاجعل رحمتك في الارض واغفر لنا ذنوبنا وخطايانا انت رب الطيبين فانزل شفاء من شفائك
ورحمة من رحمتك على هذا الوجع فيبرا وامره ان يرقيه بها فرقاه بها فبرا وقد تقدم هذا
في رقية الشكوى العامة من حديث ابي داود **رقية الحمى** عن انس قال دخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم على عائشة وهي موعوكة وهي تسب الحمى فقال لا تسبيها فانها مأمورة
ولكن ان شئت علمتك كلمات اذا قلتيهن اذهبها الله عنك قالت فعلمني قال قولي اللهم ارحم
جلدي الرقيق وعظمي الدقيق من شدة الحريق يا ام ملدم ان كنت آمنت بالله العظيم فلا تصدعي
الراس ولا تنتني الفم ولا تأكلي اللحم ولا تشربي الدم وتحولي عني الى من اتخذ مع الله الها آخر
قالت فقالتها فذهبت عنها رواه البيهقي **وقد جرب ذلك** كما رايته بخط شيخنا ولفظه اللهم
ارحم عظمي الدقيق وجلدي الرقيق واعوذ بك من فورة الحريق يا ام ملدم ان كنت آمنت بالله
واليوم الآخر فلا تأكلي اللحم ولا تشربي الدم ولا تفوري على الفم وانتقلي الى من يزعم ان مع الله
الها آخر فاني اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله **ويكتب للحمى المثلثة**
ما ذكره صاحب الهدي على ثلاث ورقات لطاف بسم الله فرت بسم الله مرت بسم الله قلت
ويأخذ كل يوم ورقة ويجعلها في فمه ويبلعها بماء **وقد** رخص جماعة من السلف في كتابة
بعض القرآن وشربه وجعل ذلك من الشفاء الذي جعل الله فيه قال ابن الحاج في المدخل
وقد كان الشيخ ابو محمد المرجاني لا تزال الاوراق للحمى وغيرها على باب الزاوية فمن كان به
الم اخذ ورقة منها فاستعملها فيبرا باذن الله عز وجل وكان المكتوب فيها ازلي لم يزل
ولا يزال يزيل الزوال وهو لا يزال ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وننزل من القرآن
ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين وقال المروزي بلغ ابا عبد الله اني حممت فكتب لي من الحمى رقعة
فيها بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله وبالله ومحمد رسول الله يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم
وارادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل اشف صاحب
هذا الكتاب بحولك وقوتك وجبروتك اله الحق آمين **وماجرب للخراج** وتعليقه صاحب ذات
الظهار ان يكتب عليه ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا
لا ترى فيها عوجا ولا امتا **وما يكتب لعسر الولادة** ما روى الخلال عن عبد الله بن الامام
احمد بن حنبل قال رايت ابي يكتب للمرأة اذا عسر عليها ولدها في جام ابيض او شيء نظيف
حديث ابن عباس لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين

لانهم

كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية
او ضحاها قال الخلال اخبرنا ابو بكر المروذي ان ابا عبد الله جاءه رجل فقال يا ابا عبد الله
يكتب لامرأة قد عسر عليهم ولدها منذ يومين فقال قل له يجيء بجام واسع وزعفران قال
ورايته يكتب لغير واحد **وذكر في المدخل** يكتب في آنية جديدة اخرج ايها الولد من بطن
ضيقة الى سعة هذه الدنيا اخرج بقدرة الله الذي جعلك في قرار مكين الى قدر معلوم لو انزلنا
هذا القرآن على جبل الى آخر السورة وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ثم
تغسل وترش منه على وجهها قال الشيخ المرجاني اخذته عن بعض السادة مما كتبته
لاحد الا نجح في وقته انتهى **وروى** عن عكرمة عن ابن عباس قال مر عيسى عليه السلام على بقرة
قد اعترض ولدها في بطنها فقالت يا كلمة الله ادع الله لي ان يخلصني مما انا فيه فقال
يا خالق النفس من النفس ويا مخلص النفس من النفس ويا مخرج النفس من النفس خلصها
قال فرمت بولدها فاذا هي قائمة تشمه قال فاذا عسر على المرأة ولدها فاكتبه لها **وما يكتب
لذلك ايضا** ويكون في اناء نظيف اذا السماء انشقت واذنت لربها وحقت واذا الارض مدت
والقت ما فيها وتخلت وتشرب الحامل منه وترش على بطنها **وما يكتب للرعاف** على جبهة المرعوف
وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر ولا يجوز كتابته بدم
الراعف كما يفعله بعض الجهال فان الدم نجس فلا يجوز ان يكتب به كلام الله **وما يكتب
لحرقة البنا** بسم الله الرحمن الرحيم اللهم رب كل شيء ومليك كل شيء وخالق كل شيء انت
خلقتني وخلقت الشافي فلا تسلطه علي باذى ولا تسلطني عليه بقطع واشفني شفاء
لا يغادر سقما لا شافي الا انت **واما حفيظة رمضان** لا آلاء الا آلاؤك يا الله انك سميع
عليم بالله محيط به علمك كعسلهون وبالحق انزلناه وبالحق نزل الى آخرها فقال شيخنا
اشتهرت ببلاد اليمن ومكة ومصر والمغرب وجملة بلدان انها حفيظة رمضان تحفظ من الغرق
والسرق والحرق وسائر الآفات وتكتب في آخر جمعة منه وجمهورهم يكتبها والخطيب يخطب
على المنبر وبعضهم بعد صلاة العصر وهذه بدعة لا اصل لها وان وقعت في كلام غير واحد
من الاكابر بل اشتهر كلام بعضهم وورودها في حديث ضعيف وكان الحافظ ابن حجر ينكرها
جدا حتى وهو قائم على المنبر في اثناء خطبته حين يرى من يكتبها انتهى **ذكر ما يقي
من كل بلاء** عن ابان بن عثمان عن ابيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من قال بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الارض ولا في السماء وهو السميع
العليم ثلاث مرات حين يمسي لم تصبه فجاءة بلاء حتى يصبح ومن قالها حين يصبح لم تصبه
فجاءة بلاء حتى يمسي قال فاصاب ابان بن عثمان الفالج فجعل الذي سمع منه الحديث ينظر
اليه فقال ما لك تنظر الي فوالله ما كذبت على عثمان ولا كذب عثمان على رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولكن اليوم الذي اصابني فيه ما اصابني غضبت فنسيت ان اقولها رواه ابو
داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح وعنده فكان ابان قد اصابه طرف فالج فجعل الرجل
ينظر اليه فقال له ابان ما تنظر الي اما ان الحديث كما حدثتك ولكن لم اقله يومئذ ليمضي الله قدره
ذكر ما يستجلب به المعافاة من سبعين بلاء ذكر ابو محمد عبد الله بن محمد المالكي الافريقي

عليهم

في كتاب اخبار الاوليا عن انس بن مالك مرفوعا من قال بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم عشر مرات بري من ذنوبه كيوم ولدته امه وعوفي من سبعين بلا
من بلايا الدنيا منها الجذام والجنون والبرص والريح ويشهد له ما رواه الترمذي عن ابي هريرة
قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
فانها من كنز الجنة قال مكحول فمن قال لا حول ولا قوة الا بالله ولا منجا من الله الا اليه كشف الله
عنه سبعين بابا من الضر ادناها الفقر وروى الطبراني عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال لا حول ولا قوة الا بالله كان دواء من تسعة
وتسعين داء ايسرها الهم ومن ذلك في الامان من الفقر عن ابي موسى قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال لا حول ولا قوة الا بالله مائة مرة في كل يوم مائة
لم يصبه فقر ابدا رواه ابن ابي الدنيا وروى الطبراني عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ابطا عليه رزقه فليكثر من قول لا حول ولا قوة
الا بالله وعن جعفر بن محمد عن ابيه عن جده عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
مرفوعا من قال كل يوم وليلة لا اله الا الله الملك الحق المبين كان له امانا من الفقر
وانسا من وحشة القبر واستفتح به باب الغنا واستقرع به باب الجنة قال بعض
رواته لو رحلتم في هذا الحديث الى الصين ما كان كثيرا ذكره عبد الحق في كتاب الطب
النبوي ذكر دواء الطعام روى البخاري في تاريخه عن عبد الله بن مسعود قال من قال
حين يوضع الطعام بسم الله خير الاسماء في الارض وفي السماء لا يضر مع اسمه داء
اجعل فيه رحمة وشفاء لم يضره ما كان به ذكر دواء ام الصبيان عن علي قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولد له مولود فاذن في اذنه اليمنى واقام في اليسرى
لم يضره ام الصبيان رواه ابن السني وذكره عبد الحق في الطب النبوي وام الصبيان هي
الريح التي تعرض لهم فربما يخشى عليهم منها وسر التاذين كما قال صاحب تحفة المودود
باحكام المولود ان يكون اول ما يقرع سمع المولود كلماته المتضمنة لكبرياء الرب وعظمته
والشهادة التي اول ما يدخل بها في الاسلام فكان ذلك كالتلقين له شعار الاسلام عند
دخوله الى الدنيا كما يلقن كلمة التوحيد عند خروجه منها مع ما في ذلك من فائدة اخرى
وهي هروب الشيطان من كلمات الاذان وهو كان يرصده حتى يولد فيقارنه للمحنة التي
قدرها الله وشاءها فيسمع الشيطان ما يضعفه ويغيظه اول اوقات تعلقه به النوع
الثاني في طبه صلى الله عليه وسلم بالادوية الطبيعية ذكر ما كان عليه السلام
يعالج به الصداع الم في بعض اجزاء الراس او كله فما كان منه في احد جانبي الراس
لازما سمي شقيقة بوزن عظيمة وسببه ابخرة مرتفعة او اخلاط حارة او باردة
ترتفع الى الدماغ فان لم تجد منفذا احدثت الصداع فان مال الى احد شقي الراس
احدث الشقيقة وان ملك كل الراس احدث داء البيضة تشبيها ببيضة السلاح
التي تشتمل على الراس كلها واسباب الصداع كثيرة منها ما تقدم ومنها ما يكون عن
ورم في المعدة او في عروقها او ريح غليظة فيها او لامتلائها ومنها ما يكون من الحركة

العصبية

العصبية كالجماع والتعب والاستفراغ والسهر وكثرة الكلام ومنها ما يحدث عن حادث
في الراس كضربة تصيبه او ورم في صفاق الدماغ او حمل شيء ثقيل يضغط الراس او
تسخينه بشيء خارج عن الاعتدال او تبريده بملاقاة الهوى او الماء في البرد واما
الشقيقة فهي في شرايين الراس وحدها وتختص بالموضع الاضعف من الراس وعلاجها
بشد العصابة وقد اخرج الامام احمد من حديث بريدة انه صلى الله عليه وسلم
كان ربما اخذته الشقيقة فيمكث اليوم واليومين لا يخرج وفي الصحيح انه صلى الله
عليه وسلم قال في مرض موته وا راساه وانه خطب وقد عصب راسه فعصب
الراس ينفع الشقيقة وغيرها من اوجاع الراس وفي البخاري من حديث ابن عباس
احتجم صلى الله عليه وسلم وهو محرم في راسه من شقيقة كانت به وقد جاءت
بها في بعض طرق ابن عباس نفسه عند ابي داود والطيالسي في مسنده من حديث
ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم احتجم في وسط راسه وقد قال الاطبا
انها نافعة جدا وورد انه صلى الله عليه وسلم احتجم ايضا في الاخدعين والكاهل
اخرجه الترمذي وحسنه وابو داود وابن ماجة وصححه الحاكم وقد قال الاطبا
الحجامة على الاخدعين تنفع من امراض الراس والوجه كالاذنين والعينين والاسنان
والانف وقد روي في حديث ضعيف جدا اخرجه ابن عدي من طريق عمر بن رياح
عن عبد الله بن طاوس عن ابيه عن ابن عباس رفعه الحجامة في الراس تنفع من سبع
من الجنون والجذام والبرص والصداع ووجع الضرس والعين وعمر متروك رماه
الفلاس وغيره بالكذب وروى ابن ماجة في سننه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا صدع
غلف راسه بالحنا ويقول انه نافع باذن الله من الصداع وفي صحته نظر وهو علاج
خاص بما اذا كان الصداع من حرارة ملتهبة ولم يكن من مادة يجب استفراغها واذا
كان كذلك نفع فيه الحنا نفعا ظاهرا واذا دق وضمدت به الجبهة مع الخل سكن
الصداع وهذا لا يختص بوجع الراس بل يعم جميع الاعضا وفي تاريخ البخاري وسنن
ابي داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شكى اليه احد وجعا الا قال له احتجم
ولا شكى وجعا في رجليه الا قال له اختضب بالحنا وفي الترمذي عن علي بن عبيد الله
عن جدته وكانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم قالت ما كان يكون برسول الله
صلى الله عليه وسلم قرحة ولا نكبة الا امرني ان اضع عليها الحنا ذكر طبه
صلى الله عليه وسلم للرمد وهو ورم حار يعرض في الطبقة الملتحمة من العين
وهو بياضها وسببه انصباب احد الاخلاط او ابخرة تصعد من المعدة الى الدماغ
فان اندفع الى الخياشيم احدث الزكام او الى العين احدث الرمد او الى اللهاة
والمنخرين احدث الخنان بالخاء المعجمة والنون او الى الصدر احدث النزلة او الى
القلب احدث الشوصة وان لم يجد ذلك منفذا فلم يجد احدث الصداع كما تقدم
وروى انه عليه الصلاة والسلام كان يعالج الرمد بالسكون والدعة وترك الحركة
وفي سنن ابن ماجة عن صهيب قال قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم وبين يديه

ما يحدث من الاعراض النفسانية كالهم والجوع والحزن والحمى ومنها

ذكر طبه صلى الله عليه وسلم للرمد

في راسه

خبز وتمر فقال ادن وكل فأخذت تمرا فاكلت فقال تاكل تمرا وبك رمد فقلت يا رسول الله امضغ من الناحية الاخرى فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روي انه حمى عليا من الرطب لما اصابه الرمد وفي البخاري من حديث سعيد بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الكماة من المن وماؤها شفاء للعين والكماة نبات لا ورق لها ولا ساق توجد في الارض من غير ان تزرع وروى الطبري من طريق المنكدر عن جابر قال كثرت الكماة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فامتنع قوم من اكلها وقالوا هو جدري الارض فبلغه ذلك فقال ان الكماة ليست جدري الارض الا ان الكماة من المن واختلف في قوله من المن فقيل من المن الذي انزل الله على بني اسرائيل وهو الطل الذي يسقط على الشجر فيجمع ويوكل حلوا ومنه الترنجبيل فكانه شبه الكماة بجامع ما بينهما من وجود كل منهما عفوا بغير علاج وقال الخطابي ليس المراد انها نوع من المن الذي انزل على بني اسرائيل فان الذي انزل على بني اسرائيل كان كالترنجبين الذي يسقط على الشجر وانما المعنى ان الكماة شيء ينبت من غير تكلف ببذر ولا سقي وانما اختصت الكماة بهذه الفضيلة لانها من الحلال المحض الذي ليس فيه اكتساب شبهة ويستنبط منه ان استعمال الحلال المحض يجلو البصر وقال ابن الجوزي في المراد بكونها شفاء للعين قولان احدهما انه ماؤها حقيقة الا ان اصحاب هذا القول اتفقوا على انها لا تستعمل صرفا في العين لكن اختلفوا كيف يصنع بها على رايين احدهما انه يخلط في الادوية التي يكتحل بها حكاه ابو عبيد ثانيهما ان تشق وتوضع على الجمر حتى يغلي ماؤها ثم يوخذ الميل فيجعل في ذلك الشق وهو فاتر فيكتحل بمائها لان النار تلطفه وتذهب فضلاته الرديئة ويبقى النافع منه ولا يجعل الميل في مائها وهي باردة يابسة فلا ينجع وقال آخر يجعل الكماة في قدر جديد ويصب عليه الماء ولا يطرح فيها ملح ثم يوخذ غطاء جديد نقي فيجعل على القدر فما جرى من الغطاء من بخار الكماة فذلك الماء الذي يكتحل به وقال ابن وافد ان ماء الكماة اذا عصر وربي به الاثمد كان من اصلح الاشياء للعين اذا اكتحل به يقوي اجفانها ويزيد الروح الباصرة قوة وحدة ويدفع عنها نزول النوازل وقال ايضا اذا اكتحل بماء الكماة وحده بميل من ذهب تبين للفاعل لذلك قوة عجيبة وحدة في البصر كبيرة وقال ابن القيم اعترف فضلاء الاطباء ان ماء الكماة يجلو العين منهم المسيحي وابن سينا وغيرهما قال والذي يزيل الاشكالات عن هذا الاختلاف ان الكماة وغيرها خلقت في الاصل سليمة من المضار ثم عرضت لها الآفات بامور اخرى من مجاورة او امتزاج او غير ذلك من الاسباب التي ارادها الله تعالى فالكماة في الاصل نافعة لما اختصت به من وصفها بانها من الله وانما عرضت لها المضار بالمجاورة واستعمال كل ما وردت به السنة بصدق ينتفع به من يستعمله ويدفع الله عنه الضرر بنيته والعكس بالعكس والله اعلم

ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من العذرة وهي بضم المهملة وسكون الذال المعجمة وجع في الحلق يعتري الصبيان غالبا وقيل هي قرحة تخرج بين الاذن والحلق او في الخرم الذي بين الانف والحلق وهو الذي يسمى سقوط اللهاة وقيل هو اسم اللهاة والمراد وجعها سمي باسمها وقيل هو موضع قريب من اللهاة واللهاة بفتح اللام اللحمة في اقصى الحلق وفي البخاري من حديث

ام

ام قيس بنت محصن الاسدية وهي اخت عكاشة انها اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بابن لها قد اعلقت عليه من العذرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم علام تدغرن اولادكن بهذا العلاق عليكم بهذا العود الهندي فان فيه سبعة اشفية منها ذات الجنب يريد الكست وهو العود الهندي قوله تدغرن خطاب للنسوة وهو بالغين المعجمة والدال المهملة والدغر غمز الحلق وعن جابر بن عبد الله قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على عائشة وعندها صبي يسيل منخراه دما فقال ما هذا فقالوا انه العذرة او وجع في راسه فقال ويلكن لا تقتلن اولادكن ايما امراة اصاب ولدها عذرة او وجع في راسه فلتاخذ قسطا هنديا فلتحكه بماء ثم تسعطه اياه فامرت عائشة فصنع ذلك بالصبي فبرئ الحديث وفي القسط تجفيف لسيلان اللهاة ويرفعها الى مكانها وقد يكون نفعه لان الاطباء يجعلون اللهاة والعلاق هو شيء يعلقونه على الصبيان عند وجعهم ... الى ما هو انفع للاطفال واسهل عليهم والسعوط ما يصب في الانف وقد استشكل معالجتها بالقسط مع كونه حارا والعذرة انما تعرض في زمن الحر بالصبيان وامزجتهم حارة وقطر الحجاز حار واجيب بان مادة العذرة دم يغلب عليه البلغم وفي القسط تجفيف للرطوبة وقد يكون نفعه في هذا الداء بالخاصية وايضا فالادوية الحارة تنفع من الامراض الحارة كثيرا بل وبالذات ايضا وقد ذكر ابن سينا في معالجة سقوط اللهاة بالقسط مع الشب على انا لو لم نجد شيئا من التوجيهات لكان المعجز خارجا عن القواعد الطبية

ذكر طبه صلى الله عليه وسلم لداء استطلاق البطن في الصحيحين من حديث ابي المتوكل عن ابي سعيد الخدري ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان اخي يشتكي بطنه وفي رواية استطلق بطنه فقال اسقه عسلا فسقاه فقال اني سقيته فلم يزده الا استطلاقا فقال صدق الله وكذب بطن اخيك وفي رواية مسلم فقال له ثلاث مرات ثم جاء الرابعة فقال اسقه عسلا فقال سقيته فلم يزده الا استطلاقا وفي رواية احمد عن يزيد بن هارون فقال في الرابعة اسقه عسلا قال فاظنه قد سقاه فبرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرابعة صدق الله وكذب بطن اخيك قال الخطابي وغيره اهل الحجاز يطلقون الكذب في موضع الخطا يقال كذب سمعك اي زل فلم يدرك حقيقة ما قيل له فمعنى كذب بطنه اي لم يصلح لقبول الشفاء بل زل عنه وقال الامام فخر الدين الرازي لعله صلى الله عليه وسلم علم بنور الوحي ان ذلك العسل سيظهر نفعه بعد ذلك فلما لم يظهر نفعه في الحال مع كونه عليه السلام كان عالما بانه سيظهر نفعه بعد ذلك كان يجاري مجرى الكذب فلهذا اطلق عليه هذا اللفظ وقد اعترض بعض الملاحدة فقال العسل مسهل فكيف يوصف لمن وقع به الاسهال واجيب بان ذلك جهل من قائله بل هو كقوله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه فقد اتفق الاطباء على ان المرض الواحد يختلف علاجه باختلاف السن والعادة والزمان والغذاء المالوف والتدبير وقوة الطبيعة وفعلها فانه احتاج الى مسهل احتيج ما دام بالعليل قوة فكان هذا الرجل كان استطلاق بطنه من تخمة اصابته فوصف له صلى الله عليه وسلم

الحلق

الاستسقاء

فقال صدق الله وكذب بطن اخيك

وعلى ان الاسهال الحادث من انواع منها الهيضة التي تنشا من تخمة واتفقوا على ان علاجها بترك الطبيعة

العسل لدفع الفضول المجتمعة في نواحي المعدة من اخلاط لزجة تمنع استقرار الغذاء
فيها وللمعدة خمل كخمل المنشفة فاذا علقت بها الاخلاط لم ينجع في ذلك مثل العسل
لاسيما ان مزج بالماء الحار وانما لم يفده في اول مرة لان الدواء يجب ان يكون له مقدار
وكمية بحسب الداء ان قصر عنه لم يدفعه بالكلية وان جاوزه اوهى القوة واحدث
ضررا آخر فكانه شرب منه اولا مقدارا لا يفي بمقاومة الداء فامره بمعاودة سقيه
فلما تكررت الشربات بحسب مادة الداء برا باذن الله تعالى وفي قوله صلى الله عليه وسلم
وكذب بطن اخيك اشارة الى ان هذا الدواء نافع وان بقاء الداء ليس لقصور الدواء
في الشفاء ولكن لكثرة المادة الفاسدة فمن ثم امره بمعاودة شرب العسل لاستفراغها
وقال بعضهم ان العسل تارة يجري سريعا الى العروق وينفذ معه جل الغذاء ويدر
البول فيكون قابضا وتارة يبقى في المعدة فيهيجها بلذعه لها حتى يدفع الطعام ويسهل
البطن فيكون مسهلا فانكار وصفه بالمسهل مطلقا فقصور من المنكر وقال ابن الجوزي
في وصفه صلى الله عليه وسلم العسل لهذا المنشهل اربعة اقوال احدها انه حمل الاية
على عمومها في الشفاء والى ذلك اشار بقوله صدق الله اي في قوله فيه شفاء للناس فلما نبه
على هذه الحكمة تلقاها بالقبول فشفي باذن الله تعالى الثاني ان الوصف المذكور على المالوف
من عادتهم من التداوي بالعسل في الامراض كلها الثالث ان الموصوف له ذلك كانت به هيضة
كما تقدم تقريره الرابع يحتمل ان يكون امره بطبخ العسل قبل شربه فانه يعقد البلغم
فلعله شربه اولا بغير طبخ انتهى والثاني والرابع ضعيفان ويؤيد الاول حديث ابن مسعود
عليكم بالشفائين العسل والقرآن اخرجه ابن ماجة والحاكم مرفوعا واخرجه ابن ابي شيبة
والحاكم ايضا موقوفا ورجاله رجال الصحيح واثر اذا اشتكى احدكم فليستوهب من
امرأته من صداقها فليشتر به عسلا ثم ياخذ ماء السماء فيجمع هنيئا مريئا مباركا اخرجه ابن
ابي حاتم في التفسير باسناد حسن وروينا عنه رضي الله عنه انه قال اذا اراد احدكم
الشفاء فليكتب آية من كتاب الله في صحفة وليغسلها بماء السماء وليأخذ من امرأته درهما
عن طيب نفس منها فليشتر به عسلا فليشربه فانه شفاء وقال وانزلنا من السماء ماء مباركا
وقال فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا وقال في العسل فيه شفاء للناس
ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من يبس الطبيعة بما يمشيه ويلينه روى الترمذي
وابن ماجة في سننه من حديث اسماء بنت عميس قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بماذا كنت تستمشين قالت بالشبرم قال حار حار ثم قالت استمشيت بالسنا فقال النبي
صلى الله عليه وسلم لو ان شيئا كان فيه الشفاء من الموت لكان في السنا قال ابو عيسى هذا
حديث غريب وقد ذكره البخاري في تاريخه الكبير من حديث اسماء بنت عميس مثل ما ذكره الترمذي
وذكر ابو محمد الحميدي في كتاب الطب له انه صلى الله عليه وسلم قال اياكم والشبرم
فانه حار حار وعليكم بالسنا فتداووا به فلو دفع الموت شيء لدفعه السنا وحكى عبد الحق
الاشبيلي في كتاب الطب النبوي له ان الحاسبي ذكر في كتاب المسبحي بالفضل الى الله ان النبي
صلى الله عليه وسلم شرب السنا بالتمر وفي سنن ابن ماجة من حديث ابراهيم بن ابي

عبلة

الزجة افسدتها وافسدت الغذاء الواصل اليها فكان دواؤها باستفراغ ما يخلو الات الاخلاط ٤

فيهيجها

قال الحافظ ابن كثير بعد ان ذكره اي من وجوه قال الله تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ٤

صادصادى

صادصادى

عبلة قال سمعت عبد الله بن حرام وكان ممن صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
القبلتين يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عليكم بالسنا والسنوت
فان فيهما شفاء من كل داء الا السام قيل يا رسول الله وما السام قال الموت قالوا والشبرم
قشر عرق شجرة وهو حار يابس في الدرجة الرابعة وهو من الادوية التي منع الاطباء
من استعمالها لخطرها وفرط اسهالها واما السنا فهو نبت حجازي افضله المكي وهو دواء
شريف مامون الغائلة قريب من الاعتدال حار يابس في الدرجة الاولى يسهل الصفراء
والسوداء ويقوي جرم القلب وهذه فضيلة شريفة ومن خاصيته النفع من الوسواس
السوداوي قال الرازي السنا والشاهترج يسهلان الاخلاط المحترقة وينفعان من الجرب
والحكة قال والشربة من كل واحد منهما من اربعة دراهم الى سبعة دراهم واما
السنوت فقيل هو العسل وقيل رب عكة السمن يخرج خطوطا سوداء على السمن وقيل حب
يشبه الكمون وليس به وقيل هو الكمون الكرماني وقيل هو الرازيانج وقيل انه العسل
الذي يكون في زقاق السمن قال بعض الاطباء وهذا اجدر بالمعنى واقرب الى الصواب
اي يخلط السنا مدقوقا بالعسل المخالط للسمن ثم يلعق فيكون اصلح من استعماله مفردا
لما في العسل والسمن من اصلاح السنا واعانته على الاسهال ذكر طبه صلى الله عليه
وسلم للمفؤود وهو الذي اصيب فؤاده فهو يشتكيه كالمبطون روى ابو داود عن سعد
قال مرضت مرضا فاتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني فوضع يده بين ثديي
حتى وجدت بردها على فؤادي وقال لي انك رجل مفؤود ائت الحارث بن كلدة من ثقيف
فانه رجل متطبب فليأخذ سبع تمرات من عجوة المدينة فليجأهن بنواهن ثم ليلدك بهن الفؤاد
وهذا الحديث من الخطاب العام الذي اريد به الخاص كاهل المدينة ومن جاورهم والتمر
لاهل المدينة كالحنطة لغيرهم واللدود ما يسقاه الانسان من احد جانبي الفم وفي التمر
خاصية عجيبة لهذا الداء سيما تمر المدينة ولاسيما العجوة وفي كونها سبعا خاصية اخرى
تدرك بالوحي وفي الصحيحين من تصبح بسبع تمرات عجوة من تمر العالية لم يضره في ذلك
اليوم سم ولا سحر ذكر طبه صلى الله عليه وسلم لداء ذات الجنب في البخاري
مرفوعا عليكم بهذا العود الهندي فان فيه سبعة اشفية منها ذات الجنب وفي الترمذي
من حديث زيد بن ارقم قال صلى الله عليه وسلم تداووا من ذات الجنب بالقسط البحري
والزيت اعلم ان ذات الجنب ورم حار يعرض في الغشاء المستبطن للاضلاع وقد يطلق على
ما يعرض في نواحي الجنب من رياح غليظة تحتقن بين الصفاقات والعضل التي في الصدر
والاضلاع فيحدث وجعا فالاول هو ذات الجنب الحقيقي الذي تكلم عليه الاطباء قالوا ويحدث
بسببه خمسة امراض الحمى والسعال والنخس وضيق النفس والنبض المنشاري
ويقال لذات الجنب ايضا وجع الخاصرة وهو من الامراض المخوفة لانها تحدث بين القلب
والكبد وهي من سيء الاسقام والمراد بذات الجنب هنا الثاني لان القسط وهو العود
الهندي هو الذي يداوى به الريح الغليظة وقد حكى الامام ابن القيم عن المسيحي انه قال
العود حار يابس قابض يحبس البطن ويقوي الاعضاء الباطنة ويطرد الريح ويفتح السدد

ويذهب فضل الرطوبة نافع من ذات الجنب جيد للدماغ قال ويجوز ان ينفع من ذات الجنب
الحقيقية ايضا اذا كانت ناشئة عن مادة بلغمية ولا سيما في وقت انحطاط العلة ذكر
طبه صلى الله عليه وسلم لداء الاستسقاء عن انس قال قدم رهط من عرينة وعكل
على النبي صلى الله عليه وسلم فاجتووا المدينة فشكوا ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لو
خرجتم الى ابل الصدقة فشربتم من البانها وابوالها ففعلوا فلما صحوا عمدوا الى الرعاة فقتلوهم
واستاقوا الابل وحاربوا الله ورسوله فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثارهم فاخذوا
فقطع ايديهم وارجلهم وسمل اعينهم والقاهم في الشمس حتى ماتوا رواه الشيخان واعلم
ان الاستسقاء مرض مادي سببه مادة غريبة باردة تتخلل الاعضاء فتربو لها اما الاعضاء
الظاهرة كلها واما المواضع الخالية من النواحي التي فيها تدبير الغذاء والاخلاط واقسامه
ثلاثة لحمي وهو اصعبها وهو الذي يربو معه لحم جميع البدن بمادة بلغمية تفشو مع الدم
في الاعضاء وزقي وهو الذي يجتمع منه في البطن الاسفل مادة مائية رديئة يسمع لها
عند الحركة خضخضة كالماء في الزق وهو اردأ انواعه عند اكثر الاطباء وطبلي وهو الذي
ينتفخ معه البطن بمادة ريحية اذا ضربت عليه سمعت له صوتا كصوت الطبل واما امره
عليه السلام بشرب ذلك لان في لبن اللقاح جلاء وتليينا وادرارا وتلطيفا وتفتيحا للسدد
اذ كان اكثر رعيها الشيح والقيصوم والبابونج والاقحوان والاذخر وغيرها كثير من الادوية
النافعة للاستسقاء خصوصا اذا استعمل بحرارته التي تخرج بها من الضرع مع بول الفصيل
وهو حار كما يخرج من الحيوان فان ذلك مما يزيد في ملوحة اللبن وتقطيعه الفضول
واطلاقه البطن واما ضعف المعدة فذكر ابن الحاج في المدخل ان بعض الناس مرض
بمعدته فرأى الشيخ الجليل ابو محمد المرجاني النبي صلى الله عليه وسلم وهو يشير بهذا الدوا
وهو ان يأخذ كل يوم على الريق وزن درهم من الورد المربا ويكون ملتوتا بالمصطكى بعد دقها
ويجعل فيها سبع حبات من السونيز يفعل ذلك سبعة ايام ففعله فبرا ومرض بعض الناس
ببرد المعدة فرأى الشيخ المرجاني ايضا النبي صلى الله عليه وسلم وهو يشير بهذا الدواء
اوقية ونصف عسل نحل ودرهمين سونيز ومثلها انيسون ونصف اوقية من النعناع الاخضر
ومن القرنفل درهم ومن القرفا نصف درهم وشيء من قشر الليمون مع قليل من الخل
ويعقد ذلك على النار فاستعمله فبرا ومرض آخر بسلس الريح فرأى الشيخ المرجاني ايضا
النبي صلى الله عليه وسلم وهو يشير بهذا الدوا سونيز ثلاثة دراهم ومن الخزامى درهم
ونصف ومن الكمون الابيض ثلاثة دراهم ومثله من السعتر الشامي ومثله من الفلفل
وزن درهم من البلوط وهو ثمرة الفؤاد واوقية من الزبيب المنقى يجعل فيه من العسل النحل
ما يعقد به وهو ربع رطل ويؤخذ منه غدوة النهار وزن درهمين على الريق وعند النوم
وزن درهم ونصف فاستعمله فبرا ثم انه عليه الصلاة والسلام بعد ذلك قال في النوم لذلك
الشخص الذي اخبره بهذا الدوا انه ينفع من الدواء وبري الريح وسلس الريح والمعدة وبرودتها
ووجع الفؤاد والم الحيض والم النفاس ويعقد الرياح والذنب المرقي صفته ان يأخذ
شيا من الزيت الطيب ويجعله في اناء نظيف ويحركه بعود ويقرأ عليه الاخلاص والمعوذتين

ولذ

لقد جاءكم رسول من انفسكم الى آخر السورة وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين
لو انزلنا هذا القرآن على جبل الى آخر السورة وحصل لآخر قولنج فرأى الشيخ النبي
صلى الله عليه وسلم فاشار بهذا الدوا وهو ان يأخذ ثلاثة دراهم من عسل النحل
وزن درهم ونصف من الزبيب المنقى واحدى وعشرين حبة من السونيز ويخلط
الجميع ثم يفطر عليه ويفعل مثله عند النوم ففعل ذلك حتى برا وتعمل له التلبينة
ويستعملها بعد ان يفطر على ذلك والتلبينة حسا يعمل من دقيق او نخالة وربما جعل
فيها عسل ويكون غذاؤه مسلوقة الدجاج او لحم الضان ففعله فبرى بعد ان اعيا الاطبا
ومرض آخر بوجع الظهر فشكى ذلك للشيخ فرأى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يشير
بهذا الدوا وهو عسل نحل وسونيز ودهن الالية والزيت المرقي ودقيق البيض ويخلط
ذلك كله ويمده على الموضع ويذر عليه دقيق العدس بقشره مع الحرمل بعد ما يدق ناعما
حتى يعود مثل الدقيق ففعله فبرا وشكى بعض الناس الدوخة في راسه فرأى
الشيخ النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فاشار الى هذا الدوا قرنفل وزنجبيل وقرفا
وجوزة طيب وسنبل من كل واحد درهم ونصف سونيز درهمين يدق الجميع ثم يطبخ
ويعقد بعسل النحل فاذا قرب استواه عصر عليه قليل ليمون ويكون عسل النحل غالبا
عليه ففعل فبرى انتهى وهذا وان كان مناما فقد عضدته التجربة مع ارشاد الشيخ
المرجاني لذلك ذكر طبه عليه السلام من داء عرق النسا وهو بفتح النون
والمهملة المرض الحال بالعرق والاضافة فيه من باب اضافة الشيء الى محله قيل وسمي
بذلك لان المه ينسي ما سواه وهذا العرق ممتده من مفصل الورك وينتهي الى آخر
القدم وراء الكعب وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دوا عرق النسا الكعب
الية شاة اعرابية تذاب ثم تجزا ثلاثة اجزاء ثم تشرب على الريق في كل يوم جزء رواه
ابن ماجة وهذا الدوا خاص بالعرب واهل الحجاز ومن جاورهم وهو انفعه لهم
لان هذا المرض يحدث من يبس وقد يحدث من مادة غليظة لزجة فعلاجها بالاسهال
والالية فيها الخاصيتان الانضاج والتليين وهذا المرض يحتاج علاجه الى هذين الامرين
وفي تعيين الشاة الاعرابية قلة فضولها وصغر مقدارها ولطف جوهرها وخاصية
مرعاها لانها ترعى اعشاب البر الحارة كالشيح والقيصوم ونحوهما وهذه اذا تغذى
بها الحيوان صار في لحمه من طبعها بعد ان يلطفها تغذية ويكسبها مزاجا الطف منها
ولا سيما الالية ذكر طبه عليه السلام من الاورام والخراجات بالبط والبزل
يذكر عن علي رضي الله عنه قال دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل يعوده
بظهره ورم فقالوا يا رسول الله بهذه مدة قال بطوا عنه قال علي فما برحت حتى بطت والنبي
صلى الله عليه وسلم شاهد ذكر طبه صلى الله عليه وسلم بقطع العروق والكي
روى الشيخان من حديث جابر لما رمي سعد بن معاذ في اكحله حسمه النبي صلى الله عليه وسلم
وروى الطحاوي وصححه الحاكم عن انس قال كواني ابو طلحة في زمن النبي صلى الله عليه
وسلم وعند الترمذي انه صلى الله عليه وسلم كوى اسعد بن زرارة من الشوكة وروى مسلم

ابن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم
بعث الى ابي بن كعب طبيبا فقطع عليه عرقا
فكواه عليه فاخرجه مسلم عن جابر رضي

عن عمران بن الحصين كان يسلم علي حتى اكتويت فترك ثم تركت الكي فعاد وفي رواية ان الذي كان انقطع
عني رجع الي يعني تسليم الملائكة وروى احمد وابو داود والترمذي عن عمران نهى رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن الكي فاكتوينا فما افلحنا ولا انجحنا الحديث وانما يستعمل الكي في الخلط الباغي
الذي لا تنحسم مادته الا به ولهذا وصفه صلى الله عليه وسلم ثم نهى عنه وانما كرهه لما فيه
من الالم الشديد والخطر العظيم ولهذا كانت العرب تقول في امثالها آخر الدواء الكي والنهي عنه
محمول على الكراهة او على خلاف الاولى لما يقتضيه مجموع الاحاديث وقيل انه خاص بعمران لانه
كان به الباسور وكان موضعه خطرا فنهاه عن كيه فلما اشتد عليه كواه فلم ينجح وقال ابن قتيبة
الكي نوعان كي الصحيح لئلا يعتل فهذا الذي قيل فيه لم يتوكل من اكتوى لانه يريد ان يدفع
القدر والقدر لا يدافع والثاني كي الجرح اذا فسد والعضو اذا قطع فهو الذي شرع التداوي به
فان كان الكي لامر محتمل فهو خلاف الاولى لما فيه من تعجيل التعذيب بالنار لامر غير محقق وحاصل
الجمع ان الفعل يدل على الجواز وعدم الفعل لا يدل على المنع بل يدل على ان تركه ارجح من فعله
ولذا وقع الثناء على تاركه واما النهي عنه فاما على سبيل الاختيار والتنزيه واما عما لا يتعين
طريقا الى الشفاء وقال بعضهم انما نهى عنه مع اثباته الشفاء فيه اما لكونهم كانوا يرون انه يحسم الداء بطبعه
فكرهه لذلك ولذلك كانوا يبادرون اليه قبل حصول الداء لظنهم انه يحسم الداء فيتعجل الذي يكوى
التعذيب بالنار لامر مظنون قال في فتح الباري ولم ار في اثر صحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم
اكتوى الا ان القرطبي نسبه الى كتاب ادب النفوس للطبري ان النبي صلى الله عليه وسلم
اكتوى وذكره الحليمي بلفظ روي انه اكتوى للجرح الذي اصابه باحد قال الحافظ ابن حجر والثابت
في الصحيح في غزوة احد ان فاطمة احرقت حصيرا فحشت به جرحه وليس هذا الكي المعهود
انتهى ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من الطاعون قال الخليل الطاعون الوبا
وقال ابن الاثير الطاعون المرض العام والوبا الذي يفسد له الهوى فتفسد به الامزجة والابدان
وقال القاضي ابو بكر بن العربي الطاعون الوجع الغالب الذي يطفي الروح سمي بذلك لعموم
مصابه وسرعة قتله وقال ابو الوليد الباجي هو مرض يعم الكثير من الناس في جهة من الجهات
بخلاف المعتاد من امراض الناس وقال القاضي عياض اصل الطاعون القروح الخارجة في الجسد
والوبا عموم الامراض فسميت طاعونا لشبهها بها في الهلاك وقال النووي في تهذيبه هو بثر
وورم مولم جدا يخرج مع لهب ويسود ما حوله ويخضر ويحمر حمرة شديدة بنفسجية كدرة ويحصل
معه خفقان وقيء ويخرج غالبا في المراق والاباط وقد يخرج في الايدي والاصابع وسائر الجسد
وقال ابن سينا الطاعون مادة سمية تحدث ورما قتالا تحدث في المواضع الرخوة والمغابن
من البدن واغلب ما يكون تحت الابط او خلف الاذن او عند الارنبة وسببه دم رديء يستحيل
الى جوهر سمي يفسد العضو ويغير ما يليه ويؤدي الى القلب كيفية رديئة فيحدث القيء والغثيان
والغشي والخفقان وهو لرداءته لا يقبل من الاعضاء الا ما كان اضعف بالطبع واردؤه ما يقع
في الاعضاء الرئيسة والاسود منه قل من يسلم منه واسلمه الاحمر ثم الاصفر والطواعين
تكثر عند الوبا في البلاد الوبئة ومن ثم اطلق على الطاعون وبا وبالعكس واما الوبا فهو فساد
جوهر الهوا الذي هو مادة الروح ومدده والحاصل ان حقيقته ورم ينشأ عن هيجان الدم

وانصباب

لانصباب الدم الى عضو فيفسده وان غير ذلك من الامراض العامة الناشئة عن فساد الهوا
يسمى طاعونا بطريق المجاز لاشتراكهما في عموم المرض به او كثرة الموت والدليل على ان الطاعون
يغاير الوبا ان الطاعون لم يدخل المدينة النبوية وقد قالت عائشة رضي الله عنها دخلنا المدينة
وهي اوبأ ارض الله وقال بلال اخرجونا الى ارض الوبا واما الطاعون من طعن الجن كما علم
تتعرض الاطبا لكونه من طعن الجن ووقوعه غالبا في اعدل الفصول وفي اصح البلاد هوآء
بعينه للارة ويصح اخرى ويذهب احيانا ويجي احيانا على غير قياس ولا تجربة وربما جا سنة
على سنة وربما ابطا سنين وبانه لو كان كذلك لعم الناس والحيوان والموجود بالمشاهدة
انه يصيب الكثير ولا يصيب من بجانبهم ممن هو في مثل مزاجهم ولو كان كذلك لعم جميع
البدن وهذا يختص بموضع من الجسد لا يجاوزه ولان فساد الهوى يقتضي تغير الاخلاط
وكثرة الاسقام وهذا في الغالب يقتل بلا مرض فدل على انه من طعن الجن كما ثبت في الاحاديث
الواردة في ذلك منها حديث احمد والطبراني عن ابي بكر بن ابي موسى الاشعري قال
سالت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هو وخز اعدائكم من الجن وهو لكم شهادة
قال شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر يقع في الالسنة وهو في النهاية لابن الاثير تبعا لغريبي الهروي
بلفظ وخز اخوانكم ولم اره بلفظ اخوانكم بعد التتبع الطويل البالغ في شيء من طرق الحديث
المسندة لا في الكتب المشهورة ولا في الاجزاء المنثورة وقد عزاه بعضهم لمسند احمد
او الطبراني او كتاب الطواعين لابن ابي الدنيا ولا وجود لذلك في واحد منها والله اعلم انتهى
وفي الصحيحين من حديث اسامة بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
الطاعون رجز ارسل على طائفة من بني اسرائيل وعلى من كان قبلكم فاذا سمعتم به بارض فلا تدخلوا
عليه واذا وقع بارض وانتم بها فلا تخرجوا منها فرارا منه وقد ذكر العلما في النهي عن الخروج
حكما منها ان الغالب في الطاعون يكون عاما في البلد الذي يقع به فاذا وقع فالظاهر مداخلة سببه
لمن بها فلا يفيده الفرار لان المفسدة اذا تعينت حتى لا يقع الانفكاك عنها كان الفرار عبثا
فلا يليق بالعاقل ومنها ان الناس لو تواردوا على الخروج لصار من عجز عنه بالمرض المذكور
او بغيره ضائع المصلحة لفقد من يتعهده حيا وميتا وايضا لو شرع الخروج فخرج الاقويا
لكان في ذلك كسر قلوب الضعفا وقد قالوا ان حكمة الوعيد في الفرار من الزحف لما فيه من كسر
قلب من لم يفر وادخال الرعب عليه بخذلانه وقد جمع الغزالي بين الامرين فقال الهوا لا يضر
من حيث ملاقاته ظاهر البدن بل من حيث دوام الاستنشاق فيصل الى القلب والرية فيؤثر
في الباطن ولا يظهر على الظاهر الا بعد التاثير في الباطن فالخارج من البلد الذي يقع به لا يخلص غالبا
مما استحكم به وينضاف الى ذلك انه لو رخص للاصحا في الخروج لبقي المرضى لا يجدون من يتعاهدهم
فتضيع مصالحهم ومنها ما ذكره بعض الاطبا ان المكان الذي يقع به الوبا تتكيف امزجة اهله
بهوا تلك البقعة وتالفها وتصير لهم كالاهوية الصحيحة لغيرهم فلو انتقلوا الى الاماكن الصحيحة
لم توافقهم بل ربما اذا استنشقوا هواها استصحب معه الى القلب من الابخرة الردية
التي حصل تكيف بدنها بها فافسدته فمنع من الخروج لهذه النكتة ومنها ان الخارج يقول
لو اقمت لاصبت والمقيم يقول لو خرجت لسلمت فيقع في اللو المنهي عنه وقال العارف ابن ابي جمرة

لانه امر لا يدرك بالعقل وانما عرف من الشارع فتكلموا في ذلك على ما اقتضته قواعدهم ومما يؤيد ان الطاعون انما يكون من طعن الجن

والطعن ... ولو كان نسيف ... والابدان للدم في الارض الاوان الهوام

البلاء انما يقصد به اهل البقعة نفسها فمن اراد الله تعالى انزال البلاء به فهو واقع به لا محالة فاين ما توجه يدركه ثم ارشدنا الشارع الى عدم التجنب قال ابن القيم جمع صلى الله عليه وسلم للامة في نهيه عن الدخول الى الارض التي هو بها ونهيه عن الخروج منها بعد وقوعه كمال التحرز منه فان في الدخول في الارض التي هو فيها تعرضا للبلاء وموافاة له في محل سلطانه واعانة الانسان على نفسه وهذا مخالف للشرع والعقل بل تجنب الدخول الى ارضه من باب الحمية التي ارشد الله تعالى اليها وهي حمية عن الامكنة والاهوية الموذية واما نهيه عن الخروج من بلده ففيه معنيان احدهما حمل النفوس على الثقة بالله تعالى والتوكل عليه والصبر على اقضيته والرضا والثاني ما قاله ائمة الطب انه يجب على من كان يحترز من الوباء ان يخرج عن بدنه الرطوبات الفضلية ويقلل الغذاء ويميل الى التدبير المجفف من كل وجه والخروج من ارض الوباء والسفر منها لا يكون الا بحركة شديدة وهي مضرة جدا هذا كلام افضل المتاخرين من الاطباء فظهر المعنى الطبي من الحديث النبوي وما فيه من علاج القلب والبدن وصلاحهما انتهى

ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من السلعة اخرج البخاري في تاريخه والطبراني والبيهقي عن شرحبيل الجعفي قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكفي سلعة فقلت يا رسول الله هذه السلعة قد اذتني تحول بيني وبين قائم السيف ان اقبض عليه وعنان الدابة فنفث في كفي ووضع كفه على السلعة فما زال يطحنها بكفه حتى رفعها عنها وما ارى اثرها ومسح صلى الله عليه وسلم وجه ابيض بن حمال وكان به القوباء فلم يمس من ذلك اليوم منها اثر رواه البيهقي وغيره

ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من الحمى روى البخاري من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الحمى من فيح جهنم فاطفئوها بالماء واختلف في نسبتها الى جهنم فقيل حقيقة واللهب الحاصل في جسم المحموم قطعة من جهنم وقدر الله ظهورها باسباب تقتضيها ليعتبر العباد بذلك كما ان انواع الفرح واللذة من نعيم الجنة اظهرها في هذه الدار عبرة ودلالة وقيل بل الخبر ورد مورد التشبيه والمعنى ان حر الحمى شبيه بحر جهنم تنبيها للنفوس على شدة حر النار وان هذه الحرارة الشديدة شبيهة بفيحها وهو ما يصيب من قرب منها من حرها وقوله فاطفئوها بهمزة قطع امر بالاطفاء وروى الطبراني الحمى حظ المؤمن من النار وفي رواية نافع عن ابن عمر عند الشيخين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحمى او شدة الحمى من فيح جهنم فابردوها بالماء بهمزة وصل والراء مضمومة على المشهور وحكي كسر الراء وفي رواية ابن ماجه بالماء البارد وفي رواية ابي جمرة بالجيم عند البخاري قال كنت اجالس ابن عباس بمكة فاخذتني الحمى فاحتبست اياما فقال ما حبسك قلت الحمى قال ابردوها بماء زمزم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحمى من فيح جهنم فابردوها بالماء او بماء زمزم قال ابن القيم قوله بالماء فيه قولان احدهما انه كل ماء وهو الصحيح والثاني انه ماء زمزم ثم قال بعد ان روى حديث ابي جمرة هذا وراوي هذا قد شك فيه ولو جزم به لكان امرا لاهل مكة بماء زمزم اذ هو متيسر عندهم واخبرهم بما عندهم من الماء انتهى وتعقب بانه وقع في رواية احمد عن عفان عن همام فابردوها بماء زمزم ولم يشك واخرجه النسائي وابن حبان والحاكم قال ابن القيم واختلف من قال انه على عمومه هل المراد به الصدقة بالماء او استعماله على قولين والصحيح انه

واجيب

وكذا مع

استعماله

اظن

استعماله واظن الذي حمل من قال ان المراد به الصدقة به انه اشكل عليه استعمال الماء البارد في الحمى ولم يفهم وجهه مع ان لقوله وجها حسنا وهو ان الجزاء من جنس العمل فكما اخمد لهيب العطش عن الظمآن بالماء البارد اخمد لهيب الحمى عنه جزاء وفاقا انتهى وقال الخطابي وغيره اعترض بعض سخفاء الاطباء على هذا الحديث بان قال اغتسال المحموم بالماء خطر يقربه من الهلاك لانه يجمع المسام ويحقن البخار ويعكس الحرارة التي في داخل الجسم فيكون ذلك سببا للتلف وقد غلط بعض من ينسب الى العلم فانغمس في الماء لما اصابته الحمى فاحتقنت الحرارة في باطن بدنه فاصابته علة صعبة كادت تهلكه فلما خرج من علته قال قولا سيئا لا يحسن ذكره وانما اوقعه في ذلك جهله بمعنى الحديث والجواب ان هذا الاستشكال صدر عن صدر مرتاب في صدق الخبر فيقال له اولا من اين حملت الامر على الاغتسال وليس في الحديث الصحيح بيان الكيفية فضلا عن اختصاصها بالغسل وانما في الحديث الارشاد الى تبريد الحمى بالماء فان اظهر الوجود او اقتضت صناعة الطب ان انغماس كل محموم في الماء او صبه اياه على جميع بدنه يضره فليس هو المراد وانما قصد صلى الله عليه وسلم استعمال الماء على وجه ينفع فليبحث عن ذلك الوجه ليحصل الانتفاع به وهو كما وقع في امر العائن بالاغتسال واطلق وقد ظهر من الحديث الاخر انه لم يرد مطلق الاغتسال وانما اراد الاغتسال على كيفية مخصوصة واولى ما يحمل عليه كيفية تبريد الحمى ما صنعته اسماء بنت الصديق رضي الله تعالى عنهما فانها كانت ترش على بدن المحموم شيئا من الماء بين ثدييه وثوبه فيكون ذلك من باب النشرة الماذون فيها والصحابي ولا سيما مثل اسماء التي هي ممن كان يلازم بيت النبي صلى الله عليه وسلم اعلم بالمراد من غيرها وقد ذكر ابو نعيم وغيره من حديث انس يرفعه اذا حم احدكم فليرش عليه الماء البارد ثلاث ليال من السحر وقال المازري لا شك ان علم الطب من اكثر العلوم احتياجا الى التفصيل حتى ان المريض يكون الشيء دواءه في ساعة فيصير داء له في الساعة التي تليها لعارض يعرض له من غضب يحمي مزاجه مثلا فيتغير علاجه ومثل ذلك كثير فاذا فرض وجود الشفاء لشخص بشيء في حالة ما لم يلزم منه وجود الشفاء به له او لغيره في سائر الاحوال والاطباء مجمعون على ان المرض الواحد يختلف علاجه باختلاف السن والزمان والعادة والغذاء المتقدم والتاثير المالوف وقوة الطباع ويحتمل ان يكون هذا في وقت مخصوص فيكون من الخواص التي اطلع الله تعالى عليها النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي ويضمحل عند ذلك جميع كلام اهل الطب وجعل ابن القيم خطابه صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث خاصا لاهل الحجاز وما والاهم اذ كان اكثر الحميات التي تعرض لهم من نوع الحمى اليومية العرضية الحادثة عن شدة حرارة الشمس قال وهذه ينفعها الماء البارد شربا واغتسالا لان الحمى حرارة غريبة تشتعل في القلب وتنتشر منه بتوسط الروح والدم في العروق الى جميع البدن وهي قسمان عرضية وهي الحادثة عن ورم او حركة او اصابة حرارة الشمس او القيظ الشديد ونحو ذلك ومرضية وهي على ثلاثة انواع وتكون عن مادة ثم منها ما يسخن جميع البدن

فاذا كان مبدأ تعلقها بالروح فهي حمي يوم لانها لا تقلع غالبا في يوم وغايتها الى ثلاث وان كان
تعلقها بالاعضا الاصلية فهي حمي دق وهي اخطرها وان كان تعلقها بالاخلاط سميت عفنية
وهي بعدد الاخلاط الاربعة اعني صفراوية وسوداوية وبلغمية ودموية وتحت هذه الانواع
المذكورة اصناف كثيرة بسبب الافراد والتركيب فاذا تقرر هذا فيجوز ان يكون المراد
النوع الاول فانها تسكن بالانغماس في الماء البارد وشرب الماء المبرد بالثلج وغيره
ولا يحتاج الى علاج آخر وقد قال جالينوس لو ان شابا حسن اللحم خصب البدن ليس
في احشائه ورم اغتسل بماء بارد او سبح فيه وقت القيظ عند منتهى الحمى لانتفع به
وقد تكرر في الحديث استعماله صلى الله عليه وسلم الماء البارد في علته كما في الحديث
صبوا علي من سبع قرب لم تحلل اوكيتهن وفي المسند وغيره من حديث الحسن عن
سمرة يرفعه الحمى قطعة من النار فابردوها بالماء البارد وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا حم دعا بقربة من ماء فافرغها على راسه فاغتسل وصححه الحاكم
ولكن قال في اسناده راو ضعيف وعن انس رفعه اذا حم احدكم فليشن عليه من الماء
البارد من السحر ثلاث ليال اخرجه الطحاوي وابو نعيم في الطب واخرج الطبراني
من حديث عبد الرحمن المرفع رفعه الحمى رائد الموت وهي سجن الله في ارضه فبردوا
لها الماء في الشنان وصبوه عليكم فيما بين الاذانين المغرب والعشاء قال ففعلوا فذهب
عنهم وقد اخرج الترمذي من حديث ثوبان مرفوعا اذا اصاب احدكم الحمى فان الحمى قطعة
من النار فليطفئها عنه بالماء يستنقع في نهر جار وليستقبل جريته وليقل بسم الله اللهم
اشف عبدك وصدق رسولك بعد صلاة الصبح قبل طلوع الشمس ولينغمس فيه ثلاث
غمسات ثلاثة ايام فان لم يبرا فخمس والا فسبع والا فتسع فانها لا تكاد تجاوز تسعا
باذن الله قال الترمذي غريب وفي سنده سعيد بن زرعة مختلف فيه ذكر طبه
صلى الله عليه وسلم من حكة الجسم وما يولد القمل لما كانت الحكة لا تكون الا عن حرارة
ويبس وخشونة رخص صلى الله عليه وسلم للزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف
في لبس الحرير لحكة كانت بهما كما في البخاري عن قتادة ان انسا حدثهم ان النبي صلى الله عليه
وسلم رخص لعبد الرحمن بن عوف والزبير في قميص من حرير من حكة كانت بهما وفي رواية
ان عبد الرحمن والزبير شكيا الى النبي صلى الله عليه وسلم يعني القمل فارخص لهما في الحرير
فرايته عليهما في غزاة وفي رواية ابي داود رخص النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن عوف
والزبير بن العوام في حرير وفي رواية رخص او رخص لحكة كانت بهما ويحتمل ان يكون
العلتين باحدي الرجلين او ان الحكة حصلت من القمل فنسبت العلة تارة الى السبب
وتارة الى المسبب قال النووي هذا الحديث صريح في الدلالة لمذهب الشافعي وموافقيه
انه يجوز لبس الحرير للرجل اذا كانت به حكة لما فيه من البرودة وكذا للقمل وما في معنى
ذلك وقال مالك لا يجوز وهذا الحديث حجة عليه انتهى وتعقب قوله لما فيه من البرودة
بان الحرير حار والصواب ان الحكة فيه لخاصية فيه تدفع الحكة وقال ابن القيم واذا اتخذ
منه ملبوس كان معتدل الحرارة في مزاجه مسخنا للبدن وربما برد البدن بتسمينه اياه

وقال

وقال الرازي الابريسم اسخن من الكتان وابرد من القطن يربي اللحم وكل لباس خشن فانه
يهزل ويصلب البشرة فلا يلبس الاوبار والاصواف تسخن وتدفي ولا يلبس الكتان والحرير والقطن
تدفي ولا تسخن فثياب الكتان باردة يابسة وثياب الصوف حارة يابسة وثياب القطن معتدلة
الحرارة وثياب الحرير الين من القطن واقل حرارة منه ولما كانت ثياب الحرير ليس فيها شيء
من اليبس والخشونة الكثيرة صارت نافعة من الحكة لان الحكة كما قدمته لا تكون الا عن
حرارة ويبس وخشونة فلذلك رخص عليه السلام لهما في لباس الحرير لمداواة الحكة ذكر
طبه صلى الله عليه وسلم من السم الذي اصابه بخيبر تقدم في غزوتها قصة
اليهودية التي اهدت اليه الشاة المسمومة وقد روى عبد الرزاق عن معمر عن الزهري
عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ان امراة يهودية اهدت للنبي صلى الله عليه وسلم شاة
مصلية بخيبر فقال ما هذه فقالت هدية وحذرت ان تقول من الصدقة فلا ياكل فاكل النبي
صلى الله عليه وسلم واكل اصحابه ثم قال امسكوا ثم قال للمراة هل سممت هذه الشاة قالت
من اخبرك قال هذا العظم لساقها وهو في يده قالت نعم قال لم قالت اردت ان كنت كاذبا
ان تستريح منك الناس وان كنت نبيا لم يضرك قال فاحتجم النبي صلى الله عليه وسلم
ثلاثة على الكاهل وقد ذكروا في علاج السم انه يكون بالاستفراغات وبالادوية التي
تعارض فعل السم وتبطله اما بكيفياتها واما بخواصها فمن عدم الدواء فليبادر الى الدواء
الكلي وانفعه الحجامة ولا سيما اذا كان البلد حارا او الزمان حارا فان القوة السمية
تسري في الدم فتنبعث في العروق والمجاري حتى تصل الى القلب والاعضاء فاذا بادر
المسموم واخرج الدم خرجت معه تلك الكيفية السمية التي خالطته فان كان استفراغا
تاما لم يضره السم بل اما ان يذهب واما ان يضعف فتقوى عليه الطبيعة فتبطل فعله
او تضعفه ولما احتجم صلى الله عليه وسلم احتجم على الكاهل لانه اقرب الى القلب فخرجت
المادة السمية مع الدم لا خروجا كليا بل بقي اثرها مع ضعفه لما يريد الله تعالى من تكميل
مراتب الفضل كلها بالشهادة زاده الله تعالى شرفا وفضلا النوع الثالث في طبه
صلى الله عليه وسلم بالادوية المركبة من الالهية والطبيعية ذكر
طبه صلى الله عليه وسلم من القرح والجرح وكل شكوى عن عائشة رضي الله
عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول للمريض بسم الله تربة ارضنا وريقة
بعضنا يشفي سقيمنا وفي رواية كان يقول في الرقية تربة ارضنا وريقة بعضنا يشفي سقيمنا
باذن ربنا رواه البخاري وفي رواية لمسلم اذا اشتكى الانسان او كانت به قرحة او جرح
قال باصبعه هكذا ووضع سفيان سبابته بالارض ثم رفعها وقوله تربة ارضنا
خبر مبتدا محذوف اي هذه تربة ارضنا وقوله ليشفي سقيمنا ضبط بوجهين بضم اوله
على البناء للمجهول وسقيمنا بالرفع وبفتح اوله على ان الفاعل مقدر وسقيمنا بالنصب على
المفعولية قال النووي معنى الحديث انه اخذ من ريق نفسه على اصبعه السبابة
ثم وضعها على التراب فعلق به شيء منه ثم مسح به الموضع العليل او الجريح قائلا الكلام المذكور
في حالة المسح وقال القرطبي زعم بعض علمائنا ان السر فيه ان تراب الارض لبرودته

وبلسنه يبرئ الموضع الذي به الألم ويمنع انصباب المواد إليه ليبسه مع منفعته في تجفيف الجراح والدماميل وقال في الريق إنه يختص بالتحليل والإنضاج وإبراء الجرح والورم ولا سيما من الصائم الجائع وتعقبه القرطبي بأن ذلك إنما يتم إذا وقعت المعالجة على قوانينها من مراعاة مقدار التراب والريق وملازمة ذلك في أوقاته وإلا فالنفث ووضع السبابة على الأرض إنما يتعلق بما ليس له بال ولا أثر وإنما هذا من باب التبرك بأسماء الله تعالى وآثار رسوله صلى الله عليه وسلم وأما وضع الأصبع بالأرض فلعله لخاصية في ذلك أو لحكمة إخفاء آثار القدرة بمباشرة الأسباب المعتادة وقال البيضاوي قد شهدت المباحث الطبية على أن للريق مدخلا في النضج وتعديل المزاج وتراب الوطن له تأثير في حفظ المزاج ودفع الضرر فقد ذكروا أنه ينبغي للمسافر أن يستصحب تراب أرضه إن عجز عن استصحاب مائها حتى إذا ورد المياه المختلفة وضع شيئا منه في سقائه ليأمن مضرة ذلك ثم إن الرقى والعزائم لها آثار عجيبة يتقاعد العقول عن الوصول إلى كنهها وقال التوربشتي كأن المراد بالتربة الإشارة إلى النطفة كأنه تضرع بلسان الحال إنك اخترعت الأصل الأول من التراب ثم أبدعته منه من ماء مهين فهين عليك أن تشفي من كانت هذه نشأته وقال النووي وقيل المراد بأرضنا أرض المدينة لبركتها وبعضنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لشرف ريقه فيكون ذلك مخصوصا وفيه نظر وفي حديث عائشة عند أبي داود والنسائي أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على ثابت بن قيس بن شماس وهو مريض فقال اكشف الباس رب الناس ثم أخذ ترابا من بطحان فجعله في قدح ثم نفث عليه ثم صبه عليه قال الحافظ ابن حجر هذا الحديث تفرد به الشيخ المدني

ذكر طبه عليه السلام من لدغة العقرب

عن عبد الله ابن مسعود قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي إذ سجد فلدغته عقرب في أصبعه فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لعن الله العقرب ما تدع نبيا ولا غيره ثم دعا بإناء فيه ماء وملح فجعل يضع موضع اللدغة في الماء والملح ويقرأ قل هو الله أحد والمعوذتين حتى سكنت رواه ابن أبي شيبة في مسنده وقال ابن عبد البر رقى صلى الله عليه وسلم من العقرب بالمعوذتين وكان يمسح الموضع بماء فيه ملح وهذا طب مركب من الطبيعي والإلهي فإن سورة الإخلاص قد جمعت الأصول الثلاثة التي هي مجامع التوحيد وفي المعوذتين الاستعاذة من كل مكروه جملة وتفصيلا ولهذا أوصى صلى الله عليه وسلم عقبة بن عامر أن يقرأ بها عقب كل صلاة رواه الترمذي وفي هذا سر عظيم في استدفاع الشرور من الصلاة إلى الصلاة وقال ما تعوذ المتعوذون بمثلها **وأما الماء والملح** فهو الطب الطبيعي فإن في الملح نفعا لكثير من السموم ولا سيما لدغة العقرب وفيه من القوة الجاذبة المحللة ما يجذب السموم ويحللها ولما كان في لسعها قوة نارية تحتاج إلى تبريد وجذب استعمل صلى الله عليه وسلم الماء والملح

ذكر الطب من النملة

وهي بفتح النون وإسكان الميم قروح تخرج في الجنب وسميت نملة لأن صاحبه يحس في مكانه كأن نملة تدب عليه وتعضه وفي حديث مسلم عن أنس أنه صلى الله عليه وسلم رخص في الرقية من الحمة والعين والنملة وروى الخلال أن الشفاء بنت عبد الله كانت ترقي في الجاهلية من النملة فلما هاجرت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وكانت قد بايعته بمكة قالت يا رسول الله إني كنت أرقي في الجاهلية من النملة وأريد أن أعرضها عليك فعرضتها فقالت بسم الله ضلت حتى تعود من أفواهها ولا تضر أحدا اللهم اكشف الباس رب الناس قال ترقي بها على عود سبع مرات وتقصد مكانا نظيفا وتدلكه على حجر بخل خمر حاذق وتطليه على النملة

ذكر طبه عليه السلام من البثرة

روى النسائي عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قالت عندك ذريرة قلت نعم فدعا بها فوضعها على بثرة بين أصبعين من أصابع رجليه ثم قال اللهم مطفئ الكبير ومكبر الصغير أطفها عني فطفئت

ذكر طبه عليه الصلاة والسلام من حرق النار

روى النسائي عن محمد بن حاطب قال تناولت قدرا فأصاب كفي من مائها فاحترق ظهر كفي فانطلقت بي أمي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أذهب الباس رب الناس وأحسبه قال واشف أنت الشافي وتفل

ذكر طبه صلى الله عليه وسلم بالحمية

وهي قسمان حمية عما يجلب المرض وحمية عما يزيده فيقف على حاله فالأولى حمية الأصحاء والثانية حمية المرضى فإن المريض إذا احتمى وقف مرضه عن التزايد وأخذت القوة في دفعه **والأصل** في الحمية قوله تعالى وإن كنتم مرضى أو على سفر إلى قوله فتيمموا صعيدا طيبا فحمى المريض من استعمال الماء لأنه يضره كما وقعت الإشارة لذلك في أوائل هذا المقصد وقد قال بعض أفاضل الأطباء رأس الطب الحمية والحمية للصحيح عندهم في المضرة بمنزلة التخليط للمريض والناقه وأنفع ما تكون الحمية للناقه من المرض لأن التخليط يوجب الانتكاس والانتكاس أصعب من ابتداء المرض والفاكهة تضر بالناقه من المرض لسرعة استحالتها وضعف الطبيعة عن دفعها لعدم القوة وفي سنن ابن ماجه عن صهيب قال قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم وبين يديه خبز وتمر فقال ادن وكل فأخذت تمرا فأكلت فقال أتأكل تمرا وبك رمد فقلت يا رسول الله أمضغ من الناحية الأخرى فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ففيه الإشارة إلى الحمية وعدم التخليط وأن الرمد يضر به التمر وعن أم المنذر بنت قيس الأنصارية قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه علي وعلي ناقه من مرض ولنا دوال معلقة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل منها فطفق النبي صلى الله عليه وسلم يقول لعلي إنك ناقه حتى كف قالت وصنعت شعيرا وسلقا فجئت به فقال صلى الله عليه وسلم من هذا أصب فإنه أنفع لك رواه ابن ماجه وأما منعه صلى الله عليه وسلم من أكله من الدوالي لأن في الفاكهة نوع ثقل على المعدة ولم يمنعه من السلق والشعير لأنه من أنفع الأغذية للناقه ففي ماء الشعير التغذية والتلطيف والتليين وتقوية الطبيعة فالحمية من أكبر الأدوية قبل الداء لكي يمنع تزايده وانتشاره قال ابن القيم ومما ينبغي أن يعلم أن كثيرا مما يحمى عنه العليل والناقه والصحيح إذا اشتدت الشهوة إليه ومالت إليه الطبيعة فتناول منه الشيء اليسير الذي لا تعجز الطبيعة عن هضمه لم يضره تناوله بل ربما انتفع به فإن الطبيعة والمعدة تتلقيانه بالقبول والمحبة فيصلحان ما يخشى من ضرره وقد يكون أنفع من تناول ما تكرهه الطبيعة

وندخه من الدوا والحيد اذا البني صلى الله عليه وسلم صهيبا وهو ارمد على تناول التمرات
الليبنوة وعلم انها لا تضره ففي هذا الحديث يعني حديث صهيب سر طبي لطيف فان المريض
اذا تناول ما يشتهيه عن جوع صادق وكان فيه ضرر ما كان انفع واقل ضررا مما لا يشتهيه
وان كان نافعا في نفسه فان صدق شهوته ومحبة الطبيعة له تدفع ضرره وكذا
بالعكس ذكر حمية المريض من الماء عن قتادة بن النعمان ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اذا احب الله العبد احماه الدنيا كما يظل احدكم يحمي سقيمه الماء قال
الترمذي حديث حسن غريب وروى الحميدي مرفوعا لو ان الناس اقلوا من شرب الماء
لاستقامت ابدانهم وللطبراني في الاوسط عن ابي سعيد مرفوعا من شرب الماء على الريق
انتقصت قوته وفيه محمد بن مخلد الرعيني وهو ضعيف ذكر امره صلى الله عليه
وسلم بالحمية من الماء المشمس خوف البرص روى الدارقطني هذا المعنى مرفوعا
من حديث عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو ضعيف وكذا اخرج العقيلي نحوه عن
انس بن مالك ورواه الشافعي عن عمر فعلى هذا يكره استعمال المشمس شرعا خوف البرص
لكنهم اشترطوا ان يكون في البلاد والاوقات الحارة دون الباردة وفي الاواني
المنطبعة على الاصح دون الحجر والخشب ونحوها واستثنوا النقدان لصفائهما وقال
الجويني بالتسوية حكاه ابن الصلاح ولا يكره المشمس في الحياض والبرك قطعا وان
يكون مستعملا حال حرارته فلو برد زالت الكراهة في الاصح في الروضة وصحح في الشرح
الصغير عدم الزوال واشترط صاحب التهذيب كما قاله الجيلي ان يكون راس الاناء منطبقا
لتنحبس الحرارة وفي شرح المهذب انها شرعية يثاب تاركها وقال في شرح التنبيه
ان اعتبرنا القصد فشرعية والا فارشادية واذا قلنا بالكراهة فكراهة تنزيه
لا تمنع صحة الطهارة وقال الطبري ان خاف الاذى حرم وقال ابن عبد السلام
لو لم يجد غيره وجب استعماله واختار النووي في الروضة عدم الكراهة مطلقا
وحكاه الروياني في البحر عن النص ذكر الحمية من طعام البخيل عن عبد الله بن عمر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال طعام البخيل داء وطعام الاسخيا شفاء رواه
التنيسي عن مالك في غير الموطا كما ذكره عبد الحق في الاحكام ذكر الحمية من داء
الكسل روى ابو داود في المراسيل عن يونس عن ربيعة بن ابي عبد الرحمن انه راه
مضطجعا في الشمس قال يونس فنهاني وقال بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال انها تورث الكسل وتثير الداء الدفين ذكر الحمية من داء البواسير عن الحسن قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحتجمن احدكم وهو حاقن فانه يكون منه البواسير
رواه ابو احمد الحاكم ذكر حماية الضرر بغمس الذباب في الاناء بغمسه الثاني عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا وقع الذباب في اناء احدكم فليغمسه كله ثم ليطرحه
فان في احد جناحيه شفاء وفي الاخر داء وفي رواية ابي داود فانه يتقي بجناحه الذي فيه الداء
فليغمسه كله وفي رواية الطحاوي فانه يقدم السم ويؤخر الشفاء وفي قوله كله دفع توهم
المجاز في الاكتفاء بالبعض قال شيخ شيخنا لم يقع لي في شيء من الطرق تعيين الجناح الذي فيه الشفاء

ذكر حمية المريض من الماء

روى الدارقطني عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لا تغتسلوا بالماء المشمس فانه يورث البرص صح

من غيره لكن ذكر بعض العلماء انه تامله فوجده يبني بجناحه الايسر فعرف ان الايمن هو الذي
فيه الشفاء واخرج ابو يعلى عن ابن عمر مرفوعا عمر الذباب اربعون ليلة والذباب كله في النار
الا النحل وسنده لا باس به قال الحافظ كونه في النار ليس تعذيبا له بل لتعذب اهل النار
ويتولد من العفونة ومن عجيب امره ان رجيعه يقع على الثوب الاسود ابيض وبالعكس
واكثر ما يظهر في اماكن العفونة ومبتدا خلقه منها ثم من التوالد وهو اكثر الطيور سفادا
وربما بقي عامة اليوم على الانثى ويحكى ان بعض الخلفا سال الشافعي لاي علة خلق الذباب
فقال مذلة للملوك وكانت الحت عليه ذبابة قال الشافعي سالني ولم يكن عندي جواب
فاستنبطت ذلك من الهيئة الحاصلة فرحمة الله عليه ورضوانه ذكر امره صلى الله
عليه وسلم بالحمية من الوبا النازل في ليلة من السنة عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم غطوا الاناء واوكوا السقاء فان في السنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمر باناء ليس عليه غطاء
او سقاء ليس عليه وكاء الا ينزل فيه من ذلك الوبا رواه مسلم في صحيحه قيل وذلك في اخر
شهور السنة الرومية ذكر حمية الولد من ارضاع الحمقى روى ابو داود في المراسيل باسناد
صحيح عن زياد السهمي قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تسترضع الحمقى فان اللبن
يشبه وعند ابن ابي حبيب نحوه وعند القضاعي بسند حسن من حديث ابن عباس
مرفوعا الرضاع يغير الطباع وعند ابن حبيب ايضا مرفوعا انه نهى عن استرضاع الفاجرة
وعن عمر بن الخطاب ان اللبن ينزع لمن تسترضع واما الحمية من البرد فلا اشهر على الالسنة
اتقوا البرد فانه قتل ابا الدردا لكن قال شيخ الحفاظ ابن حجر لا اعرفه فان كان واردا
فيحتاج الى تاويل فان ابا الدردا عاش بعد النبي صلى الله عليه وسلم دهرا انتهى واما
ما اشتهر ايضا اصل كل دا البرد فقال شيخنا رواه ابو نعيم والمستغفري معا في الطب
النبوي والدارقطني في العلل كلهم من طريق تمام بن نجيح عن الحسن البصري عن انس
رفعه وتمام ضعفه الدارقطني وغيره ووثقه ابن معين وغيره ولابي نعيم ايضا من حديث
ابن المبارك عن السايب بن عبد الله بن علي بن زجر عن ابن عباس مرفوعا مثله وحديث
عمرو بن الحارث عن دراج عن ابي الهيثم عن ابي سعيد رفعه اصل كل دا من البرد وقد
قال الدارقطني عقب حديث انس من علله عباد بن منصور عن الحسن من قوله
وهو اشبه بالصواب وجعله الزمخشري في الفايق من كلام ابن مسعود قال الدارقطني
في كتاب التصحيف قال اهل اللغة رواه المحدثون بغيض باسكان الراء والصواب البردة
بالفتح وهي التخمة لانها تبرد حرارة الشهوة او لانها ثقيلة على المعدة بطيئة الذهاب
من برد اذا ثبت وسكن وقد اورد ابو نعيم مضموما لهذه الاحاديث حديث الحارث بن
فضيل عن زياد بن مينا عن ابي هريرة رفعه استدفئوا من الحر والبرد وكذا اورد
المستغفري مع ما عنده منها حديث اصل كل دا البرده وهما ضعيفان وذلك شاهد انه
للحكي عن اللغويين في كون المحدثين رووه بالسكون الفصل الثامن
في تعبيره صلى الله عليه وسلم الرؤيا يقال عبرت الرؤيا بالتخفيف اذا فسرتها وعبرتها
بالتشديد للمبالغة في ذلك واما الرؤيا بوزن فعلى وقد تسهل الهمزة فهي ما يراه الشخص

في منامه قال القاضي ابو بكر بن العربي ادراكات علقها الله تعالى في قلب العبد على يدي ملك
او شيطان اما باسمائها اي حقيقتها واما بكناها اي بعبارتها واما تخليطا وذهب القاضي ابو بكر
ابن الطيب الى انها اعتقادات واحتج بان الرائي قد يرى نفسه بهيمة او طائرا مثلا
وليس هذا ادراكا فوجب ان يكون اعتقادا لان الاعتقاد قد يكون على خلاف المعتقد
قال ابن العربي والاول اولى والذي يكون من قبيل ما ذكره ابن الطيب من قبيل التمثيل
فالادراك انما يتعلق به لا باصل الذات وقال المازري كثر كلام الناس في حقيقة الرؤيا وقال فيها
غير الاسلاميين اقاويل كثيرة منكرة لانهم حاولوا الوقوف على حقائق لا تدرك بالعقل
ولا يقوم عليها برهان وهم لا يصدقون بالسمع فاضطربت اقاويلهم فمن ينتمي الى الطب
ينسب جميع الرؤيا الى الاخلاط فيقول من غلب عليه البلغم رأى انه يسبح في الماء ونحو
ذلك لمناسبة الماء طبيعة البلغم ومن غلبت عليه الصفراء رأى النيران والصعود
في الجو وهكذا الى آخره وهذا وان جوزه العقل وجاز ان يجري الله العادة به لكنه
لم يقم عليه دليل ولا اطردت به عادة والقطع في موضع التجويز غلط ومن ينتمي الى
الفلسفة يقولون ان صور ما يجري في الارض هي في العالم العلوي كالنقوش فما حاذى بعض
النفوس منها انتقش فيها قال وهذا اشد فسادا من الاول لكونه تحكما لا برهان عليه
والانتقاش من صفات الاجسام واكثر ما يجري في العالم العلوي الاعراض والاعراض
لا تنتقش فيها قال والصحيح ما عليه اهل السنة ان الله تعالى يخلق في النائم اعتقادات
كما يخلقها في قلب اليقظان فاذا خلقها فكانه جعلها علما على امور اخرى يخلقها في ثاني الحال
ومهما وقع منها على خلاف المعتقد فهو كما يقع لليقظان ونظيره ان الله تعالى خلق الغيم علامة
على المطر وقد يتخلف وتلك الاعتقادات تقع تارة بحضرة الملك فيقع بعدها ما يسر وتارة
بحضرة الشيطان فيقع بعدها ما يضر والعلم عند الله تعالى واخرج الحاكم والعقيلي من رواية
محمد بن عجلان عن سالم بن عبد الله بن عمر عن ابيه قال لقي عمر عليا فقال يا ابا الحسن الرجل
يرى الرؤيا فمنها ما يصدق ومنها ما يكذب قال نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ما من عبد ولا امة ينام فيمتلئ نوما الا تخرج روحه الى العرش فالذي لا يستيقظ
دون العرش فتلك الرؤيا التي تصدق والذي يستيقظ دون العرش فتلك الرؤيا التي تكذب
قال الذهبي في تلخيصه هذا حديث منكر ولم يصححه المؤلف وذكر ابن القيم حديثا مرفوعا
غير معزو ان رؤيا المؤمن كلام يكلم به ربه في المنام ووجد الحديث للترمذي في نوادر الاصول
من حديث عبادة بن الصامت اخرجه في الاصل الثامن والسبعين وهو من روايته
عن شيخه عمر بن ابي عمر وهو واه في سنده جنيد بن ميمون عن حمزة بن الزبير عن عبادة قال الحكيم
قال بعض اهل التفسير في قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب
قال من وراء حجاب اي في المنام ورؤيا الانبياء وحي بخلاف غيرهم فالوحي لا يدخله خلل
لانه محروس بخلاف رؤيا غير الانبياء فانها قد يحضرها الشيطان وقال الحكيم ايضا وكل الله
بالرؤيا ملكا اطلع على احوال بني آدم من اللوح المحفوظ فينسخ منها ويضرب لكل على قصته
مثلا فاذا نام مثل له تلك الاشياء على طريق الحكمة لتكون له بشرى او نذارة او معاتبة ليكونوا على

قد تسلط عليه الشيطان لشدة العداوة بينهما فهو يكيده بكل وجه ويريد افساد اموره
بكل طريق فيلبس عليه رؤياه اما بتغليطه فيها او بغفلته عنها وفي البخاري من حديث انس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة
واربعين جزءا من النبوة والمراد غالب رؤيا الصالحين والا فالصالح قد يرى الاضغاث
ولكنه نادر لقلة تمكن الشيطان منهم بخلاف عكسهم فان الصدق فيها نادر لغلبة تسلط
الشيطان عليهم وقد استشكل كون الرؤيا جزءا من النبوة مع ان النبوة قد انقطعت
بموته صلى الله عليه وسلم واجيب بان الرؤيا ان وقعت منه صلى الله عليه وسلم
فهي جزء من اجزاء النبوة حقيقة وان وقعت من غير النبي فهي جزء من اجزاء النبوة
على سبيل المجاز وقيل المعنى انها جزء من علم النبوة لان النبوة وان انقطعت فعلمها
باق وتعقب بقول مالك كما حكاه ابن عبد البر انه سئل ايعبر الرؤيا كل احد فقال
ابالنبوة يلعب ثم قال الرؤيا جزء من النبوة واجيب بانه لم يرد انها نبوة باقية وانما
اراد انها لما اشبهت النبوة من جهة الاطلاع على بعض الغيب لا ينبغي ان يتكلم فيها بغير
علم فلا يلتبس المراد ان الرؤيا الصالحة نبوة لان المراد تشبيه وجزء الشيء لا يستلزم
ثبوت وصفه فمن قال اشهد ان لا اله الا الله رافعا صوته لا يسمى مؤذنا وفي حديث ام كرز
الكعبية عند احمد وصححه ابن خزيمة وابن حبان ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وعند
احمد من حديث عائشة مرفوعا لم يبق بعدي من المبشرات الا الرؤيا وفي حديث ابن عباس
عند مسلم وابي داود انه عليه السلام كشف الستارة ورأسه معصوب في مرضه
الذي مات فيه والناس صفوف خلف ابي بكر فقال يا ايها الناس انه لم يبق من مبشرات
النبوة الا الرؤيا الصالحة يراها المسلم او ترى له والتعبير بالمبشرات خرج مخرج الغالب
فان من الرؤيا ما تكون منذرة وهي صادقة يريها الله للمؤمن رفقا به ليستعد لما يقع قبل
وقوعه وقوله من الرجل لا مفهوم له فان المرأة الصالحة كذلك وحكى ابن بطال الاتفاق
وقوله جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة كذا في اكثر الاحاديث وروى مسلم
من حديث ابي هريرة جزء من خمسة واربعين جزءا وعنده ايضا من حديث ابن عمر
جزء من سبعين جزءا وعند الطبري جزء من ستة وسبعين وسنده ضعيف وعند ابن
عبد البر من طريق عبد العزيز بن المختار عن ثابت عن انس مرفوعا جزء من ستة
وعشرين جزءا وذكر في شرح مسلم للنووي وفي رواية عبادة اربعة وعشرين والذي تحصل
من الروايات عشرة اقلها ما عند النووي واكثرها من ستة وسبعين واضربنا عن باقيها خوف
الاطالة قال القاضي ابو بكر بن العربي اجزاء النبوة لا يعلم حقيقتها الا ملك او نبي وانما القدر الذي
اراده النبي صلى الله عليه وسلم ان الرؤيا جزء من اجزاء النبوة في الجملة لان فيها اطلاعا
على الغيب من وجه ما واما تفصيل النسبة فيختص بمعرفة درجة النبوة وقال المازري
لا يلزم العالم ان يعرف كل شيء جملة وتفصيلا فقد جعل الله للعالم حدا يقف عنده
فمنه ما يعلم المراد به جملة وتفصيلا ومنه ما يعلمه جملة لا تفصيلا وهذا من هذا القبيل
وقد تكلم بعضهم على الرواية المشهورة وابدى لها مناسبة فنقل ابن بطال عن ابي سعيد

لنسفاقني ان بعض اهل العلم ذكر ان الله اوحي الي نبيه في المنام ستة اشهر ثم اوحي اليه بعد
ذلك في اليقظة بقية مدة حياته ونسبتها الي الوحي في المنام جزء من ستة واربعين جزءا
لانه عاش بعد النبوة ثلاثا وعشرين سنة علي الصحيح قال ابن بطال هذا التاويل يبعد
من وجهين احدهما انه قد اختلف في قدر المدة التي بعد بعثته صلي الله عليه وسلم الثاني
انه يبقي حديث السبعين جزءا بغير معني وهذا الذي قاله من الانكار في هذه المسئلة
سبقه اليه الخطابي فقال كان بعض اهل العلم يقولون في تاويل هذا العدد قولا يكاد يتحقق
وذلك انه عليه السلام اقام بعد الوحي ثلاثا وعشرين سنة وكان يوحي اليه في منامه ستة
اشهر وهي نصف سنة فهي جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة قال الخطابي وهذا
وان كان وجها يحتمله قسمة الحساب والعدد فاول ما يجب علي من قاله ان يثبت ما ادعاه
خبرا ولم يسمع فيه اثرا ولا ذكر مدعيه في ذلك خبرا فكانه قال علي سبيل الظن والظن لا يغني
من الحق شيئا وليس كل ما خفي علينا علمه يلزمنا حجته كاعداد الركعات وايام الصيام ورمي
الجمار فانا لا نصل من علمها الي امر يوجب حصرها تحت اعدادها ولم يقدح ذلك في موجب
اعتقادنا للزومها وقد ذكروا في المناسبات غير ذلك مما يطول ذكره وعن ابي سعيد
عن النبي صلي الله عليه وسلم قال اصدق الرؤيا بالاسحار رواه الترمذي والدارمي
وروي مسلم من حديث ابي هريرة عن النبي صلي الله عليه وسلم قال قال اذا اقترب
الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب واصدقكم رؤيا اصدقكم حديثا قال الخطابي في المعالم
في قوله اذا اقترب الزمان قولان احدهما ان يكون معناه تقارب زمان الليل وزمان
النهار وهو وقت استوائهما ايام الربيع وذلك وقت اعتدال الطبايع الاربع غالبا قال
والمعبرون يقولون اصدق الرؤيا ما كان عن اعتدال الليل والنهار وادراك الثمار
والثاني ان اقتراب الزمان انتهاء مدته اذا دني قيام الساعة وتعقب الاول بانه يبعد
التقييد بالمسلم فان الوقت الذي يعتدل فيه الطبايع لا يختص به وجزم ابن بطال بان الثاني
هو الصواب واستند الي ما اخرجه الترمذي من طريق معمر عن ايوب في هذا الحديث
بلفظ في آخر الزمان لا تكذب رؤيا المؤمن وقيل المراد بالزمان المذكور زمان المهدي
عند بسط العدل وكثرة الامن وبسط الخير والرزق فان ذلك الزمان يستقصر لاستلذاذه
فتتقارب اطرافه وقال القرطبي في المفهم المراد والله اعلم بآخر الزمان المذكور في هذا الحديث
زمان الطايفة الباقية مع عيسي بن مريم عليهما السلام بعد قتله الدجال فاهل هذا الزمان
احسن هذه الامة حالا بعد الصدر الاول واصدقهم اقوالا فكانت رؤياهم لا تكذب ومن ثم قال
عقيب هذا واصدقكم رؤيا اصدقكم حديثا وانما كان كذلك لان من كثر صدقه تنور قلبه
وقوي ادراكه وانتقشت فيه المعاني علي وجه الصحة وكذلك من كان غالب احواله الصدق
في يقظته استصحب ذلك في نومه فلا يري الا صدقا وهذا بخلاف الكاذب والمخلط فانه يفسد
قلبه ويظلم ولا يري الا تخليطا واضغاثا وقد يندر المنام احيانا فيري الصادق ما لا يصح
ويري الكاذب ما يصح ولكن الاغلب الاكثر ما تقدم انتهي ملخصا وعن ابي سعيد الخدري
قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم اذا راي احدكم الرؤيا يحبها فانما هي من الله

فليحمد الله

فليحمد الله عليها وليحدث بها واذا راي غير ذلك مما يكره فانما هي من الشيطان فليستعذ بالله
من شرها ولا يذكرها لاحد فانها لا تضره رواه البخاري وفي رواية مسلم والرؤيا السوء من
الشيطان فمن راي رؤيا فكره منها شيئا فلينفث عن يساره وليتعوذ من الشيطان ولا يخبر
بها احدا فان راي رؤيا حسنة فليبشر ولا يخبر بها الا من يحب وقوله فليبشر بفتح
التحتانية وسكون الموحدة وضم المعجمة من البشري وفي حديث ابي رزين عند الترمذي
ولا يقصها الا علي واد او ذي راي بتشديد الدال اسم فاعل من الود وذي راي وفي اخري ولا يحدث بها
الا لبيبا او حبيبا وفي اخري لا تقص رؤياك الا علي عالم او ناصح وفي حديث ابي سعيد عند
مسلم فليحمد الله عليها وليحدث بها وحاصل ما ذكر من ادب الرؤيا الصالحة ثلاثة اشيا
ان يحمد الله عليها وان يستبشر بها وان يتحدث بها لكن لمن يحب دون من يكره وحاصل
ما ذكر من ادب الرؤيا المكروهة اربعة اشيا ان يتعوذ بالله من شرها ومن شر الشيطان
ويتفل حين يتنبه من نومه ولا يذكرها لاحد اصلا وفي البخاري من حديث ابي هريرة
خامسة وهي الصلاة ولفظه فمن راي شيئا يكرهه فلا يقصه علي احد وليقم فليصل لكن
لم يصرح البخاري بوصله وصرح به مسلم وزاد مسلم سادسة وهي التحول من جنبه الذي
كان عليه فقال عن جابر رفعه اذا راي احدكم الرؤيا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثا
وليستعذ بالله من الشيطان ثلاثا وليتحول عن جنبه الذي كان عليه قال النووي وينبغي
ان يجمع هذه الروايات كلها ويعمل بجميع ما تضمنته فان اقتصر علي بعضها اجزاه في دفع
ضررها كما صرحت به الاحاديث وتعقبه الحافظ ابن حجر بانه لم ير في شي من الاحاديث
الاقتصار علي واحدة قال لكن اشار المهلب الي ان الاستعاذة كافية في دفع شرها القرطبي
ولا ريب ان الصلاة تجمع ذلك كله كما قال الطبري لانه اذا قام فصلي تحول عن جنبه
ويتفل وينفث عند المضمضة في الوضوء واستعاذ قبل القراءة ثم دعا الله في اقرب الاحوال
اليه فيكفيه الله شرها وذكر بعضهم سابعة وهي قراءة اية الكرسي ولم يذكر لذلك
مستندا فلعله اخذه من عموم قوله في حديث ابي هريرة ولا يقربك شيطان فيتجه
كما ينبغي ان يقرا في صلاته المذكورة وحكمة التفل كما قال القاضي عياض امر به طرد
الشيطان الذي حضر الرؤيا المذكورة تحقيرا له واستقذارا وخصت به اليسار لانها محل
الاقذار ونحوها والتثليث للتاكيد وقد ورد التفل والنفث والبصق قال النووي في الكلام
علي النفث في الرقية تبعا للقاضي عياض اختلف في التفل والنفث فقيل هما بمعني واحد
ولا يكونان الا بريق وقال ابو عبيد يشترط في التفل ريق يسير ولا يكون في النفث وقيل
عكسه وسئلت عايشة رضي الله عنها عن النفث في الرقية فقالت كما ينفث اكل الزبيب
لا ريق معه قال ولا اعتبار بما يخرج معه من بلة بغير قصد قال وقد جاء في حديث ابي سعيد
في الرقية بفاتحة الكتاب فجعل يجمع بزاقه قال القاضي عياض وفايدة التفل التبرك بتلك
الرطوبة والهواء والنفث المباشر للرقية المقارنة للذكر الحسن كما يتبرك بغسالة ما يكتب
من الذكر والاسماء وقال النووي ايضا واكثر الروايات في الرؤيا فلينفث وهو النفخ اللطيف
بلا ريق فيكون التفل والبصق محمولين عليه مجازا وتعقبه الحافظ ابن حجر بان المطلوب

المكروهة منه

في الموضعين مختلف لان المطلوب في الرقية التبرك برطوبة الذكر كما تقدم والمطلوب هنا
طرد الشيطان واظهار احتقاره واستقذاره كما نقله هو عن عياض كما تقدم فالذي يجمع
الثلاثة الحمل على النفل فانه نفخ معه ريق لطيف فبالنظر الى النفخ قيل له نفث وبالنظر الى
الريق قيل له بصق واما قوله فانها لا تضره فمعناه كما قاله النووي ان الله تعالى جعل ما ذكر
سببا للسلامة من المكروه المترتب على الرؤيا كما جعل الصدقة وقاية للمال واما التحول
فللتفاؤل بتحول تلك الحال التي كان عليها والحكمة في قوله في الرؤيا الحسنة ولا يخبر بها
الا من يحب لانه اذا حدث بها من لا يحب قد يفسرها له بما لا يحب اما بغضا واما حسدا فقد
يقع على تلك الصفة او يتعجل لنفسه من ذلك حزنا ونكدا فامر بترك تحديث من لا يحب
بسبب ذلك قد روي من حديث انس مرفوعا الرؤيا لاول عابر وهو حديث ضعيف فيه
يزيد الرقاشي ولكن له شاهد اخرجه ابو داود والترمذي وابن ماجة بسند حسن وصححه
الحاكم عن ابي رزين العقيلي رفعه الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر فاذا عبرت وقعت وعند الدارمي
بسند حسن عن سليمان بن يسار عن عائشة قالت كانت امراة من اهل المدينة لها زوج
تاجر يختلف في التجارة فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان زوجي غائب وتركني
حاملا فرايت في المنام ان سارية بيتي انكسرت واني ولدت غلاما اعور فقال خير يرجع
زوجك ان شاء الله صالحا وتلدين غلاما برا فذكرت ذلك ثلاثا فجاءت ورسول الله صلى الله عليه
وسلم غائب فسالتها فاخبرتني بالمنام فقلت لها لئن صدقت رؤياك ليموتن زوجك وتلدين
غلاما فاجرا فقعدت تبكي فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مه يا عائشة اذا عبرتم
للمسلم الرؤيا فاعبروها على خير فان الرؤيا تكون على ما يعبرها صاحبها وعند سعيد بن منصور
من مرسل عطاء بن ابي رباح قال جاءت امراة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
اني رايت كان جائزة بيتي انكسرت وكان زوجها غائبا فقال رد الله عليك زوجك فرجع
سالما الحديث قال ابو عبيد وغيره معنى قوله الرؤيا لاول عابر اذا كان العابر الاول
عالما فعبر واصاب وجه التعبير والا فهي لمن اصاب بعده اذ ليس المدار الا على اصابة
الصواب في تعبير المنام ليتوصل بذلك الى مراد الله تعالى فيما ضربه من المثل فان اصاب
فلا ينبغي ان يسال غيره وان لم يصب فليسال الثاني وعليه ان يخبر بما عنده ويبين ما جهل
الاول هكذا قال وفيه بحث يطول ذكره ومن اداب المعبر ما اخرجه عبد الرزاق عن عمر
انه كتب الى ابي موسى فاذا راى احدكم رؤيا فقصها على اخيه فليقل خير لنا وشر لاعدائنا
ورجاله ثقات ولكن سنده منقطع وفي حديث ابن زمل عند الطبراني والبيهقي في الدلائل
لما قص على النبي صلى الله عليه وسلم رؤيا فقال عليه السلام خير تلقاه وشر تتوقاه وخير لنا
وشر على اعدائنا والحمد لله رب العالمين اقصص رؤياك الحديث وسنده ضعيف جدا ويأتي في
ان شاء الله تعالى ومن اداب العابر ان لا يعبر عند طلوع الشمس ولا عند غروبها ولا عند الزوال
ولا في الليل وان لا يقصها على امراة لكن ثبت انه صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى الغداة يقول
هل راى احد الليلة رؤيا فيقص عليه ما شاء الله ان يقص ويعبر لهم ما يفتونه وبوب عليه
البخاري باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح قالوا وفيه اشارة الى ضعف ما اخرجه عبد الرزاق

عن معمر بن سعيد بن عبد الرحمن عن بعض علمائهم قال لا تقصص رؤياك على امراة ولا تخبر بها
حتى تطلع الشمس وفيه اشارة الى الرد على من قال من اهل التعبير ان المستحب ان يكون
التعبير من بعد طلوع الشمس الى الرابعة ومن العصر الى قبل المغرب فان الحديث دال على
استحباب تعبيرها قبل طلوع الشمس ولا يخالف قولهم بكراهة تعبيرها في اوقات كراهة
الصلاة قال المهلب تعبير الرؤيا عند صلاة الصبح اولى من غيره من الاوقات لحفظ
صاحبها لها لقرب عهده بها وقل ما يعرض له نسيانها ولحضور ذهن العابر وقلة شغله
بالفكر فيما يتعلق بمعاشه وليعرف الرائي ما يعرض له بسبب رؤياه فيستبشر بالخير ويحذر
من الشر ويتاهب لذلك فربما كان في الرؤيا تحذير من معصية فيكف عنها وربما كانت انذارا
لامر فيكون له مترقبا قال فهذه عدة فوائد لتعبير الرؤيا اول النهار انتهى له في فتح الباري وذكر
ايمة التعبير ان من اداب الرائي ان يكون صادق اللهجة وان ينام على وضوء على جنبه الايمن
وان يقرا عند نومه والشمس والليل والتين وسورة الاخلاص والمعوذتين ويقول اللهم
اني اعوذ بك من سيئ الاحلام واستجير بك من تلاعب الشيطان في اليقظة والمنام اللهم
اني اسالك رؤيا صالحة صادقة نافعة حافظة غير منسية اللهم ارني في منامي ما احب وان لا
يقصها على عدو ولا جاهل اذا علمت هذا فاعلم ان جميع المرائي تنحصر في قسمين اضغاث
احلام وهي لا تنذر بشيء وهي انواع الاول تلاعب الشيطان ليحزن الرائي كانه يرى انه
قطع راسه وهو يتبعه او راى انه واقع في هول ولا يجد من ينجده ونحو ذلك وروى مسلم
عن جابر جاء اعرابي فقال يا رسول الله اني حلمت ان راسي قطع فانا اتبعه فزجره صلى الله عليه
وسلم فقال لا تخبر بتلعب الشيطان بك في المنام الثاني ان يرى ان بعض الملائكة تامره
ان يفعل المحرمات مثلا ونحوه من المحال الثالث ما يحدث به نفسه في اليقظة او يتمناه عقلاً
فيراه كما هو في المنام وكذا رؤية ما جرت عادته في اليقظة او ما يغلب على مزاجه ويقع
على المستقبل غالبا وعن الحال كثيرا وعن الماضي قليلا القسم الثاني الصادقة وهي رؤيا
الانبياء ومن تبعهم من الصالحين وقد تقع لغيرهم بندور وهي التي تقع في اليقظة على وفق
ما وقعت في النوم وقد وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم من الرؤيا الصادقة التي كفلق
الصبح مما لا يعد ولا يحد قالت عائشة رضي الله عنها اول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه
وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح الحديث
رواه البخاري وفي رواية الرؤيا الصالحة وهما بمعنى واحد بالنسبة الى امور الاخرة في حق
الانبياء واما بالنسبة الى امور الدنيا فالصالحة في الاصل اخص فرؤيا النبي صلى الله عليه
وسلم كلها صادقة وقد تكون صالحة وهو الاكثر وغير صالحة بالنسبة الى الدنيا كما وقع في الرؤيا
يوم احد فانه صلى الله عليه وسلم راى بقرا تذبح وراى في سيفه ثلما فاول البقر بما اصاب يوم احد اصحابه
والثلم الذي في سيفه برجل من اهل بيته يقتل ثم كانت العاقبة للمتقين وكان بعد ذلك النصر
والفتح على الخلق اجمعين واما رؤيا غير الانبياء فبينهما عموم وخصوص ان فسرنا الصادقة
بانها التي لا تحتاج الى تعبير واما ان فسرناها بانها غير الاضغاث فالصالحة اخص مطلقا وقال
الامام نصر بن يعقوب الدينوري في التعبير القادري الرؤيا الصالحة دقيقة ما تقع بعينه او ما

في المنام او يخبر به من لا يكذب والصالحة ما فسر واعلم ان الناس في الرؤيا على ثلاث درجات
الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم ورؤياهم كلها صدق وقد يقع فيها ما يحتاج الى التعبير والصالحون
والاغلب على رؤياهم الصدق وقد يقع فيها ما لا يحتاج الى تعبيره ومن عداهم يقع في رؤياهم الصدق
والاضغاث وهم على ثلاثة اقسام مستورون فالغالب استواء الحال في حقهم وفسقة والغالب
على رؤياهم الاضغاث ويقل فيها الصدق وكفار ويندر في رؤياهم الصدق جدا ويشير الى ذلك
قوله صلى الله عليه وسلم واصدقهم رؤيا اصدقهم حديثا اخرجه مسلم من حديث ابي هريرة
وقد وقعت الرؤيا الصادقة من بعض الكفار كما في رؤيا صاحبي السجن مع يوسف عليه السلام
ورؤيا ملكهما وغير ذلك وقد روى الامام احمد مرفوعا وصححه ابن حبان من حديث ابي سعيد
اصدق الرؤيا بالاسحار وذكر الامام نصر بن يعقوب الدينوري ان الرؤيا اول الليل يبطئ
تاويلها ومن النصف الثاني يسرع بتفاوت اجزاء الليل وان اسرعها تاويلا رؤيا السحر ولاسيما
عند طلوع الفجر وعن جعفر الصادق اسرعها تاويلا رؤيا القيلولة وعن محمد بن سيرين
رؤيا النهار مثل الليل والنساء كالرجال وعن القيرواني ان المراة اذا رأت ما ليست له
اهلا فهو لزوجها وكذا حكم العبد لسيده كما ان رؤيا الطفل لابويه ومن مرائيه الكريمة
عليه الصلاة والسلام شرب اللبن وتعبيره بالعلم كما في حديث ابن عمر عند البخاري قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بينا انا نائم اتيت بقدح لبن فشربت منه حتى
اني لارى الري يخرج من اظافري ثم اعطيت فضلي يعني عمر قالوا فما اولته يا رسول الله
قال العلم وفي رواية الكشميهني من اظافري وفي رواية صالح بن كيسان من اطرافي
وهذه الرؤية يحتمل ان تكون بصرية وهو الظاهر ويحتمل ان تكون علمية ويؤيد الاول
ما اخرجه الحاكم والطبراني من طريق ابي بكر بن عبد الله بن عمر عن ابيه عن جده في هذا الحديث
فشربت حتى رأيته يجري في عروقي بين الجلد واللحم على انه يحتمل ايضا قال بعض العارفين
الذي يخلص اللبن من بين فرث ودم قادر على ان يخلق المعرفة من بين شك وجهل وهكذا قال
لكن اطردت العادة بان العلم بالتعلم والذي ذكره قد يكون خارقا للعادة فيكون من باب الكرامة
وقال العارف ابن ابي جمرة تاول النبي صلى الله عليه وسلم اللبن بالعلم اعتبارا بما بين له
اول الامر حين اتي بقدح خمر وقدح لبن واخذ اللبن فقال له جبريل اخذت الفطرة انتهى وقد
جاء في بعض الاحاديث المرفوعة تاويله بالفطرة كما اخرجه البزار من حديث ابي هريرة رفعه
اللبن في المنام فطرة وذكر الدينوري ان اللبن المذكور في هذا يختص بلبن الابل وانه لشاربه
مال حلال وعلم قال ولبن البقر خصب السنة ومال حلال وفطرة ايضا ولبن الشاء مال
وسرور وصحة جسم والبان الوحش شك في الدين والبان السباع غير محمودة الا ان لبن اللبوة
مال مع عداوة لذي امر وفي الحديث ان علم النبي صلى الله عليه وسلم بالله لا يبلغ احد درجته
فيه لانه شرب حتى رأى الري يخرج من اطرافه واما اعطاؤه فضله لعمر ففيه اشارة الى
ما حصل لعمر من العلم بالله بحيث كان لا ياخذه في الله لومة لائم ووجه التعبير في الحديث
بذلك من جهة اشتراك اللبن والعلم في كثرة النفع وكونهما سببا للصلاح فاللبن للغذاء البدني
والعلم للغذاء المعنوي ومن ذلك رؤيته صلى الله عليه وسلم القميص وتعبيره بالدين عن ابي سعيد

الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينا انا نائم رأيت الناس يعرضون علي وعليهم
قمص منها ما يبلغ الثدي ومنها ما يبلغ دون ذلك ومر علي عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره قالوا
فما اولته يا رسول الله قال الدين رواه البخاري وفي رواية الترمذي الحكيم من طريق اخرى
في هذا الحديث فقال له ابو بكر على ما تاولت هذا يا رسول الله قال الدين والثدي بضم المثلثة وكسر الدال
وتشديد الياء جمع ثدي بفتح ثم سكون والمعنى ان القميص قصير جدا بحيث لا يصل من الحلق
الى نحو السرة بل فوقها او قوله ومنها ما يبلغ دون ذلك يحتمل ان يريد به من جهة السفل
وهو الظاهر فيكون اطول ويحتمل ان يكون دونه من جهة العلو فيكون اقصر ويؤيد الاول
ما في رواية الترمذي الحكيم المذكورة فمنهم من كان قميصه الى سرته ومنهم من كان قميصه
الى انصاف ساقيه ويجوز النصب في قوله الدين والتقدير اولت ويجوز الرفع وفي رواية
الحكيم المذكورة على الايمان وقد قيل في وجه تعبير القميص بالدين ان القميص يستر العورة
في الدنيا والدين يسترها في الاخرة ويحجبها عن كل مكروه والاصل فيه قوله تعالى ولباس
التقوى ذلك خير واتفق اهل التعبير على ان القميص يعبر بالدين وان طوله يدل على بقاء
اثار صاحبه من بعده وقال ابن العربي انما اول النبي صلى الله عليه وسلم القميص بالدين
لان الدين يستر عورة الجهل كما يستر القميص عورة البدن قال واما غير عمر فالذي كان يبلغ
الثدي هو الذي يستر قلبه عن الكفر ولو كان يتعاطى المعاصي والذي كان يبلغ اسفل من ذلك
وفرجه باد هو الذي لم يستر رجله عن المشي الى المعصية والذي يستر رجله هو الذي
احتجب بالتقوى من جميع الوجوه والذي يجر قميصه زاد على ذلك بالعمل الصالح الخالص
واشار العارف ابن ابي جمرة الى ان المراد بالناس في هذا الحديث المؤمنون لتاويله القميص
بالدين قال والذي يظهر ان المراد خصوص هذه الامة المحمدية بل بعضها والمراد بالدين العمل
بمقتضاه كالحرص على امتثال الاوامر واجتناب المناهي وكان لعمر في ذلك المقام العالي قال
ويؤخذ من الحديث ان كل ما يرى في القميص من حسن او غيره فانه يعبر بدين لابسه قال
والنكتة في القميص ان لابسه اذا اختار نزعه واذا اختار ابقاه فلما البس الله المؤمنين
لباس الايمان واتصفوا به كان الكامل في ذلك سابغ الثوب ومن لا فلا وقد يكون نقص الثوب
بسبب نقص الايمان وقد يكون بسبب نقص العمل وفي الحديث ان اهل الدين يتفاضلون
في الدين بالقلة والكثرة وبالقوة والضعف وهذا من امثلة ما يحمد في المنام ويذم
في اليقظة شرعا اعني جر القميص لما ورد من الوعيد في تطويله ومن ذلك رؤيته
عليه الصلاة والسلام السوارين الذهب في يده الشريفة وتعبيرهما بالكذابين روى
البخاري عن عبيد الله بن عبد الله قال سألت عبد الله بن عباس عن رؤيا النبي صلى الله
عليه وسلم التي ذكر فقال ابن عباس ذكر لي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
بينا انا نائم رأيت انه وضع في يدي سواران من ذهب ففظعتهما وكرهتهما فاذن لي فنفختهما
فطارا فاولتهما كذابين يخرجان فقال عبد الله احدهما العنسي الذي قتله فيروز
باليمن والآخر مسيلمة وفي رواية ابي هريرة عند الشيخين بينا انا نائم اذ اوتيت خزائن
الارض فوضع في يدي سواران من ذهب فكبرا علي واهماني فاوحي الي ان انفخهما فنفختهما

فاولتهما الكذابين الذين انا بينهما صاحب صنعا وصاحب اليمامة قال المهلب هذه الرويا ليست
على وجهها وانما هي ضرب من المثل وانما اول النبي صلى الله عليه وسلم السوارين بالكذابين
لان الكذب وضع الشي في غير موضعه ولما راى في ذراعه سوارين من ذهب وليسا من
لبسه لانهما من حلية النسا عرف انه سيظهر من يدعي ما ليس له وايضا ففي كونهما من ذهب
والذهب منهي عن لبسه دليل على الكذب وايضا فالذهب مشتق من الذهاب فعلم انه
شي يذهب عنه وتاكد ذلك بالاذن له في نفخهما فطارا فعرف انه لا يثبت لهما امر وانه
بالوحي الذي جا به يزيلهما عن موضعهما وقال ابن العربي كان النبي صلى الله عليه وسلم
يتوقع بطلان امر مسيلمة والعنسي فاول الرويا عليهما ليكون ذلك اخراجا للمنام عليهما
فان الرويا اذا عبرت خرجت ويحتمل مما في ان الارض التي فيها الذهب والفضة وقال
القرطبي انما كبر عليه السواران لكون الذهب من حلية النسا ومما حرم على الرجال وفي طيرانهما
اشارة الى اضمحلال امرهما ومناسبة هذا التاويل لهذه الرويا ان اهل صنعا واهل
اليمامة كانوا اسلموا فكانوا كالمساعدين للاسلام فلما ظهر فيهما الكذابان وبهرجا على
اهلهما بزخرف اقوالهما ودعاويهما الباطلة انخدع اكثرهم بذلك فكان اليدين بمنزلة
البلدين والسوارين بمنزلة الكذابين وكونهما من ذهب اشارة الى ما زخرفاه والزخرف
من اسما الذهب وقال اهل التعبير من راى انه يطير فان كان الى جهة السما بغير تعريج
ناله ضرر فان غاب في السما ولم يرجع مات وان رجع افاق من مرضه وان كان يطير عرضا
سافر ونال رفعة بقدر طيرانه ومن ذلك رويته عليه الصلاة والسلام المراة السودا
الثايرة الراس وتعبيرها بنقل وبا المدينة الى الجحفة روى البخاري من حديث عبد الله
ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال رايت امراة سودا ثايرة الراس خرجت من
المدينة حتى قامت بمهيعة وهي الجحفة فاولت ان وبا المدينة نقل اليها وهذا من قسم
الرويا المعبرة وهي مما ضرب به المثل ووجه التمثيل انه شق من اسم السودا السو والدا
فاول خروجها بما جمع اسمها وتاول من ثوران شعر راسها ان الذي يسو ويثير الشر
يخرج من المدينة وقال القيرواني من اهل التعبير كل شي غلبت عليه السودا في اكثر
وجوهها فهو مكروه وقال غيره ثوران الراس تاول بالحمى لانها تثير البدن بالاقشعرار
وبارتفاع الراس لا سيما من السودا فانها اكثر استيحاشا ومن ذلك رويته عليه الصلاة
والسلام انه في درع حصينة وبقرا تنحر وتعبير ذلك عن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال رايت في المنام اني اهاجر من مكة الى ارض بها نخل فذهب وهلي الى انها اليمامة
او هجر فاذا هي المدينة يثرب ورايت فيها بقرا والله خير فاذا هم النفر من المومنين
يوم احد واذا الخير ما جا الله به من الخير بعد وثواب الصدق الذي اتانا بعد يوم بدر رواه الشيخان
ومسلم وروى الامام احمد وغيره عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال رايت كاني
في درع حصينة ورايت بقرا تنحر فاولت الدرع الحصينة المدينة والبقر بقر وهي
اللفظة الاخيرة وهي بقر بفتح الموحدة وسكون القاف مصدر بقره يبقره بقرا ولهذا
الحديث سبب نذكر بيانه في حديث ابن عباس عند احمد ايضا والنسايي والطبراني وصححه

ويحتمل ان يكون يوحي دلالة لخزاين الارض
التي ذكرها ما فتح على امته من الغنايم
ومن ذخاير كسرى وقيصر وغيرهما صح

الحاكم

الحاكم من طريق ابي الزناد عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس في قصة احد واشارة
النبي صلى الله عليه وسلم ان لا يخرجوا من المدينة وايثارهم الخروج لطلب الشهادة ولبسه
اللامة وندامتهم على ذلك وقوله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لنبي اذا لبس لامته ان يضعها
حتى يقاتل وفيه اني رايت اني في درع حصينة الحديث بنحو حديث جابر واتم منه وقد تقدمت
الاشارة اليه في غزوة احد من المقصد الاول والمراد بقوله واذا الخير ما جا الله به من الخير
وثواب الصدق الذي اتانا الله به بعد يوم بدر فتح خيبر ثم مكة اي مما جا الله به بعد بدر
الثانية من تثبيت قلوب المومنين قال في فتح الباري وفي هذا السياق اشعار بان قوله
في الخبر والله خير من جملة الرويا قال والذي يظهر لي ان لفظة والله خير لم يتحرر ايراده وان
رواية ابن اسحق هي المحررة وانه راى بقرا وراى خيرا فاول البقر على من قتل من الصحابة
يوم احد واول الخير على ما حصل لهم من ثواب الصدق في القتال والصبر على الجهاد يوم بدر
وبعده الى فتح مكة والمراد بالبعدية على هذا لا يختص بما بين بدر واحد نبه عليه ابن بطال
ومن ذلك رويته عليه الصلاة والسلام انه اتي برطب روى مسلم عن انس قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رايت الليلة فيما يرى النايم كانا في دار عقبة بن رافع
واتينا برطب من رطب ابن طاب فاولته ان الرفعة لنا في الدنيا والعاقبة في الاخرة وان
ديننا قد طاب ومن ذلك رويته صلى الله عليه وسلم سيفا هزه وتعبيره في حديث ابي موسى
المتقدم انه صلى الله عليه وسلم قال ورايت في رويايي هذه اني هززت سيفا فانقطع صدره
فاذا هو ما اصيب به المسلمين يوم احد ثم هززته اخرى فعاد احسن مما كان فاذا هو ما جا الله
به من الفتح واجتماع المومنين رواه الشيخان وهذه ايضا من ضرب المثل ولما كان النبي صلى الله
عليه وسلم يصول بالصحابة عبر عن السيف بهم وبهزه عن امره لهم بالحرب وعن القطع فيه
بالقتل فيهم وفي الهزة الاخرى لما عاد الى حالته الى الاستوا عبر به عن اجتماعهم والفتح
عليهم وقال اهل التعبير السيف يصرف على اوجه منها انه من نال سيفا فانه ينال سلطانا
اما ولاية واما وديعة واما زوجة واما ولدا فان سله من غمده فانثلم سلمت زوجته
واصيب ولده فان انكسر الغمد وسلم السيف فبالعكس وان سلما او عطبا فكذلك وقايم
السيف يتعلق بالاب والعصبات ونصله بالام وذوي رحم وان جرد السيف واراد قتل
شخص فهو لسانه يجرده في خصومة وربما عبر السيف بسلطان جاير وقال بعض اهل التعبير
ايضا من راى انه غمد سيفا فانه يتزوج او ضرب شخصا بسيف فانه يبسط لسانه فيه
ومن راى انه قاتل آخر وسيفه اطول من سيفه فانه يغلبه ومن راى سيفا عظيما
فهو فتنة ومن قلد سيفا قلد امرا فان كان قصيرا لم يدم امره ومن ذلك رويته عليه
الصلاة والسلام انه على قليب عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
بينا انا نايم رايتني على قليب وعليها دلو فنزعت منها ما شا الله ثم اخذها ابن ابي قحافة
فنزع منها ذنوبا او ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له ثم استحالت غربا فاخذها عمر ابن الخطاب
فلم ار عبقريا من الناس ينزع نزع ابن الخطاب حتى ضرب الناس بعطن وعبقري القوم
سيدهم وكبيرهم وقويهم وفي رواية فلم ينزع حتى تولى الناس والحوض يتفجر وفي رواية

يزله

فاتى ابو بكر فاخذ الدلو من يدي ليريحني وفي رواية موسى عن سالم عن ابيه ثم رايت الناس اجتمعوا
فقام ابو بكر فنزع ذنوبا او ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له ثم قام ابن الخطاب فاستحالت
غربا فما رايت من الناس من يفري فريه حتى ضرب الناس بعطن رواه البخاري قال النووي
قالوا هذا المنام مثال لما جرى للخليفتين من ظهور آثارهما الصالحة وانتفاع الناس بهما وكل
ذلك ماخوذ من النبي صلى الله عليه وسلم لانه صاحب الامر فقام به اكمل مقام وقرر قواعد
الدين ثم خلفه ابو بكر فقاتل اهل الردة وقطع دابرهم ثم خلفه عمر فاتسع الاسلام في زمنه
فشبه امر المسلمين بقليب فيه الماء الذي فيه حياتهم وصلاحهم وامرهم باستقائهم منها
وفي قوله فاخذ الدلو من يدي ليريحني اشارة الى خلافة ابي بكر بعد موته صلى الله عليه
وسلم لان الموت راحة من كد الدنيا وتعبها فقام ابو بكر بتدبير امر الامة ومعاناة احوالهم
واما قوله وفي نزعه ضعف فهو اخبار عن حاله في قصر مدته وولايته واما ولاية عمر فانها
لما طالت كثر انتفاع الناس بها واتسعت دائرة الاسلام بكثرة الفتوح وتمصير الامصار
وتدوين الدواوين وليس في قوله عليه الصلاة والسلام والله يغفر له تنقيص ولا اشارة
الى انه وقع ذنب وانما هي كلمة كانوا يقولونها وقوله فاستحالت في يده غربا اي تحولت الدلو
غربا بفتح الغين المعجمة وسكون الراء بعدها موحدة اي دلوا عظيما واخرج احمد وابو داود
عن سمرة بن جندب ان رجلا قال يا رسول الله رايت كان دلوا دلي من السماء فجاء ابو بكر
فاخذ بعراقيها فشرب منها شربا ضعيفا ثم جاء عمر فاخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع ثم جاء عثمان
فاخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع ثم جاء علي فانتشطت وانتضح عليه منها شيء والعراقي
جمع عرقوة الدلو وهي الخشبة المعروضة على فم الدلو وهما عرقوتان كالصليب وقد
عرقيت الدلو اذا ركبت العرقوة فيها وانتشطت اي جذبت ورفعت فهذه نبذة من رؤياه
الكريمة صلى الله عليه وسلم مع تعبيرها واما ما راه غيره فعبره صلى الله عليه وسلم
ما يخص ويعم من امور الدنيا والآخرة فقد كان صلى الله عليه وسلم اذا انفتل من صلاة
الصبح اقبل على اصحابه فقال من راى منكم الليلة رؤيا فليقصها علي اعبرها له فيقص الناس
عليه مرائيهم وروى البخاري والترمذي عن سمرة بن جندب قال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يكثر ان يقول لاصحابه هل راى احد منكم رؤيا فيقص عليه من شاء الله ان يقص
وانه قال ذات غداة هل راى احد منكم رؤيا فقلنا لا ما منا احد راى شيئا قال لكني اتاني
الليلة اثنان وانهما ابتعثاني فقالا لي انطلق فانطلقت فاتينا على رجل مضطجع واذا آخر
قائم عليه بصخرة فاذا هو يهوي بالصخرة لراسه فيثلغ راسه الحديث واقام عليه السلام
ليسال اصحابه هل راى منكم الليلة احد رؤيا ما شاء الله ثم ترك السؤال فكان يعبر لمن قص متبرعا
واختلف العلماء في سبب تركه السؤال فقيل سببه ذلك حديث ابي بكرة عند الترمذي
وابي داود انه صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم من راى منكم رؤيا فقال رجل انا يا رسول الله
رايت كان ميزانا نزل من السماء فوزنت انت وابو بكر فرجحت انت بابي بكر ووزن ابو بكر وعمر
فرجح ابو بكر ووزن عمر وعثمان فرجح عمر ثم رفع الميزان فراينا الكراهة في وجه رسول الله
صلى الله عليه وسلم انتهى قالوا فمن حينئذ لم يسال النبي صلى الله عليه وسلم احدا عن رؤيا

قال

قال بعضهم وسبب كراهته عليه السلام اشارة لستر العواقب واخفاء المراتب فلما كانت
هذه الرؤيا كاشفة لما ذكر مبينة لفضل بعضهم على بعض في التعيين خشي ان يتوالى
ويتوالى ما هو ابلغ في الكشف من ذلك ولله في ستر خلقه حكمة بالغة ومشيئته نافذة
وقال ابن قتيبة فيما ذكره ابن المنير سبب تركه السؤال حديث ابن زمل كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا صلى الصبح قال صلى الله عليه وسلم وهو ثان رجليه سبحان الله
وبحمده واستغفر الله انه كان توابا سبعين مرة ثم يقول سبعون بسبعمائة لا خير
لمن كانت ذنوبه في يوم اكثر من سبعمائة ثم يستقبل الناس بوجهه فيقول هل راى
احد منكم شيئا قال ابن زمل فقلت ذات يوم انا يا رسول الله قال خير تلقاه وشر
توقاه وخير لنا وشر على اعدائنا والحمد لله رب العالمين اقصص رؤياك قال رايت جميع
الناس على طريق رحب لاحب سهل والناس على الجادة منطلقون فبينما هم كذلك اشفى
ذلك الطريق بهم على مرج لم تر عيني مثله يرف رفيفا يقطر نداه فيه من انواع الكلا
فكاني بالرعلة الاولى حين اشرفوا على المرج كبروا ثم اكبوا رواحلهم في الطريق فلم يظلموه
يمينا ولا شمالا ثم جاءت الرعلة الثانية من بعدهم وهم اكثر منهم اضعافا فلما اشرفوا
على المرج كبروا ثم اكبوا رواحلهم في الطريق فمنهم المرتع ومنهم الآخذ الضغث ثم قدم
عظم الناس فلما اشفوا على المرج كبروا وقالوا هذا خير المنزل فمالوا في المرج يمينا وشمالا
فلما رايت ذلك لزمت الطريق حتى اتيت اقصى المرج فاذا انا بك يا رسول الله على منبر
فيه سبع درجات وانت في اعلاها درجة واذا عن يمينك رجل آدم اقنى اذا هو تكلم
يسمو فيعلو الرجال طولا واذا عن يسارك رجل ربعة تار احمر كثير خيلان الوجه
اذا هو تكلم اصغيتم اليه اكراما له واذا امام ذلك شيخ كانكم تقتدون به واذا امام
ذلك ناقة عجفاء شارف واذا انت كانك تبعثها يا رسول الله قال فانتقع لون رسول الله
صلى الله عليه وسلم ساعة ثم سري عنه فقال اما ما رايت من الطريق الرحب اللاحب
السهل فذلك ما حملتكم عليه من الهدى فانتم عليه واما المرج الذي رايت فالدنيا وغضارة
عيشها لم نتعلق بها ولم تردنا ولم نردها واما الرعلة الثانية والثالثة وقص كلامه
فانا لله وانا اليه راجعون واما انت فعلى طريقة صالحة فلن تزال عليها حتى تلقاني
واما المنبر فالدنيا سبعة آلاف سنة انا في آخرها الفا واما الرجل الطويل الآدم فذلك
موسى نكرمه بفضل كلام الله اياه واما الرجل الربعة التار الاحمر فذلك عيسى عليه
السلام نكرمه بفضل منزلته من الله واما الشيخ الذي رايت كاننا نقتدي به فذلك
ابراهيم عليه الصلاة والسلام واما الناقة العجفاء الشارف التي رايتني ابعثها فهي الساعة
علينا اي على الامة تقوم لا نبي بعدي ولا امة بعد امتي قال الراوي فما سال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعد هذا احدا عن رؤيا الا ان يجيء الرجل متبرعا فيحدثه بها رواه ابن
قتيبة والطبراني والبيهقي في الدلائل وسنده ضعيف جدا ومن غرائب ما نقل عنه
صلى الله عليه وسلم من التعبيرات ان زرارة بن عمرو النخعي قدم على رسول الله صلى الله
عليه وسلم في وفد النخع فقال يا رسول الله اني رايت في طريقي هذا رؤيا رايت اتانا تركتها

في الحي ولا نجد يا اسفع احوي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لك من امة تركتها
مصرة حملا قال نعم تركت امة اظنها قد حملت قال فقد ولدت غلاما وهو ابنك قال فما بال اسفع
احوي قال ادن مني فدنا منه قال هل بك برص تكتمه قال نعم والذي بعثك بالحق ما رآه مخلوق ولا
علم به قال فهو ذاك قال ورأيت النعمان بن المنذر عليه قرطان ودملجان ومسكتان قال ذلك ملك العرب
عاد الى افضل زيه وبهجته قال ورأيت عجوزا شمطا تخرج من الارض قال تلك بقية الدنيا قال ورأيت
نارا خرجت من الارض فحالت بيني وبين ابن لي يقال له عمرو ورأيتها تقول لظى لظى بصير واعمى اطعموني
كلكم اهلكم ومالكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم تلك فتنة تكون في آخر الزمان قال وما الفتنة يا رسول الله
قال يفتك الناس بامامهم يشتجرون اشتجار اطباق الراس وخالف النبي صلى الله عليه وسلم بين اصابعه
يحسب المسيء انه محسن ودم المؤمن احلى من شرب الماء فانظر الى هذا التعبير البارز من مشكاة
النبوة محشوا بحلاوة الحق مكسوا حلاوة الصدق مجلوا بانوار الوحي والاسفع الذي اصاب جسده
لون آخر والاحوي الاسود ليس بالشديد والمسكتان السواران من ذهب واطباق الراس عظامه
والاشتجار الاختلاف والاشتباك فان قلت تعبيره عليه السلام السوارين هنا يرجع الى بشرى
وعبرهما بالكذابين فيما مر اجيب بان النعمان بن المنذر كان ملك العرب وكان مملكا من جهة
الاكاسرة وكانوا يسورون الملوك ويحلونهم وكان السواران من زي النعمان لبسهما بمنكرين في حقه
ولا موضوعين في غير موضعهما عرفا واما النبي صلى الله عليه وسلم فنهي عن لباس الذهب لاحاد الامة
فجدير بان يهمه ذلك لانه ليس من زيه فاستدل به على امر يوضع في غير موضعه ولكن حمدنا العاقبة
بذهابهما ولله الحمد ومن ذلك ما روي عن قيس بن عباد بضم العين وتخفيف الموحدة كنت في حلقة
فيها سعد بن مالك وابن عمر فمر عبد الله بن سلام فقالوا هذا رجل من اهل الجنة فقلت له انهم قالوا
كذا وكذا قال سبحان الله ما كان ينبغي لهم ان يقولوا ما ليس لهم به علم انما رأيت كأن عمودا وضع
في روضة خضراء فنصب فيها وفي رأسها عروة وفي اسفلها منصف والمنصف الوصيف فقيل ارقه
فرقيته حتى اخذت بالعروة فقصصتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يموت عبد الله
وهو آخذ بالعروة الوثقى رواه البخاري وفي رواية خرشة بينما انا نائم اتاني رجل فقال لي قم
فاخذ بيدي فانطلقت معه فاذا انا بجواد جمع جادة وهي الطريق المسلوك عن شمالي
قال فاخذت لآخذ فيها اي اسير فقال لا تأخذ فيها فانها طريق اصحاب الشمال وفي رواية النسائي
من طريقه فبينا انا امشي اذ عرض لي طريق عن شمالي فاردت ان اسلكها فقال انك لست من اهلها
وفي رواية مسلم فاذا منهج عن يميني فقال لي خذ ها هنا فاتى بي جبلا فقال لي اصعد قال فجعلت اذا
اردت ان اصعد خررت حتى فعلت ذلك مرارا وفي رواية ابن عون فقال تلك الروضة روضة
الاسلام وذلك العمود عمود الاسلام وتلك العروة العروة الوثقى لا تزال متمسكا بالاسلام حتى تموت
وفي رواية خرشة عند النسائي وابن ماجه قال رأيت خيرا اما المنهج فالمحشر واما الجبل فهو منزل
الشهداء زاد مسلم ولن تناله وهذا علم من اعلام نبينا صلى الله عليه وسلم كان عبد الله بن سلام نبوته
لم يمت شهيدا وانما مات على فراشه في اول خلافة معاوية بالمدينة وقوله انه من اهل الجنة اخذوه
من قوله لما ذكر طريق الشمال انك لست من اهلها وانما قال ما كان ينبغي لهم ان يقولوا ما ليس لهم به علم
على سبيل التواضع وكراهة ان يشار اليه بالاصابع خشية ان يدخله العجب عافانا الله من [illegible]

الكاره

الكاره وقال النووي الروضة التي لا يعرف نبتها تعبر بالاسلام لنضارتها وحسن بهجتها وتعبر ايضا
بكل مكان فاضل وقد تعبر بالمصحف وكتب العلم والعالم ونحو ذلك انتهى وقال غيره من المعبرين الحلقة
والعروة المجهولة تدل لمن تمسك بها على قوته في دينه واخلاصه فيه ومن ذلك ما رواه البخاري
عن ام العلاء وهي امرأة من نسائهم بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أريت لعثمان بن مظعون بعد
موته في النوم عينا تجري فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال ذاك عمله تجري له
وقد قيل يحتمل انه كان لعثمان شيء من عمله بقي له ثوابه جاريا كالصدقة وانكره مغلطاي وقال
لم يكن له شيء من الامور الثلاثة ذكرها مسلم في حديث ابي هريرة رضي الله عنه اذا مات ابن آدم انقطع
عمله الا من ثلاث وتعقبه شيخ الحافظ ابن حجر بانه كان له ولد صالح شهد بدرا وما بعدها وهو
السائب مات في خلافة ابي بكر فهو احد الثلاث قال وقد كان عثمان من الاغنياء فلا يبعد ان يكون له
صدقة استمرت بعد موته وقال المهلب العين الجارية تحتمل وجوها فان كان ماؤها صافيا عبرت بالعمل
الصالح والا فلا وقال غيره العين الجارية عمل جار من صدقة او معروف لحي او ميت وقال آخر
عين الماء نعمة وبركة وخير وبلوغ امنية ان كان صاحبها مستورا فان كان غير عفيف اصابته مصيبة
يبكي لها اهل داره والله اعلم فهذا طرف من تعبيره عليه السلام يهدي الى غيره مما يشابهه والا
فالذي نقل عنه صلى الله عليه وسلم من غرائب التأويل ولطائف التعبير كما قال ابن المنير لا يحصره
المجلدات وانت اذا تأملت ان كل كرامة اوتيها واحد من هذه الامة في علم او عمل هي من آثار
معجزة نبيه صلى الله عليه وسلم وسر تصديقه وبركات طريقه وثمرات الاقتداء بهديه وتحقيقه
واستحضرت ما اوتيه الامام محمد بن سيرين من لطائف التعبير مما شاع وذاع وامتلأت به الاسماع
طبق الارض صدقا وعنوانا وعجبا عجابا بل بحرا عبابا قضيت بان ما منحه صلى الله عليه وسلم من
العلوم والمعارف لا تحيط به العبارات ولا يدرك حقيقته كنهها الاشارات واذا كان هذا ابن سيرين
واحد من امته عليه الصلاة والسلام نقل عنه من فن التعبير ما لا يعد لكثرته فكيف به صلى الله عليه
وسلم وزاده فضلا وشرفا لديه وافاض علينا من سحائب علومه ومعارفه وعطف علينا بعواطفه

الفصل الثالث في انبائه صلى الله عليه وسلم بالانباء المغيبات

اعلم ان علم الغيب مختص
بالله تعالى وما وقع منه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وغيره فمن الله تعالى اما بوحي او
الهام والشاهد لهذا قوله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول
يكون معجزة له واستدل به على ابطال الكرامات واجيب بتخصيص الرسول بالملك والاطلاع
بما يكون بغير توسطه وكرامات الاولياء على المغيبات انما تكون برؤيا الملائكة كاطلاعنا على احوال
الملائكة بتوسط الانبياء وفي حديث مر انه عليه الصلاة والسلام قال والله اني لا اعلم الا ما علمني
ربي فكل ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم من الانباء المنبئة عن الغيوب ليس الا من اعلام الله له
اعلاما على ثبوت نبوته ودلائل على صدق رسالته وقد اشتهر وانتشر امره عليه الصلاة
والسلام بين اصحابه بالاطلاع على الغيوب حتى ان كان بعضهم يقول لصاحبه اسكت فوالله لو لم
يكن عنده من يخبره لاخبرته حجارة البطحاء ويشهد لهذا قول ابن رواحة

وفينا رسول الله يتلو كتابه ٭ اذا انشق معروف من الصبح ساطع
ارانا الهدى بعد العمى فقلوبنا ٭ به موقنات ان ما قال واقع

وقول حسان بن ثابت

نبي يرى ما لا يرى الناس حوله ۞ ويتلو كتاب الله في كل مشهد
فان قال في يوم مقالة غايب ۞ فتصديقها في ضحوة اليوم او غد

وهذا الفصل ينقسم قسمان الاول فيما أخبر به عليه السلام مما نطق به القران العظيم فمن ذلك
قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله الى قوله فان لم تفعلوا
ولن تفعلوا فقوله ولن تفعلوا اخبار عن غيب تقتضي العادة بخلافه ومن ذلك قوله تعالى
واذ يعدكم الله احدى الطايفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم الاية
فانه قد كانت لقريش قافلتان احداهما ذات غنيمة دون الاخرى فاخبر الله تعالى عما
في ضمايرهم وانجز لهم ما وعد ولا شك ان الوعد كان قبل اللقا لان الوعد بالشي بعد
وقوعه غير جايز ومن ذلك قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر فهذا اخبار عن
المستقبل لان السين بمعنى الاستقبال يعني كفار قريش يوم بدر وقد كان عددهم
ما بين تسعماية الى الف وكانوا مستعدين بالمال والسلاح وكان عدد المسلمين
ثلاثماية وثلاثة عشر رجلا وليس معهم الا فرسان احدهما للزبير بن العوام والاخرى
للمقداد فهزم الله المشركين ومكن المسلمين من قتل ابطالهم واغتنام اموالهم ومن
ذلك قوله تعالى في كفار قريش سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا بالله
ما لم ينزل به سلطانا يريد ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال
ورجعوا من غير سبب ونادى ابو سفيان يا محمد موعدنا موسم بدر القابل ان شيت
فقال صلى الله عليه وسلم ان شا الله وقيل لما رجعوا وكانوا ببعض الطريق ندموا
وعزموا ان يعودوا عليهم ليستاصلوا فالقى الله الرعب في قلوبهم ومن ذلك قوله تعالى
الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين الى قوله
لا يخلف الله وعده وسبب نزول هذه الاية ان كسرى وقيصر تقاتلا فغلب كسرى قيصر
فسا المسلمين ذلك لان الروم اهل كتاب ولتعظيم قيصر كتاب النبي صلى الله عليه وسلم
وتمزيق كسرى كتابه وفرح المشركون به فاخبر الله تعالى بان الروم بعد ان غلبوا سيغلبون
في بضع سنين والبضع ما بين الثلاث الى العشرة فغلبت الروم اهل فارس يوم الحديبية
واخرجوهم من بلادهم وذلك بعد سبع سنين ومن ذلك قوله تعالى فتمنوا الموت ان كنتم
صادقين ولا يتمنونه ابدا فاخبرانهم لا يتمنون الموت بالقلب ولا بالنطق باللسان مع قدرتهم
عليه ابدا فوجد مخبره كما اخبر فلو لم يعلموا انما يلحقهم من الموت لسارعوا الى تكذيبه بالتمني
ولو لم يعلم ذلك لخشي ان يجيبوا اليه فيقضي عليه بالكذب قال البيضاوي وهذه الجملة
اخبار بالغيب وكان كما اخبر لانهم لو تمنوا الموت لنقل واشتهر فان التمني ليس من عمل القلب
فيخفى وروي مرفوعا لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي يهودي على وجه
الارض ومن ذلك قوله تعالى وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض
كما استخلف الذين من قبلهم الاية فهذا وعد من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بانه سيجعل
امته خلفاء الارض ايمة الناس والولاة عليهم وبهم تصلح البلاد ويخضع لهم العباد وليبدلن

لله الامر من قبل ومن بعده

بعد

بعد خوفهم من الناس امنا وحكاما منهم وقد فعل الله تعالى ذلك ولله الحمد والمنة فانه لم يمت صلى الله
عليه وسلم حتى فتح الله عليه مكة وخيبر والبحرين وساير جزيرة العرب وارض اليمن بكمالها
واخذ الجزية من مجوس هجر ومن بعض اطراف الشام وهاداه هرقل ملك الروم وصاحب مصر
والاسكندرية وهو المقوقس وملوك عمان والنجاشي ملك الحبشة الذي تملك بعد اصحمه
رحمه الله تعالى ثم لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم واختار الله له ما عنده من الكرامة
قام بالامر بعده خليفته ابو بكر الصديق رضي الله عنه فلم شعث ما وهى عند موته صلى الله
عليه وسلم واطد جزيرة العرب ومهدها وبعث الجيوش الاسلامية الى بلاد فارس صحبة
خالد بن الوليد ففتحوا اطرافا منها وجيشا آخر صحبة ابي عبيدة الى ارض الشام وجيشا
ثالثا صحبة عمرو بن العاص الى مصر ففتح الله للجيش الشامي في ايامه بصرى ودمشق
ومخاليفها من بلاد حوران وما والاها وتوفاه الله واختار له ما عنده ومن على الاسلام
واهله بان الهم الصديق ان يستخلف عمر الفاروق فقام بالامر بعده قياما تاما لم يدر الفلك
بعد الانبيا على مثله في قوة سيره وكمال عدله وتم في ايامه فتح البلاد الشامية بكمالها
وديار مصر الى آخرها واكثر اقليم فارس وكسر كسرى واهانه غاية الهوان وتقهقر
الى اقصى مملكته وقصر قيصر وانتزع يده من بلاد الشام فانحاز الى قسطنطينية وانفق
اموالها في سبيل الله كما اخبر بذلك ووعد به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لما كانت
الدولة العثمانية امتدت الممالك الاسلامية الى اقصى مشارق الارض ومغاربها ففتحت
بلاد المغرب الى اقصى ما هنالك اندلس وقيروان وسبتة مما يلي البحر المحيط ومن ناحية
المشرق الى اقصى بلاد الصين وقتل كسرى وباد ملكه بالكلية وفتحت مداين العراق وخراسان
والاهواز وقتل المسلمون من الترك مقتلة عظيمة جدا وجي بالخراج من المشارق والمغارب
الى الحضرة امير المومنين عثمان بن عفان وذلك ببركة تلاوته ودراسته وجمعه للامة
على حفظ القرآن فها نحن نتقلب فيما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ومن ذلك
قوله تعالى هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون
وعد اظهره في العباد بان دين الاسلام كما اخبر عاليا على ساير الاديان ومن ذلك قوله تعالى
اذا جا نصر الله والفتح الى آخرها فكان كما اخبر دخل الناس في الاسلام افواجا فما مات صلى الله
عليه وسلم وفي بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الاسلام الى غير ذلك مما يطول استقصاؤه

القسم الثاني فيما اخبر به صلى الله عليه وسلم من الغيوب سوى ما في القرآن العزيز

فكان كما اخبر به في حياته وبعد مماته أخرج الطبراني عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله قد رفع لي الدنيا فانا انظر اليها والى ما هو كاين فيها الى يوم القيمة كانما انظر
الى كفي هذه وعن حذيفة قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيا يكون في مقامه
ذلك الى قيام الساعة الا حدث به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه اصحابي
هولا وانه ليكون منه الشي قد نسيته فاعرفه فاذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم
اذا راه عرفه ثم قال حذيفة ما ادري انسي اصحابي ام تناسوه والله ما ترك رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قايد الى ان تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلثماية فصاعدا الا قد سماه لنا

اصحمه

تعالى عنه

قوله تعالى ضربت عليهم الذلة والمسكنة فان اليهود اذل الكفار في كل مكان وزمان كما اخبر ومن ذلك

فقسمتم

باسمه واسم ابيه وقبيلته رواه ابو داود وروى مسلم من حديث ابن مسعود في الدجال
فيبعثون عشر فوارس طليعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعرف اسمائهم واسماء
ابائهم والوان خيولهم هم خير فوارس على ظهر الارض يومئذ فوضح من هذا الخبر وغيره مما ياتي
من الاخبار ويتضح من خواطر الابرار الاخيار انه صلى الله عليه وسلم عرفهم بما يقع في حياته
وبعد موته ومآفات امته وفروعه فلا سبيل الى فوقه وقال ابو ذر تركنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وما يحرك طائر في السماء الا ذكر لنا منه علما رواه ولا شك ان الله تعالى
قد اطلعه على ازيد من ذلك والقى عليه علم الاولين والاخرين واما علوم عوارف المعارف
الالهية فتلك لا تتناهى عددها واليه صلى الله عليه وسلم ينتهي مددها ومن ذلك ما رواه
الشيخان عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم نعى النجاشي للناس في اليوم الذي
توفي فيه وخرج بهم الى المصلى وصف بهم وصلى عليه وكبر اربع تكبيرات وفي حديث انس عند
احمد والبخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صعد احدا ومعه ابو بكر وعمر
وعثمان فرجف بهم الجبل فضربه برجله وقال له اثبت فانما عليك نبي وصديق وشهيدان
فكان كما اخبر عليه السلام ومن ذلك ما رواه الشيخان من حديث ابي هريرة انه
صلى الله عليه وسلم قال اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده واذا هلك قيصر فلا قيصر
بعده والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله قال النووي قال الشافعي
وسائر العلماء معناه لا يكون كسرى بالعراق ولا قيصر بالشام كما كان في زمنه عليه
الصلاة والسلام فاعلمنا صلى الله عليه وسلم بانقطاع ملكهما من هذين الاقليمين وكان
كما قال فاما كسرى فانقطع ملكه وزال بالكلية من جميع الارض وتمزق ملكه كل ممزق
واضمحل بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم واما قيصر فانهزم من الشام ودخل اقصى بلاده
فافتتح المسلمون بلاده واستقرت للمسلمين ولله الحمد انتهى وقد وقع في خلافة سيدنا
عمر بن الخطاب كما قدمته وقال عليه السلام لسراقة كيف بك اذا لبست سواري كسرى
فلما اتى بهما عمر البسهما اياه وقال الحمد لله الذي سلبهما كسرى والبسهما سراقة ومن ذلك
اخباره عليه السلام بالمال الذي تركه عمه العباس عند ام الفضل بعد ان كتمه فقال ما علمه
غيري وغيرها واسلم كما تقدم ذلك في غزوة بدر من المقصد الاول واخباره بشان كتاب
حاطب الى اهله مكة وبموضع ناقته حين ضلت وكيف تعلقت بخطامها في الشجرة ولما
رجع المشركون يوم الاحزاب قال النبي صلى الله عليه وسلم الان نغزوهم ولا يغزونا
فلم يغزوا رسول الله بعده وبعث صلى الله عليه وسلم جيشا الى مؤتة وامر عليهم
زيد بن حارثة قال فان اصيب فجعفر بن ابي طالب فان اصيب فعبد الله بن رواحة
فلما التقى المسلمون بمؤتة جلس النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر فكشف له حتى نظر
الى معركتهم فقال اخذ الراية زيد بن حارثة حتى استشهد فصلى عليه ثم قال استغفروا له
ثم اخذ الراية جعفر بن ابي طالب حتى استشهد فصلى عليه ثم قال استغفروا لاخيكم
جعفر ثم اخذ الراية عبد الله بن رواحة فاستشهد فصلى عليه ثم قال استغفروا لاخيكم
فاخبر اصحابه بقتلهم في الساعة التي قتلوا فيها ومؤتة دون دمشق بارض البلقاء وعن

اسما بنت عميس قالت دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة اليوم الذي قتل فيه جعفر
واصحابه فقال يا اسما اين بنو جعفر فجئت بهم فضمهم وشمهم ثم ذرفت عيناه بالدموع فبكى
فقلت يا رسول الله ابلغك عن جعفر شيء قال نعم قتل اليوم رواه يعقوب الاصفهاني في كتاب
دلائل الاعجاز وخرجه ابن اسحق والبغوي ومن ذلك قوله عليه السلام زويت لي الارض
فرايت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها فكان كذلك امتدت في المشارق
والمغارب ما بين ارض الهند الى اقصى المشرق الى بحر طنجة حيث لا عمارة وراءه وذلك ما لم
تملكه امة من الامم ومن ذلك اعلامه قريشا باكل الارضة ما في صحيفتهم التي تظاهروا بها
على بني هاشم وقطعوا بها رحمهم وانها ابقت فيها اسم الله فوجدوها كما قال عليه الصلاة
والسلام ومن ذلك ما رواه الطبراني في الكبير والبزار من حديث ابن عمر قال
كنت جالسا مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسجد منا فاتاه رجل من الانصار
ورجل من ثقيف فسلما ثم قالا يا رسول الله جئنا نسالك فقال ان شئتما اخبرتكما
بما جئتماني تسالاني عنه فعلت وان شئتما ان امسك وتسالاني فعلت فقالا اخبرنا
يا رسول الله فقال الثقفي للانصاري سل فقال اخبرني يا رسول الله فقال جئتني
تسالني عن مخرجك من بيتك تؤم البيت الحرام وما لك فيه وعن ركعتيك بعد الطواف
وما لك فيهما وعن طوافك بين الصفا والمروة وما لك فيه وعن وقوفك عشية عرفة
وما لك فيه وعن رميك الجمار وما لك فيه وعن نحرك وما لك فيه مع الافاضة فقال
والذي بعثك بالحق لعن هذا جئت اسالك ومن ذلك ما رواه عن واثلة بن الاسقع
قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في نفر من اصحابه يحدثهم فجلست
وسط الحلقة فقال بعضهم يا واثلة قم عن هذا المجلس فقد نهينا عنه فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم دعوه واياه فاني اعلم بالذي اخرجه من منزله قلت يا رسول الله
ما الذي اخرجني قال اخرجك من منزلك لتسال عن البر وعن الشك قال قلت والذي
بعثك بالحق ما اخرجني غيره فقال صلى الله عليه وسلم البر ما استقر في الصدر واطمان
اليه القلب والشك ما لم يستقر في الصدر فدع ما يريبك الى ما لا يريبك وان افتاك المفتون
ومن ذلك قوله لفاطمة رضي الله عنها في مرضه انك اول اهلي لحوقا بي فعاشت بعده
ثمانية اشهر وقيل ستة اشهر وقوله عليه الصلاة والسلام لنسائه اسرعكن بي لحوقا
اطولكن يدا فكانت زينب بنت جحش لانها كانت تعمل بيدها وتتصدق ومن ذلك
قوله عليه السلام لعلي اتدري من اشقى الاخرين قلت الله ورسوله اعلم قال قاتلك
اخرجه احمد في المناقب وعند ابن ابي حاتم الذي يضربك على هذه واشار الى يافوخه
وعند المحاملي قال علي عهد الي رسول الله صلى الله عليه وسلم لتخضبن هذه من هذه
واشار الى لحيته وراسه وعند الضحاك الذي يضربك على هذه فيبل منها هذه واخذ
بلحيته فضربه عبد الرحمن بن ملجم وعند الطبراني وابي نعيم من حديث جابر مرفوعا
انك مؤمر مستخلف وانك مقتول وان هذه مخضوبة من هذه وقال صلى الله عليه وسلم
لعمار اما انك ستبلى امر امتي بعدي فاذا كان ذلك فاقبل من محسنهم وتجاوز عن مسيئهم

ما الذي

قال معوية فما زلت ارجوها حتى قمت مقامي هذا رواه ابن عساكر واخرج ابن عساكر ايضا
من حديث عروة بن رويم مرفوعا لن يغلب معوية ابدا وان عليا قال يوم صفين لو ذكرت هذا
الحديث لما قاتلت معوية ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام يقتل هذا مظلوما واشار
الى عثمان اخرجه البغوي في المصابيح من الحسان والترمذي وقال حسن غريب واخرجه
احمد فكان كما قال عليه الصلاة والسلام فاستشهد في الدار وبين يديه المصحف فنضح الدم
على هذه الاية فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم وفي الشفا انه عليه الصلاة والسلام قال
يقتل عثمان وهو يقرا في المصحف وان الله عسى ان يلبسه قميصا وانهم يريدون خلعه وانه
سيقطر دمه على فسيكفيكهم الله وقد اخرجه الحاكم عن ابن عباس بلفظ ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال يا عثمان تقتل وانت تقرا سورة البقرة فتقع قطرة من دمك
على فسيكفيكهم الله لكن قال الذهبي انه حديث موضوع وقد روى مسلم عن اسامة بن زيد
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشرف على اطم من آطام المدينة ثم قال هل ترون ما ارى
اني لارى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر فوقعت فتنة قتل عثمان وتتابعت الفتن
الى فتنة الحرة وكانت لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وستين من الهجرة وجرت
فيها وقايع كثيرة موجودة في كتب التواريخ واخرج البيهقي عن الحسن قال لما كان يوم الحرة
قتل اهل المدينة حتى لا يكاد ينفلت منهم احد واخرج ايضا عن مالك بن انس قال قتل يوم الحرة
سبعماية رجل من حملة القرآن منهم ثلثماية من الصحابة وذلك في خلافة يزيد واخرج ايضا
عن مغيرة قال انهب ابو مسلم بن عقبة المدينة ثلاثة ايام وافتض فيها الف عذراء وقال
عليه الصلاة والسلام لابي موسى وهو قاعد على قف بير اريس لما طرق عثمان الباب ائذن له
وبشره بالجنة على بلوى تصيبه اشارة الى ما تقدم من استشهاده يوم الدار بل اصرح
من ذلك كله ما رواه احمد عن ابن عمر قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنة فمر
رجل فقال يقتل فيها هذا يومئذ ظلما قال فنظرت فاذا هو عثمان واسناده صحيح واخبر
عليه الصلاة والسلام بوقعة الجمل وصفين وقتال عايشة والزبير عليا كما اخرجه الحاكم
وصححه والبيهقي عن ام سلمة قالت ذكر صلى الله عليه وسلم خروج بعض امهات المؤمنين
فضحكت عايشة فقال انظري يا حميرا ان لا تكوني انت ثم التفت الى علي فقال ان وليت
من امرها شيئا فارفق بها وعن ابن عباس مرفوعا ايتكن صاحبة الجمل الادبب تخرج حتى
تنبحها كلاب الحوءب يقتل حولها قتلى كثيرة تنجو بعدما كادت رواه البزار وابو نعيم واخرج
الحاكم وصححه والبيهقي عن ابي الاسود قال شهدت الزبير خرج يريد عليا فقال له علي
انشدك الله هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تقاتله وانت له ظالم
فمضى الزبير منصرفا وفي رواية ابي يعلى والبيهقي فقال الزبير بلى ولكن نسيت ومن
ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في الحسن بن علي ان ابني هذا سيد وسيصلح الله به وسيصلح
بين فئتين عظيمتين من المسلمين رواه البخاري فكان كما قال عليه الصلاة والسلام
لانه لما قتل علي بن ابي طالب بايع الحسن اكثر من اربعين الفا فبقي سبعة اشهر خليفة بالعراق
وما وراء النهر من خراسان ثم سار الى معويه وسار معوية اليه فلما تراءى الجمعان بموضع يقال

بستكين

بستكين بناحية الانبار من ارض السواد فعلم انه لن تغلب احد الفئتين حتى يذهب اكثر الاخرى
فكتب الى معوية يخبره انه يصير الامر اليه على ان يشترط عليه ان لا يطلب احدا من اهل
المدينة والحجاز والعراق بشيء مما كان في ايام ابيه فاجابه معوية الا عشرة فلم يزل يراجعه
حتى بعث اليه برق ابيض وقال اكتب ما شئت فيه فانا التزمه واصطلحا على ذلك فكان
الامر كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله سيصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين
واخرج الدولابي ان الحسن قال كانت جماجم العرب بيدي يسالمون من سالمت ويحاربون من
حاربت فتركتها ابتغاء وجه الله تعالى وحقن دماء المسلمين ومن ذلك اعلامه عليه الصلاة
والسلام بقتل الحسين بالطف واخرج بيده تربة وقال فيها مضجعه رواه البغوي في معجمه البيهقي
من حديث انس بن مالك بلفظ استاذن ملك القطر ربه ان يزور النبي صلى الله عليه وسلم
فاذن له وكان في يوم ام سلمة فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ام سلمة احفظي علينا
الباب لا يدخل احد فبينا هي على الباب اذ دخل الحسين فاقتحم فوثب على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يلثمه ويقبله فقال له الملك
اتحبه قال نعم قال ان امتك ستقتله وان شئت اريك المكان الذي يقتل به فاراه فجاء
بسهلة او تراب احمر فاخذته ام سلمة فجعلته في ثوبها قال ثابت كنا نقول انها كربلا
واخرجه ابو حاتم في صحيحه ورواه احمد بنحوه والسهلة بالكسر رمل خشن ليس بالدقاق
الناعم وفي رواية الملا قالت ثم ناولني كفا من تراب احمر وقال ان هذا من تربة الارض
التي يقتل بها فمتى صار دما فاعلمي انه قد قتل قالت ام سلمة فوضعته في قارورة عندي
وكنت اقول ان يوما يتحول فيه دما ليوم عظيم الحديث فاستشهد الحسين كما قاله
عليه الصلاة والسلام بكربلا من ارض العراق بناحية الكوفة ويعرف الموضع ايضا
بالطف قتله سنان بن انس النخعي وقيل غيره ولما قتلوه بعثوا براسه الى يزيد
فنزلوا اول مرحلة فجعلوا يشربون بالراس فبينما هم كذلك اذ خرجت عليهم من الحائط
يد معها قلم حديد فكتبت سطرا بدم اترجو امة قتلت حسينا شفاعة جده يوم الحساب
فهربوا وتركوا الراس خرجه منصور بن عمار وذكر ابو نعيم الحافظ في كتابه دلايل النبوة
عن نضرة الازدية انها قالت لما قتل الحسين بن علي مطرت السماء دما فاصبحنا وحبابنا
وجرارنا مملوءة دما وكذا روي في احاديث غير هذه وقال عليه السلام لعمار تقتلك
الفئة الباغية رواه البخاري ومسلم فكان كما قال عليه الصلاة والسلام ومن ذلك
ما رواه ابو عمر بن عبد البر ان عبد الله بن عمر راى رجلا مع النبي صلى الله عليه وسلم فلم يعرفه
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارايته قال نعم قال ذاك جبريل اما انك ستفقد
بصرك فعمي في آخر عمره ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن شماس
تعيش حميدا وتقتل شهيدا رواه الحاكم وصححه والبيهقي وابو نعيم فقتل يوم مسيلمة
الكذاب باليمامة ومن ذلك قوله لعبد الله بن الزبير ويل لك من الناس وويل للناس منك
فكان من امره مع الحجاج ما كان ومن ذلك حديث ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال
ان هذا الدين بدا نبوة ورحمة ثم يكون خلافة ورحمة ثم يكون ملكا عضوضا ثم يكون سلطانا

وجبرية رواه ... وقوله ملكا عضوضا اي يصيب الرعية فيه عسف وظلم كانهم يعضون
فيه عضا وفي حديث سفينة عند ابي داود والترمذي قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم الخلافة في امتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك قال سعيد بن جمهان امسك خلافة ابي بكر
وخلافة عمر وخلافة عثمان وخلافة علي فوجدناها ثلاثين سنة فقيل له ان بني امية يزعمون
ان الخلافة فيهم فقال كذب بنو الزرقاء بل هم ملوك من شر الملوك واخرج ابو نعيم عن ابن عباس
ان ام الفضل مرت به صلى الله عليه وسلم فقال انك حامل بغلام فاذا ولدتيه فأتيني به قالت
فلما ولدته اتيته به فاذن في اذنه اليمنى واقام في اليسرى والباه من ريقه وسماه عبد الله
وقال اذهبي بابي الخلفاء فاخبرت العباس فاتاه فذكر له فقال هو ما اخبرتك هذا ابو الخلفاء
حتى يكون منهم السفاح حتى يكون منهم المهدي حتى يكون منهم من يصلي بعيسى بن مريم واخرج
ابو يعلى عن معاوية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لتظهرن الترك على العرب
حتى تلحقها بمنابت الشيح والقيصوم ومن ذلك اخباره عليه السلام بعالم المدينة
واخرج الحاكم وصححه عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك
الناس ان يضربوا اكباد الابل فلا يجدوا عالما اعلم من عالم المدينة قال سفيان بن عيينة
نرى هذا العالم مالك بن انس وقال عبد الرزاق ولم نعرف بهذا الاسم غيره ولا ضربت
اكباد الابل الى احد مثل ما ضربت اليه وقال ابو مصعب لان الناس يزدحمون على باب
مالك ويقتتلون عليه من الزحام يعني لطلب العلم وممن روى عنه من الائمة المشهورين
محمد بن شهاب الزهري والسفيانين والشافعي والاوزاعي امام اهل الشام والليث
ابن سعد امام اهل مصر وابو حنيفة النعمان بن ثابت الامام وصاحباه ابو يوسف ومحمد
ابن الحسن وعبد الرحمن بن مهدي شيخ الامام احمد ويحيى بن يحيى شيخ البخاري وابو رجا
قتيبة بن سعيد شيخ البخاري ومسلم وذو النون المصري والفضيل بن عياض وعبد الله بن
المبارك وابراهيم بن ادهم كما نقله عيسى بن مسعود الزواوي في كتاب المنهج السالك
الى معرفة قدر الامام مالك واخباره بعالم قريش عن ابن مسعود قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تسبوا قريشا فان عالمها يملا طباق الارض علما رواه ابو داود
والطيالسي في مسنده وفيه الجارود مجهول لكن له شواهد عن ابي هريرة من تاريخ بغداد
للخطيب وعن علي وابن عباس في المدخل للبيهقي قال الامام احمد وغيره هذا العالم هو
الشافعي لانه لم ينتشر في طباق الارض من علم عالم قريش من الصحابة وغيرهم ما انتشر
من علم الشافعي وما كان الامام احمد ليذكر حديثا موضوعا يحتج به او يستانس به في امر
شيخه الشافعي واما قوله وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عالم قريش الى اخره
بصيغة التمريض احتياطا للشك في ضعفه فان اسناده لا يخلو من ضعف قاله العراقي
ردا على الصغاني في زعمه انه موضوع وقد جمع الحافظ ابن حجر طرقه في كتاب سماه لذة
العيش في طرق حديث الائمة من قريش كما افاد شيخنا واخبر عليه السلام بان طايفة
من امته لم يزالوا ظاهرين على الحق حتى ياتي امر الله رواه الشيخان من حديث المغيرة
ابن شعبة وبان الله يبعث الى هذه الامة على راس كل مائة سنة من يجدد لها دينها

رواه الحاكم

رواه الحاكم من حديث ابي هريرة وبذهاب الامثل فالامثل رواه الحاكم وصححه بلفظ
تذهبون الخير فالخير وبالخوارج رواه الشيخان من حديث ابي سعيد الخدري بلفظ بينا
نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسما اذ اتاه ذو الخويصرة فقال
يا رسول الله اعدل قال ويلك ومن يعدل ان لم اعدل لقد خبت وخسرت ان لم اعدل فقال عمر
يا رسول الله دعني اضرب عنقه فقال عليه الصلاة والسلام دعه فان له اصحابا يحقر احدكم
صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من
الاسلام كما يمرق السهم من الرمية آيتهم رجل اسود احدى عضديه مثل ثدي المراة
او مثل البضعة تدردر يخرجون على حين فرقة من الناس قال ابو سعيد فاشهد اني
سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم واشهد ان عليا قاتلهم وانا معه وامر ابن ابي طالب صح
بذلك الرجل فالتمس فوجد فاتي به حتى نظرت اليه على نعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم الذي نعته واخبر عليه السلام ايضا بالرافضة اخرجه البيهقي عن علي قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون في امتي قوم يسمون الرافضة يرفضون
الاسلام واخبر ايضا بالقدرية والمرجئة وقال هم مجوس هذه الامة رواه الطبراني في
الاوسط عن انس وقد اخبر عليه السلام اصحابه باشياء بين موته وبين الساعة
وحذر من مخالفاتها كما حذر من كاد عن الطاعة وان الساعة لا تقوم حتى يظهر جملة
من الامارات في العالم فاذا جاءت الطامة الكبرى يطيش منها الجاهل والعالم كما روي من رفع
الامانة والقرآن وانتشار الخيانة وحسد الاقران وقلة الرجال وكثرة النسوان الى
غير ذلك مما شهدت به الاخبار وقضي بحقيقته وقوع الاعتبار وقد تعين ان نلم بذكر
طرف من الاثار الصحاح والحسان فروى البخاري من حديث ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة
عظيمة دعواهما واحدة وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم انه
رسول الله وحتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر
الهرج وهو القتل وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم الرجل من يقبل صدقته وحتى
يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه لا ارب لي فيه وحتى يتطاول الناس في البنيان وحتى
يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه وحتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت
وراها الناس اجمعوا فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها
خيرا ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن
الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه
فلا يسقي فيه ولتقومن الساعة وقد رفع اكلته الى فيه فلا يطعمها فهذه ثلاث عشر
علامة جمعها ابو هريرة في حديث واحد ولم يبق بعد هذا ما ينتظر من صحيح العلامات
والاشراط وقد ظهر اكثر هذه العلامات فاما قوله حتى تقتتل فئتان عظيمتان دعواهما
واحدة فيريد فتنة معاوية وعلي بصفين قال القاضي ابو بكر بن العربي وهذا اول
خطب طرق المسلمين وتعقبه القرطبي بان اول امر دهم الاسلام موت النبي صلى الله

عليه وسلم ثم بعده موت عمر لان بموته صلى الله عليه وسلم انقطع الوحي وكان اول ظهور الشر ارتداد العرب وبموت عمر رضي الله عنه سل سيف الفتنة فقتل عثمان وكان من قضاء وقدره ما كان وأما قوله دجالون كذابون قريبا من ثلاثين فقد جاء عددهم معينا من حديث حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون في امتي دجالون كذابون سبعة وعشرون منهم اربع نسوة وانا خاتم النبيين لا نبي بعدي اخرجه الحافظ ابو نعيم وقال هذا حديث غريب قال القاضي عياض هذا الحديث قد ظهر فلو عد من تنبأ من زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الآن ممن اشتهر بذلك لوجد هذا العدد ومن طالع كتب التواريخ عرف صحة هذا وقوله حتى يقبض العلم فقد قبض العلم به ولم يبق الا رسمه وأما الزلازل فوقع منها شيء كثير وقد شاهدنا بعضها وأما قوله حتى يكثر فيكم المال فيفيض ويهم رب المال من يقبل صدقته فهذا اما لم يقع وقوله حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه لما يرى من عظم البلا ورياسة الجهلا وخمول العلماء وغير ذلك مما ظهر كثير منه وفي حديث ابي هريرة عند الشيخين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من ارض الحجاز تضيء لها اعناق الابل ببصرى فقد خرجت نار عظيمة على قرب مرحلة من المدينة وكان بدوها زلزلة عظيمة في ليلة الاربعا بعد العشا ثالث جمادى الآخرة سنة اربع وخمسين وستمائة وفي يوم الثلثا اشتدت حركتها وعظمت رجفتها وتتابعت حطمتها وارتجت الارض بمن عليها وعجت الاصوات لباريها ودامت الحركة حتى ايقن اهل المدينة بوقوع الهلكة وزلزلوا زلزالا شديدا من جملة ثمانية عشر حركة في يوم واحد دون ليلته قال القرطبي وكان يأتي المدينة ببركته صلى الله عليه وسلم نسيم بارد وشوهد من هذه النار غليانا كغليان البحر وانتهت الى قرية من قرى اليمن فاحرقتها قال وقال لي بعض اصحابنا ولقد رأيتها صاعدة في الهواء من مسيرة خمسة ايام قال وسمعت انها رئيت من مكة ومن جبال بصرى وقال الشيخ قطب الدين القسطلاني اقامت اثنان وخمسون يوما قال وكان انطفاؤها في السابع والعشرين من شهر رجب ليلة الاسرا والمعراج به صلى الله عليه وسلم وبالجملة فاستيفاء الكلام على هذه النار يخرج عن المقصود وقد نبه عليه القرطبي في التذكرة وافردها بالتأليف الشيخ قطب الدين القسطلاني في كتاب سماه جمل الايجاز في الاعجاز بنار الحجاز فاتى فيه من رقائق الحقائق بالعجب العجاب والله الموفق

المقصد التاسع في لطيفة من لطائف عباداته صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى مخاطبا له صلى الله عليه وسلم ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين فامره تعالى بعبادته حتى يأتيه الموت وهو المراد باليقين وانما سمي الموت باليقين لانه امر متيقن فان قيل ما الفائدة في قوله حتى يأتيك اليقين وكان قوله واعبد ربك كافيا في الامر بالعبادة اجاب القرطبي تبعا لغيره بانه لو قال واعبد ربك مطلقا ثم عبده مرة كان مطيعا ولما قال حتى يأتيك اليقين اي اعبد ربك في جميع زمان

حياتك

حياتك ولا تخل لحظة من لحظات الحياة من هذه العبادات كما قال العبد الصالح واوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا وهذا مصير منه الى ان الامر المطلق لا يفيد التكرار وفي مسئلة معروفة في الاصول اختلف فيها وهي هل الامر المطلق يفيد التكرار او المرة الواحدة او لا يفيد شيئا منهما على مذاهب الاول انه لا يفيد التكرار ولا ينافيه بل انما يفيد طلب الفعل المأمور به من غير اشعار بالمرة او المرات لكن المرة ضرورية لاجل تحقق الامتثال اذ لا توجد الماهية باقل منها وهذا مختار الامام مع نقله له عن الاقلين ورجحه الآمدي وابن الحاجب وغيرهما الثاني انه يفيد التكرار مطلقا كما ذهب اليه الاستاذ ابو اسحاق الاسفرايني وابو حاتم القزويني فان عين للتكرار امدا استوعبه والا استوعب زمان العمر لكن بحسب الامكان فلا يستوعب زمان قضا الحاجة والنوم وغيرهما من الضروريات الثالث انه يدل على المرة حكاه الشيخ ابو اسحق في شرح اللمع عن اكثر اصحابنا وابي حنيفة وغيرهم وان علق بشرط او صفة اقتضى التكرار بحسب تكرار المعلق به نحو وان كنتم جنبا فاطهروا والزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة انتهى ملخصا من شرح العلامة ابي الحسن الاشموني لنظمه جمع الجوامع للعلامة ابن السبكي وقد روى جبير بن نفير مرسلا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اوحي الي ان اجمع المال واكون من التاجرين ولكن اوحي الي ان سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين رواه البغوي في شرح السنة وابو نعيم في الحلية عن ابي مسلم الخولاني وقد امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الآية باربعة اشيا التسبيح والتحميد والسجود والعبادة واختلف العلما في انه كيف صار الاقبال على مثل هذه الطاعة سببا لزوال ضيق القلب والحزن فحكى الامام فخر الدين الرازي عن بعض المحققين انه قال اذا اشتغل الانسان بمثل هذه الانواع من العبادات انكشف له اضواء عالم الربوبية ومتى حصل ذلك الانكشاف صارت الدنيا بالكلية حقيرة واذا صارت حقيرة خف على القلب فقدانها ووجدانها ولا يستوحش من فقدانها ولا يستريح بوجدانها وعند ذلك يزول الحزن والغم وقال اهل السنة اذا نزل بالعبد بعض المكاره فزع الى الطاعات كأنه يقول يجب علي عبادتك سواء اعطيتني الخيرات او ابتليتني بالمكروهات وقال تعالى فاعبده واصطبر لعبادته فامره تعالى عليه السلام بالعبادة والمصابرة على مشاق التكاليف في الانذار والابلاغ فان قلت لم لم يقل واصطبر على عبادته بل قال واصطبر لعبادته فالجواب لان العبادة جعلت بمنزلة القرن في قولك للمحارب اصطبر لقرنك اي اثبت له فيما يورد عليك من مشاقه والمعنى ان العبادة تورد عليك شدائد ومشاق فاثبت لها قاله الفخر الرازي وكذا البيضاوي وقال تعالى ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه قال درجات السير الى الله تعالى عبودية الله وآخرها التوكل عليه واذا كان العبد لا يزال مسافرا الى ربه لا ينقطع سيره اليه ما دام في قيد الحياة فهو محتاج الى زاد العبادة لا يستغني عنه البتة ولو اتى باعمال الثقلين جميعا وكان العبد الى الله افقر

كان جهاده في الله اعظم قال تعالى وجاهدوا في الله حق جهاده ولهذا كان النبي صلى الله
عليه وسلم أعظم الخلق اجتهادا وقياما بوظايف العبادات ومحافظة عليها الى ان توفاه الله
تعالى وتاسى اصحابه رضي الله عنهم فانهم كانوا كلما ازدادوا من القرب شيئا عظم جهادهم واجتهادهم
ولا يلتفت الى ما يظنه بعض المنتسبين للتصوف حيث قال القرب الحقيقي ينقل العبد
من الاعمال الظاهرة الى الاعمال الباطنة ويريح البدن والجوارح من كد العمل زاعما بذلك
سقوط التكليف عنه وهو لا أعظم كفرا والحادا حيث عطلوا العبودية وظنوا انهم استغنوا
عنها بما حصل لهم من الخيالات الباطلة التي هي من امانيّ النفس وخدع الشيطان لهم
وصل العبد من القرب الى اعلا مقام يناله العبد لما سقط عنه من التكليف مثقال ذرة
ما دام قادرا عليه **وقد اختلف** العلما هل كان عليه الصلاة والسلام قبل بعثته
متعبدا بشرع من قبله ام لا فقالت جماعة لم يكن متبعا لشيء وهو قول الجمهور واحتجوا
بانه لو كان كذلك لنقل ولما امكن كتمه ولسترة في العادة اذ كان من مهم امره واولى
ما اعتنى به من سيرته ولفخر به اهل تلك الشريعة ولاحتجوا به عليه ولم يؤثر
من ذلك شيء جملة **وذهبت** طايفة الى امتناع ذلك عقلا قالوا لانه يبعد ان يكون
متبوعا من عرف تابعا والتعليل الاول المستند الى النقل اولى **وذهب** اخرون
الى الوقف في امره عليه السلام وترك قطع الحكم عليه بشيء في ذلك اذ لم يحل الوجهين
منها العقل وهذا مذهب الامام ابي المعالي وقال اخرون كان عاملا بشرع من قبله
ثم اختلفوا هل يتعين ذلك الشرع ام لا فوقف بعضهم عن التعيين واحجم وجسر بعضهم
على التعيين وصمم **ثم اختلفت** هذه المعينة فيمن كان يتبع فقيل نوح وقيل ابراهيم
وقيل موسى وقيل عيسى فهذه جملة المذاهب في هذه المسئلة والاظهر فيها ما ذهب اليه
القاضي ابو بكر وابعدها مذاهب المعينين اذ لو كان شيء من ذلك لنقل كما قدمناه
ولم يخف جملة ولا حجة لهم في ان عيسى عليه السلام آخر الانبياء فلزمت شريعته من جاء
بعده اذ لم يثبت عموم دعوة عيسى بل الصحيح انه لم يكن لنبي دعوة عامة الا لنبينا
صلى الله عليه وسلم انتهى ملخصا من كلام القاضي عياض وهو كلام حسن بديع لكن
قوله فهذه جملة المذاهب فيه نظر لانه بقي عليه منها شيء فقد قيل شريعة آدم
ايضا وهو محكي عن ابن برهان وقيل جميع الشرايع حكاه صاحب المحصول عن المالكية
واما من قال انه عليه الصلاة والسلام كان على شريعة ابراهيم وليس له شرع
هو منفرد به وان المقصود من بعثته صلى الله عليه وسلم احيا شرع ابراهيم وعول
في اثبات مذهبه على قوله تعالى ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا فهذا قول
ساقط مردود لا يصدر مثله الا عن سخيف العقل كثيف الطبع وانما المراد بهذه الاية
الاتباع في التوحيد لانه لما وصف ابراهيم عليه السلام في هذه الاية بانه ما كان من
المشركين فلما قال ان اتبع كان المراد ذلك ومثله قوله تعالى اوليك الذين هدى الله
فبهداهم اقتده وقد سمى الله تعالى فيهم من لم يبعث ولم يكن له شريعة تخصه كيوسف
ابن يعقوب على قول من يقول انه ليس برسول وقد سمى الله تعالى جماعة منهم في هذه الاية

هو امام الحرمين وكذلك الغزالي والآمدي

جماعة منهم

وشرايعهم

وشرايعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينها فدل على ان المراد بما اجتمعوا عليه من التوحيد وعبادة
الله تعالى **فان قيل** النبي صلى الله عليه وسلم انما نفى الشرك واثبت التوحيد بناء على الدلايل
القطعية واذا كان كذلك لم يكن متابعا لاحد فيمتنع حمل قوله اتبع على هذا المعنى فوجب حمله
على الشرايع التي يصح حصول المتابعة فيها **اجاب** الفخر الرازي بانه يحتمل ان يكون المراد
الامر بمتابعته في كيفية الدعوة الى التوحيد وهو ان يدعو اليه بطريق الرفق والسهولة
وايراد الدلايل مرة بعد اخرى بانواع كثيرة على ما هو الطريقة المالوفة في القرآن وذكر
صاحب الكشاف لفظة ثم في قوله ثم اوحينا اليك تدل على تعظيم منزلة رسول الله
صلى الله عليه وسلم واجلال محله فان اشرف ما اوتي خليل الله من الكرامة واجل ما اوتي
من النعمة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ملته من قبل ان هذه اللفظة دلت على تباعد
النعت في المرتبة على ساير المدايح التي مدحه الله بها انتهى ومراده بالمدايح المذكورة
في قوله ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لانعمه اجتباه
وهداه الى صراط مستقيم واتيناه في الدنيا حسنة وانه في الاخرة لمن الصالحين
وقال ابن العراقي في شرح تقريب الاسانيد وليت شعري كيف تلك العبادة وأي انواع
هي وعلى اي وجه فعلها يحتاج ذلك لنقل ولا استحضره الان انتهى وقال شيخ الاسلام
البلقيني في شرح البخاري ولم يجي في الاحاديث التي وقفنا عليها كيفية تعبده عليه
الصلاة والسلام لكن روى ابن اسحق وغيره انه عليه السلام كان يخرج الى حرا في كل
عام شهرا من السنة يتنسك فيه وكان من نسك قريش في الجاهلية ان يطعم الرجل
من جاءه من المساكين حتى اذا انصرف من مجاورته لم يدخل بيته حتى يطوف بالبيت
وحمل بعضهم التعبد على التفكر قال وعندي ان هذا التعبد يشتمل على انواع وهي
الاعتزال عن الناس كما صنع ابراهيم عليه السلام باعتزاله قومه والانقطاع الى الله
تعالى فان انتظار الفرج عبادة كما رواه علي بن ابي طالب وينضم الى ذلك الاذكار وعن
بعضهم كانت عبادته عليه السلام في حرا التفكر انتهى **وقد اردنا** ان نشرع فيما قصدنا
على النحو الذي اردناه **وقد** اقتصرنا من عبادته صلى الله عليه وسلم على سبعة انواع
النوع الاول في الطهارة وفيه فصول **الاول في ذكر وضوئه صلى الله عليه وسلم**
وسواكه ومقدار ما كان يتوضأ به اعلم ان الوضوء بالضم الفعل وبالفتح الماء الذي
يتوضأ به على المشهور فيهما وهو مشتق من الوضاءة وسمي به لان المصلي يتنظف به فيصير
وضيا وقد استنبط بعض العلما كما حكاه في فتح الباري ايجاب النية في الوضوء من قوله
تعالى اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا لان التقدير اذا اردتم القيام الى الصلاة فتوضوا
لاجلها ومثله قوله اذا رايت الامير فقم اي لاجله وقال ابن القيم لم يرو انه صلى الله
عليه وسلم كان يقول في اول وضوئه نويت رفع الحدث ولا غيرها لا هو ولا اصحابه البتة
ولم يروا عنه لا بسند صحيح ولا ضعيف انتهى **قلت** اما التلفظ بالنية فلا نعلم
انه روي عنه صلى الله عليه وسلم واما كونه اتى بها فقد قال الامام فخر الدين الرازي
في المحالم اعلم انا اذا اردنا في امر من الامور انه هل فعله الرسول صلى الله عليه وسلم

Murat Molla Kütüphanesi

فلنا الى اثباته طريق الاول اذا اردنا ان نقول انه عليه السلام توضأ مع النية والترتيب
قلنا لا شك ان الوضوء مع النية والترتيب افضل والعلم الضروري حاصل بان افضل الخلق
لم يواظب على ترك الافضل طول عمره فثبت انه اتى بالوضوء المرتب المنوي فوجب ان يجب
علينا مثله والطريق الثاني ان نقول لو انه عليه السلام ترك النية والترتيب لوجب علينا
تركه للدليل الدال على وجوب الاقتداء به ولما لم يجب علينا تركه ثبت انه ما تركه بل
فعله وفي الصحيحين وغيرهما من حديث عمر بن الخطاب مرفوعا انما الاعمال بالنية وانما
لكل امرئ ما نوى قال البخاري فدخل فيه الايمان والوضوء والصلاة والزكاة والحج والصوم
والاحكام واشار بذكر الوضوء الى خلاف من لم يشترط فيه النية كما نقل عن الاوزاعي وابي
حنيفة وغيرهما وحجتهم انه ليس عبادة مستقلة بل وسيلة الى العبادة كالصلاة ونوقضوا
بالتيمم فانه وسيلة وقد اشترط فيه الحنفية النية واستدل الجمهور على اشتراط النية
في الوضوء بالادلة الصحيحة المصرحة بوعد الثواب عليه فلا بد من قصد يميزه عن غيره
ليحصل الثواب الموعود به وقوله انما الاعمال بالنية ليس المراد منه نفي ذات العمل لانه
قد يوجد بغير نية بل المراد نفي احكامها كالصحة والكمال لكن الحمل على نفي الصحة اولى لانه
اشبه بنفي الشيء نفسه ولان اللفظ دال على نفي الذات بالتصريح وعلى نفي الصفات
بالتبع فلما منع الدليل نفي الذات بقيت دلالته على نفي الصفات مستمرة قال ابن دقيق
العيد الذين اشترطوا النية قدروا صحة الاعمال والذين لم يشترطوها قدروا كمال
الاعمال ورجح الاول ان الصحة اكثر لزوما للحقيقة من الكمال فالحمل عليها اولى وفي هذا
الكلام ايهام ان بعض العلماء لا يرى باشتراط النية وليس الخلاف بينهم في ذلك الا في الوسائل
واما المقاصد فلا اختلاف بينهم في اشتراط النية لها ومن ثم خالف الحنفية في اشتراطها
للوضوء كما تقدم وخالف الاوزاعي في اشتراطها في التيمم ايضا نعم بين العلماء اختلاف في اقتران
النية باول العمل كما هو معروف في مبسوطات الفقه واما قول البخاري فدخل فيه
الايمان فتوجيه دخول النية في الايمان على طريقة البخاري ان الايمان عمل واما الايمان
بمعنى التصديق فلا يحتاج الى نية كسائر اعمال القلوب من خشية الله وتعظيمه ومحبته
والتقرب اليه لانها متميزة لله فلا تحتاج الى نية تميزها لان النية انما تميز العمل لله عن العمل
لغيره رياء وتميز مراتب الاعمال كالفرض عن الندب وتميز العبادة عن العادة كالصوم
عن الحمية وقوله ايضا والاحكام اي المعاملات التي يدخل فيها الاحتياج الى المحاكمات
فيشمل البيوع والانكحة والاقارير وغيرها وكل صورة لم يشترط فيها النية فذلك
لدليل خاص وقد ذكر ابن المنير ضابطا لما يشترط فيه النية فقال كل عمل لا يظهر له فائدة
عاجلة بل المقصود به طلب الثواب فالنية مشترطة فيه وكل عمل ظهرت فائدته ناجزة
وتقاضته الطبيعة قبل الشريعة لملاءمته لها فلا تشترط النية فيه الا لمن قصد بفعله
معنى آخر يترتب عليه الثواب قال وانما اختلف العلماء في بعض الصور من جهة تحقيق مناط
التفرقة قال واما ما كان من المعاني المحضة كالخوف والرجاء فهذا لا يقال باشتراط النية
فيه لانه لا يمكن ان يقع الا منويا ومتى فرضت النية مفقودة استحالت حقيقته فالنية

ولم يثبت عندنا انه اتى بالوضوء العاري عن النية والترتيب والشك لا يعارض اليقين فثبت انه اتى بالوضوء المرتب المنوي صح

فيه

Murat Molla Kütüphanesi
Eski Kayıt No.: 622
Yeni Kayıt No.: 431/2
Tasnif No.: 497.7

فيه شرط عقلي واما الاقوال فتحتاج الى النية في ثلاثة مواطن احدها التقرب الى الله تعالى
فرارا من الرياء والثاني التمييز عن الالفاظ المحتملة لغير المقصود والثالث قصد الانشاء
ليخرج سبق اللسان انتهى ذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري وقد اختلف العلماء في الوقت الذي
وجب فيه الوضوء فقال بعضهم اول ما فرض بالمدينة وتمسك بقوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة
فاغسلوا وجوهكم الآية ونقل ابن عبد البر اتفاق اهل التفسير ان غسل الجنابة فرض عليه
صلى الله عليه وسلم بمكة وهو كما افترضت الصلاة وانه لم يصل قط الا بوضوء وقال هذا
مما لا يجهله عالم وقال الحاكم في المستدرك اهل السنة بهم حاجة الى دليل الرد على من زعم
ان الوضوء لم يكن قبل نزول آية المائدة ثم ساق حديث ابن عباس دخلت فاطمة على النبي صلى الله
عليه وسلم وهي تبكي فقالت هؤلاء الملأ من قريش قد تعاهدوا ليقتلوك فقال ايتوني بوضوء
فتوضأ قال الحافظ ابن حجر وهذا يصلح ان يكون ردا على من انكر وجود الوضوء قبل الهجرة لا على
من انكر وجوبه حينئذ وقد جزم ابن الجهم المالكي بانه كان قبل الهجرة مندوبا وجزم ابن حزم
بانه لم يشرع الا بالمدينة ورد عليه بما اخرجه ابن لهيعة في المغازي التي يرويها عن ابي الاسود
عن عروة ان جبريل عليه السلام علم النبي صلى الله عليه وسلم الوضوء عند نزوله عليه بالوحي
وهو مرسل ووصله احمد من طريق ابن لهيعة ايضا لكن قال عن الزهري عن عروة عن اسامة
بن زيد عن ابيه واخرجه ابن ماجة من رواية رشدين بن سعد عن عقيل عن الزهري
نحوه ولكن لم يذكر زيد بن حارثة في السند واخرجه الطبراني في الاوسط من طريق الليث
عن عقيل موصولا ولو ثبت لكان على شرط الصحيح لكن المعروف رواية ابن لهيعة وعن انس
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ لكل صلاة قيل له كيف كنتم تصنعون قال
يجزئ احدنا الوضوء ما لم يحدث رواه البخاري وابو داود والترمذي وعن عثمان رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتوضأ لكل صلاة رواه الدارمي وروى مسلم
عن بريدة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ لكل صلاة فلما كان يوم الفتح صلى
الصلوات بوضوء واحد فقال له عمر فعلت شيئا لم تكن تفعله فقال عمدا فعلته يا عمر لبيان
الجواز وفي رواية احمد وابي داود من حديث عبد الله بن ابي عامر الغسيل انه صلى الله
عليه وسلم امر بالوضوء لكل صلاة طاهرا كان او غير طاهر فلما شق ذلك عليه امر بالسواك
عند كل صلاة ووضع عنه الوضوء الا من حدث واختلف العلماء في موجب الوضوء فقيل
يجب بالحدث وجوبا موسعا وقيل به وبالقيام الى الصلاة معا ورجحه جماعة من الشافعية
وقيل بالقيام الى الصلاة حسب ويدل له ما رواه اصحاب السنن عن ابن عباس مرفوعا
انما امرت بالوضوء اذا قمت الى الصلاة وقد تمسك بحديث ابن عباس عبد الله بن ابي عامر
هذا من قال بوجوب السواك عليه صلى الله عليه وسلم لكن في اسناده محمد بن اسحق وقد رواه
بالعنعنة وهو مدلس والخصائص لا تثبت الا بدليل صحيح واخرج الطبراني في الاوسط
والبيهقي في السنن عن عائشة مرفوعا ثلاث هن علي فرائض وهن لكم سنة الوتر والسواك
وقيام الليل وروى احمد في مسنده باسناد حسن من حديث واثلة بن الاسقع ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال امرت بالسواك حتى خشيت ان يكتب علي وقد حكى بعضهم الاجماع

على انه للبس بواجب علينا لكن حكي عن بعض الشافعية انه اوجبه للصلاة ونوزع فيه واتفقوا
على انه يستحب مطلقا ويتاكد في احوال منها عند الوضوء وارادة الصلاة ومنها عند القيام
من النوم لما ثبت في الصحيحين من حديث حذيفة انه صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل
يشوص فاه بالسواك لكن قد يقال المراد قام من الليل للصلاة فيكون المراد السواك للصلاة
او عند الوضوء ومنها قراءة القرآن كما جزم به النووي في زوائد الروضة لما روى مسلم وابو داود
والنسائي وابن ماجة من حديث عايشة انه صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل بيته بدأ بالسواك
ومنها ارادة النوم كما ذكره الشيخ ابو حامد في الرونق وروي فيه ما رواه ابن عدي في الكامل
من حديث جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستاك اذا اخذ مضجعه وفيه حرام بن
عثمان متروك ومنها الانصراف من صلاة الليل لما روى ابن ماجة من حديث ابن عباس باسناد
صحيح قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالليل ركعتين ركعتين ثم ينصرف
فيستاك ويجزئ بكل خشن ولو باصبعه الخشنة وقد جزم النووي في شرح المهذب
ودقايق المنهاج انه يجزي بها قطعا قال في شرح تقريب الاسانيد وما ادري ما وجه التفرقة
بما بين اصبعه واصبع غيره وكونه جزءا منه مما يقتضي منعه بل كونها اصبعه ابلغ في الازالة
لانه يتمكن بها اكثر من تمكن غيره ان يسوكه باصبعه لا جرم قال النووي في شرح المهذب
المختار اجزاؤه مطلقا قال وقطع به القاضي حسين والمحاملي في اللباب والبغوي واختاره في
التتمة وقد اتفق اصحاب الشافعي على استحباب الاراك وروى الطبراني من حديث عايشة
في دخول اخيها عبد الرحمن بن ابي بكر في مرضه صلى الله عليه وسلم ومعه سواك من اراك
فاخذته عايشة رضي الله عنها ثم طيبته ثم اعطته رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستن به
والحديث في الصحيح وليس فيه ذكر الاراك وفي بعض طرقه عند البخاري ومعه سواك من جريد
النخل وقد روى ابو نعيم في كتاب السواك من حديث عايشة رضي الله عنها قالت كان النبي
صلى الله عليه وسلم يستاك عرضا وروى البيهقي ايضا من حديث ربيعة بن اكثم قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يستاك عرضا الحديث قال اصحابنا والمراد بقوله عرضا عرض
الاسنان في طول الفم وهل الاولى ان يباشر المستاك بيمينه او بشماله قال بعضهم بيمينه لحديث
كان يعجبه التيمن في ترجله وتنعله وطهوره وسواكه وبناه بعضهم على انه هل هو من باب التطهير
والتطييب او من باب ازالة القاذورات فان قلنا بالاول استحب ان يكون باليمين والا قلنا
بالثاني فبشماله لحديث عايشة كانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم اليمنى لطهوره وطعامه
واليسرى لخلائه وما كان من اذى رواه ابو داود باسناد صحيح قال في شرح تقريب الاسانيد
مما استدل به على انه يستحب باليمنى للبس فيه دلالة فان المراد منه بالشق الايمن في الترجل
والبداءة بلبس النعل والبداءة بالاعضاء اليمنى في التطهير والبداءة بالجانب الايمن في الاستياك
واما كونه يفعل ذلك بيمينه فيحتاج الى نقل والظاهر انه من باب ازالة الاذى كالامتخاط
ونحوه فيكون باليسرى وقد صرح بذلك ابو العباس القرطبي فقال في المفهم حكاية عن مالك انه
لا يتسوك في المساجد لانه من باب ازالة القذر والله اعلم وأما مقدار ما كان عليه السلام
يتوضأ به ويغتسل من الماء فعن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغتسل

الرافعي ومنها تغير الفم بسواد فيه تغير الرايحة او تغير اللون كصفرة الاسنان كما ذكره الرافعي ومنها دخول المنزل جزم به صح

مطلقا صح

لا يطهر منه صح

من حديث ابي خيرة الصباحي له صحبة حديثا قال فيه ثم امر لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم باراك فقال استاكوا بهذا وفي مستدرك الحاكم صح

بالصاع

بالصاع الى خمسة امداد ويتوضأ بالمد وفي رواية كان يغتسل بخمسة مكاكيك ويتوضأ بمكوك رواه
البخاري ومسلم وابو داود وعنده يتوضأ باناء يسع رطلين ويغتسل بالصاع ورواه الترمذي
وعنده انه صلى الله عليه وسلم قال يجزي في الوضوء رطلان من الماء وعن عايشة رضي الله عنها
قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يغتسل بالصاع ويتوضأ بالمد رواه ابو داود وعن ابن
عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم وميمونة كانا يغتسلان من اناء واحد
والصاع خمسة ارطال وثلث برطل بغداد وهو على ما قاله النووي مائة وثمانية وعشرون
درهما واربعة اسباع درهم وحذر صلى الله عليه وسلم امته من الاسراف فيه ومر
بسعد وهو يتوضأ فقال ما هذا السرف يا سعد فقال افي الوضوء سرف قال نعم وان كنت
على نهر جار رواه احمد باسناد لين من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وقال صلى الله
عليه وسلم ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاتقوا وسواس الماء رواه الترمذي من حديث
ابي بن كعب

الفصل الثاني في وضوئه صلى الله عليه وسلم مرة مرة ومرتين مرتين وثلاثا ثلاثا

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال توضأ رسول الله صلى الله
عليه وسلم مرة مرة رواه البخاري وابو داود وغيرهما وهو بيان لمجمل قوله اذا قمتم الى الصلاة
فاغسلوا الآية اذ الامر يفيد طلب ايجاد الحقيقة ولا يتعين لعدد فبين الشارع ان المرة الواحدة
للايجاب وما زاد عليها للاستحباب واما حديث ابي بن كعب انه صلى الله عليه وسلم دعا بماء فتوضأ
مرة مرة وقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة الا به ففيه بيان بالقول والفعل معا لكنه حديث
ضعيف اخرجه ابن ماجة وله طرق كلها ضعيفة كما قاله في فتح الباري وعن عبد الله بن زيد
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ مرتين مرتين وقال هو نور على نور ذكره رزين
وعن عثمان رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ ثلاثا ثلاثا رواه احمد
ومسلم وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ ثلاثا ثلاثا وقال هذا وضوئي ووضوء
الانبياء من قبلي ووضوء ابراهيم وذكره رزين وضعفه النووي في شرح مسلم كما حكاه في مشكاة
المصابيح ولم يأت في شيء من الاحاديث المرفوعة في صفة وضوئه صلى الله عليه وسلم انه زاد
على ثلاث بل روي انه نهى عن الزيادة على الثلاث فعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان النبي
صلى الله عليه وسلم توضأ ثلاثا ثلاثا ثم قال من زاد على هذا او نقص فقد اساء وظلم رواه ابو داود
واسناده جيد لكن عده مسلم في جملة ما انكروه على عمرو بن شعيب لان ظاهره ذم النقص من
الثلاث اجيب بانه امر نسبي والاساءة تتعلق بالنقص والظلم بالزيادة وقيل فيه حذف
تقديره من نقص من واحدة ويؤيده ما رواه نعيم بن حماد من طريق المطلب بن حنطب
مرفوعا الوضوء مرة ومرتين وثلاثا فان نقص من واحدة او زاد على ثلاث فقد اخطا وهو مرسل
رجاله ثقات واجيب عن الحديث ايضا بان الرواة لم يتفقوا على ذكر النقص فيه بل اكثرهم
يقتصر على قوله فمن زاد فقط كذا رواه ابن خزيمة في صحيحه قال الشافعي رحمه الله لا احب
ان يزيد المتوضئ على ثلاث فان زاد لم اكرهه اي لم احرمه لان قوله لا احب يقتضي الكراهة
وهذا هو الاصح عند الشافعية انه يكره كراهة تنزيه وحكى الدارمي من الشافعية
عن قوم ان الزيادة على الثلاث تبطل الوضوء كالزيادة في الصلاة وهو قياس فاسد

اخرى صح

وقال احمد واسحق وغيرهما لا تجوز الزيادة على الثلاث وقال ابن المبارك لا امن ان يأثم وبلزوم
من القول بتحريم الزيادة على الثلاث او كراهتها انه لا يلزم تجديد الوضوء على الاطلاق ينبغي

الفصل الثالث في كيفية وضوئه صلى الله عليه وسلم

عن عثمان بن عفان
رضي الله عنه انه دعا باناء فافرغ على يديه ثلاث مرات فغسلهما ثم ادخل يمينه في الاناء فمضمض
واستنشق ثم غسل وجهه ثلاثا ويديه ثلاثا الى المرفقين ثم مسح برأسه ثم غسل رجليه ثلاث مرات
الى الكعبين ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين
لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه رواه البخاري وقد استدل بعضهم بقوله ثم ادخل
يمينه على عدم اشتراط نية الاغتراف ولا دلالة فيه نفيا ولا اثباتا واما اشتراط نية
الاغتراف فليس في هذا الحديث ما يثبتها ولا ينفيها قال الغزالي رحمه الله مجرد الاغتراف
لا يصير الماء مستعملا لان الاستعمال انما يقع في المغترف منه وبهذا قطع البغوي وقد ذكروا
في حكمة تاخير غسل الوجه انه لاعتبار اوصاف الماء لان اللون يدرك بالبصر والطعم يدرك بالفم
والريح بالانف فقدم المضمضة والاستنشاق قبل الوجه وهو مفروض احتياطا للعبادة وقال
النووي في قوله نحو وضوئي انما لم يقل مثل لان حقيقة مماثلته لا يقدر عليها غيره
لكن تعقبه في فتح الباري بانه ثبت التعبير بها في رواية البخاري في الرقاق من طريق معاذ بن عبد
الرحمن عن حمران عن عثمان ولفظه من توضأ مثل هذا الوضوء وفي الصيام من رواية معمر
من توضأ وضوئي هذا ولمسلم من طريق زيد بن اسلم عن حمران توضأ مثل وضوئي هذا انتهى قال
وعلى هذا فالتعبير بنحو من تصرف الرواة لانها تطلق على المثلية مجازا ولان مثل وان كانت تقتضي
المساواة ظاهرا لكنها تطلق على الغالب فبهذا تلتئم الروايتان ويكون المتروك بحيث لا يخل الروايتان
بالمقصود انتهى وعن عبد الله بن زيد بن عاصم الانصاري انه قيل له توضأ لنا وضوء رسول الله
صلى الله عليه وسلم فدعا باناء فاكفأ منه على يديه فغسلهما ثلاثا ثم ادخل يده فاستخرجها
فغسل وجهه ثلاثا ثم ادخل يده فاستخرجها فغسل يديه الى المرفقين مرتين مرتين
ثم ادخل يده فاستخرجها فمسح برأسه فاقبل بيديه وادبر ثم غسل رجليه الى الكعبين
ثم قال هكذا كان وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية فاقبل بهما وادبر بدأ بمقدم
رأسه ثم ذهب بهما الى قفاه ثم ردهما حتى رجع الى المكان الذي بدأ منه رواه البخاري ومسلم
ومالك وابو داود والترمذي والنسائي وفي رواية لابي داود ثم مسح برأسه واذنيه ظاهرهما
وفي اخرى له ومسح باذنيه ظاهرهما وباطنهما وادخل اصابعه في صماخي اذنيه وفي رواية
ابي داود والترمذي والنسائي عن عبد خير ابي عمارة بن يزيد بن خولي بفتح الخاء المعجمة وسكون الواو
وتشديد الياء الهمداني من كبار اصحاب علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال اتانا علي وقد صلى فدعا
بطهور فقلنا ما يصنع بالطهور وقد صلى ما يريد الا ليعلمنا فاتي باناء فيه ماء وطست فافرغ
من الاناء على يمينه فغسل يديه ثلاثا ثم تمضمض واستنثر ثلاثا فمضمض ونثر من الكف
الذي ياخذ فيه ثم غسل وجهه ثلاثا وغسل يده اليمنى ثلاثا وغسل يده اليسرى ثلاثا ثم جعل
يده في الاناء فمسح برأسه مرة واحدة ثم غسل رجله اليمنى ثلاثا ورجله اليسرى ثلاثا ثم قال
من سره ان يعلم وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو هذا قال ابن القيم والصحيح انه صلى الله

عليه

عليه وسلم لم يكرر مسح رأسه انتهى وقال النووي والاحاديث الصحيحة فيها المسح مرة
واحدة وفي بعضها الاقتصار على قوله مسح واحتج الشافعي بحديث عثمان رضي الله عنه
في صحيح مسلم انه صلى الله عليه وسلم توضأ ثلاثا ثلاثا على ان في الاعضاء انتهى واجيب
وبالقياس ح بانه مجمل مبين في الروايات الصحيحة ان المسح لم يتكرر فيحمل على الغالب ويخص بالمغسول
وبان المسح مبني على التخفيف فلا يقاس على الغسل الذي المراد منه المبالغة في الاسباغ
وبان العدد لو اعتبر في المسح لصار في صورة الغسل اذ حقيقة الغسل جريان الماء
واحتج الشافعية ايضا بما رواه ابو داود في سننه من حديث عثمان من وجهين صحح
احدهما ابن خزيمة انه صلى الله عليه وسلم مسح رأسه ثلاثا وفي رواية ابي داود
ايضا والترمذي من حديث الربيع بنت معوذ فغسل كفيه ثلاثا ثلاثا ووضأ وجهه ثلاثا
وتمضمض واستنشق مرة ووضأ يديه ثلاثا ومسح برأسه مرتين بدأ بمؤخر رأسه
ثم بمقدمه وباذنيه كلتيهما ظهورهما وبطونهما ووضأ رجليه ثلاثا ثلاثا وقد اجاب العلماء
عن احاديث المسح مرة واحدة بان ذلك لبيان الجواز ويؤيده رواية مرتين هذه
وقال ابن السمعاني كما حكاه في فتح الباري اختلاف الرواية يحمل على التعدد فيكون
مسح تارة مرة وتارة ثلاثا فليس في رواية مسح مرة حجة على منع التعدد ويحتج
للتعدد بالقياس على المغسول لان الوضوء طهارة حكمية ولا فرق في الطهارة الحكمية
بين الغسل والمسح قال ومن اقوى الادلة على عدم العدد الحديث المشهور الذي صححه
ابن خزيمة وغيره من طريق عبد الله بن عمرو بن العاصي في صفة الوضوء بعد ان فرغ
من زاد على هذا فقد اساء وظلم وان في رواية سعيد بن منصور التصريح بانه مسح رأسه
مرة واحدة فدل على ان الزيادة في مسح الرأس على المرة غير مستحبة ويحمل ما ورد
من الاحاديث في تثليث المسح ان صحت على ارادة الاستيعاب بالمسح لا انها مسحات
المتقدم مستقلة لجميع الرأس جمعا بين الادلة انتهى وفي حديث عبد الله بن زيد عند البخاري
الذي ذكرته قبل ثم مسح رأسه بيده فاقبل بهما وادبر وفي رواية بدأ بمقدم رأسه
حتى ذهب بهما الى قفاه ثم ردهما الى المكان الذي بدأ منه وزاد ابن الطباع بعد قوله
ثم مسح رأسه كله كما هو في رواية ابن خزيمة وفي رواية غيره كما قدمته برأسه بزيادة
الى الباء الموافقة لقوله تعالى وامسحوا برءوسكم قال البيضاوي الباء في الاية مزيدة وقيل
للتبعيض فانه الفارق بين قولك مسحت المنديل وبالمنديل ووجهه ان يقال انها
تدل على تضمين الفعل معنى الالصاق فكانه قيل والصقوا المسح برءوسكم وذلك
لا يقتضي الاستيعاب بخلاف ما لو قيل وامسحوا رءوسكم فانه كقوله واغسلوا وجوهكم
انتهى وقال الشافعي احتمل قوله تعالى وامسحوا برءوسكم جميع الرأس او بعضه فدلت
السنة ان بعضه يجزي والفرق بينه وبين قوله تعالى فامسحوا بوجوهكم في التيمم
ان المسح فيه بدل عن الغسل ومسح الرأس اصل فافترقا ولا يرد كون مسح الخف بدلا
عن غسل الرجل لان الرخصة فيه ثبتت بالاجماع وقد روي من حديث عطاء انه صلى الله
عليه وسلم توضأ فحسر العمامة عن رأسه ومسح مقدم رأسه وهو مرسل لكنه

اعتضد بمجيئه من وجه آخر موصولا اخرجه ابو داود من حديث انس وفي اسناده ابو معقل
لا يعرف حاله لكن اعتضد كل من المرسل والموصول بالآخر وحصلت القوة من الصورة
المجموعة وهذا مثال لما ذكر الشافعي من ان المرسل يعتضد بمرسل آخر او مسند وفي الباب
ايضا عن عثمان في صفة الوضوء قال ومسح مقدم راسه اخرجه سعيد بن منصور وفيه خالد
ابن يزيد بن ابي مالك مختلف فيه وصح عن ابن عمر الاكتفا بمسح بعض الراس قاله ابن المنذر
وغيره ولم يصح عن احد من الصحابة انكار ذلك قاله ابن حزم قال الحافظ ابن حجر وهذا كله مما
يقوى به المرسل المتقدم ذكره انتهى واختلف في القدر الواجب في مسح الراس فذهب
الشافعي وجماعة الى ان الواجب ما يطلق عليه الاسم ولو شعرة واحدة اخذا باليقين
وذهب مالك واحمد وجماعة الى وجوب استيعابه اخذا بالاحتياط وقال ابو حنيفة
في رواية الواجب ربعه لانه عليه الصلاة والسلام مسح على ناصيته وهو قريب من الربع
والله اعلم وعن طلحة بن مصرف عن ابيه عن جده قال دخلت على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو يتوضا والماء يسيل من وجهه ولحيته على صدره فرايته يفصل بين
المضمضة والاستنشاق رواه ابو داود وعنه ايضا قال ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم توضا فمضمض ثلاثا واستنشق ثلاثا من كف واحد رواه ابن ماجة ومن حديث
مسلم ان عثمان دعا باناء فافرغ على كفيه ثلاث مرات فغسلهما ثم ادخل يمينه في الاناء
فمضمض واستنثر من كفه واحدة ثم قال هكذا وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال النووي فيه ان السنة في المضمضة والاستنشاق ان ياخذ الماء بيمينه قال
وفي الافضل في كيفية المضمضة والاستنشاق خمسة اوجه الاصح يتمضمض ويستنشق
بثلاث غرفات يتمضمض من كل واحدة ثم يستنشق والثاني يجمع بينهما بغرفة واحدة
يتمضمض منها ثلاثا ثم يستنشق منها ثلاثا والثالث ايضا يجمع بغرفة ولكن يتمضمض منها
ثم يستنشق ثم يتمضمض منها ثم يستنشق ثم يتمضمض منها ثم يستنشق والرابع يفصل بينهما
بغرفتين فيتمضمض من احداهما ثلاثا ثم يستنشق من الاخرى ثلاثا والخامس يفصل بست
غرفات يتمضمض بثلاث غرفات ثم يستنشق بثلاث غرفات قال والصحيح الاول وبه جاءت
الاحاديث الصحيحة وقد ذهب الامام احمد وابو ثور الى وجوب الاستنشاق وهو ان يبلغ الماء
الى خياشيمه مستدلين بقوله عليه السلام من حديث ابي هريرة اذا توضا احدكم فليجعل
في انفه ماء ثم لينتثر لظاهر الامر وحمله الجمهور مالك والشافعي واهل الكوفة على الندب لقوله
عليه السلام للاعرابي توضا كما امرك الله وليس في الاية ذكر الاستنشاق والله اعلم وعند
ابي داود كان عليه الصلاة والسلام يمسح الماقين وعن عثمان انه صلى الله عليه وسلم كان
يخلل لحيته رواه الترمذي وابن ماجة وعنده من حديث ابن عمر كان عليه الصلاة والسلام
اذا توضا عرك عارضيه بعض العرك ثم شبك لحيته باصابعه من تحتها وعن انس كان صلى الله
عليه وسلم اذا توضا اخذ كفا من ماء فيدخله تحت حنكه ويخلل به لحيته ويقول بهذا امرني
ربي عز وجل رواه ابو داود وعن ابي رافع كان صلى الله عليه وسلم اذا توضا حرك خاتمه رواه
ابن ماجة والدارقطني وضعف وعن المستورد بن شداد كان صلى الله عليه وسلم اذا توضا

ملكهم
جزم به

ثم غسل وجهه ثلاث مرات وفي حديث
عبد الله بن زيد عند البخاري ثم غسل
او مضمض واستنشق

يدلك اصابع رجليه بخنصره رواه الترمذي وابو داود وابن ماجة وعن عائشة كانت يد
رسول الله صلى الله عليه وسلم اليمنى لطهوره وطعامه وكانت اليسرى لخلائه وما كان من اذى
وعن المغيرة بن شعبة انه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر وانه ذهب
لحاجة له وان مغيرة جعل يصب الماء عليه وهو يتوضا رواه البخاري ومسلم وعن
صفوان بن عسال صببت على النبي صلى الله عليه وسلم الماء في السفر والحضر في الوضوء
رواه ابن ماجة وفي ذلك جواز استعانة الرجل بغيره في صب الماء في الوضوء من غير كراهة
وكذا احضار الماء من باب اولى ولا دليل في هذين الحديثين لجواز الاعانة بالمباشرة وقد روى
الحاكم في المستدرك من حديث الربيع بنت معوذ انها قالت اتيت النبي صلى الله عليه وسلم
بوضوء فقال اسكبي فسكبت عليه وهذا اصرح في عدم الكراهة من الحديثين المذكورين
لكونه في الحضر ولكونه بصيغة الطلب والله اعلم وفي الترمذي من حديث معاذ بن جبل
كان صلى الله عليه وسلم اذا توضا مسح وجهه بطرف ثوبه وعن عائشة كانت له عليه
السلام خرقة ينشف بها بعد الوضوء قال الترمذي هذا حديث ليس بالقائم وابو معاذ
الراوي ضعيف عند اهل الحديث وقد احتجم صلى الله عليه وسلم فصلى ولم يتوضا
ولم يزد على غسل محاجمه رواه الدارقطني واكل كتف شاة وصلى ولم يتوضا رواه
البخاري ومسلم وللنسائي قال اخر الامرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك الوضوء
مما غيرت النار وشرب صلى الله عليه وسلم لبنا فلم يتمضمض ولم يتوضا وصلى رواه
ابو داود واتى بالسويق فامر به فثري فاكل ثم قام الى المغرب فتمضمض رواه البخاري
ومالك والنسائي وكان صلى الله عليه وسلم اذا قام من النوم ربما توضا وربما لم يتوضا
لان عينه تنام ولا ينام قلبه كما في البخاري وغيره وفيه دليل على ان النوم ليس حدثا
بل مظنة الحدث فلو احدث لعلم بذلك فيكون الخصوصية شعوره بالوقوع بخلاف غيره
قال الخطابي وانما منع قلبه النوم ليعي الوحي الذي ياتيه في منامه

الفصل الرابع في مسحه صلى الله عليه وسلم على الخفين

اعلم انه قد صرح جمع من الحفاظ بان المسح
على الخفين متواتر وجمع بعضهم رواته فجاوز الثمانين منهم العشرة وقال ابن عبد البر
لا اعلم انه قد روي عن احد من فقهاء السلف انكاره الا عن مالك مع ان الروايات الصحيحة
عنه مصرحة باثباته وقال الشافعي في الام الى انكار ذلك عن المالكية والمعروف المستقر
عندهم الآن قولان الجواز مطلقا وثانيهما للمسافر دون المقيم وهذا الثاني مقتضى ما في
المدونة وبه جزم ابن الحاجب وقال ابن المنذر اختلف العلماء ايهما افضل المسح على
الخفين او نزعهما وغسل الرجلين والذي اختاره ان المسح افضل لاجل من طعن فيه
من اهل البدع من الخوارج والروافض وقال النووي مذهب اصحابنا ان الغسل
افضل لكونه الاصل لكن بشرط ان لا يترك المسح وقد تمسك من اكتفى بالمسح بقوله
وارجلكم عطفا على وامسحوا برؤوسكم فذهب الى ظاهرها جماعة من الصحابة والتابعين
وحكي عن ابن عباس في رواية ضعيفة والثابت عنه خلافه وعن عكرمة والشعبي
وقتادة الواجب الغسل او المسح وعن بعض اهل الظاهر يجب الجمع بينهما وحجة الجمهور

الاحاديث الصحيحة من فعله صلى الله عليه وسلم كما سيأتي انشاء الله تعالى فانه بيان للمراد واجابوا
عن الاية باجوبة منها انه قرئ وارجلكم بالنصب عطفا على ايديكم وقيل معطوف على محل برؤسكم
كقوله تعالى يا جبال اوبي معه والطير بالنصب وقيل المسح في الاية محمول لمشروعية المسح
على الخفين فحملوا قراءة الجر على مسح الخفين وقراءة النصب على غسل الرجلين وحمل البيضاوي
الجر على الجوار قال ونظيره كثير في القران كقوله تعالى عذاب يوم اليم وحور عين بالجر في قراءة
حمزة والكسائي وقولهم جحر ضب خرب وللنحاة باب في ذلك وفائدته التنبيه على انه ينبغي
ان يقتصد في صب الماء عليهما ويغسل غسلا يقرب من المسح انتهى وعن المغيرة ابن شعبة
انه غزى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك قال فتبرز رسول الله صلى الله عليه
وسلم قبل الغائط فحملت معه اداوة قبل الفجر فلما رجع اخذت اهريق على يديه من
الاداوة فغسل يديه ووجهه وعليه جبة من صوف ذهب يحسر عن ذراعيه فضاق كم
الجبة فاخرج يديه من تحت الجبة والقى الجبة على منكبيه وغسل ذراعيه ثم مسح بناصيته
وعلى العمامة ثم اهويت لانزع خفيه فقال دعهما فاني ادخلتهما طاهرتين فمسح عليهما ثم ركب
وركبت الحديث رواه مسلم وعند الترمذي من حديث المغيرة ايضا انه صلى الله عليه
وسلم مسح على الخفين على ظاهرهما وعن ابي داود من حديثه ايضا ومسح عليه السلام على
الجوربين والنعلين وعنه قال مسح صلى الله عليه وسلم على الخفين فقلت يا رسول الله نسيت
بل انت نسيت بهذا امرني ربي عز وجل رواه ابو داود واحمد وعن عمرو بن امية الضمري
قال رايته عليه الصلاة والسلام يمسح على عمامته وخفيه رواه البخاري واحمد وقال علي
ابن ابي طالب رضي الله عنه جعل صلى الله عليه وسلم المسح على الخفين ثلاثة ايام ولياليهن
للمسافر ويوما وليلة للمقيم رواه مسلم

الفصل الخامس في تيممه صلى الله عليه وسلم

اعلم ان التيمم ثابت بالكتاب والسنة والاجماع وهو من خصائص هذه
الامة واجمعوا على ان التيمم لا يكون الا في الوجه واليدين سواء كان عن حدث اكبر او عن حدث
اصغر وسواء تيمم عن الاعضاء كلها او بعضها واختلف في كيفيته فمذهبنا ومذهب الاكثرين
انه لا بد من ضربتين ضربة للوجه وضربة لليدين الى المرفقين وعن حذيفة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فضلنا على الناس بثلاث جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وجعلت
لنا الارض كلها مسجدا وجعلت تربتها طهورا اذا لم نجد الماء رواه مسلم وفي رواية
ابي امامة عند البخاري وجعلت الارض كلها لي ولامتي مسجدا وطهورا وهذا عام وحديث
حذيفة خاص فينبغي ان يحمل العام عليه فيختص الطهورية بالتراب بل قال تربة كل مكان
ما فيه من تراب او غيره واجيب بانه ورد في الحديث بلفظ التراب اخرجه ابن خزيمة
وغيره وفي حديث علي وجعل لي التراب طهورا اخرجه احمد والبيهقي باسناد حسن
وعن عمار بن ياسر قال جاء رجل الى عمر بن الخطاب فقال اني اجنبت فلم اصب الماء
فقال عمار لعمر اما تذكر انا كنا في سفر انا وانت فاما انت فلم تصل واما انا فتمعكت فصليت
فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال انما كان يكفيك هذا وضرب صلى الله عليه وسلم
بكفيه الارض ونفخ فيهما ثم مسح بهما وجهه وكفيه رواه البخاري ومسلم واستدل بالنفخ على

ومنع بعضهم الاستدلال بلفظ التربة على خصوصية التيمم بالتراب فتم

استحباب

استحباب تخفيف التراب وسقوط استحباب التكرار في التيمم لان التكرار يستلزم عدم التخفيف
وعن ابي الجهيم بن الحارث بن الصمة قال مررت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبول
فسلمت عليه فلم يرد علي حتى قام الى جدار فحته بعصا كانت معه ثم وضع يديه على الجدار
فمسح وجهه وذراعيه ثم رد علي رواه البغوي في شرح السنة وقال حديث حسن وهذا
محمول على ان الجدار كان مباحا او مملوكا لانسان كان يعرف رضاه

الفصل السادس في غسله صلى الله عليه وسلم

الغسل بضم الغين اسم للاغتسال وقيل اذا اريد به
الماء فهو مضموم واما المصدر فيجوز فيه الضم والفتح حكاه ابن سيده وغيره وقيل
المصدر بالفتح والاغتسال بالضم وقيل الغسل بالفتح فعل المغتسل وبالضم الماء الذي
يغتسل به وبالكسر ما يجعل مع الماء كالاشنان وحقيقة الغسل جريان الماء على الاعضاء
وحقيقة الاغتسال غسل جميع الاعضاء مع تمييز ما للعبادة عما للعادة بالنية ووجوب
الغسل على الجنب مستفاد من قوله تعالى وان كنتم جنبا فاطهروا وقوله تعالى ولا تقربوا
الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا
ففي الاية الاولى اجمال وهو قوله فاطهروا بينه قوله في الاية الثانية حتى تغتسلوا ويوجبه
قوله تعالى في الحايض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن المعنى اغتسلن اتفاقا
وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف على نسائه بغسل واحد رواه مسلم
من حديث انس وعن ابي رافع طاف صلى الله عليه وسلم ذات يوم على نسائه يغتسل
عند هذه وعند هذه قال قلت له يا رسول الله الا تجعله غسلا واحدا قال هذا ازكى
واطهر رواه احمد ابو داود والنسائي وقد اجمع العلماء على انه لا يجب الغسل بين الجماعين واما
الوضوء فاستحبه الجمهور وقال ابو يوسف انه لا يستحب واوجبه ابن حبيب من المالكية
واهل الظاهر لحديث اذا اتى احدكم اهله ثم اراد ان يعود فليتوضأ بينهما وضوءا رواه
مسلم وحمله بعضهم على الوضوء اللغوي فقال المراد به غسل الفرج انتهى وقالت
عايشة رضي الله تعالى عنها كان صلى الله عليه وسلم اذا اغتسل من الجنابة بدا فغسل
يديه ثم يتوضأ كما يتوضأ للصلاة ثم يدخل اصابعه في الماء فيخلل بها اصول الشعر ثم
يصب على راسه ثلاث غرفات بيديه ثم يفيض الماء على جلده كله رواه البخاري ويحتمل
ان يكون غسلهما للتنظيف مما بهما ويحتمل ان يكون هو الغسل المشروع عند القيام
من النوم ويدل عليه زيادة ابن عيينة في هذا الحديث عن هشام قبل ان يدخلهما
في الاناء رواه الشافعي والترمذي وزاد ايضا ثم يغسل فرجه وكذا لمسلم وابي داود
وهي زيادة جليلة لان تقديم غسله يحصل به الامن من مسه في اثناء الغسل ويحتمل
ان يكون الابتداء بالوضوء قبل الغسل سنة مستقلة بحيث يجب غسل اعضاء الوضوء
مع بقية الجسد ويحتمل ان يكتفي بغسلها في الوضوء عن اعادته وعلى هذا فيحتاج
الى نية غسل الجنابة في اول عضو وانما قدم اعضاء الوضوء تشريفا لها ولتحصل
له صورة الطهارتين الصغرى والكبرى ونقل ابن بطال الاجماع على ان الوضوء لا يجب
مع الغسل وهو مردود فقد ذهب جماعة منهم ابو ثور وداود وغيرهما الى ان الغسل

مع

لا ينوب عن الوضوء للمحدث وقوله فيخلل بها اصول الشعر ثم يفعل بشق راسه الايسر
كذلك وقال القاضي عياض احتج به بعضهم على تخليل شعر اللحية في الغسل اما العموم قوله
اصول الشعر واما بالقياس على شعر الراس وفائدة التخليل ايصال الما الى الشعر
والبشرة ومباشرة الشعر باليد ليحصل تعميمه بالما وهذا التخليل غير واجب اتفاقا
الا ان كان الشعر متلبدا بشي يحول بين الما وبين الوصول الى اصوله واختلف في وجوبه
فلم يوجبه الاكثر ونقل عن مالك والمزني وجوبه واحتج ابن بطال بالاجماع على وجوب امرار
اليد على اعضا الوضوء عند غسلها فيجب ذلك في الغسل قياسا لعدم الفرق بينهما وتعقب
بان جميع من لم يوجب الدلك اجاز واغمس اليد في الما للمتوضي من غير امرار فبطل الاجماع
وانتفت الملازمة وفي قوله في هذا الحديث ثلاث غرفات استحباب التثليث في الغسل
قال النووي ولا نعلم فيه خلافا الا ما انفرد به الماوردي فانه قال لا يستحب التكرار
في الغسل قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ومنه تخصيص ما ذكرته قلت وكذا قال الشيخ
ابو علي السنجي وكذا القرطبي وقالت ميمونة وضعت له صلى الله عليه وسلم ما للغسل فغسل
يديه مرتين او ثلاثا ثم افرغ على شماله فغسل مذاكيره ثم مسح يده بالارض ثم مضمض واستنشق
وغسل وجهه ويديه ثم افاض على جسده ثم تحول من مكانه فغسل قدميه رواه البخاري
ولم يقع في هذه الرواية بيد فيحمل على اقل مسمى وهو المرة الواحدة لان الاصل عدم
الزيادة عليها وفيه مشروعية المضمضة والاستنشاق في غسل الجنابة لقوله ثم تمضمض
واستنشق وتمسك به الحنفية للقول بفرضيتهما وتعقب بان الفعل المجرد لا يدل
على الوجوب الا اذا كان بيانا لمجمل تعلق به الوجوب وليس الامر هنا كذلك وعنها توضا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وضوءه للصلاة غير رجليه وغسل فرجه وما اصابه من الاذى
ثم افاض عليه الما ثم نحى رجليه فغسلهما رواه البخاري وفيه التصريح بتاخير الرجلين في وضوء
الغسل الى اخره وهو مخالف لظاهر رواية عايشة ويمكن الجمع بينهما اما بحمل رواية عايشة
على المجاز واما بحمله على حالة اخرى وبحسب اختلاف هاتين الحالتين اختلف نظر العلماء
فذهب الجمهور الى استحباب تاخير غسل الرجلين وعن مالك ان كان المكان غير نظيف
فالمستحب تاخيرهما والا فالتقديم وعند الشافعية في الافضل قولان قال النووي اصحهما
واشهرهما ومختارهما انه يكمل وضوءه قال لانه لم يقع في شي من طرق هذا الحديث التنصيص
على مسح الراس في هذا الوضوء وتمسك به المالكية لقولهم ان وضوء الغسل لا يمسح فيه الراس
بل يكتفي عنه بغسلها وعن جبير بن مطعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انا
فافيض على راسي ثلاثا واشار بيديه كلتيهما رواه البخاري وفيه عن ابي هريرة
قال اقيمت الصلاة وعدلت الصفوف قياما فخرج الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما قام في مصلاه ذكر انه جنب فقال لنا مكانكم ثم رجع فاغتسل ثم خرج الينا وراسه
يقطر فكبر فصلينا معه وقوله ذكر اي تذكر لا انه قال ذلك لفظا وعلم الراوي بذلك من قراين
او باعلامه له بعد ذلك وظاهر قوله فكبر الاكتفا بالاقامة السابقة فيوخذ منه جواز
التخلل الكثير بين الاقامة والدخول في الصلاة وعنه ايضا من حديث ميمونة وضعت

اي شعر راسه ويدل عليه رواية حماد بن سلمة عن هشام عند البيهقي يخلل بها شق راسه الايمن فيتبع بها اصول الشعر

للنبي

للنبي صلى الله عليه وسلم غسلا وسترته بثوب وصب على يديه فغسلهما ثم صب بيمينه
على شماله فغسل فرجه فضرب بيده الارض فمسحها ثم غسلها فتمضمض واستنشق وغسل
وجهه وذراعيه ثم صب على راسه وافاض على جسده ثم تنحى فغسل قدميه
فناولته ثوبا فلم ياخذه فانطلق وهو ينفض يديه وقد استدل بعضهم بقولها فناولته
ثوبا فلم ياخذه على كراهة التنشيف بعد الغسل ولا حجة فيه لانها واقعة حال يتطرق
اليها الاحتمال فيجوز ان يكون عدم الاخذ لامر اخر لا يتعلق بكراهة التنشيف بل لامر يتعلق
بالخرقة او غير ذلك قال المهلب يحتمل تركه الثوب لابقاء بركة بلل الما او للتواضع
او لشي راه في الثوب من حرير او وسخ وقد وقع عند احمد في هذا الحديث عن الاعمش
قال فذكرت ذلك لابراهيم النخعي فقال لا باس بالمنديل وانما رده مخافة ان يصير
عادة وقال التيمي في شرحه في هذا الحديث دليل على انه كان يتنشف ولولا ذلك
لم ياته بالمنديل وقال ابن دقيق العيد نفضه الما بيده يدل على ان لا كراهة
في التنشيف لان كلا منهما ازالة وقال النووي اختلف اصحابنا فيه على خمسة
اوجه اشهرها ان المستحب تركه وقيل مكروه وقيل مباح وقيل مستحب
وقيل مكروه في الصيف مباح في الشتا وفي هذا الحديث جواز نفض اليدين
من ما الغسل وكذا ما الوضوء لكن فيه حديث ضعيف اورده الرافعي وغيره
ولفظه لا تنفضوا ايديكم في الوضوء فانها مراوح الشيطان قال ابن الصلاح لم اجده
وتبعه النووي وقالت عايشة رضي الله تعالى عنها كان صلى الله عليه وسلم اذا اراد
ان ينام وهو جنب غسل فرجه وتوضا للصلاة رواه البخاري وفيه رد على من
حمل الوضوء هنا على التنظيف وقوله وتوضا للصلاة اي وضوءا كما للصلاة وانما عبر
شرعيا لا لغويا وليس المراد انه توضا لاداء الصلاة والحكمة فيه انه يخفف الحدث
لا سيما على القول بجواز تفريق الغسل فينويه فيرتفع الحدث عن تلك الاعضا المخصوصة
على الصحيح ويؤيده ما رواه ابن ابي شيبة بسند رجاله ثقات عن شداد بن اوس
الصحابي قال اذا اجنب احدكم من الليل ثم اراد ان ينام فليتوضا فانه نصف غسل
الجنابة وقيل الحكمة فيه انه احد الطهارتين فعلى هذا يقوم التيمم مقامه وقد
روى البيهقي باسناد حسن عن عايشة انه صلى الله عليه وسلم كان اذا اجنب
فاراد ان ينام توضا او تيمم ويحتمل ان يكون التيمم هنا عند عسر وجود الما وقيل
غير ذلك انتهى ملخصا من فتح الباري

النوع الثاني في ذكر صلاته صلى الله عليه وسلم

اعلم ان بالصلاة يحصل تحقيق العبودية واداء حق الربوبية وسائر العبادات
وسائل الى تحقيق سر الصلاة وقد جمع الله تعالى للمصلين في كل ركعة ما فرقه على
اهل السموات فلله ملائكة ما خرق على اهل السموات في الركوع منذ خلقهم الله تعالى
لا يرفعون من الركوع الى يوم القيامة وهكذا السجود والقيام والقعود واجتمع فيها
ايضا من العبوديات ما لم يجتمع في غيرها منها الطهارة والصمت واستقبال القبلة
والاستفتاح بالتكبير والقراءة والقيام والركوع والسجود والتسبيح في الركوع والدعا

في السجود الى غير ذلك فهي مجموع عبادات عديدة لان الذكر بمجرده عبادة والقراءة
بمجردها عبادة وكذا كل فرد فرد وقد امر الله تعالى نبيه بالصلاة في قوله سبحانه اتل
ما اوحي اليك من الكتاب واقم الصلاة وقال تعالى وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها
وفي ذلك كما نبه عليه صاحب كتاب التنوير امدنا الله بمدده اشارة الى ان في الصلاة
تكليفا للنفوس شاقا عليها لانها تاتي في اوقات ملاذ العباد واشغالهم فيطالبهم بالخروج
عن ذلك كله الى القيام بين يديه والفراغ مما سوي الله تعالى فلذلك قال واصطبر
عليها قال ومما يدلك على ان في القيام بالصلاة تكاليف العبودية وان القيام بها على خلاف
ما تقتضيه البشرية قوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين
فجعل الصبر والصلاة مقترنين اشارة الى انه يحتاج في الصلاة الى الصبر صبر على
ملازمة اوقاتها وصبر على القيام بمسنوناتها وواجباتها وصبر بمنع القلوب فيها عن غفلتها
ولذلك قال تعالى بعد ذلك وانها لكبيرة الا على الخاشعين فافرد الصلاة بالذكر ولم يذكر
الصبر به اذ لو كان كذلك لقال وانه لكبير فذلك يدل على ما قلناه اولا ان الصبر والصلاة
متقترنان متلازمان فكان احدهما هو عين الآخر قال تعالى في الاية الاخرى والله
ورسوله احق ان ترضوه انتهى ملخصا ثم ان الكلام فيها ينقسم الى خمسة اقسام
القسم الاول في الفرايض وما يتعلق بها وفيه ابواب الاول في الصلوات الخمس
وفيه فصول الاول في فرضها عن انس قال فرضت على النبي صلى الله عليه وسلم ليلة
اسري به خمسين صلاة ثم نقصت حتى جعلت خمسا ثم نادي يا محمد انه لا يبدل القول لدي
وان لك بهذه الخمس خمسين رواه الترمذي هكذا مختصرا ورواه البخاري ومسلم
في حديث طويل تقدم في مقصد الاسرا مع ما فيه من المباحث وعن ابن عباس رضي الله
عنهما قال فرض الله الصلاة على لسان نبيكم في الحضر اربعا وفي السفر ركعتين وفي الخوف
ركعة رواه مسلم وابو داود والنساي وقوله في الخوف ركعة محمول على ان المراد ركعة
مع الامام وينفرد بالاخري وعن عايشة رضي الله تعالى عنها فرض الله الصلاة حين فرضها
ركعتين ثم اتمها في الحضر واقرت صلاة السفر على الفريضة الاولى رواه البخاري
وعنده في كتاب الهجرة من طريق معمر عن الزهري عن عروة عن عايشة قال فرضت
الصلاة ركعتين ثم هاجر صلى الله عليه وسلم ففرضت اربعا فتبين في هذه الرواية ان الزيادة
في قوله في الحديث الذي قبله وزيد في صلاة الحضر وقعت بالمدينة وقد اخذ بظاهر
هذا الحديث الحنفية وبنوا عليه ان القصر في السفر عزيمة لا رخصة واحتج مخالفهم بقوله
تعالى فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة لان نفي الجناح لا يدل على العزيمة والقصر
انما يكون من شي اطول منه ويدل على انه رخصة ايضا قوله صلى الله عليه وسلم صدقة
تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته رواه مسلم واما خبر فرضت الصلوة ركعتين في السفر
فمعناه لمن اراد الاقتصار عليهما جمعا بين الاخبار قاله في المجموع الفصل الثاني
في ذكر تعيين الاوقات التي صلى فيها صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس عن جابر
ان جبريل اتي النبي صلى الله عليه وسلم يعلمه مواقيت الصلوة فتقدم جبريل ورسول الله

ملازمته

صلى الله عليه وسلم خلفه والناس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى الظهر حين
زالت الشمس واتاه حين كان الظل مثل ظل شخصه فصنع كما صنع فتقدم جبريل
ورسول الله خلفه والناس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى العصر ثم اتاه حين
وجبت الشمس فتقدم جبريل ورسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه والناس خلف رسول الله
صلى الله عليه وسلم فصلى المغرب ثم اتاه حين غاب الشفق فتقدم جبريل ورسول الله صلى الله
عليه وسلم خلفه والناس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى العشا ثم اتاه حين
شق الفجر فتقدم جبريل ورسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه والناس خلف رسول الله
صلى الله عليه وسلم فصلى الغداة ثم اتاه في اليوم الثاني حين كان ظل الرجل مثل شخصه
فصنع كما صنع بالامس فصلى الظهر ثم اتاه حين كان ظل الرجل مثلي شخصه فصنع
كما صنع بالامس فصلى العصر ثم اتاه حين وجبت الشمس وصنع كما صنع بالامس فصلى
العشا ثم اتاه حين امتد الفجر واصبح والنجوم بادية مشتبكة وصنع كما صنع بالامس
فصلى الغداة ثم قال ما بين هاتين الصلاتين وقت رواه النساي وفي رواية قال
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى الظهر حين زالت الشمس وكان الفي قدر
الشراك ثم صلى العصر حين كان الفي قدر الشراك وظل الرجل ثم صلى المغرب حين غابت
الشمس ثم صلى العشا حين غاب الشفق ثم صلى الفجر حين طلع الفجر ثم صلى الغداة
الظهر حين كان الظل طول الرجل ثم صلى العصر حين كان ظل الرجل مثليه ثم صلى المغرب
حين غابت الشمس ثم صلى العشا الى ثلث الليل او نصف الليل شك احد رواته ثم صلى
الفجر فاسفر وعن ابن عباس قال صلى الله عليه وسلم امني جبريل عند البيت مرتين
فصلى الظهر في الاولى حين كان الفي مثل الشراك ثم صلى العصر حين كان ظل كل شي مثله
ثم صلى المغرب حين وجبت الشمس وافطر الصايم ثم صلى العشا حين غاب الشفق ثم صلى
الفجر حين برق الفجر وحرم الطعام على الصايم وصلى المرة الثانية الظهر حين كان ظل كل
شي مثله كوقت العصر بالامس ثم صلى العصر حين كان ظل كل شي مثليه ثم صلى المغرب
لوقته الاول ثم صلى العشا الاخرة حين ذهب ثلث الليل ثم صلى الصبح حين اسفرت ثم التفت الي
جبريل فقال يا محمد هذا وقت الانبيا من قبلك والوقت فيما بين هذين الوقتين
رواه الترمذي وغيره وقوله صلى الله عليه وسلم به الظهر حين كان ظله مثله اي فرغ
منها حينيذ كما شرع في العصر في اليوم الاول وحينيذ فلا اشتراك بينهما في وقت ويدل له
حديث مسلم وقت الظهر اذا زالت الشمس ما لم يحضر العصر وقوله في حديث جابر فصلى
الظهر حين زالت الشمس يقتضي جواز فعل الظهر اذا زالت الشمس ولا ينتظر بها وجوبا
ولا ندبا مصير الفي مثل الشراك كما اتفق عليه ايمتنا ودلت عليه الاخبار الصحيحة واما
حديث ابن عباس رضي الله عنهما فالمراد به انه حين زالت الشمس كان الفي حينيذ
مثل الشراك لا انه اخر الى ان صار مثل الشراك ذكره في المجموع وقد بين ابن اسحق
في المغازي ان صلاة جبريل به صلى الله عليه وسلم كانت صبيحة الليلة التي فرضت
فيها الصلاة وهي ليلة الاسري ولفظه قال نافع بن جبير وغيره لما اصبح صلى الله عليه

صلى الله عليه وسلم مع

وسلم من الليلة التي أسري به لم يرعه إلا جبريل نزل حين زاغت الشمس ولذلك سميت الأولى
أي صلاة الظهر فأمر فصيح بأصحابه الصلاة جامعة فاجتمعوا فصلى به جبريل وصلى النبي بأصحابه
فذكر الحديث وفيه رد على من زعم أن بيان الأوقات إنما وقع بعد الهجرة والحق أن ذلك وقع قبلها
ببيان جبريل وبعدها ببيان النبي صلى الله عليه وسلم وإنما دعاهم بقوله الصلاة جامعة لأن الأذان
لم يشرع حينئذ واستدل بهذا الحديث على جواز الائتمام بمن يأتم بغيره ويجاب عنه بما يجاب
عن قصة أبي بكر في صلاته خلف النبي صلى الله عليه وسلم وصلاة الناس خلفه فإنه محمول
على أنه كان مبلغا فقط كما سيأتي في تقريره إن شاء الله تعالى وقد صلى صلى الله عليه وسلم العصر
والشمس في حجرة عائشة لم يظهر الفيء من حجرتها رواه البخاري وقال أنس كان النبي صلى الله
عليه وسلم يصلي العصر والشمس مرتفعة حية فيذهب الذاهب إلى العوالي فيأتيهم
والشمس مرتفعة وبعض العوالي من المدينة على أربعة أميال رواه البخاري ومسلم
وفي ذلك دليل على تعجيله صلى الله عليه وسلم بصلاة العصر لوصف الشمس بالارتفاع بعد
أن يمضي مسافة أربعة أميال والمراد بالشمس ضوؤها وعن سلمة بن الأكوع أنه صلى الله
عليه وسلم كان يصلي المغرب إذا غربت الشمس وتوارت بالحجاب رواه البخاري ومسلم
والترمذي وعن رافع بن خديج كنا نصلي المغرب مع النبي صلى الله عليه وسلم فينصرف
أحدنا وإنه ليبصر مواقع نبله رواه البخاري ومسلم والنبل بفتح النون السهام العربية
أي يبصر مواقع سهامه إذا رمى بها ومقتضاه المبادرة بالمغرب في أول وقتها بحيث
أن الفراغ منها يقع والضوء باق وكان صلى الله عليه وسلم إذا كان الحر أبرد بالصلاة
وإذا كان البرد عجل رواه النسائي من حديث أنس ويؤخر العصر ما دامت الشمس بيضاء
نقية رواه أبو داود من رواية علي بن شيبان وقال عليه السلام إذا قدم العشاء فابدؤوا
قبل صلاة المغرب ولا تعجلوا عن عشائكم رواه البخاري ومسلم وعند أبي داود لا تؤخروا
الصلاة لطعام ولا لغيره وأعتم صلى الله عليه وسلم بالعشاء ليلة حتى ناداه عمر الصلاة
نام النساء والصبيان فخرج صلى الله عليه وسلم فقال ما ينتظرها من أهل الأرض غيركم
قال ولا يصلي يومئذ إلا بالمدينة وكانوا يصلون فيما بين أن يغيب الشفق إلى ثلث الليل
الأول زاد في رواية بنحو ذلك قبل أن يفشو الإسلام وفي رواية فخرج ورأسه يقطر يقول
لولا أن أشق على أمتي أو على الناس لأمرتهم بالصلاة هذه الساعة رواه البخاري ومسلم وفي رواية
أبي داود ومن حديث أبي سعيد فلم يخرج حتى مضى نحو من شطر الليل فقال خذوا مقاعدكم
فأخذنا مقاعدنا فقال إن الناس قد صلوا وأخذوا مضاجعهم وإنكم لن تزالوا في صلاة
ما انتظرتم الصلاة ولولا ضعف الضعيف وسقم السقيم لأخرت هذه الصلاة إلى شطر
الليل وفي حديث أبي هريرة لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم أن يؤخروا العشاء إلى ثلث الليل
أو نصفه صححه الترمذي فعلى هذا من وجد به قوة على تأخيرها ولم يغلبه النوم ولم يشق
على أحد من المأمومين فالتأخير في حقه أفضل وقد قرر النووي ذلك في شرح مسلم وهو
اختيار كثير من أهل الحديث من الشافعية وغيرهم وقال الشافعي يستحب إلى الثلث
وبه قال مالك وأحمد وأكثر الصحابة والتابعين وهو قول الشافعي في الجديد وقال في القديم

التعجيل

التعجيل أفضل وكذا قال في الإملاء وصححه النووي وجماعة وقالوا إنه مما يفتى به على القديم
وتعقب بأنه ذكره في الإملاء وهو من كتبه الجديدة والمختار من حيث الدليل أفضلية
التأخير قاله في فتح الباري الفصل الثالث في ذكر كيفية صلاته صلى الله عليه
وسلم وفيه فروع الأول في صفة افتتاحه صلى الله عليه وسلم روى أبو داود أنه
عليه الصلاة والسلام سمع بلالا يقيم الصلاة فلما قال قد قامت الصلاة قال أقامها الله
وأدامها وكان صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة بالتكبير رواه عبد الرزاق من حديث عائشة
رضي الله عنها وروى البخاري عن ابن عمر قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم افتتح التكبير
في الصلاة واستدل بها على تعين لفظ التكبير دون غيره من ألفاظ التعظيم وهو قول
الجمهور ووافقهم أبو يوسف وعن الحنفية ينعقد بكل لفظ وقد روى البزار بإسناد
صحيح على شرط مسلم عن علي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قام إلى الصلاة
قال الله أكبر ولأحمد والنسائي من طريق واسع بن حبان أنه سأل ابن عمر عن صلاة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال الله أكبر كلما وضع ورفع وليعلم أن تكبيرة الإحرام ركن عند
الجمهور وقيل شرط وهو مذهب الحنفية ووجه عند الشافعية وقيل سنة قال ابن المنذر
لم يقل به أحد غير الزهري ولم يختلف أحد في إيجاب النية في الصلاة قال البخاري في أواخر
الإيمان باب ما جاء في قوله عليه السلام الأعمال بالنية فدخل فيه الإيمان والوضوء والصلاة
والزكاة قال ابن القيم في الهدي النبوي كان صلى الله عليه وسلم إذا قام إلى الصلاة
قال الله أكبر ولم يقل شيئا قبلها ولا تلفظ بالنية ولا قال أصلي صلاة كذا مستقبل
القبلة أربع ركعات إماما أو مأموما ولا أداء ولا قضاء ولا فرض الوقت قال وهذه عشر
بدع لم ينقل عنه أحد قط بإسناد صحيح ولا ضعيف ولا مسند ولا مرسل لفظة واحدة
البتة بل ولا عن أحد من الصحابة ولا استحسنه أحد من التابعين ولا الأئمة الأربعة
وقول الشافعي في الصلاة إنها ليست كالصيام فلا يدخل أحد فيها إلا بذكر أي بتكبيرة الإحرام
ليس إلا كيف يستحب الشافعي أمرا لم يفعله صلى الله عليه وسلم في صلاة واحدة ولا
أحد من الصحابة انتهى وعبارة الشافعي في كتاب المناسك ولو نوى الإحرام بقلبه
ولم يلب أجزأه وليس كالصلاة لأن في أولها نطقا واجبا هذا نصه وقد قال الشيخ
أبو علي السنجي في شرح التلخيص وابن الرفعة في المطلب والزركشي في الديباج وغيرهم إنما
أراد الشافعي بذلك تكبيرة الإحرام قطعا انتهى وبالجملة فلم ينقل أحد أنه عليه السلام تلفظ
بالنية ولا علم أحدا من أصحابه التلفظ بها ولا أقره على ذلك بل المنقول عنه في السنن
أنه قال مفتاح الصلاة الطهور وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم وفي الصحيحين أنه عليه
السلام لما علم المسيء صلاته قال له إذا قمت إلى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من
القرآن فلم يأمره بالتلفظ بشيء قبل التكبير ثم اختلف العلماء في التلفظ بها فقال قائلون
هو بدعة لأنه لم ينقل فعله وقال آخرون هو مستحب لأنه عون على استحضار النية
القلبية وعبادة اللسان كما أنه عبودية للقلب والأفعال المنوية عبودية الجوارح
ونحو ذلك أجاب الشيخ تقي الدين السبكي والحافظ عماد الدين بن كثير والشيخ ابن القيم

في غير الهدي في رد الاستحباب والكثير من الاستدلال بما في ذكره طول يخرجنا عن المقصود
لا سيما والذي استقر عليه اصحابنا استحباب النطق بها وقاسه بعضهم على ما في الصحيحين
من حديث انس انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يلبي بالحج والعمرة جميعا يقول لبيك
عمرة وحجا وفي البخاري من حديث عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو
بوادي العقيق اتاني الليلة آت من ربي فقال صل في هذا الوادي المبارك وقل عمرة في حجة
وهذا تصريح باللفظ والحكم كما يثبت بالنص يثبت بالقياس **لكن** تعقب هذا بانه عليه السلام
قال ذلك في ابتداء احرامه تعليما للصحابة ما يهلون به ويقصدونه من النسك وامتثالا
للامر الذي جاءه من ربه تعالى في ذلك الوادي ولقد صلى عليه السلام اكثر من الاثني الف
صلوة فلم ينقل عنه انه قال نويت اصلي صلاة كذا وكذا وتركه سنة كما ان فعله سنة فليس لنا ان
نسوي بين ما فعله وتركه فناتي من القول في الموضع الذي تركه بنظير ما اتى به في الموضع الذي فعله
والفرق بين الحج والصلاة اظهر من ان يقاس احدهما على الآخر انتهى ما قاله هذا المتعقب
فليتامل **وكان** صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة رفع يديه حتى يكونا حذو منكبيه
ثم يكبر فاذا اراد ان يركع فعل مثل ذلك واذا رفع راسه من الركوع فعل مثل ذلك وفي رواية
واذا رفع راسه من الركوع رفعهما كذلك ايضا وقال سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد
وفي اخرى نحوه وقال ولا يفعل ذلك حين يسجد ولا حين يرفع من السجود رواه البخاري
ومسلم وعند ابي داود من حديث علقمة كان صلى الله عليه وسلم اذا قام من سجدتين كبر
ورفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه كما صنع حين افتتح وهو قطعة من حديث رواه ايضا الترمذي
وكان يكبر في كل خفض ورفع رواه مالك قال النووي اجمعت الامة على استحباب رفع اليدين
عند تكبيرة الاحرام واختلفوا فيما سواها فقال الشافعي واحمد وجمهور العلماء من الصحابة
يستحب ايضا رفعهما عند الركوع وعند الرفع منه وهو رواية مالك وللشافعي قول
انه يستحب رفعهما في موضع رابع وهو اذا قام من التشهد الاول وهذا القول هو الصواب
فقد صح فيه حديث ابن عمر عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يفعله رواه البخاري **وكان**
صلى الله عليه وسلم يضع يده اليمنى على شماله رواه ابو داود ومذهب الشافعي والاكثرين
ان المصلي اذا وضع يديه حطهما تحت صدره فوق سرته وقال ابو حنيفة وبعض اصحاب
الشافعي تحت سرته **وكان** عليه الصلاة والسلام يسكت بين التكبير والقراءة اسكاتة
فقال له ابو هريرة بابي انت وامي اسكاتك بين التكبير وبين القراءة ما تقول قال اقول اللهم باعد
بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب اللهم نقني من خطاياي كما ينقى الثوب الابيض
من الدنس اللهم اغسل خطاياي بالماء والثلج والبرد رواه البخاري ومسلم **وعن** علي كان
صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة وفي رواية اذا افتتح الصلاة كبر ثم قال وجهت
وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين ان صلاتي ونسكي ومحياي
ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت وانا اول المسلمين اللهم انت الملك لا اله الا
انت انت ربي وانا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعا انه لا يغفر
الذنوب الا انت واهدني لاحسن الاخلاق لا يهدي لاحسنها الا انت واصرف عني سيئها

لا يعرف

لا يصرف عني سيئها الا انت لبيك وسعديك والخير كله في يديك والشر ليس اليك انا بك واليك
تباركت وتعاليت استغفرك واتوب اليك الحديث رواه مسلم **وعن** عايشة كان صلى الله
عليه وسلم اذا افتتح الصلاة قال سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله
غيرك رواه الترمذي وابو داود **وعن** جبير بن مطعم انه راى النبي صلى الله عليه وسلم
يصلي صلاة قال الله اكبر كبيرا الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا
اعوذ بالله من الشيطان من نفخه ونفثه وهمزه قال ابن عمر نفخه الكبر ونفثه الشعر وهمزه
الموتة رواه ابو داود **وعن** محمد بن مسلمة قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قام
يصلي تطوعا قال الله اكبر وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين
وذكر الحديث مثل حديث جابر الا انه قال وانا من المسلمين ثم قال اللهم انت الملك لا اله الا انت
سبحانك وبحمدك ثم يقرا رواه النسائي **الفرع الثاني** **في ذكر قراءة صلى الله
عليه وسلم البسملة في اول الفاتحة** روي عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم رواه ابو داود وقال الترمذي ليس اسناده بذاك
ورواه الحاكم عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم
ثم قال صحيح وفي صحيح ابن خزيمة عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا البسملة
في اول الفاتحة في الصلاة وعدها آية لكنه من رواية عمر بن هارون البلخي وفيه ضعف عن ابن
جريج عن ابن ابي مليكة عنها وروى الحافظ ابو بكر احمد بن موسى بن مردويه في تفسيره
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين وهي سبع آيات احداهن
بسم الله الرحمن الرحيم احداهن هي السبع المثاني والقرآن العظيم ورواه
الدارقطني ايضا عن ابي هريرة مرفوعا بنحوه او مثله وقال كلهم ثقات وروى البيهقي عن علي
وابن عباس وابي هريرة انهم فسروا قوله تعالى سبعا من المثاني بالفاتحة وان البسملة
هي الآية السابعة منها **وعن** شعبة عن قتادة عن انس ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم وابا بكر وعمر كانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين رواه البخاري اي كانوا
يفتتحون بالفاتحة **وفي** رواية مسلم فلم اسمع احدا منهم يقرا بسم الله الرحمن الرحيم كذا
اخرجه مسلم وغيره لكنه حديث معلول اعله الحفاظ كما هو في كتب علوم الحديث وفي شرح
الالفية العراقي لشيخنا الحافظ ابي الخير السخاوي رحمه الله تعالى في باب المعلل ما نصه ومن
العلل القادحة فيه كحديث نفي قراءة البسملة في الصلاة المروي عن انس اذ ظن راو من
رواته حين سمع قول انس صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر وعثمان رضي الله
عنهم فكانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين نفي البسملة فنقله مصرحا بما ظنه وقال
لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في اول قراءة ولا في آخرها وفي لفظ فلم يكونوا يفتتحون
القراءة ببسم الله وصار بمقتضى ذلك حديثا مرفوعا والراوي لذلك مخطئ في ظنه ولذلك
قال الشافعي رحمه الله في الام ونقله عنه الترمذي في جامعه انهم يبدون بقراءة ام القرآن
قبل ما يقرا بعدها لا انهم يتركون البسملة اصلا ويتايد بثبوت تسمية ام القرآن بجملة
الحمد لله رب العالمين في صحيح البخاري وكذا بحديث قتادة قال سئل انس كيف كانت قراءة

دوام الكتاب

المعنى

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت مدا ثم قرا بسم الله الرحمن الرحيم يمد بسم الله ويمد
الرحمن ويمد الرحيم اخرجه البخاري في صحيحه وكذا صححه الدارقطني والحازمي وقال انه
لا علة له لان الظاهر كما اشار اليه ابو شامة ان قتادة لما سال انسا عن الاستفتاح
في الصلوة باي سورة اجابه بالحمد لله وسأله عن كيفية قراءته فيها وكانه لم يرا يعلم السايل
ما نعاه من تعيينه بقتادة خصوصا وهو السايل اولا **وقد** اخرج ابن خزيمة في صحيحه
وصححه الدارقطني ان ابا مسلمة سعيد بن زيد سال انسا اكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يستفتح بالحمد لله او ببسم الله فقال لا احفظ فيه شيئا قال وهذا ما يتابعه
خطأ النافي ولكن قد روى هذا الحديث عن انس جماعة منهم حميد وقتادة والتحقيق ان
المعلل رواية حميد خاصة اذ رفعها وهم من الوليد بن مسلم عن مالك عنه بل ومن بعض
اصحاب حميد ايضا عنه فانها في ساير الموطآت عن مالك صليت وراء ابي بكر وعمر وعثمان
فكلهم كان لا يقرا بسم الله لا ذكر للنبي صلى الله عليه وسلم فيه وكذا الذي عند ساير
حفاظ اصحاب حميد عنه انما هو في الوقف خاصة وبه صرح ابن معين عن ابن ابي عدي
حيث قال ان حميدا كان اذا رواه عن انس لم يرفعه واذا قال فيه عن قتادة عن انس
رفعه واما رواية قتادة وهو رواية الوليد بن مسلم وغيره عن الاوزاعي ان قتادة كتب
اليه يخبر ان انسا حدثه قال صليت فذكره بلفظ لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في اول
قراءة ولا في اخرها فلم يتفق اصحابه عنه على هذا اللفظ بل اكثرهم لا ذكر عندهم للنفي فيه
وجماعة منهم بلفظ فلم يكونوا يجهرون ببسم الله وممن اختلف عليه فيه من اصحاب شعبة
فجماعة منهم غندر لا ذكر عندهم للنفي ورواه ابو داود الطيالسي فقط حسبما وقع من
طريق غير واحد عنه بلفظ فلم يكونوا يفتتحون القراءة ببسم الله وهي موافقة للاوزاعي
وابو عمر والدوري وكذا الطيالسي وعند ربلفظ فلم اسمع احدا منهم يقرا ببسم الله بل هكذا
اختلف عن غير قتادة من اصحاب انس واسحق بن ابي طلحة وثابت البناني باختلاف عليهما
ومالك بن دينار ثلاثتهم عن انس بدون نفي واسحق وثابت ايضا ومنصور بن زاذان وابو
قلابة وابو نعامة كلهم عنه باللفظ النافي للجهر خاصة ولفظ اسحق منهم يفتتحون القراءة
بالحمد لله رب العالمين فيما يجهر فيه وحينئذ فطريق الجمع بين هذه الروايات كما قال
شيخنا يعني شيخ الاسلام ابن حجر رحمه الله ممكن بحمل نفي القراءة على نفي السماع ونفي
السماع على نفي الجهر ويؤيده ان لفظ رواية منصور بن زاذان فلم يسمعنا قراءة بسم الله
صلى الله عليه وسلم واصرح منها رواية الحسن عن انس كما عند ابن خزيمة كانوا يسرون
ببسم الله وبهذا الجمع زالت دعوى الاضطراب كما انه ظهر ان الاوزاعي الذي رواه عن
قتادة ولذا كه وكانه مجهول لعدم تسميته لم ينفرد به وحينئذ فيجاب عن قول
انس لا احفظه بان المثبت مقدم على النافي خصوصا وقد تضمن النفي عدم استحضار
انس رضي الله عنه لاهم شي لم يستحضره وبامكان نسيانه حين سوال ابي مسلمة له وتذكره
له بعد فانه ثبت ان قتادة ايضا سأله ايقرا الرجل في صلاته ببسم الله فقال صليت وراء
رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر فلم اسمع احدا منهم يقرا ببسم الله ويحتاج اذا

مكاتبة مع كون قتادة م

واستقر

استقر يحصل حديث انس على نفي الجهر الى دليل له وان لم يكن من مباحثنا وقد ذكر الشارح دليلا
وارشد شيخنا يعني الحافظ ابن حجر لما يوخذ منه ذلك بل قال ان قول نعيم المجمر صليت وراء
ابي هريرة فقرا بسم الله الرحمن الرحيم ثم قرا بام القران حتى بلغ ولا الضالين وقال الناس
امين وكان كلما سجد واذا قام من الجلوس في الاثنتين يقول الله اكبر ويقول اذا سلم اني
لاشبهكم صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم اصح حديث ورد فيه ولا علة له وممن
صححه ابن خزيمة وابن حبان ورواه النسائي والحاكم وقد بوب عليه النسائي الجهر ببسم الله
الرحمن الرحيم ولكن تعقب الاستدلال به باحتمال ان يكون ابو هريرة اراد بقوله اشبهكم في
معظم الصلاة لا في جميع اجزائها لا سيما وقد رواه عنه جماعة غير نعيم بدون ذكر البسملة
واجيب بان نعيما ثقة فزيادته مقبولة والخبر ظاهر في جميع الاجزا فيحمل على عمومه حتى
يثبت دليل يخصه ومع ذلك فيتطرقه احتمال ان يكون سماع نعيم لها عن ابي هريرة حال
مخافتته لقربه منه وقد قال الامام فخر الدين الرازي في تصنيف له في الفاتحة
روى الشافعي باسناده ان معاوية قدم المدينة فصلى بهم ولم يقرا بسم الله الرحمن الرحيم
ولم يكبر عند الخفض الى الركوع والسجود فلما سلم ناداه المهاجرون والانصار يا معوية
سرقت الصلاة اين بسم الله الرحمن الرحيم اين التكبير عند الركوع والسجود فاعاد الصلاة
مع التسمية والتكبير ثم قال الشافعي وكان معوية سلطانا عظيم القوة شديد الشوكة فلولا
ان الجهر بالتسمية كان كالامر المتقرر عند كل من الصحابة من المهاجرين والانصار
لما قدروا على اظهار الانكار عليه بسبب تركه وهو حديث حسن اخرجه الحاكم في صحيحه
والدارقطني وقال ان رجاله ثقات ثم قال الامام بعد وقد بينا يعني ان هذا الانكار المتقدم
يدل على ان الجهر بهذه الكلمة كالامر المتواتر فيما بينهم وكذا قال الترمذي عقب ايراده
بعد ان ترجم بالجهر بالبسملة حديث معتمر بن سليمان عن اسمعيل بن حماد بن ابي سليمان
عن ابي خالد الوالبي الكوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان النبي صلى الله عليه
وسلم يفتتح صلاته ببسم الله الرحمن الرحيم ووافقه على تخريجه الدارقطني وابو
داود وضعفه بل قال الترمذي ليس اسناده بذاك والبيهقي في المعرفة واستشهد
له بحديث سالم الافطس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم بمد بها صوته الحديث وهو عند الحاكم
في مستدركه ايضا لما نصه وقد قال بهذا عدة من اهل العلم من اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم منهم ابو هريرة وابن عمر وابن الزبير ومن بعدهم من التابعين راوا
الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم وبه يقول الشافعي انتهى وقال الشيخ ابو امامة بن
النقاش والذي يروم تحقيق هذه المسيلة ينبغي ان يعرف ان هذه المسيلة بعلم
القرآن اشبه وذلك ان من القرا الذين صحت قراءتهم وتواترت عن النبي صلى الله
عليه وسلم من كان يقراها آية من الفاتحة وهم عاصم وحمزة والكسائي وابن كثير
وغيرهم من الصحابة والتابعين ومنهم من لا يعدها آية من الفاتحة كابن عامر وابي عمرو
ونافع في رواية عنه وحكم قراءتها في الصلاة كحكم قراءتها خارجها فمن قرا على قراءة من جعلها

والذي نفسي بيده م

انتهى مح

من ام القرآن لزمه فرضا ان يقراها ومن قرا على قراءة من لم يرها من ام القرآن فهو مخير
بين القراءة والترك تخفيفه الخلاف فيها كالخلاف في حرف من حروف القرآن وكلا القولين
صحيح ثابت لا مطعن فيه على مثبته ولا ريب ان النبي صلى الله عليه وسلم تارة قراها
وتارة لم يقراها هذا هو الانصاف ثم قال والمستيقن الذي يجب المصير اليه ان كلا
من العملين ثابت لانه لا يختلف اثنان من اهل الاسلام ان هذه القرآن السبع كلها
مقطوع بها من عند الله وليست هذه اول كلمة ولا اول حرف اختلف في اثباته وحذفه
وقل سورة من القرآن ليس فيها ذلك كلفظ هو في سورة الحديد وهو الغني الحميد
وفي لفظ من في سورة التوبة في قوله تعالى جنات تجري من تحتها الانهار ولغات عديده
وقراءات وها آت كذلك وكل هذا من نتيجة كون القرآن نزل على سبعة احرف وهذا هو
الذي يدلك على بطلان قول من لم يجعلها من الفاتحة لموضع اختلاف الناس فيها وقولهم
ان الاختلاف لا يثبت معه قرآن فما ادري ما هذا الظن وهذا الذي ذكرناه هو الذي يتحرى
من تلك التقريرات من الجانبين ثم قال ولا ريب ان الواقع من النبي صلى الله عليه وسلم
كلا الامرين الجهر والاسرار فجهر واسر غير ان اسراره كان اكثر من جهره وقد صح في الجهر
احاديث لا مطعن فيها للمنصف نحو ثلاثة احاديث كما انه قد صح في الاسرار بها احاديث
لا مطعن لعار من العصبيه ولا يلتفت لمن يقول ان الواقع من النبي صلى الله عليه وسلم
كان الجهر فقط انتهى وقيل لبعض العارفين بماذا انتزى ظهر اسم الامام الشافعي وغلب
ذكره فقال ارى ذلك باظهاره لبسم الله في البسملة لكل صلاة انتهى

ولا على منفيه م

الفرع الثالث
في ذكر قراءته صلى الله عليه وسلم الفاتحة وقوله آمين بعدها

كان صلى الله عليه وسلم
اذا قرا غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال آمين ومد بها صوته وفي رواية وخفض
صوته رواه الترمذي وفي رواية ابي داود ورفع بها صوته وفي رواية له جهر بآمين
وقال ابن شهاب وكان صلى الله عليه وسلم اذا قال ولا الضالين جهر بآمين اخرجه
السراج ولابن حبان من رواية الزبيدي عن ابن شهاب كان اذا فرغ من قراءة ام القرآن
رفع صوته وقال آمين وللحميدي من طريق سعيد المقبري عن ابي هريرة بنحوه بلفظ
اذا قال ولا الضالين ولابي داود وصححه ابن حبان من حديث وائل بن حجر نحو رواية
الزبيدي وفيه رد على من اوما الى النسخ فقال انما كان صلى الله عليه وسلم يجهر بالتامين
في ابتداء الاسلام ليعلمهم فان وائل بن حجر انما اسلم في اواخر الامر

الفرع الرابع
في ذكر قراءته صلى الله عليه وسلم بعد الفاتحة في صلاة الغداة

عن ابي برزة كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرا في صلاة الغداة ما بين الستين
الى المائة رواه النسائي وعن عمرو بن حريث انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرا
في الفجر والليل اذا عسعس رواه مسلم وفي رواية النسائي يقرا في الفجر اذا الشمس
كورت وعن جابر بن سمرة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرا في الفجر ق والقرآن المجيد
ونحوها وكانت قراءته بعد تخفيفا رواه مسلم وعن عبد الله بن السائب قال صلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم الصبح بمكة فاستفتح سورة المؤمنين حتى جاء ذكر موسى وهارون

او ذكر عيسى شك الراوي او اختلف عليه اخذت النبي صلى الله عليه وسلم سعلة فركع
الحديث رواه مسلم وقال النووي فيه جواز قطع القراءة ببعض السورة وكرهه مالك انتهى
وتعقب بان الذي كرهه مالك ان يقتصر على بعض السورة مختارا والمستدل به ظاهر
في انه كان للضرورة فلا يرد عليه وكذا يرد على من استدل به على انه لا يكره قراءة بعض
الآية اخذا من قوله حتى جاء ذكر موسى وهارون او ذكر عيسى لان كلا من الموضعين يقع في وسط
آية نعم الكراهة لا تثبت الا بدليل وادلة الجواز كثيرة وفي حديث زيد بن ثابت انه
صلى الله عليه وسلم قرا الاعراف في الركعتين واخرا ابو بكر بالصحابة في صلاة الصبح
بسورة البقرة قراها في الركعتين وهذا اجماع منهم وقرا في الصبح اذا زلزلت
في الركعتين كلتيهما قال الراوي فلا ادري انسي ام قرا ذلك عمدا رواه ابو داود
وكان صلى الله عليه وسلم يقرا في صبح الجمعة الم تنزيل السجدة وهل اتى على الانسان
حين من الدهر رواه البخاري ومسلم وابو داود والترمذي والنسائي من حديث
ابي هريرة وانما كان يقرؤهما كاملتين وقراءة بعضهما خلاف السنة وانما كان يقرؤهما
لما اشتملتا عليه من ذكر المبدا والمعاد وخلق آدم ودخول الجنة والنار واحوال يوم
القيامة لان ذلك كان ويقع يوم الجمعة ذكره ابن دحية في العلم المشهور وقرره تقريرا
حسنا كما افاده الحافظ ابن حجر قال وقد ورد في حديث ابن مسعود التصريح بمداومته
صلى الله عليه وسلم على قراءتها في صبح الجمعة اخرجه الطبراني ولفظه يديم ذلك
واصله في ابن ماجه لكن بدون هذه الزيادة ورجاله ثقات لكن صوب ابو حاتم ارساله
قال وكان ابن دقيق العيد لم يقف عليه فقال في الكلام على حديث الباب ليس في الحديث
ما يقتضي فعل ذلك دائما اقتضاء قويا وهو كما قال بالنسبة لحديث الباب فان الصيغة
ليست نصا في المداومة لكن الزيادة المذكورة نص وقد ورد لهذه الزيادة شاهد من حديث
ابن عباس بلفظ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا في الركعة الاولى من صلاة
الصبح يوم الجمعة الم تنزيل وفي الركعة الثانية هل اتى على الانسان وقد اختلف
تعليل المالكية لكراهة قراءة السجدة في الصلاة فقيل لكونها تشتمل على زيادة
سجود في الفرض قال القرطبي وهو تعليل فاسد بشهادة هذا الحديث وقيل
لخشية التخليط على المصلين ومن ثم فرق بعضهم بين الجهرية والسرية لان الجهرية
يؤمن معها التخليط لكن صح من حديث ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم قرا سورة فيها
سجدة في صلاة الظهر فسجد بهم فيها رواه ابو داود والحاكم فبطلت التفرقة ومنهم
من علل الكراهة بخشية اعتقاد العوام انها فرض قال ابن دقيق العيد اما القول بالكراهة
مطلقا فيأباه الحديث لكن اذا انتهى الحال الى وقوع هذه المفسدة فينبغي ان تترك احيانا
لتندفع فان المستحب قد يترك لدفع المفسدة المتوقعة وهو يحصل في بعض الاوقات
انتهى وقال صاحب المحيط من الحنفية يستحب قراءتها في صبح يوم الجمعة بشرط
ان يقرا غير ذلك احيانا لئلا يظن الجاهل انه لا يجزي غيره قال ولم ار في شيء من
الطرق التصريح بانه صلى الله عليه وسلم سجد لما قرا سورة الم تنزيل في هذا المحل

وجواز القراءة م

في ذلك م

كل جمعة اخرجه الطبراني في الكبير واما تعيين السورة للركعة فورد من حديث علي عند الطبراني بلفظ م

الشواب السرية

الا في كتاب الشريعة لابي داود من طريق اخرى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال غدوت
على النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة في صلاة الفجر فقرا سورة فيها سجدة فسجد الحديث
وفي اسناده من ينظر في حاله انتهى وعن علي عند الطبراني في المعجم الاوسط ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم سجد في الصبح يوم الجمعة في الم تنزيل وهذه الزيادة حسنة
تدفع احتمال ان يكون قرا السورة ولم يسجد

الفرع الخامس في ذكر قراءته صلى الله عليه وسلم في صلاتي الظهر والعصر

عن ابي قتادة قال كان النبي صلى الله
عليه وسلم يقرا في الظهر في الاوليين بام الكتاب وسورتين وفي الركعتين الاخريين بام
الكتاب ويسمعنا الاية احيانا ويطول في الركعة الاولى ما لا يطيل في الركعة الثانية
وهكذا في العصر رواه البخاري ومسلم قال الشيخ تقي الدين السبكي كان السبب في تطويل الاولى
على الثانية ان النشاط في الاولى يكون اكثر فناسب التخفيف في الثانية حذرا من الملل
انتهى وروى عبد الرزاق عن معمر عن يحيى آخر هذا الحديث فظننا انه يريد بذلك ان
يدرك الناس الركعة الاولى وعن ابي سعيد الخدري قال كنا نحزر قيام رسول الله
صلى الله عليه وسلم في الظهر والعصر فحزرنا قيامه في الركعتين الاوليين قدر الم تنزيل السجدة
وفي رواية في كل ركعة قدر ثلثين آية وحزرنا قيامه في الاخريين قدر النصف من ذلك
وحزرنا في الركعتين الاوليين من العصر على قدر قيامه في الاخريين من الظهر وفي الاخريين
من العصر على النصف رواه مسلم وعن جابر بن سمرة كان صلى الله عليه وسلم يقرا في الظهر
بالليل اذا يغشى وفي رواية بسبح اسم ربك الاعلى وفي العصر نحو ذلك رواه مسلم وعنه
كان يقرا في الظهر والعصر بالسماء ذات البروج والسماء والطارق رواه ابو داود والترمذي
وعن البراء كنا نصلي خلفه صلى الله عليه وسلم الظهر فنسمع منه الاية بعد الايات من لقمان
والذاريات رواه النسائي قال ابن دقيق العيد فيه دليل على جواز الاكتفاء بظاهر الحال
في الاخبار دون التوقف على اليقين لان الطريق الى العلم بقراءة السورة في السرية
لا يكون الا بسماع كلها وانما يفيد يقين ذلك لو كان في الجهرية وكانه ماخوذ من سماع بعضها
مع قيام القرينة على قراءة باقيها ويحتمل ان يكون الرسول صلى الله عليه وسلم كان يخبرهم
عقب الصلاة دائما او غالبا بقراءة السورتين وهو بعيد جدا انتهى وعن انس قرا رسول الله
صلى الله عليه وسلم في الظهر بسبح اسم ربك الاعلى وهل اتاك حديث الغاشية رواه
النسائي وعن ابي سعيد كانت صلاة الظهر تقام فيذهب الذاهب الى البقيع فيقضي حاجته
ثم ياتي اهله فيتوضا ويدرك النبي صلى الله عليه وسلم في الركعة الاولى رواه مسلم

الفرع السادس في ذكر قراءته صلى الله عليه وسلم في صلاة المغرب

عن ام
الفضل بنت الحارث قالت سمعته صلى الله عليه وسلم يقرا في المغرب بالمرسلات عرفا
رواه البخاري ومسلم ومالك وابو داود والترمذي والنسائي وفي رواية انها آخر ما سمعت
من رسول الله صلى الله عليه وسلم وصرح عقيل في روايته عن ابن شهاب انها آخر صلاة
صلى الله عليه وسلم ولفظه ثم ما صلى لنا بعدها حتى قبضه الله اورده البخاري في باب الوفاة
وعنده في باب انما جعل الامام ليؤتم به من حديث عايشة ان الصلاة التي صلاها النبي

صلى

صلى الله عليه وسلم باصحابه في مرض موته كانت الظهر وجمع بينهما بان الصلاة التي حكتها عايشة
كانت في المسجد والتي حكتها ام الفضل كانت في بيته كما رواه النسائي لكن يعكر عليه رواية
ابن اسحق عن ابن شهاب في هذا الحديث بلفظ خرج الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو عاصب راسه في مرضه فصلى المغرب الحديث رواه الترمذي ويمكن حمل قولها
خرج الينا اي من مكانه الذي كان راقدا فيه الى من في البيت فصلى فتلتئم الروايات
وعن جبير بن مطعم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا في المغرب بالطور
رواه البخاري ومسلم زاد البخاري في الجهاد وكان اي جبير بن مطعم جاء في اسارى بدر
وزاد الاسماعيلي وهو يومئذ مشرك وللبخاري في المغازي وذلك اول ما وقر الايمان
في قلبي وللطبراني فاخذني من قراءته الكرب ولسعيد بن منصور فكانما صدع قلبي
وفي قوله سمعته صلى الله عليه وسلم دليل على الجهر بها والله اعلم وعن مروان ابن الحكم
قال لي زيد بن ثابت ما لك تقرا في المغرب بقصار المفصل وقد سمعت النبي صلى الله عليه
وسلم يقرا بطولى الطوليين رواه البخاري زاد ابو داود قلت وما طولى الطوليين قال
الاعراف وفي رواية النسائي من حديث عايشة انه صلى الله عليه وسلم صلى المغرب بسورة
الاعراف فرقها في الركعتين وعن عبد الله بن عتبة قرا صلى الله عليه وسلم في صلاة
المغرب بحم الدخان رواه النسائي وهذه الاحاديث في القراءة مختلفة المقادير لان الاعراف
من السبع الطوال والطور من طوال المفصل والمرسلات من اوساطه قال الحافظ ابن حجر
ولم ار حديثا مرفوعا فيه التنصيص على القراءة فيها بشيء من قصار المفصل الا حديثا
في ابن ماجة عن ابن عمر نص فيه على الكافرون والاخلاص ومثله لابن حبان عن جابر
ابن سمرة فاما حديث ابن عمر فظاهر اسناده الصحة الا انه معلول قال الدارقطني
اخطا بعض رواته فيه واما حديث جابر بن سمرة ففيه سعيد بن سماك وهو متروك
والمحفوظ انه قرا بهما في الركعتين بعد المغرب واعتمد بعض اصحابنا وغيرهم حديث
سليمان بن يسار عن ابي هريرة قال ما رايت احدا اشبه صلاة برسول الله صلى الله
عليه وسلم من فلان قال سليمان فكان يقرا في الصبح بطوال المفصل وفي المغرب
بقصار المفصل رواه النسائي وصححه ابن خزيمة وغيره وهذا يشعر بالمواظبة
على ذلك لكن في الاستدلال به نظر نعم حديث رافع انهم كانوا ينتضلون بعد صلاة المغرب
يدل على تخفيف القراءة فيها وطريق الجمع بين هذه الاحاديث انه صلى الله عليه وسلم
كان احيانا يطيل القراءة في المغرب اما لبيان الجواز واما لعلمه بعدم المشقة على المامومين
وليس في حديث جبير دليل على ان ذلك تكرر منه واما حديث زيد بن ثابت ففيه اشعار
بذلك لكونه انكر على مروان المواظبة على القراءة بقصار المفصل ولو كان مروان يعلم ان
النبي صلى الله عليه وسلم واظب على ذلك لاحتج به على زيد لكن لم يرد زيد فيما يظهر المواظبة
على القراءة بقصار المفصل ولو كان مروان يعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم واظب على
بالطول وانما اراد منه ان يتعاهد ذلك كما راه من النبي صلى الله عليه وسلم وفي حديث
ام الفضل اشعار بانه صلى الله عليه وسلم كان يقرا في الصبح باطول من المرسلات لكونه

كان في حال شدة مرضه وهو مظنة التخفيف وهو يرد على ابي داود ادعا نسخ التطويل لانه
روى عقب حديث زيد بن ثابت من طريق عروة انه كان يقرا في المغرب بالقصار قال وهذا
يدل على نسخ حديث زيد ولم يبين وجه الدلالة وكيف تصح دعوى النسخ وام الفضل تقول
ان آخر صلاة صلاها بهم قرا بالمرسلات قال ابن خزيمة في صحيحه هذا من الاختلاف
المباح فجايز للمصلي ان يقرا في المغرب وفي الصلوات كلها بما احب الا انه اذا كان اماما استحب
ان يخفف القراة انتهى والراجح عند النووي ان قصار المفصل من الحجرات الى آخر القرآن

الفرع السابع في ذكر ما كان صلى الله عليه وسلم يقرا في صلاة العشاء

عن البرا ان النبي صلى الله عليه وسلم يقرا في العشا والتين والزيتون فما سمعت احدا احسن
صوتا او قراة منه صلى الله عليه وسلم رواه البخاري ومسلم وكان صلى الله عليه وسلم
اذا اتى على اية عذاب وقف وتعوذ رواه الترمذي من حديث حذيفة وكان اذا قرا سبح
اسم ربك الاعلى قال سبحان ربي الاعلى رواه احمد وابو داود من رواية ابن عباس وقال
صلى الله عليه وسلم من قرا منكم التين والزيتون فانتهى الى أليس الله باحكم الحاكمين فليقل
بلى وانا على ذلك من الشاهدين ومن قرا لا اقسم بيوم القيمة فانتهى الى قوله أليس ذلك
بقادر على ان يحيي الموتى فليقل بلى ومن قرا والمرسلات فبلغ فباي حديث بعده يؤمنون
فليقل آمنا بالله رواه ابو داود والترمذي الى قوله وانا على ذلك من الشاهدين وكان
صلى الله عليه وسلم يسكت بين التكبير والقراة اسكاتة وعنها سالة ابو هريرة ويسكت
بعد الفاتحة ويسكت ثالثة بعد قراة السورة وهي سكتة لطيفة جدا حتى يتراد اليه
النفس ولم يكن يصل القراة بالركوع واما السكتة الاولى فانه كان يجعلها بقدر الاستفتاح
واما الثانية فلاجل قراة المأموم الفاتحة فينبغي تطويلها بقدرها ذكره صاحب زاد المعاد
وعن سمرة بن جندب سكتتان حفظتهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل في صلاته
واذا فرغ من القراة ثم قال بعد ذلك واذا قرا ولا الضالين قال وكان يعجبه اذا فرغ
من القراة ان يسكت حتى يتراد اليه نفسه رواه الترمذي

الفرع الثامن في ذكر صفة ركوعه صلى الله عليه وسلم

عن ابي حميد الساعدي كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا قام الى الصلاة يرفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه فذكر الحديث الى ان قال
ثم يكبر ويرفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه ثم يركع ويضع راحتيه على ركبتيه ثم يعتدل
فلا يصوب راسه ولا يقنع رواه ابو داود والدارمي

الفرع التاسع في ذكر مقدار ركوعه صلى الله عليه وسلم

عن ابن جبير قال سمعت انس بن مالك يقول
ما صليت وراء احد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اشبه صلاة بصلاة رسول الله
صلى الله عليه وسلم من هذا الفتى يعني عمر بن عبد العزيز قال فحزرنا ركوعه عشر
تسبيحات وسجوده عشر تسبيحات رواه ابو داود وعن البرا قال ركوع النبي صلى الله عليه وسلم
وسجوده وبين السجدتين واذا رفع من الركوع ما خلا القيام والقعود قريبا من السوا رواه
البخاري ومسلم قال النووي هذا الحديث محمول على بعض الاحوال والا فقد ثبت في الحديث
تطويل القيام فانه كان يقرا في الصبح بالستين الى المائة وفي الظهر بالم السجدة وانه كان

تمام الصلاة فيذهب الذاهب الى البقيع فيقضي حاجته ثم يرجع الى اهله فيتوضا ثم ياتي المسجد
فيدرك الركعة الاولى وانه قرا سورة المؤمنين حتى بلغ ذكر موسى وهارون وانه قرا
في المغرب بالطور والمرسلات وفي البخاري بالاعراف فكل هذا يدل على انه كانت له في اطالة
القيام احوال بحسب الاوقات وهذا الحديث الذي نحن فيه جرى في بعض الاوقات انتهى
وقال ابن القيم مراد البرا ان صلاته صلى الله عليه وسلم كانت معتدلة فكان اذا اطال
اطال القيام والركوع والسجود واذا خفف خفف الركوع والسجود وتارة يجعل الركوع
والسجود بقدر القيام وهديه عليه الصلاة والسلام الغالب تعديل الصلاة وتناسبها
انتهى

الفرع العاشر في ذكر ما كان يقوله صلى الله عليه وسلم في الركوع والرفع منه

عن عايشة كان صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول في ركوعه وسجوده سبحانك
اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي يتاول القرآن رواه البخاري ومسلم ومعنى يتاول القرآن
يعمل بما امر به في قوله تعالى فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فكان عليه السلام
يقول هذا الكلام البديع في الجزالة المستوفي ما امر به في الاية وعنها كان صلى الله عليه
وسلم يقول في ركوعه سبوح قدوس رب الملايكة والروح رواه مسلم وعن حذيفة
انه صلى الله عليه وسلم كان يقول في ركوعه سبحان ربي العظيم وفي سجوده سبحان
ربي الاعلى رواه . وكان صلى الله عليه وسلم اذا رفع ظهره من الركوع قال
سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد ملء السموات وملء الارض وملء ما شيت من شي بعد
رواه مسلم قال النووي يستحب للمصلي ان يقول سمع الله لمن حمده حين الشروع
في الرفع من الركوع ويمده حتى ينتصب قايما ثم يشرع في ذكر الاعتدال وهو ربنا
لك الحمد الى آخره قال وفي هذا الحديث دلالة للشافعي وطايفة انه يستحب لكل مصل
من امام ومأموم ومنفرد ان يجمع بين سمع الله لمن حمده وربنا لك الحمد في حال
استوايه وانتصابه في الاعتدال لانه ثبت انه صلى الله عليه وسلم فعلهما جميعا
وقد قال عليه السلام صلوا كما رايتموني اصلي رواه البخاري انتهى وقال ابن القيم
كان عليه السلام اذا استوى قايما قال ربنا ولك الحمد وربما قال ربنا لك الحمد وربما
قال اللهم ربنا لك الحمد صح عنه ذلك كله واما الجمع بين اللهم والواو فلم يصح انتهى
وقال الشيخ تقي الدين في شرح العمدة كان اثبات الواو دال على معنى زايد لانه يكون
التقدير ربنا استجب او ما قارب ذلك ولك الحمد فيكون الكلام مشتملا على معنى الدعا
ومعنى الخبر واذا قيل باسقاط الواو دل على احدهما انتهى وقال ابن العراقي
اسقاط الواو وحكاه عن الشافعي ابن قدامه وقال لان الواو للعطف وليس هنا شي
يعطف عليه وعن مالك واحمد في ذلك خلاف وقال النووي كلا مما جات به روايات كثيرة
والمختار انه على وجه الجواز وان الامرين جايزان ولا يرجح احدهما على الاخر انتهى
وعن ابي سعيد الخدري كان صلى الله عليه وسلم اذا رفع راسه من الركوع قال اللهم
ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الارض وملء ما شيت من شي بعد اهل الثنا والمجد
احق ما قال العبد وكلنا لك عبد لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد

منك الجد رواه مسلم قوله ملء السموات وملء الارض اي حمدا لو كان اجساما لملأت
السموات والارض ومعنى سمع الله لمن حمده اي اجاب يعني ان من حمد الله تعالى متعرضا
لثوابه استجاب الله له فاعطاه ما تعرض فانا اقول ربنا لك الحمد لتحصيل ذلك قوله
اهل منصوب على النداء قوله وكلنا لك عبد بالواو يعني احق قول العبد لما نعم لما اطلقه
الى آخره واعترض بينهما قوله وكلنا لك عبد ومثل هذا الاعتراض قوله تعالى
قالت رب اني وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى على قراءة من قرأ
وضعت بفتح العين واسكان التاء والجد بفتح الجيم الغنا اي لا ينفع ذا الغنا منك غناه
وانما ينفعه الايمان والطاعة والله اعلم وفي رواية ابن ابي اوفى عند مسلم كان صلى الله
عليه وسلم يقول بعد قوله من شيء بعد اللهم طهرني بالثلج والبرد والماء البارد

الفرع الحادي عشر في ذكر صفة سجوده صلى الله عليه وسلم وما يقول فيه

كان صلى الله عليه وسلم اذا انتهى من ذكر قيامه عن الركوع يكبر ويخر ساجدا ولا يرفع يديه
وقد روي انه عليه السلام كان يرفع يديه ايضا وصححه بعض الحفاظ كابن حزم والله
اعلم ان الراوي غلط من قوله كان يكبر في كل خفض ورفع الى قوله كان يرفع يديه في كل
خفض ورفع وهو ثقة ولم يفطن بسبب غلطه ووهم فصححه بينه اكمليه في زاد المعاد
وكان عليه السلام يضع ركبتيه قبل يديه رواه ابو داود ثم جبهته وانفه وقال
امرت ان اسجد على سبعة اعظم الجبهة واليدين والركبتين واطراف القدمين رواه
مسلم من حديث ابن عباس قال النووي فينبغي للساجد ان يسجد على جميعها
كلها وان يسجد على الجبهة والانف جميعا فاما الجبهة فيجب وضعها مكشوفة على الارض
ويكفي بعضها والانف مستحب فلو تركه جاز ولو اقتصر عليه لم يجزه هذا مذهب الشافعي
ومالك والاكثرين وقال ابو حنيفة عليهما معا لظاهر الحديث قال الاكثرون بل ظاهر
الحديث انهما في حكم عضو واحد لانه قال فيه سبعة فلو جعلا عضوين صارت ثمانية
وكان عليه السلام اذا سجد فرج بين يديه حتى يبدو بياض ابطيه رواه الشيخان
وقالت ميمونة جافى بين يديه حتى لو شاءت بهيمة ان تمر بين يديه لمرت رواه مسلم
ولم يذكر عنه صلى الله عليه وسلم انه سجد على كور عمامته ولم يثبت عنه ذلك في حديث
صحيح ولا حسن ولكن روى عبد الرزاق في المصنف عن ابي هريرة قال كان النبي صلى الله
عليه وسلم يسجد على كور عمامته وهو من رواية عبد الله بن محرز وهو متروك وذكر ابو
داود في المراسيل انه صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يصلي فسجد بجبينه وقد اعتم على
جبهته فحسر صلى الله عليه وسلم عن جبهته وكان صلى الله عليه وسلم يقول في سجوده
اللهم اغفر لي ذنبي كله دقه وجله اوله وآخره وعلانيته وسره رواه مسلم من حديث
ابي هريرة وقوله دقه وجله بكسر اولهما اي قليله وكثيره وعن عائشة رضي الله عنها
قالت فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدي
على بطن قدميه وهو في السجود وهما منصوبتان وهو يقول اللهم اني اعوذ برضاك
من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت

وترك الجبهة؟

على نفسك رواه مسلم قال الخطابي في هذا الحديث معنى لطيف وذلك انه عليه السلام استعاذ بالله
وسأله ان يجيره برضاه من سخطه وبمعافاته من عقوبته والرضى والسخط ضدان متقابلان
وكذلك المعافاة والمعاقبة فلما صار الى ذكر ما لا ضد له وهو الله تعالى استعاذ به منه لا غيره
ومعناه الاستغفار من التقصير في بلوغ الواجب من حق عبادته والثناء عليه وقوله لا احصي
نعمتك وثناء عليك اي لا اطيقه ولا آتي عليه وقيل لا احيط به وقال مالك لا احصي نعمتك
واحسانك والثناء بها عليك وان اجتهدت في الثناء عليك وقوله انت كما اثنيت على نفسك
اعتراف بالعجز عن تفصيل الثناء فانه لا يقدر على بلوغ حقيقته ورد الثناء الى الجملة دون
التفصيل والاحصاء والتعيين فوكل ذلك الى الله تعالى المحيط بكل شيء جملة وتفصيلا
وكما انه لا نهاية لصفاته لا نهاية للثناء عليه لان الثناء تابع للمثنى عليه فكل شيء اثني به عليه
وان كثر وطال وبولغ فيه فقدر الله اعظم وسلطانه اعز وصفاته اكثر واكبر وفضله
واحسانه اوسع واسبغ وهاهنا فائدة ذكرها بعض المحققين في نهيه صلى الله عليه
وسلم عن قراءة القرآن في الركوع والسجود وهي ان القرآن اشرف الكلام وحالتا
الركوع والسجود حالتا ذل وانخفاض من العبد فمن الادب مع كلام الله تعالى ان لا يقرأ فيهما
لكان يكون حالة القيام والانتصاب اولى به والله اعلم وروى ابو داود انه صلى الله عليه
وسلم سجد على الماء والطين وكان صلى الله عليه وسلم يرفع رأسه من السجود مكبرا غير
رافع يديه ويرفع منه رأسه قبل يديه ثم يجلس على رجله اليسرى وينصب اليمنى وكان
عليه السلام يجلس للاستراحة جلسة لطيفة بحيث تسكن جوارحه سكونا بينا ثم يقوم
الى الركعة الثانية كما في صحيح البخاري وغيره قال النووي ومذهبنا استحبابها عقب السجدة
الثانية من كل ركعة يقوم عنها ولا يستحب في سجود التلاوة في الصلاة وكان عليه السلام
يقول بين السجدتين اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني رواه ابو داود والترمذي
من حديث ابن عباس

الفرع الثاني عشر في ذكر صفة جلوسه صلى الله عليه وسلم للتشهد

كان صلى الله عليه وسلم اذا جلس للتشهد يفرش رجله اليسرى وينصب اليمنى رواه
مسلم قال النووي معناه يجلس مفترشا وفيه حجة لابي حنيفة ومن وافقه ان الجلوس في الصلاة
يكون مفترشا سواء فيه جميع الجلسات وعند مالك يسن متوركا بان يخرج رجله اليسرى من تحته
ويفضي بوركه الى الارض وقال الشافعي رحمه الله السنة ان يجلس كل الجلسات مفترشا الا الجلسة
التي يعقبها السلام والجلسات عند الشافعي اربع جلوس بين السجدتين وجلسة الاستراحة
كل ركعة يعقبها قيام والجلسة للتشهد الاول والجلسة للتشهد الاخير والجميع يسن مفترشا
الا الاخيرة ولو كان على المصلي سجود سهو فالاصح انه يجلس مفترشا في تشهده فاذا سجد للسهو
تورك ثم سلم هذا التفصيل مذهب الشافعي واحتج ابو حنيفة باطلاق حديث عائشة هذا واحتج
الشافعي بحديث ابي حميد الساعدي في صحيح البخاري وفيه التصريح بالافتراش في الجلوس الاول
والتورك في آخر الصلاة وحمل حديث عائشة على هذا الجلوس في غير التشهد الاخير للجمع بين الاحاديث
انتهى فليتأمل مع قول ابن القيم في الهدي انه لم يُنقل احد عنه صلى الله عليه وسلم الا هذا
الا نعت جلوسه في التشهد الاول ولا اعلم احدا قال به انتهى وقال ابو حميد الساعدي

في حضرة من اصحابه صلى الله عليه وسلم انا اعلمكم بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا فاعرض فذكر الحديث الى ان قال حتى اذا كانت السجدة التي فيها التسليم اخرج رجله اليسرى وقعد متوركا على شقه الايسر ثم سلم قالوا صدقت هكذا كان يصلي رواه ابو داود والدارمي وفي رواية لابي داود فاذا قعد في الركعتين قعد على بطن قدمه اليسرى ونصب اليمنى فاذا كان في الرابعة افضى بوركه اليسرى الى الارض واخرج قدميه من ناحية واحدة وكان عليه السلام اذا قعد في التشهد وضع يده اليسرى على ركبته اليسرى ووضع يده اليمنى على ركبته اليمنى وعقد ثلاثا وخمسين واشار بالسبابة وفي رواية مسلم وضع يديه على ركبتيه ورفع اصبعه اليمنى التي تلي الابهام يدعو بها ويده اليسرى على ركبته باسطها عليها وعند ابي داود من حديث وائل بن حجر ثم حد مرفقه اليمنى على فخذه اليمنى وقبض ثنتين وحلق حلقة ثم رفع اصبعه فرايته يحركها ويدعو وفي حديث ابن الزبير عنده ايضا كان يشير بها ولا يحركها الحديث وكان صلى الله عليه وسلم يستقبل باصابع القبلة في رفع يديه وركوعه وسجوده وفي التشهد ويستقبل باصابع رجليه القبلة في سجوده

النوع الثالث عشر في ذكر تشهده صلى الله عليه وسلم

كان صلى الله عليه وسلم يتشهد دائما في هذه الجلسة ويعلم اصحابه ان يقولوا التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله رواه مسلم من رواية ابن عباس وهو الذي اختاره الشافعي لزيادة المباركات لا لتشهد ابن مسعود وان قال القاضي عياض رحمه الله تعالى وعبارة الشافعي فيما اخرجه البيهقي بسنده الى الربيع بن سليمان اخبرنا الشافعي جوابا لمن ساله بعد ذكر حديث ابن عباس فانا نرى الروايات اختلفت فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم فروى ابن مسعود خلاف هذا فساق الكلام الى ان قال فلما رايته واسعا وسمعته يعني حديث ابن عباس صحيحا وكانت عندي اكثر لفظا من غيره بعينه من المرفوعات اخذت به غير معنف لمن اخذ بغيره هذا آخر كلامه وليس فيه تصريح بالافضلية والعلم عند الله تعالى وقال ابو حنيفة واحمد وجمهور الفقهاء واهل الحديث تشهد ابن مسعود افضل لانه عند المحدثين اشد صحة وقال مالك رحمه الله تعالى تشهد عمر بن الخطاب الموقوف عليه افضل لانه علمه الناس على المنبر ولم ينازعه احد فدل على تفضيله ومذهب الشافعي ان التشهد الاول سنة والثاني واجب وجمهور المحدثين انهما واجبان وقال احمد الاول واجب والثاني ركن وقال ابو حنيفة ومالك وجمهور الفقهاء هما سنتان وعن مالك رواية بوجوب الاخير وقد كان عليه الصلاة والسلام ياتي بالتشهدين وفي الغيلانيات عن القسم بن محمد قال علمتني عائشة قالت هذا تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله وهو مثل حديث ابن مسعود سواء وفي البيهقي باسناد جيد قال النووي وفي هذا فائدة حسنة وهي ان تشهده عليه السلام بلفظ تشهدنا انتهى قال الحافظ ابن حجر وكانه يشير الى رد ما وقع في الرافعي انه صلى الله عليه وسلم كان

يقول

يقول في التشهد واشهد اني رسول الله وتعقبوه لم يرو وكذلك تعقبوا نعم وقع في حديث البخاري من حديث سلمة بن الاكوع قال خفت ازواد القوم فذكر الحديث وفيه فقال صلى الله عليه وسلم اشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله ومن لطائف التشهد ما قاله البيضاوي علمهم ان يفردوه صلى الله عليه وسلم بالذكر لشرفه ومزيد حقه عليهم فان قيل كيف شرع هذا اللفظ وهو خطاب بشر مع كونه منهيا عنه في الصلاة فالجواب ان ذلك من خصائصه صلى الله عليه وسلم فان قلت ما الحكمة في العدول عن الغيبة الى الخطاب في قوله عليك ايها النبي مع ان لفظ الغيبة هو الذي يقتضيه السياق لانه يقول السلام على النبي فينتقل من تحية الله الى تحية النبي صلى الله عليه وسلم ثم الى تحية النفس ثم الى الصالحين اجاب الطيبي بما محصله نحن نتبع لفظ الرسول بعينه الذي علمه للصحابة ويحتمل ان يقال على طريق اهل المعرفة بالله ان المصلين لما استفتحوا باب الملكوت بالتحيات اذن لهم بالدخول في حريم الحي الذي لا يموت فقرت اعينهم بالمناجاة فنبهوا على ان ذلك بواسطة نبي الرحمة وبركة متابعته فالتفتوا فاذا الحبيب في حرم الحبيب حاضر فاقبلوا عليه قائلين السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته انتهى وقال الترمذي الحكيم في قوله عليه السلام السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين من اراد ان يحظى بهذا السلام الذي يسلمه الخلق في صلاتهم فليكن عبدا صالحا والا حرم هذا الفضل العظيم وقال القفال في فتاويه ترك الصلاة يضر جميع المسلمين لان المصلي يقول اللهم اغفر لي وللمؤمنين والمؤمنات ولا بد ان يقول في التشهد علينا وعلى عباد الله الصالحين فيكون مقصرا بخدمة الله وفي حق رسوله وفي نفسه وفي حق كافة المسلمين ولذلك عظمت المعصية بتركها واستنبط منه السبكي ان في الصلاة حقا للعباد مع حق الله وان من تركها اخل بجميع حق المؤمنين من مضى ومن يجيء الى يوم القيمة لوجوب قوله فيها السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين انتهى وتقدم الكلام على وجوب الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم بعد التشهد الاخير وما في ذلك من المباحث في فضل الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وعند الطبراني مرفوعا عن سهل بن سعد لا صلاة لمن لم يصل على نبيه وكذا عند ابن ماجه والدارقطني وعن ابي مسعود الانصاري عند الدارقطني من صلى صلاة لم يصل فيها علي وعلى اهل بيتي لم تقبل منه وعن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا تشهد احدكم في الصلاة فليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارحم محمدا وآل محمد كما صليت وباركت وترحمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد رواه الحاكم واغتر قوم بتصحيحه فوهموا فانه من رواية يحيى بن السباق وهو مجهول عن رجل مبهم وبالغ ابن العربي في انكار ذلك فقال حذار مما ذكره ابن ابي زيد من زيادة وترحم فانه قريب من البدعة لانه صلى الله عليه وسلم علمهم كيفية الصلاة عليه بالوحي ففي الزيادة على ذلك استدراك عليه انتهى قال الحافظ ابن حجر وابن ابي زيد ذكر ذلك في الرسالة في صفة التشهد لما ذكر ما يستحب في التشهد ومنه اللهم صل على محمد وآل محمد فزاد وترحم على محمد وآل محمد وبارك على محمد وآل محمد الى آخره فان كان انكاره لكونه لم يصح فمسلم والا فدعوى من ادعى انه لا يقال وارحم محمدا مردودة لثبوت ذلك في عدة احاديث اصحها

في التشهد السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته قال ثم وجدت لابن ابي زيد مستندا فاخرج
الطبري في تهذيبه من طريق حنظلة بن علي عن ابي هريرة رفعه من قال اللهم صل على محمد كما صليت
على ابراهيم وعلى آل ابراهيم شهدت له يوم القيامة وشفعت له ورجال سنده رجال الصحيح الا
سعيد بن سليمان مولى سعيد بن العاص الراوي له عن حنظلة بن علي فانه مجهول وهذا كله
فيما يقال مضموما الى السلام او الصلاة وقد وافق ابن العربي الصيدلاني من الشافعية
على المنع ونقل القاضي عياض عن الجمهور الجواز مطلقا وقال القرطبي في المفهم انه الصحيح لورود
الاحاديث به وخالفه غيره ففي الذخيرة من كتب الحنفية عن محمد يكره ذلك لايهامه النقص لان
الرحمة غالبا انما تكون لفعل ما يلام عليه وجزم ابن عبد البر بمنعه فقال لا يجوز لاحد اذا ذكر النبي
صلى الله عليه وسلم ان يقول رحمه الله لانه عليه السلام قال من صلى علي ولم يقل من ترحم علي
ولا من دعا لي وان كان معنى الصلاة معنى الرحمة ولكنه خص بهذا اللفظ تعظيما له فلا يعدل به
عنه الى غيره انتهى **واخرج** ابو العباس السراج عن ابي هريرة انهم قالوا يا رسول الله
كيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت وباركت على ابراهيم وآل ابراهيم
انك حميد مجيد وفي حديث بريدة رفعه اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على محمد وعلى
آل محمد كما جعلتها على ابراهيم وعلى آل ابراهيم ووقع في حديث ابن مسعود عند ابي داود
والنسائي على محمد النبي الامي وفي حديث ابي سعيد على محمد عبدك ورسولك كما صليت على ابراهيم
ولم يذكر آل محمد ولا آل ابراهيم وعند ابي داود من حديث ابي هريرة اللهم صل على محمد النبي
وازواجه امهات المؤمنين وذريته واهل بيته ووقع في آخر حديث ابن مسعود في العالمين
انك حميد مجيد قال النووي في شرح المهذب ينبغي ان يجمع ما في الاحاديث الصحيحة فيقول
اللهم صل على محمد النبي الامي وعلى آل محمد وازواجه وذريته كما صليت على ابراهيم وعلى آل
ابراهيم وبارك مثله وزاد في آخره في العالمين وقال في الاذكار مثله وزاد عبدك ورسولك
بعد قوله محمد في صل ولم يزدها في وبارك وقال في التحقيق والفتاوى مثله الا انه اسقط النبي
الامي وقد تعقبه الاسنوي فقال لم يستوعب ما ثبت في الاحاديث مع اختلاف كلامه وقال
الاذرعي لم يسبق الى ما قاله والذي يظهر ان الافضل لمن يتشهد ان ياتي باكمل الروايات ويقول
كل ما ثبت هذا مرة وهذا مرة واما التلفيق فانه يستلزم احداث صفة في التشهد لم ترد مجموعة
في حديث واحد وسبقه الى معنى ذلك ابن القيم **وقد كان** صلى الله عليه وسلم يدعو في الصلاة
اللهم اني اعوذ بك من عذاب القبر واعوذ بك من فتنة المسيح الدجال واعوذ بك من فتنة المحيا
وفتنة الممات اللهم واعوذ بك من المأثم والمغرم فقال له قائل ما اكثر ما تستعيذ من المغرم فقال
ان الرجل اذا غرم حدث فكذب ووعد فاخلف رواه البخاري ومسلم من رواية عائشة قال ابن دقيق
العيد فتنة المحيا ما يعرض للانسان مدة حياته من الافتتان بالدنيا والشهوات والجهالات واعظمها
والعياذ بالله امر الخاتمة عند الموت وفتنة الممات يجوز ان يراد بها الفتنة عند الموت اضيفت
للقرب منه ويجوز ان يكون المراد به فتنة القبر ولا يكون مع هذا الوجه متكررا مع قوله عذاب
القبر لان العذاب مرتب على الفتنة والسبب غير المسبب وروى الحكيم الترمذي في نوادر
الاصول عن سفيان الثوري ان الميت اذا سئل من ربك تراءى له الشيطان فيشير الى نفسه

اي انا

وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وترحم على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم صح

يدعو في الصلاة

اي انا ربك فلهذا ورد سؤال التثبت له حين يسال **وقد** استشكل دعاؤه صلى الله عليه وسلم
بما ذكر مع انه مغفور له ما تقدم وما تاخر **واجيب** باجوبة منها انه قصد التعليم لامته **ومنها**
ان المراد السؤال منه لامته فيكون المعنى هنا اعوذ بك لامتي **ومنها** سلوك طريق التواضع
واظهار العبودية والتزام خوف الله واعظامه والافتقار اليه وامتثال امره في الرغبة اليه
ولا يمتنع تكرير الطلب مع تحقق الاجابة لان في ذلك تحصيل الحسنات ورفع الدرجات
وفيه تحريض لامته على ملازمة ذلك لانه اذا كان مع تحقق المغفرة لا يترك التضرع
فمن لم يتحقق ذلك احرى بالملازمة **واما** الاستعاذة من فتنة الدجال مع تحققه
انه لا يدركه فلا اشكال فيه على الوجهين الاولين وقيل على الثالث يحتمل ان يكون ذلك قبل
ان يتحقق عدم ادراكه ويدل عليه قوله في الحديث الآخر عند مسلم ان يخرج وانا فيكم فانا
حجيجه الحديث والله اعلم **وعن** ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يقول بعد التشهد اللهم اني اعوذ بك من عذاب جهنم واعوذ بك من عذاب القبر
واعوذ بك من فتنة الدجال الاعور واعوذ بك من فتنة المحيا والممات رواه ابو داود
وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول ما بين التشهد
والتسليم اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت وما اسرفت وما انت
اعلم به مني انت المقدم وانت المؤخر لا اله الا انت رواه مسلم وغيره وفي رواية له واذا سلم
قال اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت الى آخره ويجمع بينهما بحمل الرواية الثانية على ارادة السلام
لان مخرج الطريقين واحد واورده ابن حبان بلفظ كان اذا فرغ من الصلاة وسلم وهذا ظاهر
في انه بعد السلام ويحتمل انه كان يقول ذلك قبل السلام وبعده وسيأتي في الجواب عما استشكل
في دعائه عليه السلام بهذا الدعاء في اوقات عينه صلى الله عليه وسلم انشاء الله تعالى **وحاصل**
ما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم من المواضع التي كان يدعو بها في داخل صلاته ستة مواطن
الاول عقب تكبيرة الاحرام كما في حديث ابي هريرة في الصحيحين اللهم باعد بيني وبين
خطاياي الحديث ونحوه **الثاني** في الركوع كما في حديث عائشة رضي الله تعالى عنها عند الشيخين
كان يكثر ان يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي **الثالث** في الاعتدال
من الركوع كما في حديث ابن ابي اوفى عند مسلم انه كان يقول بعد قوله من شيء بعد اللهم طهرني
بالثلج والبرد والماء البارد **الرابع** السجود وهو اكثر ما كان يدعو فيه كما مر به **الخامس** بين
السجدتين اللهم اغفر لي الى آخره **السادس** في التشهد **وكان** ايضا يدعو في القنوت
وفي حال القراءة اذا مر باية رحمة سال واذا مر باية عذاب استعاذ وتقدم كل ذلك
والله الموفق

الفرع الرابع عشر في ذكر تسليمه عليه السلام من الصلاة

كان صلى الله عليه وسلم يسلم عن يمينه وعن يساره حتى يرى بياض خده رواه مسلم
والنسائي من حديث عامر بن ربيعة عن ابيه وفي حديث ابن مسعود كان يسلم عن يمينه
وعن يساره السلام عليكم ورحمة الله رواه الترمذي وزاد ابو داود حتى يرى بياض
خده وفي رواية النسائي حتى يرى بياض خده من هاهنا وبياض خده من هاهنا الحديث
وهذا كان فعله الراتب رواه عنه خمسة عشر صحابيا ومنهم عبد الله بن مسعود وسعد

ابن أبي وقاص وسهل بن سعد ووائل بن حجر وأبو موسى الأشعري وحذيفة بن اليمان وعمار
بن ياسر وعبد الله بن عمر وجابر بن سمرة والبراء بن عازب وأبو مالك الأشعري وطلق بن علي
وأوس بن أوس وأبو رمثة وعدي بن عميرة **وهذا** مذهب الشافعي وأبي حنيفة وأحمد والجمهور
ومذهب مالك في طائفة المشروع تسليمة ودليل مذهبنا ما تقدم **وأما ما روي أنه**
صلى الله عليه وسلم كان يسلم تسليمة واحدة تلقاء وجهه فلم يثبت من وجه صحيح وأجود
ما في ذلك حديث عائشة رضي الله تعالى عنها أنه صلى الله عليه وسلم كان يسلم تسليمة واحدة
السلام عليكم يرفع بها صوته حتى يوقظنا وهو حديث معلول وهو في السنن لكنه في قيام الليل
والذين رووا عنه التسليمتين رووا ما شهدوا في الفرض والنفل وحديث عائشة ليس هو
صريحا في الاقتصار على تسليمة واحدة بل أخبرت أنه كان يسلم تسليمة واحدة يوقظهم بها ولم
تنف الأخرى بل سكتت عنها وليس سكوتها عنها مقدما على رواية من حفظها وضبطها وهم أكثر عددا
وأحاديثهم أصح والله أعلم **واختلف** في التسليم فقال مالك والشافعي وأحمد وجمهور العلماء
إنه فرض لا تصح الصلاة إلا به وقال أبو حنيفة والثوري والأوزاعي سنة لو تركه صحت
صلاته وقال أبو حنيفة لو فعل منافيا للصلاة من حدث أو غيره في آخرها صحت صلاته واحتج
بأنه صلى الله عليه وسلم لم يعلمه الأعرابي حين علمه واجبات الصلاة واحتج الجمهور بحديث أبي داود
مفتاح الصلاة الطهور وتحليلها التسليم **وكان** صلى الله عليه وسلم إذا قام في الصلاة طأطأ رأسه
رواه أحمد **وكان** لا يجاوز بصره إشارته رواه **وكان** قد جعل الله قرة عينه في الصلاة
كما قال وجعلت قرة عيني في الصلاة رواه النسائي **ولم يكن** يشغله عليه السلام ما هو فيه عن
مراعاة أحوال المأمومين مع كمال إقباله وقربه من ربه وحضور قلبه بين يديه **وكان**
يدخل في الصلاة يريد إطالتها فيسمع بكاء الصبي فيتجوز في صلاته مخافة أن يشق على أمه
رواه البخاري وأبو داود والنسائي **وكان** يؤم بالناس وهو حامل أمامة بنت أبي العاص
ابن الربيع على عاتقه رواه مسلم وغيره قال النووي وهذا يدل لمذهب الشافعي رحمه الله
ومن وافقه أنه يجوز حمل الصبي والصبية من الحيوان وغيرهما في صلاة الفرض والنفل
وللإمام والمأموم والمنفرد وحمله أصحاب مالك رحمه الله على النافلة ومنعوا جواز
ذلك في الفريضة وهذا التأويل فاسد لأن قوله يؤم الناس صريح أو كالصريح في أنه كان
في الفريضة وادعى بعض المالكية أنه منسوخ وبعضهم أنه خاص به صلى الله عليه وسلم
وبعضهم أنه لضرورة وكلها مردودة ولا دليل عليها ولا ضرورة إليها بل الحديث
صحيح صريح في جواز ذلك وليس فيها ما يخالف الشرع لأن الآدمي طاهر وما في جوفه
من النجاسات معفو عنها لكونها في معدته وثياب الأطفال وأجسادهم على الطهارة
ودلائل الشرع متظاهرة على هذا والأفعال في الصلاة لا تبطلها إذا قلت أو تفرقت
وفعله عليه السلام للجواز تنبيها على هذه القواعد التي ذكرتها وهذا يرد ما ادعاه
أبو سليمان الخطابي أن هذا الفعل يشبه أن يكون بغير تعمد لحملها في الصلاة لكنها كانت
تتعلق به عليه الصلاة والسلام فلم يدفعها فإذا قام بقيت معه قال ولا يتوهم أنه حملها
ووضعها مرة بعد أخرى لأنه عمل كثير ويشغل القلب وإذا كان علم الخميصة شغله فكيف

وغيرهما من الحيوان

من النجاسات لكونها

لا يشغله

لا يشغله هذا هذا كلام الخطابي وهو باطل ودعوى مجردة ومما يرده قوله في صحيح مسلم
فإذا قام حملها فإذا رفع من السجود أعادها وقوله في رواية غير مسلم خرج علينا أمامة
يصلي وذكر الحديث وأما قضية الخميصة فإنها تشغل القلب بلا فائدة وحمل أمامة لا نسلم
أنه تشغل القلب وإن شغلته فيترتب عليه فوائد وبيان قواعد مما ذكرناه وغيره فاحتمل
ذلك الشغل لهذه الفوائد بخلاف الخميصة والصواب الذي لا يعدل عنه أن الحديث كان
للبيان والتنبيه على هذه القواعد فهو جائز لنا وشرع مستمر إلى يوم الدين والله أعلم
انتهى **وكان** صلى الله عليه وسلم يصلي فيجيء الحسن أو الحسين فيركب ظهره فيطيل السجود
كراهية أن يلقيه عن ظهره رواه **وكان** يرد السلام بالإشارة على من يسلم
عليه وهو في الصلاة قال جابر بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة فأدركته
وهو يصلي فسلمت عليه فأشار إلي رواه مسلم وقال عبد الله بن مسعود لما قدمت
من الحبشة أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فسلمت عليه فأومأ برأسه
رواه البيهقي **وكان** يصلي وعائشة معترضة بينه وبين القبلة فإذا سجد غمزها
بيده فقبضت رجليها وإذا قام بسطتهما رواه البخاري **وكان** عليه السلام لا يلتفت
في صلاته وفي البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت سألت رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن الالتفات في الصلاة قال هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد
وروى أبو داود من حديث سهل بن الحنظلية أنه صلى الله عليه وسلم قال يوم
حنين من يحرسنا الليلة قال أنس بن أبي مرثد الغنوي أنا يا رسول الله قال اركب
فركب فرسا له فقال استقبل هذا الشعب حتى تكون في أعلاه فلما أصبحنا ثوب بالصلاة
فجعل صلى الله عليه وسلم وهو يصلي يلتفت إلى الشعب حتى إذا قضى الصلاة قال
أبشروا فقد جاءكم فارسكم **فهذا** الالتفات من الاشتغال بالجهاد في الصلاة وهو يدخل
في مداخل العبادات كصلاة الخوف وقريب منه قول عمر رضي الله عنه إني لأجهز
الجيش وأنا في الصلاة فهذا جمع بين الصلاة والجهاد ونظيره التفكر في معاني القرآن واستخراج
كنوز العلم منه **وكان** صلى الله عليه وسلم يصلي فعرض له الشيطان ليقطع عليه صلاته
فأخذه فخنقه حتى سال لعابه على يديه رواه **وروى** مطرف بن عبد الله بن
الشخير عن أبيه قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل
يبكي وفي رواية لصدره أزيز كأزيز الرحى من البكاء رواه أحمد **ولم يكن** صلى الله
عليه وسلم يغمض عينيه في صلاته **وعن** أنس قال كان قرام لعائشة سترت به جانب
بيتها فقال صلى الله عليه وسلم أميطي عنا قرامك هذا فإنه لا تزال تصاويره تعرض لي
في صلاتي رواه البخاري ولو كان يغمض عينيه لما عرضت له في صلاته **وقد اختلف**
الفقهاء في كراهيته والحق أن يقال إن كان تفتيح العين لا يخل بالخشوع فهو أفضل وإن
كان يحول بينه وبين الخشوع لما يكون في قبلته من الزخرفة أو غيرها مما يشغل قلبه فلا يكره
التغميض قطعا بل ينبغي أن يكون مستحبا في هذه الحالة **وقد كانت** صلاته صلى الله عليه
وسلم متوسطة عارية عن الغلو كالوسوسة في عقد النية ورفع الصوت بها والجهر

بالأذكار والدعوات التي شرعت سرا وتطويل ما السنة تخفيفه كالتشهد الأول إلى غير ذلك مما يفعله كثير ممن ابتلي بداء الوسوسة عافانا الله منها وهي نوع من الجنون ومنشأه بلا ريب متبوع مستنبط في أفعاله وأقواله شيئا لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ولا أحد من الصحابة وقد قال عليه السلام إن خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وعنه أيضا وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار وحا نسب لإمام الحرمين الوسوسة تنشأ من خلل في العقل أو جهل بأحكام الشرع ومن غرائب ما يقع لطوائف الموسوسين أن بعضهم يشتغل بتكرير الطهارة حتى تفوته الجماعة وربما فاته الوقت ومنهم من يشتغل في النية حتى تفوته التكبيرة الأولى وربما تفوته ركعة أو أكثر ومنهم من يحلف أنه لا يزيد على هذه التكبيرة ثم يكذب ومن العجب أن بعضهم يتوسوس في حال قيامه حتى يركع الإمام فإذا خشي فوات الركوع كبر سريعا وأدركه فمن لم يحصل النية في القيام الطويل حال فراغ باله فكيف حصلت له في الوقت الضيق مع شغل باله بفوات الركعة ومنهم من يكثر التلفظ بالتكبير حتى يشوش على غيره من المؤمنين ولا ريب أن ذلك مكروه ومنهم من يزعج أعضاءه ويحني جبهته ويقيم عروق عينيه ويصرخ بالتكبير كأنه يكبر على العدو ومنهم من يغسل أعضاءه غسلا يشاهده ببصره ويكبر ويقرأ بلسانه ويسمع بأذنيه ويعلمه قلبه ومع ذلك يصدق الشيطان في الإنكار ويكذب نفسه ويجحده لما رآه ببصره وسمعه بأذنيه وقد سأل رجل أبا الوفا بن عقيل فقال إني أكبر وأقول ما كبرت وأغسل العضو في الوضوء وأقول ما غسلته فقال ابن عقيل دع الصلاة فإنها لا تجب عليك فقال له كيف ذلك فقال لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال رفع القلم عن المجنون حتى يفيق ومن يكبر ثم يقول ما كبرت فليس بعاقل والمجنون لا تجب عليه الصلاة ومن أراد التخلص من هذه البلية فليتبع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم السوية ويقتدي بملته الحنيفية فإن غلبه الأمر وضاقت عليه المسالك فليتضرع إلى الله تعالى ويبتهل إليه في كشف ذلك

الفرع الخامس عشر

في ذكر قنوته صلى الله عليه وسلم ليعلم أن القنوت يطلق على القيام والسكوت ودوام العبادة والدعاء والتسبيح والخشوع كما قال تعالى وله من في السموات والأرض كل له قانتون وقال تعالى أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما الآية وقال تعالى وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين والمراد هنا الدعاء في الصلاة في محل مخصوص من القيام وعن أنس قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم سبعين رجلا يقال لهم القراء فعرض لهم حيان من بني سليم رعل وذكوان عند بئر يقال لها بئر معونة فقتلوهم فدعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم شهرا في صلاة الغداة وذلك بدء القنوت وما كنا نقنت قال عبد العزيز بن صهيب فسأل رجل أنسا عن القنوت أبعد الركوع أو عند فراغ القراءة قال بل عند فراغ القراءة وفي أخرى قنت شهرا بعد الركوع يدعو على أحياء العرب وفي أخرى قنت شهرا بعد الركوع في صلاة الصبح يدعو على رعل وذكوان ويقول عصية عصت الله ورسوله وفي أخرى بعث صلى الله عليه وسلم سرية يقال لهم القراء فأصيبوا فما رأيت رسول الله

صلى الله عليه وسلم وجد على شيء ما وجد عليهم فقنت شهرا في صلاة الفجر فهذه روايات البخاري ومسلم وللبخاري كان القنوت في المغرب والفجر وفي رواية أبي داود والنسائي قنت في صلاة الصبح بعد الركوع وفي أخرى قنت شهرا ثم تركه وفي أخرى للنسائي قنت شهرا يلعن رعلا وذكوان ولحيان وعن ابن عباس رضي الله عنهما قنت صلى الله عليه وسلم شهرا متتابعا في الظهر والعصر والمغرب والعشاء وصلاة الصبح في دبر كل صلاة إذا قال سمع الله لمن حمده من الركعة الآخرة يدعو على أحياء من سليم على رعل وذكوان وعصية ويؤمن من خلفه رواه أبو داود وعن ابن عمر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر يقول اللهم العن فلانا وفلانا وفلانا بعد ما يقول سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد فأنزل الله عليه ليس لك من الأمر شيء إلى قوله فإنهم ظالمون رواه البخاري وعن أبي هريرة لما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من الركعة الثانية قال اللهم أنج الوليد ابن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة والمستضعفين بمكة اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف وفي رواية في صلاة الفجر وفي رواية ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما أنزل الله تعالى عليه ليس لك من الأمر شيء الآية رواه البخاري ومسلم وعن البراء كان صلى الله عليه وسلم يقنت في الصبح والمغرب رواه مسلم والترمذي ولأبي داود في صلاة الصبح ولم يذكر المغرب وعن أبي مالك الأشجعي قال قلت لأبي يا أبت إنك قد صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي بن أبي طالب هاهنا بالكوفة خمس سنين أكانوا يقنتون قال أي بني محدث رواه الترمذي وعن سعيد بن جبير قال أشهد أني سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول إن القنوت في صلاة الفجر بدعة رواه الدارقطني قال بعض العلماء والصواب أنه صلى الله عليه وسلم قنت وترك وكان تركه للقنوت أكثر من فعله فإنه إنما قنت عند النوازل للدعاء لقوم وللدعاء على آخرين ثم تركه لما قدم من دعا لهم وخلصوا من الأسر وأسلم من دعا عليهم فجاؤوا تائبين وكان قنوته لعارض فلما زال العارض ترك القنوت ولم يكن مختصا بالفجر بل كان يقنت في صلاة الفجر والمغرب ذكره البخاري في صحيحه عن النبي وذكر مسلم عن البراء وصح عن أبي هريرة أنه قال والله لأنا أقربكم صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقنت في الركعة الأخيرة من الصبح بعد ما يقول سمع الله لمن حمده قال ابن أبي فديك ولا ريب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك ثم تركه فهذا رد على القائل بكراهة القنوت في الفجر مطلقا عند النوازل وغيرها ويقولون هو منسوخ وفعله بدعة وأهل الحديث متوسطون بين هؤلاء ومن استحبه ويقولون فعله سنة وتركه سنة ولا ينكرون على من داوم عليه ولا يكرهون فعله ولا يرونه بدعة ولا فاعله مخالفا للسنة من قنت فقد أحسن ومن تركه فقد أحسن انتهى ومذهب الشافعي رحمه الله أن القنوت مشروع في صلاة الصبح دائما في اعتدال ثانية الصبح لما رواه أنس ما زال النبي صلى الله عليه وسلم يقنت في الصبح حتى فارق الدنيا رواه أحمد وغيره قال ابن الصلاح قد حكم بصحته غير واحد من الحفاظ منهم الحاكم والبيهقي وأبو عبد الله محمد بن علي البلخي وفي البيهقي العمل بمقتضاه عن الخلفاء الأربعة وقال بعضهم

اجمعوا انه صلى الله عليه وسلم قنت في الصبح ثم اختلفوا هل ترك فيتمسك بما اجمعوا عليه حتى يثبت ما اختلفوا فيه انتهى واما حديث ابن ابي فديك عن عبد الله بن سعيد بن ابي سعيد المقبري عن ابيه عن ابي هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رفع راسه من الركوع في الركعة الثانية من صلاة الصبح يرفع يديه يدعو بهذا الدعاء اللهم اهدني فيمن هديت الى اخره وقال ابن القيم في زاد المعاد ما ابين الاحتجاج به لو كان صحيحا او حسنا لكن لا يحتج بعبد الله هذا وان كان الحاكم صحح حديثه في القنوت انتهى والحديث رواه الحاكم وصححه ورد عليه كما قاله ابن القيم وقد اتفقوا على ضعف عبد الله بن سعيد وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان صلى الله عليه وسلم يقنت في صلاة الصبح وفي وتر الليل بهذه الكلمات اللهم اهدني فيمن هديت اخرجه محمد بن نصر في كتاب قيام الليل والصحيح انه لا يتعين فيه دعاء مخصوص بل يحصل بكل دعاء وفيه وجه انه لا يحصل الا بالدعاء المشهور وهو اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما اعطيت وقني شر ما قضيت فانك تقضي ولا يقضى عليك وانه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت تباركت وتعاليت رواه ابو داود والترمذي والنسائي من حديث الحسن بن علي قال علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات اقولهن في الوتر فذكره واسنادهم صحيح قال البيهقي فقد صح ان تعليم هذا الدعاء وقع لقنوت صلاة الصبح ولقنوت الوتر انتهى وقوله فانك تقضي بالفاء وبالواو وفي قوله وانه لا يذل وربما حذف وتعاليت الا ان الفاء لم تقع في رواية ابي داود وزاد البيهقي بعد قوله انه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت وزاد ابن ابي عاصم في كتاب التوبة نستغفرك اللهم ونتوب اليك وتسن الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخره لان النسائي ذكرها من حديث الحسن بسند صحيح او حسن كما قاله في شرح المهذب ولفظه اي النسائي وصلى الله على النبي وجزم في الاذكار باستحباب الصلاة على الال والسلام وخالفه صاحب الاقليد فقال اما ما وقع في كتب اصحابنا من زيادة وسلم وما تعتاده الائمة الان من ذكر الال والازواج والاصحاب فكل ذلك لا اصل له قلت وعبارة النووي في الاذكار ويستحب ان يقول عقب هذا الدعاء اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم فقد جا في رواية النسائي باسناد حسن وصلى الله على النبي انتهى وتعقب بان لفظ الدعوى خلاف الدليل ويزيد عليه ذكر الال والتسليم نعم وقعت الزيادة عند الرافعي والروياني معزوة لحديث الحسن بن علي عند النسائي لكنها ليست عنده في رواية احد من الرواة عنه على ان لفظ وصلى الله على النبي زائد على رواية الترمذي وهذه زيادة غريبة غير ثابتة لاجل عبد الله بن علي احد رواته لانه غير معروف وعلى تقدير ان يكون هو عبد الله بن علي بن الحسن بن علي فهو منقطع لانه لم يسمع من جده الحسن بن علي وقد تبين انه ليس من شرط الحسن لانقطاعه او جهالة راويه ولم تنجبر الزيادة بمجيئها من وجه آخر وحينئذ فقد تبين شذوذها على ما لا يخفى نعم اصل الحديث الى اخره وتعاليت حسن لاعتضاده برواية الترمذي وغيره بخلاف الزيادة اذ لم تجئ في غيره وحينئذ سنتا الصلاة على الال على ما جزم به النووي فينبغي عدها في القنوت بعضا وقال في المجموع عن البغوي وتكره اطالة القنوت كالتشهد

الاول وهو ظاهر على ما صححه فيه وفي تحقيقه في باب سجود السهو من ان الاعتدال ركن طويل اما على ما صححه فيها في صلاة الجماعة من انه قصير وهو ما في المنهاج والروضة فقد يقال القياس البطلان لان تطويل الركن القصير يبطل عمده ويسن للمنفرد والامام برضا المحصورين الجمع في قنوت الوتر بين القنوت السابق وبين قنوت عمر وهو اللهم انا نستعينك الى آخره والاولى تاخيره عن القنوت السابق وليسن رفع يديه رواه البيهقي باسناد جيد قال في المجموع وفي سن مسح وجهه بهما وجهان اشهرهما واصحهما لا قال البيهقي ولا احفظ في مسحه هنا عن احد من السلف شيئا وان روي عن بعضهم في الدعا خارج الصلاة ومسح غير الصدر كالصدر مكروه وقال النووي في الاذكار اختلف اصحابنا في رفع اليدين في القنوت ومسح الوجه بهما على ثلاثة اوجه اصحها يستحب رفعهما ولا يمسح الوجه والثاني يرفع ويمسحه والثالث لا يمسح ولا يرفع واتفقوا على انه لا يمسح غير الوجه من الصدر ونحوه بل قالوا ذلك مكروه انتهى ويجهر الامام دون المنفرد بالقنوت وان كانت الصلاة سرية للاتباع رواه البخاري قال الماوردي وليكن جهره دون جهره بالقراءة فان سمعه المأموم امن كما كانت الصحابة يؤمنون خلفه صلى الله عليه وسلم في ذلك رواه ابو داود باسناد حسن ويوافقه في الثناء سرا او يسكت لانه ثناء وذكر لا يليق به التامين والدعاء يشمل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيؤمن فيها صرح به الطبري وان لم يسمع المأموم قنوت الامام قنت معه سرا كبقية الاذكار والدعوات ولا قنوت بغير وتر وصبح الا لنازلة من خوف او قحط او وباء او جراد او نحوها فيستحب ان يقنت في مكتوبة غير الصبح لا منذورة وصلاة جنازة ونافلة وفي البخاري من حديث ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم جهر بالقنوت في النازلة انتهى ملخصا من شرح البهجة لشيخ الاسلام ابي يحيى زكريا الانصاري مع زيادة من غيره

الفصل الرابع في ذكر سجوده صلى الله عليه وسلم في الصلاة

اعلم ان السهو هو الغفلة عن الشيء وذهاب القلب الى غيره قاله الازهري وفرق بعضهم فيما حكاه القاضي عياض بين السهو والنسيان من حيث المعنى وزعم ان السهو جائز في الصلاة على الانبياء عليهم السلام بخلاف النسيان قال لان النسيان غفلة وآفة والسهو انما هو شغل فكان النبي صلى الله عليه وسلم يسهو في الصلاة ولا يغفل عنها وكان يشغله عن حركات الصلاة ما في الصلاة شغلا بها لا غفلة عنها انتهى قال ابن كيكلدي وهو ضعيف من جهة الحديث ومن جهة اللغة اما من جهة الحديث فلما ثبت في الصحيحين من قوله صلى الله عليه وسلم انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون واما من حيث اللغة فقول الازهري الماضي ونحوه قول الجوهري وغيره وقال في النهاية السهو في الشيء تركه عن غير علم والسهو عنه تركه مع العلم وهو فرق حسن دقيق وبه يظهر الفرق بين السهو الذي وقع من النبي صلى الله عليه وسلم غير مرة والسهو عن الصلاة الذي ذم الله تعالى فاعله وقد كان سهوه صلى الله عليه وسلم من اتمام نعمة الله على امته واكمال دينهم ليقتدوا به فيما يشرع لهم عند السهو وهذا معنى الحديث المنقطع الذي في الموطا الآتي التنبيه عليه ان شاء الله تعالى انما انسى او انسى لاسن فكان صلى الله عليه وسلم ينسى فيترتب على سهوه احكام شرعية تجري على سهو امته الى يوم القيمة

واختلف في حكمه فقال الشافعي مسنون كله وعن المالكية السجود للنقص واجب دون الزيادة
وعن الحنابلة التفصيل بين الواجبات فيجب لتركها سهوا وبين السنن القولية فلا يجب وكذا يجب
اذا سهى بزيادة فعل او قول يبطلها عمده وعن الحنفية واجب كله وحجتهم قوله عليه السلام
في حديث ابن مسعود عند البخاري ليسجد سجدتين والامر للوجوب وقد ثبت من فعله صلى الله
عليه وسلم وافعاله في الصلاة محمولة على البيان وبيان الواجب ولا سيما مع قوله عليه السلام
صلوا كما رايتموني اصلي انتهى وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم السجود على قسمين الاول
السجود قبل التسليم فعن الاعرج عن عبد الله بن بحينة انه قال صلى لنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ركعتين من بعض الصلوات ثم قام فلم يجلس فقام الناس معه فلما قضى صلاته
ونظرنا تسليمه كبر قبل التسليم فسجد سجدتين وهو جالس ثم سلم رواه البخاري وفي رواية له
عن يحيى بن سعيد عن عبد الله بن بحينة ايضا انه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قام من اثنتين من الظهر لم يجلس بينهما فلما قضى صلاته سجد سجدتين ثم سلم بعد ذلك
وفي روايته ايضا عن الاعرج عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام في صلاة الظهر
وعليه جلوس فلما اتم صلاته سجد سجدتين يكبر في كل سجدة وهو جالس قبل ان يسلم وسجدهما
الناس معه مكان ما نسي من الجلوس ورواه مسلم ايضا وزاد الضحاك عن الاعرج عند ابن خزيمة
بعد قوله ثم قام فلم يجلس فسبحوا به فمضى حتى فرغ من صلاته وفي رواية الترمذي قام في الظهر
وعليه جلوس فلما اتم صلاته سجد سجدتين يكبر في كل سجدة وهو جالس قبل ان يسلم
وفي هذا مشروعية سجود السهو وانه سجدتان فلو اقتصر على سجدة واحدة ساهيا
لم يلزمه شيء او عمدا بطلت صلاته لانه تعمد الاتيان بسجدة واحدة ليست مشروعة
وانه يكبر لهما كما يكبر في غيرهما من السجود واستدل به على ان سجود السهو قبل السلام
ولا حجة فيه في كون جميعه كذلك نعم يرد على من زعم ان جميعه بعد السلام كالحنفية
واستدل به ايضا على ان المأموم يسجد مع الامام اذا سهى الامام وان لم يسه المأموم
وان سجود السهو لا تشهد بعده وان محله اخر الصلاة فلو سجد للسهو قبل ان يتشهد
ساهيا اعاد عند من يوجب التشهد الاخير وهم الجمهور وفيه ان من سهى عن التشهد الاول
حتى قام الى الركعة ثم ذكر لا يرجع فقد سبحوا به صلى الله عليه وسلم كما في رواية ابن
خزيمة فلم يرجع فلو تعمد المصلي الرجوع بعد تلبسه بالركن بطلت صلاته عند الشافعي
القسم الثاني السجود بعد التسليم عن ابي سلمة عن ابي هريرة قال صلى بنا
النبي صلى الله عليه وسلم الظهر او العصر فسلم فقال له ذو اليدين الصلاة يا رسول الله
انقصت فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه احق ما يقول قالوا نعم فصلى ركعتين اخريين
ثم سجد سجدتين قال سعد ورايت عروة بن الزبير صلى المغرب ركعتين فسلم وتكلم
ثم صلى ما بقي وسجد سجدتين وقال هكذا فعل النبي صلى الله عليه وسلم رواه البخاري
فقال ان المراد به وقوله صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهر في ان ابا هريرة
حضر القصة وحمله الطحاوي على المجاز فقال ان المراد به صلى بالمسلمين وسبب ذلك
قول الزهري ان صاحب القصة استشهد ببدر فان مقتضاه ان تكون القصة وقعت

قبل بدر وقد جوز بعض الائمة ان تكون القصة وقعت لكل من ذي الشمالين وذي اليدين وان ابا
هريرة روى الحديثين فارسل احدهما وهو قصة ذي الشمالين وشاهد الاخرى وهي قصة ذي اليدين
وهذا محتمل في طريق الجمع وروى البخاري ايضا عن ابن سيرين عن ابي هريرة قال صلى بنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم احدى صلاتي العشي قال محمد بن سيرين واكثر ظني العصر ركعتين ثم سلم ثم قام
الى خشبة في مقدم المسجد فوضع يده عليها وفيهم ابو بكر وعمر فهابا ان يكلماه وخرج سرعان الناس
فقالوا اقصرت الصلاة ورجل يدعوه النبي صلى الله عليه وسلم ذا اليدين فقال انسيت ام قصرت
فقال لم انس ولم تقصر فقال بلى قد نسيت فصلى ركعتين ثم سلم ثم كبر فسجد مثل سجوده
او اطول ثم رفع راسه وكبر ثم وضع راسه فكبر فسجد مثل سجوده او اطول ثم رفع راسه
وكبر وعن عمران بن الحصين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى العصر فسلم في ثلاث
ركعات ثم دخل منزله فقام اليه رجل يقال له الخرباق وكان في يديه طول فقال يا رسول الله
فذكر صنيعه وخرج غضبان يجر رداءه حتى انتهى الى الناس فقال اصدق هذا قالوا نعم
فصلى ركعة ثم سلم ثم سجد سجدتين ثم سلم رواه مسلم وهو من افراده ولم يروه
البخاري ورواه احمد وابو داود والخرباق بكسر الخاء المعجمة وسكون الراء بعدها موحدة واخره
قاف هو اسم ذي اليدين كما ذهب اليه الاكثر وطول يديه يمكن ان يحمل على الحقيقة او كناية
عن طولها بالعمل او البذل قال الحافظ ابن حجر الظاهر في نظري توحد حديث ابي هريرة
وان كان قد جنح ابن خزيمة ومن تبعه الى تعدد هذه القصة والحامل لهم على ذلك
الاختلاف الواقع في السياقين ففي حديث ابي هريرة ان السلام وقع من اثنتين وانه
صلى الله عليه وسلم قام الى خشبة في المسجد وفي حديث عمران ان هذا انه سلم من ثلاث
وانه دخل منزله لما فرغ من الصلاة فاما الاول فقد حكى ابن كيكلدي العلائي ان بعض
شيوخه حمله على ان المراد انه سلم في ابتداء الركعة الثالثة واستبعده ولكن طريق
الجمع يكتفى فيها بادنى مناسبة وليس بابعد من دعوى تعدد القصة فانه يلزم منه
كون ذي اليدين في كل مرة استفهم النبي صلى الله عليه وسلم واستفهم النبي صلى الله
عليه وسلم الصحابة عن صحة قوله واما الثاني فلعل الراوي لما راه تقدم من مكانه
الى جهة الخشبة ظن انه دخل منزله لكون الخشبة كانت في جهة منزله فان كان
كذلك والا فرواية ابي هريرة ارجح لموافقة ابن عمر له على سياقه كما اخرجه الشافعي
وابو داود وابن ماجه وابن خزيمة انتهى وعن معاوية ابن خديج بضم الخاء المهملة
اخره جيم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى يوما فانصرف وقد بقي من الصلاة
ركعة فادركه رجل فقال نسيت من الصلاة ركعة فرجع فدخل المسجد فامر بلالا فاقام
الصلاة فصلى بالناس ركعة فاخبرت بذلك الناس فقالوا اتعرف الرجل قلت لا
الا ان اراه فمر بي فقلت هو هذا فقالوا هذا طلحة بن عبيد الله رواه ابو داود والبيهقي
في سننهما وكذا ابن خزيمة في صحيحه وعين الصلاة المغرب وقال ايضا ابن خزيمة وهذه
القصة غير قصة ذي اليدين لان المعلم للنبي صلى الله عليه وسلم في هذه القصة طلحة
ابن عبيد الله ومخبره في تلك القصة ذو اليدين والسهو منه عليه السلام في قصة

ذي اليدين انما كان في الظهر او العصر وفي هذه القصة انما كان السهو في المغرب لا في الظهر ولا في العصر
وعن محمد بن سيرين عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف من اثنتين
فقال له ذو اليدين اقصرت الصلاة ام نسيت يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اصدق ذو اليدين فقال الناس نعم فقام صلى الله عليه وسلم فصلى اثنتين اخريين
ثم سلم ثم كبر فسجد مثل سجوده او اطول ثم رفع وفي رواية سلمة بن علقمة قلت لمحمد
ابن سيرين في سجدتي السهو تشهد فقال ليس في حديث ابي هريرة رواه البخاري ومسلم
ومالك وابو داود والترمذي والنسائي قال الحافظ ابن حجر لم يقع في غير هذه الرواية
لفظ القيام وقد استشكل لانه صلى الله عليه وسلم كان قائما واجيب بان المراد بقوله
فقام اي اعتدل لانه كان مستندا الى الخشبة كما مر وقد يفهم من قول محمد بن سيرين
عن التشهد ليس في حديث ابي هريرة انه ورد في حديث غيره وهو كذلك فقد روى ابو
داود والترمذي وابن حبان والحاكم من طريق اشعث بن عبد الملك عن محمد بن سيرين
عن خالد الحذاء عن ابي قلابة عن ابي المهلب عن عمران بن حصين ان النبي صلى الله عليه
وسلم صلى بهم فسجد سجدتين ثم تشهد ثم سلم قال الترمذي حسن غريب وقال الحاكم
صحيح على شرطهما وقال ابن حبان ما روى ابن سيرين عن خالد غير هذا الحديث وضعفه
البيهقي وابن عبد البر وغيرهما ووهموا رواية اشعث لمخالفته غيره من الحفاظ عن ابن
سيرين فزيادة اشعث شاذة لكن قد ورد في التشهد في سجود السهو عن ابن مسعود
عند ابي داود والنسائي وعن المغيرة عند البيهقي وفي اسنادهما ضعف فقد يقال
ان الاحاديث الثلاثة في التشهد باجتماعها ترتقي الى درجة الحسن قال العلائي وليس ذلك
ببعيد وقد صح ذلك عن ابن مسعود من قوله اخرجه ابن ابي شيبة انتهى ملخصا من فتح
الباري وفي رواية ابي سفيان عن ابي هريرة عند مسلم صلى لنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فسلم في ركعتين فقام ذو اليدين فقال اقصرت الصلاة يا رسول الله ام نسيت فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ذلك لم يكن فقال قد كان بعض ذلك يا رسول الله وفي
رواية ابي داود من طريق حماد بن زيد عن هشام بن حسان عن ابن سيرين في هذا الحديث
قال فكبر ثم كبر وسجد للسهو وهذا يؤيد من قال لا بد من تكبيرة الاحرام في سجود السهو
بعد السلام والجمهور على الاكتفاء بتكبيرة السجود وهو ظاهر غالب الاحاديث وقال ابو داود
لم يقل احد فكبر ثم كبر الا حماد بن زيد فاشار الى شذوذ تلك الزيادة ويحتمل ان تكون الخشبة
المذكورة في هذا الحديث الجذع الذي كان عليه السلام يستند اليه قبل اتخاذ المنبر
وانما وقع الاستفهام هل قصرت لان الزمان كان زمان النسخ وقوله فقال لم انس ولم
تقصر صريح في نفي النسيان وفي نفي القصر وفيه تفسير للمراد بقوله في رواية ابي سفيان
المتقدمة كل ذلك لم يكن وتاييد لما قاله اصحاب المعاني ان لفظ كل اذا تقدمت وعقبها
النفي كانت نفيا لكل فرد لا للمجموع بخلاف ما اذا تأخرت كان يقول لم يكن كل ذلك ولهذا
اجاب ذو اليدين في رواية ابي سفيان بقوله قد كان بعض ذلك واجابه في هذه الرواية
بقوله بلى قد نسيت لانه لما نفى الامرين وكان مقررا عند الصحابة ان السهو غير جائز عليه

في الامور البلاغية جزم بوقوع النسيان لا القصر وهو حجة لمن قال ان السهو جائز على الانبياء
فيما طريقه التشريع وان كان القاضي عياض نقل الاجماع على عدم جواز دخول السهو في الاقوال
التبليغية وخص الخلاف بالافعال لكنهم تعقبوه نعم اتفق من جوز ذلك على انه لا يقر عليه بل
يقع له بيان ذلك اما متصلا بالفعل او بعده كما وقع في هذا الحديث من قوله لم انس اي في
اعتقادي لا في نفس الامر ويستفاد منه ان الاعتقاد عند فقد اليقين يقوم مقام اليقين
وفائدة السهو في مثل ذلك بيان الحكم الشرعي اذا وقع مثله لغيره واما من منع السهو
مطلقا فاجابوا عن هذا الحديث باجوبة فقيل قوله لم انس نفي للنسيان ولا يلزم منه نفي
السهو وهذا قول من فرق بينهما وقد تقدم تضعيفه ويكفي فيه قوله في هذه الرواية
بل قد نسيت واقره على ذلك وقيل قوله لم انس على ظاهره وحقيقته وكان يتعمد ما يقع
منه من ذلك ليقع التشريع منه بالفعل لكونه ابلغ من القول وتعقب بحديث ابن مسعود
عند البخاري ومسلم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فزاد او نقص شك بعض الرواة
والصحيح انه زاد فلما سلم قيل له يا رسول الله احدث في الصلاة شيء قال وما ذاك قالوا
صليت كذا وكذا قال فثنى رجليه واستقبل القبلة وسجد سجدتين ثم سلم فلما اقبل علينا
بوجهه قال انه لو حدث في الصلاة شيء لنبأتكم به ولكن انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون
فاذا نسيت فذكروني واذا شك احدكم في صلاته فليتحر الصواب فليتم عليه ثم ليسلم
ثم ليسجد سجدتين ففيه اثبات العلة قبل الحكم بقوله انما انا بشر مثلكم ولم يكتف باثبات
وصف النسيان حتى دفع قول من عساه يقول ليس نسيانه كنسياننا فقال كما تنسون
وبهذا الحديث ايضا يرد قول من قال معنى قوله لم انس انكار للفظ الذي نفاه عن نفسه
حيث قال اني لا انسى ولكن انسى لاسن وانكار للفظ الذي انكره على غيره حيث قال
بئس ما لاحدكم ان يقول نسيت آية كذا وكذا وقد تعقبوا هذا ايضا بان حديث اني لا انسى
لا اصل له فانه من بلاغات مالك التي لم توجد موصولة بعد البحث الشديد وهي اربعة
قاله ابن عبد البر واما الآخر فلا يلزم من ذم اضافة نسيان الآية ذم اضافة نسيان كل شيء
فان الفرق بينهما واضح جدا وقيل ان قوله لم انس راجع الى السلام اي سلمت قصدا
بانيا على ما في اعتقادي اني صليت اربعا وهذا جيد وكان ذا اليدين فهم العموم فقال بلى
قد نسيت وكان هذا القول اذ اوقع شكا احتاج معه الى استثبات الحاضرين وبهذا
التقرير يندفع ايراد من استشكل كون ذي اليدين عدلا ولم يقبل خبره بمفرده
فسبب التوقف فيه كونه اخبر عن امر يتعلق بفعل المسئول مغايرا لما في اعتقاده
وبهذا يجاب من قال ان من اخبر بامر حسي بحضرة جمع لا يخفى عليهم ولا يجوز عليهم التواطي
ولا حامل لهم على السكوت عنه ثم لم يكذبوه انه لا يقطع بصدقه فان سبب عدم القطع كون
خبره معارضا باعتقاد المسئول خلاف ما اخبر به وفيه ان الثقة اذا انفرد بزيادة خبر
وكان المجلس متحدا او امتنع في العادة غفلتهم عن ذلك انه لا يقبل خبره وفيه جواز
البناء على الصلاة لمن اتى بالمنافي سهوا وقال سحنون انما يبني من سلم من ركعتين كما في
قصة ذي اليدين لان ذلك وقع على غير القياس فيقتصر به على مورد النص والزم بقصر

ذلك على إحدى صلاتي العشاء فيمنعه مثلا في الصبح والذين قالوا بجواز البناء مطلقا قيدوه
بما إذا لم يطل الفصل وفيه أن الكلام سهوا لا يقطع الصلاة خلافا للحنفية واستدل لهم
على أن نفي الكلام لمصلحة الصلاة لا يبطلها وتعقب بأنه صلى الله عليه وسلم لم يتكلم إلا ناسيا
وأما قول ذي اليدين له بلى قد نسيت وقول الصحابة له صدق ذو اليدين فإنهم تكلموا معتقدين
للنسخ في وقت يمكن وقوعه فيه فتكلموا ظنا أنهم ليسوا في صلاة كذا قيل وهو فاسد لأنهم
تكلموا بعد قوله عليه السلام لم تقصر وأجيب بأنهم لم ينطقوا وإنما أومؤوا كما عند أبي
داود في رواية ساق مسلم إسنادها وهذا اعتمده الخطابي وقال حمل القول على الإشارة
مجاز شائع بخلاف عكسه فينبغي رد الروايات التي فيها التصريح بالقول إلى هذه وهو قوي
أقوى من قول غيره يحمل على أن بعضهم قال بالنطق وبعضهم بالإشارة لكن يبقى قول ذي
اليدين ولا قد نسيت ويجاب عنه وعن البقية على تقدير ترجيح أنهم نطقوا بأن كلامهم كان
جوابا للنبي صلى الله عليه وسلم وجوابه لا يقطع الصلاة وتعقب بأنه لا يلزم من وجوب
الإجابة عدم قطع الصلاة وأجيب بأنه ثبت مخاطبته في التشهد وهو حي السلام عليك
أيها النبي ولم تفسد الصلاة والظاهر أن ذلك من خصائصه وعن عبد الله أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم صلى الظهر خمسا فقيل له أزيد في الصلاة فقال وما ذاك قالوا صليت خمسا
فسجد سجدتين بعدما سلم رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي بهذا
اللفظ إلا أن مسلما لم يقل فيه بعدما سلم وعبد الله هذا هو ابن مسعود ففي هذه الأحاديث
السجود بعد السلام وقد اختلف في ذلك فقال مالك والمزني وأبو ثور من الشافعية
بالتفرقة بينهما إذا كان السهو بالنقصان أو الزيادة ففي الأول يسجد قبل السلام وفي
الزيادة يسجد بعده وزعم ابن عبد البر أنه أولى من قول غيره للجمع بين الخبرين قال
وهو موافق للنظر لأنه في النقص جبر فينبغي أن يكون من أصل الصلاة وفي الزيادة
ترغيم للشيطان فيكون خارجها وقال ابن دقيق العيد لا شك أن الجمع أولى من الترجيح
وادعاء النسخ ويترجح الجمع المذكور بالمناسبة المذكورة وإذا كانت المناسبة ظاهرة
وكان الحكم على وفقها فيعم الحكم جميع محالها فلا يتخصص إلا بنص وتعقب بأن كون السجود
في الزيادة ترغيما للشيطان فقط ممنوع بل هو جبر أيضا لما وقع من الخلل فإنه وإن كان زيادة
فهو نقص في المعنى وقال الخطابي لم يرجع من فرق بين الزيادة والنقص إلى فرق صحيح
وأيضا فقصة ذي اليدين وقع فيها السجود بعد السلام وهي عن نقصان وأما قول النووي
أقوى المذاهب قول مالك ثم أحمد فقد قال غيره بل طريق أحمد أقوى لأنه قال يستعمل كل حديث
فيما يرد فيه وما لم يرد فيه شيء يسجد قبل السلام قال ولولا ما روي عن النبي صلى الله عليه
وسلم في ذلك لرأيته كله قبل السلام لأنه من شأن الصلاة فيفعله قبل التسليم وعند
إمامنا الشافعي سجود السهو كله قبل السلام وعند الحنفية كله بعد السلام واعتمد الحنفية
على حديث ابن مسعود هذا وتعقب بأنه لم يعلم بزيادة الركعة إلا بعد السلام حين سألوه هل زيد
في الصلاة وقد اتفق العلماء في هذه الصورة على أن سجود السهو بعد السلام لتعذره قبله
لعدم علمه بالسهو وإنما تابعه الصحابة لتجويزهم الزيادة في الصلاة لأنه كان زمان توقع النسخ

وأجاب بعضهم بما وقع في حديث ابن مسعود من الزيادة وهي وإذا شك أحدكم في صلاته فليتحر
الصواب فليتم عليه ثم ليسلم ثم يسجد سجدتين وأجيب بأنه معارض بحديث أبي سعيد
عند مسلم ولفظه إذا شك أحدكم في صلاته فلم يدر كم صلى فليطرح الشك وليبن على
ما استيقن ثم يسجد سجدتين قبل أن يسلم وبه تمسك الشافعية وجمع بعضهم بينهما
بحمل الصورتين على حالتين ورجح البيهقي طريقة التخيير في سجود السهو قبل السلام
أو بعده ونقل الماوردي الإجماع على الجواز وإنما الخلاف في الأفضل وكذا أطلق النووي
وتعقب بأن إمام الحرمين نقل في النهاية الخلاف في الإجزاء عن المذهب واستبعد القول
بالجواز ويمكن أن يقال الإجماع الذي نقله الماوردي والنووي قبل هذه الآراء في المذاهب
المذكورة والله أعلم قاله الحافظ ابن حجر رحمه الله فلو سهى سهوين فأكثر كفاه عند الشافعي
ومالك وأبي حنيفة وأحمد سجدتان للجميع والجمهور أنه يسجد للسهو في التطوع كالفرض

الفصل الخامس فيما كان صلى الله عليه وسلم يقوله بعد انصرافه من الصلاة وجلوسه بعدها وسرعة انفتاله بعدها

عن ثوبان كان صلى الله عليه
وسلم إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا وقال اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت
يا ذا الجلال والإكرام رواه مسلم ولم يمكث مستقبل القبلة إلا مقدار ما يقول ذلك
وقد ثبت أنه كان إذا صلى أقبل على أصحابه فيحمل ما ورد من الدعاء بعد الصلاة على أنه
كان يقوله بعد أن يقبل على أصحابه بوجهه الشريف وقد كان عليه الصلاة والسلام
يسرع الانفتال إلى المأمومين وكان ينفتل عن يمينه وعن يساره قال ابن مسعود
رأيته صلى الله عليه وسلم كثيرا ينصرف عن يساره رواه الشيخان وقال أنس أكثر ما رأيته
صلى الله عليه وسلم ينصرف عن يمينه رواه مسلم وقالت أم سلمة كان إذا سلم مكث
في مكانه يسيرا قالت فنرى والله أعلم لكي ينصرف النساء قبل أن يدركهن الرجال رواه البخاري
وقالت عائشة رضي الله عنها كان لم يقعد إلا مقدار ما يقول اللهم أنت السلام ومنك السلام
تباركت يا ذا الجلال والإكرام رواه مسلم وهذا الحديث يتمسك به من قال إن الدعاء بعد
الصلاة لا يشرع والجواب أن المراد بالنفي المذكور نفي استمراره عليه السلام جالسا على هيئته
قبل السلام إلا بقدر أن يقول ما ذكر وكان يقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك
وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد
منك الجد رواه الشيخان من حديث المغيرة بن شعبة وكان يقول بأعلى صوته
لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا حول ولا قوة
إلا بالله العلي العظيم لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن
الجميل لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون رواه مسلم من حديث عبد الله
ابن الزبير وعن سعد أنه كان يعلم بنيه هؤلاء الكلمات ويقول إن رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يتعوذ بهن دبر كل صلاة اللهم إني أعوذ بك من الجبن وأعوذ بك من البخل
وأعوذ بك من أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا وعذاب القبر رواه البخاري
وعن زيد بن أرقم قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دبر كل صلاة اللهم ربنا

ورب كل شيء انا شهيد انك الرب وحدك لا شريك لك اللهم ربنا ورب كل شيء انا شهيد ان محمدا
عبدك ورسولك اللهم ربنا ورب كل شيء انا شهيد ان العباد كلهم اخوة اللهم ربنا ورب كل شيء اجعلني
مخلصا لك واهلي في كل ساعة من الدنيا والاخرة يا ذا الجلال والاكرام اسمع واستجب الله اكبر
الله اكبر الله نور السموات والارض الله الاكبر حسبي الله ونعم الوكيل الله اكبر الله الاكبر رواه
ابو داود واحمد وقال في كتاب الهدي لابن القيم واما الدعا بعد السلام من الصلاة مستقبل
القبلة سوا المنفرد والامام والماموم فلم يكن ذلك من هدي النبي صلى الله عليه وسلم اصلا ولا روي
عنه باسناد صحيح ولا حسن وخصص بعضهم ذلك بصلاتي الفجر والعصر ولم يفعله النبي صلى
الله عليه وسلم ولا الخلفا بعده ولا ارشد اليه امته وانما هو استحسان رآه من رآه عوضا من السنة
بعدها قال وعامة الادعية المتعلقة بالصلاة انما فعلها فيها وامر بها فيها قال وهذا هو اللايق بحال
المصلي فانه مقبل على ربه مناجيه فاذا سلم منها انقطعت المناجاة وانتهى موقفه وقربه
فكيف يترك سواله في حال مناجاته والقرب منه وهو مقبل عليه ثم يساله اذا انصرف عنه
ثم قال لكن الاذكار الواردة بعد المكتوبة تستحب لمن اتا بها ان يصلي على النبي صلى الله عليه
وسلم بعد ان يفرغ منها ويدعو بما شا ويكون دعاوه عقب هذه العبادة الثانية وهي الذكر
لا لكونه دبر المكتوبة انتهى وقد كان في خاطري من دعواه النفي مطلقا شي لما سيأتي ثم رايت
شيخ مشايخنا امام الحفاظ ابا الفضل بن حجر تعقبه فقال وما ادعاه من النفي مطلقا
مردود فقد ثبت عن معاذ بن جبل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له يا معاذ والله اني
لاحبك فلا تدع دبر كل صلاة ان تقول اللهم اعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك
اخرجه ابو داود والنسائي وحديث زيد بن ارقم سمعته صلى الله عليه وسلم يدعو في دبر
الصلاة اللهم ربنا ورب كل شي اخرجه ابو داود والنسائي وصححه ابن حبان وغير ذلك ثم قال
فان قيل المراد بدبر الصلاة قرب اخرها وهو التشهد قلنا قد ورد الامر بالذكر دبر
الصلاة والمراد به بعد السلام اجماعا فكذا هذا حتى يثبت ما يخالفه وقد اخرج الترمذي
من حديث ابي امامة قيل يا رسول الله اي الدعا اسمع قال جوف الليل الاخير ودبر
الصلوات المكتوبات وقال حسن واخرج الطبري من رواية جعفر بن محمد الصادق قال الدعا
بعد المكتوبة افضل من الدعا بعد النافلة كفضل المكتوبة على النافلة قال وفهم كثير من الحنابلة
ان مراد ابن القيم نفي الدعا بعد الصلاة مطلقا وليس كذلك فان حاصل كلامه انه نفاه بقيد
استمرار استقبال القبلة وايراده عقب السلام واما اذا انفتل بوجهه او قدم الاذكار
المشروعة فلا يمتنع عنده الاتيان بالدعا حينيذ انتهى وكان عليه السلام حين تمام الصلاة
في المسجد اذا ام قليلا جلس واذا ام جماعة صلى رواه ابو داود وقال ابو مسعود
البدري كان صلى الله عليه وسلم يمسح مناكبنا في الصلاة ويقول استووا ولا تختلفوا
فتختلف قلوبكم ليليني منكم اولوا الاحلام والنهى ثم الذين يلونهم رواه مسلم وقال ابن
عباس قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فقمت عن يساره فاخذ بيدي من وراء
ظهري فعدلني كذلك من وراء ظهري الى الشق الايمن رواه البخاري ومسلم وقال
انس سقط صلى الله عليه وسلم عن فرس فجحش شقه الايمن فدخلنا عليه نعوده فحضرت

الصلاة

الصلاة فصلى بنا قاعدا فصلينا وراه قعودا فلما قضى الصلاة قال انما جعل الامام ليوتم به
فاذا ركع فاركعوا حتى قال واذا صلى قاعدا فصلوا قعودا اجمعين زاد بعض الرواة واذا صلى
قايما فصلوا قياما رواه البخاري ومسلم قال الحميدي ومعاني ساير الروايات متقاربة وزاد
البخاري قوله اذا صلى جالسا فصلوا جلوسا هو في مرضه القديم وقد صلى في مرضه الذي مات فيه
جالسا والناس خلفه قياما لم يامرهم بالقعود وانما يوخذ بالاخر فالاخر من امره صلى الله عليه
وسلم انتهى وقال الشافعي وابو حنيفة وجمهور السلف لا يجوز للقادر على القيام ان يصلي
خلف القاعد الا قايما واحتجوا بان النبي صلى الله عليه وسلم صلى في مرض موته بعد هذا قاعدا
وابو بكر والناس خلفه قياما وان كان بعض العلما زعم ان ابا بكر رضي الله عنه هو الامام
والنبي صلى الله عليه وسلم مقتد به لكن الصواب انه صلى الله عليه وسلم كان هو الامام

الباب الثاني في ذكر صلاته صلى الله عليه وسلم الجمعة

عن انس بن مالك
قال اتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم بمراة بيضا فيها نكتة سودا فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم ما هذه فقال هذه الجمعة فضلت بها انت وامتك والناس لكم فيها تبع اليهود والنصارى
ولكم فيها خير وفيها ساعة لا يوافقها عبد مومن يدعو الله بخير الا استجيب له وهو عندنا
يوم المزيد فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل وما يوم المزيد فقال ان ربك اتخذ في الفردوس
واديا افيح فيه كثب من مسك فاذا كان يوم الجمعة انزل الله ما شا من ملايكته وحوله
منابر من نور عليها مقاعد النبيين وحفت تلك المنابر بمنابر من ذهب مكللة بالياقوت
والزبرجد عليها الشهدا والصديقين فجلسوا من ورايهم على تلك الكثب فيقول الله انا ربكم
قد صدقتكم وعدي فسلوني اعطكم فيقولون ربنا نسالك رضوانك فيقول قد رضيت عنكم
ولكم ما تمنيتم ولدي مزيد فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم من الخير وفيه استوى
ربك على العرش رواه الشافعي في مسنده وروى مسلم من حديث ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق ادم
وفيه ادخل الجنة وفيه اخرج منها ولا تقوم الساعة الا في يوم الجمعة وروى البيهقي في
الدعوات من حديث انس كان صلى الله عليه وسلم اذا دخل رجب قال اللهم بارك لنا
في رجب وشعبان وبلغنا رمضان وكان يقول ليلة الجمعة ليلة اغر ويوم الجمعة يوم ازهر
وليوم الجمعة من الخواص ما يبلغ العشرين ذكرها ابن القيم في الهدي النبوي لا يسعها وليست
من غرضي وهو افضل ايام الاسبوع كما ان يوم عرفة افضل ايام العام وكذلك ليلة القدر
وليلة الجمعة ولهذا كان لوقفة يوم الجمعة يوم عرفة مزية على ساير الايام وقال
ابو امامة بن النقاش يوم الجمعة افضل ايام الاسبوع ويوم النحر افضل ايام العام قال
وغير هذا لا يسلم قايله من اعتراض يعجز عن دفعه انتهى وعن ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال نحن الاخرون السابقون يوم القيامة بيد انهم اوتوا الكتاب
من قبلنا ثم هذا يومهم الذي فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فالناس لنا تبع
اليهود غدا والنصارى بعد غد رواه البخاري وفي رواية ابن عيينة عن ابي الزناد عند مسلم
نحن الاخرون ونحن السابقون اي الاخرون زمانا الاولون منزلة والمراد باليوم يوم الجمعة

وقوله بيد بفتح الموحدة واسكان المثناة من تحت وفتح الدال المهملة اي غير واذا عرفت هذا
فقوله تعالى انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه اي على نبيهم موسى حيث امرهم بالجمعة
فاختاروا السبت فاختلافهم في السبت كان اختلافا على نبيهم في ذلك اليوم لاجله فان
قيل هل في العقل وجه يدل على ان يوم الجمعة افضل من السبت والاحد وذلك لان اهل
الملل اتفقوا على انه تعالى خلق العالم في ستة ايام وبدا الخلق والتكوين في يوم الاحد
وفي يوم الجمعة فكان الفراغ يوم السبت فقالت اليهود نحن نوافق ربنا في ترك الاعمال
فعينوا السبت لهذا المعنى وقالت النصارى مبدا الخلق والتكوين يوم الاحد فنجعل هذا عيدا
لنا فهذان اليومان معقولان فما الوجه في جعل يوم الجمعة عيدا فالجواب ان يوم الجمعة
هو يوم الكمال والتمام وحصول الكمال والتمام يوجب الفرح الكامل والسرور العظيم فجعل يوم
الجمعة يوم العيد اولى من هذا الوجه والله اعلم قال ابن بطال وليس المراد في [illegible]
انه فرض عليهم يوم الجمعة بعينه فتركوه لانه لا يجوز لاحد ان يترك ما فرض الله عليه وهو
مومن وانما يدل والله اعلم انه فرض عليهم يوم من الجمعة وكل الى اختيارهم ليقيموا فيه
شريعتهم فاختلفوا فيه ولم يهدوا ليوم الجمعة كذا قال لكن قد روى ابن ابي حاتم عن
السدي التصريح بانه فرض عليهم يوم الجمعة بعينه فابوا ولفظه ان الله فرض على اليهود
الجمعة فابوا وقالوا يا موسى اجعل لنا يوم السبت فجعل عليهم وليس ذلك بعجيب من مخالفتهم
كما وقع لهم في قوله تعالى ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة وهم القائلون سمعنا وعصينا
ويحتمل قوله فهدانا الله له بان نص لنا عليه وان يراد الهداية اليه بالاجتهاد ويشهد للثاني
ما رواه عبد الرزاق باسناد صحيح عن محمد بن سيرين قال جمع اهل المدينة قبل ان يقدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل ان تنزل الجمعة فقالت الانصار ان لليهود يوما يجتمعون
فيه كل سبعة ايام وللنصارى مثل ذلك فهلم فلنجعل لنا يوما نجتمع فيه نذكر الله تعالى
ونصلي ونشكره فجعلوه يوم العروبة واجتمعوا الى اسعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ
وانزل الله تعالى بعد ذلك اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة وهذا وان كان مرسلا فله
شاهد باسناد حسن اخرجه احمد وابو داود وابن ماجه وصححه ابن خزيمة من حديث كعب
ابن مالك قال كان اول من صلى بنا الجمعة قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة
اسعد بن زرارة فمرسل ابن سيرين يدل على ان اولئك الصحابة اختاروا يوم الجمعة
بالاجتهاد ولا يمنع ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم علمه بالوحي وهو بمكة فلم يتمكن
من اقامتها ثم ولذلك جمع بهم اول ما قدم المدينة انتهى وقال ابن اسحق لما قدم عليه السلام
المدينة اقام بقبا في بني عمرو بن عوف يوم الاثنين ويوم الثلثا ويوم الاربعا ويوم الخميس
واسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة فادركته الجمعة في بني سالم فصلاها في المسجد الذي
في بطن الوادي فكانت اول جمعة صلاها بالمدينة وذلك قبل تاسيس مسجده وكان صلى الله
عليه وسلم يصلي الجمعة حين تميل الشمس رواه البخاري من حديث انس وفي رواية
اذا اشتد البرد بكر بالصلاة واذا اشتد الحر ابرد بالصلاة يعني الجمعة وفي رواية
سهل بن سعد عند البخاري ومسلم كنا نصلي معه صلى الله عليه وسلم الجمعة ونقيل بعد

بعد الجمعة ثم اعلم ان الخطبة شرط في انعقاد الجمعة لا تصح الا بها وقال سعيد بن جبير هي بمنزلة
الركعتين من صلاة الظهر فاذا تركها وصلى الجمعة فقد ترك ركعتين من صلاة الظهر ولم يكن يؤذن
في زمانه صلى الله عليه وسلم على المنار وبين يديه وانما كان بلال يؤذن وحده بين يديه صلى الله
عليه وسلم اذا جلس على المنبر كما صرح به ائمة الحنفية والمالكية والشافعية وغيرهم وعبارة
البرهان المرغيناني من الحنفية في هدايته واذا صعد الامام المنبر جلس واذن المؤذن بين
يدي المنبر بذلك جرى التوارث ولم يكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا هذا الاذان
وعبارة ابن الحاجب من المالكية ويحرم السعي عند اذان جلوس الخطبة وهو المعهود فلما كان
عثمان وكثروا باذان قبله على الزوراء ثم نقله هشام الى المسجد وجعل الاخر بين يديه انتهى
ونحوه قال ابن عبد الحق في تهذيب الطالب واما قول ابن ابي زيد في رسالته وهذا الاذان
الثاني احدثه بنو امية فقال شارحوه الفاكهاني وغيره يعني الثاني في الاحداث وهو
الاول في الفعل قال وكان بعض شيوخنا يقول الاول هو الثاني والثاني هو الاول ومفسره
ما تقدم انتهى وعبارة الزركشي كغيره من الشافعية ويجلس الامام على المستراح
ليستريح من تعب الصعود ثم يوذن المؤذن بعد جلوسه فان التاذين كان حين يجلس
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن قبله اذان فلما كان زمن عثمان وكثر الناس
امرهم بالتاذين ثانيا ثم يديم الجلوس الى فراغ المؤذن انتهى وعن السايب بن يزيد
قال كان النداء يوم الجمعة اوله اذا جلس الامام على المنبر على عهد النبي صلى الله
عليه وسلم وابي بكر وعمر فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثالث على الزوراء رواه
البخاري وقال الزوراء موضع بالسوق المدينة وفي رواية له ايضا ان التاذين الثاني
يوم الجمعة امر به عثمان حين كثر اهل المسجد وهو مفسر بما فسر به قول ابن زيد
السابق وعند ابن خزيمة كان الاذان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر
اذانين يوم الجمعة قال ابن خزيمة قوله اذانين يريد الاذان والاقامة تغليبا او
لاشتراكهما في الاعلام وللنسائي كان بلال يوذن اذا جلس النبي صلى الله عليه وسلم
على المنبر فاذا نزل اقام وفي رواية وكيع عن ابن ابي ذيب فامر عثمان بالاذان الاول
ونحوه للامام الشافعي من هذا الوجه قال في فتح الباري ولا منافاة بينهما لانه باعتبار
كونه مزيدا يسمى ثالثا وباعتبار كونه مقدما على الاذان والاقامة يسمى اولا واما
قوله في رواية البخاري التاذين الثاني فمتوجه بالنظر الى الاذان الحقيقي وقال الشيخ
خليل في التوضيح واختلف النقل هل كان يوذن بين يديه عليه السلام او على المنار
الذي نقله اصحابنا انه كان على المنار نقله ابن القاسم عن مالك في المجموعة ونقل
ابن عبد البر في كافيه عن مالك ان الاذان بين يدي الامام ليس من الامر القديم وقال
غيره هو اصل الاذان في الجمعة وكذا نقل صاحب تهذيب المطالب والمازري وفي الاستذكار
ان هذا اشتبه على بعض اصحابنا فانكروا ان يكون الاذان يوم الجمعة بين يدي الامام
كان في زمنه عليه السلام وابي بكر وعمر وان ذلك حدث في زمان هشام قال وهذا
قول من قل علمه ثم استشهد بحديث السايب بن يزيد المروي في البخاري السابق ثم قال

وقد رفع الإشكال فيه ابن إسحاق عن الزهري عن السائب بن يزيد قال كان يؤذن بين يدي النبي
صلى الله عليه وسلم إذا جلس على المنبر يوم الجمعة وأبي بكر وعمر انتهى والحكمة في جعل الأذان
في هذا المحل ليعرف الناس بجلوس الإمام على المنبر فينصتون له إذا خطب قاله المهلب
قال في فتح الباري وفيه نظر فإن في سياق محمد بن إسحاق عند الطبراني وغيره في هذا الحديث
أن بلالا كان يؤذن على باب المسجد فالظاهر أنه كان لمطلق الإعلام لا لخصوص الإنصات والذي
يظهر أن الناس أخذوا بفعل عثمان في جميع البلاد إذ ذاك لكونه كان حينئذ خليفة مطاع الأمر
لكن ذكر الفاكهي أن أول من أحدث الأذان الأول بمكة الحجاج وبالبصرة زياد وفي تفسير جويبر
عن الضحاك عن معاذ أن عمر أمر مؤذنين أن يؤذنا للناس الجمعة خارجا من المسجد حتى يسمع
الناس وأمر المؤذن بين يديه كما كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر ثم قال عمر
نحن ابتدعناه لكثرة المسلمين وهذا منقطع بين مكحول ومعاذ لا يثبت وقد تواترت
الأخبار أن عثمان هو الذي زاده فهو المعتمد وقد روى عبد الرزاق ما يقوي هذا الأثر
عن ابن جريج قال قال سليمان بن موسى أول من زاد الأذان بالمدينة عثمان فقال عطاء
كلا إنما كان يدعو الناس ولا يؤذن غير أذان واحد انتهى لكن عطاء لم يدرك عثمان بن عفان
فرواية من أثبت ذلك عنه مقدمة على إنكاره ويمكن الجمع بأن الذي كان في زمن عمر بن الخطاب
استمر على عهد عثمان ثم رأى أن يجعله أذانا وأن يكون على محل عال ففعل ذلك فنسب إليه
لكونه بألفاظ الأذان وترك ما كان يفعله عمر لكونه مجرد إعلام وروى ابن أبي شيبة عن ابن عمر
قال الأذان الأول يوم الجمعة بدعة فيحتمل أن يكون قال ذلك على سبيل الإنكار وأن يكون
أراد أنه لم يكن في زمنه عليه الصلاة والسلام لأن كل ما لم يكن في زمنه عليه السلام
يسمى بدعة لكن منها ما يكون حسنا ومنها ما يكون غير ذلك ثم إن فعل عثمان رضي الله عنه
كان إجماعا سكوتيا لأنهم لم ينكروه عليه انتهى وأول جمعة جمعها النبي صلى الله عليه
وسلم بأصحابه كما قدمناه في حديث الهجرة في بني سالم بن عوف في بطن واديهم فخطبهم وهي
أول خطبة خطبها بالمدينة وقال فيها الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأستهديه
وأومن به ولا أكفره وأعادي من يكفر به وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد
أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق والنور والموعظة والحكمة على فترة
من الرسل وقلة من العلم وضلالة من الناس وانقطاع من الزمان ودنو من الساعة وقرب
من الأجل من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعص الله ورسوله فقد غوى وفرط وضل
ضلالا بعيدا أوصيكم بتقوى الله فإنه خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضه على الآخرة
وأن يأمره بتقوى الله واحذروا ما حذركم الله من نفسه فإن تقوى الله لمن عمل به على وجل
ومخافة من ربه عون وصدق على ما تبتغون من الآخرة ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمره
في السر والعلانية لا ينوي به إلا وجه الله يكن له ذكرا في عاجل أمره وذخرا فيما بعد الموت
حين يفتقر المرء إلى ما قدم وما كان مما سوى ذلك يود لو أن بينه وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله
نفسه والله رؤوف بالعباد هو الذي صدق قوله وأنجز وعده لا خلف لذلك فإنه يقول ما يبدل
القول لدي وما أنا بظلام للعبيد فاتقوا الله في عاجل أمركم وآجله في السر والعلانية فإنه من

يتق

يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا ومن يتق الله فقد فاز فوزا عظيما وإن تقوى الله توقي مقته
وتوقي عقوبته وسخطه وإن تقوى الله يبيض الوجه ويرضي الرب ويرفع الدرجة خذوا بحظكم ولا
تفرطوا في جنب الله قد علمكم كتابه ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين فأحسنوا
كما أحسن الله إليكم وعادوا أعداءه وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين
ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ولا حول ولا قوة إلا بالله فأكثروا ذكر الله واعملوا
لما بعد الموت فإنه من يصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس ذلك بأن الله يقضي
على الناس ولا يقضون عليه ويملك من الناس ولا يملكون منه الله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله
العظيم ذكر هذه الخطبة القرطبي في تفسيره وغيره وكان صلى الله عليه وسلم يخطب متوكئا
على قوس أو عصا وفي سنن ابن ماجه أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا خطب في الحرب خطب
على قوس وإذا خطب في الجمعة خطب على عصا ولأبي داود بإسناد حسن أنه صلى الله
عليه وسلم قام متوكئا على قوس أو عصا قالوا والحكمة في التوكؤ على نحو السيف الإشارة إلى أن
هذا الدين قام بالسلاح ولهذا قبضه باليسرى كعادة من يريد الجهاد به ونازع فيه العلامة
ابن القيم في الهدي النبوي وقال إن الدين لم يقم إلا بالقرآن والوحي كذا قال والله أعلم
وكان عليه السلام إذا صعد المنبر سلم رواه ابن ماجه وكان صلى الله عليه وسلم يخطب
قائما يجلس ثم يقوم فيخطب قائما رواه مسلم من رواية جابر بن سمرة وفي رواية له كانت له
صلى الله عليه وسلم خطبتان يجلس بينهما يقرأ القرآن ويذكر الناس وفي حديث ابن عمر عند أبي
داود كان عليه السلام يخطب خطبتين كان يجلس إذا صعد المنبر حتى يفرغ المؤذن ثم يقوم
فيخطب قال ابن المنذر والذي عليه أهل العلم من علماء الأمصار الخطبة قائما ونقل غيره عن أبي
حنيفة أن القيام في الخطبة سنة وليس بواجب وعن مالك رواية أنه واجب فإن تركه أساء
وصحت الخطبة وعند الباقين أن القيام شرط للقادر كالصلاة واستدل لوجوبه بحديث جابر بن سمرة
وبمواظبته صلى الله عليه وسلم على القيام وبمشروعية الجلوس بين الخطبتين فلو كان
القعود مشروعا في الخطبتين ما احتيج إلى الفصل بالجلوس ولأن الذي نقل عنه الجلوس
وهو معاوية كان معذورا فعند ابن أبي شيبة من طريق الشعبي أن معاوية إنما خطب قاعدا
لما كثر شحم بطنه واستدل الشافعي رحمه الله بوجوب الجلوس بين الخطبتين بما تقدم وبمواظبة
النبي صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم يقول بعد الثناء أما بعد كما قاله البخاري
وكان صلى الله عليه وسلم إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه
منذر جيش يقول صبحكم ومساكم ويقول بعثت أنا والساعة كهاتين ويفرق بين أصبعيه
السبابة والوسطى ويقول أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله
وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة ثم يقول أنا أولى بكل مؤمن من نفسه من ترك مالا
فلأهله ومن ترك دينا أو ضياعا فإلي أو علي رواه مسلم والنسائي من حديث جابر وفي رواية
كانت خطبته صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة يحمد الله ويثني عليه ثم يقول على إثر ذلك وقد علا
صوته وذكر نحوه وفي أخرى كان يخطب الناس يحمد الله ويثني عليه بما هو أهله ثم يقول
من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وخير الحديث كتاب الله ثم ذكر نحو ما تقدم

اصبعيه صح

وعن ام هشام بنت حارثة بن النعمان قالت ما اخذت ق والقران المجيد الا على لسان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقرؤها كل جمعة على المنبر اذا خطب رواه مسلم وعن الحكم بن حزن
الكلفي قال قدمت الى النبي صلى الله عليه وسلم سابع سبعة او تاسع تسعة فلبثنا عنده
اياما شهدنا فيها الجمعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكئا على قوس او قال على عصا
فحمد الله واثنى عليه كلمات خفيفات طيبات مباركات ثم قال ايها الناس انكم لن تفعلوا ولن
تطيقوا كلما امرتكم به ولكن سددوا وابشروا رواه احمد وابو داود وعن يعلى بن امية
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ على المنبر ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك
رواه البخاري ومسلم وعن ابي الدرداء قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم جمعة
فقال توبوا الى الله قبل ان تموتوا وبادروا بالاعمال الصالحة قبل ان تشتغلوا وصلوا الذي
بينكم وبين ربكم تسعدوا واكثروا الصدقة ترزقوا وامروا بالمعروف تخصبوا وانهوا عن
المنكر تنصروا ايها الناس ان اكيسكم اكثركم للموت ذكرا واكرمكم احسنكم استعدادا له
الا وان من علامات العقل التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والتزود لسكنى
القبور والتاهب ليوم النشور رواه ورواه ابن ماجة من حديث جابر بن عبد الله
مختصرا بنحوه وفي مراسيل ابي داود عن الزهري قال كان صدر خطبة النبي صلى الله
عليه وسلم الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور انفسنا من يهد الله
فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله
ارسله بالحق بشيرا ونذيرا بين يدي الساعة من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما
فقد غوى نسال الله ربنا ان يجعلنا ممن يطيعه ويطيع رسوله ويتبع رضوانه ويجتنب
سخطه وعنه ايضا قال بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول
اذا خطب كل ما هو آت قريب لا بعد لما هو آت يريد الله امرا ويريد الناس امرا ما شاء الله
كان ولو كره الناس ولا مبعد لما قرب الله ولا مقرب لما بعد الله لا يكون شيء الا باذن الله
عز وجل وقال جابر كان صلى الله عليه وسلم اذا خطب يوم الجمعة يقول بعد ان يحمد الله
ويصلي على انبيائه ايها الناس ان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم وان لكم نهاية فانتهوا
الى نهايتكم ان العبد المؤمن بين مخافتين بين اجل قد مضى لا يدري ما الله قاض فيه
وبين اجل قد بقي لا يدري ما الله صانع فيه فلياخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه
لآخرته ومن الشبيبة قبل الكبر ومن الحياة قبل الممات والذي نفسي بيده ما بعد
الموت من مستعتب وما بعد الدنيا من دار الا الجنة او النار اقول قولي هذا واستغفر الله
لي ولكم رواه وعن عمرو ان النبي صلى الله عليه وسلم خطب يوما فقال الا ان الدنيا عرض
حاضر يأكل منها البر والفاجر الا وان الآخرة اجل صادق ويقضي فيها ملك قادر الا وان
الخير كله بحذافيره في الجنة الا وان الشر كله بحذافيره في النار الا فاعملوا وانتم من الله
على حذر واعلموا انكم معروضون على اعمالكم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل
مثقال ذرة شرا يره رواه الشافعي وعند ابو نعيم في الحلية بنحوه واختلف هل يجب
الانصات ويمنع من جميع انواع الكلام حال الخطبة وعن الشافعي في المسئلة قولان مشهوران

وبناها

وبناها بعض الاصحاب على الخلاف في ان الخطبتين بدل عن الركعتين ام لا فعلى الاول يحرم
لا على الثاني والثاني هو الارجح عندهم فمن ثم اطلق منهم اباحة الكلام حتى شنع من شنع
عليهم من المخالفين وعن احمد ايضا روايتان وعنهما ايضا التفرقة بين من يسمع الخطبة
وبين من لا يسمعها واغرب ابن عبد البر فنقل الاجماع على وجوب الانصات على من سمعها
الا عن قليل من التابعين ودخل ابو سليك الغطفاني وهو صلى الله عليه وسلم يخطب
فقال له صلى الله عليه وسلم صليت قال لا قال قم فاركع ركعتين رواه البخاري ومسلم وابو داود واستدل
به على ان الخطبة لا تمنع الداخل من صلاة تحية المسجد وتعقب بانها واقعة عين لا عموم لها
فيحتمل اختصاصها بسليك ويدل عليه قوله في حديث ابي سعيد عند اهل السنن جاء رجل
والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب في هيئة بذة فقال له اصليت قال لا قال صل ركعتين وحض
الناس على الصدقة الحديث فامره ان يصلي ليراه بعض الناس وهو قائم فيتصدق عليه
ويؤيده ايضا ما يؤيد الخصوصية وهو ما اخرجه ابن حبان وهو قوله صلى الله عليه وسلم
لسليك في آخر الحديث لا تعودن لمثلها ومما يضعف الاستدلال به على جواز التحية في تلك
الحالة انهم اطلقوا ان التحية تفوت بالجلوس فهذا اما اقبل به من طعن في الاستدلال
بهذه القصة على جواز التحية وكله مردود لان الاصل عدم الخصوصية والتعليل
بكونه عليه السلام قصد التصدق عليه لا يمنع القول بجواز التحية فان المانعين منها
لا يجيزون التطوع لعلة التصدق قال ابن المنير لو ساغ ذلك لساغ مثله في التطوع
عند طلوع الشمس وسائر الاوقات المكروهة ولا قائل به ومما يدل على ان امره بالصلاة
لم ينحصر في قصد التصدق معاودته عليه السلام بامره بالصلاة في الجمعة الثانية
بعد ان حصل له في الجمعة الاولى ثوبين فدخل بهما في الثانية فتصدق باحدهما فنهاه
صلى الله عليه وسلم عن ذلك اخرجه النسائي وابن خزيمة من حديث ابي سعيد ايضا
ولاحمد وابن حبان انه كرر امره بالصلاة ثلاث مرات في ثلاث جمع فدل على ان قصد
التصدق عليه جزء علة لا علة كاملة واما اطلاق من اطلق ان التحية تفوت بالجلوس فقد
حكى النووي في شرح مسلم عن المحققين ان ذلك في حق العامد العالم اما الجاهل والناسي
فلا وحال هذا الداخل محمولة في الاولى على احدهما وفي المرتين الاخريين على النسيان ولكن
للمانعين على التاويل المذكور انهم زعموا ان ظاهره معارض للامر بالانصات والاستماع
للخطبة وقد اجاب الحافظ ابن حجر عن ذلك وغيره من ادلة المانعين بما يطول ذكره
ثم قال وهذه الاجوبة التي قدمناها تندفع من اصلها بعموم قوله صلى الله عليه وسلم
في حديث ابي قتادة اذا دخل احدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين متفق عليه
قال وورد اخص منه في حال الخطبة ففي رواية شعبة عن عمرو بن دينار قال سمعت جابر
ابن عبد الله يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب اذا جاء احدكم والامام
يخطب او قد خرج فليصل ركعتين متفق عليه ولمسلم من طريق ابي سفيان عن جابر انه
قال ذلك في قصة سليك ولفظه بعد قوله فاركعهما وتجوز ثم قال اذا جاء احدكم يوم الجمعة
والامام يخطب فليركع ركعتين وليتجوز فيهما قال النووي هذا نص لا يتطرق اليه التاويل

ولا اظن كما ابلغه هذا اللفظ المعتمد ويعتقده صحيحا فيخالفه وقال العارف ابن ابي جمرة
هذا الذي اخرجه مسلم نص في الباب لا يحتمل التاويل انتهي وقد قال قوم انما امره صلي الله عليه
وسلم بسنة الجمعة التي قبلها ومستندهم قوله عليه السلام في قصة سليك عند ابن ماجة
اصليت ركعتين قبل ان تجيء من البيت وهذا قال الحمد واعي ان كان يصلي في البيت قبل ان يجيء
فلا يصلي اذا دخل المسجد **وتعقب** ان المانع من صلاة التحية لا يجيز التنفل حال الخطبة
مطلقا ويحتمل ان يكون معني قوله قبل ان يجيء اي الي الموضع الذي انتبه الان وفايدة الاستفهام
احتمال ان يكون صلاهما في مؤخر المسجد ثم تقدم ليقترب من سماع الخطبة ويؤيده ان في رواية
مسلم اصليت الركعتين بالالف واللام وهي للعهد ولا عهد هناك اقرب من تحية المسجد واما
سنة الجمعة التي قبلها فلم يتبين في الكلام فيها انشا الله تعالي **وكانت** صلاته صلي الله عليه وسلم
قصدا وخطبته قصدا رواه مسلم والترمذي من رواية جابر بن سمرة زاد في رواية
ابي داود يقرا بايات من القرآن ويذكر الناس وله في اخري كان لا يطيل الموعظة يوم الجمعة
انما هو كلمات يسيرات **وعن** عمرو بن حريث انه صلي الله عليه وسلم خطب وعليه عمامة سودا
قد ارخي طرفيها بين كتفيه رواه مسلم قال ابن القيم في الهدي وكان عليه السلام اذا اجتمع
الناس خرج اليهم وحده من غير شاويش يصيح بين يديه ولا لبس طيلسانا ولا طرحة ولا سوادا
فاذا دخل المسجد سلم عليهم فاذا صعد المنبر استقبل الناس بوجهه الكريم وسلم عليهم ثم
يجلس وياخذ بلال في الاذان فاذا فرغ منه قام صلي الله عليه وسلم فخطب من غير فصل
بين الاذان والخطبة لا بايراد خبر ولا غيره ولم يكن ياخذ بيده سيفا ولا غيره وانما كان يعتمد
علي قوس او عصي قبل ان يتخذ المنبر وكان يامر الناس بالدنو منه ويامرهم بالانصات
انتهي وينظر في قوله ولم يكن ياخذ بيده سيفا ولا غيره وكان صلي الله عليه وسلم يقرا بسورة
الجمعة في الركعة الاولي واذا جاءك المنافقون في الثانية رواه مسلم والترمذي
وابو داود والحكمة في قراءته عليه السلام بسورة الجمعة اشتمالها علي وجوب الجمعة
وغير ذلك مما فيها من القواعد والحث علي التوكل والذكر وغير ذلك وقراءة سورة المنافقين
لتوبيخ حاضريها منهم وتنبيههم علي التوبة وغير ذلك مما فيها من القواعد والحث علي التوكل والذكر
وغير ذلك مما فيها من القواعد لانهم ما كانوا يجتمعون في مجلس اكثر من اجتماعهم فيها وفي حديث
النعمان بن بشير عند مسلم وكان يقرا في العيدين وفي الجمعة بسبح اسم ربك الاعلي وهل اتاك
حديث الغاشية **وقد اختلف** في العدد الذي تنعقد بهم الجمعة وللعلماء فيه خمسة عشر قولا
احدها تصح من الواحد نقله ابن حزم **الثاني** اثنان كالجماعة وهو قول النخعي واهل الظاهر
الثالث اثنان مع الامام عند ابي يوسف ومحمد والليث **الرابع** ثلاثة معه عند ابي حنيفة
وسفيان الثوري **الخامس** سبعة عند عكرمة **السادس** تسعة عند ربيعة **السابع**
اثنا عشر عن ربيعة ايضا في رواية **الثامن** مثله غير الامام عند اسحق **التاسع** عشرون
في رواية ابن حبيب عن مالك **العاشر** ثلاثون كذلك **الحادي عشر** اربعون بالامام منهم
امامنا الشافعي واشترط كونهم احرارا بالغين عقلاء مقيمين لا يظعنون صيفا ولا شتاء الا لحاجة
وان يكونوا حاضرين من اول الخطبة الي ان تتم الجمعة ووجه الشافعي ما رواه الدارقطني

وابن ماجة والبيهقي في الدلائل عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال كنت قائد ابي حين ذهب
بصره فاذا خرجت به الي الجمعة فسمع الاذان صلي علي ابي امامة واستغفر له قال فمكث
كذلك حينا لا يسمع الاذان في الجمعة الا فعل ذلك فقلت له يا ابه استغفارك لابي امامة
كلما سمعت اذان الجمعة ما هو قال اي بني هو اول من جمع بالمدينة قال قلت له كم كنتم يومئذ
قال اربعون رجلا **وقال** جابر بن عبد الله مضت السنة ان في كل ثلاثة اماما وفي كل
اربعين فما فوق ذلك جمعة خرجه الدارقطني وروي البيهقي عن ابن مسعود انه صلي الله
عليه وسلم جمع بالمدينة وكانوا اربعين رجلا قال شيخ الاسلام زكريا الانصاري قال
في المجموع قال اصحابنا وجه الدلالة ان الامة اجمعوا علي اشتراط العدد والاصل الظهر فلا تصح
الجمعة الا بعدد ثبت فيه توقيف وقد ثبت جوازها باربعين وثبت صلوا كما رايتموني اصلي
ولم يثبت صلاته لها باقل من ذلك فلا يجوز باقل منه قال واما خبر انفضاضهم فلم يبق الا
اثنا عشر فليس فيه انهم ابتدوها باثني عشر بل يحتمل عودهم او عود غيرهم مع سماعهم اركان
الخطبة وفي مسلم انفضوا في الخطبة وفي رواية للبخاري انفضوا في الصلاة وهي محمولة
علي الخطبة جمعا بين الاخبار انتهي **الثاني عشر** اربعون غير الامام عند الشافعي ايضا
وبه قال عمر بن عبد العزيز **الثالث عشر** خمسون عند احمد في رواية وحكيت عن عمر
ابن عبد العزيز **الرابع عشر** ثمانون حكاه المازري **الخامس عشر** جمع كثير بغير حصر
ولعل هذا الاخير ارجحها من حيث الدليل قاله في فتح الباري

الباب الثالث في ذكر تهجده صلوات الله وسلامه عليه

قال الله تعالي له عليه السلام ومن الليل فتهجد به اي بالقران والمراد منه الصلاة المشتملة علي القران
والهجود في اللغة النوم وعن ابي عبيدة الهاجد النايم والهاجد المصلي بالليل **وعن** الازهري
الهاجد النايم وقال المازني التهجد الصلاة بعد الرقاد ثم صلاة اخري بعد رقدة قال
وهكذا كانت صلاة رسول الله صلي الله عليه وسلم وقوله تعالي نافلة لك اي عبادة
زايدة في فرايضك ويمكن نصرة هذا القول بان قوله فتهجد امر وصيغة الامر للوجوب
فوجب كون هذا التهجد واجبا وروي الطبري عن ابن عباس ان النافلة للنبي صلي الله
عليه وسلم خاصة لانه امر بقيام الليل وكتب عليه دون امته واسناده ضعيف
وقيل معناه زيادة لك خالصة لان تطوع غيره يكفر ما علي صاحبه من ذنب وتطوعه
هو صلي الله عليه وسلم يقع خالصا له لكونه لا ذنب عليه فكل طاعة ياتي بها صلي الله عليه
وسلم سوي المكتوبة انما تكون لزيادة الدرجات وكثرة الحسنات ولهذا سمي نافلة
بخلاف الامة فان لهم ذنوبا محتاجة الي الكفارات فهذه الطاعات يحتاجون اليها لتكفير
الذنوب والسيات وروي مسلم من طريق سعد بن هشام عن عايشة قالت ان الله
افترض قيام الليل في اول هذه السورة يعني يا ايها المزمل فقام نبي الله صلي الله عليه
وسلم واصحابه حولا حتي انزل الله في اخر هذه السورة التخفيف فصار قيام الليل تطوعا
بعد فريضة وروي محمد بن نصر في قيام الليل من طريق سماك عن ابن عباس شاهدا لحديث
عايشة رضي الله تعالي عنها في ان بين الايجاب والنسخ سنة وحكي الشافعي عن بعض اهل

العلماء ان آخر السورة نسخ الافتراض في قيام الليل الا ما تيسر منه ثم نسخ فرض ذلك بالصلوات
الخمس وروى محمد بن نصر من حديث جابر ان نسخ قيام الليل وقع لما توجهوا مع ابي عبيدة
في جيش الخبط وكان ذلك بعد الهجرة لكن في اسناده علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف وهل
قيام الليل قد نسخ في حقنا وهل نسخ في حقه صلى الله عليه وسلم اكثر الاصحاب لا والصحيح
نعم ونقله الشيخ ابو حامد عن النص وقالت عايشة رضي الله عنها قام صلى الله عليه وسلم
حتى تورمت قدماه وفي رواية حتى تفطرت قدماه فقلت له لم تصنع هذا يا رسول الله
وقد غفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا قالت فلما بدن وكثر
لحمه صلى جالسا فاذا اراد ان يركع قام فقرا ثم ركع رواه البخاري ومسلم والفاء في قوله
افلا اكون للسببية وهي عن محذوف تقديره اأترك تهجدي فلا اكون عبدا والمعنى ان
المغفرة سبب لكون التهجد شكرا فكيف اتركه قال ابن بطال في هذا الحديث اخذ الانسان
على نفسه بالشدة في العبادة وان اضر ذلك ببدنه لانه صلى الله عليه وسلم اذا فعل ذلك
مع علمه بما سبق له فكيف بمن لم يعلم بذلك فضلا عمن لم يأمن انه استحق النار انتهى
ومحل ذلك كما قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ما لم يفض ذلك الى الملال لان حال النبي
صلى الله عليه وسلم كانت اكمل الاحوال فكان لا يمل من عبادة ربه وان اضر ذلك ببدنه
بل صح انه قال عليه السلام وجعلت قرة عيني في الصلاة كما اخرجه النسائي من حديث
انس فاما غيره صلى الله عليه وسلم فاذا خشي الملل ينبغي له ان لا يكد نفسه وعليه يحمل
قوله صلى الله عليه وسلم خذوا من الاعمال ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا انتهى
لكن ربما وسوست النفس او الشيطان على المجتهد في العبادة عند ما ذكرتموها اذا كبر
فتقول قد ضعفت وكبرت فابق على نفسك لئلا ينقطع عملك بالكلية وهذا وان كان ظاهره جميلا
لكن فيه دسائس فانه ان اطاعه فقد يكون استدراجا يؤول به الى ترك العمل شيئا فشيئا
الى ان ينقطع بالكلية وما ترك سيد المرسلين المغفور له شيئا من عمله بعد كبره بل كان
يصلي بعض ورده جالسا بعد ان كان يقوم حتى يتفطر قدماه فكيف بمن اثقلت ظهره الاوزار
ولا يامن من عذاب النار ان يغفل حال شبيبته ويتوانى عند ظهور شيبه فينبغي للانسان ان
يستعد قبل حلول مشيبه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك فان من شاب فقد لاح
صبح سواد شعره وقد قال تعالى منذرا لمن يدخل في الصباح ان موعدهم الصبح أليس الصبح
بقريب فكيف يترب من دخل في الصباح وظهر كوكب نهاره في افق راسه واحرق قال القرطبي
ظن من سأله صلى الله عليه وسلم عن سبب تحمله المشقة في العبادة انه انما يعبد الله
خوفا من الذنوب وطلبا للمغفرة والرحمة فمن تحقق انه غفر له لا يحتاج الى ذلك فافادهم
ان هناك طريقا آخر للعبادة وهو الشكر على المغفرة وايصال النعمة لمن لا يستحق عليه فيها
شيئا فيتعين كثرة الشكر على ذلك والشكر الاعتراف بالنعمة والقيام بالخدمة فمن كثر
ذلك منه سمي شكورا ومن ثم قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور وفيه ما كان النبي
صلى الله عليه وسلم عليه من الاجتهاد في العبادة والخشية من ربه قال العلماء انما
الزم الانبياء انفسهم لشدة الخوف لعلمهم بعظيم نعمة الله عليهم وانه ابتدأهم بها قبل استحقاقها

فبذلوا

فبذلوا مجهودهم في عبادته ليؤدوا بعض شكره مع ان حقوق الله اعظم من ان يقوم بها العباد
والله اعلم انتهى **ذكر سياق صلاته صلى الله عليه وسلم بالليل** عن شريح بن هاني
قالت عايشة رضي الله عنها ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء قط فدخل بيتي
الا صلى اربع ركعات او ست ركعات رواه ابو داود وكان يقوم اذا سمع الصارخ رواه البخاري
ومسلم من حديث عايشة وهو يصرخ في النصف الثاني وقالت كان عليه السلام ينام اول
الليل ويقوم آخره فيصلي ثم يرجع الى فراشه فاذا اذن المؤذن وثب فان كانت به حاجة
اغتسل والا توضأ وخرج رواه الشيخان وقالت ايضا كان عليه السلام ربما اغتسل في اول
الليل وربما اغتسل في آخره وربما اوتر في اول الليل وربما اوتر في آخره وربما جهر بالقراءة
وربما خفت وقالت ام سلمة كان يصلي ثم ينام قدر ما صلى ثم يصلي قدر ما نام ثم ينام
قدر ما صلى حتى يصبح رواه ابو داود والترمذي والنسائي وفي رواية للنسائي كان يصلي
العتمة ثم يسبح ثم يصلي بعدها ما شاء الله من الليل ثم ينصرف فيرقد مثل ما صلى ثم يستيقظ
من نومه ذلك فيصلي مثل ما نام وصلاته تلك الآخرة تكون الى الصبح وعن انس قال
ما كنا نشاء ان نرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الليل مصليا الا رأيناه ولا نشاء ان نراه نائما
الا رأيناه رواه النسائي وكان عليه الصلاة والسلام اذا استيقظ من الليل قال لا اله الا انت
سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك لذنبي واسالك رحمتك اللهم زدني علما ولا تزغ قلبي بعد اذ
هديتني وهب لي من لدنك رحمة انك انت الوهاب رواه ابو داود من حديث عايشة وعنها كان عليه
السلام اذا هب من الليل كبر عشرا وقال سبحان الله وبحمده عشرا وقال سبحان الملك القدوس عشرا
واستغفر عشرا وهلل الله عشرا ثم قال اللهم اني اعوذ بك من ضيق الدنيا وضيق يوم القيمة عشرا
ثم يفتتح الصلاة رواه ابو داود وقد رويت حديث قيامه بالليل ووتره عايشة وابن عباس
قال ابن القيم واذا اختلف ابن عباس وعايشة في شيء من امر قيامه بالليل فالقول قول
عايشة لكونها اعلم الخلق بقيامه بالليل انتهى فاما حديث ابن عباس فرواه البخاري ومسلم
بلفظ بت عند خالتي ميمونة ليلة والنبي صلى الله عليه وسلم عندها فتحدث صلى الله عليه
وسلم مع اهله ساعة ثم رقد فلما كان ثلث الليل الآخر او بعضه قعد فنظر الى السماء فقرا ان
في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار حتى ختم السورة ثم قام الى القربة فاطلق
شناقها ثم صب في الجفنة ثم توضأ وضوءا حسنا بين الوضوءين لم يكثر وقد ابلغ فقام فصلى
فقمت فتوضأت فقمت عن يساره فاخذ باذني فادارني عن يمينه فتتامت صلاته ثلاث عشرة ركعة
ثم اضطجع فنام حتى نفخ وكان اذا نام نفخ فآذنه بلال بالصلاة فصلى ولم يتوضأ وكان في دعائه
اللهم اجعل في قلبي نورا وفي بصري نورا وفي سمعي نورا وعن يميني نورا وعن يساري نورا
وفوقي نورا وتحتي نورا وامامي نورا وخلفي نورا واجعل لي نورا وزاد بعضهم وفي لساني نورا
وذكر عصبي ولحمي ودمي وشعري وبشري وفي رواية فصلى ركعتين خفيفتين قلت
قرأ فيهما بام الكتاب في كل ركعة ثم سلم ثم صلى احدى عشرة ركعة بالوتر ثم نام فاتاه بلال فقال
الصلاة يا رسول الله فقام فركع ركعتين ثم صلى للناس وفي رواية فقام فصلى ثلاث عشرة
ركعة منها ركعتا الفجر حزرت قيامه في كل ركعة بقدر يا ايها المزمل وفي رواية فصلى ركعتين

ركعتين خفيفتين ثم صلى ثماني ركعات ثم اوتر بخمس لم يجلس فيهن وفي رواية النسائي انه صلى احدى
عشرة ركعة بالوتر ثم نام حتى استثقل فرايته ينفخ فاتاه بلال الحديث وفي اخرى له فتوضأ
واستاك وهو يقرأ هذه الاية حتى فرغ منها ان في خلق السموات والارض ثم صلى ركعتين
ثم عاد فنام حتى سمعت نفخه ثم قام فتوضأ واستاك ثم صلى ركعتين ثم نام ثم قام فتوضأ
واستاك وصلى ركعتين واوتر بثلاث ولمسلم فاستيقظ فتسوك وتوضأ وهو يقول ان في خلق
السموات والارض حتى ختم السورة ثم قام فصلى ركعتين اطال فيهما القيام والركوع والسجود
ثم انصرف ونام حتى نفخ ثم فعل ذلك ثلاث مرات لست ركعات كل ذلك يستاك ويتوضأ ويقرأ
هؤلاء الايات ثم اوتر بثلاث واما حديث عايشة فعن سعد بن هشام قال انطلقت الى عايشة
فقلت يا ام المومنين انبئيني عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الست تقرأ القرآن
قلت بلى قالت كان خلقه القرآن قلت يا ام المؤمنين انبئيني عن وتر رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالت كنا نعد له صلى الله عليه وسلم سواكه وطهوره فيبعثه الله متى شاء ان يبعثه
من الليل فيتسوك ويتوضأ ويصلي تسع ركعات ولا يجلس فيها الا في الثامنة فيذكر الله ويحمده
ويدعوه ثم ينهض ولا يسلم فيصلي التاسعة ثم يقعد فيذكر الله ويحمده ويدعوه ثم يسلم تسليما
يسمعنا ثم يصلي ركعتين بعد ما يسلم وهو قاعد فتلك احدى عشرة ركعة يا بني فلما اسن
واخذه اللحم اوتر بسبع وصنع في الركعتين مثل صنيعه في الاول فتلك تسع يا بني رواه مسلم
وللنسائي كنا نعد له سواكه وطهوره فيبعثه الله لما شاء ان يبعثه من الليل فيستاك ويتوضأ
ويصلي تسع ركعات لا يجلس فيهن الا عند الثامنة ويحمد الله تعالى ويصلي على نبيه ويدعو بينهن
ولا يسلم ثم يصلي التاسعة ويقعد ويحمد الله ويصلي على نبيه ثم يسلم تسليما يسمعنا ثم يصلي
ركعتين وهو قاعد زاد في اخرى فتلك احدى عشرة ركعة يا بني فلما اسن صلى الله عليه
وسلم واخذ في اللحم اوتر بسبع ثم صلى ركعتين وهو جالس بعد ما سلم فتلك تسع اي بني
وفي رواية له فصلى ست ركعات يخيل الي انه سوى بينهن في القراءة والركوع والسجود
ثم يوتر بركعة ثم يصلي ركعتين وهو جالس ثم يضع جنبه وعن عايشة رضي الله عنها كان
صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل افتتح صلاته بركعتين خفيفتين رواه مسلم
واحمد وعنها كان عليه السلام يصلي فيما بين ان يفرغ من صلاة العشا الى الفجر احدى
عشرة ركعة يسلم من كل ركعتين ويوتر بواحدة فليسجد السجدة من ذلك قدر ما يقرأ
احدكم خمسين اية قبل ان يرفع راسه فاذا سكت المؤذن من صلاة الفجر وتبين له
الفجر قام فركع ركعتين خفيفتين ثم اضطجع على شقه الايمن حتى ياتيه المؤذن للاقامة
رواه ابو داود وعنها قالت كان يصلي ثلاث عشرة ركعة ويوتر من ذلك بخمس ولا يجلس
في شيء الا في آخرها رواه البخاري ومسلم وفي البخاري عن مسروق سالت عايشة
رضي الله عنها عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت سبع وتسع واحدى
عشرة سوى ركعتي الفجر وعنده ايضا عن القاسم بن محمد عنها كان صلى الله عليه وسلم
يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة منها الوتر وركعتا الفجر قال القرطبي اشكلت روايات
عايشة رضي الله عنها على كثير من اهل العلم حتى نسب بعضهم حديثها الى اضطراب وهذا

انما يتم

انما يتم لو كان الراوي عنها واحدا او اخبرت عن وقت واحد والصواب ان كل شيء ذكرته من ذلك
محمول على اوقات متعددة واحوال مختلفة بحسب النشاط وبيان الجواز انتهى فاما اجابته
مسروق فالمراد بها ان ذلك وقع منه في اوقات مختلفة فتارة كان يصلي سبعا وتارة تسعا
وتارة احدى عشرة واما حديث القاسم فمحمول على ان ذلك كان غالب احواله قيل
والحكمة في عدم الزيادة على احدى عشرة ان التهجد والوتر مختص بصلاة الليل وفرائض
النهار الظهر وهي اربع والعصر وهي اربع والمغرب وهي ثلاث وتر النهار فناسب ان يكون صلاة
الليل كصلاة النهار في العدد جملة وتفصيلا واما مناسبة ثلاث عشرة فبضم صلاة الصبح
لكونها نهارية الى ما بعدها انتهى وعن زيد بن خالد الجهني انه قال لارمقن صلاة رسول الله
صلى الله عليه وسلم الليلة قال فصلى ركعتين خفيفتين ثم صلى ركعتين طويلتين طويلتين طويلتين
ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما
ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما ثم اوتر فذلك ثلاث عشرة ركعة رواه مسلم وقوله
ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما اربع مرات هكذا في صحيح مسلم وموطا مالك
وسنن ابي داود وجامع الاصول لابن الاثير فقد كان قيامه عليه الصلاة والسلام
بالليل انواعا احدها ست ركعات يسلم من كل ركعتين ثم يوتر بثلاث كما في حديث
ابن عباس عند مسلم ثانيها انه كان يفتتح صلاته بركعتين خفيفتين ثم يتم ورده احدى
عشرة ركعة يسلم من كل ركعتين ويوتر بركعة رواه البخاري ومسلم من حديث
عايشة رضي الله تعالى عنها ثالثها ثلاث عشرة كذلك رواه مسلم من حديث زيد بن خالد
الجهني رابعها ثماني ركعات يسلم من كل ركعتين ثم يوتر بخمس سردا متوالية لا يجلس
الا في اخرهن رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما خامسها
تسع ركعات لا يجلس فيها الا في الثامنة فيذكر الله تعالى ويحمده ويدعو ثم ينهض ولا يسلم
فيصلي التاسعة ثم يقعد ويحمده ويدعوه ثم يسلم ثم يصلي ركعتين بعد ما يسلم قاعدا
رواه مسلم من حديث عايشة سادسها يصلي سبعا كالتسع ثم يصلي بعدها ركعتين
جالسا رواه مسلم ايضا من حديثها سابعها كان يصلي مثنى مثنى ثم يوتر بثلاث لا يفصل
بينهن رواه احمد عنها ثامنها ما رواه النسائي عن حذيفة انه صلى مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم في رمضان فركع فقال في ركوعه سبحان ربي العظيم مثل ما كان قائما ثم جلس
يقول رب اغفر لي رب اغفر لي فما صلى الا اربع ركعات حتى جاء بلال يدعوه الى الغداة
ورواه ابو داود ولفظه انه راى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل فكان يقول
الله اكبر ثلاثا ذو الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة ثم استفتح فقرأ البقرة ثم ركع
فكان ركوعه نحوا من قيامه وكان يقول في ركوعه سبحان ربي العظيم ثم رفع راسه من الركوع
فكان قيامه نحوا من ركوعه يقول لربي الحمد ثم سجد فكان سجوده نحوا من قيامه فكان
يقول في سجوده سبحان ربي الاعلى ثم رفع راسه من السجود وكان يقعد فيما بين السجدتين
نحوا من سجوده وكان يقول رب اغفر لي فصلى اربع ركعات قرأ فيهن البقرة وآل عمران
والنساء والمائدة او الانعام شك شعبة ورواه البخاري ومسلم بلفظ صليت مع رسول الله

صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت يركع عند المائة ثم مضى فقلت يصلي بها
في ركعة فمضى فقلت يركع بها ثم افتتح آل عمران فقراها ثم افتتح النساء فقراها يقرا مترسلا
اذا مر منها باية فيها تسبيح سبح واذا مر بسوال سال واذا مر بتعوذ تعوذ ثم ركع فجعل يقول
سبحان ربي العظيم فكان ركوعه نحوا من قيامه ثم قال سمع الله لمن حمده زاد في رواية ربنا
لك الحمد ثم قام قياما طويلا قريبا مما ركع ثم سجد فقال سبحان ربي الاعلى فكان سجوده قريبا
من قيامه ورواه النسائي لا يمر باية تخويف او تعظيم لله عز وجل الا ذكره وقد كانت هيئة
صلاته عليه الصلاة والسلام ثلاثا احدها انه كان اكثر صلاته قائما فعن حفصة رضي الله عنها
قالت ما رايته صلى الله عليه وسلم صلى في سبحته قاعدا حتى كان قبل وفاته بعام فكان يصلي
في سبحته قائما الحديث رواه احمد ومسلم والنسائي وصححه الترمذي الثاني كان يصلي قاعدا
ويركع قاعدا رواه البخاري ومسلم وغيرهما من حديث عائشة بلفظ واذا قرا وهو قاعد ركع
وسجد وهو قاعد الثالث كان يقرا قاعدا فاذا بقي يسير من قراءته قام فركع قائما رواه مسلم
من حديث عائشة رضي الله عنها ولفظه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي جالسا
فيقرا وهو جالس واذا بقي من قراءته قدر ما يكون ثلاثين اية او اربعين اية قام فقرا وهو قائم
ثم ركع ثم سجد ثم يفعل في الركعة الثانية مثل ذلك وعن عائشة رضي الله تعالى عنها كان صلى الله
عليه وسلم يصلي متربعا رواه الدارقطني وكان صلى الله عليه وسلم يصلي ركعتين بعد
الوتر جالسا تارة وتارة يقرا فيهما وهو جالس فاذا اراد ان يركع قام فركع قالت
عائشة رضي الله عنها كان يوتر بواحدة ثم يركع ركعتين بعد الوتر وهو جالس يقرا فيهما
اذا زلزلت والكافرون رواه احمد واختلف في هاتين الركعتين فانكرهما مالك وكذا النووي
في المجموع وقال احمد لا افعله ولا امنع منه انتهى والصواب انه انما فعلهما بيانا للجواز
الصلاة بعد الوتر ولعله كان لا يعده دواما ولا اكثرية هنا وغلط من ظنهما سنة راتبة
فانه صلى الله عليه وسلم ما داوم عليهما ولا شبه السنة بالفرض حتى يكون الوتر صلاة بعده
واما قيامه عليه السلام ليلة النصف من شعبان فعن عائشة رضي الله عنها
قالت قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل يصلي فاطال السجود حتى ظننت
انه قد قبض فلما رايت ذلك قمت حتى حركت ابهامه فتحرك فرجعت فلما رفع راسه من السجود
وفرغ من صلاته قال يا عائشة او يا حميراء اظننت ان النبي صلى الله عليه وسلم قد خاس بك
قلت لا والله يا رسول الله ولكني ظننت انك قبضت لطول سجودك فقال اتدرين اي ليلة
هذه قلت الله ورسوله اعلم قال هذه ليلة النصف من شعبان فيغفر للمستغفرين ويرحم
المسترحمين ويؤخر اهل الحقد كما هم رواه البيهقي من طريق العلاء بن الحارث عنها وقال هذا
مرسل جيد يعني ان العلاء لم يسمع من عائشة وقد ورد في فضل ليلة النصف من شعبان
احاديث كثيرة لكن ضعفها الاكثرون وصحح ابن حبان بعضها وخرجه في صحيحه ومن امثلها
كما نبه عليه الحافظ ابن رجب حديث عائشة قالت فقدت النبي صلى الله عليه وسلم فخرجت فاذا هو
بالبقيع رافع راسه الى السماء فقال اكنت تخافين ان يحيف الله عليك ورسوله فقلت يا رسول الله
ظننت انك اتيت بعض نسائك فقال ان الله تعالى ينزل ليلة النصف من شعبان الى سماء الدنيا

فيغفر

فيغفر لاكثر من عدد شعر غنم بني كلب رواه احمد وقال الترمذي ان البخاري ضعفه وفي سنن
ابن ماجه باسناد ضعيف عن علي مرفوعا اذا كان ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا
نهارها فان الله تعالى ينزل لغروب الشمس الى سماء الدنيا فيقول الا من مستغفر فاغفر له الا
من مسترزق فارزقه الا من مبتلى فاعافيه الا كذا الا كذا حتى يطلع الفجر وقد كان التابعون
من اهل الشام كخالد بن معدان ومكحول يجتهدون ليلة النصف من شعبان في العبادة وعنهم
اخذ الناس تعظيمها ويقال انه بلغهم في ذلك اثار اسرائيلية فلما اشتهر ذلك عنهم اختلف الناس
فيه فمنهم من قبله منهم وقد انكر ذلك اكثر العلماء من اهل الحجاز منهم عطا وابن ابي مليكة ونقله
عبد الرحمن بن زيد بن اسلم عن فقهاء اهل المدينة وهو قول اصحاب مالك وغيرهم وقالوا ذلك كله
بدعة واختلف علماء اهل الشام في صفة احيائها على قولين احدهما انه يستحب احياؤها جماعة
في المساجد وكان خالد بن معدان ولقمان بن عامر يلبسون فيها احسن ثيابهم ويتبخرون ويكتحلون
ويقومون في المسجد جماعة ليس ببدعة نقله عنه حرب الكرماني في مسائله والثاني
انه يكره الاجتماع لها في المساجد للصلاة والقصص والدعاء ولا يكره ان يصلي الرجل فيها
لخاصة نفسه وهذا قول الاوزاعي امام اهل الشام وفقيههم وعالمهم ولا يعرف للامام احمد
كلام في ليلة النصف من شعبان ويخرج في استحباب قيامها عنه روايتان من الروايتين
عنه في قيام ليلتي العيد فانه في رواية لم يستحب قيامها جماعة لانه لم ينقل عن النبي صلى الله
عليه وسلم ولا عن اصحابه فعلها واستحبها في رواية لفعل عبد الرحمن بن يزيد بن الاسود لذلك
وهو من التابعين وكذلك ليلة النصف من شعبان لم يثبت فيها شيء عن النبي صلى الله عليه
وسلم ولا عن اصحابه انما ثبت عن طائفة من التابعين من اعيان فقها اهل الشام انتهى
ملخصا من اللطائف واما قوله تعالى في سورة الدخان انا انزلناه في ليلة مباركة فالمراد بها
انزال الله تعالى القران في ليلة القدر وكان ذلك في شهر رمضان كما قال تعالى شهر رمضان
الذي انزل فيه القران قال الحافظ ابن كثير ومن قال انها ليلة النصف من شعبان كما روي
عن عكرمة فقد ابعد النجعة فان نص القران انها في رمضان واما الحديث الذي رواه عبد الله
ابن صالح عن الليث عن عقيل عن الزهري اخبرني عثمان بن محمد بن المغيرة بن الاخنس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقطع الاجال من شعبان الى شعبان حتى ان الرجل
لينكح ويولد له وقد خرج اسمه في الموتى فهو حديث مرسل ومثله لا يعارض به النصوص
واما قيامه صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان وهو الذي سمي بالتراويح جمع ترويحة
وهي المرة الواحدة من الراحة وسميت بذلك لانهم اول ما اجتمعوا عليها كانوا يستريحون
بين كل تسليمتين فعن عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل
العشر الاواخر من رمضان احيا الليل وايقظ اهله وجد وشد المئزر رواه البخاري ومسلم
وابو داود والنسائي ولمسلم قالت كان صلى الله عليه وسلم يجتهد في رمضان ما لا يجتهد
في غيره وفي العشر الاخير منه ما لا يجتهد في غيره وفي رواية الترمذي كان يجتهد في العشر
الاواخر ما لا يجتهد في غيرها وعنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في المسجد فصلى
بصلاته ناس ثم صلى من القابلة فكثر الناس ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة فلم يخرج اليهم رسول الله

صلى الله عليه وسلم فلما اصبح قال قد رايت الذي صنعتم ولم يمنعني من الخروج اليكم الا اني
خشيت ان تفرض عليكم وذلك في رمضان رواه البخاري ومسلم وابو داود وفي رواية للبخاري
ومسلم انه صلى الله عليه وسلم خرج من جوف الليل فصلى في المسجد فصلى رجال بصلاته ثم
فاصبح الناس يتحدثون بذلك فاجتمع اكثر منهم فخرج عليه السلام في الليلة الثانية فصلوا
بصلاته فلما اصبح الناس يذكرون ذلك فكثر اهل المسجد من الليلة الثالثة فخرج فصلوا بصلاته
فلما كان في الليلة الرابعة عجز المسجد عن اهله فلم يخرج اليهم صلى الله عليه وسلم فطفق رجال منهم
يقولون الصلاة فلم يخرج اليهم حتى خرج لصلاة الفجر فلما قضى الفجر اقبل على الناس ثم تشهد فقال اما بعد
فانه لم يخف علي شانكم الليلة ولكني خشيت ان تفرض عليكم صلاة الليل فتعجزوا عنها وفي رواية
بنحوه ومعناه مختصرا قال وذلك في رمضان قال في فتح الباري ظاهر هذا الحديث انه صلى الله
عليه وسلم توقع افتراض الصلاة بالليل جماعة على وجود المواظبة عليها وفي ذلك اشكال
وقد بناه بعض المالكية على قاعدتهم في ان الشروع ملزم وفيه نظر واجاب المحب الطبري
بانه يحتمل ان يكون الله عز وجل اوحى اليه انك ان واظبت على هذه الصلاة معهم افترضتها
عليهم فاحب التخفيف عنهم وقيل خشي ان يظن احد من الامة من مداومته عليها الوجوب
قال القرطبي اي يظنونه فرضا فيجب على من ظن ذلك كما اذا ظن المجتهد حل شيء او تحريمه
فانه يجب عليه العمل به واستشكل الخطابي اصل هذه الخشية مع ما ثبت في حديث
الاسرا من ان الله تعالى قال هن خمس وهن خمسون لا يبدل القول لدي فاذا امن التبديل
كيف يقع الخوف من الزيادة وهذا يدفع في صدر الاجوبة المتقدمة واجاب عنه
الخطابي بان صلاة الليل كانت واجبة عليه صلى الله عليه وسلم وافعاله الشرعية
يجب على الامة الاقتدا بها يعني عند المواظبة فترك الخروج اليهم لئلا يدخل ذلك
في الواجب من طريق الامر بالاقتدا به لا من طريق انشا فرض جديد زائد على الخمس وهذا
كما يوجب المرء على نفسه صلاة نذر فتجب عليه ولا يلزم من ذلك زيادة فرض في اصل
الشرع قال وفيه احتمال اخر وهو ان الله تعالى فرض الصلاة خمسين ثم حط معظمها
لشفاعة نبيه صلى الله عليه وسلم فاذا عادت الامة فيما استوهب لها والتزمت ما استعفا
نبيهم عليه الصلاة والسلام منه لم يستنكر ان يثبت ذلك فرضا قال الحافظ
ابن حجر وقد تلقى هذين الجوابين عن الخطابي جماعة كابن الجوزي وهو مبني على ان قيام الليل
كان واجبا على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى وجوب الاقتدا بافعاله وفي كل من الامرين
نزاع ثم اجاب بثلاث اجوبة احدها انه يحتمل ان يكون المخوف افتراض قيام الليل بمعنى
جعل التهجد في المسجد جماعة شرطا في صحة التنفل بالليل قال ويومي اليه قوله في حديث
زيد بن ثابت حتى خشيت ان يكتب عليكم ولو كتب عليكم ما قمتم به فصلوا ايها الناس في بيوتكم
فمنعهم من التجميع في المسجد اشفاقا عليهم من اشتراطه وامن مع اذنه في المواظبة على ذلك
في بيوتهم من افتراضه عليهم وثانيها ان يكون المخوف افتراض قيام الليل على الكفاية لا على الاعيان
فلا يكون ذلك زائدا على الخمس بل هو نظير ما ذهب اليه قوم في العيد ونحوها وثالثها يحتمل
ان يكون المخوف افتراض قيام رمضان خاصة فقد وقع في حديث الباب ان ذلك كان في رمضان

وفي حديث

وفي حديث سفيان بن حسين خشيت ان يفرض عليكم قيام هذا الشهر قال فعلى هذا يرتفع الاشكال
لان قيام رمضان لا يتكرر كل يوم في السنة فلا يكون ذلك قدرا زائدا على الخمس واقوى هذه
الاجوبة الثلاثة في نظري الاول وعن النعمان بن بشير قال قمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في شهر رمضان ليلة ثلاث وعشرين الى ثلث الليل الاول ثم قمنا معه ليلة خمس وعشرين الى نصف
الليل ثم قمنا معه ليلة سبع وعشرين حتى ظننا ان لا ندرك الفلاح وكانوا يسمونه السحور
رواه النسائي واختلف العلماء هل الافضل في صلاة التراويح ان تصلى جماعة في المسجد
او في البيوت فرادى فقال الشافعي وجمهور اصحابه وابو حنيفة وبعض المالكية وغيرهم الافضل
صلاتها جماعة كما فعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه والصحابة واستمر عمل المسلمين عليه لانه
من الشعائر الظاهرة واشبه صلاة العيد فان قلت قد ذكرت ان الحافظ ابن حجر حمل قوله
عليه السلام اني خشيت ان يفرض عليكم على التجميع في المسجد وقال انه اقوى الاجوبة فالجواب
انه صلى الله عليه وسلم لما مات حصل الامن من ذلك ورجح عمر التجميع لما في الاختلاف من افتراق
الكلمة ولان الاجتماع على واحد انشط لكثير من المصلين وقال مالك وابو يوسف وبعض الشافعية
وغيرهم الافضل صلاتها فرادى في البيوت لقوله عليه السلام افضل صلاة المرء في بيته
الا المكتوبة قالوا انما فعلها صلى الله عليه وسلم في المسجد لبيان الجواز او لانه كان معتكفا
واما عدد الركعات التي كان صلى الله عليه وسلم يصليها في رمضان فعن ابي سلمة انه
سال عائشة كيف كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان قالت ما كان يزيد
في رمضان ولا في غيره على احدى عشرة ركعة يصلي اربعا فلا تسال عن حسنهن وطولهن
ثم يصلي ثلاثا قالت عائشة رضي الله عنها فقلت يا رسول الله اتنام قبل ان توتر فقال
يا عائشة ان عيني تنامان ولا ينام قلبي رواه الشيخان البخاري ومسلم واما ما رواه
ابن ابي شيبة من حديث ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم يصلي في رمضان عشرين
ركعة والوتر فاسناده ضعيف وقد عارضه حديث عائشة هذا وهي اعلم بحال النبي
صلى الله عليه وسلم ليلا من غيرها وقد كان الامر من زمنه صلى الله عليه وسلم استمر
على ان كل واحد يقوم في رمضان في بيته منفردا حتى انقضى صدر من خلافة عمر وفي البخاري
ان عمر خرج ليلة الى المسجد فاذا الناس اوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه ويصلي
الرجل فيصلي بصلاته الرهط قال عمر اني لو جمعت هولا على قارئ واحد لكان امثل ثم عزم
فجمعهم على ابي بن كعب ثم خرج ليلة اخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم قال عمر
نعمت البدعة هذه والتي ينامون عنها افضل من التي يقومون يريد آخر الليل وكان الناس
يقومون اوله وانما اختار ابيا لانه كان اقراهم كما قال عمر رضي الله تعالى عنه وروى سعيد
ابن منصور من طريق عروة ان عمر جمع الناس على ابي بن كعب فكان يصلي بالرجال وكان
تميم الداري يصلي بالنساء وفي الموطا امر عمر ابي بن كعب وتميم الداري ان يقوما للناس
في رمضان وروى البيهقي باسناد صحيح ان الناس كانوا يقومون على عهد عمر بن الخطاب
رضي الله عنه في شهر رمضان بعشرين ركعة قال الحليمي والسر في كونها عشرين ان
الرواتب في غير رمضان عشر ركعات فضوعفت لانه وقت جد وتشمير وفي الموطا بثلاث

وعشرين وجمع البيهقي بينهم بانهم كانوا يوترون بثلاث وفي الموطا عن محمد بن يوسف عن السايب ابن يزيد انها احدي عشرة وعند عبد العزيز احدي وعشرين والجمع بين هذه الروايات ممكن باختلاف الاحوال ويحتمل ان ذلك الاختلاف بحسب تطويل القراة وتخفيفها فحيث تطول القراة تقل الركعات وبالعكس وقد روى محمد بن نصر من طريق داود بن قيس قال ادركت الناس في امارة ابان بن عثمان وعمر بن عبد العزيز يعني بالمدينة يقومون بست وثلاثين ركعة ويوترون بثلاث وقال مالك هو الامر القديم عندنا وعن الزعفراني عن الشافعي رايت الناس يقومون بالمدينة بتسع وثلاثين وبمكة بثلاث وعشرين وليس في شي من ذلك ضيق وعنه قال ان اطالوا القيام واقلوا السجود فحسن وان اكثروا السجود واخفوا القراة فحسن والاول احب الي انتهي وهل يجوز لغير اهل المدينة صلاتها ستا وثلاثين قال النووي قال الشافعي لا يجوز ذلك لغيرهم لان لاهلها شرفا بهجرته صلى الله عليه وسلم ومدفنه وخالفه قول الحليمي ومن اقتدي باهل المدينة فقام بست وثلاثين فحسن ايضا وينبغي ان يسلم من كل ركعتين فلو صلي ربعا بتسليمة لم يصح وفاقا للقاضي حسين في فتاويه ولو صلى سنة الظهر او العصر اربعا بتسليمة واحدة جاز والفرق ان التراويح بمشروعية الجماعة اشبهت الفرائض قاله النووي في فتاويه وصرح به في الروضة وقد كان صلى الله عليه وسلم يطيل القراة في قيام رمضان بالليل اكثر من غيره وقد صلي معه حذيفة ليلة في رمضان قال فقرا بالبقرة ثم النسا ثم آل عمران لا يمر باية تخويف الا وقف وسال قال فما صلي الركعتين حتى جا بلال فاذنه بالصلاة اخرجه احمد واخرجه النسايي وعنده انه ما صلي الا اربع ركعات وكان للشافعي في رمضان ستون ختمة يقراها في غير الصلاة

الباب الرابع في صلاته صلى الله عليه وسلم الوتر

قد صح عنه صلى الله عليه وسلم انه اوتر بخمس لم يجلس الا في اخرها لكن احاديث الفصل اثبت واكثر طرقا واحتج بعض الحنفية لما ذهبوا اليه من تعيين الوصل والاقتصار على ثلاث بان الصحابة اجمعوا على ان الوتر بثلاث موصولة حسن جايز واختلفوا فيما زاد ونقص قال فاخذنا بما اجمعوا عليه وتركنا ما اختلفوا فيه وتعقبه محمد بن نصر المروزي بما رواه من طريق عراك بن مالك عن ابي هريرة مرفوعا وموقوفا لا توتروا بثلاث تشبهوا بصلاة المغرب وقد صححه الحاكم وعن سليمان بن يسار انه كره الثلاث في الوتر وقال لا تشبهوا التطوع بالفريضة انتهى لكن قد روى الحاكم من حديث عايشة رضي الله تعالى عنها انه كان صلى الله عليه وسلم يوتر بثلاث لا يقعد الا في اخرهن وروى النسايي من حديث ابي بن كعب نحوه ولفظه يوتر بسبح اسم ربك الاعلى وقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد ولا يسلم الا في اخرهن وبين في عدة طرق ان السور الثلاث بثلاث ركعات والجمع بين هذا وبين ما تقدم من النهي عن التشبيه بصلاة المغرب ان يحمل النهي على صلاة الثلاث بتشهدين وقد فعله السلف ايضا وروى محمد بن نصر من طريق الحسن ان عمر كان ينهض في الثالثة من الوتر بالتكبير ومن طريق المسور بن مخرمة ان عمر اوتر بثلاث لم يسلم الا في آخرهن ومن طريق ابن طاوس عن ابيه انه كان يوتر بثلاث لا يقعد بينهن وكان ابن عمر يسلم من الركعة والركعتين في الوتر حتى يامر ببعض حاجته وهذا

ظاهره

ظاهره انه كان يصلي الوتر موصولا فان عرضت له حاجة فصل ثم بني على ما مضى وفي هذا رد على من قال لا يصح الوتر الا مفصولا واصرح من ذلك ما روى الطحاوي من طريق سالم بن عبد الله ابن عمر عن ابيه انه كان يفصل بين شفعه ووتره بتسليمة واخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعله واسناده قوي وقد استدل بعضهم على فضل الفصل بانه صلى الله عليه وسلم امر به وفعله واما الوصل فورد من فعله فقط وقد حمل المخالف من الحنفية كل ما ورد من الثلاث على الوصل مع ان كثيرا من الاحاديث ظاهر في الفصل كحديث عايشة رضي الله تعالى عنها يسلم من كل ركعتين فانه يدخل فيه الركعتان اللتان قبل الاخيرة فهو كالنص في موضع النزاع وحمل الطحاوي هذا ومثله على ان الركعة مضمومة الى الركعتين قبلها ولم يتمسك في دعوى ذلك الا بالنهي عن البتيرا مع احتمال ان يكون المراد بالبتيرا ان يوتر بواحدة فردة ليس قبلها شي وهو اعم من ان يكون مع الوصل او الفصل وقد اختلف السلف في امرين احدهما في مشروعية ركعتين بعد الوتر عن جلوس والثاني فيمن اوتر ثم اراد ان يتنفل في الليل هل يكتفي بوتره الاول وليتنفل ما شا او يشفع وتره بركعة ثم يتنفل ثم اذا فعل هل يحتاج الى وتر اخر ام لا فاما الاول فوقع عند مسلم من طريق ابي سلمة عن عايشة انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي ركعتين بعد الوتر وهو جالس وقد ذهب اليه بعض اهل العلم وجعلوا الامر في قوله اجعلوا آخر صلاتكم وترا بالليل مختصا بمن اوتر آخر الليل واجاب من لم يقل بذلك ان الركعتين المذكورتين هما ركعتا الفجر وحمله النووي على انه صلى الله عليه وسلم فعله لبيان جواز التنفل بعد الوتر وجواز التنفل جالسا واما الثاني فذهب الاكثر الى انه يصلي شفعا ما اراد ولا ينقض وتره عملا بقوله صلى الله عليه وسلم لا وتران في ليلة وهو حديث حسن اخرجه النسايي وابن خزيمة من حديث طلق ابن علي وانما يصح نقض الوتر عند من يقول بمشروعية التنفل بركعة واحدة غير الوتر واختلف السلف ايضا في مشروعية قضاء الوتر فنفاه الاكثر وفي مسلم وغيره عن عايشة رضي الله تعالى عنها انه صلى الله عليه وسلم كان اذا نام من الليل من وجع او غيره فلم يقم من الليل صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة وقال محمد بن نصر لم نجد عن النبي صلى الله عليه وسلم في شي من الاخبار انه قضى الوتر ولا امر بقضايه وعن عطا والاوزاعي يقضي ولو طلعت الشمس الى الغروب وهو وجه عند الشافعي حكاه النووي في شرح مسلم وعن سعيد بن جبير يقضي من القابلة وعن الشافعية يقضي مطلقا وقالت عايشة رضي الله تعالى عنها اوتر صلى الله عليه وسلم من كل الليل من اوله واوسطه وآخره وانتهى وتره الى السحر رواه البخاري ومسلم وابو داود والترمذي والنسايي والمراد باوله بعد صلاة العشا ويحتمل ان يكون اختلاف وقت الوتر باختلاف الاحوال فحيث اوتر اوله لعله كان وجعا وحيث اوتر وسطه لعله كان مسافرا واما وتره في اخره فكان غالب احواله لما عرف من مواظبته على الصلاة آخر الليل والسحر قبيل الصبح وحكى الماوردي انه السدس الاخير وقيل اول الفجر الاول وفي رواية طلحة بن نافع عن ابن عباس عند ابن خزيمة فلما انفجر الفجر قام صلى الله عليه وسلم فاوتر بركعة قال ابن خزيمة المراد الفجر الاول وروى احمد من حديث معاذ

يوتر فوما زاد ذبي صلاة وبين الوتر وقتها من العشا الى طلوع الفجر وفي اسناده ضعف وكذا في حديث
خارجة بن حذافة في السنن وهو الذي احتج به من قال بوجوب الوتر وليس صريحا في الوجوب
واما حديث بريدة يرفعه الوتر حق فمن لم يوتر فليس منا واعاد ذلك ثلاثا ففي سنده ابو
المنيب وفيه ضعف وعلي تقدير قوله فيحتاج من احتج به الى ان يثبت ان لفظة حق بمعنى
واجب في عرف الشارع وان لفظ واجب بمعنى ما ثبت من طريق الآحاد والله اعلم وقد كان
صلى الله عليه وسلم يصلي وعايشة راقدة معترضة على فراشه فاذا اراد ان يوتر
ايقظها فتوتر كما في البخاري وهذا يدل على استحباب جعل الوتر آخر الليل سوا المتهجد وغيره
ومحله اذا وثق ان يستيقظ بنفسه او بايقاظ غيره واستدل به على وجوب الوتر لكونه صلى الله
عليه وسلم سلك به مسلك الواجب حيث لم يدعها نائمة للوتر وابقاها للتهجد وتعقب بانه
بانه لا يلزم من ذلك الوجوب نعم يدل على تاكيد امر الوتر وانه فوق غيره من النوافل الليلية
وفيه استحباب ايقاظ النايم لادراك الصلاة ولا يختص ذلك بالمفروضة ولا بخشية خروج
الوقت بل يشرع ذلك لادراك الجماعة وادراك اول الوقت وغير ذلك من المندوبات قال
القرطبي ولا يبعد ان يقال انه واجب في الواجب مندوب في المندوب لان النايم وان لم يكن
مكلفا لكن مانعه سريع الزوال فهو كالغافل وتنبيه الغافل واجب والله اعلم وعن علي رضي الله
تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر بثلاث يقرا فيهن بتسع سور من المفصل
يقرا في كل ركعة بثلاث سور آخرهن قل هو الله احد رواه الترمذي وعن ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما كان يقرا في الوتر بسبح اسم ربك الاعلى وقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد
في ركعة ركعة وعن عايشة كان يقرا في الاولى بسبح اسم ربك الاعلى وفي الثانية بقل يا ايها
الكافرون وفي الثالثة بقل هو الله احد والمعوذتين رواه ابو داود والترمذي ولابي داود
وكان اذا سلم قال سبحان الملك القدوس وعند النسائي ثلاثا يطيل في آخرهن وفي رواية
ويرفع صوته بالثالثة وعن علي كان صلى الله عليه وسلم يقول في اخر وتره اللهم اني اعوذ
برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك لا احصي ثنا عليك انت كما اثنيت
على نفسك رواه ابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة قال ابن تيمية سنة الفجر تجري
مجرى بداية العمل والوتر خاتمته وقد كان صلى الله عليه وسلم يقرا في سنة الفجر وفي الوتر
بسورتي الاخلاص وهما الجامعتان لتوحيد العلم والعمل وتوحيد المعرفة والارادة وتوحيد الاعتقاد
فسورة قل هو الله احد متضمنة لتوحيد الاعتقاد والمعرفة وما يجب اثباته للرب تعالى من
الاحدية والصمدية المثبتة له جميع صفات الكمال الذي لا يلحقه نقص ونفي الولد والوالد
والكفو المتضمن لنفي التشبيه والنظير والمثيل فتضمنت اثبات كل كمال ونفي كل نقص عنه ونفي
كل شبيه وهذه هي مجامع التوحيد العلمي والاعتقادي فلذلك كانت تعدل ثلث القرآن فان
القرآن مداره على الخبر والانشا لانه امر ونهي واباحة والخبر نوعان خبر عن الخالق تعالى
واسمايه وصفاته واحكامه وخبر عن خلقه فاخلصت سورة الاخلاص للخبر عنه وعن اسمايه
وصفاته فعدلت ثلث القرآن وخلصت قاريها المؤمن بها من الشرك العلمي كما خلصته سورة قل
يا ايها الكافرون من الشرك العملي قاله ابن القيم واما القنوت في الركعة الآخرة من الوتر في النصف

الاخير

الاخير من شهر رمضان فقال النووي في الاذكار يستحب به ولم يذكر لذلك دليلا وقد اخرج ابو داود
باسناد بن رجاله ثقات لكن احدهما منقطع وفي الاخر راو لم يسم ان عمر لما جمع الناس على ابي بن كعب
كان لا يقنت الا في النصف الاخير وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال علمني جدي كلمات
اقولهن في الوتر اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت وبارك لي
فيما اعطيت تباركت ربنا وتعاليت وهذا اللفظ رواية شريك رواه الطبراني وغيره

الباب الخامس في ذكر صلاته صلى الله عليه وسلم الضحى

اختلف الرواة هل صلاها
النبي صلى الله عليه وسلم ام لا فمنهم المثبت ومنهم النافي فمن العلما من رجح رواية المثبت
على النافي جريا على القاعدة المعروفة لانها تتضمن زيادة علم خفيت على قالوا وقد يجوز ان يذهب
علم مثل هذا على كثير من الناس ويوجد عند الاقل ومنهم من رجح رواية النافي بقرينة
ولم يعتد برواية المثبت اما لضعفها او لعرفها كما سياتي عن صلوة الضحى قال الحاكم وفي
الباب عن ابي سعيد وابي ذر الغفاري وزيد بن ارقم وابي هريرة وبريدة الاسلمي وابي الدردا
وعبد الله بن ابي اوفى وعتبان بن مالك وعتبة بن عبد السلمي ونعيم بن همار الغطفاني وابي
امامة الباهلي وعايشة بنت ابي بكر وام هاني وام سلمة كلهم شهدوا ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان يصلي الضحى انتهى فاما حديث ابي سعيد فاخرجه الحاكم والترمذي عن عطية
العوفي عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى حتى نقول لا يدعها ويدعها
حتى نقول لا يصليها وقال الترمذي حسن غريب قال النووي عطية ضعيف فلعله اعتضد
واما حديث ابي ذر الغفاري فرواه البزار واما حديث زيد بن ارقم
فرواه مسلم بلفظ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي من الضحى الحديث واما حديث
ابي هريرة فرواه البزار في مسنده بلفظ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يترك
صلاة الضحى في سفر ولا غيره واسناده ضعيف فيه يوسف بن خالد السمتي ضعيف جدا
واما حديث بريدة الاسلمي فرواه واما حديث ابي الدردا
فرواه واما حديث ابن ابي اوفى فرواه ابن عدي والبزار والحاكم بلفظ
قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الضحى ركعتين يوم بشر براس ابي جهل
قال بعض العلما النافين لرواية المثبتين هذا الحديث ان كان صحيحا فهي صلاة شكر
وقعت وقت الضحى كشكره يوم فتح مكة واما حديث عتبان بن مالك فرواه احمد من
رواية محمود بن الربيع عنه انه صلى الله عليه وسلم صلى في بيته سبحة الضحى واما حديث
عتبة بن عبد فرواه ~~ابن عيينة والبزار والحاكم بطوله~~ واما حديث نعيم بن همار
فرواه واما حديث ابي امامة فرواه واما حديث عايشة فرواه مسلم
واحمد وابن ماجة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى اربعا ويزيد ما شا الله
وعن عبد الله بن شقيق قال سالت عايشة هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى
قالت لا الا ان يجي من مغيبه واما حديث ام هاني فرواه البخاري ومسلم قالت ان النبي
صلى الله عليه وسلم دخل بيتها يوم فتح مكة فاغتسل وصلى ثماني ركعات فلم ار صلاة قط
اخف منها غير انه يتم الركوع والسجود قالت في رواية اخرى وذلك ضحى ولمسلم ان رسول

والبيهقي

فقاموا وداروا وقتلوا [illegible]

ذكر [illegible] الصحيح المقابل [illegible]

صلى الله عليه وسلم صلى في بيتها عام الفتح ثماني ركعات في ثوب واحد قد خالف بين طرفيه وللنسائي انها ذهبت الى النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة تستره بثوب فسلمت فقال من هذا قلت ام هاني فلما فرغ من غسله قام فصلى ثماني ركعات يسلم من كل ركعتين ملتحفا في ثوب واحد ولابي داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح صلى سبحة الضحى ثماني ركعات يسلم من كل ركعتين وقد استدل بحديث البخاري ومسلم على استحباب تخفيف صلاة الضحى وفيه نظر لاحتمال ان يكون السبب فيه التفرغ لمهمات الفتح لكثرة شغله به وقد ثبت من فعله صلى الله عليه وسلم انه صلى الضحى فطول فيها اخرجه ابن ابي شيبة من حديث حذيفة واما حديث ام سلمة فرواه الحاكم من طريق اسحق بن بشر المحاربي قالت كان صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة الضحى ثنتي عشرة ركعة وروي عن جبير بن مطعم عن ابيه انه راى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى رواه الحاكم ايضا وعن انس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في السفر سبحة الضحى ثماني ركعات رواه احمد وصححه ابن خزيمة والحاكم وعن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي من الضحى رواه احمد وابو يعلى الا انه قال كان يصلي الضحى ورجال احمد ثقات وعن جابر ابن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الضحى ست ركعات رواه الحاكم قال الشيخ ولي الدين بن العراقي وقد ورد فيها احاديث كثيرة صحيحة مشهورة حتى قال محمد بن جرير الطبري انها بلغت حد التواتر وقال ابن العربي وهي كانت صلاة الانبيا قبل سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليهم قال الله تعالى مخبرا عن داود انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق فابقى الله تعالى من ذلك في دين محمد صلى الله عليه وسلم العصر ونسخ تسبيح صلاة الاشراق واحتج القايلون بالنفي بحديث عايشة رضي الله تعالى عنها ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدع العمل وهو يحب ان يعمل به خشية ان يعمل به الناس فيفرض عليهم وما سبح رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحة الضحى قط واني لاسبحها رواه البخاري ومسلم ومالك وابو داود وبحديث مورق العجلي قال قلت لابن عمر اتصلي الضحى قال لا قلت فعمر قال لا قلت فابو بكر قال لا قلت فالنبي صلى الله عليه وسلم قال لا اخاله رواه البخاري وقوله لا اخاله اي لا اظنه وهو بكسر الهمزة وبالفتح ايضا والخا المعجمة وقول الشعبي سمعت ابن عمر يقول لما ابتدع المسلمون افضل من صلاة الضحى وروي عن مجاهد قال دخلت انا وعروة ابن الزبير المسجد فاذا ابن عمر جالس عند حجرة عايشة واذا الناس في المسجد يصلون صلاة الضحى فسالناه عن صلاتهم فقال بدعة وروى ابن ابي شيبة باسناد صحيح عن الحكم ابن الاعرج قال سالت عن صلاة الضحى فقال بدعة ونعم البدعة وروى عبد الرزاق باسناد صحيح عن سالم عن ابيه قال لقد قتل عثمان وما احد يسبحها وما احدث الناس شيا احب الي منها وقد جمع العلما بين هذه الاحاديث بانه صلى الله عليه وسلم كان لا يداوم على صلاة الضحى مخافة ان تفرض على امته فيعجزوا عنها وكان يفعلها كما صرحت به عايشة رضي الله عنها كما تقدم وكما ذكرته ام هاني وغيرها وقول عايشة ما رايته صلاها لا يخالف قولها

رضي الله تعالى عنها صح

كان يصليها

كان يصليها لانه صلى الله عليه وسلم كان لا يكون عندها في وقت الضحى الا في النادر من الاوقات لانه قد يكون مسافرا وقد يكون حاضرا وفي الحضر قد يكون في المسجد وقد يكون في بيت من بيوت زوجاته وغيره وما راته صلاها في تلك الاوقات النادرة فقالت ما رايته وعلمت بغير رؤية انه كان يصليها باخباره صلى الله عليه وسلم وباخبار غيره فروت ذلك وقول ابن عمر لا اخاله فتوقف وكان سبب توقفه انه بلغه عن غيره انه صلاها ولم يثق بذلك عمن ذكره واما قوله انها بدعة فمؤول على انه لم تبلغه الاحاديث المذكورة واراد انه صلى الله عليه وسلم لم يداوم عليها وان اظهارها في المساجد ونحوها بدعة وانما سنتها النافلة في البيوت والله اعلم وبالجملة فليس في احاديث ابن عمر هذه ما يدفع مشروعية صلاة الضحى لان نفيه محمول على عدم رؤيته لا على عدم الوقوع في نفس الامر والذي نفاه صفة الضحى لان نفيه محمول على عدم رؤيته لا على عدم الوقوع في نفس الامر والذي نفاه صفة مخصوصة كما قدمناه وقد روى ابن ابي شيبة عن ابن مسعود انه راى قوما يصلونها فانكر عليهم وقال ان كان ولا بد ففي بيوتكم وذهب آخرون الى استحباب فعلها غبا فتصلى في بعض الايام دون بعض وكان ابن عباس يصليها يوما ويدعها عشرة ايام وذهب آخرون الى انها انما تفعل بسبب من الاسباب وانه صلى الله عليه وسلم انما صلاها يوم الفتح من اجل الفتح وكان الامرا يسمونها صلاة الفتح متمسكين بما قاله القاضي عياض وغيره ان حديث ام هاني ليس بظاهر في انه صلى الله عليه وسلم قصد سنة الضحى وانما فيه انها اخبرت عن وقت صلاته فقط قال وقد قيل انها كانت قضاء عما شغل عنه تلك الليلة من حزبه فيها وتعقبه النووي بان الصواب صحة الاستدلال به لما رواه ابو داود من طريق كريب عن ام هاني انه صلى الله عليه وسلم صلى سبحة الضحى ولمسلم في كتاب الطهارة من طريق ابي مرة عن ام هاني في قصة اغتساله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ثم صلى ثماني ركعات سبحة الضحى وروى ابن عبد البر في التمهيد من طريق عكرمة بن خالد عن ام هاني قالت قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فصلى ثماني ركعات فقلت ما هذه الصلاة قال هذه صلاة الضحى واستدل به على ان اكثر الضحى ثماني ركعات واستبعده السبكي ووجه بان الاصل في العبادة التوقف وهذا اكثر ما ورد من فعله صلى الله عليه وسلم وقد ورد من فعله دون ذلك كحديث ابن ابي اوفى انه صلى الله عليه وسلم صلى الضحى ركعتين اخرجه ابن عدي واما ما ورد من قوله صلى الله عليه وسلم ففيه زيادة على ذلك كحديث انس مرفوعا من صلى الضحى ثنتي عشرة ركعة بنى الله له قصرا في الجنة اخرجه الترمذي واستغربه وليس في اسناده من اطلق عليه الضعف ومن ثم قال الروياني اكثرها ثنتا عشرة وقال النووي في شرح المهذب فيه حديث ضعيف كانه يشير الى حديث انس لكن اذا ضم اليه حديث ابي الدردا رفعه وفيه من صلى ثنتي عشرة ركعة بنى الله له بيتا في الجنة رواه الطبراني وحديث ابي ذر عند البزار وفي اسناده ضعف ايضا قوي وصلح للاحتجاج ونقل الترمذي عن احمد ان اصح شي ورد في الباب حديث ام هاني وهو كما قال ولهذا قال النووي في الروضة افضلها ثمان واكثرها ثنتا عشرة ركعة ففرق بين الافضل والاكثر واجاب القايلون بانها لا تفعل الا بسبب بقول ابي هريرة المروي في البخاري اوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بثلاث لا ادعهن حتى اموت

للاحتجاج صح

يصوم ثلاثة ايام من كل شهر وصلاة الضحى الحديث بانه قد روي ان ابا هريرة كان يختار درس
الحديث بالليل على الصلاة فامره بالضحى بدلا من قيام الليل ولهذا امره ان لا ينام الا على
وتر ولم يامر بذلك ابا بكر ولا عمر ولا ساير الصحابة انتهى قال الحافظ ابن حجر وهذه الوصية
لابي هريرة قد ورد مثلها لابي الدرداء فيما رواه مسلم ولابي ذر فيما رواه النسائي
والحكمة في الوصية على المحافظة على ذلك تمرين النفس على جنس الصلاة والصيام
ليدخل في الواجب منه بانشراح ولينجبر ما لعله يقع من نقص ومن فوايد صلاة الضحى
انها تجزي عن الصدقة التي تصبح على مفاصل الانسان الثلثماية وستون مفصلا كما اخرجه
مسلم من حديث ابي ذر قال وفيه ويجزي من ذلك ركعتا الضحى وقد ذكر اصحابنا الشافعية
انها افضل التطوع بعد الرواتب لكن النووي في شرح المهذب قدم عليها صلوة التراويح وجعلها
في الفضل بين الرواتب والضحى وحكى الحافظ ابو الفضل العراقي في شرح الترمذي انه اشتهر
بين العوام ان من صلى الضحى ثم قطعها يعمى فصار كثير من الناس يتركها اصلا لذلك وليس لما
قالوا اصل بل الظاهر انه مما القاه الشيطان على السنة العوام ليحرمهم الخير الكثير لا سيما
ما وقع في حديث ابي ذر واقتصر في الوصية للثلاثة المذكورين على الثلاث المذكورة لان الحكمة
لان الصلاة والصيام اشرف العبادات البدنية ولم يكن المذكورون من اصحاب الاموال
فكان يجزيهم من الصدقة عن السلامى كما في الحديث والله اعلم وروى الحاكم من طريق ابي
الخير عن عقبة بن عامر قال امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نصلي الضحى بسور
منها والشمس وضحاها والضحى ومناسبة ذلك ظاهرة جدا والله اعلم **تنبيه** قال
شيخ الاسلام والحافظ ابو الفضل بن حجر قول عايشة رضي الله تعالى عنها في الصحيح
ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسبح سبحة الضحى يدل على ضعف ما روي عنه
صلى الله عليه وسلم ان صلاة الضحى كانت واجبة عليه وقد عدها جماعة من العلماء من خصايصه
صلى الله عليه وسلم ولم يثبت ذلك في خبر صحيح وقول الماوردي في الحاوي انه صلى الله
عليه وسلم واظب عليها بعد يوم الفتح الى ان مات يعكر عليه ما رواه مسلم في حديث ام هاني
انه لم يصلها قبل ولا بعد ولا يقال ان نفي ام هاني لذلك يلزم منه العدم لانا نقول يحتاج
من اثبته الى دليل ولو وجد لم يكن حجة لان عايشة ذكرت انه كان اذا عمل عملا اثبته
فلا يستلزم المواظبة على هذا الوجوب عليه انتهى وقال ابن العربي في عارضة الاحوذي
انا ابو الحسن الازدي انا ابو طاهر انا علي ثنا العباس عبد الله بن عبد الرحمن العسكري ثنا
الحسني ثنا ابو عتاب ثنا فلس عن جابر عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم كتب علي النحر ولم يكتب عليكم وامرت بصلاة الضحى ولم تومروا بها رواه
الدارقطني **القسم الثاني** **في صلاته صلى الله عليه وسلم النوافل واحكامها وفيه**
بابان الاول في النوافل المعروفة بالاوقات وفيه فصلان الاول في رواتب الصلوات
الخمس والجمعة وفيه فروع الاول في احاديث جامعة لرواتب مشتركة عن نافع
عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي قبل الظهر ركعتين وبعدها ركعتين
وبعد المغرب ركعتين في بيته وبعد صلاة العشاء ركعتين وكان لا يصلي بعد صلاة الجمعة حتى

عثمان

حتى ينصرف

حتى ينصرف فيصلي في بيته ركعتين قال واخبرتني حفصة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان اذا سكت المؤذن من الاذان بصلاة الصبح وبدا الصبح صلى ركعتين خفيفتين
قبل ان تقام الصلاة رواه البخاري فهذه عشر ركعات لان الركعتين بعد الجمعة لا يجتمعان
مع الركعتين بعد الظهر الا لعارض بان يصلي الجمعة وسنتها التي بعدها ثم تبين له فسادها
فيصلي الظهر ويصلي بعدها سنتها كما نبه عليه الشيخ ولي الدين العراقي واختلف في دلالة
كان على التكرار وصحح ابن الحاجب انها تقتضيه قال وهذا استفدناه من قولهم كان حاتم
يقري الضيف وصحح الامام فخر الدين في المحصول انها لا تقتضيه لا لغة ولا عرفا وقال
النووي في شرح مسلم انه المختار والذي عليه الاكثرون والمحققون من الاصوليين وذكر
ابن دقيق العيد انها تقتضيه عرفا فعلى هذا في الحديث دلالة على تكرر فعل هذه النوافل
من النبي صلى الله عليه وسلم وانه كان هذا دابه وعادته وعن عايشة رضي الله تعالى عنها
كان صلى الله عليه وسلم يصلي في بيته قبل الظهر اربعا ثم يخرج فيصلي بالناس ثم يدخل
فيصلي ركعتين وكان يصلي بالناس المغرب ثم يدخل فيصلي ركعتين ثم يصلي بالناس العشا
ويدخل بيتي فيصلي ركعتين وفي اخره وكان اذا طلع الفجر صلى ركعتين الحديث رواه
مسلم فهذه ثنتي عشرة ركعة وعنها كان صلى الله عليه وسلم لا يدع اربعا قبل الظهر وركعتين
قبل الغداة وفي رواية لم يكن يتركها سرا وعلانية في سفر ولا حضر ركعتان قبل الصبح
وركعتان بعد العصر رواه البخاري ومسلم **الثاني في ركعتي الفجر** قالت عايشة
رضي الله تعالى عنها لم يكن صلى الله عليه وسلم على شيء من النوافل اشد تعاهدا منه
على ركعتي الفجر رواه البخاري ومسلم وابو داود والترمذي ولمسلم لهما احب الي من
الدنيا جميعا وكان يصليهما اذا سكت المؤذن بعد ان يستنير الفجر ويخففهما رواه الشيخان
وهذا لفظ النسائي واختلف في حكمة تخفيفهما فقيل ليبادر الى صلاة الصبح في اول الوقت
وبه جزم القرطبي وقيل يستفتح صلاة النهار بركعتين خفيفتين كما كان يصنع في صلاة
الليل كما تقدم ليدخل في الفرض او ما يشابهه في الفضل بنشاط واستعداد تام وقد ذهب
بعضهم الى اطالة القراءة فيهما وهو قول اكثر الحنفية ونقل عن الشعبي واورد البيهقي
فيه حديثا مرفوعا من مرسل سعيد بن جبير وفي سنده راو لم يسم وخص بعضهم ذلك
بمن فاته شيء من قراءته في صلاة الليل فيستدركها في ركعتي الفجر واخرجه ابن ابي شيبة
بسند صحيح عن الحسن البصري وكان كثيرا ما يقرا في الاولى منهما قولوا امنا بالله وما
انزل الينا الاية التي في البقرة وفي الاخرة قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا
وبينكم الى قوله اشهدوا بانا مسلمون رواه مسلم وابو داود والنسائي من رواية ابن عباس
وفي رواية ابي داود من حديث ابي هريرة قولوا امنا بالله وما انزل الينا في الركعة الاولى
وبهذه الاية ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين او انا ارسلناك
بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسال عن اصحاب الجحيم قال ابو داود شك الراوي وقال ابو هريرة
قرا في ركعتي الفجر قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد رواه مسلم وابو داود والترمذي
وقد روى ابن ماجة باسناد قوي عن عبد الله بن شقيق عن عايشة قالت كان رسول الله

صلى الله عليه وسلم يصلي ركعتين قبل الفجر وكان يقول نعم السورتان يقرأ بهما في ركعتي الفجر قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد ولابن أبي شيبة من طريق ابن سيرين عن عائشة كان يقرأ فيهما بهما وللترمذي والنسائي من حديث ابن عمر رمقت النبي صلى الله عليه وسلم شهرا يقرأ بهما وقد استدل بعضهم أيضا بهذه على الجهر بالقراءة في ركعتي الفجر ولا حجة فيه لاحتمال أن يكون ذلك عرف بقراءته بعض السورة ويدل على ذلك أن في رواية ابن سيرين المذكورة يسر فيهما القراءة وصححه ابن عبد البر واستدل بعضهم أيضا بهذه الأحاديث المذكورة على أنه لا يتعين الفاتحة لأنه لم يذكرها مع سورتي الإخلاص وأجيب بأنه ترك ذكر الفاتحة لوضوح الأمر فيها انتهى

وكان صلى الله عليه وسلم إذا صلى ركعتي الفجر اضطجع على شقه الأيمن رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها لأنه صلى الله عليه وسلم كان يحب التيمن وقد قيل الحكمة فيه أن القلب من جهة اليسار فلو اضطجع عليه لاستغرق نوما لكونه أبلغ في الراحة بخلاف اليمين فيكون القلب معلقا فلا يستغرق وهذا إنما يصح بالنسبة إلى غيره صلى الله عليه وسلم كما لا يخفى وأما ما روي أن ابن عمر رأى رجلا يصلي ركعتي الفجر ثم اضطجع فقال ما حملك على ما صنعت قال أردت أن أفصل بين صلاتي فقال له وأي فصل أفضل من السلام قال فإنها سنة قال بل بدعة رواه ابن الأثير في جامعه عن رزين وكذا ما روي من إنكار ابن مسعود ومن قول إبراهيم النخعي إنها ضجعة الشيطان كما أخرجهما ابن أبي شيبة فهو محمول على أنه لم يبلغهم الأمر بفعله وأرجح الأقوال مشروعيته للفصل لكن لمن يداوم عليه صلى الله عليه وسلم وكذا احتج الأئمة على عدم الوجوب وحملوا الأمر الوارد بذلك عند أبي داود وغيره على الاستحباب وفائدة ذلك الراحة والنشاط لصلاة الصبح وعلى هذا فلا يستحب ذلك إلا للمتهجد وبه جزم ابن العربي ويشهد لهذا ما أخرجه عبد الرزاق أن عائشة رضي الله تعالى عنها كانت تقول إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يضطجع لسنة ولكن كان يدأب ليلته فيستريح وفي إسناده راو لم يسم وقيل إن فائدتها الفصل بين ركعتي الفجر وصلاة الصبح وعلى هذا فلا اختصاص ومن ثم قال الشافعي إن السنة تتأدى بكل ما يحصل به الفصل من مشي وكلام وغيره حكاه البيهقي وقال النووي المختار أنها سنة لظاهر حديث أبي هريرة وقد قال أبو هريرة راوي الحديث إن الفصل بالمشي إلى المسجد لا يكفي وأفرط ابن حزم فقال يجب على كل أحد وجعله شرطا لصحة صلاة الصبح ورد عليه العلماء بعده حتى طعن ابن تيمية في صحة الحديث لتفرد عبد الواحد بن زياد وفي حفظه مقال والصواب يقوم به الحجة وذهب بعض السلف إلى استحبابها في البيت دون المسجد وهو محكي عن ابن عمر رضي الله عنهما وقواه بعض شيوخنا بأنه لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه فعله في المسجد أخرجه ابن أبي شيبة وقال صلى الله عليه وسلم من لم يصل ركعتي الفجر فليصلهما بعد ما تطلع الشمس رواه الترمذي من رواية أبي هريرة

الثالث في راتبة الظهر عن ابن عمر صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين قبل الظهر وركعتين بعدها رواه البخاري ومسلم والترمذي وعن عائشة رضي الله تعالى عنها كان صلى الله عليه وسلم لا يدع أربعا قبل الظهر وركعتين قبل صلاة

الغداة رواه البخاري أيضا فإما أن يقال إنه صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى في بيته صلى أربعا وإذا صلى في المسجد صلى ركعتين وهذا أظهر وإما أن يقال كان يفعل هذا وهذا فحكى كل عن عائشة وابن عمر ما شاهده والحديثان صحيحان لا مطعن في واحد منهما وقال أبو جعفر الطبري الأربع كانت في كثير من أحواله والركعتان في قليلها انتهى وقد يقال إن الأربع التي قبل الظهر لم تكن سنة الظهر بل هي صلاة مستقلة بعد الزوال وروى البزار من حديث ثوبان أنه صلى الله عليه وسلم كان يستحب أن يصلي بعد نصف النهار فقالت عائشة يا رسول الله أراك تستحب الصلاة هذه الساعة قال تفتح فيها أبواب السماء وينظر الله تعالى إلى خلقه بالرحمة وهي صلاة كان يحافظ عليها آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى وعن عبد الله ابن السائب كان صلى الله عليه وسلم يصلي أربعا بعد أن تزول الشمس قبل الظهر وقال إنها ساعة تفتح لها أبواب السماء وأحب أن يصعد لي فيها عمل صالح رواه الترمذي وروى الترمذي أيضا حديث أربع قبل الظهر وبعد الزوال تحسب بمثلهن في السحر وما من شيء إلا وهو يسبح الله تعالى في تلك الساعة ثم قرأ يتفيؤ ظلاله عن اليمين وعن الشمائل سجدا لله وهم داخرون فهذه والله أعلم الأربعة التي أرادت عائشة أنه كان لا يدعهن وأما سنة الظهر فالركعتان التي قال ابن عمر ويوضح هذا أن سائر الصلوات سنتها ركعتان وعلى هذا فتكون هذه الأربعة وردا مستقلا سببه انتصاف النهار وزوال الشمس وسر هذه والله أعلم أن انتصاف النهار مقابل لانتصاف الليل وأبواب السماء تفتح بعد الزوال ويحصل النزول الإلهي بعد انتصاف الليل فهما وقت أقرب رحمة هذا تفتح فيه أبواب السماء وهذا ينزل فيه الرب تبارك وتعالى عن حركة الأجسام

الرابع في سنة العصر عن علي رضي الله تعالى عنه كان صلى الله عليه وسلم يصلي قبل العصر ركعتين رواه أبو داود وعن علي رضي الله تعالى عنه أيضا كان صلى الله عليه وسلم يصلي قبل العصر أربع ركعات يفصل بينهن بالتسليم على الملائكة المقربين ومن تبعهم من المسلمين والمؤمنين رواه الترمذي وروى أيضا مرفوعا رحم الله امرأ صلى قبل العصر أربعا وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها ما كان صلى الله عليه وسلم يأتيني في يومي بعد العصر إلا صلى ركعتين وفي رواية ما ترك ركعتين بعد العصر عندي قط رواه البخاري ولمسلم أن أبا سلمة سألها عن السجدتين اللتين كان يصليهما بعد العصر فقالت كان يصليهما بعد العصر ثم أشغل عنهما أو نسيهما فصلاهما   العصر ثم أثبتهما وكان إذا صلى صلاة أثبتها يعني داوم عليها ولأبي داود قالت كان يصلي بعد العصر ركعتين وينهى عنها ويواصل وينهى عن الوصال وقال ابن عباس إنما صلى صلى الله عليه وسلم ركعتين بعد العصر لأنه اشتغل بقسمة مال أتاه عن الركعتين بعد الظهر فصلاهما بعد العصر ثم لم يعد لهما رواه الترمذي وقالت أم سلمة سمعته صلى الله عليه وسلم ينهى عنها ثم رأيته يصليهما حين صلى العصر ثم سألته عنها فقال إنه أتاني أناس من عبد القيس بالإسلام فشغلوني عن الركعتين بعد الظهر فهما هاتان الحديث وفيه أن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال كنت أضرب مع عمر بن الخطاب الناس عنهما قال ابن القيم تضمنت السنن الرواتب في أوقات النبي صلى الله عليه وسلم

ولا منه واما المداومة على تلك الركعتين في وقت النهي فخاص به قال وقد مد هنا رخصا نهيه
انتهى والدليل عليه رواية عائشة كان يصلي ركعتين بعد العصر وينهى عنهما ويواصل
وينهى عن الوصال لكن قال البيهقي الذي اختص به صلى الله عليه وسلم المداومة على ذلك
لا أصل القضاء واما رواية ابن عباس عند الترمذي انه انما صلاهما بعد العصر لانه اشتغل
بقسمة مال اتاه فهو من رواية جرير عن عطاء وقد سمع منه بعد اختلاطه وان صح فهو
شاهد لحديث ام سلمة لكن ظاهر قوله ثم لم يعد معارض لحديث عائشة المذكور في هذا
الباب فيحمل النفي على علم الراوي فانه لم يطلع على ذلك والمثبت مقدم على النافي كذا ما روى
النسائي من طريق ابي سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في بيتها بعد العصر
ركعتين مرة واحدة الحديث وفي رواية عنها لم اره يصليهما قبل ولا بعد فيجمع بين الحديثين
بانه صلى الله عليه وسلم لم يكن يصليهما الا في بيته فلذلك لم يره ابن عباس ولا ام سلمة
ويشير الى ذلك قول عائشة في رواية وكان لا يصليهما في المسجد مخافة ان تثقل على امته
ومراد عائشة بقولها ما كان يأتيني في يومي بعد العصر الا صلى ركعتين من الوقت الذي
شغل عن الركعتين بعد الظهر فصلاهما ولم ترد انه كان يصلي بعد العصر من اول
ما فرضت الصلوات مثلا الى آخر عمره **الخامس في راتبة المغرب** عن ابن مسعود
رضي الله تعالى عنه قال ما احصي ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الركعتين
بعد المغرب وفي الركعتين قبل صلاة الفجر بقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد رواه الترمذي
وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال كان صلى الله عليه وسلم يطيل القراءة في الركعتين
بعد المغرب حتى يتفرق اهل المسجد رواه ابو داود وكان اصحابه صلى الله عليه وسلم
يصلون ركعتين قبل المغرب قبل أن يخرج اليهم صلى الله عليه وسلم رواه البخاري
وابو داود من حديث انس وفي رواية ابي داود قال انس رآنا صلى الله عليه وسلم
فلم يأمرنا ولم ينهنا وقال عقبة كنا نفعله على عهده صلى الله عليه وسلم رواه البخاري
ومسلم وظاهره ان الركعتين بعد الغروب وقبل صلاة المغرب كان امرا قرر اصحابه
عليه وعملوا به وهذا يدل على الاستحباب واما كونه صلى الله عليه وسلم لم يصلهما
فلا ينفي الاستحباب بل يدل على انهما ليستا من الرواتب والى استحبابهما ذهب احمد
واسحق واصحاب الحديث وعن ابن عمر ما رأيت احدا يصليهما على عهده صلى الله عليه
وسلم وعن الخلفاء الاربعة وجماعة من الصحابة انهم كانوا لا يصلونها فادعى بعض المالكية
نسخهما **وتعقب** بان دعوى النسخ لا دليل عليها ورواية المثبت وهو انس مقدم على النافي
وهو ابن عمر وعن سعيد بن المسيب انه كان يقول حق على كل مؤمن اذا اذن المؤذن
ان يركع ركعتين وعن مالك قول آخر باستحبابهما وهو عند الشافعية وجه رجحه النووي
ومن تبعه وقال في شرح مسلم قول من قال ان فعلهما يؤدي الى تاخير المغرب عن اول
وقتها خيال فاسد منابذ للسنة ومع ذلك فزمنهما يسير لا تتأخر به الصلاة عن اول وقتها
ومجموع الادلة يرشد الى استحباب تخفيفهما وقال صلى الله عليه وسلم صلوا قبل المغرب
ركعتين لمن شاء خشية ان يتخذها الناس سنة رواه ابو داود وقال المحب الطبري

نفي

نفي استحبابهما لانه لا يمكن ان يأمر بما لا يستحب بل هذا الحديث من ادل الدليل على استحبابهما
ومعنى قوله سنة اي شريعة وطريقة لازمة وكان المراد انحطاط مرتبتهما عن رواتب
الفرض ولهذا لم يعدها اكثر الشافعية في الرواتب واستدركها بعضهم وتعقب بانه لم
يثبت انه صلى الله عليه وسلم واظب عليهما وقال صلى الله عليه وسلم في الصلاة بعد المغرب
هذه صلاة البيوت رواه ابو داود والنسائي من حديث كعب بن عجرة وعنه صلى الله
عليه وسلم من صلى بعد المغرب ركعتين قبل ان يتكلم رفعت صلاته في عليين رواه
ابن رزين **السادس في راتبة العشاء** قالت عائشة ما صلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم العشاء قط فدخل بيتي الا صلى اربع ركعات او ست ركعات رواه ابو داود وفي مسلم
قالت عائشة ثم يصلي بالناس العشاء فيدخل بيتي فيصلي ركعتين وكذا في حديث ابن عمر
عند الشيخين وتقدما اول هذا القسم **الفرع السابع في راتبة الجمعة** عن نافع
عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي
بعد الجمعة حتى ينصرف قبل الظهر ركعتين وبعدها ركعتين وبعد المغرب ركعتين
في بيته وبعد العشاء ركعتين وكان لا يصلي بعد الجمعة حتى ينصرف فيصلي ركعتين
رواه البخاري ولم يذكر شيئا في الصلاة قبل صلاة الجمعة قال ابن المنير كما حكاه
في فتح الباري كانه يقول الاصل استواء الظهر والجمعة حتى يدل دليل على خلافه لان
الجمعة بدل الظهر وقال ابن بطال انما اعاد ابن عمر ذكر الجمعة بعد ذكر الظهر من اجل انه
كان صلى الله عليه وسلم يصلي سنة الجمعة في بيته بخلاف الظهر قال والحكمة فيه ان الجمعة
لما كانت بدل الظهر واقتصر فيها على ركعتين ترك التنفل بعدها في المسجد خشية ان يظن
انها التي حذفت انتهى وعلى هذا فينبغي أن لا يتنفل قبلها ركعتين متصلتين بها في
المسجد لهذا المعنى وقد روى ابو داود وابن حبان من طريق ايوب عن نافع قال
كان ابن عمر يطيل الصلاة قبل الجمعة ويصلي بعدها ركعتين في بيته ويحدث ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك وقد احتج به النووي في الخلاصة على اثبات سنة
الجمعة التي قبلها وتعقب بان قوله وكان يفعل ذلك عائد على قوله ويصلي بعد الجمعة
ركعتين في بيته ويدل عليه رواية الليث عن نافع عن عبد الله انه كان اذا صلى الجمعة
انصرف فسجد سجدتين في بيته ثم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك
رواه مسلم واما قوله كان يطيل الصلاة قبل الجمعة فان كان المراد بعد دخول
الوقت فلا يصح ان يكون مرفوعا لانه كان صلى الله عليه وسلم كان يخرج اذا زالت
الشمس فيشتغل بالخطبة ثم بصلاة الجمعة وان كان المراد قبل دخول الوقت
فذلك مطلق نافلة لا صلاة راتبة فلا حجة فيه لسنة الجمعة التي قبلها بل هو تنفل
مطلق وقد انكر جماعة كون الجمعة لها سنة قبلها وبالغوا في الانكار ومنهم الامام شهاب
الدين ابو شامة لانه لم يكن يؤذن للجمعة الا بين يديه صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر
فلم يكن يصليها وكذلك الصحابة لانه اذا خرج الامام انقطعت الصلاة قال ابن العراقي
ولم ار في كلام الفقهاء من الحنفية والمالكية استحباب سنة الجمعة قبلها وقد ورد في سنة

الجمعة التي قبلها احاديث اخرى ضعيفة منها عن ابي هريرة رواه البزار ولفظه كان يصلي قبل الجمعة اربعا وبعدها اربعا واقوى ما يتمسك به في مشروعية الركعتين قبل الجمعة عموم ما صححه ابن حبان من حديث عبد الله بن الزبير مرفوعا ما من صلاة مفروضة الا وبين يديها ركعتان كذا في فتح الباري وعن عطا قال كان ابن عمر اذا صلى الجمعة بمكة تقدم فصلى ركعتين ثم يتقدم فيصلي اربعا واذا كان بالمدينة صلى الجمعة ثم رجع الى بيته فصلى ركعتين ولم يصل في المسجد فقيل له فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله رواه ابو داود وفي رواية الترمذي قال رايت ابن عمر صلى بعد الجمعة ركعتين ثم صلى بعد ذلك اربعا وعن ابن عمر ايضا قال كان صلى الله عليه وسلم يصلي بعد الجمعة ركعتين رواه النسائي وفي رواية كان يصلي بعد الجمعة ركعتين في بيته وفي اخرى ان ابن عمر كان يصلي بعد الجمعة ركعتين يطيل فيهما ويقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله وتقدم حديث سليك الغطفاني يوم الجمعة وهو صلى الله عليه وسلم يخطب وقوله صلى الله عليه وسلم له صليت قال لا قال قم فاركع ركعتين مع ما فيه من المباحث في صلاة الجمعة

الفصل الثاني في صلاته صلى الله عليه وسلم العيدين وفيه فروع

الاول في عدد الركعات عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوم عيد فصلى ركعتين لم يصل قبلهما ولا بعدهما ثم اتى النساء ومعه بلال فامرهن بالصدقة فجعلت المراة تلقي خرصها وسخابها وفي رواية خرج في يوم اضحى او فطر وفي اخرى ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى يوم الفطر ركعتين الحديث رواه البخاري ومسلم وابو داود والترمذي والنسائي **الفرع الثاني في عدد التكبير** عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكبر في الفطر والاضحى في الاولى سبع تكبيرات وفي الثانية خمس تكبيرات زاد في رواية سوى تكبيرتي الاحرام والركوع رواه ابو داود وعن كثير بن عبد الله عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم كبر في العيدين في الاولى سبعا قبل القراءة وفي الاخرى خمسا قبل القراءة رواه الترمذي وابن ماجة والدارمي **الفرع الثالث في الوقت والمكان** عن ابي سعيد الخدري قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج يوم الفطر والاضحى الى المصلى فاول شيء يبدا به الصلاة الحديث رواه البخاري ومسلم وفي هذا دليل لمن قال باستحباب الخروج لصلاة العيد الى المصلى وانه افضل من صلاتها في المسجد لمواظبة النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك مع فضل مسجده وعلى هذا عمل الناس في الامصار واما اهل مكة فلا يصلونها الا في المسجد في الزمن الاول ولاصحابنا الشافعية وجهان احدهما الصحراء افضل لهذا الحديث والثاني وهو الاصح عند اكثرهم المسجد افضل الا ان يضيق قالوا وانما صلى اهل مكة في المسجد لسعته وانما خرج النبي صلى الله عليه وسلم لضيق المسجد فدل ذلك على ان المسجد افضل اذا اتسع والمراد بالمصلى المذكور الذي على باب المدينة الشرقي قال ابن القيم ولم يصل العيد بمسجده الا مرة واحدة اصابهم مطر فصلى بهم العيد في المسجد ان ثبت الحديث وهو في سنن ابي داود وابن ماجة انتهى ولفظ ابي داود عن ابي هريرة قال اصابنا مطر في يوم فطر فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

في المسجد

في المسجد زاد رزين ولم يخرج بنا الى المصلى **الفرع الرابع في الاذان والاقامة** عن جابر ابن سمرة قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العيدين غير مرة ولا مرتين بلا اذان ولا اقامة رواه ابو داود والترمذي **الفرع الخامس في قراءته صلى الله عليه وسلم في صلاة العيدين** عن ابي واقد الليثي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا في الاضحى والفطر بق والقرآن المجيد واقتربت الساعة وانشق القمر رواه مسلم ومالك وابو داود والترمذي وعن النعمان بن بشير قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرا في العيدين وفي الجمعة سبح اسم ربك الاعلى وهل اتاك حديث الغاشية وربما اجتمعا في يوم واحد فقرا بهما رواه مسلم وابو داود والترمذي والنسائي **الفرع السادس في خطبته صلى الله عليه وسلم وتقديمه صلاة العيدين عليها** عن ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر يصلون العيدين قبل الخطبة رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وعن جابر انه صلى الله عليه وسلم خرج يوم الفطر فبدا بالصلاة قبل الخطبة وفي رواية قام فبدا بالصلاة ثم خطب بالناس فلما فرغ نزل فاتى النساء فذكرهن وهو يتوكا على يد بلال وبلال باسط ثوبه يلقي فيه النساء صدقة وفي اخرى قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العيد فبدا بالصلاة قبل الخطبة بلا اذان ولا اقامة ثم قام متوكا على بلال فامر بتقوى الله وحث على طاعته ووعظ الناس وذكرهم ثم مضى حتى اتى النساء فوعظهن وذكرهن فقال تصدقن فان اكثركن حطب جهنم فقامت امراة من وسط النساء سفعاء الخدين فقالت لم يا رسول الله قال لانكن تكثرن الشكاة وتكفرن العشير قال فجعلن يتصدقن من حليهن يلقين في ثوب بلال من اقراطهن وخواتمهن رواه البخاري ومسلم وفي رواية ابي سعيد الخدري عند البخاري فاول شيء يبدا به الصلاة ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس والناس جلوس على صفوفهم فيعظهم ويوصيهم ويامرهم فان كان يريد ان يقطع بعثا قطعه او يامر بشيء امر به ثم ينصرف قال ابو سعيد فلم يزل الناس على ذلك حتى خرجت مع مروان وهو امير المدينة في اضحى او فطر فلما اتينا المصلى اذا منبر بناه كثير بن الصلت فاذا مروان يريد ان يرتقيه فقلت غيرتم والله الحديث ولابن خزيمة خطب صلى الله عليه وسلم يوم عيد على رجليه وهذا يشعر بانه لم يكن في المصلى في زمانه صلى الله عليه وسلم منبر ويدل على ذلك قول ابي سعيد فلم يزل الناس على ذلك حتى خرجت مع مروان ومقتضاه ان اول من اتخذه مروان ووقع في المدونة للامام مالك ان اول من خطب الناس في المصلى على منبر عثمان بن عفان كلمهم على منبر من طين بناه كثير بن الصلت لكنه معضل وما في الصحيحين اصح فقد رواه مسلم من طريق داود ابن قيس نحو رواية البخاري ويحتمل ان يكون عثمان فعل ذلك مرة ثم تركه حتى اعاده مروان ولم يطلع على ذلك ابو سعيد قاله شيخ الاسلام ابن حجر رحمه الله تعالى **الفرع السابع في اكله صلى الله عليه وسلم يوم الفطر قبل خروجه الى العيد** عن انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغدو يوم الفطر حتى ياكل تمرات رواه البخاري وقال قال مرجى بن رجاء حدثني عبيد الله حدثني انس عن النبي صلى الله عليه وسلم وياكلهن وترا

رواه الحاكم من رواية عتبة بن حميد عنه بلفظ ما خرج يوم فطر حتى يأكل تمرات ثلاثا
أو خمسا أو سبعا أو أقل من ذلك أو أكثر وترا قال المهلب الحكمة في الأكل قبل الصلاة أن لا
يظن ظان لزوم الصوم حتى يصلي العيد فكأنه أراد سد هذه الذريعة وقال غيره لما وقع
وجوب الفطر عقيب وجوب الصوم استحب تعجيل الفطر مبادرة إلى امتثال أمر الله تعالى
ويشعر بذلك اقتصاره على القليل من ذلك ولو كان لغير الامتثال لأكل قدر الشبع
أشار إلى ذلك ابن أبي جمرة وقيل لأن الشيطان الذي يحبس في رمضان لا يطلق إلا بعد
صلاة العيد فاستحب تعجيل الفطر بدارا إلى السلامة من وسوسته والحكمة في استحباب
التمر لما في الحلو من تقوية النظر الذي يضعفه الصوم ولأن الحلو مما يوافق الإيمان ويعبر
في المنام ويرق القلب ومن ثم استحب بعض التابعين أن يفطر على الحلو مطلقا كالعسل
رواه ابن أبي شيبة عن معاوية بن قرة وابن سيرين وغيرهما وفي الترمذي والحاكم
من حديث بريدة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخرج يوم الفطر حتى يطعم
ولا يطعم يوم الأضحى حتى يصلي ونحوه عند البزار عن جابر بن سمرة وروى الطبراني والدار
قطني من حديث ابن عباس قال من السنة أن لا يخرج يوم الفطر حتى يخرج الصدقة ويطعم
شيئا قبل أن يخرج وفي كل من أسانيد الثلاثة مقال وقد أخذ أكثر الفقهاء بما دلت عليه قال ابن
المنير وقع أكله صلى الله عليه وسلم في كل من العيدين في الوقت المشروع لإخراج صدقتهما
الخاصة بهما فإخراج صدقة الفطر قبل الغدو إلى المصلى وإخراج صدقة الأضحية بعد ذبحها
فاجتمعا من جهة وافترقا من أخرى وقال الشافعي في الأم بلغنا عن الزهري قال ما ركب
رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيد ولا جنازة قط وفي الترمذي عن علي رضي الله تعالى
عنه قال من السنة أن يخرج إلى العيد ماشيا وفي ابن ماجه عن سعد القرظ أنه صلى الله
عليه وسلم كان يخرج إلى العيد ماشيا وفيه عن أبي رافع نحوه وأسانيد الثلاثة ضعاف
وعن أبي هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج يوم العيد في طريق
رجع في غيره رواه الترمذي وقد اختلف في معنى ذلك على أقوال كثيرة قال الحافظ
ابن حجر اجتمع لي منها أكثر من عشرين وقد لخصتها وبينت الواهي منها فمن ذلك أنه فعل
ذلك لتشهد له الطريقان وقيل سكانهما من الجن والإنس وقيل ليسوي بينهما في مزية الفضل
بمروره أو في التبرك به أو ليشم رائحة المسك من الطريق التي يمر بها لأنه كان معروفا
بذلك وقيل لأن طريقه إلى المصلى كانت على اليمين فلو رجع منها لرجع على جهة الشمال
فرجع من غيرها وهذا يحتاج إلى دليل وقيل لإظهار شعائر الإسلام وقيل لإظهار
ذكر الله تعالى وقيل ليغيظ المنافقين أو اليهود وقيل حذرا من كيد الطائفتين أو إحداهما
وقيل ليعمهم بالسرور به أو التبرك بمروره والانتفاع به في قضاء حوائجهم في الاستفتاء
والتعلم والاقتداء والاسترشاد والسلام عليهم أو غير ذلك وقيل ليزور أقاربه
الأحياء والأموات وقيل ليصل رحمه وقيل ليتفاءل بتغير الحال إلى المغفرة والرضى
وقيل كان يتصدق في ذهابه فإذا رجع لم يبق معه شيء فيرجع في طريق أخرى
لئلا يرد من يسأله وهذا ضعيف جدا مع احتياجه إلى الدليل وقيل فعل ذلك لتخفيف

الزحام وهذا رجحه الشيخ أبو حامد وقيل كان طريقه التي يتوجه منها أبعد من التي يرجع فيها
فأراد تكثير الأجر بتكثير الخطا في الذهاب وأما في الرجوع فليسرع إلى منزله وهذا اختيار
الرافعي وتعقب بأنه يحتاج إلى دليل فإن أجر الخطا في الرجوع أيضا كما ثبت في حديث أبي
بن كعب عند الترمذي وغيره وقيل لأن الملائكة تقف في الطرقات فأراد أن تشهد له
فريقان منهم وقال ابن أبي جمرة هو في معنى قول يعقوب لبنيه لا تدخلوا من باب واحد
فأشار إلى أنه فعل ذلك حذرا من إصابة العين انتهى وكان صلى الله عليه وسلم يخرج الأبكار
والعواتق وذوات الخدور والحيض في العيدين فأما الحيض فيعتزلن المصلى ويشهدن
دعوة المسلمين قالت إحداهن يا رسول الله إحدانا ليس لها جلباب قال فلتعرها
أختها من جلابيبها رواه البخاري ومسلم والترمذي واللفظ له ولا دلالة فيه على وجوب
صلاة العيد لأن من جملة ما أمر بذلك من ليس بمكلف فظهر أن القصد منه إظهار شعار
الإسلام بالمبالغة في الاجتماع ولتعم الجميع البركة وفيه استحباب خروج النساء إلى شهود
العيد سواء كن شواب أم لا وذوات هيئات أم لا لكن نص الشافعي في الأم يقتضي استثناء
ذوات الهيئات قال وأحب شهود العجائز وغير ذوات الهيئات الصلاة وأنا لشهودهن الأعياد
أشد استحبابا وادعى بعضهم النسخ وقال الطحاوي وأمره صلى الله عليه وسلم بخروج الحيض
وذوات الخدور إلى العيد يحتمل أن يكون في أول الإسلام والمسلمون قليل فأريد التكثير
بحضورهن إرهابا للعدو وأما اليوم فلا يحتاج إلى ذلك وتعقب بأن النسخ لا يثبت بالاحتمال
وقد صرح في حديث أم عطية بعلة الحكم وهي شهودهن الخير ودعوة المسلمين ورجاء
بركة ذلك اليوم وطهرته وقد أفتت به أم عطية بعد النبي صلى الله عليه وسلم بمدة
ولم يثبت عن أحد من الصحابة مخالفتها في ذلك وأما قول عائشة رضي الله تعالى عنها
لو رأى النبي صلى الله عليه وسلم ما أحدث النساء لمنعهن المساجد فلا يعارض ذلك
لندوره إن سلمنا أن فيه دلالة على أنها أفتت بخلافه مع أن الدلالة منه بأن عائشة
أفتت بالمنع ليست صريحة وفي قول الطحاوي إرهابا للعدو نظر لأن الاستنصار بالنساء
والتكثر بهن في الحرب دال على الضعف والأولى أن يخص ذلك بمن يؤمن عليها وبها الفتنة
فلا يترتب على حضورها محذور ولا تزاحم الرجال في الطرق ولا في المجامع قاله في فتح الباري
وكان صلى الله عليه وسلم يخرج العنزة يوم الفطر والأضحى يركزها فيصلي إليها رواه النسائي
وغيره وإذا علمت هذا فاعلم أن للمؤمنين في هذه الدنيا ثلاثة أعياد عيد يتكرر كل أسبوع
وعيدان يأتيان في كل عام مرة مرة من غير تكرار في السنة وأما العيد المتكرر فهو يوم
الجمعة وهو عيد الأسبوع وهو مترتب على إكمال الصلوات المكتوبات فشرع لهم عيدا وأما
العيدان اللذان لا يتكرران في كل عام وإنما يأتي كل واحد منهما في العام مرة واحدة
فأحدهما عيد الفطر من صوم رمضان وهو مرتب على إكمال صيام رمضان وهو الركن الثالث
من أركان الإسلام ومبانيه فإذا أكمل المسلمون صيام شهر رمضان المفروض عليهم
واستوجبوا من الله المغفرة والعتق من النار فإن صيامهم يوجب مغفرة ما تقدم من الذنب
وآخره عتق من النار يعتق فيه من النار من استحقها بذنوبه فشرع الله تعالى لهم عقب صيامهم

عيد اجتمعوا فيه على شكر الله تعالى وذكره وتكبيره على ما هداهم له وشرع لهم في ذلك العيد
الصلاة والصدقة وهو يوم الجوائز يستوفي فيه الصائمون أجر صيامهم ويرجعون بالمغفرة
والعيد الثاني عيد النحر وهو أكبر العيدين وأفضلهما وهو مرتب على إكمال الحج وهو الركن الرابع
من أركان الإسلام ومبانيه فإذا أكمل المسلمون حجهم غفر لهم وإنما يكمل الحج بيوم عرفة فالوقوف
بعرفة ركن الحج الأعظم ويوم عرفة هو يوم العتق من النار فيعتق فيه من النار من وقف بعرفة
ومن لم يقف بها من أهل الأمصار من المسلمين فلذلك صار اليوم الذي يليه عيدا لجميع
المسلمين في جميع أمصارهم من شهد الموسم منهم ومن لم يشهده لاشتراكهم في العتق والمغفرة
يوم عرفة وشرع للجميع التقرب إليه تعالى بالنسك بإراقة دماء الأضاحي فيكون ذلك اليوم
شكرا منهم لهذه النعم والصلاة والنحر الذي يجتمع فيه عيد النحر أفضل من الصلاة والصدقة
في عيد الفطر ولهذا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل شكره لربه على إعطائه الكوثر
أن يصلي لربه وينحر وقد ضحى صلى الله عليه وسلم بكبشين أملحين أقرنين ذبحهما بيده وسمى
وكبر رواه البخاري من حديث أنس قال فرأيته واضعا قدمه على صفاحهما يقول بسم الله والله
أكبر وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أنه صلى الله عليه وسلم أمر بكبش يطأ في سواد ويبرك
في سواد وينظر في سواد فأتي به ليضحي به قال يا عائشة هلمي المدية ثم قال اشحذيها بحجر ففعلت ثم أخذها
وأخذ الكبش فأضجعه ثم ذبحه ثم قال بسم الله اللهم تقبل من محمد وآل محمد ومن أمة محمد
ثم ضحى به رواه مسلم وعن جابر ذبح النبي صلى الله عليه وسلم يوم الذبح بكبشين أقرنين
أملحين فلما وجههما قال إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا
وما أنا من المشركين إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك
أمرت وأنا أول المسلمين اللهم منك ولك عن محمد وأمته بسم الله والله أكبر ثم ذبح رواه أبو
داود وابن ماجة والدارمي وفي رواية لأحمد والترمذي ذبح بيده وقال بسم الله والله
أكبر اللهم هذا عني وعن من لم يضح من أمتي فهذه أعياد المسلمين في الدنيا وكلها عند
إكمال طاعات مولاهم الملك الوهاب لما وعدهم من جزيل الأجر والثواب فليس
العيد لمن لبس الجديد إنما العيد لمن طاعته تزيد وليس العيد لمن تجمل باللباس والركوب
إنما العيد لمن غفرت له الذنوب في ليلة العيد تفرق خلع العتق والمغفرة على العبيد
فمن ناله منها شيء فله عيد وإلا فهو مطرود بعيد وأما المؤمنون في الجنة فهي أيام زيارتهم
ربهم عز وجل فيزورونه ويكرمهم غاية الكرامة ويتجلى لهم فينظرون إليه فما أعطاهم شيئا
هو أحب إليهم من ذلك وهو الزيارة فليس للمحب عيد سوى قرب محبوبه ❁

❁ وإن يوما جامعا شملي بهم ❁ ذاك عندي ليس عيد سواه ❁

الباب الثاني في النوافل المقرونة بالأسباب وفيه أربعة فصول

الفصل الأول في صلاته صلى الله عليه وسلم الكسوف

الكسوف لغة التغير إلى السواد يقال كسفت الشمس إذا اسودت وذهب شعاعها عن قبيصة
ابن المخارق قال كسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج فزعا يجر ثوبه
وأنا معه يومئذ بالمدينة فصلى ركعتين فأطال فيهما القيام ثم انصرف وانجلت الشمس

ثم قال إنما هذه الآيات يخوف الله بها عباده فإذا رأيتموها فصلوا رواه أبو داود والنسائي وفي
قوله عليه السلام يخوف الله بها عباده رد على من يزعم من أهل الهيئة أن الكسوف أمر عادي لا يتأخر
ولا يتقدم إذ لو كان كما يقولون لم يكن في ذلك تخويف وقد رد عليهم ابن العربي وغيره بما
في حديث أبي موسى عند البخاري حيث قال فيه فقام فزعا يخشى أن تقوم الساعة
قالوا فلو كان الكسوف بالحساب لم يقع الفزع ولو كان بالحساب لم يكن للأمر بالعتق والصدقة
والصلاة معنى يخفى كما في حديث أسماء عند البخاري لقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم
بالعتاقة في كسوف الشمس وكما عنده أيضا من حديث عائشة مرفوعا فإذا رأيتم ذلك
فادعوا الله وكبروا وصلوا وتصدقوا فإن ظاهر الأحاديث أن ذلك يفيد التخويف وأن كل ما ذكر
من أنواع الطاعة يرجى أن يدفع به ما يخشى من أثر ذلك الكسوف ومما نقض به ابن العربي وغيره
أيضا أنهم يزعمون أن الشمس لا تنكسف على الحقيقة وإنما يحول القمر بينها وبين أهل
الأرض عند اجتماعهما في العقدتين فقال هم يزعمون أن الشمس أضعاف القمر في الجرم
فكيف يحجب الصغير الكبير إذا قابله أم كيف يظلم الكثير بالقليل لا سيما وهو من جنسه وكيف
تحجب الأرض نور الشمس وقد وقع في حديث النعمان بن بشير وغيره للكسوف سبب آخر
غير ما يزعمه أهل الهيئة وهو ما أخرجه أحمد والنسائي وابن ماجة وصححه ابن خزيمة
والحاكم بلفظ إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ولكنهما آيتان من آيات الله
وإن الله إذا تجلى لشيء من خلقه خشع له وقد استشكل الغزالي هذه الزيادة
وقال إنها لم تثبت فيجب تكذيب ناقلها قال ولو صحت لكان تأويلها أهون من مكابرة
أمور قطعية لا تصادم أصلا من أصول الشريعة قال ابن بزيزة هذا عجب منه
كيف يسلم دعوى الفلاسفة ويزعم أنها مبنية على أن العالم كري الشكل وظاهر
الشرع يعطي خلاف ذلك والثابت من قواعد الشرع أن الكسوف أثر الإرادة القديمة
وفعل الفاعل المختار فيخلق في هذين الجرمين النور متى شاء والظلمة متى شاء من غير
توقف على سبب أو ربط باقتران والحديث الذي رده الغزالي قد أثبته غير واحد
من أهل العلم وهو ثابت من حيث المعنى أيضا لأن النورية والإضاءة من عالم الجمال
الحسي فإذا تجلت صفة الجلال انطمست الأنوار لهيبته ويؤيده قوله تعالى فلما تجلى
ربه للجبل جعله دكا انتهى ويؤيد هذا الحديث ما رويناه عن طاوس أنه نظر إلى الشمس
وقد انكسفت فبكى حتى كاد أن يموت وقال هي أخوف لله منا وقال ابن دقيق العيد
ربما يعتقد بعضهم أن الذي يذكره أهل الحساب ينافي قوله يخوف الله بها عباده وليس
بشيء لأن لله أفعالا على حسب العادة وأفعالا خارجة عن ذلك وقدرته حاكمة على
كل سبب فيقتطع ما يشاء من الأسباب والمسببات بعضها عن بعض وإذا ثبت ذلك
فالعلماء بالله لقوة اعتقادهم في عموم قدرته على خرق العادة وأنه يفعل ما يشاء إذا
وقع شيء غريب حدث عندهم الخوف لقوة ذلك الاعتقاد وذلك لا يمنع أن يكون هناك
أسباب تجري عليها العادة إلى أن يشاء الله خرقها وحاصله أن الذي يذكره أهل الحساب
إن كان حقا في نفس الأمر لا ينافي كون ذلك مخوفا لعباد الله تعالى قاله في فتح الباري

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال انخسفت الشمس على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقام قياما طويلا نحوا من قراءة سورة البقرة ثم ركع ركوعا طويلا
ثم رفع فقام قياما طويلا وهو دون القيام الاول ثم ركع ركوعا طويلا وهو دون الركوع
الاول ثم رفع فقام قياما طويلا وهو دون القيام الاول ثم رفع ثم سجد ثم قام قياما طويلا
وهو دون القيام الاول ثم ركع ركوعا طويلا وهو دون الركوع الاول ثم سجد ثم انصرف
وقد تجلت الشمس فقال ان الشمس والقمر ايتان من ايات الله لا ينخسفان لموت احد ولا
لحياته واذا رايتم ذلك فاذكروا الله تعالى فقالوا يا رسول الله رايناك تناولت شيا في مقامك
هذا ثم رايناك تكعكعت قال اني رايت الجنة فتناولت منها عنقودا ولو اصبته
لاكلتم منه ما بقيت الدنيا ورايت النار فلم ار منظرا كاليوم قط افظع ورايت اكثر اهلها
النسا قالوا بم يا رسول الله قال بكفرهن قيل ايكفرن بالله قال يكفرن العشير ويكفرن
الاحسان لو احسنت الى احداهن الدهر كله ثم رات منك شيا قالت ما رايت منك خيرا
قط رواه البخاري ومسلم قوله ورايت الجنة والنار قال القاضي عياض يحتمل انه
راها روية عين كشفه الله عنها وازال الحجب بينه وبينها كما فرج له عن المسجد الاقصى
حين وصفه ويكون قوله عليه السلام في عرض هذا الحايط كما في رواية في جهته وناحيته
ويحتمل ان يكون روية علم وعرض وحي باطلاعه وتعريفه من امورها مفصلا ما لم يعرفه
قبل ذلك اليوم قال القاضي عياض والاول اولى واشبه بالفاظ الحديث لما فيه من
الامور الدالة على روية العين لتناوله العنقود وتاخره مخافة ان يصيبه لفح النار انتهى
واستشكل قوله ولو اصبته مع قوله تناولت واجيب بحمل التناول على تكلف الاخذ
لا حقيقة الاخذ وقيل المراد تناولت لنفسي ولو اخذته لكم حكاه الكرماني قال الحافظ ابن حجر
وليس بجيد وقيل المراد بقوله اخذت وضعت يدي عليه بحيث كنت قادرا على تحويله
لكن لم يقدر لي قطعه ولو اصبته اي لو تمكنت من قطعه ويدل عليه قوله في حديث عقبة
ابن عامر عند ابن خزيمة اهوى بيده ليتناول شيا وللمحديث اسما عند البخاري لو اجترات
عليه وكانه لم يوذن له في ذلك فلم يجترئ عليه قال ابن بطال لم ياخذ العنقود لانه
من طعام الجنة وهو لا يفنى والدنيا فانية لا يجوز ان ياكل فيها ما لا يفنى انتهى وفي حديث
اسما بنت ابي بكر عند البخاري ومسلم ومالك والنساي قال ما من شي كنت لم اره الا رايته
في مقامي هذا حتى الجنة والنار ولقد اوحي الي انكم تفتنون في قبوركم مثل او قريبا من فتنة
المسيح الدجال يقال له ما علمك بهذا الرجل فاما المومن او الموقن لا ادري اي ذلك قالت
اسما فيقول هو محمد رسول الله جانا بالبينات والهدى فاجبنا واتبعنا هو محمد ثلاثا فيقال
نم صالحا قد علمنا ان كنت لموقنا واما المنافق والمرتاب لا ادري اي ذلك قالت اسما فيقول
لا ادري سمعت الناس يقولون شيا فقلته وفي رواية فرايت امراة تخدشها هرة
ربطتها حتى ماتت جوعا وعطشا وفي رواية فرايت عمرو بن مالك يجر قصبه في النار وكان
اول من غير دين ابراهيم وراى فيها سارق الحاج يعذب قوله قصبه بضم القاف وسكون
الصاد اي امعاه وفي رواية عائشة ثم قال يا امة محمد والله ما من احد اغير من الله من ان

يزني

يزني عبده او تزني امته والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا الا هل بلغت اي
لو تعلمون من عظم انتقام الله من اهل الجرايم وشدة عقابهم واهوال القيامة ما اعلم
وما بعد ما كما علمت وترون النار كما رايت في مقامي هذا وفي غيره لبكيتم كثيرا ولقل ضحككم
لفكركم مما علمتموه وفي حديث عائشة رضي الله عنها عند البخاري خرج الى المسجد فصف
الناس وراه فكبر فاقترا رسول الله صلى الله عليه وسلم قراءة طويلة ثم كبر فركع ركوعا
طويلا ثم قال سمع الله لمن حمده فقام ولم يسجد وقرا قراءة طويلة هي ادنى من القراءة
الاولى لو زاد في رواية ربنا ولك الحمد واستدل به على استحباب الذكر المشروع في الاعتدال
في اول القيام الثاني من الركعة الاولى واستشكله بعض متاخري الشافعية من جهة
كونه قيام قراءة لا قيام اعتدال بدليل اتفاق العلماء ممن قال بزيادة الركوع في كل
ركعة على قراءة الفاتحة فيه وان كان محمد بن مسلمة المالكي خالف فيه والجواب ان
صلاة الكسوف جاءت على صفة مخصوصة ولا مدخل للقياس فيها بل كلما ثبت انه صلى الله
عليه وسلم فعله فيها كان مشروعا لانها اصل براسها وبهذا المعنى رد الجمهور على من قاسها
على صلاة النافلة حتى منع من زيادة الركوع فيها فصلاة الكسوف اشبه شي بصلاة العيد
ونحوها مما يجمع فيه من مطلق النوافل فامتازت صلاة الجنازة بترك الركوع والسجود
وصلاة العيد بزيادة التكبيرات وصلاة الخوف بزيادة الافعال الكثيرة واستدبار القبلة
وكذلك اختصت صلاة الكسوف بزيادة الركوع فالاخذ به جامع بين العمل بالنص
والقياس بخلاف من لم يعمل به وقد تبين ان لصلاة الكسوف هيئة تخصها من التطويل
الزايد على العادة كالقيام وغيره ومن زيادة ركوع في كل ركعة وقد وردت زيادة
في ذلك من طرق اخرى وعند مسلم من وجه اخر عن عائشة واخر عن جابر ان في كل
ركعة ثلاث ركعات وعنده من وجه اخر عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان في كل
ركعة اربع ركوعات ولابي داود من حديث ابي بن كعب والبزار من حديث علي ان في
كل ركعة خمس ركوعات ولا تخلو اسنادها منها عن علة ونقل ابن القيم في الهدي عن
الشافعي واحمد والبخاري انهم كانوا يعدون الزيادة على الركوعين في كل ركعة غلطا من
بعض الرواة فان اكثر طرق الحديث يمكن الرد بعضها الى بعض ويجمعها ان ذلك كان يوم
مات ابراهيم عليه السلام واذا اتحدت القصة تعين الاخذ بالراجح وجمع بعضهم بين هذه
الاحاديث لتعدد الواقعة وان الكسوف وقع مرارا فيكون كل من هذه الاوجه جايزا
وقال ابن خزيمة وابن المنذر والخطابي وغيرهم من الشافعية يجوز العمل بجميع ما ثبت
من ذلك وهو من الاختلاف المباح وقواه النووي في شرح مسلم وابدى بعضهم ان حكمة
الزيادة في الركوع والنقص كان بحسب سرعة الانجلا وبطوه فحين وقع الانجلا في اول ركوع
اقتصر على مثل هذه النافلة وحين ابطا زاد ركوعا وحين زاد في الابطا زاد ثالثا وهكذا
الى غاية ما ورد في ذلك وتعقبه النووي وغيره ان بطا الانجلا وعلمه لا يعلم في اول
الحال ولا في الركعة الاولى وقد اتفقت الروايات على ان عدد الركوع في الركعتين سوا
وهذا يدل على انه مقصود في نفسه منوي في اول الحال انتهى ملخصا من فتح الباري

وعند الامام احمد انه لما سلم حمد الله واثني عليه وتشهد ان لا اله الا الله وشهد انه عبد الله ورسوله ثم قال ايها الناس انشدكم بالله ان كنتم تعلمون اني قصرت عن شيء من تبليغ رسالات ربي لما اخبرتموني ذلك فقام رجل فقال نشهد انك قد بلغت رسالات ربك ونصحت لامتك وقضيت الذي عليك ثم قال وايم الله لقد رايت منذ قمت اصلي ما انتم لاقوه من امر دنياكم واخرتكم انه والله لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذابا اخرهم الاعور الدجال من تبعه لم ينفعه صالح من عمله وفي البخاري وقالت عايشة واسما خطب النبي صلى الله عليه وسلم وقد اختلف في الخطبة فيه واستحبها الشافعي واسحق واكثر اهل الحديث وقال ابن قدامه لم يبلغنا عن احمد ذلك وقال صاحب الهداية من الحنفية ليس في الكسوف خطبة لانه لم ينقل وتعقب بان الاحاديث ثبتت فيه وهي ذات كثرة والمشهور عند المالكية ان لا خطبة لها مع ان مالكا روى الحديث وفيه ذكر الخطبة واجاب بعضهم بانه صلى الله عليه وسلم لم يقصد لها الخطبة بخصوصها وانما اراد ان يبين لهم الرد على من يعتقد ان الكسوف لموت بعض الناس وتعقب بما في الاحاديث الصحيحة من التصريح بالخطبة وحكاية شرايطها من الحمد والثنا والموعظة وغير ذلك مما تضمنته الاحاديث فلم يقتصر على الاعلام بسبب الكسوف والاصل مشروعية الاتباع والخصايص لا تثبت الا بدليل انتهى وعن المغيرة بن شعبة عند البخاري كسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم مات ابراهيم عليه السلام فقال الناس كسفت الشمس لموت ابراهيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشمس والقمر آيتان من ايات الله لا ينكسفان لموت احد ولا لحياته فاذا رايتموهما فصلوا وادعوا الله وابراهيم هو ابن النبي صلى الله عليه وسلم وقد ذكر جمهور اهل السير انه مات في السنة العاشرة من الهجرة فقيل في ربيع الاول وقيل في رمضان وقيل في ذي الحجة والاكثر على انها وقعت في عاشر الشهر وقيل في رابعه وقيل في رابع عشره ولا يصح شيء منها على قول ذي الحجة لان النبي صلى الله عليه وسلم اذ ذاك بمكة في الحج وقد ثبت انه شهد وفاته وكانت بالمدينة بلا خلاف نعم قيل انه مات في سنة تسع فان ثبت فيصح وجزم النووي بانها كانت سنة الحديبية فلعل ذلك كان في اواخر ذي القعدة حين رجع منها وفي هذا الحديث ابطال ما كان اهل الجاهلية يعتقدونه من تاثير الكواكب في الارض قال الخطابي كانوا في الجاهلية يعتقدون ان الكسوف يوجب حدوث تغير في الارض من موت او ضرر فاعلم النبي صلى الله عليه وسلم انه اعتقاد باطل وان الشمس والقمر خلقان مسخران لله ليس لهما سلطان في غيرهما ولا قدرة للدفع عن انفسهما وعن عبد الله بن عمر قال لما انكسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم نودي ان الصلاة جامعة رواه البخاري وقوله ان بفتح الهمزة وتخفيف النون وهي المفسرة وفي رواية له ولمسلم في حديث عايشة بعث صلى الله عليه وسلم مناديا فنادى الصلاة جامعة قال ابن دقيق العيد وهذا الحديث حجة لمن استحب ذلك وقد اجمعوا على انه لا يؤذن له ولا يقام وروى ابن حبان انه صلى الله عليه وسلم صلى في كسوف الشمس والقمر ركعتين مثل

صلاتكم

صلاتكم واخرجه الدارقطني ايضا وفيه رد على من اطلق كابن رشيد انه صلى الله عليه وسلم لم يصل في كسوف القمر ومنهم من اول قوله صلى اي امر بالصلاة جمعا بين الروايتين وقال ابن القيم في الهدي انه لم ينقل انه صلى الله عليه وسلم صلى في كسوف القمر في جماعة لكن حكى ابن حبان في السيرة له ان القمر خسف في السنة الخامسة فصلى النبي صلى الله عليه وسلم باصحابه صلاة الكسوف فكانت اول صلاة كسوف في الاسلام وهذا ان ثبت انتفى التاويل المذكور وقد جزم مغلطاي في سيرته المختصرة وتبعه الحافظ ابن زين الدين العراقي في نظمها وفي البخاري من حديث عايشة جهر النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الكسوف بقراءته فاذا فرغ من قراءته كبر فركع واذا رفع من الركعة قال سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد ثم يعاود القراءة في صلاة الكسوف اربع ركعات في ركعتين واربع سجدات واستدل به على الجهر فيها بالنهار وحمله جماعة ممن لم ير ذلك على كسوف القمر قال الحافظ ابن حجر وليس بجيد لان الاسماعيلي روى هذا الحديث من وجه اخر عن الوليد بلفظ كسفت الشمس في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي مسند ابي داود الطيالسي انه صلى الله عليه وسلم جهر بالقراءة في صلاة الكسوف وقد ورد الجهر فيها عن علي مرفوعا وموقوفا اخرجه ابن خزيمة وغيره وقال به صاحبا ابي حنيفة واحمد واسحق وابن خزيمة وابن المنذر وغيرهما من محدثي الشافعية وابن العربي من المالكية وقال الطبري يخير بين الجهر والاسرار وقال الايمة الثلاثة يسر في الشمس ويجهر في القمر واحتج الشافعي بقول ابن عباس قرا نحوا من سورة البقرة لانه لو جهر لم يحتج الى التقدير وقد روى الشافعي تعليقا عن ابن عباس انه صلى بجنب النبي صلى الله عليه وسلم في الكسوف فلم يسمع منه حرفا ووصله البيهقي من ثلاثة طرق واسانيدها واهية وعلى تقدير صحتها فمثبت الجهر معه قدر زايد فالاخذ به اولى قال ابن العربي الجهر عندي اولى لانها صلاة جامعة ينادى لها ويخطب فاشبهت العيد والاستسقا انتهى ملخصا والله اعلم

الفصل الثاني في صلاته صلى الله عليه وسلم صلاة الاستسقا

اعلم ان الاستسقا طلب السقيا من الله عند الحاجة اليها كما يقول استعطى اي طلب العطا ولم يخالف احد من العلما في سنية الصلاة في الاستسقا الا ابو حنيفة محتجا باحاديث الاستسقا التي ليس فيها صلاة واحتج الجمهور بالاحاديث الثابتة في الصحيحين وغيرهما انه صلى الله عليه وسلم صلى الاستسقا ركعتين واما الاحاديث التي ليس فيها الصلاة فبعضها محمول على نسيان الراوي وبعضها كان في الخطبة للجمعة ويتعقبه صلاة الجمعة فاكتفى بها ولو لم تصل اصلا كان بيانا لجواز الاستسقا بالدعا بلا صلاة ولا خلاف في جوازه وتكون الاحاديث المثبتة للصلاة مقدمة لان فيها زيادة علم ولا معارضة بينهما والاستسقا انواع الاول الاستسقا بصلاة ركعتين وخطبتين ويتاهب قبله بصدقة وصيام وتوبة واقبال على الخير ومجانبة الشر ونحو ذلك من طاعة الله تعالى قال ابن عباس خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم متواضعا متخشعا متضرعا حتى اتى المصلى فرقي المنبر لم يخطب خطبتكم هذه ولكن لم يزل في الدعا والتضرع والتكبير ثم صلى ركعتين كما يصلي في العيد رواه الترمذي وغيره وفي حديث عبد الله بن زيد المازني قال خرج رسول الله صلى الله عليه

وسلم الى هذا المصلى يستسقي فصلى بهم ركعتين جهر فيهما بالقراءة واستقبل يدعو ورفع يديه
وحول رداءه حين استقبل القبلة وفي رواية قال وحول رداءه وجعل عطافه الايمن على عاتقه
الايسر وجعل عطافه الايسر على عاتقه الايمن ثم دعا الله قال الحافظ ابن حجر ولم اقف في شيء
من طرق حديث عبد الله بن زيد على سبب ذلك ولا على صفته صلى الله عليه وسلم حال الذهاب
الى المصلى ولا على وقت ذهابه وقد وقع ذلك في حديث عائشة عند ابي داود وابن حبان
قالت شكى الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قحوط المطر فامر بمنبر فوضع له في المصلى
ووعد الناس يوما يخرجون فيه فخرج حين بدا حاجب الشمس فقعد على المنبر فكبر وحمد الله
ثم قال انكم شكوتم جدب دياركم واستئخار المطر عن ابان زمانه عنكم وقد امركم الله ان تدعوه
ووعدكم ان يستجيب لكم ثم قال الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين الذي لا اله
الا هو يفعل ما يريد اللهم انت الله لا اله الا انت الغني ونحن الفقراء انزل علينا الغيث واجعل
ما انزلت لنا قوة وبلاغا الى حين ثم رفع يديه حتى بدا بياض ابطيه ثم حول الى الناس ظهره
وقلب او حول رداءه وهو رافع يديه ثم اقبل على الناس ونزل فصلى ركعتين فانشأ الله سحابا
فرعدت وبرقت ثم امطرت باذن الله تعالى فلم يات مسجده حتى سالت السيول فلما راى
سرعتهم الى الكن ضحك حتى بدت نواجذه فقال اشهد ان الله على كل شيء قدير واني عبد الله
ورسوله وقد حكى ابن المنذر الاختلاف في وقتها والراجح انه لا وقت لها معين وان كان
اكثر احكامها كالعيد لكنها تخالفه بانها لا تختص بيوم معين وهل تصنع بالليل استنبط بعضهم
من كونه صلى الله عليه وسلم جهر بالقراءة فيها بالنهار انها نهارية كالعيد والا فلو كانت تصلى بالليل
لاسر فيها بالنهار وجهر بالليل كمطلق النوافل ونقل ابن قدامة الاجماع على انها لا تصلى في
وقت الكراهة وافاد ابن حبان ان خروجه صلى الله عليه وسلم للمصلى للاستسقاء كان في
شهر رمضان سنة ست من الهجرة وذكر الواقدي ان طول ردائه صلى الله عليه وسلم
كان ستة اذرع في ثلاثة اذرع وطول ازاره اربعة اذرع وشبرين في ذراعين وشبر
كان يلبسهما في الجمعة والعيدين وقد روى ابو داود عن عباد استسقى صلى الله عليه وسلم
وعليه خميصة سوداء فاراد ان ياخذ باسفلها فيجعله اعلاها فلما ثقلت عليه قلبها على عاتقه
وقد استحب الشافعي في الجديد فعل ما هم به صلى الله عليه وسلم في تنكيس الرداء مع التحويل
الموصوف وزعم القرطبي تبعا لغيره ان الشافعي اختار في الجديد تنكيس الرداء لا تحويله والذي
في الام ما ذكرته والجمهور على استحباب التحويل فقط ولا ريب ان الذي استحبه الشافعي احوط
وعن ابي حنيفة وبعض المالكية لا يستحب شيء من ذلك واستحب الجمهور ان يحول الناس
بتحويل الامام ويشهد له ما رواه احمد من طريق اخرى عن عباد في هذا الحديث بلفظ وحول
الناس معه وقال الليث وابو يوسف يحول الامام وحده واستثنى ابن الماجشون النساء
فقال لا يستحب في حقهن واختلف في حكمة هذا التحويل فجزم المهلب بانه للتفاؤل بتحويل
الحال عما هي عليه وتعقبه ابن العربي بان من شرط الفال ان لا يقصد اليه قال وانما التحويل
امارة بينه وبين ربه قيل له حول رداءك ليتحول حالك وتعقب بان الذي جزم به يحتاج الى نقل
والذي رده ورد فيه حديث رجاله ثقات اخرجه الدارقطني والحاكم من طريق جعفر بن محمد

ابن علي

بن علي عن ابيه عن جابر ورجح الدارقطني ارساله وعلى كل حال فهو اولى من القول بالظن واستدل
بقوله في حديث عائشة ثم صلى ركعتين بعد قوله فقعد على المنبر على ان الخطبة في الاستسقاء
قبل الصلاة وهو مقتضى حديث ابن عباس لكن وقع عند احمد في حديث عبد الله بن زيد
التصريح بانه بدا بالصلاة قبل الخطبة وكذا في حديث ابي هريرة عند ابن ماجه قال فصلى بنا
ركعتين بغير اذان ولا اقامة والمرجح عند الشافعية والمالكية الثاني ولم يقع في شيء من طرق
حديث عبد الله بن زيد صفة الصلاة المذكورة ولا ما يقرا فيها وقد اخرج الدارقطني
من حديث ابن عباس انه يكبر فيهما سبعا وخمسا كالعيد وانه يقرا فيهما بسبح وهل اتاك
وفي اسناده مقال لكن اصله في السنن بلفظ ثم صلى ركعتين كما يصلي في العيدين فاخذ
بظاهره الشافعي فقال يكبر فيهما الثاني استسقاؤه عليه الصلاة والسلام في خطبة الجمعة
عن انس ان رجلا دخل المسجد يوم جمعة من باب كان نحو دار القضاء ورسول الله صلى الله
عليه وسلم قائم يخطب فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما ثم قال يا رسول الله
هلكت الاموال وانقطعت السبل فادع الله يغيثنا قال فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يديه ثم قال اللهم اغثنا اللهم اغثنا قال انس ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة
وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار قال فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس فلما توسطت
السماء انتشرت ثم امطرت قال فلا والله ما راينا الشمس سبتا قال ثم دخل رجل من ذلك
الباب في الجمعة المقبلة ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب فاستقبله قائما
فقال يا رسول الله هلكت الاموال وانقطعت السبل فادع الله يمسكها عنا قال فرفع
رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ثم قال اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الاكام والظراب
وبطون الاودية ومنابت الشجر قال فانقطعت وخرجنا نمشي في الشمس قال شريك
فسالت انس بن مالك اهو الرجل الاول قال لا ادري رواه مسلم وفي رواية له قال
فما يشير بيده الكريمة الى ناحية الا تفرجت حتى رايت المدينة في مثل الجوبة وسال
وادي قناة شهرا ولم يجئ احد من ناحية الا اخبر بجود وقوله يغيثنا بفتح اوله
يقال غاث الله البلاد يغيثها اذا ارسل عليها المطر وقوله من باب كان نحو دار القضاء
هي دار عمر بن الخطاب رضي الله عنه وسميت بذلك لانها بيعت في قضاء دينه وقوله
هلكت الاموال وفي رواية كريمة وابي ذر عن الكشميهني المواشي وهو المراد بالاموال
هنا وفي رواية للبخاري هلك الكراع بضم الكاف وهو يطلق على الخيل وغيرها وفي البخاري
ايضا هلكت الماشية هلك العيال هلك الناس وهو من ذكر العام بعد الخاص والمراد
بهلاكهم عدم وجود ما يعيشون به من الاقوات المفقودة بحبس المطر وانقطعت السبل
لان الابل ضعفت لقلة القوت عن السفر او لكونها لا تجد في طريقها من الكلأ ما يقيم اودها
والاكام بكسر الهمزة وقد تفتح وتمد جمع اكمة بفتحات التراب المجتمع وقيل الجبل الصغير
وقيل ما ارتفع من الارض والظراب بكسر المعجمة جمع ظرب بكسر الراء الجبل المنبسط
ليس بالعالي وقوله مثل الجوبة بفتح الجيم وسكون الواو وفتح الموحدة هي الحفرة
المستديرة الواسعة والمراد بها هنا الفرجة في السحاب والجود المطر الغزير وقوله

قناة شهرا اي جرى فيه المطر من الماء شهرا ففي هذا دليل على عظم معجزته عليه السلام وهو ان
سخرت السحاب له كما اشار اليها امتثلت بالاشارة دون كلام لان كلامه عليه السلام مناجاة
للحق تعالى واما السحاب فبالاشارة فلولا امرها بالطاعة له عليه السلام لما كان ذلك لانها ايضا
كالجماد مأموره حيث يشير وقد رما تميم وابن نعيم ورحم الله الشعر الطيبي ولقد احسن حيث قال

وغوث للخلق عام المحل مبتهلا   أفديك بالخلق من داع ومبتهل
صعدت كفيك اذكى الغمام فما   صوبت الا بصوب الواكف الهطل
كانما الارض تجا صوب ربقة   تحلى بالروض لنسج رائق الحلل
زهر من النور حلت روض ارضهم   زهر من النور صافى النبت مكتمل
من كل غصن نظير مورق خضر   وكل نور نضيد مورق خضل
تحية احيت الاحيا من مضر   بعد المضرة تروي السبل بالسبل
اتت على الارض سبعا غير مقلعة   لولا دعاؤك بالاقلاع لم تزل

وقوله في الحديث سبتا اي من السبت الى السبت وقوله ثم دخل رجل الظاهر انه غير الاول
لان النكرة اذا تكررت دلت على التعدد وفي رواية ابن اسحق فقام ذلك الرجل او غيره وفي رواية
فانقشعت عن المدينة فجعلت تمطر حواليها وما تمطر بالمدينة قطرة فنظرت الى المدينة
وانها لفي مثل الاكليل وهو بكسر الهمزة وسكون الكاف كل شيء دار من جوانبه واشتهر
لما يوضع على الراس ويحيط به وهو من ملابس الملوك كالتاج وفي رواية له فالف الله بين
السحاب ومكثنا حتى رايت الرجل الشديد تهمه نفسه ان ياتي اهله وفي رواية له ايضا
فرايت السحاب يتمزق كانه الملاحف حين تطوى والملا بضم الميم والقصر وقد تمد جمع ملاءة
وهي ثوب معروف واستدل بهذا الحديث على جواز الاستسقا بغير صلاة مخصوصة
وعلى ان الاستسقا ليس فيه صلاة فاما الاول فقال به الشافعي واما الثاني فقال به
ابو حنيفة وتعقب بان الذي وقع في هذه القصة مجرد دعا لا ينافي مشروعية الصلاة لها
وقد ثبت في واقعة اخرى كما تقدم والله اعلم الثالث استسقاؤه صلى الله عليه وسلم
على منبر المدينة روى البخاري في الدلائل من طريق يزيد بن عبيد السلمي قال لما قفل
رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك اتاه وفد بني فزارة بضعة عشر رجلا
فيهم خارجة بن حصن والحر بن قيس وهو اصغرهم فنزلوا في دار رملة بنت الحرث من
الانصار وقدموا على ابل عجاف وهم مسنتون فاتوا مقرين بالاسلام فسالهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن بلادهم فقالوا يا رسول الله اسنتت بلادنا واجدب جنابنا وعرت
عيالنا وهلكت مواشينا فادع ربك يغيثنا واشفع لنا الى ربك وليشفع ربك اليك فقال
صلى الله عليه وسلم سبحان الله ويلك انا شفعت الى ربي فمن ذا الذي يشفع ربنا اليه
لا اله الا هو العظيم وسع كرسيه السموات والارض وهو يئط من عظمته وجلاله كما
يئط الرحل الجديد فقال صلى الله عليه وسلم ان الله ليضحك من شغفكم وقرب غياثكم
فقال الاعرابي او يضحك ربنا يا رسول الله قال نعم فقال الاعرابي لن نعدم يا رسول الله
من رب يضحك خيرا فضحك النبي صلى الله عليه وسلم من قوله فقام صلى الله عليه وسلم

فصعد

فصعد المنبر وتكلم بكلمات ورفع يديه وكان صلى الله عليه وسلم لا يرفع يديه في شيء من الدعا
الا في الاستسقا فرفع يديه حتى رئي بياض ابطيه وكان مما حفظ من دعائه اللهم اسق
بلدك وبهيمتك وانشر رحمتك واحي بلدك الميت اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريا مريعا طبقا
واسعا عاجلا غير اجل نافعا غير ضار اللهم سقيا رحمة لا سقيا عذاب ولا هدم ولا غرق
ولا محق اللهم اسقنا الغيث وانصرنا على الاعدا فقام ابو لبابة بن عبد المنذر فقال
يا رسول الله ان التمر في المرابد فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اسقنا فقال ابو لبابة التمر
في المرابد ثلاث مرات فقال عليه السلام اللهم اسقنا حتى يقوم ابو لبابة عريانا يسد ثعلب
مربده بازاره قال فلا والله ما في السما من قزعة ولا سحاب وما بين المسجد وسلع من بنا
ولا دار فطلعت من ورا سلع سحابة مثل الترس فلما توسطت السما انتشرت وهم ينظرون ثم
امطرت فوالله ما راوا الشمس سبتا وقام ابو لبابة عريانا يسد ثعلب مربده بازاره لئلا
يخرج التمر منه فقال الرجل يا رسول الله يعني الذي ساله ان يستسقي لهم هلكت الاموال
وانقطعت السبل فصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فدعا ورفع يديه مدا
حتى رئي بياض ابطيه ثم قال اللهم حوالينا ولا علينا على الاكام والظراب وبطون الاودية
ومنابت الشجر فانجابت السحابة عن المدينة كانجياب الثوب والاطيط صوت الاقتاب
يعني ان الكرسي ليعجز عن حمله وعظمته اذ كان معلوما ان اطيط الرحل بالراكب انما
يكون لقوة ما فوقه وعجزه عن احتماله وهذا مثل لعظمته تعالى وجلاله وان لم يكن اطيط
وانما هو كلام تقريب اريد به تقرير عظمة الله تعالى وقوله طبقا بفتح الطا والموحدة اي مالئا
للارض مغطيا لها يقال غيث طبق اي عام واسع والمربد موضع يجفف فيه التمر وثعلبه
ثقبه الذي يسيل منه ماء المطر وعن انس بن مالك قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال يا رسول الله اتيناك وما لنا صبي يغط ولا بعير يئط اي ما لنا بعير اصلا لان البعير
لا بد ان يئط

وانشد يقول

اتيناك والعذرا يدمى لبانها   وقد شغلت ام الصبي عن الطفل
والقى بكفيه الفتى لاستكانة   من الجوع ضعفا ما يمر ولا يحلي
ولا شيء مما ياكل الناس عندنا   سوى الحنظل العامي والعلهز الفسل
وليس لنا الا اليك فرارنا   واين فرار الناس الا الى الرسل

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يجر رداه حتى صعد المنبر فرفع يديه الى السما ثم
قال اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريعا غدقا طبقا نافعا غير ضار عاجلا غير رايث تملا به الضرع
وتنبت به الزرع وتحيي به الارض بعد موتها فما رد صلى الله عليه وسلم يديه الى نحره قال عمارة
حتى القت السما بابراقها وجاء اهل البطانة يصيحون الغرق الغرق فقال عليه السلام حوالينا
ولا علينا فانجاب السحاب عن المدينة حتى احدق بها كالاكليل وضحك صلى الله عليه وسلم
حتى بدت نواجذه ثم قال لله در ابي طالب لو كان حيا لقرت عيناه من ينشدنا قوله
فقال علي يا رسول الله كانك تريد قوله

وابيض يستسقى الغمام بوجهه   ثمال اليتامى عصمة للارامل

يطيف به الهلاك من آل هاشم ۝ فهم عنده في نعمة وفواضل
كذبتم وبيت الله نبزي محمدا ۝ ولما نطاعن حوله ونناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله ۝ ونذهل عن ابنائنا والحلائل

فقال اجل رواه البيهقي وقوله يدما لبانها اي يدمى صدرها لامتهانها نفسها في الخدمة حيث لا تجد ما تعطيه من يخدمها من الجدب وشدة الزمان واصل اللبان في الفرس اللبب ثم استعير للناس وقوله مما يمر وما يحلى اي ما ينطق ولا يسر من الجوع والضعف وقوله سوى الحنظل العامي لانه يتخذ كما قالوا الجدب السنة والعلهز بالكسر طعام كانوا يتخذونه من الدم ووبر البعير في سني المجاعة قاله الجوهري والفسل الرذل قال السهيلي فان قلت كيف قال ابو طالب وابيض يستسقى الغمام بوجهه ولم يره قط استسقى وانما كان ذلك منه بعد الهجرة واجاب بما حاصله ان ابا طالب اشار الى ما وقع في زمن عبد المطلب حيث استسقى لقريش والنبي صلى الله عليه وسلم معه وهو غلام انتهى وقال الحافظ ابن حجر ويحتمل ان يكون ابو طالب مدحه بذلك لما راى من مخايل ذلك فيه انتهى وقد اخرج ابن عساكر عن جلهمة ابن عرفطة قال قدمت مكة وهم في قحط فقالت قريش يا ابا طالب اقحط الوادي واجدب العيال فهلم واستسق فخرج ابو طالب ومعه غلام كانه شمس دجن تجلت عنه سحابة قتما وحوله اغيلمة فاخذه ابو طالب فالصق ظهره بالكعبة ولاذ الغلام وما في السماء قزعة فاقبل السحاب من ههنا وههنا واغدق واغدودق وانفجر له الوادي واخصب النادي والبادي وفي ذلك يقول ابو طالب وابيض يستسقى الغمام بوجهه

الرابع استسقاؤه صلى الله عليه وسلم بالدعاء من غير صلاة عن ابن مسعود ان قريشا ابطاوا عن الاسلام فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذتهم سنة حتى هلكوا فيها واكلوا الميتة والعظام فجاءه ابو سفيان فقال يا محمد جئت تامر بصلة الرحم وان قومك هلكوا فادع الله فقرا فارتقب يوم تاتي السماء بدخان مبين ثم عادوا الى كفرهم فذلك قوله يوم نبطش البطشة الكبرى يوم بدر ولم ينقل ان ابا سفيان قدم المدينة قبل بدر وعلى هذا فيحتمل ان يكون ابو طالب كان حاضرا ذلك فلذلك قال وابيض يستسقى الغمام بوجهه لكن ورد ما يدل على ان القصة وقعت بالمدينة فان لم يحمل على التعدد والا فهو مشكل وفي الدلائل للبيهقي عن كعب بن مرة او مرة بن كعب قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مضر فاتاه ابو سفيان فقال ادع الله لقومك فقد هلكوا وقد رواه احمد وابن ماجه عن كعب بن مرة ولم يشك فابهم ابا سفيان قال جاءه رجل فقال استسق الله لمضر قال يا رسول الله استنصرتك الله فنصرك ودعوت الله فاجابك فرفع يديه فقال [illegible] غيثا مغيثا الحديث فظهر ان هذا الرجل المبهم المقول له انك لجرئ هو ابو سفيان لكن يظهر ان فاعل قال يا رسول الله استنصرتك الله الى اخره هو كعب بن مرة راوي هذا الحديث لما اخرجه احمد ايضا والحاكم عن ابي بن كعب قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مضر فاتيته فقلت يا رسول الله ان الله قد نصرك واعطاك واستجاب لك وان قومك قد هلكوا وعلى هذا فكان ابا سفيان وكعبا حضرا جميعا فكلمه ابو سفيان بشيء وكعب بشيء فدل ذلك على اتحاد قصتهما وقد ثبت في هذه ما ثبت

اللهم اسقنا

في تلك

في تلك من قوله انك لجرئ ومن قوله فقال اللهم حوالينا ولا علينا وسياق كعب بن مرة يشعر بان ذلك وقع بالمدينة لقوله استنصرت الله فنصرك ولا يلزم من هذا اتحاد هذه القصة مع قصة انس السابقة فانه احرى لان في رواية انس فلم ينزل من المنبر حتى مطروا وفي هذه فما كان الا جمعة او نحوها حتى مطروا والسائل في هذه القصة غير السائل في تلك فهما قصتان وقع في كل منهما طلب الدعا بالاستسقا ثم طلب الدعا بالاستصحاء ان ثبت ان كعب بن مرة اسلم قبل الهجرة حمل قوله استنصرت الله فنصرك على النصرة بالاجابة دعائه عليهم وزال الاشكال المتقدم والله اعلم انتهى ملخصا من فتح الباري

الخامس استسقاؤه صلى الله عليه وسلم عند احجار الزيت قريبا من الزوراء وهي خارج باب المسجد الذي يدعى باب السلام نحو قذفة بحجر ينعطف عن يمين الخارج من المسجد عن عمير مولى ابي اللحم انه راى النبي صلى الله عليه وسلم يستسقي رافعا يديه قبل وجهه لا يجاوز بهما راسه رواه ابو داود والترمذي

السادس استسقاؤه عليه السلام في بعض غزواته لما سبقه المشركون الى الماء فاصاب المسلمين العطش فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعض المنافقين لو كان نبيا لاستسقى لقومه كما استسقى موسى لقومه فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال اوقد قالوها عسى ربكم ان يسقيكم ثم بسط يديه ودعا فما رد يديه من دعائه حتى اظلهم السحاب وامطروا الى ان سال الوادي فشرب الناس وارتووا

فصل عن سالم بن عبد الله عن ابيه مرفوعا انه كان اذا استسقى قال اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين اللهم ان بالبلاد والعباد والبهائم والخلق من اللأواء والجهد والضنك ما لا نشكو الا اليك اللهم انبت لنا الزرع وادر لنا الضرع واسقنا من بركات السماء وانبت لنا من بركات الارض اللهم ارفع عنا الجهد والجوع والعري واكشف عنا من البلاء ما لا يكشفه غيرك اللهم انا نستغفرك انك كنت غفارا فارسل السماء علينا مدرارا رواه الشافعي

فصل روى ابو الجوزاء قال قحط اهل المدينة قحطا شديدا فشكوا الى عائشة فقالت انظروا الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجعلوا منه كوا الى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف ففعلوا فمطروا حتى نبت العشب وسمنت الابل حتى تفتقت من الشحم فسمي عام الفتق وروى ابن ابي شيبة باسناد صحيح من رواية ابي صالح السمان عن مالك الدار قال اصاب الناس قحط في زمن عمر بن الخطاب فجاء رجل الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله استسق لامتك فانهم قد هلكوا فاتى الرجل في المنام فقيل له ائت عمر وفي رواية عبد الرزاق ان عمر [illegible] استسقى بالمصلى فقال للعباس قم فاستسق وذكر الزبير بن بكار ان عمر بن الخطاب استسقى بالعباس عام الرمادة بفتح الراء وتخفيف الميم وسمي به لما حصل من شدة الجدب فاغبرت الارض جدا من عدم المطر وذكر ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في كتاب الاستسقاء ان العباس لما استسقى ذلك اليوم قال اللهم ان عندك سحابا وعندك ماء فانشر السحاب ثم انزل منه الماء ثم انزله علينا واشدد به الاصل واطل به الفرع وادر به الضرع اللهم شفعنا اليك عمن لا منطق له من بهائمنا وانعامنا اللهم اسقنا

مستقيا وادعه بالسنة طيبنا اللهم لا نرغب الا اليك وحدك لا شريك لك اللهم نشكو اليك سغب
كل ساغب وعدم كل عادم وجوع كل جائع وعري كل عاري وخوف كل خائف وفي رواية الزبير
ابن بكار ان العباس لما استسقى به عمر قال اللهم انه لم ينزل بلاء الا بذنب ولم يكشف الا بتوبة
وقد توجه بي القوم اليك لمكاني من نبيك وهذه ايدينا اليك بالذنوب ونواصينا اليك بالتوبة
فاسقنا الغيث فارخت السماء مثل الجبال حتى اخصبت الارض وعاش الناس وعنده ايضا فخطب
الناس فقال عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرى للعباس ما يرى الولد للوالد فاقتدوا
ايها الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم في عمه العباس واتخذوه وسيلة الى الله وفيه
فما برحوا حتى سقوا وفي ذلك يقول عباس بن عتبة بن ابي لهب

بعمي سقى الله الحجاز واهله ۞ عشية يستسقي بشيبته عمر
توجه بالعباس في الجدب راغبا ۞ اليه فما ان رام حتى اتى المطر
ومنا رسول الله فينا تراثه ۞ فهل فوق هذا للمفاخر مفتخر

القسم الثالث في ذكر صلاته صلى الله عليه وسلم في السفر وفيه فصول الاول
في قصره صلى الله عليه وسلم الصلاة وفيه احكامه وفيه فرعان الاول في كم كان يقصر
عليه السلام تقدم هل القصر رخصة او عزيمة وما استدل به لكل من القولين في اوائل هذا
المقصد وعن انس بن مالك قال صليت الظهر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة
اربعا وخرج يريد مكة فصلى بذي الحليفة العصر ركعتين رواه البخاري ومسلم وهذا
الحديث مما احتج به اهل الظاهر في جواز القصر في طويل السفر وقصيره فان بين المدينة
وذي الحليفة ستة اميال ويقال سبعة وقال الجوهري لا يجوز القصر الا في سفر يبلغ مرحلتين
وقال ابو حنيفة وطائفة شرطه ثلاث مراحل واعتمدوا في ذلك اثارا عن الصحابة واما هذا
الحديث فلا دلالة له فيه لاهل الظاهر لان المراد انه صلى الله عليه وسلم حين سافر الى مكة
في حجة الوداع صلى الظهر بالمدينة اربعا ثم سافر فادركته العصر وهو مسافر بذي الحليفة
فصلاها ركعتين وليس المراد ان ذا الحليفة غاية سفره فلا دلالة فيه قطعا والاحاديث
المطلقة مع ظاهر القرآن متعاضدات على جواز القصر من حين يخرج من البلد فانه
حينئذ يسمى مسافرا وطويل السفر ثمانية واربعون ميلا هاشمية وهي ستة عشر فرسخا
وهي اربعة برد والميل من الارض منتهى مد البصر لان البصر يميل عنه على وجه الارض حتى
يفنى ادراكه وبذلك جزم الجوهري وقيل حده ان ينظر الى الشخص في ارض مسطحة
فلا يدري اهو رجل او امراة او هو ذاهب او آت قال النووي الميل ستة الاف ذراع
والذراع اربعة وعشرون اصبعا معترضة وقد حرره غيره بذراع الحديد المستعمل
الان بمصر والحجاز في هذه الاعصار فوجده ينقص عن ذراع الحديد بقدر الثمن فعلى
هذا الميل بذراع الحديد خمسة الاف ذراع ومئتان وخمسون ذراعا وهذه فائدة
جليلة قل من تنبه لها وروى البيهقي عن عطاء ان ابن عمر وابن عباس كانا يصليان
ركعتين اي يقصران في اربعة برد فما فوقها وذكره البخاري في صحيحه تعليقا بصيغة
الجزم ورواه بعضهم عن صحيح ابن خزيمة مرفوعا من رواية ابن عباس وقد كان فرض

الصلاة

فائدة

الصلاة ركعتين ركعتين فلما هاجر عليه السلام فرضت اربعا رواه البخاري من حديث
عائشة لكن يعارضه حديث ابن عباس فرضت الصلاة في الحضر اربعا وفي السفر ركعتين
رواه مسلم وجمع بينهما بما يطول ذكره ثم بعد ان استقر فرض الرباعية خفف منها في السفر
عند نزول قوله تعالى فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ويؤيده ما ذكره ابن الاثير
في شرح المسند ان قصر الصلاة كان في السنة الرابعة من الهجرة وقيل كان قصر الصلاة
في ربيع الاخر من السنة الثانية ذكره الدولابي وقيل بعد الهجرة باربعين يوما الفرع الثاني
في القصر مع الاقامة عن انس قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة الى مكة
وكان يصلي ركعتين ركعتين حتى رجعنا الى المدينة قيل له اقمتم بمكة شيئا قال اقمنا بها
عشرا رواه البخاري ومسلم مختصرا قال اقمنا مع النبي صلى الله عليه وسلم عشرة نقصر الصلاة
وعن ابن عباس اقام النبي صلى الله عليه وسلم تسع عشرة يقصر الصلاة فنحن اذا سافرنا
تسعة عشر قصرنا وان زدنا اتممنا رواه البخاري وفي رواية ابي داود انه صلى الله عليه
وسلم اقام سبعة عشر بمكة يقصر الصلاة قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فلو اقام
اكثر اتم والرواية الاولى بتقديم التاء على السين والثانية بتقديم السين على الموحدة
ولابي داود من حديث عمران بن الحصين غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الفتح
فاقام بمكة ثماني عشرة ليلة لا يصلي الا ركعتين وله من طريق ابن اسحق عن الزهري
عن عبيد الله عن ابن عباس اقام صلى الله عليه وسلم بمكة عام الفتح خمسة عشرة يقصر
الصلاة وجمع البيهقي بين هذا الاختلاف بان من قال تسع عشرة عد يوم الدخول والخروج
ومن قال سبعة عشر حذفهما واما رواية خمسة عشر فضعفها النووي في الخلاصة وليس
بجيد لان رواتها ثقات ولم ينفرد بها ابن اسحق فقد اخرجها النسائي من رواية عراك
ابن مالك عن عبيد الله كذلك واذا ثبت انها صحيحة فيحمل ان الراوي ظن ان رواية
الاصل سبع عشرة فحذف منها يومي الدخول والخروج فذكر انها خمس عشرة واقتضى ان رواية
تسع عشرة ارجح الروايات واخذ الشافعي بحديث عمران بن الحصين لكن محله عنده فيمن
لم ينو مع الاقامة في اول الحال على اربعة ايام اتم على خلاف بين الصحابة دخول يوم الد
والخروج فيها ولا معارضة بين حديث ابن عباس وحديث انس لان حديث ابن عباس كان
في فتح مكة وحديث انس كان في حجة الوداع وفي حديث ابن عباس قدم صلى الله عليه وسلم
واصحابه يعني مكة لصبح رابعة ولا شك انه خرج من مكة صبح الرابع عشر فتكون مدة الاقامة
بمكة وضواحيها عشرة ايام بلياليها كما قال انس ويكون مدة اقامته بمكة اربعة ايام سوا
لانه قدم في اليوم الرابع وخرج منها في اليوم الثامن فصلى الظهر في منى ومن ثم قال الشافعي
ان المسافر اذا اقام ببلدة قصر اربعة ايام فالمدة التي في حديث ابن عباس يسوغ الاستدلال
بها على من لم ينو الاقامة بل كان مترددا متى تهيا له فراغ حاجته يرحل والمدة التي في حديث انس
يستدل بها على من نوى الاقامة لانه صلى الله عليه وسلم في ايام الحج كان جازما بالاقامة
تلك المدة ووجه الدلالة من حديث ابن عباس لما كان الاصل في المقيم الاتمام فلما لم يجئ عنه
صلى الله عليه وسلم انه اقام في حال السفر اكثر من تلك المدة جعلها غاية للقصر والله اعلم

فائدة اذا مضت عليه المدة المذكورة
وجب عليه الاتمام فان ارتفع القاطع

الفصل الثاني وفيه فرعان ايضا **الاول في جمعه** صلى الله عليه وسلم عن انس كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ارتحل قبل ان تزيغ الشمس اخر الظهر الى وقت العصر
ثم نزل فجمع بينهما فان زاغت الشمس قبل ان يرتحل صلى الظهر ثم ركب وفي رواية كان اذا
اراد ان يجمع بين الصلاتين في السفر اخر الظهر حتى يدخل اول وقت العصر وفي اخرى
كان اذا عجل عليه السير يوخر الظهر الى اول وقت العصر فيجمع بينهما ويوخر المغرب حتى يجمع
بينها وبين العشا رواه البخاري وابو داود وفي رواية للبخاري كان يجمع بين هاتين الصلاتين
في السفر يعني المغرب والعشا وفي حديث ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم يجمع بين
صلاتي الظهر والعصر اذا كان على ظهر سير ويجمع بين المغرب والعشا رواه البخاري ولمسلم
جمع بين الصلاة في سفرة سافرها في غزوة تبوك فجمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشا
فاخروا الظهر يوما ثم خرج فصلى الظهر والعصر جميعا ودخل ثم خرج فصلى المغرب والعشا جميعا
وفي رواية ابي داود والترمذي من حديث معاذ بن جبل كان في غزوة تبوك اذا زاغت الشمس
قبل ان يرتحل جمع بين الظهر والعصر فان رحل قبل ان تزيغ الشمس اخر الظهر حتى ينزل للعصر
وفي المغرب مثل ذلك ان غابت الشمس قبل ان يرتحل جمع بين المغرب والعشا وان ارتحل قبل
ان تغيب الشمس اخر المغرب حتى ينزل للعشا ثم يجمع بينهما **الفرع الثاني في جمعه**
صلى الله عليه وسلم بجمع ومزدلفة عن ابن عمر رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم صلى
المغرب والعشا بالمزدلفة جميعا رواه البخاري ومسلم ومالك وابو داود زاد البخاري في رواية
كل واحدة منهما باقامة ولم يسبح بينهما ولمسلم جمع بين المغرب والعشا بجمع وصلى المغرب ثلاث
ركعات وصلى العشا ركعتين وفي حديث ابي ايوب الانصاري عند البخاري ومسلم جمع في حجة
الوداع بين المغرب والعشا في المزدلفة وفي رواية ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عند النسائي
صلى المغرب والعشا باقامة واحدة وفي رواية جعفر بن محمد عن ابيه عند ابي داود وصلى الظهر
والعصر باذان واحد بعرفة ولم يسبح بينهما واقامتين وصلى المغرب والعشا بجمع باذان واحد
واقامتين ولم يسبح بينهما **الفصل الثالث في صلاته صلى الله عليه وسلم**
النوافل في السفر عن ابن عمر قال سافرت مع النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر
وعثمان فكانوا يصلون الظهر والعصر ركعتين ركعتين ولا يصلي قبلها ولا بعدها وقال ابن عمر
لو كنت مصليا قبلها او بعدها لاتممتها رواه الترمذي وفي رواية صحبت النبي صلى الله عليه
وسلم فلم اره يسبح في السفر اي يتطوع بالرواتب التي قبل الفرايض وبعدها وهو مستفاد
من قوله في الرواية الاخرى فكان لا يزيد في السفر على ركعتين قال ابن دقيق العيد
وهذا اللفظ يحتمل ان يريد انه لا يزيد نفلا ويمكن ان يريد ما هو اعم من ذلك وفي رواية مسلم
صحبت ابن عمر في طريق مكة فصلى لنا الظهر ركعتين ثم اقبل واقبلنا معه حتى جاء رحلة
فجلس وجلسنا معه فحانت منه التفاتة فراى ناسا قياما فقال ما يصنع هولاء قلت
يسبحون قال لو كنت مسبحا لاتممت قال النووي اجابوا عن قول ابن عمر هذا بان الفريضة
متحتمة فلو شرعت تامة لتحتم اتمامها واما النافلة فهي الى خيرة المصلي فطريق الرفق
ان تكون مشروعة ويخير فيها انتهى وتعقب بان مراد ابن عمر بقوله لو كنت مسبحا لاتممت يعني

انه

انه لو كان مخيرا بين الاتمام وصلاة الراتبة لكان الاتمام احب اليه لكنه فهم من القصر التخفيف
فلذلك كان لا يصلي الراتبة ولا يتم وفي البخاري من حديث ابن عمر كان صلى الله عليه وسلم
يوتر على راحلته وبوب عليه باب الوتر في السفر واشار به الى الرد على من قال انه لا يسن
الوتر في السفر وهو منقول عن الضحاك واما قول ابن عمر لو كنت مسبحا في السفر لاتممت
كما اخرجه مسلم فانه اراد به راتبة المكتوبة لا النافلة المقصودة كالوتر وذلك بين
من سياق الحديث المذكور عند الترمذي من وجه اخر بلفظ لو كنت مصليا قبلها
او بعدها لاتممت واما حديث عايشة عند البخاري انه صلى الله عليه وسلم كان لا يدع
اربعا قبل الظهر وركعتين بعدها فليس بصريح في فعله ذلك في السفر ولعلها اخبرت
عن اكثر احواله وهو الاقامة والرجال اعلم بسفره من النسا واجاب النووي تبعا
لغيره بانها لعل النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي الرواتب في رحله ولا يراه ابن
عمر او لعله تركها في بعض الاوقات لبيان انتهى وفي رواية الترمذي من حديث ابن عمر
قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر في السفر ركعتين وبعدها ركعتين
وفي رواية صليت معه في الحضر والسفر فصليت معه في الحضر الظهر اربعا وبعدها
ركعتين وصليت معه في السفر الظهر ركعتين وبعدها ركعتين والعصر ركعتين ولم
يصل بعدها شيا والمغرب في الحضر والسفر سوى ثلاث ركعات لا تنقص في حضر
ولا سفر وهي وتر النهار وبعدها ركعتين وفي حديث ابي قتادة عند مسلم في قصة
النوم عن الصبح انه صلى الله عليه وسلم صلى ركعتين قبل الصبح ثم صلى الصبح كما كان
يصلي وقول صاحب الهدي انه لم يحفظ عنه صلى الله عليه وسلم انه صلى سنة
الصلاة قبلها ولا بعدها في السفر الا ما كان من سنة الفجر يرد على اطلاقه ما قدمناه
في رواية الترمذي من حديث ابن عمر وما رواه ابو داود والترمذي من حديث البرا
ابن عازب قال سافرت مع النبي صلى الله عليه وسلم ثمانية عشر سفرا فلم اره ترك
ركعتين اذا زاغت الشمس قبل الظهر وكانه لم يثبت عنده ذلك لكن الترمذي استغربه
ونقل عن البخاري انه راه حسنا وقد حمله بعض العلما على سنة الزوال لا على الراتبة
قبل الظهر **الفصل الرابع في صلاته صلى الله عليه وسلم**
التطوع في السفر على الدابة عن ابن عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي
سبحته حيثما توجهت ناقته وفي رواية يصلي وهو مقبل من مكة الى المدينة حيث
كان وجهه وفيه نزلت فاينما تولوا فثم وجه الله وفي رواية رايته صلى الله عليه وسلم
يصلي على حمار وهو موجه الى خيبر وفي رواية كان يوتر على البعير رواه مسلم وقد احتج
بهذه الاحاديث فقها الامصار لجواز التنفل على الراحلة في السفر حيث توجهت الا ان احمد
وابا ثور كانا يستحبان ان يستقبل القبلة بالتكبير حال ابتداء الصلاة والحجة لذلك
ما في حديث انس عند ابي داود انه صلى الله عليه وسلم كان اذا اراد ان يتطوع في السفر
استقبل بناقته القبلة ثم صلى حيث توجهت ركابه وذهب الجمهور الى جواز التنفل
على الدابة سوا كان السفر طويلا او قصيرا الا مالكا فخصه بالسفر الطويل وحجته

ان هذه الاحاديث انما وردت في اسفاره صلى الله عليه وسلم ولم ينقل عنه صلى الله عليه وسلم انه سافر سفرا قصيرا فيمتنع ذلك وحجة الجمهور مطلق الاخبار في ذلك وقوله يصلي على حمار قال النووي قال الدارقطني وغيره هذا غلط من عمرو بن يحيى المازني وانما المعروف في صلاته عليه السلام على راحلته او بعيره والصواب ان الصلاة على الحمار من فعل انس كما ذكره مسلم ثم قال وفي تغليط راويه نظر لانه ثقة نقل شيئا محتملا فلعله كان الحمار مرة والبعير مرة او مرات لكن قد يقال انه شاذ مخالف رواية الجمهور والشاذ مردود انتهى وعن يعلى بن مرة عن ابيه عن جده انهم كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسيرة فانتهوا الى مضيق فحضرت الصلاة فمطروا السماء من فوقهم والبلة من اسفل منهم فاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على راحلته فصلى بهم يومي ايماء يجعل السجود اخفض من الركوع رواه الترمذي **القسم الرابع في ذكر صلاته صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف** عن جابر قال اقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كنا بذات الرقاع كنا اذا اتينا على شجرة ظليلة تركناها للنبي صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم معلق بالشجرة فاخترطه فقال تخافني قال لا فقال من يمنعك مني قال الله فتهدده اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فغمد السيف وعلقه فاقيمت الصلاة فصلى بطايفة ركعتين ثم تاخروا وصلى بالطايفة الاخرى ركعتين فكان للنبي صلى الله عليه وسلم اربع ركعات وللقوم ركعتان رواه البخاري ومسلم ولمسلم فصففنا صفين خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم والعدو بيننا وبين القبلة فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وكبرنا جميعا ثم ركع ورفع راسه من الركوع ورفعنا جميعا ثم انحدر بالسجود والصف الذي يليه وقام الصف المؤخر في نحر العدو فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم السجود وقام الصف الذي يليه انحدر الصف المؤخر بالسجود وقاموا ثم تقدم الصف المؤخر وتاخر الصف المقدم ثم ركع النبي صلى الله عليه وسلم وركعنا جميعا ثم رفع راسه من الركوع ورفعنا جميعا ثم انحدر بالسجود والصف الذي يليه انحدر الصف المؤخر بالسجود فسجدوا ثم سلم النبي صلى الله عليه وسلم وسلمنا جميعا ولمسلم والبخاري ايضا من حديث يزيد بن رومان عن صالح بن خوات عمن صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم ذات الرقاع صلاة الخوف ان طايفة صفت معه وطايفة وجاه العدو فصلى بالتي معه ركعة ثم ثبت قايما واتموا لانفسهم ثم انصرفوا فصفوا وجاه العدو وجاءت الطايفة الاخرى فصلى بهم الركعة التي بقيت من صلاته ثم ثبت جالسا واتموا لانفسهم ثم سلم بهم قال مالك وذلك احسن ما سمعت من صلاة الخوف وما ذهب اليه مالك من ترجيح هذه الكيفية وافقه الشافعي واحمد على ترجيحها لسلامتها من كثرة المخالفة ولكونها احوط لامر الحرب وعن سالم بن عبد الله بن عمر عن ابيه قال غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد فوازينا العدو فصاففنا لهم فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي لنا فقامت طايفة معه واقبلت طايفة على العدو وركع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه وسجد سجدتين ثم انصرفوا مكان الطايفة

التي

التي لم تصل فجاوا فركع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة وسجد سجدتين ثم سلم فقام كل واحد منهم يركع لنفسه ركعة وسجد سجدتين رواه   وفي حديث جابر انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي بالناس صلاة الظهر في الخوف ببطن نخل فصلى بطايفة ركعتين ثم سلم ثم جاءت طايفة اخرى فصلى بهم ركعتين ثم سلم رواه البغوي في شرح السنة وعنه انه صلى الله عليه وسلم نزل بين ضجنان وعسفان فقال المشركون لهولاء صلاة هي احب اليهم من ابايهم وهي العصر فاجمعوا امركم فتميلوا عليهم ميلة واحدة وان جبريل اتى النبي صلى الله عليه وسلم فامره ان يقسم اصحابه شطرين فيصلي بهم وتقوم طايفة اخرى وراءهم وليأخذوا حذرهم واسلحتهم فيكون لهم ركعة ولرسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتان رواه الترمذي والنسائي قال ابن حزم وقد صح فيها يعني صلاة الخوف اربعة عشر وجها وبينها في جزء مفرد وقال ابن الجوزي في القبس جاء فيها روايات كثيرة اصحها ستة عشر رواية مختلفة ولم يبينها وقال النووي نحوه في شرح مسلم ولم يبينها ايضا وقد بينها الحافظ زين الدين العراقي في شرح الترمذي وزاد وجها اخر فصارت سبعة عشر وجها لكن يمكن ان تتداخل قال صاحب الهدي اصولها ست صفات وبلغها بعضهم اكثر وهولاء كلما راوا اختلاف الرواة في قصة جعلوا ذلك وجوها من فعله صلى الله عليه وسلم وانما هو من اختلاف الرواة انتهى وهذا هو المعتمد واليه اشار الحافظ العراقي بقوله يمكن تداخلها وقد حكى ابن القصار المالكي ان النبي صلى الله عليه وسلم صلاها عشر مرات وقال ابن العراقي اربعا وعشرين وقال الخطابي صلاها عليه السلام في ايام مختلفة باشكال متباينة يتحرى فيها ما هو الاحوط للصلاة والابلغ للحراسة فهي على اختلاف صورها متفقة المعنى انتهى وفي كتب الفقه لها تفاصيل مذكورة كثيرة بطول ذكرها حكاه في فتح الباري **القسم الخامس في ذكر صلاته صلى الله عليه وسلم على الجنازة** وفيه فروع اربعة **الاول** في عدد التكبيرات عن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه وخرج بهم الى المصلى فصف بهم وكبر عليه اربع تكبيرات رواه البخاري ومسلم وعند الترمذي من حديث ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم كبر على جنازة فرفع يديه في اول تكبيرة ووضع اليمنى على اليسرى **الفرع الثاني في القراءة والدعا** نقل ابن المنذر عن ابن مسعود والحسن بن علي وابن الزبير والمسور بن مخرمة مشروعية قراءة الفاتحة في صلاة الجنازة وبه قال الشافعي واحمد واسحق ونقل عن ابي هريرة وابن عمر ليس فيها قراءة وهو قول مالك والكوفيين وروى عبد الرزاق والنسائي باسناد صحيح عن ابي امامة ابن سهل بن حنيف قال السنة في الصلاة على الجنازة ان يكبر ثم يقرا بام القران ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يخلص الدعا للميت ولا يقرا الا في الاولى وفي البخاري عن سعد عن طلحة قال صليت خلف ابن عباس على جنازة فقرا فاتحة الكتاب وقال لتعلموا انها سنة وليس فيه بيان محل قراءة الفاتحة وقد وقع التصريح بذلك في حديث جابر عند الشافعي بلفظ وقرا بام القران بعد التكبيرة الاولى كما ذكره الحافظ زين الدين

العراقي في شرح الترمذي وعن ابن عباس قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم على جنازة فقرا بفاتحة الكتاب رواه الترمذي وقال لا يصح هذا والصحيح عن ابن عباس قوله من السنة وهذا مصير منه الى الفرق بين الصيغتين ولعله اراد الفرق بالسنة الى الصراحة والاحتمال وعن عوف بن مالك صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على جنازة فحفظنا من دعائه اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه واكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الابيض من الدنس وابدله دارا خيرا من داره واهلا خيرا من اهله وزوجا خيرا من زوجه وادخله الجنة واعذه من عذاب القبر قال عوف حتى تمنيت ان اكون ذلك الميت لدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه مسلم وعن واثلة بن الاسقع قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل من المسلمين فسمعته يقول اللهم ان فلان ابن فلان في ذمتك وحبل جوارك فقه من فتنة القبر وعذاب النار وانت اهل الوفاء والحق اللهم اغفر له وارحمه انك انت الغفور الرحيم رواه ابو داود وعن ابي هريرة قال كان صلى الله عليه وسلم اذا صلى على الجنازة قال اللهم اغفر لحينا وميتنا وشاهدنا وغائبنا وصغيرنا وكبيرنا وذكرنا وانثانا اللهم من احييته منا فاحيه على الاسلام ومن توفيته منا فتوفه على الايمان اللهم لا تحرمنا اجره ولا تفتنا بعده رواه احمد وابو داود والترمذي وعنه سمعته صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انت ربها وانت خلقتها هديتها للاسلام فقبضت روحها وانت اعلم بسرها وعلانيتها جئنا شفعاء فاغفر لها رواه ابو داود

الفرع الثالث في صلاته صلى الله عليه وسلم على القبر عن ابي هريرة ان امراة سوداء كانت تقم المسجد ففقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال عنها فقالوا ماتت قال افلا اذنتموني قال فكانهم صغروا امرها فقال دلوني على قبرها فدلوه فصلى عليها رواه البخاري ومسلم زاد ابن حبان فقال في رواية حماد بن سلمة عن ثابت ان هذه القبور مملوءة ظلمة على اهلها وان الله ينورها بصلاتي عليهم واشار الى بعض المخالفين احتج بهذه الزيادة على ان ذلك من خصائصه صلى الله عليه وسلم ثم ساق من طريق خارجة بن زيد بن ثابت عن عمه يزيد ابن ثابت نحو هذه القصة وفيها ثم اتى القبر فصففنا خلفه وكبر عليه اربعا قال ابن حبان في ترك الانكار عليه الصلاة والسلام على من صلى معه على القبر بيان جواز ذلك لغيره وانه ليس من خصائصه وتعقب بان الذي يقع بالتبعية لا ينهض دليلا للاصالة وعن عقبة ابن عامر انه صلى الله عليه وسلم خرج يوما فصلى على اهل احد صلاته على الميت ثم انصرف وفي رواية صلى على قتلى احد بعد ثماني سنين كالمودع للاحياء والاموات رواه ابو داود والنسائي ورواه الشيخان ايضا بلفظ خرج يوما فصلى على اهل احد كصلاته على الميت ثم انصرف الى المنبر فقال اني فرط لكم الحديث وفيه الصلاة على الشهداء في حرب الكفار وقد اختلف العلماء في هذه المسئلة وذهب مالك والشافعي واحمد واسحق والجمهور الى انه لا يصلى عليهم وذهب ابو حنيفة الى الصلاة عليهم كغيرهم وبه قال المزني وهو رواية عن احمد اختارها الخلال وحجة الجمهور انه عليه الصلاة والسلام لم يصل على قتلى احد

كما رواه

كما رواه البخاري في صحيحه عن جابر واما هذه الصلاة فالمراد بها الدعاء وليس المراد بها صلاة الجنازة المعهودة قال النووي اي دعا لهم بدعاء صلاة الميت او ان هذه الصلاة مخصوصة بشهداء احد فانه لم يصل عليهم قبل دفنهم كما هو المعهود في صلاة الجنازة وانما صلى عليهم في القبور بعد ثماني سنين والحنفية يمنعون الصلاة على القبر مطلقا ولو كانت الصلاة عليهم واجبة لما تركها في الاول ثم ان الشافعية اختلفوا في معنى قولهم لا يصلى على الشهيد فقال الاكثر معناه تحرم الصلاة عليه وهو الصحيح عندهم وقال اخرون معناه لا تجب الصلاة عليهم لكن تجوز وذكر ابن قدامة ان كلام احمد في الرواية التي قال فيها يصلى عليهم يشير الى انها مستحبة غير واجبة **الفرع الرابع في صلاته صلى الله عليه وسلم على الغائب** عن جابر انه صلى الله عليه وسلم قال قد توفي اليوم رجل صالح من الحبش فهلم فصلوا عليه قال فصففنا فصلى النبي صلى الله عليه وسلم ونحن صفوف رواه البخاري ومسلم وعن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم نعى النجاشي اليوم الذي مات فيه وخرج بهم الى المصلى فصف بهم وكبر اربع تكبيرات رواه الشيخان ايضا وعند البخاري من طريق ابن عيينة عن ابن جريج فقوموا فصلوا على اخيكم وبهذا الحديث استدل من منع الصلاة على الميت في المسجد وهو قول الحنفية والمالكية لكن قال ابو يوسف ان اعد مسجد للصلاة على الموتى لم يكن للصلاة عليهم فيه باس قال النووي ولا حجة فيه لان الممتنع عند الحنفية ادخال الميت المسجد لا مجرد الصلاة عليه حتى لو كان الميت خارج المسجد جازت الصلاة عليه لمن هو داخله وقال ابن بزيزة وغيره استدل به بعض المالكية وهو باطل لانه ليس فيه صيغة نهي ولاحتمال ان يكون خرج بهم الى المصلى لامر غير المعنى المذكور وقد ثبت انه عليه الصلاة والسلام صلى على سهيل بن بيضاء في المسجد فكيف يترك هذا الصريح لامر محتمل بل الظاهر انه لما خرج بالمسلمين الى المصلى لقصد تكثير الجمع الذين يصلون عليه ولاشاعة كونه مات على الاسلام فقد كان بعض الناس لم يدر بكونه اسلم فقد روى ابن ابي حاتم في التفسير والدارقطني في الافراد والبزار كلاهما عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم لما صلى على النجاشي قال بعض اصحابه صلى الله عليه وسلم صلى على علج من الحبشة فنزلت وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم الاية وله شاهد من حديث ابي سعيد عند الطبراني في معجمه الكبير وزاد فيه ان الذي طعن بذلك كان منافقا وقد قال البخاري باب الصلاة على الجنائز بالمصلى والمسجد وروى حديث ابن عمر ان اليهود جاؤا النبي صلى الله عليه وسلم برجل منهم وامراة زنيا فامر بهما فرجما قريبا من موضع الجنائز عند المسجد وحكى ابن بطال عن ابي حبيب ان مصلى الجنائز بالمدينة كان لاصقا بالمسجد النبوي من ناحية المشرق انتهى فان ثبت ما قاله والا فيحتمل ان يكون المراد بالمسجد هنا المصلى المتخذ للعيدين والاستسقاء لانه لم يكن عند المسجد النبوي مكان مهيا للرجم ودل حديث ابن عمر المذكور على انه كان للجنائز مكان معد للصلاة عليها فقد يستفاد منه ان ما وقع من الصلاة على بعض الجنائز في المسجد كان لامر عارض او لبيان

الجواز واستدل به على مشروعية الصلاة على الجنائز في المسجد ويقويه حديث عائشة رضي الله تعالى عنها ما صلى صلى الله عليه وسلم على سهيل بن بيضاء الا في المسجد اخرجه مسلم وبه قال الجمهور وحمل المانعون الصلاة على سهيل بانه كان خارج المسجد والمصلون داخله وذلك جائز اتفاقا وفيه نظر لان عائشة استدلت بذلك لما انكروا عليها امرها بالمرور بجنازة سعد على حجرتها لتصلي عليه وقد سلم لها الصحابة ذلك فدل على انها حفظت ما نسوه وقد روى ابن ابي شيبة وغيره ان عمر صلى على ابي بكر في المسجد وان صهيبا صلى على عمر في المسجد زاد في رواية ووضعت الجنازة في المسجد تجاه المنبر وهذا يقتضي الاجماع على جواز ذلك وقد استدل ايضا بحديث قصة النجاشي على مشروعية الصلاة على الميت الغائب عن البلد وبذلك قال الشافعي واحمد وجمهور السلف حتى قال ابن حزم لم يات عن احد من الصحابة منعه وعن الحنفية والمالكية لا يشرع ذلك وعن بعض اهل العلم انما يجوز ذلك في اليوم الذي يموت فيه الميت او ما قرب منه لا ما اذا طالت المدة حكاه ابن عبد البر وقال ابن حبان انما يجوز ذلك لمن في جهة القبلة ولو كان بلد الميت مستدبر القبلة مثلا لم يجز قال المحب الطبري لم ار ذلك لغيره وقد اعتذر من لم يقل بالصلاة على الغائب عن قصة النجاشي بامور منها انه كان بارض لم يصل عليه بها احد فتعينت الصلاة عليه لذلك ومن ثم قال الخطابي لا يصلى على الغائب الا اذا وقع موته بارض ليس بها من يصلي عليه واستحسنه الروياني من الشافعية ومنها قول بعضهم كشف له صلى الله عليه وسلم عنه حتى رآه ويعتبر عنه القاضي عياض في الشفا بقوله ورفع له النجاشي حتى صلى عليه فيكون صلاته عليه كصلاة الامام على ميت رآه ولم يره الماموم ولا خلاف في جوازها قال ابن دقيق العيد هذا يحتاج الى نقل ولا يثبت بالاحتمال وتعقبه بعض الحنفية بان الاحتمال كاف في مثل هذا قال في فتح الباري وكان مستند هذا القائل ما ذكره الواحدي في اسباب النزول بغير اسناد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال كشف للنبي صلى الله عليه وسلم عن سرير النجاشي حتى رآه وصلى عليه ولابن حبان من حديث عمران بن حصين فقام وصفوا خلفه وهم لا يظنون الا ان جنازته بين يديه ومن الاعتذارات ايضا ان ذلك خاص بالنجاشي لانه لم يثبت انه صلى الله عليه وسلم صلى على ميت غائب غيره قاله المهلب وكانه لم يثبت عنده قصة معاوية بن معاوية الليثي واستند من قال بتخصيص النجاشي بذلك الى ما تقدم من اشاعة انه مات مسلما او استيلاف قلوب الملوك الذين اسلموا في حياته قال النووي لو فتح هذا الباب لانسد كثير من ظواهر الشرع مع انه لو كان شيء مما ذكروه لتوفرت الدواعي على نقله وقال ابن العربي قالت المالكية ليس ذلك الا لمحمد صلى الله عليه وسلم قلنا وما عمل به محمد صلى الله عليه وسلم تعمل به امته يعني لان الاصل عدم الخصوصية قالوا طويت له الارض واحضرت الجنازة بين يديه قلنا ان ربنا عليه لقادر وان نبينا لاهل لذلك ولكن لا تقولوا الا ما رايتم ولا تخترعوا حديثا من عند انفسكم ولا تحدثوا الا بالثابتات

ودعوا

ودعوا الضعاف فانها سبيل الى تلاف ما ليس له تلاف وقال الكرماني قولهم رفع الحجاب عنه ممنوع ولئن سلمنا فكان غائبا عن الصحابة الذين صلوا عليه مع النبي صلى الله عليه وسلم انتهى ملخصا من فتح الباري

الفرع الخامس في ذكر سيرته في الزكاة

وهي لغة النماء والتطهير والمال ينمي بها من حيث لا يرى وهي مطهرة لمؤديها من الذنوب وقيل ينمي اجرها عند الله تعالى وسميت في الشرع زكاة لوجود المعنى اللغوي فيها وقيل لانها تزكي صاحبها وتشهد بصحة ايمانه وهي قيد النعمة وسميت الصدقة صدقة لانها دليل لتصديق صاحبها وصحة ايمانه بظاهره وباطنه وقد فهم من شرعه صلى الله عليه وسلم ان الزكاة وجبت للمواساة لا يكون الا في مال له بال وهو النصاب ثم جعلها صلى الله عليه وسلم في الاموال النامية وهي اربعة اصناف الذهب والفضة اللذان بهما قوام العالم والثاني الزروع والثمار والثالث بهيمة الانعام الابل والبقر والغنم والرابع اموال التجارة على اختلاف انواعها وحده صلى الله عليه وسلم نصاب كل صنف بما يحتمل المواساة فنصاب الفضة خمسة اواق وهي مائتا درهم بنص الحديث والاجماع واما الذهب فعشرون مثقالا واما الزروع والثمار فخمسة اوسق واما الغنم فاربعون شاة والبقر ثلاثون والابل خمس ورتب صلى الله عليه وسلم مقدار الواجب بحسب المؤنة والتعب في المال فاعلاها واقلها تعبا الركاز وفيه الخمس لعدم التعب فيه ولم يعتبر له حول بل اوجب فيه الخمس متى ظفر به ويليه الزرع والثمار فان سقي بماء السماء ونحوه ففيه العشر والا ففيه نصفه ويليه الذهب والفضة والتجارة وفيها ربع العشر لانه يحتاج الى العمل فيه جميع السنة ويليه الماشية فانه يدخلها الاوقاص بخلاف الانواع السابقة ولما كان نصاب الابل لا يحتمل المواساة من جنسه اوجب فيها شاة فاذا صارت الخمس خمسا وعشرين احتمل نصابها واحدا فكان هو الواجب ثم انه قدر سن هذا الواجب في الزيادة والنقص بحسب كثرة الابل وقلتها ذكر في كتابه صلى الله عليه وسلم الذي كتبه في الصدقة ولم يخرجه الى عماله حتى قبض في خمس من الابل شاة وفي عشر شاتان وفي خمسة عشر ثلاث شياه وفي عشرين اربع شياه وفي خمس وعشرين بنت مخاض الى خمس وثلاثين فان زادت واحدة ففيها حقة الى ستين فان زادت واحدة ففيها جذعة الى خمس وسبعين فان زادت واحدة ففيها ابنتا لبون الى تسعين فان زادت واحدة ففيها حقتان الى عشرين ومائة فاذا كانت الابل اكثر من ذلك ففي كل خمسين حقة وفي كل اربعين ابنة لبون وفي الغنم في كل اربعين شاة الى عشرين ومائة فاذا زادت واحدة فشاتان الى المائتين فان زادت على المائتين ففيها ثلاث شياه الى ثلثمائة فان كانت الغنم اكثر من ذلك ففي كل مائة شاة شاة ثم ليس فيها شيء حتى تبلغ المائة رواه ابو داود والترمذي من حديث سالم بن عبد الله بن عمر وفرض صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر صاعا من تمر او صاعا من شعير على العبد والحر والذكر والانثى والصغير والكبير من المسلمين وامر ان تؤدى قبل خروج الناس الى الصلاة رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عمر وفي رواية ابي داود من حديث ابن عباس فرض صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر

طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين وقال صلى الله عليه وسلم ان الله لم يرض بحكم نبي ولا غيره من الصدقات حتى حكم فيها فجزأها ثمانية اجزاء رواه ابو داود من حديث زياد بن الحرث الصدائي وهذه الثمانية الاجزاء يجمعها صنفان من الناس احدهما من ياخذ لحاجته فياخذ بحسب شدة الحاجة وضعفها وكثرتها وقلتها وهم الفقراء والمساكين وفي الرقاب وابن السبيل والثاني من ياخذ لمنفعته وهم العاملون عليها والمؤلفة قلوبهم والغارمون لاصلاح ذات البين والغزاة في سبيل الله فان لم يكن الآخذ محتاجا ولا فيه منفعة للمسلمين فلا سهم له في الزكاة اعلم ان الانبياء لا تجب الزكاة عليهم لانهم لا ملك لهم مع الله حتى تجب عليهم الزكاة فيه وانما تجب عليك زكاة ما انت له مالك انما كانوا يشهدون ما في ايديهم من ودائع الله لهم يبذلونه في اوان بذله ويمنعونه في غير محله ولان الزكاة انما هي طهرة لما عساه ان يكون ممن وجبت عليه لقوله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها والانبياء عليهم السلام مبرؤن من الدنس لوجود العصمة ولهذا لم يوجب ابو حنيفة على الصبيان زكاة لعدم دنس المخالفة والمخالفة لا تكون الا بعد جريان التكليف وذلك بعد البلوغ واذا كان اهل المعرفة بالله الشاهدون لاحديته لا يشهدون لهم مع الله ملكا كما هو مشهور من حكاياتهم فما ظنك بالانبياء والرسل واهل التوحيد والمعرفة انما عرفوا من بحارهم واقتبسوا من انوارهم انتهى ملخصا من كتاب التنوير للعارف الكبير ابي الفضل بن عطاء الله الشاذلي اذاقنا الله حلاوة مشربه

تنبيه ما حكاه الشافعي واحمد بن حنبل كانا جالسين اذ اقبل شيبان الراعي فقال احمد بن حنبل للشافعي اريد ان اسأل هذا المشار اليه في هذا الزمان فقال الشافعي لا تفعل فقال لا بد من ذلك فقال يا شيبان ما تقول فيمن نسي اربع سجدات من اربع ركعات فقال يا احمد هذا قلب غافل عن الله تعالى يجب ان يؤدب حتى لا يعود الى مثل ذلك قال فخر احمد مغشيا عليه ثم افاق فقال ما تقول فيمن له اربعون شاة ما زكاتها فقال على مذهبنا او على مذهبكم فقال وهما مذهبان قال نعم اما على مذهبكم ففي الاربعين شاة شاة واما على مذهبنا فالعبد لا يملك مع سيده شيئا فقد نقل شيخنا في المقاصد الحسنة عن ابن تيمية ان ذلك باطل باتفاق اهل المعرفة لان الشافعي واحمد لم يدركا شيبان الراعي والله اعلم انتهى وقد كان صلى الله عليه وسلم اذا اتاه قوم بصدقة قال اللهم صل على آل فلان واتاه ابو اوفى بصدقة فقال اللهم صل على آل ابي اوفى رواه البخاري ومسلم واختلف في اول وقت فرض الزكاة فذهب الاكثرون الى انه وقع بعد الهجرة فقيل كان في السنة الثانية قبل فرض رمضان اشار اليه النووي في باب السير من الروضة وجزم ابن الاثير في التاريخ بان ذلك كان في التاسعة وفيه نظر لما في حديث ضمام بن ثعلبة وحديث وفد عبد القيس ومخاطبة ابي سفيان مع هرقل وكان في اول السابعة وقال فيها يامرنا بالزكاة وقوى بعضهم ما ذهب اليه ابن الاثير بما وقع في قصة ثعلبة بن حاطب المطولة ففيها لما انزلت اية الصدقة بعث النبي صلى الله عليه وسلم عاملا فقال ما هذه الا جزية او اخت الجزية والجزية انما وجبت في التاسعة فتكون الزكاة في التاسعة لكنه حديث ضعيف لا يحتج بمثله وادعى ابن خزيمة في صحيحه ان فرضها كان قبل الهجرة واحتج بما اخرجه من حديث ام سلمة في قصة هجرتهم الى الحبشة وفيها ان جعفر بن ابي طالب قال للنجاشي في جملة ما اخبره به عن الرجل الذي يامرنا بالصلاة والزكاة والصيام انتهى وفي الاستدلال بذلك نظر لان الصلوات الخمس لم تكن فرضت بعد ولا صيام رمضان فيحتمل ان يكون مراجعة جعفر لم تكن في اول ما قدم على النجاشي وانما اخبره بذلك بعد مدة قد وقع فيها ما ذكر من فرضية الصلاة والزكاة والصيام وبلغ ذلك جعفرا فقال يامرنا يعني بامته وهو بعيد جدا واولى ما حمل عليه حديث ام سلمة هذا ان سلم من قدح في اسناده ان المراد بقول جعفر يامرنا بالصلاة والزكاة والصيام اي في الجملة ولا يلزم من ذلك ان يكون المراد بالصلاة الصلوات الخمس ولا بالصيام صيام شهر رمضان ولا بالزكاة هذه الزكاة المخصوصة ذات النصاب والحول والله اعلم ومما يدل على ان فرض الزكاة كان قبل التاسعة حديث انس في قصة ضمام ابن ثعلبة وقوله انشدك الله آلله امرك ان تاخذ هذه الصدقة فتقسمها على فقرائنا وكان قدوم ضمام سنة خمس وانما وقع في التاسعة بعث العمال لاخذ الصدقات وذلك يستدعي تقدم فريضة الزكاة قبل ذلك ومما يدل على ان فرض الزكاة وقع بعد الهجرة اتفاقهم على ان صيام رمضان انما فرض بعد الهجرة لان الاية الدالة على فرضيته مدنية بلا خلاف وثبت عند احمد وابن خزيمة والنسائي وابن ماجة والحاكم من حديث قيس بن سعد بن عبادة قال امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بصدقة الفطر قبل ان تنزل الزكاة ثم نزلت فريضة الزكاة فلم يامرنا ولم ينهنا ونحن نفعله اسناده صحيح رجاله رجال الصحيح الا ابا عمار الراوي عن قيس ابن سعد وقد وثقه احمد وابن معين وهو دال على ان فرض صدقة الفطر كان قبل فرض الزكاة فيقتضي وقوعها بعد فرض رمضان قاله الحافظ ابو الفضل بن حجر رحمه الله وكان صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها رواه البخاري من حديث عايشة واذا اتي بطعام سأل عنه اهدية ام صدقة فان قيل صدقة قال للصحابة كلوا ولم ياكل وان قيل هدية ضرب بيده فاكل معهم رواه البخاري ومسلم من حديث ابي هريرة وقال عليه السلام لعايشة اعندكم شيء فقالت لا الا شيء بعثت به الينا نسيبة من الشاة التي بعثت اليها من الصدقة فقال انها بلغت محلها رواه البخاري ومسلم وقوله محلها بكسر الحا اي زال عنها حكم الصدقة وصارت حلالا لنا واوتي بلحم تصدق به على بريرة فقال هو عليها صدقة ولنا هدية رواه البخاري ومسلم وابو داود والنسائي وفي حديث عايشة عند البخاري ومسلم دخل صلى الله عليه وسلم والبرمة على النار تفور فدعا بالغداء فاتي بخبز وادم من ادم البيت فقال الم ار برمة على النار تفور قالوا بلى يا رسول الله لكنه لحم تصدق به على بريرة واهدت الينا منه وانت لا تاكل الصدقة فقال هو صدقة عليها وهدية لنا

النوع الرابع في ذكر صيامه صلى الله عليه وسلم

اعلم ان المقصود من الصيام امساك النفس عن خسيس عاداتها وحبسها عن شهواتها وفطامها عن مالوفاتها فهو لجام المتقين وجنة

المحاربين ورياضة الابرار والمقربين وهو لرب العالمين من بين ساير اعمال العاملين كما قال الله تعالى في الحديث الالهي الذي رواه مسلم كل عمل ابن آدم له الا الصيام هو لي وانا اجزي به فاضافه تعالى اليه اضافة تشريف وتكريم كما قال تعالى ناقة الله مع ان العالم كله له سبحانه وتعالى وقيل لانه لم يتعبد به غيره فلم يعظم الكفار في عصر من الاعصار معبودا لهم بالصيام وان كانوا يعظمونه بصورة الصلاة والسجود وغيرهما قال في شرح تقريب الاسانيد واعترض بما يقع من عبادة النجوم واصحاب الهياكل والاستخدامات فانهم يتعبدون لها بالصيام واجيب بانهم لا يعتقدون انها فعالة بانفسها وقيل لان الصوم بعيد من الريا لخفائه بخلاف الصلاة والحج والغزو وغير ذلك من العبادات الظاهرات قال في فتح الباري معنى النفي في قولهم لا ريا في الصوم انه لا يدخله الريا بفعله وان كان قد يدخله الريا بالقول كمن يصوم ثم يخبر بانه صايم فقد يدخل في الريا من هذه الحيثية فدخول الريا في الصوم انما يقع من جهة الاخبار بخلاف بقية الاعمال فان الريا يدخلها بمجرد فعلها انتهى وعن شداد بن اوس مرفوعا من صام يرائي فقد اشرك رواه البيهقي وقيل لانه ليس للصايم ونفسه فيه حظ وقيل لان الاستغنا عن الطعام وغيره من الشهوات من صفات الرب تعالى فلما تقرب الصايم اليه بما يوافق صفاته اضافه اليه قال القرطبي معناه ان اعمال العباد مناسبة لاحوالهم الا الصيام فانه مناسب لصفة من صفات الحق كانه تعالى يقول ان الصايم يتقرب الي بامر هو متعلق بصفة من صفاتي او لكون ذلك صفة من صفات الملايكة او لانه تعالى هو المنفرد بعلم مقدار ثوابه وتضعيف حسناته بخلاف غيره من العبادات فقد اظهر سبحانه بعض مخلوقاته على مقدار ثوابها ولذا قال في بقية الحديث وانا اجزي به وقد علم بان الكريم اذا اخبر بانه يتولى بنفسه الجزا اقتضى ذلك سعة العطا وانا اجزي الصايم هذا الجزا لانه ترك شهوته وطعامه وشرابه من اجل معبوده والمراد بالشهوة في الحديث شهوة الجماع لعطفها على الطعام والشراب ويحتمل ان يكون من العام بعد الخاص لكن وقع في رواية عند ابن خزيمة يدع لذته من اجلي ويدع زوجته من اجلي واصرح منه ما روي من الطعام والشراب والجماع من اجلي وللصيام تاثير عجيب في حفظ الاعضا الظاهرة وقوى الجوارح الباطنة وحميتها عن التخليط الجالب للمواد الفاسدة واستفراغ المواد الرديه المانعة من صحتها فهي من اكبر العون على التقوى كما اشار اليه تعالى بقوله كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون وقال عليه السلام كما في البخاري الصوم جنة وهي بضم الجيم الوقاية والستر اي ستر من النار وبه جزم ابن عبد البر وفي النهاية اي يقي صاحبه ما يوذيه من الشهوات وقال القاضي عياض من الاثام وقد اتفقوا على ان المراد بالصيام هنا صيام من سلم صيامه من المعاصي قولا وفعلا واختلف هل الصوم افضل ام الصلاة فقيل الصوم افضل الاعمال البدنية لحديث النسائي عن ابي امامة قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله مرني بامر اخذه عنك قال عليك بالصوم فانه لا عدل له والمشهور تفضيل الصلاة وهو مذهب الشافعي وغيره لقوله عليه الصلاة والسلام واعلموا ان خير اعمالكم الصلاة رواه ابو داود وغيره ثم ان الكلام في صيامه صلى الله عليه

المنفرد

وسلم

وسلم على قسمين القسم الاول في صيامه صلى الله عليه وسلم شهر رمضان وفيه فصول

الاول فيما كان صلى الله عليه وسلم يخص به رمضان من العبادات وتضاعف جوده عليه السلام فيه اعلم ان رمضان مشتق من الرمض وهو شدة الحر لان العرب لما ارادوا ان يضعوا اسما الشهور وافق ان الشهر المذكور كان شديد الحر فسموه بذلك كما سمي الربيعين لموافقتهما زمن الربيع او لانه يرمض الذنوب اي يحرقها وهو ضعيف لان التسمية به ثابتة قبل الشرع ورمضان افضل الاشهر كما رواه الاسنوي عن فوايد الشيخ عز الدين بن عبد السلام قال النووي وتوهم انه من اسما الله تعالى ليس بصحيح وان كان قد جا فيه اثر ضعيف واسما الله تعالى توقيفية لا تثبت الا بدليل صحيح انتهى وقد اختلف السلف هل فرض صيام قبل رمضان او لا فالجمهور وهو المشهور عند الشافعية انه لم يجب قط صوم قبل صوم رمضان وفي وجه وهو قول الحنفية اول ما فرض عاشورا فلما نزل رمضان نسخ وستاتي ادلة الفريقين في الكلام على صوم عاشورا ان شا الله تعالى وقد كان فرض رمضان في السنة الثانية من الهجرة كما تقدم فتوفي سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد صام تسع رمضانات ولما كان شهر رمضان موسم الخيرات ومنبع الجود والبركات لان نعم الله تعالى فيه تزيد على غيره من الشهور كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر فيه من العبادات وانواع القربات الجامعة بوجوه السعادات من الصدقة والاحسان والصلاة والذكر والاعتكاف ويخص به من العبادات بما لا يخص به غيره من الشهور وكان جوده صلى الله عليه وسلم يتضاعف في شهر رمضان على غيره من الشهور كما ان جود ربه تعالى يتضاعف ايضا فان الله تعالى جبله على ما يحبه من الاخلاق الكريمة وفي حديث ابن عباس عند الشيخين قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اجود الناس واجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القران فلرسول الله صلى الله عليه وسلم حين يلقاه جبريل اجود بالخير من الريح المرسلة فبمجموع ما ذكر في هذا الحديث من الوقت وهو شهر رمضان والمنزول وهو القران والنازل به وهو جبريل والمذاكرة وهي مدارسة القران حصل له عليه الصلاة والسلام المزيد في الجود والمرسلة المطلقة يعني في الاسراع بالجود اسرع من الريح وعبر بالمرسلة اشارة الى دوام هبوبها بالرحمة والى عموم النفع بجوده صلى الله عليه وسلم كما تعم الريح المرسلة جميع ما تهب عليه ووقع عند الامام احمد في اخر هذا الحديث لا يسال شيا الا اعطاه وتقدم في ذكر سخايه صلى الله عليه وسلم مزيد لذلك وقد كان ابتدا نزول القران في شهر رمضان وكذا نزوله الى سما الدنيا جملة واحدة كان في رمضان كما ثبت في حديث ابن عباس كان جبريل عليه السلام يتعاهده صلى الله عليه وسلم في كل سنة فيعارضه بما نزل عليه من رمضان الى رمضان فلما كان في العام الذي توفي فيه صلى الله عليه وسلم عارضه به مرتين كما في الصحيح عن فاطمة رضي الله تعالى عنها قال في فتح الباري وفي معارضة جبريل النبي صلى الله عليه وسلم بالقران في شهر رمضان حكمتان احداهما تعاهده والاخرى تبقية ما لم ينسخ منه ورفع ما نسخ فكان رمضان ظرفا لانزاله جملة وتفصيلا وعرضا واحكاما وفي المسند عن واثلة بن الاسقع عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال نزلت صحف ابراهيم

في اول ليلة من شهر رمضان وانزل الانجيل لثلاث عشرة من شهر رمضان وانزل التوراة لست
من شهر رمضان وانزل القرآن لاربع وعشرين خلت من رمضان وانزل الفرقان لاربع وعشرين
وفي هذا الحديث على استحباب مدارسة القرآن في رمضان والاجتماع عليه وعرض القرآن
على من هو احفظ منه وفي حديث ابن عباس ان المدارسة بينه صلى الله عليه وسلم وبين
جبريل كانت ليلا وهو يدل على استحباب الاكثار من تلاوة القرآن في رمضان ليلا لان الليل
تنقطع فيه الشواغل وتجتمع فيه الهمم ويتواطأ فيه القلب واللسان على التدبر وقد كان صلى الله
عليه وسلم يبشر اصحابه بقدوم رمضان كما اخرجه الامام احمد والنسائي عن ابي هريرة
ولفظه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يبشر اصحابه بقدوم رمضان يقول قد جاءكم شهر
رمضان شهر مبارك كتب الله عليكم صيامه تفتح فيه ابواب السماء وتغلق فيه ابواب الجحيم
وتغل فيه الشياطين فيه ليلة خير من الف شهر من حرم خيرها فقد حرم قال بعض العلماء
هذا الحديث اصل في تهنئة الناس بعضهم بعضا بشهر رمضان وروي انه صلى الله عليه
وسلم كان يدعو ببلوغ رمضان فكان اذا دخل شهر رجب وشعبان قال اللهم بارك لنا
في رجب وشعبان وبلغنا رمضان رواه الطبراني وغيره من حديث انس وروي انه كان
صلى الله عليه وسلم اذا رأى هلال رمضان قال هلال رشد وخير هلال رشد وخير آمنت بالله الذي
خلقك رواه النسائي من حديث انس وروي انه عليه الصلاة والسلام كان يقول اذا
دخل شهر رمضان اللهم سلمني من رمضان وسلم رمضان لي وسلمه مني اي سلمني منه
حتى لا يصيبني فيه ما يحول بيني وبين صومه من مرض او غيره وسلمه لي حتى لا يغم هلاله
علي في اوله او آخره فيلتبس علي الصوم والفطر وسلمه مني اي تعصمني من المعاصي فيه
وهذا منه عليه السلام لتشريع امته **الفصل الثاني في صيامه عليه السلام
برؤية الهلال** عن عايشة رضي الله تعالى عنها كان صلى الله عليه وسلم يتحفظ من
شعبان ما لا يتحفظ من غيره ثم يصوم لرؤية رمضان فان غم عليه عد ثلاثين يوما ثم صام
رواه ابو داود وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأيتموه فصوموا واذا رأيتموه فافطروا
فان غم عليكم فاقدروا له رواه مسلم قوله فان غم عليكم اي حال بينكم وبينه غيم فاقدروا
من التقدير اي قدروا له تمام العدد ثلاثين يوما ويؤيده قوله في الرواية السابقة عنه
عليه صلى الله عليه وسلم عد ثلاثين يوما وهو مفسر لاقدروا له ولهذا لم يجتمعا في رواية
ويؤكده رواية فاقدروا له ثلاثين قال المازري حمل جمهور الفقهاء قوله عليه السلام اقدروا
له على ان المراد اكمال العدة ثلاثين كما فسره في حديث آخر قالوا ولا يجوز ان يكون المراد
حساب المنجمين لان الناس لو كلفوا به لضاق عليهم لانه لا يعرفه الا افراد والشرع انما يعرف
الناس بما يعرفه   انتهى وهذا مذهبنا ومذهب مالك وابي حنيفة وجمهور السلف
والخلف وفيه دليل على انه لا يجوز صوم يوم الشك ولا يوم الثلاثين من شعبان عن رمضان
اذا كانت ليلة الثلاثين ليلة غيم وقال الامام احمد بن حنبل في طايفة اي اقدروا له تحت
السحاب فيجوزون صوم يوم ليلة الغيم عن رمضان بل قال احمد بوجوبه وقال ابن سريج
وجماعة منهم مطرف بن عبد الله وابن قتيبة وآخرون معناه قدروه بحسب المنازل

الفصل

الفصل الثالث في صومه صلى الله عليه وسلم بشهادة العدل الواحد عن ابن عمر
رضي الله تعالى عنهما قال تراءى الناس الهلال فاخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم اني رأيته
فصام وامر الناس بصيامه رواه ابو داود وصححه ابن حبان وعن ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني رأيت هلال رمضان فقال
اتشهد ان لا اله الا الله قال نعم قال اتشهد ان محمدا رسول الله قال نعم قال يا بلال اذن
في الناس فليصوموا رواه ابو داود والترمذي والنسائي والمراد في قوله عليه السلام
في الحديث السابق اذا رأيتموه رؤية بعض المسلمين ولا يشترط رؤية كل انسان بل يكفي
جميع الناس رؤية عدل على الاصح في مذهبنا هذا في الصوم واما الفطر فلا يجوز بشهادة
عدل واحد على هلال شوال عند جميع العلماء الا ابا ثور فجوزه بعدل قال الاسنوي واذا
قلنا بالواحد في الصوم فلا خلاف انه لا يتعدى الى غيره فلا يقع به الطلاق والعتق المعلقين
بدخول رمضان ولا يحل به الدين المؤجل ولا يتم به حول الزكاة كذا اطلقه الرافعي هنا نقلا
عن البغوي واقره وتبعه عليه في الروضة وصورته فيما اذا سبق التعليق على الشهادة
فان وقعت الشهادة اولا وحكم الحاكم بدخول رمضان ثم جرى التعليق فان الطلاق والعتق
يقعان كذا نقله القاضي حسين في تعليقه عن ابن سريج وقال الرافعي في الباب الثاني
من كتاب الشهادات انه القياس انتهى **الفصل الرابع فيما كان يفعله صلى الله
عليه وسلم وهو صايم** عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم احتجم وهو صايم رواه البخاري ومسلم وابو داود والترمذي واعلم ان الجمهور
على عدم الفطر بالحجامة مطلقا وعن علي وعطاء والاوزاعي واحمد واسحق وابي ثور يفطر
الحاجم والمحجوم واوجبوا عليهما القضاء وشذ عطاء فاوجب الكفارة ايضا وقال بقول احمد
من الشافعية ابن خزيمة وابن المنذر وابن حبان ونقل الترمذي عن الزعفراني ان الشافعي
علق القول به على صحة الحديث قال الترمذي كان الشافعي يقول ذلك ببغداد واما
بمصر فمال الى الرخصة انتهى وقال الشافعي في اختلاف الحديث بعد ان اخرج حديث
شداد كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في زمان الفتح فرأى رجلا يحتجم لثمان
عشرة خلت من رمضان فقال وهو آخذ بيدي افطر الحاجم والمحجوم ثم ساق حديث
ابن عباس احتجم وهو صايم ثم قال وحديث ابن عباس امثلهما اسنادا فان توقى احد
الحجامة كان احب الي احتياطا والقياس مع حديث ابن عباس والذي احفظ عن الصحابة
والتابعين وعامة اهل العلم انه لا يفطر احد بالحجامة انتهى واول بعضهم حديث افطر
الحاجم والمحجوم ان المراد به انهما سيفطران كقوله تعالى اني اراني اعصر خمرا اي ما يؤول
اليه ولا يخفى بعد هذا التأويل وقال البغوي في شرح السنة معناه اي تعرضا للافطار
اما الحاجم فلانه لا يأمن من وصول شيء من الدم الى جوفه عند المص واما المحجوم فلانه
لا يأمن من ضعف قوته بخروج الدم فيؤول امره الى ان يفطر وقيل معنى افطرا فعلا مكروها
وهو الحجامة فصارا كانهما غير متلبسين بالعبادة وقال ابن حزم صح حديث افطر الحاجم
والمحجوم بلا ريب لكن وجدنا من حديث ابي سعيد ارخص النبي صلى الله عليه وسلم في الحجامة

للصايم واسناده صحيح فوجب الاخذ به لان الرخصة انما تكون بعد العزيمة فدل على نسخ الفطر بالحجامة سوا كان حاجما او محجوما انتهى والحديث المذكور اخرجه النسايي وابن خزيمة والدارقطني ورجاله ثقات ولكن اختلف في رفعه ووقفه وله شاهد من حديث انس اخرجه الدارقطني ولفظه اول ما كرهت الحجامة للصايم ان جعفر بن ابي طالب احتجم وهو صايم فمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال افطر هذان ثم ارخص رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد في الحجامة للصايم وكان انس يحتجم وهو صايم وكلهم من رجال البخاري الا ان في المتن ما ينكر لان فيه ان ذلك كان في الفتح وجعفر كان قتل قبل ذلك ومن احسن ما ورد في ذلك ما رواه عبد الرزاق وابو داود عن عبد الرحمن بن ابي ليلى عن رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الحجامة للصايم وعن المواصلة ولم يحرمهما ابقا على اصحابه واسناده صحيح والجهالة بالصحابي لا تضر ورواه ابن ابي شيبة عن وكيع عن الثوري بلفظ عن اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قالوا انما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الحجامة للصايم وكرهها للضعف اي لئلا يضعف انتهى ملخصا من فتح الباري والله اعلم وقالت عايشة رضي الله تعالى عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل بعض ازواجه وهو صايم ثم ضحكت رواه البخاري ومسلم ومالك وابو داود قالت وكان املككم لاربه اي لحاجته يعني انه كان غالبا لهواه قال ابن الاثير اكثر المحدثين يروونه بفتح الهمزة والرا يعنون به الحاجة وبعضهم يرويه بكسر الهمزة وسكون الرا وله تاويلان احدهما انه الحاجة يقال فيها الارب والاربة والمارية والثاني اراد به العضو وعنت به من الاعضا الذكر خاصة انتهى وقد ذهب الشافعي والاصحاب ان القبلة ليست محرمة على من لم تحرك شهوته لكن الاولى تركها واما من حركت شهوته فهي حرام في حقه على الاصح عند اصحابنا وقولها فضحكت قيل يحتمل ضحكها التعجب ممن خالف في هذا وقيل تعجبت من نفسها اذا حدثت بمثل هذا الذي يستحيى من ذكر النسا مثله للرجال ولكنها الجاتها الضرورة في تبليغ العلم الى ذكر ذلك رضي الله تعالى عنها وقد يكون خجلا لاخبارها عن نفسها بذلك او تنبيها على انها صاحبة القصة ليكون ذلك ابلغ في الثقة بها او سرورا بمكانتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحبته لها وقد روى ابن ابي شيبة عن شريك عن هشام في هذا الحديث فضحكت فظننا انها هي وروى النسايي عنها قالت اهوى الي النبي صلى الله عليه وسلم ليقبلني فقلت اني صايمة فقال وانا صايم فقبلني وروى ابو داود عن عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبلها ويمص لسانها يعني وهو صايم واسناده ضعيف ولو صح فهو محمول على انه لم يبتلع ريقه الذي خالطه ريقها وكان عليه السلام يكتحل بالاثمد وهو صايم رواه البيهقي من رواية محمد بن عبيد الله ابن ابي رافع عن ابيه عن جده ثم قال ان محمدا هذا ليس بالقوي وتعقبه الحاكم واخرج له في مستدركه وقالت ام سلمة كان صلى الله عليه وسلم يصبح جنبا من جماع لا حلم ثم لا يفطر ولا يقضي رواه البخاري ومسلم وقال القرطبي في هذا فايدتان احدهما انه كان يجامع في رمضان ويوخر الغسل الى بعد طلوع الفجر بيانا للجواز الثانية ان ذلك كان من جماع

لا من احتلام

لا من احتلام لانه كان لا يحتلم اذ الاحتلام من الشيطان وهو معصوم منه وقال غيره في قولها من غير احتلام اشارة الى جواز الاحتلام عليه والا لما كان للاستثنا معنى ورد بان الاحتلام من الشيطان وهو معصوم منه واجيب بان الاحتلام يطلق على الانزال وقد يقع الانزال بغير رويه شي في المنام واردت بالتقييد بالجماع المبالغة في الرد على من زعم ان فاعل ذلك عمدا يفطر انتهى وقال عامر بن ربيعة رايته صلى الله عليه وسلم يستاك وهو صايم ما لا اعد ولا احصى رواه ابو داود والترمذي **الفصل الخامس في وقت افطاره عليه الصلاة والسلام** عن عبد الله بن ابي اوفى قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر في شهر رمضان فلما غابت الشمس قال يا بلال انزل فاجدح لنا قال يا رسول الله عليك نهارا قال انزل فاجدح لنا قال فنزل فجدح فاتي به فشرب النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال بيده اذا غابت الشمس من ها هنا وجا الليل من ها هنا فقد افطر الصايم رواه البخاري ومسلم والجدح بجيم ثم حا مهملة خلط الشي بغيره فالمراد خلط السويق بالما وتحريكه حتى يستوي ومعنى الحديث انه صلى الله عليه وسلم واصحابه كانوا صياما فلما غربت الشمس امره صلى الله عليه وسلم بالجدح ليفطروا فراى المخاطب اثار الضيا والحمرة التي تبقى بعد الغروب وظن ان الفطر لا يحصل الا بعد ذلك واحتمل عنده انه صلى الله عليه وسلم لم يرها فاراد تذكيره واعلامه بذلك ويويد هذا قوله ان عليك نهارا لتوهمه ان ذلك الضو من النهار الذي يجب صومه وهو معنى قوله في الرواية الاخرى لو امسيت وتكرير المراجعة لغلبة اعتقاده على ان ذلك نهار يحرم الاكل فيه مع تجويزه انه عليه السلام لم ينظر الى ذلك الضو نظرا تاما فقصد زيادة الاعلام ببقا الضو والله اعلم قاله النووي **الفصل السادس فيما كان صلى الله عليه وسلم يفطر عليه** عن انس كان صلى الله عليه وسلم يفطر قبل ان يصلي على رطبات فان لم يجد رطبات فتمرات وان لم يجد تمرات حسى حسوات من ما رواه ابو داود وانما حض عليه الصلاة والسلام الفطر بما ذكر لان اعطا الطبيعة الشي الحلو مع خلو المعدة ادعى الى قبوله وانتفاع القوى به لا سيما قوة البصر واما الما فان الكبد يحصل لها بالصوم نوع يبس فاذا رطبت بالما كمل انتفاعها بالغذا بعده ولهذا كان الاولى بالظمان الجايع ان يبدا بشرب قليل من الما ثم ياكل بعده قاله ابن القيم **الفصل السابع فيما كان صلى الله عليه وسلم يقوله عند الافطار** عن معاذ بن زهرة بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا افطر قال اللهم لك صمت وعلى رزقك افطرت وهو حديث مرسل ومعاذ هذا ذكره البخاري في التابعين لكن قال معاذ بن زهرة وتبعه ابن ابي حاتم وابن حبان في الثقات وذكره يحيى بن يونس الشيرازي في الصحابة وغلطه جعفر المستغفري قال الحافظ ابن حجر ويحتمل ان يكون الحديث موصولا وان كان معاذ تابعيا لاحتمال ان يكون الذي بلغه له صحابيا قال وبهذا الاعتبار اورده ابو داود في السنن وبالاعتبار الاخر اورده في المراسيل واخرج ابن السني والطبراني في المعجم الكبير بسند واه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان صلى الله عليه وسلم اذا افطر قال اللهم لك صمت وعلى رزقك

أو فطرت فتقبل مني انك انت السميع العليم وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما كان صلى الله عليه
وسلم اذا افطر قال ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الاجر ان شاء الله رواه ابو داود
زاد رزين الحمد لله في اول الحديث وفي كتاب ابن السني عن معاذ بن زهرة كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا افطر قال الحمد لله الذي اعانني فصمت ورزقني فافطرت

الفصل الثامن في وصاله صلى الله عليه وسلم

عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى
عن الوصال قالوا انك تواصل قال اني لست كهيئتكم اني اطعم واسقى رواه البخاري ومسلم
وللبخاري انه صلى الله عليه وسلم واصل فواصل الناس فشق عليهم فنهاهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يواصلوا قالوا انك تواصل قال لست كهيئتكم اني اظل اطعم واسقى
وفي رواية انس واصل صلى الله عليه وسلم في اخر شهر رمضان فواصل ناس من المسلمين
فبلغه ذلك فقال لو مد لنا الشهر لواصلنا وصالا يدع المتعمقون تعمقهم انكم لستم مثلي او قال
لست مثلكم اني اظل يطعمني ربي ويسقيني وفي رواية لا تواصلوا قالوا انك تواصل قال لست
كاحد منكم اني اطعم واسقى رواه البخاري ومسلم والمتعمقون هم المشددون في الامور المجاوزون
الحدود في قول او فعل وفي رواية سعيد بن منصور وابن ابي شيبة في مرسل الحسن اني ابيت
يطعمني ربي ويسقيني وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت نهاهم صلى الله عليه وسلم
عن الوصال رحمة لهم فقالوا انك تواصل فقال اني لست كهيئتكم اني يطعمني ربي ويسقيني
رواه البخاري ومسلم الا ان البخاري قال نهى ولم يقل نهاهم وعن ابي هريرة رضي الله تعالى
عنه قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوصال فلما ابوا ان ينتهوا عن الوصال
واصل بهم يوما ثم يوما ثم رأوا الهلال فقال لو تأخر لزدتكم كالتنكيل لهم حين ابوا رواه
البخاري والوصال هو عبارة عن صوم يومين فصاعدا من غير اكل وشرب بينهما قال
شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر وقد اختلف في معنى قوله يطعمني ربي ويسقيني فقيل هو
على حقيقته وانه كان صلى الله عليه وسلم يؤتى بطعام وشراب من عند الله كرامة له
في ليالي صيامه وتعقب بانه لو كان كذلك لم يكن مواصلا وبان قوله اظل يدل على
وقوع ذلك بالنهار فلو كان الاكل والشرب حقيقة لم يكن صائما واجيب بان الراجح
من الروايات لفظ ابيت دون اظل وعلى تقدير ثبوتها فهي محمولة على مطلق الكون لا على حقيقة
اللفظ لان المتحدث عنه هو الامساك ليلا ونهارا واكثر الروايات انما هو ابيت فكان بعض
الرواة عبر عنها باظل نظرا الى اشتراكهما في مطلق الكون يقولون كثيرا اضحى فلان كذا وكذا
ولا يريدون تخصيص ذلك بوقت الضحى ومنه قوله تعالى واذا بشر احدهم بالانثى ظل
وجهه مسودا فان المراد به مطلق الوقت ولا اختصاص لذلك بنهار دون ليل وليس حمل الطعام
والشراب على المجاز باولى من حمل لفظ اظل على المجاز وعلى التنزل فلا يضر شيء من ذلك
لان ما يؤتى به الرسول على سبيل الكرامة من طعام الجنة وشرابها لا يجري عليه احكام المكلفين
فيه كما غسل صدره الشريف في طست الذهب مع ان استعمال اواني الذهب الدنيوية
محرمة وقال ابن المنير الذي يفطر شرعا انما هو الطعام المعتاد واما الخارق للعادة كالمحضر
من الجنة فعلى غير هذا المعنى وليس تعاطيه من جنس الاعمال وانما هو من جنس الثواب

كأكل

كأكل اهل الجنة في الجنة والكرامة لا تبطل العبادة وقال غيره لا مانع من حمل الطعام والشراب
على واكله وشربه في الليل لا يقطع وصاله خصوصية له بذلك فكأنه قال لما قيل له
انك تواصل قال اني لست في ذلك كهيئتكم اي على صفتكم في ان من اكل منكم او شرب انقطع
وصاله بل انما يطعمني ربي ويسقيني ولا تنقطع بذلك مواصلتي وطعامي وشرابي على غير
طعامكم وشرابكم صورة ومعنى وقال الجمهور هو مجاز عن لازم الطعام والشراب وهو
القوة فكأنه قال يعطيني قوة الآكل الشارب ويفيض علي ما يسد مسد الطعام والشراب
ويقوى على انواع الطاعة من غير ضعف في القوة او المعنى ان الله يخلق فيه من الشبع
والري ما يغنيه عن الطعام والشراب ولا يحس بجوع ولا عطش والفرق بينه وبين الاول
انه على الاول يعطي القوة من غير شبع ولا ري بل مع الجوع والظمأ وعلى الثاني يعطي القوة
مع الشبع والري ورجح الاول بان الثاني ينافي حال الصائم ويفوت المقصود من الصوم والوصال
لان الجوع هو روح هذه العبادة بخصوصها قال القرطبي ويبعده ايضا النظر الى حاله عليه
الصلاة والسلام فانه كان يجوع اكثر مما يشبع ويربط على بطنه الحجر انتهى ويحتمل كما قاله
ابن القيم في الهدي وابن رجب في اللطائف ان المراد ما يغذيه الله به من معارفه وما يفيض
على قلبه من لذة مناجاته وقرة عينه بقربه وتنعمه بحبه والشوق اليه وتوابع ذلك
من الاحوال التي هي غذاء القلوب ونعيم الارواح وقرة العين وبهجة النفوس للروح
والقلب بها اعظم غذاء واجله وانفعه وقد يقوى هذا الغذاء عن غذاء الاجسام مدة من الزمان
كما قيل

لها احاديث من ذكراك تشغلها ... عن الشراب وتلهيها عن الزاد
اذا اشتكت من كلال السير اوعدها ... روح القدوم فتحيا عند ميعاد

ومن له ادنى تجربة وشوق يعلم استغناء الجسم بغذاء القلب والروح عن كثير من الغذاء
الحيواني ولا سيما الفرحان الظافر بمطلوبه الذي قد قرت عينه بمحبوبه وتنعم بقربه
والرضا عنه والطاف محبوبه مكرما غاية الاكرام مع الحب التام افليس هذا من اعظم غذاء
لهذا المحب فكيف بالحبيب الذي لا شيء اعظم منه ولا اجل ولا اجمل ولا اكمل ولا اعظم احسانا
افليس هذا المحب عند حبيبه يطعمه ويسقيه ليلا ونهارا ولهذا قال اني اظل عند ربي
يطعمني ويسقيني انتهى وحكى النووي في شرح المهذب كما قاله في شرح تقريب الاسانيد
ان معناه ان محبة الله تشغلني عن الطعام والشراب قال والحب البالغ يشغل عنهما
انتهى فان قلت لم اثر اسم الرب دون اسم الذات المقدسة في قوله يطعمني ربي ويسقيني
دون ان يقول يطعمني الله اجيب لان التجلي باسم الربوبية اقرب الى العباد من الالهية
لانها تجلي عظمة لا طاقة للبشر بها وتجلي الربوبية تجلي رحمة وشفقة وقد اختلف الناس في الوصال
لنا هل هو جائز او محرم او مكروه فقالت طائفة انه جائز ان قدر عليه وهذا مروي عن
عبد الله بن الزبير وغيره من السلف وكان ابن الزبير يواصل الايام وروى ابن ابي شيبة
باسناد صحيح انه كان يواصل خمسة عشر يوما وذكر معه من الصحابة ايضا اخت ابي سعيد
ومن التابعين عبد الرحمن بن ابي نعم وعامر بن عبد الله بن الزبير وابراهيم بن يزيد التيمي
وابو الجوزاء كما نقله ابو نعيم في الحلية ومن حجتهم انه عليه الصلاة والسلام واصل

بأصحابه بعد النهي فلو كان النهي للتحريم لما أقرهم على فعله أنه أراد بالنهي الرحمة لهم والتخفيف عنهم كما صرحت به عائشة في حديثها فمن لم يشق عليه بعد النهي ولم يقصد موافقة أهل الكتاب ولا رغب عن السنة في تعجيل الفطر لم يمنع من الوصال ومن أدلة الجواز إقدام الصحابة عليه بعد النهي فدل على أنهم فهموا أن النهي للتنزيه لا للتحريم وإلا لما أقدموا عليه وقال الأكثرون لا يجوز الوصال وبه قال مالك وأبو حنيفة ونص الشافعي وأصحابه على كراهته ولهم في هذه الكراهة وجهان أصحهما أنها كراهة تحريم والثاني أنها للتنزيه واختار ابن وهب وأحمد بن حنبل وإسحق جواز الوصال إلى السحر لحديث أبي سعيد عند البخاري عنه صلى الله عليه وسلم لا تواصلوا فأيكم أراد أن يواصل فليواصل إلى السحر فهذا الوصال لا يترتب عليه شيء مما يترتب على غيره إلا أنه في الحقيقة بمنزلة عشائه إلا أنه يؤخره لأن الصائم له في اليوم والليلة أكلة فإذا أكلها في السحر كان قد نقلها من أول الليل إلى آخره وكان أخف لجسمه في قيام الليل ولا يخفى أن محل ذلك ما لم يشق على الصائم وإلا فيكون قربة وقد صرح في الحديث بأن الوصال من خصائصه صلى الله عليه وسلم فقال إني لست كهيئتكم وفي الصحيحين من حديث عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم إذا أقبل الليل من ها هنا وغربت الشمس فقد أفطر الصائم فما لو جعله مفطرا حكما بدخول وقت الفطر وإن لم يفطر وذلك يحيل الوصال شرعا واحتج الجمهور للتحريم بعموم النهي في قوله صلى الله عليه وسلم لا تواصلوا وأجابوا عن قوله رحمة لأنه لا يمنع ذلك كونه منهيا عنه للتحريم وسبب تحريمه الشفقة عليهم لئلا يتكلفوا ما يشق عليهم وأما الوصال بهم يوما ثم يوما فاحتمل للمصلحة في تأكيد زجرهم وبيان الحكمة في نهيهم والمفسدة المترتبة على الوصال وهي الملل من العبادة والتعرض للتقصير في بعض وظائف الدين من إتمام الصلاة بخشوعها وأذكارها وسائر الوظائف المشروعة في نهاره وليله وأجابوا بقوله أيضا عليه الصلاة والسلام إذا أقبل الليل من ها هنا وأدبر النهار من ها هنا فقد أفطر الصائم إذ لم يجعل الليل محلا لسوى الفطر فالصوم فيه مخالف لوضعه وروى الطبراني في الأوسط من حديث أبي ذر أن جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم إن الله قد قبل وصالك ولا يحل لأحد بعدك ولكن إسناده ليس بصحيح فلا حجة فيه.

الفصل التاسع في سحوره صلى الله عليه وسلم

عن أبي هريرة عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتسحر فقال إنها بركة أعطاكم الله إياها فلا تدعوه رواه النسائي وعن العرباض بن سارية قال دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السحور في رمضان فقال هلم إلى الغداء المبارك رواه أبو داود والنسائي وعن زيد بن ثابت قال تسحرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قمنا إلى الصلاة قال أنس بن مالك قلت كم كان قدر ما بينهما قال قدر خمسين آية رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي والمراد آية متوسطة لا طويلة ولا قصيرة ولا بطيئة قال ابن أبي جمرة كان ينظر صلى الله عليه وسلم ما هو الأرفق بأمته فيفعله لأنه لو لم يتسحر لاتبعوه فشق على بعضهم ولو تسحر في جوف الليل لشق أيضا على بعضهم ممن يغلب عليه النوم فقد يفضي إلى ترك الصبح أو يحتاج إلى المجاهدة بالسهر

فقال

فقال القرطبي فيه دلالة على الفراغ من السحور كان قبل طلوع الفجر فهو معارض لقول حذيفة هو النهار إلا أن الشمس لم تطلع انتهى وأجاب في فتح الباري بأن لا معارضة بل يحمل على اختلاف الحال فليس في رواية واحد منهما ما يشعر بالمواظبة وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك عند السحور يا أنس إني أريد الصيام فأطعمني شيئا فأتيته بتمر وإناء فيه ماء وذلك بعدما أذن بلال قال يا أنس انظر رجلا يأكل معي فدعوت زيد بن ثابت فجاء فقال إني أريد شربة سويق وأنا أريد الصيام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أريد الصيام فتسحر معه ثم قام فصلى ركعتين ثم خرج إلى الصلاة رواه النسائي وعن زر بن حبيش قلنا لحذيفة أي ساعة تسحرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هو النهار إلا أن الشمس لم تطلع رواه النسائي.

الفصل العاشر في إفطاره صلى الله عليه وسلم في رمضان في السفر وصومه

عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عام الفتح إلى مكة في رمضان فصام حتى بلغ كراع الغميم وصام الناس ثم دعا بقدح من ماء فرفعه حتى نظر الناس ثم شرب فقيل له بعد ذلك إن بعض الناس قد صام فقال أولئك العصاة زاد في رواية فقيل له إن الناس قد شق عليهم الصيام وإنما ينتظرون فيما فعلت فدعا بقدح من ماء بعد العصر رواه مسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال سافرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فصام حتى بلغ عسفان ثم دعا بإناء من ماء فشرب نهارا ليراه الناس وأفطر حتى قدم مكة وكان ابن عباس يقول صام رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر وأفطر فمن شاء صام ومن شاء أفطر رواه البخاري ومسلم ولمسلم أن ابن عباس كان لا يعيب على من صام ولا على من أفطر فقد صام رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر وأفطر قال النووي رحمه الله اختلف العلماء في صوم رمضان في السفر فقال بعض أهل الظاهر لا يصح صوم رمضان في السفر فإن صامه لم ينعقد ويجب قضاؤه لظاهر الآية ولحديث ليس من البر الصيام في السفر وفي الحديث الآخر أولئك العصاة وقال جماهير العلماء وجميع أهل الفتوى يجوز صومه في السفر وينعقد ويجزيه واختلفوا في أن الصوم أفضل أم الفطر أم هما سواء فقال مالك وأبو حنيفة والشافعي والأكثرون الصوم أفضل لمن أطاقه بلا مشقة ظاهرة ولا ضرر فإن تضرر به فالفطر أفضل واحتجوا بصومه صلى الله عليه وسلم ولأنه يحصل به براءة الذمة في الحال وقال سعيد بن المسيب والأوزاعي وأحمد وإسحق وغيرهم الفطر أفضل مطلقا وحكاه أصحابنا قولا للشافعي وهو غريب واحتجوا بما سبق لأهل الظاهر وبحديث حمزة صلى الله عليه وسلم هي رخصة من الله فمن أخذ بها فحسن ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه وظاهره ترجيح الفطر وأجاب الأكثرون بأن هذا كله فيمن يخاف ضررا أو يجد مشقة كما هو صريح في الأحاديث واعتمدوا حديث أبي سعيد الخدري قال كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فمنا الصائم ومنا المفطر فلا يجد الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم يرون أن من وجد قوة فصام فإن ذلك حسن ويرون أن من وجد ضعفا فأفطر فإن ذلك حسن وهذا صريح في ترجيح مذهب الأكثرين وهو تفضيل

الصوم لمن اطاقه بلا ضرر ولا مشقة ظاهرة وقال بعض العلماء الفطر افضل والصوم سواء لتعادل
الاحاديث والصحيح قول الاكثرين. القسم الثاني في صومه صلى الله عليه وسلم غير
شهر رمضان وفيه فصول. الفصل الاول في سرده عليه السلام صوم ايام
من الشهر وفطره اياما. عن ابي اسامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسرد
الصوم فيقال لا يفطر ويفطر فيقال لا يصوم رواه النسائي وعن انس قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يفطر من الشهر حتى نظن ان لا يصوم منه ثم يصوم حتى نظن ان لا
يفطر منه شيئا وكان لا تشاء ان تراه من الليل مصليا الا رايته ولا نائما الا رايته رواه
البخاري ولمسلم كان يصوم حتى يقال قد صام ويفطر حتى يقال افطر وعن ابن عباس
رضي الله عنهما قال ما صام رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا كاملا غير رمضان وكان
يصوم حتى يقول القائل لا والله ما يفطر ويفطر حتى يقول القائل لا والله ما يصوم رواه
البخاري ومسلم والنسائي وزاد ما صام شهرا متتابعا غير رمضان منذ قدم المدينة
ففي هذا انه صلى الله عليه وسلم لم يصم الدهر ولا قام الليل كله وكانه ترك ذلك لئلا
يقتدى به فيشق على الامة وان كان قد اعطي من القوة ما لو التزم ذلك لاقتدر عليه
لكنه سلك من العبادة الطريقة الوسطى فصام وافطر وقام ونام. الفصل
الثاني في صومه صلى الله عليه وسلم عاشوراء وهو بالمد واختلف في تعيينه
فعن الحكم بن الاعرج قال انتهيت الى ابن عباس وهو متوسد رداءه في زمزم فقلت له
اخبرني عن صوم عاشوراء فقال اذا رايت هلال المحرم فاعدد واصبح يوم التاسع صائما
فقلت هكذا كان محمد صلى الله عليه وسلم يصومه قال نعم رواه مسلم قال النووي هذا
تصريح من ابن عباس ان مذهبه ان عاشوراء هو اليوم التاسع من المحرم ويتاوله
على انه ماخوذ من اظماء الابل فان العرب تسمي اليوم الثالث من ايام الورد ربعا وكذا باقي
الايام على هذه النسبة فيكون التاسع عاشورا انتهى لكن قال ابن المنير قوله اذا
اصبحت من تاسعه فاصبح يشعر بانه اراد العاشر لانه لا يصبح صائما بعد ان اصبح صائما
تاسعه الا اذا نوى الصوم من الليلة المقبلة وهي الليلة العاشرة انتهى وذهب جماهير
العلماء من السلف والخلف الى ان عاشوراء هو اليوم العاشر من المحرم وممن قال ذلك
سعيد بن المسيب والحسن البصري ومالك واحمد واسحق وخلائق وهذا ظاهر الاحاديث
ومقتضى اللفظ واما تقدير اخذه من الاظماء فبعيد ثم ان حديث ابن عباس يرد عليه
يعني قوله ان النبي صلى الله عليه وسلم صام يوم عاشوراء فقالوا يا رسول الله
يوم تعظمه اليهود والنصارى فقال صلى الله عليه وسلم فاذا كان العام المقبل ان شاء الله
صمنا اليوم التاسع قال فلم يات العام المقبل حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهذا تصريح بان الذي كان يصومه ليس هو التاسع فتعين كونه العاشر قاله النووي
وقال القرطبي عاشوراء معدول عن عاشرة للمبالغة والتعظيم وهو في الاصل صفة
لليلة العاشرة لانه ماخوذ من العشر الذي هو اسم للعقد واليوم مضاف اليها
فاذا قيل يوم عاشوراء فكانه قيل يوم الليلة العاشرة الا انهم لما عدلوا به عن الصفة

غلبت

غلبت عليه الاسمية فاستغنوا عن الموصوف فحذفوا الليلة فعلى هذا فيوم عاشوراء هو
العاشر وهذا قول الخليل وغيره قال ابن المنير الاكثر على ان عاشوراء هو اليوم العاشر
من شهر الله المحرم وهو مقتضى الاشتقاق والتسمية وقال ابن القيم من تامل مجموع
روايات ابن عباس تبين له زوال الاشكال وسعة علم ابن عباس فانه لم يجعل يوم
عاشوراء اليوم التاسع بل قال للسائل صم اليوم التاسع واكتفى بمعرفة السائل ان يوم
عاشوراء هو اليوم العاشر الذي يعده الناس يوم عاشوراء فارشد السائل الى صيام التاسع
معه واخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصومه كذلك فاما ان يكون فعل ذلك
وهو الاولى واما ان يكون حمل فعله على الامر به وعزمه عليه في المستقبل وهو الذي
روى امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بصيام يوم عاشوراء يوم العاشر وكل هذه
الاثار عنه يصدق بعضها بعضا انتهى فليتامل وعن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة
رضي الله تعالى عنها كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يصومه في الجاهلية فلما قدم المدينة صامه وامر بصيامه فلما
فرض رمضان ترك عاشوراء فمن شاء صامه ومن شاء تركه رواه البخاري ومسلم ومالك
وابو داود والترمذي واستفيد من هذه الرواية تعيين الوقت الذي وقع الامر فيه
بصيام عاشوراء وهو اول قدومه المدينة ولا شك ان قدومه عليه الصلاة والسلام
كان في ربيع الاول فحينئذ كان الامر بذلك في اول السنة الثانية وفي السنة الثانية
فرض شهر رمضان فعلى هذا لم يقع الامر بصوم عاشوراء الا في سنة واحدة ثم فوض
الامر في صومه الى راي المتطوع فعلى تقدير صحة قول من يدعي انه كان قد فرض
فقد نسخ فرضه بهذه الاحاديث الصحيحة واما صيام قريش لعاشوراء فلعلهم تلقوه من
الشرع السالف ولهذا كانوا يعظمونه بكسوة الكعبة وقد روي عن عكرمة انه سئل
عن ذلك فقال اذنبت قريش ذنبا في الجاهلية فعظم في صدورهم فقيل لهم صوموا عاشوراء
يكفر ذلك قاله في فتح الباري وعن ابن عمر ان اهل الجاهلية كانوا يصومون يوم عاشوراء وان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان عاشوراء يوم من ايام الله فمن شاء صامه رواه البخاري
ومسلم وابو داود وفي رواية وكان عبد الله لا يصومه الا ان يوافق صيامه وعن سلمة
ابن الاكوع بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من اسلم يوم عاشوراء فامره ان يؤذن
في الناس من كان لم يصم فليصم ومن كان اكل فليتم صيامه الى الليل رواه مسلم قال
النووي اختلفوا في حكم صوم عاشوراء في اول الاسلام حين شرع صومه قبل صوم رمضان
فقال ابو حنيفة كان واجبا واختلف اصحاب الشافعي فيه على وجهين اشهرهما عندهم انه
لم يزل سنة من حين شرع ولم يكن واجبا قط في هذه الامة ولكنه كان متاكد الاستحباب
فلما نزل صوم رمضان صار مستحبا دون ذلك الاستحباب والثاني كان واجبا كقول
ابي حنيفة وتظهر فائدة الخلاف في اشتراط نية الصوم الواجب من الليل وابو حنيفة
لا يشترطها ويقول كان الناس مفطرين اول يوم عاشوراء ثم امروا بصيامه بنية من النهار
ولم يؤمروا بقضائه بعد صومه واصحاب الشافعي يقولون كان مستحبا فصح بنية من النهار

وتمسك ابو حنيفة بقوله امر بصيامه والامر للوجوب وبقوله فلما فرض شهر رمضان
قال من شاء صامه ومن شاء تركه واحتج الشافعية بقوله هذا يوم عاشوراء ولم يكتب الله
عليكم صيامه والشافعية يقولون ايضا معنى قوله في حديث ام سلمة فامره ان يؤذن
في الناس من كان لم يصم فليصم الى اخره ان من كان نوى الصيام فليتم صومه ومن
لم ينو الصوم ولم يأكل او اكل فليمسك بقية يومه لحرمة اليوم واحتج ابو حنيفة بهذا
الحديث لمذهبه ان صوم الفرض يجب بنية في النهار ولا يشترط تبييتها قال لانهم نووا
في النهار واجزاهم واجاب الجمهور عن هذا الحديث بان المراد امساك بقية النهار لا حقيقة
الصوم والدليل على هذا انهم كانوا اكلوا ثم امروا بالاتمام وقد وافق ابو حنيفة وغيره
على ان شرط اجزاء النية في النهار في الفرض والنفل ان لا يتقدمها مفسد للصوم من اكل
وغيره انتهى وقال الحافظ شيخ الاسلام ابو الفضل بن حجر يؤخذ من مجموع الاحاديث
انه كان واجبا لثبوت الامر بصومه ثم تأكد الامر بذلك ثم زيادة التأكيد بالنداء العام
ثم زيادته بامر من اكل بالامساك ثم زيادته بامر الامهات ان لا يرضعن فيه الاطفال
وبقول ابن مسعود الثابت في مسلم لما فرض رمضان ترك عاشوراء مع العلم بانه ما ترك
عاشوراء استحبابه بل هو باق فدل على ان المتروك وجوبه واما قول بعضهم المتروك تأكد
استحبابه فلا يخفى ضعفه بل تأكد استحبابه باق ولا سيما مع اهتمام الامر به حتى في عام
وفاته صلى الله عليه وسلم حيث قال لئن عشت لاصومن التاسع والعاشر ولترغيبه
في صومه وانه يكفر السنة فاي تأكيد ابلغ من هذا انتهى وعن ابن عباس قال قدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم المدينة فراى اليهود تصوم عاشوراء فقال ما هذا قالوا يوم صالح نجى الله
فيه موسى وبني اسرائيل من عدوهم فصامه فقال انا احق بموسى منكم فصامه وامر بصيامه
وفي رواية فقال لهم ما هذا اليوم الذي تصومونه قالوا هذا يوم عظيم نجى الله فيه موسى
واغرق فيه فرعون وقومه فصامه موسى شكرا لله فنحن نصومه فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فنحن احق واولى بموسى منكم فصامه رسول الله صلى الله عليه وسلم وامر بصيامه
وفي اخرى فنحن نصومه تعظيما له رواه البخاري ومسلم وابو داود وقد اجاب صاحب زاد
المعاد وغيره عما استشكله بعضهم في هذا الحديث وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
انما قدم المدينة في شهر ربيع الاول فكيف يقول ابن عباس انه قدم المدينة فوجد اليهود
صياما يوم عاشوراء بان ليس في الحديث ان يوم قدومه وجدهم يصومونه فانه انما قدم
يوم الاثنين في ربيع الاول ثاني عشره ولكن اول علمه بذلك ووقوع القصة في العام الذي
كان بعد قدومه المدينة لم يكن وهو بمكة وقال في الفتح غايته ان في الكلام حذفا تقديره
قدم عليه الصلاة والسلام المدينة فاقام الى يوم عاشوراء فوجد اليهود فيه صياما ويحتمل
ان يكون اولئك اليهود كانوا يحسبون يوم عاشوراء بحساب السنين الشمسية فصادف يوم
عاشوراء بحسابهم اليوم الذي قدم فيه صلى الله عليه وسلم المدينة وهذا التاويل مما يترجح به
اولوية المسلمين واحقيتهم بموسى لاضلالهم اليوم المذكور وهداية المسلمين له ولكن سياق
الاحاديث تدفع هذا التاويل والاعتماد على التاويل الاول وقد استشكل ايضا رجوعه عليه

الصلاة والسلام الى خبر اليهود وهو غير مقبول واجاب المازري بانه يحتمل انه صلى الله عليه وسلم
اوحي اليه بصدقهم فيما قالوه او تواتر عنده النقل بذلك حتى حصل له العلم بذلك قال القاضي عياض
ردا على المازري قد روى مسلم ان قريشا كانت تصومه فلما قدم المدينة صامه فلم يحدث
له بقول اليهود حكم يحتاج الى الكلام عليه وانما هي صفة حال وجواب سؤال وقوله صامه
ليس فيه ابتداء صومه حينئذ ولو كان هذا لحملناه على انه اخبر به من اسلم من علمائهم
كابن سلام وغيره قال وقد قال بعضهم يحتمل انه صلى الله عليه وسلم كان يصومه بمكة
ثم ترك صيامه حتى علم ما عند اهل الكتاب منه فصامه قال وما ذكرناه اولى بلفظ الحديث
قال النووي المختار قول المازري ومختصر ذلك انه صلى الله عليه وسلم كان يصومه كما
تصومه قريش في مكة ثم قدم المدينة فوجد اليهود يصومونه فصامه ايضا بوحي او تواتر
او اجتهاد لا بمجرد اخبار احادهم انتهى وقال القرطبي لعل قريشا كانوا يستندون في صومه
الى شرع من مضى كابراهيم وصوم رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتمل ان يكون بحكم
الموافقة لهم كما في الحج واذن الله له في صيامه على انه فعل خير فلما هاجر ووجد اليهود يصومونه
وسالهم وصامه وامر بصيامه احتمل ان يكون ذلك استيلافا لليهود كما استالفهم باستقبال
قبلتهم ويحتمل غير ذلك وعلى كل حال فلم يصمه اقتداء بهم فانه كان يصومه قبل ذلك وكان
ذلك الوقت الذي يجب فيه موافقة اهل الكتاب فيما لم ينه عنه ولا سيما اذا كان فيه
ما يخالف اهل الاوثان فلما فتحت مكة واشتهر امر الاسلام احب مخالفة اهل الكتاب ايضا
كما قال في حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صام يوم عاشوراء وامر
بصيامه قالوا يا رسول الله انه يوم تعظمه اليهود والنصارى فقال صلى الله عليه وسلم
فاذا كان العام المقبل ان شاء الله تعالى صمنا اليوم التاسع قال فلم يات العام المقبل حتى
توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية لئن بقيت الى قابل لاصومن التاسع رواه
مسلم وهذا دليل الشافعي واصحابه واحمد واسحق القائلين باستحباب صوم التاسع
والعاشر جميعا لانه صلى الله عليه وسلم صام العاشر ونوى صوم التاسع قال النووي
قال بعض العلماء ولعل السبب في صوم التاسع مع العاشر ان لا يتشبه باليهود في افراده
العاشر وفي الحديث اشارة الى هذا وقيل للاحتياط في تحصيل عاشوراء والاول اولى
انتهى وفي رواية البزار من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
يوم عاشوراء صوموه وخالفوا فيه اليهود صوموا قبله يوما وبعده يوما ولاحمد نحوه
فمراتب صومه ثلاثة ادناها ان يصام وحده واعلاها ان يصام يوم قبله ويوم بعده
ويليها ان يصام التاسع والعاشر وعليه اكثر الاحاديث وقال بعضهم قد ظهر ان القصد
مخالفة اهل الكتاب في هذه العبادة وذلك يحصل باحد امرين اما بنقل العاشر الى التاسع
واما بصيامهما معا [illegible] في البخاري من حديث ابي موسى قال كان يوم عاشوراء تعده
اليهود عيدا قال النبي صلى الله عليه وسلم فصوموه انتم وهذا ظاهره ان الباعث على الامر
بصومه محبة مخالفة اليهود حتى يصام ما يفطرون فيه لان يوم العيد لا يصام وحديث
ابن عباس يدل على ان الباعث على صيامه موافقتهم على السبب وهو شكر الله تعالى

على نجاة موسى لكن لا يلزم من تعظيمهم له واعتقادهم بانه عيد انهم كانوا لا يصومونه فلعله
كان من جملة تعظيمهم في شرعهم ان يصوموه وقد ورد ذلك صريحا في حديث مسلم كان اهل
خيبر يصومون يوم عاشورا يتخذونه عيدا ويلبسون نساءهم فيه حليهم وشارتهم وهو بالشين
المعجمة اي هيئتهم الحسنة ومحصل ما ورد في صيامه صلى الله عليه وسلم عاشورا اربعة
احوال اولها انه كان يصومه بمكة ولا يامر الناس بصيامه كما تقدم في حديث عائشة عند
الشيخين وغيرهما كان عاشورا يوما تصومه قريش في الجاهلية وكان صلى الله عليه وسلم
يصومه فلما قدم المدينة صامه الحديث الثانية انه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة
ورأى صيام اهل الكتاب له وتعظيمهم له وكان يحب موافقتهم فيما لم يؤمر به صامه وامر
الناس بصيامه واكد الامر بصيامه والحث عليه حتى كانوا يصومونه اطفالهم كما تقدم
في حديث ابن عباس عند الشيخين وغيرهما الثالثة انه لما فرض صيام شهر رمضان
ترك صلى الله عليه وسلم صيامه وقال ان يوم عاشورا يوم من ايام الله تعالى فمن شاء صامه
ومن شاء تركه ويشهد له حديث عائشة السابق الحالة الرابعة انه صلى الله عليه
وسلم عزم في آخر عمره ان لا يصومه منفردا بل يضم اليه يوما آخر مخالفة لاهل الكتاب
في صيامه كما قدمناه وقد روى مسلم من حديث ابي قتادة مرفوعا ان صوم عاشورا
يكفر سنة وان صيام يوم عرفة يكفر سنتين وظاهره ان صيام يوم عرفة افضل من صيام
يوم عاشورا وقد قيل الحكمة في ذلك ان يوم عاشورا منسوب الى موسى ويوم عرفة
منسوب الى النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك كان افضل والله اعلم واما ما روي من وسع
على عياله في يوم عاشورا وسع الله عليه السنة كلها رواه الطبراني والبيهقي في الشعب
وفي فضائل الاوقات وابو الشيخ عن ابن مسعود والاولى فقط عن ابي سعيد والثاني فقط
في الشعب عن جابر وابي هريرة وقال ان اسانيده كلها ضعيفة ولكن اذا ضم بعضها الى بعض
افاد قوة بل قال العراقي في اماليه لحديث ابي هريرة طرق صحح بعضها ابن ناصر الحافظ
واورده ابن الجوزي في الموضوعات من طريق سليمان وذكره ابن حبان في الثقات فالحديث
حسن على رأيه قال وله طريق عن جابر على شرط مسلم اخرجها ابن عبد البر في الاستذكار
من رواية ابي الزبير عنه وهو اصح طرقه ورواه هو والدارقطني في الافراد بسند جيد
عن عمر موقوفا عليه والبيهقي في الشعب من جهة محمد بن المنتشر قال كان يقال وذكره

الفصل الثالث في صيامه صلى الله عليه وسلم شعبان

عن عائشة رضي الله
تعالى عنها ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر قط الا شهر رمضان
وما رأيته في شهر اكثر منه صياما في شعبان رواه البخاري ومسلم وفي اخرى لهما
لم يكن يصوم شهرا اكثر من شعبان فانه كان يصومه كله وفي رواية الترمذي كان يصومه
الا قليلا بل كان يصومه كله وفي رواية ابي داود كان احب الشهور الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يصوم شعبان ثم يصله برمضان وللنسائي كان يصوم شعبان
او عامة شعبان وفي اخرى له كان يصوم شعبان الا قليلا وفي اخرى له ايضا كان يصوم
شعبان كله قال الحافظ ابن حجر اي يصوم معظمه ونقل الترمذي عن ابن المبارك انه قال

جائز

جائز في كلام العرب اذا صام اكثر الشهر ان يقول صام الشهر كله ويقال فلان قام ليلته ولعله
تعشى واشتغل ببعض امره قال الترمذي كان ابن المبارك جمع بين الحديثين بذلك وحاصله
ان الرواية الاولى مفسرة للثانية ومخصصة لها وان المراد بالكل الاكثر وهو مجاز قليل
الاستعمال واستبعده الطيبي وقال يحمل على انه كان يصوم شعبان كله تارة ويصوم
معظمه اخرى لئلا يتوهم انه واجب كله كرمضان قال ابن المنير اما ان يحمل قول عائشة
على المبالغة والمراد الاكثر واما ان يجمع بان قولها الثاني متاخر عن قولها الاول فاخبرت
عن اول امره انه كان يصوم اكثر شعبان واخبرت ثانيا عن آخر امره انه كان يصومه كله
ولا يخفى تكلفه والاول هو الصواب واختلف في الحكمة في اكثاره صلى الله عليه وسلم من
صوم شعبان فقيل كان يشتغل عن صيام الثلاثة ايام من كل شهر لسفر وغيره فتجتمع
فيقضيها في شعبان اشار الى ذلك ابن بطال وفيه حديث ضعيف اخرجه الطبراني في
الاوسط من طريق ابن ابي ليلى عن اخيه عيسى عن ابيه عن عائشة رضي الله تعالى عنها
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم ثلاثة ايام من كل شهر فربما اخر ذلك حتى
يجتمع عليه صوم السنة فيصوم شعبان وابن ابي ليلى ضعيف وقيل كان يضع الحديث
وقيل كان يصنع ذلك لتعظيم رمضان وورد فيه حديث اخرجه الترمذي من طريق
صدقة بن موسى عن ثابت عن انس قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم اي الصوم
افضل بعد رمضان قال شعبان لتعظيم رمضان قال الترمذي حديث غريب وصدقة
عندهم ليس بذاك القوي لكن يعارضه ما رواه من حديث ابي هريرة مرفوعا افضل الصوم
بعد رمضان صوم المحرم والاولى في ذلك ما جاء في حديث اصح منه اخرجه النسائي
وابو داود وصححه ابن حبان عن اسامة بن زيد قال قلت يا رسول الله لم ارك تصوم شهرا
من الشهور ما تصوم من شعبان قال ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان
وهو شهر ترفع فيه الاعمال الى رب العالمين فاحب ان يرفع عملي وانا صائم فبين صلى الله
عليه وسلم وجه صيامه لشعبان دون غيره من الشهور بقوله انه شهر يغفل الناس عنه
بين رجب ورمضان يشير الى انه لما اكتنفه شهران عظيمان الشهر الحرام وشهر الصيام
اشتغل الناس بهما فصار مغفولا عنه بالطاعة فوايد منها ان يكون اخفى واخفاء النوافل
واسرارها افضل لا سيما الصيام فانه سر بين العبد وربه ومنها انه اشق على النفوس
لان النفوس تتاسى بما تشاهد من احوال بني الجنس فاذا كثرت يقظة الناس وطاعاتهم
سهلت الطاعات واذا كثرت الغفلات واهلها تاسى بهم عموم الناس فيشق على نفوس المستيقظين
طاعاتهم لقلة من يقتدي بهم وقد روي في صيامه صلى الله عليه وسلم شعبان معنى آخر
وهو انه تنسخ فيه الآجال فروي باسناد فيه ضعف عن عائشة قالت كان اكثر صيام النبي
صلى الله عليه وسلم في شعبان فقلت يا رسول الله اراك اكثر صيامك في شعبان قال ان هذا
الشهر يكتب فيه لملك الموت من يقبض فانا احب ان لا ينسخ اسمي الا وانا صائم وقد روي
مرسلا وقيل انه اصح وقد قيل في صوم شعبان معنى آخر وهو ان صيامه كالتمرين على صيام
رمضان لئلا يدخل في صيامه على مشقة وكلفة بل يكون قد تمرن على الصيام واعتاده ووجد

بصيام شعبان قبل رمضان حلاوة الصوم ولذته فيدخل في صيام رمضان بقوة ونشاط واعلم
انه لا تعارض بين هذا وبين النهي عن تقدم رمضان بصوم يوم او يومين وكذا ما جاء في النهي
عن صوم نصف شعبان الثاني فان الجمع بينهما ظاهر بان يحمل النهي على من لم يدخل تلك
الايام في صيام اعتاده واجاب النووي عن كونه عليه السلام لم يكثر الصوم في المحرم
مع قوله ان افضل الصيام ما يقع فيه لانه يحتمل ان يكون ما علم ذلك الا في اخر عمره فلم يتمكن
من كثرة الصوم في المحرم او اتفق له فيه من الاعذار كالسفر ما منعه عن كثرة الصوم
فيه واما شهر رجب بخصوصه فقد قال بعض الشافعية انه افضل من سائر الشهور
وضعفه النووي وغيره فلم يعلم انه صح عنه صلى الله عليه وسلم انه صامه بل روي عنه
من حديث ابن عباس ما صح وفيه انه نهي عن صيامه ذكره ابن ماجة لكن في سنن
ابي داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ندب الى الصوم من الاشهر الحرم
ورجب احدها وفيه حديث مجيبة الباهلية عن ابيها وعمها انه صلى الله عليه وسلم
قال له صم من المحرم واترك قالها ثلاثا وفي رواية مسلم عن عثمان بن حكيم الانصاري
قال سالت سعيد ابن جبير عن صوم رجب فقال سمعت ابن عباس يقول كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم والظاهر ان
مراد سعيد بهذا الاستدلال على انه لا نهي عنه ولا ندب فيه بعينه بل له حكم بقية
الشهور وفي اللطائف روي عن الكاني ابا تمام الرازي ثنا القاضي يوسف ثنا محمد بن
اسحق السراج ثنا يوسف بن موسى ثنا الحجاج بن منهال حدثنا حماد بن سلمة اخبرنا حبيب
المعلم عن عطاء عن عروة قال لعبد الله بن عمر هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصوم في رجب قال نعم ويشرفه قالها ثلاثا اخرجه ابو داود وغيره وعن ابي قلابة
قال ان في الجنة قصرا لصوام رجب قال البيهقي ابو قلابة من كبار التابعين لا يقوله
الا عن بلاغ والله اعلم **الفصل الرابع في صومه صلى الله عليه وسلم عشر**
ذي الحجة والمراد بها الايام التسعة من اول ذي الحجة عن هنيدة بنت خالد عن امراته
عن بعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم
تسع ذي الحجة رواه ابو داود وعن عايشة رضي الله تعالى عنها قالت ما رايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم صائما في العشر قط رواه والترمذي وهذا يوهم كراهة صوم
العشر وليس فيها كراهة بل هي مستحبة استحبابا شديدا لاسيما يوم التاسع منها
وهو يوم عرفة وقد ثبت في صحيح البخاري انه صلى الله عليه وسلم قال ما من ايام العمل
الصالح فيها افضل منه في هذه يعني العشر الاول من ذي الحجة واستدل به على فضل
ذي الحجة لاندراج الصوم في العمل واستشكل بتحريم الصوم يوم العيد واجيب
بانه محمول على الغالب والله اعلم وتتاول قولها يعني عايشة لم يصم العشر انه لم يصمه
لعارض من مرض او سفر او غيرهما او انها لم تره صائما فيه ولا يلزم من ذلك عدم صيامه
في نفس الامر ويدل عليه حديث هنيدة بن خالد الذي ذكرته قال الحافظ ابن حجر وقد وقع
في رواية القسم بن ابي ايوب ما من عمل ازكى عند الله ولا اعظم اجرا من خير يعمله في عشر

الاضحى

الاضحى وفي حديث جابر في صحيحي ابي عوانة وابن حبان ما من ايام افضل عند الله من ايام
عشر ذي الحجة فقد ثبتت الفضيلة لايام عشر ذي الحجة على غيرها من ايام السنة ويظهر
فائدة ذلك فيمن نذر الصيام او علق عملا من الاعمال بافضل الايام فلو افرد يوما منها
تعين يوم عرفة لانه على الصحيح افضل ايام العشر المذكور فان اراد افضل ايام الاسبوع
تعين يوم الجمعة جمعا بين الحديث السابق وبين حديث ابي هريرة مرفوعا خير يوم
طلعت عليه الشمس يوم الجمعة رواه مسلم اشار الى ذلك كله النووي في شرحه وقال
الداودي لم يرد عليه الصلاة والسلام ان هذه الايام خير من يوم الجمعة يعني فيلزم
تفضيل الشيء على نفسه وتعقب بان المراد كل يوم من ايام العشر افضل من غيره من ايام
السنة سواء كان يوم الجمعة ام لا ويوم الجمعة فيه افضل من يوم الجمعة في غيره
لاجتماع الفضيلتين فيه والذي يظهر ان السبب في امتياز عشر ذي الحجة امكان اجتماع
امهات العبادة فيه وهي الصلاة والصيام والصدقة والحج ولا يتاتى ذلك في غيرها
وعلى هذا هل يختص الفضل بالحاج او يعم المقيم فيه احتمال انتهى وقال ابو امامة بن
النقاش فان قلت ايما افضل عشر ذي الحجة او العشر الاواخر من رمضان فالجواب
ان ايام عشر ذي الحجة افضل لاشتمالها على اليوم الذي ما روي الشيطان في يوم غير
يوم بدر احقر ولا اغيظ ولا احقر منه فيه وهو يوم عرفة ولكونه يكفر صيامه
سنتين ولاشتماله على اعظم الايام عند الله حرمة وهو يوم النحر الذي سماه الله تعالى
يوم الحج الاكبر وليالي عشر رمضان الاخير افضل لاشتمالها على ليلة هي خير من الف
شهر فمن تامل هذا الجواب وجده كافيا شافيا اشار اليه الفاضل المفضل في قوله
ما من ايام العمل فيهن احب الى الله من عشر ذي الحجة الحديث فتامل قوله ما من ايام
دون ان يقول ما من عشر ونحوه ومن اجاب بغير هذا التفصيل لم يدل بحجة صحيحة
صريحة قط **الفصل الخامس في صومه صلى الله عليه وسلم ايام الاسبوع**
عن عايشة رضي الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتحرى صيام
الاثنين والخميس رواه الترمذي والنسائي وعن ابي قتادة قال سئل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن صوم الاثنين فقال فيه ولدت وفيه انزل علي رواه مسلم وعن ابي
هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال تعرض الاعمال على الله تعالى يوم الاثنين والخميس
فاحب ان يعرض عملي وانا صائم رواه الترمذي وعن اسامة بن زيد قلت يا رسول الله
انك تصوم حتى لا تكاد تفطر وتفطر حتى لا تكاد تصوم الا يومين ان دخلا في صيامك والا
صمتهما قال اي يومين قلت يوم الاثنين والخميس قال ذلك يومان تعرض فيهما الاعمال
على رب العالمين فاحب ان يعرض عملي وانا صائم رواه النسائي وروي علي بن ابي طلحة
عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد قال
يكتب كل ما تكلم به من خير او شر حتى انه ليكتب قوله اكلت وشربت وذهبت وجئت ورايت
حتى كان يوم الخميس عرض قوله وعمله فاقر منه ما كان فيه من خير او شر والغى سايره وهذا
عرض خاص في هذا اليومين غير العرض العام كل يوم فان ذلك عرض خاص دائم بكرة وعشية

ويدل على ذلك في صحيح مسلم عن ابي موسى الاشعري قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال ان الله تعالى لا ينام ولا ينبغي له ان ينام يخفض ويرفع يرفع اليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل الحديث وعن ام سلمة كان صلى الله عليه وسلم يصوم من كل شهر ثلاثة ايام الاثنين والخميس من هذه الجمعة والاثنين من المقبلة وفي رواية اول الاثنين من الشهر ثم الخميس الذي يليه رواه النسائي وعن عائشة كان يصوم من الشهر السبت والاحد والاثنين ومن الشهر الاخر الثلثا والاربعا والخميس رواه الترمذي وعن كريب مولى ابن عباس قال ارسلني ابن عباس وناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الى ام سلمة اسالها اي الايام كان صلى الله عليه وسلم اكثرها صياما قالت السبت والاحد ويقول انهما عيد المشركين وانا احب ان اخالفهم رواه احمد والنسائي وفيه محمد ابن عمر ولا يعرف حاله وبروير عن ابن عبد الله بن محمد بن عمرو ولا يعرف حاله ايضا وعن عبد الله بن بسر عن اخته الصما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تصوموا يوم السبت الا فيما افترض عليكم فان لم يجد احدكم الا لحا عنبة او عود شجرة فليمضغه رواه احمد وابو داود والترمذي وابن ماجة والدارمي قال بعضهم لا تعارض بينه وبين حديث ام سلمة فان النهي عن صومه انما هو عن افراده وعلى ذلك ترجم ابو داود فقال باب النهي ان يخص يوم السبت بالصوم وحديث صيامه انما هو مع يوم الاحد قالوا ونظير هذا انه نهى عن افراد يوم الجمعة بالصوم الا ان يصوم يوما قبله ويوما بعده قال النووي واما قول مالك في الموطا لم اسمع احدا من اهل العلم والفقه ومن يقتدي به ينهى عن صيام يوم الجمعة وصيامه حسن فقد رايت بعض اهل العلم يصومه واراه كان يتحراه فهذا الذي قاله هو الذي راه وقد راى غيره خلاف ما راى هو والسنة مقدمة على ما راه هو وغيره وقد ثبت النهي عن صوم يوم الجمعة فيتعين القول به ومالك معذور فانه لم يبلغه قال الداودي من اصحاب مالك لم يبلغ مالكا هذا الحديث ولو بلغه لم يخالفه قالوا واستحباب الفطر يوم الجمعة ليكون اعون له على وظائف العبادات المشروعة في الجمعة واداها بنشاط وانشراح لها والتذاذ بها من غير ملل ولا سامة كالحاج بعرفة فان قلت لو كان كذلك لم يزل النهي والكراهة بصوم يوم قبله او بعده لبقا المعنى فالجواب انه يحصل له بفضيلة الصوم الذي قبله او بعده ما يجبر ما قد يحصل من فتور او تقصير في وظائف يوم الجمعة بسبب صومه والله اعلم

الفصل السادس في صومه صلى الله عليه وسلم الايام البيض

وهي التي يكون فيها القمر من اول الليل الى اخره وهي ثالث عشره ورابع عشره وخامس عشره وليس في الشهر يوم ابيض كله الا هذه الايام لان ليلها ابيض ونهارها ابيض فصح قول من قال الايام البيض على الوصف واليوم الكامل هو النهار بليلته وفيه رد لقول الجواليقي من قال الايام البيض فجعل البيض صفة الايام فقد اخطا والله اعلم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفطر ايام البيض في حضر ولا في سفر رواه النسائي وعن حفصة اربع لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يدعهن صيام عاشورا والعشر وايام البيض من كل شهر وركعتي الفجر وعن معاذة العدوية

انها سالت

انها سالت عائشة اكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم من كل شهر ثلاثة ايام قالت نعم فقلت لها من اي ايام الشهر كان يصوم قالت لم يكن يبالي من اي ايام الشهر يصوم رواه مسلم قال بعضهم لعله صلى الله عليه وسلم لم يواظب على ثلاثة معينة لئلا يظن تعيينها قال وقد جعل الله تعالى صيام هذه الثلاثة الايام من الشهر بمنزلة صيام الدهر لان الحسنة بعشر امثالها وقد روى اصحاب السنن وصححه ابن خزيمة من حديث ابن مسعود كان النبي صلى الله عليه وسلم يصوم ثلاثة ايام من غرة كل شهر وقد يحتمل ان صيامه صلى الله عليه وسلم في الشهر على اوجه الاول انه كان يصوم اول اثنين من الشهر ثم الخميس الذي يليه رواه النسائي الثاني كان يصوم من الشهر السبت والاحد والاثنين ومن الشهر الاخر الثلثا والاربعا والخميس رواه الترمذي الثالث ايام البيض ثالث عشر ورابع عشر وخامس عشر الرابع انه كان يصوم ثلاثة غير معينة كما روته معاذة عن عائشة عند مسلم الخامس انه كان يصوم ثلاثة من اول الشهر واختاره جماعة منهم الحسن وهو كما رواه اصحاب السنن من حديث ابن مسعود قال القاضي عياض اختار النخعي صوم ثلاثة ايام من اخر الشهر ليكون كفارة لما مضى واختار اخرون اول يوم من الشهر والعاشر والعشرين وقيل انه صيام مالك بن انس وقال ابن شعبان من المالكية اول يوم من الشهر والحادي عشر والحادي والعشرون ونقل ذلك عن ابي الدردا وهو موافق لما رواه النسائي من حديث عبد الله بن عمر صم من كل عشرة ايام يوما وحكى الاسنوي عن الماوردي انه يستحب ايضا صوم الايام السود وهي السابع والعشرون واليومان بعده ورجح البيض بكونها وسط الشهر ووسط الشي اعدله ولان الكسوف غالبا يقع فيها وقد ورد الامر بمزيد العبادة اذا وقع فاذا اتفق الكسوف صادف الذي يعتاد صيام البيض صائما فيتهيا له ان يجمع بين انواع العبادات من الصيام والصلاة والصدقة بخلاف من لم يصمها فانه لا يتهيا له استدراك صيامها ورجح بعضهم صيام الثلاثة في اول الشهر لان المرء لا يدري ما يعرض له من الموانع والله اعلم

النوع الخامس في ذكر اعتكافه صلى الله عليه وسلم واجتهاده في العشر الاخير من رمضان وتحريه ليلة القدر

اعلم ان الاعتكاف في اللغة الحبس والمكث واللزوم وفي الشرع المكث واللزوم وفي الشرع المكث في المسجد من شخص مخصوص بصفة مخصوصة ومقصوده وروحه عكوف القلب على الله وجمعيته عليه والفكر في تحصيل مراضيه وما يقرب منه فيصير انسه بالله بدلا عن انسه بالخلق ليكون ذلك انسه يوم الوحشة في القبور حين لا انيس له وليس بواجب اجماعا الا على من نذره وكذا من شرع فيه فقطعه عامدا عند قوم واختلف في اشتراط الصوم له فمذهب الشافعي انه ليس بشرط لصحة الاعتكاف بل يصح اعتكاف المفطر وقال مالك وابو حنيفة والاكثرون يشترط الصوم فلا يصح اعتكاف المفطر واحتج الشافعي باعتكافه صلى الله عليه وسلم في العشر الاول من شوال رواه البخاري ومسلم وبحديث عمر انه قال يا رسول الله اني نذرت ان اعتكف ليلة في الجاهلية فقال اوف بنذرك رواه البخاري ومسلم والليل ليس محلا للصوم فدل على انه ليس بشرط لصحة الاعتكاف واتفق العلما على مشروطية المسجد للاعتكاف الا محمد بن عمر بن لبابة المالكي فاجازه في كل مكان واجاز الحنفية للمراة ان تعتكف في مسجد بيتها وهو المكان المعد للصلاة

فيه وفيه قول قديم للشافعي وذهب ابو حنيفة واحمد الى اختصاصه بالمسجد الذي تقام
فيه الصلوات وخصه ابو يوسف بالواجب منه واما النفل ففي كل مسجد وقال الجمهور
بعمومه في كل مسجد الا لمن تلزمه الجمعة واستحب له الشافعي في الجامع وشرطه مالك
لان الاعتكاف عنده ينقطع بالجمعة ويجب بالشروع عند مالك وخصه طائفة من السلف
كالزهري بالجامع مطلقا واوما اليه الشافعي في القديم وخصه حذيفة بن اليمان بالمساجد
الثلاثة وعطا بمسجدي مكة والمدينة وابن المسيب بمسجد المدينة واتفقوا على انه لا حد
لاكثره واختلفوا في اقله فمن شرط فيه الصيام قال اقله يوم فمنهم من قال يصح مع شرط
الصيام في دون اليوم حكاه ابن قدامة وعن مالك يشترط عشرة ايام وعنه يوم او يومان
ومن لم يشترط الصوم قالوا اقله ما يطلق عليه اسم لبث ولا يشترط القعود واتفقوا على
فساده بالجماع وقد كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الاواخر مما
رواه البخاري ومسلم من حديث عايشة وعن ابي هريرة كان صلى الله عليه وسلم يعتكف
كل عام عشرا فاعتكف عشرين في العام الذي قبض فيه رواه البخاري وعن ابي سعيد الخدري
انه صلى الله عليه وسلم اعتكف العشر الاول من رمضان ثم اعتكف العشر الاوسط في قبة
تركية ثم اطلع راسه فقال اني اعتكف العشر الاول التمس هذه الليلة يعني ليلة القدر
ثم اعتكف العشر الاوسط ثم اتيت فقيل لي انها في العشر الاواخر فمن اعتكف معي فليعتكف
العشر الاواخر فقد اريت هذه الليلة ثم انسيتها وقد رايتني اسجد في ماء وطين من صبيحتها
فالتمسوها في العشر الاواخر والتمسوها في كل وتر قال فمطرت السماء تلك الليلة وكان
المسجد على عريش فوكف المسجد فبصرت عيناي رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبهته
اثر الماء والطين من صبيحة احدى وعشرين رواه الشيخان وفي حديث عبادة بن الصامت
انه صلى الله عليه وسلم خرج يخبر بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى ان يكون
خيرا لكم فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة رواه البخاري ومسلم من حديث
عبد الله بن انيس انه صلى الله عليه وسلم قال رايت ليلة القدر ثم انسيتها واراني صبحها
اسجد في ماء وطين قال فمطرنا ليلة الثلاث والعشرين فصلى بنا وان اثر الماء والطين على جبهته
وانفه وفي سنن ابي داود عن ابن مسعود مرفوعا اطلبوها ليلة سبع عشرة وخرج الطبراني
مرفوعا من حديث ابي هريرة التمسوا ليلة القدر في ليلة سبع عشرة او تسع عشرة
او احدى وعشرين او ثلاث وعشرين او خمس وعشرين او سبع وعشرين او تسع وعشرين
وقد اختلف العلما في ليلة القدر اختلافا كثيرا وافردها بعضهم بالتاليف وقد جمع الحافظ
ابو الفضل بن حجر من كلام العلماء في ذلك اكثر من اربعين قولا كما في الجمعة ومذهب
الشافعي انحصارها في العشر الاخير كما نص عليه الشافعي فيما حكاه عنه الاسنوي وعنه
انها تلتمس في جميع الشهر وتبعه عليه الشيخ ابو اسحق في التنبيه فقال تطلب ليلة القدر
في جميع شهر رمضان ثم الغزالي في كتبه وتردد صاحب التقريب في جواز كونها في النصف
الاخير كذا نقله عنه الامام وضعفه وحكاه ابن الملقن في شرح العمدة وفي المفهم للقرطبي
حكاية قول انها ليلة النصف من شعبان ودليل الاول حديث ابي سعيد الذي قدمناه

قال النووي

قال النووي وميل الشافعي الى انها ليلة الحادي والعشرين او الثالث والعشرين اما الحادي
والعشرون فلقوله عليه الصلاة والسلام في حديث ابي سعيد فقد اريت هذه الليلة
وقد رايتني اسجد في ماء وطين من صبيحتها وفيه فبصرت عيناي رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعلى جبهته اثر الماء والطين من صبيحة احدى وعشرين واما الثالث والعشرون فلحديث
عبد الله بن انيس المتقدم ايضا وجزم جماعة من الشافعية بانها ليلة الحادي والعشرين
ولكن قال السبكي انه ليس مجزوما به عندهم لاتفاقهم على عدم حنث من علق يوم العشرين
عتق عبده ليلة القدر انه لا يعتق تلك الليلة بل بانقضاء الشهر على الصحيح بناء على انها في العشر
الاخير وعن ابن خزيمة من اصحابنا انها تنتقل في كل سنة الى ليلة من الليالي العشر
وحاصله قولان او وجهان واختار النووي في الفتاوي وشرح المهذب راي ابن خزيمة وجزم
ابن حبيب من المالكية ونقله الجمهور وحكاه صاحب العدة من الشافعية ورجحه ان ليلة
القدر خاصة بهذه الامة ولم تكن في الامم قبلهم وهو معترض بحديث ابي ذر عند النسائي
حيث قال فيه قلت يا رسول الله اتكون مع الانبياء فاذا ماتوا رفعت قال بل هي باقية وعمدتهم
قول مالك في الموطا بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تقاصر اعمار امته عن اعمار الامم
الماضية فاعطاه الله ليلة القدر وهذا محتمل للتاويل فلا يدفع الصريح في حديث ابي ذر
كما قاله الحافظان ابن كثير في تفسيره وابن حجر في فتح الباري قال وقد ظهر لليلة القدر علامات
منها في صحيح مسلم عن ابي بن كعب ان الشمس تطلع من صبيحتها لا شعاع لها ولابن خزيمة
من حديث ابن عباس مرفوعا ليلة القدر لا حارة ولا باردة تصبح الشمس يومها حمراء ضعيفة
ولاحمد من حديث عبادة بن الصامت مرفوعا انها صافية كان فيها قمرا ساطعا ساكنة صاحية
لا حر فيها ولا برد ولا يحل لكوكب يرمى به فيها ومن اماراتها ان الشمس في صبيحتها تخرج
مستوية ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر لا يحل للشيطان ان يخرج منها يومئذ وروى
البيهقي في فضائل الاوقات ان المياه المالحة تعذب في تلك الليلة وقد كان صلى الله عليه وسلم
يجتهد في العشر الاخير من رمضان ما لا يجتهد في غيره رواه مسلم من حديث عايشة وفي البخاري
عنها رضي الله تعالى عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر شد ميزره واحيا
ليله وايقظ اهله وجزم عبد الرزاق بان شد ميزره هو اعتزال النساء وحكاه عن الثوري
وقال الخطابي يحتمل ان يراد به الجد في العبادة كما يقال شددت لهذا الامر ميزري اي تشمرت له
ويحتمل ان يراد به التشمير والاعتزال معا ويحتمل ان يراد به الحقيقة والمجاز فيكون المراد
شد ميزره حقيقة فلم يحله واعتزل النساء وشمر للعبادة وقوله واحيا ليله اي سهره
فاحياه بالطاعة او احيا نفسه بسهره فيه لان النوم اخو الموت فاضافه الى الليل اتساعا
لان النائم اذا حيي باليقظة حيي ليله بحياته وهو نحو قوله لا تجعلوا بيوتكم قبورا اي لا تناموا
فتكونوا كالاموات فتكون بيوتكم كالقبور فقد كان عليه الصلاة والسلام يخص العشر الاخير
باعمال لا يعملها في بقية الشهر فمنها احيا الليل فيحتمل ان المراد احيا الليلة كله ويشهد له
حديث عايشة من وجه ضعيف واحيا الليل كله وفي المسند عنها ايضا قالت كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يخلط العشرين بصلاة ونوم فاذا كان العشر شمر وشد المئزر وفي

حديث ضعيف عن انس عن ابي نعيم كان صلى الله عليه وسلم اذا دخل شهر رمضان قام
ونام فاذا دخل الاربعا وعشرين لم يذق غمضا ويحتمل ان يريد باحيا الليل احيا غالبه
وقد قال الشافعي في القديم من شهد العشاء والصبح في جماعة ليلة القدر فقد اخذ بحظه
منها وروي في حديث مرفوع عن ابي هريرة من صلى العشا الآخرة في جماعة في رمضان
فقد ادرك ليلة القدر رواه ابو الشيخ ومنها انه كان يوقظ اهله للصلاة في ليالي العشر
دون غيره من الليالي ومنها تاخير الفطور الى السحور ففي حديث انس وعايشة انه
صلى الله عليه وسلم كان في ليالي العشر يجعل عشاءه سحورا ولفظ حديث عايشة رضي الله
تعالى عنها كان صلى الله عليه وسلم اذا كان رمضان قام ونام فاذا دخل العشر شد المئزر
واجتنب النساء واغتسل بين الاذانين وجعل العشا سحورا اخرجه ابن ابي عاصم ولفظ حديث
انس كان اذا دخل العشر الاخير من رمضان طوى فراشه واعتزل النساء وجعل عشاءه سحورا
واسناد الاول مقارب والثاني فيه حفص بن عتاب وقال فيه ابن عدي انه من انكر ما لقيت لكن
يشهد له حديث الوصال المخرج في الصحيح كما قدمته ومنها اغتساله عليه السلام بين العشائين
المغرب والعشا روي من حديث علي وفي اسناده ضعف **النوع السادس في ذكر حجه وعمره
صلى الله عليه وسلم** اعلم ان الحج حلول بحضرة المعبود ووقوف بساحته ومشاهده لذلك
المشهد العلي الرحماني والمام بمعهد العهد الرباني ولا يخفى ان نفس الكون بتلك الاماكن شرف
وعلو وان التردد في تلك المواطن فخار وسمو فان المحال المحترمة لم تزل تنزع على كاليها
من سجال ومنها بفيض عام وحسبك في هذا ما يحكى في ابيات عن مجنون بني عامر

راى المجنون في البيداء كلبا ۞ فجر عليه للاحسان ذيلا
فلاموه على ما كان منه ۞ وقالوا لم منحت الكلب نيلا
فقال دعوا الملام فان عيني ۞ راته مرة في حي ليلى

فينبغي للعبد ان يهتم بامر الحج ويبادر اليه وينتهز فرص عزمه انها مانحة عليه ولا يتوانا
في غسل ادران سيات العمر بصابون المغفرة ولا يتكاسل عن النداء فيعرضه للفوات
بركوب عميا المخاطرة وروى ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قال من اراد الحج فليتعجل
رواه ابو داود وفي حديث علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه عنه صلى الله عليه وسلم
من ملك زادا وراحلة تبلغه الى بيت الله الحرام فلم يحج فلا عليه ان يموت يهوديا او نصرانيا
الحديث رواه الترمذي وخطب عليه الصلاة والسلام فقال ايها الناس قد فرض الله
عليكم الحج فحجوا رواه مسلم والنسائي من حديث ابي هريرة وفي رواية النسائي من حديث
ابن عباس مرفوعا ان الله كتب عليكم الحج فقال الاقرع بن حابس التميمي كل عام يا رسول الله
فقال لو قلت نعم لوجبت الحديث فوجوب الحج معلوم من الدين بالضرورة وقد اجمعوا على انه لا يتكرر
الا لعارض كالنذر واختلفوا هل هو على الفور او التراخي فقال الشافعي وابو يوسف
وطايفة هو على التراخي الى ان ينتهي الى حال يظن فواته لو اخره عنها وقال مالك
وابو حنيفة واخرون هو على الفور واختلفوا ايضا في وقت ابتداء فرضه فقيل قبل الهجرة
وهو شاذ وقيل بعدها ثم اختلف في سنته فالجمهور على انها سنة ست لانه نزل فيها

قوله تعالى واتموا الحج والعمرة لله وهذا ينبني على ان المراد بالاتمام ابتدا الفرض ويؤيده قراءة علقمة
ومسروق وابراهيم النخعي بلفظ واقيموا رواه الطبري باسانيد صحيحة عنهم وقيل المراد
بالاتمام الاكمال بعد الشروع وهذا يقتضي تقدم فرضه قبل ذلك وقد وقع في قصة
ضمام ذكر الامر بالحج وكان قدومه على ما ذكره الواقدي سنة خمس وهذا يدل ان ثبت
على تقدمه على سنة خمس ووقوعه فيها وقالت طايفة انه تاخر نزول فرضه الى التاسعة
والعاشرة واحتج بان صدر سورة آل عمران نزل عام الوفود وفيه قدوم وفد نجران
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وصالحهم على اداء الجزية والجزية نزلت عام تبوك
سنة تسع وفيها نزل صدر سورة آل عمران وناظر اهل الكتاب ودعاهم الى التوحيد
ويدل عليه ان اهل مكة وجدوا في انفسهم بما فاتهم من التجارة من المشركين لما انزل الله
تعالى يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس الاية فاعاضهم الله من ذلك بالجزية ونزول
هذه الآيات والمناداة بها انما كان في سنة تسع وبعث الصديق رضي الله تعالى عنه يؤذن
بذلك في مكة في موسم الحج واردفه بعلي رضي الله تعالى عنه وفي الترمذي من حديث
جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم حج ثلاث حجج حجتين قبل ان يهاجر وحجة بعد ما هاجر
معها عمرة فساق ثلاثا وستين بدنة وجاء علي رضي الله تعالى عنه من اليمن ببقيتها
فيها جمل لابي جهل في انفه برة من فضة فنحرها الحديث وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما حج
صلى الله عليه وسلم قبل ان يهاجر ثلاث حجج اخرجه الحاكم وابن ماجه وهو مبني على عدد
وفود الانصار الى العقبة بمنى بعد الحج وهذا لا يقتضي نفي الحج قبل ذلك وقد اخرج
الحاكم باسناد صحيح الى الثوري ان النبي صلى الله عليه وسلم حج قبل ان يهاجر حججا وقال
حجج لا يعلم عددها وقال ابن الاثير كان عليه السلام يحج كل سنة قبل ان يهاجر وقال
جابر في حديثه الطويل كما في رواية مسلم مكث صلى الله عليه وسلم تسع سنين لم يحج
ثم اذن في العاشرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حاج فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتمس
ان ياتم برسول الله صلى الله عليه وسلم ويعمل مثل عمله فخرجنا حتى اتينا ذا الحليفة فولدت
اسماء بنت عميس محمد بن ابي بكر فارسلت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف اصنع
قال اغتسلي واستثفري بثوب واحرمي فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد
ثم ركب القصوى حتى اذا استوت به ناقته على البيداء نظرت مد بصري بين يديه من راكب
وماش وعن يمينه مثل ذلك وعن يساره مثل ذلك ومن خلفه مثل ذلك ورسول الله
صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا وعليه ينزل القرآن وهو يعرف تاويله وما عمل من شي عملنا
وفي رواية عند النسائي قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لخمس بقين
من ذي القعدة وخرجنا معه حتى اذا اتى ذا الحليفة الحديث وكان خروجه عليه الصلاة
والسلام من المدينة بين الظهر والعصر فنزل بذي الحليفة فصلى بها العصر ركعتين ثم
بات بها وصلى المغرب والعشا والصبح والظهر وكان نساؤه كلهن معه فطاف عليهن تلك
الليلة ثم اغتسل غسلا ثانيا لاحرامه غير غسل الجماع الاول وفي الترمذي عن خارجة
ابن زيد عن ابيه تجرد رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهلاله واغتسل وفي الصحيحين

ان عائشة رضي الله تعالى عنها طيبته بذريرة وفي رواية قالت كاني انظر الى وبيص الطيب
في مفارقه عليه الصلاة والسلام وهو محرم وفي رواية طيبته طيبا لا يشبه طيبكم يعني ليس له
بقا وهذا يدل على استحباب التطيب عند ارادة الاحرام وانه لا باس باستدامته بعد الاحرام
ولا يضر بقا لونه ورايحته وانما يحرم في الاحرام ابتداوه وهذا مذهب الشافعي وابي حنيفة
وابي يوسف واحمد بن حنبل حكاه الخطابي عن اكثر الصحابة وحكاه النووي عن جمهور العلما
من السلف والخلف وذهب مالك الى منع التطيب قبل الاحرام بما يبقى رايحته بعده لكنه قال
ان فعل فقد اسا ولا فدية عليه وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان صلى الله عليه وسلم
اذا اراد ان يحرم غسل راسه بخطمي واشنان رواه الدارقطني وفي حديث انس عند
ابي داود والترمذي انه صلى الله عليه وسلم صلى الظهر ثم ركب راحلته فلما علا على جبل
البيدا اهل وفي رواية ابن عمر عند البخاري ومسلم وغيرهما ما اهل الا من عند المسجد
يعني مسجد ذي الحليفة وفي رواية ما اهل الا من عند الشجرة حين قام به بعيره وفي رواية
حين وضع رجله في الغرز واستوت به راحلته قايما اهل من عند مسجد ذي الحليفة وفي
رواية جابر عند ابي داود والترمذي انه صلى الله عليه وسلم لما اراد الحج اذن في الناس به
فاجتمعوا له فلما اتى البيدا احرم وفي حديث ابن جبير عند ابي داود وقال قلت لابن عباس
عجبت لاختلاف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في اهلال رسول الله صلى الله عليه
وسلم حين اوجب فقال اني لاعلم الناس بذلك انما كانت من رسول الله صلى الله عليه وسلم
حجة واحدة فمن هناك اختلفوا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجا فلما صلى في مسجده
بذي الحليفة ركعتيه اوجبه في مجلسه فاهل بالحج حين فرغ من ركعتيه فسمع ذلك منه
اقوام فحفظته عنه ثم ركب فلما استقلت به ناقته اهل وادرك ذلك منه اقوام وذلك
ان الناس انما كانوا ياتون ارسالا فسمعوه حين استقلت به راحلته يهل فقالوا انما
اهل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استقلت به ناقته ثم مضى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما علا على شرف البيدا وايم الله لقد اوجب في مصلاه واهل حين استقلت به
ناقته واهل حين علا على شرف البيدا قال سعيد بن جبير فمن اخذ بقول عبد الله بن عباس
اهل في مصلاه اذا فرغ من ركعتيه وهو مذهب ابي حنيفة والصحيح من مذهب الشافعي
ان الافضل ان يحرم اذا انبعثت به راحلته قال ابن القيم ولم ينقل عنه انه صلى الله
عليه وسلم صلى للاحرام ركعتين غير فرض الظهر انتهى قلت ثبت في الصحيحين عن ابن عمر
انه صلى الله عليه وسلم كان يركع بذي الحليفة ركعتين ثم اذا استوت به الناقة قايمة
عند مسجد ذي الحليفة اهل قال النووي فيه استحباب صلاة ركعتين عند ارادة
الاحرام ويصليهما قبل الاحرام ويكونان نافلتين هذا مذهبنا ومذهب العلما كافة
الا ما حكاه القاضي وغيره عن الحسن البصري انه يستحب كونه بعد صلاة فرض قال لانه
روي ان هاتين الركعتين كانتا صلاة الصبح والصواب ما قاله الجمهور وهو ظاهر الحديث وقد
اختلفت روايات الصحابة في حجة صلى الله عليه وسلم حجة الوداع هل كان مفردا او قارنا
او متمتعا وروي كل منها في البخاري ومسلم وغيرهما واختلف الناس في ذلك على ستة اقوال

واحدها

احدها انه حج مفردا لم يعتمر الثاني حج متمتعا تمتعا حل منه ثم احرم بعده بالحج كما قاله القاضي
ابو يعلى وغيره الثالث انه حج متمتعا تمتعا لم يحل فيه لاجل سوق الهدي ولم يكن قارنا الرابع
انه حج قارنا قرانا طاف له طوافين وسعى له سعيين الخامس انه حج حجا مفردا اعتمر بعده
من التنعيم السادس انه صلى الله عليه وسلم حج قارنا بالحج والعمرة ولم يحل حتى حل منهما جميعا
وطاف لهما طوافا واحدا وسعى سعيا واحدا لسياقة الهدي واختلفوا ايضا في احرامه على ستة
اقوال احدها انه لبى بالعمرة وحدها واستمر عليها الثاني انه لبى بالحج وحده واستمر عليه
الثالث انه لبى بالحج مفردا ثم ادخل عليه العمرة الرابع انه لبى بالعمرة وحدها ثم ادخل
عليها الحج الخامس انه احرم احراما مطلقا لم يعين فيه نسكا ثم عينه بعد احرامه السادس
انه لبى بالحج والعمرة معا وقد اطنب ابو جعفر الطحاوي الحنفي في الكلام على ذلك فانه تكلم عليه
في زيادة على الف ورقة كما ذكره عنه جماعة من العلما وبينه ابن حزم في حجة الوداع له
بيانا شافيا ومهده المحب الطبري تمهيدا بالغا واشار اليه القاضي عياض والنووي
في شرحيهما لمسلم ونقحه الحافظ ابن حجر مستوفيا لكثير من مباحثه استيفاء كافيا والذي
ذهب اليه الشافعي في جماعة انه حج مفردا لم يعتمر معه واحتج بما في الصحيحين ان عائشة
رضي الله تعالى عنها قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام حجة الوداع فمنا
من اهل بعمرة ومنا من اهل بحج وعمرة ومنا من اهل بالحج وحده واهل رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالحج فهذا التقسيم والتنويع صريح في اهلاله بالحج وحده ولمسلم عنها انه
صلى الله عليه وسلم اهل بالحج وحده ولمسلم ايضا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اهل
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج ولابن ماجة عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم افرد الحج وعن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم افرد الحج رواه البخاري قالوا وهو
لاهم اقرب في حجة الوداع من غيرهم فاما جابر فهو احسن الصحابة سياقا لرواية حجة الوداع
فانه ذكرها من حين خروجه صلى الله عليه وسلم من المدينة الى آخرها فهو اضبط لها من
غيره واما ابن عمر رضي الله تعالى عنهما فصح عنه انه كان آخذا بخطام ناقته صلى الله عليه
وسلم في حجة الوداع وانكر على من رجح قول انس على قوله وقال كان انس يدخل على النسا
وهن مكشفات الرؤس واني كنت تحت ناقته صلى الله عليه وسلم يمسني لعابها اسمعه
يلبي بالحج واما عائشة رضي الله تعالى عنها فقربها من رسول الله صلى الله عليه وسلم معروف
وكذا اطلاعها على باطن امره وظاهره وفعله في خلواته وعلانيته مع كثرة فهمها وعظم
فطنتها واما ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فمحله من العلم والفقه في الدين والفهم الثاقب
معروف مع كثرة بحثه وتحفظه احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم التي لم يحفظها غيره
واخذه اياها من كبار الصحابة واحتجوا ايضا بان الخلفا الراشدين واظبوا على الافراد مع انهم
الايمة الاعلام وقادة الاسلام والمقتدى بهم فكيف يظن بهم المواظبة على ترك الافضل وبانه
لم ينقل عن احد منهم كراهة الافراد وقد نقل عنهم كراهية التمتع والجمع بينهما حتى فعله علي
رضي الله تعالى عنه لبيان الجواز وبان الافراد لا يجب فيه دم بالاجماع بخلاف التمتع والقران
وذهب النووي الى ان الصواب انه صلى الله عليه وسلم كان قارنا قال ويؤيده انه صلى الله

عليه وسلم لم يعتمر في تلك السنة بعد الحج قال ولا شك ان القران افضل من الافراد الذي
لا يعتمر في سنته عندنا ولم ينقل احد ان الحج وحده افضل من القران انتهى وقد صرح القاضي
حسين والمتولي بترجيح الافراد ولو لم يعتمر في تلك السنة قال الحافظ ابو الفضل بن حجر
بترجيح رواية من روى القران بامور منها ان معه زيادة علم على من روى الافراد والتمتع
واختلف عليه في ذلك فاشهر من روى عنه الافراد عايشة رضي الله تعالى عنها انه اعتمر
مع حجته وابن عمر قد ثبت عنه انه صلى الله عليه وسلم بدا بالعمرة ثم اهل بالحج وجابر وقد روى
انه اعتمر في حجته ايضا وبان القران رواه عنه صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة لم يختلف
عليهم فيه وبانه لم يقع في شيء من الروايات النقل عنه من لفظه انه قال افردت ولا
تمتعت بل صح عنه انه قال لولا ان معي الهدي لحللت وايضا فان من روى القران لا يحتمل
حديثه التاويل الا بتعسف بخلاف من روى الافراد فانه محمول على اول الحال وينتفي التعارض
ويؤيده ان من جاء عنه الافراد جاء عنه صورة القران ومن روى التمتع فانه محمول على بعض
واحد للنسكين ويؤيده ان من جاء عنه التمتع لما وصفه وصفه بصورة القران لانهم اتفقوا
على انه لم يحل من عمرته حتى اتم جميع الحج وهذه احدى صور القران وايضا فان رواية
القران جاءت عن بضعة عشر صحابيا انتهى وعدهم ابن القيم سبعة عشر عايشة ام المؤمنين
وعبد الله بن عباس وعمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب وعثمان بن عفان باقراره لعلي
وعمران بن الحصين والبرا بن عازب وحفصة ام المؤمنين وابو قتادة وابن ابي اوفى وابو
طلحة والهرماس بن زياد وام سلمة وانس بن مالك وسعد بن ابي وقاص وجابر
وابن عمر رضوان الله تعالى عليهم اجمعين قال فهولاء سبعة عشر صحابيا منهم من روى
فعله ومنهم من روى لفظ احرامه ومنهم من روى خبره عن نفسه ومنهم من روى امره به
فان قيل كيف تجعلون منهم ابن عمر وجابرا وعايشة وابن عباس وعايشة رضي الله تعالى عنها
يقول اهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج وفي لفظ افرد الحج والاول في الصحيحين
والثاني في مسلم وهذا ابن عمر يقول لبى بالحج وحده ذكره البخاري وهذا ابن عباس يقول
اهل بالحج رواه مسلم وهذا جابر يقول افرد الحج رواه ابن ماجة قيل ان كانت الاحاديث
تعارضت عن هولاء وتساقطت فان احاديث الباقين لم تتعارض فهب ان احاديث ما ذكرتم
لا حجة فيها على القران ولا على الافراد فما الموجب للعدول عن احاديث الباقين مع صراحتها
وصحتها فكيف والاحاديث بعضهم يصدق بعضها بعضا ولا تعارض بينها انتهى وهذا يقتضي
رفع الشك عن ذلك والمصير الى انه صلى الله عليه وسلم كان قارنا ومقتضى ذلك ان يكون
القران افضل من الافراد والتمتع وهو قول جماعة من الصحابة والتابعين وبه قال
ابو حنيفة واسحق وابن راهويه واختاره من الشافعية المزني وابن المنذر وابو اسحق
المروزي ومن المتاخرين الشيخ تقي الدين السبكي وبحث مع النووي في اختياره انه صلى الله
عليه وسلم كان قارنا وان الافراد مع ذلك افضل مستندا الى انه صلى الله عليه وسلم اختار
الافراد اولا ثم ادخل عليه العمرة لبيان جواز الاعتمار في اشهر الحج لكونهم كانوا يعتقدونه من افجر
الفجور وتعقب بان البيان قد سبق منه صلى الله عليه وسلم في عمره الثلاث فانه احرم بكل

منها

منها في ذي القعدة عمرة الحديبية التي صد عن البيت فيها وعمرة القضية وعمرة الجعرانة ولو كان
اراد باعتماره مع حجته بيان الجواز فقط مع ان الافضل خلافه لاكتفى في ذلك بامره اصحابه ان
يفسخوا حجهم الى العمرة انتهى ومذهب الشافعي ومالك وكثيرين ان افضلها الافراد ثم التمتع ثم القران
فان قلت ان كان الراجح وقد ذهب جماعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم الى ان التمتع افضل
وهو مذهب احمد لكونه صلى الله عليه وسلم تمناه فقال لولا اني سقت الهدي لاحللت
ولا يتمنى الا الافضل واجيب بانه انما تمناه تطييبا لقلوب اصحابه لحزنهم على فوات
موافقته والا فالافضل ما اختاره الله له واستمر عليه صلى الله عليه وسلم واما القايلون بانه
صلى الله عليه وسلم لبى بالعمرة واستمر عليها فحجتهم حديث ابن شهاب عن سالم عن ابن عمر قال
تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بالعمرة الى الحج وقال ابن شهاب عن عروة ان
عايشة اخبرته عن النبي صلى الله عليه وسلم في تمتعه بالعمرة الى الحج فتمتع الناس معه
بمثل الذي اخبرني به سالم عن ابن عمر وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم هذه عمرة استمتعنا بها وقال سعد بن ابي وقاص في المتعة صنعها رسول الله
صلى الله عليه وسلم وصنعناها معه واجيب بان التمتع عندهم يتناول القران ويدل لهذا ما في الصحيحين
عن سعيد بن المسيب اجتمع علي وعثمان فكان عثمان ينهى عن المتعة فقال علي ما تريد الى امر
فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم تنهى عنه فقال عثمان دعنا منك فقال اني لا استطيع
ان ادعك فلما راى علي ذلك اهل بهما جميعا فهذا يبين ان من جمع بينهما كان متمتعا عندهم
وان هذا هو الذي فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ووافقه عثمان على انه صلى الله
عليه وسلم فعله لكن كان النزاع بينهما هل ذلك الافضل في حقنا ام لا فقد اتفق علي وعثمان
على انه عليه الصلاة والسلام تمتع وان المراد بالتمتع عندهم القران وايضا فانه عليه الصلاة والسلام [بالتمتع]
قد تمتع تمتع قران باعتبار ترفهه بترك احد السفرين انتهى وفي فتح الباري عن احمد من ساق
الهدي فالقران له افضل ليوافق فعل النبي صلى الله عليه وسلم ومن لم يسق الهدي فالتمتع
له افضل ليوافق ما تمناه وامر به اصحابه انتهى واما من قال انه صلى الله عليه وسلم حج مفردا
ثم اعتمر عقبه من التنعيم او غيره فهو غلط لم يقله احد من الصحابة ولا من التابعين ولا الايمة
الاربعة ولا احد من اهل الحديث قاله ابن تيمية واما من قال انه حج متمتعا حل فيه من احرامه
ثم احرم يوم التروية بالحج مع سوق الهدي فحجته حديث معاوية انه صلى الله عليه وسلم
قصر عن راسه بمشقص على المروة وحديثه في الصحيحين ولا يمكن ان يكون هذا في غير حجة
الوداع لان معاوية اسلم بعد الفتح والنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن زمن الفتح محرما ولا يمكن
ان يكون في عمرة الجعرانة لوجهين احدهما انه في بعض الفاظ الصحيح وذلك في حجته الثاني ان
في رواية النسائي باسناد صحيح وذلك في ايام العشر وهذا انما كان في حجته وقد انكر الناس
على معاوية وغلطوه فيه واصابه فيه ما اصاب ابن عمر في قوله انه اعتمر في رجب كما سيأتي وسائر
الاحاديث الصحيحة كلها تدل على انه صلى الله عليه وسلم لم يحل من احرامه الى يوم النحر وبذلك
اخبر عن نفسه بقوله لولا ان معي الهدي لاحللت وقوله اني سقت الهدي وقرنت فلا احل
حتى انحر وهذا خبر عن نفسه لا يدخله الوهم ولا الغلط بخلاف خبر غيره عنه قاله في زاد المعاد

وأما اختلاف الروايات عنه صلى الله عليه وسلم في إهلاله هل هو بالحج فالعمرة أو القران
والجمع بينها فكل تأول بما يناسب مذهبه الذي قدمته ملخص البغوي والذي ذكره الشافعي
في كتاب اختلاف الأحاديث كلاما موجزه أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان منهم المفرد والقارن والمتمتع فكل كان يأخذ منه أمر نسكه ويصدر عن تعليمه
فأضيف الكل إليه على معنى أنه أمر بها وأذن فيها ويجوز في لغة العرب إضافة الفعل
إلى الآمر به كما يجوز إضافته إلى الفاعل له كما يقال بنى فلان دارا ويريد أنه أمر ببنائها
وكما روي أنه عليه الصلاة والسلام رجم ماعزا وإنما أمر برجمه ثم احتج بأنه عليه الصلاة
والسلام كان أفرد الحج انتهى وقال الخطابي نحوه وقال النووي كان صلى الله عليه وسلم
أولا مفردا ثم أحرم بالعمرة بعد ذلك وأدخلها على الحج فصار قارنا فمن روى الإفراد
فهو الأصل يعني حمله على ما أهل به في أول الحال ومن روى القران أراد ما استقر
عليه أمره ومن روى التمتع أراد التمتع اللغوي وهو الارتفاق فقد ارتفق بالقران ك
لارتفاق التمتع وزيادة وهو الاقتصار على فعل واحد وقال غيره أراد بالتمتع ما أمر
غيره قالوا وبهذا الجمع تنتظم الأحاديث كلها ويزول عنها الاضطراب والتناقض وقالت
طائفة إنما أحرم صلى الله عليه وسلم قارنا يعني واحتجوا بأحاديث صحيحة صريحة
تزيد على العشرين منها حديث أنس في صحيح مسلم سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم أهل بهما لبيك عمرة وحجا رواه عن أنس ستة عشر نفسا من الثقات كلهم
متفقون عن أنس أن لفظ النبي صلى الله عليه وسلم كان إهلالا بحج وعمرة معا وأما من قال
إنه عليه الصلاة والسلام أهل بالعمرة وأدخل عليها الحج فحجته ما في البخاري من حديث
ابن عمر قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بالعمرة إلى الحج وأهدى
فساق معه الهدي من ذي الحليفة وبدأ صلى الله عليه وسلم فأهل بالعمرة ثم أهل بالحج
وقد تقدم في الأحاديث الكثيرة الصريحة أنه صلى الله عليه وسلم بدأ بالإهلال بالحج ثم
أدخل العمرة وهذا عكسه والمشكل في هذا الحديث قوله بدأ فأهل بالعمرة ثم أهل بالحج
وأجيب عنه بأن المراد به صورة الإهلال أي لما أدخل العمرة على الحج لبى بهما فقال
لبيك بحجة وعمرة معا ومذهب الشافعي أنه لو أدخل الحج على العمرة قبل الطواف صح وصار
قارنا فلو أحرم بالحج ثم أدخل عليه العمرة ففيه قولان للشافعي أصحهما لا يصح إحرامه بالعمرة
لأن الحج أقوى منها لاختصاصه بالوقوف والرمي والضعيف لا يدخل على القوي انتهى
وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال صلى النبي صلى الله عليه وسلم الظهر بذي الحليفة
ثم دعا بناقته فأشعرها في صفحة سنامها الأيمن وسلت الدم عنها وقلدها نعلين رواه
مسلم وأبو داود وفي رواية الترمذي قلد نعلين وأشعر الهدي في الشق الأيمن بذي
الحليفة وأماط عنه الدم وفي رواية لأبي داود بمعناه وقال ثم سلت الدم بيده وفي أخرى
بأصبعه وعند النسائي أشعر بدنته من الجانب الأيمن وسلت الدم عنها وقلدها وفي أخرى
أمر ببدنته فأشعر في سنامها من الشق الأيمن ثم سلت عنها الدم وقلدها نعلين وكان
حجه صلى الله عليه وسلم على رحل رث يساوي أربعة دراهم فقال اللهم اجعله حجا

لا رياء فيه

لطيفة

لا رياء فيه ولا سمعة رواه الترمذي في الشمائل وابن ماجه من حديث أنس والطبراني في
الأوسط من حديث ابن عباس وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنهما قالت خرجنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجاجا حتى إذا كنا بالعرج نزل رسول الله صلى الله
عليه وسلم ونزلنا فجلست عائشة إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلست إلى
جنب أبي بكر وكانت زمالة رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمالة أبي بكر واحدة مع غلام
لأبي بكر فجلس أبو بكر ينتظر أن يطلع عليه فطلع عليه وليس معه بعيره فقال له أبو بكر
أين بعيرك فقال أضللته البارحة فقال أبو بكر بعير واحد تضله وطفق يضربه ورسول الله
صلى الله عليه وسلم يتبسم ويقول انظروا إلى هذا المحرم ما يصنع وما يزيد على ذلك
ويتبسم رواه أبو داود وخرج معه صلى الله عليه وسلم أصحابه لا يعرفون إلا الحج
كما قالت عائشة فبين لهم صلى الله عليه وسلم وجوه الإحرام وجوز لهم الاعتمار في أشهر
الحج فقال من أحب أن يهل بعمرة فليهل ومن أحب أن يهل بحجة فليهل رواه البخاري
ولأحمد من شاء فليهل بعمرة ولما بلغ صلى الله عليه وسلم الأبواء وودان أهدى له
الصعب بن جثامة حمارا وحشيا فرده عليه فلما رأى ما في وجهه قال إنا لم نرده عليك
إلا أنا حرم رواه البخاري ومسلم وله في رواية حمار وحش يقطر دما وفي رواية
شق حمار وحش وفي رواية عضوا من لحم صيد ورواه أبو داود وابن حبان من طريق
عطاء عن ابن عباس أنه قال يا زيد بن أرقم هل علمت أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم فذكره واتفقت الروايات كلها أنه رده عليه إلا ما رواه ابن وهب والبيهقي من
طريقه بإسناد حسن من طريق عمرو بن أمية أن الصعب أهدى للنبي صلى الله عليه
وسلم عجز حمار وحش وهو بالجحفة فأكل منه وأكل القوم قال البيهقي إن كان هذا
محفوظا فلعله رد الحي وقبل اللحم قال في فتح الباري وفي هذا الجمع نظر فإن كانت
الطرق محفوظة فلعله رده حيا لكونه صيد لأجله ورد اللحم تارة لذلك وقبله تارة
أخرى حيث علم أنه لم يصده لأجله وقد قال الشافعي في الأم إن كان الصعب أهدى حمارا
حيا فليس للمحرم أن يذبح حمار وحش حي وإن كان أهدى له لحما فقد يحتمل أن يكون
علم أنه صيد له فرده عليه ونقل الترمذي عن الشافعي أنه رده لظنه أنه صيد
من أجله فتركه على وجه التنزه ويحتمل أن يحمل القبول المذكور في حديث عمرو بن أمية
على وقت آخر وهو حال رجوعه صلى الله عليه وسلم من مكة ويؤيده أنه جازم فيه
بوقوع ذلك في الجحفة وفي غيرها من الروايات بالأبواء أو بودان وقال القرطبي يحتمل
أن يكون الصعب أحضر الحمار مذبوحا ثم قطع منه عضوا بحضرته صلى الله عليه وسلم فقدمه
له فمن قال أهدى له حمارا أراد بتمامه مذبوحا لا حيا ومن قال لحم حمار أراد ما قدمه
للنبي صلى الله عليه وسلم قال ويحتمل أن يكون من قال حمارا أطلق وأراد بعضه مجازا قال
ويحتمل أنه أهداه له حيا فلما رده عليه ذكاه وأتاه بعضو منه ظانا أنه إنما رده عليه
لمعنى يختص بجملته فأعلمه بامتناعه أن حكم الجزء حكم الكل قال والجمع مهما أمكن أولى
من توهين بعض الروايات قال النووي قال الشافعي والآخرون ويحرم تملك الصيد بالبيع

والمعنية ونحوهما وفي تملكه اياه بالارث خلاف واما لحم العبد فان صاده او صيد له فهو حرام
سوآ صيد له باذنه او بغير اذنه وان صاده حلال لنفسه وان لم يقصد المحرم ثم اهدي
من لحمه للمحرم او باعه لم يحرم عليه هذا مذهبنا وبه قال مالك واحمد وداود وقال
ابو حنيفة لا يحرم عليه ما صيد له بغير اعانة منه وقالت طايفة لا يحل له لحم الصيد اصلا
سوا صاده غيره له قصده او لم يقصده فيحرم مطلقا حكاه القاضي عياض عن علي وابن عمر
وابن عباس لقوله تعالى وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما قالوا المراد بالصيد المصيد
ولظاهر حديث الصعب بن جثامة فانه صلى الله عليه وسلم رده وعلل رده بانه محرم
ولم يقل بانك صدته لنا واحتج الشافعي وموافقوه بحديث ابي قتادة المذكور في صحيح
مسلم فانه صلى الله عليه وسلم قال في الصيد الذي صاده ابو قتادة وهو حلال قال للمحرمين
هو حلال فكلوه وفي الرواية الاخرى قال فهل معكم منه شي قالوا معنا رجله فاخذها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكلها ولما مر صلى الله عليه وسلم بوادي عسفان قال
يا ابا بكر اي واد هذا قال وادي عسفان قال لقد مر به هود وصالح على بكرين احمرين
خطمهما الليف وازرهم العبا وارديتهم النمار يلبون يحجون البيت العتيق رواه احمد وفي
رواية مسلم من حديث ابن عباس لما مر بوادي الازرق قال كاني انظر الى موسى هابطا
من الثنية واضعا اصبعيه في اذنيه مارا بهذا الوادي وله جوار الى الله بالتلبية ووادي
الازرق خلف امج بفتح الهمزة والميم وبالجيم قرية ذات مزارع بينه وبين مكة ميل واحد
ولم يعين في رواية البخاري الوادي ولفظه اما موسى كاني انظر اليه اذا انحدر في الوادي
يلبي قال المهلب هذا وهم من بعض رواته لانه لم يات في اثر ولا خبران موسى حي
وانه سيحج وانما اتي ذلك عن عيسى فاشتبه على الراوي ويدل عليه قوله في الحديث
الاخر ليهلن ابن مريم بفج الروحا انتهى وهو تغليط للثقات بمجرد التوهم وقد ذكر البخاري
الحديث في اللباس من صحيحه بزيادة ذكر ابراهيم فيه افيقال ان الراوي غلط فزاده
وفي رواية مسلم المتقدمة ذكر يونس افيقال ان الراوي الاخر غلط فزاد يونس وتعقب
ايضا بان توهيم المهلب للراوي وهم منه والا فاي فرق بين موسى وعيسى لانه لم يثبت
ان عيسى منذ رفع نزل الى الارض وانما ثبت انه سينزل واجيب بان المهلب اراد ان
عيسى لما ثبت انه سينزل كان كمن حقق فقال كاني انظر اليه ولهذا استدل المهلب
بحديث ابي هريرة رضي الله تعالى عنه الذي فيه ليهلن ابن مريم بالحج وقد اختلف
في معنى قوله كاني انظر اليه فقيل ان ذلك رويا منام تقدمت له فاخبر عنها لما حج
ما تذكر ذلك ورويا الانبيا وحي وقيل هو على الحقيقة لان الانبيا احيا عند ربهم يرزقون
فلا مانع ان يحجوا في هذه الحالة كما في صحيح مسلم عن النبي انه راى موسى عليه السلام
قايما في قبره يصلي قال القرطبي حببت اليهم العبادة فهم يتعبدون بما يجدون من دواعي
انفسهم لا بما يلزمون به كما يلهم اهل الجنة الذكر ويويده ان عمل الاخرة ذكر ودعا لقوله
تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم الاية لكن تمام هذا التوجيه ان يقال المنظور اليه هي
ارواحهم فلعلها مثلت له صلى الله عليه وسلم في الدنيا كما مثلت له ليلة الاسرا واما

احسادهم

احسادهم فيحجون في القبور قال ابن المنير وغيره يجعل الله لروحه مثالا فيرى في اليقظة كما يرى
في النوم وقيل كانه مثلت له احوالهم التي كانت في الحياة الدنيا كيف تعبدوا وكيف حجوا وكيف
لبوا ولهذا قال كاني وقيل كانه اخبر بالوحي عن ذلك فلشدة قطعه به قال كاني انظر اليه انتهى
وقد ذكرت في مقصد الاسرا من ذلك ما يكفي والله اعلم ولما نزل صلى الله عليه وسلم
بسرف خرج الى اصحابه فقال من لم يكن معه هدي فاحب ان يجعلها عمرة فليفعل
ومن كان معه الهدي فلا وحاضت عايشة رضي الله تعالى عنها فدخل عليها صلى الله
عليه وسلم وهي تبكي فقال ما يبكيك يا هنتاه قالت سمعت قولك لاصحابك فمنعت العمرة
قال وما شانك قالت لا اصلي قال فلا يضرك انما انت امراة من بنات آدم كتب الله عليك
ما كتب عليهن فكوني في حجك فعسى الله ان يرزقكها رواه البخاري ومسلم وابو داود
والنسائي وفي رواية قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نذكر الا الحج
حتى جينا سرف فطمثت فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا ابكي فقال
ما يبكيك فقلت والله لوددت اني لم اكن خرجت العام فقال ما لك لعلك نفست قلت نعم
قال هذا شي كتبه الله على بنات آدم افعلي ما يفعل الحاج غير ان لا تطوفي بالبيت
حتى تطهري وقد اختلف فيما احرمت به عايشة كما اختلف هل كانت متمتعة ام مفردة
واذا كانت اولا احرمت بالحج وهو ظاهر هذا الحديث وفي حجة الوداع من المغازي عند
البخاري من طريق هشام بن عروة عن ابيه قالت وكنت فيمن اهل بعمرة وزاد احمد
من وجه آخر عن الزهري ولم اسق هديا وفي رواية الاسود عنها قالت خرجنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم نلبي لا نذكر حجا ولا عمرة ويحتمل في الجمع ان يقال اهلت
عايشة بالحج مفردة كما صنع غيرها من الصحابة ثم امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يفسخوا
الحج الى العمرة ففعلت عايشة ما صنعوا فصارت متمتعة ثم لما دخلت مكة وهي حايض
ولم تقدر على الطواف لاجل الحيض امرها ان تحرم بالحج وقال القاضي عياض واختلف
في الكلام على حديث عايشة فقال مالك ليس العمل على حديث عروة عن عايشة عندنا
قديما ولا حديثا قال ابن عبد البر يريد ليس العمل عليه في رفض العمرة وجعلها حجا
بخلاف جعل الحج عمرة فانه وقع للصحابة واختلف في جوازه من بعدهم لكن اجاب جماعة
من العلما عن ذلك باحتمال ان يكون معنى قوله ارفضي عمرتك اي اتركي التحلل منها وادخلي
عليها الحج فتصير قارنة ويويده قوله في رواية لمسلم وامسكي عن العمرة اي عن اعمالها
وانما قالت عايشة وارجع بحج لاعتقادها ان افرادها بالعمل افضل كما وقع لغيرها من امهات العمرة مع
المومنين واستبعد هذا التاويل لقولها في رواية عطا عنها وارجع انا بحجة ليس معها
عمرة اخرجه احمد وهذا يقوي قول الكوفيين ان عايشة تركت العمرة وحجت مفردة
وتمسكوا في ذلك بقوله لها دعي عمرتك وفي رواية ارفضي عمرتك ونحو ذلك واستدلوا
بذلك على ان للمراة اذا اهلت بالعمرة متمتعة فحاضت قبل ان تطوف ان تترك العمرة
وتهل بالحج مفردا كما صنعت عايشة لكن في رواية عطا عنها ضعف والرافع للاشكال في ذلك
ما رواه مسلم من حديث جابر ان عايشة اهلت بعمرة حتى اذا كانت بسرف حاضت فقال لها

النبي صلى الله عليه وسلم اهلي بالحج حتى اذا طهرت طافت بالكعبة وسعت فقال قد حللت من حجك
وعمرتك قالت يا رسول الله اني اجد في نفسي اني لم اطف بالبيت حتى حججت قال فاعمرها
من التنعيم ولمسلم من طريق طاوس عنها فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم يجزي عنك
بسعيك وعمرتك فهذا صريح في انها كانت قارنة لقوله قد حللت من حجك وعمرتك وانما اعمرها
من التنعيم تطييبا لقلبها لكونها لم تطف بالبيت لما دخلت معتمرة وقد وقع في رواية مسلم
وكان صلى الله عليه وسلم رجلا سهلا اذا هويت الشيء تابعها عليه ثم قال صلى الله عليه
وسلم لاصحابه من كان معه هدي فليهلل بالحج مع العمرة ثم لا يحل حتى يحل منهما جميعا
وانما قال لهم هذا القول بعد احرامهم بالحج وفي منتهى سفرهم ودنوهم من مكة بسرف كما جاء
في رواية عائشة او بعد طوافه بالبيت كما جاء في رواية جابر ويحتمل تكرار الامر بذلك في الموضعين
وان العزيمة كانت اخرا حين امرهم بفسخ الحج الى العمرة وفي رواية قالت عائشة فمنا
من اهل بعمرة ومنا من اهل بحج حتى قدمنا مكة فقال صلى الله عليه وسلم من احرم بعمرة
ولم يهد فليتحلل ومن احرم بعمرة واهدى فلا يحل حتى ينحر هديه ومن اهل بحج فليتم حجه
وهذا الحديث ظاهر في الدلالة لابي حنيفة واحمد وموافقيهما في ان المعتمر اذا كان معه
الهدي لا يتحلل من عمرته حتى ينحر هديه يوم النحر ومذهب مالك والشافعي وموافقيهما انه
اذا طاف وسعى وحلق حل من عمرته وحل له كل شيء في الحال سواء كان ساق هديا ام لا واحتجوا
بالقياس على من لم يسق الهدي وبانه تحلل من نسكه فوجب ان يحل له كل شيء كما لو تحلل
المحرم بالحج واجابوا عن هذه الرواية بانها مختصرة من الرواية التي ذكرها مسلم عن عائشة
قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام حجة الوداع فاهللنا بعمرة ثم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان معه هدي فليهلل بالحج مع العمرة ثم لا يحل حتى
يحل منهما جميعا فهذه الرواية مفسرة للمحذوف من الرواية التي احتج بها ابو حنيفة
وتقديرها ومن احرم بعمرة فليتحلل بالحج ولا يحل حتى ينحر هديه ولا بد من هذا التاويل
لان القصة واحدة والراوي واحد فتعين الجمع بين الروايتين على ما ذكروا والله اعلم
ولما بلغ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا طوى بفتح الطاء وتفتح وتضم وقيدها
الاصيلي بالكسر عند ابار الزاهر بات بها بين الثنيتين فلما اصبح صلى الغداة ثم اغتسل
رواه البخاري وللنسائي كان عليه السلام ينزل بذي طوى يبيت به يصلي صلاة الصبح
حين يقدم الى مكة ومصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك على اكمة خشنة غليظة
ليس في المسجد الذي بني ثم ولكن من اسفل ذلك على اكمة خشنة غليظة وفي الصحيحين
انه صلى الله عليه وسلم دخلها من اعلاها وفي حديث ابن عمر في الصحيح كان صلى الله
عليه وسلم يدخل من الثنية العليا يعني اعلا مكة من كدا بفتح الكاف والمد قال ابو عبيد
لا ينصرف وهذه الثنية هي التي ينزل منها الى المعلاة مقبرة مكة وهي التي يقال لها الحجون
بفتح المهملة وضم الجيم ولم يقع انه صلى الله عليه وسلم دخل مكة ليلا الا في عمرة
الجعرانة فانه صلى الله عليه وسلم احرم من الجعرانة ودخل مكة ليلا فقضى امر العمرة
ثم رجع ليلا واصبح بالجعرانة كما رواه اصحاب السنن الثلاثة من حديث محرش الكعبي

وعن

وعن عطاء قال ان شئتم فادخلوا ليلا انكم لستم كرسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اماما
فاحب ان يدخلها نهارا ليراه الناس رواه النسائي ثم دخل عليه الصلاة والسلام مكة
لاربع خلون من ذي الحجة ودخل المسجد الحرام ضحى من باب بني عبد مناف وهو باب بني شيبة
والمعنى فيه ان باب الكعبة في جهة ذلك الباب والبيوت تؤتى من ابوابها وايضا فلان جهة باب الكعبة
اشرف الجهات الاربع كما قاله ابن عبد السلام في القواعد وكان عليه الصلاة والسلام اذا
راى البيت قال اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما ومهابة وبرا رواه الثوري عن ابي سعيد
الشامي عن مكحول وروى الطبراني عن حذيفة بن اسيد كان عليه الصلاة والسلام اذا نظر
البيت قال اللهم زد بيتك هذا تشريفا وتعظيما وتكريما وبرا ومهابة وزد من شرفه وعظمه
ممن حجه او اعتمره تعظيما وتشريفا ومهابة ولم يركع عليه الصلاة والسلام تحية المسجد
ثم بدا بالطواف لانه تحية البيت كما صرح به كثير من اصحابنا وليس بتحية المسجد ثم استلم
صلى الله عليه وسلم الحجر اي الحجر الاسود وفي رواية جابر عند البخاري ومسلم استلم
الركن والاستلام افتعال من السلام اي التحية قاله الازهري وقيل من السلام بالكسر
اي الحجارة والمعنى انه يومي بعصاه الى الركن حتى يصيبه وكانت تحية الراس وهي
المراد بقوله في الحديث بالمحجن واعلم ان للبيت اربعة اركان الاول له فضيلتان كون الحجر
الاسود فيه وكونه على قواعد ابراهيم واليماني الثانية فقط وليس للاخرين منها شيء فلذلك
يقبل الاول ويستلم الثاني فقط ولا يقبل الاخران ولا يستلمان وروى الشافعي عن ابن
قال استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجر فاستلمه ثم وضع شفتيه عليه
طويلا حديث ابو داود وكان اذا استلم الركن قال بسم الله والله اكبر وكلما اتى الحجر
قال الله اكبر رواه الطبراني وهل كان صلى الله عليه وسلم طائفا على بعيره ام على
قدميه في مسلم عن عائشة طاف عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع على بعيره
وفيه عن ابي الطفيل رايته صلى الله عليه وسلم يطوف بالبيت على بعيره وقد
اختلف في علة ذلك فروى ابو داود من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه
صلى الله عليه وسلم قدم مكة وهو يشتكي فطاف على راحلته وفي حديث جابر عند مسلم
انه صلى الله عليه وسلم طاف راكبا ليراه الناس وليسالوه فيحتمل ان يكون فعل ذلك
لامرين قال ابن بطال فيه جواز دخول الدواب التي يؤكل لحمها المسجد اذا احتيج الى ذلك
لان بولها لا ينجسه بخلاف غيرها من الدواب وتعقب بانه ليس في الحديث دلالة على
عدم الجواز مع الحاجة بل ذلك دائر مع التلويث وعدمه فحيث يخشى التلويث يمتنع الدخول
وقد قيل ان ناقته عليه السلام كانت منوقة اي مدربة معلمة فيؤمن منها ما يحذر من
التلويث قاله بعضهم وهذا كان والله اعلم في طواف الافاضة لا في طواف القدوم فان جابر
حكى عنه الرمل في الثلاثة الاول وذلك لا يكون الا مع المشي ولم ينقل احد رمله به
راحلته وانما قالوا رمل اي بنفسه وقال الشافعي اما سبعه الذي طاف لمقدمه فعلى
قدميه انتهى ولما استلم صلى الله عليه وسلم الحجر مضى على يمينه فرمل ثلاثا ومشى
اربعا وكان ابتداء الرمل في عمرة القضية لما قدم صلى الله عليه وسلم واصحابه مكة

وقد وهنتهم حمى يثرب فقال المشركون انه يقدم عليكم غدا قوم قد وهنتهم الحمى ولقوا منها
شدة فجلسوا مما يلي الحجر وامرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يرملوا الاشواط ويمشوا ما بين
الركنين ليرى المشركون جلدهم فقال المشركون هولاء الذين زعمتم ان الحمى قد وهنتهم هولاء اجلد
من كذا وكذا رواه الشيخان وغيرهما من حديث ابن عباس ولما كان في حجة الوداع رمل صلى الله
عليه وسلم واصحابه فكان سنة مستقلة قال القرطبي قد ثبت انه عليه السلام رمل
ولا مشرك يومئذ بمكة يعني في حجة الوداع فعلم انه من مناسك الحج الا ان تاركه ليس تاركا
لعمل بل لهيئة مخصوصة فكان كرفع الصوت بالتلبية فمن لبى خافضا صوته لم يكن تاركا للتلبية
بل لصفتها فلا شيء عليه انتهى فلو ترك الرمل في الثلاث لم يقضه في الاربع لان هيئتها
السكينة فلا تتغير والله اعلم ولما فرغ صلى الله عليه وسلم من طوافه الى المقام فقرا واتخذوا
من مقام ابراهيم مصلى فصلى ركعتين والمقام بينه وبين البيت فقرا فيهما قل يا ايها الكافرون
وقل هو الله احد ثم رجع الى الركن فاستلمه ثم خرج من الباب الى الصفا فلما دنى من الصفا
قرا ان الصفا والمروة من شعائر الله ابدا بما بدا الله به فبدا بالصفا فرقي عليه حتى راى البيت
واستقبل القبلة فوحد الله وكبره وقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد
وهو على كل شيء قدير لا اله الا الله وحده انجز وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم دعا
بين ذلك قال هذا ثلاث مرات ثم نزل الى المروة حتى اذا انصبت قدماه في بطن الوادي
رمل حتى اذا صعدنا مشى حتى اتى المروة وفي حديث ابي الطفيل عند مسلم وابي داود
قال قلت لابن عباس اخبرني عن الطواف بين الصفا والمروة راكبا اسنة هو فان قومك
يزعمون انه سنة قال صدقوا وكذبوا قلت وما قولك صدقوا وكذبوا قال ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كثر عليه الناس يقولون هذا محمد حتى خرج العواتق من البيوت
قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يضرب الناس بين يديه فلما كثر عليه ركب
والمشي والسعي افضل هذا لفظ رواية مسلم وفي اوله ذكر الرمل في طواف البيت وعند
ابي داود ان قريشا قالت زمن الحديبية دعوا محمدا واصحابه حتى يموتوا موت النغف
فلما صالحوه على ان يجيئوا العام المقبل فيقيموا ثلاثة ايام قدم عليه الصلاة والسلام
فقال لاصحابه ارملوا بالبيت وفيه طاف صلى الله عليه وسلم بين الصفا والمروة على بعير
لان الناس كانوا لا يدفعون عنه صلى الله عليه وسلم ولا يضربون عنه فطاف على بعيره
ليسمعوا كلامه ويروا مكانه ولا تناله ايديهم لحديث وكان صلى الله عليه وسلم اذا وصل
الى المروة رقي عليها واستقبل البيت وكبر الله ووحده وفعل كما فعل على الصفا حتى اذا
كان آخر طوافه على المروة قال لو اني استقبلت من امري ما استدبرت لم اسق الهدي
ولجعلتها عمرة فمن كان منكم ليس معه هدي فليحل وليجعلها عمرة فقال سراقة بن جعشم
فقال يا رسول الله العامنا هذا ام للابد فشبك صلى الله عليه وسلم اصابعه واحدة
في الاخرى وقال دخلت العمرة في الحج هكذا مرتين لا بل لابد ابد وهذا معنى فسخ الحج
الى العمرة قال النووي وقد اختلف في هذا الفسخ هل هو خاص للصحابة تلك السنة
خاصة ام باق لهم ولغيرهم الى يوم القيمة فقال احمد وطائفة من اهل الظاهر ليس خاصا

العلاة قوسع

فيقيموا

بل هو باق

بل هو باق الى يوم القيمة فيجوز لكل من احرم بالحج وليس معه هدي ان يقلب احرامه
عمرة ويتحلل باعمالها وقال مالك والشافعي وابو حنيفة وجماهير العلما من السلف والخلف
هو مختص بهم في تلك السنة لا يجوز بعدها وانما امروا به تلك السنة ليخالفوا ما كانت
عليه الجاهلية من تحريم العمرة في اشهر الحج ومما يستدل به للجماهير حديث ابي ذر
في مسلم كانت المتعة في الحج لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم خاصة يعني فسخ الحج
الى العمرة وفي النسائي عن الحارث بن بلال عن ابيه قال قلت يا رسول الله رايت فسخ الحج
الى العمرة خاصة ام للناس عامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة قال
واما الذي في حديث سراقة لعامنا هذا ام لابد فقال لابد لابد فمعناه جواز الاعتمار
في اشهر الحج والقران كما سبق تفسيره فالحاصل من مجموع طرق الاحاديث ان العمرة
في اشهر الحج جائزة الى يوم القيمة وكذلك القران وان فسخ الحج الى العمرة مختص بتلك
السنة والله اعلم انتهى وفي رواية للنسائي ايضا لا تصلح المتعتان الا لنا خاصة
يعني متعة النساء ومتعة الحج ومتعة النساء هي نكاح المراة الى اجل كان ذلك مباحا ثم نسخ
يوم خيبر ثم ابيح يوم فتح مكة ثم نسخ في ايام الفتح واستمر تحريمه الى يوم القيمة وقد كان
فيه خلاف في العصر الاول ثم ارتفع واجمعوا على تحريمه وكان صلى الله عليه وسلم مدة مقامه
بمكة الى يوم التروية بمنزله الذي نزل فيه بالمسلمين بظاهر مكة يقصر الصلاة فيه وكانت مدة اقامته بمكة
قبل الخروج الى منا اربعة ايام ملفقة لانه قدم في الرابع وخرج في الثامن فصلى بها احدى
وعشرين صلاة من اول ظهر الرابع الى آخر ظهر الثامن ومن يوم دخوله عليه الصلاة
والسلام مكة وخروجه يوم النفر الثاني من منى الى الابطح عشرة ايام سواء وقدم علي
من اليمن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له بم اهللت قال بما اهل به رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال لولا ان معي الهدي لاحللت رواه الشيخان من حديث انس
وفي حديث البراء عند الترمذي والنسائي دخل علي على فاطمة رضي الله تعالى عنهما فوجدها
قد نضحت البيت بنضوح فعض فقالت ما لك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امر
اصحابه فاحلوا قال قلت لها اني اهللت باهلال النبي صلى الله عليه وسلم قال فاتيته
فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف صنعت قال وقال لي انحر من البدن سبعا
وستين او ستا وستين وامسك لنفسك ثلاثا وثلثين او اربعا وثلثين وامسك من كل
بدنة منها بضعة وفي رواية جابر عند مسلم فوجد فاطمة ممن حل ولبست ثيابا صبيغا
واكتحلت فانكر ذلك عليها فقالت امرني ابي بهذا فقال صدقت صدقت ماذا قلت حين
فرضت الحج قال قلت اللهم اني اهل بما اهل به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
فان معي الهدي فلا تحل قال فكان جماعة الهدي الذي قدم به علي من اليمن والذي اتى به
النبي صلى الله عليه وسلم مائة قال فحل الناس كلهم وقصروا الا النبي صلى الله عليه وسلم
ومن كان معه هدي فلما كان يوم التروية وكان يوم الخميس ضحى ركب النبي صلى الله
عليه وسلم وتوجه بالمسلمين الى منى وقد احرم بالحج من كان احل منهم وصلى صلى الله عليه وسلم
بمنى الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر ثم مكث قليلا حتى طلعت الشمس وامر بقبة من شعر

فضربت له بنمرة فسار على طريق ضب ولا تشك قريش الا انه واقف عند المشعر الحرام بالمزدلفة
كما كانت قريش تصنع في الجاهلية وكانت الحمس وهم من قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة
ويقولون نحن قطين الله اي جيران بيته فلا نخرج من حرمه وكان الناس كلهم يبلغون عرفات
وذلك قوله تعالى ثم افيضوا من حيث افاض الناس وعن جبير بن مطعم قال اضللت جملا لي
في الجاهلية فوجدته بعرفة فرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفا بعرفات مع الناس
فلما اسلمت عرفت ان الله وفقه لذلك وفي رواية كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الجاهلية يقف مع الناس بعرفة على جمل له ثم يصبح مع قومه بالمزدلفة فيقف معهم
ويدفع اذا دفعوا الحديث ولما بلغ صلى الله عليه وسلم عرفة وجد القبة قد ضربت له بنمرة
فنزل بها حتى اذا زاغت الشمس امر بالقصوى فرحلت له فركب فاتى بطن الوادي
فخطب الناس وقال ان دماءكم واموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا
الا كل شيء من امر الجاهلية تحت قدمي موضوع ودماء الجاهلية موضوعة وان اول
دم اضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث كان مسترضعا في بني سعد فقتلته
هذيل وربا الجاهلية موضوع واول ربا اضعه ربا العباس بن عبد المطلب فانه
موضوع كله فاتقوا الله في النساء فانكم اخذتموهن بامان الله واستحللتم فروجهن
بكلمة الله ولكم عليهن ان لا يوطئن فرشكم احدا تكرهونه فان فعلن ذلك فاضربوهن
ضربا غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وقد تركت فيكم ما لن تضلوا
بعده ان اعتصمتم به كتاب الله وانتم تسالون عني فما انتم قائلون قالوا نشهد
انك قد بلغت واديت ونصحت فقال باصبعه السبابة يرفعها الى السماء وينكبها الى الناس
اللهم اشهد ثلاث مرات ثم اذن بلال ثم اقام فصلى الظهر ثم اقام فصلى العصر ولم يصل
بينهما شيئا وهذا الجمع المذكور مختص بالمسافر عند الجمهور وعن مالك والاوزاعي
وهو وجه للشافعي ان الجمع بعرفة وجمع للنسك ويجوز لكل احد قال الاسنوي فلا يجوز
الا للمسافر بلا خلاف قاله الشافعي والاصحاب واذا خرج الحاج يوم التروية ونووا الاقامة
الى اوطانهم عند فراغ مناسكهم كان لهم القصر من حين خروجهم ولما فرغ صلى الله عليه
وسلم من صلاته ركب حتى اتى الموقف فجعل بطن ناقته القصوى الى الصخرات وجعل
حبل المشاة بين يديه واستقبل القبلة وكان اكثر دعائه صلى الله عليه وسلم يوم عرفة
في الموقف اللهم لك الحمد كالذي نقول وخيرا مما نقول اللهم لك صلاتي ونسكي ومحياي
ومماتي واليك مآبي ولك رب تراثي اللهم اني اعوذ بك من عذاب القبر ومن وسوسة
الصدر ومن شتات الامر ومن شر كل ذي شر وفي الترمذي افضل الدعاء يوم عرفة
وافضل ما قلت انا والنبيون لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على
كل شيء قدير وكان من دعائه في عرفة ايضا كما في الطبراني الصغير من حديث ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما اللهم انك تسمع كلامي وترى مكاني وتعلم سري وعلانيتي لا يخفى
عليك شيء من امري انا البائس الفقير المستغيث المستجير الوجل المشفق المقر
المعترف بذنوبه اسالك مسالة المسكين وابتهل اليك ابتهال المذنب الذليل وادعوك

ودعا

دعاء الخائف الضرير من خضعت لك رقبته وفاضت لك عيناه وذل لك جسده ورغم انفه لك
اللهم لا تجعلني بدعائك رب شقيا وكن بي رؤوفا رحيما يا خير المسؤولين ويا خير المعطين واتاه
صلى الله عليه وسلم ناس من اهل نجد وهو بعرفة فسالوه كيف الحج فامر مناديا ينادي
الحج عرفة من جاء ليلة جمع قبل طلوع الفجر فقد ادرك الحج ايام منى ثلاثة فمن تعجل
في يومين فلا اثم عليه ومن تاخر فلا اثم عليه رواه الترمذي وفي رواية جابر عند ابي
داود وقال صلى الله عليه وسلم بعرفة وقفت هاهنا وعرفة كلها موقف وهناك انزلت عليه
اليوم اكملت لكم دينكم الاية كما في الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه
وهناك سقط رجل من المسلمين عن راحلته وهو محرم فمات فامر صلى الله عليه وسلم
ان يكفن في ثوبيه ولا يمس بطيب وان يغسل بماء وسدر ولا يغطى راسه ولا وجهه واخبر
ان الله يبعثه يوم القيامة يلبي رواه البخاري ومسلم اي يبعث على هيئته التي مات
عليها واستدل بذلك على بقاء احرامه خلافا للمالكية والحنفية قال النووي تاول
هذا الحديث على ان النهي عن تغطية وجهه ليس لكون المحرم لا يجوز له تغطية وجهه
بل هو صيانة للراس فانهم لو غطوا وجهه لم يؤمن ان يغطوا راسه انتهى قال الحافظ
ابن حجر وكان وقوع المحرم المذكور عند الصخرات من عرفات والله اعلم ولما غربت الشمس
بحيث ذهبت الصفرة قليلا حين غاب القرص افاض صلى الله عليه وسلم من عرفة
واردف اسامة خلفه وقد شنق للقصوى الزمام حتى ان راسها ليصيب مورك رحله
ويقول بيده ايها الناس السكينة كلما اتى جبلا من الجبال ارخى لها قليلا حتى تصعد
وافاض من طريق المازمين وفي رواية ابن عباس انه عليه الصلاة والسلام سمع
وراءه زجرا شديدا وضربا للابل فاشار بسوطه وقال ايها الناس عليكم بالسكينة
فان البر ليس بالايضاع يعني الاسراع وفي رواية ابي داود افاض من عرفة وعليه
السكينة ورديفه اسامة فقال ايها الناس عليكم بالسكينة فان البر ليس بايجاف الخيل
والابل فما رايتها رافعة يديها عادية حتى اتى جمعا وفي رواية اسامة بن زيد عند
الشيخين كان يسير العنق فاذا وجد فجوة نص قال هشام والنص فوق العنق واخرج
الطبراني في المعجم عن سالم بن عبد الله عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
افاض من عرفات وهو يقول

اليك تعدو قلقا وضينها ۔ مخالفا دين النصارى دينها

قال في النهاية والحديث مشهور لابن عمر من قوله والقلق الانزعاج والوضين بالضاد
المعجمة حزام الرحل ولما كان في اثناء الطريق نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم
فبال وتوضا وضوءا خفيفا فقال له اسامة الصلاة يا رسول الله فقال الصلاة امامك
فركب حتى اتى المزدلفة وهي المسمى بجمع بفتح الجيم وسكون الميم وسميت لان ادم
اجتمع فيها مع حواء فازدلف اليها اي دنا منها وعن قتادة انما سميت جمعا لانه يجمع فيها
بين صلاتين وقيل الناس يجتمعون فيها ويزدلفون الى الله اي يتقربون اليه بالوقوف
فيها انتهى فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بها المغرب والعشاء كل واحدة منهما

باقامة ولا صلى بينهما ولا على اثر كل واحدة منهما وفي رواية فاقام المغرب ثم اناخ الناس ولم يحلوا حتى
اقام العشاء الآخرة فصلى ثم حلوا وترك عليه الصلاة والسلام قيام الليل تلك الليلة
ونام حتى اصبح لما تقدم له من الاعمال بعرفة من الوقوف من الزوال الى بعد المغرب
واجتهاده عليه الصلاة والسلام في الدعا وسيره بعد الغروب الى المزدلفة واقتصر
فيها على صلاة المغرب والعشا قصرا ورقد بقية ليلته مع كونه عليه الصلاة والسلام
كان يقوم الليل حتى تورمت قدماه ولكنه اراح نفسه الشريفة لما تقدم في عرفة ولما
هو بصدده يوم النحر من كونه نحر بيده المباركة ثلاثا وستين بدنة وذهب الى مكة
لطواف الافاضة ورجع الى منى كما نبه عليه في شرح تقريب الاسانيد وعن عباس بن مرداس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا لامته عشية عرفة بالمغفرة فاجيب اني قد غفرت لهم
ما خلا الظالم فاني آخذ للمظلوم منه قال اي رب ان شئت اعطيت المظلوم من الجنة
وغفرت للظالم فلم يجب عشيته فلما اصبح بالمزدلفة اعاد الدعا فاجيب الى ما سال
قال فضحك صلى الله عليه وسلم او قال تبسم فقال ابو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما
بابي انت وامي ان هذه لساعة ما كنت تضحك فيها فما الذي اضحكك اضحك الله سنك
قال ان عدو الله ابليس لما علم ان الله قد استجاب دعاي وغفر لامتي اخذ التراب
فجعل يحثوه على راسه ويدعو بالويل والثبور فاضحكني ما رايت من جزعه رواه ابن
ماجة ورواه ابو داود من الوجه الذي رواه ابن ماجة ولم يضعفه وقد جا في بعض
الروايات عن غير العباس ما يبين ان المراد من الامة من وقف بعرفة وقال الطبري
انه محمول بالنسبة الى المظالم على من تاب وعجز عن وفائها وقد رواه البيهقي بنحو رواية
ابن ماجة ثم قال وله شواهد كثيرة فان صح بشواهده ففيه الحجة وان لم يصح فقد قال الله
تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وظلم بعضهم بعضا دون الشرك وقال الترمذي في الحديث
الصحيح من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وهو مخصوص بالمعاصي
المتعلقة بحقوق الله تعالى خاصة دون العباد ولا يسقط الحقوق انفسها فمن كان عليه
صلاة او كفارة ونحوها من حقوق الله تعالى لا تسقط عنه لانها حقوق لا ذنوب انما
الذنب تاخيرها فنفس التاخير يسقط بالحج لا هي انفسها فلو اخرها بعد تجدد اثم آخر فالحج المبرور
يسقط اثم المخالفة لا الحقوق وقال ابن تيمية من اعتقد ان الحج يسقط ما وجب عليه
من الحقوق كالصلاة يستتاب والا قتل ولا تسقط حق الآدمي اجماعا والله اعلم انتهى
واستاذنت سودة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة جمع وكانت ثقيلة فاذن لها
فقالت عايشة فليتني كنت استاذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما استاذنته سودة
وفي رواية واستاذنته ان تدفع قبل حطمة الناس قالت عايشة فلان اكون استاذنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم كما استاذنته سودة احب الي من مفروح به رواه
البخاري وفي رواية ابي داود والنسائي ارسل صلى الله عليه وسلم لام سلمة ليلة النحر
فرمت الجمرة قبل الفجر ثم مضت فافاضت فكان ذلك اليوم الذي يكون رسول الله صلى الله
عليه وسلم يعني عندها وعند مسلم بعث ام حبيبة من جمع بليل وفي رواية البخاري

ومسلم

ومسلم والنسائي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال ارسلني صلى الله عليه وسلم
مع ضعفة اهله فصلينا الصبح بمنى ورمينا الجمرة وفي الموطا والصحيحين والنسائي عن
اسما انها نزلت ليلة جمع عند المزدلفة فقامت تصلي فصلت ساعة ثم قالت يا بني
هل غاب القمر قلت لا فصلت ساعة ثم قالت هل غاب القمر فقلت نعم قالت فارتحلوا ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد اذن للظعن بالعلم قال النسا في الهوادج وقد اختلف السلف
في ترك المبيت بالمزدلفة فقال علقمة والنخعي والشعبي من تركه فاته الحج وقال
عطا والزهري وقتادة والشافعي والكوفيون واسحق عليه دم ومن بات بها لم يجز له الدفع
قبل النصف وقال ما لك ان مر بها فلم ينزل فعليه دم وان نزل فلا دم عليه متى دفع انتهى
ولما طلع الفجر صلى النبي صلى الله عليه وسلم الفجر حين تبين الصبح باذان واقامة وفي
سنن البيهقي والنسائي باسناد صحيح على شرط مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال
للفضل بن العباس غداة يوم النحر التقط لي حصى فالتقطت له حصيات مثل حصى الخذف
وهو بالمحسر ولم يكبر ما كما يفعل من لا علم عنده وفي رواية النسائي قال عليه السلام
لابن عباس غداة النحر وهو عليه الصلاة والسلام على راحلته هات القط لي فلقط
حصيات من حصى الخذف فلما وضعهن في يده قال بامثال هولاء واياكم والغلو في الدين
فانما هلك من قبلكم بالغلو في الدين قال العلما وفي هذا الحديث دليل على استحباب اخذ
الحصيات بالنهار فهو راي البغوي قال ويكون ذلك بعد صلاة الصبح ونص عليه الشافعي
في الام والاملا لكن الجمهور كما قال الرافعي على استحباب الاخذ بالليل لفراغهم فيه وهل
يستحب ان يلتقط جميع ما يرمي في الحج وبه جزم في التنبيه واقره عليه النووي في تصحيحه
ولكن الاكثرون كما قال الرافعي على استحباب الاخذ ليوم النحر خاصة ونص عليه الشافعي
ايضا قال في شرح المهذب والاحتياط ان يزيد فربما سقط منها شي وركب صلى الله عليه
وسلم القصوى حتى اتى المشعر الحرام فرقي عليه واستقبل القبلة فحمد الله وكبره
وهلله ووحده فلم يزل واقفا حتى اسفر جدا فدفع قبل ان تطلع الشمس وفي رواية
عن جابر وكان المشركون لا ينفرون حتى تطلع الشمس وان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كره ذلك فنفر قبل طلوع الشمس وفي حديث عند الطبري لما اصبح رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالمزدلفة غدا فوقف على قزح واردف الفضل ثم قال هذا الموقف
وكل المزدلفة موقف حتى اذا اسفر دفع وفي رواية جابر واردف صلى الله عليه وسلم
الفضل بن العباس رضي الله تعالى عنهما وكان رجلا حسن الشعر ابيض وسيما فلما دفع
صلى الله عليه وسلم مرت ظعن يجرين فطفق الفضل ينظر اليهن فوضع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يده على وجه الفضل فحول الفضل وجهه الى الشق الآخر ينظر
فحول رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الشق الآخر وفي رواية كان الفضل
رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءته امراة من خثعم تستفتيه فجعل الفضل
ينظر اليها وتنظر اليه فجعل صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل الى الشق الآخر
قالت يا رسول الله ان فريضة الله على عباده في الحج ادركت ابي شيخا كبيرا لا يستطيع

ان يثبت على الراحلة أفأحج عنه قال نعم وذلك في حجة الوداع رواه الشيخان وغيرهما وردّ
ايضا من حديث عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما لكن رجح البخاري رواية الفضل لانه
كان رديف النبي صلى الله عليه وسلم حينئذ وكان عبد الله بن العباس تقدم الى منى مع
الضعفة فكان الفضل حدث اخاه بما شاهده في تلك الحالة ويحتمل ان يكون سوال الخثعمية
وقع بعد رمي جمرة العقبة فحضره عبد الله بن عباس فنقله تارة عن أخيه لكونه صاحب القصة
وتارة عما شاهده ويؤيده ما في الترمذي ان السوال المذكور وقع عند المنحر بعد الفراغ
من الرمي وان العباس كان شاهدا ولفظه انه عليه الصلاة والسلام لوى عنق الفضل
فقال العباس يا رسول الله لويت عنق ابن عمك قال رأيت شابا وشابة فلم آمن عليهما الشيطان
وظاهر هذا ان العباس كان حاضرا لذلك فلا مانع ان يكون ابنه عبد الله ايضا كان معه وفي
هذا الحديث دلالة على جواز النيابة في الحج عمن لا يستطيع من الاحياء خلافا لمالك في ذلك وقال
لا يحج عن احد مطلقا كابن عمر ونقل ابن المنذر وغيره الاجماع على انه لا يجوز ان يستنيب من يقدر
على الحج بنفسه في الحج الواجب واما النفل فيجوز عند ابي حنيفة خلافا للشافعي وعن احمد
روايتان انتهى وفي رواية ابن عباس ان اسامة قال كنت ردف النبي صلى الله عليه وسلم
من عرفة الى المزدلفة ثم أردف الفضل من المزدلفة الى منى فكلاهما قال لم يزل النبي صلى الله
عليه وسلم يلبي حتى رمى جمرة العقبة رواه الشيخان وغيرهما وفي رواية جابر فلما اتى عليه
السلام بطن محسر حرك ناقته واسرع السير قليلا قال الاسنوي سببه ان النصارى كانت
تقف فيه كما قاله الرافعي او العرب كما قاله في الوسيط فامرنا بمخالفتهم قال في المطلب يعني الخ
وهو انه مكان نزول العذاب على اصحاب الفيل القاصدين هدم البيت فاستحب فيه الاسراع
لما ثبت في الصحيح امره المار على ديار ثمود ونحوهم بذلك قال غيره ومنه كانت عادته صلى
الله عليه وسلم في المواضع التي نزل فيها بأس الله بأعدائه وسمي وادي محسر لان الفيل
حسر فيه اي اعيى وانقطع عن الذهاب انتهى ثم سلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
الطريق الوسطى التي تخرج الى الجمرة الكبرى حتى اتى الجمرة التي عند الشجرة فرماها
بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة رمى من بطن الوادي وجعل البيت عن يساره
ومنى عن يمينه واستقبل الجمرة وكان رميه صلى الله عليه وسلم يوم النحر ضحى
كما قاله جابر وفي رواية مسلم والترمذي ولابي داود والنسائي وفي رواية ام الحصين
عند ابي داود رأيت اسامة وبلالا احدهما آخذ بخطام ناقة رسول الله صلى الله عليه
وسلم والآخر رافع ثوبه يستره من الحر حتى رمى جمرة العقبة وفي رواية النسائي
ثم خطب فحمد الله واثنى عليه وذكر قولا كثيرا وعن ام جندب رأيته عليه الصلاة والسلام
يرمي الجمرة من بطن الوادي وهو راكب يكبر مع كل حصاة ورجل من خلفه يستره
فسألت عن الرجل فقالوا الفضل بن عباس وازدحم الناس فقال النبي صلى الله عليه
وسلم يا ايها الناس لا يقتل بعضكم بعضا واذا رميتم الجمرة فارموا بمثل حصى الخذف
وفي هذا دليل على جواز استظلال المحرم بالمحمل ونحوه وقد مر انه عليه الصلاة
والسلام ضربت له قبة من شعر بنمرة وفي رواية لجابر عند مسلم وابي داود قال

رأيته

رأيته صلى الله عليه وسلم يرمي على راحلته يوم النحر وهو يقول خذوا عني مناسككم لا ادري
لعلي لا احج بعد حجتي هذه وفي رواية قدامة عند الترمذي رأيته يرمي الجمار على ناقة له
صهباء ليس ضرب ولا طرد ولا اليك اليك انتهى ثم انصرف صلى الله عليه وسلم الى المنحر فنحر
ثلاثا وستين بدنة ثم اعطى عليا فنحر ما غبر واشركه في هديه ثم امر من كل بدنة ببضعة
فجعلت في قدر فطبخت فاكلا من لحمها وشربا من مرقها وفي رواية جابر عند مسلم نحر
عليه الصلاة والسلام عن نسائه ببقرة وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها نحر صلى الله
عليه وسلم عن آل محمد في حجة الوداع بقرة واحدة رواه ابو داود ثم اتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم منزله بمنى ثم قال للحلاق خذ واشار الى جانبه الايمن ثم الايسر
ثم جعل يعطيه الناس وفي رواية انه قال للحلاق ها واشار بيده الى الجانب الايمن
فقسم شعره بين من يليه ثم اشار الى الحلاق الى الجانب الايسر فحلق فاعطاه ام
سليم وفي اخرى فبدأ بالشق الايمن فوزعه الشعرة والشعرتين بين الناس ثم قال
بالايسر فصنع مثل ذلك ثم قال ها هنا ابو طلحة فدفعه اليه وفي اخرى رمى جمرة
العقبة ثم انصرف الى البدن فنحرها والحجام جالس وقال بيده عن رأسه فحلق الشق
الايمن فقسمه بين من يليه ثم قال احلق الشق الآخر فقال اين ابو طلحة فاعطاه
اياه رواه الشيخان وعند الامام احمد انه استدعى الحلاق فقال له وهو قائم على رأسه
بالموسى ونظر في وجهه وقال يا معمر امكنك رسول الله صلى الله عليه وسلم من شحمة اذنه
وفي يدك الموسى قال فقلت له اما والله يا رسول الله ان ذلك لمن نعم الله علي ومنّه قال اجل
وقال البخاري وزعموا ان الذي حلق للنبي صلى الله عليه وسلم معمر بن عبد الله بن نضلة
بن عوف انتهى وهو عند ابن خزيمة في صحيحه وعند الامام احمد وقلم صلى الله عليه وسلم
اظفاره وقسمها بين الناس وعنده ايضا من حديث محمد بن زيد ان اباه حدثه انه شهد
النبي صلى الله عليه وسلم عند المنحر ورجل من قريش وهو يقسم اضاحي فلم يصبه شيء
ولا صاحبه فحلق رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه في ثوبه فاعطاه فقسم منه على
رجال وقلم اظفاره فاعطاه صاحبه وكان يخضب بالحناء والكتم وعن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اللهم اغفر للمحلقين قالوا يا رسول الله وللمقصرين قال اللهم
اغفر للمحلقين قالوا يا رسول الله وللمقصرين قال اللهم اغفر للمحلقين قالوا يا رسول الله
وللمقصرين قال وللمقصرين رواه الشيخان وليس فيه تعيين هل قاله صلى الله عليه
وسلم في الحديبية او في حجة الوداع لانه شهدها ولم يشهد الحديبية ثم وقع تعيين
الحديبية من حديث جابر عند ابي قرة في السنن ومن طريقه الطبراني في الاوسط
ومن حديث المسور بن مخرمة عند ابن اسحق في المغازي وورد تعيين حجة الوداع
من حديث ابي مريم السلولي عند احمد وابن ابي شيبة ومن حديث ام الحصين عند
مسلم ومن حديث قارب بن الاسود الثقفي عند احمد وابن ابي شيبة ومن حديث
ام عمارة عند الحارث فالاحاديث التي فيها تعيين حجة الوداع اكثر عددا واصح اسنادا
ولهذا قال النووي عقب احاديث ابن عمر وابي هريرة وام الحصين هذه الاحاديث

تدل على ان هذه الواقعة كانت في حجة الوداع قال وهو الصحيح المشهور وقيل كان في
الحديبية ثم قال النووي ولا يبعد ان يكون وقع ذلك في الموضعين انتهى وكذا قال
ابن دقيق العيد انه الاقرب قال في فتح الباري بل هو المتعين لتظافر الروايات بذلك
في الموضعين الا ان السبب في الموضعين مختلف فالذي في الحديبية كان بسبب توقف
من توقف من الصحابة عن الاحلال لما دخل عليهم من الحزن لكونهم منعوا من الوصول
الى البيت مع اقتدارهم في انفسهم على ذلك فخالفهم النبي صلى الله عليه وسلم وصالح قريشا
على ان يرجع من العام المقبل فلما امرهم بالاحلال توقفوا فاشارت ام سلمة الى ان يحل هو
صلى الله عليه وسلم قبلهم ففعل فتبعوه فحلق بعضهم وقصر بعض فكان من بادر الى الحلق
اسرع الى امتثال الامر ممن اقتصر على التقصير ثم وقع التصريح بهذا السبب في حديث
ابن عباس فانه في اخره عند ابن ماجة وغيره انهم قالوا يا رسول الله ما بال المحلقين ظاهرت
بالترحم قال لانهم لم يشكوا واما السبب في تكرير الدعاء للمحلقين في حجة الوداع فقال ابن
الاثير في النهاية كان اكثر من حج معه صلى الله عليه وسلم لم يسق الهدي فلما امرهم
ان يفسخوا الحج الى العمرة ثم يتحللوا منها ويحلقوا رؤسهم شق عليهم ثم لما لم يكن لهم بد من الطاعة
كان التقصير في انفسهم اخف من الحلق ففعله اكثرهم فرجح صلى الله عليه وسلم فعل من حلق
لكونه ابين في امتثال الامر قال الحافظ ابن حجر وفيما قاله نظر وان تابعه عليه غير واحد
لان المتمتع يستحب في حقه ان يقصر في العمرة ويحلق في الحج اذا كان ما بين النسكين
متقاربا وقد كان ذلك في حقهم كذلك والاولى ما قاله الخطابي وغيره ان عادة العرب انها
كانت تحب توفير الشعور والتزين بها وكان الحلق فيهم قليلا وربما كانوا يرونه من الشهرة
ومن فعل الاعاجم فلذلك كرهوا الحلق واقتصروا على التقصير انتهى وفي رواية عبد الله
ابن عمرو بن العاص وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بمنى للناس
يسالونه فجاء رجل فقال يا رسول الله لم اشعر فحلقت قبل ان انحر قال اذبح ولا حرج ثم جاء رجل
آخر فقال يا رسول الله لم اشعر فنحرت قبل ان ارمي فقال ارم ولا حرج قال فما سئل عن شيء
قدم او اخر الا قال افعل ولا حرج ثم جاء رجل آخر رواه مسلم وفي رواية حلقت قبل ان ارمي
وفي رواية وقف صلى الله عليه وسلم على راحلته فطفق ناس يسالونه فيقول القائل
منهم يا رسول الله اني لم اكن اشعر ان الرمي قبل النحر فنحرت قبل ان ارمي فقال صلى الله
عليه وسلم فارم ولا حرج قال فما سمعته يسئل يومئذ عن شيء مما ينسى المرء ويجهل
من تقديم بعض الامور قبل بعض واشباهها الا قال صلى الله عليه وسلم افعلوا ذلك
ولا حرج وفي رواية انه عليه السلام بينا هو قائم يخطب يوم النحر فقام اليه رجل فقال
ما كنت احسب ان كذا وكذا قبل كذا وكذا وفي رواية حلقت قبل ان انحر ونحرت قبل ان ارمي
واشباه ذلك وفي رواية حلقت قبل ان اذبح وذبحت قبل ان ارمي المعروف ان الترتيب
اولى وذلك ان وظائف يوم النحر بالاتفاق اربعة اشياء رمي جمرة العقبة ثم نحر الهدي
او ذبحه ثم الحلق او التقصير ثم طواف الافاضة والسعي بعده وقد تقدم انه صلى الله عليه
وسلم رمى جمرة العقبة ثم نحر ثم حلق وقد اجمع العلماء على مطلوبية هذا الترتيب

واجمعوا ايضا على جواز تقديم بعضها على بعض الا انهم اختلفوا في وجوب الدم في بعض المواضع
فمذهب الشافعي وجمهور السلف والعلماء وفقهاء اصحاب الحديث الجواز وعدم وجوب الدم لقوله
عليه الصلاة والسلام للسائل لا حرج فهو ظاهر في رفع الاثم والفدية معا لان اسم الضيق
يشملهما وقال الطحاوي ظاهر الحديث يدل على التوسعة في تقديم بعض هذه الاشياء على
بعض الا انه يحتمل ان يكون قوله لا حرج اي لا اثم في ذلك الفعل وهو كذلك لمن كان ناسيا
او جاهلا واما من تعمد المخالفة فتجب عليه الفدية وتعقب بان وجوب الفدية يحتاج الى
دليل ولو كان واجبا لبينه صلى الله عليه وسلم حينئذ لانه وقت الحاجة فلا يجوز تاخيره
وتمسك الامام احمد بقوله في الحديث لم اشعر وبما في رواية يونس عند مسلم وصالح عند
احمد فما سمعته يومئذ يسئل عن امر مما ينسى المرء او يجهل من تقديم بعض الامور قبل
بعضها الا قال افعل ولا حرج بان الرخصة تختص بمن كان ناسيا او جاهلا فلا شيء عليه وان كان عالما فلا
قال ابن دقيق العيد ما قاله احمد قوي من جهة ان الدليل دل على وجوب اتباع الرسول
في الحج لقوله خذوا عني مناسككم وهذه الاحاديث المرخصة في تقديم ما وقع عنه التاخير
قد قرنت بقول السائل لم اشعر فيختص الحكم بهذه الحالة وتبقى حالة العمد على اصل وجوب
الاتباع في الحج وعن ابي بكرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر قال
ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا
منها اربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين
جمادى وشعبان وقال اي شهر هذا قلنا الله ورسوله اعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه
بغير اسمه فقال اليس ذا الحجة قلنا بلى قال اي بلد هذا قلنا الله ورسوله اعلم فسكت
حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه فقال اليس البلد الحرام قلنا بلى يا رسول الله قال
فاي يوم هذا قلنا الله ورسوله اعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال اليس
يوم النحر قلنا بلى قال فان دماءكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم
هذا في شهركم هذا وستلقون ربكم فيسالكم عن اعمالكم الا فلا ترجعوا بعدي كفارا ضلالا
يضرب بعضكم رقاب بعض الا هل بلغت قالوا نعم قال اللهم اشهد فليبلغ الشاهد الغائب
فرب مبلغ اوعى من سامع رواه الشيخان وفي رواية للبخاري فودع الناس ووقع في
طريق ضعيفة عند البيهقي من حديث ابن عمر سبب ذلك ولفظه اذا جاء نصر الله
والفتح على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وسط ايام التشريق وعرف انه الوداع
فامر براحلته القصوى فرحلت له فركب ووقف بالعقبة واجتمع اليه الناس فذكر الخطبة
وغيره دالة مشروعية الخطبة يوم النحر بمنى وبه اخذ الشافعي ومن تبعه وخالف ذلك
المالكية والحنفية قالوا خطب الحج ثلاث سابع ذي الحجة ويوم عرفة وثاني يوم النحر
بمنى ووافقهم الشافعي الا انه قال بدل ثاني النحر ثالثه لانه اول النفر وزاد خطبة رابعة
وهي يوم النحر قال وبالناس حاجة اليها ليعلموا اعمال ذلك اليوم من الرمي والذبح والحلق
والطواف وتعقبه الطحاوي بان الخطبة المذكورة ليست من متعلقات الحج لانه لم يذكر
فيها شيئا من امور الحج وانما ذكر فيها وصايا عامة ولم ينقل احد انه علمهم فيها شيئا من الذي يتعلق

يوم النحر فعلمنا انه لم تقصد لاجل الحج وقال ابن بطال انما فعل ذلك من اجل تبليغ ما ذكره لكثرة الجمع الذي اجتمع من اقاصي الدنيا فظن الذي رآه انه خطب قال واما ما ذكره الشافعي ان بالناس حاجة الى تعليمهم اسباب التحلل المذكور فليس بمتعين لان الامام يمكنه ان يعلمهم اياها يوم عرفة واجيب بانه صلى الله عليه وسلم نبه في الخطبة المذكورة على تعظيم يوم عرفة وعلى تعظيم ذي الحجة وعلى تعظيم البلد الحرام وقد جزم الصحابة المذكورون في تسميتها خطبة فلا يلتفت لتاويل غيرهم وما ذكره من امكان تعليم ما ذكر يوم عرفة يعكر عليه في كونه يرى مشروعية الخطبة ثاني يوم النحر وكان يمكن ان يعلموا ذلك يوم عرفة بل يمكن ان يعلموا يوم التروية جميع ما ياتي به من اعمال الحج لكن لما كان في كل يوم اعمال ليست في غيره شرع تجديد التعليم بحسب تجديد الاسباب واما قول الطحاوي انه لم يتعل انه علمهم شيئا من اسباب التحلل فلا ينفي وقوع ذلك او شيء منه في نفس الامر بل قد ثبت في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص انه شهد النبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم النحر وذكر فيه السوال عن تقدم بعض المناسك على بعض فكيف ساغ للطحاوي هذا النفي المطلق انتهى وقد روى ابو داود والنسائي عن عبد الرحمن بن معاذ التيمي قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بمنى ففتحت اسماعنا حتى كنا نسمع ما يقول ونحن في منازلنا فطفق يعلمهم مناسكهم حتى بلغ الجمار فوضع اصبعيه السبابتين ثم قال بحصى الخذف ثم امر المهاجرين فنزلوا في مقدم المسجد وامر الانصار ان ينزلوا من وراء المسجد قال ثم نزل الناس بعد وفي رواية عن عبد الرحمن بن معاذ عن رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خطب النبي صلى الله عليه وسلم الناس بمنى ونزلهم منازلهم فقال لينزل المهاجرون ههنا واشار الى ميمنة القبلة والانصار ههنا واشار الى ميسرة القبلة ثم لينزل الناس حولهم وعن ابي نجيح عن ابيه عن رجلين من بني بكر قالا رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب بين اوسط ايام التشريق ونحن عند راحلته وهي خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي خطب بمنى رواه ابو داود وعن رافع بن عمرو المزني قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس بمنى حين ارتفع الضحى على بغلة شهباء وعلي يعبر عنه والناس بين قاعد وقائم رواه ابو داود ايضا وعن ربيعة بن عبد الرحمن بن حصين قال حدثتني جدتي سراء بنت نبهان وكانت ربة بيت في الجاهلية قالت خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الرؤوس فقال اي يوم هذا قلنا الله ورسوله اعلم قال اليس اوسط ايام التشريق وفي رواية انه خطب اوسط ايام التشريق رواه ابو داود ايضا ثم ركب صلى الله عليه وسلم قبل الظهر فافاض الى البيت وطاف طواف الافاضة وهو طواف الزيارة والركن والصدر وفي البخاري ويذكر عن ابي حسان عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يزور البيت ايام منى واتى صلى الله عليه وسلم زمزم وبنو عبد المطلب يسقون فقال انزعوا بني عبد المطلب فلولا ان يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم فناولوه دلوا فشرب منه وفي رواية ابن عباس فشرب وهو قائم وفي رواية بخلف عكرمة ما كان يومئذ

الا على بعير لكن لم يبين فيه حجة الوداع ولا غيرها وانما التعيين في رواية جابر عند مسلم واختلف اين صلى صلى الله عليه وسلم الظهر يومئذ ففي رواية جابر عند مسلم انه عليه الصلاة والسلام صلى بمكة وكذلك قالت عايشة رضي الله تعالى عنها وفي حديث ابن عمر في الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم افاض يوم النحر ثم رجع فصلى الظهر بمنى فرجح ابن حزم في كتاب حجة الوداع له قول عايشة وجابر وتبعه على ذلك جماعة لانهما اثنان وهما اولى من الواحد ولان عايشة اخص الناس ولها من القرب والاختصاص ما ليس لغيرها ولان سياق جابر لحجه صلى الله عليه وسلم من اولها الى آخرها اتم سياق وقد حفظ القصة وضبطها جزئياتها حتى ضبط امرا منها لا يتعلق بالمناسك وهو نزوله عليه الصلاة والسلام في الطريق فبال عند الشعب وتوضا وضوءا خفيفا فمن ضبط هذا القدر فهو بضبط مكان صلاة الظهر يوم النحر اولى وايضا فان حجة الوداع كانت في آذار وهو تساوي الليل والنهار وقد دفع من مزدلفة قبل طلوع الشمس الى منى وخطب بها الناس ونحر بدنه وقسمها وطبخ من لحمها واكل منه ورمى الجمرة وحلق راسه وتطيب ثم افاض وطاف وشرب من ماء زمزم ووقف عليهم وهم يسقون وهذه اعمال يظهر منها انها لا تنقضي في مقدار يمكن معه الرجوع الى منى بحيث يدرك الظهر في فصل آذار ورجحت طايفة اخرى قول ابن عمر بانه لا يحفظ عنه في حجته صلى الله عليه وسلم انه صلى الفرض بجوف مكة بل انما كان يصلي بمنزله بالمسلمين مدة مقامه وبان حديث ابن عمر متفق عليه وحديث جابر من افراد مسلم فحديث ابن عمر اصح منه فان رواته احفظ واشهر وبان حديث عايشة قد اضطرب في وقت طوافه فروي عنها انه طاف نهارا وفي رواية عنها انه آخر الطواف الى الليل وفي رواية عنها انه افاض من آخر يومه فلم ينضبط فيه وقت الافاضة ولا مكان الصلاة وايضا فان حديث ابن عمر اصح منه بلا نزاع لان حديث عايشة من رواية محمد بن اسحق عن عبد الرحمن بن القاسم وابن اسحق مختلف في الاحتجاج به ولم يصرح بالسماع بل عنعنه فلا يقدم على حديث عبد الله بن عمر انتهى ثم رجع صلى الله عليه وسلم الى منى فمكث بها ليالي ايام التشريق يرمي الجمرة اذا زالت الشمس كل جمرة بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة ويقف عند الاولى والثانية فيطيل القيام ويتضرع ويرمي الثالثة فلا يقف عندها رواه ابو داود من حديث عايشة وعن ابن عمر عند الترمذي كان صلى الله عليه وسلم اذا رمى الجمار مشى اليها ذاهبا وراجعا وفي رواية ابي داود وكان يستقبل القبلة في الجمرة الدنيا والوسطى ويرمي جمرة العقبة من بطن الوادي الحديث واستاذن صلى الله عليه وسلم العباس بن عبد المطلب ان يبيت بمكة ليالي منى من اجل السقاية فاذن له رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عمر وفي رواية الاسماعيلي رخص للعباس ان يبيت بمكة ليالي منى من اجل سقايته وفيه دليل على وجوب المبيت بمنى وانه من مناسك الحج لان التعبير بالرخصة يقتضي ان يقابلها العزيمة وان الاذن وقع للعلة المذكورة واذا لم توجد او ما في معناها لم يحصل الاذن وبالوجوب قال الجمهور وفي قول للشافعي وهو رواية عن احمد وهو مذهب الحنفية انه سنة ووجوب الدم بتركه مبني على هذا الخلاف ولا يحصل المبيت الا بمعظم الليل وهل يختص الاذن بالسقاية وبالعباس الصحيح العموم والعلة في ذلك

اعداد الماء للشاربين وجزم الشافعي بالحاق من له مال يخاف ضياعه او امر يخاف فوته او مريض
يتعهده باهل السقاية كما جزم الجمهور بالحاق الرعاء خاصة وهو قول احمد قالوا ومن ترك المبيت
لغير عذر عليه دم عن كل ليلة ثم افاض صلى الله عليه وسلم بعد ظهر يوم الثلثا بعد ان اكمل رمي
ايام التشريق ولم يتعجل في يومين الى المحصب وهو الابطح وحده ما بين الجبلين الى المقبرة
وهو خيف بني كنانة فوجد ابا رافع قد ضرب قبته هناك وكان على ثقله قال ابو رافع لم يامرني
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان انزله الابطح حين خرج من منى ولكن جئت فضربت قبته
فجاء فنزل رواه مسلم وفيه وفي البخاري عن انس انه عليه الصلاة والسلام صلى الظهر والعصر
يوم النفر بالابطح وفيهما من حديث ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال من الغد يوم النحر
وهو بمنى نحن نازلون غدا بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر يعني بذلك المحصب وذلك
ان قريشا وكنانة تحالفت على بني هاشم وبني عبد المطلب ان لا يناكحوهم ولا يبايعوهم حتى يسلموا
اليهم النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس ليس التحصيب بشي انما هو منزل نزله رسول الله
صلى الله عليه وسلم اي ليس التحصيب من امر المناسك الذي يلزم فعله لكن لما نزل
صلى الله عليه وسلم به كان النزول به مستحبا اتباعا له لتقريره على ذلك وقد فعله الخلفاء بعده
كما في مسلم وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء ثم رقد
رقدة بالمحصب ثم ركب الى البيت فطاف به رواه البخاري وهذا طواف الوداع ومذهب
الشافعي انه واجب يلزم بتركه دم على الصحيح وهو قول اكثر العلماء وقال مالك وداود هو سنة
لا شي بتركه واختلف في المراة اذا حاضت بعد ما طافت طواف الافاضة هل عليها طواف
الوداع ام لا وكان ابن عباس يرخص لها ان تنفر اذا حاضت وكان ابن عمر يقول في اول امره
انها لا تنفر ثم قال في آخر امره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رخص لهن رواه الشيخان
وعن عائشة ان صفية بنت حيي حاضت فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال احابستنا هي قالوا انها قد افاضت قال فلا اذا ومعنى قوله احابستنا هي اي امانعتنا احابستنا هي
من التوجه من مكة في الوقت الذي اردنا التوجه فيه ظنا منه صلى الله عليه وسلم انها ما طافت
طواف الافاضة وانما قال ذلك لانه كان لا يتركها ويتوجه ولا يامرها بالتوجه معه وهي باقية
على احرامها فيحتاج الى ان يقيم حتى تطهر وتطوف وتحل الحل الثاني وفي رواية فحاضت صفية
فاراد النبي صلى الله عليه وسلم منها ما يريد الرجل من اهله فقلت يا رسول الله انها حائض قال
احابستنا هي الحديث وهذا مستشكل لانه صلى الله عليه وسلم ان كان علم انها طافت طواف الافاضة
فكيف يقول احابستنا هي وان كان ما علم فكيف يريد وقاعها قبل التحلل الثاني واجيب عنه
بانه صلى الله عليه وسلم ما اراد ذلك منها الا بعد ان استاذنه نساؤه في طواف الافاضة
فاذن لهن فكان بانيا على انها قد حلت فلما قيل له انها حائض جوز ان يكون وقع لها قبل ذلك حتى منعها
من طواف الافاضة فاستفهم عن ذلك فاعلمته عائشة انها طافت معهن فزال عنه ما خشيه
من ذلك انتهى وقالت عائشة يا رسول الله تنطلقون بحج وعمرة وانطلق بحج فامر عبد الرحمن
ابن ابي بكر ان يخرج معها الى التنعيم فاعتمرت بعد الحج رواه البخاري ومسلم وفي رواية لمسلم
انها وقفت المواقف كلها حتى اذا طهرت طافت بالكعبة والصفا والمروة ثم قال لها يعني رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد حللت من حجك وعمرتك جميعا فقالت يا رسول الله اني اجد في نفسي اني لم اطف

بالبيت

بالبيت حين حججت قال فاذهب بها يا عبد الرحمن فاعمرها من التنعيم وذلك ليلة الحصبة وزاد
في رواية وكان صلى الله عليه وسلم رجلا سهلا اذا هويت شيئا تابعها عليه وقد كانت عائشة
رضي الله تعالى عنها قارنة لانها كانت قد اهلت بالعمرة فحاضت فامرها فادخلت عليها الحج
فصارت قارنة واخبرها ان طوافها بالبيت وبين الصفا والمروة قد وقع عن حجها وعمرتها فوجدت
في نفسها اذ ترجع صواحباتها بحج وعمرة مستقلتين فانهن كن متمتعات ولم يحضن ولم يقرن
وترجع هي بعمرة في ضمن حجها فامر اخاها ان يعمرها من التنعيم تطييبا لقلبها ثم ارتحل صلى الله
عليه وسلم راجعا الى المدينة فخرج من كدا بضم الكاف مقصورا وهي عند باب شبيكة
بقرب شعب الشاميين من ناحية قعيقعان واختلف في المعنى الذي لاجله خالف صلى الله
عليه وسلم بين طريقيه فقيل ليتبرك به كل من في طريقيه وقيل الحكمة في ذلك المناسبة
لجهة العلو عند الدخول لما فيه من تعظيم المكان وعكسه الاشارة الى فراقه وقيل لان
ابراهيم عليه السلام لما دخل مكة دخل منها وقيل غير ذلك وفي صحيح مسلم وغيره
من حديث ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم لقي ركبا بالروحاء فقال من القوم فقالوا
المسلمون يا رسول الله فرفعت امراة صبيا لها من محفة فقالت يا رسول الله الهذا حج
قال نعم ولك اجر ولما وصل صلى الله عليه وسلم لذي الحليفة بات بها قال بعضهم ان نزوله
لم يكن قصدا وانما كان اتفاقا حكاه القاضي اسماعيل في احكامه عن محمد بن الحسن ره
وتعقبه والصحيح انه كان قصدا لئلا يدخل المدينة ليلا فلما راى المدينة كبر ثلاثا وقال
لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شي قدير آيبون تائبون عابدون
ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم دخلها اي
المدينة نهارا من طريق المعرس بفتح الراء المشددة والمهملتين وهو مكان معروف وكل
من المعرس والشجرة التي بات بها صلى الله عليه وسلم في ذهابه الى مكة على ستة اميال
من المدينة انتهى ملخصا من فتح الباري وغيره والله اعلم عدد حجه وعمره صلى الله عليه
والعمرة في اللغة الزيارة ومذهب الشافعي واحمد وغيرهما انها واجبة كالحج والمشهور عن المالكية
انها تطوع وهو قول الحنفية وقد اعتمر صلى الله عليه وسلم اربع عمر ففي الصحيحين وسنن الترمذي
وابي داود عن قتادة قال سالت انسا كم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حج حجة
واحدة واعتمر اربع عمر عمرة في ذي القعدة وعمرة الحديبية وعمرة مع حجته وعمرة الجعرانة
اذ قسم غنيمة حنين هذا اللفظ رواه الترمذي وقال حسن صحيح وفي رواية الصحيحين
اعتمر اربع عمر كلها في ذي القعدة الا التي مع حجته عمرة الحديبية او زمن الحديبية
في ذي القعدة وعمرة من العام المقبل في ذي القعدة وعمرة من الجعرانة حيث قسم
غنائم حنين في ذي القعدة وعمرة في حجته وعن محرش الكعبي انه صلى الله عليه وسلم
خرج من الجعرانة ليلا معتمرا فدخل مكة ليلا فقضى عمرته ثم خرج من ليلته فاصبح
بالجعرانة كبائت فلما زالت الشمس من الغد خرج في بطن سرف حتى جامع الطريق جمع
ببطن سرف فمن اجل ذلك خفيت عمرته على الناس رواه الترمذي وقال حديث غريب
وعن ابن عمر قال اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يحج رواه ابو داود وعن عروة

عدد حجه وعمره صلى الله عليه وسلم

ابن الزبير قال كنت انا وابن عمر مستندين الى حجرة عايشة وانا لنسمع ضربها بالسواك تستن قال فقلت يا ابا عبد الرحمن اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم في رجب قال نعم فقلت لعايشة اي امتاه الا تسمعين ما يقول ابو عبد الرحمن قالت وما يقول قلت يقول اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم في رجب فقالت يغفر الله لابي عبد الرحمن لعمري ما اعتمر في رجب وما اعتمر من عمرة الا وانه لمعه قالت وابن عمر ليسمع ما قال لا ولا نعم سكت وفي رواية ابي داود عن عروة عن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمر عمرتين في ذي القعدة وعمرة في شوال وفي رواية له عن مجاهد قال سئل ابن عمر كم اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمرتين فبلغ عايشة فقالت لقد علم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمر ثلاثا سوى التي قرنها بحجة الوداع وقد ذكرت الاختلاف فيما كان عليه السلام محرما به في حجة الوداع والجمع فيما اختلف فيه من ذلك والمشهور عن عايشة انه عليه الصلاة والسلام كان مفردا وحديثها هذا يشعر بانه كان قارنا لانه لم ينقل عنه انه عليه الصلاة والسلام اعتمر مع حجته ولم يكن متمتعا لانه عليه الصلاة والسلام اعتذر عن ذلك بكونه ساق الهدي واحتاج بعضهم الى تاويل ما وقع عن عايشة وابن عمر هنا فقال انما يجوز نسبة العمرة الرابعة اليه صلى الله عليه وسلم باعتبار انه امر الناس بها وعملت بحضرته لا انه صلى الله عليه وسلم اعتمرها بنفسه وانت اذا تاملت ما تقدم من تاويل الايمة في حجته صلى الله عليه وسلم من الجمع استغنيت عن هذا التاويل المتعسف قال بعض العلماء المحققين وفي عدهم عمرة الحديبية التي صد عنها صلى الله عليه وسلم ما يدل على انها عمرة تامة وفيه اشارة الى صحة قول الجمهور انه لا يجب القضا على من صد عن البيت خلافا للحنفية ولو كانت عمرة القضية بدلا عن عمرة الحديبية لكانتا واحدة وانما سميت عمرة القضية والقضا لان النبي صلى الله عليه وسلم قاضى قريشا فيها لا انها وقعت قضا عن العمرة التي صد عنها اذ لو كان كذلك لكانت عمرة واحدة واما حديث ابي داود عن عايشة انه اعتمر في شوال فان كان محفوظا فلعله يريد عمرة الجعرانة حين خرج في شوال ولكن انما احرم بها في القعدة وانكر ابن القيم ان يكون صلى الله عليه وسلم اعتمر في رمضان نعم قد اخرج الدارقطني من طريق العلا بن زهير عن عبد الرحمن بن الاسود بن يزيد عن ابيه عن عايشة رضي الله تعالى عنها قالت خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عمرة في رمضان فافطر وصمت وقصر واتممت وقال ان اسناده حسن لكن يمكن حمله على ان قولها في رمضان متعلق بقولها خرجت ويكون المراد سفر فتح مكة فانه كان في رمضان واعتمر عليه الصلاة والسلام في تلك السنة من الجعرانة لكن في ذي القعدة كما تقدم واما قول ابن القيم في الهدي انه لم يكن في عمره صلى الله عليه وسلم عمرة واحدة خارجا من مكة كما يفعله كثير من الناس اليوم وانما كانت عمره كلها داخلا الى مكة وقد اقام بمكة بعد الوحي ثلاث عشرة سنة لم ينقل احد انه اعتمر خارجا من مكة في تلك المدة اصلا فالعمرة التي فعلها وشرعها هي عمرة الداخل الى مكة لا عمرة من كان بها فيخرج الى الحل ليعتمر ولم يفعل هذا على عهده احد قط الا عايشة وحدها رضي الله تعالى عنها انتهى عليه بعد ان فعلته عايشة بامره

فقد دل

فقد دل على مشروعيته وروى الفاكهي وغيره من طريق محمد بن سيرين قال بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت لاهل مكة التنعيم ومن طريق عطا قال من اراد العمرة ممن هو من اهل مكة او غيرها فليخرج الى التنعيم او الى الجعرانة فيحرم منها فثبت بذلك ان ميقات العمرة الحل وان التنعيم وغيره في ذلك سوا

هل الدعا افضل ام تركه والاستسلام للقضا افضل فقال الجمهور الدعا افضل وهو من اعظم العبادة ويويده ما اخرجه الترمذي من حديث انس رفعه الدعا مخ العبادة وقد تواردت الاخبار عنه صلى الله عليه وسلم بالترغيب والحث عليه واخرج الترمذي وصححه ابن حبان والحاكم عنه صلى الله عليه وسلم من لم يسال الله يغضب عليه وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه اني لا احمل هم الاجابة ولكن هم الدعا فاذا الهمت الدعا علمت ان الاجابة معه وفي هذا يقول القايل ؏

لو لم ترد نيل ما ارجو واملة ... من جود كفك ما عودتني الطلبا

فالله سبحانه وتعالى يحب تذلل عبيده بين يديه وسوالهم اياه وطلبهم حوايجهم منه وشكواهم منه اليه وعياذهم به منه وفرارهم منه اليه وقال في المعنى

قالوا اتشكو اليه ... ما ليس يخفى عليه
فقلت ربي يرضى ... ذل العبيد لديه

وقالت طايفة الافضل ترك الدعا والاستسلام للقضا واجابوا عن قوله تعالى وقال ربكم ادعوني استجب لكم بان آخرها دل على ان المراد بالدعا هو العبادة وقال الشيخ تقي الدين السبكي الاولى حمل الدعا في الاية على ظاهره واما قوله تعالى بعد ذلك عن عبادتي فوجه الربط ان الدعا اخص من العبادة فمن استكبر عن العبادة استكبر عن الدعا وعلى هذا فالوعيد انما هو في حق من ترك الدعا استكبارا ومن فعل ذلك كفر واما من تركه لمقصد من المقاصد فلا يتوجه اليه الوعيد المذكور وان كنا نرى ان ملازمة الدعا والاستكثار منه ارجح من الترك لكثرة الادلة الواردة فيه وقال القشيري في الرسالة اختلف اي الامرين اولى الدعا او السكوت والرضى فقيل الدعا وهو الذي ينبغي ترجيحه لكثرة الادلة ولما فيه من اظهار الخضوع والافتقار اليه وقيل السكوت والرضى اولى لما في التسليم من الفضل انتهى وشبهتهم ان الداعي لا يعرف ما قدر له فدعاوه ان كان على وفق القدر فهو تحصيل الحاصل وان كان على خلافه فهو معاند واجيب بانه اذا اعتقد انه لا يقع الا ما قدره الله تعالى كان اذعانا لا معاندة وفايدة الدعا تحصيل الثواب بامتثال الامر ولاحتمال ان يكون المدعو به موقوفا على الدعا لان الله تعالى خلق الاسباب ومسبباتها انتهى وقد ارشد صلى الله عليه وسلم امته لكيفية الدعا فقال اذا صلى احدكم فليبدا بحمد الله والثنا عليه وليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بعد بما شا رواه الترمذي من حديث فضالة بن عبيد وقال عليه الصلاة والسلام في رجل يدعو وجب ان ختم بآمين رواه ابو داود وقال لا يقل احدكم اللهم اغفر لي ان شيت اللهم ارحمني ان شيت وليكن ليعزم على المسيلة فان الله لا يكره له رواه البخاري وغيره ومعنى الامر بالعزم الجد فيه وان يجزم بوقوع مطلوبه ولا يعلق ذلك بمشية الله تعالى وان كان مامورا في جميع

مما يريد فعله ان يعلقه بمشية الله تعالى وقيل معنى العزم ان يحسن الظن بالله في الاجابة
فانه يدعو كريما وقد قال ابن عيينة لا يمنعن احدكم الدعا ما يعلم من نفسه يعني من التقصير
فان الله تعالى قد اجاب دعا شر خلقه وهو ابليس حين قال انظرني الى يوم يبعثون وقال
عليه الصلاة والسلام يستجاب لاحدكم ما لم يعجل يقول دعوت فلم يستجب لي رواه الشيخان
وغيرهما وكان عليه الصلاة والسلام يستحب الجوامع من الدعا ويدع ما سوى ذلك رواه
ابو داود من حديث عايشة والجوامع التي تجمع الاغراض الصالحة والمقاصد الصحيحة
او تجمع الثنا على الله سبحانه وتعالى وآداب المسئلة وكان صلى الله عليه وسلم يقول في دعايه
اللهم اصلح لي ديني الذي هو عصمة امري واصلح لي دنياي التي فيها معاشي واصلح لي اخرتي
التي فيها معادي واجعل الحياة زيادة لي في كل خير واجعل الموت راحة لي من كل شر رواه
مسلم من حديث ابي هريرة وكان يقول اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني وزدني
علما الحمد لله على كل حال واعوذ بالله من حال اهل النار رواه الترمذي من حديث ابي هريرة
وكان يقول اللهم متعني بسمعي وبصري واجعلهما الوارث مني وانصرني على من ظلمني
وخذ منه بثاري رواه الترمذي من حديث ابي هريرة ايضا وكان اكثر دعايه ربنا اتنا
في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار رواه الشيخان من حديث انس وكان
يقول رب اعني ولا تعن علي وانصرني ولا تنصر علي وامكر لي ولا تمكر علي واهدني ويسر الهدى لي وانصرني
على من بغى علي رب اجعلني لك شاكرا ذاكرا لك راهبا مطواعا لك مخبتا اليك اواها منيبا
تقبل توبتي واغسل حوبتي واجب دعوتي وثبت حجتي وسدد لساني واهد قلبي
واسلل سخيمة صدري رواه الترمذي وكان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم لك اسلمت
وبك امنت وعليك توكلت واليك انبت وبك خاصمت اللهم اعوذ بعزتك لا اله الا انت
ان تضلني انت الحي الذي لا تموت والجن والانس يموتون رواه الشيخان عن ابن عباس
وكان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اني اسالك الهدى والتقى والعفاف والغنى رواه
مسلم والترمذي من حديث ابن مسعود وكان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اغفر لي
خطيئتي وجهلي واسرافي في امري وما انت اعلم به مني اللهم اغفر لي جدي وهزلي
وخطاي وعمدي وكل ذلك عندي اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت
وما انت اعلم به مني انت المقدم وانت المؤخر وانت على كل شي قدير رواه الشيخان
من حديث ابي موسى وكان اكثر دعايه يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك رواه الترمذي
من حديث ام سلمة وكان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم عافني في جسدي وعافني
في سمعي وفي بصري واجعلهما الوارث مني لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان الله رب العرش
العظيم الكريم الحمد لله رب العالمين رواه الترمذي وكان صلى الله عليه وسلم يقول
اللهم اغسل خطاياي بماء الثلج والبرد ونق قلبي من الخطايا كما نقيت الثوب الابيض من
الدنس رواه النسايي وكان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اني اسالك فعل الخيرات
وترك المنكرات وحب المساكين واذا اردت بقوم فتنة فاقبضني اليك غير مفتون
رواه في الموطا وكان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا

والشمس

والشمس والقمر حسبانا اقض عني الدين واغنني من الفقر وامتعني بسمعي وبصري وقوتي
وتوفني في سبيلك رواه في الموطا وكان صلى الله عليه وسلم يتعوذ فيقول اللهم اني اعوذ
بك من العجز والكسل والجبن والهرم والبخل واعوذ بك من عذاب القبر واعوذ بك من فتنة
المحيا والممات رواه الشيخان من حديث انس وفي رواية ابي داود اللهم اني اعوذ بك من الهم
والحزن وضلع الدين وغلبة الرجال وكان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اني اعوذ بك
من شر ما علمت ومن شر ما لم اعلم رواه مسلم من حديث عايشة وكان صلى الله عليه وسلم
يقول اللهم اني اعوذ بك من قلب لا يخشع ومن دعا لا يسمع ومن نفس لا تشبع ومن
علم لا ينفع اعوذ بك من هولا الاربع رواه الترمذي والنسايي من حديث ابن عمرو بن العاص
وكان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اني اعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجاة
نقمتك وجميع سخطك رواه مسلم وابو داود من حديث ابن عمرو بن العاص ايضا وكان صلى الله
عليه وسلم يقول اللهم اني اعوذ بك من الفقر والقلة والذلة واعوذ بك من ان اظلم
او اظلم رواه ابو داود من حديث ابي هريرة وكان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اني
اعوذ بك من الشقاق والنفاق وسوء الاخلاق رواه ابو داود من حديث ابي هريرة
ايضا وكان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اني اعوذ بك من الجوع فانه بيس الضجيع
واعوذ بك من الخيانة فانها بيست البطانة رواه ابو داود والنسايي من حديث ابي هريرة
ايضا وكان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اني اعوذ بك من غلبة الدين وغلبة العدو
وشماتة الاعدا رواه النسايي وكان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اني اعوذ بك من الهدم
واعوذ بك من التردي ومن الغرق والحرق والهرم واعوذ بك ان يتخبطني الشيطان
عند الموت واعوذ بك ان اموت في سبيلك مدبرا واعوذ بك ان اموت لديغا رواه ابو
داود والنسايي من حديث ابي اليسر وكان صلى الله عليه وسلم يتعوذ من عين الجان
فلما نزلت المعوذتان اخذ بهما وترك ما سوى ذلك رواه النسايي وكان صلى الله عليه وسلم
اذا خاف قوما قال اللهم انا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم رواه ابو داود
وكان يعوذ الحسن والحسين ويقول ان اباكما كان يعوذ بها اسماعيل واسحاق اعوذ بكلمات الله
التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة رواه البخاري والترمذي وقد استشكل
صدور هذه الادعية ونحوها منه صلى الله عليه وسلم مع قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تاخر ووجوب عصمته واجيب بانه امتثل كما امره الله به من تسبيحه
وسواله المغفرة من قوله تعالى اذا جا نصر الله والفتح ويحتمل ان يكون قاله على سبيل
التواضع والاستكانة والخضوع والشكر لربه تعالى لما علم انه قد غفر له ويحتمل ان يكون
سواله ذلك لامته او للتشريع والله اعلم وكان عليه الصلاة والسلام يقول عند
الكرب وهو ما يهجم الانسان مما ياخذ بنفسه ويحزنه ويغمه يدعو لا اله الا الله العظيم
الحليم لا اله الا الله رب السموات والارضين ورب العرش العظيم رواه البخاري وفي رواية
لا اله الا الله العظيم الحليم لا اله الا الله رب العرش العظيم لا اله الا الله رب السموات
والارضين ورب العرش الكريم قال الطيبي صدر هذا الثنا بذكر الرب ليناسب كشف الكرب

صلى الله عليه وسلم صح

لانه مقتضي التربية ومنه التهليل المشتمل على التوحيد وهذا اصل التنزيهات الجلالية والعظمة التي تدل على تمام القدرة والحلم الذي يدل على العلم اذ الجاهل لا يتصور منه حلم ولا كرم وهما اصل الاوصاف الاكرامية وكان عليه الصلاة والسلام اذا اهمه امر رفع راسه الى السماء وقال سبحان الله العظيم رواه الترمذي من حديث ابي هريرة وكان صلى الله عليه وسلم اذا كربه امر قال يا حي يا قيوم برحمتك استغيث رواه ابو داود من حديث انس وقال عليه الصلاة والسلام ما كربني امر الا تمثل لي جبريل فقال يا محمد قل توكلت على الحي الذي لا يموت ابدا والحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا رواه الطبراني عن ابي هريرة وتقدم في المقصد الثامن مزيد لذلك وكان صلى الله عليه وسلم يقول في الضالة اللهم راد الضالة وهادي الضلالة انت تهدي من الضلالة اردد علي ضالتي بعزتك وسلطانك فانها من عطايك وفضلك رواه الطبراني في الصغير من حديث ابن عمر وكان صلى الله عليه وسلم يدعو هكذا بباطن كفيه وظاهرهما رواه ابو داود عن انس وقال ابو موسى الاشعري كما عند البخاري دعا النبي صلى الله عليه وسلم ثم رفع يديه حتى رايت بياض ابطيه وعنه ايضا من حديث ابن عمر رفع صلى الله عليه وسلم يديه فقال اللهم اني ابرا اليك مما صنع خالد لكن في حديث انس لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يرفع يديه في شيء من دعائه الا في الاستسقا وهو حديث صحيح ويجمع بينه وبين ما تقدم بان الرفع في الاستسقا يخالف غيره اما بالمبالغة الى ان تصير اليدان في حذو الوجه مثلا وفي الدعا الى حذو المنكبين ولا يعكر على ذلك انه ثبت في كل منهما حتى يرى بياض ابطيه بل يجمع بان يكون روية البياض في الاستسقا ابلغ منها في غيره واما ان الكفين في الاستسقا يليان الارض وفي الدعا يليان السما قال الحافظ عبد العظيم المنذري وتعذر الجمع فجانب الاثبات ارجح وروى الامام احمد والحاكم وابو داود انه صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه اذا دعا حذو منكبيه وفي رواية ابن ماجة ويبسطهما وهذا يقتضي ان يكونا متفرقتين منبسوطتين لا كهيئة الاغتراف قال الحافظ بن حجر غالب الاحوال التي وردت في رفع اليدين في الدعا انما المراد بها مد اليدين وبسطهما عند الدعا وروى ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم اذا دعا ضم كفيه وجعل بطونهما مما يلي وجهه رواه الطبراني في الكبير بسند ضعيف وهل يمسح بهما وجهه اما في القنوت في الصلاة فلا يمسح لعدم وروده فيه قال البيهقي لا احفظ فيه عن احد من السلف شيا وان روي عن بعضهم في الدعا خارج الصلاة وقد روي فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم خبر ضعيف مستعمل عند بعضهم خارجها فاما فيها فعمل لم يثبت فيه خبر ولا اثر ولا قياس والاولى ان لا يفعله وقد دعا صلى الله عليه وسلم لانس فقال اللهم اكثر ماله وولده وبارك له فيما اعطيته رواه البخاري وفي الادب المفرد له عن انس قالت ام سليم وهي ام انس خويدمك الا تدعو له فقال اللهم اكثر ماله وولده واطل حياته واغفر له وذكر في العصيان انسا كان في الهجرة ابن ثمان سنين وكانت وفاته سنة احدى وتسعين فيما قيل وقيل سنة ثلاث وله ماية وثلاث سنين قال خليفة وهو المعتمد واكثر ما قيل في سنه انه بلغ ماية سنة وسبع سنين واقل ما قيل فيه

بلغ

بلغ تسعا وتسعين سنة واما كثرة ولده ففي مسلم قال انس فوالله ان مالي لكثير وان ولدي وولد ولدي ليتعادون على نحو المائة اليوم وزاد في حديث رواه الشيخان ان انسا قال اخبرتني ابنتي امينة اي بضم الهمزة وفتح الميم وسكون المثناة التحتية بعدها نون انه دفن من صلبي الى مقدم الحجاج البصرة ماية وعشرون وقال ابن قتيبة في المعارف كان بالبصرة ثلاث ما ماتوا حتى راى كل واحد من ولده ماية ذكر لصلبه ابو بكرة وخليفة بن بدر وانس وزاد غيره رابعا وهو المهلب بن ابي صفرة واخرج ابن سعد عن انس قال دعا لي النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اكثر ماله وولده واطل عمره واغفر له فقد دفنت من صلبي ماية واثنين وان ثمرتي لتحمل في السنة مرتين ولقد بقيت حتى سيمت الحياة وانا ارجو الرابعة واخرج الترمذي عن ابي العالية في ذكر انس وكان له بستان ياتي في كل سنة الفاكهة مرتين فكان فيه ريحان يفوح منه ريح المسك ورجاله ثقات ودعا عليه الصلاة والسلام لمالك بن ربيعة السلولي ان يبارك له في ولده فولد له ثمانون ذكرا رواه ابن عساكر وارسل عليه الصلاة والسلام الى علي يوم خيبر وكان ارمد فتفل في عينيه وقال اللهم اذهب عنه الحر والبرد قال فما وجدت حرا ولا بردا منذ ذلك اليوم ولا رمدت عيناي وبعث صلى الله عليه وسلم عليا الى اليمن قاضيا فقال يا رسول الله لا علم لي بالقضا فقال ادن مني فدنا منه فضرب بيده على صدره وقال اللهم اهد قلبه وثبت لسانه قال علي والله ما شككت في قضا بين اثنين رواه ابو داود وغيره وعاده صلى الله عليه وسلم من مرض فقال اللهم اشفه اللهم عافه ثم قال قم قال علي فما عاد لي ذلك الوجع بعد رواه الحاكم وصححه والبيهقي وابو نعيم ومرض ابو طالب فعاده النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن اخي ادع ربك الذي تعبده ان يعافيني فقال اللهم اشف عمي فقام ابو طالب كانما نشط من عقال قال يا ابن اخي ان ربك الذي تعبده ليطيعك قال وانت يا عماه لين اطعته ليطيعنك رواه ابن عدي والبيهقي وابو نعيم من حديث انس وتفرد به الهيثم وهو ضعيف ودعا عليه الصلاة والسلام لابن عباس اللهم فقهه في الدين اللهم اعط ابن عباس الحكمة وعلمه التاويل رواه البغوي وابن سعد وفي رواية البخاري اللهم علمه الكتاب فكان عالما بالكتاب حبر الامة بحر العلم رئيس المفسرين ترجمان القرآن وكونه في الدرجة العليا والمحل الاسنى لا يخفى وقال للنابغة الجعدي لما قال

ولا خير في علم اذا لم يكن له ... بوادر تحمي صفوه ان تكدرا
ولا خير في جهل اذا لم يكن له ... حليم اذا ما اورد الامر اصدرا

لا يفضض الله فاك اي لا يسقط الله اسنانك وتقديره لا يسقط الله اسنان فيك فحذف المضاف قال فاتى عليه اكثر من ماية سنة وكان من احسن الناس ثغرا رواه البيهقي وقال فيه فلقد رايته ولقد اتى عليه نيف وماية سنة وما ذهب له سن وفي رواية ابن ابي اسامة وكان من احسن الناس ثغرا واذا سقط له سن نبتت له اخرى وعند ابن السكن ورايت اسنان النابغة ابيض من البرد لدعوته صلى الله عليه وسلم واستسقاه عمرو بن اخطب ما في قدح فوارى فيه شعرة فاخذها فقال اللهم جمله فبلغ ثلاثا وتسعين سنة وما في لحيته وراسه شعرة بيضاء واخرج البيهقي عن انس ان يهوديا اخذ من لحية النبي

النبي صلى الله عليه وسلم فقال اللهم جمله فاسودت لحيته بعد ان كانت بيضاء وقال عبد الرزاق انبانا معمر عن قتادة قال حلب يهودي للنبي صلى الله عليه وسلم ناقة فقال اللهم جمله فاسود شعره حتى صار اشد سوادا من كذا وكذا قال معمر سمعت غير قتادة يذكر انه عاش تسعين سنة رواه ابو داود في المراسيل والبيهقي وقال مرسل شاهد لما قبله وقال عليه السلام لابن اخطب الخزاعي وقد سقاه عليه الصلاة والسلام اللهم متعه بشبابه فمرت له ثمانون سنة لم ير شعرة بيضاء رواه ابو نعيم وغيره وجاءته عليه الصلاة والسلام فاطمة رضي الله تعالى عنها وقد علاها الصفرة من الجوع فنظر اليها صلى الله عليه وسلم ووضع يده على صدرها ثم قال اللهم مشبع الجاعة لا تجع فاطمة بنت محمد قال عمران بن الحصين فنظرت اليها وقد علاها الدم على الصفرة في وجهها ولقيتها بعد فقالت ما جعت يا عمران ذكره يعقوب في امالي اسحق بن سليمان الاسفرايني في دلائل الاعجاز ودعا عليه الصلاة والسلام لعروة بن جعد البارقي اللهم بارك له في صفقة يمينه قال فما اشتريت قط شيئا الا ربحت فيه وقال لجرير وكان لا يثبت على الخيل فضرب في صدره اللهم ثبته واجعله هاديا مهديا قال فما وقعت عن فرس بعد وقال لسعد بن ابي وقاص اللهم اجب دعوته فكان مجاب الدعوة رواه البيهقي والطبراني في الاوسط ودعا لعبد الرحمن بن عوف بالبركة رواه الشيخان عن انس زاد البيهقي من وجه آخر قال عبد الرحمن فلو رفعت حجرا لرجوت ان اصيب تحته ذهبا او فضة الحديث قال القاضي عياض وقد فتح الله عليه ومات فحفر الذهب في تركته بالفؤوس حتى مجلت فيه الايدي واخذت كل زوجة ثمانين الفا وكن اربعا وقيل مائة الف وقيل صولحت احداهن لانه طلقها في مرض موته على نيف وثمانين الفا واوصى بخمسين الفا بعد صدقاته الفاشية في حياته وعوارفه العظيمة اعتق يوما ثلاثين عبدا وتصدق مرة بعيرها سبعمائة بعير وردت عليه تحمل كل شيء فتصدق بها وبما عليها وباقتابها واحلاسها وذكر الطبري فيما عزاه للصفوة عن الزهري انه تصدق بشطر ماله اربعة الاف ثم تصدق باربعين الف دينار ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله ثم حمل على الف وخمسمائة راحلة في سبيل الله وكان عامة ماله من التجارة ودعا على مضر فاقحطوا حتى اكلوا العلهز وهو الدم بالوبر حتى استعطفته قريش ولما تلى عليه الصلاة والسلام والنجم اذا هوى قال عتبة بن ابي لهب كفرت برب النجم فقال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فخرج عتبة مع اصحابه في عير الى الشام حتى اذا كانوا بالشام زار اسد فجعلت فرائصه ترعد فقيل له من اي شيء ترعد فوالله ما نحن وانت في هذا الا سوا فقال ان محمدا دعا علي ولا والله ما اظلت هذه السماء من ذي لهجة اصدق من محمد ثم وضعوا العشاء فلم يدخل يده فيه حتى جاء النوم فاحاطوا به واحاطوا انفسهم بمتاعهم ووسطوه بينهم فجاء الاسد يستنشق رؤوسهم رجلا رجلا حتى انتهى اليه فضغمه ضغمة وهو يقول الم اقل لكم ان محمدا اصدق الناس ومات ذكره يعقوب الاسفرايني وتقدم في ذكر اولاده عليه الصلاة والسلام قصته بنحو هذه وعن مازن الطائي وكان بارض عمان قلت يا رسول الله اني امرؤ مولع بالطرب وشرب الخمر والنساء والحت علينا السنون فاذهبن

استعطفته

الاموال

الاموال واهزلن الذراري والرجال وليس لي ولد فادع الله ان يذهب عني ما اجد ويأتيني بالحياء ويهب لي ولدا فقال صلى الله عليه وسلم اللهم ابدله بالطرب قراءة القرآن وبالحرام الحلال واته بالحياء وهب له ولدا قال مازن فاذهب الله عني كل ما كنت اجد واخصبت عمان وتزوجت اربع حرائر ووهب لي حيان بن مازن رواه البيهقي ولما نزل عليه الصلاة والسلام بتبوك صلى الى نخلة فمر رجل بينه وبينها فقال صلى الله عليه وسلم قطع صلاتنا قطع الله اثره فاقعد ولم يقم رواه ابو داود ولكن سنده ضعيف واكل عنده رجل بشماله فقال كل بيمينك فقال لا استطيع قال لا استطعت فما رفعها الى فيه قط والرجل بسر بضم الموحدة وسكون المهملة ابن عير بفتح المهملة وسكون المثناة التحتية وطلب معاوية فقيل له انه ياكل فقال في الثانية لا اشبع الله بطنه فما شبع بطنه ابدا رواه البيهقي من حديث ابن عباس وكان معاوية رديفه يوما فقال يا معاوية ما يليني منك قال بطني قال اللهم املاه علما وحلما رواه البخاري في تاريخه وقال لابن ثروان اللهم اطل شقاءه وبقاءه فادركه شيخا كبيرا شقيا يتمنى الموت وكم له صلى الله عليه وسلم من دعوات مستجابات وقد افرد القاضي عياض بابا في الشفاء ذكر فيه طرفا منها وكذا الامام يوسف ابن يعقوب الاسفرايني في كتابه دلائل الاعجاز وحكم اجابة الله تعالى الى مسؤوله واجتناء من شجرة دعائه ثمرة سؤله واما حديث ابي هريرة عند البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها واريد ان اختبئ دعوتي شفاعة لامتي في الاخرة فقد استشكل ظاهره بما ذكرته وبما وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم ولكثير من الانبياء صلى الله وسلم عليهم من الدعوات المجابة فان ظاهره ان لكل نبي دعوة مجابة فقط واجيب بان المراد بالاجابة في الدعوة المذكورة القطع بها وما عدا ذلك من دعواتهم فهم على رجاء الاجابة وقيل معنى قوله لكل نبي دعوة اي افضل دعواته ولهم دعوات اخرى وقيل لكل نبي منهم دعوة عامة مستجابة في امته اما باهلاكهم واما بنجاتهم واما الدعوات الخاصة فمنها ما يستجاب ومنها لا يستجاب وقيل لكل نبي منهم دعوة تخصه لدنياه او لنفسه كقول نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وقول زكريا فهب لي من لدنك وليا يرثني وقول سليمان رب هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي واما قول الكرماني في شرحه على البخاري فان قلت هل جاز ان لا يستجاب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم قلت لكل نبي دعوة مستجابة واجابة الباقي في مشيئة الله تعالى فقال العيني هذا السؤال لا يجيء فان فيه بشاعة وانا لا اشك ان جميع دعوات النبي صلى الله عليه وسلم مستجابة وقوله لكل نبي دعوة مستجابة لا ينفي ذلك لانه ليس بحصر وانما لم ينقل انه صلى الله عليه وسلم دعا بشيء فلم يستجب حكاه صاحب مزيد الفتح رحمه الله وفي هذا الحديث بيان فضيلة نبينا صلى الله عليه وسلم على سائر الانبياء حيث آثر امته على نفسه واهل بيته بدعوته المجابة ولم يجعلها دعاء عليهم بالهلاك كما وقع لغيره صلوات الله وسلامه عليهم وظاهر الحديث يقتضي انه عليه الصلاة والسلام اخر الدعاء والشفاعة ليوم القيمة فذلك اليوم يدعو ويشفع ويحتمل ان يكون المؤخر ليوم القيمة ثمرة تلك الدعوة ومنفعتها

وأما طلبها فحصل من النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالترقي في درجات التوحيد لقوله فاعلم أنه لا إله إلا الله فإنه لا يتصور أمر بتحصيل ذلك العلم لأنه عالم بذلك ولا بالثبات لأنه معصوم فتعين أن يكون للترقي في مراتبه ومقاماته إشارة إلى أن العلم به تعالى والسير إليه لا نهاية له أبدا فجميع العلوم الحقيقية والمعارف اليقينية في تمام منتظم في سلك تحقيقها ومستفاد من أثمان طوايا ما ولذا اكتفى بعلمها له صلى الله عليه وسلم في الآية فالشأن كله في تصحيح التوحيد وتجريده وتكميله وقد قال الله تعالى له عليه الصلاة والسلام واذكر اسم ربك واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة لأنه لا بد في أول السلوك من الذكر باللسان مدة ثم يزول الاسم ويبقى المسمى فالدرجة الأولى هي المرادة بقوله واذكر اسم ربك والمرتبة الثانية هي المرادة بقوله واذكر ربك وفي استيفاء مباحث ذلك طول يخرج عن الغرض وقد تقدم جملة من أذكاره عليه الصلاة والسلام مفرقة في الوضوء والصلاة والحج وغير ذلك وقد كان صلى الله عليه وسلم يستغفر الله ويتوب إليه في اليوم والليلة أكثر من سبعين مرة كما رواه عنه أبو هريرة عند البخاري وظاهره أنه يطلب المغفرة ويعزم على التوبة ويحتمل أن يكون المراد أنه صلى الله عليه وسلم يقول هذا اللفظ بعينه ويرجح الثاني ما أخرجه النسائي بسند جيد من طريق مجاهد عن ابن عمر أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه في المجلس قبل أن يقوم مائة مرة وله من رواية محمد بن سوقة عن نافع عن ابن عمر بلفظ إن كنا لنعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الغفور مائة مرة ويحتمل أن يريد بقوله في حديث أبي هريرة أكثر من سبعين مرة المبالغة ويحتمل أن يريد العدد بعينه ولفظ أكثر مبهم فيمكن أن يفسر بحديث ابن عمر المذكور وأنه يبلغ المائة وقد وقع من طريق أخرى عن أبي هريرة من رواية معمر عن الزهري بلفظ إني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة لكن خالف أصحاب الزهري في ذلك نعم أخرج النسائي أيضا من رواية محمد بن عمرو عن أبي سلمة بلفظ إني لأستغفر الله وأتوب إليه كل يوم مائة مرة وأخرج النسائي أيضا من حديث عطاء عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع الناس فقال يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة واستغفاره عليه السلام تشريع لأمته أو من ذنوبهم وقيل غير ذلك وتقدم ما ينتظم في سلك ذلك فإن قلت ما كيفية استغفاره عليه الصلاة والسلام فالجواب أنه ورد في حديث شداد بن أوس عند البخاري رفعه سيد الاستغفار أن يقول اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت قال من قالها من النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة ومن قالها من الليل موقنا بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة فتعين أن هذه الكيفية هي الأفضل وهو صلى الله عليه وسلم لا يترك الأفضل **وأما قراءته** عليه الصلاة والسلام ونغمتها فكانت مدا يمد ببسم الله ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم رواه البخاري عن أنس ونعتتها أم سلمة قراءة مفسرة حرفا حرفا رواه أبو داود والنسائي والترمذي وقالت أيضا

كان عليه الصلاة والسلام يقطع قراءته يقول الحمد لله رب العالمين ثم يقف ثم يقول الرحمن الرحيم ثم يقف رواه الترمذي وقالت حفصة كان يرتل السورة حتى تكون أطول من أطول منها رواه مسلم وقال البراء كان يقرأ في العشاء والتين والزيتون فما سمعت أحدا أحسن صوتا أو قراءة منه صلى الله عليه وسلم رواه الشيخان فقد كانت قراءته عليه الصلاة والسلام ترتيلا لا هذا ولا عجلة بل قراءة مفسرة حرفا حرفا وكان يقطع قراءته آية آية وكان يمد عند حروف المد وكان يتغنى بقراءته ويرجع صوته بها أحيانا كما رجع يوم الفتح في قراءة إنا فتحنا لك فتحا مبينا وحكى عبد الله بن مغفل ترجيعه آا آ ثلاث مرات ذكره البخاري وإذا جمعت هذا الحديث إلى قوله صلى الله عليه وسلم زينوا القرآن بأصواتكم وقوله ليس منا من لم يتغن بالقرآن وقوله ما أذن الله لشيء كأذنه لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن أي ما استمع الله لشيء كاستماعه لنبي يتغنى بالقرآن أن يتلوه يجهر به تعالى منه أذن يأذن أذنا بالتحريك علمت أن هذا الترجيع منه صلى الله عليه وسلم كان اختيارا لا اضطرارا لهز الناقة له فإن هذا لو كان لأجل هز الناقة لما كان داخلا تحت الاختيار فلم يكن عبد الله بن مغفل يحكيه ويفعله اختيارا ليتأسى به وهو يرى هنا من هز الراحلة حتى ينقطع صوته ثم يقول كان يرجع في قراءته فنسب الترجيع إلى فعله ولو كان من هز الناقة لم يكن منه فعل يسمى ترجيعا وقد استمع عليه الصلاة والسلام ليلة لقراءة أبي موسى الأشعري فلما أخبره بذلك قال لو كنت أعلم أنك تسمعه لحبرته لك تحبيرا أي حسنته وزينته بصوتي تزيينا وهذا الحديث رد على من قال إن قوله زينوا القرآن بأصواتكم من باب المقلوب أي زينوا أصواتكم بالقرآن فإن القلب لا وجه له قال ابن الأثير ويؤيد ذلك تأييدا لا شبهة فيه حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل شيء حلية وحلية القرآن حسن الصوت والله أعلم وقد اختلف العلماء في هذه المسألة اختلافا كثيرا يطول ذكره وفصل النزاع في ذلك أن يقال إن التطريب والتغني على وجهين أحدهما ما اقتضته الطبيعة وسمحت به من غير تكلف ولا تمرين وتعليم بل إذا خلي وطبعه واسترسلت طبيعته جاءت بذلك التطريب والتلحين فهذا جائز وإن أعان طبيعته على فضل تزيين وتحسين كما قال أبو موسى للنبي صلى الله عليه وسلم لو علمت أنك تسمع لحبرته لك تحبيرا والحزين ومن هاجه الطرب والحب والشوق لا يملك من نفسه دفع التحزين والتطريب في القراءة ولكن النفوس تقبله وتستحليه وتستحليه لموافقة الطبع وعدم التكلف والتصنع فهو مطبوع لا متطبع وكلف لا متكلف فهذا هو الذي كان السلف يفعلونه ويستمعونه وهو التغني المحمود وهو الذي يتأثر به التالي والسامع **والوجه** الثاني ما كان من ذلك صناعة من الصنائع ليس في الطباع السماحة به بل لا يحصل إلا بتكلف وتصنع وتمرن كما يتعلم أصوات الغناء بأنواع الألحان البسيطة والمركبات على إيقاعات مخصوصة وأوزان مخترعة لا تحصل إلا بالتعلم والتكلف فهذه هي التي كرهها السلف وعابوها وأنكروا القراءة بها وبهذا التفصيل يزول الاشتباه ويتبين الصواب من غيره وكل من له علم بأحوال السلف يعلم قطعا

را من القراءة بالالحان الموسيقي المتكلفة التي هي ايقاعات وحركات موزونة معدودة محدودة وانهم ابغي لله من ان يقراوا بها ويسوغوها ونعلم قطعا انهم كانوا يقرؤن بالتحزن والتطريب ويحسنون اصواتهم بالقرآن ويقرأونه بشجي تارة وتطريب اخري وهذا امر في الطباع ولم ينه عنه الشارع مع شدة تقاضي الطباع له بل ارشد اليه وندب اليه صلي الله عليه وسلم واخبر عن استماع الله لمن قرا به وقال ليس منا من لم يتغن بالقرآن وليس المراد الاستغنا به عن غيره كما ظنه بعضهم ولو كان كذلك لم يكن لذكر حسن الصوت والجهر به معني والمعروف في كلام العرب ان التغني انما هو الغنا الذي هو حسن الصوت بالترجيع قال الشاعر

تغن بالشعر اما كنت قايله ان الغنا لهذا الشعر مضمار

وروي ابن ابي شيبة عن عقبة بن عامر مرفوعا تعلموا القرآن وغنوه واكتبوه الحديث والله اعلم وقد صح انه صلي الله عليه وسلم سمع ابا موسي الاشعري يقرا فقال لقد اوتي هذا مزمارا من مزامير آل داود يعني مزامير داود نفسه كما ذكره اهل المعاني في طريق اخري كما تقدم ان ابا موسي قال يا رسول الله لو علمت انك تسمع لحبرته لك تحبيرا قال ابن المنير فهذا يدل علي انه كان يستطيع ان يتلو شيا من المزامير عند المبالغة في التحبير لانه قد تلي مثلها وما بلغ الحد فكيف لو بلغ حد استطاعته وقد كان داود عليه السلام اذا اراد ان يتكلم علي بني اسرائيل يجوع سبعة ايام لا ياكل ولا يشرب ولا ياتي النساء يامر سليمان فينادي في الضواحي والنواحي والاكام والاودية والجبال ان داود يجلس يوم كذا وكذا ثم تخرج له منبر الي الصحرا فيجلس عليه وسليمان قايم علي راسه فنا بين الانس والجن والطير والوحش والهوام والعذاري والمخدرات يستمعون الذكر فياخذ في الثنا علي الله سبحانه وتعالي بما هو اهله فيموت طايفة من المستمعين ثم ياخذ في النياحة علي المذنبين فتموت طايفة فاذا استحر الموت في الخلق قال له سليمان يا نبي الله قد استحر الموت بالناس وقد مزقت المستمعين كل ممزق فيخر داود مغشيا عليه فيحمل علي سريره الي بيته فينادي سليمان ايها الناس من كان له مع داود قريب او حميم فليخرج لا فتقاده فكانت المراة تاتي بالسرير فتنفث علي زوجها وابنها واخيها فتدخل به المدينة فاذا افاق داود في اليوم الثاني قال يا سليمان ما فعل عباد بني اسرائيل فيقول له سليمان قد مات فلان وفلان وهلم جرا فيضع يده داود علي راسه وينوح ويقول يا رب داود اغضبان انت علي داود حتي انه لم يمت في من مات خوفا منك او شوقا اليك فلا يزال ذلك دابه الي المجلس الآخر وقام داود عليه السلام علي ذلك ما شا الله تعالي ولا يخفي بما ذكرته من حال بني اسرائيل انهم في ذلك اعلا من هذه الامة فاما المزامير فحسبك مما ذكر من حال ابي موسي الاشعري رضي الله عنه واما الموت من الموعظة شوقا او خوفا قلنا فيه طريقان احدهما ان يقول ان القوة التي اوتيتها هذه الامة تقاوم الاحوال الواردة عليها فتماسك الحيوة ولا نعني القوة الجسمانية بل القوة الروحانية والتاييدات الالهية فلفرط قوة هذه الامة انشا الله تعالي تقارب عند سلفها الصالح

بدل الروحانية

ما بين

ما بين حال سماع الموعظة وحال عدم سماعها لتوالي احوال الذكر وانوار اليقين وقد قال بعضهم لو كشف الغطا ما ازددت يقينا فتماسك قوة السلف عند واردات الاحوال هو الذي يفرق بينهم وبين من قبلهم الا تري ان داود وسليمان عليهما السلام وهما اصحاب المزامير لم يتفق لهما الموت كما اتفق لمن مات وما ذاك من تقصيرهما في الخوف والشوق ولكن من القوة الربانية التي امدهما بها ولا خلاف بان داود عليه السلام وان لم يمت من الذكر افضل ممن مات من امته وانما نواحه علي كونه لم يمت فذلك من التواضع الذي يزيده شرفا لا من التقصير عن احاد امته بل لارتفاعه عنهم درجات وزلفي والي هذه القوة الالهية اشار ابو بكر الصديق رضي الله عنه وقد راي انسانا يبكي من الموعظة فقال هكذا كنا حتي قست القلوب عبر عن القوة بالقسوة تواضعا وهي رتبة محمد الله محفوظه ومنزلته مرفوعة والطريق الثاني ان نقول قد روينا الا كثير من هذه الامة مثل ما اتفق في مجلس داود عليه السلام من موت المستمعين للذكر في مجلس السماع قديما وحديثا ولابي اسحق الثعلبي جزء قتلي القران رويناه وعندي من ذلك جملة ارجو تدوينها بل قد روي عن كثير من المريدين انهم ماتوا بمجرد النظر للمشايخ كما يحكي ان مريدا لابي تراب النخشبي كان يتجلي له الحق تعالي في كل يوم مرات فقال له ابو تراب لو رايت ابا يزيد لرايت امرا عظيما فلما ارتحل المريد مع شيخه ابي تراب النخشبي لابي يزيد ووقع بصر المريد عليه وقع ميتا فقال له ابو تراب يا ابا يزيد نظرة منك قتلته وقد كان يدعي روية الحق فقال له ابو يزيد قد كان صاحبك صادقا وكان الحق يتجلي له علي قدر مقامه فلما راني تجلي له الحق سبحانه وتعالي علي قدري فلم يطق فمات واصطلاح اهل الطريق في التجلي معروف وحاصله رتبة من المعرفة جلية عليه ولم يكونوا يعنون بالتجلي روية البصر التي فصل فيها موسي عليه السلام علي خصوصيته لن تراني والتي فيها علي العموم لا تدركه الابصار واذا فهمت ان مرادهم الذي اثبتوه غير المعني الذي حصل منه الياس علي الناس في الدنيا ووعد الخواص به في الاخري فلا يضير بعد ذلك عليك ولا طريق لسوء الظن بالقوم البكا الله متولي السرايل انتهي ملخصا واذا علمت هذا فاعلم ان السماع في طريق القوم معروف وفي الجواذب الي المحبة معدود وموصوف وقد نقل اباحته ابو طالب في القوت عن جماعة من الصحابة كعبد الله بن جعفر وابن الزبير والمغيرة بن شعبة ومعاوية وكذا عن الجنيد والسري وذي النون واحتج له الغزالي في الاحيا بما يطول ذكره خصوصا في اوقات السرور المباحة تاكيدا له وتهييجا كعرس وقدوم غايب ووليمة وعقيقة وحفظ قران وختم درس او كتاب او تاليف وفي الصحيحين من حديث عايشة رضي الله تعالي عنها ان ابا بكر دخل عليها وعندها جاريتان في ايام مني يدففان ويضربان ورسول الله صلي الله عليه وسلم متغش بثوبه فانتهرهما ابو بكر فكشف عليه السلام عن وجهه وقال دعهما يا ابا بكر فانها ايام عيد وفي رواية دخل علي رسول الله صلي الله عليه وسلم وعندي جاريتان تغنيان بغنا بعاث وهو بضم الموحدة وبالعين المهملة اخره مثلثة اسم حصن للاوس وبالمعجمة تصحيف اي تنشدان الاشعار التي قيلت يوم بعاث وهو حرب كان بين الانصار فاضطجع علي الفراش وحول وجهه فدخل ابو بكر فانتهرني وقال مزمارة الشيطان عند رسول الله صلي الله عليه

وسلم فاقبل عليه صلى الله عليه وسلم وقال دعهما وتعقب بان في الحديث الآخر عند البخاري لكن
عائشة وليستا بمغنيتين فنفت عنهما من طريق المعنى ما اثبتته لهما باللفظ لان الغنا يطلق
على رفع الصوت وعلى الترنم وعلى الحدا ولا يسمى فاعله مغنيا وانما يسمى بذلك من ينشد
بتمطيط وتكسير وتهييج وتشويق لما فيه تعريض بالفواحش او تصريح قال القرطبي قولها
يعني عائشة ليستا بمغنيتين اي ليستا ممن يعرف الغنا كما يعرفه المغنيات المعروفات
بذلك قال وهذا منها تحرز عن الغناء المعتاد عند المشتهرين به وهو الذي يحرك الساكن
ويبعث الكامن وهذا اذا كان في شعر فيه وصف محاسن النسا او الخمر او غيرها من الامور
المحرمة لا يختلف في تحريمه قال واما ما ابتدعه الصوفية في ذلك فمن قبيل ما لا يختلف
في تحريمه لكن النفوس الشهوانية غلبت على كثير ممن ينسب الى الخير حتى لقد ظهرت
من كثير منهم فعلات المجان والصبيان حتى رقصوا بحركات متطابقة وتقطيعات متلاحقة
وانتهى التواقح بقوم منهم الى ان جعلوها من باب القرب وصالح الاعمال وان ذلك يثمر
سني الاحوال وهذا على التحقيق من اثار الزندقة انتهى والحق ان السماع اذا وقع بصوت
حسن لشعر متضمن للصفات العلية والنعوت النبوية المحمدية عريا عن الالات المحرمة
والحظوظ الخسيسة الغيبية والشبه الدنية واثار كامن المحبة الشريفة العلية وضبط
السامع نفسه ما امكنه بحيث لا يرفع صوته بالبكا ولا يظهر التواجد وهو يقدر على ضبط
نفسه ما امكنه مع العلم بما يجب لله ورسوله ويستحيل لئلا يترك ما يسمعه على ما لا يليق
كان من الحسن في غاية ولتمام تزكية النفس نهاية نعم تركه والاشتغال بما هو اعلى اسلم
لخوف الشبهة وللخروج من خلاف الائمة رأ وقد نقل عن الامام الشافعي ومالك وابي حنيفة
وجماعة من العلما الفاظ تدل على التحريم ولعل مرادهم لما كان فيه تهييج شيطاني واذا
كان النظر في السماع باعتبار تاثيره في القلوب لم يجز ان يحكم فيه مطلقا باباحة ولا تحريم
بل يختلف ذلك بالاشخاص واختلاف طرق النغمات فحكمه حكم ما في القلب وهو لمن يحن
بربه ترقيه مثير للكامن في النفوس من الازل حين خاطبنا الحق الست بربكم فما كان في القلب
من رقة ووجد وحقيقة فهو من حلاوة ذاك الخطاب والاعضا كلها ناطقة بذكر مستطيبة
لاسمه فالسماع من اكبر مصايد النفوس واذا اقترن بالحانه المناسبة وكان الشعر
متضمنا لذكر المحبوب الحق برز الكامن وذاعت الاسرار سيما في ارباب البدايات وقد شوهد
تدلي الطيور من الاغصان على اولي النغمات الفايقة والالحان الرايقة وهذا الجمل مع بلادة
طبعه يتاثر بالحدا تاثيرا يستخف معه الاحمال الثقيلة ويستقصر لقوة نشاطه في سماعه
المسافة الطويلة وينبعث فيه من النشاط ما يسكره ويولهه فتراه اذا طالت عليه البوادي
واعياه الاعيا تحت الحمل اذا سمع منادي الحدا يمد عنقه ويصغي الى الحادي ويسرع
في سيره وربما اتلف نفسه في شدة السير وثقل الحمل وهو لا يشعر بذلك لنشاطه
وقد حكى ما ذكره في الاحيا عن ابي بكر الدينوري ان عبدا اسود قتل جمالا كثيرة بطيب
نغمته اذ حدا بها وكانت محملة احمالا ثقيلة فقطعت مسيرة ثلاثة ايام في ليلة واحدة
وانه حدا على جمل غيرها بحضرته فهام الجمل وانقطع حباله وحصل له هو ما غيبه عن حسه

حتى

حتى خر لوجهه فتاثير السماع محسوس ومن لم يحركه فهو فاسد المزاج بعيد العلاج زايد في غلظ
الطبع وكثافته على الجمال واذا كانت هذه البهايم تتاثر بالنغمات فتاثير النفوس الانسانية اولى

نعم لولاك ما ذكر العقيق ۞ ولا جابت لها الفلوات نوق ۞ نعم اسعى اليك على جفوني ۞ وان بعد اللحا او بعد الطريق
اذا كانت تحن لك المطايا ۞ فماذا يفعل الصب المشوق

فريدة السماع تلطيف السر ومن ثم وضع العارف الكبير سيدي علي الوفوي حزبه على الالحان
والاوزان اللطيفة تنشيطا لقلوب المريدين وترويحا لاسرار السالكين فان النفوس كلما
لما حظ من الالحان فاذا اقبلت هذه الواردات السنية الفايضة من الموارد النبوية المحمدية
هذه النغمات الفايقة ذات الاوزان الرايقة تشربتها العروق واخذ كل عضو نصيبه من ذلك
المدد الوفوي المحمدي فاثمرت شجرة خطاب الازل باسقيته من موارد هذه اللطايف
عوارف المعارف تنبيه زعم بعضهم ان السماع ادعى للوجد من التلاوة واظهر تاثيرا
والحجة عن ذلك ان جلال القران لا تحمله القوى البشرية المحدثة ولا تحمله صفاتها
المخلوقة ولو كشف للقلوب ذرة من معناه لدهشت وتصدعت وتحيرت والالحان
مناسبة للطباع بالنسبة الحظوظ لا نسبة الحقوق والشعر نسبته نسبة الحظوظ
واذا علقت الالحان والاصوات بما في الابيات من الاشارات واللطايف شاكل بعضها
بعضا فكان اقرب الى الحظوظ واخف على القلوب لمشاكلة المخلوق قاله ابو نصر السراج

في اتمامه تعالى نعمته عليه بوفاته ونقلته الى حظيرة قدسه لديه صلى الله عليه وسلم

وزيارة قبره الشريف ومسجده المنيف وتفضيله في الاخرة
بفضايل الاوليات الجامعة لانواع التكريم وعلو الدرجات وتشريفه بخصايص الزلفى
في مشهد مشاهد الانبيا والمرسلين وتحميده بالشفاعة والمقام المحمود وانفراده بالسؤدد
في جميع مجامع الاولين والاخرين وترقيه في جنة عدن اعلى مدارج السعادة وتعاليه
في يوم المزيد اعلى معالي الحسنى وزيادة وفيه ثلاثة فصول

اعلم وفقني الله واياك بحبل تاييده واوصلنا بلطفه الى مقام توفيقه وتسديده ان هذا
الفصل مضمونه يسكب المدامع من الاجفان ويجلب الفجايع لاثارة الاحزان ويلهب
نيران الوحدة على اكباد ذوي الايمان ولما كان الموت مكروها بالطبع لما فيه من الشدة
والمشقة العظيمة لم يمت نبي من الانبيا حتى يخير واول ما اعلم النبي صلى الله عليه
وسلم من انقضاء عمره باقتراب اجله نزول سورة اذا جاء نصر الله والفتح فان المراد من هذه
السورة انك يا محمد اذا فتح الله عليك البلاد ودخل الناس في دينك الذي دعوتهم اليه
افواجا فقد اقترب اجلك فتهيأ للقائنا بالتحميد والاستغفار فانه قد حصل منك مقصود
ما امرت به من اداء الرسالة والتبليغ وما عندنا لك خير من الدنيا فاستعد للنقلة الينا
وقد قيل ان هذه السورة آخر سورة نزلت يوم النحر وهو صلى الله عليه وسلم بمنى في حجة
الوداع وقيل عاش بعدها احدى وثمانين يوما وعند ابن ابي حاتم من حديث ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما عاش بعدها تسع ليال وعن مقاتل سبعا وعن بعضهم ثلاثا ولابي يعلى من حديث
ابن عمر نزلت هذه السورة في اوسط ايام التشريق في حجة الوداع فعرف رسول الله

صلى الله عليه وسلم انه الوداع وفي حديث ابن عباس عند الدارمي لما نزلت اذا جاء نصر الله والفتح دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة قال نعيت الي نفسي فبكت قال لا تبكي فانك اول اهلي لحوقا بي فضحكت الحديث وروى الطبراني من حديث عكرمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال لما نزلت اذا جاء نصر الله والفتح نعيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه فاخذ باشد ما كان قط اجتهادا في امر الاخرة وللطبراني ايضا من حديث جابر لما نزلت هذه السورة قال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل نعيت الي نفسي فقال له جبريل وللاخرة خير لك من الاولى وروى في حديث ذكره ابن رجب في اللطائف انه نعيه غشي عليه كالشن البالي وكان عليه الصلاة والسلام يعرض القران كل عام على جبريل مرة فعرضه ذلك العام مرتين وكان يعتكف العشر الاواخر من رمضان كل عام فاعتكف ذلك العام عشرين واكثر من الذكر والاستغفار وقالت ام سلمة كان صلى الله عليه وسلم في آخر عمره لا يقوم ولا يقعد ولا يذهب ولا يجي الا قال سبحان الله وبحمده استغفر الله واتوب اليه فقلت له انك تدعو بدعاء لم تكن تدعو به قبل اليوم فقال ان ربي اخبرني اني سارى علما في امتي واني اذا رايته ان اسبح بحمده واستغفره ثم تلا هذه السورة واخرج ابن مردويه من طريق مسروق عن عايشة نحوه وروى الشيخان من حديث عقبة بن عامر قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتلى احد بعد ثمان سنين كالمودع للاحيا والاموات ثم طلع المنبر فقال اني بين ايديكم فرط وانا عليكم شهيد وان موعدكم الحوض واني لانظر اليه وانا في مقامي هذا واني قد اعطيت مفاتيح خزاين الارض واني لست اخشى عليكم ان تشركوا بعدي ولكني اخشى عليكم الدنيا ان تنافسوا فيها فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم وعن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس على المنبر فقال ان عبدا خيره الله بين ان يوتيه زهرة الدنيا ما شا وبين ما عنده فاختار ما عنده فبكى ابو بكر رضي الله عنه وقال يا رسول الله فديناك باباينا وامهاتنا قال فعجبنا وقال الناس انظروا الى هذا الشيخ يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد خيره الله بين ان يوتيه زهرة الدنيا ما شا وبين ما عنده وهو يقول فديناك باباينا وامهاتنا قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخير وكان ابو بكر اعلمنا به فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان امن الناس علي في صحبته وماله ابو بكر فلو كنت متخذا من اهل الارض خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام لا يبقى في المسجد خوخة الا سدت الا خوخة ابي بكر رضي الله عنه رواه البخاري ومسلم ولمسلم من حديث جندب سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قبل ان يموت بخمس ليال وكان ابو بكر رضي الله عنه فهم الرمز الذي اشار به النبي صلى الله عليه وسلم من قرينة ذكره ذلك في مرض موته فاستشعر منه انه اراد نفسه فلذلك بكى وما زال صلى الله عليه وسلم يعرض باقتراب اجله في آخر عمره فانه لما خطب في حجة الوداع قال للناس خذوا عني مناسككم فلعلي لا القاكم بعد عامي هذا وطفق يودع الناس فقالوا هذه حجة الوداع فلما رجع عليه السلام من حجه الى المدينة جمع الناس بماء يدعى خم في طريقه بين مكة والمدينة فخطبهم وقال ايها الناس انما انا بشر مثلكم يوشك

صح رواه الشيخان

ان ياتيني

ان ياتيني رسول ربي فاجيب ثم حض على التمسك بكتاب الله ووصى باهل بيته قال الحافظ ابن رجب وكان ابتدا مرضه عليه السلام في اواخر شهر صفر وكانت مدة مرضه ثلاثة عشر يوما في المشهور وكانت خطبته التي خطبها المذكورة في حديث ابي سعيد الذي قدمته في ابتدا مرضه الذي مات فيه فانه خرج كما رواه الدارمي وهو معصوب الراس بخرقة حتى اهوى الى المنبر فاستوى عليه فقال والذي نفسي بيده اني لانظر الى الحوض من مقامي هذا ثم قال ان عبدا عرضت عليه الدنيا الى آخره ثم هبط عنه فما رئي عليه حتى الساعة فلما عرض النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر باختياره اللقا على البقا ولم يصرح خفي المعنى على كثير ممن سمع ولم يفهم المقصود غير صاحبه المخصوص به ثاني اثنين اذ هما في الغار وكان اعلم الامة بمقاصد الرسول صلى الله عليه وسلم فلما فهم المقصود من هذه الاشارة بكى وقال نفديك باموالنا وانفسنا واولادنا فسكن الرسول جزعه واخذ في مدحه والثنا عليه على المنبر ليعلم الناس كلهم فضله فلا يقع عليه اختلاف في خلافته ان امن الناس علي في صحبته وماله ابو بكر رضي الله عنه ثم قال صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا من اهل الارض خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام لما كان صلى الله عليه وسلم لا يصلح له ان يخالل مخلوقا فان الخليل من جرت محبة خليله منه مجرى الروح ولا يصلح هذا للبشر كما قيل

قد تخللت مسلك الروح مني ... وبذا سمي الخليل خليلا

اثبت له اخوة الاسلام ثم قال صلى الله عليه وسلم لا يبقى في المسجد خوخة الا سدت الا خوخة ابي بكر اشارة الى ان ابا بكر هو الامام بعده فان الامام يحتاج الى سكنى المسجد والاستطراق فيه بخلاف غيره وذلك من مصالح المسلمين المصلين ثم اكد هذا المعنى بامره صريحا ان يصلي بالناس ابو بكر فروجع في ذلك وهو يقول مروا ابا بكر فليصل بالناس فولاه امامة الصلاة ولذا قال الصحابة عند بيعة ابي بكر رضي الله عنه رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا فلا نرضاه لدنيانا وكان ابتدا مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت ميمونة كما ثبت في رواية معمر عن الزهري وفي سيرة ابي معشر كان في بيت زينب بنت جحش وفي سيرة سليمان التيمي كان في بيت ريحانة والاول هو المعتمد وذكر الخطابي انه ابتدا به يوم الاثنين وقيل يوم السبت وقال الحاكم ابو احمد يوم الاربعا واختلف في مدة مرضه فالاكثر انها ثلاثة عشر يوما وقيل اربعة عشر يوما وقيل اثنا عشر وذكرها في الروضة وصدر بالثاني وقيل عشرة ايام وبه جزم سليمان التيمي في مغازيه واخرجه البيهقي باسناد صحيح وفي البخاري قالت عايشة رضي الله تعالى عنها لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد وجعه استاذن ازواجه ان يمرض في بيتي فاذن له فخرج بين رجلين تخط رجلاه في الارض بين العباس بن عبد المطلب وبين رجل آخر قال عبيد الله فاخبرت عبد الله بالذي قالت عايشة فقال لي عبد الله ابن عباس هل تدري من الرجل الآخر الذي لم تسم عايشة قال قلت لا قال ابن عباس هو علي ابن ابي طالب الحديث وفي رواية مسلم عن عايشة فخرج بين الفضل بن العباس ورجل آخر وفي اخرى رجلين احدهما اسامة وعند الدارقطني اسامة والفضل وعند ابن حبان

في اخرى بريرة ونوبة بضم النون وسكون الواو ثم موحدة قيل وهو اسم امة وقيل عبد
وعند ابن سعد من وجه آخر الفضل وثوبان وجمعوا بين هذه الروايات على تعدد نوبتها
بان خروجه تعدد فتعدد من اتكى عليه وعن عايشة رضي الله تعالى عنها انه صلى الله عليه
وسلم قال للنساء اني لا استطيع ان ادور في بيوتكن فان شئتن اذنتن لي رواه احمد
وفي رواية هشام بن عروة عن عايشة انه صلى الله عليه وسلم كان يقول اين انا غدا اين
انا غدا يريد يوم عايشة رضي الله تعالى عنها وذكر ابن سعد باسناد صحيح عن الزهري
ان فاطمة رضي الله تعالى عنها هي التي خاطبت امهات المؤمنين بذلك وقالت انه يشق
عليه الاختلاف وفي رواية ابن ابي مليكة عن عايشة ان دخوله عليه الصلاة والسلام
بيتها كان يوم الاثنين وموته يوم الاثنين وفي مرسل ابي جعفر عند ابن ابي شيبة
انه صلى الله عليه وسلم قال اين اكون غدا كررها فعرفن ازواجه انما يريد عايشة فقلن
يا رسول الله قد وهبنا ايامنا لاختنا عايشة وفي رواية هشام بن عروة عن ابيه عند
الاسماعيلي كان يقول اين انا حرصا على بيت عايشة فلما كان يومي اذن له نساؤه ان
يمرض في بيتي وعن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم من جنازة بالبقيع
وانا اجد صداعا في راسي وانا اقول وا راساه فقال بل انا وا راساه ثم قال ما ضرك لو مت
قبلي فغسلتك وكفنتك وصليت عليك ودفنتك فقالت لكاني بك والله لو فعلت ذلك لقد رجعت
الى بيتي فاعرست فيه ببعض نسائك فتبسم صلى الله عليه وسلم ثم بدئ في وجعه الذي مات
فيه رواه احمد والنسائي وفي البخاري قالت عايشة وا راساه فقال صلى الله عليه وسلم ذاك
لو كان وانا حي فاستغفر لك وادعو لك فقالت عايشة وا ثكلياه والله اني لاظنك تحب موتي
فلو كان ذلك لظللت آخر يومك معرسا ببعض ازواجك فقال صلى الله عليه وسلم بل انا وا راساه
لقد هممت او اردت ان ارسل الى ابي بكر وابنه فاعهد ان يقول القائلون او يتمنى المتمنون
ثم قلت يابى الله ويدفع المومنون او يدفع الله ويابى المومنون وقوله بل انا وا راساه
اضراب يعني دعي ذكر ما تجدينه من وجع راسك واشتغلي بي فان قلت قد اتفقوا على كراهة
شكوى العبد ربه وروى احمد في الزهد عن طاوس انه قال انين المريض شكوى وجزم
ابو الطيب وابن الصباغ وجماعة من الشافعية ان انين المريض مكروه قلت تعقبه النووي
فقال هذا ضعيف او باطل فان المكروه ما ثبت فيه نهي مقصود وهذا لم يثبت فيه ذلك
ثم احتج بحديث عايشة رضي الله تعالى عنها هذا ثم قال فلعلهم ارادوا بالكراهة خلاف
الاولى فانه لا شك ان اشتغاله بالذكر اولى انتهى قال في فتح الباري ولعلهم اخذوه
بالمعنى من كون كثرة الشكوى تدل على ضعف اليقين وتشعر بالتسخط للقضا وتورث شماتة
الاعداء واما اخبار المريض صديقه او طبيبه عن حاله فلا باس به اتفاقا فليس ذكر الوجع
شكاية فكم من ساكت وهو ساخط وكم من شاك وهو راض فالمعول عليه في ذلك على عمل القلب
لا على نطق اللسان وقد تبين كما نبه عليه في اللطايف ان اول مرضه عليه الصلاة والسلام كان صداع
الراس والظاهر انه كان مع حمى فان الحمى اشتدت به في مرضه فكان يجلس في مخضب وتصب
عليه الماء من سبع قرب لم تحلل اوكيتهن يتبرد بذلك وفي البخاري قالت عايشة لما دخل بيتي

واشتد

واشتد وجعه قال اهريقوا علي من سبع قرب لم تحلل اوكيتهن لعلي اعهد الى الناس فاجلسناه
في مخضب لحفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ثم طفقنا نصب عليه من تلك القرب حتى
طفق يشير الينا ان قد فعلتن الحديث وقد قيل الحكمة في هذا العدد ان له خاصية في دفع
ضرر السم والسحر وسياتي ان شاء الله تعالى انه عليه الصلاة والسلام قال هذا اوان
انقطاع ابهري من ذلك السم وتمسك بعض من انكر نجاسة سور الكلب به وزعم ان الامر
بالغسل منه سبعا انما هو لدفع السمية التي في ريقه وكانت عليه صلوات الله وسلامه
عليه قطيفة فكانت الحمى تصيب من يضع يده عليه من فوقها فقيل له في ذلك فقال
انا كذلك يشدد علينا البلاء ويضاعف لنا الاجر رواه ابن ماجة وابن ابي الدنيا والحاكم
وقال صحيح الاسناد كلهم من رواية ابي سعيد الخدري فقالت عايشة رضي الله تعالى عنها
ما رايت احدا كان اشد عليه الوجع من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبد الله قال
دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوعك فقلت يا رسول الله انك توعك وعكا شديدا
قال اجل اني اوعك كما يوعك رجلان منكم قلت ذلك ان لك اجرين قال اجل ذلك كذلك
ما من مسلم يصيبه اذى شوكة فما فوقها الا كفر الله به سيئاته كما تحط الشجرة ورقها
رواه البخاري والوعك بفتح الواو وسكون العين المهملة وقد تفتح الحمى وقيل الم الحمى
وقيل ارعادها الموعوك وتحريكها اياه وعن الاصمعي الوعك الحر فان كان محفوظا فلعل الحمى
سميت وعكا لحرارتها قال ابو هريرة ما من وجع يصيبني احب الي من الحمى انها تدخل في
كل مفصل من ابن آدم وان الله يعطي كل مفصل قسطا من الاجر واخرج النسائي
وصححه الحاكم من حديث فاطمة بنت اليمان اخت حذيفة قالت اتيت النبي صلى الله عليه
وسلم في نساء نعوده فاذا سقاء يقطر عليه من شدة الحمى فقال ان من اشد الناس
بلاء الانبياء ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وفي حديث عايشة انه صلى الله عليه وسلم كان
بين يديه علبة او ركوة فيها ماء فجعل يدخل يديه في الماء ويمسح بهما وجهه يقول
لا اله الا الله ان للموت سكرات الحديث رواه البخاري وروي ايضا عن عروة انه صلى الله
عليه وسلم قال ما ازال اجد الم الطعام الذي اكلت بخيبر فهذا اوان وجدت انقطاع
ابهري من ذلك السم وفي رواية ما زالت الاكلة خيبر تعاودني والاكلة بالضم اللقمة
التي اكل من الشاة وبعض الرواة بفتح الالف وهو خطا لانه عليه الصلاة والسلام
لم ياكل منها الا لقمة واحدة قاله ابن الاثير ومعنى الحديث انه نقض عليه سم الشاة
التي اهدتها له اليهودية فكان ذلك يثور عليه احيانا والابهر عرق مستبطن بالصلب
يتصل بالقلب اذا انقطع مات صاحبه وقد كان ابن مسعود وغيره يرون انه صلى الله
عليه وسلم مات شهيدا من السم وعند البخاري ايضا قالت ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان اذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوذات ومسح بيده فلما اشتكى وجعه
الذي مات فيه طفقت انفث عليه بالمعوذات التي كان ينفث وامسح بيد النبي صلى الله
عليه وسلم وفي رواية مالك وامسح بيده رجاء بركتها ولمسلم فلما مرض مرضه الذي مات فيه
جعلت انفث عليه وامسح بيد نفسه لانها كانت اعظم بركة من يدي وطفقت على السو

الثلاث المعوذات تغليبا وفي البخاري عن عايشة رضي الله تعالى عنها دخل عبد الرحمن
ابن ابي بكر على النبي صلى الله عليه وسلم وانا مسندته الى صدري ومع عبد الرحمن سواك
رطب يستن به فابده رسول الله صلى الله عليه وسلم بصره فاخذت السواك فقضمته
ونفضته وطيبته ثم دفعته الى النبي صلى الله عليه وسلم فاستن به فما رايته استن استنانا قط
احسن منه فحيث قوله فابده بتشديد الدال المهملة اي مد نظره اليه وقولها
فقضمته بكسر الضاد المعجمة اي لطوله ولازالة المكان الذي تسوك به عبد الرحمن ثم طيبته
اي لينته بالما وفي رواية له ايضا قالت ان من نعم الله تعالى علي ان الله جمع بين ريقي وريقه
عند موته دخل علي عبد الرحمن وبيده سواك وانا مسندة رسول الله صلى الله عليه وسلم فرايته
ينظر اليه وعرفت انه يحب السواك فقلت آخذه لك فاشار براسه اشر بنعم وفي رواية من
عبد الرحمن وفي يده جريدة رطبة فنظر اليه صلى الله عليه وسلم فظننت ان له بها حاجة فاخذتها
فنفضت راسها ونفضتها ودفعتها اليه فاستن بها كاحسن ما كان مستنا ثم ناولنيها فسقطت يده
او سقطت من يده فجمع الله بين ريقي وريقه في آخر يوم من ايام الدنيا واول يوم من ايام الآخرة
وفي حديث خرجه العقيلي انه صلى الله عليه وسلم قال لها في مرضه ايتيني بسواك رطب فامضغيه
ثم ايتيني به امضغه لكي يختلط ريقي بريقك لكي يهون علي عند الموت قال الحسن لما كرهت الانبيا
الموت هون الله عليهم ذلك بلقا الله وبكل ما احبوا من تحفة او كرامة حتى ان نفس احدهم لتنزع من
بين جنبيه وهو يحب لذلك لما قد مثل له وفي المسند عن عايشة ايضا رضي الله تعالى عنها ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال انه ليهون علي لاني رايت بياض كف عايشة في الجنة وخرجه ابن سعد
وغيره مرسلا انه صلى الله عليه وسلم قال لقد رايتها في الجنة حتى ليهون علي بذلك موتي
كاني ارى كفيها يعني عايشة وقد كان عليه الصلاة والسلام يحب عايشة حبا شديدا
حتى لا يكاد يصبر عنها فمثلت له بين يديه في الجنة ليهون عليه موته فان العلبين انما يطيب
باجتماع الاحبة وقد ساله صلى الله عليه وسلم رجل فقال اي الناس احب اليك فقال عايشة
فقال من الرجال فقال ابوها ولهذا قال لها في ابتدا مرضه لما قالت واراساه وددت ان ذلك
كان وانا حي فاصلي عليك وادفنك فعظم ذلك عليها وظنت انه يحب فراقها وانما كان عليه الصلاة
والسلام يريد تعجيلها بين يديه ليقرب اجتماعهما ويروى انه كان عنده صلى الله عليه وسلم
في مرضه سبعة دنانير فكان يامرهم بالصدقة بها ثم يغمى عليه فيشتغلون بوجعه فدعا
بها فوضعها في كفه وقال ما ظن محمد بربه لو لقي الله وعنده هذه ثم تصدق بها كلها رواه
البيهقي اذا كان هذا سيد المرسلين وحبيب رب العالمين المغفور له ما تقدم من ذنبه
وما تاخر فكيف بحال من لقي الله وعنده دما المسلمين واموالهم المحرمة فما ظنه بربه تعالى
وفي البخاري من طريق عروة عن عايشة رضي الله تعالى عنها قالت دعا النبي صلى الله عليه
وسلم فاطمة رضي الله تعالى عنها في شكواه الذي قبض فيه فسارها بشي فبكت ثم دعاها
فسارها فضحكت فسالنا عن ذلك فقالت سارني النبي صلى الله عليه وسلم انه يقبض في وجعه
الذي توفي فيه فبكيت ثم سارني فاخبرني اني اول اهله يتبعه فضحكت وفي رواية مسروق
عن عايشة اقبلت فاطمة تمشي كان مشيتها مشية النبي صلى الله عليه وسلم فقال مرحبا

بابنتي

اي كراهة طبيعية فانهم بشر والا فهم راضون بقضا الله تعالى

بابنتي ثم اجلسها عن يمينه او عن شماله ثم سارها ولابي داود والترمذي والنسائي وابن حبان
والحاكم من طريق عايشة بنت طلحة عن عايشة قالت ما رايت احدا اشبه سمتا وهديا
ودلا برسول الله صلى الله عليه وسلم في قيامها وقعودها من فاطمة وكانت اذا دخلت
على النبي صلى الله عليه وسلم قام اليها وقبلها واجلسها في مجلسه وكان اذا دخل عليها
فعلت ذلك فلما مرض دخلت عليه فاكبت عليه فقبلته واتفقت الروايات على ان الذي
سارها به اولا فبكت هو اعلامه اياها بانه ميت من مرضه ذلك واختلفا فيما سارها
به فضحكت ففي رواية عروة انه اخباره اياها بانها اول اهله لحوقا به وفي رواية
مسروق انه اخباره اياها انها سيدة نسا اهل الجنة وجعل كونها اول اهله لحوقا به
مضموما الى الاول وهو الراجح فان حديث مسروق يشتمل على زيادات ليست في حديث
عروة وهو من الثقات الضابطين فما زال مسروق قول عايشة فقلت ما رايت كاليوم
فرحا اقرب من حزن فسالتها عن ذلك فقالت ما كنت لافشي سر رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى توفي النبي صلى الله عليه وسلم فسالتها فقالت اسر الي ان جبريل
كان يعارضني القران كل سنة مرة وانه عارضني العام مرتين ولا اراه الا قد حضر
اجلي وانك اول اهل بيتي لحوقا بي وفي رواية عايشة بنت طلحة من الزيادة ان عايشة
لما رات بكاها وضحكها قالت ان كنت لاظن ان هذه المراة من افضل النساء فاذا هي من النسا
ويحتمل تعدد القصة وفي رواية عروة الجزم انه ميت من وجعه ذلك بخلاف رواية
مسروق ففيها انه ظن ذلك بطريق الاستنباط مما ذكره من معارضة القران وقد يقال
لا منافاة بين الخبرين الا بالزيادة ولا يمتنع ان يكون اخباره بكونها اول اهله لحوقا به
سببا لبكائها وضحكها معا باعتبارين فذكر كل من الروايتين ما لم يذكره الآخر وقد روى
النسائي من طريق ابي سلمة عن عايشة في سبب البكاء انه ميت وفي سبب الضحك
الامرين الآخرين ولابن سعد من رواية ابي سلمة عنها ان سبب البكاء موته وسبب
الضحك لحاقها به وعند الطبراني من وجه آخر عن عايشة رضي الله تعالى عنها انه قال
لفاطمة ان جبريل اخبرني انه ليس امراة من نسا المؤمنين اعظم رزية منك فلا تكوني
ادنى امراة منهن صبرا وفي الحديث اخباره صلى الله عليه وسلم بما سيقع فوقع كما قال
صلى الله عليه وسلم فانهم اتفقوا على ان فاطمة رضي الله تعالى عنها كانت من اول من مات
من اهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم بعده حتى من ازواجه عليه السلام وقد كان
صلى الله عليه وسلم من شدة وجعه يغمى عليه في مرضه ثم يفيق واغمي عليه مرة
فظنوا ان وجعه ذات الجنب فلدوه فجعل يشير اليهم الا يلدوه فقالوا كراهية المريض
للدوا فلما افاق قال الم انهكم ان تلدوني فقالوا كراهية المريض للدوا فقال لا يبقى احد في البيت
الا لد وانا انظر الا العباس فانه لم يشهدكم رواه البخاري والله وهو ما جعل في جانبي
الفم من الدوا فاما ما يصب في الحلق فيقال له الوجور وفي الطبراني من حديث العباس انهم
اذابوا قسطا بزيت ولدوه به وفي قوله لا يبقى احد في البيت الا لد الى آخره مشروعية
القصاص فيما يصاب به الانسان وفيه نظر لان الجميع لم يتعاطوا ذلك وانما فعل بهم ذلك

عقوبة لهم لتركهم امتثال نهيه عما امرهم عنه قال ابن العربي اراد ان لا ياتوا يوم القيامة وعليهم
حقه فيقعوا في خطيئة عظيمة وتعقب بانه كان يمكن ان يقع العفو ولانه كان لا ينتقم
لنفسه والذي يظهر انه اراد بذلك تاديبهم لئلا يعودوا فكان ذلك تاديبا لا اقتصاصا
ولا انتقاما قيل وانما كره اللدود مع انه كان يتداوى به لانه تحقق انه يموت في مرضه ومن
تحقق ذلك كره له التداوي قال الحافظ ابن حجر رحمه الله وفيه نظر والذي يظهر ان ذلك كان
قبل التخيير والتحقيق وانما كره التداوي لانه كان غير ملايم لدائه لانهم ظنوا ان به ذات الجنب
فداووه بما يلايمها ولم يكن به ذلك كما هو ظاهر سياق الخبر وعند ابن سعد قال كانت تاخذ
رسول الله صلى الله عليه وسلم الخاصرة فاشتدت به فاغمي عليه فلددناه فلما افاق قال كنتم
ترون ان الله يسلط علي ذات الجنب ما كان الله ليجعل لها علي سلطانا والله لا يبقى احد الا لد
فما بقي احد الا لد ولددنا ميمونة وهي صايمة وروى ابو يعلى بسند فيه ابن لهيعة
من وجه آخر عن عايشة رضي الله تعالى عنها انه صلى الله عليه وسلم مات من ذات الجنب
وجمع بينهما بان ذات الجنب تطلق بازاء مرضين احدهما ورم حار يعرض في الغشا المستبطن
والآخر ريح محتقن بين الاضلاع فالاول هو المنفي هنا وقد وقع في رواية الحاكم في المستدرك
ذات الجنب من الشيطان والثاني هو الذي اثبت هنا وليس فيه محذور كالاول
وفي حديث ابن عباس عند البخاري لما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال
فقال النبي صلى الله عليه وسلم هلموا اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده فقال بعضهم ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله فاختلف اهل البيت
واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده ومنهم من يقول غير ذلك
فلما اكثروا اللغو والاختلاف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا عني قال عبيد الله
فكان ابن عباس يقول ان الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين
ان يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولغطهم قال المازري انما جاز للصحابة الاختلاف
في هذا الكتاب مع تصريحه امره لهم بذلك لان الاوامر قد يقارنها ما ينقلها من الوجوب
فكانه ظهر منه قرينة دلت على ان الامر ليس على التحتم بل على الاختيار فاختلف اجتهادهم
وصمم عمر على الامتناع لما قام عنده من القراين بانه صلى الله عليه وسلم قال ذلك من غير
قصد جازم وقال النووي اتفق العلما على ان قول عمر حسبنا كتاب الله من قوة فقهه ودقيق
نظره لانه خشي ان يكتب امورا ربما عجزوا عنها فيستحقوا العقوبة لكونها منصوصة واراد
ان لا ينسد باب الاجتهاد على العلماء وفي تركه صلى الله عليه وسلم الانكار على عمر اشارة
الى تصويبه واشار بقوله حسبنا كتاب الله الى قوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء ولا يعارض
ذلك قول ابن عباس ان الرزية الى آخره لان عمر كان افقه منه قطعا ولا يقال ان ابن عباس
لم يكتف بالقرآن مع انه حبر القرآن واعلم الناس بتفسيره وتاويله ولكنه اسف على ما فاته
من البيان بالتنصيص عليه لكونه اولى من الاستنباط والله اعلم ولما اشتد به صلى الله عليه وسلم
وجعه قال مروا ابا بكر فليصل بالناس فعاودته مثل مقالتها فقال انكن صواحبات يوسف
مروا ابا بكر فليصل بالناس رواه الشيخان وابو حاتم واللفظ له وفي رواية ان ابا بكر رجل اسيف

وفي حديث عروة عن عايشة رضي الله تعالى عنها عند البخاري قال مروا عمر فليصل بالناس قالت فقلت
لحفصة قولي له ان ابا بكر اذا قام في مقامك لم يسمع الناس من البكا فمر عمر فليصل بالناس ففعلت
حفصة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مه انكن لانتن صواحب يوسف مروا ابا بكر فليصل
بالناس فقالت حفصة لعايشة ما كنت لاصيب منك خيرا والاسيف بوزن فعيل وهو بمعنى فاعل
من الاسف وهو شدة الحزن والمراد به رقيق القلب ولابن حبان من رواية عاصم عن شقيق عن مسروق
عن عايشة في هذا الحديث قال عاصم والاسيف الرقيق الرحيم وصواحب جمع صاحبة والمراد
انهن مثل صواحب يوسف في اظهار خلاف ما في الباطن ثم ان هذا الخطاب وان كان بلفظ الجمع
فالمراد به واحدة وهي عايشة ووجه المشابهة بينهما في ذلك ان زليخا استدعت النسوة واظهرت
لهن الاكرام بالضيافة ومرادها زيادة على ذلك وهو ان ينظرن الى حسن يوسف ويعذرنها
في محبته وان عايشة رضي الله تعالى عنها اظهرت ان سبب ارادتها صرف الامامة عن ابيها كونه
لا يسمع المامومين القراءة لبكائه ومرادها زيادة على ذلك وهو ان لا يتشاءم الناس به
وقد صرحت بذلك كما عند البخاري في باب وفاته عليه الصلاة والسلام فقالت لقد راجعته
وما حملني على كثرة مراجعته الا انه لم يقع في قلبي ان يحب الناس بعده رجلا قام مقامه ابدا
والا كنت ارى انه لن يقوم احد مقامه الا تشاءم الناس به ونقل الدمياطي ان الصديق صلى بالناس
سبع عشرة صلاة وقد ذكر الفاكهاني في الفجر المنير مما عزاه لسيف بن عمر في كتاب الفتوح انه لما
راوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يزداد وجعا اطافوا بالمسجد فدخل العباس فاعلمه عليه
الصلاة والسلام بمكانهم واشفاقهم ثم دخل عليه الفضل فاعلمه بمثل ذلك ثم دخل عليه علي بن
ابي طالب كذلك فخرج صلى الله عليه وسلم متوكيا على علي والفضل والعباس امامه والنبي
صلى الله عليه وسلم معصوب الراس يخط برجليه حتى جلس على اسفل مرقاة من المنبر وثاب
الناس اليه فحمد الله واثنى عليه وقال ايها الناس بلغني انكم تخافون من موت نبيكم هل خلد نبي
قبلي فيمن بعث اليه فاخلد فيكم الا اني لاحق بربي وانكم لاحقون به فاوصيكم بالمهاجرين الاولين خيرا
واوصي المهاجرين فيما بينهم فان الله تعالى يقول والعصر ان الانسان لفي خسر الى آخرها وان
الامور تجري باذن الله ولا يحملنكم استبطاء امر على استعجاله فان الله عز وجل لا يعجل بعجلة
احد ومن غالب الله غلبه ومن خادع الله خدعه فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض
وتقطعوا ارحامكم واوصيكم بالانصار خيرا فانهم الذين تبوؤا الدار والايمان من قبلكم ان تحسنوا
اليهم الم يشاطروكم في الثمار الم يوسعوا عليكم في الديار الم يوثروكم على انفسهم وبهم الخصاصة
الا فمن ولي منكم ان يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم الا ولا تستاثروا
عليهم الا واني فرط لكم وانتم لاحقون بي الا وان موعدكم الحوض الا فمن احب ان يرده علي غدا
فليكفف يده ولسانه الا فيما ينبغي يا ايها الناس ان الذنوب تغير النعم وتبدل القسم فاذا بر الناس
برتهم واذا فجر الناس عقوهم وفي حديث انس عند البخاري قال مر ابو بكر والعباس
بمجلس من مجالس الانصار وهم يبكون فقال ما يبكيكم قالوا ذكرنا مجلس رسول الله صلى الله
عليه وسلم منا فدخل احدهما على النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فخرج النبي صلى الله
عليه وسلم وقد عصب على راسه حاشية برد فصعد المنبر ولم يصعده بعد ذلك اليوم

فائدة

نحمد الله واثنى عليه ثم قال اوصيكم بالانصار فانهم كرشي وعيبتي وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي
لهم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم وقوله كرشي وعيبتي اراد انهم بطانته وموضع
سره وامانته والذين يعتمد عليهم في اموره واستعار الكرش والعيبة لذلك لان المجتر يجمع
علفه في كرشه والرجل يضع ثيابه في عيبته وقيل اراد بالكرش الجماعة اي جماعتي وصحابتي
يقال عليه كرش من الناس اي جماعة قاله في النهاية وذكر الواحدي بسنده ومثله بعبد الله
ابن مسعود قال نعى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه قبل موته بشهر فلما دنا الفراق
جمعنا في بيت عائشة رضي الله تعالى عنها فقال حياكم الله بالسلام رحمكم الله جبركم الله
رزقكم الله نصركم الله رفعكم الله آواكم الله اوصيكم بتقوى الله واستخلف الله عليكم واحذركم الله
اني لكم نذير مبين ان لا تعلوا على الله في بلاده وعباده فانه قال لي ولكم تلك الدار الاخرة
نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين وقال اليس في جهنم
مثوى للمتكبرين قلنا يا رسول الله متى اجلك قال دنا الفراق والمنقلب الى الله والى جنة
المأوى قلنا يا رسول الله من يغسلك قال رجال اهل بيتي الادنى فالادنى قلنا يا رسول الله
فيم نكفنك قال في ثيابي هذه وان شئتم في ثياب مصر او حلة قلنا يا رسول الله من يصلي عليك
قال اذا انتم غسلتموني وكفنتموني فضعوني على سريري هذا على شفير قبري ثم اخرجوا عني
ساعة فان اول من يصلي علي جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم ملك الموت ومعه جنود من الملائكة
ثم ادخلوا علي فوجا فصلوا علي ثم سلموا تسليما وليبدأ بالصلاة علي رجال اهل بيتي ثم نساؤهم
ثم انتم واقرؤا السلام على من غاب من اصحابي ومن تبعني على ديني من يومي هذا الى يوم القيامة
قلنا يا رسول الله من يدخلك قبرك قال اهلي مع ملائكة ربي وكذا رواه الطبراني في الدعاء وهو
واه جدا **وقالت** عائشة رضي الله تعالى عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو صحيح
يقول انه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة ثم يحيى او يخير فلما اشتكى وحضره
القبض وراسه على فخذ عائشة غشي عليه فلما افاق شخص بصره نحو سقف البيت ثم قال
اللهم الرفيق الاعلى فقلت اذا لا يختارنا فعرفت حديثه الذي حدثنا وهو صحيح وفي رواية
انها اصغت اليه قبل ان يموت وهو مستند الى ظهره يقول اللهم اغفر لي وارحمني والحقني
بالرفيق الاعلى رواه البخاري من طريق الزهري عن عروة وما فهمته عائشة من قوله
عليه الصلاة والسلام اللهم الرفيق الاعلى انه خير نظير فهم ابيها رضي الله تعالى عنه من قوله
عليه السلام ان عبدا خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده ان العبد المراد
هو النبي صلى الله عليه وسلم حتى بكى كما قدمته ذكره الحافظ ابن حجر وعند احمد من طريق المطلب
ابن عبد المطلب بن عبد الله عن عائشة رضي الله تعالى عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول
ما من نبي يقبض الا يرى الثواب ثم يخير ولاحمد ايضا من حديث ميمونة قالت قال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم اوتيت مفاتيح خزائن الارض والخلد ثم الجنة فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي
والجنة فاخترت لقاء ربي والجنة وعند عبد الرزاق من مرسل طاووس رفعه خيرت بين ان ابقى
حتى ارى ما يفتح على امتي وبين التعجيل فاخترت التعجيل وفي رواية ابي بردة بن ابي موسى
عن ابيه عند النسائي وصححه ابن حبان فقال اسأل الله الرفيق الاعلى الاسعد مع جبريل وميكائيل

واسرافيل

وإسرافيل وظاهره ان الرفيق المكان الذي تحصل المرافقة فيه مع المذكورين وقال ابن
الاثير في النهاية جماعة الانبياء الذين يسكنون اعلى عليين وقيل المراد به الله تعالى يقال
الله رفيق بعباده من الرفق والرافة انتهى وقيل المراد به حظيرة القدس وقال السهيلي
الحكمة في اختتام كلامه صلى الله عليه وسلم بهذه الكلمة لكونها تتضمن التوحيد والذكر بالقلب
حتى يستفاد منها الرخصة لغيره انه لا يشترط ان يكون الذكر باللسان لان بعض الناس
قد يمنعه من النطق مانع فلا يضره اذا كان قلبه عامرا بالذكر انتهى ملخصا قال الحافظ
ابن رجب وقد روي ما يدل على انه قبض ثم رأى مقعده من الجنة ثم ردت اليه نفسه
ثم خير ففي المسند قالت تعني عائشة كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما من نبي الا
تقبض نفسه ثم يرى الثواب ثم ترد عليه فيخير بين ان ترد اليه الى ان يلحق فكنت قد حفظت
ذلك فاني لمسندته الى صدري فنظرت اليه حين مالت عنقه فقلت قضى قالت فعرفت
الذي قال فنظرت اليه حين ارتفع ونظر فقلت اذا والله لا يختارنا فقال مع الرفيق الاعلى
في الجنة مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن
اولئك رفيقا وفي البخاري من حديث عروة عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو صحيح يقول انه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة ثم يحيى او يخير
فلما اشتكى وحضره القبض وراسه على فخذ عائشة غشي عليه فلما افاق شخص بصره
نحو سقف البيت ثم قال اللهم الرفيق الاعلى الحديث ونبه السهيلي على ان النكتة في الاتيان
بهذه الكلمة بالافراد الاشارة الى ان اهل الجنة يدخلونها على قلب رجل واحد وفي صحيح
ابن حبان عنها رضي الله تعالى عنها قالت اغمي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وراسه في حجري
فجعلت امسحه وادعو له بالشفاء فلما افاق قال اسأل الله الرفيق الاعلى مع جبريل وميكائيل

فائدة

واسرافيل **ولما احتضر** صلى الله عليه وسلم واشتد به الامر قالت عائشة رضي الله تعالى
عنها ما رأيت الوجع على احد اشد منه على النبي صلى الله عليه وسلم وكان عنده قدح من ماء
فيدخل يده في القدح ثم يمسح وجهه بالماء ويقول اللهم اعني على سكرات الموت وفي رواية
وجعل يقول لا اله الا الله ان للموت سكرات قال بعض العلماء فيه ان ذلك من شدة
الآلام والاوجاع لرفعة منزلته وقال الشيخ ابو حامد الغزالي في تلك السكرات سكرات الطرب
الا ترى الى قول بلال حين قال له اهله وهو في السياق واكرباه ففتح عينيه وقال واطرباه
غدا القى الاحبة محمدا وصحبه فاذا كان هذا طربه في هذا الحال بلقاء محبوبه وهو النبي
صلى الله عليه وسلم وحزبه فما بالك بلقاء النبي صلى الله عليه وسلم لربه تعالى فلا تعلم نفس
ما اخفي لهم من قرة اعين وهذا امر منيع تقصر العبارة عن وصف بعضه وفي حديث مرسل
ذكره الحافظ ابن رجب انه عليه الصلاة والسلام قال اللهم انك تاخذ الروح من بين العصب
والقصب والانامل فاعني عليه وهونه علي وعند الامام احمد والترمذي من طريق القاسم
عنها قالت رأيته وعنده قدح فيه ماء وهو يموت فيدخل يده في القدح ثم يمسح وجهه بالماء ثم يقول
اللهم اعني على سكرات الموت **ولما تغشاه** الكرب قالت فاطمة رضي الله تعالى عنها واكرب ابتاه
فقال لها لا كرب على ابيك بعد اليوم ان كربه كان شفقة على امته لما علم من وقوع الاختلاف

والفتن بعده وهذا ليس بشي لانه كان يلزم ان ينقطع شفقته على امته بموته والواقع انها باقية
الى يوم القيمة لانه مبعوث الى من جاء بعده واعمالهم تعرض عليه وانما الكلام على ظاهره وان المراد
بالكرب ما كان يجده عليه الصلاة والسلام من شدة الموت وكان عليه الصلاة والسلام فيما
يصيب جسده من الالام كالبشر ليتضاعف له الاجر انتهى وروى ابن ماجة انه صلى الله عليه
وسلم قال لفاطمة رضي الله تعالى عنها انه قد حضر من ابيك ما الله تعالى ليس بتارك منه احدا
الموافاة يوم القيمة وفي البخاري من حديث انس بن مالك ان المسلمين بينما هم في صلاة الفجر
من يوم الاثنين وابو بكر يصلي بهم لم يفجاهم الا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كشف ستر
حجرة عائشة فنظر اليهم وهم في صفوف الصلاة ثم تبسم يضحك فنكص ابو بكر على عقبيه
ليصل الصف وظن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد ان يخرج الى الصلاة قال انس وهم
ان يفتتنوا في صلاتهم فرحا برسول الله صلى الله عليه وسلم فاشار اليهم بيده صلى الله
عليه وسلم ان اتموا صلاتكم ثم دخل الحجرة وارخى الستر وفي رواية ابي اليمان عن شعيب
عند البخاري في الصلاة فتوفي من يومه وفي رواية ابي معمر عنده ايضا وكلها من حديث
انس لم يخرج الينا صلى الله عليه وسلم ثلاثا فاقيمت الصلاة فذهب ابو بكر يتقدم فقال
نبي الله صلى الله عليه وسلم بالحجاب فرفعه فلما وضح لنا وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما نظرنا منظرا قط كان اعجب الينا من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وضح لنا
قال فاوما رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابي بكر ان يتقدم وارخى الحجاب الحديث رواه الشيخان
وعنه ان ابا بكر كان يصلي لهم في وجع النبي صلى الله عليه وسلم الذي توفي فيه حتى اذا كان
يوم الاثنين وهم صفوف في الصلاة كشف رسول الله صلى الله عليه وسلم ستر الحجرة فنظر الينا
وهو قائم كان وجهه ورقة مصحف ثم تبسم صلى الله عليه وسلم ضاحكا الحديث رواه مسلم
وقد جزم موسى بن عقبة عن ابن شهاب بانه صلى الله عليه وسلم مات حين زاغت الشمس وكذا
لابي الاسود عن عروة وعن جعفر بن محمد عن ابيه قال لما بقي من اجل رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثلاث نزل عليه جبريل عليه السلام فقال يا احمد ان الله قد ارسلني اليك اكراما لك وتفضيلا
لك وخاصة لك يسالك عما هو اعلم به منك يقول كيف تجدك فقال اجدني يا جبريل مغموما
واجدني يا جبريل مكروبا ثم اتاه في اليوم الثاني فقال له مثل ذلك ثم اتاه في اليوم الثالث
فقال له مثل ذلك ثم استاذن فيه ملك الموت فقال جبريل يا احمد هذا ملك الموت يستاذن عليك
ولم يستاذن على ادمي قبلك ولا يستاذن على ادمي بعدك فقال ائذن له فدخل ملك الموت فوقف
بين يديه فقال يا رسول الله ان الله عز وجل ارسلني اليك وامرني ان اطيعك في كل ما تامر
ان امرتني ان اقبض روحك قبضتها وان امرتني ان اتركها تركتها فقال جبريل يا احمد ان الله
قد اشتاق الى لقائك فقال صلى الله عليه وسلم فامض يا ملك الموت لما امرت به فقال جبريل
يا رسول الله هذا آخر موطئي من الارض انما كنت حاجتي من الدنيا فقبض روحه فلما توفي
صلى الله عليه وسلم وجاءت التعزية سمعوا صوتا من ناحية البيت السلام عليكم اهل البيت
ورحمة الله وبركاته كل نفس ذائقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيمة ان في الله عزاء من
كل مصيبة وخلفا من كل هالك ودركا من كل فائت فبالله فثقوا واياه فارجوا فانما المصاب من حرم

الثواب

الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال علي رضي الله تعالى عنه اتدرون من هذا هو الخضر
عليه السلام رواه البيهقي في دلايل النبوة وفي تخريج احاديث الاحيا للحافظ العراقي في ذكر
التعزية المذكورة عن ابن عمر بما ذكره في الاحيا وان النووي انكر الحديث المذكور في كتب الحديث
وقال انما ذكره الاصحاب ثم قال العراقي وقد رواه الحاكم في المستدرك من حديث انس ولم
يصححه ولا يصح وقد رواه ابن ابي الدنيا عن انس ايضا قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه
وسلم اجتمع اصحابه حوله يبكون فدخل عليهم رجل طويل شعر المنكبين في ازار ورداء يتخطى اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اخذ بعضادتي باب البيت فبكى على رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم اقبل على اصحابه فقال ان في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل فائت
ونحبه ثم ذهب الرجل فقال ابو بكر علي بالرجل فنظروا يمينا وشمالا فلم يروا احدا فقال ابو بكر
لعل هذا الخضر اخو نبينا جاء يعزينا ورواه ابن ابي الدنيا ايضا من حديث علي بن ابي طالب وفيه محمد
بن جعفر الصادق تكلم فيه وفيه انقطاع بين علي بن الحسين وبين جده علي والمعروف عن علي
ابن الحسين مرسلا من غير ذكر علي كما رواه الشافعي في الام وليس فيه ذكر الخضر عليه السلام
قال البيهقي قوله ان الله اشتاق الى لقائك معناه قد اراد لقاءك بان يردك من دنياك
الى معادك زيادة في قربك وكرامتك انتهى واخرج الطبراني من حديث ابن عباس قال
جاء ملك الموت الى النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه وراسه في حجر علي فاستاذن فقال
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال له علي ارجع فانا مشاغيل عنك فقال صلى الله عليه
وسلم هذا ملك الموت ادخل راشدا فلما دخل قال ان ربك يقريك السلام فبلغني ان ملك
الموت لم يسلم على اهل بيت قبله ولا يسلم بعده وقالت عايشة توفي رسول الله صلى الله
عليه وسلم في بيتي في يومي وبين سحري ونحري وفي رواية بين حاقنتي وذاقنتي رواه البخاري
والحاقنة بالحاء المهملة والقاف والنون ما سفل من الذقن والذاقنة طرف الحلقوم والسحر بفتح
السين وسكون الحاء المهملتين هو الصدر والنحر بفتح النون وسكون الحاء المهملة والمراد انه صلى الله
عليه وسلم توفي وراسه بين حنكها وصدرها وهذا لا يعارضه ما اخرجه الحاكم وابن سعد
من طرق انه صلى الله عليه وسلم مات وراسه في حجر علي لان كل طريق منها كما قاله الحافظ
ابن حجر لا يخلو من شيء فلا يلتفت لذلك والله اعلم قال السهيلي وجدت في بعض كتب الواقدي
ان اول كلمة تكلم بها النبي صلى الله عليه وسلم وهو مسترضع عند حليمة الله اكبر وآخر كلمة
تكلم بها الرفيق الاعلى وروى الحاكم من حديث انس ان آخر ما تكلم به صلى الله عليه وسلم جلال
ربي الرفيع ولما توفي صلى الله عليه وسلم كان ابو بكر غائبا بالسنح يعني العالية عند زوجته
بنت خارجة وكان عليه الصلاة والسلام قد اذن له في الذهاب اليها فسل عمر بن الخطاب
سيفه وتوعد من يقول مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقول انما ارسل اليه
كما ارسل الى موسى عليه السلام فلبث عن قومه اربعين ليلة والله اني لارجو ان يقطع ايدي
رجال وارجلهم فاقبل ابو بكر من السنح حين بلغه الخبر الى بيت عائشة فدخل فكشف عن وجه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فجثى عليه يقبله ويبكي ويقول توفي والذي نفسي بيده
صلوات الله عليك يا رسول الله ما اطيبك حيا وميتا ذكره الطبري في الرياض وقالت

عايشة رضي الله تعالى عنها اقبل ابو بكر على فرس من مسكنه بالسنح حتى نزل فدخل المسجد
فلم يكلم الناس حتى دخل على عايشة فتيمم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مسجى ببردة
فكشف عن وجهه ثم اكب عليه فقبله ثم بكى فقال بابي انت وامي لا يجمع الله عليك موتتين
اما الموتة التي كتبت عليك فقد متها رواه البخاري واختلف في قول ابي بكر رضي الله تعالى عنه
لا يجمع الله عليك موتتين فقيل هو على حقيقته واشار بذلك الى الرد على من زعم انه سيحيى
فيقطع ايدي رجال لانه لو صح ذلك للزم ان يموت موتة اخرى فاخبر انه اكرم على الله من ان يجمع
الله عليه موتتين كما جمعهما على غيره كالذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت وكالذي
مر على قرية وهذا اوضح الاجوبة واسلمها وقيل اراد لا يموت موتة اخرى في القبر كغيره
اذ يحيى ليسال ثم يموت وهذا جواب الداودي وقيل لا يجمع الله موت نفسك وموت شريعتك
وقيل كنى بالموت الثاني عن الكرب اي لا تلقى بعد كرب هذا الموت كربا آخر قاله في فتح الباري
وعنها ان عمر قام يقول والله ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم فجا ابو بكر فكشف عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقبله وقال بابي انت وامي طبت حيا وميتا والذي نفسي بيده لا يذيقك
الله الموتتين ابدا ثم خرج فقال ايها الحالف على رسلك فلما تكلم ابو بكر جلس عمر فحمد الله ابو بكر
واثنى عليه وقال الا من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت
وقال انك ميت وانهم ميتون وقال وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الاية قال
فنشج الناس يبكون رواه البخاري يقال نشج الباكي اذا غص بالبكا في حلقه من غير انتحاب
وعن سالم بن عبيد الاشجعي قال لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اجزع الناس كلهم
عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال فاخذ بقايم سيفه وقال لا اسمع احدا يقول مات رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا ضربته بسيفي هذا قال فقال الناس يا سالم اطلب صاحب رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال فخرجت الى المسجد فاذا بابي بكر فلما رايته اجهشت بالبكا فقال
يا سالم امات رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان هذا عمر بن الخطاب يقول لا اسمع احدا
يقول مات رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ضربته بسيفي هذا قال فاقبل ابو بكر حتى دخل على
النبي صلى الله عليه وسلم وهو مسجى فرفع البرد عن وجهه ووضع فاه على فيه واستنشا
الريح ثم سجاه والتفت الينا فقال وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الاية وقال
انك ميت وانهم ميتون يا ايها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله
حي لا يموت قال عمر فوالله لكاني لم اتل هذه الايات قط خرجه الحافظ ابو احمد حمزة بن الحارث
كما ذكره الطبري في الرياض له وقال خرج الترمذي معناه بتمامه واستنشا الريح شمها اي شم
ريح الموت وعند احمد عن عايشة رضي الله تعالى عنها قالت سجيت النبي صلى الله عليه وسلم ثوبا
فجا عمر والمغيرة بن شعبة فاستاذنا فاذنت لهما وجذبت الحجاب فنظر عمر اليه فقال واغشياه ثم قاما
فقال المغيرة يا عمر مات قال كذبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت حتى يفني الله
المنافقين ثم جا ابو بكر فرفعت الحجاب فنظر اليه فقال انا لله وانا اليه راجعون مات رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفي حديث ابن عباس عند البخاري ان ابا بكر خرج وعمر بن الخطاب يكلم
الناس فقال اجلس يا عمر فابى عمر ان يجلس فاقبل الناس اليه وتركوا عمر فقال ابو بكر اما بعد

فاذنت لهم

من كان

من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت قال الله عز وجل وما محمد
الا رسول قد خلت من قبله الرسل قال والله لكان الناس لم يعلموا ان الله انزل الاية حتى تلاها
ابو بكر فتلقاها الناس كلهم فما اسمع بشرا من الناس الا يتلوها وفي حديث ابن عمر عند ابن ابي شيبة
ان ابا بكر مر بعمر وهو يقول ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يموت حتى يقتل الله
المنافقين قال وكانوا اظهروا الاستبشار ورفعوا رؤسهم فقال ايها الرجل ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد مات الم تسمع الله يقول انك ميت وانهم ميتون وقال وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد
ثم اتى المنبر الحديث قال القرطبي ابو عبد الله المفسر وفي هذا ادل دليل على شجاعة الصديق فان
الشجاعة حدها ثبوت القلب عند حلول المصايب ولا مصيبة اعظم من موت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فظهرت عنده شجاعته وعلمه قال الناس لم يمت رسول الله صلى الله
عليه وسلم واضطرب الامر فكشفه الصديق بهذه الاية فرجع عمر عن مقالته التي قالها
كما ذكره الوايلي ابو نصر عبيد الله في كتاب الابانة من انس بن مالك انه سمع عمر بن الخطاب
رضي الله تعالى عنه حين بويع ابو بكر رضي الله تعالى عنه في مسجد رسول الله صلى الله عليه
وسلم واستوى على منبره عليه الصلاة والسلام تشهد ثم قال اما بعد فاني قلت لكم امس
مقالة وانها لم تكن كما قلت واني والله ما وجدت المقالة التي قلت لكم في كتاب الله ولا في عهد
عهده الي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكني كنت ارجو ان يعيش رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى يدبرنا اي يكون آخرنا موتا او كما قال فاختار الله لرسوله الذي عنده
على الذي عندكم وهذا الكتاب الذي هدى به رسوله فخذوا به تهتدوا لما هدى له رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ابو نصر المقالة التي قالها ثم رجع عنها هي ان النبي صلى الله
عليه وسلم لم يمت ولن يموت حتى يقطع ايدي وارجل وكان ذلك لعظيم ما ورد عليه
وخشي الفتنة وظهور المنافقين فلما شاهد قوة يقين الصديق الاكبر وتفوهه بقول الله
عز وجل كل نفس ذايقة الموت وقوله انك ميت وانهم ميتون وخرج الناس يتلونها في سكك
المدينة كانها لم تنزل قط الا ذلك اليوم انتهى قال ابن المنير لما مات رسول الله صلى الله
عليه وسلم طاشت العقول فمنهم من خبل ومنهم من اقعد ومنهم من اخرس فلم يطق الكلام
ومنهم من اضنى وكان عمر ممن خبل وكان عثمان ممن اخرس يذهب به ويجاء ولا يستطيع كلاما
وكان علي ممن اقعد فلم يستطع حراكا واضنى عبد الله بن انيس فمات وكان اثبتهم ابو بكر
الصديق رضي الله عنه جا وعيناه تهملان وزفراته تتردد وغصصه تتصاعد وترتفع
فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فاكب عليه وكشف الثوب عن وجهه وقال طبت حيا
وميتا وانقطع لموتك ما لم ينقطع لموت احد من الانبيا فعظمت عن الصفة وجللت عن البكا
ولو ان موتك كان اختيارا لجدنا لموتك بالنفوس اذكرنا يا محمد عند ربك ولنكن من بالك
ووقع في حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وعايشة عند البخاري ان ابا بكر قبل النبي
صلى الله عليه وسلم بعد ما مات كما قدمناه وكذا في رواية غيره وفي رواية يزيد بن بابنوس
عن عايشة بموحدتين بينهما الف ونون مضمومة فواو ساكنة فمهملة عنها عند احمد انه اتاه من قبل
راسه فحدر فاه فقبل جبهته ثم قال وانبياه ثم رفع راسه فحدر فاه وقبل جبهته

ثم قال وا صفياه ثم رفع راسه وحدر فاه وقبل جبهته وقال يا خليلاه وعند ابن ابي شيبة عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما فوضع فاه على جبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقبله ويبكي ويقول بابي انت وامي طبت حيا وميتا وعن عايشة رضي الله تعالى عنها ان ابا بكر دخل على النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته فوضع فاه بين عينيه ووضع يديه على صدغيه فقال وانبياه وا خليلاه وا صفياه اخرجه ابن عرفة العبدي كما ذكره الطبري قال ولا تضاد بين هذا اذ يحتمل تعدد صحته وبين ما تقدم مما تضمن ثباته بان يكون قد قال ذلك من غير انزعاج ولا قلق خافضا به صوته ثم التفت اليهم وقال لهم ما قال واخرج البيهقي وابو نعيم من طريق الواقدي عن شيوخه انهم شكوا في موته صلى الله عليه وسلم قال بعضهم قد مات وقال بعضهم لم يمت فوضعت اسما بنت عميس يدها بين كتفيه عليه الصلاة والسلام فقالت قد توفي قد رفع الخاتم من بين كتفيه فكان هذا الذي قد عرف به موته واخرجه ابن سعد عن الواقدي ايضا ولما توفي عليه الصلاة والسلام قالت فاطمة يا ابتاه اجاب ربا دعاه يا ابتاه من جنة الفردوس ماواه يا ابتاه الى جبريل ننعاه رواه البخاري قال الحافظ ابن حجر رحمه الله وقد قيل الصواب الى جبريل نعاه جزم بذلك سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان قال والاول متوجه فلا معنى لتغليط الرواة بالظن وزاد الطبراني يا ابتاه من ربه ما ادناه وقد كانت فاطمة رضي الله تعالى عنها بعده صلى الله عليه وسلم بستة اشهر فما ضحكت تلك المدة وحق لها ذلك كما قيل

على مثل ليلى يقتل المرء نفسه * وان كان من ليلى على الهجر طاويا

واخرج ابو نعيم عن علي قال لما قبض صلى الله عليه وسلم صعد ملك الموت باكيا الى السما والذي بعثه بالحق لقد سمعت صوتا من السما ينادي وامحمداه فحيث كل المصايب تهون عند هذه المصيبة وفي سنن ابن ماجه انه صلى الله عليه وسلم قال في مرضه ايها الناس ان احد من الناس او من المؤمنين اصيب بمصيبة فليتعز بمصيبته بي عن المصيبة التي تصيبه بغيري فان احدا من امتي لن يصاب بمصيبة بعدي اشد عليه من مصيبتي وقال ابو الجوزا كان الرجل من اهل المدينة اذا اصابته مصيبة جا اخوه فصافحه ويقول يا عبد الله اتق الله فان في رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة ويعجبني قول القايل

اصبر لكل مصيبة وتجلد * واعلم بان المرء ليس مخلد
واصبر كما صبر الكرام فانها * نوب تنوب اليوم تكشف في غد
واذا اتتك مصيبة تشجى بها * فاذكر مصابك بالنبي محمد

ويرحم الله القايل

تذكرت لما فرق الدهر بيننا * فعزيت نفسي بالنبي محمد
وقلت لها ان المنايا سبيلنا * فمن لم يمت في يومه مات في غد

كادت الجمادات تتصدع من الم مفارقته صلى الله عليه وسلم فكيف بقلوب المؤمنين لما فقده الجذع الذي كان يخطب عليه صلى الله عليه وسلم قبل اتخاذ المنبر حن اليه وصاح كان الحسن اذا حدث بهذا الحديث بكى وقال هذه خشبة تحن الى رسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم فانتم احق ان تشتاقوا اليه وروي ان بلالا لما كان يؤذن بعد وفاته صلى الله عليه وسلم وقبل دفنه فاذا قال اشهد ان محمدا رسول الله ارتج المسجد بالبكاء والنحيب فلما دفن ترك الاذان وما امر عيش من فارق الاحباب خصوصا من كانت رؤيته حياة الالباب

لو ذاق طعم الفراق رضوى * لكان من وجده يميد
قد حملوني عذاب شوق * يعجز عن حمله الحديد

وقد كانت وفاته صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين بلا خلاف وقت دخوله المدينة في هجرته حين اشتد الضحى ودفن يوم الثلثا وقيل ليلة الاربعا فعند ابن سعد في الطبقات عن علي توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ودفن يوم الثلثا وعنده ايضا عن عكرمة توفي يوم الاثنين فحبس بقية يومه وليلته ومن الغد حتى دفن من الليل وعنده ايضا عن عثمان ابن محمد الاخنسي توفي يوم الاثنين حين زاغت الشمس ودفن يوم الاربعا وروي ايضا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فمكث يوم الاثنين والثلثا حتى دفن يوم الاربعا ورثاه ابو سفيان بن الحارث فقال

ابن سهل عن ابيه عن جده توفي يوم الاثنين صح

ارقت فبات ليلي لا يزول * وليل اخي المصيبة فيه طول
واسعدني البكا وذاك فيما * اصيب المسلمون به قليل
لقد عظمت مصيبتنا وجلت * عشية قيل قد قبض الرسول
واضحت ارضنا مما عراها * تكاد بنا جوانبها تميل
فقدنا الوحي والتنزيل فينا * يروح به ويغدو جبرئيل
وذاك احق ما سالت عليه * نفوس الناس او كادت تسيل
نبي كان يجلو الشك عنا * بما يوحى اليه وما يقول
ويهدينا فلا نخشى ضلالا * علينا والرسول لنا دليل
افاطم ان جزعت فذاك عذر * وان لم تجزعي ذاك السبيل
فقبر ابيك سيد كل قبر * وفيه سيد الناس الرسول

ورثته عمته صفية بمراثي كثيرة منها قولها

الا يا رسول الله كنت رجاءنا * وكنت بنا برا ولم تك جافيا
وكنت رحيما هاديا ومعلما * ليبك عليك اليوم من كان باكيا
لعمرك ما ابكي النبي لفقده * ولكن لما اخشى من الهرج آتيا
كان على قلبي لذكر محمد * وما خفت من بعد النبي المكاويا
افاطم صلى الله رب محمد * على جدث امسى بيثرب ثاويا
فدى لرسول الله امي وخالتي * وعمي وخالي ثم نفسي وماليا
فلو ان رب الناس ابقى نبينا * سعدنا ولكن امره كان ماضيا
عليك من الله السلام تحية * وادخلت جنات من العدن راضيا
اري حسنا ايتمته وتركته * يبكي ويدعو جده اليوم نائيا

ورثاه الصديق بقوله

لما رايت نبينا متجندلا * ضاقت علي بعرضهن الدور
فارتاع قلبي عند ذاك لفقده * والعظم مني ما حييت كسير
اعتيق ويحك ان حبك قد ثوى * فالصبر عنك لما بقيت يسير
يا ليتني من قبل مهلك صاحبي * غيبت في جدث علي صخور
فلتحدثن بدايع من بعده * تعيي بهن جوانح وصدور

ورثاه الصديق ايضا

ودعنا الوحي اذ وليت عنا * فودعنا من الله الكلام
سوى ما قد تركت لنا رهينا * تضمنه القراطيس الكرام

ولقد احسن حسان بن ثابت بقوله يرثيه عليه الصلاة والسلام

كنت السواد لناظري * فعمي عليك الناظر * من شاء بعدك فليمت * فعليك كنت احاذر *
ولما تحقق عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه موته صلى الله عليه وسلم بقول ابي بكر الصديق
رضي الله تعالى عنه ورجع الى قوله قال وهو يبكي بابي انت وامي يا رسول الله لقد كان لك جذع
تخطب الناس عليه فلما كثروا اتخذت منبرا لتسمعهم فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه
فسكن فامتك اولى بالحنين عليك حين فارقتهم بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده
عنده ان بعثك آخر الانبيا وذكرك في اولهم فقال تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح
الاية بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اهل النار يودوا ان يكونوا اطاعوك
وهم بين اطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا الخبر ذكره ابو العباس القصار
في شرحه لبردة الابوصيري ونقله عن الرشاطي في كتابه اقتباس الانوار والتماس الازهار
وذكره ابن الحاج في المدخل وساقه بتمامه والقاضي عياض في الشفا لكنه ذكر بعضه ولم يقع
في كثير من نسخ الشفا وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه انه قال في كلام بكى به النبي
صلى الله عليه وسلم بتشديد الكاف والصواب فيه التخفيف لان هذا الكلام انما سمع من عمر
ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه بعد موته صلى الله عليه وسلم كما تقدم ونبهت عليه في حاشية
الشفا والله اعلم ويؤيد هذا قوله في الخبر نفسه بابي انت وامي يا رسول الله لقد اتبعك
في قصر عمرك ما لم يتبع نوحا في كثرة سنه وطول عمره فلقد آمن بك الكثير وما آمن معه الا القليل
واخرج ابن عساكر عن ابي ذؤيب الهذلي قال بلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم عليل فاوجس
اهل الحي خيفة وبت بليلة طويلة حتى اذا كان وقت السحر هتف هاتف بابيات

* خطب اجل اناخ بالاسلام * بين النخيل ومقعد الاطام *
* قبض النبي محمد فعيوننا * تذري الدموع عليه بالتسجام *

فوثبت من نومي فزعا فنظرت الى السماء فلم ار الا سعد الذابح فتعلمت ان النبي صلى الله عليه
وسلم قبض او هو ميت فقدمت المدينة ولاهلها ضجيج بالبكا كضجيج الحجيج اذا اهلوا بالاحرام
فقلت مه فقيل قبض النبي صلى الله عليه وسلم ومن عجيب ما اتفق ما روي عن عائشة
رضي الله تعالى عنها انهم لما ارادوا غسل النبي صلى الله عليه وسلم قالوا لا ندري انجرد
رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثيابه كما نجرد موتانا ام نغسله وعليه ثيابه فلما اختلفوا
القى الله عليهم النوم حتى ما منهم رجل الا وذقنه في صدره ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت لا يدرون
من هو اغسلوا النبي صلى الله عليه وسلم وعليه ثيابه فقاموا فغسلوه وعليه قميصه يصبون
الما فوق القميص ويدلكونه بالقميص رواه البيهقي في دلايل النبوة وروى ابن ماجة باسناد
جيد عن علي يرفعه اذا انا مت فاغسلوني بسبع قرب من بيري بير غرس قال في النهاية
بفتح الغين المعجمة وسكون الرا والسين وقد روى النجار انه عليه الصلاة والسلام قال رايت
الليلة اني اصبحت على بير من الجنة فاصبح على بير غرس فتوضا منها وبزق فيها وغسل
صلى الله عليه وسلم ثلاث غسلات الاولى بالما القراح والثانية بالما والسدر والثالثة بالما
والكافور وغسله علي والعباس وابنه الفضل يعينانه وقثم واسامة وشقران موليا صلى الله عليه
وسلم يصبون الما واعينهم معصوبة من ورا الستر لحديث علي لا يغسلني الا انت فانه

ربك ان جعلك خاتمهم فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك صح

لا يرى احد

لا يرى احد عورتي الا طمست عيناه رواه البزار والبيهقي واخرج البيهقي عن الشعبي قال
غسل علي النبي صلى الله عليه وسلم فكان يقول وهو يغسله بابي انت وامي طبت حيا وميتا
واخرج ابو داود وصححه الحاكم عن علي رضي الله تعالى عنه قال غسلته صلى الله عليه وسلم
فذهبت انظر ما يكون من الميت فلم ار شيئا وكان طيبا حيا وميتا وفي رواية ابن سعد وسطعت
ريح طيبة لم يجدوا مثلها قط قيل وجعل علي على يده خرقة وادخلها تحت القميص ثم اعتصر
قميصه وحنطوا مساجده ومفاصله ووضو امنه ذراعيه ووجهه وكفيه وقدميه
وجمروه عودا وندا وذكر ابن الجوزي انه روي عن جعفر بن محمد قال كان الما يستنقع
في جفون النبي صلى الله عليه وسلم فكان علي يحسوه واما ما روي ان عليا لما غسله عليه
الصلاة والسلام امتص ما في محاجر عينيه فشربه وانه ورث بذلك علم الاولين والاخرين
فقال النووي ليس بصحيح وفي حديث عروة عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كفن
رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثة اثواب سحولية بيض اخرجه النسايي من رواية
عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة واتفق عليه الايمة الستة من طريق هشام
ابن عروة عن ابيه عن عائشة بزيادة من كرسف ليس فيها قميص ولا عمامة وليس قوله
من كرسف عند الترمذي ولا ابن ماجة زاد مسلم اما الحلة فانما شبه على الناس فيها انها
اشتريت له ليكفن فيها فتركت الحلة وكفن في ثلاثة اثواب بيض سحولية فاخذها عبد الله
ابن ابي بكر فقال لاحبسنها حتى اكفن فيها نفسي ثم قال لو رضيها الله عز وجل لنبيه
لكفنه فيها فباعها فتصدق بثمنها وفي رواية له ادرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في حلة
يمنية كانت لعبد الله بن ابي بكر ثم نزعت عنه وذكر الحديث وفي رواية اصحاب السنن
الاربعة فذكر لعائشة قولهم في ثوبين وبرد حبرة فقالت قد اتي بالبرد ولكنهم ردوه
ولم يكفنوه فيه وقال الترمذي حسن صحيح وفي رواية البيهقي في ثلاثة اثواب سحولية
جدد والسحولية بفتح السين وضمها قال النووي والفتح اشهر وفي رواية الاكثرين
وفي النهاية نقلا للهروي فالفتح منسوب الى السحول وهو القصار لانه يسحلها اي يغسلها
او الى سحول وهي قرية باليمن واما الضم فهو جمع سحل وهو الثوب الابيض النقي ولا يكون
الا من قطن وفيه شذوذ لانه نسب الى الجمع وقيل ان اسم القرية بالضم ايضا والكرسف بضم
الكاف واسكان الرا وضم السين المهملتين والفا القطن وقال الترمذي روي في كفن
النبي صلى الله عليه وسلم روايات مختلفة وحديث عائشة اصح الاحاديث في ذلك والعمل
عليه عند اكثر اهل العلم من الصحابة وغيرهم وقال البيهقي في الخلافيات قال ابو عبد الله
يعني الحاكم تواترت الاخبار عن علي بن ابي طالب وابن عباس وعايشة وابن عمر وجابر وعبد الله
ابن مغفل في تكفين النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاثة اثواب ليس فيها قميص ولا عمامة
وعن عبد الله بن محمد بن عقيل عن ابن الحنفية عن علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كفن في سبعة اثواب وقد روى هذا الحديث احمد في مسنده وذكر ابن حزم ان الوهم فيه
من ابن عقيل او ممن بعده وقد اختلف في معنى قوله ليس فيها قميص ولا عمامة فالصحيح
ان معناه انه ليس في الكفن قميص ولا عمامة اصلا والثاني ان معناه انه كفن في ثلاثة

اثواب خارج عن القميص والعمامة قال الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد والاول اظهر في المراد وذكر النووي في شرح مسلم ان الاول تفسير الشافعي وجمهور العلما قال وهو الصواب الذي يقتضيه ظاهر الحديث وقال ان الثاني ضعيف فلم يثبت انه صلى الله عليه وسلم كفن في قميص وعمامة انتهى وترتب على هذا اختلافهم في انه هل يستحب ان يكون في الكفن قميص وعمامة ام لا فقال مالك والشافعي واحمد يستحب ان تكون الثلاثة لفايف ليس فيها قميص ولا عمامة واختلفوا في زيادة القميص والعمامة او غيرهما على اللفايف الثلاث الى تمام خمسة فذكر الحنابلة انه مكروه وقال الشافعية انه جائز غير مستحب وقال المالكية انه يستحب للرجال والنسا وهو في حق النسا اكد قالوا والزيادة الى السبعة غير مكروهة وما زاد عليها سرف وقال الحنفية ان الاثواب الثلاثة ازار وقميص ولفافة وقد اجمع المسلمون على وجوبه وهو فرض كفاية فيجب في ماله فان لم يكن له مال فعلى من تلزمه نفقته واختلف اصحابنا في المتزوجة اذا كان لها مال هل يجب تكفينها من مالها او هو على زوجها فذهب الى الاول الرافعي في الشرح الصغير والمحرر والنووي في المنهاج وذهب الى الثاني الرافعي في الشرح الكبير والنووي في الروضة وشرح المهذب وقال فيه قيد الغزالي وجوب الكفن على الزوج بشرط اعسار المراة والكروه عليه انتهى ومتى كانت معسرة فتكفينها على زوجها قطعا ثم ان الواجب ثوب واحد وهو حق الله تعالى لا تنفذ وصية الميت باسقاطه بخلاف الثاني والثالث فانه حق للميت تنفذ وصيته باسقاطهما وفي هذا الحديث ايضا دلالة على ان القميص الذي غسل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم نزع عنه عند تكفينه قال النووي في شرح مسلم وهذا هو الصواب الذي لا يتجه غيره لانه لو بقي مع رطوبته لافسد الاكفان قال واما الحديث الذي في سنن ابي داود عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كفن في ثلاثة اثواب الحلة ثوبان وقميصه الذي توفي فيه فحديث ضعيف لا يصح الاحتجاج به لان يزيد بن زياد احد رواته مجمع على ضعفه لاسيما وقد خالف بروايته الثقات وفي حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عند ابن ماجة لما فرغوا من جهازه صلى الله عليه وسلم يوم الثلثا وضع على سريره في بيته ثم دخل الناس عليه صلى الله عليه وسلم رسلا يصلون عليه حتى اذا فرغوا ادخلوا النسا حتى اذا فرغن دخل الصبيان ولم يؤم الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم احد وفي رواية ان اول من صلى على النبي صلى الله عليه وسلم الملائكة افواجا ثم اهل بيته ثم الناس فوجا فوجا ثم نساؤه اخرا وروي انه لما صلى اهل بيته لم يدر الناس ما يقولون فسالوا ابن مسعود فامرهم ان يسالوا عليا فقال لهم قولوا ان الله وملائكته يصلون على النبي الاية لبيك اللهم ربنا وسعديك صلوات البر الرحيم والملائكة المقربين والنبيين والصديقين والشهدا والصالحين وما سبح لك من شي يا رب العالمين على محمد بن عبد الله خاتم النبيين وسيد المرسلين وامام المتقين ورسول رب العالمين الشاهد البشير الداعي اليك باذنك السراج المنير وعليه السلام ذكره الشيخ زين الدين المراغي في كتابه تحقيق النصرة ثم قال وابن سحنون نقل ان ابا بكر رضي الله تعالى عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما هلك نبي قط الا يدفن حيث تقبض روحه

وقال علي

وقال علي رضي الله تعالى عنه وانا ايضا سمعته وحفر ابو طلحة لحد رسول الله صلى الله عليه وسلم في موضع فراشه حيث قبض وقد اختلف فيمن ادخله قبره والاصح ما روي انه نزل في قبره عمه العباس وعلي وقثم بن العباس والفضل بن العباس وكان اخر الناس عهدا برسول الله صلى الله عليه وسلم قثم بن العباس وروي انه بني في قبره الشريف تسع لبنات وفرش تحته قطيفة نجرانية كان يتغطى بها فرشها شقران في القبر وقال والله لا يلبسها احد بعدك قال النووي وقد نص الشافعي وجميع اصحابه وغيرهم من العلماء على كراهة وضع قطيفة او مضربة او مخدة ونحو ذلك تحت الميت في القبر وشذ البغوي من اصحابنا فقال في كتابه التهذيب لا باس بذلك لهذا الحديث والصواب كراهته ذلك كما قال الجمهور واجابوا عن هذا الحديث بان شقران انفرد بفعل ذلك ولم يوافقه احد من الصحابة ولا علموا بذلك وانما فعله شقران لما ذكرناه عنه من كراهته ان يلبسها احد بعد النبي صلى الله عليه وسلم انتهى وفي كتاب تحقيق النصرة قال ابن عبد البر ثم اخرجت يعني القطيفة من القبر لما فرغوا من وضع اللبنات التسع حكاه ابن زبالة ولما دفن صلى الله عليه وسلم جاءت فاطمة رضي الله تعالى عنها فقالت كيف طابت انفسكم ان تحثوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب واخذت من تراب القبر الشريف فوضعته على عينيها وانشات تقول شعر

ماذا على من شم تربة احمد ... ان لا يشم مدى الزمان غواليا
صبت علي مصايب لو انها ... صبت على الايام صرن لياليا

قال رزين ورش قبره صلى الله عليه وسلم رشه بلال بن رباح بقربة بدا من قبل راسه الشريف حكاه ابن عساكر وجعل عليه من حصبا العرصة حمرا وبيضا ورفع قبره من الارض قدر شبر وفي حديث عائشة رضي الله تعالى عنها عند البخاري قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي لم يقم منه لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد لولا ذلك ابرز قبره غير انه خشي او خشي ان يتخذ مسجدا كذا في رواية ابي عوانة عن هلال خشي او خشي على الشك فرواية الفتح مبهمة يمكن ان تفسر بانها هي التي صدرت من ابرازه والضم ضمير الشان وكانها ارادت نفسها ومن وافقها على ذلك وهذا يقتضي انهم فعلوه باجتهاد بخلاف رواية الفتح فانها تقتضي ان النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي امرهم بذلك وقولها لا برز قبره لكشف قبره صلى الله عليه وسلم ولم يتخذ عليه الحايل والمراد الدفن خارج بيته وهذا قالته عايشة رضي الله تعالى عنها قبل ان يوسع المسجد ولهذا لما وسع المسجد جعلت حجرتها مثلثة الشكل محددة حتى لا يتاتى لاحد ان يصلي الى جهة القبر الكريم مع استقبال القبلة وفي البخاري ايضا من حديث ابي بكر بن عياش عن سفيان التمار انه حدثه انه راى قبر النبي صلى الله عليه وسلم مسنما اي مرتفعا زاد ابو نعيم في المستخرج وقبر ابي بكر وعمر كذلك واستدل به على ان المستحب تسنيم القبور وهو قول ابي حنيفة ومالك واحمد والمزني وكثير من الشافعية وادعى القاضي حسين اتفاق الاصحاب عليه وتعقب بان جماعة من قدماء الشافعية استحبوا التسطيح

كما نص عليه الشافعي وبه جزم الماوردي وآخرون وقول سفيان التمار لا حجة فيه كما قال
البيهقي لاحتمال ان قبره صلى الله عليه وسلم لم يكن في الاول مسنما فقد روى ابو داود والحاكم
من طريق القاسم بن محمد بن ابي بكر قال دخلت على عائشة فقلت يا امه اكشفي لي عن قبر
النبي صلى الله عليه وسلم فكشفت لي عن ثلاثة قبور لا مشرفة ولا لاطئة مبطوحة
ببطحاء العرصة الحمراء **زاد** فرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدما وابا بكر رضي الله
تعالى عنه راسه بين كتفي النبي صلى الله عليه وسلم وعمر رضي الله تعالى عنه راسه عند
رجلي النبي صلى الله عليه وسلم وهذا كان في خلافة معوية فكانها كانت في الاول مسطحة
ثم لما بني جدار القبر الشريف في امارة عمر بن عبد العزيز على المدينة من قبل الوليد
ابن عبد الملك صيروها مرتفعة **وقد** روى ابو بكر الآجري في كتاب صفة قبر النبي صلى الله
عليه وسلم من طريق اسحق بن عيسى بن بنت داود بن ابي هند عن غنيم بن بسطام
المدني قال رايت قبر النبي صلى الله عليه وسلم في امارة عمر بن عبد العزيز فرايته
مرتفعا نحوا من اربعة اصابع ورايت قبر ابي بكر وراء قبره ورايت قبر عمر وراء قبر
ابي بكر اسفل منه **ثم** الاختلاف في ذلك في انها افضل لا اصل الجواز **ورجح** المزني التسنيم
من حيث المعنى بان التسطيح يشبه ما يصنع للجلوس بخلاف المسنم ورجح التسطيح
بما رواه مسلم من حديث فضالة بن عبيد انه امر بقبر فسوي ثم قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يامر بتسويتها **وعن** هشام بن عروة عن ابيه لما سقط عليهم الحائط
يعني حائط حجرة النبي صلى الله عليه وسلم في زمان الوليد بن عبد الملك اخذوا في بنائه
فبدت لهم قدم ففزعوا وظنوا انها قدم النبي صلى الله عليه وسلم فما وجدوا احدا يعلم ذلك
حتى قال لهم عروة والله ما هي قدم النبي صلى الله عليه وسلم ما هي الا قدم عمر رواه
البخاري ايضا **والسبب** في ذلك ما رواه الآجري من طريق شعيب بن اسحق عن هشام
ابن عروة قال اخبرني ابي قال كان الناس يصلون الى القبر الشريف فامر عمر بن عبد العزيز
فرفع حتى لا يصلي اليه احد فلما هدم بدت قدم بساق وركبة ففزع عمر بن عبد العزيز
فاتاه عروة فقال هذا ساق عمر وركبته فسري عن عمر بن عبد العزيز **وروى** الآجري
عن رجاء بن حيوة قبر ابي بكر عند وسط النبي صلى الله عليه وسلم وعمر خلف ابي بكر راسه
عند وسطه وهذا ظاهره يخالف حديث القاسم فان امكن الجمع والا فحديث القاسم اصح واما
ما اخرجه ابو يعلى من وجه آخر عن عائشة ابو بكر عن يمينه وعمر عن يساره فسنده
ضعيف انتهى ملخصا من فتح الباري **وقد** اختلف اهل السير وغيرهم في صفة القبور
المقدسة على سبع روايات اوردها ابن عساكر في تحفة الزائر **ونقل** اهل السير
عن سعيد بن المسيب قال بقي في البيت موضع قبر في السهوة الشرقية يدفن فيه
عيسى بن مريم عليهما السلام ويكون قبره الرابع وفي المنتظم لابن الجوزي عن ابن عمر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل عيسى بن مريم الى الارض فيتزوج ويولد
له ويمكث خمسا واربعين سنة ثم يموت فيدفن معي في قبري فاقوم انا وعيسى بن مريم
من قبر واحد بين ابي بكر وعمر كذا ذكره في تحقيق النصرة والله اعلم **فان قلت** تقدم

انه عليه الصلاة والسلام توفي يوم الاثنين ودفن يوم الاربعاء على الخبر دفنه عليه الصلاة والسلام
وقد قال صلى الله عليه وسلم لاهل بيت اخر دفن ميتهم عجلوا دفن ميتكم ولا تؤخروه **فالجواب**
لما ذكر من عدم اتفاقهم على موته او انهم كانوا لا يعلمون حيث يدفن قال قوم في البقيع وقال آخرون
في المسجد وقال قوم يحمل الى ابيه ابرهيم حتى يدفن عنده **حتى قال** العالم الاكبر صديق
الامة سمعته يقول ما دفن نبي الا حيث يموت ذكره ابن ماجة كما تقدم وفي رواية الترمذي
ما قبض الله نبيا الا في الموضع الذي يحب ان يدفن فيه ادفنوه في موضع فراشه او لانهم
اشتغلوا في الخلاف الذي وقع بين المهاجرين والانصار فنظروا فيها حتى استقر الامر في الخلافة
ونظامها فبايعوا ابا بكر ثم بايعوه بالغد بيعة اخرى عن ملاء منهم وكشف الله الكربة من اهل
الردة **ثم** رجعوا بعد ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فنظروا في دفنه فغسلوه وكفنوه
ولما قبض صلى الله عليه وسلم تزينت الجنان ليوم قدوم روحه الكريمة كزينة المدينة
يوم قدوم الملك اذ كان عرش الرحمن قد اهتز لموت بعض اتباعه فرحا واستبشارا لقدوم
روحه فكيف بقدوم روح الارواح **لما** قدم صلى الله عليه وسلم المدينة لعبت الحبشة
بحرابهم فرحا بقدومه كما رواه ابو داود من حديث انس **وفي** رواية الدارمي قال انس
ما رايت يوما كان احسن ولا اضوء من يوم دخل علينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما رايت يوما كان اقبح ولا اظلم من يوم مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي
رواية الترمذي لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة
اضاء منها كل شيء فلما كان اليوم الذي مات فيه اظلم منها كل شيء وما نفضنا ايدينا من التراب
وانا لفي دفنه حتى انكرنا قلوبنا **ومن آياته عليه السلام بعد موته** ما ذكر من حزن
حماره عليه حتى تردى في بئر وكذا ناقته لم تاكل ولم تشرب حتى ماتت من ذلك وظهور
ما اخبر به انه كائن بعد موته مما لا نهاية له ولا تحصيه مما ذكرت بعضه في المقصد
الثامن **وفي** حديث ابي موسى عند مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله اذا اراد بامة
خيرا قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا بين يديها واذا اراد هلكة امة عذبها
ونبيها حي فاهلكها وهو ينظر فاقر عينه بهلكتها حين كذبوه وعصوا امره **وانما** كان قبض
النبي قبل امته خيرا لانهم اذا اتبعوا قبله فقد انقطعت اعمالهم واذا انا والسير خيرا
حصل خيرهم مستمرا ببقائهم محافظين على ما امروا به من العبادات وحسن المعاملات
نسلا بعد نسل وعقبا بعد عقب **الفصل الثاني في زيارة قبره الشريف ومسجده
المنيف** اعلم ان زيارة قبره الشريف من اعظم القربات وارجى الطاعات والسبيل الى
اعلى الدرجات ومن اعتقد غير هذا فقد انخلع من ربقة الاسلام وخالف الله
ورسوله وجماعة العلماء الاعلام وقد اطلق بعض المالكية وهو ابو عمران الفاسي كما ذكره
في المدخل عن تهذيب الطالب لعبد الحق انها واجبة قال ولعله اراد وجوب السنن
المؤكدة وقال القاضي عياض انها سنة من سنن المسلمين مجمع عليها وفضيلة
مرغب فيها **وروى** الدارقطني من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من زار قبري وجبت له شفاعتي ورواه عبد الحق وصححه

المراد بها الجنس

الوسطى وفي الصغرى وسكت عنه وسكوته عن الحديث فيها دليل على صحته وفي المعجم
الكبير عن الطبراني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من جاءني زائرا لا تعمله حاجة الا
زيارتي كان حقا علي ان اكون له شفيعا يوم القيمة وصححه ابن السكن وروي عنه صلى الله
عليه وسلم من وجد سعة ولم يفد الي فقد جفاني ذكره ابن فرحون في مناسكه والغزالي
في الاحياء ولم يخرجه العراقي بل اشار اليه مما اخرجه ابن النجار في تاريخ المدينة
بما هو في معناه عن انس بلفظ ما من احد من امتي له سعة ثم لم يزرني الا وليس له عذر
ولابن عدي في الكامل وابن حبان في الضعفاء والدارقطني في العلل وغرايب مالك
وآخرين كلهم عن ابن عمر مرفوعا من حج ولم يزرني فقد جفاني ولا يصح وعلى تقدير
ثبوته فليتامل قوله فقد جفاني فانه ظاهر في حرمة ترك الزيارة لان الجفا اذى والاذى
حرام بالاجماع فتجب الزيارة اذ ازالة الجفا واجبة وهي بالزيارة فالزيارة واجبة
حينئذ وبالجملة فمن تمكن من زيارته ولم يزره فقد جفاه وليس من حقه علينا ذلك
وعن حاطب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من زارني بعد موتي فكانما زارني في حياتي
ومن مات باحد الحرمين بعث من الآمنين رواه البيهقي عن رجل من آل حاطب لم يسمه
عن حاطب وعن عمر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
من زار قبري او قال من زارني كنت له شفيعا او شهيدا رواه البيهقي وغيره عن رجل
من آل عمر لم يسمه عن عمر وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من زارني محتسبا الى المدينة كان في جواري يوم القيمة رواه البيهقي ايضا قال العلامة
زين الدين بن الحسين المراغي وينبغي لكل مسلم اعتقاد كون زيارته صلى الله عليه
وسلم قربة للاحاديث الواردة في ذلك ولقوله تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاءوك
فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول الاية لان تعظيمه صلى الله عليه وسلم لا ينقطع
بموته ولا يقال ان استغفار الرسول لهم انما هو في حال حياته وليست الزيارة كذلك لما اجاب به
بعض ائمة المحققين ان الاية دلت على تعليق وجدان الله تعالى توابا رحيما بثلاثة امور المجي
واستغفارهم واستغفار الرسول لهم وقد حصل استغفار الرسول لجميع المؤمنين لانه
صلى الله عليه وسلم قد استغفر للجميع قال الله تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات
فاذا وجد مجيئهم واستغفارهم تكملت الامور الثلاثة الموجبة لتوبة الله تعالى ورحمته وقد
اجمع المسلمون على استحباب زيارة القبور كما حكاه النووي واوجبها الظاهرية فزيارته
صلى الله عليه وسلم مطلوبة بالعموم والخصوص لما سبق ولان زيارة القبور تعظيم وتعظيمه
صلى الله عليه وسلم واجب ولهذا قال بعض العلماء لا فرق في زيارته صلى الله عليه وسلم
بين الرجال والنساء وان كان محل الاجماع على استحباب زيارة القبور للرجال وفي النساء خلاف
الاشهر في مذهب الشافعي الكراهة قال ابن حبيب من المالكية ولا تدع زيارة قبره صلى الله
عليه وسلم والصلاة في مسجده فان فيه من الرغبة ما لا غنى بك ولا باحد عنه وينبغي لمن
نوى الزيارة ان ينوي مع ذلك زيارة مسجده الشريف والصلاة فيه لانه احد المساجد
الثلاث تفضل التي لا تشد الرحال الا اليها وهو افضلها عند مالك وليس لشد الرحال

الى غير المساجد الثلاثة فضل لان الشرع لم يجي به ولهذا الامر لا يدخله قياس ولان شرف البقعة
انما يعرف بالنص المنزع عليه وقد ورد النص في هذه دون غيرها وقد صح ان عمر بن عبد العزيز
كان يبرد البريد للسلام على النبي صلى الله عليه وسلم فالسفر اليها قربة لعموم الادلة ومن نذر
الزيارة وجبت عليه كما جزم به ابن كج من اصحابنا وعبارته اذا نذر زيارة قبر النبي صلى الله
عليه وسلم لزمه الوفا وجها واحدا انتهى ولو نذر اتيان المسجد الاقصى للصلاة لزمه ذلك
على الاصح عندنا وبه قال المالكية والحنابلة لكنه يخرج عنه بالصلاة في المسجد الحرام وصحح
النووي ايضا انه يخرج عنه بالصلاة في مسجد المدينة كما نص عليه الشافعي في البويطي
وبه قال الحنفية والحنابلة وللشيخ تقي الدين بن تيمية هنا كلام شنيع عجيب يتضمن منع شد الرحل
للزيارة النبوية المحمدية وانه ليس من القرب بل بضد ذلك ورد عليه الشيخ تقي الدين
في الشفا الغرام فشفا صدور المؤمنين وحكى الشيخ ولي الدين السبكي العراقي ان والده
كان معادلا للشيخ زين الدين عبد الرحمن بن رجب الدمشقي في التوجه الى بلد الخليل عليه
السلام فلما دنا من البلد قال نويت الصلاة في مسجد الخليل ليحترز عن شد الرحل
لزيارته على طريقة شيخ الحنابلة ابن تيمية قال فقلت نويت زيارة قبر الخليل عليه
السلام ثم قلت له اما انت فقد خالفت النبي صلى الله عليه وسلم لانه قال لا تشد
الرحال الا الى ثلثة مساجد وقد شددت الرحل الى مسجد رابع واما انا فاتبعت النبي
صلى الله عليه وسلم لانه قال زوروا القبور افقال الا قبور الانبياء قال فبهت وينبغي
لمن اراد الزيارة ان يكثر من الصلاة والتسليم عليه في طريقه فاذا وقع بصره على معالم
المدينة الشريفة فليزد الصلاة عليه والتسليم وليسال الله ان ينفعه بزيارته
ويسعده بها في الدارين وليغتسل وليلبس النظيف من ثيابه وليترجل ماشيا باكيا لما راى
وفد عبد القيس رسول الله صلى الله عليه وسلم القوا انفسهم عن رواحلهم ولم ينيخوها
وسارعوا اليه فلم ينكر ذلك عليهم صلوات الله وسلامه عليه وروينا ما ذكره القاضي عياض
في الشفا ان ابا الفضل الجوهري لما ورد المدينة زائرا وقرب من بيوتها ترجل ومشى باكيا
منشدا

ولما راينا رسم من لم يدع لنا ۞ فوادا لعرفان الرسوم ولا لبا
نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة ۞ لمن بان عنه ان نلم به ركبا

وانبئت ان العلامة ابا عبد الله بن رشيد قال لما قدمنا المدينة سنة اربع وثمانين
وستمائة كان معي رفيقي الوزير ابو عبد الله بن ابي القاسم بن الحكيم وكان ارمد فلما دخلنا
ذا الحليفة او نحوها نزلنا عن الاكوار وقوي الشوق لقرب المزار فنزل وبادر الى المشي على قدميه
احتسابا لتلك الآثار واعظاما لمن حل تلك الديار واحتق بالبنا وانشد لنفسه في معنى ذلك

ولما راينا من ربوع حبيبنا ۞ بيثرب اعلاما اثرن لنا الحبا
وبالترب منها اذ كحلنا جفوننا ۞ شفينا فلا باسا نخاف ولا كربا
وحين تبدى للعيون جمالها ۞ ومن بعدها عنا اديلت لنا قربا
نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة ۞ لمن حل فيها ان نلم به ركبا
نسح سجال الدمع في عرصاتها ۞ ونلثم من حب لواطيه التربا

وان تعابى دونه لحشارة ۞ ولوان كفي بملأ الشرق والغربا ۞
فيا عجبا من محب بزعمه ۞ يقيم مع الدعوى ويستعمل الكتبا ۞
وذلك مثلي لا تعدد كثرة ۞ وبعدي عن المختار اعظمها ذنبا ۞

ولما كنت واليا العقد الزيارة في ربيع الآخر سنة اثنين وتسعين وثمان مائة ولاح لنا عند الصباح جبل مفرح الارواح المبشر بقرب المزار من اشرف الديار ونسابق الزوار اليه وتناولوا الصعود عليه استعجالا لمشاهدة الاثار فبرقت لوامع الانوار النبويه وهبت عرف نسمات المعارف المحمديه فطبنا وحيينا اذ شهدنا اعلام خير البريه ۞

۞ الامع برق يغتدي ويروح ۞ ام النور من ارض الحجاز يلوح ۞
۞ وريح الصبا هبت بطيب عرفهم ۞ ام الروض في وجه الصباح يفوح ۞
۞ ترفق بنا يا حادي العيس والتفت ۞ فللنور بين الواديين وضوح ۞
۞ فما هذه الا دار محمد ۞ وذاك سناها يغتدي ويروح ۞
۞ ولاح للركب فلاح اشتياقهم ۞ فكل من الشوق الشديد يصيح ۞
۞ وانت مطايا الركب حتى كانها ۞ حمائم على قضب الاراك تنوح ۞
۞ وقد مدت الاعناق شوقا وطربا ۞ الى النور من تلك الديار يلوح ۞
۞ وات دا من تهوى خرا اشتياقها ۞ وبدمعها في الوجنتين سفوح ۞
۞ اذا العيس باحت بالغرام ولم تطق ۞ خفاء فما للصب للبين ينوح ۞

ولما قربنا من المدينة واعلامها وتدانينا من معاينة رباها الكريمة واكامها وانتشقنا عرف لطايف ازهارها وبدت لنواظرنا بوارق انوارها وترادفت واردات المنح والعطايا ونزل القوم عن المطايا فانشدت متمثلا ۞

۞ اتيتك زائرا ووددت اني ۞ جعلت سواد عيني امتطيه ۞
۞ ومالي لا اسير على الاماقي ۞ الى قبر رسول الله فيه ۞

ولما وقع بصري على القبر الشريف والمسجد المنيف فاضت من الفرح سوابق العبرات حتى اصابت بعض الترب والجدرات فقلت

۞ ايها المغرم المشوق هنيا ۞ ما انالوك من لذيذ التلاقي ۞
۞ قل لعينيك يهملان سرورا ۞ طال ما اسعداك يوم الفراق ۞
۞ واجمع الوجد والسرور ابتهاجا ۞ وجميع الاشجان والاشواق ۞
۞ وامر العين ان تفيض انهمالا ۞ وتوالي بدمعها المهراق ۞
۞ هذه دارهم وانت محب ۞ ما بقا الدموع في الاماق ۞
۞ فكان ما كان مما لست اذكره ۞ فظن خيرا ولا تسال عن الخبر ۞

ويستحب صلاة الركعتين قبل الزيارة تحية وهذا اذا لم يكن مروره من جهة وجهه الشريف عليه الصلاة والسلام فان كان استحب الزيارة قبل التحية قال في تحقيق النصرة وهو استدراك حسن قاله بعض شيوخنا وفي منسك ابن فرحون فان قلت المسجد انما

تشرف

تشرف باضافته اليه صلى الله عليه وسلم فينبغي البداءة بالوقوف عنده صلى الله عليه وسلم قلت قال ابن حبيب في اول كتاب الصلاة حدثني مطرف عن مالك عن يحيى بن سعيد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال قدمت من سفر فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلم عليه وهو بفناء المسجد فقال أدخلت المسجد فصليت فيه قلت لا قال فاذهب فادخل المسجد وصل فيه ثم ائت فسلم علي قال ورخص بعضهم في تقديم الزيارة على الصلاة وقال ابن الحاج وكل ذلك واسع ولعل هذا الحديث لم يبلغهم والله اعلم انتهى وينبغي للزائر ان يستحضر من الخشوع ما امكنه وليكن مقتصدا في سلامه بين الجهر والاسرار وفي البخاري ان عمر رضي الله تعالى عنه قال لرجلين من اهل الطايف لو كنتما من اهل البلد لاوجعتكما ضربا ترفعان اصواتكما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روي عن ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قال لا ينبغي رفع الصوت على نبي حيا ولا ميتا وروي عن عايشة رضي الله تعالى عنها انها كانت تسمع صوت الوتد يوتد والمسمار يضرب في بعض الدور المطيفة بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم فترسل اليهم لا تؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا وما عمل علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه مصاريع داره الا بالمناصع توقيا لذلك نقله ابن زبالة فيجب الادب معه كما في حياته وينبغي للزائر ان يتقدم الى القبر الشريف من جهة القبلة وان جاء من جهة رجلي الصحابة فهو ابلغ في الادب من الاتيان من جهة راسه الكريم ويستدبر القبلة ويستقبل وجهه صلى الله عليه وسلم بان يقابل المسمار الفضه المغروب في الرخام الذي في الجدار والاجدرة بالقنديل الكبير اليوم لان هناك علاقة قناديل وقد روي ان مالكا لما سأله ابو جعفر المنصور العباسي يا ابا عبد الله استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وادعو فقال له مالك ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة ابيك آدم عليه السلام الى الله عز وجل يوم القيمة وينبغي ان يقف عنده محاذيا له على اربع اذرع ويلازم الادب والخشوع والتواضع غاض البصر في مقام الهيبة كما كان يفعل بين يديه في حياته وليستحضر علمه بوقوفه بين يديه وسماعه لسلامه كما هو في حال حياته اذ لا فرق بين موته وحياته في مشاهدته لامته ومعرفته باحوالهم ونياتهم وعزايمهم وخواطرهم وذلك عنده جلي لا خفاء به فان قلت هذه الصفات مختصة بالله تعالى فالجواب ان من انتقل الى عالم البرزخ من المؤمنين يعلم احوال الاحياء غالبا وقد وقع كثير من ذلك كما هو مسطور في مظنة ذلك من الكتب وقد روى ابن المبارك عن سعيد بن المسيب ليس من يوم الا ويعرض على النبي صلى الله عليه وسلم اعمال امته غدوة وعشية فيعرفهم بسيماهم واعمالهم فلذلك يشهد عليهم ويمثل الزائر وجهه الكريم عليه الصلاة والسلام في ذهنه ويحضر قلبه جلال رتبته وعلو منزلته وعظيم حرمته وان اكابر الصحابة ما كانوا يخاطبونه الا كاخي السرار تعظيما لما عظم الله من شانه وقد روى ابن النجار ان امرأة سالت عايشة رضي الله تعالى عنها ان اكشفي لي عن قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكشفته فبكت حتى ماتت وحكي عن ابي الفضائل الحموي

بياض

الحموي أحد خدام الحجرة المقدسة أنه شاهد شخصًا من الزوار الشيوخ أتى باب
مقصورة الحجرة الشريفة فخطا طأطأ رأسه نحو العتبة فحركوه فإذا هو ميت وكان ممن
شهد جنازته ثم يقول الزائر بحضور قلب وغض طرف وصوت وسكون جوارح
وإطراق السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا نبي الله السلام عليك يا حبيب الله
السلام عليك يا خيرة الله السلام عليك يا صفوة الله السلام عليك يا سيد المرسلين
وخاتم النبيين السلام عليك يا قائد الغر المحجلين السلام عليك وعلى أهل بيتك الطيبين
الطاهرين السلام عليك وعلى أزواجك الطاهرات أمهات المؤمنين السلام عليك
وعلى أصحابك أجمعين السلام عليك وعلى سائر الأنبياء وسائر عباد الله الصالحين جزاك الله
يا رسول الله أفضل ما جزى نبيا ورسولا عن أمته وصلى الله عليك كلما ذكرك الذاكرون
وغفل عن ذكرك الغافلون أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك عبده ورسوله وأمينه
وخيرته من خلقه وأشهد أنك قد بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة وجاهدت
في الله حق جهاده ومن ضاق وقته عن ذلك أو عن حفظه فليقل ما تيسر منه أو ما
يحصل به الغرض وفي التحفة أن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما وغيره من السلف كانوا
يقتصرون ويوجزون في هذا جدا فعن مالك بن أنس إمام دار الهجرة وناهيك به خبرة
بهذا الشأن من رواية ابن وهب يقول السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته
وعن نافع عن ابن عمر أنه كان إذا قدم من سفر دخل المسجد ثم أتى القبر المقدس فقال
السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا أبا بكر السلام عليك يا أبتاه وينبغي أن يدعو
ولا يتكلف السجع فإنه قد يؤدي إلى الإخلال بالخشوع وقد حكى جماعة منهم الإمام أبو نصر
ابن الصباغ في الشامل الحكاية المشهورة عن العتبي واسمه محمد بن عبيد الله بن عمرو
ابن معوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان بن صخر بن حرب وتوفي في سنة ثمان وعشرين
ومائتين وذكرها ابن النجار وابن عساكر وابن الجوزي في مثير العزم الساكن عن محمد
ابن حرب الهلالي قال أتيت قبر النبي صلى الله عليه وسلم فزرته وجلست بحذائه فجاء
أعرابي فزاره ثم قال يا خير الرسل إن الله أنزل عليك كتابا صادقا قال فيه ولو أنهم
إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما
وقد جئتك مستغفرا من ذنبي مستشفعا بك إلى ربي وأنشأ يقول

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه ۞ فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه ۞ فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ووقف أعرابي على قبره الشريف وقال اللهم إنك أمرت بعتق العبيد وهذا حبيبك وأنا عبدك
فأعتقني من النار على قبر حبيبك فهتف به هاتف يا هذا تسأل العتق لك وحدك هلا سألت
لجميع الخلق اذهب فقد أعتقناك من النار وقال في المعنى

إن الملوك إذا شابت عبيدهم ۞ في رقهم أعتقوهم عتق أحرار
وأنت يا سيدي أولى بذا كرما ۞ قد شبت في الرق فأعتقني من النار

وعن الحسن البصري قال وقف حاتم الأصم على قبره صلى الله عليه وسلم فقال يا رب إنا زرنا

قبر

قبر نبيك فلا تردنا خائبين فنودي يا هذا ما أذنا لك في زيارة قبر حبيبنا إلا وقد قبلناك فارجع
أنت ومن معك من الزوار مغفورا لكم وقال ابن أبي فديك سمعت بعض من أدركت يقول
بلغنا أنه من وقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الآية إن الله وملائكته
يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا إلى آخر الآية وقال صلى الله عليك يا محمد حتى يقولها
سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان ولم تسقط له حاجة قال الشيخ زين الدين
المراغي وغيره والأولى أن ينادي يا رسول الله وإن كانت الرواية يا محمد انتهى وقد
علي ذلك مع مزيد بيان في كتاب لوامع الأنوار في الأدعية والأذكار فإن أوصاه أحد
بإبلاغ السلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم فليقل السلام عليك يا رسول الله من فلان
ثم ينتقل عن يمينه قدر ذراع فيسلم على أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه لأن رأسه
بحذاء منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما جزم به رزين وغيره وعليه الأكثر
فيقول السلام عليك يا خليفة سيد المرسلين السلام عليك يا من أيد الله به يوم
الردة الدين جزاك الله عن الإسلام والمسلمين خيرا اللهم ارض عنه وارض عنا به
ثم ينتقل عن يمينه قدر ذراع فيسلم على عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فيقول
السلام عليك يا أمير المؤمنين السلام عليك يا من أيد الله به الدين جزاك الله عن الإسلام
والمسلمين خيرا اللهم ارض عنه وارض عنا به ثم يرجع إلى موقفه الأول قبالة وجه
سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد السلام على سيدنا أبي بكر وعمر فيحمد الله
تعالى ويمجده ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويكثر الدعاء والتضرع ويجدد التوبة
في حضرته الكريمة ويسأل الله تعالى بجاهه أن يجعلها توبة نصوحا ويكثر من الصلاة
والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم بحضرته الشريفة حيث يسمعه ويرد
عليه وقد روى أبو داود من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه صلى الله عليه
وسلم قال ما من مسلم يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام وعند ابن
أبي شيبة من حديث أبي هريرة مرفوعا من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي
نائيا بلغته وعن سليمن بن سحيم ما ذكره القاضي عياض في الشفا قال رأيت النبي صلى الله
عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون عليك أتفقه سلامهم
قال نعم وأرد عليهم ولا شك أن حياة الأنبياء عليهم السلام ثابتة مستمرة معلومة ونبينا
صلى الله عليه وسلم أفضلهم وإذا كان كذلك فينبغي أن تكون حياته صلى الله عليه وسلم
أكمل وأتم من حياة سائرهم فإن قال سقيم الطبع وزيغ الفهم لو كانت حياته صلى الله
عليه وسلم مستمرة ثابتة لما كانت لرد روحه معنى كما قال إلا رد الله علي روحي
يجاب عن ذلك من وجوه أحدها أن هذا الكلام يثبوت وصف الحيوة دائما لثبوت
رد السلام دائما فوصف الحياة لازم لرد السلام اللازم واللازم يجب وجوده عند
ملزومه فوصف الحياة لازم لرد السلام اللازم ثابت دائما لأن ملزوم ملزومه ثابت
دائما وهذا من نفائس سحر البيان في إثبات المقصود بأكمل أنواع البلاغة وأجمل
فنون البراعة التي هي قطرة من بحار بلاغته العظمى ومنها أن ذلك عبارة عن إقبال

خاص وَالتفات روحاني يحصل من الحضرة الشريفة النبوية الى عالم الدنيا وقوالب الاجساد الترابية وتنزل الى دايرة البشرية حتى يحصل عند ذلك رد السلام وهذا الاقبال يكون عاما شاملا حتى لو كان المسلمون في كل لمحة اكثر من الف الف الف لوسعهم ذلك الاقبال النبوي والالتفات الروحاني ولقد رايت من ذلك ما لا استطيع ان اعبر عنه ولقد احسن من سيل كيف يرد النبي صلى الله عليه وسلم على من يسلم عليه في مشارق الارض ومغاربها في آن واحد فانشد قول ابي الطيب كالشمس في وسط السما ونورها يغشي البلاد مشارقا ومغاربا ولا ريب ان حاله صلى الله عليه وسلم في البرزخ افضل واكمل من حال الملايكة هذا سيدنا عزرايل عليه السلام يقبض مايه الف روح في وقت واحد ولا يشغله قبض عن قبض وهو مع ذلك مشغول بعبادة الله تعالى مقبل على التسبيح والتقديس فنبينا صلى الله عليه وسلم حي يصلي ويعبد ربه ويشاهده لا يزال في حضرة اقترابه متلذذا بسماع خطابه وقد تقدم الجواب عن قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون في اواخر الخصايص من المقصد الرابع وروى الدارمي عن سعيد بن عبد العزيز قال لما كان ايام الحرة لم يوذن في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبرح سعيد بن المسيب من المسجد فكان لا يعرف وقت الصلاة الا بهمهمة يسمعها من قبر النبي صلى الله عليه وسلم وذكره ابن النجار وابن زبالة بلفظ قال سعيد يعني ابن المسيب فلما حضرت الظهر سمعت الاذان في القبر فصليت ركعتين ثم سمعت الاقامة فصليت الظهر ثم مضى ذلك الاذان والاقامة في القبر المقدس لكل صلاة حتى مضت الثلاث ليال يعني ليالي ايام الحرة وقد روى البيهقي وغيره من حديث انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الانبيا احيا في قبورهم يصلون وفي رواية ان الانبيا لا يتركون في قبورهم بعد اربعين ليلة ولكنهم يصلون بين يدي الله حتى ينفخ في الصور وله شواهد في الصحيح منها قوله صلى الله عليه وسلم مررت بموسى وهو قايم يصلي في قبره وفي حديث ابي ذر في قصة المعراج انه لقي الانبيا في السموات وكلموه وكلمهم وقد ذكرت مزيد بيان لذلك في حجة الوداع من مقصد عباداته وفي ذكر الخصايص من الكريمة في مقصد معجزاته وفي مقصد الاسرا والمعراج وهذه الصلوات والحج الصادر من الانبيا ليس على سبيل التكليف انما هو على سبيل التلذذ ويحتمل ان يكونوا في البرزخ ينسحب عليهم حكم الدنيا في استكثارهم من الاعمال وزيادة الاجور من غير خطاب تكليف والله التوفيق واذا ثبت بنص الشهادة قوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون حياة الشهيد ثبت للنبي بطريق الاولى والذي عليه جمهور العلما ان الشهدا احيا حقيقة وهل ذلك للروح فقط او للجسد معها بمعنى عدم البلا فيه قولان وقد صح عن جابر ان اباه وعمرو بن الجموح وكانا ممن استشهد باحد ودفنا في قبر واحد حفر السيل قبرهما فوجدا لم يتغيرا وكان احدهما قد جرح فوضع يده على جرحه فدفن وهو كذلك فاميطت يده عن جرحه ثم ارسلت فرجعت كما كانت وكان بين ذلك وبين احد ستة واربعون سنة وروى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال في شهدا احد والذي نفسي بيده لا يسلم عليهم احد الى يوم القيامة الا ردوا عليه السلام رواه البيهقي عن ابي هريرة

وقد

وقد قال ابن شهاب بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اكثروا من الصلاة علي في الليلة الزهرا واليوم الازهر فانهما يوديان عنكم وان الارض لا تاكل اجساد الانبيا رواه ابو داود وابن ماجة ونقل ابن زبالة عن الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تاكل الارض لحم من كلمه روح القدس لم يوذن للارض ان تاكل من لحمه وقد ثبت ان نبينا صلى الله عليه وسلم مات شهيدا لاكله يوم خيبر من شاة مسمومة سما قاتلا من ساعته حتى مات منه بشر بن البرا وصار بقاوه صلى الله عليه وسلم معجزة فكان الم السم يتعاهده الى ان مات به ولذا قال في مرض موته كما مر ما زالت اكلة خيبر تعاودني حتى كان الان قطعت ابهري والابهر عرقان يخرجان من القلب يتشعب منهما الشرايين كما ذكره في الصحاح قال العلما فجمع الله له بذلك بين النبوة والشهادة انتهى وقد اختلف في محل الوقوف للدعا فعند الشافعية انه قبالة وجهه صلى الله عليه وسلم كما ذكرته وقال ابن فرحون من المالكية اختلف اصحابنا في محل الوقوف للدعا ففي الشفا قال مالك في رواية ابن وهب اذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم يقف للدعا ووجهه الى القبر الشريف لا الى القبلة وقد سال الخليفة المنصور مالكا فقال يا ابا عبد الله استقبل القبلة وادعو ام استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة ابيك آدم عليه السلام الى الله يوم القيامة وقال مالك في المبسوط لا ارى ان يقف عند القبر يدعو ولكن يسلم ويمضي قال ابن فرحون ولعل ذلك اختلاف قول وانما امر المنصور بذلك لانه يعلم ما يدعو ويعلم آداب الدعا بين يديه صلى الله عليه وسلم فامن عليه من سوء الادب فافتاه بذلك وافتى العامة ان يسلموا وينصرفوا لئلا يدعوا تلقا وجهه الكريم ويتوسلوا به في حضرته الى الله العظيم فيما لا ينبغي الدعا به او فيما يكره او يحرم فمقاصد الناس مختلفة واكثرهم لا يقوم باداب الدعا ولا يعرفها فلذلك امرهم مالك بالسلام والانصراف انتهى ورايت ما نسب للشيخ تقي الدين بن تيمية في منسكه ولا يدعو هناك مستقبل الحجرة ولا يصلي اليها ولا يقبلها لان هذا كله منهي عنه باتفاق الايمة ومالك من اعظم الايمة كراهية لذلك والحكاية المروية عنه انه امر المنصور ان يستقبل الحجرة وقت الدعا كذب على مالك كذا قال والله اعلم انتهى واما قول الابوصيري في بردة المديح

لا طيب يعدل تربا ضم اعظمه ... طوبى لمنتشق منه وملتثم

فقال شارحها العلامة ابن مرزوق وغيره لانه اشار الى النوعين المستعملين في الطيب لانه اما يستعمل بالشم واليه اشار بقوله لمنتشق واما بالتضمخ اشار بملتثم قال ولعل ذلك بتعفيره جبهته وانفه بتربتها للسجود في مسجده عليه السلام فليس المراد به تقبيل القبر الشريف فانه مكروه ونقل الزركشي عن السيرافي ان طوبى الطيب وكذا قال ابن مرزوق طوبى فعلى من الطيب وهذا مبني على ان المراد ان تربته افضل انواع الطيب باعتبار الحقيقة الحسية وذلك اما انه كذلك في نفس الامر ادركه من ادركه ام لا واما باعتبار اعتقاد المومنين في ذلك فان المومن لا يعدل بشم رايحة تربته عليه الصلاة والسلام شيا من الطيب فان قلت لو كان المراد الحقيقة الحسية لادرك ذلك كل احد

فالجواب لا يلزم من قيام المعنى بمحل ادراكه لكل احد بل حتى يوجد الشرط وتنتفي الموانع
وعدم الادراك لا يدل على عدم المدرك وانتفاء الدليل لا يدل على انتفاء المدلول فالمزكوم
لا يدرك رائحة المسك مع ان الرائحة قائمة بالمسك لم تنتف ولما كانت احوال القبر
من الامور الاخروية لا جرم ان لا يدركها من الاحياء الا من كشف الله له الغطاء من الاولياء
المقربين لان متاع الآخرة باق ومن في الدنيا فان والفاني لا يتمتع بالباقي للتضاد ولا ريب
عند من له ادنى تعلق بشريعة الاسلام ان قبره عليه الصلاة والسلام روضة من
رياض الجنة بل افضلها واذا كان القبر كما ذكرناه وقد حوى جسمه الشريف عليه الصلاة
والسلام الذي هو اطيب الطيب فلا مرية انه لا طيب يعدل تراب قبره المقدس ورحم الله
ابا العباس احمد بن محمد بن العريف حيث يقول في قصيدته التي اولها

اذا ما حدى الحادي باجمال يثرب * فليت المطايا فوق خدي تعنق

ثم قال بعد ابيات

راحت ركائبهم تهدي روائحها * طيبا فيا طيب ذاك الوفد اشباحا
نسيم قبر النبي المصطفى لهم * روح اذا نشروا من ذكره فاحا

وله ايضا

فاح الصعيد بجسمه فكأنه * روض تنفح بعرفه المتأرج
ما جسمه مما يغيره الثرى * والروح منه كالصباح الابلج

وقال ابن بطال في قوله عليه السلام المدينة تنصع طيبها هو مثل ضربه للمؤمن
الساكن فيها الصابر على لأوائها مع فراق الاهل والتزام المخافة من العدو فلما باع
نفسه من الله والتزم هذا الامر بان صدقه ونصع ايمانه وقوي لاغتباطه بسكنى
المدينة وبقربه من رسول الله كما ينصع ريح الطيب فيها ويزيد عبقا على سائر البلاد
خصوصية خص الله بها بلدة رسوله عليه الصلاة والسلام التي اختار تربتها
لمباشرة جسده الطيب المطهر وقد جاء في الحديث ان المؤمن يقبر في التربة التي
خلق منها فكانت بهذا تربة المدينة افضل الترب كما انه هو عليه السلام افضل البشر
فلهذا والله اعلم بتضاعف ريح الطيب فيها على سائر البلدان انتهى وينبغي للزائر ان يكثر
من الدعاء والتضرع والاستغاثة والتشفع والتوسل به صلى الله عليه وسلم فجدير
بمن استشفع به ان يشفعه الله واعلم ان الاستغاثة هي طلب الغوث فالمستغيث
يطلب من المستغاث به ان يحصل له الغوث منه فلا فرق بين ان يعبر بلفظ الاستغاثة
او التوسل او التشفع او التجوه او التوجه لانهما من الجاه والوجاهة ومعناه علو القدر
والمنزلة وقد يتوسل بصاحب الجاه الى من هو اعلى منه ثم ان كلا من الاستغاثة والتوسل
والتشفع والتوجه بالنبي صلى الله عليه وسلم كما ذكره في تحقيق النصرة ومصباح الظلام
واقع في كل حال قبل خلقه وبعد خلقه في مدة حياته في الدنيا وبعد موته في مدة البرزخ
وبعد البعث في عرصات القيامة فاما الحالة الاولى فحسبك ما قدمته في المقصد الاول
من استشفاع آدم عليه السلام به لما اخرج من الجنة وقول الله تعالى له يا آدم لو استشفعت

الينا

الينا بمحمد في اهل السموات والارض لشفعناك وفي حديث عمر بن الخطاب رضي الله تعالى
عنه عند الحاكم والبيهقي وغيرهما واذا سألتني بحقه فقد غفرت لك ويرحم الله ابن جابر
حيث قال ونجى في بطن السفينة نوح * وما ضرت النار الخليل لنوره
ومن اجله نال الفداء ذبيح * وأما التوسل به بعد خلقه في مدة حياته فمن ذلك
الاستغاثة به عليه الصلاة والسلام عند القحط وعدم الامطار وكذلك الاستغاثة
من الجوع ونحو ذلك مما ذكرته في مقصد المعجزات ومقصد العبادات في الاستسقاء
ومن ذلك استغاثة ذوي العاهات به وحسبك ما رواه النسائي والترمذي
عن عثمان بن حنيف ان رجلا ضريرا اتاه صلى الله عليه وسلم فقال ادع الله ان يعافيني
قال فأمره ان يتوضأ ويحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء اللهم اني اسألك واتوجه
اليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد اني اتوجه بك الى ربك في حاجتي لتقضى اللهم
شفعه في وصححه البيهقي وزاد فقام وقد ابصر وأما التوسل به صلى الله عليه
وسلم بعد موته في البرزخ فهو اكثر من ان يحصى او يدرك باستقصاء وفي كتاب
مصباح الظلام في المستغيثين بخير الانام للشيخ ابي عبد الله بن النعمان طرف
من ذلك ولقد كان حصل لي داء اعيى دواؤه الاطباء واقمت به سنين فاستغثت به
صلى الله عليه وسلم ليلة الثامن والعشرين من جمادى الاولى سنة ثلاث وتسعين
وثمانمائة بمكة زادها الله شرفا ومن علي بالعود اليها في عافية بلا محنة فبينا انا
نائم اذ جاء رجل معه قرطاس يكتب فيه هذا دواء لداء احمد بن القسطلاني من الحضرة
الشريفة بعد الاذن الشريف النبوي ثم استيقظت فلم اجد بي والله شيئا مما كنت
اجده وحصل الشفاء ببركة النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم ووقع لي ايضا
في سنة خمس وثمانين وثمانمائة في طريق مكة بعد رجوعي من الزيارة الشريفة
النبوية لقصد مصر ان صرعت خادمتنا غزال الحبشية واستمر بها اياما فاستشفعت
به صلى الله عليه وسلم في ذلك فأتاني آت في منامي ومعه الجني الصارع لها فقال
قد ارسله لك النبي صلى الله عليه وسلم فعاتبته وحلفته ان لا يعود اليها ثم
استيقظت وليس بها قلبة كأنما نشطت من عقال ولا زالت في عافية من ذلك حتى
فارقتها بمكة سنة اربع وتسعين وثمانمائة فالحمد لله رب العالمين وأما التوسل
به صلى الله عليه وسلم في عرصات القيامة فمما قام عليه الاجماع وتواترت به الاخبار
في حديث الشفاعة فعليك ايها الطالب ادراك السعادة والمؤمل لحسن الحال
في حضرة الغيب والشهادة بالتعلق باذيال عطفه وكرمه والتطفل على موائد نعمه
والتوسل بجاهه الشريف والتشفع بقدره المنيف فهو الوسيلة الى نيل المعالي
واقتناص المرام والمفزع يوم الجزع والهلع لكافة الرسل الكرام واجعله امامك
فيما نزل بك من النوازل وامامك فيما تحاوله من القرب والمنازل فانك تظفر من المراد
باقصاه وتدرك رضى من احاط بكل شيء علما واحصاه واجتهد ما دمت بطيبة الطيبة
حييت في تحصيل انواع القربات ولازم قرع ابواب السعادات باظافير الطلبات

وارق في مدارج العبام انه ٭ فلج في سراد في المراد انه ٭

٭ تمنعت ان ظفرت بنيل قرب ٭ وحصل ما استطعت من الادخار ٭

٭ فيا نا فدا بحث لكم خطاي ٭ ويا قد صرت عندي في جواري ٭

٭ فخذ ما سبت من كرم وجود ٭ وذل ما رمت من نعم غزاري ٭

٭ فقد وسعت ابواب التداني ٭ وقد قربت للزوار داري ٭

٭ فمتع ناظريك فما جمالي ٭ تجلي للقلوب بلا استتار ٭

ولازم الصلوات مكتوبة ونافلة في مسجده المكرم خصوصا بالروضة التي ثبت انها روضة من رياض الجنة كما رواه البخاري قال ابن ابي جمرة معناه تنقل تلك البقعة بعينها في الجنة فتكون روضة من رياض الجنة ويحتمل ان يكون المراد ان العمل فيها يوجب لصاحبه روضة في الجنة قال والاظهر الجمع بين الوجهين معا لعني احتمال كونها تنقل الي الجنة وكون العمل فيها يوجب لصاحبه روضة في الجنة قال ولكل وجه منهما دليل يعضده ويقويه من جهة النظر والقياس اما الدليل علي ان العمل فيها يوجب روضة في الجنة فلانه اذا كانت الصلاة في مسجده عليه الصلاة والسلام بالف فيما سواه من المساجد فلهذه البقعة زيادة علي باقي البقع كما كان للمسجد زيادة علي غيره واما الدليل علي كونها بعينها في الجنة وكون المنبر ايضا علي الحوض كما اخبر عليه الصلاة والسلام وان الجذع في الجنة والجذع في البقعة نفسها فما العلة التي اوجبت للجذع الجنة حتي في البقعة سواء علي ما اذكره بعد ان شاء الله تعالي والذي اخبر بهذا الحديث فينبغي الحمل علي اكمل الوجوه وهو الجمع بينهما لانه قد تقرر من قواعد الشرع ان البقع المباركة ما فايدة بركتها لنا والاخبار بها لنا الا لتعمرها بالطاعات فان الثواب فيها اكثر وكذلك الايام المباركة ايضا فعلي هذا فيكون الموضع روضة من رياض الجنة الآن ويعود روضة كما كان في موضعه ويكون للعامل بالعمل فيه روضة في الجنة وهو الاظهر لوجهين احدهما لعلو منزلته عليه الصلاة والسلام ولما خص الخليل عليه السلام بالحجر من الجنة خص الحبيب عليه الصلاة والسلام بالروضة من الجنة وهنا بحث لم جعلت هذه البقعة من بين سائر البقع روضة من رياض الجنة فان قلنا تعبد فلا بحث وان قلنا لحكمة فحينئذ يحتاج الي البحث والاظهر انها الحكمة وهي انه قد سبق في العلم الرباني بما ظهران الله تعالي فضله علي جميع خلقه وان كل مكان منه بالنسبة ما من جميع المخلوقات يكون له تفضيل علي جنسه كما استقريء في كل اموره من بدء ظهوره عليه الصلاة والسلام الي حين وفاته في الجاهلية والاسلام فمنها ما لا ذكر من شان امه وما نالها من الخير مع الجاهلية الجهلا حسبما هو مذكور معلوم ومثل ذلك حليمة السعدية وحتي الاتان وحتي الشقة التي تحمل الاتان بدءا علها تحفظ من جيبها وما هو من ذلك كله معلوم وكان مشيه عليه الصلاة والسلام حيث ما مشي ظهرت البركات مع ذلك كله ووضع عليه الصلاة والسلام يده المباركة ظهر في ذلك كله من الخيرات والبركات حسا ومعني كما هو منقول ومعروف ولما ثبتت القدرة انه عليه الصلاة والسلام لابد له

من بيت ولابد له من منبر وانه بالضرورة يكثر تردده عليه الصلاة والسلام بين المنبر والبيت فالحرمة التي اعطي اذا كان من مشية واحدة بمباشرة او بواسطة حيوان او غيره تظهر البركة والخير فكيف مع كثرة تردده عليه الصلاة والسلام في البقعة الواحدة مرارا في اليوم الواحد طول عمره من وقت هجرته الي حين وفاته فلم يبق لها من الترفيع بالنسبة الي عالمها اعلي مما اعطيناه وهو انها كانت من الجنة وتعود اليها ويجعل منها للعامل فيها مثلها فلو كانت مرتبة يمكن ان تكون ارفع من هذه في هذه الدار لكانت لهذه اعلي مرتبة مما ذكرنا في جنسها فان اخبر صحيح لا فهم له بان يقول ينبغي ان يكون ذلك للمدينة بكمالها لانه عليه الصلاة والسلام كان يطاها بقدمه مرارا فالجواب انه قد حصل للمدينة تفضيل لم يحصل لغيرها من ذلك ان ترابها شفا كما اخبر عليه الصلاة والسلام مع ما شاركت فيه البقعة المكرمة من منعها الدجال وتلك الفتن العظام وانه صلي الله عليه وسلم اول ما يشفع لاهلها يوم القيمة وان ما كان بها من الوباء والحمي رفع عنها وانه بورك في طعامها وشرابها واشيا كثيرة فكان التفضيل لها بالنسبة ما اشرنا اليه اولا بان تردده عليه الصلاة والسلام في المسجد نفسه اكثر مما في المدينة نفسها وتردده عليه الصلاة والسلام فيما بين البيت والمنبر اكثر ما سواه من سائر المسجد فالبحث ناكل بالاعتراض لانه جاءت البركة متناسبة لتكرار تلك الخطوات المباركة والقرب من تلك النسمة المرفعة لا خفا فيه الا علي ملحد اعمي البصيرة فالمدينة ارفع المدن والمسجد ارفع المساجد والبقعة ارفع البقع قضية معلومة وحجة ظاهرة موجودة انتهي وقال الخطابي المراد من هذا الحديث الترغيب في سكني المدينة وان من لازم ذكر الله في مسجدها آل به الي روضة الجنة ويسقي يوم القيمة من الحوض النبي وتقدم في الخصايص من مقصد المعجزات مزيد لذلك وعند مسلم من حديث ابن عمر رضي الله تعالي عنهما ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال صلاة في مسجدي هذا افضل من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام وقد اختلف العلما في المراد بهذا الاستثنا علي حسب اختلافهم في مكة والمدينة ايهما افضل ومذهب سفيان بن عيينة والشافعي واحمد في اصح الروايتين عنه وابن وهب ومطرف وابن حبيب الثلاثة من المالكية وحكاه الساجي عن عطا بن ابي رباح والمكيين والكوفيين وحكاه ابن عبد البر عن عمر وعلي وابن مسعود وابي الدردا وجابر وابن الزبير وقتادة وجماهير العلما ان مكة افضل من المدينة وان مسجد مكة افضل من مسجد المدينة لان الامكنة تشرف بفضل العبادة فيها علي غيرها مما تكون العبادة فيها مرجوحة وقد حكي ابن عبد البر انه روي عن مالك ما يدل علي ان مكة افضل الارض كلها قال ولكن المشهور عن اصحابه في مذهبه تفضيل المدينة انتهي وقال مالك المدينة ومسجدها افضل ومما احتج به اصحابنا لتفضيل مكة حديث عبد الله بن الحمرا انه سمع رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو واقف علي الحزورة يقول والله انك لخير ارض الله واحب ارض الله الي الله ولولا اني اخرجت منك ما خرجت قال الترمذي حسن صحيح وقال ابن عبد البر هذا اصح الاثار عنه صلي الله عليه وسلم قال وهذا قاطع في محل

الخلاف انتهى فعند الشافعي والجمهور ومعناه الا المسجد الحرام فان الصلاة فيه افضل من الصلاة
في مسجدي وعند مالك وموافقيه الا المسجد الحرام فان الصلاة في مسجدي تفضله بدون الالف
وعن عبد الله بن الزبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة في مسجدي هذا افضل
من الف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام وصلاة في المسجد الحرام افضل من مائة
مائة صلاة في هذا رواه احمد وابن خزيمة وابن حبان في صحيحه وزاد يعني في المدينة والبزار
ولفظه صلاة في مسجدي هذا افضل من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام فانه يزيد عليه
مائة قال المنذري واسناده صحيح ومما يستدل به المالكية ما ذكره ابن حبيب في الواضحة
انه صلى الله عليه وسلم قال صلاة في مسجدي كالف صلاة فيما سواه وجمعة في مسجدي
كالف جمعة فيما سواه ورمضان في مسجدي كالف رمضان فيما سواه وهذا مذهب عمر بن الخطاب
رضي الله تعالى عنه وبعض الصحابة واكثر المدنيين كما قاله القاضي عياض ان المدينة افضل
وهو احد الروايتين عن احمد **واجمعوا** على ان الموضع الذي ضم اعضاءه الشريفة صلى الله
عليه وسلم افضل بقاع الارض حتى موضع الكعبة كما قاله ابن عساكر والباجي والقاضي عياض
بل نقل التاج السبكي كما ذكره السيد السمهودي في فضائل المدينة عن ابن عقيل الحنبلي
انها افضل من العرش وصرح الفاكهاني بتفضيلها على السموات ولفظه واقول انا
وافضل من بقاع السموات ايضا قال ولم ار من تعرض لذلك والذي اعتقده لو ان ذلك
عرض على علماء الامة لم يختلفوا فيه وقد جاء ان السموات شرفت بموطئ قدميه بل لو قال قائل
ان جميع بقاع الارض افضل من جميع بقاع السماء لشرفها بكونه صلى الله عليه وسلم حالا فيها
لم يبعد بل هو عندي الظاهر المتعين انتهى **وحكاه** بعضهم عن الاكثرين لخلق الانبياء منها
ودفنهم فيها لكن قال النووي ان الجمهور على تفضيل السماء على الارض اي ما عدا ما ضم الاعضاء
الشريفة **وقد** استشكل ما ذكر من الاجماع على افضلية ما ضم اعضاءه الشريفة على جميع
بقاع الارض **ويؤيده** ما قاله الشيخ عز الدين بن عبد السلام في تفضيل بعض الاماكن
على بعض من ان الاماكن والازمان كلها متساوية وتفضلان بما يقع فيها لا بصفات قائمة بها قال
ويرجع تفضيلها الى ما ينيل العباد فيها من فضله وكرمه والتفضيل الذي فيها ان الله
تعالى يجود على عباده بتفضيل اجر العاملين فيها انتهى ملخصا **لكن** تعقبه الشيخ تقي الدين
السبكي بما حاصله ان الذي قاله لا ينفي ان يكون التفضيل لامر آخر فيها وان لم يكن عمل
لان قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تتنزل عليه الرحمة والرضوان والملائكة وله
عند الله من المحبة ولساكنه ما تقصر العقول عن ادراكه وليس ذلك لمكان غيره فكيف
لا يكون افضل وليس محل عمل لنا لانه ليس مسجدا ولا له حكم المسجد بل هو مستحق للنبي
صلى الله عليه وسلم والمضاعفة تكون لاعمال مضاعفة فيه باعتبار ان النبي صلى الله عليه وسلم
حي كما تقرر وان اعماله مضاعفة اكثر من كل احد فلا يختص التضعيف باعمالنا نحن قال ومن فهم
هذا شرح صدره لما قاله القاضي من تفضيل ما ضم اعضاءه الشريفة صلى الله عليه وسلم
باعتبارين احدهما ما قيل ان كل احد يدفن في الموضع الذي خلق منه والثاني تنزل الرحمة
والبركات عليه واقبال الله تعالى ولا نسلم ان الفضل للمكان لذاته لكن لاجل من حل فيه

صلى الله

صلى الله عليه وسلم انتهى وقد روى ابو يعلى عن ابي بكر رضي الله تعالى عنه انه قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول لا يقبض النبي الا في احب الامكنة اليه ولا شك ان احبها اليه احبها الى ربه
تعالى لان حبه تابع لحب ربه جل وعلا وما كان احب الى الله ورسوله كيف لا يكون افضل وقد قال
عليه الصلاة والسلام اللهم ان ابراهيم دعا لمكة واني ادعوك للمدينة بمثل ما دعاك ابراهيم
لمكة ومثله معه ولا ريب ان دعاء النبي صلى الله عليه وسلم افضل من دعاء ابراهيم لان فضل الدعاء
على قدر فضل الداعي وصح انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم حبب الينا المدينة كحبنا
مكة او اشد وفي رواية بل اشد وقد اجيبت دعوته حتى كان يحرك دابته اذا رآها من حبها
وروى الحاكم انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم انك اخرجتني من احب البقاع الي فاسكني
في احب البقاع اليك اي في موضع نصرته كذلك فصحح فيه الحاكم قيل ضعفه ابن عبد البر
وسلمت صحته فالمراد احب اليك بعد مكة لحديث ان مكة خير بلاد الله وفي رواية احب ارض الله
الى الله ولزيادة التضعيف بمسجد مكة **وتعقبه** العلامة السيد السمهودي بمنافاة ما ذكر لما يقتضي
صرفه عن ظاهره اذ المقصود به الدعاء لدار هجرته بان يصيرها الله كذلك وحديث ان مكة خير
بلاد الله محمول على ما قبل الهجرة قبل ثبوت الفضل للمدينة واظهار الدين وافتتاح البلاد منها
حتى مكة فقد نالها وانال بها ما لم يكن لغيرها من البلاد فظهرت اجابة دعوته وصيرورتها احب
مطلقا بعد ولهذا افترض الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم الاقامة بها وحث هو صلى الله
عليه وسلم على الاقتداء به في سكناها والموت بها فكيف لا تكون افضل قال واما مزيد
المضاعفة فاسباب التفضيل لا تنحصر في ذلك فالصلوات الخمس بمنى للمتوجه لعرفة
افضل منها بمسجد مكة وان انتفت عنها المضاعفة اذ في الاتباع ما يربو عليها ومذهبنا
شمول المضاعفة للنفل مع تفضيله ولهذا قال عمر رضي الله تعالى عنه بمزيد المضاعفة
لمسجد مكة مع قوله بتفضيل المدينة ولم يجب من اخذ بقوله بمزيد المضاعفة تفضيل
مكة او غايته ان للمفضول مزية ليست للفاضل مع ان دعاءه صلى الله عليه وسلم بمزيد
تضعيف البركة بالمدينة على مكة شامل للامور الدينية ايضا وقد تبارك في العدد القليل
فيربو نفعه على الكثير ولهذا استدل به على التفضيل للمدينة وان ارتضي حديث المضاعفة
الكعبة فقط فالجواب ان الكلام فيما عداها فلا يرد ما جاء في فضلها ولا ما بمكة من مواضع
النسك لتعلقه بها ولذا قال عمر رضي الله تعالى عنه لعبد الله المخزومي انت القائل لمكة
خير من المدينة فقال عبد الله هي حرم الله وامنه وفيها بيته فقال عمر لا اقول في حرم الله
وبيته شيئا ثم كرر عمر قوله الاول فاعاد جوابه واعاد لا اقول في حرم الله وبيته شيئا فاشير
الى عبد الله فانصرف وقد عوضت المدينة من العمرة ما صح في اتيان مسجد قباء وعن الحج
ما جاء في فضل الزيارة والمسجد والاقامة بعد النبوة بالمدينة وان كانت اقل من مكة
على القول به فقد كانت سببا لاعزاز الدين واظهاره ونزول اكثر الفرائض واكمال
الدين حتى كثر تردد جبريل عليه السلام بها ثم استقر بها صلى الله عليه وسلم الى قيام
الساعة ولهذا قيل لمالك ايما احب اليك المقام هنا يعني المدينة او بمكة فقال ههنا
وكيف لا اختار المدينة وما طريق الا سلك عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل

ينزل عليه من عند رب العالمين في اقل من ساعة وروى الطبراني حديث المدينة خير
من مكة وفي رواية للجندي افضل من مكة وفيه محمد بن عبد الرحمن الرداد ذكره ابن
حبان في الثقات وقال كان يخطئ وقال ابو زرعة لين وقال ابن عدي رواياته ليست
محفوظة وقال ابو حاتم ليس بقوي وفي الصحيحين عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم امرت بقرية تاكل القرى يقولون يثرب وهي المدينة تنفي الناس
كما ينفي الكير خبث الحديد اي امرني الله بالهجرة اليها ان كان قاله عليه الصلاة والسلام
بمكة او بسكناها ان قاله بالمدينة وقال القاضي عبد الوهاب لا معنى لقوله
تاكل القرى الا رجوح فضلها عليها وزيادتها على غيرها وقال ابن المنير يحتمل
ان يكون المراد بذلك غلبة فضلها على فضل غيرها اي ان الفضائل تضمحل في جنب
عظيم فضلها حتى تكون عدما وهذا ابلغ من تسمية مكة ام القرى لان الامومة
لا ينمحي معها ما هي له ام لكن يكون لها حق الامومة انتهى ويحتمل ان يكون المراد غلبة
اهلها على القرى والاقرب حمله عليهما اذ هو ابلغ في الغرض المسوق له انتهى
ما قاله السيد السمهودي وقد اطلق في الاحتجاج لتفضيل المدينة على مكة وان
كان مذهب امامنا الشافعي رحمه الله تعالى تفضيل مكة لان هوى كل نفس اين حل
حبيبها ٭ علي لربع العامرية وقفة ٭ ليملي علي الشوق والدمع كاتب ٭
٭ ومن مذهبي حب الديار لاهلها ٭ وللناس فيما يعشقون مذاهب ٭
على ان للتكلم في ارجحية تفضيل المدينة مجالا واسعا ومقالا جامعا ٭ لكن الرغبة في الاختصار
تطوي الطرف ببساطه ٭ والرهبة من الاكثار تصدف عن تطويله وافراطه ٭ وقد
استنبط العارف ابن ابي جمرة من قوله عليه الصلاة والسلام المروي في البخاري
ليس من بلد الا سيطؤه الدجال الا مكة والمدينة التساوي بين فضل مكة والمدينة
قال وظاهر هذا الحديث يعطي التسوية بينهما في الفضل لان جميع الارض يطؤها الدجال
الا هذين البلدين فدل على تسويتهما في الفضل قال ويؤكد كذلك ايضا من وجوه النظر
لانه ان كانت خصت المدينة بمدفنه عليه الصلاة والسلام واقامته بها ومسجده فقد
خصت مكة بمسقطه عليه الصلاة والسلام ومبعثه منها وهي قبلته فمطلع شمس ذاته
المباركة مكة ومغربها المدينة واقامته بعد النبوة على المشهور من الاقاويل بمكة
مثل اقامته عليه الصلاة والسلام بالمدينة عشر سنين كل واحدة منها كذا قال
وانت اذا تاملت قوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه مسلم من حديث سعيد
ياتي على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه وقريبه هلم الى الرخاء والمدينة خير لهم
لو كانوا يعلمون والذي نفسي بيده لا يخرج احد رغبة عنها الا اخلف الله فيها خيرا
منه ظهر لك ان فيه اشعارا بذم الخروج من المدينة بل نقل الشيخ محب الدين
الطبري عن قوم ان هذا عام ابدا مطلقا وقال انه ظاهر اللفظ وفي صحيح مسلم من حديث
ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يصبر على لاواء المدينة
وشدتها احد من امتي الا كنت له شفيعا او شهيدا يوم القيامة وفيه عن سعيد

مولى

مولى المهري انه جاء الى ابي سعيد الخدري ليالي الحرة فاستشاره في الجلاء من المدينة
وشكى اليه اسعارها وكثرة عياله واخبره انه لا صبر له على جهد المدينة ولاوائها فقال
ويحك لا امرك بذلك اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يصبر احد على
لاوائها الا كنت له شفيعا او شهيدا يوم القيمة واللاوا بالمد الشدة والجوع وأو في قوله
الا كنت له شفيعا او شهيدا الاظهر انها ليست للشك لان هذا الحديث رواه جابر
ابن عبد الله وسعد بن ابي وقاص وابن عمر وابو سعيد وابو هريرة واسما بنت عميس
وصفية بنت ابي عبيد عنه صلى الله عليه وسلم بهذا اللفظ ويبعد اتفاق جميعهم او رواتهم
على الشك وتطابقهم فيه على صيغة واحدة بل الاظهر انه قاله عليه الصلاة والسلام ويكون
او للتقسيم ويكون شهيدا لبعض اهل المدينة وشفيعا لباقيهم اما شفيعا للعاصين وشهيدا
للمطيعين واما شهيدا لمن مات في حياته وشفيعا لمن مات بعده او غير ذلك وهذه
خصوصية زائدة على الشفاعة للمذنبين او للعالمين في القيمة وعلى شهادته
على جميع الامم فيكون لتخصيصهم بهذا كله علو مرتبته وزيادة منزلة وحظوة واذا قلنا
او للشك فان كانت اللفظة الصحيحة شهيدا اندفع الاعتراض لانها زائدة على الشفاعة
المدخرة لغيرهم وان كانت اللفظة الصحيحة شفيعا فاختصاص اهل المدينة بهذا
مع ما جاء من عمومها وادخارها لجميع الامة ان هذه شفاعة اخرى غير العامة ويكون هذه
الشفاعة لاهل المدينة بزيادة الدرجات او تخفيف الحساب او بما شاء الله من ذلك او بالاكرام
يوم القيمة بانواع الكرامات لكونهم على منابر او في ظل العرش او الاسراع بهم الى الجنة
او غير ذلك من خصوص الكرامات كيف لا يتحمل المشقات من يحب ان يقتنع (?) بتبشير
اهل الارض والسموات ونيل ما وعده به من جزيل المثوبات ٭ وجسيم الهبات ٭ وانجاز
وعد الصادق له بشفاعته وشهادته وبلوغ قصده في الحيات والممات ٭ وكم عسى تكون
شدة المدينة ولاواها الى متى تستمر مشقتها ولأواها ٭ لو تاملت باعث الوجد في البلاد
ما هو في الشدة وشظف العيش مثلها او اشق منها واهلها مقيمون فيها وربما يوجد فيهم
من هو قادر على الانتقال فلا ينتقل ٭ وقوي على الراحلة فلا يرتحل ٭ ويؤثر وطنه مع امكان
الارتحال ٭ والقدرة على الانتقال ٭ على ان المدينة مع شظف العيش بها في غالب الاحيان
قد وسع الله فيها على بعض السكان ٭ حتى ان من اصحابنا من هو من اهلها ممن استوطنها وحسن
حاله ٭ وتنعم بها باله ٭ دون سائر البلدان ٭ فان من الله على المرء بمثل ذلك هنالك والا
فالصبر للمؤمن اولى فمن وفقه الله تعالى صبره في اقامته بها ولو على احر من الجمر فيتجرع
مرارة غصتها ليجتلي عروس منصتها ٭ وليجتني ثمرات لاوائها ليرقى بذلك من مصائب الدنيا
وبلائها ٭ وقد روى البخاري من حديث ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان الايمان ليأرز الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها اي ينقبض وينضم
ويلتجي مع انها اصل في انتشاره فكل مؤمن له من نفسه سائق اليها في جميع الازمان لحبه
في ساكنها صلى الله عليه وسلم فاكرم بسكانها ولو فضل في بعضهم ما قيل فقد حظوا بشرف المجاورة
بهذا الحبيب الجليل ٭ وقد ثبت لهم حق الجوار وان عظمت اساءتهم فلا يسلب عنهم اسم الجار

الشظف محركة الضيق والشدة ويبس العيش ق

وقد تقدم عليه الصلاة والسلام في قوله ما زال جبريل يوصيني بالجار فلم يخص جارا دون جار ويحمل ما احتج به بعض من رمي بعض عوامهم لتشبيه بالابتداع وترك الاتباع فانه اذا ثبت ذلك في شخص منهم فلا يترك اكرامه ولا ينقص احترامه فانه اذا ثبت ذلك لا يخرج عن حكم الجار ولو جار ولا يزول عنه شرف مساكنته في الدار كيف ما كان بل يرجى له ان يختم له بالحسنى ومنح بهذا القرب الحوري قرب المعنى

فيا ساكني اكناف طيبة كلكم ۞ الى القلب من اجل الحبيب حبيب

ولله در ابن جابر حيث قال

هنيئا لكم يا اهل طيبة قد حقا ۞ فبالقرب من خير الورى حزتم السبقا
فلا يتحرك ساكن منكم الى ۞ سواها وان جار الزمان ولو شقا
وكم ملك رام الوصول لمثل ما ۞ وصلتم فلم يقدر ولو ملك الخلقا
فبشراكم نلتم عناية ربكم ۞ فها انتم في بحر نعمته غرقا
تزورون رسول الله في كل ساعة ۞ ومن زاره فهو السعيد به حقا
متى جئتم لا يغلق الباب دونكم ۞ وباب ذوي الاحسان لا يقبل الغلقا
فتستمع شكواكم ويكشف ضركم ۞ ولا يمنع الاحسان حرا ولا رقا
بطيبة مثواكم واكرم مرسل ۞ يلاحظكم فالدهر يجري لكم وفقا
وكم نعمة لله فيها عليكم ۞ فشكرا ونعم الله بالشكر تستبقى
امنتم من الدجال فيها وحولها ۞ ملائكة يحمون من دونها الطرقا
كذا آمن الطاعون انتم بامن ۞ وجه الليالي لا يزال لكم طلقا
فلا تنظروا الا لوجه حبيبكم ۞ وان جاءت الدنيا ومرت فلا فرقا
حياة وموتا تحت رحماه انتم ۞ وحشرا فستر الجاه فوقكم ملقى
فيا راحلا عنها لدنيا تريدها ۞ اتطلب ما يفنى وتترك ما يبقى
اتخرج عن حوز النبي وحرزه ۞ الى غيره تسعى به مثلك قد حقا
لئن سرت تبغي من كريم اعانة ۞ فاكرم من خير البرية ما تلقى
هو الرزق مقسوم فليس بزائد ۞ ولو سرت حتى كدت تخترق الافقا
فكم قاعد قد وسع الله رزقه ۞ ومرتحل قد ضاق بين الورى رزقا
فنفسك في حمى خير الانام ومن به ۞ اذا كنت في الدارين تطلب ان ترقى
اذا قمت فيما بين قبر ومنبر ۞ بطيبة فاعرف اين منزلك الارقى
لقد اسعد الرحمن جار نبيه ۞ ومن جار في ترحاله فهو لا يشقى

وقد روى الترمذي وابن ماجة وابن حبان في صحيحه من حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت بها فاني اشفع لمن يموت بها ورواه الطبراني في الكبير من حديث سبيعة الاسلمية وفي البخاري من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل المدينة المسيح الدجال ولا الطاعون وفيه عن ابي بكرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه

وسلم

وسلم قال لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال لها يومئذ سبعة ابواب على كل باب ملكان قال في فتح الباري وقد استشكل عدم دخول الطاعون المدينة مع كونه شهادة وكيف قرن بالدجال ومدحت المدينة بعدم دخولهما واجيب بان كون الطاعون شهادة ليس المراد بوصفه بذلك ذاته وانما المراد ان ذلك يترتب عليه وينشا عنه لكونه سببه فاذا استحضر ما تقدم في المعتقد الا من انه طعن الجن حسن مدح المدينة بعدم دخوله اياها فان فيه اشارة الى ان كفار الجن وشياطينهم ممنوعون من دخول المدينة ومن اتفق دخوله فيها لا يتمكن من طعن احد منهم وقد اجاب القرطبي في المفهم عن ذلك فقال المعنى لا يدخلها من الطاعون مثل الذي وقع في غيرها كطاعون عمواس والجارف وهذا قاله يقتضي انه دخلها في الجملة وليس كذلك فقد جزم ابن قتيبة في المعارف وتبعه جمع منهم الشيخ محي الدين النووي في الاذكار بان الطاعون لم يدخل المدينة اصلا ولا مكة ايضا لكن نقل جماعة انه دخل مكة الطاعون العام الذي كان في سنة تسع واربعين وسبعمائة بخلاف المدينة فلم يذكر احد انه دخل الطاعون بها اصلا واجاب بانه عليه الصلاة والسلام عوضهم عن الطاعون بالحمى لان الطاعون ياتي مرة بعد مرة والحمى تتكرر في كل حين فيتعادلان في الاجر ويتم المراد من عدم دخول الطاعون قال الحافظ ابن حجر ويظهر لي جواب آخر بعد استحضار الذي اخرجه احمد من رواية ابي عسيب بمهملتين آخره موحدة بوزن عظيم رفعه اتاني جبريل بالحمى والطاعون فامسكت الحمى بالمدينة وارسلت الطاعون الى الشام وهو ان الحكمة في ذلك انه صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة كان في قلة من اصحابه عددا ومددا وكانت المدينة وبئة كما في حديث عائشة رضي الله تعالى عنها ثم خير صلى الله عليه وسلم في امرين يحصل بكل منهما الاجر الجزيل فاختار الحمى حينئذ لقلة الموت بها غالبا بخلاف الطاعون ثم لما احتاج الى جهاد الكفار واذن له في القتال كانت قضية استمرار الحمى بالمدينة ان تضعف اجساد الذين يحتاجون الى التقوية لاجل الجهاد فدعا بنقل الحمى الى الجحفة فعادت المدينة اصح بلاد الله بعد ان كانت بخلاف ذلك ثم كانوا من حينئذ من فاتته الشهادة بالطاعون ربما حصلت له بالقتل في سبيل الله ومن فاته ذلك حصلت له الحمى التي هي حظ المؤمن من النار ثم استمر ذلك بالمدينة تمييزا لها عن غيرها لتحقق اجابة دعوته وظهور هذه المعجزة العظيمة بتصديق خبره في هذه المدة المتطاولة وكان منع دخول الطاعون من خصائصها ولوازم دعائه صلى الله عليه وسلم بالصحة لها وقال بعضهم هذا من المعجزات المحمدية لان الاطباء من اولهم الى آخرهم عجزوا ان يدفعوا الطاعون عن بلد بل عن قرية وقد امتنع الطاعون عن المدينة هذه الدهور الطويلة انتهى ملخصا ومن خصائص المدينة ان غبارها شفاء من الجذام والبرص بل من كل داء كما رواه رزين العبدري في جامعه من حديث سعد وزاد في حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما وعجوتها شفاء من السم ونقل البغوي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى لنبوئنهم في الدنيا حسنة انها المدينة وذكر ابن النجار تعليقا عن عائشة رضي الله تعالى عنها انها قالت كل البلاد افتتحت بالسيف

وانتحت المدينة بالعزان وروى الطبراني في الاوسط باسناد لا باس به عن ابي هريرة
يرفعه المدينة قبة الاسلام ودار الايمان وارض الهجرة ومسوى الحلال والحرام وبالجملة
فكل المدينة وترابها وطرقها وفجاجها ودورها وما حولها قد شملته بركته صلى الله عليه
وسلم فانهم كانوا يتبركون بدخوله منازلهم ويدعونه اليها والى الصلاة في بيوتهم
ولذلك امتنع مالك رحمه الله من ركوب دابة في المدينة وقال لا اطأ بحافر دابة
في عراص كان صلى الله عليه وسلم يمشي فيها بقدميه صلى الله وسلم عليه. وينبغي ان
ياتي مسجد قبا للصلاة فيه والزيارة فقد كان صلى الله عليه وسلم يزوره راكبا وماشيا
رواه مسلم وفي رواية له ياتي بدل يزوره فيصلي فيه ركعتين وعنده ايضا ان ابن عمر
كان ياتيه كل سبت ويقول رايت النبي صلى الله عليه وسلم ياتيه كل سبت وعند
الترمذي وابن ماجه والبيهقي من حديث اسيد بن ظهير الانصاري يرفعه صلاة في مسجد
قبا كعمرة قال الترمذي حسن غريب وقال المنذري لا يعرف لاسيد حديث صحيح غير هذا
ورواه احمد وابن ماجة من حديث سهل بن حنيف بلفظ من تطهر في بيته ثم اتى مسجد
قبا فصلى فيه صلاة كان له كاجر عمرة وصححه الحاكم وينبغي ايضا بعد زيارته صلى الله
عليه وسلم ان يقصد المزارات التي بالمدينة الشريفة والاثار المباركة والمساجد
التي صلى فيها عليه الصلاة والسلام التماسا لبركته ويخرج الى البقيع لزيارة من فيه
فان اكثر الصحابة ممن توفي بالمدينة في حياته صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته
مدفونون بالبقيع وكذلك سادات اهل البيت والتابعين وروي عن مالك انه قال
مات بالمدينة من الصحابة عشرة الاف وكذلك امهات المؤمنين سوى خديجة فانها
بمكة وميمونة فانها بسرف وقد كان صلى الله عليه وسلم يخرج اخر الليل الى البقيع
فيقول السلام عليكم دار قوم مؤمنين رواه مسلم لكن قال ابن الحاج في المدخل وقد
فرق علماؤنا بين الافاقي والمقيم في التنفل بالطواف والصلاة فقالوا الطواف في حق
الافاقي افضل له والتنفل في حق المقيم افضل قال وما نحن بسبيله من باب اولى
فمن كان مقيما خرج الى زيارة اهل البقيع ومن كان مسافرا فليغتنم مشاهدته عليه
الصلاة والسلام وحكي عن العارف ابن ابي جمرة انه لما دخل المسجد النبوي لم يجلس
الا الجلوس في الصلاة وانه لم يزل واقفا بين يديه صلوات الله وسلامه عليه وقد كان
خطر له ان يذهب الى البقيع فقال الى اين اذهب هذا باب الله المفتوح للسائلين
والطالبين والمنكسرين انتهى روى ابن النجار مرفوعا مقبرتان تضيئان لاهل
السماء كما تضيء الشمس والقمر لاهل الدنيا بقيع الغرقد ومقبرة بعسقلان وعن
كعب الاحبار قال نجدها في التوراة بقيع مقبرة المدينة كفتة محفوفة بالنخل
موكل بها ملائكة كلما امتلات اخذوا فكفأوها في الجنة واخرج ابو حاتم من حديث
ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا اول من تنشق عنه
الارض ثم ابو بكر ثم عمر ثم آتي البقيع فيحشرون معي ثم انتظر اهل مكة حتى نحشر
بين الحرمين **واما تفضيله صلى الله عليه وسلم في الآخرة** بتفضيله الاولياء

الجامعة

الجامعة لمزايا التكريم وعلو الدرجات وتحميده بالشفاعة والمقام المحمود المغبوط عليه
من الاولين والاخرين وانفراده بالسودد في مجمع جامع الانبياء والمرسلين وترقيه في جنة
عدن ارقى مدارج السعادة وتعاليه يوم المزيد في اعلى معالي الحسنى وزيادة
اعلم ان الله تعالى كما فضل نبينا صلى الله عليه وسلم في البدء بان جعله اول الانبياء في الخلق
واولهم في الاجابة في عالم الذر يوم الست بربكم فضله ختم كمال الفضائل في العود
فجعله اول من تنشق عنه الارض واول شافع واول مشفع واول من يؤذن له بالسجود
واول من ينظر الى رب العالمين والخلق محجوبون عن رؤيته اذ ذاك واول الانبيا يقضي
بين امته واولهم اجازة على الصراط بامته واول داخل الجنة وامته اول الامم دخولا
اليها وزاده من لطائف التحف ونفائس الطرف ما لا عد ولا حد فمن ذلك انه يبعث راكبا
وتخصيصه بالمقام المحمود ولواء الحمد تحته آدم فمن دونه واختصاصه ايضا بالسجود لله
امام العرش وما يفتحه الله عليه في سجوده من التحميد والثناء عليه مما لم يفتحه
على احد قبله ولا يفتحه على احد بعده زيادة في كرامته وقربه وكلام الله تعالى له
يا محمد ارفع راسك وقل تسمع وسل تعط واشفع تشفع ولا كرامة فوق هذا
الا النظر اليه تعالى ومن ذلك تكراره في الشفاعة وسجوده ثانية وثالثة وتجديد
الثناء عليه والتحميد بما يفتح الله عليه من ذلك وكلام الله تعالى له في كل سجدة يا محمد
ارفع راسك وقل تسمع واشفع تشفع فعل المدل على ربه الكريم عليه الرفيع عنده
المحبب وذلك منه تشريفا وتكريما وتبجيلا وتعظيما ومن ذلك قيامه عن يمين العرش
ليس احد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيره يغبطه فيه الاولون والاخرون وشهادته
بين الانبيا واممهم واتيانهم اليه يسالونه الشفاعة ليريحهم من غمهم وكربهم وطول
وقوفهم وشفاعته في اقوام قد امر بهم الى النار ومنها الحوض الذي ليس في الموقف
اكثر واردا منه وان المؤمنين كلهم لا يدخلون الجنة الا بشفاعته ومنها انه يشفع في
رفع درجات اقوام لا تبلغها اعمالهم وهو صاحب الوسيلة التي اعلى منزلة في الجنة
الى غير ذلك مما يزيده تعالى به جلالة وتعظيما وتبجيلا وتكريما على رؤوس الاشهاد من الاولين
والاخرين والملائكة المقربين وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم
واما تفضيله صلى الله عليه وسلم في الحشر المقدس عنه فروى مسلم من حديث
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم يوم القيامة
ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي آدم فمن سواه الا تحت لوائي وانا اول من تنشق
عنه الارض ولا فخر رواه الترمذي وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انا اول من تنشق عنه الارض ثم ابو بكر ثم عمر ثم آتي اهل البقيع فيحشرون
ثم انتظر اهل مكة حتى احشر بين الحرمين قال الترمذي حسن صحيح ورواه ابو حاتم
وقال حتى نحشر وتقدم وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصعق الناس حين يصعقون فاكون اول من قام فاذا موسى آخذ بالعرش فما ادري
اكان فيمن صعق وفي رواية فاكون اول من يفيق فاذا موسى باطش بجانب العرش فلا

ادري اكان فيمن صعق فافاق قبلي او كان ممن استثنى الله رواه البخاري والمراد بالصعق
غشي يلحق من سمع صوتا او رأى شيئا فيفزع منه ولم يبين في هذه الرواية من الطريقين
محل الافاقة من اي الصعقتين ووقع في رواية الشعبي عن ابي هريرة في تفسير سورة
الزمر اني اول من يرفع رأسه بعد النفخة الاخيرة والمراد بقوله ممن استثنى الله قوله تعالى
ففزع من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله وقد استشكل كون جميع الخلق
يصعقون مع ان الموتى لا احساس لهم فقيل المراد الذين يصعقون هم الاحياء واما الموتى
فهم في الاستثناء في قوله الا من شاء الله اي الا من سبق له الموت قبل ذلك فانه
لا يصعق والى هذا جنح القرطبي ولا يعارضه ما ورد في الحديث ان موسى ممن استثنى الله
لان الانبياء احياء عند الله وقال القاضي عياض يحتمل ان يكون المراد صعقة فزع
بعد البعث حين تنشق السماء والارض وتعقبه القرطبي بانه صرح صلى الله عليه وسلم
بانه يخرج من قبره فيلقى موسى وهو متعلق بالعرش وهذا انما هو عند نفخة البعث
ووقع في رواية ابي سلمة عند ابن مردويه انا اول من تنشق عنه الارض يوم القيمة
فانفض التراب عن رأسي فاتي قائمة العرش فاجد موسى قائما عندها فلا ادري انفض
التراب عن رأسه قبلي او ممن استثنى الله واختلف في المستثنى من هو فقيل الملائكة
وقيل الانبياء وبه قال البيهقي في تاويل الحديث في تجويزه ان يكون موسى ممن
استثنى الله قال وجهه عندي انهم احياء كالشهداء فاذا نفخ في الصور النفخة الاولى صعقوا
ثم لا يكون ذلك موتا في جميع معانيه الا في ذهاب الاستشعار وقيل الشهداء واختاره
الحليمي قال وهو مروي عن ابن عباس فان الله تعالى يقول احياء عند ربهم يرزقون
وضعف غيره من الاقوال وقال ابو العباس القرطبي صاحب المفهم الصحيح انه لم يأت
في تعيينهم خبر صحيح والكل محتمل وتعقبه تلميذه في التذكرة فقال قد ورد في حديث
ابي هريرة بانهم الشهداء وهو صحيح وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم سأل جبريل عليه السلام عن هذه الآية من الذين لم يشأ الله ان يصعقوا
قال هم شهداء   وصححه الحاكم وقيل هم حملة العرش وجبريل وميكائيل
وملك الموت ثم يموتون وآخرهم ملك الموت وقيل هم الحور العين والولدان في الجنة
وتعقب بان حملة العرش ليسوا من سكان السموات والارض لان العرش فوق
السموات كلها وبان جبريل وميكائيل وملك الموت من الصافين المسبحين ولان الحور
والولدان في الجنة وهي فوق السموات ودون العرش وهي بانفرادها عالم مخلوق للبقاء
فلا شك انها بمعزل عما خلقه الله للفناء ثم انه وردت الاخبار بان الله تعالى يميت
حملة العرش وملك الموت وميكائيل ثم يحييهم واما اهل الجنة فلم يات منهم خبر والاظهر
انها دار خلود فالذي يدخلها لا يموت فيها ابدا مع كونه قابلا للموت فالذي خلق فيها اولى
ان لا يموت فيها ابدا فان قلت ان قوله كل شيء هالك الا وجهه يدل على ان الجنة تفنى
ثم تعاد ليوم الجزاء وتموت الحور العين ثم يحيون اجيب بانه يكون معنى قوله
كل شيء هالك الا وجهه اي انه قابل للهلاك فيهلك ان اراد الله به ذلك الا هو سبحانه فهو

والقدم

القديم لا يمكن ان يفنى انتهى ملخصا من تذكرة القرطبي ويؤيد القول بعدم موت الحور
قولهن نحن الخالدات فلا نموت كما في الحديث ولا يقال المراد من قولهن الخالدات بعد
الفقد لانه لا خصوصية فيه والاوصاف المشتركة لا يتباهى بها والله اعلم وفي كتاب
العظمة لابي الشيخ ابن حيان من طريق وهب بن منبه من قوله خلق الله الصور من لؤلؤة
بيضاء في صفاء الزجاجة ثم قال للعرش خذ الصور فتعلق به ثم قال كن فكان اسرافيل
فامره ان يأخذ الصور فاخذه وبه ثقب بعدد كل روح مخلوقة ونفس منفوسة فذكر
الحديث وفيه تجتمع الارواح كلها في الصور ثم يأمر الله اسرافيل فينفخ فيه فتدخل كل
روح في جسدها فعلى هذا فالنفخ يقع في الصور اولا ليصل النفخ بالروح الى الصور
وهي الاجساد فاضافة النفخ الى الصور الذي هو القرن حقيقة والى الصور التي
هي الاجساد مجاز وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما
ورفعه ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه احد الا اصغى ليتا ورفع ليتا ثم يرسل الله مطرا
كانه الطل فتنبت منه اجساد الناس ثم ينفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون ٥
والليت بكسر اللام والمثناة التحتية ثم الفوقية صفحة العنق وهما ليتان اي اصغى
اماله واخرج البيهقي بسند قوي عن ابن مسعود موقوفا ثم يقوم ملك الصور بين
السماء والارض فينفخ فيه والصور قرن فلا يبقى لله خلق في السموات والارض الا
مات الا من شاء ربك ثم يكون بين النفختين ما شاء الله ان يكون واخرج ابن المبارك
في الرقائق من مرسل الحسن بين النفختين اربعون سنة الاولى يميت الله بها كل حي
والاخرى يحيي الله بها كل ميت ونحوه عند ابن مردويه من حديث ابن عباس وهو
ضعيف وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول الناس خروجا
اذا بعثوا وانا قائدهم اذا وفدوا وانا خطيبهم اذا انصتوا وانا مستشفعهم اذا
حبسوا وانا مبشرهم اذا ايسوا الكرامة والمفاتيح يومئذ بيدي ولواء الحمد يومئذ
بيدي وانا اكرم ولد آدم على ربي يطوف علي الف خادم كانهم بيض مكنون او لؤلؤ منثور
رواه الدارمي وقال الترمذي حديث غريب ولم يقل وانا امامهم لان دار الاخرة ليست
دار تكليف وفي حديث رواه صاحب كتاب حادي الارواح ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يبعث يوم القيمة وبلال بين يديه ينادي بالاذان وفي كتاب ذخائر العقبى
للطبري مما عزاه لتخريج الحافظ السلفي من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال تبعث الانبياء على الدواب ويحشر صالح على ناقته ويحشر ابنا فاطمة
على ناقتي العضباء والقصوى واحشر انا على البراق خطوها عند اقصى طرفها ويحشر
بلال على ناقة من نوق الجنة واخرجه الطبراني والحاكم بلفظ تحشر الانبياء على الدواب
وابعث على البراق ويبعث بلال على ناقة من نوق الجنة ينادي بالاذان محضا وبالشهادة
حقا حتى اذا قال اشهد ان محمدا رسول الله شهد له المؤمنون من الاولين والآخرين
وعند ابن زنجويه في فضائل الاعمال عن كثير بن مرة الحضرمي قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم تبعث ناقة ثمود لصالح فيركبها من عند قبره حتى توافي به المحشر

وانا على البراق اختصصت به من دون الانبياء يومئذ ويبعث بلال على ناقة من نوق
الجنة ينادي على ظهرها بالاذان حقا فاذا سمعت الانبياء واممها اشهد ان لا اله الا الله
اشهد ان محمدا رسول الله قالوا ونحن نشهد على ذلك وذكر الشيخ زين الدين المراغي مما
عزاه لابن النجار في تاريخ المدينة عن كعب الاحبار والقرطبي في التذكرة عن ابن ابي
الدنيا عن كعب انه دخل على عائشة رضي الله عنها فذكروا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال كعب ما من فجر يطلع الا نزل سبعون الفا من الملائكة حتى يحفون بالقبر
يضربون باجنحتهم ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا امسوا عرجوا وهبط
سبعون الف ملك يحفون بالقبر يضربون باجنحتهم ويصلون على النبي صلى الله عليه
وسلم سبعون الفا بالليل وسبعون الفا بالنهار حتى اذا انشقت عنه الارض خرج
في سبعين الفا من الملائكة يوقرونه صلى الله عليه وسلم وفي نوادر الاصول للحكيم
الترمذي من حديث ابن عمر قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ويمينه على
ابي بكر وشماله على عمر وقال هكذا نبعث يوم القيمة وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال فاكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلائق
يقوم ذلك المقام رواه الترمذي وفي رواية جامع الاصول عنه انا اول من تنشق
عنه الارض فاكسى وفي رواية كعب حلة خضراء وفي البخاري من حديث ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما عنه صلى الله عليه وسلم يحشرون حفاة عراة غرلا كما بدانا اول خلق نعيده
وان اول الخلائق يكسى يوم القيمة ابراهيم واخرجه البيهقي وزاد واول من يكسى
ابراهيم يكسى حلة من الجنة ويوتى بكرسي فيطرح عن يمين العرش ثم يوتى بي فاكسى
حلة من الجنة لا يقوم لها البشر وفيه انه يجلس على الكرسي عن يمين العرش ولا يلزم
من تخصيص ابراهيم عليه السلام بانه اول من يكسى ان يكون افضل من نبينا صلى الله
عليه وسلم على انه يحتمل ان يكون نبينا عليه الصلاة والسلام خرج من قبره في ثيابه
التي مات فيها والحلة التي يكسيها يومئذ حلة الكرامة بقرينة اجلاسه عند ساق العرش
فتكون اولية ابراهيم في الكسوة بالنسبة لبقية الخلق واجاب الحليمي بانه يكسى
ابراهيم اولا ثم يكسى نبينا عليهما الصلاة والسلام على ظاهر الخبر لكن حلة نبينا اعلى واكمل
فتجبر نفاستها ما فات من الاولية وفي حديث ابي سعيد عند ابي داود وصححه ابن حبان
انه لما حضره الموت دعا بثياب جدد فلبسها وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها وعند الحرث بن ابي اسامة واحمد بن منيع
فانهم يبعثون في اكفانهم ويتزاورون في اكفانهم ويجمع بينه وبينما في البخاري بان بعضهم
يحشر عاريا وبعضهم كاسيا او يحشرون كلهم عراة ثم يكسى الانبياء واول من يكسى ابراهيم
عليه السلام او يخرجون من القبور بالثياب التي ماتوا فيها ثم تتناثر عنهم عند ابتداء الحشر
فيحشرون عراة ثم يكون اول من يكسى ابراهيم وحمل بعضهم حديث ابي سعيد على الشهيد
فيكون ابو سعيد سمعه في الشهيد فحمله على العموم واما ما رواه الطبري في الرياض النضرة
وعزاه للامام احمد في المناقب عن محدوج بن زيد الذهلي ان النبي صلى الله عليه وسلم

قال لعلي اما علمت يا علي انه اول من يدعى به يوم القيمة بي فاقوم عن يمين العرش في ظله
فاكسى حلة خضراء من حلل الجنة الا وان امتي اول الامم يحاسبون يوم القيمة ثم ابشر اول
من يدعى بك فيدفع لك لوائي وهو لواء الحمد تسير به بين السماطين ادم وجميع خلق الله تعالى
يستظلون بظل لوائي يوم القيمة وطوله مسيرة الف سنة وسنانه ياقوتة
حمراء قبضته فضة بيضاء زجه درة خضراء له ثلاث ذوائب من نور ذؤابة في المشرق وذؤابة
في المغرب والثالثة في وسط الدنيا مكتوب عليه ثلاثة اسطر الاول بسم الله الرحمن
الرحيم الثاني الحمد لله رب العالمين الثالث لا اله الا الله محمد رسول الله
طول كل سطر الف سنة وعرضه مسيرة الف سنة فتسير باللواء والحسن عن يمينك
والحسين عن يسارك حتى تقف بيني وبين ابراهيم في ظل العرش ثم تكسى حلة من الجنة
والسماطان من الناس والنخل الجانبان ورواه ابن سبع في الخصائص بلفظ قال سال عبد الله
ابن سلام رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لواء الحمد ما صفته قال طوله مسيرة
الحديث فقال الحافظ قطب الدين الحلبي كما نقله عنه المحب ابن الهائم انه موضوع بين
الوضع قال والله اعلم بحقيقة لواء الحمد وفي حديث ابي سعيد عند الترمذي بسند حسن
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم يوم القيمة ولا فخر وبيدي
لواء الحمد ولا فخر وما من نبي ادم فمن سواه الا تحت لوائي الحديث واللواء الراية وفي عرفهم
لا يمسكها الا صاحب الجيش ورئيسه ويحتمل ان يكون بيد غيره باذنه ويكون تابعا له
ومتحركة بحركته يميل معه حيث مال لا انه يمسكها بيده اذ هذه الحالة اشرف
وفي استعمال العرب عند الحروب انما يمسكها صاحبها ولا يمنعه ذلك من القتال بها
بل يقاتل بها ممسكا لها اشد القتال ولذا لا يليق بامساكها كل احد بل مثل علي رضي الله
تعالى عنه لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله وانما اضاف
اللواء الى الحمد الذي هو الثناء على الله بما هو اهله لان ذلك هو منصبه في ذلك الموقف دون
غيره من الانبياء وقد اختلف في هيئة حشر الناس ففي البخاري من حديث ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين وراهبين
واثنان على بعير وثلاثة على بعير واربعة على بعير وتحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث
قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث اصبحوا وتمسي معهم حيث امسوا رواه
البخاري وقد مال الحلبي الى ان هذا الحشر يكون عند الخروج من القبور وجزم به الغزالي
وقيل انهم يخرجون من القبور بالوصف المذكور في حديث ابن عباس عند الشيخين ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انكم محشورون حفاة عراة غرلا ثم قرا كما بدانا اول
خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين ثم يفترق حالهم من ثم الى الموقف كما في حديث
ابي هريرة ويحشر الكافر على وجهه قال رجل يا رسول الله كيف يحشر على وجهه قال
اليس الذي امشاه على الرجلين قادرا على ان يمشيه على وجهه يوم القيمة اخرجه الشيخان
وفي حديث ابي ذر عند النسائي مرفوعا ان الناس يحشرون ثلاثة افواج فوجا راكبين
وفوجا تسحبهم الملائكة على وجوههم وفوجا يمشون ويسعون وفي حديث سهل بن سعد

مرفوعا يحشر الناس يوم القيمة على ارض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها علم لاحد ورواه
الشيخان وفي حديث عقبة بن عامر عند الحاكم رفعه تدنو الشمس من الارض يوم القيمة
فيعرق الناس فمنهم من يبلغ نصف الساق ومنهم من يبلغ ركبتيه ومنهم من يبلغ فخذه ومنهم
من يبلغ خاصرته ومنهم من يبلغ منكبيه ومنهم من يبلغ فاه ومنهم من يغطيه عرقه
وضرب بيده على راسه وله شاهد عند مسلم من حديث المقداد بن الاسود وليس بتمامه
وفيه تدنو الشمس يوم القيمة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل فيكون الناس على قدر
اعمالهم في العرق وهذا ظاهر في انهم يتفاوتون في وصول العرق اليهم ويتفاوتون في حصوله
فيهم فان قلت الشمس محلها السماء وقد قال الله تعالى يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب
والالف واللام في السماء للجنس بدليل والسموات مطويات بيمينه فما طريق الجمع فالجواب
يجوز ان تقام بنفسها دانية من الناس في المحشر ليقوى هوله وكربه عافانا الله من كل مكروه
وقال ابن ابي جمرة ظاهر الحديث يقتضي تعميم الناس بذلك ولكن دلت الاحاديث الاخرى
على انه مخصوص بالبعض وهم الاكثر ويستثنى الانبياء والشهداء ومن شاء الله فاشدهم
الكفار ثم اصحاب الكبائر ثم من بعدهم واخرج ابو يعلى وصححه ابن حبان عن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم يقوم الناس لرب العالمين قال مقدار نصف يوم
من خمسين الف سنة فيهون على المؤمنين كتدلي الشمس الى ان تغرب واخرج احمد
وابن حبان نحوه من حديث ابي سعيد والبيهقي في البعث عن ابي هريرة يحشر الناس قياما
اربعين سنة شاخصة ابصارهم الى السماء فيلجمهم العرق من شدة الكرب وفي البخاري
من حديث ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم يعرق الناس يوم القيمة حتى يذهب
عرقهم في الارض سبعين ذراعا ويلجمهم العرق حتى يبلغ اذانهم وعند البيهقي من حديث
ابن مسعود اذا حشر الناس قاموا اربعين عاما شاخصة ابصارهم الى السماء لا يكلمهم
والشمس على رؤسهم حتى يلجم العرق كل بر وفاجر وفي حديث ابي سعيد عند احمد انه
يخفف الوقوف عن المؤمن حتى يكون مقدار صلاة مكتوبة وسنده حسن وللطبراني
من حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ويكون ذلك اليوم اقصر على المؤمن من ساعة من نهار
وجاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما ان الذي يلجمه العرق الكافر اخرجه البيهقي
في البعث بسند حسن عنه قال ويشتد كرب الناس ذلك اليوم حتى يلجم الكافر العرق
قيل له فاين المؤمن قال على كراسي من ذهب ويظلل عليهم الغمام وبسند قوي عن ابي
موسى قال الشمس فوق رؤس الناس يوم القيمة واعمالهم تظلهم واخرج ابن المبارك
في الزهد وابن ابي شيبة في المصنف واللفظ له بسند جيد عن سلمان قال تعطى
الشمس يوم القيمة حر عشر سنين ثم تدنو من جماجم الناس حتى تكون قاب قوسين
فيعرقون حتى يرشح العرق في الارض قامة ثم يرتفع حتى يغرغر الرجل زاد ابن المبارك
في روايته ولا يضر حرها يومئذ مؤمنا ولا مؤمنة قال القرطبي المراد من يكون كامل الايمان
لما يدل عليه حديث المقداد وغيره انهم يتفاوتون في ذلك بحسب اعمالهم وفي رواية عند
ابي يعلى وصححها ابن حبان ان الرجل ليلجمه العرق يوم القيمة حتى يقول يا رب ارحني ولو

الى النار وهو كالصريح في ان ذلك كله في الموقف ومن تأمل الحالة المذكورة عرف عظم الهول
فيها وذلك ان النار تحف بارض الموقف وتدني الشمس من الرؤس قدر ميل فكيف تكون
حرارة تلك الارض وماذا يرونه من العرق مع ان كل احد لا يجد الا قدر موضع قدميه
فكيف يكون حال هؤلاء في عرقهم مع تنوعهم فيه ان هذا لما يبهر العقول ويدل على عظيم
القدرة ويقتضي الايمان بامور الاخرة وان ليس للعقل فيها مجال ولا يعترض على ذلك
بعقل ولا قياس ولا عادة وانما يؤخذ بالقبول فتأمل رحمك الله شدة هذا الازدحام
والاغتمام والاستنشاق والتزاق واجتماع الانس والجان ومن يجمع معهم من سائر
اصناف الحيوان واختلاطهم وتدافعهم واختلاطهم وقرب الشمس منهم وما يزداد
في حرها ويتضاعف في وهجها ولا ظل الا ظل عرش ربك بما قدمته مع ما انضاف الى ذلك
من حر انفاس لتزاحم الناس واحتراق القلوب لما غشيها من الكروب ولا ريب ان هذا
موجب لحصول العطش في ذلك اليوم وكثرة الالتهاب والمآثم اعز موجود واعظم
مفقود فلا منهل مورود الا حوض صاحب المقام المحمود صلى الله وسلم عليه وزاده
فضلا وشرفا لديه ولا مشروب لامته سواه ولا يرد الا من امن به فالشربة منه
كما ورد تروي الظما وتشفي من الصدا وتذهب بكل داء فلا يظما شاربها ولا يسقم
بعدها ابدا وفي حديث انس عند البزار من شرب منه ابدا من الحوض شربة لم يظما
ابدا ومن لم يشرب منه لم يرو ابدا وزاد في حديث ابي امامة عند احمد وابن حبان
ولم يسود وجهه ابدا وفي حديث ثوبان عند الترمذي وصححه الحاكم اكثر الناس عليه
ورودا فقراء المهاجرين وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عند الشيخين حوضي
مسيرة شهر ماؤه ابيض من اللبن وريحه اطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء
من شرب منه لا يظما ابدا قال القرطبي في تذكرته ذهب صاحب القوت وغيره الى ان
الحوض يكون بعد الصراط وذهب اخرون الى العكس والصحيح ان للنبي صلى الله عليه
وسلم حوضان احدهما في الموقف قبل الصراط والاخر داخل الجنة وكل منهما يسمى
كوثرا وتعقبه شيخ الحافظ ابن حجر بان الكوثر نهر داخل الجنة وماؤه يصب في الحوض
ويطلق على الحوض كوثر لكونه يمد منه فغاية ما يؤخذ من كلام القرطبي ان الحوض
يكون قبل الصراط لان الناس يردون الموقف عطاشا فيرد المؤمنون الحوض
وتتساقط الكفار في النار بعد ان يقولون ربنا عطشنا فترفع لهم جهنم كانها سراب
فيقال الا تردون فيظنونها ماء فيتساقطون فيها وفي حديث ابي ذر عند مسلم
ان الحوض يشخب فيه ميزابان من الجنة وهو حجة على القرطبي لا له لان الصراط
جسر جهنم وهو بين الموقف والجنة والمؤمنون يمرون عليه لدخول الجنة فلو كان
الحوض دونه لحالت النار بين الماء الذي يصب من الكوثر في الحوض وظاهر الحديث
ان الحوض بجانب الجنة لينصب فيه الماء من النهر الذي داخلها وقال القاضي عياض
ظاهر قوله صلى الله عليه وسلم من شرب منه لم يظما بعدها ابدا يدل على ان الشرب
منه يقع بعد الحساب والنجاة من النار لان ظاهر حال من لا يظما ان لا يعذب بالنار ولكن

يحتمل ان من فقد رغلبه التعذيب منهم ان لا يعذب فيها بالقابل بغيره. وعن انس قال سألت
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يشفع لي يوم القيمة فقال انا فاعل ان شاء الله تعالى قلت
فاين اطلبك قال اول ما تطلبني على الصراط قلت فان لم القك على الصراط قال فاطلبني عند الميزان
قلت فان لم القك عند الميزان قال فاطلبني عند الحوض فاني لا اخطئ هذه الثلاث مواطن رواه
الترمذي وقال حسن غريب وفي حديث ابن مسعود عند احمد ثم اوتى بكسوتي فالبسها فاقوم عن
يمين العرش مقاما لا يقومه احد فيغبطني به الاولون والاخرون قال ويفتح لهم من الكوثر
الى الحوض وقد تبين في حديث عمرو بن العاص عند البخاري ان الحوض مسيرة شهر وزاد
في رواية مسلم من هذا الوجه وزواياه سواء وهذه الزيادة كما قاله في فتح الباري يدفع
تاويل من جمع بين مختلف الاحاديث في تقدير مسافة الحوض على اختلاف العرض والطول
وفي حديث ابي سعيد وعند ابن ماجة رفعه ان لي حوضا ما بين الكعبة وبيت المقدس
وفي حديث ابي برزة عند الطبراني وابن حبان في صحيحه ما بين ناحيتي حوضي كما بين
ايلة وصنعا مسيرة شهر عرضه كطوله وفي حديث انس عند الشيخين كما بين صنعا والمدينة
وفي حديث عتبة بن عبد السلمي عند ابن حبان في صحيحه ما بين صنعا الى بصرى وفي
حديث ابي امامة عند الطبراني ما بين عدن وعمان بضم المهملة وتخفيف الميم وقال ابن الاثير
في النهاية في حديث الحوض عرضه من مقامي الى عمان وهي بفتح العين وتشديد الميم مدينة
قديمة بالشام من ارض البلقا فاما بالضم والتخفيف فهو صقع عند البحرين انتهى وهذه
المسافة كلها متقاربة وظن بعضهم انه وقع اضطراب في ذلك وليس كذلك واجاب النووي
عن ذلك بانه ليس في ذكر المسافة القليلة ما يدفع المسافة الكبيرة فالاكثر ثابت بالحديث
الصحيح فلا معارضة وحاصله يشير الى انه اخبر اولا بالمسافة اليسيرة ثم اعلم
بالمسافة الطويلة فاخبر بها كان الله تفضل عليه باتساعه شيئا بعد شي فيكون الاعتماد
على ما يدل على اطولها مسافة فان قلت هل لكل نبي من الانبياء غير نبينا صلى الله عليه
وسلم حوض هناك يقوم عليه كنبينا فالجواب انه اشتهر اختصاص نبينا عليه الصلاة
والسلام بالحوض قال القرطبي في المفهم مما يجب على كل مكلف ان يعلمه ويصدق به
ان الله تعالى قد خص نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالحوض المصرح باسمه وصفته
وشرابه في الاحاديث الصحيحة الشهيرة التي يحصل بمجموعها العلم القطعي اذ روى
ذلك عنه صلى الله عليه وسلم من الصحابة نيف عن الثلاثين منهم في الصحيحين ما ينيف
على العشرين وفي غيرهما بقية ذلك عنه صلى الله عليه وسلم كما صح نقله واشتهرت روايته
ثم رواه عن الصحابة المذكورين ومن التابعين امثالهم ومن بعدهم اضعاف اضعافهم
وهلم جرا واجتمع على اثباته السلف واهل السنة من الخلف انتهى لكن اخرج الترمذي
من حديث سمرة رفعه ان لكل نبي حوضا واشار الى انه اختلف في وصله وارساله
وان الموصل اصح والمرسل اخرجه ابن ابي الدنيا بسند صحيح عن الحسن قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي حوضا وهو قائم على حوضه بيده عصا يدعو
من عرف من امته الا انهم يتباهون ايهم اكثر تبعا واني لارجو ان اكون اكثرهم تبعا

واخرجه الطبراني من وجه آخر عن سمرة موصولا مرفوعا مثله وفي سنده لين واخرج
ابن ابي الدنيا من حديث ابي سعيد رفعه وكل نبي يدعو امته ولكل نبي حوض فمنهم من
ياتيه الفئام ومنهم من ياتيه العصبة ومنهم من ياتيه الواحد ومنهم من ياتيه الاثنان ومنهم
من لا ياتيه احد واني لاكثر الانبياء تبعا يوم القيمة وفي اسناده لين فان ثبت فالمختص
بنبينا صلى الله عليه وسلم الكوثر الذي يصب من مائه في حوضه فانه لم ينقل نظيره لغيره
ووقع الامتنان عليه في سورة انا اعطيناك الكوثر انتهى ملخصا من فتح الباري وفي رواية
مسلم من حديث ابي هريرة رفعه قال ترد على امتي الحوض وانا اذود الناس عنه كما
يذود الرجل عن ابله قالوا يا رسول الله تعرفنا قال نعم لكم سيما ليست لاحد غيركم تردون
غرا محجلين من آثار الوضوء قالوا والحكمة في الذود المذكور انه صلى الله عليه وسلم
يريد ان يرشد كل احد الى حوض نبيه كما تقدم ان لكل نبي حوضا فيكون هذا من جملة
انصافه عليه الصلاة والسلام ورعاية اخوانه من النبيين لا انه يطردهم بخلا عليهم
بالماء ويحتمل ان يكون يطرد من لا يستحق الشرب من الحوض والله اعلم وفي حديث انس
انه صلى الله عليه وسلم قال لحوضي اربعة اركان الاول بيد ابو بكر الصديق والثاني
بيد عمر الفاروق والثالث بيد عثمان ذي النورين والرابع بيد علي بن ابي طالب فمن كان
محبا لابي بكر مبغضا لعمر لا يسقيه ابو بكر ومن كان محبا لعلي مبغضا لعثمن لا يسقيه
علي رواه ابو سعيد في شرف النبوة والغيلاني **واما تفضيله صلى الله عليه وسلم
بالشفاعة والمقام المحمود** فقد قال الله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا
اتفق المفسرون على ان كلمة عسى من الله واجب قال اهل المعاني لان لفظة عسى
تفيد الاطماع ومن اطمع انسانا في شي ثم احرمه كان عارا والله تعالى اكرم من ان يطمع
احدا في شي ثم لا يعطيه ذلك وقد اختلف في تفسير المقام المحمود على اقوال احدها
انه الشفاعة قال الواحدي اجمع المفسرون على انه مقام الشفاعة كما قال
صلى الله عليه وسلم في هذه الاية هو المقام الذي اشفع فيه لامتي وقال الامام
ابن الخطيب اللفظ مشعر بذلك لان الانسان انما يصير محمودا اذا حمده حامد
والحمد انما يكون على الانعام فهذا المقام المحمود يجب ان يكون مقاما انعم فيه رسول الله
صلى الله عليه وسلم على قوم فحمدوه على ذلك الانعام لا يجوز ان يكون هو تبليغ
الدين وتعليمهم الشرع لان ذلك كان حاصلا في الحال وقوله عسى ان يبعثك
ربك مقاما محمودا يدل على انه يحصل للنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام
حمد بالغ عظيم كامل ومن المعلوم ان حمد الانسان على سعيه في التخليص عن
العقاب اعظم من سعيه في زيادة من الثواب لا حاجة به اليها لان احتياج الانسان
في دفع الآلام العظيمة عن النفس فوق احتياجه الى تحصيل المنافع الزائدة
التي لا حاجة الى تحصيلها واذا ثبت هذا وجب ان يكون المراد من لفظ الاية عسى
ان يبعثك ربك مقاما محمودا هو الشفاعة في اسقاط العقاب على ما هو مذهب
اهل السنة ولما ثبت من لفظ الاية مشعر بهذا المعنى اشعارا قويا ثم وردت

الاخبار الصحيحة في تقرير هذا المعنى كما في البخاري من حديث ابن عمر قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المقام المحمود فقال هو الشفاعة وفيه ايضا عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الناس يصيرون يوم القيمة جثا كل امة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا حتى تنتهي الشفاعة الى فذلك المقام المحمود فاذا ثبت هذا فيجب حمل اللفظ عليه قال ومما يؤكد هذا الدعاء المشهور وابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والاخرون ونصب قوله مقاما على الظرفية اي وابعثه يوم القيمة فاقمه مقاما محمودا او على انه مفعول به وضمن معنى ابعثه معنى اقمه ويجوز ان يكون حالا بعد حال اي ابعثه ذا مقام قال الطيبي وانما نكره لانه افخم واجزل اي مقاما يكل لسان وقول النووي ان الرواية ثبتت بالتنكير وانه كانه حكاية للفظ القران متعقب بانه جاء في هذه الرواية بعينها بالتعريف عند النسائي وقال ابن الجوزي الاكثر على ان المراد بالمقام المحمود الشفاعة وادعى الامام فخر الدين الاتفاق عليه القول الثاني قال حذيفة يجمع الله الناس في صعيد واحد فلا تكلم نفس فاول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس اليك والمهتدي من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك ولا ملجا منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت قال فهذا هو المراد من قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا رواه الطبراني وقال ابن منده حديث مجمع على صحة اسناده وثقة رجاله قال الرازي والقول الاول اولى لان سعيه في الشفاعة يفيد اقدام الناس على حمده فيصير محمودا واما ما ذكر من الدعاء فلا يفيد الا الثواب اما الحمد فلا فان قيل لم لا يجوز ان يقال انه تعالى يحمده على هذا القول فالجواب لان الحمد في اللغة مختص بالثناء المذكور في مقابلة الانعام فقط فان ورد لفظ الحمد في غير هذا المعنى فعلى سبيل المجاز القول الثالث مقام تحمد عاقبته قال الامام فخر الدين وهذا ايضا ضعيف للوجه الذي ذكرناه القول الرابع قيل هو اجلاسه عليه الصلاة والسلام على العرش وقيل على الكرسي روي عن ابن مسعود انه قال يقعد الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم على العرش وعن مجاهد انه قال يجلسه معه على العرش قال الواحدي وهو قول رذل موحش فظيع ونص الكتاب ينادي بفساد هذا التفسير ويدل عليه من وجوه الاول ان البعث ضد الاجلاس يقال بعثت البارك والقاعد فانبعث ويقال بعث الله الميت اي اقامه من قبره فتفسير البعث بالاجلاس تفسير الضد بالضد وهو فاسد والثاني يوجب انه تعالى لو كان جالسا على العرش بحيث يجلس عنده محمد صلى الله عليه وسلم لكان محدودا متناهيا ومن كان كذلك فهو محدث تعالى الله علوا كبيرا والثالث انه تعالى قال مقاما محمودا ولم يقل مقعدا والمقام موضع القيام لا موضع القعود والرابع اذا قيل ان السلطان بعث فلانا فهم منه انه ارسله الى قوم لاصلاح مهماتهم ولا يفهم منه انه اجلسه مع نفسه فثبت ان هذا القول ساقط

لا يميل اليه الا قليل العقل عديم الدين انتهى وتعقب القول الثاني بانه تعالى يجلس على العرش كما اخبر جل وعلا عن نفسه المقدسة بلا كيف وليس اقعاد محمد صلى الله عليه وسلم على العرش موجبا له صفة الربوبية او مخرجا له عن صفة العبودية بل هو رفع لمحله وتشريفا له على خلقه واما قوله معه فهو بمنزلة قوله تعالى ان الذين عند ربك ورب ابن لي عندك بيتا في الجنة فكل هذا ونحوه عائد على الرتبة والمنزلة والحظوة والدرجة الرفيعة لا الى المكان وقال شيخ الاسلام ابو الفضل العسقلاني قول مجاهد يجلسه معه على العرش ليس بمدفوع لا من جهة النقل ولا من جهة النظر وقال ابن عطيه هو كذلك اذا حمل على ما يليق به قال وبالغ الواحدي في رد هذا القول ونقل النقاش عن ابي داود صاحب السنن انه قال من انكر هذا فهو متهم وقد جاء عن ابن مسعود عند الثعلبي وعن ابن عباس عند ابي الشيخ قال ان محمدا يوم القيمة يجلس على كرسي الرب بين يدي الرب فيحتمل ان تكون الاضافة اضافة تشريف وعلى ذلك يحمل ما جاء عن مجاهد وغيره ويحتمل ان يكون المراد بالمقام المحمود الشفاعة كما هو المشهور وان يكون الاجلاس هي المنزلة المعبر عنها بالوسيلة كذا قاله بعضهم ويحتمل ان يكون الاجلاس علامة الاذن في الشفاعة واختلف في فاعل الحمد من قوله تعالى محمودا فالاكثر على ان المراد به اهل الموقف وقيل النبي صلى الله عليه وسلم اي انه يحمد عاقبة ذلك المقام بتهجده في الليل والاول ارجح لما ثبت من حديث ابن عمر بلفظ مقاما محمودا يحمده اهل الجمع كلهم ويجوز ان يحمل على العموم من ذلك اي مقاما يحمده القائم فيه وكل من عرفه وهو مطلق في كل ما يجلب الحمد من انواع الكرامات واستحسن هذا ابن حبان وايده بانه نكرة فدل على انه ليس المراد مقاما مخصوصا انتهى فان قلت اذا قلنا بالمشهور ان المراد بالمقام المحمود الشفاعة فاي شفاعة هي فالجواب ان الشفاعة التي وردت في الاحاديث في المقام المحمود نوعان النوع الاول العامة في فصل القضاء والثاني في الشفاعة في اخراج المذنبين من النار لكن الذي يتجه رد هذه الاقوال كلها الى الشفاعة العظمى فان اعطاءه لواء الحمد وثناءه على ربه وكلامه بين يديه وجلوسه على كرسيه كل ذلك صفات للمقام المحمود الذي يشفع فيه ليقضي بين الخلق واما شفاعته في اخراج المذنبين من النار فمن توابع ذلك وقد انكر بعض المعتزلة والخوارج الشفاعة في اخراج من ادخل من المذنبين وتمسكوا بقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين وبقوله تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع واجاب اهل السنة بان هذه الايات في الكفار وقال القاضي عياض مذهب اهل السنة جواز الشفاعة عقلا ووجوبها سمعا لصريح قوله تعالى يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا وقوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى وبقوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وفسر بها عند الاكثرين كما قدمناه وقد جاءت الاثار التي بلغ مجموعها التواتر بصحة الشفاعة في الاخرة لمذنبي المومنين وعن ام حبيبة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اريت ما تلقى امتي من بعدي وسفك بعضهم دماء بعض وسبق لهم

من الله ما سبق للأمم قبلهم فسألت الله ان يؤتيني شفاعة يوم القيمة ففعل رواه الطبراني
في الاوسط وفي حديث ابي هريرة عند مسلم واحمد لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها
واريد ان اختبي دعوتي شفاعة لامتي في الاخرة وفي رواية انس فجعلت دعوتي شفاعة
لامتي وهذا من مزيد شفقته علينا وحسن تصرفه حيث جعل دعوته المجابة في اهم اوقات
حاجاتنا فجزاه الله عنا افضل الجزا وعن ابي هريرة قلت يا رسول الله ما ذا ورد عليك
في الشفاعة قال شفاعتي لمن شهد ان لا اله الا الله مخلصا يصدق بها لسانه قلبه
رواه وعن ابي زرعة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا سيد الناس يوم القيمة هل تدرون مم ذلك يجمع الله الاولين والاخرين في صعيد واحد
فيبصرهم الناظر ويسمعهم الداعي وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا
يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس الا ترون الى ما انتم فيه الى ما بلغكم الا تنظرون من يشفع
لكم الى ربكم فيقول بعض الناس لبعض ابوكم آدم فيأتونه فيقولون انت ابو البشر خلقك الله
بيده ونفخ فيك من روحه وامر الملائكة فسجدوا لك واسكنك الجنة الا تشفع لنا الى ربك
الا ترى ما نحن فيه وما بلغنا فقال ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله
ولا يغضب بعده مثله وانه نهاني عن الشجرة فعصيت نفسي نفسي اذهبوا الى غيري
اذهبوا الى نوح فيأتون نوحا عليه السلام فيقولون يا نوح انت اول الرسل الى اهل الارض
وقد سماك الله عبدا شكورا الا ترى الى ما نحن فيه الى ترى الى ما بلغنا الا تشفع لنا الى
ربك فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله
وانه كانت لي دعوة دعوت بها على قومي نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى
ابراهيم فيأتون ابراهيم عليه السلام فيقولون انت نبي الله وخليله من اهل الارض اشفع
لنا عند ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول لهم ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله
مثله ولم يغضب بعده مثله واني كنت كذبت ثلاث كذبات فذكرها نفسي نفسي نفسي
اذهبوا الى غيري اذهبوا الى موسى فيأتون موسى فيقولون يا موسى انت رسول الله
فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس الا ترى ما نحن فيه اشفع لنا الى ربك فيقول
ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله واني
قد قتلت نفسا لم اومر بقتلها نفسي نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى عيسى
فيأتون عيسى عليه السلام فيقولون يا رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه
وكلمت الناس في المهد الا ترى ما نحن فيه اشفع لنا الى ربك فيقول عيسى ان ربي قد غضب
اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنبا نفسي نفسي
نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى محمد فيأتون محمدا صلى الله عليه وسلم
فيقولون يا محمد انت رسول الله وخاتم الانبيا وقد غفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تاخر الا ترى ما نحن فيه اشفع لنا الى ربك فانطلق فاتي تحت العرش فاقع ساجدا
لربي ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثنا عليه شيا لم يفتحه على احد قبلي ثم يقال
يا محمد ارفع راسك سل تعطه واشفع تشفع فارفع راسي فاقول امتي يا رب امتي

يارب

يا رب فيقال يا محمد ادخل امتك من لا حساب عليه من الباب الايمن من ابواب الجنة وهم
شركا الناس فيما سوى ذلك من الابواب الحديث رواه البخاري ومسلم قال في فتح الباري
وقد استشكل قولهم لنوح انت اول الرسل من اهل الارض فان آدم نبي مرسل وكذا
شيث وادريس وهم قبل نوح ومحصل الاجوبة عن ذلك ان الاولية مقيدة بقوله اهل
الارض لان آدم ومن ذكر معه لم يرسلوا الى اهل الارض او ان الثلاثة كانوا انبيا ولم يكونوا
رسلا والى هذا جنح ابن بطال في حق آدم وتعقبه القاضي بما صححه ابن حبان من حديث
ابي ذر فانه كالصريح في انه كان مرسلا وفيه التصريح بانزال الصحف على شيث وهو من
علامات الارسال ومن الاجوبة ان رسالة آدم كانت الى بنيه وهم موحدون ليعلمهم
شريعته ونوح كانت رسالته الى قوم كفار يدعوهم الى التوحيد وذكر الغزالي في كشف
علوم الاخرة ان بين اتيان اهل الموقف آدم واتيانهم نوحا الف سنة وكذا بين كل نبي
ونبي الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قال الحافظ ابن حجر ولم اقف لذلك على اصل
قال ولقد اكثر في هذا الكتاب من ايراد احاديث لا اصول لها فلا يغتر بشي منها ووقع
في رواية حذيفة ان الخليل عليه السلام قال لست بصاحب ذاك انما كنت خليلا من وراء
وراء بفتح الهمزة بلا تنوين ويجوز فيها البنا على الضم للقطع عن الاضافة نحو من قبل ومن بعد
واختاره ابو البقا قال الاخفش يقال لقيته من وراء بالضم وقال الشاعر

اذا انا لم اومن عليك ولم يكن ... لقاؤك الا من وراء وراء

ويجوز فيها النصب والتنوين جوازا جيدا قاله ابو عبد الله الابي ومعناه لم اكن في التقرب
والادلال بمنزلة الحبيب وقيل مراده ان الفضل الذي اعطيته كان بسفارة جبريل
ولكن ايتوا موسى الذي كلمه الله بلا واسطة وكرر وراء اشارة الى نبينا صلى الله عليه وسلم
لانه حصلت له الروية والسماع بلا واسطة فكانه قال انا من وراء موسى الذي هو من ورا
محمد وسبق مزيد لذلك في الخصايص واما ما ذكره من الكلمات الثلاث فقال البيضاوي الحق انها
انما كانت من معاريض الكلام لكن لما كانت صورتها صورة الكذب اشفق منها استنقاصا لنفسه
عن الشفاعة لان من كان اعرف بالله واقرب اليه منزلة كان اعظم خوفا واما قوله في عيسى
انه لم يذكر ذنبا فوقع في حديث ابن عباس عند احمد والنساي اني اتخذت الها من دون الله
وفي حديث النضر بن انس عن ابيه حدثني نبي الله صلى الله عليه وسلم قال اني لقايم انتظر
امتي عند الصراط اذ جاء عيسى فقال يا محمد هذه الانبيا قد جاءتك يسالون لتدعو الله
ان يفرق جمع الامم الى حيث شا لغم ما هم فيه فافادت هذه الرواية تعيين موقف النبي صلى الله
عليه وسلم حينيذ وان هذا الذي وصف من كلام اهل الموقف كله يقع عند نصب الصراط
بعد تساقط الكفار في النار وان عيسى هو الذي خاطب نبينا صلى الله عليه وسلم وان جميع
الانبيا يسالونه في ذلك وفي حديث سلمان عند ابن ابي شيبة يأتون محمدا فيقولون
يا نبي الله انت فتح الله بك وختم وغفر لك ما تقدم وما تاخر وجيت في هذا اليوم وترى
ما نحن فيه فقم فاشفع لنا الى ربنا فيقول انا صاحبكم فيجوس الناس حتى ينتهي الى
باب الجنة فان قلت ما الحكمة في انتقاله صلى الله عليه وسلم من مكانه الى الجنة اجيب

بان اول من الموقف لما كانت مقام عرض وحساب كانت مكان مخافة واشفاق ومقام الشافع
يناسب ان يكون في مقام اكرام وفي حديث ابي بن كعب عند ابي يعلى فاسجد له سجدة
يرضى بها عني ثم امتدحه بمدحة يرضى بها عني وفي حديث ابي بكر فينطلق اليه جبريل
فيخر ساجدا قدر جمعة فيقال يا محمد ارفع راسك وفي حديث النضر بن انس فاوحى الله روايتهم
الى جبريل ان اذهب الى محمد فقل له ارفع راسك وعلى هذا فالمعنى فيقول لي على لسان
جبريل والظاهر انه صلى الله عليه وسلم يلهم التحميد قبل سجوده وبعده وفيه
ويكون في كل مكان ما يليق به فانه ورد في رواية فاقوم بين يديه فيلهمني بمحامد لا اقدر
عليها ثم اخر ساجدا وفي رواية البخاري فارفع راسي فاحمد ربي بتحميد يعلمني وفي رواية
ابي هريرة عند الشيخين فاتي تحت العرش فاقع ساجدا لربي ثم يفتح الله علي من محامده
وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على احد قبلي ثم قال يا محمد ارفع راسك الحديث
وفي رواية البخاري من حديث قتادة عن انس ثم اشفع فيحد لي حدا ثم اخرجهم
من النار وادخلهم الجنة قال الطيبي اي يبين لي في كل طور من اطوار الشفاعة
حدا اقف عنده فلا اتعداه مثل ان يقول شفعتك فيمن اخل بالجماعة ثم فيمن اخل
بالصلاة ثم فيمن شرب الخمر ثم فيمن زنا وهكذا على هذا الاسلوب والذي يدل
عليه سياق الاخبار ان المراد به تفضيل مراتب المخرجين في الاعمال الصالحة
كما وقع عند احمد فاقول يا رب امتي امتي فيقول اخرج من كان في قلبه مثقال شعيرة
وفي حديث سلمان فيشفع في كل من كان في قلبه مثقال حبة من حنطة ثم شعيرة
ثم حبة خردل فذلك المقام المحمود وفي رواية ابي سعيد عند مسلم ارجعوا فمن وجدتم
في قلبه مثقال دينار من خير قال القاضي عياض قيل يعني بالخير اليقين واما قوله
في رواية انس عند البخاري فاخرجهم من النار فقال الداودي كان راوي هذا الحديث ركب
شيئا على غير اصله وذلك لان في اول الحديث ذكر الشفاعة في الاراحة من كرب الموقف
وفي اخره ذكر الشفاعة في الاخراج من النار يعني وذلك انما يكون بعد التحول من الموقف
والمرور على الصراط وسقوط من يسقط في تلك الحالة في النار ثم يقع بعد ذلك الشفاعة
في الاخراج وهو اشكال قوي وقد اجاب عنه النووي ومن قبله القاضي عياض
بانه قد وقع في حديث حذيفة وابي هريرة فياتون محمدا فيقوم ويؤذن له في الشفاعة
وترسل معه الامانة والرحم فيقومان جنبتي الصراط يمينا وشمالا اي يقفان في ناحيتي
الصراط قال القاضي عياض فبهذا يتصل الكلام لان الشفاعة التي لجأ الناس اليه
فيها هي لاراحة الناس من كرب الموقف ثم يجيء الشفاعة في الاخراج والمعنى في قيام
الامانة والرحم انهما لعظم شانهما وفخامة ما يلزم العباد من رعاية حقهما يوقفان للامين
والخائن والواصل والقاطع فيحاجان عن المحق ويشهدان على المبطل وقد وقع في حديث
ابي هريرة بعد ذكر الجمع في الموقف الامر باتباع كل امة ما كانت تعبد ثم تمييز المنافقين
من المؤمنين ثم حلول الشفاعة بعد وضع الصراط والمرور عليه فكان الامر باتباع كل امة
ما كانت تعبد هو اول فصل القضاء والاراحة من كرب الموقف وبهذا يجتمع متون الاحاديث

وتترتب

وتترتب معانيها انتهى فظهر انه صلى الله عليه وسلم اول ما يشفع ليقضى بين الخلق وان الشفاعة
فيمن يخرج من النار ممن سقط تقع بعد ذلك وان العرض والميزان وتطاير الصحف تقع في هذا
الموطن ثم ينادي ليتبع كل امة ما كانت تعبد فيسقط الكفار في النار ثم يميز بين المؤمنين والمنافقين
بالامتحان بالسجود عند كشف الساق ثم يؤذن في نصب الصراط والمرور عليه فيطفأ نور
المنافقين فيسقطوا في النار ايضا ويمر المؤمنين عليه الى الجنة فمن العصاة من يسقط
ويوقف من نجا عند القنطرة للمقاصصة بينهم ثم يدخلون الجنة وقد قال النووي ومن
قبله القاضي عياض الشفاعات خمس الاولى في الاراحة من هول الموقف الثانية ادخال قوم
الجنة بغير حساب الثالثة في ادخال قوم حوسبوا واستحقوا العذاب ان لا يعذبوا الرابعة
في اخراج من ادخل النار من العصاة الخامسة في رفع الدرجات انتهى فاما الاولى فهي التي
لاراحة الناس من هول الموقف فيدل عليها حديث ابي هريرة وغيره المتقدم وحديث
انس عند البخاري ولفظه يجمع الله الناس يوم القيمة فيقولون لو استشفعنا الى ربنا
فيريحنا من مكاننا فياتون ادم ويقولون انت الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه
وامر لك الملائكة فسجدوا لك فاشفع لنا الى ربنا فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته
ايتوا نوحا وذكر اتيانهم الانبياء واحدا واحدا الى ان قال فياتوني فاستاذن على ربي
فاذا رايته وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله ثم يقال لي ارفع راسك سل تعطه وقل
يسمع واشفع تشفع فارفع راسي فاحمد ربي بتحميد يعلمني الحديث واما الثانية وهي
ادخال قوم الجنة بغير حساب فيدل لها ما في اخر حديث ابي هريرة عند البخاري
ومسلم الذي قدمته فارفع راسي فاقول يا رب امتي يا رب امتي فيقال يا محمد ادخل
من امتك من لا حساب عليهم من الباب الايمن من ابواب الجنة قال ابو حامد والسبعون
الفا الذين يدخلون الجنة بلا حساب لا ترفع لهم ميزان ولا ياخذون صحفا وانما هي براات
مكتوبة لا اله الا الله محمد رسول الله هذه براءة فلان بن فلان قد غفر له وسعد سعادة
لا شقاء بعدها ابدا فما مر عليه شيء اسر من ذلك المقام واما الثالثة وهي ادخال قوم
حوسبوا ان لا يعذبوا فيدل على ذلك قوله في حديث حذيفة عند مسلم ونبيكم على الصراط
يقول رب سلم واما الرابعة وهي في اخراج من ادخل النار من العصاة فادلتها
كثيرة وقد روى البخاري عن عمران بن الحصين مرفوعا يخرج قوم من النار بشفاعة
محمد فيدخلون الجنة ويسمون الجهنميين واما الخامسة وهي في رفع الدرجات
فقال النووي في الروضة انها من خصائصه صلى الله عليه وسلم ولم يذكر لذلك
مستندا فالله اعلم وقد ذكر القاضي عياض شفاعة سادسة وهي شفاعته صلى الله
عليه وسلم لعمه ابي طالب في تخفيف العذاب لما ثبت في الصحيح ان العباس قال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابا طالب كان يحوطك وينصرك ويغضب لك
فهل نفعه ذلك قال نعم وجدته في غمرات من النار فاخرجته الى ضحضاح وفي
الصحيح ايضا من طريق ابي سعيد انه صلى الله عليه وسلم قال لعله تنفعه
شفاعتي يوم القيمة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه

وزاد بعضهم سابعة وهي الشفاعة لأهل المدينة لحديث سعد رفعه لا يثبت أحد
على لأوائها إلا كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيمة وتعقبه الحافظ ابن حجر بأن متعلقها
لا يخرج عن واحد من الخمس الأول وبأنه لو عد مثل ذلك لعد حديث عبد الملك
ابن عباد سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول أول من أشفع له أهل المدينة
ثم أهل مكة ثم أهل الطائف رواه البزار وزاد القرطبي أنه أول شافع في دخول
أمته الجنة قبل الناس ويدل عليه ما رواه وزاد في فتح الباري أخرى فيمن
استوت حسناته وسيئاته أن يدخل الجنة لما أخرجه الطبراني عن ابن عباس قال
السابق يدخل الجنة بغير حساب والمقتصد برحمة الله والظالم لنفسه وأصحاب
الأعراف يدخلون بشفاعته صلى الله عليه وسلم وأرجح الأقوال في أصحاب الأعراف
أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم وشفاعة أخرى وهي شفاعته فيمن قال
لا إله إلا الله ولم يعمل خيرا قط لرواية الحسن عن أنس فأقول يا رب ائذن لي فيمن
قال لا إله إلا الله قال ليس ذلك لك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي لأخرجن من النار
من قال لا إله إلا الله فلا ترد على الخمسة أربعة وما عداها لا يرد كما لا يرد الشفاعة
في التخفيف عن صاحبي القبرين وغير ذلك لكونه من جملة أحوال الدنيا انتهى
فإن قلت فأي شفاعة ادخرها صلى الله عليه وسلم لأمته أما الأولى فلا تختص بهم
بل هي لإراحة الجميع كله وهي المقام المحمود كما تقدم وكذلك باقي الشفاعات
الظاهر أنه يشاركهم فيها بقية الأمم فالجواب أنه يحتمل أن المراد الشفاعة العظمى
التي للإراحة من هول الموقف وهي وإن كانت غير مختصة بهذه الأمة لكن هم
الأصل فيها وغيرهم تبع لهم ولهذا كان اللفظ المنقول عنه صلى الله عليه وسلم
فيها أنه قال يا رب أمتي أمتي فدعا فيها فأجيب وكان غيرهم تبعا لهم في ذلك
ويحتمل أن تكون الشفاعة الثانية وهي التي في إدخال قوم الجنة بغير حساب هي
المختصة بهذه الأمة فإن الحديث الوارد فيها يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفا
الحديث ولم ينقل ذلك في بقية الأمم ويحتمل أن يكون المراد مطلق الشفاعة المشترك
بين الشفاعات الخمس وكون غير هذه الأمة يشاركهم فيها أو في بعضها لا ينافي أنه يكون
عليه الصلاة والسلام أخر دعوته شفاعة لأمته فلعله لا يشفع لغيرهم من الأمم
بل يشفع لهم أنبياؤهم ويحتمل أن تكون الشفاعة لغيرهم تبعا كما تقدم مثله في الشفاعة
العظمى والله أعلم وعن بريدة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إني لأرجو
أن أشفع يوم القيمة عدد ما على الأرض من شجرة ومدرة رواه أحمد وعن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال نحن آخر الأمم وأول من يحاسب
يقال أين الأمة الأمية ونبيها فنحن الآخرون الأولون رواه ابن ماجه وفي حديث
ابن عباس عند أبي داود الطيالسي مرفوعا فإذا أراد الله أن يقضي بين خلقه
نادى مناد أين محمد وأمته فأقوم وتتبعني أمتي غرا محجلين من أثر الطهور قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحن الآخرون الأولون وأول من يحاسب وتفرج

لنا الامم

لنا الأمم عن طريقنا وتقول الأمم كادت هذه الأمة أن تكون أنبياء كلها وقد صح أن أول
ما يقضى بين الناس في الدماء رواه البخاري وللنسائي مرفوعا أول ما يحاسب عليه
العبد الصلاة وأول ما يقضى بين الناس الدماء وفي البخاري عن علي بن أبي طالب
رضي الله تعالى عنه أنه قال أنا أول من يجثو يوم القيمة بين يدي الرحمن للخصومة
يريد قصته في مبارزته هو وصاحباه الثلاثة من كفار قريش قال أبو ذر وفيهم
نزلت هذان خصمان اختصموا الآية وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا تزول قدما عبد يوم القيمة حتى يسأل عن أربع عن عمره فيما أفناه
وعن عمله فيما عمل فيه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن جسمه
فيما أبلاه رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب وفي البخاري من حديث
عائشة رضي الله تعالى عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من نوقش الحساب
عذب وروى البزار عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرج
لابن آدم يوم القيمة ثلاثة دواوين ديوان فيه العمل الصالح وديوان فيه
ذنوبه وديوان فيه النعم من الله عليه فيقول الله لأصغر نعمه أحسبه قال
في ديوان النعم خذي ثمنك من عمله الصالح فتستوعب عمله الصالح وتقول
وعزتك ما استوفيت وتبقى الذنوب والنعم وقد ذهب العمل الصالح فإذا أراد الله
أن يرحم عبدا قال يا عبدي قد ضاعفت لك حسناتك وتجاوزت عن سيئاتك
أحسبه قال ووهبت لك نعمي وروى الإمام أحمد بسند حسن عن أبي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليختصمن كل شيء يوم القيمة حتى الشاتان
فيما انتطحتا وعن أنس بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس إذ رأيناه ضحك
حتى بدت ثناياه قال له عمر ما أضحكك يا رسول الله بأبي أنت وأمي قال رجلان
من أمتي جثيا بين يدي رب العزة فقال أحدهما يا رب خذ لي مظلمتي من أخي
فقال الله كيف تصنع بأخيك ولم يبق من حسناته شيء قال يا رب فليحمل من أوزاري
وفاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء ثم قال إن ذلك ليوم عظيم يحتاج
الناس أن يحمل عنهم من أوزارهم فقال الله للطالب ارفع بصرك وانظر فقال يا رب أرى
مدائن من ذهب وفضة مكللة باللؤلؤ لأي نبي هذا أو لأي صديق هذا أو لأي شهيد
هذا قال لمن أعطى الثمن قال يا رب ومن يملك ذلك قال أنت تملكه قال بماذا قال بعفوك
عن أخيك قال يا رب فإني قد عفوت عنه قال الله تعالى فخذ بيد أخيك وأدخله الجنة
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فإن الله
يصلح بين المسلمين رواه الحاكم والبيهقي في البعث كلاهما عن عباد بن شيبة الحبطي
عن سعيد بن أنس عنه وقال الحاكم صحيح الإسناد كذا قال وقد قيل لو أن رجلا له
ثواب سبعين نبيا وله خصم بنصف دانق لم يدخل الجنة حتى يرضي خصمه وقيل يؤخذ
بدانق سبع مائة صلاة مقبولة فتعطى للخصم ذكره القشيري في التحبير ثم بعد
انقضاء الحساب يكون وزن الأعمال لأن الوزن للجزاء فينبغي أن يكون بعد المحاسبة

فان المحاسبة لتقرير الاعمال والوزن لاظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها وقد ذكر الله تعالى
الميزان في كتابه بلفظ الجمع وجاءت السنة بلفظ الافراد والجمع فقيل ان صورة الافراد
محمولة على ان المراد الجنس جمعا بين الكلامين وقال بعضهم يحتمل ان يكون تعددها
بتعدد الاعمال فيكون هناك موازين للعامل الواحد يوزن بكل ميزان منها صنف من اعماله
وذهبت طائفة الى انه ميزان واحد يوزن بها الجميع وانما ورد في الاية بصيغة الجمع
للتفخيم وليس المراد حقيقة العدد وهو نظير قوله تعالى كذبت قوم نوح المرسلين
والمراد رسول واحد وهذا هو المعتمد وعليه الاكثرون واختلف في كيفية وضع
الميزان والذي جاء في اكثر الاخبار ان الجنة توضع عن يمين العرش والنار عن يسار
العرش ثم يؤتى بالميزان فينصب بين يدي الله تعالى فتوضع كفة الحسنات مقابل
الجنة وكفة السيئات مقابل النار ذكره الحكيم الترمذي في نوادر الاصول واختلف ايضا
في الموزون نفسه فقال بعضهم توزن الاعمال نفسها وهي وان كانت اعراضا الا انها
تجسم يوم القيمة فتوزن وقيل الموزون صحايف الاعمال ويدل عليه حديث البطاقة
المشهور وقد رواه الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص يرفعه بلفظ
ان الله يستخلص رجلا من امتي على رؤس الخلايق يوم القيمة فينشر عليه تسعة
وتسعين سجلا كل سجل منها مثل مد البصر ثم يقول أتنكر من هذا شيئا اظلمك كتبتي
الحافظون فيقول لا يا رب فيقول افلك عذر فيقول لا يا رب فيقول بلى ان لك عندنا
حسنة وانه لا ظلم عليك اليوم فتخرج بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا
رسول الله فيقول احضر وزنك فيقول ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقول انك
لا تظلم قال فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة
فلا يثقل مع اسم الله شيء فان قلت ان شان الميزان يوضع في كفته شيء وفي الاخرى ضده
فتوضع الحسنات في كفة والسيئات في كفة والذي يقابل شهادة التوحيد الكفر فيستحيل
ان يأتي عبد واحد بالكفر والايمان معا حتى يوضع الايمان في كفة والكفر في اخرى اجاب
الترمذي الحكيم بانه ليس المراد وضع شهادة التوحيد في كفة الميزان وانما المراد وضع
الحسنة المرتبة على النطق بهذه الكلمة مع ساير الحسنات ويدل لما قاله قوله عليه السلام
بلى ان لك عندنا حسنة ولم يقل ان لك عندنا ايمانا وقد سئل عليه الصلاة والسلام
عن لا اله الا الله امن الحسنات هي فقال من اعظم الحسنات خرجه البيهقي وغيره
ويجوز كما قاله القرطبي في التذكرة ان تكون هذه الكلمة هي آخر كلامه في الدنيا كما في
حديث معاذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل
الجنة وفي التحبير للقشيري قيل لبعضهم في المنام ما فعل الله بك قال وزنت حسناتي
فرجحت السيئات على الحسنات فسقطت صرة في كفة الحسنات فرجحت فحللت الصرة
فاذا فيها كف تراب القيته في قبر مسلم وفي الخبر اذا خفت حسنات المؤمن اخرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم بطاقة كالانملة فيلقيها في كفة الميزان التي فيها حسناته فترجح
الحسنات فيقول ذلك العبد المؤمن للنبي صلى الله عليه وسلم بابي انت وامي ما احسن

الميزان

الصلاة

وجهك وما احسن خلقك فمن انت فيقول انا نبيك محمد وهذه صلاتك علي وقد وفيتك اياها
احوج ما تكون اليها ذكره القشيري في تفسيره وذكر الغزالي انه يؤتى برجل يوم القيمة
فما يجد حسنة يرجح بها ميزانه وقد اعتدلت بالسوية فيقول الله تعالى رحمة اذهب في الناس
فالتمس من يعطيك حسنة ادخلك بها الجنة فما يجد احدا يكلمه في ذلك الامر الا يقول له
انا احوج لذلك منك فييأس فيقول له رجل لقد لقيت الله فما وجدت في صحيفتي الا حسنة
واحدة وما اظنها تغني عني شيئا خذها هبة فينطلق بها فرحا مسرورا فيقول الله سبحانه وتعالى
ما بالك وهو اعلم فيقول يا رب اتفق من امري كيت وكيت قال فينادي الله سبحانه وتعالى صاحبه
الذي وهبه الحسنة فيقول له سبحانه وتعالى كرمي اوسع من كرمك خذ بيد اخيك وانطلقا
الى الجنة وكذا يستوي كفتا الميزان لرجل فيقول الله تعالى له لست من اهل الجنة ولا من
اهل النار فياتي الملك بصحيفة فيضعها في كفة الميزان فيها مكتوب أف فترجح على الحسنات
لانها كلمة عقوق فيؤمر به الى النار قال فيطلب الرجل ان يرد الى الله تعالى فيقول الله
تعالى ردوه فيقول له ايها العبد العاق لاي شيء تطلب الرد الي فيقول الهي اني سائر الى النار
وكنت عاقا لابي وهو سائر الى النار مثلي فضعف علي عذاب ابي وانقذه منها قال
فيضحك الله سبحانه وتعالى ويقول عققته في الدنيا وبررته في الاخرة خذ بيد ابيك
وانطلقا الى الجنة وقد روي حديث ان صاحب الميزان يوم القيمة جبريل عليه السلام
وهو الذي يزن الاعمال يوم القيمة رواه ابن جرير في تفسيره واختلف ايضا
في كيفية الرجحان والنقص فقال بعضهم ان الموزون في الاخرة يصعد عكس ما في الدنيا
واستشهد في ذلك بقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب الاية قال الزركشي وهو غريب
مصادم لقوله تعالى فاما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية وهل توزن الاعمال
كلها ام خواتيمها حكي عن وهب بن منبه انه قال يوزن من الاعمال خواتيمها واستدل
بقوله عليه الصلاة والسلام انما الاعمال بخواتيمها وذكر الحافظ ابو نعيم عن نافع عن ابن عمر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قضى لاخيه حاجة كنت واقفا عند ميزانه فان
رجح والا شفعت له وقال بعض اهل العلم فيما حكاه القرطبي في التذكرة لن يجوز احد
الصراط حتى يسال في سبع قناطر فاما القنطرة الاولى فيسال عن الايمان بالله وهو شهادة
ان لا اله الا الله فان جاء بها مخلصا جاز ثم يسال على القنطرة الثانية عن الصلاة فان جاء بها
تامة جاز ثم يسال في القنطرة الثالثة عن صوم شهر رمضان فان جاء به تاما جاز
ثم يسال في الرابعة عن الزكاة فان جاء بها تامة جاز ثم يسال في الخامسة عن الحج
والعمرة فان جاء بهما تامين جاز ثم يسال في القنطرة السادسة فيسال عن الغسل
والوضوء فان جاء بهما تامين جاز ثم يسال في السابعة وليس في القناطر اصعب منها
فيسال عن ظلامات الناس وفي حديث ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم ويضرب
الصراط بين ظهراني جهنم فاكون انا وامتي اول من يجوز ولا يتكلم يومئذ الا الرسل
ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان غير انه
لا يعلم قدر عظمها الا الله تعالى فتخطف الناس باعمالهم فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من يجوز

ابي لن يتجاوز ١٢

الصراط

ثم ينجو الحديث رواه البخاري وفي حديث حذيفة وابي هريرة عند مسلم ونبيكم قايم على
الصراط يقول رب سلم سلم حتى تعجز اعمال العباد حتى ياتي الرجل فلا يستطيع السير
الا زحفا قال وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مامورة باخذ من امرت به فمخدوش
ناج ومكدوس في النار وهذه الكلاليب هي الشهوات المشار اليها في الحديث حفت النار
بالشهوات موضوعة على جوانبها فمن اقتحم الشهوة سقط في النار قاله ابن العربي ويوخذ
من قوله فمخدوش الى آخره ان المارين على الصراط ثلاثة اصناف ناج بلا خدش وهالك
من اول وهلة ومتوسط بينهما مصاب ثم ينجو وفي حديث المغيرة عند الترمذي شعار
المؤمنين على الصراط رب سلم سلم ولا يلزم من كون هذا الكلام شعار المؤمنين ان ينطقوا
بل ينطق به الرسل يدعون للمؤمنين بالسلامة فيسمى ذلك شعارا لهم وفي حديث ابن مسعود
فيعطيهم نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من يعطي نوره مثل الجبل العظيم يسعى بين ايديهم
الحديث وفيه فيمرون على قدر نورهم منهم من يمر كطرفة العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم
من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كانقضاض الكوكب ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كشد
الفرس ومنهم من يمر كشد الرجل حتى يمر الذي يعطي نوره على ظهر قدميه يحبو على وجهه
ويديه ورجليه تخر يد وتعلق يد وتخر رجل وتعلق رجل وتصيب جوانبه النار فلا يزال كذلك
حتى يخلص فاذا خلص وقف عليها فقال الحمد لله الذي اعطاني ما لم يعط احدا اذ نجاني منها
بعد اذ رايتها الحديث رواه ابن ابي الدنيا والطبراني وروى مسلم قال ابو سعيد بلغني ان
الصراط احد من السيف وادق من الشعرة ولابن المبارك من مرسل عبيد بن عمير
ان الصراط مثل السيف وبجنبتيه كلاليب انه ليوخذ بالكلوب الواحد اكثر من ربيعة
ومضر واخرجه ابن ابي الدنيا من هذا الوجه وفيه والملائكة على جنبتيه يقولون رب سلم
رب سلم وعن الفضيل بن عياض بلغنا ان الصراط مسيرة خمس عشرة الف سنة
خمسة الاف صعود وخمسة الاف هبوط وخمسة الاف مستوى ارق من الشعرة واحد
من السيف على متن جهنم لا يجوز عليه الا ضامر مهزول من خشية الله ذكره ابن عساكر
في ترجمته قال في فتح الباري وهذا معضل لا يثبت قال وعن سعيد بن ابي هلال
بلغنا ان الصراط ادق من الشعرة على بعض الناس ولبعض الناس مثل الوادي الواسع
اخرجه ابن المبارك وهو مرسل او معضل وقد ذهب بعضهم الى ان المراد من قوله
تعالى وان منكم الا واردها الجواز على الصراط لانه ممدود على النار وروي عن ابن
عباس وابن مسعود وكعب الاحبار انهم قالوا الورود المرور على الصراط وقيل الورود
الدخول وعن ابي سمية قال اختلفنا في الورود فقال بعضنا لا يدخلها مومن
وقال بعضنا يدخلونها جميعا ثم ينجي الله الذين اتقوا فلقيت جابر بن عبد الله فقلت
انا اختلفنا في الورود فقال يردونها جميعا فقلت انا اختلفنا في ذلك فقال بعضنا
لا يدخلها مومن وقال بعضنا يدخلونها جميعا فاهوى باصبعه الى اذنيه وقال
صمتا ان لم اكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الورود الدخول
لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المومن بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم حتى

الى النار

الورود
فتكون على المومن بردا وسلاما

الى النار وقال لجهنم ضجيجا من بردهم ثم ينجي الله الذين اتقوا ونذر الظالمين رواه
احمد والبيهقي باسناد حسن واخرج ابن الجوزي كما ذكره القرطبي في التذكرة رفعه
الزالون على الصراط كثير واكثر من يزل عنه النساء قال واذا صار الناس على طرفي
الصراط نادى ملك من تحت العرش يا فطرة الملك الجبار جوزوا على الصراط وليقف
كل عاص منكم وظالم فيا لها من ساعة ما اعظم خوفها واشد حرها يتقدم فيها من كان
في الدنيا ضعيفا مهينا ويتاخر عنها من كان فيها عظيما مكينا ثم يوذن لجميعهم بعد ذلك
في الجواز على الصراط على قدر اعمالهم فاذا عصف الصراط بامة محمد نادوا وامحمداه وامحمداه
فيبادر عليه الصلاة والسلام من شدة اشفاقه عليهم وجبريل اخذ بحجزته فينادي صلى
الله عليه وسلم رافعا صوته رب امتي امتي لا اسالك اليوم نفسي ولا فاطمة ابنتي والملائكة
قيام عن يمين الصراط ويساره ينادون رب سلم وقد عظمت الاهوال واشتدت الاوجال
والعصاة يتساقطون عن اليمين والشمال والزبانية يتلقونهم بالسلاسل والاغلال
وينادونهم اما نهيتم عن كسب الاوزار اما انذرتم كل الانذار اما جاءكم النبي المختار
ذكره ابن الجوزي في كتابه روضة المشتاق وقد جاء في حديث ابي هريرة عنه صلى الله
عليه وسلم قال من احسن الصدقة في الدنيا جاز على الصراط رواه ابو نعيم وفي حديث
من يكن المسجد بيته ضمن الله له بالروح والرحمة والجواز على الصراط الى الجنة وروى
القرطبي عن ابن المبارك عن عبد الله بن سلام اذا كان يوم القيمة جمع الله الانبياء
نبيا نبيا وامة امة ويضرب الجسر على جهنم فينادي ابن احمد وامته فيقوم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وتتبعه امته برها وفاجرها حتى اذا كان على الصراط طمس الله
ابصار اعدايه فتهافتوا في النار يمينا وشمالا ويمضي النبي صلى الله عليه وسلم والصالحون
معه فتتلقاهم الملائكة فيدلونهم على الطريق على يمينك على شمالك حتى ينتهي الى ربه
فيوضع له كرسي عن يمين العرش ثم يتبعه عيسى عليه السلام على مثل سبيله وتتبعه
امته برها وفاجرها حتى اذا كانوا على الصراط طمس الله ابصار اعدايه فتهافتوا
في النار يمينا وشمالا الحديث واعلم ان في الاخرة صراطين احدهما مجاز لاهل المحشر كلهم
الا من دخل الجنة بغير حساب او يلتقطه عنق النار فاذا خلص من خلص من الصراط
الاكبر حبسوا على صراط آخر لهم ولا يرجع الى النار احد من هولاء ان شاء الله لانهم
قد عبروا الصراط الاول المضروب على متن جهنم وقد روى البخاري من حديث ابي سعيد
الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلص المومنون من النار فيحبسون
على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى
اذا هذبوا ونقوا اذن لهم في دخول الجنة فوالذي نفس محمد بيده لاحدهم في الجنة
بمنزله منه بمنزله كان في الدنيا واما تفضيله صلى الله عليه وسلم بانه اول
من يقرع باب الجنة واول من يدخلها ففي صحيح مسلم من حديث المختار بن فلفل
عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اكثر الناس تبعا يوم
القيمة وانا اول من يقرع باب الجنة وفيه ايضا من حديث انس قال صلى الله عليه

اول من يقرع باب الجنة

وسلم آتي باب الجنة يوم القيمة فاستفتح فيقول الخازن من أنت فاقول محمد فيقول
بك أمرت لا افتح لاحد قبلك ورواه الطبراني وزاد فيه قال فيقوم الخازن ويقول
لا أفتح لاحد قبلك ولا اقوم لاحد بعدك فقيامه له صلى الله عليه وسلم خاصة اظهارا
لمزيته ومرتبته وانه لا يقوم في خدمة احد بعده بل خزنة الجنة يقومون في خدمته
وهو كالملك عليهم وقد اقامه الله تعالى في خدمة عبده ورسوله محمد صلى الله عليه
وسلم وروى سهيل بن أبي صالح عن زياد المهري عن انس بن مالك قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول من ياخذ بحلقة الجنة ولا فخر رواه
وهو من مسند الفردوس لكن من حديث ابن عباس وعن ابي سعيد قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم يوم القيمة وبيدي لواء الحمد يوم القيمة
ولا فخر وما من نبي آدم فمن سواه الا تحت لوائي وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر
قال فيفزع الناس ثلث فزعات فياتون آدم فذكر الحديث الى ان قال فياتوني فانطلق
معهم قال ابن جدعان قال انس فكاني انظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ بحلقة
باب الجنة فاقعقعها فيقال من هذا فيقال محمد فيفتحون لي ويرحبون فيقولون مرحبا
فاخر ساجدا فيلهمني الله من الثناء والحمد فيقال ارفع راسك الحديث رواه الترمذي
وقال حسن وفي حديث سلمان عنه   فياخذ بحلقة الباب وهي من
ذهب فيقرع الباب فيقال من هذا فيقول محمد فيفتح وفي حديث الصور ان
المومنين اذا انتهوا الى باب الجنة تشاوروا فيمن يستاذن لهم في الدخول
فيقصدون آدم ثم نوحا ثم ابراهيم ثم موسى ثم عيسى ثم محمدا صلى الله عليه
وسلم كما فعلوا عند العرصات عند استشفاعهم الى الله عز وجل في فصل القضا
ليظهر شرف نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على سائر البشر كلهم في المواطن كلها
وروى ابو هريرة مرفوعا انا اول من يفتح له باب الجنة الا ان امراة تبادرني فاقول
لها ما لك وما انت فتقول انا امراة قعدت على أيتام لي رواه ابو يعلى ورواته لا باس
بهم وقال المنذري اسناده حسن ان شا الله وقوله تبادرني اي لتدخل معي او
تدخل في اثري ويشهد له حديث انا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وقال باصبعيه
السبابة والوسطى رواه البخاري من حديث سهل بن سعد قال ابن بطال
حق على من سمع هذا الحديث ان يعمل به ليكون رفيق النبي صلى الله عليه وسلم
في الجنة ولا منزلة في الجنة افضل من ذلك انتهى ويحتمل ان يكون المراد قرب المنزلة
حالة دخول الجنة كما في الحديث قبله ووجه التشبيه ان النبي صلى الله عليه وسلم
من شانه ان يبعث الى قوم لا يعقلون امر دينهم فيكون كافلا لهم ومرشدا وكذلك كافل
اليتيم يقوم بكفالة من لا يعقل امر دينه بل ولا دنياه ويعلمه ويحسن ادبه وعن ابن
عباس رضي الله تعالى عنهما قال جلس ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ينتظرونه
قال فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم وهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله
اتخذ من خلقه خليلا اتخذ ابراهيم خليلا وقال آخر ماذا باعجب موسى كلمه تكليما

وقال آخر فعيسى روح الله وقال آخر آدم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم وقال قد سمعت
كلامكم وتعجبكم ان الله اتخذ ابراهيم خليلا وهو كذلك وموسى كليم الله وهو كذلك وعيسى
روح الله وهو كذلك وآدم اصطفاه الله وهو كذلك الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا حامل
لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلق
الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وانا اكرم الاولين والآخرين ولا فخر
رواه الترمذي وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول
الناس خروجا اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا انصتوا وقائدهم اذا وفدوا وشافعهم اذا حبسوا
وانا مبشرهم اذا ابلسوا لواء الحمد بيدي ومفاتيح الجنة يومئذ بيدي وانا اكرم ولد
آدم على ربي ولا فخر ويطوف علي الف خادم كانهم اللؤلؤ المكنون رواه الترمذي
والبيهقي واللفظ له وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن
الآخرون الاولون يوم القيمة نحن اول الناس دخولا الجنة رواه
فهذه الامة اسبق الامم خروجا من الارض واسبقهم الى اعلى مكان في الموقف
واسبقهم الى ظل العرش واسبقهم الى فصل القضاء واسبقهم الى الجواز على
الصراط واسبقهم الى دخول الجنة وهي اكثر اهل الجنة روى عبد الله بن الامام
احمد من حديث ابي هريرة لما نزلت هذه الاية ثلة من الاولين وثلة من الآخرين
قال صلى الله عليه وسلم انتم ثلث اهل الجنة انتم نصف اهل الجنة انتم ثلثا اهل
الجنة قال الطبري تفرد برفعه ابن المبارك عن الثوري وفي حديث بهز ابن
حكيم رفعه اهل الجنة عشرون ومائة صف انتم منها ثمانون وعن عمر بن الخطاب
رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الجنة حرمت على الانبيا
كلهم حتى ادخلها وحرمت على الامم حتى تدخلها امتي قال الدارقطني غريب عن الزهري
فان قلت فما تقول في الحديث الذي صححه الترمذي من حديث بريدة بن الحصيب
قال أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بلالا فقال يا بلال بم سبقتني الى الجنة
ما دخلت الجنة قط الا سمعت خشخشتك امامي الحديث اجاب عنه ابن القيم
بان تقدم بلال بين يديه صلى الله عليه وسلم انما هو لانه كان يدعو الى الله اولا
بالاذان ويتقدم اذانه بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فيتقدم دخوله بين يديه
كالحاجب والخادم قال وقد روي في حديث ان النبي صلى الله عليه وسلم يبعث يوم
القيمة وبلال بين يديه بالاذان فتقدمه بين يديه كرامة له صلى الله عليه وسلم واظهارا
لشرفه وفضيلته لا سبقا من بلال له وروى ابن ابي شيبة من حديث ابي هريرة
رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاني جبريل فاخذ بيدي
فاراني باب الجنة الذي تدخل منه امتي فقال ابو بكر يا رسول الله وددت اني كنت
معك حتى انظر اليه فقال صلى الله عليه وسلم اما انك يا ابا بكر اول من يدخل من امتي
فقد دل هذا الحديث على ان لهذه الامة بابا مختصا يدخلون الجنة منه دون سائر الامم
فان قلت من اي ابواب الجنة يدخل النبي صلى الله عليه وسلم فالجواب انه قد ذكر الترمذي

الحكم ابواب الجنة كما نقله عنه القرطبي في التذكرة فذكر باب محمد صلى الله عليه
وسلم قال وهو باب الرحمة وهو باب التوبة فان قلت كم عدة ابواب الجنة فاعلم
ان في حديث ابي هريرة عند الشيخين مرفوعا من انفق زوجين في سبيل الله دعي
من ابواب الجنة يا عبد الله هذا خير فمن كان من اهل الصلاة دعي من باب الصلاة
ومن كان من اهل الجهاد دعي من باب الجهاد ومن كان من اهل الصدقة دعي من باب
الصدقة ومن كان من اهل الصيام دعي من باب الريان وروى الترمذي من حديث
عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه مرفوعا ما منكم من احد يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم قال
اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله الا فتحت له ابواب الجنة الثمانية بزيادة
من قال القرطبي وهذا يدل على ان ليس ابواب الجنة اكثر من ثمانية قال وانتهى
عددها الى ثلثة عشر بابا كذا قال فان قلت اي الجنان يسكنها النبي صلى الله عليه
وسلم فاعلم منحني الله واياك التمتع بذاته القدسية في الحضرة الفردوسية
ان الله تعالى قد اتخذ من الجنان دارا اصطفاها لنفسه وخصها بالقرب من عرشه
وغرسها بيده فهي سيدة الجنان والله يختار من كل نوع اعلاه وافضله كما اختار
من الملائكة جبريل ومن البشر محمدا صلى الله عليه وسلم وربك يخلق ما يشاء ويختار
وفي الطبراني من حديث ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل
الله تعالى في اخر ثلث ساعات يبقين من الليل فينظر في الساعة الاولى منهن
في الكتاب الذي لا ينظر فيه غيره فيمحو ما يشاء ويثبت ثم ينظر في الساعة الثانية
في جنة عدن وهي مسكنه الذي يسكن لا يكون معه فيها احد الا الانبياء والشهداء
والصديقون وفيها ما لم يره احد ولا خطر على قلب بشر ثم يهبط اخر ساعة من الليل
فيقول الا مستغفر يستغفرني فاغفر له الا سائل يسألني فاعطيه الا داع يدعوني
فاستجيب له حتى يطلع الفجر وفي حديث عنه انه اري جنة عدن وهو منازل
المرسلين منها واري منازل له فوق منازلهم وروى ابو الشيخ عن شمر بن عطية قال
خلق الله جنة الفردوس بيده فهو يفتحها كل يوم خمس مرات فيقول ازدادي طيبا
لاوليائي ازدادي حسنا لاوليائي فتامل هذه العناية كيف جعل الجنة التي غرسها
بيده لمن خلقه بيده ولافضل ذريته اعتناء وتشريفا واظهارا لفضل ما خلقه بيده
وشرفه وتمييزه بذلك عن غيره وروى الدارمي عن عبد الله بن الحارث قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق الله ثلثة اشيا بيده خلق ادم بيده وكتب التوراة
بيده وغرس الفردوس بيده ثم قال وعزتي وجلالي لا يدخلها مدمن خمر ولا الديوث
وفيه ابو معشر نجيح بن عبد الرحمن تكلم فيه وروى الدارمي ايضا عن عبد الله
ابن عمر خلق الله اربعة اشيا بيده القلم والعرش وعدنا وادم عليه السلام ثم قال
لسائر الخلق كن فكان وعنده ايضا عن ميسرة قال ان الله لم يمس شيا من خلقه غير
ثلث خلق ادم بيده وكتب التوراة بيده وغرس جنة عدن بيده فجنة عدن اعلى الجنان
وهي سيدتها وهي قصبة الجنة ومنها الكثيب الذي يقع فيه الرؤية وعليها يدور ثمانية اسوار

بين كل سورين جنة فالتي تلي جنة عدن جنة الفردوس واصله البستان وهي اوسط
الجنان التي دون جنة عدن وافضلها ثم جنة الخلد ثم جنة النعيم ثم جنة المأوى
وهي التي ياوي اليها جبريل والملائكة وعن مقاتل ياوي اليها ارواح الشهداء ثم دار السلام
لانها دار السلامة من كل مكروه ثم دار المقامة واعلم ان للجنة اسماء عديدة باعتبار
صفاتها ومسماها واحد باعتبار ذاتها فهي مترادفة من هذا الوجه ومختلفة باعتبار
صفاتها فاسم الجنة هو الاسم العام المتناول لتلك الدار وما اشتملت عليه من انواع
النعيم والسرور وقرة العين وهذه اللفظة مشتقة من الستر ومنه سمي
البستان جنة لانه يستر داخله بالاشجار والجنات كثيرة جدا كما قال صلى الله
عليه وسلم لام حارثة لما قتل ابنها يوم بدر فقالت يا رسول الله الا تخبرني عن حارثة
فان كان في الجنة صبرت وان كان غير ذلك اجتهدت في البكاء عليه فقال يا ام حارثة
انها جنان في الجنة وان ابنك قد اصاب الفردوس الاعلى وقال تعالى ولمن خاف مقام ربه
جنتان فذكرهما ثم قال ومن دونهما جنتان فهذه اربع وقال عليه الصلاة والسلام
جنتان من ذهب ابنيتهما وما فيهما وجنتان من فضة ابنيتهما وما فيهما رواه الشيخان
من حديث ابي موسى الاشعري وقد قسم بعضهم الجنان بالنسبة الى الداخلين فيها
ثلاثة جنة اختصاص الهي وهي التي يدخلها الاطفال الذين لم يبلغوا الحلم ومن اهلها
اهل الفترات ومن لم تصل اليه دعوة رسول الجنة الثانية جنة ميراث ينالها كل من
دخل الجنة من المؤمنين وهي الاماكن التي كانت معينة لاهل النار لو دخلوها والجنة
الثالثة جنة الاعمال التي تنزل فيها الناس باعمالهم فمن كان افضل من غيره في وجوه
التفاضل كان له في الجنة اكثر وسوا كان الفاضل دون المفضول او لم يكن غير انه فضله
في هذا المقام بهذه الحالة فما من عمل من الاعمال الا وله جنة ويقع التفاضل فيها بين اصحابها
بحسب ما تقتضيه احوالهم قال صلى الله عليه وسلم يا بلال بم سبقتني الى الجنة الحديث
فعلم انها كانت جنة مخصوصة فما من فريضة ولا نافلة ولا فعل خير ولا ترك محرم الا وله
جنة مخصوصة ونعيم خاص ينال له من دخلها وقد يجمع الواحد من الناس في الزمان
الواحد اعمالا من العبادات فيحوز في الزمان الواحد من وجوه كثيرة فيفضل غيره
ممن ليس له ذلك فقد تبين ان نيل المنازل والدرجات في الجنات بالاعمال واما الدخول
فلا يكون الا برحمة الله تعالى كما في البخاري ومسلم من حديث عايشة رضي الله تعالى عنها
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لن يدخل احدا الجنة عمله قالوا ولا انت يا رسول الله
قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته اي يلبسنيها ويسترني بها ماخوذ من غمد السيف
وهو غلافه وعند الامام احمد باسناد حسن من حديث ابي سعيد الخدري لن يدخل
الجنة احد الا برحمة الله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته
وقال بيده فوق راسه يعني ان الجنة انما تدخل برحمة الله وليس عمل العبد مستقلا
بما كنتم تعملون والنبي صلى الله عليه وسلم منوطا بالاعمال في قوله لن يدخل احد منكم الجنة
بعمله ولا تنافي بين الامرين لما ذكره سفيان وغيره قال كانوا يقولون النجاة من النار

بفعل الله ودخول الجنة برحمة الله واقتسام المنازل والدرجات بالاعمال ويدل عليه حديث ابي هريرة
ان اهل الجنة اذا دخلوها نزلوا فيها بفضل اعمالهم رواه الترمذي قال ابن بطال يحمل الاية
على ان الجنة تنال المنازل فيها بالاعمال فان درجات الجنة متفاوتة بحسب تفاوت الاعمال
ويحمل الحديث على دخول الجنة والخلود فيها ثم اورد على هذا الجواب قوله تعالى سلام عليكم
ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون فصرح بان دخول الجنة ايضا بالاعمال واجاب بانه لفظ مجمل
بينه الحديث والتقدير ادخلوا منازل الجنة وقصورها بما كنتم تعملون وليس المراد بذلك
اصل الدخول ثم قال ويجوز ان يكون الحديث مفسرا للاية والتقدير ادخلوها بما كنتم تعملون
مع رحمة الله لكم وتفضله عليكم لان اقتسام منازل الجنة برحمة الله وكذا اصل دخول الجنة
برحمته لكن حيث الهم العاملين ما نالوا به ذلك ولا يخلو شيء من مجازاته لعباده من رحمته
وفضله وقد تفضل الله عليهم ابتداء بايجادهم ثم برزقهم ثم بتعليمهم واشار الى نحوه القاضي
عياض فقال وان من رحمة الله توفيقه للعمل وهدايته للطاعة وكل في ذلك لم يستحقه
العامل بعمله وانما هو بفضل الله ورحمته وقال غيره لا تنافي بين ما في الاية والحديث
لان الباء التي اثبتت الدخول هي باء السببية التي تقتضي سببية ما دخلت عليه لغيره
وان لم يكن مستقلا بحصوله والباء التي نفت الدخول هي باء المعاوضة التي يكون فيها احد
العوضين مقابلا للاخر نحو اشتريت منه بكذا فاخبر ان دخول الجنة ليس في مقابلة عمل احد
وانه لولا رحمة الله بعبده لما ادخله الجنة لان العمل بمجرده ولو تناهى لا يوجب بمجرده دخول
الجنة ولا يكون عوضا لها لانه ولو وقع على الوجه الذي يحبه الله لا يقاوم نعم الله بل جميع العمل
لا يوازي نعمة واحدة فلو طالبه بحقه لبقيت عليه من الشكر على تلك النعمة بقية لم يقم بها
فكذلك لو عذب اهل سمواته واهل ارضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم لكانت رحمته لهم
خيرا من اعمالهم كما في حديث ابي بن كعب عند ابي داود وابن ماجة وهذا افصل الخطاب
مع الجبرية النفاة للحكمة والتعليل القائلين بان القيام للعبادة ليس الا لمجرد الامر
من غير ان يكون سببا للسعادة في معاش ولا معاد ولا لنجاة المعتقدين ان النار ليست
سببا للاحراق ولا الماء سببا للارواء والتبريد والقدرية الذين يثبتون نوعا من الحكمة
والتعليل القائلين بان العبادة شرعت اثمانا لما يناله العباد من الثواب والنعيم وانها
بمنزلة استيفاء الاجير اجرته محتجين بان الله تعالى يجعلها عوضا كما في قوله تعالى ادخلوا
الجنة بما كنتم تعملون وبقوله عليه الصلاة والسلام كما يحكي عن ربه تعالى يا عبادي
انما هي اعمالكم احصيها لكم ثم اوفيكم اياها وهاتان الطائفتان متقابلتان اشد التقابل
وبينهما اعظم التباين فالجبرية لم تجعل للاعمال ارتباطا بالجزاء البتة والقدرية جعلت
ذلك كله بمحض الاعمال وثمنا لها والطائفتان جائرتان منحرفتان عن الصراط المستقيم
الذي فطر الله عليه عباده وجاءت به رسله ونزلت به كتبه وهو ان الاعمال اسباب
موصلة الى الثواب والعقاب مقتضيات لها كاقتضاء سائر الاسباب لمسبباتها وان الاعمال
الصالحة من توفيق الله ومنته وفضله وصدقته على عبده وان اعانه عليها ووفقه لها وخلق فيه
ارادتها والقدرة عليها وحببها اليه وزينها في قلبه وكره اليه اضدادها ومع هذا

الى الثواب

فليست عنا

فليست ثمنا لجزائه وثوابه بل غايتها ان تكون شكرا له سبحانه وتعالى ان قبلها ولهذا نفى عليه
الصلاة والسلام دخول الجنة بالعمل ردا على القدرية القائلين بان الجزاء بمحض الاعمال
وثمنا لها واثبت سبحانه وتعالى دخول الجنة بالعمل ردا على الجبرية الذين لم يجعلوا للعمل
ارتباطا بالجزاء فتبين انه لا تنافي بينهما اذ توارد النفي والاثبات ليس على معنى واحد فالمنفي
استحقاقها بمجرد الاعمال وكون الاعمال ثمنا وعوضا لها ردا على القدرية والمثبت الدخول
بسبب العمل ردا على الجبرية والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وقال الحافظ شيخ
الاسلام ابن حجر يحمل الحديث على ان العمل من حيث هو عمل لا يستفيد به العامل دخول الجنة
ما لم يكن مقبولا واذا كان كذلك فامر القبول الى الله تعالى وانما يحصل برحمة الله لمن يقبل منه
وعلى هذا فمعنى قوله ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون اي تعملونه من العمل المقبول ولا يضر هذا
ان تكون الباء للمصاحبة او للالصاق او المقابلة ولا يلزم من ذلك ان تكون سببية قال
ثم رايت النووي جزم بان ظاهر الايات ان دخول الجنة بسبب الاعمال والجمع بينها وبين
الحديث ان التوفيق للاعمال والهداية للاخلاص فيها وقبولها انما هو برحمة الله وفضله
فيصح انه لم يدخل بمجرد العمل وهو مراد الحديث ويصح انه دخل بسبب العمل وهو من رحمة
الله تعالى انتهى وروى الدارقطني عن ابي امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
نعم الرجل انا لشرار امتي فقالوا فكيف انت لخيارها قال اما خيارها فيدخلون الجنة
باعمالهم واما شرارها فيدخلون الجنة بشفاعتي ذكره عبد الحق في العاقبة واما
تفضيله صلى الله عليه وسلم في الجنة بالكوثر وهو فوعل من الكثرة
سمي بها هذا النهر الجليل لكثرة آنيته ومائه وعظم قدره وخيره فقد نقل المفسرون
في تفسير الكوثر اقوالا تزيد على العشرة ذكرت كثيرا منها في المقصد السادس من هذا
الكتاب واولاها قول ابن عباس انه الخير الكثير لعمومه لكن ثبت تخصيصه بالنهر من لفظ
النبي صلى الله عليه وسلم فلا معدل عنه فقد روى مسلم وابو داود والنسائي من طريق
محمد بن فضيل وعلي بن مسهر كلاهما عن المختار بن فلفل عن انس واللفظ لمسلم قال
بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا في المسجد اذ اغفى اغفاءة ثم رفع راسه
متبسما فقلنا ما اضحكك يا رسول الله قال انزلت علي آنفا سورة فقرا انا اعطيناك الكوثر
فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر ثم قال اتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله اعلم
قال فانه نهر وعدنيه ربي عز وجل الحديث وفي البخاري من حديث قتادة عن انس قال
لما عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم الى السماء قال اتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ مجوف
فقلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر ورواه ابن جرير عن شريك بن ابي نمر قال سمعت
انس بن مالك يحدثنا قال لما اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم مضى به جبريل فاذا هو بنهر
عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد فذهب يشم ترابه فاذا هو مسك قال يا جبريل ما هذا النهر
قال هو الكوثر الذي خبا لك ربك ورواه احمد عن انس ان رجلا قال يا رسول الله ما الكوثر
قال نهر في الجنة اعطانيه ربي لهو اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل وعن ابي عبيدة
عن عائشة قال سالتها عن قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر قالت نهر اعطيه نبيكم شاطئاه

بسم الله الرحمن الرحيم

عليه درجون ابنته كعدد النجوم رواه البخاري وقوله شاطئاه اي حافتاه وقوله درجوف
اي القباب التي على جوانبه ورواه النسائي بلفظ قالت نهر في بطنان الجنة قلت وما بطنان الجنة
قالت وسطها حافتاه قصور اللؤلؤ والياقوت ترابه المسك وحصباؤه اللؤلؤ والياقوت وبطنان
بضم الموحدة وسكون المهملة بعدها نون ووسط بفتح المهملة المراد به اعلاها اي ارفعها
قدرا والمراد اعدلها وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب والمجرى على اللؤلؤ وماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من
العسل رواه احمد وابن ماجة وقال الترمذي حسن صحيح وروي عن ابن عباس في قوله
تعالى انا اعطيناك الكوثر قال هو نهر في الجنة عمقه سبعون الف فرسخ ماؤه اشد بياضا من اللبن
واحلى من العسل شاطئاه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت خص الله به نبيه قبل الانبياء رواه ابن
ابي الدنيا موقوفا وعن انس قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الكوثر قال نهر
اعطانيه الله يعني في الجنة اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل فيه طير اعناقها
كاعناق البخت او اعناق الجزر قال عمر انها لناعمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اكلتها انعم منها رواه الترمذي وقال حسن والجزر بضم الجيم والزاي جمع جزور من
البعير قال الحافظ ابن كثير قد تواتر يعني حديث الكوثر من طرق تفيد القطع عند كثير من ائمة
الحديث وكذلك احاديث الحوض قال وهكذا روي عن انس وابو العالية وغيره واحد من
السلف ان الكوثر نهر في الجنة **واما تفضيله صلى الله عليه وسلم في الجنة**
بالوسيلة والدرجة الرفيعة والفضيلة فروى مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص
انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي
فانه من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة
في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون انا هو فمن سال لي الوسيلة حلت عليه
الشفاعة قال الحافظ عماد الدين بن كثير الوسيلة علم على اعلى منزلة في الجنة وهي منزلة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وداره في الجنة وهي اقرب امكنة الجنة الى العرش وقال
غيره الوسيلة فعيلة من وسل اليه اذا تقرب يقال توسلت اي تقربت وتطلق على المنزلة
العلية كما قال في هذا الحديث فانها منزلة في الجنة على انه يمكن ردها الى الاول فان الواصل
الى تلك المنزلة قريب من الله فتكون كالقربة التي يتوسل بها ولما كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اعظم الخلق عبودية لربه واعلمهم به واشدهم له خشية واعظمهم له محبة كانت منزلته
اقرب المنازل الى الله سبحانه وتعالى وهي اعلى درجة في الجنة وامر صلى الله عليه وسلم
امته ان يسالوها له لينالوا بهذا الدعاء الزلفى وزيادة الايمان وايضا فان الله تعالى قدرها له
باسباب منها دعاء امته له بها بما نالوه على يده من الهدى والايمان واما الفضيلة فهي المرتبة
الزائدة على سائر الخلائق ويحتمل ان تكون منزلة اخرى او تفسيرا للوسيلة وعن ابي سعيد
الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوسيلة درجة عند الله ليس فوقها
درجة فسلوا الله لي الوسيلة رواه في المسند وذكره ابن ابي الدنيا وقال درجة في الجنة
ليس في الجنة اعلى منها فسلوا الله ان يؤتينيها على رؤوس الخلائق وروى ابن مردويه عن علي

عن النبي

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا سالتم الله فاسالوا لي الوسيلة قالوا يا رسول الله من يسكن
معك قال علي وفاطمة والحسن والحسين لكن قال الحافظ عماد الدين بن كثير انه حديث غريب
منكر من هذا الوجه وعند ابن ابي حاتم من حديث علي ايضا انه قال على منبر الكوفة ايها
الناس ان في الجنة لؤلؤتين احداهما بيضاء والاخرى صفراء اما الصفراء فانها الى بطنان العرش
والمقام المحمود من اللؤلؤة البيضاء سبعون الف غرفة كل بيت منها ثلاثة اميال وغرفها
وابوابها واسرتها وسكانها من عرق واحد واسمها الوسيلة هي لمحمد صلى الله عليه وسلم واهل
بيته والصفراء فيها مثل ذلك هي لابراهيم عليه السلام واهل بيته وهو اثر غريب كما نبه عليه
الحافظ ابن كثير ايضا وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك
فترضى قال اعطاه الله تعالى في الجنة الف قصر في كل قصر ما ينبغي من الازواج والخدم
رواه ابن جرير وابن ابي حاتم من طريقه ومثل هذا لا يقال الا عن توقيف فهو في حكم
المرفوع **خاتمة** عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت جاء رجل الى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال يا رسول الله انك لاحب الي من نفسي وانك لاحب الي من اهلي واحب الي من
ولدي واني لاكون في البيت فاذكرك فما اصبر حتى اتيك فانظر اليك واذا ذكرت موتي وموتك
عرفت انك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين واني اذا دخلت الجنة خشيت ان لا اراك
فلم يرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم شيئا حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الاية ومن يطع الله
والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وحسن اولئك رفيقا ذلك الفضل من الله رواه ابو نعيم وقال الحافظ ابو عبد الله المقدسي
لا اعلم باسناد هذا الحديث باسا كذا نقله في حادي الارواح **وذكر** البغوي في معالم
التنزيل بلفظ نزلت يعني الاية في ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فاتاه ذات يوم وقد تغير
لونه يعرف الحزن في وجهه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غير لونك فقال
يا رسول الله ما بي وجع ولا مرض غير اني اذا لم اراك استوحشت وحشة شديدة حتى
القاك ثم ذكرت الاخرة فاخاف ان لا اراك لانك ترفع مع النبيين واني ان دخلت الجنة
لا اراك في منزلة ادنى من منزلتك وان لم ادخل الجنة لا اراك ابدا فنزلت هذه الاية
وكذا ذكره ابن ظفر في ينبوع الحياة لكن قال ان الرجل هو عبد الله بن زيد الانصاري
الذي راى الاذان وليس المراد ان يكون من اطاع الله واطاع الرسول مع النبيين
والصديقين كون الكل في درجة واحدة لان هذا يقتضي التسوية في الدرجة بين
الفاضل والمفضول وذلك لا يجوز فالمراد كونهم في الجنة بحيث يتمكن كل واحد منهم
من رؤية الاخر وان بعد المكان لان الحجاب اذا زال شاهد بعضهم بعضا واذا ارادوا
الرؤية والتلاقي قدروا على ذلك فهذا هو المراد من هذه المعية وقد ثبت في الصحيحين
من حديث انس ان رجلا قال يا رسول الله متى الساعة قال وما اعددت لها قال لا شيء
الا اني احب الله ورسوله قال انت مع من احببت قال انس فما فرحنا بشيء فرحنا بقول
النبي صلى الله عليه وسلم انت مع من احببت فانا احب النبي صلى الله عليه وسلم وابا بكر

وعمروا ارجوان اكون منعمهم بحبي اياهم وفي الحديث الالهي الذي رواه حذيفة كما عند الطبراني
بسند غريب انه تعالى قال ما تقرب الي عبدي بمثل اداء ما افترضت عليه ولا يزال
يتقرب الي بالنوافل حتى احبه الحديث وفيه من الزيادة على حديث البخاري ويكون من
اوليائي واصفيائي ويكون جاري مع النبيين والصديقين والشهداء في الجنة فلله
درها من كرامة بالغة ونعمة على المحبين سابغة فالمحب يرقى في درجات الجنان على اهل
المقامات بحيث ينظر اليه كما ينظر الى الكوكب الغابر في افق السموات لعلو درجته
وقرب منزلته من حبيبه ومعيته معه فان المرء مع من احب ولكل عمل جزاء وجزاء المحبة
المحبة والوصول والقرب من المحبوب رئيت امراة مسرفة على نفسها بعد موتها
فقيل لها ما فعل الله بك فقالت غفر لي فقيل لها بماذا قالت بمحبتي لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وشهوتي النظر اليه نوديت من اشتهى النظر الى حبيبنا نستحي ان نذله
بعتابنا بل نجمع بينه وبين من يحبه وانظر قوله تعالى طوبى لهم وحسن مآب وان طوبى
اسم شجرة في الجنة غرسها الله تعالى بيده تنبت الحلي والحلل وان اغصانها لترى من
وراء سور الجنة وان اصلها في دار النبي صلى الله عليه وسلم وفي دار كل مؤمن منها
غصن فما من جنة من الجنات الا وفيها من شجرة طوبى ليكون سر كل نعيم ونصيب كل فرحة
من سره عليه الصلاة والسلام وانه صلى الله عليه وسلم ملاذ الجنة فلا ولي يتنعم في جنته
الا والرسول متنعم بنعمته لان الولي انما وصل الى ما وصل اليه من النعيم الا باتباعه لنبيه
صلى الله عليه وسلم فلهذا الا سر النبوة قائما به في نعمه وكذلك ابليس ملاذ النار
فلا عذاب لاحد من اهلها الا وابليس لعنه الله سر تعذيبه ومشارك له فيه وفي البحر
لابي حيان عند تفسير قوله تعالى عينا يشرب بها المقربون عباد الله يفجرونها تفجيرا
قيل هي عين في دار رسول الله صلى الله عليه وسلم تفجر الى دور الانبياء والمرسلين
واذا علمت هذا فاعلم ان اعظم نعيم الجنة واكملها التمتع بالنظر الى وجه الرب تبارك
وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وقرة العين بالقرب من الله ورسوله مع الفوز
بكرامة الرضوان التي هي اكبر من الجنان وما فيها كما قال تعالى ورضوان من الله اكبر
ولا ريب ان الامر اجل مما يخطر ببال او يدور في خيال ولا سيما عند فوز المحبين في روضة
الانس وحظيرة القدس بمعية محبوبهم الذي هو غاية مطلوبهم فاي نعيم واي لذة
واي قرة عين واي فوز يداني تلك المعية ولذتها وقرة العين بها وهل فوق نعيم قرة
العين بمعية الله ورسوله نعيم فلا شيء والله اجل ولا اكمل ولا اجمل ولا اجلى ولا احلى
ولا اعلى ولا اغلى من حضرة يجتمع فيها المحب باحبابه في مشهد مشاهد الاكرام حيث
يتجلى لهم حبيبهم ومعبودهم الا له الحق جل جلاله خلف حجاب واحد في اسمه الجميل
اللطيف فتشرق عليهم نور يسري في ذواتهم فيبهتون من جمال الله وتشرق ذواتهم
بنور ذلك الجلال الاقدس بحضرة الرسول الانفاس ويقول لهم الحق جل جلاله سلام
عليكم عبادي ومرحبا بكم اهل ودادي انتم المؤمنون الآمنون لا خوف عليكم اليوم ولا انتم
تحزنون انتم اوليائي وجيراني واحبابي اني انا الله الجواد الغني وهذه داري قد اسكنتكموها

وجنتي قد ابحتكموها وهذه يدي مبسوطة ممتدة عليكم وانا ربكم انظر اليكم لا اصرف نظري
عنكم انا لكم جليس وانيس فارفعوا الي حوائجكم فيقولون ربنا حاجتنا اليك النظر الى وجهك
الكريم والرضى عنا فيقول لهم جل جلاله هذا وجهي فانظروا اليه وابشروا فاني عنكم راض
ثم يرفع الحجاب ويتجلى لهم سبحانه وتعالى فيخرون سجدا فيقول لهم ارفعوا رؤسكم فليس هذا
موضع سجود بل عبادي ما دعوتكم الا لتتمتعوا بمشاهدتي يا عبادي قد رضيت عنكم
فلا اسخط عليكم ابدا فيا لها من لذة من كلمة ويا الذها من بشرى فعندها يقولون الحمد لله
الذي اذهب عنا الحزن واحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها
لغوب ان ربنا لغفور شكور وهذا يدل على ان جميع العبادات تزول في الجنة الا عبادة
الشكر والحمد والتسبيح والتهليل والذي يدل عليه الحديث الصحيح انهم يلهمون ذلك
كالهام النفس كما في مسلم من حديث جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ياكل اهل الجنة فيها ويشربون ولا يتمخطون ولا يبولون ويكون طعامهم ذلك جشاء
ورشحا كرشح المسك يلهمون التسبيح والحمد كما يلهمون النفس يعني تسبيحهم وتحميدهم
يجري مع الانفاس فليس عن تكليف والزام وانما هو عن تيسير والهام ووجه التشبيه
ان تنفس الانسان لا بد له منه ولا كلفة ولا مشقة في فعله وكذلك يكون ذكر الله تعالى
على السنة اهل الجنة وسر ذلك ان قلوبهم قد تنورت بمعرفته وابصارهم قد تمتعت
برؤيته وقد غمرتهم سوابغ نعمه وامتلأت افئدتهم بمحبته ومخاللته فالسنتهم ملازمة
لذكره وقد اخبر الله تعالى عن شانهم في ذلك بقوله تعالى في كتابه العزيز وقالوا
الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم اجر
العاملين وقال تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم
ان الحمد لله رب العالمين قال كاتبه وجامعه احمد بن الخطيب القسطلاني احمد الله
تعالى عواقبه وبلغه من خير الدارين مآربه فهذا آخر ما جرى به قلم المدد
من هذه المواهب اللدنيه ومطرته يد الفيض من المنح المحمديه وذلك وان كثر
قليل في جنب شرفه الشامخ ويسير مما كرمه الله به من فضله الراسخ ولو تتبعنا
ما منحه الله به من مواهبه وشرفه به من مناقبه لما وسعته بعض بعضه الدفاتر
وكلت دون مرماه الاقلام وجفت المحابر وضاقت عن جمعه الكتب وعجزت عن حمله
النجب وعلى تفنن واصفيه بحسنه يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف
فالى الله تعالى اتضرع ان يجعله خالصا لوجهه الكريم مخلصا من شوائب الرياء ودواعي
التعظيم وان ينفعني به والمسلمين والمسلمات في الحياة وبعد الممات سائلا ممن وقف
عليه من فاضل انار الله بصيرته وجبل على الانصاف سريرته ان يصلح بحلمه عثاري
وزللي ويسد بسداد فضله خطاي وخللي فالكريم يقيل العثار ويقبل الاعتذار
خصوصا عذر مثلي مع قصر باعي في هذه الصناعه وكساد سوقه بالذي من مزجاة
البضاعه وما ابتليت به من شواغل الدنيا الدنيه والعوارض البدنيه وتحمل هموم الاثقال
التي لو حملها رضوى لتضعضع او انزلت على ثبير لتخشع وتصدع لكنني اخذت غفلة

الظلام الغاسق، والليل الواسق، فسرقته من ايدي العوائق، والليل يعين السارق، واستفتحت مغالق المعاني بمفاتيح فتح الباري، واستخرجت من مطالب كنوز العلوم نفايس الدراري، حامدا الله تعالى على ما انعم والهم، وعلم ما لم اكن اعلم، مصليا مسلما على رسوله محمد اشرف انبيائه، وافضل مبلغ لانبائه، وعلى آله واصحابه واحبابه وخلفائه، صلاة لا ينقطع مددها، ولا يفنى امدها، وقد فرغت من تبييضه في خامس عشر شعبان المكرم سنة تسع وتسعين وثمان مائه ومن تسويده في ثاني شوال سنة ثمانية وتسعين وثمان مائه

وكان الفراغ من نساخة هذه المواهب اللدنية،
بحمد الله تعالى وعونه وحسن توفيقه ومنه،
رابع عشر ذي القعدة الحرام سنة ست،
بعد الالف من الهجرة النبويه،
على صاحبها افضل الصلاة والسلام،

على يد أفقر عباد الله تعالى وأحوجهم الى رحمة ربه المعترف بذنبه،
الفقير عبد الناصر بن محمد الغزالي نزيل مكة، أحد خدام بيت الله،
غفر الله له ولوالديه، ولمن طالع في هذا الكتاب أو كتبه،
أو استكتبه أو أعاره ولجميع المسلمين والمسلمات،

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه
وسلم ورضي الله تعالى عن كل الصحابة أجمعين